

الفتوحات المكية

(في أربع المجلدات)

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
والدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدس الله روحه و نور ضريحه آمين

المجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(صلى الله على سيدنا محمد)

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه وأوقف وجودها على توجه كلمة لتحقق بذلك سر حدوثها وقدمها من قدمه وتقف عند هذا التحقيق على ما أعلمنا به من صدق قدمه فظهر سبحانه وظهور وأظهر وما بطن ولكنه بطن وأبطن وأثبت له الاسم الأول وجود عين العبد وقد كان ثبت وأثبت له الاسم الآخر تقدير الفناء والفقد وقد كان قبل ذلك ثبت فلولا العصر والمعاصر والجاهل والخابر ما عرف أحد معنى اسمه الأول والآخر ولا الباطن والظاهر وإن كانت أسماؤه الحسنى على هذا الطريق الأسنى ولكن بينها تباين في المنازل يتبين ذلك عند ما تتخذ وسائل حلول النوازل فليس عبد الحليم هو عبد الكريم وليس عبد الغفور هو عبد الشكور فكل عبد له اسم هو ربه و هو جسم ذلك الاسم قلبه فهو العليم سبحانه الذي علم وعلم والحاكم الذي حكم وحكم والقاهر الذي قهر وأقهر والقادر الذي قدر و كسب ولم يقدر الباقي الذي لم تقم به صفة البقاء والمقدس عند المشاهدة عن المواجهة والتقاء بل العبد في ذلك الموطن الأنزه لاحق بالتنزيه لأنه سبحانه وتعالى في ذلك المقام الأنزه يلحقه التشبيه فتزول من العبد في تلك الحضرة الجهات وينعدم عند قيام النظرة به منه الالتفات أحمدته حمد من علم أنه سبحانه علا في صفاته وعلوي وجل في ذاته وجل في وأن حجاب العزة دون سبحانه مسدل وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل إن خاطب عبده فهو المسمع السميع وإن فعل ما أمر بفعله فهو المطاع المطيع ولما حيرتني هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للخليفة

الرب حق و العبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

فهو سبحانه يطيع نفسه إذا شاء يخلفه وينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقه فليس إلا أشباح خالية على عروشها خاوية وفي ترجيع الصدى سر ما أشرنا إليه لمن اهتدى وأشكره شكر من تحقق أن بالتكليف ظهر الاسم المعبود وبوجود حقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله ظهرت حقيقة الجود وإلا إذا جعلت الجنة جزاء لما عملت فأين الجود الإلهي الذي عقلت فأنت عن العلم بأنك لذاتك موهوب وعن العلم بأصل نفسك محجوب فإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس لك فكيف ترى عمالك فاترك الأشياء وخالقها والمرزوقات ورازقها فهو سبحانه الواهب الذي لا يمل والملك الذي عز سلطانه وجل اللطيف بعباده الخبير الذي ليس كمثل شئٍ وهو السميع البصير والصلاة على سر العالم ونكته ومطلب العالم وبغية السيد الصادق المدلج إلى ربه الطارق المخترق به السبع الطرائق ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق فيما أبدع من الخلاق الذي شاهده عند إنشائي هذه الخطبة في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال مكاشفة قلبه في حضرة غيبية ولما

شهدته صلى الله عليه وسلم في ذلك العالم سيدا معصوما مقاصدا محفوظا المشاهد منصورا مؤيدا وجميع الرسل بين يديه مصطفون وأمه التي هي خير أمة عليه ملتقون وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون والصديق على يمينه الأنفس والفاروق على يساره الأقدس والختم بين يديه قد حشى يجزبه بحديث الأثنى وعلي صلى الله عليه وسلم يترجم عن الختم بلسانه وذو النورين مشتمل برداء حياته مقبل على شأنه فالتفت السيد الأعلى والمورد العذب الأحلى والنور الأكتشف الأجلى فرآني وراء الختم لا شراك بيني وبينه في الحكم فقال له السيد هذا عدليك وابنك وخيلك أنصب له منبر الطرفاء بين يدي ثم أشار إلى أن قم يا محمد عليه فأثن على من أرساني وعلي فإن فيك شعرة مني لا صبر لها عني هي السلطنة في ذاتك فلا ترجع إلي إلا بكليتك ولا بد لها من الرجوع إلى اللقاء فإنها ليست من عالم الشقاء فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سعد وكان ممن شكر في الملا الأعلى وحمد فنصب الختم المنبر في ذلك المشهد الأخطر وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر هذا هو المقام المحمدي الأطهر من رقى فيه فقد ورثه وأرسله الحق حافظا لحرمة الشريعة وبعثه وهبت في ذلك الوقت مواهب الحكم حتى كأنني أوتيت جوامع الكلم فشكرت الله عز وجل وصعدت أعلاه وحصلت في موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم ومستواه وبسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض فوفقت عليه حتى لا أبشر الموضوع الذي باشره صلى الله عليه وسلم بقدميه تنزيها له وتشريفا وتبنيها لنا وتعريفا أن المقام الذي شاهده من ربه لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه ولولا ذلك لكشفنا ما كشف وعرفنا ما عرف ألا ترى من تقفوا أثره لتعلم خبره لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه ولا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه فإنه شاهد مثلا ترابا مستويا لا صفة له فمشى عليه وأنت على أثره لا تشاهد إلا أثر قدميه وهنا سر خفي إن مجت عليه وصلت إليه وهو من أجل أنه إمام وقد حصل له الإمام لا يشاهد أثرا ولا يعرفه فقد كشفت ما لا يكشفه وهذا المقام قد ظهر في إنكار موسى صلى الله عليه وسلم سيدنا وعليه وعلي الخضر فلما وقفت ذلك الموقف الأسنى بين يدي من كان من ربه في

ليلة إسرائه قاب قوسين أو أدنى قمت مقنعا خجلا ثم أيدت بروح القدس فافتحت مرتجلا

يا منزل الآيات و الأنبياء أنزل على معالم الأسماء

حتى أكون لحمد ذاتك جامعا بمحامد السراء والضراء

ثم أشرت إليه صلى الله عليه وسلم

ويكون هذا السيد العلم الذي جردته من دورة الخلفاء

وجعلته الأصل الكريم وآدم ما بين طينة خلقه والماء

ونقلته حتى استدار زمانه وعطفت آخره على الإبداء

وأقمته عبدا ذليلا خاضعا دهرا يناجيكم بغار حراء

حتى أتاه مبشرا من عندكم جبريل المخصوص بالأنباء
قال السلام عليك أنت محمد سر العباد و خاتم النبأ
يا سيدي حقا أقول فقال لي صدقا نطقت فأنت ظل ردائي
فاحمد وزد في حمد ربك جاهدا فلقد وهبت حقائق الأشياء
وانثر لنا من شأن ربك ما انجلي لفؤادك المحفوظ في الظلماء
من كل حق قائم بحقيقة يأتيك مملوكا بغير شراء

ثم شرعت في الكلام بلسان العلام فقلت و أشرت إليه صلى الله عليه و سلم حمدت من أنزل عليك الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا الْمُطَهَّرُونَ المنزل بحسن شيمك و تنزيهك عن الآفات و تقديسك فقال في سورة ن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسُبُّرٌ وَيُبْصِرُونَ ثُمَّ غَمَسَ قَلَمَ الْإِرَادَةِ فِي مَدَادِ الْعِلْمِ وَخَطَ بِيَمِينِ الْقَدْرِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الْمَصُونِ كُلِّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَسَيَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ مِمَّا لَوْ شَاءَ وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَكُونَ لَكَانَ كَيْفَ يَكُونُ مِنْ قَدْرِهِ الْمَعْلُومِ الْمَوْزُونِ وَعِلْمِهِ الْكَرِيمِ الْمَخْزُونِ فِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ذَلِكَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ فَتَعَالَى عَمَّا أَشْرَكَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَكَانَ أَوَّلَ اسْمٍ كَتَبَهُ ذَلِكَ الْقَلَمُ الْأَسْمَى دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ مِنْ أَجْلِكَ يَا مُحَمَّدَ الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ مَلِكٌ فَأَخْلَقَ جَوْهَرَةَ الْمَاءِ فَخَلَقْتَهَا دُونَ حِجَابِ الْعِزَّةِ الْأَحْمَى وَأَنَا عَلَى مَا كَتَبْتُ عَلَيْهِ وَلَا شَيْءَ مَعِيَ فِي عَمَّا فَخْلَقَ الْمَاءَ سَبْحَانَهُ بَرْدَةً جَامِدَةً كَالْجَوْهَرَةِ فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَالْبَيَاضِ وَأَوْدَعَ فِيهَا بِالْقُوَّةِ ذَوَاتَ الْأَجْسَامِ وَذَوَاتَ الْأَعْرَاضِ ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ وَاسْتَوَى عَلَيْهِ اسْمُهُ الرَّحْمَنُ وَنَصَبَ الْكُرْسِيَّ وَتَدَلَّتْ إِلَيْهِ الْقَدَمَانِ فَنَظَرَ بَعَيْنِ الْجَلَالِ إِلَى تِلْكَ الْجَوْهَرَةِ فَذَابَتْ حَيَاءً وَتَحَلَّتْ أَجْزَاؤَهَا فَسَأَلَتْ مَاءً وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ قَبْلَ وَجُودِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِذْ ذَاكَ إِلَّا حَقَائِقُ الْمُسْتَوِيِّ عَلَيْهِ وَالْمُسْتَوِيِّ وَالِاسْتَوَاءِ فَأَرْسَلَ النَّفْسَ فَمَوَّجَ الْمَاءَ مِنْ زَعْزَعِهِ وَأَزْبَدَ وَصَوَّتَ بِحَمْدِ الْحَمْدِ الْحَمُودِ الْحَقِّ عِنْدَ مَا ضَرَبَ بِسَاحِلِ الْعَرْشِ فَاهْتَزَّ السَّاقُ وَقَالَ لَهُ أَنَا أَحْمَدُ فَخَجَلَ الْمَاءُ وَرَجَعَ الْقَهْقَرِيُّ يَرِيدُ ثَبَجَهُ وَتَرَكَ زَبْدَهُ بِالسَّاحِلِ الَّذِي أَنْتَجَهُ فَهُوَ مَخْضَةٌ ذَلِكَ الْمَاءِ الْحَاوِي عَلَى أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ فَأَنْشَأَ سَبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الزَّبْدِ الْأَرْضَ مَسْتَدِيرَةَ النَّشْءِ مَدْحِيَةَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ثُمَّ أَنْشَأَ الدِّخَانَ مِنْ نَارِ احْتِكَائِ الْأَرْضِ عِنْدَ فَتْقِهَا فَتَقَّقَ فِيهِ السَّمَوَاتِ الْعَلِيَّ وَجَعَلَهُ مَحَلَّ الْأَنْوَارِ وَمَنَازِلَ الْمَلَائِكَةِ الْعُلَى وَقَابَلَ بِنَجْمِهَا الْمَزِينَةَ لَهَا النِّيرَاتِ مَا زَيْنَ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ أَزْهَارِ النَّبَاتِ وَتَفَرَّدَ تَعَالَى لِأَدَمَ وَوَلَدِيهِ بِذَاتِهِ جَلَّتْ عَنِ التَّشْبِيهِ وَيَدِيهِ فَأَقَامَ نَشْأَةَ جَسَدِيَّةٍ وَسَوَاهَا تَسْوِيَّتَيْنِ تَسْوِيَّةَ انْقِضَاءِ أَمَدِهِ وَقَبُولِ أَمَدِهِ وَجَعَلَ مَسْكِنَ هَذِهِ النَّشْأَةِ نَقْطَةَ كُرَةِ الْوُجُودِ وَأَخْفَى عَيْنَهَا ثُمَّ نَبَّ عِبَادَهُ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَ عَمْدِ تَرَوُّهَا فَإِذَا انْتَقَلَ الْإِنْسَانُ إِلَى بَرْزَخِ الدَّارِ الْحَيَوَانِ مَارَتِ قُبَّةُ السَّمَاءِ وَانْشَقَّتْ فَكَانَتْ شَعْلَةَ نَارِ سِيَالِ كَالِدِهَانَ فَمَنْ فَهَمَ حَقَائِقَ الْإِضَافَاتِ عَرَفَ مَا ذَكَرْنَا لَهُ مِنَ الْإِشَارَاتِ فَيَعْلَمُ قَطْعًا إِنْ قُبَّةٌ لَا تَقُومُ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ كَمَا لَا يَكُونُ وَالِدٌ مِنْ غَيْرِ إِنْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ فَالْعَمْدُ هُوَ الْمَعْنَى الْمَاسِكُ

فإن لم ترد أن يكون الإنسان فاجعله قدرة المالك فتبين أنه لا بد من ماسك يمسكها وهي مملكة فلا بد لها من مالك يملكها ومن مسكت من أجله فهو ماسكها ومن وجدت له بسببه فهو مالكها ولما أبصرت حقائق السعداء والأشقياء عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود وهي حالة الإنشاء حسن النهاية بعين الموافقة والهداية وسوء الغاية بعين المخالفة والغواية سارعت السعيدة إلى الوجود وظهر من الشقية التثبط والإبابة ولهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال أولئك يسارعون في الحيرات وهم لها سابقون يشير إلى تلك السرعة وقال في الأشقياء فثبتهم وقيل أفتدوا مع القاعد ين يشير إلى تلك الرجعة فلولا هبوب تلك النفحات على الأجساد ما ظهر في هذا العالم سالك غي ولا رشاد وتلك السرعة والتثبط أخبرتنا صلى الله عليك إن رحمة الله سبقت غضبه هكذا نسب الراوي إليك ثم أنشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه وأظهر ملائكة التسخير على عدد خلقه فجعل لكل حقيقة اسما من أسمائه تعبده وتعلمه وجعل لكل سر حقيقة ملكا يخدمه ويلزمه فمن الحقائق من حجبته رؤية نفسه عن اسمه فخرج عن تكليفه وحكمه فكان له من الجاحدين ومنهم من ثبت الله أقدامه واتخذ اسمه أمامه وحقق بينه وبينه العلامة وجعله أمامه فكان له من الساجدين ثم استخرج من الأب الأول أنوار الأقطاب شموسا تسبح في أفلاك المقامات واستخرج أنوار النجباء نجوما تسبح في أفلاك الكرامات وثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان فالحفظ بهم الثقلان فالوا ميد الأرض وحركتها فسكنت فازينت مجلي أزهارها وحلل نباتها وأخرجت بركتها فتعمت أبصار الخلق بمنظرها البهي ومشامهم بريحها العطري وأحنأكم بمطعمها الشهوي ثم أرسل الأبدال السبعة إرسال حكيم عليم ملوكا على السبعة الأقاليم لكل بدل إقليم ووزر للقطب الإمامين وجعلهما إمامين على الزمامين فلما أنشأ العالم على غاية الإتيان ولم يبق أبداع منه كما قال الإمام أبو حامد في الإمكان وأبرز جسدك صلى الله عليك للعيان أخبر عنك الراوي أنك قلت يوما في مجلسك إن الله كان ولا شيء معه بل هو على ما عليه كان وهكذا هي صلى الله عليك حقائق الأكوان فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق إلا بكونها سابقة وهن لواحق إذ من ليس مع شيء فليس معه شيء ولو خرجت الحقائق على غير ما كانت عليه في العلم لانمازت عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم فالحقائق الآن في الحكم على ما كانت عليه في العلم فلنقل كانت ولا شيء معها في وجودها وهي الآن على ما كانت عليه في علم معبودها فقد شمل هذا الخبر الذي أطلق على الحق جميع الخلق ولا تعترض بتعدد الأسباب والمسببات فإنها ترد عليك بوجود الأسماء والصفات وإن المعاني التي تدل عليها مختلفات فلولا ما بين البداية والنهاية سبب رابط وكسب صحيح ضابط ما عرف كل واحد منهما بالآخر ولا قيل على حكم الأول يثبت الآخر وليس إلا الرب والعبد وكفى وفي هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود وشفأ ألا ترى أن الخاتمة عين السابقة وهي كلمة واجبة صادقة فما للإنسان يتجاهل ويعمى ويمشي في دجنة ظلماء حيث لا ظل ولا ما وإن أحق ما سمع من النبا وأتى به هدهد الفهم من سبا وجود الفلك المحيط الموجود في العالم المركب والبسيط المسمى بالهباء وأشبه شيء به الماء والهواء وإن كانا من جملة صورته المفتوحة فيه ولما كان هذا الفلك أصل الوجود وتجلي له اسمه النور من حضرة الجود كان الظهور وقبلت صورتك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول

فيض ذلك النور فظهرت صورة مثلية مشاهدا عينية ومشاربها غيبية وجنتها عدنية ومعارفها قلمية وعلومها ميمية وأسرارها مدادية وأرواحها لوحية وطينتها آدمية فأنت أب لنا في الروحانية كما كان وأشرت إلى آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع أب لنا في الجسمية والعناصر له أم والد كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد فلا يكون أمر إلا عن أمرين ولا نتيجة إلا عن مقدمتين أليس وجودك عن الحق سبحانه وكونه قادرا موقوفا وأحكامك عليه من كونه عالما موصوفا واختصاصك بأمر دون غيره مع جوازه عليك عليه من كونه مريدا معروفا فلا يصح وجود المعدوم عن وحيد العين فإنه من أين يعقل الأين فلا بد أن تكون ذات الشيء أيننا لأمر ما لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى وفي معرفة الصفة والموصوف تتبين حقيقة الأين المعروف والإفكيف تسأل صلى الله عليك بأين وتقبل من المسئول فاء الظرف ثم تشهد له بالإيمان الصرف وشهادتك حقيقة لا مجاز ووجوب لا جواز فلولا معرفتك صلى الله عليك بحقيقة ما قبلت قولها مع كونها خرساء في السماء ثم بعد أن أوجد العوالم اللطيفة والكثيفة ومهد المملكة وهيا المرتبة الشريفة أنزل في أول دورة العذراء الخليفة ولذلك جعل سبحانه مدتنا في الدنيا سبع آلاف سنة وتحل بنا في آخرها حال فناء بين نوم وسنة فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق وتغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق فترجع الدولة للأرواح وخليقتها في ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح وترى الأشباح في حكم التبع للأرواح فيتحول الإنسان في أي صورة شاء لحقيقة صحت له عند البعث من القبور في الإنشاء وذلك موقوف على سوق الجنة سوق اللطائف والمنة فانظروا رحمكم الله وأشرت إلى آدم في الزمردة البيضاء قد أودعها الرحمن في أول الآباء وانظروا إلى النور المين وأشرت إلى الأب الثاني الذي سمانا مسلمين وانظروا إلى اللجين الأخلص وأشرت إلى من أبر الأكمه والأبرص بإذن الله كما جاء به النص وانظروا إلى جمال حمرة ياقوتة النفس وأشرت إلى من بيع بئمن بئمن وانظروا إلى حمرة الإبريز وأشرت إلى الخليفة العزيز وانظروا إلى نور الياقوتة الصفراء في الظلام وأشرت إلى من فضل بالكلام فمن سعى إلى هذه الأنوار حتى وصل إلى ما يكشفه لك طريقها من الأسرار فقد عرف المرتبة التي لها وجد وصح له المقام الآلي وله سجد فهو الرب والمربوب والحب والحبوب

انظر إلى بدء الوجود وكن به	فطلنا تر الجود القديم المحدثا
والشيء مثل الشيء إلا أنه	أبداه في عين العوالم محدثا
إن أقسم الرائي بأن وجوده	أزلا فبر صادق لن يحنثا
أو أقسم الرائي بأن وجوده	عن فقده أحرى وكان مثلثا

ثم أظهرت أسرارها وقصصت أخبارها لا يسع الوقت إيرادها ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها فتركها موقوفة على رأس مهيعها خوفا من وضع الحكمة في غير موضعها ثم رددت من ذلك المشهد النومي العلي إلى العالم السفلي فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب وأخذت في تميم صدره ثم أشرع بعد ذلك في الكلام على ترتيب الأبواب والحمد لله الغني الوهاب

هذه رسالة كتبت بها أما بعد فإنه

جسمي و حصل رتبة الأمانة
صلى و أثبتته من العتقاء
ذاك المؤمل خاتم النبأ
قلبي فكان لهم من القراء
ضخم الدسيعة أكرم الكرماء
و قد اختفى في الحلة السوداء
ذاك التبخر نخوة الخيلاء
يمشي بأضعف مشية الزمنا
فعل الأديب و جبرئيل إزائي
لأبي ليورثها إلى الأبناء
بفساد والدنا و سفك دماء
عما حوته من سنا الأسماء
لكمهم فيه من الشهداء
للأولياء معا و للأعداء
كرها بغير هوى و غير صفاء
حكما عليه بغلظة و بذاء
ما زال يحمدكم صباح مساء
و أتوا في حق أبي بكل جفاء
منه يمين القبضة البيضاء
و رأوه ربا طالب استيلاء
خص الحبيب بليلة الإسراء
يرنو إليه بمقلة البغضاء

لما انتهى للكعبة الحسنا
وسعى و طاف و ثم عند مقامها
من قال هذا الفعل فرض واجب
و رأى بها الملائكة الكريمة و آدماء
و لآدم ولدا تقيا طائعا
و الكل بالبيت المكرم طائف
يرخي ذلائل برده ليريك في
و أبي على الملائكة الكريمة مقدم
و العبد بين يدي أبيه مطرق
بيدي المعالم و المناسك خدمة
فعبت منهم كيف قال جميعهم
إذ كان يحجبهم بظلمة طينة
و بدا بنور ليس فيه غيره
إن كان والدنا محلا جامعا
و رأى المويبة و النويرة جاءتا
فبنفس ما قامت به أضداده
و أتى يقول أنا المسيح و الذي
و أنا المقدس ذات نور جلالكم
لما رأوا جهة الشمال و لم يروا
و رأوا نفوسهم و عبيدا خشعا
لحقيقة جمعت له أسماء من
و رأوا منازعة اللعين بجنده

حظ العصاة و شهوتا حواء
منه بغير تردد و إباء
فأعذرهم فهم من الصالحاء
لا يعرفون مواقع الشحناء
كان الإمام و هم من الخدماء
عدلا فأنزلهم إلى الأعداء
لمقاتلهم في أول الآباء
و نبينا في نعمة و رخاء
لإله في نصره الضعفاء
معصومة قلبي من الأهواء
يطوي لها بشملة و جناء
فيحوب كل مفازة يبداء
نحوي ليلحق رتبة السمراء
عني مقالة أنصح النصحاء
لما جهلت رسالتي و ندائي
ألفيته بالربوة الخضراء
الخضرة المزدانة الغراء
بجلوله ذي القبلة الزوراء
من صفة النجباء و النقباء
من هديه بالسنة البيضاء
فيه من الإمساء للامساء
أبدا منور ليلة قمراء
جلت حقائقه عن الإفشاء
و بذات والدنا منافق ذاته
علموا بأن الحرب حتما واقع
فلذلك ما نطقوا بما نطقوا به
فطروا على الخير الأعم جبلة
ومتى رأيت أبي و هم في مجلس
و أعاد قولهم عليهم ربنا
فحراية الملا الكريم عقوبة
أو ما ترى في يوم بدر حربهم
بعريشه متملقا متضرعا
لما رأى هذي الحقائق كلها
نادى فاسمع كل طالب حكمة
طي الذي يرجو لقاء مراده
يا راحلا يقص المهامه قاصدا
قل للذي تلقاه من شجرائي
و اعلم بأنك خاسر في حيرة
إن الذي ما زلت أطلب شخصه
البلدة الزهراء بلدة تونس
بمحله الأسنى المقدس تربه
في عصابة مختصة مختارة
يمشي بهم في نور علم هداية
و الذكر يتلى و المعارف تنجلي
بدرأ لأربعة و عشر لا يرى
و ابن المرابط فيه واحد شأنه

فهو الإمام و هم من البدلاء
 بدر تحف به نجوم سماء
 فكأنه ينبي عن العنقاء
 أنى لها نجل من الغرباء
 سر الحانة سيد الظرفاء
 لكنه فيهم من الفضلاء
 في كل وقت من دجى وضحاء
 مني تغير غيرة الأدباء
 في عترتي و صحابتي القدماء
 داري و لم تخبر به سجرائي
 في أمر تائبه و صدق وفائي
 فوداده صاف من الأقداء
 مستورة في الغضة الحوراء
 يا طالب الأسرار في الإسراء
 لحقائق الأموات و الأحياء
 من مستواه إلى قرار الماء
 إلا هو فهو مصرف الأشياء
 لما أراد تكون الإنشاء
 من غير ما نظر إلى الرقباء
 و إزار تعظيم على القرناء
 صفة و لا اسم من الأسماء
 قلنا المحقق أمر الأمراء
 سر العباد و عالم العلماء
 و بنوه قد حفوا بعرش مكانه
 فكأنه و كأنهم في مجلس
 و إذا أتاك بحكمة علوية
 فلزمته حتى إذا حلت به
 خبر من الأحبار عاشق نفسه
 من عصابة النظار و الفقهاء
 وافى و عندي للتنقل نية
 فتركته و رحلت عنه و عنده
 و بدأ يخاطبني بأنك خنتني
 و أخذت تائبنا الذي قامت به
 و الله يعلم نيتي و طوييتي
 فإنا على العهد القديم ملازم
 و متى وقعت على مفتش حكمة
 متحير متشوف قلنا له
 أسرع فقد ظفرت يداك بجامع
 نظر الوجود فكان تحت نعاله
 ما فوقه من غاية يعنو لها
 لبس الرداء تنزها و إزاره
 فإذا أراد تمتعا بوجوده
 شال الرداء فلم يكن متكبرا
 فبدا وجود لا تقيده لنا
 إن قيل من هذا و من تعني به
 شمس الحقيقة قطبها و إمامها

نور البصائر خاتم الخلفاء
غوث الخلاق أرحم الرحماء
و بهاء عزته عن النظراء
بين العبيد الصم و الأجراء
محفوطة الأتحاء و الأرجاء
أرى إذا ما جئت لهباء
كلما يجري من صفا صماء
محبي الولاة و مهلك الأعداء
عنها يقصر أخطب الخطباء
لذواتنا فإننا بحيث ردائي
مجلوة في اللجة العمياء
عينا كحبرة عودة الإبداء
الشمس تنفي حندس الظلماء
قليل أكتبوا عبدي من الأبناء
تدري به أرضي فكيف سمائي
إذ كان عيي وافقا مجذائي
في الذات والأوصاف والأسماء
سواك خلقا في دجى الأحشاء
من موجد الكون الأعم سوائي
نفسى فنفسى عين ذات ثنائي
قسمت ما عندي على الغرماء
فظهوره وقف على إخفائي
فردا و عيني ظاهر و بقائي

عبد تسود وجهه من همه
سهل الخلاق طيب عذب الجنى
جلت صفات جلاله و جماله
يمضي المشيئة في البنين مقسما
ما زال سائس أمة كانت به
شري إذا نازعته في ملكه
صلب و لكن لين لعفاته
يغني و يفقر من يشاء فأمره
لا أنس إذ قال الإمام مقالة
كما بنا و رداء و صلى جامع
فانظر إلى السر المكنم درة
حتى يجار الخلق في تكييفها
عجبا لها لم تحفها أصدافها
فإذا أتى بالسر عبد هكذا
إن كان يبدي السر مستورا فما
لما أتيت ببعض وصف جلاله
قالوا لقد ألحقته بالهنا
فبأي معنى تعرف الحق الذي
قلنا صدقت و هل عرفت محققا
فإذا مدحت فإنما أثنى على
و إذا أردت تعرفا بوجوده
و عدمت من عيني فكان وجوده
جل الإله الحق أن يبدو لنا

متجسسا متجسسا لثنائي
 في غيبي عن عينه و فنائي
 إخفاء عين الشمس في الأنواء
 سحباً تصرفها يد الأهواء
 للسحب و الأبصار في الظلماء
 مشغولة بتحليل الأجزاء
 من غير ما نصب و لا إعياء
 تحو طوالع نجم كل سماء
 ظهرت لعينك أنجم الجوزاء
 في ذاتها و تقول حسن رآء
 من أجله و الرمز في الأفياء
 من أجلنا فسناه عين ضيائي
 جلت عوارفه عن الإحصاء
 كصفا الزجاجة في صفا الصهباء
 و العين تعطي واحدا للرائي
 و بذاته من جانب الأكماء
 فإن عن الإحساس بالنعماء
 و النور بدري و الضياء ذكائي
 و البعد قربي و الدنو تنائي
 و حقائق الخلق الجديد إمائي
 أبصرت كل الخلق في مرائي
 أحد أخلفه يكون ورائي
 لحقائق المنشئ و الإنشاء
 لو كان ذلك لكان فردا طالبا
 هذا محال فليصح وجوده
 فمتى ظهرت إليكم أخفيته
 فالناظرون يرون نصب عيونهم
 و الشمس خلف الغيم تبدي نورها
 فيقول قد مجلت علي و إنها
 لتجود بالمطر الغزير على الثرى
 و كذلك عند شروقها في نورها
 فإذا مضت بعد الغروب بساعة
 هذا لميتها و ذلك لحيتها
 فخفاؤه من أجلنا و ظهوره
 كخفائنا من أجله و ظهورنا
 ثم التفت بالعكس رمزا ثانيا
 فكأننا سيان في أعياننا
 فالعلم يشهد مخلصين تألفا
 فالروح ملتذ بمبدع ذاته
 و الحس ملتذ برؤية ربه
 فالله أكبر و الكبير ردائي
 و الشرق غربي و المغارب مشرقي
 و النار غيبي و الجنان شهادتي
 فإذا أردت تنزهها في روضتي
 وإذا انصرفت أنا الإمام وليس لي
 فالحمد لله الذي أنا جامع

ضاقَت مسالِكها على الفصحاء هذا قريضي منبئ بعجائب
و تشكر أيضا إلى العذراء فاشكر معي عبد العزيز إلهنا
و لوالديك و أنت عين قضائي شرعا فإن الله قال اشكر لنا

وبعد حمد الله بحمد الحمد لا بسواه والصلاة التامة على من أسرى به إلى مستواه فاعلم أيها العاقل الأديب الولي الحبيب أن الحكيم إذا نأت به الدار عن قسمه وحالت صروف الدهر بينه وبين حميمه لا بد أن يعرفه بكل ما اكتسبه في غيبته وما حصله من الأمتعة الحكيمية في غيبته ليسر عليه بما أسداه إليه البر الرحيم من لطائفه ومنحه من عوارفه وأودعه من حكمه وأسمعه من كلمه فكان وليه ما غاب عنه بما عرف منه وإن كان الولي أبقاه الله قد أصاب صفاء وده بعض كدر لعرض وظهر منه انقباض عند الوداع لإتمام غرض فقد غمض وليه عن ذلك جفن الانتقاد وجعله من الولي أبقاه الله من كريم الاعتقاد إذ لا يهتم منك إلا من يسأل عنك فليهنأ الولي أبقاه الله فإن القلب سليم والود كما يعلم بين الجوانح مقيم وقد علم الولي أبقاه الله أن الود فيه كان إليها لا غرضيا ولا نفسيا وثبت هذا عنده قديما عني من غير علة ولا فاقة إليه ولا قلة ولا طلب لمثوبة ولا حذر من عقوبة وربما كان من الولي حفظه الله تعالى في الرحلة الأولى التي رحلت إليه سنة تسعين وخمسائة عدم التفات فيها إلى جانبي ونفور عن الجري على مقاصدي ومذهبي لما لاحظ فيها رضي الله عنه من النقص وعذرتة في ذلك فإنه أعطاه ذلك مني ظاهر الحال وشاهد النص فإني سترت عنه وعن بنيه ما كنت عليه في نفسي بما أظهرته إليهم من سوء حالي وشره حسبي وربما كنت ألوح لهم أحيانا على طريق التنبيه فيأبى الله أن يلحظني واحد منهم بعين التنزيه ولقد قرعت أسمعهم يوما في بعض المجالس والولي أبقاه الله في صدر ذلك المجلس جالس بآيات أنشدتها وفي كتاب الإسراء لنا أودعتها وهي

روح الروح لا الأواني أنا القرآن و السبع المثاني
يشاهده و عندكم لساني فؤادي عند معلومي مقيم
وعد عن التعم بالمعاني فلا تنظر بطرفك نحو جسمي
عجائب ما تبدت للعيان و غص في بحر ذات الذات تبصر
مسترة بأرواح المعاني و أسرار تراءت مبهمات

فوالله ما أنشدت من هذه القطعة بيتا إلا وكأني أسمعهم ميتا وسبب ذلك حكمة أبغي رضاها وحاجة في نفس يعقوب قضاها وما أحس بي من ذلك الجمع المحكم إلا أبو عبد الله بن المرباط كلهم المبرز المقدم ولكن بعض إحساس والغالب عليه في أمري الالتباس وأما الشيخ المسن المرحوم جراح فكنت قد تكاشفت معه على نية في حضرة عليه ولم أزل بعد مفارقتي حضرة الولي أبقاه الله له ذاكرا ولأحواله شاكرا وبمناقبه ناطقا ولآدابه عاشقا وربما سطرت من ذلك في الكتب ما سارت به الركبان وشهر في بعض البلدان وقد وقف الولي عليه ورأى

بعض ما لديه فقد ثبت له الود مني قبل سبب يقتضيه و غرض عاجل أو آجل يشته في النفس و يميزه ثم كان الاجتماع بالولي تولاه الله بعد ذلك بأعوام في محله الأسنى و كانت الإقامة معه تسعة أشهر دون أيام في العيش الأرغد الأهنى عيش روح و شبح و قد جاد كل واحد منا بذاته على صفيه و سمح ولي رفيق و له رفيق و كلاهما صديق و صديق فرفيقه شيخ عاقل محصل ضابط يعرف بأبي عبد الله بن المرابط ذو نفس أبية و أخلاق رضية و أعمال زكية و خلال مرضية يقطع الليل تسيحا و قرآنا و يذكر الله على أكثر أحيانه سرا و إعلانا بطل في ميدان المعاملات فهم لما يرد به صاحب المنازل و المنازلات منصف في حاله مفروق بين حقه و محاله و أما رفيقي فضياء خالص و نور صرف حبشي اسمه عبد الله بدر لا يلحقه خسف يعرف الحق لأهله فيؤديه و يوقفه عليهم و لا يعديه قد نال درجة التمييز و تخلص عند السبك كالذهب الإبريز كلامه حق و وعده صدق فكنا الأربعة الأركان التي قام عليها شخص العالم و الإنسان فافترقنا و نحن على هذه الحال لانحراف قام ببعض هذه المحال فإني كتبت نوبت الحج و العمرة ثم أسرع إلى مجلسه الكريم الكرة فلما وصلت أم القرى بعد زيارتي الخليل الذي سن القرى و بعد صلاتي بالصخرة و الأقصى و زيارة سيدي سيد ولد آدم ديوان الإحاطة و الإحصاء أقام الله في خاطري أن أعرف الولي أبقاءه الله فنون من المعارف حصلتها في غيبتي و أهدى إليه أكرمهم الله من جواهر العلم التي اقتنيتها في غربتي فقيدت له هذه الرسالة اليتيمة التي أوجدها الحق لأعراض الجهل تيممة و لكل صاحب صفي و محقق صوفي و لحسينا الولي و أخينا الذكي و ولدنا الرضي عبد الله بدر الحبشي اليمني معتق أبي الغنائم ابن أبي الفتوح الحراني و سميتها رسالة الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المملكية و الملكية إذ كان الأغلب فيما أودعت هذه الرسالة ما فتح الله به علي عند طوافي بيته المكرم أو قعودي مراقبا له مجرمه الشريف المعظم و جعلتها أبوابا شريفة و أودعتها المعاني اللطيفة فإن الإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية إلا إذا عرف شرف الغاية و لا سيما إن ذاق من ذلك عذوبة الجنى و وقع منه بموقع المني فإذا حصر الباب البصر تردد عليه عين بصيرة الحكيم فنظر فاستخرج اللآلي و الدرر و يعطيه الباب عند ذلك ما فيه من حكم روحانية و نكت ربانية على قدر نفوذه و فهمه و قوة عزمه و وهمه و اتساع نفسه من أجل غطسه في أعماق بحار علمه

كنت المراقب لم أكن باللاهي	لما لزمت قرع باب الله
و إلى هلم لم تكن إلا هي	حتى بدت للعين سبحة وجهه
في قلبنا علم بغير الله	فاحطت علما بالوجود فما لنا
لم يسألوك عن الحقائق ما هي	لو يسلك الخلق الغريب محجتي

فلنقدم قبل الشروع في الكلام على أبواب هذا الكتاب بابا في فهرست أبوابه ثم أتله بمقدمة في تمهيد ما يتضمنه هذا الكتاب من العلوم الإلهية الإسرارية و على أثرها يكون الكلام على الأبواب على حسب ترتيبها في باب الفهرست إن شاء الله تعالى و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل انتهى الجزء الأول و الحمد لله يتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى و صلى الله على محمد و على آله الطاهرين

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«باب في فهرست أبواب الكتاب وليس معدودا في الأبواب وهو على فصول ستة»

«الفصل الأول في المعارف»

(الباب الأول) في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب وما كان بيني وبينه من الأسرار
(الباب الثاني) في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الأسماء الحسنى ومعرفة الكلمات التي توهم التشبيه ومعرفة العلم
والعالم والمعلوم

(الباب الثالث) في تنزيه الحق عما في طي الكلمات التي أطلقت عليه في كتابه وعلى لسان رسوله من التشبيه والتجسيم

(الباب الرابع) في سبب بدء العالم ونشئه ومراتب الأسماء الحسنى في العالم

(الباب الخامس) في معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم من جهة ما لا من جميع وجوهه

(الباب السادس) في معرفة بدء الخلق الروحاني ومن هو أول موجود فيه ومم وجد وفيه وجد وعلى أي مثال وجد ولم وجد وما غايته و

معرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر

(الباب السابع) في معرفة بدء الجسوم الإنسانية وهو آخر موجود من العالم الأكبر

(الباب الثامن) في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم وما فيها من الغرائب والعجائب وتسمى أرض الحقيقة

(الباب التاسع) في معرفة وجود الأرواح النارية المارجية

(الباب العاشر) في معرفة دورة الملك وأول منفصل فيها عن أول موجود وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه وبما ذا عمر الموضع

المنفصل عنه منهما وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها وما مرتبة العالم الذي بين عيسى ع وبين محمد صلى الله عليه وسلم

(الباب الحادي عشر) في معرفة آباءنا العلويات وأمهاتنا السفليات

(الباب الثاني عشر) في معرفة دورة سيد العالم محمد صلى الله عليه وسلم وأن الزمان في وقته استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى

(الباب الثالث عشر) في معرفة حملة العرش وهم إسرافيل وادم وميكائيل وإبراهيم وجبريل ومحمد ورضوان ومالك عليهم السلام

(الباب الرابع عشر) في معرفة أسرار أبناء الأولياء وأقطاب الأمم من آدم إلى محمد عليهما السلام وأن القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت و

أين مسكنه

(الباب الخامس عشر) في معرفة الأنفاس ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم

(الباب السادس عشر) في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية ومبدأ معرفة الحق تعالى منها ومعرفة الأوتاد والأشخاص السبعة البدلاء

ومن تولاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها

(الباب السابع عشر) في معرفة انتقال العلوم الكونية ونبذ من العلوم الإلهية الممددة الأصلية

(الباب الثامن عشر) في معرفة علم المهجدين وما يتعلق به من المسائل ومقداره في مراتب العلوم وما يظهر منه من العلوم في الوجود الكوني

(الباب التاسع عشر) في سبب نقص العلوم وزيادتها وقوله تعالى وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وقوله إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من

صدور العلماء ولكن يقبضه بقبض العلماء الحديث

(الباب العاشر) في معرفة العلم العيسوي ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما

(الباب الحادي والعشرون) في معرفة ثلاثة علوم كونية وتوالم بعضها في بعض

(الباب الثاني والعشرون) في معرفة علم المنزل والمنازل وترتيب جميع العلوم الكونية

(الباب الثالث والعشرون) في معرفة الأقطاب المصنوعين وأسرار منازل صونهم

(الباب الرابع والعشرون) في معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تضمنه من العجائب ومن حصلها من العالم ومراتب أقطابهم وأسرار

الاشتراك بين شريعتين والقلوب المعشقة بالأنفاس وأصلها وإلى كم تنتهي منازلها

(الباب الخامس والعشرون) في معرفة وتد مخصوص معمر وأسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العالم وسر المنزل والمنازل ومن

دخله من العالم

(الباب السادس والعشرون) في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم

(الباب السابع والعشرون) في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك وهو من منازل العالم النوراني وأسرارهم

(الباب الثامن والعشرون) في معرفة أقطاب ألم تُرَكِّفَ

(الباب التاسع والعشرون) في معرفة سر سلمان الذي أحقه بأهل البيت والأقطاب الذين منهم ورثه ومعرفة أسرارهم

(الباب الثلاثون) في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبانية

(الباب الحادي والثلاثون) في معرفة أصول الركبان

(الباب الثاني والثلاثون) في معرفة الأقطاب المدبرين من الفرقة الثانية الركبانية

(الباب الثالث والثلاثون) في معرفة الأقطاب النياتين وأسرارهم وكيفية أصولهم

(الباب الرابع والثلاثون) في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس فعابن بها أسراراً أذكرها

(الباب الخامس والثلاثون) في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته

- (الباب السادس والثلاثون) في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم
- (الباب السابع والثلاثون) في معرفة الأقطاب العيسويين وأسرارهم
- (الباب الثامن والثلاثون) في معرفة من اطلع على المقام المحمدي ولم ينله من الأقطاب
- (الباب التاسع والثلاثون) في معرفة المنزل الذي ينحط إليه الولي إذا طرده الحق عافانا الله وإياك وما يتعلق بهذا المنزل من العجائب والعلوم الإلهية ومعرفة أسرار أقطاب هذا المنزل
- (الباب الأربعون) في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه
- (الباب الحادي والأربعون) في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم وأسرار أقطابهم
- (الباب الثاني والأربعون) في معرفة الفتوة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم وأسرار أقطابهم
- (الباب الثالث والأربعون) في معرفة جماعة من أقطاب الورعين وعامة ذلك المقام
- (الباب الرابع والأربعون) في معرفة البهاليل وأئمتهم في البهالة
- (الباب الخامس والأربعون) في معرفة من عاد بعد ما وصل ومن جعله يعود
- (الباب السادس والأربعون) في معرفة العلم القليل ومن حصله من الصالحين
- (الباب السابع والأربعون) في معرفة أسرار ووصف المنازل السفلية ومقاماتها وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه وما السر الذي يتجلى له حتى يدعوه إلى ذلك
- (الباب الثامن والأربعون) في معرفة إنما كان كذا لكذا
- (الباب التاسع والأربعون) في معرفة إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن ومعرفة هذا المنزل ورجاله
- (الباب الخمسون) في معرفة رجال الخيرة والعجز
- (الباب الحادي والخمسون) في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن
- (الباب الثاني والخمسون) في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف من حضرة الغيب إلى عالم الشهادة
- (الباب الثالث والخمسون) في معرفة ما يلقي المرید على نفسه من وظائف الأعمال قبل وجود الشيخ
- (الباب الرابع والخمسون) في معرفة الإشارات
- (الباب الخامس والخمسون) في معرفة الخواطر الشيطانية
- (الباب السادس والخمسون) في معرفة الاستقراء وصحته وسقمه

- (الباب السابع والخمسون) في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس
- (الباب الثامن والخمسون) في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين ومعرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق خواطره وشتتها
- (الباب التاسع والخمسون) في معرفة الزمان الموجود والمقدر
- (الباب الستون) في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى وأي روحانية ننظرنا
- (الباب الحادي والستون) في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات عذابا فيها ومعرفة بعض العالم العلوي
- (الباب الثاني والستون) في معرفة مراتب النار
- (الباب الثالث والستون) في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث
- (الباب الرابع والستون) في معرفة القيامة ومنازلها وكيفية البعث
- (الباب الخامس والستون) في معرفة الجنة ومنازلها ودرجاتها وما يتعلق بهذا الباب
- (الباب السادس والستون) في معرفة سر الشريعة ظاهرا وباطنا وأي اسم أوجدها
- (الباب السابع والستون) في معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله
- (الباب الثامن والستون) في معرفة أسرار الطهارة
- (الباب التاسع والستون) في معرفة أسرار الصلاة
- (الباب السبعون) في معرفة أسرار الزكاة
- (الباب الحادي والسبعون) في معرفة أسرار الصيام
- (الباب الثاني والسبعون) في معرفة أسرار الحج ومعرفة مناسكه وآيات بيته المكرم وما أشهدني الحق عند طوافي بالبيت من أسرار الطواف

(الباب الثالث والسبعون) في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانحراف وعلى كم يتحرف من المقابلة

«الفصل الثاني في المعاملات»

(الباب الرابع والسبعون) في التوبة

(الباب الخامس والسبعون) في ترك التوبة

(الباب السادس والسبعون) في المجاهدة

(الباب السابع والسبعون) في ترك المجاهدة

(الباب الثامن والسبعون) في الخلوة

(الباب التاسع والسبعون) في ترك الخلوة

(الباب الثمانون) في العزلة

(الباب الحادي والثمانون) في ترك العزلة

(الباب الثاني والثمانون) في الفرار

(الباب الثالث والثمانون) في ترك الفرار

(الباب الرابع والثمانون) في تقوى الله

(الباب الخامس والثمانون) في تقوى الحجاب والستر

(الباب السادس والثمانون) في تقوى الحدود الدنيوية

(الباب السابع والثمانون) في تقوى النار

(الباب الثامن والثمانون) في معرفة أسرار أحكام أصول الشرع

(الباب التاسع والثمانون) في معرفة النوافل على الإطلاق

(الباب التسعون) في معرفة أسرار الفرائض والسنن

(الباب الحادي والتسعون) في معرفة الورع وأسراره

(الباب الثاني والتسعون) في معرفة مقام ترك الورع

(الباب الثالث والتسعون) في معرفة الزهد وأسراره

(الباب الرابع والتسعون) في معرفة مقام ترك الزهد

(الباب الخامس والتسعون) في معرفة أسرار الجود والكرم والسخاء والإيثار على الخصاصة وعلى غير الخصاصة مع طلب العوض و

تركة

(الباب السادس والتسعون) في معرفة الصمت وأسراره

(الباب السابع والتسعون) في معرفة مقام الكلام وأسراره

(الباب الثامن والتسعون) في معرفة مقام السهر وأسراره

- (الباب التاسع والتسعون) في معرفة مقام النوم وأسراره
- (الباب الموفي مائة) في معرفة مقام الخوف وأسراره
- (الباب الحادي ومائة) في معرفة مقام ترك الخوف وأسراره
- (الباب الثاني ومائة) في معرفة مقام الرجاء وأسراره
- (الباب الثالث ومائة) في معرفة مقام ترك الرجاء وأسراره
- (الباب الرابع ومائة) في معرفة مقام الحزن وأسراره
- (الباب الخامس ومائة) في معرفة مقام ترك الحزن وسببه
- (الباب السادس ومائة) في معرفة مقام الجوع وأسراره
- (الباب السابع ومائة) في معرفة مقام ترك الجوع وسببه
- (الباب الثامن ومائة) في معرفة الفتنة والشهوة وصحبة الأحداث والنسوان وأخذ الإرفاق منهن ومتى يأخذ المرید الإرفاق
- (الباب التاسع ومائة) في معرفة الفرق بين الشهوة والإرادة وبين الشهوة التي لنا في الدنيا والشهوة التي لنا في الجنة والفرق بين اللذة والشهوة و معرفة مقام يشتهي ومن يشتهي ومن لا يشتهي ومن لا يشتهي ومن لا يشتهي ويشتهي
- (الباب العاشر ومائة) في معرفة مقام أسرار الخشوع والخضوع
- (الباب الحادي عشر ومائة) في معرفة مقام ترك الخشوع والخضوع وأسراره
- (الباب الثاني عشر ومائة) في معرفة مخالفة النفس وأسرارها
- (الباب الثالث عشر ومائة) في معرفة مقام مساعدة النفس في أغراضها وأسراره
- (الباب الرابع عشر ومائة) في معرفة مقام الحسد والغبط ومحودهما ومذومهما
- (الباب الخامس عشر ومائة) في معرفة مقام الغيبة ومحودها من مذومها
- (الباب السادس عشر ومائة) في معرفة مقام القناعة وأسرارها
- (الباب السابع عشر ومائة) في معرفة مقام الشره والحرص
- (الباب الثامن عشر ومائة) في معرفة مقام التوكل وأسراره
- (الباب التاسع عشر ومائة) في معرفة مقام ترك التوكل
- (الباب الموفي عشرين ومائة) في معرفة مقام الشكر وأسراره

- (الباب الحادي والعشرون ومائة) في معرفة مقام ترك الشكر وأسراره
- (الباب الثاني والعشرون ومائة) في معرفة مقام اليقين وأسراره
- (الباب الثالث والعشرون ومائة) في معرفة مقام ترك اليقين وأسراره
- (الباب الرابع والعشرون ومائة) في معرفة مقام الصبر وتفصيله وأسراره
- (الباب الخامس والعشرون ومائة) في معرفة مقام ترك الصبر وأسراره
- (الباب السادس والعشرون ومائة) في المراقبة وأسرارها
- (الباب السابع والعشرون ومائة) في ترك المراقبة ومقامها وأسرارها
- (الباب الثامن والعشرون ومائة) في الرضي وأسراره
- (الباب التاسع والعشرون ومائة) في ترك الرضي وأسراره
- (الباب الثلاثون ومائة) في العبادة وأسرارها
- (الباب الحادي والثلاثون ومائة) في ترك العبادة وأسراره
- (الباب الثاني والثلاثون ومائة) في معرفة مقام الاستقامة وأسراره
- (الباب الثالث والثلاثون ومائة) في معرفة ترك الاستقامة وأسراره
- (الباب الرابع والثلاثون ومائة) في معرفة مقام الإخلاص وأسراره
- (الباب الخامس والثلاثون ومائة) في معرفة مقام ترك الإخلاص وأسراره
- (الباب السادس والثلاثون ومائة) في معرفة مقام الصدق وأسراره
- (الباب السابع والثلاثون ومائة) في معرفة مقام ترك الصدق وأسراره
- (الباب الثامن والثلاثون ومائة) في معرفة مقام الحياء وأسراره
- (الباب التاسع والثلاثون ومائة) في معرفة مقام ترك الحياء وأسراره
- (الباب الأربعون ومائة) في معرفة مقام الحرية وأسراره
- (الباب الحادي والأربعون ومائة) في معرفة مقام ترك الحرية وأسراره
- (الباب الثاني والأربعون ومائة) في معرفة مقام الذكر وأسراره
- (الباب الثالث والأربعون ومائة) في معرفة مقام ترك الذكر وأسراره

- (الباب الرابع والأربعون ومائة) في معرفة مقام الفكر وأسراره
- (الباب الخامس والأربعون ومائة) في معرفة مقام ترك الفكر وأسراره
- (الباب السادس والأربعون ومائة) في معرفة مقام الفتوة وأسراره
- (الباب السابع والأربعون ومائة) في معرفة مقام ترك الفتوة وأسراره
- (الباب الثامن والأربعون ومائة) في معرفة مقام الفراسة وأسراره
- (الباب التاسع والأربعون ومائة) في معرفة مقام الخلق وأسراره
- (الباب الخمسون ومائة) في معرفة مقام الغيرة وأسراره
- (الباب الحادي والخمسون ومائة) في معرفة مقام ترك الغيرة وأسراره
- (الباب الثاني والخمسون ومائة) في معرفة مقام الولاية وأسراره
- (الباب الثالث والخمسون ومائة) في معرفة الولاية البشرية وأسراره التي تتضمن الولاية الإلهية
- (الباب الرابع والخمسون ومائة) في معرفة مقام الولاية الملكية وأسراره
- (الباب الخامس والخمسون ومائة) في معرفة مقام النبوة وأسراره
- (الباب السادس والخمسون ومائة) في معرفة مقام النبوة البشرية وأسراره
- (الباب السابع والخمسون ومائة) في معرفة مقام النبوة الملكية وأسراره
- (الباب الثامن والخمسون ومائة) في معرفة مقام الرسالة وأسراره
- (الباب التاسع والخمسون ومائة) في معرفة مقام الرسالة البشرية وأسراره
- (الباب الستون ومائة) في معرفة مقام الرسالة الملكية
- (الباب الحادي والستون ومائة) في معرفة المقام الذي بين النبوة والصدقية
- (الباب الثاني والستون ومائة) في معرفة مقام الفقر وأسراره
- (الباب الثالث والستون ومائة) في معرفة مقام الغني وأسراره
- (الباب الرابع والستون ومائة) في معرفة مقام التصوف وأسراره
- (الباب الخامس والستون ومائة) في معرفة مقام التحقيق والختقين
- (الباب السادس والستون ومائة) في معرفة مقام الحكمة والحكماء

- (الباب السابع والستون ومائة) في معرفة مقام كيمياء السعادة وأسراره
- (الباب الثامن والستون ومائة) في معرفة مقام الأدب وأسراره
- (الباب التاسع والستون ومائة) في معرفة مقام ترك الأدب وأسراره
- (الباب السبعون ومائة) في معرفة مقام الصحبة وأسراره
- (الباب الحادي والسبعون ومائة) في معرفة مقام ترك الصحبة وأسراره
- (الباب الثاني والسبعون ومائة) في معرفة مقام التوحيد وأسراره
- (الباب الثالث والسبعون ومائة) في معرفة مقام التثنية وهو الشرك وأسراره
- (الباب الرابع والسبعون ومائة) في معرفة مقام السفر وهو السياحة وأسراره
- (الباب الخامس والسبعون ومائة) في معرفة مقام ترك السفر وأسراره
- (الباب السادس والسبعون ومائة) في معرفة أحوال القوم عند الموت على قدر مقاماتهم
- (الباب السابع والسبعون ومائة) في معرفة مقام المعرفة على الاختلاف الذي بين الصوفية فيها والحققين
- (الباب الثامن والسبعون ومائة) في معرفة مقام الحبة وأسرارها
- (الباب التاسع والسبعون ومائة) في معرفة مقام الخلة وأسراره
- (الباب الثمانون ومائة) في معرفة مقام الشوق والاشتياق وأسرارهما
- (الباب الحادي والثمانون ومائة) في معرفة مقام احترام الشيخ وحفظ قلوبهم
- (الباب الثاني والثمانون ومائة) في معرفة مقام السماع وأسراره
- (الباب الثالث والثمانون ومائة) في معرفة مقام ترك السماع وأسراره
- (الباب الرابع والثمانون ومائة) في معرفة مقام الكرامات
- (الباب الخامس والثمانون ومائة) في معرفة مقام ترك الكرامات
- (الباب السادس والثمانون ومائة) في معرفة مقام خرق العادات
- (الباب السابع والثمانون ومائة) في معرفة مقام المعجزة وكيف يكون ذلك الفعل المعجز كرامة لمن كانت له وعليها معجزة لاختلاف الأحوال
- (الباب الثامن والثمانون ومائة) في معرفة مقام الرؤيا وهي المبشرات
- (الباب التاسع والثمانون ومائة) في معرفة صورة السالك

«الفصل الثالث في الأحوال»

- (الباب التسعون ومائة) في معرفة المسافرين وأحواله
- (الباب الحادي والتسعون ومائة) في معرفة السفر والطريق
- (الباب الثاني والتسعون ومائة) في معرفة الحال وأسراره ورجاله
- (الباب الثالث والتسعون ومائة) في معرفة المقام وأسراره
- (الباب الرابع والتسعون ومائة) في معرفة المكان وأسراره
- (الباب الخامس والتسعون ومائة) في معرفة الشطح وأسراره
- (الباب السادس والتسعون ومائة) في معرفة الطوالع وأسرارها
- (الباب السابع والتسعون ومائة) في معرفة الذهاب وأسراره
- (الباب الثامن والتسعون ومائة) في معرفة النفس بفتح الفاء وأسراره
- (الباب التاسع والتسعون ومائة) في معرفة السر وأسراره
- (الباب الموفي مائتين) في معرفة الوصل وأسراره
- (الباب الحادي ومائتان) في معرفة الفصل وأسراره
- (الباب الثاني ومائتان) في معرفة الأدب وأسراره
- (الباب الثالث ومائتان) في معرفة الرياضة وأسرارها
- (الباب الرابع ومائتان) في معرفة التحلي بالحاء المهملة وأسراره
- (الباب الخامس ومائتان) في معرفة التحلي بالحاء المعجمة وأسراره
- (الباب السادس ومائتان) في معرفة التحلي بالجيم وأسراره
- (الباب السابع ومائتان) في معرفة العلة وأسرارها
- (الباب الثامن ومائتان) في معرفة الانزعاج وأسراره
- (الباب التاسع ومائتان) في معرفة المشاهدة وأسرارها
- (الباب العاشر ومائتان) في معرفة المكاشفة وأسرارها
- (الباب الحادي عشر ومائتان) في معرفة اللوائح وأسرارها

- (الباب الثاني عشر ومائتان) في معرفة التلوين وأسراره
- (الباب الثالث عشر ومائتان) في معرفة الغيرة وأسرارها
- (الباب الرابع عشر ومائتان) في معرفة الحيرة وأسرارها
- (الباب الخامس عشر ومائتان) في معرفة اللطيفة وأسرارها
- (الباب السادس عشر ومائتان) في معرفة الفتوح وأسراره
- (الباب السابع عشر ومائتان) في معرفة الوسم والرسم وأسرارهما
- (الباب الثامن عشر ومائتان) في معرفة القبض وأسراره
- (الباب التاسع عشر ومائتان) في معرفة البسط وأسراره
- (الباب العاشر ومائتان) في معرفة الفناء وأسراره
- (الباب الحادي والعشرون ومائتان) في معرفة البقاء وأسراره
- (الباب الثاني والعشرون ومائتان) في معرفة الجمع وأسراره
- (الباب الثالث والعشرون ومائتان) في معرفة التفرقة وأسرارها
- (الباب الرابع والعشرون ومائتان) في معرفة عين التحكيم وأسراره
- (الباب الخامس والعشرون ومائتان) في معرفة الزوائد وأسرارها
- (الباب السادس والعشرون ومائتان) في معرفة الإرادة وأسرارها
- (الباب السابع والعشرون ومائتان) في معرفة حال المراد وسره
- (الباب الثامن والعشرون ومائتان) في معرفة المريد وأسراره
- (الباب التاسع والعشرون ومائتان) في معرفة الهمة وأسرارها
- (الباب الثلاثون ومائتان) في معرفة الغربة وأسرارها
- (الباب الحادي والثلاثون ومائتان) في معرفة المكر وأسراره
- (الباب الثاني والثلاثون ومائتان) في معرفة الاصطلام وأسراره
- (الباب الثالث والثلاثون ومائتان) في معرفة الرغبة وأسرارها
- (الباب الرابع والثلاثون ومائتان) في معرفة الرهبة وأسرارها

(الباب الخامس والثلاثون ومائتان) في معرفة التواجد وأسراره

(الباب السادس والثلاثون ومائتان) في معرفة الوجود وأسراره

(الباب السابع والثلاثون ومائتان) في معرفة الوجود

(الباب الثامن والثلاثون ومائتان) في معرفة الوقت وأسراره

(الباب التاسع والثلاثون ومائتان) في معرفة الهيبة وأسرارها

(الباب الأربعون ومائتان) في معرفة الأنس وأسراره

(الباب الحادي والأربعون ومائتان) في معرفة الجلال وأسراره

(الباب الثاني والأربعون ومائتان) في معرفة الجمال وأسراره

(الباب الثالث والأربعون ومائتان) في معرفة الكمال وهو الاعتدال وهو الأعراف وهو أيضا سور الحديد وهو التجريد عن حكم

الأوصاف عليه

(الباب الرابع والأربعون ومائتان) في معرفة الغيبة وأسرارها

(الباب الخامس والأربعون ومائتان) في معرفة الحضور وأسراره

(الباب السادس والأربعون ومائتان) في معرفة الشكر وأسراره

(الباب السابع والأربعون ومائتان) في معرفة الصحو وأسراره

(الباب الثامن والأربعون ومائتان) في معرفة الذوق وأسراره

(الباب التاسع والأربعون ومائتان) في معرفة الشرب وأسراره

(الباب الخمسون ومائتان) في معرفة الري وأسراره

(الباب الحادي والخمسون ومائتان) في معرفة عدم الري لمن شرب وأسراره

(الباب الثاني والخمسون ومائتان) في معرفة الخو وأسراره

(الباب الثالث والخمسون ومائتان) في معرفة الإثبات وأسراره

(الباب الرابع والخمسون ومائتان) في معرفة الستر وأسراره

(الباب الخامس والخمسون ومائتان) في معرفة الحق ومحق الحق

(الباب السادس والخمسون ومائتان) في معرفة الإبدار وأسراره

(الباب السابع والخمسون ومائتان) في معرفة المحاضرة وأسرارها

(الباب الثامن والخمسون ومائتان) في معرفة اللوامع وأسرارها

(الباب التاسع والخمسون ومائتان) في معرفة الهجوم والبوادة وأسرارهما

(الباب الستون ومائتان) في معرفة القرب وأسراره

(الباب الحادي والستون ومائتان) في معرفة البعد وأسراره

(الباب الثاني والستون ومائتان) في معرفة الشريعة

(الباب الثالث والستون ومائتان) في معرفة الحقيقة

(الباب الرابع والستون ومائتان) في معرفة الخواطر

(الباب الخامس والستون ومائتان) في معرفة الوارد

(الباب السادس والستون ومائتان) في معرفة الشاهد

(الباب السابع والستون ومائتان) في معرفة النفس بسكون الفاء

(الباب الثامن والستون ومائتان) في معرفة الروح

(الباب التاسع والستون ومائتان) في معرفة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

«الفصل الرابع في المنازل»

(الباب السبعون ومائتان) في معرفة منزل القطب والإمامين من المناجاة الحمديّة

(الباب الحادي والسبعون ومائتان) في معرفة منزل عند الصباح بمحمد القوم السري من المناجاة الحمديّة

(الباب الثاني والسبعون ومائتان) في معرفة تنزيه التوحيد منها

(الباب الثالث والسبعون ومائتان) في معرفة منزل الهلاك للهوى والنفس من المقام الموسوي

(الباب الرابع والسبعون ومائتان) في معرفة منزل الأجل المسمى من المقام الموسوي

(الباب الخامس والسبعون ومائتان) في معرفة منزل التبري من الأوثان من المقام الموسوي

(الباب السادس والسبعون ومائتان) في معرفة منزل الحوض وأسراره من المقام الحمدي

(الباب السابع والسبعون ومائتان) في معرفة منزل التكذيب والبخل من المقام الموسوي وأسراره

(الباب الثامن والسبعون ومائتان) في معرفة منزل الألفة وأسراره من المقام الموسوي والحمدي

- (الباب التاسع والسبعون ومائتان) في معرفة منزل الاعتبار وأسراره من المقام الحمدي
- (الباب الثمانون ومائتان) في معرفة منزل مالي وأسراره من المقام الموسوي
- (الباب الحادي والثمانون ومائتان) في معرفة منزل الضم وإقامة الواحد مقام الجمع من الحضرة المحمدية
- (الباب الثاني والثمانون ومائتان) في معرفة منزل زيارة الموتى وأسراره من الحضرة الموسوية
- (الباب الثالث والثمانون ومائتان) في معرفة منزل القواصم وأسرارها من الحضرة المحمدية
- (الباب الرابع والثمانون ومائتان) في معرفة منزل المجازاة الشريفة وأسرارها من الحضرة المحمدية
- (الباب الخامس والثمانون ومائتان) في معرفة منزل مناجاة الجماد ومن حصل فيه حصل نصف الحضرة المحمدية والموسوية
- (الباب السادس والثمانون ومائتان) في معرفة منزل من قيل له كن فأبى ولم يكن من الحضرة المحمدية
- (الباب السابع والثمانون ومائتان) في معرفة منزل التجلي الصمداني وأسراره من الحضرة المحمدية
- (الباب الثامن والثمانون ومائتان) في معرفة منزل التلاوة الأولية من الحضرة الموسوية
- (الباب التاسع والثمانون ومائتان) في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدمه علم من الحضرة الموسوية
- (الباب التسعون ومائتان) في معرفة منزل تقرير النعم من الحضرة الموسوية
- (الباب الحادي والتسعون ومائتان) في معرفة منزل صدر الزمان وهو الفلك الرابع من الحضرة المحمدية
- (الباب الثاني والتسعون ومائتان) في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب والشهادة من الحضرة الموسوية
- (الباب الثالث والتسعون ومائتان) في معرفة منزل وجود سبب عالم الشهادة وسبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية
- (الباب الرابع والتسعون ومائتان) في معرفة منزل الحمدي المكّي من الحضرة الموسوية
- (الباب الخامس والتسعون ومائتان) في معرفة منزل الأعداد المشرفة من الحضرة المحمدية
- (الباب السادس والتسعون ومائتان) في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة إلى أهل الشقاء من الحضرة الموسوية
- (الباب السابع والتسعون ومائتان) في معرفة منزل ثناء التسوية الطينية الآدمية في المقام الأعلى من الحضرة المحمدية
- (الباب الثامن والتسعون ومائتان) في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرات المحمدية
- (الباب التاسع والتسعون ومائتان) في معرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السرياني في الحضرة المحمدية
- (الباب الموفي ثلاثمائة) في معرفة منزل سبب انقسام العالم العلوي في الحضرات المحمدية
- (الباب الحادي وثلاثمائة) في معرفة منزل الكتاب المقسوم بين أهل النعيم وأهل العذاب

- (الباب الثاني وثلاثمائة) في معرفة منزل ذهاب العالم الأعلى ووجود العالم الأسفل
- (الباب الثالث وثلاثمائة) في معرفة منزل العارف الجبرئيلي من الحضرة المحمدية
- (الباب الرابع وثلاثمائة) في معرفة منزل إيثار الغني على الفقر من المقام الموسوي وإيثار الفقر على الغني من الحضرة العيسوية
- (الباب الخامس وثلاثمائة) في معرفة منزل ترادف الأحوال على قلوب الرجال من الحضرة المحمدية
- (الباب السادس وثلاثمائة) في معرفة منزل اختصام الملا الأعلى من الحضرة الموسوية
- (الباب السابع وثلاثمائة) في معرفة منزل تنزل الملائكة على المحمدي الموقف من الحضرة الموسوية
- (الباب الثامن وثلاثمائة) في معرفة منزل اختلاط العالم الكلي من الحضرة المحمدية
- (الباب التاسع وثلاثمائة) في معرفة منزل الملامتية من الحضرة المحمدية
- (الباب العاشر وثلاثمائة) في معرفة منزل الصلصلة الروحانية من الحضرة الموسوية
- (الباب الحادي عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل النواشى الاختصاصية الغيبية من الحضرة المحمدية
- (الباب الثاني عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل كيفية نزول الوحي على قلوب الأولياء وحفظهم في ذلك من الشياطين من الحضرة المحمدية
- (الباب الثالث عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل البكاء والنوح من الحضرة المحمدية
- (الباب الرابع عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل الفرق بين مدارج الملائكة والنبين والأولياء من الحضرة المحمدية
- (الباب الخامس عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل وجوب العذاب من الغيبة المحمدية
- (الباب السادس عشر وثلاثمائة) في معرفة الصفات القاسمية المنقوشة بالقلم الإلهي في اللوح المحفوظ الإنساني من الحضرة الموسوية
- (الباب السابع عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل الابتلاء وبركاته وهو منزل الإمام الذي على يسار القطب وهو منزل أبي مدين الذي كان
ببجاية رحمه الله
- (الباب الثامن عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل نسخ الشريعة المحمدية بالأغراض النفسية عافانا الله وإياك من ذلك
- (الباب التاسع عشر وثلاثمائة) في معرفة منزل سراح النفس من قيد وجهه ما من وجوه الشريعة بوجه آخر منها وأن ترك السبب الجالب للرزق
من طريق التوكل سبب جالب للرزق وأن المتصف به ما خرج عن رق الأسباب
- (الباب الحادي عشرين وثلاثمائة) في معرفة منزل تسيح القبضتين وتمييزهما
- (الباب الحادي والعشرون وثلاثمائة) في معرفة منزل من فرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة وهو من الحضرة المحمدية
- (الباب الثاني والعشرون وثلاثمائة) في معرفة منزل من باع الحق بالخلق وهو من الحضرة المحمدية

- (الباب الثالث والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل بشري مبشر بمبشر به وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب الرابع والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل جمع الرجال والنساء في بعض المواطن الإلهية وهو من الحضرة العاصمية
- (الباب الخامس والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل القرآن من الحضرة الحمديّة
- (الباب السادس والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التّحاور و المنازعة وهو من الحضرة الحمديّة و الموسوية
- (الباب السابع والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل المد و النصف من الحضرة الحمديّة
- (الباب الثامن والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل ذهاب المركبات عند السبك إلى البساط عند السبك وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب التاسع والعشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الآلاء و الفراغ إلى البلاء وهو من الحضرات الحمديّة
- (الباب الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب الحادي و الثلاثون و ثلاث مائة) في معرفة منزل الرؤية و الرؤيّة و النّوة عليها و التّرقّي و التّداني و التّلقّي و التّدلي وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب الثاني و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الحراسة الإلهية لأهل المقامات الحمديّة وهو من الحضرة الموسوية
- (الباب الثالث و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك وهو من الحضرات الحمديّة
- (الباب الرابع و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل تجديد المدوم وهو من الحضرات الموسوية
- (الباب الخامس و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الأخوة وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب السادس و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل مبايعة النبات للقطب وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب السابع و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل محمد صلى الله عليه و سلم مع بعض العالم من الحضرات الموسوية
- (الباب الثامن و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل عقبات السويق و أسرارّه وهو من الحضرة الحمديّة
- (الباب التاسع و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل جثث الشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد من الحضرة الحمديّة
- (الباب الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة المنزل الذي منه خبا رسول الله صلى الله عليه و سلم ما خبا وهو من الحضرة الموسوية
- (الباب الحادي و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التقليد في الأسرار وهو من الحضرة الموسوية
- (الباب الثاني و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سرين منفصلين عن ثلاثة أسرار تجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي وهو من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل سرين في تفصيل الوحي من حضرة حمد الملك كله

(الباب الرابع والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل سرين من أسرار المغفرة وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل سر الإخلاص في الدين وهو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل سر صدق فيه بعض العارفين فرأى نوره كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل عليه وهو

من الحضرة المحمدية

(الباب السابع والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل الصف الأول عند الله تعالى والشك الإلهي وفتح خير وما تنزل في ذلك اليوم من

الأسرار وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل سرين من أسرار قلب الجمع والوجود وهو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع والأربعون وثلاثمائة) في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها وخلق كل أمة وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل التجلي الاستفهامي ورفع الغطاء عن المعاني وهو من الحضرة المحمدية من الاسم الرب

(الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات وهو من حضرة الغيرة المحمدية من الاسم الودود

(الباب الثاني والخمسون وثلاثمائة) في معرفة ثلاثة أسرار طلسمية مصورة مدبرة من حضرة التنزلات المحمدية

(الباب الثالث والخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسمية حكيمية تشير إلى معرفة السبب وأداء حقه وهو من الحضرة

المحمدية

(الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة) في معرفة المنزل الأقصى السرياني وهو من الحضرة الموسوية

(الباب الخامس والخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل السبل المولدة وأرض العبادة واتساعها وهو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس والخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل ثلاثة أسرار مكتمة والسر العربي في الأدب الإلهي والوحي النفسي من الحضرة

المحمدية

(الباب السابع والخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل البهائم من الحضرة الإلهية وقهرهم تحت سرين موسويين

(الباب الثامن والخمسون وثلاثمائة) في معرفة ثلاثة أسرار مختلفة الأنوار والفرار والإنذار وصحيح الأخبار ومن هذا المنزل قلت الشعر

في خلوة دخلتها نلته فيها وهو من أعجب المنازل وأنوارها

(الباب التاسع والخمسون وثلاثمائة) في معرفة منزل إياك أعني فاسمعي يا جارة وهو منزل تفريق الأمر وصورة الحكم في الكشف من الحضرة

المحمدية

(الباب الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الظلمات المحمود و الأنوار المشهودة و إلحاق من ليس من أهل البيت بأهل البيت و هو من الحضرة
المحمدية

(الباب الحادي و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل السجدين سجود الكل و الجزء و هو سجود القلب و الوجه و ما فيه من أسرار و هو من
الحضرة المحمدية

(الباب الثالث و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل إحالة العارف من لم يعرفه على من هو وونه ليعلمه ما ليس في وسعه أن يعلمه و تنزيه البارئ
عن الطرب و الفرح و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و الستون و ثلاثمائة) في معرفة سرين طلسمين من عرفهما نال الراحة في الدنيا و الآخرة و الغيرة الإلهية و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس و الستون و ثلاثمائة) في معرفة أسرار طلسمية اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه و حاله على الأكوان و هو من
الحضرة المحمدية

(الباب السادس و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل وزراء المهدي الآتي في آخر الزمان الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو
من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلة القابلين له و قصور الأفهام عن دركه و
هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل أتى و لم يأت و حضرة الأمر وحده و صنف عالم ما يوحي إليه على الدوام و ما فيه من
الأسرار و هو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل مفااتيح خزائن الجود و تأثير عالم الشهادة في عالم الغيب عن عالم الغيب و هو من الحضرة
المحمدية

(الباب السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل المرید و سر و سرين من أسرار الوجود و التبدل و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الحادي و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سر و ثلاثة أسرار لوحية أمية و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سر و سرين و ثنائك عليك بما ليس لك و إجابة الحق لك في ذلك المعنى و هو من الحضرة
المحمدية

(الباب الثالث و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي المفصل مركبه على العالم بالعناية و بقاء العالم أبد

الآبدن وإن انتقلت صورته وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع والسبعون وثلاثمائة) في معرفة منزل الرؤية والرؤية وسوابق الأشياء في الحضرة الربوبية وأن للكفار قدما كما أن للمؤمنين قدما وقدوم كل طائفة على قدمها وآتية بآدمها عدلا وفضلا وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس والسبعون وثلاثمائة) في معرفة منزل التضاهي الخيالي وعالم الحقائق والامتزاج وهو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس والسبعون وثلاثمائة) في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء من الحضرة الحكيمية ومقارعة عالم الغيب بعضهم مع بعض وهذا المنزل يتضمن ألف مقام وهو من الحضرة المحمدية

(الباب السابع والسبعون وثلاثمائة) في معرفة منزل سجود القيومية والصدق والمجد واللؤلؤة والصور وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن والسبعون وثلاثمائة) في معرفة منزل الأمة البهيمية والإحصاء والثلاثة الأسرار العلوية وتقدم المتأخر وتأخر المتقدم وهو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع والسبعون وثلاثمائة) في معرفة منزل الحل والعقد والإكرام والإهانة ونشأة الدعاء في صورة الإخبار وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الثمانون وثلاثمائة) في معرفة منزل العلماء ورثة الأنبياء وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الحادي والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منزل التوحيد والجمع وهو يجوي على خمسة آلاف مقام ررفى وأكمل مشاهدة من شاهده في نصف الشهر أو في آخره وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منزل الخواتيم وعدد الأعراس الإلهية والأسرار الأعجمية وهو من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمت وهو من الحضرة المحمدية الاختصاصية

«الفصل الخامس في المنازلات»

(الباب الرابع والثمانون وثلاثمائة) في معرفة المنازلات الخطابية وهو من سر قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب وهو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من حقر غلب ومن استهين منع

(الباب السادس والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منازلة حبل الوريد وأبنية المعية

(الباب السابع والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منازلة التواضع الكبرى

(الباب الثامن والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منازلة مجهولة عند العبد وهو إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق

(الباب التاسع والثمانون وثلاثمائة) في معرفة منازلة إلي كوكب وإلك كوني

(الباب التسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة زمان الشيء وجوده إلا أنا فلا زمان لي وإلا أنت فلا زمان لك فأنت زمانني وأنا زمانك

(الباب الحادي والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة المسلك السيال الذي لا يثبت عليه رجال السؤال

(الباب الثاني والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من رحم رحمناه ومن لم يرحمنا ثم غضبنا عليه ونسيناه

(الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من توقف عند رؤية ما هاله هلك

(الباب الرابع والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من تأدب وصل ومن وصل لم يرجع ولو كان غير أدب

(الباب الخامس والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من دخل حضرتي وبقيت عليه حياته فعزأؤه علي في موت صاحبه

(الباب السادس والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من جمع المعارف والعلوم حجبه عني

(الباب السابع والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

(الباب الثامن والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة من وعظ الناس لم يعرفني ومن ذكرهم عرفني

(الباب التاسع والتسعون وثلاثمائة) في معرفة منازلة منزل من دخله ضربت عنقه وما بقي أحد إلا دخله

(الباب العاشر وأربعمائة) في معرفة منازلة من ظهر لي بطنت له ومن وقف عند حدي اطلعت عليه

(الباب الحادي وأربعمائة) في منازلة الميت والحي ليس لهما إلى رؤيتي سبيل

(الباب الثاني وأربعمائة) في منازلة من غالبني غلبته ومن غالبته غلبني فالجنوح إلى السلم أولي

(الباب الثالث وأربعمائة) في منازلة لا حجة لي على عبيدي ما قلت لا لواحد منهم لم عملت إلا قال لي أنت عملت وقال الحق ولكن

السابقة أسبق ولا تبديل

(الباب الرابع وأربعمائة) في معرفة منازلة من عنف على رعيته سعى في هلاك ملكه ومن رفق بهم بقي مليكا كل سيد قتل عبدا من عبيده

فإنما قتل سيادة من سيادته إلا أنا فانظر

(الباب الخامس وأربعمائة) في منازلة من جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري ما يدري أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور فإنه بيت

ملائكتي لا بيتي ولهذا لم أسكن فيه خليلي بل بيتي قلب عبدي الذي وسعني حين ضاق عني أرضي وسمائي

(الباب السادس وأربعمائة) في منازلة ما ظهر مني قط شيء لشيء ولا ينبغي أن يظهر

(الباب السابع وأربعمائة) في منازلة في أسرع من الطرفة تحتلس مني إن نظرت إلى غيري لا لضعفي ولكن لضعفك

(الباب الثامن وأربعمائة) في معرفة منازلة يوم السبت فحل عنك مئزر الجد الذي شددته فقد فرغ العالم مني وفرغت منه

- (الباب التاسع وأربعمائة) في منازلة أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إلى
- (الباب العاشر وأربعمائة) في منازلة وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى فاعتزوا بهذا الرب تسعدوا
- (الباب الحادي عشر وأربعمائة) في منازلة
- فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار فخافوا الكتاب ولا تخافوني فإني وإياكم سواء
- (الباب الثاني عشر وأربعمائة) في منازلة من كان لي لم يذل ولا يخزي أبدا
- (الباب الثالث عشر وأربعمائة) في منازلة من سأني فما خرج من قضائي ومن لم يسألني فما خرج من قضائي
- (الباب الرابع عشر وأربعمائة) في معرفة منازلة لا نرى إلا بحجاب
- (الباب الخامس عشر وأربعمائة) في معرفة منازلة من دعاني فقد أدى حق عبوديته ومن أنصف نفسه فقد أنصفني
- (الباب السادس عشر وأربعمائة) في معرفة منازلة عين القلب
- (الباب السابع عشر وأربعمائة) في معرفة منازلة من أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
- (الباب الثامن عشر وأربعمائة) في منازلة من لا يفهم لا يوصل إليه شيء
- (الباب التاسع عشر وأربعمائة) في معرفة منازلة الصكوك
- (الباب الموفي عشرين وأربعمائة) في معرفة منازلة التلخص من المقامات
- (الباب الحادي والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة من طلب الوصول إلى من جهة الدليل والبرهان لم يصل إلي أبدا فإنه لا يشبهني شيء
- (الباب الثاني والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة من رد إلي فعلى فقد أعطاني حقي
- (الباب الثالث والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة من غار علي لم يذكرني
- (الباب الرابع والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة أحبك للبقاء معي وتحب الرجوع إلى أهلك فقف حتى أتشفني منك وحينئذ تمر عني
- (الباب الخامس والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة من طلب العلم صرفت بصره عني
- (الباب السادس والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة السر الذي منه قال ع حين استقهم عن رؤيته ربه فقال نوراني أراه
- (الباب السابع والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة قاب قَوْسَيْنِ
- (الباب الثامن والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة الاستفهام عن الآتين
- (الباب التاسع والعشرون وأربعمائة) في معرفة منازلة من تصاغر لجلالي نزلت إليه ومن تعاضم علي تعاضمت عليه
- (الباب الثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة أن حيرتك أوصلتك إلى

(الباب الحادي والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة من حجبتة حجبتة

(الباب الثاني والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة ما تردأت بشيء إلا بك فاعرف قدرك وهنا عجب شيء لا يعرف نفسه

(الباب الثالث والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة انظر أي تجل يعدمك فلا تسألنيه فتعطيك إياه فلا أجد من يأخذه

(الباب الرابع والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة لا يحجبك لو شئت فإني لأشأء بعد فأثبت

(الباب الخامس والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة أخذت العهد على نفسي فوقتا وفيت ووقتا لم أوف فلا تعترض

(الباب السادس والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة لو كنت عند الناس كما أنت عندي ما عبدوني

(الباب السابع والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة من عرف حظته من شريعتي عرف حظته مني فإنك عندي كما أنا عندك مرتبة واحدة

(الباب الثامن والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة من قرأ كلامي رأى غما متى فيها سرج ملائكتي تنزل عليه وفيه فإذا سكت رحلت

عنه ونزلت أنا

(الباب التاسع والثلاثون وأربعمائة) في معرفة منازلة قاب قوسين الثاني (الباب الأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة اشتد ركن من قوى

قلبه بمشاهدتي

(الباب الحادي والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة عيون أفئدة العارفين ناظرة إلى ما عندي لا إلى

(الباب الثاني والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة من رآني وعرف أنه رآني فما رآني

(الباب الثالث والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة واجب الكشف العرفاني (الباب الرابع والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة من

كُتبت له كتاب العهد الخالص لا يشقى

(الباب الخامس والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة هل عرفت أوليائي الذين أدبتهم بأدائي

(الباب السادس والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة في تعبير نواشئ الليل فوائد الخيرات

(الباب السابع والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة من دخل حضرة التطهير نطق عني

(الباب الثامن والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة من كشفت له شيئاً مما عندي بهت فكيف يطلب أن يراني

(الباب التاسع والأربعون وأربعمائة) في معرفة منازلة ليس عبدني من تعبد عبدني

(الباب الخمسون وأربعمائة) في معرفة منازلة من ثبت لظهوري كان بي لا به سبحاني كان به لا بي وهذا الحقيقة والأول مجاز

(الباب الحادي والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازلة في المخارج معرفة المعارج

(الباب الثاني والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازلة كلامي كله موعظة لعبيدي لو اتعظوا

(الباب الثالث والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل كرمي ما بذلت لك من الأموال وكرم كرمي ما وهبتك من عفوك عن أخيك عدد جنائته عليك

(الباب الرابع والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل لا يقوى معنا في حضرتنا غريب وإنما المعروف لأولي القربى

(الباب الخامس والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل من أقبلت عليه بظاهري لا يسعد أبداً ومن أقبلت عليه بباطني لا يشتقى أبداً و بالعكس

(الباب السادس والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل من تحرك عند سماع كلامي فقد سمع

(الباب السابع والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل التكليف المطلق

(الباب الثامن والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل إدراك السبجات

(الباب التاسع والخمسون وأربعمائة) في معرفة منازل وَإِيَّهِمْ عِنْدَنَا لَمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ

(الباب الستون وأربعمائة) في معرفة منازل الإسلام والايان والإحسان وإحسان الإحسان

(الباب الحادي والستون وأربعمائة) في معرفة منازل

من أسدلت عليه حجاب كنفه هو من ضنائي لا يعرفه أحد ولا يعرف أحداً

«الفصل السادس في المقامات»

(الباب الثاني والستون وأربعمائة) في معرفة الأقطاب الحمديين ومنازلهم

(الباب الثالث والستون وأربعمائة) في معرفة الاثني عشر قطبا وهم الذين يدور بهم فلك العالم

(الباب الرابع والستون وأربعمائة) في معرفة حال قطب الأقطاب الحمديّة الذي كان منزله لا إله إلا الله

(الباب الخامس والستون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الله أكبر

(الباب السادس والستون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله سبحان الله

(الباب السابع والستون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الحمد لله

(الباب الثامن والستون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الحمد لله على كل حال

(الباب التاسع والستون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ

(الباب السبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

(الباب الحادي والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

(الباب الثاني والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَبَشَّرَ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

(الباب الثالث والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ

(الباب الرابع والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ

(الباب الخامس والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

(الباب السادس والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا

بِاللَّهِ

(الباب السابع والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ

(الباب الثامن والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

(الباب التاسع والسبعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ شَرٌّ فَإِنْ الْأَمْرُ جَدَّ

(الباب العاشر وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَيِّبًا

(الباب الحادي والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنْ اللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرٌ مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا

(الباب الثاني والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَ

إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

(الباب الثالث والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

(الباب الرابع والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله حتى

فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ

(الباب الخامس والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

يُحْسِنُونَ

(الباب السادس والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا

(الباب السابع والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ومن يعمل من الصالحات

(من عمل صالحاً) مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْشِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

(الباب الثامن والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَنَّاعْنَا بِهِ بِأَرْوَاجِهِمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَنُغْنِيَنَّهُمْ

فِيهِ وَرِزْقِ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى

(الباب التاسع والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أما أموالكم وأولادكم فمِنَّةٌ

(الباب التسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

(الباب الحادي والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لَا تَفْرَحُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

(الباب الثاني والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ

(الباب الثالث والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

(الباب الرابع والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(الباب الخامس والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ

(الباب السادس والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

(الباب السابع والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

(الباب الثامن والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَبِقِ اللَّهُ يُجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

(الباب التاسع والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(الباب الموفي خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ

(الباب الحادي وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَلَا غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(الباب الثاني وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمَا نَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(الباب الثالث وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

(الباب الرابع وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ بُلْعُونَ

(الباب الخامس وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا

(الباب السادس وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

(الباب السابع وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى

(الباب الثامن وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَالَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

(الباب التاسع وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

(الباب العاشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله سَاءَ صَرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْبُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(الباب الحادي عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا

(الباب الثاني عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَا هُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيُدْ وَقُوا الْعَذَابَ

(الباب الثالث عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ذَكَرَ رَحِمْتَ رَبِّكَ عَبْدُهُ رَكْرَبًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً حَقِيًّا

(الباب الرابع عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

(الباب الخامس عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَانَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ

(الباب السادس عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ

اقتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَفَعُولًا

إِلَى اللَّهِ

(الباب السابع عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا

أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ

(الباب الثامن عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

(الباب التاسع عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ

الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشُرُونَ

(الباب العاشر وعشرين وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

(الباب الحادي والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا

(الباب الثاني والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَحِيلَةٌ إِلَيْهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ

يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ

(الباب الثالث والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

(الباب الرابع والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ

رَبِّي وَلَوْ حِصًّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

(الباب الخامس والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَيُّ صَاحِبِ عِلْمٍ لِيُذَكِّرْ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ

ذَلِكَ أَمْرًا

(الباب السادس والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرَكُنَّ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَّتْكَ ضِعْفَ

الْحَيَاةُ وَضِعْفُ الْمَمَاتِ

(الباب السابع والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمْ وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ

(الباب الثامن والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا

(الباب التاسع والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ بِأَنَّهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
(الباب الثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ

(الباب الحادي والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تُلْهُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبَيِّنُونَ فِيهِ

(الباب الثاني والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا

(الباب الثالث والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

(الباب الرابع والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

(الباب الخامس والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

(الباب السادس والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ

(الباب السابع والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ

(الباب الثامن والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَاسْتَمِعْ كَمَا أَمْرَتْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(الباب التاسع والثلاثون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ

(الباب الأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

(الباب الحادي والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا

(الباب الثاني والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا

- (الباب الثالث والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
- (الباب الرابع والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ما يلفظ من قول إلا لذي رقيب عتيد
- (الباب الخامس والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وأسجد وأقرب
- (الباب السادس والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فأعرض عن من تولى عن ذكرنا
- (الباب السابع والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
- (الباب الثامن والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فأذكروني أذكركم
- (الباب التاسع والأربعون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أما من استغنى فأت له تصدى
- (الباب الخمسون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
- (الباب الحادي والخمسون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فسيرى الله عملكم ورسوله
- (الباب الثاني والخمسون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
- (الباب الثالث والخمسون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله والله من ورانهم محيط
- (الباب الرابع والخمسون وخمسمائة) في صفة الشخص الذي انتقل إليه معنى خاتم النبوة وسره مثل زر الحجلة في معناه ومنزله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وهم فيه
- (الباب الخامس والخمسون وخمسمائة) في معرفة السبب الذي معني أن أذكر بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة
- (الباب السادس والخمسون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله تبارك الذي بيده الملك
- (الباب السابع والخمسون وخمسمائة) في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق
- (الباب الثامن والخمسون وخمسمائة) في معرفة الأسماء التي لرب العزة وما يجوز أن يطلق به اللفظ عليه وما لا يجوز
- (الباب التاسع والخمسون وخمسمائة) في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة وهذا الباب هو كالمختصر لأبواب هذا الكتاب لكل باب فيه قولنا ومن ذلك وفيه زيادة ثلاثة أو أربعة
- (الباب الستون وخمسمائة) في وصية حكومية شرعية ينتفع بها المرید والواصل وهو آخر أبواب هذا الكتاب انتهى الجزء الثاني من هذا الكتاب والحمد لله وحده والصلاة على محمد نبيه وعنده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«مقدمة الكتاب»

قلنا وربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب أو أفضلا في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ثم رأيت أن ذلك تشغيب على المتأهب الطالب للمزيد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود فإن المتأهب إذا لزم الخلوّة والذكر وفرغ الحبل من الفكر وقعد فقيرا لا شيء له عند باب ربه حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلم به والأسرار الإلهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناها من لدنا علماً وقال تعالى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَقَالَ إِنَّ تَقْوَاهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَقَالَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ قِيلَ لِلجَنِيدِ بِمَا نلت ما نلت فقال مجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وقال أبو يزيد أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فيحصل لصاحب الهمة في الخلوّة مع الله وبه جلت هبته وعظمت منته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة بل كل صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة فإنها وراء النظر العقلي إذ كانت العلوم على ثلاث مراتب (علم العقل) وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم ولهذا يقولون في النظر منه صحيح ومنه فاسد (والعلم الثاني) علم الأحوال ولا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يجدها ولا يقيم على معرفتها دليلاً كالعلم بجلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها وشبهها من جنسها في أهل الذوق كمن يغلب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مرا وليس كذلك فإن الذي باشر محل الطعم إنما هو المرة الصفراء (والعلم الثالث) علوم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروح يختص به النبي والولي وهو نوعان نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا والنوع الآخر على ضربين ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف والضرب الآخر من علوم الأخبار وهي التي بدخلها الصدق والكذب إلا أن يكون المخبر به قد ثبت صدقه عند المخبر وعصمته فيما يخبر به ويقول كما أخبر الأتباء صلوات الله عليهم عن الله كما أخبرهم بالجنة وما فيها فقولوه إن ثم جنة من علم الخبر وقوله في القيامة إن فيها حوضاً أحلى من العسل من علم الأحوال وهو علم الذوق وقوله كان الله ولا شيء معه ومثله من علوم العقل المدركة بالنظر فهذا الصنف الثالث الذي هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس صاحب تلك العلوم كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات وما بقي إلا أن يكون المخبر به صادقاً عند السامعين له معصوماً هذا شرطه عند العامة وأما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به ولكن يقول هذا جائر عندي أن يكون صادقاً أو كذباً وكذلك ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم وإن كان صادقاً في نفس الأمر فيما أخبر به ولكن كما لا يلزم هذا السامع له صدقه لا يلزمه تكذيبه ولكن يتوقف و

إن صدقه لم يضره لأنه أتى في خبره بما لا تحيله العقول بل بما تجوزه أو تقف عنده ولا يهد ركنا من أركان الشريعة ولا يبطل أصلا من أصولها فإذا أتى بأمر جوزه العقل وسكت عنه الشارع فلا ينبغي لنا أن نرده أصلا ونحن مخيرون في قبوله فإن كانت حالة المخبر به تقتضي العدالة لم يضرنا قبوله كما تقبل شهادته ونحكم بها في الأموال والأرواح وإن كان غير عدل في علمنا فننظر فإن كان الذي أخبر به حقا بوجه ما عندنا من الوجوه المصححة قبلناه وإلا تركناه في باب الجائزات ولم نتكلم في قائله بشيء فإنها شهادة مكتوبة نسأل عنها قال تعالى سَكَبُ شَهَادَتِهِمْ وَيُسْئَلُونَ وَأَنَا أَوْلَىٰ مِنْ نَصْحِ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ وَلَوْلِيَاتُ هَذَا الْمَخْبِرِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الْمَعْصُومُ فَهُوَ حَاكِلُنَا مَا عِنْدَنَا مِنْ رَوَايَةٍ عَنْهُ فَلَا فَائِدَةَ زَادَهَا عِنْدَنَا بِخَبْرِهِ وَإِنَّمَا يَأْتُونَ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ بِأَسْرَارٍ وَحُكْمٍ مِنْ أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ مِمَّا هِيَ خَارِجَةٌ عَنْ قُوَّةِ الْفِكْرِ وَالْكَسْبِ وَلَا تَنَالُ أَبَدًا إِلَّا بِالْمَشَاهِدَةِ وَالْإِهَامِ وَمَا شَاكَلَ هَذِهِ الطَّرِيقَ وَمِنْ هُنَا تَكُونُ الْفَائِدَةُ بِقَوْلِهِ عَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مَحْدَثُونَ فَمَنْهُمْ عَمْرٌ وَقَوْلِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ فِي فَضْلِهِ بِالسَّرِّ غَيْرِهِ وَلَوْ لَمِيقَ الْإِتْكَارِ لِهَذِهِ الْعُلُومِ فِي الْوُجُودِ لَمِيقِدَ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاءِينَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبِشْتِهِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشْتَهُ قَطَعَ مِنِّي هَذَا الْبَلْعُومُ حَدِيثِي بِهِ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَجْرِيُّ بِسَبْتِهِ فِي رَمَضَانَ عَامَ تِسْعَةِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بَدَارِهِ وَحَدِيثِي بِهِ أَيْضًا أَبُو الْوَلِيدِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ بَدَارِهِ بِأَشْيِلِيَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي آخِرِينَ كَلِمَهُمْ قَالُوا حَدَّثَنَا إِلَّا أَبَا الْوَلِيدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ شَرِيحَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ شَرِيحِ الرَّعِينِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنْظُورِ الْقَيْسِيِّ سَمَاعًا مِنِّي عَلَيْهِمَا عَنْ أَبِي ذَرٍّ سَمَاعًا مِنْهُمَا عَلَيْهِ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْوِيَةَ السَّرْحَسِيِّ الْحَمَوِيِّ وَأَبِي إِسْحَاقَ الْمَسْتَمَلِيِّ وَأَبِي الْهِثْمِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْكَشْمِيهِيِّ قَالُوا أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ مَطَرِ الْفَرَبْرِيِّ قَالَ أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ وَحَدِيثِي بِهِ أَيْضًا أَبُو مُحَمَّدٍ يُونُسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ الْمَكِّيِّ تَجَاهَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ مِنَ الْكَعْبَةِ الْمَعْظَمَةِ فِي شَهْرِ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَنْ أَبِي الْوَقْتِ عَبْدِ الْأُولَى بْنِ عَيْسَى السَّجَزِيِّ الْهَرَوِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَطْفَرِ الدَّوَادِيِّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْوِيَةَ السَّرْحَسِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَبْرِيِّ عَنِ الْبَخَارِيِّ وَقَالَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثِي إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنِ ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَشَرَحَ الْبَلْعُومُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيِّ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ خَرَجَهُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ وَذَكَرُوا أَنَّ الْبَلْعُومَ مَجْرَى الطَّعَامِ وَلَمِيقِدَ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ حِينَ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَوْ ذَكَرْتُ تَفْسِيرَهُ لِرَجْمَتُونِي وَفِي رَوَايَةٍ لَقَلْتُمْ إِنِّي كَافِرٌ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْشُونَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاظِرِيِّ عَنْ أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيِّ الْغَزَالِيِّ وَلَمْ يَكُنْ لِقَوْلِ الرُّضِيِّ مِنْ حَفْدَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْنَى إِذْ قَالَ

لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
يا رب جوهر علم لو أوج به
يرون أقيح ما يأتونه حسنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي

فهؤلاء كلهم سادات أبرار فيما أحسب واشتهر عنهم قد عرفوا هذا العلم ورتبته ومنزلة أكثر العالم منه وإن الأكثر منكرون له وينبغي للعالم العارف أن لا يأخذ عليهم في إنكارهم فإنه في قصة موسى مع خضر مندوحة لهم وحجة للطائفتين وإن كان إنكار موسى عن نسيان لشروطه ولتعديل الله إياه وبهذه القصة عينها نحتج على المنكرين لكنه لا سبيل إلى خصامهم ولكن نقول كما قال العبد الصالح هذا فراق بيني وبينك

«وصل» ولا يجنبك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم إذا وفقت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي الحق إنه فيلسوف لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها وإنه نقلها منهم أو إنه لا دين له فإن الفيلسوف قد قال بها ولا دين له فلا تفعل يا أخي فهذا القول قول من لا تحصيل له إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلا فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق ولا سيما إن وجدنا الرسول ع قد قال بها ولا سيما فيما وضعوه من الحكم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما تنطوي عليه من سوء الضمائر فإن كنا لا نعرف الحقائق ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعينة وإنها حق فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بها أو صاحب أو مالكا أو الشافعي أو سفيان الثوري وأما قولك إن قلت سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم فإنك ربما تقع في الكذب والجهل أما الكذب فقولك سمعها أو طالعها وأنت لم تشاهد ذلك منه وأما الجهل فكذلك لا تفرق بين الحق في تلك المسألة والباطل وأما قولك إن الفيلسوف لا دين له فلا يدل كونه لا دين له على إن كل ما عنده باطل وهذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدين وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف رأيت لو أنك بها رؤيا رآها هل كتبت إلا عابرها وتطلب على معانيها فكذلك خذ ما أتاك به هذا الصوفي واهتد على نفسك قليلا وفرغ لما أتاك به محلك حتى يبرز لك معناها أحسن من أن تقول يوم القيامة قد كُتبت في غفلة من هذا بل كُتبت ظالمين فكل علم إذا بسطته العبارة حسن وفهم معناه أو قارب وعذب عند السامع الفهم فهو علم العقل النظري لأنه تحت إدراكه ومما يستقل به لو نظر إلا علم الأسرار فإنه إذا أخذته العبارة سمح واعتاص على الأفهام دركه وخشن وربما مجته العقول الضعيفة المتعصبة التي لم تتوفر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث ولهذا صاحب العلم كثيرا ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية . وأما علوم الأحوال فمتوسطة بين علم الأسرار وعلم العقول . وأكثر ما يؤمن بعلم الأحوال أهل التجارب وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى العلم النظري العقلي لكن يقرب من صنف العلم العقلي الضروري بل هو لو كان لما كانت العقول لا تتوصل إليه إلا بأخبار من علمه أو شاهده من نبي أو ولي لذلك تميز عن الضروري لكن هو ضروري عند من شاهده ثم لتعلم أنه إذا حسن عندك وقبلته وأمنت به فأبشر إنك على كشف منه ضرورة وأنت لا تدري لا سبيل إلا هذا إذ لا يتلج الصدر إلا بما يقطع بصحته وليس للعقل هنا مدخل لأنه ليس من دركه إلا إن أتى بذلك معصوم حينئذ يتلج

صدر العاقل وأما غير المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلا صاحب ذوق (فإن قلت) فلخص لي هذه الطريقة التي تدعى أنها الطريقة الشريفة الموصلة السالك عليها إلى الله تعالى وما تنطوي عليه من الحقائق والمقامات بأقرب عبارة وأوجز لفظ وأبلغه حتى أعمل عليه ونصل إلى ما ادعيت أنك توصلت إليه وبالله أقسم إنني لا آخذه منك على وجه التجربة والاختبار وإنما آخذه منك على الصدق فإنني قد حسنت الظن بك إحسان قطع إذ قد نهيتي على حظ ما أتيت به من العقل وإن ذلك مما يقطع العقل بجوازه وإمكانه أو يقف عنده من غير حكم معين فشكر الله لك ذلك وبلغك آمالك ونفعك ونفع بك . فاعلم أن الطريق إلى الله تعالى الذي سلكت عليه الخاصة من المؤمنين الطالين بنجاتهم دون العامة الذين شغلوا أنفسهم بغير ما خلقت له إنه على أربع شعب بواعث ودواع وأخلاق وحقائق والذي دعاهم إلى هذه الدواعي والبواعث والأخلاق والحقائق ثلاثة حقوق تفرضت عليهم حق لله وحق لأنفسهم وحق للخلق فالحق الذي لله تعالى عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً والحق الذي للخلق عليهم كف الأذى كله عنهم ما لم يأمر به شرع من إقامة حد وصنائع المعروف معهم على الاستطاعة والإيثار ما لم ينه عنه شرع فإنه لا سبيل إلى موافقة الغرض إلا بلسان الشرع والحق الذي لأنفسهم عليهم أن لا يسلكوا بها من الطرق إلا الطريق التي فيها سعادتها ونجاتها وإن أبت فلجهل قام بها أو سوء طبع فإن النفس الآيئة إنما يحملها على إتيان الأخلاق الفاضلة دين أو مروءة فالجهل يضاد الدين فإن الدين علم من العلوم وسوء الطبع يضاد المروءة ثم ترجع إلى الشعب الأربع فنقول الدواعي خمسة الهاجس السببي ويسمى نفر الخاطر ثم الإرادة ثم العزم ثم الهمة ثم النية والبواعث لهذه الدواعي ثلاثة أشياء رغبة أو رهبة أو تعظيم والرغبة ورغبتان رغبة في الجاورة ورغبة في المعاينة وإن شئت قلت رغبة فيما عنده ورغبة فيه والرهبة ورهبتان رهبة من العذاب ورهبة من الحجاب والتعظيم إفراده عنك وجمعك به . والأخلاق على ثلاثة أنواع خلق متعد وخلق غير متعد وخلق مشترك . فالمتعدي على قسمين متعد بمنفعة كالجود والفتوة ومتعد بدفع مضرة كالعفو والصفح واحتمال الأذى مع القدرة على الجزاء والتمكن منه وغير المتعدي كالورع والزهد والتوكل . وأما المشترك فكالصبر على الذي من الخلق وبسط الوجه . وأما الحقائق فعلى أربعة حقائق ترجع إلى الذات المقدسة وحقائق ترجع إلى الصفات المنزهة وهي النسب وحقائق ترجع إلى الأفعال وهي كن وأخواتها وحقائق ترجع إلى المفعولات وهي الأكوان والمكونات وهذه الحقائق الكونية على ثلاث مراتب علوية وهي المعقولات وسفلية وهي الحسوسات وبرزخية وهي المخيلات . فأما الحقائق الذاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه من غير تشبيه ولا تكيف لا تسعه العبارة ولا تسمى إليه الإشارة . وأما الحقائق الصفاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة كونه سبحانه عالماً قادراً مريداً حياً إلى غير ذلك من الأسماء والصفات المختلفة والمتقابلة المتماثلة . وأما الحقائق الكونية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة الأرواح والبسائط والمركبات والأجسام والاتصال والانفصال . وأما الحقائق الفعلية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة كن وتعلق القدرة بالمقدور بضرب خاص لكون العبد لا فعل له ولا أثر لقد رته الحادثة الموصوف بها . وجميع ما ذكرناه يسمى الأحوال والمقامات فالمقام منها كل صفة يجب الرسوخ فيها ولا يصح التنقل

عنها كالتوبة . والحال منها كل صفة تكون فيها في وقت دون وقت كالسكر والحور والغيبة والرضي أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء والشكر مع النعماء وهذه الأمور على قسمين . قسم كماله في ظاهر الإنسان وباطنه كالورع والتوبة وقسم كماله في باطن الإنسان ثم إن تبعه الظاهر فلا بأس كالزهد والتوكل وليس ثم في طريق الله تعالى مقام يكون في الظاهر دون الباطن . ثم إن هذه المقامات منها ما يتصف به الإنسان في الدنيا والآخرة كالمشاهدة والجلال والجمال والأنس والهيبة والبسط ومنها ما يتصف به العبد إلى حين موته إلى القيامة إلى أول قدم يضعه في الجنة ويزول عنه كالخوف والقبض والحزن والرجاء ومنها ما يتصف به العبد إلى حين موته كالزهد والتوبة والورع والمجاهدة والرياضة والتخلي والتحلي على طريق القربة ومنها ما يزول لزوال شرطه ويرجع لرجوع شرطه كالصبر والشكر والورع فهذا وفقنا الله وإياك قد بينت لك الطريق مرتب المنازل ظاهر المعاني والحقائق على غاية الإيجاز والبيان والاستيفاء العام فإن سلكت وصلت والله سبحانه يرشدنا وإياك

«فصل» ومدار العلم الذي يختص به أهل الله تعالى على سبع مسائل من عرفها لم يعتص عليه شيء من علم الحقائق وهي معرفة أسماء الله تعالى ومعرفة التجليات ومعرفة خطاب الحق عباده بلسان الشرع ومعرفة كمال الوجود ونقصه ومعرفة الإنسان من جهة حقائقه ومعرفة الكشف الخيالي ومعرفة العلل والأدوية وذكرنا هذه المسائل في باب المعرفة من هذا الكتاب فلتنظر هنالك إن شاء الله «تممة» ثم نرجع إلى السبب الذي لأجله منعنا المتأهب لتجلى الحق إلى قلبه من النظر في صحة العقائد من جهة علم الكلام فمن ذلك أن العوام بلا خلاف من كل متشرع صحيح العقل عقائدهم سليمة وإنهم مسلمون مع أنهم لم يطالعوا شيئا من علم الكلام ولا عرفوا مذاهب الخصوم بل أبفاهم الله تعالى على صحة الفطرة وهو العلم بوجود الله تعالى بتلقين الوالد المتشرع أو المربي وإنهم من معرفة الحق سبحانه وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في ظاهر القرآن المبين وهم فيه بحمد الله على صحة وصواب ما لم يتطرق أحد منهم إلى التأويل فإن تطرق أحد منهم إلى التأويل خرج عن حكم العامة والتحقيق بصنف ما من أصناف أهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعليه يلقي الله تعالى فأما مصيب وإما مخطئ بالنظر إلى ما يناقض ظاهر ما جاء به الشرع فالعامة بحمد الله سليمة عقائدهم لأنهم تلقوها كما ذكرناه من ظاهر الكتاب العزيز التلقيني الذي يجب القطع به وذلك أن التواتر من الطرق الموصلة إلى العلم وليس الغرض من العلم إلا القطع على المعلوم أنه على حد ما علمناه من غير ريب ولا شك والقرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر أنه جاء به شخص ادعى أنه رسول من عند الله تعالى وأنه جاء بما يدل على صدقه وهو هذا القرآن وأنه ما استطاع أحد على معارضته أصلا فقد صح عندنا بالتواتر أنه رسول الله إلينا وأنه جاء بهذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم وأخبر أنه كلام الله وثبت هذا كله عندنا تواتر فقد ثبت العلم به أنه النبا الحق والقول الفصل . والأدلة سمعية وعقلية وإذا حكمنا على أمر بحكم ما فلا شك فيه أنه على ذلك الحكم . وإذا كان الأمر على ما قلناه فيأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز وهو بمنزلة الدليل العقلي في الدلالة إذ هو الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزِيلُ من حكيم حميد . فلا يحتاج المتأهب مع ثبوت هذا

الأصل إلى أدلة العقول إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلق . والإصفاق عليه محقق عنده قالت اليهود لمحمد صلى الله عليه و سلم انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى عليه سورة الإخلاص ولم يبق لهم من أدلة النظر دليلاً واحداً فقال قُلْ هُوَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أُمَّةً فَنَفِيَّ الْعَدَدِ وَأَثْبَتِ الْأَحَدِيَّةَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ اللَّهُ الصَّمَدُ فَنَفِيَّ الْجِسْمَ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ فَنَفِيَّ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَنَفِيَّ الصَّاحِبَةَ كَمَا نَفَى الشَّرِيكَ بِقَوْلِهِ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَيَطْلُبُ صَاحِبَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الْبِرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الْمَعَانِي بِالْعَقْلِ وَقَدْ دَلَّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا اللَّفْظِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَذَا الَّذِي يَطْلُبُ يَعْرِفُ اللَّهَ مِنْ جِهَةِ الدَّلِيلِ وَيَكْفُرُ مِنْ لَا يَنْظُرُ كَيْفَ كَانَتْ حَالَتُهُ قَبْلَ النَّظَرِ وَفِي حَالِ النَّظَرِ هَلْ هُوَ مُسْلِمٌ أَمْ لَا وَهَلْ يَصِلِي وَيَصُومُ أَوْ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِ أَوْ إِنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ فَإِنْ كَانَ مُعْتَقِدًا لِهَذَا كُلِّهِ فَهَذِهِ حَالَةُ الْعَوَامِ فَلْيَتَرَكَّهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفُرْ أَحَدًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعْتَقِدًا لِهَذَا إِلَّا حَتَّى يَنْظُرَ وَيَقْرَأَ عِلْمَ الْكَلَامِ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ حَيْثُ أَدَاهُ سُوءُ النَّظَرِ إِلَى الْخُرُوجِ عَنِ الْإِيمَانِ وَعِلْمَاءُ هَذَا الْعِلْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا وَضَعُوهُ وَصَنَعُوهُ فِيهِ مَا صَنَعُوهُ لِيَشْبَتُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الْعِلْمَ بِاللَّهِ وَإِنَّمَا وَضَعُوهُ إِرْدَاعًا لِلْخُصُومِ الَّذِينَ جَحَدُوا بِاللَّهِ أَوْ الصِّفَاتِ أَوْ بَعْضِ الصِّفَاتِ أَوْ الرِّسَالَةِ أَوْ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً أَوْ حُدُوثِ الْعَالَمِ أَوْ الْإِعَادَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَوْ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الصَّنْفِ وَكَانُوا كَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ مُكَذِّبِينَ بِهِ جَاحِدِينَ لَهُ فَطَلَبَ عِلْمَاءُ الْكَلَامِ إِقَامَةَ الْأَدْلَةِ عَلَيْهِمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا أَدَّتْهُمْ إِلَى الْإِبْطَالِ مَا ادَّعَيْنَا صِحَّةَ خَاصَّةٍ حَتَّى لَا يَشَوْشُوا عَلَى الْعَوَامِ عَقَائِدَهُمْ فَمَهْمَا بَرَزَ فِي مِيدَانِ الْمَجَادَلَةِ بَدْعِي بَرَزَ لَهُ أَشْعَرِي أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عِلْمِ النَّظَرِ وَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى السِّيفِ رَغْبَةً مِنْهُمْ وَحِرْصًا عَلَى إِنْ يَرُدُّوهُ وَاحِدًا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَلَكِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبِرْهَانِ إِذِ الَّذِي كَانَ يَأْتِي بِالْأَمْرِ الْمَعْجَزِ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ قَدْ فَقَدَ وَهُوَ الرَّسُولُ عَ الْبِرْهَانَ عِنْدَهُمْ قَائِمٌ مَقَامَ تِلْكَ الْمَعْجِزَةِ فِي حَقِّ مَنْ عَرَفَ فَإِنَّ الرَّاجِعَ بِالْبِرْهَانِ أَصْحَابُ إِسْلَامًا مِنَ الرَّاجِعِ بِالسِّيفِ فَإِنَّ الْخَوْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَهُ عَلَى التَّفَاقُقِ وَصَاحِبَ الْبِرْهَانِ لَيْسَ كَذَلِكَ . فَلِهَذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَضَعُوا عِلْمَ الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ لَا غَيْرَ وَيَكْفِي فِي الْمَصْرُ مِنْهُ وَاحِدٌ فَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ قَاطِعًا بِهِ فَلْيَأْخُذْ عَقِيدَتَهُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا مِيلَ فَنَزَهَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ أَنْ يَشْبَهَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَوْ يَشْبَهَهُ شَيْئًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَسُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَأَثْبَتِ رُؤْيَتَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَكَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ وَانْتَقَتِ الْإِحَاطَةَ بِدَرْكِهِ بِقَوْلِهِ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَثَبَتَ كَوْنُهُ قَادِرًا بِقَوْلِهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَثَبَتَ كَوْنُهُ عَالِمًا بِقَوْلِهِ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَثَبَتَ كَوْنُهُ مُرِيدًا بِقَوْلِهِ فَعَالَ لَمَّا يُرِيدُ وَثَبَتَ كَوْنُهُ سَمِيعًا بِقَوْلِهِ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ وَثَبَتَ كَوْنُهُ بَصِيرًا بِقَوْلِهِ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى وَثَبَتَ كَوْنُهُ مُتَكَلِّمًا بِقَوْلِهِ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا وَثَبَتَ كَوْنُهُ حَيًّا بِقَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَثَبَتَ إِرْسَالُ الرُّسُلِ بِقَوْلِهِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ وَثَبَتَ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَثَبَتَ أَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ بِقَوْلِهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ خَلَقَ لَهُ بِقَوْلِهِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَثَبَتَ خَلْقُ الْجِنِّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَثَبَتَ حَشْرُ الْأَجْسَادِ بِقَوْلِهِ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا

نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى إِلَى أَمْثَالِ هَذَا مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعُقَاةُ مِنَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالْحِنَةَ وَالنَّارَ وَالْقَبْرَ وَالْمِيزَانَ وَالْحَوْضَ وَالصَّرَاطَ وَالْحِسَابَ وَالصَّحْفَ وَكُلَّ مَا لَا بَدَّ لِلْمُعْتَقِدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ قَالَ تَعَالَى مَا فَكَّرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَعْجَزَةٌ عَ بَطْلِبِ مَعَارِضَتِهِ وَالْعِجْزَ عَنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ قُلْ فَأَنُوتُوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ ثُمَّ قَطَعَ أَنَّ الْمَعَارِضَةَ لَا تَكُونُ أَبَدًا بِقَوْلِهِ قُلْ لَئِنْ جُمِعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا وَأَخْبَرَ بِعِجْزِ مَنْ أَرَادَ مَعَارِضَتَهُ وَإِقْرَارَهُ أَنَّ الْأَمْرَ عَظِيمٌ فِيهِ فَقَالَ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ فَنَفِي الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ لِلْعَاقِلِ غَنِيَةً كَبِيرَةً وَلِصَاحِبِ الدَّاءِ الْعِضَالَ دَوَاءً وَشِفَاءً كَمَا قَالَ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَقْنَعٌ شَافٍ لِمَنْ عَزَمَ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَرَغِبَ فِي سَمَوَاتِ الدَّرَجَاتِ وَتَرَكَ الْعُلُومَ الَّتِي تَوَرَدُ عَلَيْهَا الشُّبُهَةُ وَالشُّكُوكُ فَيَضِيعُ الْوَقْتُ وَيَخَافُ الْمَقْتُ إِذَا الْمُنْتَحِلُ لَتِلْكَ الطَّرِيقَةِ قَلِمًا يَنْجُو مِنَ التَّشْغِيبِ أَوْ يَشْتَغِلُ بِرِيَاضَةِ نَفْسِهِ وَتَهْذِيبِهَا فَإِنَّهُ مُسْتَعْرِقُ الْأَوْقَاتِ فِي إِدْرَاعِ الْخُصُومِ الَّذِينَ لَمْ يَوْجِدْ لَهُمْ عَيْنَ وَدَفَعَ شِبْهَ يَمْكِنُ إِنْ وَقَعَتْ لِلْخُصْمِ وَيَمْكِنُ إِنْ لَمْ تَقَعْ فَقَدْ تَقَعُ وَقَدْ لَا تَقَعُ وَإِذَا وَقَعَتْ فَسَيْفُ الشَّرِيعَةِ أَرْدَعُ وَأَقْطَعُ . أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَتَّى يُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَدْفَعْنَا مَجَادِلَتَهُمْ إِذَا حَضَرُوا إِنَّمَا هُوَ الْجِهَادُ وَالسَّيْفُ إِنْ عَانَدَ فِيمَا قِيلَ لَهُ فَكَيْفَ يَخْضَمُ مَتَاهُمْ يَقْطَعُ الزَّمَانَ بِمَجَادِلَتِهِ وَمَا رَأَيْنَا لَهُ عَيْنًا وَلَا قَالَ لَنَا شَيْئًا وَإِنَّمَا نَحْنُ مَعَ مَا وَقَعَ لَنَا فِي نَفُوسِنَا وَتَنْخِيلِنَا مَعَ غَيْرِنَا وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اجْتَهَدُوا وَخَيْرًا قَصَدُوا وَإِنْ كَانَ الَّذِي تَرَكُوا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الَّذِي شَغَلُوا نَفُوسَهُمْ بِهِ وَاللَّهُ يَنْفَعُ الْكُلَّ بِقَصْدِهِ وَلَوْلَا التَّطْوِيلُ لَتَكَلَّمْتُ عَلَى مَقَامَاتِ الْعُلُومِ وَمَرَاتِبِهَا وَإِنْ عِلْمُ الْكَلَامِ مَعَ شَرَفِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ النَّاسِ بَلْ شَخْصٌ وَاحِدٌ يَكْفِي مِنْهُ فِي الْبَلَدِ مِثْلَ الطَّيِّبِ وَالْفَقْهَاءِ الْعُلَمَاءِ بِفُرُوعِ الدِّينِ لَيْسُوا كَذَلِكَ بَلِ النَّاسُ مَحْتَاجُونَ إِلَى الْكَثْرَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَفِي الشَّرِيعَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ الْغَنِيَّةِ وَالْكَفَايَةِ وَلَوْ مَاتَ الْإِنْسَانُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ اصْطِلَاحَ الْقَائِلِينَ بِعِلْمِ النَّظَرِ مِثْلَ الْجَوْهَرِ وَالْعُرْضِ وَالْجِسْمِ وَالْجِسْمَانِيِّ وَالرُّوحِ وَالرُّوحَانِيِّ لَمْ يَسْأَلْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهُ النَّاسَ عَمَّا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّكْلِيفِ خَاصَّةً وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا الْحَيَاةَ مِنْهُ (وَصَلِّ) يَتَضَمَّنُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ فِي الْعُمُومِ وَهِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مُسَلِّمَةٌ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى دَلِيلٍ وَلَا إِلَى بَرَهَانٍ فَيَا إِخْوَتِي الْمُؤْمِنِينَ خَتَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ بِالْحَسَنِ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ الْمَكْذِبِينَ بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ إِيَّيْهِ أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُ وَأَبِي بَرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ فَأَشْهَدُ قَوْمَهُ مَعَكُمْ كَوْنَهُمْ مَكْذِبِينَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِأَحَدِيَّتِهِ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ سَيُوقِفُ عِبَادَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا هُوَ عَالِمٌ بِهِ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُؤَدِّيَ كُلُّ شَاحِدٍ شَهَادَتَهُ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤَدَّيْنَ يَشْهَدُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابَسٍ وَكُلِّ مِنْ سَمْعِهِ وَهَذَا يَدْبُرُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْأَذَانِ وَهُوَ حِصَاصٌ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ ضَرَاطُ وَذَلِكَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ نَدَاءَ الْمُؤَدَّيْنَ بِالشَّهَادَةِ فَيَلْزِمُهُ أَنْ يَشْهَدَ لَهُ فَيَكُونُ بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ لَهُ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ يَسْعَى فِي سَعَادَةِ الْمَشْهُودِ لَهُ وَهُوَ عَدُوٌّ مُحْضٌ لَيْسَ لَهُ إِلَيْنَا خَيْرُ الْبَتَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَإِذَا كَانَ الْعَدُوُّ لَا يَدَّ أَنْ يَشْهَدَ لَكَ بِمَا أَشْهَدْتَهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فَأَحْرَى أَنْ يَشْهَدَ لَكَ وَبِئْسَ حَبِيبٌ وَمَنْ هُوَ عَلَى دِينِكَ وَمَلِكٌ وَأَحْرَى أَنْ تَشْهَدَهُ أَنْتَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْإِيمَانِ فَيَا إِخْوَتِي وَيَا أَحْبَائِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ أَشْهَدُكُمْ عَبْدٌ ضَعِيفٌ

مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة و طرفه و هو مؤلف هذا الكتاب و منشئه أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى و ملائكته و من حضره من المؤمنين و سمعه أنه يشهد قولاً و عقداً إن الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيته منزّه عن الصاحبة و الولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير اقتقار إلى موجد يوجد به بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده فالعالم كله موجود به و هو وحده متصف بالوجود لنفسه لا افتتاح لوجوده و لا نهاية لبقائه بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان و لا بعرض فيستحيل عليه البقاء و لا يجسم فتكون له الجهة و التلقاء مقدس عن الجهات و الأقطار مرثي بالقلوب و الأبصار إذا شاء استوى على عرشه كما قاله و على المعنى الذي أرادته كما إن العرش و ما سواه به استوى و له الآخرة و الأولى ليس له مثل معقول و لا دلت عليه العقول لا يحده زمان و لا يقفه مكان بل كان و لا مكان و هو على ما عليه كان خلق المتمكن و المكان و أنشأ الزمان و قال أنا الواحد الحي لا يؤده حفظ المخلوقات و لا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات تعالى إن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها بل يقال كان و لا شيء معه فإن القبل و البعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام و القهار الذي لا يرام ليس كمثل شيء خلق العرش و جعله حد الاستواء و أنشأ الكرسي و أوسع الأرض و السماوات العلى اخترع اللوح و القلم الأعلى و أجراه كاتبا بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل و القضاء أبداع العالم كله على غير مثال سبق و خلق الخلق و أخلق الذي خلق أنزل الأرواح في الأشباح أمنا و جعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء و سخر لنا ما في السماوات و ما في الأرض جميعاً منه فلا تتحرك ذرة إلا إليه و عنه خلق الكل من غير حاجة إليه و لا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق ف هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو على كل شيء قدير أحاط بكل شيء علماً و أحصى كل شيء عدداً يعلم السر و أخفى يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير علم الأشياء منها قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم ينزل عالماً بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء بعلمه أتقن الأشياء و أحكمها و به حكم عليها من شاء و حكمها علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح و اتفاق فهو عالم الغيب و الشهادة فتعالى عما يشركون فعلاً لما يريد فهو المرید الكائنات في عالم الأرض و السموات لم تتعلق قدرته بشيء حتى أرادته كما أنه لم يرد حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة و لا عصيان و لا ربح و لا خسران و لا عبد و لا حر و لا برد و لا حر و لا حياة و لا موت و لا حصول و لا فوت و لا نهار و لا ليل و لا اعتدال و لا ميل و لا بر و لا بحر و لا شفق و لا وتر و لا جوهر و لا عرض و لا صحة و لا مرض و لا فرح و لا ترح و لا روح و لا شبح و لا ظلام و لا ضياء و لا أرض و لا سماء و لا تركيب و لا تحليل و لا كثير و لا قليل و لا غداة و لا أصيل و لا بياض و لا سواد و لا رقاد و لا سهاد و لا ظاهر و لا باطن و لا متحرك و لا ساكن و لا يابس و لا رطب و لا قشر و لا لب و لا شيء من هذه النسب المتضادات منها و المختلفات و المتماثلات إلا وهو

مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا أراد لأمره ولا مُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ يُوْتِي الملك من يشاء و ينزع الملك من يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء و يُصَلُّ من يشاء و يَهْدِي من يشاء ما شاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن لو اجتمع الخلاق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه أو يفعلوا شيئا لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عند ما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والايمن والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ولم ينزل سبحانه موصوفا بهذه الإرادة أزلا والعالم معدوم غير موجود وإن كان ثابتا في العلم في عينه ثم أوجد العالم من غير تفكير ولا تدبر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التفكير والتدبر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا يريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وأنه سبحانه كما علم فاحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى لا يججب سمعه البعد فهو القريب ولا يججب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس ويرى السواد في الظلماء والماء في الماء لا يججبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته كلم به موسى ع سماء التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ولا لغات بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات فكلامه سبحانه من غير لهأة ولا لسان كما إن سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما إن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما إن إرادته في غير قلب ولا جنان كما إن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما إن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان كما إن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم و أبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه في ملكه إن أنعم فنعم فذلك فضله وإن أبلى فغذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصرف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي هؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصرف أسمائه فقبضة تحت أسمائه و قبضة تحت أسمائه وآلته ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان أو شقيا لكان من ذلك في شأن لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم وقد قال تعالى في الصلاة هي خمس وهي خمسون ما يُبدلُ القولُ لَدَيَّ وما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر إلا بوهب إلهي و

جود رحماني لمن اعتنى الله به من عباده وسبق له ذلك بحضرة إيشاده فعلم حين أعلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم وأنه من رقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود لنفسه إلا إياه والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ وَلَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ الشهادة الثانية وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل من ربه إليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه فخطب وذكر وخوف وحذر وبشر وأنذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحداً من أحد عن إذن الواحد الصمد ثم قال الأهل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وإنني مؤمن بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت وما لم أعلم فمما جاء به فقرأن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت إن سؤال فتاني القبر حق وعذاب القبر حق وبعث الأجساد من القبور حق والعرض على الله تعالى حق والحوض حق والميزان حق ونظائر الصحف حق والصراط حق والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في النار حق وكرب ذلك اليوم حق على طائفة وطائفة أخرى لا يحزُّهُمُ الفَرْعُ الْأَكْبَرُ وشفاعة الملائكة والنيين والمؤمنين وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق والتأييد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق والتأييد لأهل النار في النار حق وكل ما جاءت به الكتب والرسول من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سألتها حيثما كان نفعنا الله وإياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرايلها من القطران وجعلنا من العصاة التي أخذت الكتب بالإيمان ومن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت له على الصراط القدما أنه المنعم المحسان ف الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ

«فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصة مختصرة»

ثم أتولها إن شاء الله بعقيدة الناشئة الشادية ضمنها اختصار الاقتصاد بأوجز عبارة نهبت فيها على ما أخذ الأدلة لهذه الملة مسجعة الألفاظ وسميتها برسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم ليسهل على الطالب حفظها ثم أتولها بعقيدة خواص أهل الله من أهل طريق الله من المحققين أهل الكشف والوجود وجردها أيضاً في جزء آخر سميتها المعرفة وبه انتهت مقدمة الكتاب وأما التصريح بعقيدة الخلاصة فما أفردتها على التعيين لما فيها من الغموض لكن جئت بها مبددة في أبواب هذا الكتاب مستوفاة مبينة لكنها كما ذكرنا متفرقة فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف أمرها ويميزها من غيرها فإنه العلم الحق والقول الصدق وليس وراءها مرمى ويستوي فيها البصير والأعمى تلحق

الأبعاد بالأداني و تلحم الأسافل بالأعالي والله الموفق لا رب غيره

«وصل الناشئ والشادي في العقائد»

قال الشادي اجتمع أربعة نفر من العلماء في قبة أرين تحت خط الاستواء الواحد مغربي والثاني مشرقى والثالث شامي والرابع يمني فتجأروا في العلوم والفرق بين الأسماء والرسوم فقال كل واحد منهم لصاحبه لا خير في علم لا يعطي صاحبه سعادة الأبد ولا يقدر حامله عن تأثير الأمد فلنبحث في هذه العلوم التي بين أيدينا عن العلم الذي هو أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأسنى ما يدخر وأعظم ما به يفتخر فقال المغربي عندي من هذا العلم العلم بالحامل القائم وقال المشرقى عندي منه العلم بالحامل المحمول اللازم وقال الشامي عندي من هذا العلم علم الإبداع والتركيب وقال اليمني عندي من هذا العلم علم التلخيص والترتيب ثم قالوا ليظهر كل واحد منا ما وعاه وليكشف عن حقيقة ما ادعاه

«الفصل الأول في معرفة الحامل القائم باللسان الغربي»

قام الإمام المغربي وقال لي التقدم من أجل مرتبة علمي فالحكيم في الأوليات حكيمي فقال له الحاضرون تكلم وأوجز وكن البليغ المعجز فقال اعملوا أنه ما لم يكن ثم كان واستوت في حقه الأزمان أن المكون يلزمه في الآن ثم قال كل ما لا يستغني عن أمر ما فحكمه حكم ذلك الأمر ولكن إذا كان من عالم الخلق والأمر فليصرف الطالب النظر إليه وليعمل الباحث عليه ثم قال من كان الوجود يلزمه فإنه يستحيل عدمه والكائن ولم يكن يستحيل قدمه ولو لم يستحل عليه العدم لصحبة المقابل في القدم فإن كان المقابل لم يكن فالعجز في المقابل مستكن وإن كان كان يستحيل على هذا الآخر كان ومحال أن يزول بذاته لصحة الشرط وإحكام الربط ثم قال وكل ما ظهر عينه ولم يوجب حكما فكونه ظاهرا محال فإنه لا يفيد علما ثم قال ومن المحال عليه تعمير المواطن لأن رحلته في الزمن الثاني من زمان وجوده لنفسه وليس بقاطن ولو جاز أن ينتقل لقام بنفسه واستغنى عن الخلق ولا يعدمه ضد لانصافه بالفقده ولا الفاعل فإن قولك فعل لا شيء لا يقول به عاقل ثم قال من توقف وجوده على فناء شيء فلا وجود له حتى يفنى فإن وجد فقد فنى ذلك الشيء المتوقف عليه وحصل المعنى من تقدمه شيء فقد انحصر دونه وتفيد ولزمه هذا الوصف ولو تأبد فقد ثبت العين بلامين ثم قال ولو كان حكم المسند إليه حكم المسند لما تناهى العدد ولا صح وجود من وجد ثم قال ولو كان ما أثبتناه يخلو ويملي لكان يبلى ولا يبلى ثم قال ولو كان يقبل التركيب لتحلل أو التآليف اضمحل وإذا وقع التماثل سقط التفاضل ثم قال ولو كان يستدعي وجوده سواء ليقوم به لم يكن ذلك السوي مستندا إليه وقد صح إليه استناده فباطل أن يتوقف عليه وجوده وقد قيده بإيجاده ثم إنه وصف الوصف محال فلا سبيل إلى هذا العقد مجال ثم قال الكرة وإن كانت فانية فليست ذات ناحية إذا كانت الجهات إلي فحكمها علي وأنا منها خارج عنها وقد كان ولا أنا فقيم التشغيب والعناء ثم قال كل من استوطن موطننا جازت عنه رحلته وثبتت نقلته من حاذى بذاته شيئا فإن التثليث يحده ويقدره وهذا يناقض ما كان العقل من قبل يقرره ثم قال لو كان لا يوجد شيء

إلا عن مستقلين اتفاقا واختلافا لما رأينا في الوجود افتراقا وائتلافا والمقدر حكمه الواقع فاذن التقدير هنا للمنازع ليس بنافع ثم قال إذا وجد الشيء في عينه جاز أن يراه ذو العين بعينه المقيدة بوجهه الظاهر وجفنة وما ثم علة توجب الرؤية في مذهب أكثر الأشعرية إلا الوجود بالبنية وغير البنية ولا بد من البنية ولو كانت الرؤية تؤثر في المرئي لأحلتها فقد بانت المطالب بأدلتها كما ذكرناها ثم صلى وسلم بعد ما حمد وقعد فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة واستيفائه المعاني في دقيق الإشارة

«الفصل الثاني في معرفة الحامل المحمول اللازم باللسان المشريقي»

ثم قام المشريقي وقال تكوين الشيء من الشيء ميل وتكوينه لا من شيء اقتدار الأزل ومن لم يمتنع عنك فقد رتك نافذة فيه ولم تنزل ثم قال إيجاد أحكام في محكم يثبت بحكمه وجود علم المحكم ثم قال والحياة في العالم شرط لازم ووصف قائم ثم قال الشيء إذا قبل التقدم والمناص فلا بد من مخصص لوقوع الاختصاص وهذا هو عين الإرادة في حكم العقل والعادة ثم قال ولو أراد المرید بما لم يكن لكان ما لم يكن مرادا بما لم يكن ثم قال من المحال أن توجب المعاني أحكامها في غير من قامت به فانتبه ثم قال من تحدث في نفسه بما مضى فذلك الحديث ليس بإرادة به حكم الدليل على الكلام وقضى ثم قال القديم لا يقبل الطارئ فلا تمار ولو أحدث في نفسه ما ليس منها لكان بعدم تلك الصفة ناقصا عنها ومن ثبت كماله بالعقل والنص فلا ينسب إليه النقص ثم قال لو لم يبصرك ولم يسمعك لجهل كثيرا منك ونسبة الجهل إليه محال فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال ومن ارتكب القول بنفيهما ارتكب مخوفا لما يؤدي إلى كونه مؤثما ثم قال من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى كما من ضرورة المعنى الذي لا يقوم بنفسه استدعاء مغني فيا أيها الجادل كم ذا تعنى ما ذاك إلا الخوفك من العدد وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والأحد ولو علمت إن العدد هو الأحد ما شرعت في منازعة أحد فهذا قد أبت عن الحامل المحمول العارض واللازم في تقاسيم هذه المعالم ثم قعد

«الفصل الثالث في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي»

ثم قام الشامي وقال إذا تماثلت الحداثات وكان تعلق القدرة بها مجرد الذات فبأي دليل يخرج منها بعض الممكنات ثم قال لما كانت الإرادة تتعلق بمرادها حقيقة ولم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة فذلك هو الكسب فكسب العبد وقدر الرب وتبين ذلك بالحركة الاختيارية والعدة الاضطرابية ثم قال القدرة من شرطها الإيجاد إذا ساعدها العلم والإرادة فإياك والعادة كل ما أدى إلى نقص الألوهة فهو مردود ومن جعل في الوجود الحادث ما ليس بمراد لله فهو من المعرفة مطرود وباب التوحيد في وجهه مسدود وقد يراد الأمر ولا يراد المأمور به وهو الصحيح وهذا غاية التصريح ثم قال من أوجب على الله أمرا فقد أوجب عليه حد الواجب وذلك على الله محال في صحيح المذاهب ومن قال بالوجوب لسبق العلم فقد خرج عن الحكم المعروف عند العلماء في الواجب وهو صحيح الحكم ثم قال تكليف ما لا يطاق جائز عقلا وقد عاينا ذلك مشاهدة وتقالا ثم قال من لم يخرج شيء على الحقيقة عن ملكه فلا يتصف بالجور والظلم فيما يجريه

من حكمه في ملكه ثم قال من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح وقد ثبت ذلك وصح التقيح والتحسين بالشرع والغرض من قال إن الحسن والقبح لذات الحسن والقبح فهو صاحب جهل عرض ثم قال إذا كان وجوب معرفة الله وغير ذلك من شرطه ارتباط الضرر بتركه في المستقبل فلا يصح الوجوب بالعقل لأنه لا يعقل ثم قال إذا كان العقل يستقل بنفسه في أمر وفي أمر لا يستقل فلا بد من موصل إليه مستقل فلم تستحل بعثة الرسل وأنهم أعلم الخلق بالغايات والسبل ثم قال لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق لانتقلت الحقائق وتبدلت القدرة بالعجز ولاستند الكذب إلى حضرة العز وهذا كله محال وغاية الضلال بما ثبت الواحد الأول يثبت الثاني في جميع الوجوه والمعاني

«الفصل الرابع في معرفة التخليص والترتيب باللسان اليميني»

ثم قام اليميني وقال من أفسد شيئاً بعد ما أنشأه جاز أن يعيده كما بدأه ثم قال إذا قامت اللطيفة الروحانية بجزء ما من الإنسان فقد صح عليه اسم الحيوان النائم يرى ما لا يراه اليقظان وهو إلى جانبه لاختلاف مذاهبه من قامت به الحياة جازت عليه اللذة والألم فما لك لا تلتزم ثم قال البدل من الشيء يقوم مقامه ويوجب له أحكامه ثم قال من قدر على إمساك الطير في الهواء وهي أجسام قدر على إمساك جميع الأجرام ثم قال قد كملت النشأة واجتمعت أطراف الدائرة قبل حلول الدائرة ثم قال إقامة الدين هو المطلوب ولا يصح إلا بالأمان فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان ثم قال إذا تكاملت الشرائط صح العقد ولزم العالم الوفاء بالعهد وهي الذكورية والبلوغ والعقل والعلم والحريّة والورع والنجدة والكفاية ونسب قريش وسلامة حاسة السمع والبصر وبهذا قال بعض أهل العلم والنظر ثم قال إذا تعارض إمامان فالعقد للاكثر اتباعه وإذا تعذر خلع إمام ناقص لتحقيق وقوع فساد شامل فإبقاء العقد له واجب ولا يجوز إرداعه قال الشاذي فوفى كل واحد من الأربعة ما اشترط وانتظم الوجود وارتبط

«وصل في اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر وكشف»

الحمد لله مخير العقول في نتائج الهمم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم «مسألة» أما بعد فإن للعقول حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة فنقول في الأمر الذي يستحيل عقلا قد لا يستحيل نسبة إلهية كما نقول فيما يجوز عقلا قد يستحيل نسبة إلهية «مسألة» أية مناسبة بين الحق الواجب الوجود بذاته وبين الممكن وإن كان واجبا به عند من يقول بذلك لاقتضاء الذات أو لاقتضاء العلم وما أخذها الفكرية إنما تقوم صحيحة من البراهين الوجودية ولا بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة إلى الدليل ونسبة إلى المدلول عليه بذلك الدليل ولولا ذلك الوجه ما وصل دال إلى مدلول دليله أبدا فلا يصح أن يجتمع الخلق والحق في وجه أبدا من حيث الذات لكن من حيث إن هذه الذات منوعة الألوهة فهذا حكم آخر تستقل العقول بإدراكه وكل ما يستقل العقل بإدراكه عندنا يمكن أن يتقدم العلم به على شهوده وذات الحق تعالى بائنة عن هذا الحكم فإن شهودها يتقدم على العلم بها بل تشهد ولا تعلم كما إن الألوهة تعلم ولا تشهد والذات تقابلها وكم من عاقل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء النظائر يقول إنه حصل على معرفة الذات من حيث

النظر الفكري وهو غايل في ذلك لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات فالإثبات راجع إليه فإنه ما أثبت للحق الناظر إلا ما هو الناظر عليه من كونه عالما قادرا مريدا إلى جميع الأسماء والسلب راجع إلى العدم والنفي والنفي لا يكون صفة ذاتية لأن الصفات الذاتية للموجودات إنما هي ثبوتية فما حصل لهذا المفكر المتردد بين الإثبات والسلب من العلم بالله شيء «مسألة» أنى للمقيد بمعرفة المطلق ذاته لا تقتضيه وكيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والذور والافتقار فلو جمع بين الواجب بذاته وبين الممكن وجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الذور والافتقار وهذا في حق الواجب محل فإثبات وجه جامع بين الواجب والممكن محل فإن وجوه الممكن تابعة له وهو في نفسه يجوز عليه العدم فتوابعه أحرى وأحق بهذا الحكم وثبت للممكن ما ثبت للواجب بالذات من ذلك الوجه الجامع وما ثم شيء ثبت للممكن من حيث ما هو ثابت للواجب بالذات فوجود وجه جامع بين الممكن والواجب بالذات محل «مسألة» لكني أقول إن للآلهة أحكاما وإن كانت حكما وفي صور هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة حيث كان فإنه قد اختلف في رؤية النبي ع ربه كما ذكر وقد جاء حديث النور الأعظم في رفرق الدر والياقوت وغير ذلك «مسألة» أقول بالحكم الإرادي لكني لا أقول بالاختيار فإن الخطاب بالاختيار الوارد إنما ورد من حيث النظر إلى الممكن معرئ عن علته و سببته «مسألة» فأقول بما أعطاه الكشف الاعتصامي إن الله كان ولا شيء معه إلى هنا انتهى لفظه وما أتى بعد هذا فهو مدرج فيه وهو قوالم وهو الآن على ما عليه كان يريدون في الحكم فالآن وكان أمران عائدان علينا إذ بنا ظهرا وأمثالهما وقد انتقت المناسبة والمقول عليه كان الله ولا شيء معه إنما هو الآلهة لا الذات وكل حكم يثبت في باب العلم الإلهي للذات إنما هو للآلهة وهي أحكام نسب وإضافات وسلوب فالكثرة في النسب لا في العين وهنا زلت أقدام من شرك بين من يقبل التشبيه وبين من لا يقبله عند كلامهم في الصفات واعتمدوا في ذلك على الأمور الجامعة التي هي الدليل والحقيقة والعلة والشرط وحكموا بها غائبا وشاهدا فأما شاهدا فقد يسلم وأما غائبا فغير مسلم «مسألة» بحر العماء برزخ بين الحق والخالق في هذا البحر اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا و اتصف الحق بالتعجب والتبشش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية فرد ماله وخذ مالك فله النزول ولنا المعراج «مسألة» من أردت الوصول إليه لم تصل إليه إلا به وبك بك من حيث طلبك وبه لأنه موضع قصدك فالآلهة تطلب ذلك والذات لا تطلبه «مسألة» المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى هو الآلهة بأحكامها ونسبها وإضافاتها وهي التي استدعت الآثار فإن قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدر صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال «مسألة» النعت الخاص الأخص التي انفردت به الآلهة كونها قادرة إذ لا قدرة لممكن أصلا وإنما له التمكين من قبول تعلق الأثر الإلهي به «مسألة» الكسب تعلق إرادة الممكن بفعل ما دون غيره فيوجده الاقتدار الإلهي عند هذا التعلق فسمى ذلك كسبا للممكن «مسألة» الجبر لا يصح عند المحقق لكونه ينافي صحة الفعل للعبد فإن الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الإباية من الممكن فالجماد ليس بمجبور لأنه لا يتصور منه فعل ولا له عقل عادي فالممكن ليس بمجبور لأنه لا يتصور منه فعل ولا له

عقل محقق مع ظهور الآثار منه «مسألة» الألوهة تقتضي أن يكون في العالم بلاء وعافية فليس إزالة المنتقم من الوجود بأولى من إزالة الغافر وذي العفو والمنعم لوبقي من الأسماء ما لا حكم له لكان معطلا والتعطيل في الألوهة محال فعدم أثر الأسماء محال «مسألة» المدرك والمدرك كل واحد منهما على ضربين مدرك يعلم وله قوة التخيل ومدرك يعلم وما له قوة التخيل والمدرك بفتح الراء على ضربين مدرك له صورة يعلمه بصورته من ليس له قوة التخيل ولا يتصوره ويعلمه ويتصوره من له قوة التخيل ومدرك ما له صورة يعلم فقط «مسألة» العلم ليس تصور المعلوم ولا هو المعنى الذي يتصور المعلوم فإنه ما كل معلوم يتصور ولا كل عالم يتصور فإن التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلا والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسخها الخيال و ثم معلومات لا يمسخها خيال أصلا فثبت أنها لا صورة لها «مسألة» لو صح الفعل من الممكن لصح أن يكون قادرا ولا فعل له فلا قدرة له فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان وكلامنا في هذا الفصل مع الأشاعرة المثبتين لها مع نفي الفعل عنها «مسألة» لا يصدر عن الواحد من كل وجه إلا واحد وهل ثم من هو على هذا الوصف أم لا في ذلك نظر للمنصف ألا ترى الأشاعرة ما جعلوا الإيجاد للحق إلا من كونه قادرا والاختصاص من كونه مريدا والأحكام من كونه عالما وكون الشيء مريدا ما هو عين كونه قادرا فليس قوهم بعد هذا إنه واحد من كل وجه صحيحا في التعلق العام وكيف وهم مشبو الصفات زائدة على الذات قائمة به تعالى وهكذا القائلون بالنسب والإضافات وكل فرقة من الفرق ما تخلصت لهم الوحدة من جميع الوجوه إلا أنهم بين ملزم من مذهبه القول بعدمها وبين قائل بها فإثبات الوحدة إنما ذلك في الألوهية أي لا إله إلا هو وذلك صحيح مدلول عليه «مسألة» كون الباري عالما حيا قادرا إلى سائر الصفات نسب وإضافات له لا أعيان زائدة لما يؤدي إلى نعتها بالنقص إذ الكامل بالزائد ناقص بالذات عن كماله بالزائد وهو كامل لذاته فالزائد بالذات على الذات محال وبالنسب والإضافة ليس بمحال وأما قول القائل لا هي هو ولا هي أغير له فكلام في غاية البعد فإنه قد دل صاحب هذا المذهب على إثبات الزائد وهو الغير بلا شك إلا أنه أنكر هذا الإطلاق لا غير ثم تحكم في الحد بأن قال الغيران هما اللذان يجوز مفارقة أحدهما الآخر مكانا وزمانا وجودا وعدما وليس هذا مجد للغيرين عند جميع العلماء به «مسألة» لا يؤثر تعدد التعلقات من المتعلق في كونه واحدا في نفسه كما لا يؤثر تقسيم المتكلم به في أحدية الكلام «مسألة» الصفات الذاتية للموصوف بها وإن تعددت فلا تدل على تعدد الموصوف في نفسه لكونها مجموع ذاته وإن كانت معقولة في التمييز بعضها من بعض «مسألة» كل صورة في العالم عرض في الجوهر وهي التي يقع عليها الخلع والسلخ والجوهر واحد . والقسمة في الصورة لا في الجوهر «مسألة» قول القائل إنما وجد عن المعلول الأول الكثرة وإن كان واحد الاعتبار ثلاثة وجدت فيه وهي علته ونفسه وإمكانه فنقول لهم ذلكم يلزمكم في العلة الأولى أعني وجود اعتبارات فيه وهو واحد فلم منعم أن لا يصدر عنه إلا واحد فأما إن تلتزموا صدور الكثرة عن العلة الأولى أو صدور واحد عن المعلول الأول وأتم غير قائلين بالأمرين «مسألة» من وجب له الكمال الذاتي والغني الذاتي لا يكون علة لشيء لأنه يؤدي كونه علة توقفه على المعلول والذات منزهة عن التوقف على شيء فكونها علة محال لكن الألوهة قد تقبل الإضافات فإن قيل إنما يطلق الإله على من هو كامل الذات غني

الذات لا يريد الإضافة ولا النسب قلنا لا مشاحة في اللفظ بخلاف العلة فإنها في أصل وضعها ومن معناها تستدعي معلولا فإن أريد بالعلة ما أراد هذا بالإله فمسلم ولا يبقى نزاع في هذا اللفظ إلا من جهة الشرع هل يمنع أو يبيح أو يسكت «مسألة» الألوهة مرتبة للذات لا يستحقها إلا الله فطلبت ما هو طلبها والمألوه يطلبها وهي تطلبه والذات غنية عن كل شيء فلو ظهر هذا السر الرابط لما ذكرنا لبطلت الألوهة ولم يبطل كمال الذات وظهر هنا بمعنى زال كما يقال ظهروا عن البلد أي ارتفعوا عنه وهو قول الإمام للالوهة سر لو ظهر لبطلت الألوهة «مسألة» العلم لا يتغير بتغير المعلوم لكن التعلق يتغير والتعلق نسبة إلى معلوم ما مثاله تعلق العلم بأن زيدا سيكون فكان فتعلق العلم بكونه كائنا في الحال وزال تعلق العلم باستئناف كونه ولا يلزم من تغير التعلق تغير العلم وكذلك لا يلزم من تغير المسموع والمرئي تغير الرؤية و السمع «مسألة» ثبت أن العلم لا يتغير فالمعلوم أيضا لا يتغير فإن معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محققين فالجسم معلوم لا يتغير أبدا و القيام معلوم لا يتغير ونسبة القيام للجسم هي المعلومة التي الحق بها التغيير والنسبة أيضا لا تتغير وهذه النسبة الشخصية أيضا لا تكون غير هذا الشخص فلا تتغير وما ثم معلوم أصلا سوى هذه الأربعة وهي الثلاثة الأمور المحققة النسبة والمنسوب والمنسوب إليه والنسبة الشخصية فإن قيل إنما الحقنا التغيير بالمنسوب إليه لكونه رأينا على حالة ما ثم رأينا على حالة أخرى قلنا لما نظرت المنسوب إليه أمرا ما لم تنظر إليه من حيث حقيقته فحقيقته غير متغيرة ولا من حيث ما هو منسوب إليه فتلك حقيقة لا تتغير أيضا وإنما نظرت إليه من حيث ما هو منسوب إليه حال ما فاذا ليس المعلوم الآخر هو المنسوب إليه تلك الحالة التي قلت إنها زالت فإنها لا تغارق منسوبها وإنما هذا منسوب آخر إليه نسبة أخرى فاذا لا يتغير علم ولا معلوم وإنما العلم له تعلقات بالمعلومات أو تعلق بالمعلومات كيف شئت «مسألة» ليس شيء من العلم التصوري مكتسبا بالنظر الفكري فالمعلوم المكتسبة ليس إلا نسبة معلوم تصوري إلى معلوم تصوري والنسبة المطلقة أيضا من العلم التصوري فإذا نسبت الأكتساب إلى العلم التصوري فليس ذلك إلا من كونك تسمع لفظا قد اصطاحت عليه طائفة ما المعنى ما يعرفه كل أحد لكن لا يعرف كل أحد أن ذلك اللفظ يدل عليه فلذلك يسأل عن المعنى الذي أطلق عليه هذا اللفظ أي معنى هو في عينه له المسئول بما يعرفه فلو لم يكن عند السائل العلم بذلك المعنى من حيث معنويته والدلالة التي توصل بها إلى معرفة مراد ذلك الشخص بذلك الاصطلاح لذلك المعنى ما قبله وما عرف ما يقول فلا بد أن تكون المعاني كلها مركوزة في النفس ثم تنكشف له مع الأناة حالا بعد حال وصف العلم بالإحاطة للمعلومات يقضي بتناهيها والتناهي فيها محال فالإحاطة محال لكن يقال العلم محيط بحقيقة كل معلوم وإلا فليس معلوما بطريق الإحاطة فإنه من علم أمرا من وجه ما لا من جميع الوجوه فما أحاط به «مسألة» رؤية البصيرة علم و رؤية البصر طريق حصول علم فكأن الإله سمعنا بصيرا تعلق تفصيلي فهما حكمان للعلم وقعت التثنية من أجل المتعلق الذي هو المسموع والمبصر «مسألة» الأزل نعت سلمي وهو نفي الأولية فإذا قلنا أول في حق الألوهة فليس إلا المرتبة «مسألة» دلت الأشاعرة على حدوث كل ما سوى الله بمجذوث المتحيزات و حدوث أعراضها و هذا لا يصح حتى يقيموا الدليل على حصر كل ما سوى الله تعالى فيما ذكروه ونحن نسلم حدوث ما ذكرناه «مسألة» كل موجود

قائم بنفسه غير متحيز و هو ممكن لا تجري مع وجوده الأزمنة و لا تطلبه الأمكنة «مسألة» دلالة الأشعري في الممكن الأول إنه يجوز تقدمه على زمان وجوده وتأخره عنه و الزمان عنده في هذه المسألة مقدر لا موجود فالاختصاص دليل على المخصص فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان فبطل أن يكون هذا دليلا فلو قال نسبة الممكنات إلى الوجود أو نسبة الوجود إلى الممكنات نسبة واحدة من حيث ما هي نسبة لا من حيث ما هو ممكن فاخصاص بعض الممكنات بالوجود دون غيره من الممكنات دليل على إن لها مخصصا فهذا هو عين حدوث كل ما سوى الله «مسألة» قول القائل إن الزمان مدة متوهمة تقطعها حركة الفلك خلف من الكلام لأن المتوهم ليس بوجود محقق و هم ينكرون على الأشاعرة تقدير الزمان في الممكن الأول فحركات الفلك تقطع في لا شيء فإن قال الآخر إن الزمان حركة الفلك و الفلك متحيز فلا تقطع الحركة إلا في متحيز «مسألة» عجبت من طائفتين كبيرتين الأشاعرة و الجسمة في غلطهم في اللفظ المشترك كيف جعلوه للتشبيه و لا يكون التشبيه إلا بلفظه المثل أو كاف الصفة بين الأمرين في اللسان و هذا عزيز الوجود في كل ما جعلاه تشبيها من آية أو خبر ثم إن الأشاعرة تحيلت أنها لما تأولت قد خرجت من التشبيه و هي ما فارقت إلا أنها انتقلت من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني الحديثة المفارقة للنعوت القديمة في الحقيقة و الحد فما انتقلوا من التشبيه بالحدوث أصلا و لو قلنا بقولهم لم تعدل مثلا من الاستواء الذي هو الاستقرار إلى الاستواء الذي هو الاستيلاء كما عدلوا و لا سيما و العرش مذكور في نسبة هذا الاستواء و يبطل معنى الاستيلاء مع ذكر السرير و يستحيل صرفه إلى معنى آخر بنا في الاستقرار فكنت أقول إن التشبيه مثلا إنما وقع بالاستواء و الاستواء معنى لا بالمستوى عليه الذي هو الجسم و الاستواء حقيقة معقولة معنوية تسبب إلى كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات و لا حاجة لنا إلى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره فهذا غلط بين لا خفاء به و أما الجسمة فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد إلى أحد محتملاته مع إيمانهم و وقوفهم مع قوله تعالى ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «مسألة» كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يريدنا لكن قضاها و قدرها بيان كونه لا يريدنا لأن كونها فاحشة ليس عينها بل هو حكم الله فيها و حكم الله في الأشياء غير مخلوق و ما لم يجز عليه الخالق لا يكون مرادا فإن الزمناه في الطاعة التزمناه و قلنا الإرادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فأثبتوها فأثبتوها في الفحشاء و نحن قبلناها إيمانا كما قبلنا وزن الأعمال و صورها مع كونها أعراضا فلا يقدر ذلك فيما ذهبنا إليه لما اقتضاه الدليل «مسألة» العدم للممكن المتقدم بالحكم على وجوده ليس بمراد لكن العدم الذي يقارنه حكما حال وجوده أن لو لم يكن الوجود لكان ذلك العدم منسحبا عليه هو مراد حال وجود الممكن لجواز استصحاب العدم له و عدم الممكن الذي ليس بمراد هو الذي في مقابلة وجود الواجب لذاته لأن مرتبة الوجود المطلق تقابل العدم المطلق الذي للممكن إذ ليس له جواز وجود في هذه المرتبة و هذا في وجود الأوهة لا غير «مسألة» لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس باله فإن لم يكن فمن طريق السمع لا غير «مسألة» كون المخصص مريد الوجود ممكن ما ليس تخصيصه لوجوده من حيث هو وجود لكن من حيث نسبته لممكن ما تجوز نسبته لممكن آخر فالوجود من حيث الممكن مطلقا لا من حيث ممكن ما ليس بمراد و لا بواقع أصلا إلا بممكن ما و إذا كان بممكن ما فليس هو بمراد من حيث هو لكن من

حيث نسبه لممكن ما لا غير «مسألة» دل الدليل على ثبوت السبب المخصص ودل الدليل مثلاً على التوقيف فيما ينسب إلى هذا المخصص من نفي أو إثبات كما قال لنا بعض النظار في كلام جرى بيني وبينه فكنا نقف كما زعم لكن دل الدليل على ثبوت الرسول من جانب المرسل فأخذنا النسب الإلهية من الرسول فحكمتنا بأنه كذا وليس كذا فكيف والدليل الواضح على وجوده وأن وجوده عين ذاته وليس بعله لذاته لثبوت الافتقار إلى الغير وهو الكامل بكل وجه فهو موجود ووجوده عين ذاته لا غيرها «مسألة» افتقار الممكن للواجب بالذات والاستغناء الذاتي للواجب دون الممكن يسمى إلهاً وتعلقها بنفسها ومحقق كل محقق وجوداً كان أو عدماً يسمى علماً تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختياراً تعلقها بالممكن من حيث تقدم العلم قبل كون الممكن يسمى مشيئة تعلقها بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعيين يسمى إرادة تعلقها بإيجاد الكون يسمى قدرة تعلقها بأسماع المكون لكونه يسمى أمراً وهو على نوعين بواسطة وبلا واسطة فبارتفاع الوسائط لا بد من نفوذ الأمر وبالواسطة لا يلزم النفوذ وليس بأمر في عين الحقيقة إذ لا يقف لأمر الله شيء تعلقها بأسماع المكون لصفه عن كونه أو كون ما يمكن أن يصدر منه يسمى نهياً وصورته في التقسيم صورة الأمر تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو ما في النفس يسمى أخباراً فإن تعلقت بالكون على طريق أي شيء يسمى استقفاً ما فإن تعلقت به على جهة النزول إليه بصيغة الأمر يسمى دعاءً ومن باب تعلق الأمر إلى هذا يسمى كلاماً تعلقها بالكلام من غير اشتراط العلم به يسمى سمعاً فإن تعلقت وتبع التعلق الفهم بالمسموع يسمى فهماً تعلقها بكيفية النور وما يحمله من المراتب يسمى بصراً ورؤية تعلقها بإدراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها إلا به يسمى حياة والعين في ذلك كله واحدة تعددت التعلقات لحقائق المتعلقات والأسماء للمسميات «مسألة» للعقل نور يدرك به أمور مخصوصة والإيمان نور به يدرك كل شيء ما لم يقم مانع فبنور العقل تصل إلى معرفة الألوهية ما يجب لها ويستحيل وما يجوز منها فلا يستحيل ولا يجب وبنور الإيمان يدرك العقل معرفة الذات وما نسب الحق إلى نفسه من النعوت «مسألة» لا يمكن عندنا معرفة كيفية ما ينسب إلى الذوات من الأحكام إلا بعد معرفة الذوات المنسوبة والمنسوب إليها وحينئذ تعرف كيفية النسبة المخصوصة لتلك الذات المخصوصة كالاستواء والمعية واليد والعين وغير ذلك «مسألة» الأعيان لا تنقلب والحقائق لا تبدل فالنار تحرق بحقيقتها لا بصورتها فقله تعالى يا نارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا خُطَابٌ للصورة وهي الجمرات وأجرام الجمرات محرقة بالنار فلما قام النار بها سميت ناراً فتقبل البرد كما قبلت الحرارة «مسألة» البقاء استمرار الوجود مثلاً على الباقي لا غير ليس بصفة زائدة فيحتاج إلى بقاء ويتسلسل إلا على مذهب الأشاعرة في الحدث فإن البقاء عرض فلا يحتاج إلى بقاء وإنما ذلك في بقاء الحق تعالى «مسألة» الكلام من حيث ما هو كلام واحد والقسم في المتكلم به لا في الكلام فالأمر والنهي والخبر والاستخبار والطلب واحد في الكلام «مسألة» الاختلاف في الاسم والمسمى والتسمية اختلاف في اللفظ فأما قول من قال تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ وَسَبَّحَ اسْمُ رَبِّكَ فَكأنه يفتخر بالسفر بالمصحف إلى أرض العدو وأما القول في الحجبة بأسماء سَمِيحُهَا عَلَى إِنْ اسْمُهَا هُوَ الْمَسْمُومُ فَالْمَعْبُودُ الْأَشْخَاصُ فَالنَّسَبُ الْأَوْهِيَةُ عَبْدُوا

فلا حجة في إن الاسم هو المسمى ولو كان لكان بحكم اللغة والوضع لا بحكم المعنى «مسألة» وجود الممكنات لكمال مراتب الوجود الذاتي والعرفاني لا غير «مسألة» كل ممكن منحصر في أحد قسمين في سر أو تجل فقد وجد الممكن على أقصى غاياته وأكملها فلا أكمل منه ولو كان الأكمل لا يتناهى لما تصور خلق الكمال وقد وجد مطابقاً للحضرة الكمالية فقد كمل «مسألة» المعلومات منحصرة من حيث ما تدرك به في حس ظاهر و باطن وهو الإدراك النفسي و بديهية و ما تركب من ذلك عقلا إن كان معنى و خيالا إن كان صورة فالخيال لا يركب إلا في الصور خاصة فالعقل يعقل ما يركب الخيال و ليس في قوة الخيال أن يصور بعض ما يركبه العقل و للاقتدار الإلهي سر خارج عن هذا كله يقف عنده «مسألة» الحسن و القبح ذاتي للحسن و القبيح لكن منه ما يدرك حسنه و قبحه بالنظر إلى كمال أو نقص أو غرض أو ملاءمة طبع أو منافرة أو وضع و منه ما لا يدرك قبحه و لا حسنه إلا من جانب الحق الذي هو الشرع فنقول هذا قبيح و هذا حسن و هذا من الشرع خبر لا حكم و لهذا نقول بشرط الزمان و الحال و الشخص و إنما شرطنا هذا من أجل من يقول في القتل ابتداء أو قودا أو حدا و في إيلاج الذكر في الفرج سفاحا و نكاحا فمن حيث هو إيلاج واحد لسنا نقول كذلك فإن الزمان مختلف و لوازم النكاح غير موجودة في السفاح و زمان تحليل الشيء ليس زمان تحريمه أن لو كان عين المحرم و واحدا فالحركة من زيد في زمان ما ليس هي الحركة منه في الزمان الآخر و لا الحركة التي من عمر و هي الحركة التي من زيد فالقبيح لا يكون حسنا أبدا لأن تلك الحركة الموصوفة بالحسن أو القبح لا تعود أبدا فقد علم الحق ما كان حسنا و ما كان قبيحا و نحن لا نعلم ثم إنه لا يلزم من الشيء إذا كان قبيحا أن يكون أثره قبيحا قد يكون أثره حسنا و الحسن أيضا كذلك قد يكون أثره قبيحا كحسن الصدق و في مواضع يكون أثره قبيحا و كقبح الكذب و في مواضع يكون أثره حسنا فتحقق ما نهنئك عليه تجد الحق «مسألة» لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فعلى هذا لا يصح قول الحلولي لو كان الله في شيء كما كان في عيسى لأحيا الموتى «مسألة» لا يلزم الراضي بالقضاء الرضي بالمقضي فالقضاء حكم الله و هو الذي أمرنا بالرضى به و المقضي المحكوم به فلا يلزمنا الرضي به «مسألة» إن أريد بالاختراع حدوث المعنى المخترع في نفس المخترع و هو حقيقة الاختراع فذلك على الله محال و إن أريد بالاختراع حدوث المخترع على غير مثال سبقه في الوجود الذي ظهر فيه فقد يوصف الحق على هذا بالاختراع «مسألة» ارتباط العالم بالله ارتباط ممكن بواجب و مصنوع بصانع فليس للعالم في الأزل مرتبة فإنها مرتبة الواجب بالذات فهو الله و لا شيء معه سواء كان العالم موجودا أو معدوما فمن توهم بين الله و العالم بونا يقدر تقدم وجود الممكن فيه و تأخره فهو توهم باطل لا حقيقة له فلهذا نزعنا في الدلالة على حدوث العالم خلاف ما نزعنا إليه الأشاعرة و قد ذكرناه في هذا التعليق «مسألة» لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم و لا مثاله و إنما العلم يتعلق بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه في حيثيتها وجودا و عدا ما فتقول القائل إن بعض المعلومات له في الوجود أربع مراتب ذهني و عيني و لفظي و خطي فإن أراد بالذهن العلم بغير مسلم و إن أراد بالذهن الخيال فمسلم لكن في كل معلوم يتخيل خاصة و في كل عالم يتخيل و لكن لا يصح هذا إلا في الذهني خاصة لأنه يطابق العين في الصورة و اللفظي و الخطي ليس كذلك فإن اللفظ و الخط موضوعان

للدلالة والتفهم فلا يتنزل من حيث الصورة على الصورة فإن زيدا اللفظي والخطي إنما هو زاي وياء ودال رقما أو لفظا ما له يمين ولا شمال ولا جهات ولا عين ولا سمع فلماذا لا يتنزل عليه من حيث الصورة لكن من حيث الدلالة ولذلك إذا وقعت فيه المشاركة التي تبطل الدلالة افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان ولا يدخل في الذهني مشاركة أصلا فافهم «مسألة» كنا حصرنا في كتاب المعرفة الأول ما للعقل من وجوه المعارف في العالم ولم ننبه من أين حصل لنا ذلك الحصر فاعلم إن للعقل ثلاثمائة وستين وجها يقابل كل وجه من جناب الحق العزيز ثلاثمائة وستين وجها يمده كل وجه منها بعلم لا يعطيه الوجه الآخر فإذا ضربت وجوه العقل في وجوه الأخذ فالخارج من ذلك هي العلوم التي للعقل المسطرة في اللوح المحفوظ الذي هو النفس وهذا الذي ذكرناه كشفا إلهيا لا يحيله دليل عقل فيلتقى تسليما من قائله أعني هذا كما تلقى من القائل الحكيم الثلاثة الاعتبار التي للعقل الأول من غير دليل لكن مصادرة فهذا أول من ذلك فإن الحكيم يدعي في ذلك النظر فيدخل عليه بما قد ذكرناه في عيون المسائل في مسألة الدرّة البيضاء الذي هو العقل الأول وهذا الذي ذكرناه لا يلزم عليه دخل فإننا ما ادعينا نظرا وإنما ادعينا تعريفا فغاية المنكر أن يقول للقائل تكذب ليس له غير ذلك كما يقول له المؤمن به صدقت فهذا فرقان بيننا وبين القائلين بالاعتبارات الثلاثة وباللّه التوفيق «مسألة» ما من ممكن من عالم الخلق إلا وله وجهان وجه إلى سببه ووجه إلى الله تعالى فكل حجاب و ظلمة تطرأ عليه فمن سببه وكل نور وكشف فمن جانب حقه وكل ممكن من عالم الأمر فلا يتصور في حقه حجاب لأنه ليس له إلا وجه واحد فهو النور المحض **أَللّٰهُ الدِّينُ الخَالِصُ** «مسألة» دل الدليل العقلي على إن الإيجاد متعلق القدرة وقال الحق عن نفسه إن الوجود يقع عن الأمر الإلهي فقال **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** فلا بد أن ننظر في متعلق الأمر ما هو متعلق القدرة حتى أجمع بين السمع والعقل فنقول الامتثال قد وقع بقوله فيكون والمأمور به إنما هو الوجود فتعلقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود وتعلقت القدرة بالممكن فأثرت فيه الإيجاد وهي حالة معقولة بين العدم والوجود فتعلق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصصة بأن تكون فامتثلت فكانت فلو لا ما كان للممكن عين ولا وصف لها بالوجود يتوجه على تلك العين الأمر بالوجود لما وقع الوجود والقائل بتهيؤ المراد في شرح كنه غير مصيب «مسألة» معقولة الأولية للواجب الوجود بالغير نسبة سلبية عن وجود كون الوجوب المطلق فهو أول لكل مقيد إذ يستحيل أن يكون له هناك قدم لأنه لا يجلو أن يكون بحيث الوجوب المطلق فيكون إما هو نفسه وهو محال وإما قائما به وهو محال لوجوه منها إنه قائم بنفسه ومنها ما يلزم للواجب المطلق لو قام به هذا من الاقتدار فيكون إما مقوما لذاته وهو محال أو مقوما لمرتبه وهو محال «مسألة» معقولة الأولية للواجب المطلق نسبة وضعية لا يعقل لها العقل سوى استناد الممكن إليه فيكون أولا بهذا الاعتبار ولو قدر أن لا وجود لممكن قوة وفعلا لانتفت النسبة الأولية إذ لا تجد متعلقا «مسألة» أعلم الممكنات لا يعلم موجدة إلا من حيث هو فنفسه علم ومن هو موجود عنه غير ذلك لا يصح لأن العلم بالشيء يؤذن بالإحاطة به والفراغ منه وهذا في ذلك الجناب محال فالعلم به محال ولا يصح أن يعلم منه لأنه لا يتبعض فلم يبق العلم إلا بما يكون منه وما يكون منه هو أنت فأنت المعلوم فإن قيل علمنا بليس هو كذا علم به قلنا نعتك جردته عنها لما يقتضيه الدليل من نفي

المشاركة فتميزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة لنفسها ما هي تميزت لك لعدم الصفات الثبوتية التي لها في نفسها فافهم ما علمت وقل رب زدني علما لو علمته لم يكن هو ولو جهلك لم تكن أنت فبعلمه أوجدك وبعجزك عبده فهو هو لولاك وأنت أنت لأنت وله فأنت مرتبط به ما هو مرتبط بك الدائرة مطلقة مرتبطة بالنقطة النقطة مطلقة ليست مرتبطة بالدائرة نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة كذلك الذات مطلقة ليست مرتبطة بك الوهية الذات مرتبطة بالمألوه كنقطة الدائرة «مسألة» متعلق رؤيتنا الحق ذاته سبحانه و متعلق علمنا به إثباته إلها بالإضافة والسلوب فاختلف المتعلق فلا يقال في الرؤية إنها مزيد وضوح في العلم لاختلاف المتعلق وإن كان وجوده عين ماهيته فلاننكر أن معقولة الذات غير معقولة كونها موجودة «مسألة» إن العدم هو الشر المحض لم يعقل بعض الناس حقيقة هذا الكلام لعموضه و هو قول المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين لكن أطلقوا هذه اللفظ و لم يوضحوا معناها و قد قال لنا بعض سفراء الحق في منازلتي في الظلمة والنور إن الخير في الوجود والشر في العدم في كلام طويل علمنا إن الحق تعالى له إطلاق الوجود من غير تقييد وهو الخير المحض الذي لا شر فيه فيقال به إطلاق العدم الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه فهذا هو معنى قولهم إن العدم هو الشر المحض «مسألة» لا يقال من جهة الحقيقة إن الله جازئ أن يوجد أمرا ما و جازئ أن لا يوجده فإن فعله للأشياء ليس بممكن بالنظر إليه ولا بإيجاب موجب ولكن يقال ذلك الأمر جازئ أن يوجد و جازئ أن لا يوجد فيفتقر إلى مرجح وهو الله تعالى وقد تقضينا الشريعة فما رأينا فيها ما يناقض ما قلناه فالذي تقول في الحق إنه تعالى يجب له كذا ويستحيل عليه كذا ولا نقول يجوز عليه كذا فهذه عقيدة أهل الاختصاص من أهل الله وأما عقيدة خلاصة الخاصة في الله تعالى فأمر فوق هذا جعلناه مبددا في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن إدراكه لعدم تجريدتها و قد انتهت مقدمة الكتاب وهي عليه كالعلامة فمن شاء كتبها فيه ومن شاء تركها وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثالث والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الأول) في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب وما كان بيني وبينه من الأسرار فمن ذلك نظم

وهو عن درك سرنا مكهوف	قلت عند الطواف كيف أطوف
قيل أنت الخير المتلوف	جلمد غير عاقل حركاتي
لقلوب تطهرت مكشوف	انظر البيت نوره يتلألأ
فبدا سره العلي المنيف	نظرته بالله دون حجاب
قمر الصدق ما اعتراه خسوف	و تجلى لها من أفق جلابي
قلت فيه مدله ملهوف	لو رأيت الولي حين يراه
أي سر لو أنه معروف	يلثم السر في سواد يميني

عند قوم و عند قوم لطيف
 إنما يعرف الشريف الشريف
 جهلت ذاته فقيل كئيف
 قال لي حين قلت لم جهلوه
 فتولاهم الرحيم الرؤوف
 عرفوه فلازموه زمانا
 واستقاموا فما يرى قط فيهم
 عن طواف بذاته تحريف
 بأمان ما عنده تحويف
 قم فبشر عني مجاور بيتي
 أو يعيشوا فالثوب منهم نظيف
 إن أمتهم فرحتهم بلقائي

اعلم أيها الولي الحميم والصفى الكريم أنني لما وصلت إلى مكة البركات ومعدن السككات الروحانية والحركات وكان من شأنني فيه ما كان طفت بيته العتيق في بعض الأحيان فبينما أنا أطوف مسبحا ومجدا ومكبرا ومهللا تارة ألثم واستلم وتارة للملتزم التزم إذ لقيت وأنا عند الحجر الأسود باهت الفتى الفائت المتكلم الصامت الذي ليس بجي ولا مائت المركب البسيط المحاط المحيط فعند ما أبصرته يطوف بالبيت طواف الحي بالميت عرفت حقيقته ومجازه وعلمت إن الطواف بالبيت كالصلاة على الجنائز وأنشدت الفتى المذكور ما تسمعه من الأبيات عند ما رأيت الحي طائفا بالأموات شعر

شخص لهم سر الشريعة غيبي
 وهم كحل عين الكشف ما هم به عمى
 و لما رأيت البيت طافت بذاته
 و طاف به قوم هم الشرع والحجا
 عزيز وحيد الدهر ما مثله شيء
 تعجبت من ميت يطوف به حي
 و ليس من الأملاك بل هو أنسي
 تجلى لنا من نور ذات مجله
 لدى الكشف والتحقيق حي ومرئي
 تيقنت أن الأمر غيب و أنه

قلت فعند ما وقعت مني هذه الأبيات وألحقت بيته المكرم من جهة ما بجانب الأموات خطفني مني خطفة قاهر وقال لي قوله رادع زاجر انظر إلى سر البيت قبل الفوت تجده زاهايا بالمطيفين والطائفين بأحجاره ناظرا إليهم من خلف حجبه وأستاره فرأيت يزهو كما قال فأفصحته له في المقال وأنشدته في عالم المثال على الارتجال

و ما الزهو إلا من حكيم له صنع
 و ليس له عقل و ليس له سمع
 أرى البيت يزهو بالمطيفين حوله
 وهذا جماد لا يحس ولا يرى
 فقال شخيص هذه طاعة لنا
 قد أثبتنا طول الحياة لنا الشرع

مقالة من أبدى له الحكمة الوضع	فقلت له هذا بلاغك فاستمع
و ليس له ضرر و ليس له نفع	رأيت جمادا لا حياة بذاته
إذا لم يكن بالعين ضعف ولا صدع	ولكن لعين القلب فيه مناظر
فليس لمخلوق على حملة وسع	يراه عزيزا إن تجلّى بذاته
فمني العطاء الجزل والقبض والمنع	فكنت أبا حفص وكت علينا

(وصل) ثم إنه أطلعني على منزلة ذلك الفتى ونزاهته عن أين ومتى فلما عرفت منزلته وإنزاله وعانيت مكاتته من الوجود وأحواله قبلت يمينه ومسحت من عرق الوحي جبينه وقلت له انظر من طالب مجالستك وراغب في مؤانستك فأشار إلى إيماء ولغز إنه فطر على أن لا يكلم أحدا إلا رمزا وإن رمزي إذا علمته وتحققته وفهمته علمت أنه لا تدركه فصاحة الفصحاء ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء فقلت له يا أيها البشير وهذا خير كثير عرفني باصطلاحك وأوقفني على كيفية حركات مفاتيح فإني أريد مسامرتك وأحب مصاهرتك فإن عندك الكفو والنظير وهو النازل بذاتك والأمير ولولا ما كانت لك حقيقة ظاهرة ما تطلعت إليه وجوه ناضرة ناظرة فأشار فعلمت وجلّى لي حقيقة جماله فهيمت فسقط في يدي وغلبني في الحين علي فعند ما أفقت من الغشية وأرعدت فرائصي من الخشية علم أن العلم به قد حصل وألقى عصا سيره ونزل فتلا حاله على ما جاءت به الأنباء وتنزلت به الملائكة الأمانة إِمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فجعلها دليلا و اتخذها إلى معرفة العلم الحاصل به سبيلا فقلت له أطلعني على بعض أسرارك حتى أكون من جملة أحبارك فقال انظر في تفاصيل نشأتي وفي ترتيب هياتي تجد ما سألتني عنه في مرقوما فإني لا أكون مكلما ولا كليما فليس علمي بسواي وليست ذاتي مغايرة لأسمائي فأنا العلم والمعلوم والعليم وأنا الحكمة والحكم والحكيم ثم قال لي طف على أثري وانظر إلي بنور قمري حتى تأخذ من نشأتي ما تسطره في كتابك و تلميه على كتابك و عرفني ما أشهدك الحق في طوافك من اللطائف مما لا يشهده كل طائف حتى أعرف همتك ومعناك فأذكرك على ما علمت منك هناك فقلت أنا أعرفك أيها الشاهد المشهود ببعض ما أشهدني من أسرار الوجود المترفلات في غلالل النور والمتحدات العين من وراء الستور التي أنشأها الحق حجابا مرفوعا وسماء موضوعا والفعل إلى الذات لطيف ولعدم دركه على شريف

و فعله أطف من وصفه	فوصفه أطف من ذاته
أودع معنى الشيء في حرفه	و أودع الكل بذاتي كما
يطلب ذات المسك من عرفه	فالخلق مطلوب لمعنى كما

ولولا ما أودع في ما اقتضته حقيقي ووصلت إليه طريقي لم أجد لمشربه نيلا ولا إلى معرفته ميلا ولذلك أعود علي عند النهاية ولهذا يرجع فخذ البركار في فتح الدائرة عند الوصول إلى غاية وجودها إلى نقطة البداية فارتبط آخر الأمر بأوله وانعطف أبده على أزاله فليس إلا وجود

مستمر وشهود ثابت مستقر وإنما طال الطريق من أجل رؤية المخلوق فلو صرف العبد وجهه إلى الذي يليه من غير أن يحل فيه لنظر إلى السالكين إذا وصلوا بعين بس و الله ما فعلوا ولو عرفوا من مكانهم ما انتقلوا لكن حجبوا بشفعية الحقائق عن تربية الحق الخالق الذي خلق الله به الأرض والطرائق فنظروا مدارج الأسماء و طلبوا معارج الإسراء و تخيلوها أعظم منزلة تطلب وأسنى حالة يقصد الحق تعالى فيها و يرغب فسير بهم على براق الصدق و رفارفه و حققهم بما عاينوه من آياته و لطائفه و ذلك لما كانت النظرة شمالية و كانت الفطرة على النشأة الكمالية تقابل بوجهها في أصل الوضع نقطة الدائرة فشطر مهجتها من الجانب الأيمن منقبة و من الجانب الغربي سافرة فلو سفرت عن اليمين لنالت من أول طرفتها مقام التمكين في مشاهدة التعيين و يا عجباً لمن هو في أعلى عليين و يتخيل أنه في أسفل سافلين أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فشماها يمين مديرها و وقوفها في موضعها الذي وجدت فيه غاية مسيرها فإذا ثبت عند العاقل ما أشرت إليه و صح و علم إن إليه المرجع فمن موقفه لم يبرح لكن يتخيل المسكين القرع و الفتح و يقول و هل في مقابلة الضيق و الحرج إلا السعة و الشرح ثم يتلو ذلك قرآناً على الخصماء فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ فَكَمَا إِنْ الشَّرْحُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الضَّيْقِ كَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ سَلُوكِ الطَّرِيقِ وَ غفل المسكين عن تحصيل ما حصل له بالإلهام بما لا يحصل إلا بالفكر و الدليل عند أهل النهي و الأفهام و لقد صدق فيما قال فإنه ناظر بعين الشمال فسلموا له حاله و ثبتوا له محاله و وضعوا منه محاله و قولوا له عليك بالاستعانة إن أردت الوصول إلى ما منه خرجت لا محالة و استروا عنه مقام المجاورة و عظموا له أجر التزاور و المزاورة و الموازنة فسيحزن عند الوصول إلى ما منه سار و سيفرح بما حصل في طريقه من الأسرار و صار و لولا ما طلب الرسول صلى الله عليه و سلم بالمعارج ما رحل و لا صعد إلى السماء و لا نزل و كان يأتيه شأن الملا الأعلى و آيات ربه في موضعه كما زويت له الأرض و هو في مضجعه و لكنه سره لي ليكرهه من شاء لأنه لا يعطيه الإنشاء و يؤمن به من شاء لأنه جامع للأشياء فعند ما أتيت على هذا العلم الذي لا يبلغه العقل وحده و لا يحصله على الاستيفاء الفهم قال لقد أسمعني سرا غريباً و كشفت لي معنى عجبياً ما سمعته من ولي قبلك و لا رأيت أحداً تمت له هذه الحقائق مثلك على أنها عندي معلومة و هي بذاتي مرقومة سبب ذلك عند رفع ستاراتي و اطلاعك على إشاراتي و لكن أخبرني ما أشهدك عند ما أنزلك بحرمه و أطلعك على حرمه «مشاهدة مشهد البيعة الإلهية» قلت اعلم يا فصيحاً لا يتكلم و سائلاً عما يعلم لما وصلت إليه من الإيمان و نزلت عليه في حضرة الإحسان أنزلني في حرمه و أطلعني على حرمه و قال إنما أكثرت المناسك رغبة في التماسك فإن لم تجدني هنا و جدتني هنا و إن احتجبت عنك في جمع تجليت لك في منى مع أني قد أعلمتك في غير ما موقف من موافك و أشرت به إليك غير مرة في بعض لطائفك إني و إن احتجبت فهو تجل لا يعرفه كل عارف إلا من أحاط علماً بما أحطت به من المعارف ألا تراني أتجلي لهم في القيامة في غير الصورة التي يعرفونها و العلامة فينكرون ربوبيتي و منها يعوذون و بها يتعوذون و لكن لا يشعرون و لكنهم يقولون لذلك المنجلي نعوذ بالله منك و ها نحن لربنا منتظرون فحينئذ أخرج عليهم في الصورة التي لديهم فيقرون لي بالربوبية و على أنفسهم

بالعبودية فهم لعلامتهم عابدون وللصورة التي تقررت عندهم مشاهدون فمن قال منهم إنه عبدني فقله زور وقد باهتني وكيف يصح منه ذلك وعند ما تجليت له أنكربي فمن قيدني بصورة دون صورة فتحيله عبد وهو الحقيقة الممكنة في قلبه المستورة فهو يتخيل أنه يعبدني وهو يجحدني والعارفون ليس في الإمكان خفائي عن أبصارهم لأنهم غابوا عن الخلق وعن أسرارهم فلا يظهر لهم عندهم سوائي ولا يعقلون من الموجودات سوى أسمائي فكل شيء ظهر لهم وتجلي قالوا أنت المسيح الأعلى فليسوا سواء فالناس بين غائب وشاهد وكلاهما عندهم شيء واحد فلما سمعت كلامه وفهمت إشارته وإعلامه جذبني غيور إليه وأوقفني بين يديه (محادثات التعليم والأطاف بسر الكعبة من الوجود والطواف) ومد اليمين فقبلتها ووصلتني الصورة التي تعشقها فتحول لي في صورة الحياة فتحولت له في صورة الممات فطلبت الصورة تباع الصورة فقالت لها لم تحسني السيرة وقبضت يمينها عنها وقالت لها ما عرفت لها في عالم الشهادة كنها ثم تحول لي في صورة البصر فتحولت له في صورة من عمي عن النظر وذلك بعد انتضاء شوط وتخييل نقض شرط فطلبت الصورة تباع الصورة فقالت لها مثل المقالة المذكورة ثم تحول لي في صورة العلم الأعم فتحولت له في صورة الجهل الأتم فطلبت الصورة تباع الصورة فقالت لها المقالة المشهورة ثم تحول لي في صورة سماع النداء فتحولت له في صورة الصمم عن الدعاء فطلبت الصورة تباع الصورة فأسدل الحق بينهما ستوره ثم تحول لي في صورة الخطاب فتحولت له في صورة الخرس عن الجواب فطلبت الصورة تباع الصورة فأرسل الحق بينهما رقوم اللوح وسطوره ثم تحول لي في صورة الإرادة فتحولت له في صورة قصور الحقيقة والعادة فطلبت الصورة تباع الصورة فأفاض الحق بينهما ضياءه ونوره ثم تحول لي في صورة القدرة والطاقة فتحولت له في صورة العجز والفاقة فطلبت الصورة تباع الصورة فأبدى الحق للعبد تقصيره فقلت لما رأيت ذلك الإعراض وما حصل لي تمام الآمال والأغراض لم أبيت علي ولم تف بعهدي فقال لي أنت أبيت على نفسك يا عبدني لو قبلت الحجر في كل شوط أيها الطائف لقبلت يميني هنا في هذه الصور اللطائف فإن بيتي هناك بمنزلة الذات وأشواط الطواف بمنزلة السبع الصفات صفات الكمال لا صفات الجلال لأنها صفات الاتصال بك والانفصال فسبعة أشواط لسبع صفات وبيت قائم يدل على ذات غير أنني أنزلته في فرشي وقلت للعامة هذا عندكم بمنزلة عرشني وخليفتي في الأرض هو المستوي عليه والمحتوي فانظر إلى الملك معك طائفاً وإلى جانبك واقفاً فنظرت إليه فعاد إلى عرشه وتاه علي بسمو نعشه فتبسمت جدلاً وقلت مرتجلاً

من بعد ما طاف بها المكرومون	يا كعبة طاف بها المرسلون
طافوا بها من بين عال ودون	ثم أتى من بعدهم عالم
ونحن حافون لها مكرومون	أنزلها مثلاً إلى عرشه
إني أنا خير فهل تسمعون	فإن يقل أعظم حاف به
أتى لنا إلا بما لا يبين	والله ما جاء بنص ولا

أنوارهم و نحن ماء مهين	هل ذاك إلا النور حفت به
و كلنا عبد لديه مكين	فانجذب الشيء إلى مثله
طافوا بما طفنا وليسوا بطين	هلا رأوا ما لم يروا أنهم
على الذي حفوا به طائفين	لو جرد الألف من استوى
قد سخر الله له العالمين	قد سهموا أن يجهلوا حق من
ابن الذي خروا له ساجدين	كيف لهم و علمهم إنني
والدنا بكونهم جاهلين	و اعترفوا بعد اعتراض على
و كان للفضل من الجاحدين	وأبلس الشخص الذي قد أبي
قد عصموا من خطأ المخطفين	قد سهموا قد سهموا إنهم

قلت ثم صرفت عنه وجه قلبي وأقبلت به على ربي فقال لي انتصرت لأبيك حلت بركتي فيك اسمع منزلة من أثبتت عليها و ما قدمته من الخير بين يديها و أين منزلتك من منازل الملائكة المقربين صلوات الله عليكم و عليهم أجمعين كعبتي هذه قلب الوجود و عرشي لهذا القلب جسم محدود و ما وسعني واحد منهما و لا أخبر عني بالذي أخبرت عنهما و بيتي الذي وسعني قلبك المقصود المودع في جسدك المشهود فالطائفون بقلبك الأسرار فهم بمنزلة أجسادكم عند طوافها بهذه الأحجار فالطائفون الحافون بعرشنا المحيط كالطائفين منك بعالم التخطيط فكما إن الجسم منك في الرتبة دون قلبك البسيط كذلك هي الكعبة مع العرش المحيط فالطائفون بالكعبة بمنزلة الطائفين بقلبك لاشتراكهما في القلبية و الطائفون بجسمك كالطائفين بالعرش لاشتراكهما في الصفة الإحاطية فكما أن عالم الأسرار الطائفين بالقلب الذي وسعني أسنى منزلة من غيرهم و أعلى كذلك أتم بنعت الشرف و السيادة على الطائفين بالعرش المحيط أولى فإنكم الطائفون بقلب و جود العالم فأنتم بمنزلة أسرار العلماء و هم الطائفون بجسم العالم فهم بمنزلة الماء و الهواء فكيف تكونون سواء و ما وسعني سواكم و ما تجليت في صورة كمال إلا في معناكم فاعرفوا قدر ما وهبتكموه من الشرف العالي و بعد هذا فأنا الكبير المتعالي لا يحدني الحد و لا يعرفني السيد و لا العبد تقدست الألوهة فتزهت أن تدرك و في منزلتها أن تشرك أنت الأنا و أنا فلا تطلبني فيك فتعني و لا من خارج فما تهني و لا تترك طلي فتشقى فاطلبي حتى تلقاني فترقى ولكن تأدب في طلبك و احضر عند شروحك في مذهبك و ميز بيني و بينك فإنك لا تشهدني وإنما تشهد عينك فقف في صفة الاشتراك و إلا فكأن عبدا و قل العجز عن درك الإدراك إدراك تلحق في ذلك عتقا و تكن المكرم الصديقا ثم قال لي اخرج عن حضرتي فمثلك لا يصلح لخدمتي فخرجت طريدا ففضح الحاضر فقال دُرُني و من خَلَقْتُ و حِيداً ثم قال ردوه فرددت و بين يديه من ساعتى وجدت و كأنني ما زلت عن بساط شهوده و ما برحت من حضرة وجوده فقال كيف يدخل علي في حضرتي من لا يصلح لخدمتي لو لم تكن

عندك الحرمة التي توجب الخدمة ما قبلتك الحضرة ولرمت بك في أول نظره وها أنت فيها وقد رأيت من برهانك وتخفيها ما يزيدك احتراماً وعند تجليها احتشاماً ثم قال لم تسألني حين أمرت بإخراجك ورددك على معراجك وأعرفك صاحب حجة ولسان ما أسرع ما نسيت أيها الإنسان فقلت بهرني عظيم مشاهدة ذاتك وسقط في يدي لقبضك يمين البيعة في تجلياتك وبيتك أردد النظر ما الذي طرأ في الغيب من الخبر فلو التفت في ذلك الوقت إلي لعلمت أن مني أتى علي ولكن الحضرة تعطي أن لا يشهد سواها وأن لا ينظر إلى محيا غير محياها فقال صدقت يا محمد فأثبت في المقام الأوحده وإياك والعدد فإن فيه هلاك الأبد ثم اتفقت محاطبات وأخبار أذكرها في باب الحج ومكة مع جملة أسرار (وصل) فقال النجفي الوفي يا أكرم ولي وصفي ما ذكرت لي أمراً إلا أنا به عالم وهو بذاتي مسطر قائم قلت لقد شوقني إلى التطلع إليك منك حتى أخبر عنك فقال نعم أيها الغريب الوارد والطالب القاصد أدخل معي كعبة الحجر فهو البيت المتعالي عن الحجاب والستر وهو مدخل العارفين وفيه راحة الطائفين فدخلت معه بيت الحجر في الحال وألقى يده على صدري وقال أنا السابع في مرتبة الإحاطة بالكون وبأسرار وجود العين والأين أوجدني الحق قطعة نور حوائي ساذجة وجعلني للكليات مما زجة فينا أنا متطلع لما يلقي لدي أو ينزل علي وإذا بالعلم القلمي الأعلى قد نزل بذاتي من منازل العلى راكبا على جواد قائم على ثلاث قوائم فنكس رأسه إلى ذاتي فانتشرت الأنوار والظلمات ونفت في روعي جميع الكائنات ففتق أرضي وسماي وأطلعني على جميع أسمائي فعرفت نفسي وغيري وميزت بين شري والظلمات وخيري وفصلت ما بين خالقي وحقائقي ثم انصرف عني ذلك الملك وقال تعلم أنك حضرة الملك فتهيات للنزول وورود الرسول فتجارت الأملأ إلي ودارت الأفلاك علي والكل ليميني مقبلون وعلى حضرتي مقبلون وما رأيت ملكاً نزل ولا ملكاً عن الوقوف بين يدي انتقل ولحظت في بعض جوانبي فرأيت صورة الأزل فعلمت إن النزول محال فثبت على ذلك الحال وأعلمت بعض الخاصة ما شهدت وأطلعهم مني على ما وجدت فأنا الروضة البانعة والثمرة الجامعة فارفع ستوري وقرأ ما تضمنته سطورتي فما وفقت عليه مني فاجعله في كتابك وخاطب به جميع أحبائك فرفعت ستوره ولحظت مسطوره فأبدى لعيني نوره المودع فيه ما يتضمنه من العلم المكون ويحويه فأول سطر قرأته وأول سر من ذلك السطر علمته ما أذكره الآن في هذا الباب الثاني والله سبحانه يهدي إلى العلم وإلى طريقٍ مُسْتَقِيمٍ

(الباب الثاني) في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الأسماء الحسنی ومعرفة الكلمات ومعرفة العلم والعالم والمعلوم اعلم أن هذا الباب على ثلاثة فصول

«الفصل الأول في معرفة الحروف»

«الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات»

«الفصل الثالث في معرفة العلم والعالم والمعلوم»

«الفصل الأول في معرفة الحروف ومراتبها والحركات وهي الحروف الصغار وما لها من الأسماء الإلهية»

شهدت بذلك ألسن الحفاظ
 بين النيام الحرس و الإيقاظ
 دارت بها الأفلاك في ملكوته
 فبدت تعز لذلك الأخطا
 الحظتها الأسماء من مكنونها
 وتقول لولا فيض جودي ما بدت
 عند الكلام حقائق الألفاظ

اعلم أيدينا الله وإياك أنه لما كان الوجود مطلقاً من غير تشييد يتضمن المكلف وهو الحق تعالى والمكلفين وهم العالم والحروف جامعة لما ذكرنا أردنا أن نبين مقام المكلف من هذه الحروف من المكلفين من وجه دقيق محقق لا يتبدل عند أهل الكشف إذا وقفوا عليه وهو مستخرج من البسائط التي عنها تركبت هذه الحروف التي تسمى حروف المعجم بالاصطلاح العربي في أسمائها وإنما سميت حروف المعجم لأنها عجمت على الناظر فيها معناها ولما كوشفنا على بسائط الحروف وجدناها على أربع مراتب (حروف) مرتبتها سبعة أفلاك وهي الألف والزاي واللام (وحروف) مرتبتها ثمانية أفلاك وهي النون والصاد والضاد (وحروف) مرتبتها تسعة أفلاك وهي العين والغين والسين والشين (وحروف) مرتبتها عشرة أفلاك وهي باقي حروف المعجم وذلك ثمانية عشر حرفاً كل حرف منها مركب عن عشرة كما إن كل حرف من تلك الحروف منها ما هو عن تسعة أفلاك وعن ثمانية وعن سبعة لا غير كما ذكرناه فعدد الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف وهي البسائط التي ذكرناها مائتان وأحد وستون فلما أما المرتبة السابعة فالزاي واللام منها دون الألف فطبعتها الحرارة واليبوسة (وأما) الألف فطبعتها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ترجع مع الحار حارة ومع الرطب رطبة ومع البارد باردة ومع اليابس يابسة على حسب ما تجاوره من العوالم (وأما) المرتبة الثمانية فحروفها حارة يابسة (وأما) المرتبة التسعة فالعين والغين طبعتها البرودة واليبوسة (وأما) السين والشين طبعتها الحرارة واليبوسة (وأما) المرتبة العشرية فحروفها حارة يابسة إلا الحاء المهملة والحاء المعجمة فإنهما باردتان يابستان وإلا الهاء والهمزة فإنهما باردتان رطبتان فعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الحرارة مائتا فلك وثلاثة أفلاك وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد اليبوسة مائتا فلك وأحد وأربعون فلكاً وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد البرودة خمسة وستون فلكاً وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الرطوبة سبعة وعشرون فلكاً مع التوالج والتداخل الذي فيها على حسب ما ذكرناه آنفاً فسبعة أفلاك توجد عن حركتها العناصر الأول الأربعة وعنهما يوجد حرف الألف خاصة ومائة وستة وتسعون فلكاً توجد عن حركتها الحرارة واليبوسة خاصة لا يوجد عنها غيرهما البتة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الباء والجيم والذال والواو والزاي والطاء والياء والكاف واللام والميم والنون والصاد والفاء والضاد والقاف والراء والسين والتاء والتاء والذال والطاء والشين وثمانية وثمانون فلكاً يوجد عن حركتها البرودة واليبوسة خاصة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف العين والحاء والغين والحاء وعشرون فلكاً توجد عن حركتها البرودة والرطوبة خاصة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الهاء والهمزة وأما لام ألف فمتمزج من السبعة والمائة والستة والتسعين إذا كان مثل قوله لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ

يَحْرُوتُونَ فَإِن كَانَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى لَأَكْثَمُ أَشَدُّ رَهْبَةً فَامْتَرَا جِهَةً مِنَ الْمِائَةِ وَالسِّتَةِ وَالسِّتِينَ وَمِنَ الْعَشْرِينَ وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ فَلَكَ يَوْجِدُ عَنْهُ الْحَرَارَةُ وَ الرُّطُوبَةُ خَاصَّةٌ دُونَ غَيْرِهِمَا فَإِذَا نَظَرْتَ فِي طَبَعِ الْهَوَاءِ عَثَرْتَ عَلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي مَنَعَتْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَلَكَ مَخْصُوصٌ كَمَا أَنَّهُ مَا تَمَّ فَلَكَ يَوْجِدُ عَنْهُ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْعُنَاصِرِ الْأَوَّلِ عَلَى انْفِرَادٍ فَالْهَاءُ وَالْهَمْزَةُ يَدُورُ بِهِمَا الْفَلَكَ الرَّابِعُ وَيَقْطَعُ الْفَلَكَ الْأَقْصَى فِي تِسْعَةِ آلَافِ سَنَةٍ وَأَمَّا الْخَاءُ وَالْحَاءُ وَالْعَيْنُ وَالغَيْنُ فَيَدُورُ بِهِمَا الْفَلَكَ الثَّانِي وَيَقْطَعُ الْفَلَكَ الْأَقْصَى فِي إِحْدَى عَشْرَةِ أَلْفِ سَنَةٍ وَبَاقِي الْحُرُوفِ يَدُورُ بِهِمَا الْفَلَكَ الْأَوَّلُ وَيَقْطَعُ الْفَلَكَ الْأَقْصَى فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ وَهُوَ عَلَى مَنَازِلٍ فِي أَفْلَاكِهَا فَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى سَطْحِ الْفَلَكَ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي مَقَرِّ الْفَلَكَ وَمِنْهَا مَا هُوَ بَيْنَهُمَا وَ لَوْلَا التَّطْوِيلُ لَبِينَا مَنَازِلَهَا وَحَقَائِقُهَا وَلَكِنْ سَنَلْقِي فِي ذَلِكَ مَا يَشْفِي فِي الْبَابِ السِّتِينَ مِنْ أَبْوَابِ هَذَا الْكِتَابِ أَنْ أَلْهَمْنَا الْحَقُّ ذَلِكَ عِنْدَ كَلَامِنَا فِي مَعْرِفَةِ الْعُنَاصِرِ وَسُلْطَانِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ عَلَى الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَفِي أَيِّ دَوْرَةٍ كَانَ وَجُودُ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ الْآنَ مِنْ دَوْرَاتِ الْفَلَكَ الْأَقْصَى وَ أَيْ رُوحَانِيَّةً نَنْظُرُنَا فَلْنَقْبِضَ الْعُنَانَ حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَوْضِعِهِ أَوْ يَصِلَ إِلَى مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (فَلنَرْجِعْ وَنَقُولُ) إِنَّ الْمَرْتَبَةَ السَّبْعِيَّةَ الَّتِي لَهَا الزَّايُّ وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ جَعَلْنَاهَا لِلْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَكْلُوفَةِ أَيِّ تَصْيِبِهَا مِنَ الْحُرُوفِ وَإِنَّ الْمَرْتَبَةَ الثَّمَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ التَّوْنُ وَالصَّادُ وَالضَّادُ جَعَلْنَاهَا حِظَّ الْإِنْسَانِ مِنْ عَالَمِ الْحُرُوفِ وَإِنَّ الْمَرْتَبَةَ التَّسْعِيَّةَ الَّتِي هِيَ الْعَيْنُ وَالغَيْنُ وَالسِّينُ وَالشِّينُ جَعَلْنَاهَا حِظَّ الْجِنِّ مِنْ عَالَمِ الْحُرُوفِ وَإِنَّ الْمَرْتَبَةَ الْعَشْرِيَّةَ وَ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ بَاقِي الْحُرُوفِ جَعَلْنَاهَا حِظَّ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عَالَمِ الْحُرُوفِ وَإِنَّمَا جَعَلْنَا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْأَرْبَعَةَ لِهَذِهِ الْأَرْبَعِ مَرَاتِبِ مِنَ الْحُرُوفِ عَلَى هَذَا التَّقْسِيمِ لِحَقَائِقِ عَسْرَةِ الْمَدْرِكِ يَحْتَاجُ ذِكْرَهَا وَبَيَانَهَا إِلَى دِيْوَانِ بِنَفْسِهِ وَلَكِنْ قَدْ ذَكَرْنَاهُ حَتَّى نَتِمَّ فِي كِتَابِ الْمُبَادِي وَالغَايَاتِ فِيمَا تَحْوِي عَلَيْهِ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ وَهُوَ بَيْنَ أَيْدِينَا مَا كَمَلَ وَلَا قِيدَ مِنْهُ إِلَّا أَوْرَاقٌ مَتَفَرِّقَةٌ بِسِيرَةٍ وَ لَكِنْ سَأَذْكَرُ مِنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ لِحَقِّ بَارِقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَحَصَلَتْ الْأَرْبَعَةُ لِلْجِنِّ النَّارِيِّ لِحَقَائِقِ هُمَ عَلَيْهَا وَهِيَ الَّتِي أَذْهَبَتْ لِقَوْلِهِمْ فِيمَا أَخْبَرَ الْحَقُّ تَعَالَى عَنْهُمْ ثُمَّ لَأَكْثَمُ أَشَدُّ رَهْبَةً مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَفَرَعَتْ حَقَائِقُهُمْ وَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ حَقِيقَةٌ خَامِسَةٌ يَطْلُبُونَ بِهَا مَرْتَبَةَ زَائِدَةً وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لَهُمْ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْعُلُوُّ وَمَا يَقَابِلُهُ اللَّذَانِ تَمَّ بِهِمَا الْجِهَاتِ السِّتَةُ فَإِنَّ الْحَقِيقَةَ تَأْتِي ذَلِكَ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ فِي كِتَابِ الْمُبَادِي وَالغَايَاتِ وَبَيْنَا فِيهِ لَمْ يَخْتَصُّوا بِالْعَيْنِ وَالغَيْنِ وَالسِّينِ وَالشِّينِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْحُرُوفِ وَالْمُنَاسِبَةُ الَّتِي بَيْنَ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبَيْنَهُمْ وَ أَنَّهُمْ مَوْجُودُونَ عَنِ الْأَفْلَاكِ الَّتِي عَنْهَا وَجَدَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ وَحَصَلَ لِلْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ ثَلَاثَةٌ لِحَقَائِقِ هِيَ عَلَيْهَا أَيْضًا وَهِيَ الْذَاتُ وَالصِّفَةُ وَالرَّابِطُ بَيْنَ الْذَاتِ وَالصِّفَةِ وَهِيَ الْقَبُولُ أَيُّ بِهَا كَانَ الْقَبُولُ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِالْمَوْصُوفِ بِهَا وَبِمَتَعَلِّقِهَا الْحَقِيقِيِّ لَهَا كَالْعَلَمِ يَرْبِطُ نَفْسَهُ بِالْعَالَمِ بِهِ وَبِالْمَعْلُومِ وَالْإِرَادَةُ تَرْبِطُ نَفْسَهَا بِالْمُرِيدِ بِهَا وَبِالْمُرَادِ لَهَا وَالْقُدْرَةُ تَرْبِطُ نَفْسَهَا بِالْقَادِرِ بِهَا وَبِالْمُقَدَّرِ لَهَا وَكَذَلِكَ جَمِيعِ الْأَوْصَافِ وَالْأَسْمَاءِ وَإِنْ كَانَتْ نَسْبًا وَكَانَتْ الْحُرُوفُ الَّتِي اخْتَصَّتْ بِهَا الْأَلْفُ وَالزَّايُّ وَاللَّامُ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى نَفْيِ الْأُولِيَّةِ وَهُوَ الْأَزْلُ وَبَسَاطَةُ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَاحِدَةٌ فِي الْعَدَدِ فَمَا أَعْجَبَ الْحَقَائِقُ لِمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ يَتَنَزَّهُ فِيمَا يَجْهَلُهُ الْغَيْرُ وَتَضْيِيقُ صُدُورِ الْجُهْلَاءِ بِهِ وَقَدْ تَكَلَّمْنَا أَيْضًا فِي الْمُنَاسِبَةِ الْجَمَاعَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبَيْنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكَورِ وَكَذَلِكَ حَصَلَ لِلْحَضْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ ثَلَاثَةٌ

أيضا كما حصل للحضرة الإلهية فاتقيا في العدد غير أنها حرف النون والصاد والضاد ففارت الحضرة الإلهية من جهة موادها فإن العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلهها كما إن محققته يكون العبد مألوهها وبما هو على الصورة اختص بثلاثة كهو فلو وقع الاشتراك في الحقائق لكان إلهها واحدا أو عبدا واحدا أعني واحدة وهذا لا يصح فلا بد أن تكون الحقائق متباينة ولونسبت إلى عين واحدة ولهذا باينهم بقدمه كما باينوه مجدوهم ولم يقل باينهم بعلمه كما باينوه بعلمهم فإن فلك العلم واحد قديما في القديم محدثا في المحدث واجتمعت الحضرتان في أن كل واحدة منهما معقولة من ثلاثة حقائق ذات وصفة ورابطة بين الصفة والموصوف بها غير أن العبد له ثلاثة أحوال حالة مع نفسه لا غير وهو الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء وحالة مع الله وحالة مع العالم والباري سبحانه مبين لنا فيما ذكرناه فإن له حالين حال من أجله وحال من أجل خلقه وليس فوّه موجود فيكون له تعالى وصف تعلق به فهذا بحر آخر لو خضنا فيه لجاءت أمور لا يطاق سماعها وقد ذكرنا المناسبة التي بين النون والصاد والضاد التي للإنسان وبين الألف والزاي واللام التي هي للحضرة الإلهية في كتاب المبادي والغايات وإن كانت حروف الحضرة الإلهية عن سبعة أفلاك والإنسانية عن ثمانية أفلاك فإن هذا لا يقدح في المناسبة لتبين الإله والمألوه ثم إنه في نفس النون الرقمية التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلا من شد عليه مزر التسليم وتحقق بروح الموت الذي لا يتصور ممن قام به اعتراض ولا تطلع وكذلك في نفس نقطة النون أول دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفلية التي هي النصف من الدائرة والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة أول الشكل التي هي مركز الألف المعقولة التي بها يتميز قطر الدائرة والنقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون وينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتهمة فنقدر قيامها من رقدتها فترتكزك على النون فيظهر من ذلك حرف اللام والنون نصفها زاي مع وجود الألف المذكور فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزل الإنساني كما أعطاك الألف والزاي واللام في الحق غير أنه في الحق ظاهر لأنه بذاته أزلي لا أول له ولا مفتوح لوجوده في ذاته بلا ريب ولا شك ولبعض المحققين كلام في الإنسان الأزلي فنسب الإنسان إلى الأزل فالإنسان خفي فيه الأزل فجهل لأن الأزل ليس ظاهرا في ذاته وإنما صح فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده منها أن الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب وجود في الذهن ووجود في العين ووجود في اللفظ ووجود في الرقم وسيأتي ذكر هذا في هذا الكتاب إن شاء الله فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه في العلم القديم الأزلي المتعلق به في حال ثبوته فهو موجود أزلا أيضا كأنه بعناية العلم المتعلق به كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجواهر فصار متحيزا بالتبعية فلهذا خفي فيه الأزل ولحقائمه أيضا الأزلية المجردة عن الصورة المعينة المعقولة التي تقبل القدم والحدوث على حسب ما شرحنا ذلك في كتاب إنشاء الدوائر والجداول فانظره هناك تجده مستوفى وسنذكر منه طرفا في هذا الكتاب في بعض الأبواب إذا مست الحاجة إليه وظهر ما ذكرناه من سر الأزل في النون هو في الصاد والضاد وأممكن لوجود كمال الدائرة وكذلك ترجع حقائق الألف والزاي واللام التي للحق إلى حقائق النون والصاد والضاد التي للعبد ويرجع الحق يتصف هنا بالأسرار التي منعنا عن كشفها في الكتب ولكن يظهرها العارف بين أهلها في علمه و

مشربه أو مسلم في أكمل درجات التسليم وهي حرام على غير هذين الصنفين فتحقق ما ذكرناه وتبينه يد ولك من العجائب التي تنهر العقول حسن جمالها وبقي للملائكة باقي حروف المعجم وهي ثمانية عشر حرفاً وهي الباء والجيم والذال والطاء والياء و الكاف والميم والفاء والقاف والراء والتاء والثاء والحاء والذال والطاء فقلنا الحضرة الإنسانية كالحضرة الإلهية لا بل هي عينها على ثلاث مراتب ملك وملكوت وجبروت وكل واحدة من هذه المراتب تنقسم إلى ثلاث فهي تسعة في العدد فتأخذ ثلاثة الشهادة فتضربها في الستة المجموعة من الحضرة الإلهية والإنسانية أو في الستة الأيام المقدرة التي فيها أوجدت الثلاثة الحقية الثلاثة الخلقية يخرج لك ثمانية عشر و هو وجود الملك وكذلك تعمل في الحق بهذه المثابة فالحق له تسعة أفلاك للإلقاء والإنسان له تسعة أفلاك للتلقي فتتمد من كل حقيقة من التسعة الحقية رقائيق إلى التسعة الخلقية وتنعطف من التسعة الخلقية رقائيق على التسعة الحقية فحيثما اجتمعت كان الملك ذلك الاجتماع و حدث هناك فذلك الأمر الزائد الذي حدث هو الملك فإن أراد أن يبيل بكله نحو التسعة الواحدة جذبته الأخرى فهو يتردد ما بينهما جبريل ينزل من حضرة الحق على النبي ع وإن حقيقة الملك لا يصح فيها الميل فإنه منشأ الاعتدال بين التسعين والميل انحراف ولا انحراف عنده و لكنه يتردد بين الحركة المنكوسة والمستقيمة وهو عين الرقيقة فإن جاءه وهو فاقد للحركة منكوسة ذاتية وعرضية وإن جاءه وإن جاء وهو فاقد للحركة منكوسة ذاتية وإن رجع عنه وهو فاقد للحركة ذاتية وعرضية وإن رجع عنه وهو واحد للحركة منكوسة عرضية لا ذاتية وقد تكون الحركة من العارف مستقيمة أبداً ومن العابد منكوسة أبداً وسيأتي الكلام عليها في داخل الكتاب وانحصارها في ثلاث منكوسة وأفقية ومستقيمة إن شاء الله فهذه نكت غيبية عجيبة ثم أرجع وأقول إن التسعة هي سبعة وذلك أن عالم الشهادة هو في نفسه برزخ فذلك واحد وله ظاهر فذلك اثنان وله باطن فذلك ثلاثة ثم عالم الجبروت برزخ في نفسه فذلك واحد وهو الرابع ثم له ظاهر وهو باطن عالم الشهادة ثم له باطن وهو الخامس ثم بعد ذلك عالم الملكوت هو في نفسه برزخ وهو السادس ثم له ظاهر وهو باطن عالم الجبروت وله باطن وهو السابع وما ثم غير هذا وهذه صورة السبعية والتسعية فتأخذ الثلاثة وتضربها في السبعة فيكون الخارج أحداً و عشرين فتخرج الثلاثة الإنسانية فتبقى ثمانية عشر وهو مقام الملك وهي الأفلاك التي يتلقى الإنسان الموارد وكذلك تفعل بالثلاثة الحقية تضربها أيضاً في السبعة فتكون عند ذلك الأفلاك التي يتلقى الحق على عبده ما يشاء من الواردات فإن أخذناها من جانب الحق قلنا أفلاك الإلقاء وإن أخذناها من جانب الإنسان قلنا أفلاك التلقي وإن أخذناها منهما معا جعلنا تسعة الحق للإلقاء والأخرى للتلقي و باجتماعهما حدث الملك ولهذا أوجد الحق تسعة أفلاك السموات السبع والكرسي والعرش وإن شئت قلت فلك الكواكب والفلك الأطلس وهو الصحيح (تتميم) معنا في أول هذا الفصل أن يكون للحرارة والرطوبة فلك ولم نذكر السبب فلنذكر منه طرفاً في هذا الباب حتى نستوفيه في داخل الكتاب إن شاء الله تعالى وسأذكر في هذا الباب بعد هذا التتميم ما يكون من الحروف حاراً رطباً وذلك لأنه دار به فلك غير الفلك الذي ذكرناه في أول الباب فاعلم إن الحرارة والرطوبة هي الحياة الطبيعية فلو كان لها فلك كما لأخواتها في المزجة لانقضت

دورة ذلك الفلك وزال سلطانه كما يظهر في الحياة العرضية وكانت تعدم أو تنقل وحققتها تقضي بأن لا تعدم فليس لها فلك ولهذا أنبأنا
الباري تعالى إن الدار الآخرة لهي الحيوان وأن كل شيء سيجرحمده فصار فلك الحياة الأبدية الحياة الأزلية تمدها وليس لها فلك فتقضي
دورته فالحياة الأزلية ذاتة للحي لا يصح لها انقضاء فالحياة الأبدية المعلولة بالحياة الأزلية لا يصح لها انقضاء ألا ترى الأرواح لما كانت حياتها
ذاتية لها لم يصح فيها موت البتة ولما كانت الحياة في الأجسام بالعرض قام بها الموت والفناء فإن حياة الجسم الظاهرة من آثار حياة الروح كصور
الشمس الذي في الأرض من الشمس فإذا مضت الشمس تبعها نورها وبقيت الأرض مظلمة كذلك الروح إذا رحل عن الجسم إلى عالمه
الذي جاء منه تبعته الحياة المنتشرة منه في الجسم الحي وبقي الجسم في صورة الجماد في رأى العين فيقال مات فلان وتقول الحقيقة رجع إلى
أصله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى كما رجع أيضا الروح إلى أصله حتى البعث والنشور يكون من الروح تجل
للجسم بطريق العشق فتلتم أجزاءه وتركب أعضاؤه بحياة لطيفة جدا تحرك الأعضاء للتأليف اكتسبته من النفات الروح فإذا استوت البنية
وقامت النشأة الترابية تجلى له الروح بالريقة الإسرافيلية في الصور المحيط فتسري الحياة في أعضائه فيقوم شخصا سويا كما كان أول مرة ثم
يُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقَت الأرض بنور ربها كما بدأكم تعودون قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فأما شقي وإما سعيد
واعلم أن في امتزاج هذه الأصول عجائب فإن الحرارة والبرودة ضدان فلا يمتزجان وإذا لم يمتزجا لم يكن عنهما شيء وكذلك الرطوبة
اليبوسة وإنما يمتزج ضد الضد الآخر فلا يتولد عنها أبدا إلا أربعة لأنها أربعة ولهذا كانت اثنان ضدتين لاثنين فلو لم تكن على
هذا لكان التركيب منها أكثر مما تعطيه حقائقها ولا يصح أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول فإن الأربعة هي أصول العدد الثلاثة التي في
الأربعة مع الأربعة سبعة والأثنان التي فيها مع هذه السبعة تسعة والواحد الذي في الأربعة مع هذه التسعة عشرة وركب ما شئت بعد هذا
وما تجد عددا يعطيك هذا إلا الأربعة كما لا تجد عددا تاما إلا الستة لأن فيها النصف والسدس والثالث فامتزجت الحرارة واليبوسة
فكان النار والحرارة والرطوبة فكان الهواء والبرودة والرطوبة فكان الماء والبرودة واليبوسة فكان التراب فانظر في تكون الهواء عن
الحرارة والرطوبة وهو النفس الذي هو الحياة الحسية وهو المحرك لكل شيء بنفسه للماء والأرض والنار ومحركه تتحرك الأشياء لأنه
الحياة إذ كانت الحركة أثر الحياة فهذه الأربعة الأركان المولدة عن الأمهات الأول ثم لتعلم إن تلك الأمهات الأول تعطي في المركبات حقائقها لا
غير من غير امتزاج فالسرخين عن الحرارة لا يكون عن غيرها وكذلك التجفيف والتقبض عن اليبوسة فإذا رأيت النار قد أيسست الحبل من
الماء فلا تتخيل أن الحرارة جففته فإن النار مركبة من حرارة ويبوسة كما تقدم فبالحرارة التي فيها تسخن الماء وباليبوسة وقع التجفيف و
كذلك التلين لا يكون إلا عن الرطوبة والتبريد عن البرودة فالحرارة تسخن والبرودة تبرد والرطوبة تلين واليبوسة تجفف فهذه الأمهات متنافرة
لا تجتمع أبدا إلا في الصورة ولكن على حسب ما تعطيه حقائقها ولا يوجد منها في صورة أبدا واحد لكن يوجد إما حرارة ويبوسة كما
تقدم من تركيبها وأما أن توجد الحرارة وحدها فلا لأنها لا يكون عنها على انفرادها إلا هي (وصل) فإن الحقائق على قسمين حقائق توجد

مفردات في العقل كالحياة والعلم والنطق والحس وحقائق توجد بوجود التركيب كالسما والعالء والإنسان والحجر فإن قلت فما السبب الذي جمع هذه الأمهات المتنافرة حتى ظهر من امتزاجها ما ظهر فهنا سر عجيب ومركب صعب يحرم كشفه لأنه لا يطاق حمله لأن العقل لا يعقله ولكن الكشف يشهده فلنسكت عنه وربما نشير إليه من بعيد في مواضع من كتابي هذا يتفطن إليه الباحث اللبيب ولكن أقول أراد المختر سبجانه أن يؤلفها لما سبق في علمه خلق العالم وإنما أصل أكثره أو أصله إن شئت فألفها ولم تكن موجودة في أعيانها ولكن أوجدها مؤلفة لم يوجد لها مفردة ثم جمعها فإن حقائقها تأتي ذلك فأوجد الصورة التي هي عبارة عن تأليف حقيقتين من هذه الحقائق فصارت كأنها كانت موجودة متفرقة ثم ألقت فظهرت للتأليف حقيقة لم تكن في وقت الافتراق فالحقائق تعطي أن هذه الأمهات لم يكن لها وجود في عينها البتة قبل وجود الصور المركبة عنها فلما أوجد هذه الصور التي هي الماء والنار والهواء والأرض وجعلها سبجانه يستحيل بعضها إلى بعض فيعود النار هواء والهواء ناراً كما تقلب الماء طاء والسين صاداً لأن الفلك الذي وجدت عنه الأمهات الأول عنها وجدت هذه الحروف فالفلك الذي وجد عنه الأرض وجد عنه حرف الماء والهاء وما عدا رأس الجيم ونصف تعريفة اللام ورأس الحاء وثلاث الهاء والبدال اليابسة والنون والميم والفلك الذي وجد عنه الماء وجد عنه حرف الشين والغين والطاء والحاء والضاد ورأس الباء بالنقطة الواحدة ومدة جسد الفاء دون رأسها ورأس القاف وشيء من تعريفة ونصف دائرة الظاء المعجمة الأسفل والفلك الذي وجد عنه الهواء وجد عنه طرف الهاء الأخير الذي يعقد دائرتها ورأس الفاء وتعريف الحاء على حكم نصف الدائرة ونصف دائرة الظاء المعجمة الأعلى مع قائمته وحرف الذال والعين والزاي والصاد والواو والفلك الذي وجد عنه النار وجد عنه حرف الهمزة والكاف والباء والسين والراء ورأس الجيم وجسد الياء باثنتين من أسفل دون رأسها ووسط اللام وجسد القاف دون رأسه وعن حقيقة الألف صدرت هذه الحروف كلها وهولكلها روحاً وحساً وكذلك ثم موجود خامس هو أصل لهذه الأركان وفي هذا خلاف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر ذكره الحكيم في الأسطقسات ولم يأت فيه شيء يقف الناظر عنده ولم يعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله وإنما دخل به على صاحب لي وهو في يده وكان يشتغل بتحصيل علم الطب فسألني إن أمشي له من جهة علمنا بهذه الأشياء من جهة الكشف لا من جهة القراءة والنظر فقرأه علينا فوقفت منه على هذا الخلاف الذي أشرت إليه فمن هناك علمته ولولا ذلك ما عرفت هل خالف فيه أحد أم لا فإنه ما عندنا فيه إلا الشيء الحق الذي هو عليه وما عندنا خلاف فإن الحق تعالى الذي أخذ العلوم عنه يحلو القلب عن الفكر والاستعداد لقبول الواردات هو الذي يعطينا الأمر على أصله من غير إجمال ولا حيرة فنعرف الحقائق على ما هي عليه سواء كانت المفردات أو الحادثة بمجذوئ التأليف أو الحقائق الإلهية لا نمتري في شيء منها فمن هناك هو علمنا والحق سبجانه معلمنا ورثا نبويا محفوظا معصوماً من الخلل والإجمال والظاهر قال تعالى وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ شَاءَ الشِّعْرَ مَحَلَّ الإجمال والرموز والألغاز والتورية أي ما رمزنا له شيئاً ولا لغزناه ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً آخر ولا أجعلنا له الخطاب إن هو إلا ذكر لما شاهدته حين جذبناه وغيبناه عنه و

أحضرناه بنا عندنا فكنا سمعنا وبصره ثم رددناه إليكم تهتدوا به في ظلمات الجهل والكون فكنا لسانه الذي يخاطبكم به ثم أنزلنا عليه مذكرا يذكره بما شاهده فهو ذكر له لذلك وقرآن أي جمع أشياء كان شاهدها عندنا مبين ظاهر له لعلمه بأصل ما شاهده وعابنه في ذلك التقريب الأنزه الأقدس الذي ناله منه صلى الله عليه وسلم ولنا منه من الحظ على قدر صفاء الحبل والتهيؤ والتقوى فمن علم إن الطباع والعالم المركب منها في غاية الافتقار والاحتياج إلى الله تعالى في وجود أعيانها وتأليفها علم أن السبب هو حقائق الحضرة الإلهية الأسماء الحسنى والأوصاف العلى كيف تشاء على حسب ما تعطيه حقائقها وقد بينا هذا الفصل على الاستيفاء في كتاب إنشاء الجداول والدوائر وسنذكر من ذلك طرفا في هذا الكتاب فهذا هو سبب الأسباب القديم الذي لم يزل مؤلف الأمهات ومولد البنات فسبحانه خالق الأرض والسموات (وصل) انتهى الكلام المطلوب في هذا الكتاب على الحروف من جهة المكلف والمكلفين وحظها منهم وحركتها في الأفلاك السداسية المضاعفة وعينا سنرى دورتها في تلك الأفلاك وحظها من الطبيعة من حركة تلك الأفلاك ومراتبها الأربعة في المكلف والمكلفين على حسب فهم العامة ولهذا كانت أفلاك بساطها على نوعين فالبسائط التي يقتصر بها على حقائق عامة العقلاء على أربعة حروف الحق التي عن الأفلاك السبعية وحروف الإنس عن الثمانية وحروف الملك عن التسعة وحروف الجن الناري عن العشرة وليس ثم قسم زائد عندهم لقصورهم عن إدراك ما ثم لأنهم تحت قهر عقولهم والمحققون تحت قهر سيدهم الملك الحق سبحانه وتعالى فلماذا عندهم من الكشف ما ليس عند الغير فبسائط المحققين على ست مراتب مرتبة للمكلف الحق تعالى وهي النون وهي ثنائية فإن الحق لا يعلم إلا منا وهو معبودنا ولا يعلم على الكمال إلا بنا فلماذا كان له النون التي هي ثنائية فإن بساطها اثنان الواو والألف فالألف له والواو لمعناك وما في الوجود غير الله وأنت إذ أنت الخليفة ولهذا الألف عام والواو متميزة كما سيأتي ذكرها في هذا الباب ودورة هذا الفلك المخصوصة التي بها تقطع الفلك المحيط الكلي دورة جامعة تقطع الفلك الكلي في اثنين وثمانين ألف سنة وتقطع فلك الواو الفلك الكلي في عشرة آلاف سنة على ما نذكرها بعد في هذا الباب عند كلامنا على الحروف مفردة وحقائقها وما بقي من المراتب فعلى عدد المكلفين وأما المرتبة الثانية فهي للإنسان وهو أكمل المكلفين وجودا وأعمه وأتمه خلقا وأقومه ولها حرف واحد وهي الميم وهي ثلاثية وذلك أن بساطها ثلاثة الياء والألف والهمزة وسيأتي ذكرها في داخل الباب إن شاء الله وأما المرتبة الثالثة فهي للجن مطلقا النوري والناري وهي رابعة ولها من الحروف الجيم والواو والكاف والقاف وسيأتي ذكرها وأما المرتبة الرابعة فهي للبهائم وهي خماسية لها من الحروف الدال اليايسة والزاي والصاد اليايسة والعين اليايسة والضاد المعجمة والسين اليايسة والذال المعجمة والغين والشين المعجمتان وسيأتي ذكرها إن شاء الله وأما المرتبة الخامسة فهي للنبات وهي سداسية لها من الحروف الألف والهاء واللام وسيأتي ذكرها إن شاء الله وأما المرتبة السادسة فهي للجماجم وهي سباعية لها من الحروف الباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والحاء والظاء وسيأتي ذكرها إن شاء الله والغرض في هذا الكتاب إظهار لمع ولوائح إشارات من أسرار الوجود ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف وما تقتضيه حقائقها

لكلت اليمين وحفي القلم وجف المداد وضاعت القراطيس والألواح ولو كان الرق المنشور فإنها من الكلمات التي قال الله تعالى فيها لو كان البحر مدادا وقال ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله وهنا سر وإشارة عجيبة لم تفضل لها وعثر على هذه الكلمات فلو كانت هذه العلوم نتيجة عن فكر ونظر لانحصر الإنسان في أقرب مدة ولكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد وأرواحه البررة تنزل عليهم من عالم غيبه برحمته التي من عنده وعلمه الذي من لدنه والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والحل قابل على الدوام فأما يقبل الجهل وإما يقبل العلم فإن استعد وتهيأ وصفى مرآة قلبه وجلاها حصل له الوهب على الدوام ويحصل له في اللحظة ما لا يقدر على تقيده في أزمنة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولا غاية يقف عندها وقد صرح بذلك في أمره لرسوله وقل رب زدني علما والمراد بهذه الزيادة من العلم المتعلق بالإله ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة فتزيد رغبته في تحميده فيزداد فضلا على تحميده دون انتهاء ولا انقطاع فطلب منه الزيادة وقد حصل من العلوم الأسرار ما لم يبلغه أحد ومما يؤيد ما ذكرناه من أنه أمر بالزيادة من علم التوحيد لا من غيره إنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاما قال اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه وإذا شرب لبنا قال اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه لأنه أمر بطلب الزيادة فكان يتذكر عند ما يرى اللبن الذي شربه ليلة الإسراء فقال له جبريل أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك والفطرة علم التوحيد التي فطر الله الخلق عليها حين أشهدهم حين قبضهم من ظهورهم ألسنت بربكم قالوا بلى فشاهدوا الربوبية قبل كل شيء ولهذا تأول صلى الله عليه وسلم اللبن لما شربه في النوم وناول فضله عمر قيل ما أولته يا رسول الله قال العلم فلو لا حقيقة مناسبة بين العلم واللبن جامعة ما ظهر بصورته في عالم الخيال عرف ذلك من عرفه وجهله فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه كيف ينتهي كلامه أبدا فشتان بين مؤلف يقول حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله وبين من يقول حدثني قلبي عن ربي وإن كان هذا رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول حدثني ربي عن ربي أي حدثني ربي عن نفسه وفيه إشارة الأول الرب المعتقد والثاني الرب الذي لا يتقيد فهو بواسطة لا بواسطة وهذا هو العلم الذي يحصل للقلب من المشاهدة الذاتية التي منها يفيض على السر والروح والنفس فمن كان هذا مشربه كيف يعرف مذهبه فلا تعرفه حتى تعرف الله وهو لا يعرف تعالى من جميع وجوه المعرفة كذلك هذا لا يعرف فإن العقل لا يدري أين هو فإن مطلبه الأكوان ولا يكون لهذا كما قيل

ظهرت لما أبقيت بعد فنائه فكان بلاكون لأنك كته

فالحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء والتلقي فنسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من أهل التداني والترقي ثم أرجع وأقول إن فصول حروف المعجم تزيد على أكثر من خمسمائة فصل وفي كل فصل مراتب كثيرة فتركنا الكلام عليها حتى نستوفيه في كتاب المبادي والغايات إن شاء الله ولنقتصر منها على ما لا بد من ذكره بعد ما نسمي من مراتبها ما يليق بكتابنا هذا وربما نتكلم على بعضها وبعد ذلك نأخذها حرفا حرفا حتى تكمل الحروف كلها إن شاء الله ثم تتبعها بإشارات من أسرار تعاقب اللام بالألف ولزومه إياه وما السبب لهذا التعشق الروحاني

بينهما خاصة حتى ظهر ذلك في عالم الكتابة والرقم فإن في ارتباط اللام بالألف سر لا ينكشف إلا لمن أقام الألف من رقدتها وحل اللام من عقدتها والله يرشدنا وإياكم لعمل صالح يرضاه منا انتهى الجزء الرابع والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا وعالم الحروف أفصح العالم لسانا وأوضحه بيانا وهم على أقسام كأقسام العالم المعروف في العرف فمنهم عالم الجبروت عند أبي طالب المكّي ونسميه نحن عالم العظمة وهو الهاء والهمزة ومنهم العالم الأعلى وهو عالم الملكوت وهو الحاء والحاء والعين والغين ومنهم العالم الوسط وهو عالم الجبروت عندنا وعند أكثر أصحابنا وهو التاء والثاء والجيم والذال والذال والراء والزاي والظاء والكاف واللام والنون والصاد والضاد والقاف والسين والشين والياء الصحيحة ومنهم العالم الأسفل وهو عالم الملك والشهادة وهو الباء والميم والواو الصحيحة ومنهم العالم المتميز بين عالم الشهادة والعالم الوسط وهو الفاء ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت والوسط وبين عالم الملكوت وهو الكاف والقاف وهو امتزاج المرتبة ويمارجه في الصفة الروحانية الطاء والظاء والصاد والضاد ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الأعظم وبين الملكوت وهو الحاء المهملة ومنهم العالم الذي يشبه العالم منا الذين لا يتصفون بالدخول فينا ولا بالخروج عنا وهو الألف والياء والواو المعتلّان فهؤلاء عوالم وكل عالم رسول من جنسهم ولهم شريعة تعبدوا بها ولهم لطائف وكثائف عليهم من الخطاب الأمر ليس عندهم نهي وفيهم عامة وخاصة وخاصة الخاصة فالعامة منهم الجيم والضاد والحاء والذال والغين والشين ومنهم خاصة الخاصة وهو الألف والياء والباء والسين والكاف والظاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والغين ومنهم خلاصة خاصة الخاصة وهو الباء ومنهم الخاصة التي فوق العامة بدرجة وهو حروف أوائل السور مثل الم والمص وهي أربعة عشر حرفا الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والظاء والسين والحاء والقاف والنون ومنهم حروف صفاء خلاصة خاصة الخاصة وهو النون والميم والراء والباء والذال والزاي والألف والظاء والياء والواو والهاء والظاء والتاء واللام والفاء والصين ومنهم العالم المرسل وهو الجيم والحاء والحاء والكاف ومنهم العالم الذي تعلق بالله وتعلق به الخلق وهو الألف والذال والذال والراء والزاي والواو وهو عالم التقديس من الحروف الكرويين ومنهم العالم الذي غلب عليه التخلق بأوصاف الحق وهو التاء والتاء والحاء والذال والزاي والظاء المعجمة والنون والضاد المعجمة والغين المعجمة والقاف والشين المعجمة والفاء عند أهل الأتوار ومنهم العالم الذي قد غلب عليهم التحقق وهو الباء والفاء عند أهل الأسرار والجيم ومنهم العالم الذي قد تحقق بمقام الاتحاد وهو الألف والحاء والذال والراء والظاء اليابسة والكاف واللام والميم والصاد اليابسة والعين والسين اليابستان والهاء والواو إلا أنني أقول إنهم على مقامين في الاتحاد عال وأعلى فالعالي الألف والكاف والميم والعين والسين والأعلى ما بقي ومنهم العالم المتميز الطباع وهو الجيم والهاء والياء و

اللام والفاء والقاف والخاء والطاء خاصة وأجناس عوالم الحروف أربعة جنس مفرد وهو الألف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو و جنس ثنائي مثل الدال والذال و جنس ثلاثي مثل الجيم والحاء والخاء و جنس رباعي وهو الباء والتاء والثاء والياء في وسط الكلمة والنون كذلك فهو خماسي بهذا الاعتبار وإن لم تعتبرهما فتكون الباء والتاء والثاء من الجنس الثلاثي ويسقط الجنس الرباعي فهذا قد قصصنا عليك من عالم الحروف ما إن استعملت نفسك في الأمور الموصلة إلى كشف العالم والاطلاع على حقائقه وتحقق قوله تعالى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فلو كان تسييح حال كما يزعم بعض علماء النظر لم تكن فائدة في قوله وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ وصلت إليها ووقفت عليها و كنت قد ذكرت أنه ربما أتكلم على بعضها فنظرت في هؤلاء العالم ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره فوجدناه العالم المختص وهو عالم أوائل السور المجهولة مثل الم البقرة والمص والرؤس وأخواتها فلننكلم على الم البقرة التي هي أول سورة مبهمة في القرآن كلاما مختصرا من طريق الأسرار وربما الحق بذلك الآيات التي تليها وإن كان ذلك ليس من الباب ولكن فعلته عن أمر ربي الذي عهدته فلا أتكلم إلا على طريق الأذن كما أني سأقف عند ما يجد لي فإن تأليفنا هذا وغيره لا يجري مجرى التأليف ولا تجري نحن فيه مجرى المؤلفين فإن كل مؤلف إنما هو تحت اختياره وإن كان مجبوراً في اختياره أو تحت العلم الذي يثبته خاصة فيلقي ما يشاء ويمسك ما يشاء أو يلقى ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسألة التي هو بصدها حتى تبرز حقيقتها ونحن في تواليفنا لسنا كذلك إنما هي قلوب عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يفتح له الباب فقيرة خالية من كل علم لو سألت في ذلك المقام عن شيء ما سمعت لفقدتها إحساسها فمهما برز لها من وراء ذلك الستراً ما بادرت لامتثاله وأفته على حسب ما يجد لها في الأمر فقد يلقي الشيء إلى ما ليس من جنسه في العادة والنظر الفكري وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء لمناسبة خفية لا يشعر بها إلا أهل الكشف بل ثم ما هو أغرب عندنا إنه يلقي إلى هذا القلب أشياء يؤمر بإيصالها وهو لا يعلمها في ذلك الوقت لحكمة إلهية غابت عن الخلق فلهاذا لا يتقيد كل شخص يؤلف عن الإلقاء بعلم ذلك الباب الذي يتكلم عليه ولكن يدرج فيه غيره في علم السامع العادي على حسب ما يلقي إليه ولكنه عندنا قطعاً من نفس ذلك الباب بعينه لكن بوجه لا يعرفه غيرنا مثل الحمامة والغراب اللذين اجتماعاً لعرج قام بأرجلهما وقد أذن لي في تقييد ما ألقيه بعد هذا فلا بد منه «وصل» الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصة على عدد حروفها بالتكرار وعلى عدد حروفها بغير تكرار وعلى جملتها في السور وعلى أفرادها في ص و ق و ن و تثبتها في طس و طه وأخواتها وجمعها من ثلاثة فصاعداً حتى بلغت خمسة حروف متصلة ومنفصلة ولم تبلغ أكثر ولم وصل بعضها وقطع بعضها ولم كانت السور بالسين ولم تكن بالصاد ولم جهل معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر وعند كشف أهل الأحوال إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل فلنقل على بركة الله وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (اعلم) أن مبادي السور المجهولة لا يعرف حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة ثم جعل سور القرآن بالسين وهو التبعيد الشرعي وهو ظاهر السور الذي فيه العذاب وفيه يقع الجهل بها وباطنه بالصاد وهو مقام الرحمة وليس إلا العلم بحقائقها وهو

التوحيد فجعلها تبارك وتعالى تسعا وعشرين سورة وهو كمال الصورة وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ نَزَلِ وَالتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك وهو علة وجوده وهو سورة آل عمران الم الله ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون وجملتها على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفا فالثمانية حقيقة البضع قال ع الايمان بضع وسبعون وهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفا فلا يكمل عبد أسرار الايمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها (فإن قلت) إن البضع مجهول في اللسان فإنه من واحد إلى تسعة فمن أين قطعت بالثمانية عليه فإن شئت قلت لك من طريق الكشف وصلت إليه فهو الطريق الذي عليه أسلك والركن الذي إليه أستند في علمي كلها وإن شئت أبدت لك منه طرفا من باب العدد وإن كان أبو الحكم عبد السلام بن برجان لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره وإنما ذكره رحمه الله من جهة علم الفلك وجعله سترًا على كشفه حين قطع بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فكذلك إن شئنا نحن كشفنا وإن شئنا جعلنا العدد على ذلك حجابا فنقول إن البضع الذي في سورة الروم ثمانية وخمسة عشر حرفا بالجزء الصغير فتكون ثمانية فتجمعها إلى ثمانية البضع فتكون ستة عشر فتزيل الواحد الذي للالف للاس فيبقى خمسة عشر فتمسكها عندك ثم ترجع إلى العمل في ذلك بالجمل الكبير وهو الجزء فتضرب ثمانية البضع في أحد وسبعين واجعل ذلك كله سنين يخرج لك في الضرب خمسمائة وثمانية وستون فتضيف إليها الخمسة عشر التي أمرت أن ترفعها فتصير ثلاثة وثمانين وخمسمائة سنة وهو زمان فتح بيت المقدس على قراءة من قرأ غلبت الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وفتح اللام وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حج الكفار وهو فتح بيت المقدس ولنا في علم العدد من طريق الكشف أسرار عجيبة من طريق ما يقتضيه طبعه ومن طريق ما له من الحقائق الإلهية وإن طال بنا العمر فساد فرد لمعرفة العدد كتابا إن شاء الله فلنرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول فلا يكمل عبد الأسرار التي تتضمنها شعب الايمان إلا إذا علم حقائق هذه الحروف على حسب تكرارها في السور كما أنه إذا علمها من غير تكرار علم تنبيه الله فيها على حقيقة الإيجاد وتفرد القديم سبحانه بصفاته الأزلية فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفا مفردة مبهمة فجعل الثمانية لمعرفة الذات والسبع الصفات منا وجعل الأربعة للطباع المؤلفة التي هي الدم والسوداء والصفراء والبغم فجاءت اثنتي عشرة موجودة وهذا هو الإنسان من هذا الفلك ومن فلك آخر يتركب من أحد عشر ومن عشرة ومن تسعة ومن ثمانية حتى إلى فلك الاثني ولا يتحلل إلى الأحادية أبدا فإنها مما انفرد بها الحق فلا تكون لموجود إلا له ثم إنه سبحانه جعل أولها الألف في الخط والهمزة في اللفظ وآخرها النون فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفترقة إلى حركة والنون لوجود الشطر من العالم وهو عالم التركيب وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطية ولكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها فالألف كاملة من جميع وجوهها والنون ناقصة فالشمس كاملة والقمر ناقص لأنه محو فصفة ضوئه معارة وهي الأمانة التي حملها وعلى قدر محوه وسراره إثباته وظهوره ثلاثة لثلاثة فتلاثة غروب القمر القلبي الإلهي في الحضرة الأحادية وثلاثة طلوع قمر الإلهي في الحضرة

الربانية وما بينهما في الخروج والرجوع قدما بقدم لا يجتأل أبدا ثم جعل سبحانه هذه الحروف على مراتب منها موصول ومنها مقطوع ومنها مفرد وثنى ومجموع ثم نبه أن في كل وصل قطعاً وليس في كل قطع وصل فكل وصل يدل على فصل وليس كل فصل يدل على وصل فالوصل والفصل في الجمع وغير الجمع والفصل وحده في عين الفرق فما أفرده من هذه فأشاره إلى فناء رسم العبد أزلاً وما ثناه فأشاره إلى وجود رسم العبودية حالاً وما جمعه فأشاره إلى الأبد بالموارد التي لا تنتهي فالإفراد للبحر الأزلي والجمع للبحر الأبدي والثنى للبرزخ الحمدي الإنسان مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان أو بالبحر الذي فصله عنه وسماه بالأكون أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يخرج من بحر الأزل اللؤلؤ ومن بحر الأبد المَرْجَانُ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ الروحانية المُنشآتُ من الحقائق الأسمائية في البَحْرِ الذاتي الأقدس كالأغلامِ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يسئله العالم العلوي على علوه و قدسه والعالم السفلي على نزوله ونخسه كل خطرة في شأن فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فان لم تعدم الأعيان ولكنها رحلة من دنا إلى دان فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفُخُ مِنْكُمْ لِيُكَمَّ أَيُّهُ التَّقْلَانِ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهكذا لو اعتبر القرآن ما اختلف اثنان ولا ظهر خصمان ولا تناطح عنزان فدبروا آياتكم ولا تخرجوا عن ذاتكم فإن كان ولا بد فإلى صفاتكم فإنه إذا سلم العالم من نظركم وتديركم كان على الحقيقة تحت تسخيركم ولهذا خلق قال تعالى وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ وَاللَّهُ يَرِشِدُنَا وَإِيَّاكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُنَا وسعدتنا في الدنيا والآخرة إنه ولي كريم «وصل» الألف من الإشارة إلى التوحيد والميم للملك الذي لا يهلك واللام بينهما واسطة لتكون رابطة بينهما فانظر إلى السطر الذي يقع عليه الخط من اللام فتجد الألف إليه ينتهي أصلها وتجد الميم منه يتبدى نشوها ثم تنزل من أحسن تقويم وهو السطر إلى أسفل سافلين منتهى تعريق الميم قال تعالى خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ونزول الألف إلى السطر مثل قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا وهو أول عالم التركيب لأنه سماء آدم و يليه فلك النار فلذلك نزل إلى أول السطر فإنه نزل من مقام الأحادية إلى مقام إيجاد الخليفة نزول تقديس وتنزيه لا نزول تمثيل وتشبيه وكانت اللام واسطة وهي نائبة مناب المكون والكون فهي القدرة التي عنها وجد العالم فأشبهت الألف في النزول إلى أول السطر ولما كانت ممرجة من المكون والكون فإنه لا يتصف بالقدرة على نفسه وإنما هو قادر على خلقه فكان وجه القدرة مصروفاً إلى الخلق ولهذا لا يثبت للخالق إلا بالخلق فلا بد من تعلقها بهم علواً وسفلاً ولما كانت حقيقتها لا تتم بالوصول إلى السطر فتكون والألف على مرتبة واحدة طلبت بحقيقتها النزول تحت السطر أو على السطر كما نزل الميم فنزلت إلى إيجاد الميم ولم يتمكن أن تنزل على صورة الميم فكان لا يوجد عنها أبداً إلا الميم فنزلت نصف دائرة حتى بلغت إلى السطر من غير الجهة التي نزلت منها فصارت نصف فلك محسوس يطلب نصف فلك معقول فكان منهما فلك دائر فتكون العالم كله من أوله إلى آخره في ستة أيام أجناساً من أول يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة وبقي يوم السبت للانتقالات من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام والاستحالات من كون إلى كون ثابت على ذلك لا يزول ولا يتغير ولذلك كان الوالي على هذا اليوم البرد واليبس و

هو من الكواكب زحل فصار الموحده فلما محيطا من دار به علم الذات والصفات والأفعال والمفعولات فمن قرأ المبهذه الحقيقة والكشف حضر بالكل للكل مع الكل فلا يبقى شيء في ذلك الوقت إلا يشهده لكن منه ما يعلم ومنه ما لا يعلم فتزده الألف عن قيام الحركات بها يدل أن الصفات لا تعقل إلا بالأفعال كما قال ع كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان فهذا صرفنا الأمر إلى ما يعقل لا إلى ذاته المنزهة فإن الإضافة لا تعقل أبدا إلا بالمتضامين فإن الأبوة لا تعقل إلا بالأب والابن وجودا وتقديرا وكذلك المالك والخالق والبارئ والمصور وجميع الأسماء التي تطلب العالم بمجقاتها وموضع التنبيه من حروف الم عليها في اتصال اللام الذي هو الصفة بالميم الذي هو أثرها وفعالها فالألف ذات واحدة لا يصح فيها اتصال شيء من الحروف إذا وقعت أولا في الخط فهي الصراط المستقيم الذي سأله النفس في قولها اهدنا الصراط المستقيم صراط التنزيه والتوحيد فلما أمن على دعائها ربه الذي هو الكلمة الذي أمرت بالرجوع إليه في سورة الفجر قبل تعالى تأمينه على دعائها فأظهر الألف من المعقب ولا الضالين وأخفى آمين لأنه غيب من عالم الملكوت من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الغيب المتحقق الذي يسمونه العامة من الفقهاء الإخلاص وتسميه الصوفية الحضور وتسميه المحققون الهمة وتسميه أنا وأمثالنا العناية ولما كانت الألف متحدة في عالم الملكوت والشهادة ظهرت فوق الفرق بين القديم والحديث فانظر فيما سطرناه ترعجا وما يؤيد ما ذكرناه من وجود الصفة المد الموجود في اللام والميم دون الألف فإن قال صوفي وجدنا الألف مخطوطة والنطق بالهمزة دون الألف فلم لا ينطق بالألف فنقول وهذا أيضا مما يعضد ما قلناه فإن الألف لا تقبل الحركة فإن الحرف مجهول ما لم يحرك فإذا حرك ميز بالحركة التي تتعلق به من رفع ونصب وخفض والذات لا تعلم أبدا على ما هي عليه فالألف الدال عليها الذي هو في عالم الحروف خليفة كالإنسان في العالم مجهول أيضا كالذات لا تقبل الحركة فلما لم تقبلها لم يبق إلا أن تعرف من جهة سلب الأوصاف عنها ولما لم يمكن النطق بساكن نطقنا باسم الألف لا بالألف فنطقنا بالهمزة بحركة الفتحة فقامت الهمزة مقام المبدع الأول وحركتها صفته العلمية ومحل إيجادها في اتصال الكاف بالنون فإن قيل وجدنا الألف التي في اللام منطوقا بها ولم نجدها في الألف قلنا صدقت لا يقع النطق بها إلا بمتحرك مشبع التحرك قبلها موصولة به وإنما كلامنا في الألف المقطوعة التي لا يشبع الحرف الذي قبلها حركته فلا يظهر في النطق وإن رقت مثل ألف إنما المؤمنون فهذا أن الفان بين ميم إنما وبين لام المؤمنين موجودتان خطأ غير ملفوظ بهما نطقا وإنما الألف الموصولة التي تقع بعد الحرف مثل لام هاء حاء وشبهها فإنه لولا وجودها ما كان المد لواحد من هذه الحروف فمدها هو سر الاستمداد الذي وقع به إيجاد الصفات في محل الحروف ولهذا لا يكون المد إلا بالوصل فإذا وصل الحرف بالألف من اسمه الآخر امتد الألف بوجود الحرف الموصول به ولما وجد الحرف الموصول به افتقر إلى الصفة الرحمانية فأعطى حركة الفتح التي هي الفتحة فلما أعطيتها طلب منه الشكر عليها فقال وكيف يكون الشكر عليها قيل له إن تعلم السامعين بأن وجودك ووجود صفتك لم يكن بنفسك وإنما كان من ذات القديم تعالى فاذكره عند ذكرك نفسك فقد جعلك بصفة الرحمة خاصة دليلا عليه ولهذا قال إن الله خلق آدم على صورة الرحمن فنطقت بالثناء على موجودها فقالت لام ياء هاء حاء طاء فأظهرت نطقا ما خفي خطأ لأن الألف التي في طه وحم وطس موجودة نطقا

خفيت خطأ لدلالة الصفة عليها وهي الفتحة صفة افتتاح الوجود فإن قال وكذلك نجد المد في الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها فهي أيضا ثلاث ذوات فكيف يكون هذا وما ثم إلا ذات واحدة فنقول نعم أما المد الموجود في الواو المضموم ما قبلها فهي مثلن والقلم والياء المكسور ما قبلها مثل الياء من طس و ياء الميم من حم فمن حيث إن الله تعالى جعلهما حرفي علة وكل علة تستدعي معلولها بحقيقتها و إذا استدعت ذلك فلا بد من سر بينهما يقع به الاستمداد والإمداد فلماذا أعطيت المد وذلك لما أودع الرسول الملكي الوحي لو لم يكن بينه وبين الملقى إليه نسبة ما ما قبل شيئاً لكنه خفي عنه ذلك فلما حصل له الوحي ومقامه الواو لأنه روحاني علوي والرفع يعطي العلو وهو باب الواو المعتلة فعبرنا عنه بالرسول الملكي الروحاني جبريل كان أو غيره من الملائكة ولما أودع الرسول البشري ما أودع من أسرار التوحيد والشرائع أعطى من الاستمداد والإمداد الذي يمد به عالم التركيب وخفي عنه سر الاستمداد ولذلك قال ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بي ولا بِكُمْ وقال إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ولما كان موجوداً في العالم السفلي عالم الجسم والتركيب أعطيتاه الياء المكسور ما قبلها المعتلة وهي من حروف الخفض فلما كانا علتين لوجود الأسرار الإلهية من توحيد وشرع وهما سر الاستمداد فلذلك مدتا وأما الفرق الذي بينهما وبين الألف فإن الواو والياء قد يسلبان عن هذا المقام فيحركان بجميع الحركات كقوله وَجَدَكَ وَتَوَوَّى وَوَلُوا الأَدْبَارَ يَنَآؤُنْ يَغْنِيهِ إِنَّا بِكَ مَيِّتٌ وَقَدْ يَسْكُنَانِ بالسكون الحي كقوله وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَيَنَآؤُنْ وشبههما والألف لا تحرك أبداً ولا يوجد ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً فاذن فلان نسبة بين الألف وبين الواو والياء فهما حركت الواو والياء فإن ذلك مقامها ومن صفاتها ومهما ألحقنا بالألف في العلية فذلك ليس من ذاتها وإنما ذلك من جانب القديم سبحانه لا يحتمل الحركة ولا يقبلها ولكن ذلك من صفة المقام وحقيقته الذي نزلت به الواو والياء فمدلول الألف قديم والواو والياء محركتان كانتا أو لا محركتان فهما حادثان فإذا ثبت هذا فكل ألف أو واو أو ياء ارتفعت أو حصل النطق بها وإنما هي دليل وكل دليل محدث يستدعي محدثاً والحديث لا يحصره الرقم ولا النطق وإنما هو غيب ظاهر وكذلك يس ون فنجده نطقاً وهو ظهوره ولا نجده رقماً وهو غيبه وهذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا بذاته بوجود ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا بذاته واعلم أيها المتلقي أنه كل ما دخل تحت الحصر فهو مبدع أو مخلوق وهو محلك فلا تطلب الحق لا من داخل ولا من خارج إذ الدخول والخروج من صفات الحدوث فانظر الكل في الكل تجد الكل فالعرش مجموع والكرسي مفروق

يا طالباً لوجود الحق بذكره ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَلَمْ يَرْجِعُوا لَوْجِدُوا النور فلما رجعوا باعتقاد القطع ضرب بينهم بالسور وإلا لو عرفوا من ناداهم بقوله ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ لَقَالُوا أنت مطلوبنا ولم يرجعوا فكان رجوعهم سبب ضرب السور بينهم فبدت جهنم فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ و بقي الموحدون يمدون أهل الجنان بالولدان والخور الحسان من حضرة العيان فالوزير محل صفات الأمير والصفة التي انفرد بها الأمير وحده هي سر التدبير الذي خرجت عنه الصفات فعلم ما يصد رله من صفته وفعله جملة ولم يعلم ذلك الوزير إلا تفصيلاً وهذا هو الفرق فتأمل ما قلناه

تجد الحق إن شاء الله فإذا تبين هذا وتقرر أن الألف هي ذات الكلمة واللام ذات عين الصفة والميم عين الفعل وسرهم الخفي هو الموجد إياهم «وصل» فنقول فقوله ذلك الكتاب بعد قوله الم إشارة إلى موجود بيد أن فيه بعدا وسبب البعد لما أشار إلى الكتاب وهو المفروق محل التفصيل وأدخل حرف اللام في ذلك وهي تؤذن بالبعد في هذا المقام والإشارة نداء على رأس البعد عند أهل الله ولأنها أعني اللام من العالم الوسط فهي محل الصفة إذ بالصفة يتميز المحدث من القديم وخص خطاب المفرد بالكاف مفردة لتلايق الاشتراك بين المبدعات وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على قوله تعالى فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ من كتاب الجمع والتفصيل أي اخلع اللام والميم تبق الألف المنزهة عن الصفات ثم حال بين الذال الذي هو الكتاب محل الفرق الثاني وبين اللام التي هي الصفة محل الفرق الأول التي بها يقرأ الكتاب بالألف التي هي محل الجمع لئلا يتوهم الفرق الخطاب من فرق آخر فلا يبلغ إلى حقيقة أبدا ففصل بالألف بينهما فصار حجابا بين الذال واللام فأرادت الذال الوصول إلى اللام فقام لها الألف فقال بي تصل وأرادت اللام ملاقة الذال لتؤدي إليها أماتها فتعرض لها أيضا الألف فقال لها بي تلقاه فمهما نظرت الوجود جمعا وتفصيلا وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه البتة صحبة الواحد الأعداد فإن الاثنين لا توجد أبدا ما لم تصنف إلى الواحد مثله وهو الاثنين ولا تصح الثلاثة ما لم تزد واحدا على الاثنين وهكذا إلى ما لا يتناهى فالواحد ليس العدد وهو عين العدد أي به ظهر العدد فالعدد كله واحد لو نقص من الألف واحد انعدم اسم الألف وحقيقته وبقيت حقيقة أخرى وهي تسعمائة وتسعة وتسعون لو نقص منها واحد لذهب عينها فمتى انعدم الواحد من شيء عدم ومتى ثبت وجد ذلك الشيء هكذا التوحيد إن حققته وهو معكم أينما كنتم فقال ذا وهو حرف مبهم فيبين ذلك المبهم بقوله الكتاب وهو حقيقة ذا وساق الكتاب مجر في التعريف والعهد وهما الألف واللام من الم غير أنهما هنا من غير الوجه الذي كانتا عليه في الم فإنهما هناك في محل الجمع وهما هنا في أول باب من أبواب التفصيل ولكن من تفصيل سرائر هذه السورة خاصة لا في غيرها من السور هكذا ترتيب الحقائق في الوجود فذلك الكتاب هو الكتاب المرقوم لأن أمهات الكتب ثلاثة الكتاب المسطور والكتاب المرقوم والكتاب المجهول وقد شرحنا معنى الكتاب والكاتب في كتاب التديرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية في الباب التاسع منه فانظره هناك فنقول إن الذوات وإن اتحد معناها فلا بد من معنى به يفرق بين الذاتين يسمى الوصف فالكتاب المرقوم موصوف بالرقم والكتاب المسطور موصوف بالتسطير وهذا الكتاب المجهول الذي سلب عنه الصفة لا يخلو من أحد وجهين إما أن يكون صفة ولذلك لا يوصف وإما أن يكون ذاتا غير موصوفة والكشف يعطي أنه صفة تسمى العلم وقلوب كلمات الحق محله ألا تراه يقول الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ قُلْ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ فخطاب الكاف من ذلك بصفة العلم الذي هو اللام المخفوضة بالنزول لأنه يتنزه عن إن تدرك ذاته فقال للكاف التي هي الكلمة الإلهية ذلك الكتاب المنزل عليك هو علمي لا علمك لا ريب فيه عند أهل الحقائق أنزله في معرض الهداية لمن اتقاني وأنت المنزل فأنت محله ولا بد لكل كتاب من أم وأمه ذلك الكتاب المجهول لا تعرفه أبدا لأنه ليس بصفة لك ولا لأحد ولا ذات وإن شئت أن تحقق هذا فانظر إلى كيفية حصول العلم في العالم أو حصول صورة المرئي في الرائي فليست وليس غيرها فانظر إلى درجات حروف لا ريب

فيه هدى للمتقين ومنازلها على حسب ما نذكره بعد الكلام الذي نحن بصدده وتدبر ما بثته لك وحل عقدة لام الألف من لا ريب تصير ألفان لأن تعريقة اللام ظهرت صورتها في نون المتقين وذلك لتأخر الألف عن اللام من اسمه الآخر وهي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه في قوله من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة اللام على معرفة الألف فصارت دليلا عليه ولم يمتزجا حتى يصيرا ذاتا واحدة بل بان كل واحد منهما بذاته ولهذا لا يجتمع الدليل والمدلول ولكن وجه الدليل هو الرابط وهو موضع اتصال اللام بالألف فاضرب الألفين أحدهما في الآخر تصيح لك في الخارج ألف واحدة أو هذا حقيقة الاتصال كذلك اضرب المحدث في القديم حسا يصح لك في الخارج المحدث ويغنى القديم بخروجه وهذا حقيقة الاتصال والاتحاد وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَهَذَا تَقْيِضُ إِشَارَةَ الْجَنِيدِ فِي قَوْلِهِ لِلْعَاطِسِ إِنْ الْمَحْدُثُ إِذَا قُورِنَ بِالْقَدِيمِ لَمْ يَبْقُ لَهُ أَثَرٌ لِاخْتِلَافِ الْمَقَامِ أَلَا تَرَى كَيْفَ اتَّصَلَ لَامُ الْأَلْفِ مِنْ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنَ الْكُرْسِيِّ فَبَدَتْ ذَاتَانِ لَا جَهْلَ سِرِّ الْعَقْدِ بَيْنَهُمَا ثُمَّ فَصَلَهُمَا الْعَرْشُ عِنْدَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ وَالْوَصُولِ فَصَارَتْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ أَلْ فَظَهَرَتْ اللَّامُ بِحَقِيقَتِهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ بِهَا مَقَامُ الْإِتِّصَالِ وَالْإِتِّحَادِ مِنْ يَرُدُّهَا عَلَى صُورَتِهِ فَأَخْرَجْنَا نِصْفَ الدَّائِرَةِ مِنَ اللَّامِ الَّتِي خَفِيَ فِي لَامِ الْأَلْفِ إِلَى عَالَمِ التَّرَكِيبِ وَالْحَسْبُ بَقِيَتْ أَلْفَانُ أَوْ فِي الْفَرْقِ فَضَرَبْنَا الْوَاحِدَ فِي الْوَاحِدِ وَهُوَ ضَرْبُ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ فَصَارَ وَاحِدًا أَفْ بَلَسَ الْوَاحِدَ الْآخَرَ فَكَانَ الْوَاحِدَ رِءَاءَ وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الْمُبْدَعُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَكَانَ الْآخَرَ مُرْتَدِيًا وَهُوَ الَّذِي خَفِيَ وَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُبْدَعُ فَلَا يَعْرِفُ الْمُرْتَدِيَّ إِلَّا بَاطِنُ الرِّءَاءِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَيَصِيرُ الرِّءَاءُ عَلَى شَكْلِ الْمُرْتَدِيِّ فَإِنْ قَلْتَ وَاحِدًا صَدَقْتَ وَإِنْ قَلْتَ ذَاتَانِ صَدَقْتَ عَيْنًا وَكَشَفْنَا وَلِلَّهِ دَرٌّ مِنْ قَالِ

فتشاكلا فتشابه الأمر
رق الزجاج و رقت الخمر
و كأنما قدح و لا خمر
فكأنما خمر و لا قدح

وأما ظاهر الرءاء فلا يعرف المرتدي أبدا وإنما يعرف باطن ذاته وهو حجابها فكذلك لا يعلم الحق إلا العلم كما لا يحمد على الحقيقة إلا الحمد وأما أنت فتعلمه بوساطة العلم وهو حجابك فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك وإن كان مطابقا للمعلوم وعلمك قائم بك وهو مشهودك ومعبودك فإياك إن تقول إن جريت على أسلوب الحقائق إنك علمت المعلوم وإنما علمت العلم والعلم هو العالم بالمعلوم وبين العلم والمعلوم محور لا يدرك قعرها فإن سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر عسير مركبه بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الإشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة دقيقة لا يحس بها أنها على عين بصيرته لرفقتها وهي عسيرة المدرك فأحرى من خلقها فانظر أين هو من يقول إني علمت الشيء من ذلك الشيء محدثا كان أو قديما بل ذلك في المحدث وأما القديم فأبعد وأبعد إذ لا مثل له فمن أين يتوصل إلى العلم به أو كيف يحصل وسيأتي الكلام على هذه المسألة السننية في الفصل الثالث من هذا الباب فلا يعرف ظاهر الرءاء المرتدي إلا من حيث الوجود بشرط أن يكون في مقام الاستسقاء ثم يزول ويرجع لأنها معرفة علة لا معرفة جذب وهذه رؤية أصحاب الجنة في الآخرة وهو تجل في وقت دون وقت وسيأتي الكلام عليه في باب الجنة من هذا الكتاب وهذا هو مقام التفرقة وأما أهل الحقائق باطن الرءاء فلا يزالون مشاهدين أبدا

ومع كونهم مشاهدين فظاهرهم في كرسي الصفات ينعم بمواد بشرة الباطن نعيم اتصال وانظر إلى حكمته في كون ذلك مبتدأ ولم يكن فاعلا ولا مفعولا لما لم يسم فاعله لأنه لا يصح أن يكون فاعلا لقوله لا ريب فيه فلو كان فاعلا لوقع الريب لأن الفاعل إنما هو فكيف ينسب إليه ما ليس بصفته لأن مقام الذال أيضا يمنع ذلك فإنه من الحقائق التي كانت ولا شيء معها ولهذا لا يتصل بالحروف إذا تقدم عليها كالألف وأخواته الدال والراء والزاي والواو ولا يقول فيه أيضا مفعول لم يسم فاعله لأنه من ضرورته أن يتقدمه كلمة على بنية مخصوصة محلها النحو والكتاب هنا نفس الفعل والفعل لا يقال فيه فاعل ولا مفعول وهو مرفوع فلم يبق إلا أن يكون مبتدأ ومعنى مبتدأ لم يعرف غيره من أول وهلة أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ فإِنْ قِيلَ مِنْ ضَرُورَةٍ كُلِّ مَبْتَدَأٍ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ ابْتِدَاءٌ قَلْنَا نَعْمَ عَمَلٌ فِيهِ أَمُ الْكِتَابِ فِيهِ ابْتِدَاءُ الْعَامِلَةِ فِي الْكِتَابِ وَالْعَامِلُ فِي الْكَلِّ حَقًّا وَخَلَقَ اللَّهُ الرَّبَّ وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ فَشَرِكْتُ ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ الْمَصِيرُ فَوَحْدَ فَالشُّكْرُ مِنْ مَقَامِ التَّفَرُّقَةِ فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَشْكُرَ الرَّدَاءَ لِمَا كَانَ سَبَبًا مُوصِلًا إِلَى الْمُرْتَدِي وَالْمَصِيرُ مِنَ الرَّدَاءِ وَمِنْكَ إِلَى الْمُرْتَدِي كُلِّ عَلَى شَاكِلَتِهِ يَصِلُ فَفَقَهُمْ مَا قَلْنَاهُ وَفَرَّقَ بَيْنَ مَقَامِ الذَّالِّ وَالْأَلْفِ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي مَقَامِ الْوَحْدَانِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ قَبْلِيَّةِ حَالًا وَمَقَامًا وَبَعْدِيَّةِ مَقَامًا لَا حَالًا «تَنْبِيه» قَالَ ذَلِكَ وَلَمْ يَقُلْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فَالْكِتَابُ لِلْجَمْعِ وَالآيَاتُ لِلتَّفَرُّقَةِ وَذَلِكَ مَذْكَرٌ مُفْرَدٌ وَتِلْكَ مُؤنثٌ فَأشارَ تَعَالَى بِذَلِكَ الْكِتَابِ أَوْ لَا لوجودِ الْجَمْعِ أَصْلًا قَبْلَ الْفَرْقِ ثُمَّ أَوْجَدَ الْفَرْقَ فِي الْآيَاتِ كَمَا جَمَعَ الْعَدَدُ كُلَّهُ فِي الْوَاحِدِ كَمَا قَدَّمَ نَاهِ إِذَا اسْقَطْنَا هُنَا عَدَمَ حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْعَدَدِ وَمَا بَقِيَ لِلْأَلْفِ أَثَرٌ فِي الْوُجُودِ وَإِذَا أَبْرَزْنَا هُنَا بَرَزَتْ الْأَلْفُ فِي الْوُجُودِ فَانظُرْ إِلَى هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا حَقِيقَةُ الْوَاحِدِ الَّتِي مِنْهُ ظَهَرَتْ هَذِهِ الْكَثْرَةُ إِلَى مَا لَا يَنْتَاهِي وَهُوَ مُفْرَدٌ فِي نَفْسِهِ ذَاتًا وَاسْمًا ثُمَّ أَوْجَدَ الْفَرْقَ فِي الْآيَاتِ قَالَ تَعَالَى إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ثُمَّ قَالَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ بِدَأْ بِالْجَمْعِ الَّذِي هُوَ كُلُّ شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَلْوَحِ مَقَامِ الْفَرْقِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِشَارَةً إِلَى الْجَمْعِ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا رَدًّا إِلَى الْفَرْقِ لِكُلِّ شَيْءٍ رَدًّا إِلَى الْجَمْعِ فَكُلُّ مَوْجُودٍ كَانَ عَمُومًا لَا يَخْتَلُونَ بِأَنَّ الْوَاحِدَ يَكُونُ إِمَّا فِي عَيْنِ الْجَمْعِ أَوْ فِي عَيْنِ الْفَرْقِ لَا غَيْرَ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَعْرِى عَنْ هَاتَيْنِ الْحَقِيقَتَيْنِ مَوْجُودٌ وَلَا يَجْمَعُهُمَا أَبَدًا فَالْحَقُّ وَالْإِنْسَانُ فِي عَيْنِ الْجَمْعِ وَالْعَالَمُ فِي عَيْنِ التَّفَرُّقَةِ لَا يَجْتَمِعُ كَمَا لَا يَفْتَرِقُ الْحَقُّ أَبَدًا كَمَا لَا يَفْتَرِقُ الْإِنْسَانُ فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ فِي أَزَلِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَمْ يَتَجَدَّدْ عَلَيْهِ حَالٌ وَلَا ثَبَتَ لَهُ وَصْفٌ مِنْ خَلْقِ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَلْ هُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ وَجُودِ الْكَوْنِ كَمَا وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَزَيْدٌ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ فَانْدَرَجَ فِي الْحَدِيثِ مَا لَمْ يَقُلْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقْصُودُهُمْ أَيْ الصِّفَةُ الَّتِي وَجِبَتْ لَهُ قَبْلَ وَجُودِ الْعَالَمِ هُوَ عَلَيْهَا وَالْعَالَمُ مَوْجُودٌ وَهَكَذَا هِيَ الْحَقَائِقُ عِنْدَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا فَالتَّذَكِيرُ فِي الْأَصْلِ وَهُوَ أَدَمٌ قَوْلُهُ ذَلِكَ وَالتَّائِيثُ فِي الْفَرْعِ وَهُوَ حَوَاءٌ قَوْلُهُ تِلْكَ وَقَدْ أَشْبَعْنَا الْقَوْلَ فِي هَذَا الْفَصْلِ فِي كِتَابِ الْجَمْعِ وَالتَّفْصِيلِ الَّذِي صَنَفْنَاهُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ فَادْمَجْ لْجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَحَوَاءٌ لِتَفْرِيقِ الذَّوَاتِ إِذْ هِيَ مَحَلُّ الْفِعْلِ وَالْبَدْرُ وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ مَحَلُّ الْأَحْكَامِ وَالْقَضَايَا وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى مَعْنَى ذَلِكَ وَتِلْكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنِّي أَنزَلْتُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلْتُ الْخِطَابِ فَحُرُوفُ الْمَرْقَمَا ثَلَاثَةٌ وَهُوَ جَمَاعٌ عَلَيْهَا فَإِنَّ فِيهَا الْهَمْزَةَ وَهِيَ مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَاللَّامُ وَهِيَ مِنَ الْعَالَمِ الْوَسْطِيِّ وَالْمِيمُ وَهِيَ مِنَ الْعَالَمِ الْأَسْفَلِ

فقد جمع الم البرزخ والدارين والرابط والحقيقتين وهي على النصف من حروف لفظه من غير تكرار وعلى الثلاث بغير تكرار وكل واحد منهما ثلث كل ثلاث وهذه كلها أسرار تتبعناها في كتاب المبادي والغايات وفي كتاب الجمع والتفصيل فليكن هذا القدر من الكلام على الم البقرة في هذا الباب بعد ما رغبتنا في ترك تقييد ما تجلي لنا في الكتاب والكتاب فلقد تجلّت لنا فيه أمور جسام مهولة رمينا الكراسية من أيدينا عند تجليها وفررنا إلى العالم حتى خف عنا ذلك وحينئذ رجعنا إلى التقييد في اليوم الثاني من ذلك التجلي وقبلت الرغبة فيه و أمسك علينا ورجعنا إلى الكلام على الحروف حرفا حرفا كما شرطناه أولا في هذا الباب رغبة في الإيجاز والاختصار وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«فمن ذلك حرف الألف»

لك في الأكوان عين و محل	ألف الذات تنزهت فهل
حرف تأبىد تضمنت الأزل	قال لا غير التفاتي فأنا
وأنا من عز سلطاني وجل	فأنا العبد الضعيف الجتبي

الألف ليس من الحروف عند من شم رائحة من الحقائق ولكن قد سمته العامة حرفا فإذا قال المحقق إنه حرف وإنما يقول ذلك على سبيل التجوز في العبارة ومقام الألف مقام الجمع له من الأسماء اسم الله وله من الصفات القيومية وله من أسماء الأفعال المبدئى والباعث والواسع والحافظ والخالق والبارئ والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والباسط والمعز والمعيد والرافع والحجي والوالي والجامع والمغني والنافع وله من أسماء الذات الله والرب والظاهر والواحد والأول والآخر والصدم والغني والرقيب والمتين والحق وله من الحروف اللفظية الهمزة واللام والفاء وله من البسائط الزاي والميم والهاء والفاء واللام والهمزة وله من المراتب كلها وظهوره في المرتبة السادسة و ظاهر سلطانه في النبات وإخوته في هذه المرتبة الهاء واللام وله مجموع عالم الحروف ومراتبها ليس فيها ولا خارجا عنها نقطة الدائرة ومحيطها مركب العوالم وبسيطها

«ومن ذلك حرف الهمزة»

كل ما جاورها من منفصل	همزة تقطع وقتا و تصل
جل أن يحضره ضرب المثل	فهي الدهر عظيم قدرها

الهمزة من الحروف التي من عالم الشهادة والملكوت لها من المخارج أقصى الخلق ليس لها مرتبة في العدد لها من البسائط الفاء والميم والزاي والألف والياء لها من العالم الملكوت ولها الفلك الرابع ودورة فلكها تسع آلاف سنة ولها من المراتب الرابعة والسادسة والسابعة وظهور

سلطانها في الجن والنبات والجماد ولها من الحروف الهاء والميم والزاي والهاء في الوقف والتاء بالنطقين من فوق في الوصل والتونين في القطع لها من الأسماء ما للألف والواو والياء فأغنى عن التكرار وتختص من أسماء الصفات بالقهار والقاهر والمقتدر والقوي والقادر وطبعها الحرارة واليبوسة وعنصرها النار واختلفوا هل هي حرف أو نصف حرف في الحروف الرقمية وأما في التلفظ بها فلا خلاف إنها حرف عند الجميع

«ومن ذلك حرف الهاء»

إنية خفيت له في الظاهر هاء الهوية كم تشير لكل ذي
تبدو لأوله عيون الآخر هل لا تحقت وجود رسمك عند ما

اعلم أن الهاء من حروف الغيب لها من المخارج أقصى الحلق ولها من العدد الخمسة ولها من البسائط الألف والهمزة واللام والهاء والميم والزاي ولها من العالم الملكوت ولها الفلك الرابع وزمان حركة فلكتها تسع آلاف سنة ولها من الطبقات الخاصة وخاصة الخاصة ولها من المراتب السادسة وظهور سلطانها في النبات ويوجد منه بآخرها ما كان حاراً رطباً وتيله بعد ذلك إلى البرودة واليبوسة ولها من الحركات المستقيمة والمعوجة وهي من حروف الأعراق ولها الامتزاج وهي من الكوامل وهي من عالم الانفراد وطبعها البرودة واليبس و الحرارة والرطوبة مثل عطارده وعنصرها الأعظم التراب وعنصرها الأقل الهواء ولها من الحروف الألف والهمزة ولها من الأسماء الذاتية الله والأول والآخر والمجد والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمتين والأحد والملك ولها من أسماء الصفات المقتدر والحصي ولها من أسماء الأفعال اللطيف والفتاح والمبدئ والجيب والمقيت والمصور والمذل والمعز والمعيد والحبي والميت والمنتم والمقسط والمغني والمنع ولها غاية الطريق

«ومن ذلك حرف العين المهملة»

فانظر إليه بمنزل الأشهاد عين العيون حقيقة الإيجاد
نظر السقيم محاسن العواد تبصره ينظر نحو موجد ذاته
يرجو ويحذر شيمة العباد لا يلتفت أبداً لغير إلهه

اعلم أن العين من عالم الشهادة والملكوت وله من المخارج وسط الحلق وله من عدد الجمل عقد السبعين وله من البسائط الياء والنون والألف والهمزة والواو وله الفلك الثاني وزمان حركة فلكتها إحدى عشرة ألف سنة وله من طبقات العالم الخاصة وخاصة الخاصة وله من المراتب الخامسة وظهور سلطانها في البهائم ويوجد عنه كل حار رطب وله من الحركات الأفقية وهي المعوجة وهو من حروف الأعراف وهو من الحروف الخاصة وهو كامل وهو من عالم الإنس الثنائي وطبعه الحرارة والرطوبة وله من الحروف الياء والنون وله من الأسماء الذاتية

الغني والأول والآخرو له من أسماء الصفات القوي والمحصي والحفي ومن أسماء الأفعال النصير والنافع والواسع والوهاب والوالي

«ومن ذلك حرف الحاء المهملة»

أخفى حقيقته عن رؤية البشر حاء الحواميم سر الله في السور
فارحل إلى عالم الأرواح و الصور فإن ترحلت عن كون و عن شيخ
إلى حقاقتها جاءت على قدر وانظر إلى حاملات العرش قد نظرت
أن لا يداني ولا يخشى من الغير تجد لحائك سلطانا و عزته

اعلم أيها الولي أن الحاء من عالم الغيب وله من المخارج ووسط الحلق وله من العدد الثمانية وله من البسائط الألف والهمزة واللام والهاء و الفاء والميم والزاي وله من العالم الملكوت وله الفلك الثاني وسنى حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة وهو من الخاصة وخاصة الخاصة و له من المراتب السابعة وظهور سلطانه في الجماد ويوجد عنه ما كان باردا رطبا وعنصره الماء وله من الحركات المعوجة وهو من حروف الأعراف وهو خالص غير ممتزج وهو كامل يرفع من اتصل به هو من عالم الأنس الثلاثي وطبعه البرودة والرطوبة وله من الحروف الألف والهمزة وله من أسماء الذات الله والأول والآخرو الملك والمؤمن والمهيمن والمنكبر والمجيد والمتين والمتعالي والعزيز وله من أسماء الصفات المقدر والمحصي وله من أسماء الأفعال اللطيف والفتاح والمبدئ والحبيب والمقيت والمصور والمذل والمعز والمعيد والحبي والميت والمنتقم والمقسط والمغني والمانع وله بداية الطريق

«ومن ذلك حرف الغين المنقوطة»

إلا تجليه الأطم الأخطر الغين مثل العين في أحواله
فاعرف حقيقة فيضه و تستر في الغين أسرار التجلي الأقهر
حذرا على الرسم الضعيف الأحقر وانظر إليه من ستارة كونه

اعلم أيديك الله بروح منه أن الغين المنقوطة من عالم الشهادة والملكوت ومخرجه الحلق أدنى ما يكون منه إلى الفم عدده عندنا تسعمائة وعند أهل الأسرار وأما عند أهل الأنوار فعدده ألف كل ذلك في حساب الجمل الكبير وبسائطه الياء والنون والألف والهمزة والواو وفلكه الثاني وسنى فلكه في حركة إحدى عشرة ألف سنة يتميز في طبقة العامة مرتبة الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة والرطوبة وعنصره الماء يوجد عنه كل ما كان باردا رطبا حركته معوجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مثني مؤنس له الأفراد الذاتيه له من الحروف الياء والنون له من الأسماء الذاتية الغني والعلي والله والأول والآخرو الواحد وله من أسماء الصفات الحفي والمحصي والقوي وله من أسماء الأفعال النصير والواقعي والواسع والوالي والوكيل وهو ملكوتي

«ومن ذلك حرف الخاء المنقوطة»

أعطتك من أسرارها وتأخرت	الحاء مهما أقبلت أو أدبرت
يهوى المكون حكمة قد أظهرت	فعلوها يهوى الكيان و سفلها
قدنست وقتا و ثم تطهرت	أبدى حقيقتها مخطط ذاتها
في سفلها و لهيب نار سعرت	فأعجب لها من جنة قد أزلت

اعلم أيدك الله أن الخاء من عالم الغيب والملكوت مخرجه الحلق مما يلي الفم عدده ستمائة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الثاني سنى فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة مرتبه السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبع رأسه البرودة والبيوسة والحرارة والرطوبة بقية جسده عنصره الأعظم الهواء والأقل التراب يوجد عنه كل ما اجتمعت فيه الطبائع الأربع حركته معوجة له الأحوال والخلق والكرامات ممتزج كامل يرفع من اتصل به على نفسه مثلث مؤنس له علامة له من الحروف الهمزة والألف له من الأسماء الذاتية و الصفاتية والفعلية كل ما كان في أوله زاي أو ميم كالملك والمقدر والمعز أو هاء كالهادي أو فاء كالفتاح أو لام كاللطيف أو همزة كالأول

«ومن ذلك حرف القاف»

و علوم أهل العرب مبدأ قطره	القاف سر كماله في رأسه
في شطره و شهوده في شطره	و الشوق يشبه و يجعل غيبه
و انظر إلى شكل الرئيس كبدره	و انظر إلى تعريقه كهلاله
لوجود مبدئه و مبدأ عصره	عجبا لآخر نشأة هو مبدأ

اعلم أيدنا الله وإياك أن القاف من عالم الشهادة والجبروت مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك عدده مائة بسائطه الألف والفاء والهمزة واللام فلكه الثاني سنى حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة مرتبه الرابعة ظهور سلطانه في الجن طبعه الأمهات الأول آخره حار يابس وسائرته بارد رطب عنصره الماء والنار يوجد عنه الإنسان والعنقاء له الأحوال حركته ممتزجة ممتزج مؤنس مشنى علامته مشتركة له من الحروف الألف والفاء وله من الأسماء على مراتبها كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه له الذات عند أهل الأسرار وعند أهل الأتوار الذات والصفات

«ومن ذلك حرف الكاف»

من كاف خوف شاهد الإفضالا	كاف الرجاء يشاهد الإجلالا
يعطيك ذا صدا و ذاك وصالا	فانظر إلى قبض و بسط فيهما

و لذلك جلى من سناه جمالا الله قد جلى لذا إجلاله

اعلم أيدنا الله وإياك أن الكاف من عالم الغيب والجبروت له من المخارج منحج القاف وقد ذكر إلا أنه أسفل منه عدده عشرون بسائطه الألف والفاء والهمزة واللام له الفلك الثاني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة وخاصة مرتبة الرابعة ظهور سلطانه في الجن يوجد عنه كل ما كان حارا يابساً عنصره النار طبعه الحرارة واليبوسة مقامه البداية حركته ممتزجة هو من الأعراق خالص كامل يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار ولا يرفع عند أهل الأسرار مفرد موحش له من الحروف ما للقاف وله من الأسماء كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه وحروفه

«ومن ذلك حرف الضاد المعجمة»

لرأيت سر الله في جبروته في الضاد سر لو أوج بذكره
من غيره في حضرتي رحمته فانظر إليه واحدا و كماله
أسرى به الرحمن من ملكوته وإمامه اللفظ الذي بوجوده

اعلم أيدنا الله وإياك أن الضاد المعجمة من حروف الشهادة والجبروت ومخرجه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس عدده تسعون عندنا وعند أهل الأنوار ثمانمائة بسائطه الألف والداد اليبوسة والهمزة واللام والفاء فلكه الثاني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبة الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما كان باردا رطبا حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مثنى مؤنس علامته الفردانية له من الحروف الألف والداد وله من الأسماء كما أعلمناك في الحرف الذي قبله رغبة في الاختصار والله المعين الهادي

«ومن ذلك حرف الجيم»

لمشاهد الأبرار والأخبار الجيم يرفع من يريد وصاله
متحقق بحقيقة الإيثار فهو العبيد القن إلا أنه
و بدئه يمشي على الآثار يرنو بغايته إلى معبوده
و مزاجه برد و لفح النار هو من ثلاث حقائق معلومة

اعلم أيدنا الله وإياك أن الجيم من عالم الشهادة والجبروت ومخرجه من وسط اللسان بينه وبين الحنك عدده ثلاثة بسائطه الياء والميم والألف والهمزة فلكه الثاني سنه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبة الرابعة ظهور سلطانه في الجن جسده بارد يابس رأسه حار يابس طبعه البرودة والحرارة واليبوسة عنصره الأعظم التراب والأقل النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته معوجة له الحقائق

والمقامات والمنازلات ممتزج كامل يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار والأسرار إلا الكوفيون مثلث مؤنس علامته الفردانية له من الحروف
الياء والميم ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث»

وكل من نالها يوما فقد وصلا في الشين سبعة أسرار لمن عقلا
إذا الأمين على قلب بها نزلا تعطيك ذاتك والأجسام ساكئة
رأوا هلال محاق الشهر قد كمللا لو عاين الناس ما تحويه من عجب

اعلم أيدينا الله وإياك نطقا وفهما أن الشين من عالم الغيب والجبروت الأوسط منه مخرجه مخرج الجيم عدده عندنا ألف وعند أهل الأنوار
ثلاثمائة بسائطه الياء والنون والألف والهمزة والواو فلكه الثاني سنى هذا الفلك قد تقدم ذكرها يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبه
الخامسة سلطانه في البهائم طبعه بارد رطب عنصره الماء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة كامل خالص مثنى مؤنس له الذات و
الصفات والأفعال له من الحروف الياء والنون ومن الأسماء على نحو ما تقدم له الخلق والأحوال والكرامات

«ومن ذلك حرف الياء»

كلوا في العالم العلوي معتمرا ياء الرسالة حرف في الثرى ظهرا
وهو المدد قلوبا عانقت صورا فهو المدد جسوما ما لها ظلل
يتلو فيسمع سر الأحرف السورا إذا أراد بنا جيكم بحكمته

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه أن الياء من عالم الشهادة والجبروت مخرجه مخرج الشين عدده العشرة للأفلاك الاثني عشر وواحد للأفلاك
السبعة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الثاني سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له الغاية و
المرتبة السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبعه الأمهات الأول عنصره الأعظم النار والأقل الماء يوجد عنه الحيوان حركته ممتزجة له الحقائق و
المقامات والمنازلات ممتزج كامل رباعي مؤنس له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف اللام»

ومقامه الأعلى البهي الأنفس اللام للأزل السني الأقدس
و العالم الكوني مهما يجلس مهما يتم تبدي المكون ذاته
يمشي ويرفل في ثياب السندس يعطيك روحا من ثلاث حقائق

اعلم أيدينا الله وإياك بروح القدس أن اللام من عالم الشهادة والجبروت مخرجه من حافة اللسان أدهاها إلى منتهى طرفه عدده في الاثني عشر

فلكا ثلاثون وفي الأفلاك السبعة ثلاثة بسائطه الألف والميم والهمزة والفاء والياء فللكه الثاني سنيه تقدمت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له الغاية مرتبة الخامسة سلطانه في الهائم طبعه الحرارة والبرودة واليبوسة عنصره الأعظم النار والأقل التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته مستقيمة ومترجحة له الأعراف ممتزج كامل مفرد موحش له من الحروف الألف والميم ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الراء»

أبدا بدار نعيمه لن يخذلا	راء الحبة في مقام وصله
غيري و وقتا يا أنا لن يجھلا	وقتا يقول أنا الوحيد فلا أرى
كنت المقرب والحبيب الأكملا	لو كان قلبك عند ربك هكذا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الراء من عالم الشهادة والجبروت ومخرجها من ظهر اللسان وفوق الثنايا عدده في الاثني عشر فلكا مائتان و في الأفلاك السبعة اثنان بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فللكه الثاني سنى فللكه معلومة له الغاية مرتبة السابعة ظهور سلطانه في الجماد يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته مترجحة له الأعراف خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف النون»

في عينها عينا على معبودها	نون الوجود تدل نقطة ذاتها
و جميع أكوان العلى من جودها	فوجودها من جوده و يمينه
من جودها تعشر على مفقودها	فانظر بعينك نصف عين وجودها

اعلم أيد الله القلوب بالأرواح أن النون من عالم الملك والجبروت مخرجه من حافة اللسان وفوق الثنايا عدده خمسون وخمسة بسائطه الواو و الألف فللكه الثاني سنى حركته قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبة المنزهة الثانية ظهور سلطانه في الحضرة الإلهية طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته مترجحة له الخلق والأحوال والكرامات خالص ناقص مفرد موحش له الذات له من الحروف الواو والأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الطاء المهملة»

منها حقيقة عين الملك في الملك	في الطاء خمسة أسرار مخبأة
و النور في النار والإنسان في الملك	و الحق في الخلق والأسرار نائبة
علمت أن وجود الفلك في الفلك	فهذه خمسة مهمما كلفت بها

اعلم أيدينا الله به أن الطاء من عالم الملك والجبروت مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنانيا عدده تسعة بسائطه الألف والهمزة واللام و الفاء والميم والزاي والهاء فلكه الثاني سنيه مذكرة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة وله غاية الطريق مرتبة السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركة مستقيمة عند أهل الأنوار ومعوجة عند أهل الأسرار وعند أهل التحقيق وعندنا معا ومتمزجة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الدال المهملة»

عن الكيان فلا عين ولا أثر	الدال من عالم الكون الذي انتقلا
سبحانه جل أن يحظى به بشر	عزت حقائقه عن كل ذي بصر
فيه المثاني ففيه الآي والسور	فيه الدوام فوجود الحق منزله

اعلم أيدينا الله بأسمائه أن الدال من عالم الملك والجبروت مخرجه مخرج الطاء عدده أربعة بسائطه الألف واللام والهمزة والفاء والميم فلكه الأول سني حركة اثنتا عشرة ألف سنة له غاية الطريق مرتبة الخامسة سلطانه في البهائم طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركة متمزجة بين أهل الأنوار والأسرار له الأعراف خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف واللام ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف التاء باثنتين من فوق»

فحظه من وجود القوم تلوين	التاء يظهر أحيانا ويستتر
وما له في جناب الفعل تمكين	يجوي على الذات والأوصاف حضرته
وملكه اللوح والأقلام والنون	يدو فيظهر من أسراره عجباً
في ذاته والضحي والشرح والتين	الليل والشمس والأعلى وطارقه

اعلم أيها الولي الحميم أن التاء من عالم الغيب والجبروت مخرجه مخرج الدال والطاء عدده أربعة وأربعمئة بسائطه الألف والهمزة واللام و الفاء والهاء والميم والزاي فلكه الأول سنيه قد ذكرت يتميز في خاصة الخاصة مرتبة السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركة متمزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل رباعي مؤنس له الذات والصفات له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الصاد اليابسة»

عند المنام وستر السهد يحجبه	في الصاد نور لقلب بات يرقبه
-----------------------------	-----------------------------

ينير صدرك و الأسرار ترقبه
فتم فإنك تلقى نور سجده
المشكور فهو على العادات يعقبه
فذلك النور نور الشكر فارتقب

اعلم أيها الصفي الكريم أن الصاد من عالم الغيب والجبروت مخرجه مما بين طرفي اللسان وفوق الثنايا السفلي عدده ستون عندنا وتسعون عند أهل الأنوار بسائطه الألف والذال والهمزة واللام والفاء فلكه الأول سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له أول الطريق مرتبه الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركة متمزجة مجهولة له الأعراف خالص كامل مثني مؤنس له من الحروف الألف والذال ومن الأسماء كما تقدم ثم اعلم أنني جعلت سر هذا الصاد اليابسة لا ينال إلا في النوم لكوني ما نلته ولا أعطانيه الحق تعالى إلا في المنام فلهذا حكمت عليه بذلك وليست حقيقته ذلك والله يعطيه في النوم واليقظة ولما وقفت عنده بالتقييد جعلت بعض الأصحاب يقرأ على أسرار الحروف لأصلح ما اختل منها عند التقييد لسرعة القلم فلما وصل بالقراءة إلى هذا الحرف قلت لهم ما اتفق لي فيه وأن النوم ليس لازماً في نيله ولكن هكذا أخذته فوصفت حالتي وانفض الجمع فلما كان من الغد من يوم السبت قعدنا على سبيل العادة في المجلس بالمسجد الحرام تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه الجاور أبو يحيى بيكر بن أبي عبد الله الهاشمي التويهي الطرابلسي رحمه الله فجاء على عادته فلما فرغنا من القراءة قال لي رأيت البارحة في النوم كأنني قاعد وأنت أمامي مستلق على ظهرك تذكر الصاد فأنت ذلك مرتجلاً

الصاد حرف شريف و الصاد في الصاد أصدق

فقلت لي في النوم ما دليلك فقلت

لأنها شكل دور و ما من الدور أسبق

ثم استيقظت . وحكى لي في هذه الرؤيا إني فرحت بجوابه فلما أكمل ذكره فرحت بهذه المبشرة التي رآها في حقي وبهيئة الاضطجاع وذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام وهي حالة المستريح الفارغ من شغله والمتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة فاعلم أن الصاد حرف من حروف الصدق والصون والصورة وهو كرمي الشكل قابل لجميع الأشكال فيه أسرار عجيبة فتعجبت من كشفه في نومه فرت عينه على حالتي التي ذكرتها للأصحاب بالأمس في المجلس فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ حرف شريف عظيم أقسم عند ذكره بمقام جوامع الكلم وهو المشهد الحمدي في أوج الشرف بلسان التمجيد وتضمنت هذه السورة من أوصاف الأنبياء عليهم السلام ومن أسرار العالم كله الخفية عجائب وآيات وهذه الرؤيا فيها من الأسرار على حسب ما في هذه السورة من الأسرار فهي تدل على خير كثير جسيم يناله الرائي ومن ريت له وكل من شوهد فيها من الله تعالى ويحصل لهما من بركات الأنبياء عليهم السلام المذكورين في هذه السورة ويلحق الأعداء من الكفار ما في هذه السورة من البؤس لا من المؤمنين نسأل الله لنا ولهم العافية في الدنيا والآخرة فهذه بشرى حصلت و

أسرار أرسلها الحق إلينا على يد هذا الرائي وذكر لي الرائي صاحبنا أبو يحيى أنه لما استيقظ تم على البيتين اللذين أنشدهما لي في النوم قريضا فسألته أن يرسل إلي به حتى أقيده في كتابي هذا عقيب هذه الرؤيا وفي هذا الحرف فإن ذلك القريض من إمداد هذه الحقيقة الروحانية التي رآها في النوم فأردت أن لأفضل بينهما فبعثت معه صاحبنا أبا عبد الله محمد بن خالد الصوفي التلمساني فجاءني بها وهي هذه

والصاد في الصاد أصدق	الصاد حرف شريف
في داخل القلب ملصق	قل ما الدليل أجده
و ما من الدور أسبق	لأنها شكل دور
على الطريق موفق	و دل هذا بأني
و الحق يقصد بالحق	حققت في الله قصدي
فساحل القلب أعمق	إن كان في البحر عمق
فقلب غيرك أضيق	إن ضاق قلبك عني
من صادق يتصدق	دع القرونة و اقبل
فالقلب عندي معلق	و لا تخالف فتشقى
فعل الذي قد تحقق	افتحه اشرحه و افعل
باب قلبك مغلق	إلى متى قاسي القلب
و وجه فعلك أزرق	و فعل غيرك صاف
فالرفق في الرفق أرفق	إنا رفقنا فرفقنا
ثوب لطف معق	فإن أتيت كسوناك
إذ ظل يهجو الفرزدق	و لا تكن كجرير
من مشرق الشمس أشرق	والهج بمدحي فمدحي
و لي الوجود الحق	أنا الوجود بذاتي
على الحقيقة مطلق	من غير قيد كعلمي
يكيدها فرد ميدق	فهل ترى الشاه يوما
فقاتل الرأي أحق	من قال في برأي

رأيته	يتشدد	إن ظل يهذي لوهم
فالذكر من ذاك أصدق	و كل من قال قولاً	
لا أيد و أخلق	أنا المهيمن ذو العرش	
و جاء أحمد بالحق	بعثت للخلق رسلي	
و حين أرعد أبرق	فقام في بصدق	
و ناصحا ما تفق	مجاهدا في الأعادي	
أغرقت من ليس يفرق	لو لم أغتهم بعبدي	
من عذابي تفرق	إن السموات والأرض	
ألم ما يتفرق	و إن أطعم فإني	
في حدائق تعبق	و أجمع الكل في الخلد	
و إني الله أصفق	كل القلوب على ذا	
و راحتاي تصفق	فقمتم من حال نومي	

«ومن ذلك حرف الزاي»

كانت حقائق روح الأمر مغناه	في الزاي سر إذا حققت معناه
عند الفناء عن التنزيه أغناه	إذا تجلى إلى قلب بحكمته
يحقق العلم أو يديره إلا هو	فليس في أحرف الذات التنزيه من

اعلم أيديك الله بروح الأزل أن الزاي من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخزجه مخرج الصاد والسين عدده سبعة بسائطه الألف والياء و الهمزة واللام والفاء فلكه الفلك الأول سنى حركته تقدم ذكرها يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبه الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته متمزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص ناقص مقدس مشى مؤنس له من الحروف الألف والياء ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف السين المهملة»

و له التحقق و المقام الأرفع	في السين أسرار الوجود الأربع
آثار كون شمسها تبرقع	من عالم الغيب الذي ظهرت به

اعلم أن السين من عالم الغيب والجبروت واللفظ مخرجه مخرج الصاد والزاي عدده عند أهل الأنوار ستون وستة وعندنا ثلاثمائة وثلاثة بساطله الياء والنون والألف والهمزة والواو فلكه الأول سنه مذكورة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة وخلاصة خاصة الخاصة و صفاء خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبة الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته متمزجة له الأعراف خالص كامل مثني مؤنس له من الحروف الياء والنون ومن الأسماء الإلهية كما تقدم

«ومن ذلك حرف الظاء المعجمة»

خفية ما لها في الخلق تعين	في الظاء ستة أسرار مكتمة
يرى لها في ظهور العين تحسين	إلا مجازا إذا جادت بفاضلها
ما غاب عن كونه لم يبد تكوين	يرجو الإله ويخشى عدله وإذا

اعلم أيها العاقل أن الظاء من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مما بين طرفي اللسان وأطراف الثنايا عدده ثمانية وثمانمائة عندنا وعند أهل الأنوار تسعمائة بساطله الألف واللام والهمزة والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الأول سنه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبة السابعة سلطانه في الجماد طبع دائرته بارد رطب وقائمه حارة رطبة فله الحرارة والبرودة والرطوبة عنصره الأعظم الماء والأقل الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته متمزجة له الخلق والأحوال والكرامات متمزج كامل مثني مؤنس له الذات له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الذال المعجمة»

كرها وينزل أحيانا على خلدي	الذال ينزل أحيانا على جسدي
يرى له أثر الزلفي على أحد	طوعا ويعدم من هذا وذاك فما
تدعوه أسماؤه بالواحد الصمد	هو الإمام الذي ما مثله أحد

اعلم أيها الإمام أن الذال من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مخرج الظاء عدده سبعمائة وسبعة بساطله الألف واللام والهمزة والفاء والميم فلكه الأول سنه مذكورة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبة الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته معوجة متمزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مقدس مثني مؤنس له الذات وله من الحروف الألف واللام ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الناء بالثلاثة»

في الوصف والفعل والأقلام توجد	الناء ذاتية الأوصاف عالية
-------------------------------	---------------------------

يوم البداية صار الخلق يعبدها فإن تجلت بسر الذات واحدة
يوم التوسط صار النعت يحمدتها وإن تجلت بسر الوصف ثانية
يوم الثلاثاء صار الكون يسعدها وإن تجلت بسر الفعل ثالثة

اعلم أيها السيد أن الثاء من عالم الغيب والجبروت والطف مخزجه مخرج الظاء والذال عدده خمسة وخمسمائة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي له الفلك الأول سنه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبه السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته متمزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مربع مؤنس له الذات والصفات والأفعال له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الفاء»

وانظر إلى سرها يأتي على قدر الفاء من عالم التحقيق فادكر
تفكك بالمزج عن حق وعن بشر لها مع الباء مزج في الوجود فما
من أوجه عالم الأرواح والصور فإن قطعت وصال الباء دان لها

اعلم أيد الله القلب الإلهي أن الفاء من عالم الشهادة والجبروت والغيب والطف مخزجه من باطن الشفة السفلي وأطراف الثنايا العليا عدده ثمانون وثمانية بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي له الفلك الأول سنه قد ذكرت يتميز في الخلاصة له غاية الطريق مرتبه السابعة سلطانه في الجماد طبع رأسه الحرارة والرطوبة وسائر جسده بارد رطب فطبعه الحرارة والبرودة والرطوبة عنصره الأعظم الماء والأقل الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته متمزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات عند أهل الأسرار وله الخلق والأحوال والكرامات عند أهل الأنوار متمزج كامل مفرد مثني مؤنس موحش له الذات له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الباء بواحدة»

و في نقيطتها للقلب مدكر الباء للعارف الشبلي معتبر
لذاك ناب مناب الحق فاعتبروا سر العبودية العليا مازجها
لأنه بدل منه فذا وزر أليس يحذف من بسم حقيقته

اعلم أيها الوالي المتعالي أن الباء من عالم الملك والشهادة والتفهر مخزجه من الشقين عدده اثنان بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الأول له الحركة المذكورة يتميز في عين صفاء الخلاصة وفي خاصة الخاصة له بداية الطريق وغايته مرتبه السابعة سلطانه في الجماد طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته متمزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات خالص

كامل مربع مؤنس له الذات ومن الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الميم»

في غاية الكون عينا والبدايات	الميم كالنون إن حققت سرهما
بدء لبدء و غايات لغايات	والنون للحق والميم الكريمة لي
و برزخ الميم رب في البريات	فبرزخ النون روح في معارفه

اعلم أيد الله المؤمن إن الميم من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه مخرج الباء عدده أربعة وأربعون بسائطه الياء والألف والهمزة فلكه الأول سنه ذكرت يتميز في الخاصة والخالصة و صفاء الخلاصة له الغاية مرتبه الثالثة ظهور سلطانه في الإنسان طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه له الأعراف خالص كامل مقدس مفرد مؤنس له من الحروف الياء ومن الأسماء كما تقدم

«ومن ذلك حرف الواو»

من وجودي وأنفس	واو إياك أقدس
وهو سر مسدس	فهو روح مكمل
قيل بيت مقدس	حيث ما لاح عينه
فينا المؤسس	بيته السدرة العلية

الواو من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه من الشفتين عدده ستة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء فلكه الأول سنه مذكرة يتميز في خاصة الخاصة وفي الخلاصة له غاية الطريق مرتبه الرابعة سلطانه في الجن طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركة متمزجة له الأعراف خالص ناقص مقدس مفرد موحش له من الحروف الألف ومن الأسماء كما تقدم فهذه حروف المعجم قد كملت بذكر ما حد لنا من الإشارات والتنبيهات لأهل الكشف والخلاوات والاطلاع على أسرار الموجودات فإذا أردت أن يسهل عليك مأخذها في باب العبارة عنها فاعلم اشتراكها في أفلاك البسائط تعلم حقائق الأسماء الممددة لها فالألف قد تقدم الكلام فيها وكذلك الهمزة تدخل مع الألف والواو والياء المعتدتين فخرجتا أيضا عن حكم الحروف بهذا الوجه فالجيم والزاي واللام والميم والنون بسائطها مختلفة والداد والذال متمثلة والصاد والضاد متمثلة والعين والغين والسين والشين متمثلة والواو والكاف والقاف متمثلة والباء والهاء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والحاء والطاء متمثلة البسائط أيضا وكل متمثل البسائط متمثل الأسماء فاعلم وكنا ذكرنا أن نذكر لام ألف عقيب الحروف الذي هو نظير الجوزهر فنذكره في الرقم مفردا عن الحروف فإنه حرف زائد مركب من ألف ولام ومن همزة ولام

«ذكر لام ألف وألف اللام»

نهر طالوت فلا تغترف ألف اللام و لام الألف
و عن النهمة لا تتحرف و اشرب النهر إلى آخره
ظممت نفسك قم فانصرف و لتقم ما دمت ريانا فإن
نهر بلوى لفؤاد المشرف و اعلم أن الله قد أرسله
يخذل العبد إذا لم يقف فاصطبر بالله واحذره فقد

«معرفة لام ألف لا»

مثل الحسين فالأعوام أحلام تعانق الألف العلام و اللام
فجاءني منهما في الف إعلام وَأَلَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ الَّتِي عَظُمَتْ
بدا له فيه إيجاد و إعدام إن الفؤاد إذا معناه عاقته

اعلم أنه لما اصطحب الألف و اللام صحب كل واحد منهما ميل و هو الهوى و الغرض و الميل لا يكون إلا عن حركة عشقية فحركة اللام حركة ذاتية و حركة الألف حركة عرضية فظهر سلطان اللام على الألف لإحداث الحركة فيه فكانت اللام في هذا الباب أقوى من الألف لأنها أعشق فهمتها أكمل و جودا و أتم فعلا و الألف أقل عشقا فهمتها أقل تعلقا باللام فلم تستطع أن تقيم أودها فصاحب الهمة له الفعل بالضرورة عند المحققين هذا حظ الصوفي و مقامه و لا يقدر بجأزه إلى غيره فإن انتقل إلى مقام المحققين فمعرفة المحقق فوق ذلك و ذلك أن الألف ليس ميلة من جهة فعل اللام فيه بهمة وإنما ميلة نزوله إلى اللام بالأطاف لتمكين عشق اللام فيه ألا تراه قد لوى ساقه بقائمة الألف و انعطف عليه حذرا من الفوت فميل الألف إليه نزول كنزول الحق إلى السماء الدنيا و هم أهل الليل في الثلث الباقي و ميل اللام معلوم عندهما معلول مضطر لا اختلاف عندنا فيه إلا من جهة الباعث خاصة فالصوفي يجعل ميل اللام ميل الواجدين و المتواجدين لتحقيقه عندهم بمقام العشق و التعشق و حاله و ميل الألف ميل التواصل و الاتحاد و لهذا اشتبهها في الشكل هكذا لآفأئهما جعلت الألف أو اللام قبل ذلك الجعل و لذلك اختلف فيه أهل اللسان أين يجعلون حركة اللام أو الهمة التي تكون على الألف فطائفة راعت اللفظ فقالت في الأسبق و الألف بعد و طائفة راعت الخط فبأي فخذ ابتداء المخطط فهو اللام و الثاني هو الألف و هذا كله تعطيه حالة العشق و الصدق في العشق يورث التوجه في طلب المعشوق و صدق التوجه يورث الوصال من المعشوق إلى العاشق و المحقق يقول باعث الميل المعرفة عندهما و كل واحد على حسب حقيقته و أما نحن و من رقى معنا في معالي درج التحقيق الذي ما فوقه درج فلسنا نقول بقولهما ولكن لنا في المسألة تفصيل و ذلك أن نلاحظ في أي حضرة اجتمعا فإن العشق حضرة جزئية من جملة الحضرات فقول الصوفي حق و المعرفة حضرة أيضا كذلك فقول المحقق حق ولكن كل واحد منهما قاصر عن التحقيق في هذه المسألة ناظر بعين واحدة و نحن نقول أول حضرة اجتمعا فيها حضرة الإيجاد و هي لا إله إلا لآل لاه

فهذه حضرة الخلق والخالق وظهرت كلمة لا في النفي مرتين وفي الإثبات مرتين فلا لالا وإلاه فمیل الوجود المطلق الذي هو الألف في هذه الحضرة إلى الإيجاد ومیل الوجود المقيد الذي هو اللام إلى الإيجاد عند الإيجاد ولذلك خرج على الصورة فكل حقيقة منهما مطلقة في منزلتها فافهم إن كنت تفهم وإلا فالزم الخلوة وعلق الهمة بالله الرحمن حتى تعلم فإذا تقيد بعد ما تعين وجوده وظهر لعينه عينه فإنه

عند الوجود و للقرآن قرآن للحق حق و للإنسان إنسان
عند المناجاة للآذان آذان وللعيان عيان في الشهود كما
في الفرق فالزمه فالقرآن فرقان فانظر إلينا بعين الجمع تحظ بنا

فلا بد من صفة تقوم به ويكون بها يقابل مثلها أو ضدها من الحضرة الإلهية وإنما قلت الضد ولم تقتصر على المثل الذي هو الحق الصدق رغبة في إصلاح قلب الصوفي والحاصل في أول درجات التحقيق فمشرهما هذا ولا يعرفان ما فوقه ولا ما نومي إليه حتى يأخذ بأيديهما ويشهدهما ما أشهدناه وسأذكر طرفا من ذلك في الفصل الثالث من هذا الباب فاطلب عليه هناك إن شاء الله تعالى فاغطس في بحر القرآن العزيز إن كنت واسع النفس وإلا فاقصر على مطالعة كتب المفسرين لظاهره ولا تغطس فتهلك فإن بحر القرآن عميق ولولا الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل ما خرج لكم أبدا فالأنبياء والورثة الحفظة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم وأما الواقفون الذين وصلوا ومسكوا ولم يردوا لا انتفع بهم أحد ولا انتفعوا بأحد فقصدوا بل قصد بهم ثبح البحر فغطسوا إلى الأبد لا يخرجون برحم الله العباد إني شيخ سهل بن عبد الله التستري حيث قال لسهل إلى الأبد حين قال له سهل أسجد القلب فقال الشيخ إلى الأبد بل صلى الله على رسول الله حين قيل له صلى الله عليه وسلم في دخول العمرة في الحج ألعامنا هذا أم للأبد فقال صلى الله عليه وسلم بل لا بد الأبد فهي روحانية باقية في دار الخلد يجدها أهل الجنان في كل سنة مقدرة فيقولون ما هذا فيجابون العمرة في الحج وروح ونعيم ووارد نزيه شريف تشرق به أسرار الوجوه وتزيد به حسنا وجمالا فإذا غطست وفقك الله في بحر القرآن فاطلب واجت على صدفتي هاتين الياقوتين الألف واللام وصدفتها هي الكلمة أو الآية التي تحملها فإن كانت كلمة فعلية على طبقاتها نسبتها من ذلك المقام وإن كانت كلمة اسمائية على طبقاتها نسبتها من ذلك المقام وإن كانت كلمة ذاتية نسبتها من ذلك كما أشار عليه السلام وإن لم تكن في الحرف أعوذ برضاك من سخطك برضاك ميل الألف من سخطك ميل اللام كلمة اسمائية وبمعافاتك ميل الألف من عقوبتك ميل اللام كلمة فعلية وبك ميل الألف منك ميل اللام كلمة ذاتية فانظر ما أعجب سر النبوة وما أعلاه وما أدنى مرماه وما أقصاه فمن تكلم على حرفي لام ألف من غير أن ينظر في الحضرة التي هو فيها فليس بكامل هيئات لا يستوي أبدا لام ألف لا خوف عليهم ولا م ألف ولا هم يحزنون كما لا يستوي لام ألف لا التي للنفي ولا م ألف التي للإيجاب كما لا يستوي لام ألف النفي ولا م ألف النفي والتبرئة ولا م ألف النهي فترفع بالنفي وتنصب بالتبرئة وتجزم بالنهي ولا م ألف لام التعريف والألف التي من أصل الكلمة مثل قوله الأعراف والأدبار والأبصار والأقلام كما لا يستوي لام ألف التوكيد والألف الأصلية مثل

قوله تعالى لا وُضِعُوا لِأَنْتُمْ فَتَحْقُقُوا مَا ذَكَرْنَاكَ وَأَقِمِ الْفِكَ مِنْ رِقْدَتِهَا وَحُلِّ لَامِكْ مِنْ عَقْدَتِهَا وَفِي عَقْدِ اللَّامِ بِالْأَلْفِ سِرٌّ لَا يَظْهَرُ وَلَا أَقْدَرُ عَلَى بَسْطِ الْعِبَارَةِ فِي مَقَامَاتِ لَامِ أَلْفٍ كَمَا وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا لَوْ كَانَ السَّمَاعُ يَسْمَعُهُ مَنِي كَمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ لَوْ عَبَّرَ عَنْهُ وَمَعَ هَذَا فَالْغُرُضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْإِيجَازُ وَقَدْ طَالَ الْبَابُ وَاتَّسَعَ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ لِكثْرَةِ الْمَرَاتِبِ وَكثْرَةِ الْحُرُوفِ وَلَمْ نَذْكُرْ فِي هَذَا الْبَابِ مَعْرِفَةَ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْحُرُوفِ حَتَّى يَصِحَّ اتِّصَالُ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ وَلَا ذِكْرًا لِاجْتِمَاعِ حُرُوفٍ مَعَ الْإِلَامِ أَلْفٍ خَاصَّةً مِنْ جِهَةٍ مَا وَهَذَا الْبَابُ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ وَخَمْسَمِائَةَ مَسْأَلَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً عَلَى عِدَدِ الْاِتِّصَالَاتِ بِوَجْهِهَا لِكُلِّ اِتِّصَالٍ عِلْمٌ يَخْصُهُ وَتَحْتَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَاتِ مَسْأَلَةٌ تَتَشَبَّعُ كَثِيرَةٌ فَإِنَّ كُلَّ حَرْفٍ يَصْطَحِبُ مَعَ جَمِيعِ الْحُرُوفِ كُلِّهَا مِنْ جِهَةٍ رَفَعَهُ وَنَضَبَهُ وَخَفَضَهُ وَسَكُونَهُ وَذَاتَهُ وَحُرُوفِ الْعِلَّةِ الثَّلَاثَةِ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَشَفَى مِنْهَا فَلْيَطَّلِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ الَّذِي سَمِينَاهُ الْجَمْعُ وَالتَّفْصِيلُ وَسَنُوفِي الْغُرُضُ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْمُبَادِي وَالغَايَاتِ لَنَا وَهُوَ بَيْنَ أَيْدِينَا فَلْتَكْفِ هَذِهِ الْإِشَارَةُ فِي لَامِ أَلْفٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَفْضَلِ

«معرفة ألف اللام آل»

و لإحياء العظام النخرات	ألف اللام لعرفان الذوات
بمحيائها و ما تبقي شتات	تنظم الشمل إذا ما ظهرت
حال تعظيم وجود الحضرات	وتفي بالعهد صدقا ولها

اعلم أن لام ألف بعد حلها ونقض شكلها وإبراز أسرارها وفنائها عن اسمها ورسمها تظهر في حضرة الجنس والعهد والتعريف والتعظيم وذلك لما كان الألف حظ الحق واللام حظ الإنسان صار الألف واللام للجنس فإذا ذكرت الألف واللام ذكرت جميع الكون ومكونه فإن فئيت عن الحق بالخليقة وذكرت الألف واللام كان الألف واللام الحق والخلق وهذا هو الجنس عندنا فقائمة اللام للحق تعالى ونصف دائرة اللام المحسوس الذي يبقى بعد ما يأخذ الألف قائمته هو شكل النون للخلق ونصف الدائرة الروحاني الغائب للملكوت والألف التي تبرز قطر الدائرة للأمر وهو كُنْ وهذه كلها أنواع وفصول للجنس الأعم الذي ما فوقه جنس وهو حقيقة الحقائق النائية القديمة في القديم لا في ذاتها والحدث في الحادث لا في ذاتها وهي بالنظر إليها لا موجودة ولا معدومة وإذا لم تكن موجودة لا تتصف بالقدم ولا بالحدث كما سيأتي ذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب ولها ما شاكلها من جهة قبولها للمصور لا من جهة قبولها للحدث والقدم فإن الذي يشبهها موجود وكل موجود إما محدث وهو الخلق وإما محدث اسم فاعل وهو الخالق ولما كانت تقبل القدم والحادث كان الحق يتجلى لعباده على ما شاءه من صفاته ولهذا السبب ينكره قوم في الدار الآخرة لأنه تعالى تجلى لهم في غير الصورة والصفة التي عرفوها منه وقد تقدم طرف منه في الباب الأول من هذا الكتاب فيتجلى للعارفين على قلوبهم وعلى ذواتهم في الآخرة عموما فهذا وجه من وجوه الشبه وعلى التحقيق الذي لا يخفاء به عندنا إن حقائقها هي المتجلية للصنفين في الدارين لمن عقل أو فهم من الله تعالى المرئي في الدنيا بالقلوب والأبصار مع أنه سبحانه منبئ عن

عجز العباد عن درك كنهه فقال لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ بتجليه لهم على قدر طاقتهم خبير يضعفهم عن حمل تجليه الأقدس على ما تعطيه الأوهة إذ لا طاقة للمحدث على حمل جمال القديم كما لا طاقة للأنهار بجمل البحار فإن البحار تفتي أعيانها سواء وردت عليه أو ورد عليها أعني البحر لا يبقى لها أثرا يشهد ولا يميز فاعرف ما ذكرناه وتحقق وأعلى ما يشبهها من المحدثات الهباء الذي خلق فيه صور العالم ثم النور أنزل منه في الشبه بها فإن النور صورة في الهباء كما إن الهباء صورة فيها وأنزل شيها من النور بها الهواء وأنزل منه الماء وأنزل منه المعادن وأنزل منه الخشب وأمثاله إلى أن تنتهي إلى شيء لا يقبل إلا الصورة واحدة إن وجدته ففهم هذا حتى يأتي بابه من هذا الكتاب إن شاء الله فهذه الحقيقة التائهة التي تتضمن الحقائق التائهة هي الجنس الأعم التي تستحق الألف واللام الحمل عليه بذاتها وكذلك عهدهما بجران حقيقتهما على علم ما وقع فيه العهد بين الموجودين فعلى أي موجودين دخلتا لأمر كان بينهما من جهة كل واحد منهما بالنظر إلى أمر ثالث كانتا لعهد ذلك الأمر الثالث الذي يعرفانه وعلى حقيقتهما الألف لاخذ العهد واللام لمن أخذ عليه وكذلك تعريفهما وتخصيصهما إنما يخصان شيئا من جنسه على التعيين ليحصل العلم به عند من يريد المخبر أن يعلمه إياه فعلى أي حالة كان المخصص والمخصص والشيء الذي بسببه ظهرت هاتان الحقيقتان اقلبتا في صورة حقائقهما وهذا هو الاشتراك الذاتي فإن كان الاشتراك في الصفة ونريد أن نميز الأعظم منهما للمخاطب فتكونا عند ذلك للمتعميم في الوصف الذي تدخل فالألف واللام يقبلان كل صورة وحقيقة لأنهما موجودان جامعان لجميع الحقائق فأى شيء برز أبرز إله الحقيقة التي عندهما منه فقابله بها فذلاتهما على الشيء لذاتهما لأنهما اكتسبا من الشيء الذي دخلتا عليه ومثل ذلك أهلك الناس الدينار والدرهم رأيت الرجل أمس أحببت الرجال دون النساء هويت السمان ويكفي هذا القدر فقد طال الباب انتهى الجزء السادس والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بيان بعض الأسباب أعني تفسير الألفاظ التي ذكرت في الحروف من بسائط ومراتب وتقديس وإفراد وتركيب وأنس ووحشة وغير ذلك فاعلم أولا أن هذه الحروف لما كانت مثل العالم المكلف الإنساني المشاركة له في الخطاب لا في التكليف دون غيره من العالم لقبولها جميع الحقائق كالإنسان وسائر العالم ليس كذلك فمنهم القطب كما منا وهو الألف ومقام القطب منا الحياة القيومية هذا هو المقام الخاص به فإنه سار بهمة في جميع العالم كذلك الألف من كل وجه من وجهه روحانيته التي ندر كها نحن ولا يدركها غيرنا ومن حيث سر يانه نفسا من أقصى المخارج الذي هو منبعث النفس إلى آخر المنافس ويمتد في الهواء الخارج وأنت ساكت وهو الذي يسمى الصدى فتلك قيومية الألف لأنه واقف ومن حيث رقمه فإن جميع الحروف تنحل إليه وتركب منه ولا ينحل هو إليها كما ينحل هو أيضا إلى روحانيته وهي النقطة تقديرا وإن كان الواحد لا ينحل فقد عرفناك ما لأجله كان الألف قطبا وهكذا تعمل فيما نذكره لك بعد هذا إن أردت أن تعرف حقيقته (و الإمامان) الواو والياء المعتلتان اللذان هما حرفا المد واللين لا الصحيحتان (و الأوتاد) أربعة الألف والواو والياء والنون الذين هم علامات

الإعراب (و الأبدال) سبعة الألف و الواو و الياء و النون و تاء الضمير و كافة و هاؤه فالألف ألف رجلان و الواو و العمرون و الياء ياء
العمرين و النون نون يفعلون و سر النسبة بيننا و بينهم في مرتبة الأبدال كما بينا في القطب أن التاء إذا غابت من قمت تركت بدلها فقال المتكلم
قام زيد فنابت بنفسها مناب الحروف التي هي اسم هذا الشخص المخبر عنه و لو كان الاسم مركبا من ألف حرف ناب الضمير مناب تلك
الحروف لقوة حروف الضمائر و تمكثها و اتساع فلكها فلو سميت رجلا يا دار مية بالعلياء فالسند فقد نابت التاء أو الكاف أو الهاء مناب
جملة هذه الحروف في الدلالة و تركته بدلها أو جاءت بدلها منها كيفما شئت وإنما صح لها هذا لكونها تعلم ذلك و لا يعلمه من هي بدل منه أو
هو بدل عنها فلماذا استحققت هي و أخواتها مقام الأبدال و مدرك من أين علم هذا موقوف على الكشف فابحث عليه بالخولة و الذكر و
الهمة و إياك أن تتوهم تكرار هذه الحروف في المقامات إنها شيء واحد له وجه وإنما هي مثل الأشخاص الإنسانية فليس زيد بن علي هو عين
أخيه زيد بن علي الثاني و إن كانا قد اشتراكا في البتوة و الإنسانية و والدهما واحد و لكن بالضرورة نعلم أن الأخ الواحد ليس عين الأخ الثاني
فكما يفرق البصر بينهما و العلم كذلك يفرق العلم بينهما في الحروف عند أهل الكشف من جهة الكشف و عند النازلين عن هذه الدرجة
من جهة المقام التي هي بدل عن حروفه و يزيد صاحب الكشف على العالم من جهة المقام بأمراً آخر لا يعرفه صاحب علم المقام المذكور و هو
مثلا قلت إذا كررتة بدلا من اسم بعينه فتقول لشخص بعينه قلت كذا و قلت كذا فالتاء عند صاحب الكشف التي في قلت الأول غير التاء
التي في قلت الثاني لأن عين المخاطب تتجدد في كل نفس بل هم في لبس من خلق جديد فهذا شأن الحق في العالم مع أحدية الجوهر و كذلك
الحركة الروحانية التي عنها أوجد الحق تعالى التاء الأولى غير الحركة التي أوجد عنها التاء الأخرى بالغا ما بلغت فيختلف معناها بالضرورة
فصاحب علم المقام يتفطن لاختلاف علم المعنى و لا يتفطن لاختلاف التاء أو أي حرف ضميرا كان أو غير ضمير فإنه صاحب رقم و لفظ
لا غير كما تقول الأشاعرة في الأعراض سواء فالناس مجتمعون معهم على ذلك في الحركة خاصة و لا يصلون إلى علم ذلك في غير الحركة فلماذا
أنكروه و لم يقولوا به و نسبوا القائل بذلك إلى الهوس و إنكار الحس و حجبا عن إدراك ضعف عقولهم و فساد محل نظرهم و قصورهم عن
التصرف في المعاني فلو حصل لهم الأول عن كشف حقيقي من معدنه لانسحبت تلك الحقيقة على جميع الأعراض حكما عاما لا يختص
بعرض دون عرض و إن اختلفت أجناس الأعراض فلا بد من حقيقة جامعة و حقيقة فاصلة و هكذا هذه المسألة التي ذكرناها في حق من
قال بما قلناه فيها و من أنكروه فليس المطلوب عند المحققين الصور المحسوسة لفظا و رقما وإنما المطلوب المعاني التي تضمنها هذا الرقم أو هذا
اللفظ و حقيقة اللفظة و المرقوم عينها فإن الناظر في الصور إنما هو روحاني فلا يقدر أن يخرج عن جنسه فلا تجب أن ترى الميت لا يطلب
الخبز لعدم السر الروحاني منه و يطلبه الحي لوجود الروح فيه فتقول نراه يطلب غير جنسه فاعلم إن في الخبز و الماء و جميع المطاعم و
المشارب و الملابس و المجالس أرواحا لطيفة غريبة هي سر حياته و علمه و تسيحجه ربه و علو منزلته في حضرة مشاهدة خالقه و تلك
الأرواح أمانة عند هذه الصور المحسوسة يودونها إلى هذا الروح المودع في الشبح ألا ترى إلى بعضهم كيف يوصل أماته إليه الذي هو سر الحياة

فإذا أدى إليه أمانته خرج إما من الطريق الذي دخل منه فيسمى قيتاً وقلسا وإما من طريق آخر فيسمى عذرة و بولا فما أعطاه الاسم الأول إلا السر الذي أده إلى الروح وبقي باسم آخر يطلبه من أجله صاحب الخضراوات والمديرين أسباب الاستحالات هكذا يتقلب في أطوار الوجود فيعمرى ويكتسي ويدور بدور الأكرة كالدولاب إلى أن يشاء الله العليم الحكيم فالروح معذور في تعشقه بهذه المحسوسات فإنه عاين مطلوبه فيها فهي في منزل محبوبه

أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا أمر على الديار ديار سلمى

ولكن حب من سكن الديارا و ما حب الديار مضى بقلبي

وقال أبو إسحاق الزوالي رحمه الله

لله درك ما تحويه يا دار يا دار إن غزالا فيك تبني

إذن رأيت بناء الدار ينهار لو كنت أشكو إليها حب ساكنها

فافهموا فهمنا الله وإياكم سرائر كلمه وأطلعنا وإياكم على خفيات غيوب حكمه أما قولنا الذي ذكرناه بعد كل حرف فأريد إن أبنه لكم حتى تعرفوا منه ما لا ينفركم عما لا تعلمون فأقل درجات الطريق التسليم فيما لا تعلمه وأعله القطع بصدقه و ما عدا هذين المقامين فحرمان كما إن المتصف بهذين المقامين سعيد قال أبو يزيد البسطامي لأبي موسى يا أبا موسى إذا لقيت مؤمنا بكلام أهل هذه الطريقة قل له يدعوك فإنه مجاب الدعوة وقال رويم من قعد مع الصوفية وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه «شرح» فمن ذلك قولنا حرف كذا باسمه كما سقته هو من عالم الغيب فاعلم إن العالم على بعض تقاسيمه على قسمين بالنظر إلى حقيقة ما معلومة عندنا «قسم يسمى عالم الغيب» وهو كل ما غاب عن الحس ولم تجر العادة بأن يدرك الحس له وهو من الحروف السين والصاد والكاف والحاء المعجمة والتاء باثنتين من فوق والفاء والشين والهاء والتاء بالثلاث والحاء وهذه حروف الرحمة والألطف والرفقة والحنان والسكينة والوقار والنزول والتواضع وفيهم نزلت هذه الآية وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وفيهم نزل أيضا على الرقيقة المحمدية التي تمت إليهم منه من كونه أوتي جوامع الكلم أتى إليهم بها رسولهم فقال تعالى وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ فِيهِمْ وَقُلُوبُهُمْ وَحَلَةٌ وَ فِيهِمُ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَ فِيهِمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ وَ هَذَا الْقَبِيلُ مِنَ الْحُرُوفِ هُوَ أَيْضًا الَّذِي يَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَ اللَّطْفِ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ فَهَذَا مِنْ جَمَلَةِ الْمُعَانِي الَّتِي نَطْلُقُ عَلَيْهِ مِنْهُ عَالَمُ الْغَيْبِ وَاللَّطْفِ «و القسم الآخر يسمى عالم الشهادة والقهر» وهو كل عالم من عالمي الحروف جرت العادة عندهم إن يدركوه مجواسهم وهو ما بقي من الحروف وفيهم قوله تعالى فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ اغْضُ عَيْنَيْهِمْ وَقَوْلُهُ وَ اجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ فَهَذَا عَالَمُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْقَهْرِ وَالشَّدَّةِ وَالْجِهَادِ وَالْمَصَادِمَةِ وَالْمُقَارَعَةِ وَ مِنْ رُوحَانِيَّةِ هَذِهِ الْحُرُوفِ يَكُونُ لِصَاحِبِ الْوَحْيِ الْغَتِّ وَالْغَطِّ وَصَلْصَلَةُ الْجَرَسِ وَرَشْحُ الْجَيْنِ وَ لِهَمْ يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ وَيَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُّ كَمَا أَنَّهُ فِي

حروف عالم الغيب نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِأَنَّكَ لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَمَّا قَوْلَنَا وَالْمَلِكُ وَالْجَبْرُوتُ أَوِ الْمَلَكُوتُ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ عِنْدَ قَوْلِنَا ذِكْرَ مَرَاتِبِ الْحُرُوفِ وَأَمَّا قَوْلُنَا مَخْرَجَهُ كَذَا فَمَعْلُومٌ عِنْدَ الْقُرَّاءِ وَفَائِدَتُهُ عِنْدَنَا إِنْ تَعَرَّفَ أَفْلَاكُهُ فَإِنَّ الْفَلَكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لَوْجُودِ حَرْفٍ مَا لَيْسَ هُوَ الْفَلَكَ الَّذِي وَجَدَ عَنْهُ حَرْفٌ غَيْرُهُ وَإِنْ تَوَحَّدَ الْفَلَكَ فَلَيْسَتْ الدَّوْرَةُ وَاحِدَةً بِالنَّظَرِ إِلَى تَقْدِيرِ مَا تَفْرَضُهُ أَنْتَ فِي شَيْءٍ تَقْتَضِي حَقِيقَتَهُ ذَلِكَ الْفَرْضُ وَيَكُونُ فِي الْفَلَكَ أَمْرٌ يَتَمَيَّزُ عِنْدَكَ عَنِ نَفْسِ الْفَلَكَ تَجْعَلُهُ عَلَامَةً فِي مَوْضِعِ الْفَرْضِ وَتَرَصِّدُهُ فَإِذَا عَادَتِ الْعَلَامَةُ إِلَى حُدِّ الْفَرْضِ الْأَوَّلِ فَقَدْ انْتَهَتْ الدَّوْرَةُ وَابْتَدَأَتْ أُخْرَى قَالَ عَ إِذَا الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ وَسَيَأْتِي بَيَانُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَأَمَّا قَوْلُنَا عَدَدُهُ كَذَا وَكَذَا أَوْ كَذَا دُونَ كَذَا فَهُوَ الَّذِي يَسْمِيهِ بَعْضُ النَّاسِ الْجُزْمَ الْكَبِيرَ وَالْجُزْمَ الصَّغِيرَ وَقَدْ يَسْمُونَهُ الْجَمْلَ عَوْضًا مِنَ الْجُزْمِ وَلَهُ سِرٌّ عَجِيبٌ فِي أَفْلَاكِ الدَّرَارِيِّ وَفِي أَفْلَاكِ الْبُرُوجِ وَأَسْمَاؤُهَا مَعْلُومَةٌ عِنْدَ النَّاسِ فَيَجْعَلُونَ الْجُزْمَ الْكَبِيرَ لِفَلَكَ الْبُرُوجِ وَيَطْرَحُونَ مَا اجْتَمَعَ مِنَ الْعَدَدِ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ وَالْجُزْمَ الصَّغِيرَ لِأَفْلَاكِ الدَّرَارِيِّ وَطَرَحَ عَدَدُهُ تِسْعَةً تِسْعَةً بِطَرِيقَةٍ لَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ مَوْضِعُهَا وَعِلْمٌ لَيْسَ هُوَ مَطْلُوبُنَا وَفَائِدَةُ الْأَعْدَادِ عِنْدَنَا فِي طَرِيقِنَا الَّذِي تَكْمَلُ بِهِ سَعَادَتُنَا إِنْ الْحَقَّقَ وَالْمُرِيدُ إِذَا أَخَذَ حُرُوفًا مِنْ هَذِهِ أَضَافَ الْجُزْمَ الصَّغِيرَ إِلَى الْجُزْمِ الْكَبِيرِ مِثْلَ أَنْ يَضِيفَ إِلَى الْقَافِ الَّذِي هُوَ مِائَةٌ بِالْكَبِيرِ وَوَاحِدٌ بِالصَّغِيرِ فَيَجْعَلُ أَبَدًا عَدَدَ الْجُزْمِ الصَّغِيرِ وَهُوَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى تِسْعَةٍ فَيُرْدُهُ إِلَى ذَاتِهِ فَإِنْ كَانَ وَاحِدًا الَّذِي هُوَ حَرْفُ الْأَلْفِ بِالْجُزْمِ وَالْقَافِ وَالشِّينِ وَالْيَاءِ عِنْدَنَا وَعِنْدَ غَيْرِنَا بَدَلِ الشِّينِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةَ بِالْجُزْمِ الصَّغِيرِ فَيَجْعَلُ ذَلِكَ الْوَاحِدَ لَطِيفَتَهُ الْمَطْلُوبَةَ مِنْهُ بِأَيِّ جُزْمٍ كَانَ فَإِنْ كَانَ الْأَلْفُ حَتَّى إِلَى الطَّاءِ الَّتِي هِيَ بَسَائِطُ الْأَعْدَادِ فَهِيَ مَشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ فِي الْجُزْمِ فَمِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا لِلْجُزْمِ الصَّغِيرِ رَدُّهَا إِلَيْكَ وَمِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا لِلْجُزْمِ الْكَبِيرِ رَدُّهَا إِلَى الْوَارِدَاتِ الْمَطْلُوبَةِ لَكَ فَتَطْلُبُ فِي الْأَلْفِ الَّتِي هِيَ الْوَاحِدُ يَاءَ الْعَشْرَةِ وَقَافَ الْمِائَةِ وَشِينَ الْأَلْفِ أَوْ غَيْنَهُ عَلَى الْخِلَافِ وَتَمَّتْ مَرَاتِبُ الْعَدَدِ وَانْتَهَى الْحَيْطُ وَرَجَعَ الدَّوْرُ عَلَى بَدْئِهِ فَلَيْسَ إِلَّا أَرْبَعُ نَقَطٍ شَرْقٍ وَغَرْبٍ وَاسْتَوَاءٍ وَحَضِيضٍ أَرْبَعَةٌ أَرْبَاعٍ وَالْأَرْبَعَةُ عَدَدٌ مُحِيطٌ لِأَنَّهَا مَجْمُوعُ الْبَسَائِطِ كَمَا إِنْ هَذِهِ الْعَقْدُ مَجْمُوعُ الْمُرَكَّبَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَإِنْ كَانَ اثْنَانِ الَّذِي هُوَ الْبَاءُ بِالْجُزْمِ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ بِالْجُزْمِ الصَّغِيرِ جَعَلَتِ الْبَاءُ مِنْكَ حَالِكٌ وَقَابَلَتْ بِهَا عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ فَوْقَتْ عَلَى أَسْرَارِهَا مِنْ كَوْنِهَا غَيْبًا وَشَهَادَةً لِغَيْرِ وَهِيَ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ فِي الْإِلْهِيَاتِ وَالْعِلَّةُ وَالْمَعْلُولُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ لَا فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالشَّرْطُ وَالْمَشْرُوطُ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالشَّرْعِيَّاتِ لَا فِي الطَّبِيعِيَّاتِ لَكِنْ فِي الْإِلْهِيَّاتِ وَإِنْ كَانَ ثَلَاثَةً الَّذِي هُوَ الْجِيمُ بِالْجُزْمِ وَاللَّامُ وَالسِّينُ الْمَهْمَلَةُ عِنْدَ قَوْمٍ وَالشِّينُ الْمَعْجَمَةُ عِنْدَ قَوْمٍ بِالْجُزْمِ الصَّغِيرِ جَعَلَتِ الْجِيمُ مِنْكَ عَالِمٌ وَقَابَلَتْ بِهِ عَالَمَ الْمَلِكِ مِنْ كَوْنِهِ مَلِكًا وَعَالَمَ الْجَبْرُوتِ مِنْ كَوْنِهِ جَبْرُوتًا وَعَالَمَ الْمَلَكُوتِ مِنْ كَوْنِهِ مَلَكُوتًا وَمَا فِي الْجِيمِ مِنَ الْعَدَدِ الصَّغِيرِ يَبْرُزُ مِنْكَ وَمَا فِيهِ وَفِي اللَّامِ وَالسِّينِ أَوْ الشِّينِ مِنَ الْعَدَدِ الْكَبِيرِ تَبْرُزُ وَجُوهُ الْمَطْلُوبِ مِنْ جَاءِ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ عَلَى حَسَبِ الْاسْتِعْدَادِ وَأَقْلُ دَرَجَاتِهِ الَّذِي يَشْمَلُ الْعَامَّةَ الْعَشْرَ الْمَذْكُورَ وَالتَّضْعِيفُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْاسْتِعْدَادِ وَفِيهِ تَفَاضُلُ رِجَالِ الْأَعْمَالِ وَكُلُّ عَالَمٍ فِي طَرِيقِهِ عَلَى ذَلِكَ وَلَيْسَ غَرَضُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَعْطِي اللَّهُ

الحروف من الحقائق إذا تحققت بحقائقها وإنما غرضنا أن نسوق ما يعطي الله لمنشئها لفظاً أو خطأ إذا تحقق بحقائق هذه الحروف وكشف على أسرارها فاعلموا ذلك وإن كان أربعة الذي هو الدال بالجزمين والميم والتاء بالصغير جعلت الدال منك قواعدك وقابلت بها الذات و الصفات والأفعال والروابط وبما في الدال من العدد بالصغير يبرز عن أسرار قبولك وبما فيه وفي الميم والتاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل والكمال فيها والأكمل بحسب الاستعداد وإن كانت خمسة الذي هو الهاء بالجزمين والنون والتاء بالصغير جعلت الهاء منك مملكتك في مواطن الحروف ومقارعة الأبطال وقابلت بها الأرواح الخمسة الحيوانية والخيالية والفكرية والعقلية والقدسية وبما في الهاء من الصغير تبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي النون والتاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل والكمال والأكمل أثر حاصل عن الاستعداد وإن كان ستة الذي هو الواو بالجزمين والصاد أو السين على الخلاف والحاء بالصغير جعلت الواو منك جهاتك المعلومة وقابلت بها فيها عن الحق بوجه وإثباتها بوجه وهو علم الصورة وبما في الواو من أسرار القبول بارز بالصغير وبما فيه وفي الصاد أو السين والحاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار الاستواء وما يكون من تجوي ثلاثة وهو معكم أين ما كنتم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وكل آية أو خبر تثبت له جل وعلا الجهة والتحديد والمقدار والكمال والأكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهب وإن كان سبعة وهو الزاي بالجزمين والعين والذال بالصغير جعلت الذي منك صفاتك وقابلت بها صفاته وبما في الزاي من الصغير يبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي العين والذال من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المسبغات كلها حيث وقعت والكمال والأكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهب وإن كان ثمانية الذي هو الحاء بالجزمين والفاء في قول والصاد في قول والظاء في قول جعلت الحاء منك ذاتك بما فيها وقابلت بها الحضرة الإلهية مقابلة الصورة صورة المرأة وبما في الحاء من الصغير يبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي الفاء والظاء أو الضاد من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار أبواب الجنة الثمانية وفتحها لمن شاء الله هنا وكل حضرة مضمنة في الوجود والكمال والأكمل بحسب الاستعداد وإن كان تسعة وهو الطاء بالجزمين والضاد أو الصاد في قول وفي المئين الطاء أو الغين في قول بالجزم الصغير جعلت الطاء منك مراتبك في الوجود التي أنت عليها في وقت نظرك في هذا التجلي وقابلت بها مراتب الحضرة وهو الأبد لها ولك وبما في الطاء من الصغير يبرز من أسرار القبول وبما فيه وفي الضاد أو الصاد والغين أو الطاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المنازل والمقامات الروحانية وأسرار الأحادية والكمال والأكمل على حسب الاستعداد فهذا وجه من الوجوه التي سقنا عدد الحرف من أجله فاعمل عليه وإن كان ثم وجوه أخر فليتك لو عملت على هذا وهو المفتاح الأول ومن هنا تفتح لك أسرار الأعداد وأرواحها ومنازلها فإن العدد سر من أسرار الله في الوجود ظهر في الحضرة الإلهية بالقوة فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وقال إن لله سبعين ألف حجاب إلى غير ذلك وظهر في العالم بالفعل وانسحبت معه القوة فهو في العالم بالقوة والفعل و

غرضنا إن مد الله في العمر و تراخي الأجل أن نضع في خواص العدد موضوعا لم نسبق إليه في علمي نبدي فيه من أسرار الأعداد ما تعطيه حقائقه في الحضرة الإلهية وفي العالم والروابط ما تعبت به الأسرار و تنال به السعادة في دار القرار و أما قولنا بسائطه فلسنا نريد بسائط شكل الحرف مثلا الذي هو ص و إنما نريد بسائط اللفظ الذي هو الكلمة الدالة عليه وهو الاسم أو التسمية وهو قولك صاد فبسائط هذه اللفظة نريد و أما بسائط الشكل فليس له بسائط من الحروف ولكن له النقص و التمام و الزيادة مثل الراء و الزاي نصف النون و الواو نصف القاف و الكاف أربعة أحماس الطاء و أربعة أسداس الطاء و الدال خمسي الطاء و الياء ذالان و اللام يزيد على الألف بالنون و على النون بالألف و شبه هذا و أما بسائط أشكال الحروف إنما ذلك من النقط خاصة فعلى قدر نقطه بسائطه و على قدر مرتبة الحرف في العالم من جهة ذاته أو من نعت هو عليه في الحال علومنازل نقطه و أفلاكها و نزولها فالأفلاك التي عنها وجدت بسائط ذلك الحرف المذكور باجتماعها و حركاتها كلها وجد اللفظ به عندنا و تلك الأفلاك تقطع في فلك أقصى على حسب اتساعها و أما قولنا فلكه و سنى حركة فلكه فنريد به الفلك الذي عنه وجد العضو الذي فيه مخرجه فإن الرأس من الإنسان أوجده الله تعالى عند حركة مخصوصة من فلك مخصوص من أفلاك مخصوصة و العنق عن الفلك الذي يلي هذا الفلك المذكور و الصدر عن الفلك الرابع من هذا الفلك الأول المذكور فكل ما يوجد في الرأس من المعاني و الأرواح و الأسرار و الحروف و العروق و كل ما في الرأس من هياة و معنى عن ذلك الفلك و دورته اثنتا عشرة ألف سنة و دورة فلك العنق و ما فيه من هياة و معنى و الحروف الحلقية من جملتها إحدى عشرة ألف سنة و دورة فلك الصدر على حكم ما ذكرناه تسع آلاف سنة و طبعه و عنصره و ما يوجد عنه راجع إلى حقيقة ذلك الفلك و أما قولنا يتميز في طبقة كذا فاعلموا إن عالم الحروف على طبقات بالنسبة إلى الحضرة الإلهية و القرب منها مثلنا و تعرف ذلك فيهم بما أذكره لك و ذلك أن الحضرة الإلهية التي للحروف عندنا في الشاهد إنما هي في عالم الرقم خط المصحف و في الكلام التلاوة و إن كانت سارية في الكلام كله تلاوة أو غيرها فهذا ليس هو عشك إن تعرف أن كل لفظ بلفظة إلى الآباد أنه قرآن و لكنه في الوجود بمنزلة حكم الإباحة في شرعنا و فتح هذا الباب يؤدي إلى تطويل عظيم فإن مجاله رحب فعدلنا إلى أمر جزئي من وجه صغر فلكه المرقوم وهو المكتوب و الملفوظ به خاصة و اعلم أن الأمور عندنا من باب الكشف إذا ظهر منها في الوجود ما ظهر إن الأول أشرف من الثاني و هكذا على التتابع حتى إلى النصف و من النصف يقع التفاضل مثل الأول حتى إلى الآخر و الآخر و الأول أشرف ما ظهر ثم يتفاضلان على حسب ما وضعاه و على حسب المقام فالأشرف منها أبدا يقدم في الموضع الأشرف و تبين هذا أن ليلة خمسة عشر في الشرف بمنزلة ليلة ثلاثة عشر و هكذا حتى إلى ليلة طلوع الهلال من أول الشهر و طلوعه من آخر الشهر و ليلة الحاق المطلق ليلة الإبدار المطلق فافهم فنظرنا كيف ترتب مقام رقم القرآن عندنا و بما ذا بدئت به السور من الحروف و بما ذا ختمت و بما ذا اختصت السور المجهولة في العلم النظري المعلومة بالعلم اللدني من الحروف و نظرنا إلى تكرار سَمِ اللهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و نظرنا في الحروف التي لم تختص بالبداية و لا بالختام و لا ب سَمِ اللهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و طلبنا من الله تعالى أن يعلمنا بهذا الاختصاص الإلهي الذي حصل لهذه

الحروف هل هو اختصاص اعتنائي من غير شيء كاختصاص الأنبياء بالنبوة والأشياء الأول كلها أو هو اختصاص نالته من طريق الاكتساب فكشف لنا عن ذلك كشف إلهام فرأينا على الوجهين معا في حق قوم عناية وفي حق قوم جزاء لما كان منهم في أول الوضع والكل لنا ولهم وللعلم عناية من الله تعالى فلما وقفنا على ذلك جعلنا الحروف التي لم تثبت أولا ولا آخرا على مراتب الأولية كما نذكره عامة الحروف ليس لها من هذا الاختصاص القرآني حظ وهم الحميم والضاد والخاء والذال والغين والشين وجعلنا الطبقة الأولى من الخواص حروف السور المجهولة وهم الألف واللام والميم والضاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وأعني بهذا صورة اشتراكهم في اللفظ والرقم فاشترآها في الرقم اشتراكها في الصورة والاشتراك اللفظي إطلاق اسم واحد عليها مثل زيد و زيد آخر فقد اشتركا في الصورة والاسم وأما المقرر عندنا والمعلوم إن الضاد من المص ومن كيعص ومن ص ليس كل واحد منهم عين الآخر منهم و يختلف باختلاف أحكام السورة وأحوالها ومنازلها وهكذا جميع هذه الحروف على هذه المرتبة وهذه تعمها لفظا وخطا وأما الطبقة الثانية من الخاصة وهم خاصة الخاصة فكل حرف وقع في أول سورة من القرآن مجهولة وغير مجهولة وهو حرف الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والضاد والحاء والنون واللام والهاء والعين وأما الطبقة الثالثة من الخواص وهم الخلاصة فهم الحروف الواقعة في أواخر السور مثل النون والميم والراء والباء والذال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهواء والطاء والتاء واللام والفاء والسين وإن كان الألف فيما يرى خطأ ولفظا في ركرا ولزاما وقمن اهتدى فما أعطانا الكشف إلا الذي قبل ذلك الألف فوقنا عنده وسميناه آخر كما شهدنا هناك وأثبتنا الألف كما رأينا هنا ولكن في فصل آخر لا في هذا الفصل فإننا لا نزيد في التقييد في هذه الفصول على ما نشاهده بل ربما نرغب في نقص شيء منها مخافة التطويل فنسعف في ذلك من جهة الرقم واللفظ ونعطي لفظا يعم تلك المعاني التي كثرت ألفاظها فنلقه فلا يجلب بشيء من الإلقاء ولا تنقص ولا يظهر لذلك الطول الأول عين فينقضي المرغوب لله الحمد وأما الطبقة الرابعة من الخواص وهم صفاء الخلاصة وهم حروف بسم الله الرحمن الرحيم وما ذكرت إلا حيث ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد ما ذكرها الله له بالوجهين من الوحي وهو وحي القرآن وهو الوحي الأول فإن عندنا من طريق الكشف إن الفرقان حصل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا جملا غير مفصل الآيات والسور ولهذا كان يعجل به حين كان ينزل عليه به جبريل ع بالفرقان فليل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك فتلقه مجملا فلا يفهم عنك من قبل أن يقضى إليك وحيه فرقانا مفصلا وقل رب زدني علما بتفصيل ما أجملته في المعاني وقد أشار من باب الأسرار فقال إنا أنزلناه في ليلة وليلة ولم يقل بعضه ثم قال فيها يُفرق كل أمر حكيم وهذا هو وحي الفرقان وهو الوجه الآخر من الوجهين وسيأتي الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم في باب الذي أفردت له في هذا الكتاب واعلموا أن بسملة سورة براءة هي التي في النمل فإن الحق تعالى إذا وهب شيئا لم يرجع فيه ولا يردده إلى العدم فلما خرجت رحمة براءة وهي البسملة حكم التبري من أهلها برفع الرحمة عنهم فوقف الملك بها لا يدري أين يضعها لأن كل أمة من الأمم الإنسانية قد أخذت رحمتها بإيمانها بنبيها فقال أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت

بسليمان ع وهي لا يلزمها إيمان إلا برسولها فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به أعطيت من الرحمة الإنسانية حظاً وهو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الذي سلب عن المشركين وفي هذه السورة الحساسة وأما الطبقة الخامسة وهي عين صفاء الخلاصة فذلك حرف الباء فإنه الحرف المقدم لأنه أول البسملة في كل سورة والسورة التي لم يكن فيها بسملة ابتدئت بالباء فقال تعالى براءة قال لنا بعض الاسرائيليين من أحبارهم ما لكم في التوحيد حظ لأن سور كتابكم بالباء فأجبتهم ولا أنتم فإن أول التوراة بباء فأفحم ولا يتمكن إلا هذا فإن الألف لا يتبدى بها أصلاً فما وقع من هذه الحروف في مبادي السور قلنا فيه له بداية الطريق وما وقع آخرها قلنا له غاية الطريق وإن كان من العامة قلنا له وسط الطريق لأن القرآن هو الصراط المستقيم وأما قولنا مرتبته الثانية حتى إلى السابعة فنريد بذلك بسائط هذه الحروف المشتركة في الأعداد فالنون بسائطه اثنان في الألفية والميم بسائطه ثلاثة في الإنسان والجيم والواو والكاف والقاف بسائطه أربعة في الجن والذال والزاي والصاد والعين والضاد والسين والذال والغين والشين بسائطه خمسة في البهائم والألف والهاء واللام بسائطه ستة في النبات والباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والحاء والظاء بسائطه سبعة في الجماد وأما قولنا حركته معوجة أو مستقيمة أو منكوسة أو متمزجة أو أفقية فأريد بالمستقيمة كل حرف حرك الهمة إلى جانب الحق خاصة من جهة السلب إن كنت عالماً ومن جهة ما يشهد إن كنت مشاهداً والمنكوسة كل حرف حرك الهمة إلى الكون وأسراره والمعوجة وهي الأفقية كل حرف حرك الهمة إلى تعلق المكون بالمكون والمتمزجة كل حرف حرك الهمة إلى معرفة أمرين مما ذكرت لك فصاعداً وتظهر في الرقم في الألف والميم المعروق والحاء والنون وما أشبه هؤلاء وأما قولنا له الأعراف والخلق والأحوال والكرامات أو الحقائق والمقامات والمنازلات فاعلموا أن الشيء لا يعرف إلا بوجهه أي بحقيقته فكل ما لا يعرف الشيء إلا به فذلك وجهه فنقط الحرف وجهه الذي يعرف به والنقط على قسمين نقط فوق الحرف ونقط تحته فإذا لم يكن للشيء ما يعرف به عرف بنفسه مشاهدة وبضده نقلاً وهي الحروف اليايسة فإذا دار الفلك أي فلك المعارف حدثت عنه الحروف المنقوطة من فوق وإذا دار فلك الأعمال حدثت عنه الحروف المنقوطة من أسفل وإذا دار فلك المشاهدة حدثت عنه الحروف اليايسة غير المنقوطة ففلك المعارف يعطي الخلق والأحوال والكرامات وفلك الأعمال يعطي الحقائق والمقامات والمنازلات وفلك المشاهدة يعطي البراءة من هذا كله قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي وهذا مقام الأعراف وأما قولنا خالص أو متمزج فالخالص الحرف الموجود عن عنصر واحد والمتمزج الموجود عن عنصرين فصاعداً وأما قولنا كامل أو ناقص فالكامل هو الحرف الذي وجد عن تمام دورة فلكه والناقص الذي وجد عن بعض دورة فلكه وطرات على الفلك علة أو ففته فنقص عما كان يعطيه كمال دورته كالدودة في عالم الحيوان التي ما عندها سوى حاسة اللمس فغذاؤها من لمسها كالواو مع القاف والزاي مع النون وأما قولنا يرفع من اتصل به نريد كل حرف إذا وقفت على سره ورزقت التحقق به والاتحاد تميزت في العالم العلوي وأما قولنا مقدس أي عن التعلق بغيره فلا يتصل في الخط بحرف آخر وتتصل الحروف به فهو منزله الذات تمدها ستة أفلاك عالية الأوج عنها وجدت الجهات هذه الستة الأحرف بحر

عظيم لا يدرك قعره فلا يعرف حقيقتها إلا الله وهي مفاتيح الغيب وندرك من باب الكشف أثرها المنوط بها وهي الألف والواو والذال والذال والراء والزاي وأما قولنا مفرد ومثنى ومثلث ومربع ومؤنس وموحش فنريد بالمفرد إلى المربع ما نذكره وذلك أن من الأفلاك التي عنها توجد هذه الحروف ما له دورة واحدة فذلك قولنا مفرد ودورتان فذلك المثنى هكذا إلى المربع وأما المؤنس والموحش فالدورة تأنس بأختها الشيء يألف شكله قال تعالى لَسَسْكُونُوا إِلَيْهَا وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً فَالْعَارِفُ يَأْلَفُ الْحَالَ وَيَأْنَسُ بِهِ نُودِي عٍ فِي لَيْلَةِ إِسْرَائِيلَ فِي اسْتِحَاشِهِ بِلُغَةِ أَبِي بَكْرٍ فَأَنْسَ بِصَوْتِ أَبِي بَكْرٍ خَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ فَسَبَقَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ ثَانِيًا أَتَيْنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَكَانَ كَلَامَهُمَا كَلَامَهُ سَبْحَانَهُ فَلَمْ يَعِدِ الْمَرْتَبَةَ وَعَدِي الْخُطَابَ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْأُخْرَى فَقَالَ كَأَنَّهُ مَبْتَدِئٌ وَهُوَ عَاطِفٌ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَأَيْعُهُمْ فَأَرْسَلَهَا فَمَنْ النَّاسُ مِنْ قَطْعِهَا وَمَنْهُمْ مَنْ وَصَلَهَا فِي هَذَا مَقَامِ الْإِثْبَاتِ وَبَقَاءِ الرَّسْمِ وَظُهُورِ الْعَيْنِ وَسُلْطَانِ الْحَقَائِقِ وَتَمَشِيَةِ الْعَدْلِ مِنْ بَابِ الْفَضْلِ وَالطُّولِ وَالْمَوْحِشِ مَحْوًى لِمَحَقِّ صَاحِبِ عِلْمٍ تَرْتَقِي فَتَحَقِّقُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَأَمَّا قَوْلُنَا لَهُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ وَالْأَفْعَالُ عَلَى حَسَبِ الْوَجْهِ فَأَيُّ حَرْفٍ لَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ كَانَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَضْرَاتِ حَضْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَيْ شَيْءٌ وَاحِدٌ عَلَى حَسَبِ عُلُوِّهِ وَنَزُولِهِ وَكَذَلِكَ إِذَا تَعَدَّدَتِ الْوَجْوهُ وَأَمَّا قَوْلُنَا لَهُ مِنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّمَا أَعْنِي الْحَقَائِقَ الْمُتَمِّمَةَ لِذَاتِهِ مِنْ جِهَةٍ مَا وَأَمَّا قَوْلُنَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ فَنُرِيدُ بِهِنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي هِيَ الْحَقَائِقُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي عَنْهَا ظَهَرَتْ حَقَائِقُ بَسَائِطِ ذَلِكَ الْحَرْفِ لِأَنَّهَا لَهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ عَالِيَةِ الشَّأْنِ عِنْدَ الْعَارِفِينَ إِذَا أَرَادُوا التَّحْقِيقَ بِهَا حَرَكَاتِ الْوُجُودِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَهِيَ لَهُمْ هُنَا خُصُوصٌ وَفِي الْآخِرَةِ عَمُومٌ بِمَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ لِلشَّيْءِ يَرِيدُهُ كَنِ فِيكَوْنُ فَهَذِهِ نَبْذٌ مِنْ مَعَانِي عَالَمِ الْحُرُوفِ قَلِيلَةٌ عَلَى أَوْجِزٍ مَا يُمْكِنُ وَأَخْصَرَهُ وَفِيهَا تَنْبِيهُ لِأَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ وَالذُّوقِ أَنْتَهَى الْجُزْءُ السَّابِعُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

«الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات وهي الحروف الصغار»

أظهر الله مثلها الكلمات	حركات الحروف ست ومنها
حركات للاحرف المعربات	هي رفع و ثم نصب و خفض
حركات للاحرف الثابتات	وهي فتح و ضم و كسر
أو سكون يكون عن حركات	و أصول الكلام حذف فموت
لحياة غريبة في موات	هذه حالة العوالم فانظر

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه أنا كما شرطنا أن نتكلم في الحركات في فصل الحروف لم أطلق عليها الحروف الصغار ثم إنه رأينا إنه لا فائدة في امتزاج عالم الحركات بعالم الحروف إلا بعد نظام الحروف وضم بعضها إلى بعض فتكون كلمة عند ذلك من الكلم وانتظامها ينظر إلى قوله تعالى

في خلقنا فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وهو ورود الحركات على هذه الحروف بعد تسويتها فتقوم نشأة أخرى تسمى كلمة كما يسمى الشخص الواحد منا إنسانا فهكذا انتشا عالم الكلمات والألفاظ من عالم الحروف فالحروف للكلمات مواد كالماء والتراب والنار والهواء لإقامة نشأة أجسامنا ثم نفخ الروح فيه الامري فكان إنسانا كما قبلت الريح عند استعدادها نفخ الروح الامري فكان جانا كما قبلت الأنوار عند استعدادها نفخ الروح فكانت الملائكة ومن الكلم ما يشبه الإنسان وهو أكثرها ومنها ما يشبه الملائكة والجن وكلاهما جن وهو أقلها كالباء الحافضة واللام والحافضة والمؤكدة وواو القسم وبائه وتائه وواو العطف وفائه والقاف من ق والشين من ش والعين من ع إذا أمرت بها من الوقاية والوشي والوعي وما عدا هذا الصنف المفرد فهو أشبه شيء بالإنسان وإن كان المفرد يشبه باطن الإنسان فإن باطن الإنسان جان في الحقيقة فلما كان عالم الحركات لا يوجد إلا بعد وجود الذوات المتحركة بها وهي الكلمات المنشآت من الحروف أخرنا الكلام عليها عن فصل الحروف إلى فصل الألفاظ ولما كانت الكلمات التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب عن جملة الألفاظ أردنا أن نتكلم في الألفاظ على الإطلاق وحصر عالمها ونسبة هذه الحركات منها بعد ما تتكلم أولا على الحركات على الإطلاق ثم بعد ذلك نتكلم على الحركات المختصة بالكلمات التي هي حركات اللسان وعلامتها التي هي حركات الخط ثم بعد ذلك نتكلم على الكلمات التي توهم التشبيه كما ذكرناه ولعلك تقول هذا العالم المفرد من الحروف الذي قبل الحركة دون تركيب كباء الخفض وشبهه من المفردات كنت تلحقه بالحروف لانفراده فإن هذا هو باب التركيب وهو الكلمات قلنا ما نفخ في باء الخفض الروح وأمثلة من مفردات من الحروف أرواح الحركات ليقوموا بأنفسهم كما قام عالم الحروف وحده دون الحركات وإنما نفخ فيه الروح من أجل غيره فهو مركب ولذلك لا يعطي ذلك حتى يضاف إلى غيره فيقال بالله وتالله وو الله لأعبدن وسأعبد أقتني لربك وأسجدي وما أشبه ذلك ولا معنى له إذا أفردته غير معنى نفسه وهذه الحقائق التي تكون عن التركيب توجد بوجوده وتعدم بعدمه فإن الحيوان حقيقته لا توجد أبدا إلا عند تألف حقائق مفردة معقولة في ذواتها وهي الجسمية والتغذية والحس فإذا تألف الجسم والغذاء والحس ظهرت حقيقة الحيوان ليس هي الجسم وحده ولا الغذاء وحده ولا الحس وحده فإذا أسقطت حقيقة الحس وألفت الجسم والغذاء قلت نبات حقيقة ليست الأولى ولما كانت الحروف المفردة التي ذكرناها مؤثرة في هذا التركيب الآخر اللفظي الذي ركبناه لإبراز حقائق لا تعقل عند السامع إلا بها لهذا شبهناها لكم المتوصل بالعالم الروحاني كالجن ألا ترى الإنسان يتصرف بين أربع حقائق حقيقة ذاتية وحقيقة ربانية وحقيقة شيطانية وحقائق ملكية وسيأتي ذكر هذه الحقائق مستوفى في باب المعرفة للخواطر من هذا الكتاب وهذا في عالم الكلمات دخول حرف من هذه الحروف على عالم الكلمات فتحدث فيه ما تعطيه حقيقتها فافهم هذا فهمنا الله وإياكم سائر كلمه (نكته وإشارة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وقال تعالى وَكَلِمَةُ الْقَاهِ إِلَى مَرِيْمَ وَقَالَ وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ كِتَابُهُ وَيُقَالُ قَطَعَ الْأَمِيرُ يَدَ السَّارِقِ وَضَرَبَ الْأَمِيرُ اللَّصَّ فَمَنْ أَلْقَى عَنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ فَهُوَ الْقَاهُ فَكَانَ الْمَلْقَى مُحَمَّدَ عَ الْقَى عَنْ اللَّهِ كَلِمَاتِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءِ شَيْءٍ مِنْهُ الْبَتَّةُ فَمَنْهُ مَا أَلْقَاهُ بِنَفْسِهِ كَأَرْوَاحِ الْمَلَائِكَةِ وَأَكْثَرُ الْعَالَمِ الْعُلُوبِيِّ وَمِنْهُ أَيْضًا مَا أَلْقَاهُ عَنْ

أمره فيحدث الشيء عن وسائط كبرة الزراعة ما تصل إلى أن تجري في أعضائك روحا مسبحا ومجدا إلا بعد أدوار كثيرة وانتقالات في عالم وتقلب في كل عالم من جنسه على شكل أشخاصه فرجع الكل في ذلك إلى من أوتي جوامع الكلم فنفع الحقيقة الإسرافيلية من الحمدية المضافة إلى الحق فنفعها كما قال تعالى ويوم تنفخ في الصور بالنون وقرئ بالياء وضمها وفتح الفاء والنافخ إنما هو إسرافيل ع والله قد أضاف النفع إلى نفسه فالنفع من إسرافيل والقبول من الصور وسر الحق بينهما هو المعنى بين النافخ والقابل كالرابط من الحروف بين الكلمتين وذلك هو سر الفعل الأقدس الأنزه الذي لا يطلع عليه النافخ ولا القابل فعلى النافخ أن ينفخ وعلى النار أن تتقد والسراج أن ينطفئ والانتقاد والانطفاء بالسر الإلهي فنفع فيها فتكون طائرا بإذن الله قال تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ والنفع واحد والنافخ واحد والخلاف في المنفوخ فيه بحكم الاستعداد وقد خفي السر الإلهي بينهما في كل حالة فتفطنوا يا إخواننا لهذا الأمر الإلهي واعلموا أن الله عزيرٌ حكيمٌ لا يتوصل أحد إلى معرفة كنه الألوهة أبدا ولا ينبغي لها أن تدرك عزت وتعالى علوا كبيرا فالعالم كله من أوله إلى آخره مقيد بعبه بعبه عابد بعبه بعبه بعضه معرفتهم منهم إليهم وحقائقهم منبعثة عنهم بالسر الإلهي الذي لا يدركونه وعائدة عليهم فسبحان من لا يجارى في سلطانه ولا يداني في إحسانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فبعد فهم جوامع الكلم الذي هو العلم الإحاطي والنور الإلهي الذي اختص به سر الوجود وعمد القبة وساق العرش وسبب ثبوت كل ثابت محمد صلى الله عليه وسلم فاعلموا وفقكم الله أن جوامع الكلم من عالم الحروف ثلاثة ذات غنية قائمة بنفسها وذات فقيرة إلى هذه الغنية غير قائمة بنفسها ولكن يرجع منها إلى الذات الغنية وصف تنصف به يطلبها بذاته فإنه ليس من ذاتها إلا بمصاحبة هذه الذات لها فقد صح أيضا من وجه الفقر للذات الغنية القائمة بنفسها كما صح للأخرى وذات ثالثة رابطة بين ذاتين غنيتين أو ذاتين فقيرتين أو ذات فقيرة وذات غنية وهذه الذات الرابطة فقيرة لوجودها بين الذاتين ولا بد فقد قام الفقر والحاجة بجميع الذوات من حيث افتقار بعضها إلى بعض وإن اختلفت الوجوه حتى لا يصح الغني على الإطلاق إلا لله تعالى الغني الحميد من حيث ذاته فلنسم الغنية ذاتا والذات الفقيرة حدثا والذات الثالثة رابطة فنقول الكلم محصور في ثلاث حقائق ذات وحدث ورابطة وهذه الثلاثة جوامع الكلم فيدخل تحت جنس الذات أنواع كثيرة من الذوات وكذلك تحت جنس كلمة الحدث والرباط ولا يحتاج إلى تفصيل هذه الأنواع ومساقها في هذا الكتاب وقد اتسع القول في هذه الأنواع في تفسير القرآن لنا وإن شئت أن تقيس على ما ذكرناه فانظر في كلام النحويين وتقسيمهم الكلم وفي الاسم والفعل والحرف وكذلك المنطقين فالاسم عندهم هو الذات عندهم والفعل عندهم هو الحدث عندهم والحرف عندهم هو الرابطة عندهم وبعض الأحداث عندهم بل كلها أسماء كالقيام والعود والضرب وجعلوا الفعل كل كلمة مقيدة بزمان معين ونحن إنما قصدنا بالكلمات الجري على الحقائق بما هي عليه فجعلنا القيام وقام ويقوم وقم حدثا وفصلنا بينهم بالزمان المبهم والمعين وقد نطقن لذلك الزجاجي فقال والحدث الذي هو القيام مثلا هو المصدر يريد هو الذي صدر من الحدث وهو اسم الفعل يريد أن القيام هذه الكلمة اسم لهذه الحركة المخصوصة من هذا المتحرك الذي بها سمي

قائما فتلک الھیئة هی الی سملت قیاما بالنظر الی حال وجودها وقام بالنظر الی حال انقضائها وعدمها ویقوم وقم بالنظر الی توهم وقوعها و
لا توجد أبدا إلا فی متحرك فهی غیر قائمة بنفسها ثم قال والفعل یرید لفظة قام ویقوم لأنفس الفعل الصادر من المتحرك قائما مثلا مشتق منه
الهاء تعود علی لفظة اسم الفعل الی هو القیام مأخوذ یعنی قام ویقوم من القیام لأن النكرة عنده قبل المعرفة والمبهم نكرة والمختص معرفة و
القیام مجهول الزمان وقام مختص الزمان ولو دخلت علیه أن ویقوم مختص الزمان ولو دخلت علیه لم وهذا مذهب من یقول بالتحلیل إنه فرع
عن التركيب وأن المركب وجد مرکبا وعلی مذهب من یقول بالتفریق وأن التركيب طارئ وهو الی یعضد فی باب النقل أكثر فإن الأظهر
أن المعرفة قبل النكرة وأن لفظة زید إنما وضعت لشخص معین ثم طرأ التکثیر بکونه شورك فی تلك اللفظة فاحتیج الی التعریف بالنعته و
البدل وشبه ذلك فالمعرفة أسبق من النكرة عند المحققین وإن کان لهؤلاء وجه هذا ألیق وأما نحن ومن جرى مجرانا ورقی مرقانا الأشمخ
فغرضنا أمر آخر لیس هو قول أحدهما مطلقا إلا بنسب وإضافات ونظر الی وجوه ما یطول ذکرها ولا تمس الحاجة الیها فی هذا الکتاب إذ
قد ذکرناها فی غیره من توالیفنا فلنبین أن الحركات علی قسمین حركة جسمانية وحركة روحانية والحركة الجسمانية لها أنواع كثيرة سیاتی
ذکرها فی داخل الکتاب وكذلك الروحانية ولا نحتاج منها فی هذا الکتاب إلا الی حركات الکلام لفظا وخطا فالحركات الرقمية کالأجسام و
الحركات اللفظية لها کالأرواح والمتحركات علی قسمین متمکن ومتلون فالمتلون کل متحرك تحرك بجمیع الحركات أو ببعضها فالمتحرك
بجمیعها کالدال من زید والمتحرك ببعضها کالاسماء الی لا تنصرف فی حال کونها لا تنصرف فإنها قد تنصرف فی التکثیر والإضافة کالدال
من أحمد والمتمكن کل متحرك ثبت علی حركة واحدة ولم ینقل عنها کالاسماء المبنية مثل هؤلاء وحذام وکحروف الأسماء المعربة الی
قبل حرف الإعراب منها کالزای والباء من زید وشبهه واعلم أن أفلاك الحركات هی أفلاك الحروف الی تلك الحركات علیها لفظا وخطا
فانظره هناك ولها بسائط وأحوال ومقامات کما کان للحروف نذکرها فی کتاب المبادئ المخصوص بعلم الحروف إن شاء الله وكما ثبت
التلوین والتمکین للذات كذلك ثبت للحدث والرابط ولكن فی الرفع والنصب وحذف الوصف وحذف الرسم ویكون تلوین ترکیب الرابط
لأمرین بالموافقة والاستعارة والاضطرار بالموافقة وهو الإبتاع هذا ابنم ورأیت ابنما وعجبت من ابنم بالاستعارة حركة النقل کحركة
الدال من قد أفلح فی قراءة من نقل وبالاضطرار التحریک لالتقاء الساکنین وقد تكون حركة الإبتاع الموافق فی التركيب الذاتی وإن کان أصل
الحروف کلها التمكن وهو البناء مثل الفطرة فینا وهنا أسرار لمن نطقن ولكن الوالدان ینقلان عن الفطرة المقيدة لا الفطرة المطلقة كذلك
الحروف متمکنة فی مقامها لا تختل ثابتة مبنية کلها ساکنة فی حالها فأراد الالفاظ أن یوصل الی السامع ما فی نفسه فاقتقر الی التلوین فحرك
الفلك الی عنده توجد الحركات عند أبی طالب وعند غیره هو المتقدم واللفظ أو الرقم عن ذلك الفلك وهذا موضع طلب لمیریدی معاینة
الحقائق وأما نحن فلا نقول بقول أبی طالب ونقتصر ولا بقول الآخر ونقتصر فإن کل واحد منهما قال حقا من جهة ما ولم یتم فأقول إن
الحقائق الأول الإلهية تتوجه علی الأفلاك العلوية بالوجه الی تتوجه به علی محال آثارها عند غیر أبی طالب المکی وتقبل کل حقيقة علی

مرتبتها ولما كانت تلك الأفلاك في اللطافة أقرب عند غير أبي طالب إلى الحقائق كان قبورها أسبق لعدم الشغل و صفاء الخل من كدورات
العلائق فإنه نزيه فلهمذا جعلها السبب المؤثر ولو عرف هذا القائل إن تلك الحقائق الأول إنما توجهت على ما يناسبها في اللطافة وهو أنفاس
الإنسان فتحرك الفلك العلوي الذي يناسبه عالم الأنفاس وهذا مذهب أبي طالب ثم يحرك ذلك الفلك العلوي العضو المطلوب بالغرض
المطلوب بتلك المناسبة التي بينهما فإن الفلك العلوي وإن لطف فهو في أول درج الكثافة وآخر درج اللطافة بخلاف عالم أنفاسنا واجتمعت
المذاهب فإن الخلاف لا يصح عندنا ولا في طريقنا لكنه كاشف واكتشف فتقهم ما أشرنا إليه وتحققه فإنه سر عجيب من أكبر الأسرار
الإلهية وقد أشار إليه أبو طالب في كتاب القوت له ثم نرجع ونقول فافتقر المتكلم إلى التلوين ليلبغ إلى مقصده فوجد عالم الحروف والحركات
قابلا لما يريد منها لعلمها أنها لا تزول عن حالها ولا تبطل حقيقتها فيتخيل المتكلم أنه قد غير الحرف وما غيره برهان ذلك أن تفي نظرك في
دال زيد من حيث هو دال وانظر فيه من حيث تقدمه قام مثلا وتفرغ إليه أو أي فعل لفظي كان ليحدث به عنه فلا يصح لك إلا الرفع فيه
خاصة فما زال عن بنائه الذي وجد عليه ومن تخيل أن دال الفاعل هو دال المفعول أو دال المجرور فقد خلط واعتقد أن الكلمة الأولى هي
عين الثانية لا مثلها ومن اعتقد هذا في الوجود فقد بعد عن الصواب وربما يأتي من هذا الفصل في الألفاظ شيء إن قدر وأهمناه فقد تبين
لك أن الأصل الثبوت لكل شيء ألا ترى العبد حقيقة ثبوته وتمكنه إنما هو في العبودة فإن اتصف يوما ما بوصف رباني فلا تقل هو معار
عنده ولكن انظر إلى الحقيقة التي قبلت ذلك الوصف منه تجدها ثابتة في ذلك الوصف كلما ظهر عينها تحلت بتلك الحلية فإياك أن تقول قد
خرج هذا عن طوره بوصف ربه فإن الله تعالى ما نزع وصفه وأعطاه إياه وإنما وقع الشبه في اللفظ والمعنى معا عند غير المحقق فيقول هذا
هو هذا وقد علمنا أن هذا ليس هذا وهذا ينبغي لهذا ولا ينبغي لهذا فليكن عند من لا ينبغي له عارية وأمانة وهذا قصور وكلام من
عمي عن إدراك الحقائق فإن هذا ولا بد ينبغي له هذا فليس الرب هو العبد وإن قيل في الله سبحانه إنه عالم وقيل في العبد إنه عالم وكذلك
الحي والمريد والسميع والبصير وسائر الصفات والإدراكات فإياك أن تجعل حياة الحق هي حياة العبد في الحد فتلزمك الحالات فإذا جعلت
حياة الرب على ما تستحقه الربوبية وحياة العبد على ما يستحقه الكون فقد انبغى للعبد أن يكون حيا ولو لم ينبغ له ذلك لم يصح أن يكون
الحق أمرا ولا قاهرا إلا لنفسه ويتزه تعالى أن يكون مأمورا أو مقهورا فإذا ثبت أن يكون المأمور والمقهور أمرا آخر وعينا أخرى فلا بد أن
يكون حيا عالما مريدا متمكنا مما يراد به هكذا تعطي الحقائق فثم على هذا حرف لا يقبل سوى حركته كالهاء من هذا و ثم حرف يقبل
الحركتين والثلاث من جهة صورته الجسمية والروحية كالهاء في الضمير له ولها وبه كما تقبل أنت بنفسك الخجل وبصورتك حمرة وتقبل
بنفسك الوجل وبصورتك صفوته والثوب يقبل الألوان المختلفة وما بقي الكشف إلا عن الحقيقة التي تقبل الأعراض هل هي واحدة أو
شأنها شأن الأعراض في العدم والوجود وهذا مبحث للنظار وأما نحن فلا نحتاج إليه ولا نلتفت فإنه بحر عميق مجال المريد على معرفته من
باب الكشف عليه فإنه بالنظر إلى الكشف يسير والنظر إلى العقل عسير ثم أرجع وأقول إن الحرف إذا قامت به حقيقة الفاعلية بتفريغ الفعل

على البنية المخصوصة في اللسان تقول قال الله وإذا قامت به حقيقة تطلبه يسمى عندها منصوبا بالفعل أو مفعولا كيف شئت وذلك بأن تطلب منه العون أو تقصده كما طلب مني القيام بما كلفني فمن أجل أنه لم يعطيني إلا بعد سؤالي فكان سؤالي أو حالي القائم مقام سؤالي بوعده جعله يعطيني قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فسؤالني إياه من أمره إياي به وإعطاؤه إياي من طلبي منه فتقول دعوت الله فنصبت حرف الهاء وقد كانت مرفوعة فعلمنا بالحركات أن الحقائق قد اختلفت بهذا ثبت الاصطلاح في لحن بعض الناس وهذا إذا كان المتكلم به غيرنا وأما المتكلم بالحقائق يعلم أولا ويجريها في أفلاكها على ما تقتضيه بالنظر إلى أفلاك مخصوصة وكل متكلم بهذه المثابة وإن لم يعلم بهذا التفصيل وهو عالم به من حيث لا يعلم أنه عالم به وذلك أن الأشياء المتلفظ بها إما لفظ يدل على معنى وهو مقام الباحث في اللفظ ما مدلوله ليرى ما قصد به المتكلم من المعاني وإما معنى يدل عليه بلفظ ما وهو المخبر عما تحقق وأضربنا عن اللحن فإن أفلاكه غير هذه الأفلاك وإسقاط الحركات من الخط في حق قوم دون قوم ما سببه ومن أين هو هذا كله في كتاب المبادي إذ كان القصد بهذا الكتاب الإيجاز والاختصار جهد الطاقة ولو اطعتم على الحقائق كما أطلعنا عليها وعلى عالم الأرواح والمعاني لرأيتم كل حقيقة وروح ومعنى على مرتبة فافهم وألزم فيها نحن قد ذكرنا من بعض ما تعطيه حقائق الحركات ما يليق بهذا الكتاب فلنقبض العنان ولنرجع إلى معرفة الكلمات التي ذكرناها مثل كلمة الاستواء والأين وفي وكان والضحك والفرح والتبشيش والتعجب والملل والمعية والعين واليد والقدم والوجه والصورة والتحول والغضب والحياء والصلاة والفراغ وما ورد في الكتاب العزيز والحديث من هذه الألفاظ التي توهم التشبيه والتجسيم وغير ذلك مما لا يليق بالله تعالى في النظر الفكري عند العقل خاصة فنقول لما كان القرآن منزلا على لسان العرب فقيه ما في اللسان العربي ولما كانت الأعراب لا تعقل ما لا يعقل إلا حتى ينزل لها في التوصل بما تعقله لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحد كما قال ثم دنا قديكي فكان قاب قوسين أو أدنى ولما كانت الملوك عند العرب تجلس عندها المقرب المكرم منها بهذا القدر في المساحة فعقلت من هذا الخطاب قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ولا تنبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب فالبرهان العقلي ينفي الحد والمسافة حتى يأتي الكلام في تنزيه البارئ عما تعطيه هذه الألفاظ من التشبيه في الباب الثالث الذي يلي هذا الباب ولما كانت الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام ألفاظ متبينة وهي الأسماء التي لم تعد مسماها كالبحر والمفتاح والمقصان وألفاظ متواطئة وهي كل لفظة قد توطن عليها أن تطلق على آحاد نوع ما من الأنواع كالرجل والمرأة وألفاظ مشتركة وهي كل لفظ على صيغة واحدة يطلق على معان مختلفة كالعين والمشتري والإنسان وألفاظ مترادفة وهي ألفاظ مختلفة الصيغ تطلق على معنى واحد كالأسد والهربر والفضنفر والسيف والحسام والصارم والخنصر والرحيق والصهباء والخندر يس هذه هي الأمهات مثل البرودة والحرارة والبيوسة والرطوبة في الطبائع و ثم ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة وغير ذلك وكلها ترجع إلى هذه الأمهات بالاصطلاح فإن المشتبه وإن قلت فيه إنه قبيل خامس من قبائل الألفاظ مثل النور يطلق على المعلوم وعلى العلم لشبه العلم به من كشف عين البصيرة به المعلوم كالنور مع البصر في كشف المرئي الحسوس فلما كان هذا الشبه صحيحا

سُمي العلم نورا ويلحق بالألفاظ المشتركة فاذن لا ينفك لفظ من هذه الأمهات وهذا هو حد كل ناظر في هذا الباب وأما نحن فنقول بهذا معهم وعندنا زوائد من باب الاطلاع على الحقائق من جهة لم يطلعوا عليها علمنا منها أن الألفاظ كلها متباينة وإن اشتركت في النطق ومن جهة أخرى أيضا كلها مشتركة وإن تباينت في النطق وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما تقدم من هذا الباب في آخر فصل الحروف فإذا تبين هذا فاعلم أيها الولي الحميم أن المحقق الواقف العارف بما تقتضيه الحضرة الإلهية من التقديس والتنزيه ونفي المماثلة والتشبيه لا يحجبه ما نطقت به الآيات والأخبار في حق الحق تعالى من أدوات التقييد بالزمان والجهة والمكان كقوله ع أين الله فأشارت إلى السماء فأثبت لها الايمان فسأل صلى الله عليه وسلم بالظرفية عما لا يجوز عليه المكان في النظر العقلي والرسول أعلم بالله والله أعلم بنفسه وقال في الظاهر أَمِنْتُمْ فِي السَّمَاءِ بِالْفَاءِ وَقَالَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا وَالرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَيَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ وَيَعِجِبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْوَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَقَدْ تَقَرَّرَ بِالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ خَلْقَهُ الْأَزْمَانَ وَالْأَمَكَةَ وَالْجِهَاتِ وَالْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ وَالْأَدْوَاتِ وَالْمُتَكَلِّمِ بِهَا وَالْمُخَاطَبِينَ مِنَ الْخِدَائَاتِ كُلِّ ذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فَيَعْرِفُ الْحَقُّ قَطْعًا أَنَّهَا مَصْرُوفَةٌ إِلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي يُعْطِيكَ التَّشْبِيهَ وَالتَّمْثِيلَ وَأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَا تَقْبَلُ ذَلِكَ أَصْلًا وَلَكِنْ تَفَاضَلُ الْعُلَمَاءُ السَّالِمَةُ عَقَائِدُهُمْ مِنَ التَّجْسِيمِ فَإِنَّ الْمَشْبَهَةَ وَالْمُجَسَّمَةَ قَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ عُلَمَاءٌ مِنْ حَيْثُ عِلْمُهُمْ بِأُمُورٍ غَيْرِ هَذَا فَتَفَاضَلُ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الصَّرْفِ عَنِ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِالْحَقِّ تَعَالَى فَطَائِفَةٌ لَمْ تَشْبَهْهُ وَلَمْ تَجَسِّمْهُ وَصَرَفَتْ عِلْمَ ذَلِكَ الَّذِي وَرَدَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسَلَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ تَدْخُلْ لَهَا قَدَمٌ فِي بَابِ التَّأْوِيلِ وَقَعْتِ بِمَجْرَدِ الْإِيْمَانِ بِمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا صَرْفٍ إِلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ التَّنْزِيهِ بَلْ قَالَتْ لَا أَدْرِي جَمْلَةً وَاحِدَةً وَلَكِنِّي أَحِيلُ إِبْقَاءَهُ عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَمَّا يُعْطِيهِ النَّظَرَ الْعَقْلِيَّ وَعَلَى هَذَا فَضْلَاءُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ السَّالِمَةِ عَقَائِدُهُمْ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الْمُنْزَهَةِ عَدَلَتْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ عَدَلَتْ إِلَى وَجْهِهِ مَا مِنْ وَجْهِهِ التَّنْزِيهِ عَلَى التَّعْيِينِ مِمَّا يَجُوزُ فِي النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى بَلْ هُوَ مُتَّصِفٌ بِهِ وَلَا بَدَّ وَمَا بَقِيَ النَّظَرِ إِلَّا فِي إِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هَلِ الْمُرَادُ بِهَا ذَلِكَ الْوَجْهِ أَمْ لَا وَلَا يَتَّحَدُّ ذَلِكَ التَّأْوِيلُ فِي أَوْهَتِهِ وَرَبَّمَا عَدَلُوا بِهَا إِلَى وَجْهِهِ وَثَلَاثَةٌ وَأَكْثَرُ عَلَى حَسَبِ مَا تُعْطِيهِ الْكَلِمَةُ فِي وَضْعِ اللِّسَانِ وَلَكِنْ مِنَ الْوَجْهِ الْمُنْزَهَةِ لَا غَيْرَ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ ذَلِكَ الْخَبْرَ أَوْ الْآيَةَ عِنْدَ التَّأْوِيلِ فِي اللِّسَانِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا قَصَرُوا الْخَبْرَ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ التَّنْزِيهِ وَقَالُوا هَذَا هُوَ لَيْسَ إِلَّا فِي عِلْمِنَا وَفَهْمِنَا وَإِذَا وَجَدُوا لَهُ مَصْرَفِينَ فَصَاعِدًا صَرَفُوا الْخَبْرَ أَوْ الْآيَةَ إِلَى تِلْكَ الْمَصَارِفِ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ كَذَا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ كَذَا وَتَعَدَّدَ وَجْهُهُ التَّنْزِيهِ ثُمَّ تَقُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ أَرَادَ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى تَقْوَى عِنْدَهَا وَجْهًا مَا مِنْ تِلْكَ الْوَجْهِ النَّزِيهَةِ بِقَرِينَةٍ مَا قَطَعَتْ لِتِلْكَ الْقَرِينَةِ بِذَلِكَ الْوَجْهِ عَلَى الْخَبْرِ وَقَصْرَتِ عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى بَاقِي الْوَجْهِ فِي ذَلِكَ الْخَبْرِ وَإِنْ كَانَتْ كَلِمًا تَقْتَضِي التَّنْزِيهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْمُنْزَهَةِ أَيْضًا وَهِيَ الْعَالِيَةُ وَهِيَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَرَعُوا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ وَأَخْلَوْهَا إِذْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْمَتَأَوَّلَةِ أَهْلَ فِكْرٍ وَنَظَرٍ وَبَحْثٍ فَقَامَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمُبَارَكَةُ الْمَوْفُوقَةُ وَالْكُلُّ مَوْفِقُونَ

بحمد الله وقالت حصل في نفوسنا تعظيم الحق جل جلاله بحيث لا تقدر أن نصل إلى معرفة ما جاءنا من عنده بدقيق فكر ونظر فأشبهت في هذا العقد الحدّين السالمة عقائد هم حيث لم ينظروا ولا تأولوا ولا صرفوا بل قالوا ما فهمنا فقال أصحابنا بقولهم ثم انتقلوا عن مرتبة هؤلاء بأن قالوا لنا أن نسلك طريقة أخرى في فهم هذه الكلمات وذلك بأن نفرغ قلوبنا من النظر الفكري ونجلس مع الحق تعالى بالذكر على بساط الأدب والمراقبة والحضور والتهيؤ لقبول ما يرد علينا منه تعالى حتى يكون الحق تعالى تعليمنا على الكشف والتحقيق لما سمعته يقول وأنقوا الله ويعلّمكم الله ويقول إن تقوا الله يجعل لكم فرقا فأقول رب زدني علما وعلمنا من لدنا علما فعند ما توجهت قلوبهم وهمهم إلى الله تعالى ولجأت إليه وألقت عنها ما استمسك به الغير من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول كانت عقولهم سليمة وقلوبهم مطهرة فارغة فعند ما كان منهم هذا الاستعداد تجلّى الحق لهم معلما فأطلعهم تلك المشاهدة على معاني هذه الأخبار والكلمات دفعة واحدة وهذا ضرب من ضروب المكاشفة فإنهم إذا عاينوا بعيون القلوب من نزّهته العلماء المتقدم ذكرهم بالإدراك الفكري لم يصبح لهم عند هذا الكشف والمعاينة أن يجهلوا خبرا من هذه الأخبار التي توهم ولا إن يقولوا ذلك الخبر منسحبا على ما فيه من الاحتمالات النزيهة من غير تعيين بل يعرفون الكلمة والمعنى النزيه الذي سيقت له فيقصروها على ما أريدت له وإن جاء في خبر آخر ذلك اللفظ عينه فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدسة معين عند هذا المشاهد هذا حال طائفة منا وطائفة أخرى منا أيضا ليس لهم هذا التجلي ولكن لهم الإلقاء والإلهام واللقاء والكتابة وهم معصومون فيما يلقي إليهم بعلامة عندهم لا يعرفها سواهم فيخبرون بما خوطبوا به وما ألهموا به وما ألقى إليهم أو كتب فقد تقرر عند جميع المحققين الذين سلموا الخبر لقائله لم ينظروا ولا شبهوا ولا أعطوا والمحققين الذين بحثوا واجتهدوا ونظروا على طبقاتهم أيضا والمحققين الذين كوشفوا وعابنوا والمحققين الذين خوطبوا وألهموا أن الحق تعالى لا تدخل عليه تلك الأدوات المقيدة بالتحديد والتشبيه على حد ما نعقله في الحدّثات ولكن تدخل عليه بما فيها من معنى التنزيه والتقدّيس على طبقات العلماء والمحققين في ذلك لما فيه وتقتضيه ذاته من التنزيه وإذا تقرر هذا فقد تبين أنها أدوات التوصيل إلى أفهام المخاطبين وكل عالم على حسب فهمه فيها وقوة نفوذه وبصيرته فعميقة التكليف هيئة الخطب فطر العالم عليها ولوقبت المشبهة مع ما فطرت عليه ما كهرت ولا جسمت وإن كان ما أرادوا التجسيم وإنما قصدوا إثبات الوجود لكن لقصور أفهامهم ما ثبت لهم إلا بهذا التحيل فلهم النجاة وإذ قد ثبت هذا عند المحققين مع تفاضل رتبهم في درج التحقيق فلنقل إن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أن لا يتقيد بوجود الحق مع وجود العالم بقبلية ولا معية ولا بعدية زمانية فإن التقدم الزماني والمكاني في حق الله ترمي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد اللهم إلا أن قال به من باب التوصيل كما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ونطق به الكتاب إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق فلم يبق لنا أن نقول إلا أن الحق موجود بذاته لذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره ولا معلول عن شيء ولا علة لشيء بل هو خالق المعلولات والعلل والملك القدوس الذي لم يزل وأن العالم موجود بالله تعالى لا بنفسه ولا لنفسه مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته فلا يصح وجود العالم البتة إلا بوجود الحق وإذا انتهى الزمان عن وجود الحق وعن وجود

مبدأ العالم فقد وجد العالم في غير زمان فلا نقول من جهة ما هو الأمر عليه إن الله موجود قبل العالم إذ قد ثبت أن القبل من صيغ الزمان ولا زمان ولا إن العالم موجود بعد وجود الحق إذ لا بعدية ولا مع وجود الحق فإن الحق هو الذي أوجده وهو فاعله ومخترعه ولم يكن شيئاً ولكن كما قلنا الحق موجود بذاته والعالم موجود به فإن سأل سائل ذو وهم متى كان وجود العالم من وجود الحق قلنا متى سؤال زماني و الزمان من عالم النسب وهو مخلوق لله تعالى لأن عالم النسب له خلق التقدير لا خلق الإيجاد فهذا سؤال باطل فانظر كيف تسأل فأياك إن تحجبك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك وتحصيلها فلم يبق إلا وجود صرف خالص لا عن عدم وهو وجود الحق تعالى و وجود عن عدم عين الموجود نفسه وهو وجود العالم ولا بينة بين الوجودين ولا امتداد إلا التوهم المقدر الذي يحيله العلم ولا يبقى منه شيئاً و لكن وجود مطلق ومقيد وجود فاعل و وجود منفعل هكذا أعطت الحقائق والسلام «مسألة» سألتني وارد الوقت عن إطلاق الاختراع على الحق تعالى فقلت له علم الحق بنفسه عين علمه بالعالم إذ لم يزل العالم مشهوداً له تعالى وإن اتصف بالعدم ولم يكن العالم مشهوداً لنفسه إذ لم يكن موجوداً وهذا مجر هلك فيه الناظرون الذين عدموا الكشف وبنسبة لم تزل موجودة فعلمه لم يزل موجوداً وعلمه بنفسه علمه بالعالم فعلمه بالعالم لم يزل موجوداً فعلم العالم في حال عدمه وأوجده على صورته في علمه وسيأتي بيان هذا في آخر الكتاب وهو سر القدر الذي خفي عن أكثر المحققين وعلى هذا لا يصح في العالم الاختراع ولكن يطلق عليه الاختراع بوجه ما لا من جهة ما تعطيه حقيقة الاختراع فإن ذلك يؤدي إلى نقص في الجنب الإلهي فالاختراع لا يصح إلا في حق العبد وذلك أن المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعاً إلا حتى يخترع مثال ما يريد إبرازه في الوجود في نفسه أولاً ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية إلى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل متى لم يخترع الشيء في نفسه أولاً وإلا فليس بمخترع حقيقة فإنك إذا قدرت أن شخصا علمك ترتيب شكل ما ظهر في الوجود له مثل فعلمته ثم أبرزته أنت للوجود كما علمته فلست أنت في نفس الأمر وعند نفسك بمخترع له وإنما المخترع له من اختراع مثاله في نفسه ثم علمك وإن نسب الناس الاختراع لك فيه من حيث إنهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك فارجع أنت إلى ما تعرفه من نفسك ولا تلتفت إلى من لا يعلم ذلك منك فإن الحق سبحانه ما دبر العالم تديراً من يحصل ما ليس عنده ولا فكر فيه ولا يجوز عليه ذلك ولا اختراع في نفسه شيئاً لم يكن عليه ولا قال في نفسه هل نعمه كذا وكذا هذا كله ما لا يجوز عليه فإن المخترع للشيء يأخذ أجزاء موجودة متفرقة في الموجودات فيؤلفها في ذهنه وهمه تأليفاً لم يسبق إليه في علمه وإن سبق فلا يبالي فإنه في ذلك بمنزلة الأول الذي لم يسبقه أحد إليه كما تفعله الشعراء والكتاب الفصحاء في اختراع المعاني المبتكرة فثم اختراع قد سبق إليه فيتخيل السامع أنه سرقه فلا ينبغي للمخترع أن ينظر إلى أحد إلا إلى ما حدث عنده خاصة إن أراد أن يلتد ويستمتع بلذة الاختراع ومهما نظر المخترع لأمر ما إلى من سبقه فيه بعد ما اخترعه ربما هلك وتفطرت كبده وأكثر العلماء بالاختراع البلغاء والمهندسون ومن أصحاب الصنائع النجارون والبناءون فهؤلاء أكثر الناس اختراعاً وأذكاهم فطرة وأشدهم تصرفاً لعقولهم فقد صححت حقيقة الاختراع لمن استخرج بالفكر ما لم يكن يعلم قبل ذلك ولا علمه غيره بالقوة أو بالقوة والفعل إن كان من العلوم التي

غايته العمل والباري سبحانه لم ينزل عالماً بالعلم أزلًا ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعلم غير عالم فما اخترع في نفسه شيئاً لم يكن يعلمه فإذا قد ثبت عند العلماء بالله قدم علمه فقد ثبت كونه مخترعاً لنا بالفعل لأنه اخترع مثلنا في نفسه الذي هو صورة علمه بنا إذ كان وجودنا على حد ما كنا في علمه ولو لم يكن كذلك لخرجنا إلى الوجود على حد ما لم يعلمه وما لا يعلمه لا يريدُه وما لا يريدُه ولا يعلمه لا يوجدُه فنكون إذن موجودين بأنفسنا أو بالاتفاق وإذا كان هذا فلا يصح وجودنا عن عدم وقد دل البرهان على وجودنا عن عدم وعلى أنه علمنا وأراد وجودنا وأوجدنا على الصورة الثابتة في علمه بنا ونحن معدومون في أعياننا فلا اخترع في المثال فلم يبق إلا الاختراع في الفعل وهو صحيح لعدم المثال الموجود في العين فتحقق ما ذكرناه وقل بعد ذلك ما شئت فإن شئت وصفته بالاختراع وعدم المثال وإن شئت نفيت هذا عنه نفيته ولكن بعد وقوفك على ما أعلمتكم به

«الفصل الثالث في العلم والعالم والمعلوم من الباب الثاني»

ثلاثة	حكمهم	واحد	العلم و المعلوم و العالم
ثلاثة	أثبتها	الشاهد	و إن تشأ أحكامهم مثلهم
ليس عليه في العلي	زائد	وصاحب الغيب يرى واحداً	

اعلم أيديك الله أن العلم تحصيل القلب أمراً ما على حد ما هو عليه ذلك في نفسه معدوماً كان ذلك الأمر أو موجوداً فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب والعالم هو القلب والمعلوم هو ذلك الأمر المحصل وتصور حقيقة العلم عسير جداً ولكن أمهد لتحصيل العلم ما يتبين به إن شاء الله تعالى فاعلموا إن القلب مرآة مصقولة كلها وجه لا تصدأ أبداً فإن أطلق يوماً عليها أنها صدئت كما قال ع إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد الحديث وفيه إن جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن ولكن من كونه الذكر الحكيم فليس المراد بهذا الصدأ أنه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالله كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب لأنه المانع من تجلي الحق إلى هذا القلب لأن الحضرة الإلهية متجلاة على الدوام لا يتصور في حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود لأنه قبل غيرها عبر عن قبول ذلك الغير بالصدأ والكن والقفل والعمي والران وغير ذلك وإلا فالحق يعطيك أن العلم عنده ولكن بغير الله في علمه وهو بالله في نفس الأمر عند العلماء بالله ومما يؤيد ما قلناه قول الله تعالى وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَمِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ فَكَانَتْ فِي أَكْثَمِ مِمَّا يدعوها الرسول إليه خاصة لأنها في كن ولكن تعلقت بغير ما تدعى إليه فعميت عن إدراك ما دعيت إليه فلا تبصر شيئاً والقلوب أبداً لم تنزل منقطرة على الجلاء مصقولة صافية فكل قلب تجلت فيه الحضرة الإلهية من حيث هي يا قوت أحمر الذي هو التجلي الذاتي فذلك قلب المشاهد المكمل العالم الذي لا أحد فوقه في تجل من التجليات ودونه تجلي الصفات ودونها تجلي الأفعال ولكن من كونها من الحضرة الإلهية ومن لم تنجل له من كونها من الحضرة الإلهية فذلك هو القلب الغافل عن الله تعالى المطرود من قرب الله تعالى فانظر وفقك الله في القلب على

حد ما ذكرناه وانظر هل تجعله العلم فلا يصح وإن قلت الصقالة الذاتية له فلا سبيل ولكن هي سبب كما إن ظهور المعلوم للقلب سبب وإن
 قلت السبب الذي يحصل المعلوم في القلب فلا سبيل وإن قلت المثال المنطبع في النفس من المعلوم وهو تصور المعلوم فلا سبيل فإن قيل لك فما
 هو العلم فقل درك المدرك على ما هو عليه في نفسه إذا كان دركه غير متمتع وأما ما يتمتع دركه فالعلم به هو لا دركه كما قال الصديق العجز
 عن درك الإدراك إدراك فجعل العلم بالله هو لا دركه فاعلم ذلك ولكن لا دركه من جهة كسب العقل كما يعلمه غيره ولكن دركه من جوده
 وكرمه ووهبه كما يعرفه العارفون أهل الشهود لا من قوة العقل من حيث نظره «تميم» ولما ثبت أن العلم بأمر ما لا يكون إلا بمعرفة قد
 تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت أنه لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه من جهة المناسبة
 التي بين الأشياء وهي مناسبة الجنس أو النوع أو الشخص فليس لنا علم متقدم بشيء فنذكر به ذات الحق لما بينهما من المناسبة مثال ذلك
 علمنا بطبيعة الأفلاك التي هي طبيعة خامسة لم نعلمها أصلاً لولا ما سبق علمنا بالأمهات الأربع فلما رأينا الأفلاك خارجة عن هذه الطبائع
 بحكم ليس هو في هذه الأمهات علمنا إن ثم طبيعة خامسة من جهة الحركة العلوية التي في الأثير والهواء والسفلية التي في الماء والتراب و
 المناسبة بين الأفلاك والأمهات الجوهرية التي هي جنس جامع للكُل والنوعية فإنها نوع كما أن هذه نوع لجنس واحد وكذلك الشخصية ولو لم
 يكن هذا التناسب لما علمنا من الطبائع علم طبيعة الفلك وليس بين الباري والعالم مناسبة من هذه الوجوه فلا يعلم بعلم سابق بغيره أبداً كما
 يزعم بعضهم من استدلال الشاهد على الغائب بالعلم والإرادة والكلام وغير ذلك ثم يقدره بعد ما قد حمله على نفسه وقاسه بها ثم إنه مما
 يؤيد ما ذهبنا إليه من علمنا بالله تعالى أن العلم يترتب بحسب المعلوم وينفصل في ذاته بحسب انفصال المعلوم عن غيره والشيء الذي به
 ينفصل المعلوم إما أن يكون ذاتاً كالعقل من جهة جوهريته وكنهه وإما أن يكون ذاتاً من جهة طبعه كالحرارة والإحراق للنار فكما انفصل
 العقل عن النفس من جهة جوهريته كذلك انفصل النار عن غيره بما ذكرناه وإما أن ينفصل عنه بذاته لكن بما هو محمول فيه إما بالحال كجلوس
 الجالس وكتابة الكاتب وإما بالهيئة كسواد الأسود وياض الأبيض وهذا حصر مدارك العقل عند العقلاء فلا يوجد معلوم قطعاً للعقل من
 حيث ما هو خارج عما وصفنا إلا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره إما من جهة جوهره أو طبعه أو حاله أو هيأته ولا يدرك العقل شيئاً لا
 توجد فيه هذه الأشياء البتة وهذه الأشياء لا توجد في الله تعالى فلا يعلمه العقل أصلاً من حيث هو ناظر وباحث وكيف يعلمه العقل من
 حيث نظره وبرهانه الذي يستند إليه الحس أو الضرورة أو التجربة والباري تعالى غير مدرك بهذه الأصول التي يرجع إليها العقل في برهانه و
 حينئذ يصح له البرهان الوجودي فكيف يدعي العاقل أنه قد علم ربه من جهة الدليل وأن الباري معلوم له ولو نظر إلى المفعولات الصناعية و
 الطبيعية والتكوينية والانبعائية والإبداعية ورأى جهل كل واحد منها بفعله لعلم أن الله تعالى لا يعلم بالدليل أبداً لكن يعلم أنه موجود وأن
 العالم مفتقر إليه افتقاراً ذاتياً لا محيص له عنه البتة قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فمن أراد أن يعرف
 لباب التوحيد فلينظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب العزيز الذي وحد بها نفسه فلا أحد أعرف من الشيء بنفسه فليتنظر بما

وصف نفسه و تسأل الله تعالى أن يفهمك ذلك فستقف علم الهي لا يبلغ إليه عقل بفكره أيد الأباد و سأورد من هذه الآيات في الباب الذي يلي هذا الباب شيئاً يسيراً والله يرزقنا الفهم عنه آمين و يجعلنا من العالمين الذين يعقلون آياته

«الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى عما في طي الكلمات التي أطلقها عليه سبحانه في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم من

التشبيه و التجسيم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً»

في قدس الأيد و تنزيهه نظم في نظر العبد إلى ربه
تلحق بالكيف و تشبيهه و علوه عن أدوات أتت
منزلة العبد و تنويهه دلالة تحكم قطعاً على
و طرح بدعي و تمويهه و صحة العلم و إثباته

اعلم أيديك الله أن جميع المعلومات علوها و سفلهما حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى بغير واسطة فلم يخف عنه شيء من علم الكون الأعلى و الأسفل و من وهبه وجوده تكون معرفة النفس الأشياء و من تجليه إليها و نوره و فيضه الأقدس فالعقل مستفيد من الحق تعالى مفيد للنفس و النفس مستفيدة من العقل و عنها يكون الفعل و هذا سار في جميع ما تعلق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه و إنما قيدنا بالتي هي دونه من أجل ما ذكرناه من الإفادة و تحفظ في نظرك من قوله تعالى حَسْبِيَ عِلْمٌ وَهُوَ الْعَالِمُ فَاعْرِفِ السَّبَبَ و اعلم أن العالم المهيم لا يستفيد من العقل الأول شيئاً و ليس له على المهيمين سلطان بل هم و إياه في مرتبة واحدة كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب و إن كان القطب واحداً من الأفراد لكن خصص العقل بالإفادة كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية و هو سار في جميع ما تعلق به علم العقل إلا علم تجريد التوحيد خاصة فإنه يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه إذ لا مناسبة بين الله تعالى و بين خلقه البتة و إن أطلقت المناسبة يوماً ما عليه كما أطلقها الإمام أبو حامد الغزالي في كتبه و غيره فبضرب من التكلف و مرمى بعيد عن الحقائق و الإفاي نسبة بين الحدث و القديم أم كيف يشبهه من لا يقبل المثل من يقبل المثل هذا محال كما قال أبو العباس بن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس التي تعزى إليه ليس بينه و بين العباد نسب إلا العناية و لا سبب إلا الحكم و لا وقت غير الأزل و ما بقي فعمى و تلبس و في رواية فعلم بدل من قوله فعمى فانظر ما أحسن هذا الكلام و ما أتم هذه المعرفة بالله و ما أقدس هذه المشاهدة نفعه الله بما قال فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل و النفس إلا من حيث إنه موجود تعالى و تقدس و كل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات و غيرها فالله سبحانه في نظر العقل السليم من حيث فكره و عصمته بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم و لا يجري عليه ذلك اللفظ عقلاً من الوجه الذي تقبله المخلوقات فإن أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الأفهام لثبوت الوجود عند السامع لاثبوت الحقيقة التي هو الحق عليها فإن الله تعالى يقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لكن يجب علينا شرعاً من أجل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يقول اعلم من إخباري الموافق لنظرك ليصح لك الايمان علماً كما

صح لك العلم من غير إيمان الذي هو قبل التعريف فأمره فمن أجل هذا الأمر على نظر بعض الناس ورأيه فيه نظرنا من أين توصل إلى معرفته فنظرنا على حكم الإنصاف وما أعطاه العقل الكامل بعد جده واجتهاده الممكن منه فلم نصل إلى المعرفة به سبحانه إلا بالعجز عن معرفته لأننا طلبنا أن نعرفه كما نطلب معرفة الأشياء كلها من جهة الحقيقة التي هي المعلومات عليها فلما عرفنا إن ثم موجودا ليس له مثل ولا يتصور في الذهن ولا يدرك فكيف يضبطه العقل هذا ما لا يجوز مع ثبوت العلم بوجوده فنحن نعلم أنه موجود واحد في الوهته وهذا هو العلم الذي طلب منا غير عالين بحقيقة ذاته التي يعرف سبحانه نفسه عليها وهو العلم بعدم العلم الذي طلب منا لما كان تعالى لا يشبه شيئا من المخلوقات في نظر العقل ولا يشبهه شيء منها كان الواجب علينا أولا لما قيل لنا فاعلموا أنه لا إله إلا الله إن نعلم ما العلم وقد علمنا فقد علمنا ما يجب علينا من علم العلم أولا انتهى الجزء الثامن والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فلنقل إنه لما كانت أمهات المطالب أربعة وهي هل وما وكيف ولم فهل ولم مطلبان روحانيان بسيطان يصحبهما ما هو فهل ولم هما الأصلان الصحيحان للبسائط لأن في ما هو ضرب من التركيب خاصة وليس في هذه المطالب الأربعة مطلب ينبغي أن يسأل به عن الله تعالى من جهة ما تعطيه الحقيقة إذ لا يصح أن يعرف من علم التوحيد إلا نفي ما يوجد فيما سواه سبحانه ولهذا قال ليس كمثل شيء و سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فالعلم بالسلب هو العلم بالله سبحانه كما لم يجوز أن نقول في الأرواح كيف و تقدست عن ذلك لأن حقائقها تخالف هذه العبارة كذلك ما ينطلق على الأرواح من الأدوات التي بها يسأل عنها لا يجوز أن يطلق على الله تعالى ولا ينبغي للمحقق الموحد الذي يحترم حضرة مبدعه ومخترعه أن يطلق عليه هذه الألفاظ فاذن لا يعلم بهذه المطالب أبدا «وصل» ثم إنا نظرنا أيضا في جميع ما سوى الحق تعالى فوجدناه على قسمين قسم يدرك بذاته وهو المحسوس والكثيف وقسم يدرك بفعله وهو المعقول واللطيف فارتفع المعقول عن المحسوس بهذه المنزلة وهي التنزه أن تدرك بذاته وإنما يدرك بفعله ولما كانت هذه أوصاف المخلوقين تقدس الحق تعالى عن أن يدرك بذاته كالمحسوس أو بفعله كاللطيف أو المعقول لأنه سبحانه ليس بينه وبين خلقه مناسبة أصلا لأن ذاته غير مدركة لنا فتشبه المحسوس ولا فعلها كفعل اللطيف فيشبه اللطيف لأن فعل الحق تعالى إبداع الشيء لا من شيء واللطيف الروحاني فعل الشيء من الأشياء فأبي مناسبة بينهما فإذا امتنعت المشابهة في الفعل فأحرى أن تمتنع المشابهة في الذات وإن شئت أن تحقق شيئا من هذا الفصل فانظر إلى مفعول هذا الفعل على حسب أصناف المفعولات مثل المفعول الصناعي كالقميص والكرسي فوجدناه لا يعرف صانعه إلا أنه يدل بنفسه على وجود صانعه وعلى علمه بصنعه وكذلك المفعول التكويني الذي هو الفلك والكواكب لا يعرفون مكوّنهم ولا المركب لهم وهو النفس الكلية المحيطة بهم وكذلك المفعول الطبيعي كالموالد من المعادن والنبات والحيوان الذين يفعلون طبيعة من المفعول التكويني ليس لهم وقوف على الفاعل لهم الذي هو الفلك والكواكب فليس العلم بالأفلاك ما تراه من جرمها وما يدركه الحس منها وأين جرم الشمس في نفسها منها في عين الرائي لها منا و

إنما العلم بالأفلاك من جهة روحها ومعناها الذي أوجده الله تعالى لها عن النفس الكلية المحيطة التي سبب الأفلاك وما فيها وكذلك المفعول الانبعاثي الذي هو النفس الكلية المنبعثة من العقل انبعاث الصورة الدحية من الحقيقة الجبرئيلية فإنها لا تعرف الذي انبعثت عنه أصلاً لأنها تحت حيطة وهو المحيط بها لأنها خاطر من خواطره فكيف تعلم ما هو فوقها وما ليس فيها منه إلا ما فيها فلا تعلم منه إلا ما هي عليه فنفسها علمت لا سببهما وكذلك المفعول الإبداعي الذي هو الحقيقة المحمدية عندنا والعقل الأول عند غيرنا وهو القلم الأعلى الذي أبدعه الله تعالى من غير شيء هو أعجز وامنع عن إدراك فاعله من كل مفعول تقدم ذكره إذ بين كل مفعول وفاعله مما تقدم ذكره ضرب من ضروب المناسبة والمشكلة فلا بد أن يعلم منه قدر ما بينهما من المناسبة إما من جهة الجوهرية أو غير ذلك ولا مناسبة بين المبدع الأول والحق تعالى فهو أعجز عن معرفته بفاعله من غيره من مفعولي الأسباب إذ قد عجز المفعول الذي يشبهه سببه الفاعل له من وجوه عن إدراكه والعلم به فافهم هذا وتحققه فإنه نافع جدا في باب التوحيد والعجز عن تعلق العلم بالحدث بالله تعالى «وصل» يؤيد ما ذكرناه أن الإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوي الخمس القوة الحسية وهي على خمس الشم والطعم واللمس والسمع والبصر فالبصر يدرك الألوان والمتلونات والأشخاص على حد معلوم من القرب والبعد فالذي يدرك منه على ميل غير الذي يدرك منه على ميلين والذي يدرك منه على عشرين باعاً غير الذي يدرك منه على عشرين باعاً فالذي يدرك منه على ميلين شخص لا يدري هل هو إنسان أو شجرة وعلى ميل يعرف أنه إنسان وعلى عشرين باعاً أنه أبيض أو أسود وعلى المقابلة أنه أزرق أو أحمر وهكذا سائر الحواس في مدرجاتها من القرب والبعد والباري سبحانه ليس بحسوس أي ليس بمدرك بالحس عندنا في وقت طلبنا المعرفة به فلم نعلمه من طريق الحس وأما القوة الخيالية فإنها لا تضبط إلا ما أعطاه الحس إما على صورة ما أعطاهها وإما على صورة ما أعطاه الفكر من حملة بعض الحسوسات على بعض وإلى هنا انتهت طريقة أهل الفكر في معرفة الحق فهو لسانهم ليس لساننا وإن كان حقا ولكن نسبته إليهم فإنه نقل عنهم فلم تبرح هذه القوة كيفما كان إدراكها عن الحس البتة وقد بطل تعلق الحس بالله عندنا فقد بطل تعلق الخيال به وأما القوة المفكرة فلا يفكر الإنسان أبداً إلا في أشياء موجودة عنده تلقاها من جهة الحواس وأوائل العقل ومن الفكر فيها في خزانة الخيال يحصل له علم بأمر آخر بينه وبين هذه الأشياء التي فكر فيها مناسبة ولا مناسبة بين الله وبين خلقه فاذن لا يصح العلم به من جهة الفكر ولهذا منعت العلماء من الفكر في ذات الله تعالى وأما القوة العقلية فلا يصح أن يدركه العقل فإن العقل لا يقبل إلا ما علمه بديهية أو ما أعطاه الفكر وقد بطل إدراك الفكر له فقد بطل إدراك العقل له من طريق الفكر ولكن مما هو عقل إنما حده أن يعقل ويضبط ما حصل عنده فقد يهبه الحق المعرفة به فيعلمها لأنه عقل لا من طريق الفكر هذا ما لا نتمنع فإن هذه المعرفة التي يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها ولكن يقبلها فلا يقوم عليها دليل ولا برهان لأنها وراء طور مدارك العقل ثم هذه الأوصاف الذاتية لا تمكن العبارة عنها لأنها خارجة عن التمثيل والقياس فإنه ليس كمثل شيء فكل عقل لم يكشف له من هذه المعرفة شيء يسأل عقلاً آخر قد كشف له منها ليس في

قوة ذلك العقل المسؤل العبارة عنها ولا تمكن ولذلك قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك ولهذا الكلام مرتبان فافهم فمن طلب الله بعقله من طريق فكره ونظره فهو تائه وإنما حسبه التهيؤ لقبول ما يهبه الله من ذلك فافهم وأما القوة الذاكرة فلا سبيل أن تدرك العلم بالله فإنها إنما تذكر ما كان العقل قبل علمه ثم غفل أو نسي وهو لم يعلمه فلا سبيل للقوة الذاكرة إليه وانحصرت مدارك الإنسان بما هو إنسان وما تعطيه ذاته وله فيه كسب وما بقي إلا تهيو العقل لقبول ما يهبه الحق من معرفته جل وتعالى فلا يعرف أبداً من جهة الدليل إلا معرفة الوجود وأنه الواحد المعبود لا غير فإن الإنسان المدرك لا يتمكن له أن يدرك شيئاً أبداً إلا ومثله موجود فيه ولولا ذلك ما أدركه البتة ولا عرفه فإذا لم يعرف شيئاً إلا وفيه مثل ذلك الشيء المعروف فما عرف إلا ما يشبهه ويشاكله والباري تعالى لا يشبه شيئاً ولا في شيء مثله فلا يعرف أبداً ومما يؤيد ما ذكرناه أن الأشياء الطبيعية لا تقبل الغذاء إلا من مشاكلها فأما ما لا يشاكلها فلا تقبل الغذاء منه قطعاً مثال ذلك أن الموالد من المعادن والنبات والحيوان مركبة من الطبائع الأربع والموالد لا تقبل الغذاء إلا منها وذلك لأن فيها نصيباً منها ولورام أحد من الخلق على أن يجعل غذاء جسمه المركب من هذه الطبائع من شيء كائن عن غير هذه الطبائع أو ما تركب عنها لم يستطع فكما لا يمكن لشيء من الأجسام الطبيعية أن تقبل غذاء إلا من شيء هو من الطبائع التي هي منها كذلك لا يمكن لأحد أن يعلم شيئاً ليس فيه مثله البتة ألا ترى النفس لا تقبل من العقل إلا ما تشاركه فيه وتشاكله وما لم تشاركه فيه لا تعلمه منه أبداً وليس من الله في أحد شيء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه فلا يعرفه أحد من نفسه وفكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أتم فأخبر بأن العقل لم يدركه بفكره ولا بعين بصيرته كما لم يدركه البصر وهذا هو الذي أشرنا إليه فيما تقدم من بابنا فله الحمد على ما ألهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله عظيماً هكذا فيمكن التنزيه ونفي المماثلة والتشبيه وما ضل من ضل من المشبهة إلا بالتأويل وحمل ما وردت به الآيات والأخبار على ما يسبق منها إلى الأفهام من غير نظر فيما يجب الله تعالى من التنزيه فقادهم ذلك إلى الجهل الخض والكفر الصراح ولو طلبوا السلامة وتركوا الأخبار والآيات على ما جاءت من غير عدول منهم فيها إلى شيء البتة و يكون علم ذلك إلى الله تعالى ولرسوله ويقولون لا ندري وكان يكفهم قول الله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فمتى جاءهم حديث فيه تشبيه فقد أشبه الله شيئاً وهو قد نفى الشبه عن نفسه سبحانه فما بقي إلا أن ذلك الخبر له وجه من وجوه التنزيه يعرفه الله تعالى وحيى به لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه وما تجد لفظه في خبر ولا آية جملة واحدة تكون نصاً في التشبيه أبداً وإنما تجدها عند العرب تحتمل وجوهاً منها ما يؤدي إلى التشبيه ومنها ما يؤدي إلى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي إلى التشبيه جور منه على ذلك اللفظ إذ لم يوف حقه بما يعطيه وضعه في اللسان وتعد على الله تعالى حيث حمل عليه سبحانه ما لا يليق بالله تعالى ونحن نورد إن شاء الله تعالى بعض أحاديث وردت في التشبيه وإنها ليست بنص فيه فَلَئِنَّ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ فَمَنْ ذَلِكَ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصْبَعِ اللَّهِ نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز الجارحة تستحيل على الله تعالى الإصبع لفظ مشترك يطلق على الجارحة ويطلق على

ضعيف العصا بايدي العروق ترى له عليها إذا ما أحل الناس أصعبا

يقول ترى له عليها أثرا حسنا من النعمة بحسن النظر عليها تقول العرب ما أحسن أصعب فلان على ما له أي أثره فيه تريد به نمو ما له لحسن تصرفه فيه أسرع التقلب ما قلبه الأصابع لصغر حجمها وكمال القدرة فيها فحركتها أسرع من حركة اليد وغيره ولما كان تقلب الله قلوب العباد أسرع شيء أفصح صلى الله عليه وسلم للعرب في دعائه بما تعقل ولأن التقلب لا يكون إلا باليد عندنا فلذلك جعل التقلب بالأصابع لأن الأصابع من اليد في اليد والسرعة في الأصابع أمكن فكان يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وتقلب الله تعالى القلوب هو ما يخلق فيها من الهم بالحسن والهم بالسوء فلما كان الإنسان يحس بترادف الخواطر المتعارضة عليه في قلبه الذي هو عبارة عن تقلب الحق القلب وهذا لا يقدر الإنسان يدفع علمه عن نفسه لذلك كان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي هذا الحديث إن إحدى أزواجه قالت له أوتخاف يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله يشير صلى الله عليه وسلم إلى سرعة التقلب من الايمان إلى الكفر وما تحتهما قال تعالى فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وهذا الإلهام هو التقلب والأصابع للسرعة والاثنية لها خاطر الحسن وخاطر القبيح فإذا فهم من الأصابع ما ذكرته وفهمت منه الجارحة وفهمت منه النعمة والأثر الحسن فبأي وجه تلحقه بالجارحة وهذه الوجوه المنزهة تطلبه فأما نسكت ونكل علم ذلك إلى الله تعالى وإلى من عرفه الحق ذلك من رسول مرسل أو ولي ملهم بشرط نفي الجارحة ولا بد وإما إن أدركنا فضول وغلب علينا إلا أن نرد بذلك على بدعي مجسم مشبه فليس بفضول بل يجب على العالم عند ذلك تبين ما في ذلك اللفظ من وجوه التنزيه حتى يدحض به حجة المجسم المخدول تاب الله علينا وعليه ورزقه الإسلام فإن تكلمنا على تلك الكلمة التي توهم التشبيه ولا بد فالعدول بشرحها إلى الوجه الذي يليق بالله سبحانه أولى هذا حظ العقل في الوضع (نفت روح في روع) الإصبعان سر الكمال الذاتي الذي إذا انكشف إلى الأبصار يوم القيامة يأخذ الإنسان أباه إذا كان كافرا ويرمي به في النار ولا يجد لذلك ألما ولا عليه شفقة بسر هذين الإصبعين المتحد معناهما المنى لفظهما خلقت الجنة والنار وظهر اسم المنور والمظلم والمنعم والمنتم فلا تتخيلهما اثنين من عشرة ولا بد من الإشارة إلى هذا السري في هذا الباب في كلتا يديه يمين وهذه معرفة الكشف فإن لأهل الجنة نعيمين نعيما بالجنة ونعيما بعذاب النار في النار وكذلك أهل النار لهم عذابان وكلا الفريقين يرون الله رؤية الأسماء كما كانوا في الدنيا سواء وفي القبضتين اللتين جاءتا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حق الحق سر ما أشرنا إليه ومعناه والله يُقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ الْقَبْضَةُ وَالْيَمِينُ قَالَ تَعَالَى وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ . . . وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ نَظَرَ الْعَقْلُ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْوَضْعُ أَنَّهُ مَنَعَ أَوْلَا سَبْحَانَهُ أَنْ يَقْدِرَ قَدْرَهُ لِمَا يَسْبِقُ إِلَى الْعُقُولِ الضَّعِيفَةِ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ عِنْدَ وُرُودِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي تَعْطِي مِنْ وَجْهِ مَا مِنْ وَجْهِهَا ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذَا التَّنْزِيهِ الَّذِي لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ عَرَفْنَا مِنْ وَضْعِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ يُقَالُ فُلَانٌ فِي قَبْضَتِي يَرِيدُ أَنَّهُ تَحْتَ حَكْمِي

وإن كان ليس في يدي منه شيء البتة ولكن أمري فيه ماض وحكمي عليه قاض مثل حكمي على ما ملكته يدي حسا وقبضت عليه و كذلك أقول مالي في قبضتي أي في ملكي وإني متمكن في التصرف فيه أي لا يمنع نفسه مني فإذا صرفته ففني وقت تصرفي فيه كان أمكن لي أن أقول هو في قبضتي لتصرفي فيه وإن كان عبيدي هم المتصرفون فيه عن إذني فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو ملك ما قبضت عليه في الحال وإن لم يكن لها أعني للقباض فيما قبض عليه شيء ولكن هو في ملك القبضة قطعاً فهكذا العالم في قبضة الحق تعالى والأرض في الدار الآخرة تعيين بعض الأملاك كما تقول خادمي في قبضتي وإن كان خادمي من جملة من في قبضتي فإنما ذكرته اختصاصاً لوقوعنا زلة ما واليمين عندنا محل التصريف المطلق القوي فإن اليسار لا يقوي قوة اليمين فكأن باليمين عن التمكّن من الطي فهي إشارة إلى تمكّن القدرة من الفعل فوصل إلى أفهام العرب بألفاظ تعرفها وتسرع بالتلقي لها قال الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وليس للمجد راية محسوسة فلا تلقاها جارحة يمين فكأنه يقول لو ظهر للمجد راية محسوسة لما كان محلها أو حاملها إلا يمين عرابة الأوسي أي صفة المجد به قائمة وفيه كاملة فلم تنزل العرب تطلق ألفاظ الجوارح على ما لا يقبل الجارحة لاشتراك بينهما من طريق المعنى (نفث روح في روع) إذا تجلّى الحق لسر عبد ملكه جميع الأسرار وأحقه بالأحرار وكان له التصرف الذاتي من جهة اليمين فإن شرف الشمال بغيره و شرف اليمين بذاته ثم أنزل شرف اليمين بالخطاب و شرف الشمال بالتجلي شرف الإنسان بمعرفته بحقيقته وإطلاعه عليها وهو اليسار و كلتا يديه من حيث هو شمال كما إن كلتي يدي الحق يمين ارجع إلى معنى الاتحاد كلتا يدي العبد يمين ارجع إلى التوحيد إحدى يديه يمين و الأخرى شمال فتارة أكون في الجمع وجمع الجمع وتارة أكون في الفرق وفي فرق الفرق على حكم التجلي والوارد

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمين وإن لقيت معديا فعدنا ناني

ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب التعجب إنما يقع من موجود لا يعلم ذلك المتعجب منه ثم يعلمه فيتعجب منه ويلحق به الضحك وهذا محال على الله تعالى فإنه ما خرج شيء عن علمه فمتى وقع في الوجود شيء يمكن التعجب منه عندنا حمل ذلك التعجب و الضحك على من لا يجوز عليه التعجب ولا الضحك لأن الأمر الواقع متعجب منه عندنا كالشباب ليست له صبوة فهذا أمر يتعجب منه فحل عند الله تعالى محل ما يتعجب منه عندنا وقد يخرج الضحك والفرح إلى القبول والرضي فإن من فعلت له فعلاً أظهر لك من أجله الضحك و الفرح فقد قبل ذلك الفعل ورضي به فضحكه وفرحه تعالى قبوله ورضاه عنا كما إن غضبه تعالى منزّه عن غليان دم القلب طلباً للانتصار لأنه سبحانه يتقدّس عن الجسمية والعرض فذلك قد يرجع إلى أن يفعل فعل من غضب ممن يجوز عليه الغضب وهو انتقامه سبحانه من الجبارين والمخالفين لأمره والمتعدين حدوده قال تعالى وغضب عليه أي جازاه جزءاً المغضوب عليه فالجازي يكون غاضباً فظهور الفعل أطلق الاسم (التبشش) من باب الفرح ورد في الخبر أن الله يتبشش للرجل يوطئ المساجد للصلاة والذكر الحديث لما حجب العالم بالأكوان

واشتغلوا بغير الله عن الله فصاروا بهذا الفعل في حال غيبة عن الله فلما وردوا عليه سبحانه بنوع من أنواع الحضور أسدل إليهم سبحانه في قلوبهم من لذة نعيم محضرته و مناجاته و مشاهدته ما تحبب بها إلى قلوبهم فإن النبي ع يقول حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكفى بالتبشيش عن هذا الفعل منه لأنه إظهار سرور بقدومكم عليه فإنه من يسر بقدومك عليه فعلامه سروره إظهار البر بمجانبتك والتجيب وإرسال ما عنده من نعم عليك فلما ظهرت هذه الأشياء من الله إلى العبيد الناقلين به سماه تبشيشا (النسيان) قال الله تعالى فَتَسِيهُمُ الْبَارِي تَعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ النَّسْيَانُ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا عَذَّبَهُمْ عَذَابَ الْأَبَدِ وَلَمْ تَنْلَهُمْ رَحْمَتَهُ تَعَالَى صَارُوا كَأَنَّهُمْ مَنْسِيُونَ عِنْدَهُ وَهُوَ كَأَنَّهُ نَاسٌ لَمْ يَأْتِ هَذَا فَعَلَّ النَّاسِي وَمَنْ لَا يَتَذَكَّرُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا نَسُوا اللَّهَ فَبَازَاهُمْ بِفَعْلِهِمْ فَفَعَلَهُمْ أَعَادَهُ عَلَيْهِمْ لِلْمُنَاسَبَةِ وَقَدْ يَكُونُ نَسِيهِمْ أَخْرَهُمْ نَسُوا اللَّهَ أَيَّ أَخْرُوا أَمْرَ اللَّهِ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ أَخْرَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ حِينَ أُخْرِجَ مِنْهَا مَنْ أَدْخَلَهُ فِيهَا مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَقْرَبُ مِنْ هَذَا الْبَابِ انْتِصَافَ الْحَقِّ بِالْمَكْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالسَّخِرِيَّةِ قَالَ تَعَالَى سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَقَالَ وَمَكَّرَ اللَّهُ وَقَالَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمُ (النفس) قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ وَقَوْلُهُ عَإِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِينِي مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ التَّنْفِيسِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِمَّا يَنْفَسُ بِهَا الرَّحْمَنِ عَنْ عِبَادِهِ وَقَالَ عَ نَصَرْتُ بِالصَّبَا وَكَذَلِكَ يَقُولُ إِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ أَيِّ تَنْفِيسِ الرَّحْمَنِ عَنِي لِلْكَرْبِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ وَرَدَّهُمْ أَمْرَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ فَكَانَ الْأَنْصَارُ نَفْسَ اللَّهِ بِهِمْ عَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ أَكْرَبَهُ مِنَ الْمَكْذِبِينَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْزَعٌ عَنِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ الْهَوَاءُ الْخَارِجُ مِنَ الْمَتَنَفَسِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ الظَّالِمُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَوْا كَبِيرًا (الصورة) تَطْلُقُ عَلَى الْأَمْرِ وَعَلَى الْمَعْلُومِ عِنْدَ النَّاسِ وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَرَدَّ فِي الْحَدِيثِ إِضَافَةَ الصُّورَةِ إِلَى اللَّهِ فِي الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ مِثْلَ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ قَالَ عَ رَأَيْتَ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابِ الْحَدِيثِ هَذَا حَالٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْلُومٌ مَعَارَفٌ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ أَعْلَمُ أَنَّ الْمَثَلِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي الْقُرْآنِ لِعُيُوبَةٍ لَا عَقْلِيَّةَ لِأَنَّ الْمَثَلِيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ تَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى زَيْدُ الْأَسَدِ شِدَّةُ زَيْدِ زَهْرٍ شَعْرًا إِذَا وَصَفْتَ مَوْجُودًا بِصِفَةٍ أَوْ صِفَتَيْنِ ثُمَّ وَصَفْتَ غَيْرَهُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ مِنْ جِهَةِ حَقَاقِ أَيْخَرٍ وَلَكِنَّهُمَا مُشْتَرِكَانِ فِي رُوحِ تِلْكَ الصِّفَةِ وَمَعْنَاهَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صُورَةِ الْآخَرِ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ خَاصَّةً فَافْهَمْ وَتَنْبَهْ وَانظُرْ كَوْنَكَ دَلِيلًا عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَهَلْ وَصَفْتَهُ بِصِفَةٍ كَمَا لِلْإِمْنِكِ فَتَقْظَنُ فَإِذَا دَخَلْتَ مِنْ بَابِ التَّعْرِيفِ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ سَلَبْتَ النِّقَاطِصَ الَّتِي تَجُوزُ عَلَيْكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَقْمِ قَطُّ بِهِ وَلَكِنْ الْجَسْمُ وَالْمُشَبَّهَ لَمَّا أَضَافَهَا إِلَيْهِ سَلَبْتَ أَنْتَ تِلْكَ الْإِضَافَةَ وَلَوْ لَمْ يَتَوْهَمْ هَذَا لَمَّا فَعَلْتَ شَيْئًا مِنْ هَذَا السَّلْبِ فَاعْلَمْ وَإِنْ كَانَ لِلصُّورَةِ هُنَا مَدَاخِلُ كَثِيرَةٌ أَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهَا رَغْبَةً فِيمَا قَصَدْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ حَذْفِ التَّطْوِيلِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الذراع) وَرَدَّ فِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ضَرْسَ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ هَذِهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٌ مَقْدَارُ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَضَافَةً إِلَيْهِ كَمَا تَقُولُ هَذَا الشَّيْءُ كَذَا وَكَذَا ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ تَرِيدُ الذِّرَاعَ الْأَكْبَرَ الَّذِي جَعَلَهُ الْمَلِكُ وَإِنْ كَانَ مِثْلًا ذِرَاعِ الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ الْجَارِحَةُ مِثْلُ أذْرَعِ النَّاسِ وَالذِّرَاعُ الَّذِي جَعَلَهُ مَقْدَارًا يَزِيدُ عَلَى ذِرَاعِ الْجَارِحَةِ بِنِصْفِهِ أَوْ ثَلَاثِهِ فَلَيْسَ هُوَ إِذْنُ ذِرَاعِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَإِنَّمَا

هو مقدار نصبه ثم أضيف إلى جاعله فاعلم والجبار في اللسان الملك العظيم وهكذا (القدم) يضع الجبار فيها قدمه القدم الجارحة ويقال لفلان في هذا الأمر قدم أي ثبوت و القدم جماعة من الخلق فتكون القدم إضافة وقد يكون الجبار ملكا و تكون هذه القدم لهذا الملك إذ الجارحة تستحيل على الله تعالى وجل (و الاستواء) أيضا ينطلق على الاستقرار والقصود والاستيلاء والاستقرار من صفات الأجسام فلا يجوز على الله تعالى إلا إذا كان على وجه الثبوت والقصد هو الإرادة وهي من صفات الكمال قال ثم استوى إلى السماء أي قصد و استوى على العرش أي استولى

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq

و الأخبار و الآيات كثيرة منها صحيح و سقيم و ما منها خبر إلا وله وجه من وجوه التنزيه و إن أردت أن يقرب ذلك عليك فاعمد إلى اللفظة التي توهم التشبيه وخذ فائدتها وروحها أو ما يكون عنها فاجعله في حق الحق تفز بدرجة التنزيه حين حاز غيرك درك التشبيه فهكذا فافعل و طهر ثوبك و يكفي هذا القدر من هذه الأخبار فقد طال الباب نقث الروح الأقدس في الروح الأقدس بما تقدم من الألفاظ لما تعجب المتعجب ممن خرج على صورته و خالفه في سريره ففرح بوجوده و ضحك من شهوده و غضب لتوليده و تبشيش لتدليه و نسي ظاهره و تنفس فأطلق مواخره و ثبت على ملكه و تحكم بالتقدير على ملكه فكان ما أراد و إلى الله المعاد فهذه أرواح مجردة تنظرها أشباح مسندة فإذا بلغ الميقات و انقضت الأوقات و مارت السماء و كورت الشمس و بدلت الأرض و انكدرت النجوم و انتقلت الأمور و ظهرت الآخرة و حشر الإنسان و غيره في الحافرة حينئذ تحمد الأشباح و تنسم الأرواح و يتجلى الفتح و يتقد المصباح و تشعشع الراح و يظهر الود الصراح و يزول الإلحاح و يرفرف الجناح و يكون الابتداء بالضحاح من أول الليل إلى الإصباح فما أسناها من منزله و ما أشهاها إلى النفوس من حالة مكملة متعنا الله بها

«الباب الرابع في سبب بدء العالم و مراتب الأسماء الحسنی من العالم كله»

و غاية الصنع و إحكامه في سبب البدء و أحكامه
في نشئه و بين حكاه و الفرق ما بين رعاة العلى
قد قهر الكل بأحكامه دلائل دلت على صانع

قد وقف الصفي الولي أبقاه الله على سبب بدء العالم في كتابنا المسمى بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء و شمس المغرب و في كتابنا المسمى بإنشاء الدوائر الذي ألفنا بعضه بمنزله الكريم في وقت زيارتنا إياه سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و نحن نريد الحج فقيد له منه خديمه عبد الجبار أعلى الله قدره القدر الذي كت سطرته منه و رحلت به معي إلى مكة زادها الله تشريفا في السنة المذكورة لأتممه بها فاشغلنا هذا الكتاب عنه و عن غيره بسبب الأمر الإلهي الذي ورد علينا في تقييده مع رغبة بعض الإخوان و الفقراء في ذلك حرصا منهم على مزيد

العلم و رغبة في أن تعود عليهم بركات هذا البيت المبارك الشريف محل البركات والهدى والآيات البينات وأن تعرف أيضا في هذا الموضوع الصفي الكريم أبا محمد عبد العزيز رضي الله عنه ما تعطيه مكة من البركات وإنها خير وسيلة عبادية وأشرف منزلة جمادية تربية عسى تنهض به همة الشوق إليه و تنزل به رغبة عليه فقد قيل لمن أوتي جوامع الكلم وكان من ربه في مشاهدة العين أدنى من قاب قوسين ومع هذا التقريب الأكمل والحظ الأوفر الأجل أنزل عليه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا و من شرط العالم المشاهد صاحب المقامات الغيبية والمشاهد أن يعلم أن للامكنة في القلوب اللطيفة تأثيرا ولو وجد القلب في أي موضع كان الوجود الأعم فوجوده بمكة أسنى وأتم فكما تتفاضل المنازل الروحانية كذلك تتفاضل المنازل الجسمانية وإلا فهل الدر مثل الحجر إلا عند صاحب الحال وأما المكمل صاحب المقام فإنه يميز بينهما كما ميز بينهما الحق هل ساوى الحق بين دار بناؤها لبن التراب والتبن ودار بناؤها لبن العسجد واللجين فالحكيم الواصل من أعطى كل ذي حق حقه فذلك واحد عصره وصاحب وقته وكثير بين مدينة يكون أكثر عمارةها الشهوات وبين مدينة يكون أكثر عمارةها الآيات البينات أليس قد جمع معي صفي أبقاه الله أن وجود قلوبنا في بعض المواطن أكثر من بعض وقد كان رضي الله عنه يترك الخلوة في بيوت المنارة المحروسة الكائنة بشرق تونس بساحل البحر وينزل إلى الرابطة التي في وسط المقابر بقرب المنارة من جهة بابها وهي تعزى إلى الخضر فسألته عن ذلك فقال إن قلبي أجده هنالك أكثر منه في المنارة وقد وجدت فيها أنا أيضا ما قاله الشيخ وقد علم وليي أبقاه الله أن ذلك من أجل من يعمر ذلك الموضع إما في الحال من الملائكة المكرمين أو من الجن الصادقين وإما من همة من كان يعمره وفقد كبيت أبي يزيد الذي يسمى بيت الأبرار و كراوية الجنيد بالشونيزية وكمغارة ابن أدهم باليقين وما كان من أماكن الصالحين الذين فنوا عن هذه الدار وبقيت آثارهم في أماكنهم تتفعل لها القلوب اللطيفة ولهذا يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب لا في تضاعف الأجر فقد تجدد قلبك في مسجد أكثر مما تجده في غيره من المساجد وذلك ليس للتراب ولكن لمجالسة الأتراب أو همهمهم ومن لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق والمساجد فهو صاحب حال لا صاحب مقام ولا أشك كشافا وعلما أنه وإن عمرت الملائكة جميع الأرض مع تفاضلهم في المعارف والرتب فإن أعلامهم رتبة وأعظمهم علما ومعرفة عمرة المسجد الحرام وعلى قدر جلسائك يكون وجودك فإنه لهمم الجلوس في قلب الجليس لهم تأثيرا وهمهمهم على قدر مراتبهم وإن كان من جهة الهمم فقد طاف بهذا البيت مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي سوى الأولياء وما من نبي ولا ولي إلا وله همة متعلقة بهذا البيت وهذا البلد الحرام لأنه البيت الذي اصطفاه الله على سائر البيوت وله سر الأولية في المعابد كما قال تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّاهِمُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ فَلَوْ رَحِلَ الصَّفِيُّ أَبْقَاهُ اللَّهُ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ الشَّرِيفِ لَوْجِدَ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالزِّيَادَاتِ مَا لَمْ يَكُنْ رَأَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا خَطَرَ لَهُ بِالْبَالِ وَقَدْ عَلِمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّفْسَ تَحْشُرُ عَلَى صُورَةِ عِلْمِهَا وَالْجِسْمَ عَلَى صُورَةِ عَمَلِهَا وَصُورَةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِمَكَّةَ أُمَّمًا فِي سِوَاهَا وَلَوْ دَخَلَهَا صَاحِبُ قَلْبٍ سَاعَةً وَاحِدَةً لَكَانَ لَهُ ذَلِكَ فَكَيْفَ إِنْ جَاوَرَ بِهَا وَأَقَامَ وَأَتَى فِيهَا بِجَمِيعِ الْفَرَائِضِ وَالْقَوَاعِدِ فَلَاشَكَّ أَنَّ مَشْهُدَهُ بِهَا يَكُونُ أُمَّمًا وَأَجْلِي وَمُورَدَهُ

أصفى وأعذب وأحلى وإذ وصفيي أبقاه الله قد أخبرني أنه يحس بالزيادة والنقص على حسب الأماكن والأمزجة ويعلم أن ذلك راجع أيضا إلى حقيقة الساكن به وأهمته كما ذكرنا ولا شك عندنا إن معرفة هذا الفن أعني معرفة الأماكن والإحساس بالزيادة والنقص من تمام تمكن معرفة العارف وعلو مقامه وإشرافه على الأشياء وقوة ميزه فالله يكتب لوليي فيها أثرا حسنا وبهبه فيها خيرا طيبا إنه الملي بذلك والقادر عليه اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أن أكثر العلماء بالله من أهل الكشف والحقائق ليس عندهم علم بسبب بدء العالم إلا تعلق العلم القديم بإيجاده فكون ما علم أنه سيكونه وهنا ينتهي أكثر الناس وأما نحن ومن أطلعنا الله على ما أطلعنا عليه فقد وفقنا على أمور آخر غير هذا وذلك أنك إذا نظرت العالم مفصلا بحقائقه ونسبه وجدته محصور الحقائق والنسب معلوم المنازل والرتب متناهي الأجناس بين متمائل ومختلف فإذا وقفت على هذا الأمر علمت إن لهذا سرا لطيفا وأمرا عجيبيلا لا تدرك حقيقته بدقيق فكر ولا نظربل بعلم موهوب من علوم الكشف ونتائج المجاهدات المصاحبة للهمم فإن مجاهدة بغير همة غير منتجة شيئا ولا مؤثرة في العلم ولكن تؤثر في الحال من رقة وصفاء يجده صاحب المجاهدة فاعلم علمك الله سرائر الحكم وهبك من جوامع الكلم أن الأسماء الحسنى التي تبلغ فوق أسماء الإحصاء عددا وتنزل دون أسماء الإحصاء سعادة هي المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتيح الأولى التي لا يعلمها إلا هو وأن لكل حقيقة اسما ما يخصها من الأسماء وأعني بالحقيقة حقيقة تجمع جنسا من الحقائق رب تلك الحقيقة ذلك الاسم وتلك الحقيقة عابده وتحت تكليفه ليس غير ذلك وإن جمع لك شيء ما أشياء كثيرة فليس الأمر على ما توهمته فإنك إن نظرت إلى ذلك الشيء وجدت له من الوجوه ما يقابل به تلك الأسماء التي تدل عليها وهي الحقائق التي ذكرناها مثال ذلك ما ثبت لك في العلم الذي في ظاهر العقول وتحت حكمها في حق موجود ما فرد لا ينقسم مثل الجوهر الفرد الجزء الذي لا ينقسم فإن فيه حقائق متعددة تطلب أسماء إلهية على عددها فحقيقة إيجاده تطلب الاسم القادر ووجه إحكامه يطلب الاسم العالم ووجه اختصاصه يطلب الاسم المريد ووجه ظهوره يطلب الاسم البصير والرائي إلى غير ذلك فهذا وإن كان فردا فله هذه الوجوه وغيرها مما لم نذكرها ولكل وجه وجوه متعددة تطلب من الأسماء بحسبها وتلك الوجوه هي الحقائق عندنا الثواني والوقوف عليها عسير وتحصيلها من طريق الكشف أعسر واعلم أن الأسماء قد نتركها على كثرتها إذا لحظنا وجوه الطالبين لها من العالم وإذا لم نلحظ ذلك فلنرجع ونلحظ أمهات المطالب التي لا غنى لنا عنها فنعرف إن الأسماء التي الأمهات موقوفة عليها هي أيضا أمهات الأسماء فيسهل النظر ويكمل الغرض ويتيسر التعدي من هذه الأمهات إلى البنات كما يتيسر رد البنات إلى الأمهات فإذا نظرت الأشياء كلها المعلومة في العالم العلوي والسفلي تجد الأسماء السبعة المعبر عنها بالصفات عند أصحاب علم الكلام تتضمنها وقد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سميناه إنشاء الدوائر وليس غرضنا في هذا الكتاب في هذه الأمهات السبعة المعبر عنها بالصفات ولكن قصدنا الأمهات التي لا بد لإيجاد العالم منها كما إنا لا نحتاج في دلائل العقول من معرفة الحق سبحانه إلا كونه موجودا عالما مريدا قادرا حيا لا غير وما زاد على هذا فإنما يقتضيه التكليف فمجيء الرسول ع جعلنا نعرفه متكلمًا والتكليف جعلنا نعرفه سميعا بصيرا إلى غير ذلك من الأسماء فالذي

نحتاج إليه من معرفة الأسماء لوجود العالم وهي أرباب الأسماء وما عداها فسدنة لها كما إن بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها فأهيات الأسماء الحي العالم المرید القادر القائل الجواد المقسط وهذه الأسماء بنات الاسمين المدبر والمفصل فالحي يثبت فهمك بعد وجودك وقبله والعالم يثبت أحكامك في وجودك وقبل وجودك يثبت تقديرك والمرید يثبت اختصاصك والقادر يثبت عدمك والقائل يثبت قدمك والجواد يثبت إيجادك والمقسط يثبت مرتبتك والمرتبة آخر منازل الوجود فهذه حقائق لا بد من وجودها فلا بد من أسمائها التي هي أربابها فالحي رب الأرباب والمربوبين وهو الإمام ويليه في الرتبة العالم ويليه العالم المرید ويليه المرید القائل ويليه القائل القادر ويليه القادر الجواد وآخرهم المقسط فإنه رب المراتب وهي آخر منازل الوجود وما بقي من الأسماء فتحت طاعة هؤلاء الأسماء الأئمة الأرباب وكان سبب توجه هؤلاء الأسماء إلى الاسم الله في إيجاد العالم بقية الأسماء مع حقائقها أيضا على إن أئمة الأسماء من غير نظر إلى العالم إنما هي أربعة لا غير اسمه الحي والمنكلم والسميع والبصير فإنه إذا سمع كلامه ورأى ذاته فقد كمل وجوده في ذاته من غير نظر إلى العالم ونحن لانريد من الأسماء إلا ما يقوم بها وجود العالم فكثرت علينا الأسماء فعدلنا إلى أربابها فدخلنا عليهم في حضراتهم فما وجدنا غير هؤلاء الذين ذكرناهم وأبرزناهم على حسب ما شاهدناهم فكان سبب توجه أرباب الأسماء إلى الاسم الله في إيجاد أعياننا بقية الأسماء فأول من قام لطلب هذا العالم الاسم المدبر والمفصل عن سؤال الاسم الملك فعند ما توجه على الشيء عنه وجد المثال في نفس العالم من غير عدم متقدم ولكن تقدم مرتبة لا تقدم وجود كقدم طلوع الشمس على أول النهار وإن كان أول النهار مقارنا لطلوع الشمس ولكن قد تبين أن العلة في وجود أول النهار طلوع الشمس وقد قارنه في الوجود فهكذا هو هذا الأمر فلما دبر العالم وفصله هذان الاسمان من غير جهل متقدم به أو عدم علم وانتشأت صورة المثال في نفس العالم تعلق اسمه العالم إذ ذاك بذلك المثال كما تعلق بالصورة التي أخذ منها وإن كانت غير مرئية لأنها غير موجودة كما سنذكره في باب م وجد العالم فأول أسماء العالم هذان الاسمان والاسم المدبر هو الذي حقق وقت الإيجاد المقدر فتعلق به المرید على حد ما أبرزه المدبر ودبره وما عملا شيئاً من نشء هذا المثال إلا بمشاركة بقية الأسماء لكن من وراء حجاب هذين الاسمين ولهذا صحت لهما الإمامة والآخرون لا يشعرون بذلك حتى بدت صورة المثال فأروا ما فيه من الحقائق المناسبة لهم تجذبهم للتعشق بها فصار كل اسم يتعشق بحقيقته التي في المثال ولكن لا يقدر على التأثير فيها إذ لا تعطي الحضرة التي تجلى فيها هذا المثال فأداهم ذلك التعشق والحب إلى الطلب والسعي والرغبة في إيجاد صورة عين ذلك المثال ليظهر سلطانهم ويصح على الحقيقة وجودهم فلا شيء أعظم هما من عزيز لا يجد عزيزاً يقهره حتى يذل تحت قهره فيصح سلطان عزه أو غني لا يجد من يفتقر إلى غناه وهكذا جميع هذه الأسماء فلجأت إلى أربابها الأئمة السبعة التي ذكرناها ترغب إليها في إيجاد عين هذا المثال الذي شاهدوه في ذات العالم به وهو المعبر عنه بالعالم وربما يقول القائل يا أيها المحقق وكيف ترى الأسماء هذا المثال ولا يراه إلا الاسم البصير خاصة لا غيره وكل اسم على حقيقة ليس الاسم الآخر عليها قلنا له لتعلم وفقك الله أن كل اسم إلهي يتضمن جميع الأسماء كلها وأن كل اسم ينعت بجميع الأسماء في أفقه فكل اسم فهو حي قادر سميع بصير

متكلم في أفقه وفي علمه وإلا فكيف يصح أن يكون ربا لعباده هيئات غير إن ثم لطيفة لا يشعر بها وذلك أنك تعلم قطعا في حبوب البرو أمثاله إن كل برة فيها من الحقائق ما في أختها كما تعلم أيضا أن هذه الحبة ليست عين هذه الحبة الأخرى وإن كانتا تحويان على حقائق متماثلة فإنهما مثلان فابحث عن هذه الحقيقة التي تجعلك تفرق بين هاتين الحبتين وتقول إن هذه ليست عين هذه وهذا سار في جميع المتماثلات من حيث ما تماثلوا به كذلك الأسماء كل اسم جامع لما جمعت الأسماء من الحقائق ثم تعلم على القطع أن هذا الاسم ليس هو هذا الآخر بتلك اللطيفة التي بها فرقت بين حبوب البرو وكل تماثل فابحث عن هذا المعنى حتى تعرفه بالذكر لا بالفكر غير أنني أريد أن أوقفك على حقيقة ما ذكرها أحد من المتقدمين وربما ما أطلع عليها فرما خصصت بها ولا أدري هل تعطي لغيري بعدي أم لا من الحضرة التي أعطيها فإن استقرأها أو فهمها من كتابي فأنا المعلم له وأما المتقدمون فلم يجدوها وذلك أن كل اسم كما قررنا يجمع حقائق الأسماء ويحتوي عليها مع وجود اللطيفة التي وقع لك التمييز بها بين المثاليين وذلك أن الاسم المنعم والاسم المعذب اللذين هما الظاهر والباطن كل اسم من هذين الاسمين يتضمن ما تحويه سدته من أولهم إلى آخرهم غير إن أرباب الأسماء ومن سواهم من الأسماء على ثلاث مراتب منها ما يلحق بدرجات أرباب الأسماء ومنها ما ينفرد بدرجة فمنها ما ينفرد بدرجة المنعم وبدرجة المعذب فهذه أسماء العالم محصورة والله المستعان فلما لجأت الأسماء كلها إلى هؤلاء الأئمة ولجأت الأئمة إلى الاسم الله لجأ الاسم الله إلى الذات من حيث غناها عن الأسماء سائلا في إسعاف ما سأله الأسماء فيه فأنعم الحسان الجواد بذلك وقال قل للأئمة يتعلقون بإبراز العالم على حسب ما تعطيه حقائقهم فخرج إليهم الاسم الله وأخبرهم الخبر فانقلبوا مسرعين فرحين مبتهجين ولم يزالوا كذلك فنظروا إلى الحضرة التي أذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب فأوجدوا العالم كما سنذكره فيما يأتي من الأبواب بعد هذا إن شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب الخامس في معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم والفاحة من وجه ما لا من جميع الوجوه)

ما بين إبقاء و إفناء عين	بسملة الأسماء ذو منظرين
خافت على النمل من الحطمتين	إلا بمن قالت لمن حين ما
هل أثر يطلب من بعد عين	فقال من أضحكك قولها
عابنت من نملتنا القبضتين	يا نفس يا نفس استقيمي فقد
إن شئت أن تنعم بالجتين	و هكذا في الحمد فاستثنها
جملتها و أختها من لجين	إحداهما من عسجد مشرق
من جهة الفرقان للفرقتين	يا أم قرآن العلى هل ترى
خص بها سيدنا دون مين	أنت لنا السبع المثاني التي

و خص من عاداك بالفرقتين فأنت مفتاح الهدى للنهى

لما أردنا أن نفتتح معرفة الوجود و ابتداء العالم الذي هو عندنا المصحف الكبير الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال كما إن القرآن تلاوة قول
عندنا فالعالم حروف مخطوطة مرقومة في رق الوجود المنشور و لا تزال الكتابة فيه دائمة أبدا لا تنتهي و لما افتتح الله تعالى كتابه العزيز بفاحة
الكتاب و هذا كتاب أعني العالم الذي نتكلم عليه أردنا أن نفتتح بالكلام على أسرار الفاتحة و بسم الله فاتحة الفاتحة و هي آية أولى منها أو
ملازمة لها كالعلاوة على الخلاف المعلوم بين العلماء فلا بد من الكلام على البسملة و ربما يقع الكلام على بعض آية من سورة البقرة آيتين أو
ثلاث خاصة تبركا بكلام الحق سبحانه ثم نسوق الأبواب إن شاء الله تعالى فأقول إنه لما قدمنا إن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم و إنها
المسلطة عليه و المؤثرة لذلك كان بسم الله الرحمن الرحيم عندنا خبر ابتداء مضمرة و هو ابتداء العالم و ظهوره كأنه يقول ظهور العالم بسم الله
الرحمن الرحيم أي باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم و اختص الثلاثة الأسماء لأن الحقائق تعطي ذلك فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلها و
الرحمن صفة عامة فهو رحمن الدنيا و الآخرة بها رحم كل شيء من العالم في الدنيا و لما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة
فإنها تنفرد عن أختها و كانت في الدنيا متمزجة يولد كافرا و يموت مؤمنا أي ينشأ كافرا في عالم الشهادة و بالعكس و تارة و تارة و بعض العالم
تميز بإحدى القبضتين بأخبار صادق فجاء الاسم الرحيم مختصا بالدار الآخرة لكل من آمن و تم العالم بهذه الثلاثة الأسماء جملة في الاسم الله
و تفصيلا في الاسمين الرحمن الرحيم فتحقق ما ذكرناه فإني أريد أن أدخل إلى ما في طي البسملة و الفاتحة من بعض الأسرار كما شرطناه
فلنبين و نقول بسم الباء ظهر الوجود و بالنقطة تميز العابد من المعبود قيل للشبلي رضي الله عنه أنت الشبلي فقال أنا النقطة التي تحت الباء و
هو قولنا النقطة للتمييز و هو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية و كان الشيخ أبو مدين رحمه الله يقول ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه
مكتوبة فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع و الوجود أي بي قام كل شيء و ظهر و هي من عالم الشهادة هذه الباء بدل
من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء و احتجج إليها إذ لا ينطق بساكن فجلبت الهمزة المعبر عنها بالقدرة محركة عبارة عن
الوجود ليتوصل بها إلى النطق الذي هو الإيجاد من إبداع و خلق بالساكن الذي هو العدم و هو أوان وجود الحدث بعد أن لم يكن و هو السين
فدخل في الملك بالميم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى فصار ت الباء بدلا من همزة الوصل أعني القدرة الأزلية و صارت حركة الباء لحركة الهمزة
الذي هو الإيجاد و وقع الفرق بين الباء و الألف الواصلة فإن الألف تعطي الذات و الباء تعطي الصفة و لذلك كانت لعين الإيجاد أحق من
الألف بالنقطة التي تحتها و هي الموجودات فصار في الباء الأنواع الثلاثة شكل الباء و النقطة و الحركة العوالم الثلاثة فكما في العالم الوسط توهم
ما كذلك في نقطة الباء فالباء ملكوتية و النقطة جبروتية و الحركة شهادة ملكية و الألف الخذوفة التي هي بدل منها هي حقيقة القائم بالكل
تعالى و احتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء و على هذا الحد تأخذ كل مسألة في هذا الباب مستوفاة بطريق الإيجاز فبسم و الم واحد
ثم وجدنا الألف من بسم قد ظهرت في أقرأ باسم ربك و بسم الله مجراها بين الباء و السين و لم تظهر بين السين و الميم فلو لم تظهر في باسم

السفينة ما جرت السفينة ولو لم تظهر في أقرأ باسم رَبِّكَ ما علم المثل حقيقته ولا رأى صورته فتقط من سنة الغفلة واتبه فلما كثر استعمالها في أوائل السور حذفت لوجود المثل مقامه في الخطاب وهو الباء فصار المثل مرة للسين فصار السين مثالا وعلى هذا الترتيب نظام التركيب وإنما لم تظهر بين السين والميم وهو محل التغيير وصفات الأفعال أن لو ظهرت لزال السين والميم إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم إذ كان سبب بقاء وجودهم وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا و هو الرسول فهذه الباء والسين والميم العالم كله ثم عمل الباء في الميم الخفض من طريق الشبه بالحدوث إذ الميم مقام الملك وهو العبودية و خفضتها الباء عرفتها بنفسها وأوقفها على حقيقتها فمهما وجدت الباء وجدت الميم في مقام الإسلام فإن زالت الباء يوما ما لسبب طارئ وهو ترقى الميم إلى مقام الايمان فتح في عالم الجبروت بسبح وأشباهه فأمر بتنزيهه ليجلى المثل فقيل له سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الذي هو مغذيك بالمواد الإلهية فهو ربك بفتح الميم وجاءت الألف ظاهرة وزالت الباء لأن الأمر توجه عليها بالتسبيح ولا طاقة لها على ذلك والباء محدثة مثلها والحدث من باب الحقائق لا فعل له ولا بد لها من امتثال الأمر فلا بد من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم فلما ظهر فعلت القدرة في الميم التسبيح فسبح كما أمر وقيل له الأعلى لأنه مع الباء في الأسفل وفي هذا المقام في الوسط ولا يسبح المسبح مثله ولا من هو دونه فلا بد أن يكون المسبح أعلى ولو كنا في تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى لأظهرنا أسرارها فلا يزال في هذا المقام حتى ينزهه في نفسه فإن من ينزهه منزه فإنه منزه عن تنزيهه فلا بد من هذا التنزيه أن يعود على المنزه ويكون هو الأعلى فإن الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه الأعلى فإنه من أسماء الإضافة وضرب من وجوه المناسبة فليس بأعلى ولا أسفل ولا أوسط تنزهه عن ذلك وتعالى علوا كبيرا بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل إليه نسبة واحدة فإذا تنزه خرج عن حد الأمر وخرق حجاب السمع وحصل المقام الأعلى فارتفع الميم بمشاهدة القديم فحصل له الثناء التام تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام فكان الاسم عين المسمى كذلك العبد عين المولى من تواضع لله رفعه الله وفي الصحيح من الأخبار أن الحق يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره لو لم يقبل الخفض من الباء في باسم ما حصل له الرفع في النهاية في تبارك اسم ثم اعلم أن كل حرف من بسم مثلث على طبقات العوالم فاسم الباء باء وألف وهمزة واسم السين سين وياء ونون اسم الميم ميم وياء وميم والياء مثل الباء وهي حقيقة العبد في باب النداء فما أشرف هذا الموجود كيف انحصر في عابد ومعبود فهذا شرف مطلق لا يقابله ضد لأن ما سوى وجود الحق تعالى ووجود العبد عدم محض لا عين له ثم إنه سكن السين من بسم تحت ذل الافتقار والفاقة كسكوننا تحت طاعة الرسول لما قال من يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ فَسَكَتَ السِّينُ مِنْ بَسْمٍ لِتَلَقَّى مِنَ الْبَاءِ الْحَقَّ الْيَقِينَ فَلَوْ تَحَرَّكَ قَبْلَ أَنْ تَسْكُنَ لَأَسْتَبَدَّتْ بِنَفْسِهَا وَخِيفَ عَلَيْهَا مِنَ الدَّعْوَى وَهِيَ سِينٌ مَقْدُوسَةٌ فَسَكَتَتْ فَلَمَّا تَلَقَّتْ مِنَ الْبَاءِ الْحَقِيقَةَ الْمَطْلُوبَةَ أَعْطَيْتِ الْحَرَكَةَ فَلَمْ تَتَحَرَّكَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ إِلَّا بَعْدَ ذَهَابِ الْبَاءِ إِذْ كَانَ كَلَامَ التَّلْمِيذِ بِحُضُورِ الشَّيْخِ فِي أَمْرٍ مَا سَوَّءَ أَدَبُ الْإِنِّ أَنْ يَأْمُرَهُ فَا مَثَلُ الْأَمْرِ هُوَ الْأَدَبُ فَقَالَ عِنْدَ مَفَارِقَةِ الْبَاءِ بِخَاطِبِ أَهْلِ الدَّعْوَى تَأْتِيهَا بِمَا حَصَلَ لَهُ فِي الْمَقَامِ الْأَعْلَى سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْبُرُونَ ثُمَّ تَحَرَّكَ لَمَّا أَطَاعَهُ بِالرَّحْمَةِ وَ

الذين فقال سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ يريد حضرة الباء فإن الجنة حضرة الرسول ع وكثير الرؤية حضرة الحق فاصدق وسلم تكشف وتلحق فهذه الحضرة هي التي تنقله إلى الألف المرادة فكما أنه ينقلك الرسول إلى الله كذلك تنقلك حضرته التي هي الجنة إلى الكتيب الذي هو حضرة الحق ثم اعلم أن التنوين في بسم لتحقيق العبادة وإشارات التبعض فلما ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين بإضافة التشريف والتمكين فقال سَمِ اللهُ فحذف التنوين العبدى لإضافته إلى المنزل الإلهي ولما كان تنوين تخلق لهذا صح له هذا التحقق وإلا فالسكون أولى به فاعلم انتهى الجزء التاسع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«وصل» قوله الله من بسم الله ينبغي لك أيها المسترشد أن تعرف أولاً ما تحصل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف وحينئذ يقع الكلام عليها إن شاء الله وحروفها أ ل ل ه و فأول ما أقول كلاماً مجملاً مرموزاً ثم نأخذ في تبينه ليسهل قبوله على عالم التركيب وذلك أن العبد تعلق بالألف تعلق من اضطروا الالتجاء فأظهرته اللام الأولى ظهوراً ورثه الفوز من العدم والنجاة فلما صح ظهوره وانتشر في الوجود نوره و صح تعلقه بالمسمى وبطل تخلقه بالأسماء أفنته اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها فناء لم يبق منه باقية وذلك عسى ينكشف له المعنى ثم جاءت الواو بعد الهاء لتمكين المراد وبقيت الهاء لوجوده آخرها عند محو العباد من أجل العناد فذلك أو أن الأجل المسمى وهذا هو المقام الذي تضمحل فيه أحوال السائرين وتعدم فيه مقامات السالكين حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم ينزل لا غير يثبت لظهوره ولا ظلام يبقى لنوره فإن لم تكن تره اعرف حقيقة إن لم تكن تكن أنت إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات وهي العبودية يقول بعض السادة وقد سمع عاطساً يقول الْحَمْدُ لِلَّهِ فقال له ذلك السيد أتمها كما قال الله رَبِّ الْعَالَمِينَ فقال العاطس يا سيدنا ومن العالم حتى يذكر مع الله فقال له الآن قل يا أخي فإن الحدث إذا قرن بالتقديم لم يبق له أثر وهذا هو مقام الوصلة وحال وله أهل الفناء عن أنفسهم وأما لو فنى عن فئاته لما قال الحمد لله لأن في قوله الحمد أثبت العبد الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم وبالثوب عند آخرين ولو قال رب العالمين لكان أرفع من المقام الذي كان فيه فذلك مقام الوارثين ولا مقام أعلى منه لأنه شهود لا يتحرك معه لسان ولا يضطرب معه جنان أهل هذا المقام في أحوالهم فاغرة أفواههم استولت عليهم أنوار الذات وبدت عليهم رسوم الصفات هم عرائس الله المخبأون عنده المحجوبون لديه الذين لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون توجهم بتاج البهاء وإكليل السناء وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الأنس ومناجاة الديمومية بلسان القيومية أورثهم ذلك قوله على صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ فلم تزل القوة الإلهية تدمهم بالمشاهدة فيبرزون بالصفات في موضع القدمين فلا وله إلا من حيث الاقتداء ولا ذكر إلا إقامة سنة أو فرض لا يجيدون عن سواء السبيل فهم بالحق وإن خاطبوا الخلق و عاشروهم فليسوا معهم وإن رأوهم لم يروهم إذ لا يرون منهم إلا كونهم من جملة أفعال الله فهم يشاهدون الصنعة والصانع مقاما عمريا كما

يقعد أحدكم مع نجار يصنع تابوتا فيشاهد الصنعة والصانع ولا تحجبه الصنعة عن الصانع إلا إن شغل قلبه حسن الصنعة فإن الدنيا كما قال
ع حلوة خضرة وهي من خضراء الدمن جارية حسناء في منبت سوء من أحسن إليها وأحبها أساءت إليه وحرمت عليه أخراه ولقد
أحسن القائل

إذا امتحن الدنيا لليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فهذه الطائفة الأمناء الصديقون إذا أيدهم الله بالقوة الإلهية وأمدهم فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال وهذا أعلى مقام يرقى فيه و
أشرف غاية ينتهي إليها هذه الغاية القصوى إذ لا غاية إلا من حيث التوحيد لا من حيث الموارد والواردات وهو المستوي إذ لا استواء إلا
الرفيق الأعلى فهنيئاً لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة وهنيئاً لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة مر بنا جواد
اللسان في حلبة الكلام فلنرجع إلى ما كنا بسبيله والسلام فأقول همزة هذا الاسم المحذوفة بالإضافة لتحقيق اتصال الوحدانية وتحقيق
انفصال الغيرة فالأنف واللام المصقة كما تقدم لتحقيق المتصل ومحق المنفصل والأنف الموجودة في اللام الثانية لحوآثار الغير المتحصل والواو
التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر ومعناها في الوجود بهاء الهوية قد انتشر أبداها في عالم الملك بذاتها فقال هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فبدأ
بالهوية وختم وملكها الأمر في الوجود والعدم وجعلها دالة على الحدوث والقدم وهو آخر ذكر الذاكرين وأعلاه فرجع العجز على الصدر
فلاحت ليلة القدر ووقف بوجودها أهل العناية والتأييد على حقائق التوحيد فالوجود في نقطة دائرة هذا الاسم ساكن وقد اشتمل عليه
بحقيقته اشتمال الأماك على المتمكن الساكن وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى

والله قد ضرب الأقل لنوره مثلامن المشكاة والنبراس

فقال تعالى والله (الْأَيْتَهُ) بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وصير الكل اسما ومسمى وأرسله مكشوفاً ومعنى (حل المقفل و
تفصيل الجمل) يقول العبد الله فيثبت أولاً وآخراً وينفي باللامين باطنا وظاهرا لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية ما يكون من
نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الثلاثة اللام ولا خمسة إلا هو سادسهم فالألف سادس في حق الهاء رابع في حق اللام أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ
العرش ظل الله العرش اللام الثانية وما حواه اللام الأولى بطريق الملك واللامان هما الظاهر والباطن من باب الأسماء ظهرتا بين ألف الأول و
ألف الآخر وهو مقام الاتصال لأن النهاية تنعطف على البداية وتصل بها اتصال اتحاد ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة نخرج الانفصال و
الجزء المتصل بين اللام والهاء هو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيد وذلك مركز الألف العلمية وهو مقام الاضمحلال ثم جعل
تعالى في الخط المتصل جزءاً بين اللامين للاتصال بين اللام الأولى التي هي عالم الملك وبين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت وهو مركز العالم
الأوسط عالم الجبروت مقام النفس ولا بد من خطوط فارغة بين كل حرفين فتلك مقامات فناء رسوم السالكين من حضرة إلى حضرة
(تتميم) الألف الأولى التي هي ألف الهمزة منقطعة واللام الثانية ألفها متصل بها قطعت الألف في أوائل الخطوط لقوله ع كان الله ولا شيء معه

فلماذا قطعت و تنزه من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها و الحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية التي هي
 الأمهات وكذلك إذا كانت آخر الحروف تقطع الاتصال من البعدية الرقمية فكان انقطاع الألف تنبيها لما ذكرناه وكذلك إخوته فالألف للحق
 وأشبه الألف للخلق وذلك ذ ر ز و في جميع الحقائق جسم متغذ حساس ناطق و ما عداه ممن له لغة و انحصرت حقائق العالم الكلية فلما
 أراد وجود اللام الثانية وهي أول موجود في المعنى و إن تأخرت في الخط فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهدا و كذلك الخط
 شاهدا و هي عالم الملكوت أوجدها بقدرته و هي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرى من الإضافة و هي لا تفارق الألف فلما
 أوجدت هذه الألف اللام الثانية جعلها رئيسة فطلبت مرء و سا تكون عليه بالطبع فأوجد لها عالم الشهادة الذي هو اللام الأولى فلما نظرت
 إليه أشرق و أثار و أشرقت الأرض بنور ربها و وُضِعَ الكِتابُ و هو الجزء الذي بين اللامين أمر سبحانه اللام الثانية أن تمد الأولى بما أمدها به
 تعالى من جود ذاته و أن تكون دليلا عليه فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها يكون لها كالوزير فتلقى إليه ما تريده فيلقيه على عالم اللام
 الأولى فأوجد لها الجزء المتصل باللامين المعبر عنه بالكتاب الأوسط و هو العالم الجبروتي و ليست له ذات قائمة مثل اللامين فإنه بمنزلة عالم
 الخيال عندنا فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء و ارتقم فيه ما أريد منها و وجهت به إلى اللام الأولى فامتثلت الطاعة حتى قالت بلى فلما
 رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية بوساطة الجزء الذي هو الشرع صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء راغبة له في
 أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده فلما صرفت الهمزة إلى ذلك الجزء و اشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الألف التي تقدمتها أرجعوا
 وراءكم فالتمسوا نورا و لو لم تصرف الهمزة إلى ذلك الجزء لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة ولكن لا يمكن لسر عظيم فإنها ألفت الذات
 و الثانية ألفت العلم (إشارة) ألا ترى أن اللام الثانية لما كانت مرادة محببة منزهة عن الوسائط كيف اتصلت بألف الوجدانية اتصالا شافيا
 حتى صار وجودها نطقا يدل على الألف دلالة صحيحة و إن كانت الذات خفيت فإن لفظك باللام يحقق الاتصال و يدل على ذلك عليها من عرف
 نفسه عرف ربه من عرف اللام الثانية عرف الألف فجعل نفسك دليلا عليك ثم جعل كونك دليلا عليك دليلا عليه في حق من بعد و قدم
 معرفة العبد بنفسه على معرفته بربه ثم بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه لما كان المراد منه أن يعرف ربه ألا ترى تعاقب اللام الألف و كيف
 يوجد اللام في النطق قبل الألف و في هذا تنبيه لمن أدرك فهذه اللام الملكوتية تتلقى من ألف الوجدانية بغير واسطة فتورده على الجزء
 الجبروتي ليؤديه إلى لام الشهادة و الملك هكذا الأمر ما دام التركيب و الحجاب فلما حصلت الأولية و الآخريه و الظاهريه و الباطنية أراد
 تعالى كما قدم الألف منزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء فلا يصح بقاء للعبد أولا و آخرها فأوحد
 الهاء مفردة و باو هويتها فإن توهم متوهم أن الهاء ملصقة إلى اللام فليست كذلك وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام و الألف لا يتصل بها في
 البعدية شيء من الحروف فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء فذلك الاتصال باللام في الخط ليس باتصال فالهاء واحدة و الألف واحدة
 فاضرب الواحد في مثله يكن واحدا فصح انفصال الخلق عن الحق فبقي الحق وإذا صح تخلق اللام الملكية لما تورده عليها لام الملكوت فلا

تزال تضمحل عن صفاتها وتقي عن رسومها إلى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها فإذا فنيت عن ذاتها فنى الجزء لفنائها وتحدث اللامان لفظا ينطق بها اللسان مشددة للادغام الذي حدث فصارت موجودة بين ألفين اشتملا عليها وأحاطا بها فأعطينا الحكمة الموهوبة لما سمعنا لفظ الناطق بلا بين ألفين علمنا علم الضرورة أن الحدث فنى بظهور القديم فبقي ألفان أولى وأخرى وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النفي فصرنا الألف في الألف ضرب الواحد في الواحد فخرجت لك الهاء فلما ظهرت زال حكم الأول والآخر الذي جعلته الواسطة كما زال حكم الظاهر والباطن فقبل عند ذلك كان الله ولا شيء معه ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع ولا بد فإن افتتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه أو خفضه فهي عائدة على العامل الذي قبل في اللفظ (تكملة) ثم أوجد سبحانه الحركات والحروف والمخارج تنبيها منه سبحانه وتعالى إن الذوات تتميز بالصفات والمقامات فجعل الحركات نظير الصفات وجعل الحروف نظير الموصوف وجعل المخارج نظير المقامات والمخارج فأعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه من وصل وقطع ء أ ل ه وهمزة وألفا ولا ما و هاء و واوا فالهمزة أولا والهاء آخر أو مخرجهما واحد مما يلي القلب ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام ومخرجه اللسان ترجمان القلب فوقعت النسبة بين اللامين والهمزة والهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام وبين اللسان المترجم عنه قال الأخطل

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلما كانت اللام من اللسان جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها فأفناها عنها وهي الحنك الأسفل فلما نظرت إليه لا إلى ذاتها علت وارتفعت إلى الحنك الأعلى واشتد اللسان بها في الحنك اشتداد التمكّن علوها وارتفاعها بمشاهدته وخرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر مخبرة دالة عليه وذلك مقام باطن النبوة وهي الشعرة التي فينا من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يكون الورث فخرج من هذا الوصل أن الهمزة والألف والهاء من عالم الملكوت واللام من عالم الجبروت والواو من عالم الملك (وصل) قوله الرَّحْمَنُ من البسملة الكلام على هذا الاسم في هذا الباب من وجهين من وجه الذات ومن وجه الصفة فمن أعربه بدلا جعله ذاتا ومن أعربه نعتا جعله صفة والصفات ست ومن شرط هذه الصفات الحياة فظهرت السبعة وجميع هذه الصفات للذات وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من الرحمن ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته من حيث إعادة الضمير على الله ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله على صورة الرحمن وهذه الرواية وإن لم تصح من طريق أهل النقل فهي صحيحة من طريق الكشف فأقول إن الألف واللام والراء للعلم والإرادة والقدرة والحاء والميم والنون مدلول الكلام والسمع والبصر وصفة الشرط التي هي الحياة مستصحة لجميع هذه الصفات ثم الألف التي بين الميم والنون مدلول الموصوف وإنما حذفنا خطأ دلالة الصفات عليها دلالة ضرورية من حيث قيام الصفة بالموصوف فتجلت للعالم الصفات ولذلك لم يعرفوا من الإله غيرها ولا يعرفونها ثم الذي يدل على وجود الألف ولا بد ما ذكرناه وزيادة وهي إشباع فتحة الميم وذلك إشارة إلهية إلى بسط الرحمة على العالم فلا يكون أبدا ما قبل الألف إلا مفتوحا فتدل الفتحة

على الألف في مثل هذا الموطن وهو محل وجود الروح الذي له مقام البسط لمحل التجلي ولهذا ذكر أهل عالم التركيب في وضع الخطوط في حروف العلة الياء المكسور ما قبلها إذ قد توجد الياء الصحيحة ولا تكسر قبلها وكذلك الواو المضموم ما قبلها ولما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها إذ لا توجد إلا و الفتح في الحرف الذي قبلها بخلاف الواو والياء فالاعتدال للالف لازم أبدا فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منزها عن جميع النقائص إلا الله تعالى نسي الروح القدسي الأعلى فقال ما في الوجود إلا الله فلما سئل في التفصيل لم يوجد لديه تحصيل وإنما خصصوا الواو بالمضموم ما قبلها والياء بالمكسور ما قبلها لما ذكرناه فصحت المفارقة بين الألف وبين الواو والياء فالألف للذات والواو العلية للصفات والياء العلية للأفعال الألف للروح والعقل صفته وهو الفتح والواو النفس والقبض صفتها وهو الضمة والياء الجسم ووجود الفعل صفته وهو الخفض فإن انفتح ما قبل الواو والياء فذلك راجع إلى حال المخاطب ولما كانتا غيرا ولا بد اختلفت عليهما الصفات ولما كانت الألف لا تقبل الحركات اتحدت بمدلولها فلم يختلف عليها شيء البتة وسميت حروف العلة لما نذكره فالف الذات علة لوجود الصفة وواو الصفة علة لوجود الفعل وياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه في عالم الشهادة من حركة وسكون فهذا سمي علائق أوجد النون من هذا الاسم نصف دائرة في الشكل والنصف الآخر محصور معقول في النقطة التي تدل على النون الغيبية الذي هو نصف الدائرة ويحسب الناس النقطة أنها دليل على النون المحسوسة ثم أوجد مقدم الحاء مما يلي الألف الحذوفة في الرقم إشارة إلى مشاهدتها و لذلك سكنت ولو كان مقدها إلى الراء لتحركت فالألف الأولى للعلم واللام للإرادة والراء للقدرة وهي صفة الإيجاد فوجدنا الألف لها الحركة من كونها همزة والراء لها الحركة واللام ساكنة فاتحدت الإرادة بالقدرة كما اتحد العلم والإرادة بالقدرة إذا وصلت الرحمن بالله فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة بعد ما قلبت راء وشدت لتحقيق الإيجاد الذي هو الحاء ووجود الكلمة ساكنة وإنما سكنت لأنها لا تنقسم والحركة منقسمة فلما كانت الحاء ساكنة سكونا حسيا ورأيناها مجاورة الراء راء القدرة عرفنا أنها الكلمة وشميتها (تبيينه) أشار من أعربه بدلا من قوله الله إلى مقام الجمع واتحاد الصفات وهو مقام من روى خلق آدم على صورته وذلك وجود العبد في مقام الحق حد الخلافة والخلافة تستدعي الملك بالضرورة والملك ينقسم قسمين قسم راجع لذاته وقسم راجع لغيره والواحد من الأقسام يصلح في هذا المقام على حد ما رتبنا فإن البدل في الموضع يحل محل المبدل منه مثل قولنا جاء بي أخوك زيد فزيد بدل من أخيك بدل الشيء من الشيء و هما لعين واحدة فإن زيدا هو أخوك وأخاك هو زيد بلاشك وهذا مقام من اعتقد خلافه فما وقف على حقيقة ولا واحد قط موجودة و أما من أعربه نعتا فإنه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة وهو مقام من روى خلق آدم على صورة الرحمن وهذا مقام الوراثة ولا تقع إلا بين غيرين مقام الحجاب بمغيب الواحد وظهور الثاني وهو المعبر عنه بالمثل وفيما قررنا دليل على ما أضمرنا فافهم ثم أظهر من النون الشطر الأسفل وهو الشطر الظاهر لنا من الفلك الدائر من نصف الدائرة ومركز العالم في الوسط من الخط الذي يمتد من طرف الشطر إلى الطرف الثاني والشطر الثاني المستور في النقطة هو الشطر الغائب عنا من تحت تقيض الخط بالإضافة إلينا إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل في جهة

فالشطرنج الموجود في الخط هو المشرق والشطرنج الموجود في النقطة هو المغرب وهو مطلع وجود الأسرار فالمشرق وهو الظاهر المركب ينقسم والمغرب وهو الباطن البسيط لا ينقسم وفيه أقول

و لباطنه لا ينقسم	عجبا للظاهر ينقسم
و الباطن في أسد جلم	فالظاهر شمس في حمل
من تحت كنانها الظلم	حقق وانظر معنى سترت
عجبا و الله هما القسم	إن كان خفي هو ذلك بدا
في الوتر يلوح و ينعدم	فأفزع للشمس و دع قمرا
علمي شفيع يكن الكلم	و اخلع نعلي قدمي كوني

ولذلك يتعلق العلم بالمعلومات والإرادة الواحدة بالمرادات والقدرة الواحدة بالمقدورات فتقع القسمة والتعداد في المقدورات والمعلومات والمرادات وهو الشطرنج الموجود في الرقم ويقع الاتحاد والتنزه عن الأوصاف الباطنية من علم وقدرة وإرادة وفي هذا الإشارة فافهم ولما كانت الحاء ثمانية وهو وجود كمال الذات ولذلك عبرنا عنه بالكلمة والروح فكذلك النون خامسة في العشرات إذ يتقدمها الميم الذي هو رابع فالنون جسماني محل إيجاد مواد الروح والعقل والنفس ووجود الفعل وهذا كله مستودع في النون وهي كلية الإنسان الظاهرة ولهذا ظهرت (تمة) وإنما فصل بين الميم والنون بالألف مان إذ الميم ملكوتية لما جعلناها للروح والنون ملكية والنقطة جبروتية لوجود سر سلب الدعوى كأنه يقول أي يا روح الذي هو الميم لم نصطفك من حيث أنت لكن عناية سبقت لك في وجود علمي ولو شئت لاطلعت على نقطة العقل ونون الإنسانية دون واسطة وجودك فاعرف نفسك واعلم أن هذا اختصاص بك مني من حيث أنا لا من حيث أنت فصحت الاصطفائية فلا تجلبي لغيره أبدا فالحمد لله على ما أولى قنبيه يا مسكين في وجود الميم دائرة على صورة الجسم مع التقدم كيف أشار به إلى التنزه عن الانقسام وانقسام الدائرة لا يتناهي فانقسام روح الميم بمعلوماته لا يتناهي وهو في ذاته لا ينقسم ثم انظر الميم إذا انفصل وحده كيف ظهرت منه مادة التعريق لما نزل إلى وجود الفعل في عالم الخطاب والتكليف فصارت المادة في حق الغير لا في حق نفسه إذ الدائرة تدل عليه خاصة فما زاد فليس في حقه إذ قد ثبتت ذاته فلم يبق إلا أن يكون في حق غيره فلما نظر العبد إلى المادة مد تعريقا وهذا هو وجود التحقيق ثم اعلم أن الجزء المتصل بين الميم والنون هو مركز ألف الذات وخفيت الألف ليقع الاتصال بين الميم والنون بطريق المادة وهو الجزء المتصل ولو ظهرت الألف لما صح التعريق للميم لأن الألف حالت بينهما وفي هذا تنبيه على قوله رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ وَجُود الألف المرادة هذا على من أعربه مبتدأ ولا يصح من طريق التركيب والصحيح أن يعرب بدلا من الرب فتبقى الألف هنا عبارة عن الروح والحق قائم بالجميع والميم السموات والنون الأرض وإذا ظهرت الألف بين الميم والنون فإن الاتصال بالميم لا بالنون فلا تأخذ النون صفة أبدا

من غير واسطة لقطعها و دل اتصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة و العدم الذي صح به القطع فيه يفنى النون و يبقى الميم محجوبا عن سر قدمه بالنقطة التي في وسطه التي هي جوف دائرته بالنظر إلى ذاته بعد أن لم تكن فيما ظهر له (سؤال و جوابه) قيل فكيف عرفت سر قدمه و لم يعرفه هو و هو أحق بمعرفة نفسه منك إن نظرت إلى ظاهره أو هل العالم بسر القدم فيه هو المعنى الموجود فيك المتكلم فيه و هو ميم الروح فقد وقف على سر قدمه الجواب عن ذلك أن الذي علم منا سر القدم هو الذي حجبتاه هناك فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم و نقول إنما حصل له ذلك علما لا عينا و هذا موجود فليس من شرط من علم شيئا أن يراه و الرؤية للمعلوم أتم من العلم به من وجه و أوضح في المعرفة به فكل عين علم و ليس كل علم عينا إذ ليس من شرط من علم إن ثم مكة رآها و إذا رآها قطعنا أنه يعلمها و لا أريد الاسم للعين درجة على العلم معلومة كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعابنة الكليم

بل أقول إن حقيقة سر القدم الذي هو حق اليقين لأنه لا يعان فلم يشاهده لرجوعه لذات موحدة و لو علم ذات موحدة لكان نقصا في حقه فغاية كماله في معرفة نفسه بوجودها بعد أن لم تكن عينا هذا فصل عجيب إن تدبرته و قفت على عجائب فافهم (تكملة) اتصلت اللام بالراء اتصال اتحاد نطقا من حيث كونها صفتين باطنيتين فسهل عليهما الاتحاد و وجدت الحاء التي هي الكلمة المعبر عنها بالمقدور للراء منفصلة عن الراء التي هي القدرة لتمييز المقدور من القدرة و لئلا توهم الحاء المقدورة إنها صفة ذات القدرة فوقع الفرق بين القديم و الحديث فافهم برحمك الله ثم لتعلم إن رحمن هو الاسم و هو للذات و الألف و اللام اللذان للتعريف هما الصفات و لذلك يقال برحمان مع زوالهما كما يقال ذات و لا تسمى صفة معهما انظر في اسم مسيلمة الكذاب تسمى برحمان و لم يهد إلى الألف و اللام لأن الذات محل الدعوى عند كل أحد و بالصفات يفتضح المدعي فرحمان مقام الجمع و هو مقام الجهل أشرف ما يرتقى إليه في طريق الله الجهل به تعالى و معرفته الجهل به فإنها حقيقة العبودية قال تعالى وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَجْرُكَ وَمَا يُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَقَوْلُهُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ فَبِحَقِّقَةِ الْأَسْتِخْلَافِ سَلَبِ مَسِيلِمَةَ وَإِبْلِيسَ وَالدِّجَالِ وَكَانَ مِنْ حَالِهِمْ مَا عَلِمُوا فَاسْتَحْقَوْهُ ذَاتًا مَا سَلَبُوهُ الْبِتَّةَ وَ لَكِنْ إِنْ نَظَرْتَ بَعِينَ التَّنْقِيزِ وَ الْقَبُولِ الْكَلْبِيِّ لَا بَعِينَ الْأَمْرِ وَجَدْتَ الْمَخَالَفَ طَائِعًا وَ الْمَوْجُوحَ مُسْتَقِيمًا وَ الْكُلَّ دَاخِلًا فِي الرِّقِّ شَاءَ أَوْ أَمُّ أَبَوَا فَأَمَّا إِبْلِيسَ وَ مَسِيلِمَةَ فَصَرَحَا بِالْعُبُودِيَّةِ وَ الدِّجَالِ أَبِي فَتَأَمَّلْ مِنْ أَيْنَ تَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَ مَا الْحَقَائِقُ الَّتِي لَاحَتْ لَهُمْ حَتَّى أُوجِبَتْ لَهُمْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ (تمة) لما نطقنا بقوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لم يظهر للالف و اللام وجود فصار الاتصال من الذات للذات و الله و الرحمن اسمان للذات فرجع على نفسه بنفسه و لهذا قال صلى الله عليه و سلم و أعوذ بك منك لما انتهى إلى الذات لم ير غيرا و قد قال أعوذ بك و لا بد من مستعاذ منه فكشف له عنه فقال منك و منك هو و الدليل عليه أعوذ و لا يصح أن يفصل فإنه في الذات و لا يجوز التفصيل فيها فتبين من هذا أن كلمة الله هي العبد فكما إن لفظة الله للذات دليل كذلك العبد الجامع الكلي فالعبد هو كلمة الجلالة قال بعض المحققين في حال ما أنا الله و

قالها أيضا بعض الصوفية من مقامين مختلفين وشتان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وجد له فقابل تعالى الحرف بالحرف أعوذ برضاك من سخطك و قابل المعنى بالمعنى وأعوذ بك منك وهذا غاية المعرفة (خاتمة) ولعلك تفرق بين الله وبين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى اعْبُدُوا اللَّهَ و لم يقولوا و ما لله و لما قيل لهم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا و ما الرَّحْمَنُ و لهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فجعلها للذات و لم تتكر العرب كلمة الله فإنهم القائلون ما عَبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى فعلموه و لما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة و هي صفة موجودة فيهم خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم فأنكروا و قالوا و ما الرَّحْمَنُ لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه و لهذا قال قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ لَمَّا كَانَ اللَّفْظَانِ رَاجِعِينَ إِلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَ ذَلِكَ حَقِيقَةُ الْعَبْدِ وَ الْبَارِي مَنْزَهُ عَنِ ادِّرَاكِ التَّوَهُمِ وَ الْعِلْمِ الْحَيْطِ بِهِ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ (وصل) في قوله الرَّحِيمِ مِنَ الْبِسْمَلَةِ الرَّحِيمِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤْفٌ رَحِيمٌ وَ بِهِ كَمَالُ الْوُجُودِ وَ بِالرَّحِيمِ تَمَّتِ الْبِسْمَلَةُ وَ بِتَمَامِهَا تَمَّ الْعَالَمُ خَلْقًا وَ إِبْدَاعًا وَ كَانَ عَمَّ مَبْتَدَأُ وَ جُودَ الْعَالَمِ عَقْلًا وَ نَفْسًا مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا قَالَ وَ آدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَ الطِّينِ فِيهِ بَدِيءُ الْوُجُودِ بَاطِنًا وَ بِهِ خَتَمَ الْمَقَامَ ظَاهِرًا فِي عَالَمِ التَّخْطِيطِ فَقَالَ لَا رَسُولَ بَعْدِي وَ لِأَنِّي فَالرَّحِيمِ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ بِسْمِ هُوَ بُونَا آدَمُ وَ أَعْنِي فِي مَقَامِ ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ وَ نَهَائِهِ وَ ذَلِكَ أَنَّ آدَمَ هُوَ حَامِلُ الْأَسْمَاءِ قَالَ تَعَالَى وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَامِلُ مَعَانِي تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي حَمَلَهَا آدَمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ هِيَ الْكَلِمَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَوْ تَبَتِ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَ مِنْ أَتْنِي عَلَى نَفْسِهِ أَمَكْنُ وَ أَتَمُّ مَنْ أَتْنِي عَلَيْهِ كِيحِي وَ عَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ مِنْ حَصَلَ لَهُ الذَّاتُ فَالْأَسْمَاءُ تَحْتَ حَكْمِهِ وَ لَيْسَ مِنْ حَصَلَ الْأَسْمَاءُ أَنْ يَكُونَ الْمُسَمَّى مُحْصَلًا عِنْدَهُ وَ بِهَذَا أَفْضَلَتِ الصَّحَابَةُ عَلَيْنَا فَإِنَّهُمْ حَصَلُوا الذَّاتُ وَ حَصَلْنَا الْأَسْمَاءُ وَ لَمَّا رَاعَيْنَا الْأَسْمَاءَ مَرَاعَاتِهِمْ الذَّاتُ ضَوْعَفَ لَنَا الْأَجْرُ وَ الْحَسْرَةُ الْغَيْبَةُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فَكَانَ تَضْعِيفٌ عَلَى تَضْعِيفٍ فَتَحْنُ الْإِخْوَانُ وَ هُمُ الْأَصْحَابُ وَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِلَيْنَا بِالْأَشْوَاقِ وَ مَا أَفْرَحَهُ بِلِقَاءِ وَاحِدٍ مِنَّا وَ كَيْفَ لَا يَفْرَحُ وَ قَدْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ بِالْأَشْوَاقِ إِلَيْهِ فَهَلْ تَقَاسَ كَرَامَتَهُ بِهِ وَ بَرَهُ وَ تَحْفِيهِ وَ لِلْعَامِلِ مِنَّا أَجْرُ خَمْسِينَ مَنَّمَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَصْحَابِهِ لَا مِنْ أَعْيَانِهِمْ لَكِنْ مِنْ أَمْثَلِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ بَلْ مِنْكُمْ فَجَدُوا وَ اجْتَهَدُوا حَتَّى يَعْرِفُوا أَنَّهُمْ خَلَفُوا بَعْدَهُمْ رَجَالًا لَوْ أَدْرَكَوهُ مَا سَبَقُوهُمْ إِلَيْهِ وَ مِنْ هُنَا تَفْعُ الْمَجَازَةُ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ (تنبيه) ثُمَّ لَتَعْلَمَنَّ إِنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَرْبَعَةٌ أَلْفَاظُهَا أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ ثَمَانِيَةٌ وَ هِيَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ الْحَيْطِ وَ هِيَ مِنَ الْعَرْشِ وَ هُنَا هِيَ الْحَمَلَةُ مِنْ وَجْهِهِ وَ الْعَرْشُ مِنْ وَجْهِهِ فَانظُرْ وَ اسْتَخْرِجْ مِنْ ذَاتِكَ لِذَاتِكَ (تنبيه) ثُمَّ وَجَدْنَا مِيمَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ آدَمُ مَعْرَقًا وَ وَجَدْنَا مِيمَ الرَّحِيمِ مَعْرَقًا الَّذِي هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا فَعَلِمْنَا أَنَّ مَادَةَ مِيمِ آدَمَ لَوْجُودُ عَالَمِ التَّرْكِيبِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا وَ عَلِمْنَا أَنَّ مَادَةَ مِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَوْجُودُ الْخُطَابِ عَمُومًا كَمَا كَانَ آدَمُ عِنْدَنَا عَمُومًا فَلِهَذَا امْتَدَّ (أنبأه) قَالَ سَيِّدُنَا الَّذِي لَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ صَلَحْتَ أُمَّتِي فَلَهَا يَوْمٌ وَإِنْ فَسَدْتَ فَلَهَا نِصْفُ يَوْمٍ وَ الْيَوْمُ رَبَّانِي فَإِنَّ أَيَّامَ الرَّبِّ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ مَعْدُ بِخِلَافِ أَيَّامِ اللَّهِ وَ أَيَّامُ ذِي الْمَعَارِجِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ أَكْبَرُ فَلِذَاكَ مِنْ أَيَّامِ الرَّبِّ وَ سَيَّاتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَكَرَهَا فِي دَاخِلِ الْكِتَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَزْمَانِ وَ صِلَاحِ الْأُمَّةِ

بنظرها إليه صلى الله عليه وسلم وفسادها بإعراضها عنه فوجدنا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يتضمن ألف معنى كل معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول ولا بد من حصول هذه المعاني التي تضمنها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لأنه ما ظهر إلا يعطي معناه فلا بد من كمال ألف سنة لهذه الأمة وهي في أول دورة الميزان ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة ولهذا ظهر فيها من العلوم الإلهية ما لم يظهر في غيرها من الأمم فإن الدورة التي انقضت كانت ترايبية فغاية علمهم بالطبائع والإلهيون فيهم غرباء قليلون جدا يكاد لا يظهر لهم عين ثم إن المتأله منهم ممنج بالطبيعة ولا بد والمتأله منا صرف خالص لا سبيل لحكم الطبع عليه (مفتاح) ثم وجدنا في الله وفي الرحمن ألفين ألف الذات وألف العلم ألف الذات خفية وألف العلم ظاهرة لتجلى الصفة على العالم ثم أيضا خفيت في الله ولم تظهر لرفع الالتباس في الخط بين الله واللاه ووجدنا في بسم الذي هو آدمع ألفا واحدة خفيت لظهور الباء ووجدنا في الرحيم الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم ألفا واحدة ظاهرة وهي ألف العلم ونفس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذات خفيت في آدمع الألف لأنه لم يكن مرسلًا إلى أحد فلم يحتج إلى ظهور الصفة وظهرت في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكونه مرسلًا فطلب التأييد فأعطى الألف فظهر بها ثم وجدنا الباء من بسم قد عملت في ميم الرحيم فكان عمل آدم في محمد صلى الله عليه وسلم وجود التركيب وفي الله عمل سبب داع وفي الرحمن عمل بسبب مدعو ولما رأينا أن النهاية أشرف من البداية قلنا من عرف نفسه عرف ربه والاسم سلم إلى المسمى ولما علمنا إن روح الرحيم عمل في روح بسم لكونه نبيًا و آدم بين الماء والطين ولولاهما ما كان سمي آدم علمنا إن بسم هو الرحيم إذ لا يعمل شيء إلا من نفسه لا من غيره فانعدمت النهاية والبداية والشرك والتوحيد وظهر عز الاتحاد وسلطانه فمحمد للجمع و آدم للتفريق (إيضاح) الدليل على إن الألف في قوله الرَّحِيمِ ألف العلم قوله وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَفِي أَلْفٍ مَا يَكُونُ مِنْ تَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ فَالْأَلْفُ الْأَلْفُ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ بَاطِنُ التَّوْحِيدِ وَلَا أَكْثَرَ يَرِيدُ ظَاهِرُهُ ثُمَّ خَفِيَتْ الْأَلْفُ فِي آدَمَ مِنْ بَاسْمِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَوْجُودٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنَازِعٌ يَدْعِي مَقَامَهُ فَدَلَّ بِذَاتِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ عَلَى وَجُودِ مَوْجُودَةٍ لَمَّا كَانَ مَفْتُوحٌ وَجُودَنَا وَذَلِكَ لِمَا نَظَرْنَا فِي وَجُودِهِ تَعَرُّضَ لَهُ أَمْرَانِ هَلْ أَوْجَدَهُ مَوْجُودٌ لِأَوَّلِ لَهُ أَوْ هَلْ أَوْجَدَ هُوَ نَفْسَهُ وَمَحَالٌ أَنْ يَوْجُدَ هُوَ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَلُونَ أَنْ يَوْجُدَ نَفْسَهُ وَهُوَ مَوْجُودٌ أَوْ يَوْجُدَهَا وَهُوَ مَعْدُومٌ فَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فَمَا الَّذِي أَوْجَدَ وَإِنْ كَانَ مَعْدُومًا فَكَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُ إِيجَادٌ وَهُوَ عَدَمٌ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَوْجُدَهُ غَيْرَهُ وَهُوَ الْأَلْفُ وَذَلِكَ كَانَتْ السِّينُ سَاكِمَةً وَهُوَ الْعَدَمُ وَالْمِيمُ مَتَحْرِكَةً وَهُوَ أَوَانُ الْإِيجَابِ فَلَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ خَفِيَتْ الْأَلْفُ لِقُوَّةِ الدَّلَالَةِ وَظَهَرَتْ فِي الرَّحِيمِ لضعف الدلالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لوجود المنازع فأيدته بالألف فصار الرحيم محمدًا والألف منه الحق المؤيد له من اسمه الظاهر قال تعالى فَاصْبِرْهُمَا ظَاهِرِينَ فَقَالَ قَوْلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِّي رَسُولُهُ فَمَنْ آمَنَ بَلْفِظِهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ رِقِّ الشَّرْكِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ آمَنَ بِمَعْنَاهُ اتَّظَمَ فِي سَلْكِ التَّوْحِيدِ فَصَحَّتْ لَهُ الْجَنَّةُ الثَّامِنَةُ وَكَانَ مَنْ آمَنَ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَكُنْ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ إِذْ قَدِ وَقَعَتِ السُّوْبَةُ وَاتَّحَدَتِ الْأَصْطِفَائِيَّةُ جَمْعًا وَاخْتَلَفَتْ رِسَالَةٌ وَوَجَدْنَا بِسْمِ اللَّهِ نَقْطَةً وَالرَّحْمَنُ كَذَلِكَ وَالرَّحِيمُ ذَا نَقْطَتَيْنِ وَاللَّهُ مَصْمُوتٌ فَلَمْ تَوْجِدْ فِي اللَّهِ لَمَّا كَانَ الذَّاتُ وَوَجِدَتْ فِيهَا بَقِي لَكُونِهِمْ مَحَلَّ الصِّفَاتِ فَاتَّحَدَتْ فِي بِسْمِ آدَمَ لَكُونَهُ فَرَدًا غَيْرَ مَرْسَلٍ وَاتَّحَدَتْ فِي الرَّحْمَنِ لِأَنَّهُ آدَمَ وَ

هو المستوي على عرش الكائنات المركبات وبقى الكلام على تقطعي الرحيم مع ظهور الألف فالياء الليالي العشر والنقطتان الشفع والألف
الوتر والاسم بكليته والفجر ومعناه الباطن الجبروتي والليل إذا يسرى وهو الغيب الملكتي وترتيب النقطتين الواحدة مما تلي الميم والثانية
مما تلي الألف والميم وجود العالم الذي بعث إليهم والنقطة التي تليه أبو بكر رضي الله عنه والنقطة التي تلي الألف محمد صلى الله عليه و
سلم وقد تقببت الياء عليهما كالغار إذ يُقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَإِنَّهُ وَاقِفٌ مَعَ صَدَقِهِ وَمُحَمَّدٌ وَاقِفٌ مَعَ الْحَقِّ فِي الْحَالِ الَّذِي هُوَ
عليه في ذلك الوقت فهو الحكيم كفعله يوم بدر في الدعاء والإلحاح وأبو بكر عن ذلك صاح فإن الحكيم يوفي المواطن حقها ولما لم يصح اجتماع
صادقين معا لذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي صلى الله عليه وسلم وثبت مع صدقه به فلو فقد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن و
حضره أبو بكر لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك فهو صادق ذلك
الوقت وحكيمه وما سواه تحت حكمه فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالين أسف عليه فأظهر الشدة وغلّب الصدق وقال لَا تَحْزَنُ لِأَثَرِ
ذَلِكَ الْأَسْفِ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا كَمَا أَخْبَرْتَنَا وَإِنْ جَعَلَ مَنَازِعَ أَنْ مُحَمَّدًا هُوَ الْقَائِلُ لَمْ يَبَالِ لِمَا كَانَ مَقَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمْعُ وَالتَّفْرِقَةُ مَعًا وَ
علم من أبي بكر الأسف ونظر إلى الألف فتأيد و علم أن أمره مستمر إلى يوم القيامة قال لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَهَذَا أَشْرَفُ مَقَامٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ
تقدم الله عليك ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله شهود بكري وراثه محمدية وخطاب الناس بمن عرف نفسه عرف ربه وهو قوله تعالى يخبر
عن ربه تعالى كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ والمقالة عندنا إنما كانت لأبي بكر رضي الله عنه ويؤيدنا قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً! فالنبي صلى الله عليه وسلم ليس بمصاحب وبعضهم أصحاب بعض وهم له أنصار وأعوان فافهم
إشارتنا تهد إلى سواء السبيل (لطيفة) النقطتان الرحيمية موضع القدمين وهو أحد خلع التعلين الأمر والنهي والألف الليلة المباركة وهي
غيب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فرق فيه إلى الأمر والنهي وهو قوله فيها يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ وَهُوَ الْكُرْسِيُّ وَهُوَ الْعَرْشُ وَالْمِيمُ مَا
حواه والألف حد المستوي والراء صريف القلم والنون الدواة التي في اللام فكذب ما كان وما يكون في قرطاس لوح الرحيم وهو اللوح المحفوظ
المعبر عنه بكل شيء في الكتاب العزيز من باب الإشارة والتنبيه قال تعالى وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ مَوْعِظَةٌ وَ
تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الْجَامِعُ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ أَوْتَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا وَهُمَا
نقطتان الأمر والنهي لكل شيء غيب محمد الألف المشار إليه بالليلة المباركة فالألف للعلم وهو المستوي واللام للإرادة وهو النون أعني
الدواة والراء للقدرة وهو القلم والحاء للعرش والياء للكرسي ورأس الميم للسماء وتعريفه للأرض فهذه سبعة أنجم منها يسبح في فلك
الجسم ونجم في فلك النفس الناطقة ونجم في فلك سر النفس وهو الصديقية ونجم في فلك القلب ونجم في فلك العقل ونجم في فلك الروح
فحل ما قلنا وفيما قررنا مفتاح لما أضمرنا فاطلب تجد إن شاء الله فبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وإن تعدد فهو واحد إذا حقق من وجه ما
(وصل في أسرار أم القرآن من طريق خاص) وهي فاتحة الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم والكافية والبسملة آية منها وهي تتضمن

الرب والعبد ولنا في تقسيمها قريض منه

في سورة الحمد يبدو ثالث لهما للنيرين طلوع بالفؤاد فما
لو لا الشروق لقد ألفتة عدما فالبدر محو وشمس الذات مشرقة
و البدر للمغرب العقلي قد لزما هذي النجوم بأفق الشرق طالعة
يلوح في الفلك العلوي مرتسما فإن تبدي فلا نجم و لا قمر

فهي فاتحة الكتاب لأن الكتاب عبارة من باب الإشارة عن المبدع الأول فالكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها لأنها منه وإنما صح لها اسم الفاتحة من حيث إنها أول ما افتتح بها كتاب الوجود وهي عبارة عن المثل المنزه في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ بأن تكون الكاف عين الصفة فلما أوجد المثل الذي هو الفاتحة أوجد بعده الكتاب وجعله مفتاحا له فتأمل وهي أم القرآن لأن الأم محل الإيجاد والوجود فيها هو القرآن والموجد الفاعل في الأم فالأم هي الجامعة الكلية وهي أم الكتاب الذي عنده في قوله تعالى وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فانظر عيسى ومريم عليهما السلام و فاعل الإيجاد يخرج لك عكس ما بدا لحسك فالأم عيسى والابن الذي هو الكتاب العندي أو القرآن مريم عليهما السلام فافهم وكذلك الروح ازدوج مع النفس بواسطة العقل فصارت النفس محل الإيجاد حسا والروح ما أتاها إلا من النفس فالنفس الأب فهذه النفس هو الكتاب المرقوم لنفوذ الخط فظهر في الابن ما خط القلم في الأم وهو القرآن الخارج على عالم الشهادة والأم أيضا عبارة عن وجود المثل محل الأسرار فهو الرق المنشور الذي أودع فيه الكتاب المسطور المودعة فيه تلك الأسرار الإلهية فالكتاب هنا أعلى من الفاتحة إذ الفاتحة دليل الكتاب و مدلولها وشرف الدليل بحسب ما يدل عليه رأيت لو كان مفتاحا لضد الكتاب المعلوم أن لو فرض له ضد حقر الدليل لحقارة المدلول ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو ولدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى إذ قد سماها الحق كلام الله والحروف الذي فيه أمثالها وأمثال الكلمات إذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله يسافر بها إلى أرض العدو ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهاها والكشف وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الصفات ظهرت في الوجود في واحد وواحد فحاضرة تفرد وحاضرة تجتمع فمن البسملة إلى الدين إفراد وكذلك من أهدنا إلى الصَّالِينَ وقوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ تشمل قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فلك السؤال ومنه العطاء كما إن له السؤال بالأمر والنهي ولك الامتثال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى على عبدي يقول العبد ملك (مالك) يوم الدين يقول الله مجدني عبدي ومرة قال فوض إلى عبدي هذا إفراد إلهي وفي رواية يقول العبد سَمِ اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ يقول الله ذكرني عبدي ثم قال يقول العبد إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يقول الله هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فما هي العطاء وإياك في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهي يقول العبد أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي هذا هو الإفراد العبد المألوه و

لعبي ما سأل سأل مألوه ما إلهها فلم تنق إلا حضرتان فصح المثاني فظهرت في الحق وجودا وفي العبد الكلبي إيجادا فوصف نفسه بها ولا موجود سواه في العماء ثم وصف بها عبده حين استخلفه ولذلك خروا له ساجدين لتمكن الصورة ووقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة والقرآن العظيم الجمع والوجود وهو أفراده عنك وجمعك به وليس سوى قوله إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وحسب وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (واقعة) أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه إلي أمرا بالكلام في المنام بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي ونجا الكل من أسر الهلاك وقرب المنبر الأسنى وصعدت عليه عن الأذن العالي المحمدي الأسمى بالاقصا ر على لفظة الحمد لله خاصة ونزل التأييد و رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين المنبر قاعد فقال العبد بعد ما أنشد و حمد وأثنى وبسمل حقيقة الحمد هي العبد المقدس المنزه لله إشارة إلى الذات الأزلية وهو مقام انفصال وجود العبد من وجود الإله ثم غيبه عن وجوده بوجوده الأزلي وأوصله به فقال لله فاللام الداخلة على قوله الله الخافضة له هي حقيقة المألوه في باب التواضع والذلة وهي من حروف المعاني لا من حروف الهجاء ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفا لها وتهما وتزيها معرفتها بنفسها وتصديقا لتقديم النبي صلى الله عليه وسلم إياها في قوله من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة النفس على معرفة الرب ثم عملت في الاسم الله لتحقيق الاتصال وتمكينها من المقام ولما كانت في مقام الوصلة ربما توهم أن الحمد غير اللام فخفض العبد اتباعا لحركة اللام فقرئ الحمد لله بضم الهمزة فكأن لفظة الحمد بدلا من اللام بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة فالحمد هو وجود اللام واللام هي الحمد فإذا كانا شيئا واحدا كان الحمد في مقام الوصلة مع الله لأنه عين اللام فكان معنى كما كانت اللام لفظا ومعنى ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية ثم أحيانا يفنيها عن نفسها فناء كلياً ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأولية ثم يبقى حقيقتها في الآخرة فيقول الحمد لله برفع اللام اتباعا لحركة الدال وهذا مما يؤيد أن الحمد اللام وهو المعبر عنه بالرداء والثوب إذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت وألحق وراء ذلك كله أو قل ومع ذلك كله فلما رفعها بالفناء عنها ابتداء أراد أن يعرفها مع فنائها إنها ما برحت من مقامها فجعلها عاملة وجعل رفعها عارضا في حق الحق فأبقى الهاء مكسورة تدل على وجود اللام في مقام خفض العبودية ولهذا شددت اللام الوسطى بلطفة لأي ذات الحق ليست ذات العبد وإنما هي حقيقة المثل لتجلى الصورة ثم الهاء تعود على اللام لما هي معمولها فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق لم تعمل فيها اللام بل هو العامل في كل شيء فإذا كانت اللام هي نفس الحمد والهاء معمول اللام فالهاء هي اللام وقد كانت اللام هي الحمد فالهاء الحمد بلا مزيد وقد قلنا إن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد موضع الفصل فخرج من مضمون هذا الكلام أن الحمد هو قوله لله وأن قوله لله هو قوله الحمد فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرأة إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم فأحدث المثل على الصورة وصار الموحد امرأة فلما تجلت صورة المثل في امرأة الذات قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها حمدي من رأيت فحمدت نفسها فقالت الحمد لله فقال لها يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك فسبقت رحمته غضبه ولهذا قال عقيب قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . . . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فقدم الرحمة ثم قال غَيْرِ الْمُعْضُوبِ

عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجَهُ غَضَبُهُ فَسَبَقَتْ الرَّحْمَةُ الْغَضَبَ فِي أَوَّلِ افْتِتَاحِ الْوُجُودِ فَسَبَقَتْ الرَّحْمَةُ إِلَى آدَمَ قَبْلَ الْعُقُوبَةِ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ ثُمَّ رَحِمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِجَاءَتِ رَحْمَتَانِ بَيْنَهُمَا غَضَبٌ فَتَطَلَّبَ الرَّحْمَتَانِ أَنْ تَمْتَرِجَا لِأَنَّهُمَا مِثْلَانِ فَانضَمَّتْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَانْعَدَمَ الْغَضَبُ بَيْنَهُمَا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي يَسْرِينَ بَيْنَهُمَا عَسْرٌ

فَكَرَّ فِي أَمِّ نَشْرَحٍ إِذَا ضَاقَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ
إِذَا ذَكَرْتَهُ فَافْرَحَ فَعَسْرٌ بَيْنَ يَسْرِينَ

فَالرَّحْمَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوْجُودِ الْأَوَّلِ الْمَعْبُودِ الْمَطْلُوبِ وَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ النَّفْسُ الْأَمَارَةُ وَالضَّالُّونَ عَالِمُ التَّرْكِيبِ مَا دَامَتْ هِيَ مَغْضُوبَةً عَلَيْهَا إِذِ الْبَارِي مَنْزَهُ عَنْ أَنْ يَنْزَهُ إِذْ لَا غَيْرَ وَلَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ وَلِهَذَا أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ الْمُؤْمِنُ مِرَاةَ أَخِيهِ لَوْجُودِ الصُّورَةِ عَلَى كَمَا لَهَا إِذْ هِيَ مَحَلُّ الْمَعْرِفَةِ وَهِيَ الْمَوْصَلَةُ وَلَوْ أَوْجَدَهُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصُّورَةِ لَكَانَ جَمَادًا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ عَلَى الْعَارِفِينَ بِهِ الْوَاقِفِينَ مَعَهُ بِمَوَادِّ الْعِنَايَةِ أَرْزَلًا وَأَبْدًا (تَنْبِيهِ) اللَّامُ نَفْيُ الرَّسْمِ كَمَا إِنْ الْبَاءُ تَبْقِيَةٌ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ الْعُلَمَاءُ لِي وَالْعَارِفُونَ بِي فَأَثَبْتَ الْمَقَامَ الْأَعْلَى لِلَّامِ فَإِنَّهُ قَالَ فِي كَلَامِهِ وَالْعَارِفُونَ بِالْهَمِّ ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّ اللَّامِ وَالْحَقُّ وَرَاءَ ذَلِكَ كَلِمَةٌ زَادَتْ تَنْبِيْهَا عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَقْعَمْ بِهَذَا وَحْدَهُ فَقَالَ وَالْهَمُّ لِلْوَصُولِ وَالْهَمَّةُ لِلْعَارِفِينَ الْبَائِينَ وَقَالَ فِي الْعُلَمَاءِ اللَّامِيْنَ وَإِنَّمَا يَتَّبِعُ الْحَقُّ عِنْدَ اضْمِحْلالِ الرَّسْمِ وَهَذَا هُوَ مَقَامُ اللَّامِ فَنَاءَ الرَّسْمِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَعْلَى مِنَ الْحَمْدِ بِاللَّهِ فَإِنَّ الْحَمْدَ بِاللَّهِ يَتَّقِيكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَفْنِيكَ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَيُّ لَّا حَامِدَ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ فَأَحْرَى أَنْ لَا يَكُونَ ثُمَّ مَحْمُودٌ سِوَاهُ وَتَقُولُ الْعَامَّةُ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَيُّ لَّا مَحْمُودَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ الْحَامِدَةُ فَاشْتَرَكَا فِي صُورَةِ اللَّفْظِ فَالْعُلَمَاءُ أَفْنَتِ الْحَامِدِينَ الْمَخْلُوقِينَ وَالْمَحْمُودِينَ وَالْعَامَّةُ أَفْنَتِ الْمَحْمُودِينَ مِنَ الْخَلْقِ خَاصَّةً وَأَمَّا الْعَارِفُونَ فَلَا يَتِمَّكُنْ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا مِثْلَ الْعَامَّةِ وَإِنَّمَا مَقَامُهُمُ الْحَمْدُ بِاللَّهِ لِبَقَاءِ نَفْسِهِمْ عِنْدَهُمْ فَتَحَقَّقْ هَذَا الْفَصْلَ فَإِنَّهُ مِنْ لِبَابِ الْمَعْرِفَةِ (وَصَلَّ فِي قَوْلِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أَثَبْتَ بِقَوْلِهِ عِنْدَنَا وَفِي قَلْبِنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ حَضْرَةَ الرَّبُّوبِيَّةِ وَهَذَا مَقَامُ الْعَارِفِ وَرَسُوخُ قَدَمِ النَّفْسِ وَهُوَ مَوْضِعُ الصِّفَةِ فَإِنَّ قَوْلَنَا لِلَّهِ ذَاتِيَّةَ الْمَشْهَدِ عَالِيَةَ الْمُتَّحِدِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَيُّ مَرِيهِمْ وَمَغْذِيهِمْ وَالْعَالَمِينَ عِبَارَةٌ عَنِ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ وَالتَّرْبِيَّةُ تَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ تَرْبِيَّةً بِوَأَسْطَةِ وَبِغَيْرِ وَأَسْطَةِ فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَلَا يَتَّصِرُ وَأَسْطَةُ فِي حَقِّهِ الْبَتَّةِ وَأَمَّا مِنْ دُونِهِ فَلَا يَبْدُ مِنَ الْوَأَسْطَةِ ثُمَّ تَنْقَسِمُ التَّرْبِيَّةُ قَسْمَيْنِ الَّتِي بِالْوَأَسْطَةِ خَاصَّةً قَسْمِ مَحْمُودٍ وَقَسْمِ مَذْمُومٍ وَمِنْ الْقَدِيمِ تَعَالَى إِلَى النَّفْسِ وَالنَّفْسُ دَاخِلَةٌ فِي الْحَدِّ مَا ثُمَّ إِلَّا مَحْدُودٌ خَاصَّةً وَأَمَّا الْمَذْمُومُ وَالْمَحْمُودُ فَمِنْ النَّفْسِ إِلَى عَالَمِ الْحَسِّ فَكَانَتْ النَّفْسُ مَحَلًّا قَابِلًا لَوْجُودِ التَّغْيِيرِ وَالتَّطْهِيرِ فَتَقُولُ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَوْجَدَ الْكَلِمَةَ الْمَعْبُودَةَ بِالرُّوحِ الْكَلْبِيِّ إِيجَادًا إِبْدَاعًا أَوْجَدَهَا فِي مَقَامِ الْجَهْلِ وَمَحَلِّ السَّلْبِ أَيُّ أَعْمَاهُ عَنِ رُؤْيَةِ نَفْسِهِ فَبَقِيَ لَا يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ صَدْرٌ وَلَا كَيْفَ صَدْرٌ وَكَانَ الْغِذَاءُ فِيهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَحَرَّكَ اللَّهُ هِمَّتَهُ لَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهُ عِنْدَهُ فَأَخَذَ فِي الرَّحَلَةِ بِهَمَّتِهِ فَأَشْهَدَهُ الْحَقُّ تَعَالَى ذَاتَهُ فَسَكَنَ وَعَرَفَ أَنَّ الَّذِي طَلَبَ لَمْ يَنْزِلْ مَوْصُوفًا قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ

مَسْعُودِ الْإِبْرِي

قد يرسل المرء المطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

وعلم ما أودع الله فيه من الأسرار والحكم وتحقق عنده حدوته وعرف ذاته معرفة إحاطية فكانت تلك المعرفة له غذاء معيناً يتقوت به وتدوم حياته إلى غير نهاية فقال له عند ذلك التجلي الأقدس ما اسمي عندك فقال أنت ربي فلم يعرفه إلا في حضرة الربوبية وتفرد القديم بالألوهية فإنه لا يعرفه إلا هو فقال له سبحانه أنت مروبوبي وأنا ربك أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رأني ومن أطاعك أطاعني ومن علمك علمني ومن جهلك جهلني فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك كذلك أنت معي لا تعدى معرفة نفسك ولا ترى غيرك ولا يحصل لك العلم بي إلا من حيث الوجود ولو أحطت علما بي لكنت أنت أنا ولكنت محاطا لك وكانت أنبي أنيتك وليست أنيتك أنيتي فأمدك بالأسرار الإلهية وأريك بها فتجدها مجعولة فيك فتعرفها وقد حجبتك عن معرفة كيفية إمدادي لك بها إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها إذ لو عرفتها لاتحدت الإنية واتحاد الإنية محال فمشاهدتك لذلك محال هل ترجع إنية المركب إنية البسيط لا سبيل إلى قلب الحقائق فاعلم إن من دونك في حكم التبعية لك كما أنت في حكم التبعية لي فأنت ثوبي وأنت رداي وأنت غطائي فقال له الروح ربي سمعتك تذكر أن لي ملكا فأين هو فاستخرج له النفس منه وهي المفعول عن الانبعاث فقال هذا بعضي وأنا كله كما أنا منك ولست مني قال صدقت يا روجي قال بك نطفت يا ربي إنك ربيتي وحجبت عني سر الإمداد والتربية وانفردت أنت به فاجعل إمدادي محجوبا عن هذا الملك حتى يجهلني كما جهلتك فخلق في النفس صفة القبول والافتقار ووزر العقل إلى الروح المقدس ثم أطلع الروح على النفس فقال لها من أنا قالت ربي بك حياتي وبك بقائي فتاه الروح بملكه وقام فيه مقام ربه فيه وتخيل أن ذلك هو نفس الإمداد فأراد الحق أن يعرفه أن الأمر على خلاف ما تخيل وأنه لو أعطاه سر الإمداد كما سأل لما انفردت الألوهية عنه بشيء ولاتحدت الإنية فلما أراد ذلك خلق الهوى في مقابلته وخلق الشهوة في مقابلة العقل ووزرها للهوى وجعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموما فحصلت النفس بين ربين قوين لهما وزيران عظيمان وما زال هذا يناديها وهذا يناديها والكل من عند الله قال تعالى قُلْ كُلُّ من عند الله وكأُئمدُ هؤُلاءِ وهؤُلاءِ من عطاءِ رَبِّكَ ولهذا كانت النفس محل التغيير والتطهير قال تعالى فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا فِي أثر قوله وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَإِنْ أَجَابَتْ مَنَادِي الهوى كَانَ التَّغْيِيرُ وَإِنْ أَجَابَتْ مَنَادِي الروح كَانَ التَّطْهِيرُ شرعا وتوحيدا فلما رأى الروح ينادي ولا يسمع مجيبا فقال ما منع ملكي من إجابتي قال له الوزير في مقابلتك ملك مطاع عظيم السلطان يسمى الهوى عطيته معجلة له الدنيا مجذافيرها فبسط لها حضرتها ودعاها فأجابته فرجع الروح بالشكوى إلى الله تعالى فثبتت عبوديته وذلك كان المراد وتزلت الأرباب والمربوبون كل واحد على حسب مقامه وقدره فعالم الشهادة المنفصل بهم عالم الخطاب وعالم الشهادة المتصل بهم عالم الجبروت وعالم الجبروت بهم عالم الملكوت وعالم الملكوت بهم الكلمة والكلمة ربهارب الكل الواحد الصمد وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المسمى بالتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية فأضربنا عن تميم هذا الفصل هنا مخافة التويل وكذلك ذكرناه أيضا في تفسير القرآن

فسبحان من تغرد بتربة عبادته و حجب من حجب منهم بالوسائط و خرج من هذا الفصل لمن عرف روحه ومعناه أن الرب هو الله سبحانه وأن العالمين هو المثل الكلي ولذلك أوجده في العالمين على ثمانية أحرف عرشا واستوى عليه باللطف والتربة والحنان والرحمة الرحمانية المؤكدة بالرحيمية لتميز الدار الحيوان لقوله تعالى الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فعم بالرحمن وخص بالرحيم فالرحمن في عالمه بالوسائط وغيرها والرحيم في كلماته بلا واسطة لوجود الاختصاص و شرف العناية فافهم والأسلم تسلم (وصل في قوله تعالى ملك (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ) يريد يوم الجزاء و حضرة الملك من مقام التفرقة وهي جمع فإنه لا تقع التفرقة إلا في الجمع قال فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فهي مقام الجمع وقد قبلت سلطان التفرقة فهي مقام التفرقة فافترق الجمع إلى أمر ونهي خطابا وسخط ورضي إرادة وطاعة وعصيان فعل مألوه و وعد ووعد فعل إله و الملك في هذا اليوم من حقت له الشفاعة واختص بها ولم يقل نفسي وقال أمي و الملك في وجودنا المطلوب للقيامه المعجلة التي تظهر في طريق التصوف هو الروح القدسي و يوم القيامة وقت إيجاده الجزاء أو طوبى به إن كانت عقوبة لا بد من ذلك فإن كانت الطاعة فجنات من نخيل وأغاب وإن كانت المعصية الكفرانية فجهنم من أغلال و عذاب و من مقام الدعوى في صورتين فنفرض الكلام في هذه الآية على حد الملك و ما ينبغي له و هل ترتقي النفس من يوم الدين إلى الفناء عنه فأقول إن الملك من صح له الملك بطريق الملك و سجد له الملك و هو الروح فلما نازعه الهوى و استعان بالنفس عليه عزم الروح على قتل الهوى و استعد فلما برز الروح بجنود التوحيد و الملا الأعلى و برز الهوى كذلك بجنود الأماني والغرور و الملا الأسفل قال الروح للهوى مبي إليك فإن ظفرت بك فالقوم لي وإن ظفرت أنت و هزمتي فالملك لك ولا يهلك القوم بيننا برز الروح و الهوى فقتله الروح بسيف العدم و ظفر بالنفس بعد إباية منها و جهد كبير فأسلمت تحت سيفه فسلمت و أسلمت و تطهرت و تقدست و آمنت الحواس لإيمانها و دخلوا في رق الانقياد و أذعنوا و سلبت عنهم أودية الدعاوي الفاسدة و اتحدت كلمتهم و صار الروح النفس كالشيء الواحد و صح له اسم الملك حقيقة فقال له ملك (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ فرده إلى مقامه و نقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد و الملك على الحقيقة هو الحق تعالى المالك لكل و مصرفه و هو الشفيع لنفسه عامة و خاصة خاصة في الدنيا و عامة في الآخرة من وجه ما و لذلك قدم على قوله ملك (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ . . . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية رب العالمين ألا تراه يقول يَوْمَ الدِّينِ شفعت الملائكة و النبيون و شفيع المؤمنون و بقي أرحم الراحمين و لم يقل و بقي الجبار و لا القهار ليقع التأنيس قبل إيجاد الفعل في قلوبهم فمن عرف المعنى في هذا الوجود صح له الاختصاص في مقام أرحم و من جهلها في هذا الوجود دخل في العامة في الحشر الأكبر فتجلى في مقام الراحمين فعاد الفرق جمعا و التفق رتقا و الشفع و ترا بشفاعة أرحم الراحمين من جهنم ظاهر السور إلى جنة باطنه فإذا وقع الجدار و انهدم السور و امتزجت الأنهار و التقت البحران و عدم البرزخ صار العذاب نعيما و جهنم جنة فلا عذاب و لا عقاب إلا نعيم و أمان بمشاهدة العيان و ترم أطيار بالحنان على المقاصير و الأفنان و لثم الحور و الولدان و عدم مالك و بقي رضوان و صارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان و اتضح سر إبليس فيهم فإذا هو و من سجد له سيان فإنهما ما تصرفا إلا عن قضاء سابق و قدر لاحق لا محيص لهما عنه فلا بد لهما منه و حاج آدم

موسى (وصل) في قوله جل ثناؤه و تقدس إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ لما ثبت وجوده بالحمد لله و غذاؤه برب العالمين و اصطفاؤه بالرحمن الرحيم و تمجيدِه بملك (مالك) يَوْمِ الدِّينِ أراد تأكيد تكرر الشكر و الثناء رغبة في المزيد فقال إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ و هذا مقام الشكر أي لك نقر بالعبودية و نؤوي و وحدك لا شريك لك و إليك نؤوي في الاستعانة لا إلى غيرك على من أنزلتهم مني منزلي منك فأنا أمدهم بك لا بنفسي فأنت الممد لا أنا و أثبت له بهذه الآية نفي الشريك فالياء من إياك العبد الكلي قد انحصرت ما بين الفين ألفي توحيد حتى لا يكون لها موضع دعوى برؤية غير فأحاط بها التوحيد و الكاف ضمير الحق فالكاف و الألفان شيء واحد فهم مدلول الذات ثم كان نعبد صفة فعل الياء بالضمير الذي فيه و العبد فعل الحق فلم يبق في الوجود إلا الحضرة الإلهية خاصة غير أنه في قوله إِيَّاكَ تَعْبُدُ في حق نفسه للإبداع الأول حيث لا يتصور غيره و إِيَّاكَ تَسْتَعِينُ في حق غيره للخلق المشتق منه و هو محل سر الخلاقة ففي إِيَّاكَ تَسْتَعِينُ سجدت الملائكة و أبي من استكبر (وصل) في قوله تعالى اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ فلما قال له إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ قال له و ما عبادتي قال ثبوت التوحيد في الجمع و التفرقة فلما استقر عند النفس أن النجاة في التوحيد الذي هو الصراط المستقيم و هو شهود الذات بفنائها أو بقائها إن غفلت قالت اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فتعرض لها بقولها الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَانِ معوج و هو صراط الدعوى و مستقيم و هو التوحيد فلم يكن لها ميز بين الصراطين إلا بحسب السالكين عليهما فرأت ربهما سالكا للمستقيم فعرفته به و نظرت نفسها فوجدت بينها و بين ربهما الذي هو الروح مقاربة في اللطافة و نظرت إلى المعوج عند عالم التركيب فذلك قولها صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ و هذا عالمها المتصل بها المركب مغضوب عليه و المنفصل عنها ضالون عنها بنظرهم إلى المتصل المغضوب عليه فوفقت على رأس الصراطين و رأت غاية المعوج الهلاك و غاية المستقيم النجاة و علمت إن عالمها يتبعها حيث سلكت فلما أرادت السلوك على المستقيم و أن تعتكف في حضرة ربهما و أن ذلك لها و من نفسها بقولها إِيَّاكَ تَعْبُدُ عجزت و قصر بها فطلبت الاستعانة بقولها وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ فنبهها ربهما على اهْدِنَا فتيقظت فقالت اهْدِنَا فوصفت ما رأت بقولها الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الذي هو معرفة ذاتك قال صاحب المواقف لا تأثير للعلم و قال أنت لما هلكت فيه صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ و قرئ في الشاذ صراط من أنعم عليه إشارة إلى الروح القدسي و تفسير الكل من أنعم الله عليه من رسول و نبي غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ليس كذلك و لَا الضَّالِّينَ يقول تعالى فهو لاء لعبي و لعبي ما سأل فأجابها و أقام معوجها و أوضح صراطها و رفع بساطها يقول ربهما أثر تمام دعائها آمين فحصلت الإجابة بالأمن تأمين الملائكة و صار تأمين الروح تابعا له اتباع الأجناد بل أطوع لكون الإرادة متحدة و صح لها النطق فسمها النفس الناطقة و هي عرش الروح و العقل صورة الاستواء فافهم و إلا فسلم تسلم و الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (فصول تائيس و قواعد تأسيس) نظر الجمال بعين الوصال قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إيجاز البيان فيه يا محمد إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَرُوا مَحَبَّتَهُمْ فِي عَنَانٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ بِوعيدك الذي أرسلتك به أم لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري و أنت

تذرهـم بخلفتي وهـم ما عقـلوه ولا شـاهدوه وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا مني وعلى أبصارهم غشاوةً من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك وأحجبهم عني كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً أنزلتكم إلى من يكذبك ويرد ما جئت به إليه مني في وجهك وسمع في ما يضيق له صدرك فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائيل فكذلك أمناي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم فلا أسخط عليهم أبداً (بسط ما أوجزناه في هذا الباب) انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه وذلك لما أبداع الأمان من اسمه اللطيف وتجلي لهم في اسمه الجميل فأحبهه تعالى والغيرة من صفات المحبة في الحبوب والمحبة بوجهين مختلفين فستروا محبة غيره منهم عليه كالشيلي وأمثاله وسترهم بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّ سِتْرٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ فِي مَشَاهِدَتِهِمْ مِنْ أَسْرَارِ الْوَصْلَةِ فَقَالَ لَا بَدَأَ أَنْ أَحْبَبَكُمْ عَنْ ذَاتِي بِصِفَاتِي فَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ فَمَا اسْتَعَدُّوا فَأَنْذَرْتَهُمْ عَلَى السَّنَةِ أَنْبِيَائِي الرِّسَالِ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ فَمَا عَرَفُوا لِأَنَّهُمْ فِي عَيْنِ الْجَمْعِ وَخَاطِبِهِمْ مِنْ عَيْنِ التَّفْرِقَةِ وَهُمْ مَا عَرَفُوا عَالَمَ التَّفْصِيلِ فَلَمْ يَسْتَعِدُّوا وَكَانَ الْحُبُّ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى قُلُوبِهِمْ سُلْطَانَهُ غَيْرَةً مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوحاً وَقَرَأْنَا بِالسَّبَبِ الَّذِي أَصْمَهُمْ عَنْ إِجَابَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَمْ يَسْعَا غَيْرُهُ وَعَلَى سَمْعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ سِوَى كَلَامِهِ عَلَى السَّنَةِ الْعَالَمِ فَيَشْهَدُونَهُ فِي الْعَالَمِ مَتَكَلِّمًا بِلُغَاتِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً مِنْ سَنَاهُ إِذْ هُوَ النُّورُ وَبَهَائِهِ إِذْ لَهْ الْجَلَالُ وَالْهِيبَةُ يَرِيدُ الصِّفَةَ الَّتِي تَجَلَّى لَهُمْ فِيهَا الْمَتَّقِمَةُ فَأَبْقَاهُمْ غَرَقَى فِي مَجْمُورِ اللَّذَاتِ بِمَشَاهِدَةِ اللَّذَاتِ فَقَالَ لَهُمْ لَا بَدَأَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ عَظِيمٍ فَمَا فَهَمُوا مَا الْعَذَابُ لِاتِّحَادِ الصِّفَةِ عِنْدَهُمْ فَأَوْجَدَ لَهُمْ عَالَمَ الْكُونَ وَالْفَسَادِ وَحِينَئِذٍ عَلِمَهُمْ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ وَأَنْزَلَهُمْ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَانِيِّ فِيهِ عَذَابُهُمْ وَقَدْ كَانُوا مَخْبُوءِينَ عِنْدَهُ فِي خَزَائِنِ غِيُوبِهِ فَلَمَّا أَبْصَرْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ خَرَّتْ سَجُوداً لَهُمْ فَعَلِمُوهُمْ الْأَسْمَاءَ فَأَمَّا أَبُو يَزِيدٍ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِسْتِوَاءَ وَلَا أَطَاقَ الْعَذَابَ فَصَعِقَ مِنْ حِينِهِ فَقَالَ تَعَالَى رُدُّوهُ عَلَيَّ حَيِّبِي فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لَهُ عَنِّي فَحَجِبَ بِالشُّوقِ وَالْمَخَاطَبَةِ وَبَقِيَ الْكُفَّارُ فَنَزَلُوا مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكُرْسِيِّ فَبَدَتْ لَهُمُ الْقَدَمَانُ فَنَزَلُوا عَلَيْهِنَّ فِي الثَّلَاثِ اللَّبَاقِي مِنْ لَيْلَةِ هَذِهِ النَّشْأَةِ الْجَسْمِيَّةِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا النَّفْسِيَّةِ فَخَاطَبُوا أَهْلَ الثَّقَلِ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْعُرُوجِ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيَتَابُ عَلَيْهِ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يَنْصَدِعَ الْفَجْرُ فَإِذَا انْصَدَعَ ظَهَرَ الرُّوحُ الْعَقْلِيُّ النَّوْرِيُّ فَرَجَعُوا مِنْ حَيْثُ جَاءُوا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مُوَاصِلاً فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ فَذَلِكَ أَوْانَ بَعَثَ مَا فِي الْقُبُورِ فَكُلُّ عَبْدٍ لَمْ يَحْذَرِ مَكْرَ اللَّهِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ فَافْهَمِ

(فصل) وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ أَبَدَعَ اللَّهُ الْمَبْدَعَاتِ وَتَجَلَّى بِلِسَانِ الْأَحَدِيَّةِ فِي الرَّبُوبِيَّةِ فَقَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَالمخاطب في غاية الصفاء فقال بلى فكان كمثل الصدا فإنهم أجابوه به فإن الوجود المحدث خيال منصوب وهذا الإشهاد كان إشهاد رحمة لأنه ما قال لهم وحدي إبقاء عليهم لما علم من أنهم يشركون به بما فيهم من الحظ الطبيعي وبما فيهم من قبول الاقتدار الإلهي وما يعلمه إلا قليل

فلما برزت صور العالم من العلم الأزلي إلى العين الأبدية من وراء ستارة الغيرة والعزة بعد ما أسرج السرج وأنا ر بيت الوجود وبقى هوفي
ظلمة الغيوب فشوهدت الصور متحركة ناطقة بلغات مختلفات و الصور تنبعث من الظلمة فإذا انقضى زمانها عادت إلى الظلمة وهكذا
حتى السحر فأراد الفطن أن يقف على حقيقة ما شاهده بصره فإن للحس أغاليط فقرب من الستارة فرأى نطقها غيبا فيها فعلم إن ثم سرا
عجيبا فوقف عليه من نفسه فعرفه وعرف الرسول وما جاء به من وظائف التكليف فأول وظيفة كلمة التوحيد فأقر الكل بها فما جحد
أحد الصانع واختلفت عباراتهم عليه فابتلاههم بأن خاطبهم بلسان الشرك شهادة الرسول وقوع الإنكار باختصاص الجنس فتفرق أهل
الإنكار على طريقين فمنهم من نظر في الظواهر فلم ير تفضيلا في شيء ظاهر فأنكر ومنهم من نظر باطنا عقلا فرأى الاشتراك في المعقولات و
نسي الاختصاص فأنكر فأرسله بالسيف ف قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ مِنَ الْمَوْتِ وَدَاخَلَهُمُ الشُّكَّ عَلَى قَدَرٍ نَظَرَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَمَرَ عَلَى نَفْيِ
كَلِمَةِ الْإِشْرَاقِ قَطْعًا فَذَلِكَ كَافِرٌ وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَمَرَ عَلَيْهَا مَشَاهِدَةً فَذَلِكَ عَالِمٌ بِاللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَمَرَ عَلَى ثَبْتِهَا نَظْرًا فَذَلِكَ عَارِفٌ بِاللَّهِ وَمِنْهُمْ
مَنْ اسْتَمَرَ عَلَى ثَبْتِهَا اعْتِقَادًا فَذَلِكَ الْعَامَّةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَافَ الْقَتْلَ فَلَفِظَ وَلَمْ يَعتقد فنادى عليه لسان الحق فقال وَمَنِ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ظَاهِرًا وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ بَاطِنًا يُخَادِعُونَ اللَّهَ بَلْزُومِ الدَّعْوَى وَبِجَهْلِهِمُ الْقَائِمُ بِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ وَأَنِّي أَرُدُّ أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ الْيَوْمَ بِذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شَكٌّ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولِي فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا شُكًّا وَحِجَابًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ فِيهِ بِمَا
كَانُوا يَكْذِبُونَ مِمَّا حَقَّقْنَا لَهُمْ وَلَمْ تَسْبِقْ لَهُمْ عِنَايَةٌ فِي اللُّوْحِ الْقَاضِي (وصل) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ لَمَّا أَكْمَلَ الوجود بشمانية برز في ميدان التنعم فارس الدعوى فلم يكن في جيش وَمَنِ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا مَنْ
يَبْرُزُ إِلَيْهِ فَمَلَكَ الْكُلَّ وَصَبَا إِلَيْهِ وَإِلَى دِينِهِ بَاطِنًا فَعُوقِبُوا بِطَلَبِ الْإِقْرَارِ وَالْإِقْتِلَاءِ فَأَقْرَأُوا لَفْظًا فَحَصَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ دُنْيَا وَآخِرَةً إِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ الْأَشْبَاحُ قَالُوا مِنْ خِيَالِهِمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ إِذْ لَمْ
يَسْتَمْعُوا بِهَا عَلَى مَا يَرِيدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ بِاتِّحَادِ الْأَشْيَاءِ وَلَوْ شَعَرُوا مَا آمَنُوا وَلَا كَفَرُوا (وصل) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَ
نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا انْتَضَمُوا فِي سَلَكِ الْأَغْيَارِ أَتَاهُمُ النَّدَاءُ أَنْ يَقِفُوا عَلَى مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ
فَسَمِعُوا الْخُطَابَ فِي الْإِنْبِيَةِ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ فَحَجَبُوا عَنْ أَخْذِ الْعَهْدِ بَعْدَ الْحَسِّ وَالِدَاعِي الْجَنَسِيِّ وَأَصْمَهُمْ ذَلِكَ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ وَ
أَغْطَشَ لَيْلَ جَهْلِهِمْ فَقَالُوا نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ لَمَّا عَدَلَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ التَّقْدِيسِ وَوَقَفُوا مَعَ الْهَوَى قَالَ اللَّهُ لَنَا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ الْأَحْلَامُ لَمَّا
مَلَكَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَحَجَبُوا عَنِ الْإِتِّدَادِ بِسَمَاعِ وَقَعِ الرِّذَالِ عَلَى الْأَفْلَازِ بِالطُّورِ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ لِتَمِيزِ الْعَالِي مَنْ هُوَ دُونَهُ وَإِلَافِيَةِ فَائِدَةِ لِقَوْلِهِ
لَشَيْءٍ إِذَا أَرَادَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَّا بِإِجَادِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَحْسَنِ قَانُونِ فَسُبْحَانَ مَنْ انْتَرَدَ بِالْإِجَادِ وَالْإِخْتِرَاعِ وَالْإِتْقَانِ وَ
الْإِبْدَاعِ (وصل في دعوى المدعين) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَاظِنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ الْإِيمَانِ فِي هَذَا
المقام على خمسة أقسام إيمان تقليد وإيمان علم وإيمان عين وإيمان حق وإيمان حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لأصحاب الدليل والعين لأهل

المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وحقيقة الحقيقة وهو السادس للعلماء المرسلين أصلاً ووراثه منع كشفها فلا سبيل إلى إيضاها فكانت صفات دعاوي إذا لقوا هؤلاء الخمسة قالوا آمناً فالقلب للعوام وسر القلب لأصحاب الدليل والروح لأهل المشاهدة و سر الروح للعارفين وسر السر للواقفين والسر الأعظم لأهل الغيرة والحجاب والمنافقون تعرفوا عن الأيمان وانتظمو في الإسلام وإيمانهم ما جاوز خزانة خيالهم فاتخذوا أصناماً في ذواتهم أقاموها مقام آلهتهم فإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا باستيلاء الغفلة عليهم وخلو الخلل عن مراتب الأيمان إِبَاناً مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ فوقع عليهم العذاب من قوهم له إلى شياطينهم في حال الخلو فلما قامت الأضداد عندهم و عاملوا الحق والباطل عاملوا الحق بستر الباطل وعاملوا الباطل بإفشاء الحق فصح لهم النفاق ولو خاطبوا ذاتهم في ذاتهم ما صح عليهم هذا وكانوا من أهل الحقائق فأوقع الله الجواب على الاستهزاء فقال الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وهو استهزاءهم عجباً كيف قالوا إِنَّمَا مَعَكُمْ وهم عدم لو عابنوا إيمان الحقيقة لعابنوا الخالق في الخليفة ولا خلوا ولا نطقوا ولا صمتوا بل كانوا يقومون مقام من شاهد وهو روح جاء مع صاحب المادة فليظن الإنسان حقيقة اللقاء فإنه مؤذن بافتراق متقدم ثم اجتمعوا بصفة لم يعرفوها بل ظهر لهم منها ظاهر حسن فتأدبوا معها ولم يطبقوا أكثر من ذلك فقالوا آمناً ثم نكسوا على رؤوسهم في الخلو مع الشيطنة وهي البعد مثل اللقاء فقالوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ بالصفة التي لقينا فتدبر هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر وزوال الشك بزوال الستارة ورفع الموانع يلح لك السر في سبحان والنساء والشمس فتجد الذين لقوا كمثل الذين لقوا فتصمت وإن تكلمت هلكت وهذه حقيقة الحقيقة التي منع كشفها إلا لمن شم منها رائحة ذوقاً فلا بأس فانظر و تدبر ترشد إن شاء الله تم الجزء العاشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السادس) في معرفة بدء الخلق الروحاني ومن هو أول موجود فيه ومم وجد وفيه وجد وعلى أي مثال وجد ولم وجد وما غايته و معرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر

و وجودنا مثل الرداء المعلم	انظر إلى هذا الوجود المحكم
من مفصح طلق اللسان وأعجم	و انظر إلى خلفائه في ملكهم
إلا و يمزجه بحب الدرهم	ما منهمو أحد يجب إلهه
عبد الجنان و ذا عبيد جهنم	فيقال هذا عبد معرفة و ذا
سكرى به من غير حس توهم	إلا القليل من القليل فإنهم
أحد سواه لا عبيد المنعم	فهموا عبيد الله لا يدري بهم
لتصورهم من كل علم مبهم	فأفادهم لما أراد رجوعهم

علم المقدم في البسائط وحده	و أساسه ذو عنه لم يتصرم
وحقيقة الظرف الذي سترته عن	أمثاله و مثاله لم يكنم
والعلم بالسبب الذي وجدت له	عين العوالم في الطراز الأقدم
و نهاية الأمر الذي لا غاية	تدري له فيه العظيم الأعظم
و علوم أفلاك الوجود كبيره	و صغيره إلا على الذي لم يذمم
هذي علوم من تحقق كشفها	يهدى القلوب إلى السبيل الأقوم
فالحمد لله الذي أنا جامع	لعولمها و لعلم ما لم يعلم

إيجاز البيان بضرب من الإجمال بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية ولا أين يحصرها لعدم التحيز ومم وجد وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تنصف بالوجود ولا بالعدم وفيه وجد في الهباء وعلى أي مثال وجد الصورة المعلومة في نفس الحق ولم وجد لإظهار الحقائق الإلهية وما غايته التخليص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج فغاياته إظهار حقائقه ومعرفة أفلاك الأكبر من العالم وهو ما عدا الإنسان في اصطلاح الجماعة والعالم الأصغر يعني الإنسان روح العالم وعلته وسببه وأفلاكه مقاماته وحركاته وتفصيل طبقاته فهذا جميع ما يتضمنه هذا الباب فكما إن الإنسان عالم صغير من طريق الجسم كذلك هو أيضا حقيق من طريق الحدوث و صح له التأله لأنه خليفة الله في العالم والعالم مسخر له مألوه كما إن الإنسان مألوه لله تعالى واعلم أن أكمل نشأة الإنسان إنما هي في الدنيا وأما الآخرة فكل إنسان من الفرقين على النصف في الحال لا في العلم فإن كل فرقة عالمة بنقيض حالها فليس الإنسان إلا المؤمن والكافر معا سعادة وشقاء نعيم وعذاب منعم ومعذب ولهذا معرفة الدنيا أتم وتجلي الآخرة أعلى فافهم وحل هذا القفل ولنا رمز لمن تفتن وهو لفظه بشيع شنيع ومعناه بديع

هذا الوجود الصغير	روح الوجود الكبير
أنا الكبير القدير	لولاه ما قال إني
ولا الفناء والنشور	لا يحجبناك حدوثي
الحيط الكبير	فإني إن تأملتني
و للجديد ظهور	فللقديم بذاتي
لا يعتريه قصور	و الله فرد قديم
في قبضته أسير	و الكون خلق جديد

أنا الوجود الحقير	فجاء من هذا إني
على وجودي يدور	و إن كل وجود
و لا كنوري نور	فلا كليلي ليل
أنا العبيد الفقير	فمن يقل في عبد
أنا الوجود الخبير	أو قال إني وجود
أو سوقة ما تجور	فصحني ملكا تجدني
أنت العليم البصير	فيا جهولا بتدري
والقول صدق وزور	بلغ وجودي عني
أنا الرحيم الغفور	و قل لقومك إني
هو العذاب المبير	و قل بأن عذابي
لا أستطيع أسير	و قل بأنني ضعيف
على يدي أو يبور	فكيف ينعم شخص

بسط الباب و بيانه و من الله التأييد و العون اعلموا أن المعلومات أربعة الحق تعالى و هو الموصوف بالوجود المطلق لأنه سبحانه ليس معلولا لشيء و لا علة بل هو موجود بذاته و العلم به عبارة عن العلم بوجوده و وجوده ليس غير ذاته مع أنه غير معلوم الذات لكن يعلم ما ينسب إليه من الصفات أعني صفات المعاني و هي صفات الكمال و أما العلم بحقيقة الذات فممنوع لا تعلم بدليل و لا برهان عقلي و لا يأخذها حد فإنه سبحانه لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء فكيف يعرف من يشبه الأشياء من لا يشبهه شيء و لا يشبهه شيئا فمعرفة فكيف به إنما هي إنه ليس كمثل شيء و يُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ و قد ورد المنع من الشرع في التفكير في ذات الله (و معلوم ثان) و هو الحقيقة الكلية التي هي للحق و للعالم لا تتصف بالوجود و لا بالعدم و لا بالحدوث و لا بالتقدم هي في القديم إذا وصف بها قديمة و في المحدث إذا وصف بها محدثة لا تعلم المعلومات قديمها و حديثها حتى تعلم هذه الحقيقة و لا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الأشياء الموصوفة بها فإن وجد شيء عن غير عدم متقدم كوجود الحق و صفاته قيل فيها موجود قديم لأنصاف الحق بها و إن وجد شيء عن عدم كوجود ما سوى الله و هو المحدث الموجود بغيره قيل فيها محدثة و هي في كل موجود بحقيقتها فإنها لا تقبل التجزي فما فيها كل و لا بعض و لا يتوصل إلى معرفتها مجردة عن الصورة بدليل و لا برهان فمن هذه الحقيقة وجد العالم بوساطة الحق تعالى و ليست بموجودة فيكون الحق قد أوجدنا من موجود قديم فيثبت لنا القدم و كذلك لتعلم أيضا أن هذه الحقيقة لا تتصف بالتقدم على العالم و لا العالم بالتأخر عنها و لكنها أصل الموجودات عموما و هي أصل الجوهر و فلك

الحياة والحق المخلوق به وغير ذلك وهي الفلك المحيط المعقول فإن قلت إنها العالم صدقت أو إنها ليست العالم صدقت أو ليست الحق صدقت تقبل هذا كله وتعدد بتعدد أشخاص العالم وتنزله بتنزله الحق وإن أردت مثالا حتى يقرب إلى فهمك فانظر في العودية في الخشبة والكرسي والحبرة والمنبر والتابوت وكذلك التربع وأمثاله في الأشكال في كل مربع مثلا من بيت وتابوت وورقة والتربع والعودية بحقيقتها في كل شخص من هذه الأشخاص وكذلك الألوان بياض الثوب والجوهر والكاغذ والدقيق والدهان من غير أن تتصف البياضية المعقولة في الثوب بأنها جزء منها فيه بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها في الكاغذ وكذلك العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وجميع الأشياء كلها فقد بينت لك هذا المعلوم وقد بسطنا القول فيه كثيرا في كتابنا الموسوم بإنشاء الجداول والدوائر (و معلوم ثالث) وهو العالم كله الأملاك والأفلاك وما تحويه من العوالم والهواء والأرض وما فيهما من العالم وهو الملك الأكبر (و معلوم رابع) وهو الإنسان الخليفة الذي جعله الله في هذا العالم المقهور تحت تسخيره قال تعالى وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ فَمَنْ عَلِمَ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ فَمَا بَقِيَ لَهُ مَعْلُومٌ أَصْلًا يَطْلُبُهُ فَمِنْهَا مَا لَا نَعْلَمُ إِلَّا وَجُودَهُ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى وَتَعْلَمُ أَعْيَالُهُ وَصِفَاتُهُ بِضَرْبِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَمِنْهَا مَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِالْمَثَلِ كَالْعِلْمِ بِالْحَقِيقَةِ الْكَلِيَّةِ وَمِنْهَا مَا يَعْلَمُ بِهِذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ بِالْمَاهِيَةِ وَالْكَيفِيَّةِ وَهُوَ الْعَالَمُ وَالْإِنْسَانُ

«وصل» كان الله ولا شيء معه ثم أدرج فيه وهو الآن على ما عليه كان لم يرجع إليه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها بل كان موصوفا لنفسه ومسمى قبل خلقه بالأسماء التي يدعونه بها خلقه فلما أراد وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعّل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية انفعّل عنها حقيقة تسمى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور وهذا هو أول موجود في العالم وقد ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهل بن عبد الله رحمه الله وغيرهما من أهل التحقيق أهل الكشف والوجود ثم إنه سبحانه تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء ويسمونه أصحاب الأفكار الهيولى الكل والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله قال تعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ نُورُهُ مِصْبَاحٌ نُورُهُ بِالصَّبَاحِ فَلَمْ يَكُنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ قَبُولًا فِي ذَلِكَ الْهَبَاءِ إِلَّا حَقِيقَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْمُومَةُ بِالْعَقْلِ فَكَانَ سَيِّدَ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ وَأَوَّلَ ظَاهِرٍ فِي الْوُجُودِ فَكَانَ وَجُودُهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ وَمِنْ الْهَبَاءِ وَمِنْ الْحَقِيقَةِ الْكَلِيَّةِ وَفِي الْهَبَاءِ وَجَدَ عَيْنَهُ وَعَيْنَ الْعَالَمِ مِنْ تَجْلِيهِ وَأَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَسْرَارُ الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ وَأَمَّا الْمَثَلُ الَّذِي عَلَيْهِ وَجَدَ الْعَالَمُ كُلَّهُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ فَهُوَ الْعِلْمُ الْقَائِمُ بِنَفْسِ الْحَقِّ تَعَالَى فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ عَلِمْنَا بِعِلْمِهِ بِنَفْسِهِ وَأَوْجَدْنَا عَلَى حَدِّ مَا عَلِمْنَا وَنَحْنُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ الْمَعِينِ فِي عِلْمِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَأَخَذْنَا هَذَا الشَّكْلَ بِالِاتِّفَاقِ لَا عَنْ قَصْدٍ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ وَمَا يَتِمَكَّنُ أَنْ تَخْرُجَ صُورَةٌ فِي الْوُجُودِ بِحَكْمِ الْإِتِّفَاقِ فَلَوْ لَا إِنَّ هَذَا الشَّكْلَ الْمَعِينُ مَعْلُومٌ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَمَرَادُ لَهْ مَا أَوْجَدْنَا عَلَيْهِ وَلَمْ يَأْخُذْ هَذَا الشَّكْلُ مِنْ غَيْرِهِ إِذْ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَا بَرَزَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ مِنَ الصُّورَةِ فَعَلِمَهُ بِنَفْسِهِ عِلْمَهُ بِنَا أَوْلَا لَعَنْ عَدَمَ فَعَلِمَهُ بِنَا كَذَلِكَ فَمَثَلُنَا الَّذِي

هو عين علمه بنا قديم بقدم الحق لأنه صفة له ولا تقوم بنفسه الحوادث جل الله عن ذلك وأما قولنا ولم وجد وما غايته يقول الله عز وجل وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فَصِرْحٌ بِالسَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ أُوجَدْنَا وَهَكَذَا الْعَالَمُ كُلُّهُ وَخَصَصْنَا الْجِنَّ بِالذِّكْرِ وَالْجِنَّ هُنَا كُلُّ مُسْتَرْتَمٍ مَلِكٍ وَغَيْرِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ وَكَذَلِكَ قَالَ فَأَيُّنَ أَنْ يُحْمَلْتَهَا وَذَلِكَ لِمَا كَانَ عَرْضًا وَأَمَا لَوْ كَانَ أَمْرًا لِطَاعُوا وَحَمَلُوهَا فَإِنَّهُ لَا تَتَّصِرُ مِنْهُمْ مَعْصِيَةٌ جَبَلُوا عَلَى ذَلِكَ وَالْجِنُّ النَّارِيُّ وَالْإِنْسُ مَا جَبَلُوا عَلَى ذَلِكَ وَكَذَلِكَ مِنَ الْإِنْسِ أَصْحَابُ الْأَفْكَارِ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْأَدَلَّةِ الْمَقْصُورَةِ عَلَى الْحَوَاسِّ وَالضَّرُورَاتِ وَالْبَدِيهِيَّاتِ يَقُولُونَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَكْلَفُ عَاقِلًا بِحَيْثُ يَفْهَمُ مَا يُخَاطَبُ بِهِ وَصَدَقُوا وَكَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا الْعَالَمُ كُلُّهُ عَاقِلٌ حَيٌّ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الْكَشْفِ بِخَرَقِ الْعَادَةِ الَّتِي النَّاسُ عَلَيْهَا أَعْيَنِي حَصُولَ الْعِلْمِ بِهَذَا عِنْدَنَا غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوا هَذَا جَمَادٍ لَا يَعْقِلُ وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا أَعْطَاهُمْ بَصَرَهُمْ وَالْأَمْرُ عِنْدَنَا بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِذَا جَاءَ عَنِ نَبِيِّ أَنْ حَجَرًا كَلِمَةً أَوْ كَفَّ شَاةً أَوْ جَذَعَ نَخْلَةً أَوْ بَهِيمَةً يَقُولُونَ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْأَمْرُ عِنْدَنَا لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ سِرُّ الْحَيَاةِ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِ وَأَنْ كُلٌّ مِنْ يَسْمَعُ الْمُؤَذْنَ مِنْ رَطْبٍ وَيَابَسٍ يَشْهَدُ لَهُ وَلَا يَشْهَدُ إِلَّا مَنْ عِلْمٌ هَذَا عَنْ كَشْفِ عِنْدَنَا لَا عَنْ اسْتِنْبَاطٍ مِنْ نَظَرٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرٌ خَبْرٌ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ فَلْيَسْلُكْ طَرِيقَ الرِّجَالِ وَلْيَلِزِمِ الْخَلْوَةَ وَالذِّكْرَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَطْلَعُهُ عَلَى هَذَا كُلِّهِ عَيْنًا فَيَعْلَمُ إِنْ النَّاسَ فِي عِمَايَةِ عَنِ إِدْرَاكِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ فَأُوجَدُ الْعَالَمَ سَبْحَانَهُ لِيُظْهِرَ سُلْطَانَ الْأَسْمَاءِ فَإِنَّ قُدْرَةَ بِلَا مَقْدُورٍ وَجُودًا بِلَا عَطَاءٍ وَرَازِقًا بِلَا مَرْزُوقٍ وَمَغِيثًا بِلَا مَغَاثٍ وَرَحِيمًا بِلَا مَرْحُومٍ حَقَائِقٍ مَعْطَلَةِ التَّأثيرِ وَجَعَلَ الْعَالَمَ فِي الدُّنْيَا مَمْتَرَجًا مَزْجَ الْقَبْضَتَيْنِ فِي الْعَجْنَةِ ثُمَّ فَصَلَ الْأَشْخَاصَ مِنْهَا فَدَخَلَ مِنْ هَذِهِ فِي هَذِهِ مِنْ كُلِّ قَبْضَةٍ فِي أَخْتِهَا فَجَهَلَتِ الْأَحْوَالُ وَفِي هَذَا تَفَاضَلَتِ الْعُلَمَاءُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْحَيْثِ مِنَ الطَّيِّبِ وَالطَّيِّبِ مِنَ الْحَيْثِ وَغَايَتُهُ التَّخْلِيسُ مِنْ هَذِهِ الْمَزْجَةِ وَتَمْيِيزُ الْقَبْضَتَيْنِ حَتَّى تَتَفَرَّدَ هَذِهِ بِعَالِمِهَا وَهَذِهِ بِعَالِمِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِيَمِيزَ اللَّهُ الْحَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْحَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرَكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ فَمَنْ بَقِيَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَزْجَةِ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهَا لَمْ يَجْشُرْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْنِ وَلَكِنَّهُمْ مِنْهُمْ مَنْ يَتَخَلَّصُ مِنَ الْمَزْجَةِ فِي الْحِسَابِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا إِلَّا فِي جَهَنَّمَ فَإِذَا تَخَلَّصَ أُخْرِجَ فَهَيَّؤْ لَهُمْ أَهْلَ الشَّفَاعَةِ وَأَمَّا مَنْ تَمَيَّزَ هُنَا فِي إِحْدَى الْقَبْضَتَيْنِ انْقَلَبَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ بِحَقِيقَتِهِ مِنْ قَبْرِهِ إِلَى نَعِيمٍ أَوْ إِلَى عَذَابٍ وَجَحِيمٍ فَإِنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ فَهَذَا غَايَةُ الْعَالَمِ وَهَاتَانِ حَقِيقَتَانِ رَاجِعَتَانِ إِلَى صِفَةِ هُوَ الْحَقُّ عَلَيْهَا فِي ذَاتِهِ وَمَنْ هُنَا قَلْنَا يَرُونَهُ أَهْلَ النَّارِ مَعَذِبًا وَأَهْلَ الْجَنَّةِ مَنَعَمًا وَهَذَا سِرٌّ شَرِيفٌ رُبَّمَا تَقَفَ عَلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَشَاهِدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَقَدْ نَالَهَا الْمُحَقِّقُونَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَأَمَّا قَوْلُنَا فِي هَذَا الْبَابِ وَمَعْرِفَةُ أَفْلَاكِ الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ فَأَعْيَنِي بِهِ عَوَالِمَ كَلْبِيَّاتِهِ وَأَجْنَاسِهِ وَأَمْرَاؤَهُ الَّذِينَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا فِي غَيْرِهِمْ وَجَعَلْتَهَا مَقَابِلَةً هَذَا نَسْخَةٌ مِنْ هَذَا وَقَدْ ضَرَبْنَا لَهَا دَوَائِرَ عَلَى صُورِ الْأَفْلَاكِ وَتَرْتِيبِهَا فِي كِتَابِ إِنْشَاءِ الدَّوَائِرِ وَالْجَدَاوِلِ الَّذِي بَدَأْنَا وَضَعَهُ بَتُونَسَ بِمَجْلِ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَيْنَا وَصَفِينَا رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَنَلِيقَ مِنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا يَلِيقُ بِهَذَا الْمُخْتَصَرِ فَتَقُولُ إِنَّ الْعَوَالِمَ أَرْبَعَةَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَهُوَ عَالَمُ الْبَقَاءِ ثُمَّ عَالَمُ الْاسْتِحَالَةِ وَهُوَ عَالَمُ الْفَنَاءِ ثُمَّ عَالَمُ التَّعْمِيرِ وَهُوَ عَالَمُ الْبَقَاءِ وَالفَنَاءِ ثُمَّ عَالَمُ النَّسَبِ وَهَذِهِ الْعَوَالِمُ فِي مَوْطِنِ الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ وَهُوَ مَا خَرَجَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَفِي

العالم الأصغر وهو الإنسان (فأما العالم الأعلى) فالحقيقة المحمدية وملكها الحياة نظيرها من الإنسان اللطيفة والروح القدسي ومنهم العرش المحيط ونظيره من الإنسان الجسم ومن ذلك الكرسي ونظيره من الإنسان النفس ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الإنسان القلب ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الإنسان الأرواح التي فيه والقوي ومن ذلك زحل وملكه نظيره من الإنسان القوة العلمية والنفس ومن ذلك المشتري وملكه نظيرهما القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ ومن ذلك الأحمر وملكه نظيرهما القوة العاقلة واليا فوخ ومن ذلك الشمس وملكها نظيرهما القوة المفكرة ووسط الدماغ ثم الزهرة وملكها نظيرهما القوة الوهمية والروح الحيواني ثم الكاتب وملكه نظيرهما القوة الحياوية و مقدم الدماغ ثم القمر وملكه نظيرهما القوة الحسية والجوارح التي تحس فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان (و أما عالم الاستحالة) فمن ذلك كرة الأثير وروحها الحرارة واليبوسة وهي كرة النار ونظيرها الصفراء وروحها القوة الهاضمة ومن ذلك الهواء و روحه الحرارة والرطوبة ونظيره الدم و روحه القوة الجاذبة ومن ذلك الماء و روحه البرودة والرطوبة نظيره البلغم و روحه القوة الدافعة ومن ذلك التراب و روحه البرودة واليبوسة نظيره السوداء و روحها القوة الماسكة و أما الأرض فسبع طباق أرض سوداء و أرض غبراء و أرض حمراء و أرض صفراء و أرض بيضاء و أرض زرقاء و أرض خضراء نظير هذه السبعة من الإنسان في جسمه الجلد والشحم و اللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام (و أما عالم التعمير) فمنهم الروحانيون نظيرهم القوي التي في الإنسان ومنهم عالم الحيوان نظيره ما يحس من الإنسان ومنهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الإنسان ومن ذلك عالم الجماد نظيره ما لا يحس من الإنسان (و أما عالم النسب) فمنهم العرض نظيره الأسود والأبيض والألوان والأكوان ثم الكيف نظيره الأحوال مثل الصحيح والسقيم ثم الكم نظيره الساق أطول من الذراع ثم الأبن نظيره العنق مكان للرأس والساق مكان للفخذ ثم الزمان نظيره حركت رأسي وقت تحريك يدي ثم الإضافة نظيرها هذا أبي فأنا ابنه ثم الوضع نظيره لغتي ولحني ثم أن يفعل نظيره أكلت ثم أن يتفعل نظيره شبعت ومنهم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل والحمار و الأسد والصرصر نظير هذا القوة الإنسانية التي تقبل الصور المعنوية من مذموم ومحمود هذا فطن فهو فيل هذا بليد فهو حمار هذا شجاع فهو أسد هذا جبان فهو صرصر والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع) في معرفة بدء الجسوم الإنسانية وهو آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات

ملكاً قويا ظاهر السلطان	نشأت حقيقة باطن الإنسان
مثل استواء العرش بالرحمن	ثم استوت في عرش آدم ذاته
وبها انتهى ملك الوجود الثاني	فبدت حقيقة جسمه في عينها
عند الكرام و حامل الشنان	و بدت معارف لفظه في علمه
و تكبر الملعون من شيطان	فتصاغر لعلومه أحلامهم

إلا الشويطن باء بالحسران باءوا بقرب الله في ملكوته

اعلم أيديك الله أنه لما مضى من عمر العالم الطبيعي المقيد بالزمان الحصور بالمكان إحدى وسبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا و هذه المدة أحد عشر يوماً من أيام غير هذا الاسم و من أيام ذي المعارج يوم و خمسا يوم و في هذه الأيام يقع التفاضل قال تعالى في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة و قال و إن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون فأصغر الأيام هي التي نعدّها حركة الفلك المحيط الذي يظهر في يومه الليل و النهار فأقصر يوم عند العرب و هو هذا الأكبر فلك و ذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك إذ كانت حركة ما دونه في الليل و النهار حركة قسرية له قهر بها سائر الأفلاك التي يحيط بها و لكل فلك حركة طبيعية تكون له مع الحركة القسرية فكل فلك دونه ذو حركتين في وقت واحد حركة طبيعية و حركة قسرية و لكل حركة طبيعية في كل فلك يوم مخصوص بعد مقداره بالأيام الحادثة عن الفلك المحيط المعبر عنها بقوله مما تعدون و كلها تقطع في الفلك المحيط فكلما قطعته على الكمال كان يوماً لها و يدور الدور فأصغر الأيام منها هو ثمانية و عشرون يوماً مما تعدون و هو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط و نصب الله هذه الكواكب السبعة في السموات ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط لعلم عدد السنين و الحساب قال تعالى و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب و كل شيء فصلناه تفصيلاً ذلك تقدير العزيز العليم فلكل كوكب منها يوم مقداره يفضل بعضها على بعض على قدر سرعة حركاتها الطبيعية أو أصغر أفلاكها و كبرها فاعلم إن الله تعالى لما خلق القلم و اللوح و سماهما العقل و الروح و أعطى الروح صفتين صفة علمية و صفة عملية و جعل العقل لها معلماً و مفيداً إفادة مشاهدة حالية كما تستفيد من صورة السكين القطع من غير نطق يكون منه في ذلك و خلق تعالى جوهرها دون النفس الذي هو الروح المذكور سماه الهباء و هذه الاسمى له نقلناها من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أما الهباء فمذكور في اللسان العربي قال تعالى فكانت هباءً منبثاً كذلك لما رآها علي بن أبي طالب أعني هذه الجوهره منبثه في جميع الصور الطبيعية كلها و أنها لا تخلو صورة منها إذ لا تكون صورة إلا في هذه الجوهره سماها هباء و هي مع كل صورة بحقيقتها لا تنقسم و لا تتجزى و لا تنصف بالنقص بل هي كالبياض الموجود في كل أبيض بذاته و حقيقته و لا يقال قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض فهذا مثل حال هذه الجوهره و عين الله سبحانه بين هذا الروح الموصوف بالصفتين و بين الهباء أربع مراتب و جعل كل مرتبه منزلاً لأربعة أملاك و جعل هؤلاء الأملاك كالولادة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم من عليين إلى أسفل سافلين و وهب كل ملك من هؤلاء الملائكة علم ما يريد إمضائه في العالم فأول شيء أوجده الله في الأعيان مما يتعلق به علم هؤلاء الملائكة و تدبيرهم الجسم الكلي و أول شكل فتح في هذا الجسم الشكل الكروي المستدير إذ كان أفضل الأشكال ثم نزل سبحانه بالإيجاد و الخلق إلى تمام الصنعة و جعل جميع ما خلقه تعالى مملكة لهؤلاء الملائكة و ولاهم أموراً في الدنيا و الآخرة و عصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به فأخبرنا سبحانه أنهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و لما انتهى خلق المولدات من الجمادات و النباتات و الحيوان بانتهاء إحدى و سبعين ألف سنة من سنى الدنيا مما نعد و رتب العالم ترتيباً حكماً و لم يجمع سبحانه لشيء مما خلقه من أول

موجود إلى آخر مولود وهو الحيوان بين يديه تعالى إلا للإنسان وهي هذه النشأة البدنية الترابية بل خلق كل ما سواها إما عن أمر إلهي أو عن يد واحدة قال تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فهذا عن أمر إلهي وورد في الخبر أن الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وعرس شجرة طوبى بيده وخلق آدم الذي هو الإنسان بيده فقال تعالى لإبليس على جهة التشريف لآدم ع ما مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ وَلِمَا خَلَقَ اللَّهُ الْفَلَكَ الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ الْأَوَّلُ الْمَذْكُورُ أَنَا قَسَمَهُ اثْنِي عَشَرَ قِسْمًا سَمَّاها قَالَ تَعَالَى وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ فَجَعَلَ كُلَّ قِسْمٍ بَرَجًا وَجَعَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامَ تَرْجِعُ إِلَى أَرْبَعَةٍ فِي الطَّبِيعَةِ ثُمَّ كَرَّرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْهُ وَجَعَلَ هَذِهِ الْأَقْسَامَ كَالْمَنَازِلِ وَالْمَنَاهِلِ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا الْمَسَافِرُونَ وَيَسِيرُ فِيهَا السَّائِرُونَ فِي حَالِ سَيْرِهِمْ وَسَفَرِهِمْ لِيَنْزِلَ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ عِنْدَ سَيْرِ الْكَوَاكِبِ فِيهَا وَسِيَاحتِهِمْ مَا يَحْدُثُ اللَّهُ فِي جَوْفِ هَذَا الْفَلَكَ مِنَ الْكَوَاكِبِ الَّتِي تَقْطَعُ بِسَيْرِهَا فِي هَذِهِ الْبُرُوجِ لِيَحْدُثَ اللَّهُ عِنْدَ قَطْعِهَا وَسَيْرِهَا مَا شَاءَ أَنْ يَحْدُثَ اللَّهُ فِي جَوْفِ هَذَا الْفَلَكَ مِنَ الْكَوَاكِبِ الَّتِي تَقْطَعُ بِسَيْرِهَا فِي هَذِهِ الْبُرُوجِ لِيَحْدُثَ اللَّهُ عِنْدَ قَطْعِهَا وَسَيْرِهَا مَا شَاءَ أَنْ يَحْدُثَ مِنَ الْعَالَمِ الطَّبِيعِيِّ وَالْعَنْصَرِيِّ وَجَعَلَهَا عِلْمًا عَلَى أَثَرِ حَرَكَةِ فَلَكَ الْبُرُوجِ فَاعْلَمْ فَقَسَمَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ طَبِيعَتَهُ الْحَرَارَةَ وَالْيَبُوسَةَ وَالثَّانِي الْبُرُودَةَ وَالْيَبُوسَةَ وَالثَّلَاثَ الْحَرَارَةَ وَالرُّطُوبَةَ وَالرُّطُوبَةَ وَجَعَلَ الْخَامِسَ وَالثَّلَاثَ مِنَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَجَعَلَ السَّادِسَ وَالْعَاشِرَ مِثْلَ الثَّانِي وَجَعَلَ السَّابِعَ وَالْحَادِي عَشَرَ مِثْلَ الثَّلَاثِ وَجَعَلَ الثَّامِنَ وَالثَّانِي عَشَرَ مِثْلَ الرَّابِعِ أَعْنِي فِي الطَّبِيعَةِ فَحَصَرَ الْأَجْسَامَ الطَّبِيعِيَّةَ بِخِلَافِ الْأَجْسَامِ الْعَنْصَرِيَّةِ بِإِخْتِلَافٍ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ الْحَرَارَةُ وَالْبُرُودَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبُوسَةُ وَمَعَ كَوْنِهَا أَرْبَعًا أَمْهَاتٍ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ اثْنَيْنِ مِنْهَا أَصْلًا فِي وَجُودِ الْآخَرَيْنِ فَانْفَعَلَتِ الْيَبُوسَةُ عَنِ الْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةَ عَنِ الْبُرُودَةِ فَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبُوسَةُ مَوْجُودَتَانِ عَنِ سَبَبَيْنِ هُمَا الْحَرَارَةُ وَالْبُرُودَةُ وَهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِأَنَّ الْمَسَبَبَ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ مَسَبَبًا وَوَجُودَ السَّبَبِ أَوْ مَنْفَعْلًا وَوَجُودَ الْفَاعِلِ كَيْفَ شِئَتْ فَقُلْ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وَجُودِ السَّبَبِ وَوَجُودِ الْمَسَبَبِ وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْفَلَكَ الْأَوَّلَ دَارَ دَوْرَةٍ غَيْرِ مَعْلُومَةِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مَحْدُودٌ مِنَ الْأَجْرَامِ يَقْطَعُ فِيهِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ الْأَجْرَامِ الشَّفَاقَةِ فَتَعَدُّدُ الْحَرَكَاتِ وَتَمَيُّزُهَا وَلَا كَانَ قَدْ خَلَقَ اللَّهُ فِي جَوْفِهِ شَيْئًا فَتَمَيُّزُ الْحَرَكَاتِ وَتَنْتَهِي عِنْدَ مَنْ يَكُونُ فِي جَوْفِهِ وَلَوْ كَانَ لَمْ تَمَيُّزْ أَيْضًا لِأَنَّهُ أَطْلَسَ لَأَنَّ الْكَوْكَبَ فِيهِ مِثْلُ الْأَجْزَاءِ فَلَا يَعْرِفُ مِقْدَارَ الْحَرَكَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهُ وَلَا تَعَيَّنَ فَلَوْ كَانَ فِيهِ جِزءٌ مَخْلُوفٌ لَسَاطِرُ أَجْزَائِهِ عَدَبَهُ حَرَكَاتُهُ بِإِشْكَ وَلَكِنْ عَلَّمَ اللَّهُ قُدْرَتَهَا وَانْتِهَاءَهَا وَكَرُورَهَا فَحَدَّثَ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ الْيَوْمَ وَلَمْ يَكُنْ ثُمَّ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ حَرَكَاتُ هَذَا الْفَلَكَ فَخَلَقَ اللَّهُ مَلَائِكَةَ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ مَلَكًا أَضَافَهُمْ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَمْلَاقِ السَّتَّةِ عَشَرَ فَكَانَ الْجَمِيعُ أَحْدًا وَخَمْسِينَ مَلَكًا مِنْ جَمَلَةِ هَوْلَاءِ الْمَلَائِكَةِ جَبْرِيْلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيْلَ وَعِزْرَائِيلَ ثُمَّ خَلَقَ تِسْعَمِائَةَ مَلَكٍ وَأَرْبَعًا وَسَبْعِينَ وَأَضَافَهُمْ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَمْلَاقِ وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِمَا يَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي خَلْقِهِ فَقَالُوا مَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ سَيِّئًا وَقَالَ فِيهِمْ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ فَهَوْلَاءُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُمُ الْوَالِيَّةُ خَاصَّةً وَخَلَقَ اللَّهُ مَلَائِكَةَ هُمُ عِمَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِعِبَادَتِهِ فَمَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَوْضِعٌ إِلَّا فِيهِ مَلَكٌ وَلَا يَزَالُ

الحق يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفسين ولما انتهى من حركات هذا الفلك الأول ومدته أربع وخمسون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الدنيا وجعل لها أمدا معلوما تنتهي إليه و تنقضي صورتها و تستحيل من كونها دارا لنا و قبولها صورة مخصوصة وهي التي نشاهدها اليوم إلى أن تبدل الأرض غير الأرض و السماوات و لما انقضى من مد حركة هذا الفلك ثلاث و ستون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الآخرة الجنة و النار اللتين أعدهما الله لعباده السعداء و الأشقياء فكان بين خلق الدنيا و خلق الآخرة تسع آلاف سنة مما تعدون و لهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا و سميت الدنيا الأولى لأنها خلقت قبلها قال تعالى و للآخرة خير لك من الأولى يخاطب نبيه صلى الله عليه و سلم و لم يجعل للآخرة مدة ينهي إليها بقاؤها فلها البقاء الدائم و جعل سقف الجنة هذا الفلك و هو العرش عندهم الذي لا تعين حركته و لا تميز فحركته دائمة لا تنقضي و ما من خلق ذكرناه خلق إلا و تعلق القصد الثاني منه و وجود الإنسان الذي هو الخليفة في العالم و إنما قلت القصد الثاني إذ كان القصد الأول معرفة الحق و عبادته التي لها خلق العالم كله فما من شيء إلا و هو يسبح بحمده و معنى القصد الثاني و الأول التعلق الإرادي لا حدوث الإرادة لأن الإرادة لله صفة قديمة أزلية اتصفت بها ذاته كسائر صفاته و لما خلق الله هذه الأفلاك و السموات و أوحى في كل سماء أمرها و رتب فيها أنوارها و سرجها و عمرها بملائكته و حركتها تعالى فتحررت طائعة لله آتية إليه طلبا للكمال في العبودية التي تليق بها لأنه تعالى دعاها و دعا الأرض ففقال لها و للأرض أتتيا طوعا أو كرها لأمر حد لهما قالتا أتتينا طائعين فهما آتيتان أبدا فلا تزالان متحركتين غير أن حركة الأرض خفية عندنا و حركتها حول الوسط لأنها أكر فأما السماء فأتت طائعة عند أمر الله لها بالإتيان و أما الأرض فأتت طائعة لما علمت نفسها مقهورة و أنه لا بد أن يؤتى بها بقوله أو كرها فكانت المرادة بقوله تعالى أو كرها فأتت طائعة كرها فقضاهن سبع سموات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها و قد كان خلق الأرض و قدر فيها أقواتها من أجل المولدات فجعلها خزانة لأقواتهم و قد ذكرنا ترتيب نشء العالم في كتاب عقلة المستوفز فكان من تقدير أقواتها وجود الماء و الهواء و النار و ما في ذلك من البخارات و السحب و البروق و الرعود و الآثار العلوية و ذلك تقدير العزيز العليم و خلق الجنان من النار و الطير و الدواب البرية و البحرية و الحشرات من عفونات الأرض ليصفوا الهواء لنا من بخارات العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله حياة هذا الإنسان و الحيوان و عافيته فيه لكان سقيما مريضا معلولا فضفى له الجو سبحانه لطفًا منه بتكوين هذه المعفونات فقلت الأسقام و العلل و لما استوت المملكة و تهيأت و ما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلها من أي جنس يكون هذا الخليفة الذي مهد الله هذه المملكة لوجوده فلما وصل الوقت المعين في علمه لإيجاد هذا الخليفة بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة و من عمر الآخرة الذي لا نهاية له في الدوام ثمان آلاف سنة أمر الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الأرض فأتاه بها في خبر طويل معلوم عند الناس فأخذها سبحانه و خمرها بيديه فهو قوله لما خلقت بيدي و كان الحق قد أودع عند كل ملك من الملائكة الذين ذكرناهم وديعة لآدم و قال لهم إني خالق بشرًا من طين و هذه الودائع التي بأيديكم له فإذا خلقته فليؤد إليه كل واحد منكم ما عنده مما أمنتكم عليه ثم فإذا سويته و نفخت فيه من روعي فقعوا له ساجدين

فلما خمر الحق تعالى بيديه طينة آدم حتى تغير ريحها وهو المسنون وذلك الجزء الهوائي الذي في النشأة جعل ظهره محلاً للأشقياء والسعداء من ذريته فأودع فيه ما كان في قبضتيه فإنه سبحانه أخبرنا أن في قبضة يمينه السعداء وفي قبضة اليد الأخرى الأشقياء وكلتا يدي ربي يمين مباركة وقال هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون وأودع الكل طينة آدم وجمع فيه الأضداد بحكم الجاورة وأنشأه على الحركة المستقيمة وذلك في دولة السنبله وجعله ذا جهات ست الفوق وهو ما يلي رأسه والتحت يقابله وهو ما يلي رجليه واليمين وهو ما يلي جانبه الأقوى والشمال يقابله وهو ما يلي جانبه الأضعف والأمام وهو ما يلي الوجه ويقابله الخلف وهو ما يلي القفا وصوره وعدله وسواه ثم نفخ فيه من روحه المضاف إليه فحدث عند هذا النفخ فيه بسرياته في أجزائه أركان الأخلاط التي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم فكانت الصفراء عن الركن الناري الذي أنشأه الله منه في قوله تعالى من صلصال كالفخار وكانت السوداء عن التراب وهو قوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ وكان الدم من الهواء وهو قوله مَسْنُونٍ وكان البلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طيناً ثم أحدث فيه القوة الجاذبة التي بها يجذب الحيوان الأغذية ثم القوة الماسكة وبها يمسك ما يتغذى به الحيوان ثم القوة الهاضمة وبها يهضم الغذاء ثم القوة الدافعة وبها يدفع الفضلات عن نفسه من عرق وبخار ورياح وبراز وأمثال ذلك وأما سريران الأبخرة وتقسيم الدم في العروق من الكبد وما يخلصه كل جزء من الحيوان فبالقوة الجاذبة لا الدافعة فحفظ القوة الدافعة ما تخرجه كما قلنا من الفضلات لا غير ثم أحدث فيه القوة الغازية والمنمية والحاسية والخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة وهذا كله في الإنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان فقط غير أن هذه القوي الأربعة قوة الخيال والوهم والحفظ والذكر هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان ثم خص آدم الذي هو الإنسان بالقوة المصورة والمفكرة والعاقلة فتميز عن الحيوان وجعل هذه القوي كلها في هذا الجسم آلات للنفس الناطقة لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة والمعنوية ثم أنشأ خلقاً آخر وهو الإنسانية فجعله دراكاً بهذه القوي حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً على حد معلوم معتاد في اكتسابه فبإرادة الله أحسن الخالقين ثم إنه سبحانه ما سمي نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان من الخلق بذلك الاسم حظاً منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به ولذلك تأول بعضهم قوله إن الله خلق آدم على صورته على هذا المعنى وأنزله خليفة عنه في أرضه إذ كانت الأرض من عالم التغيير والاستحالات بخلاف العالم الأعلى فيحدث فيهم من الأحكام بحسب ما يحدث في العالم الأرضي من التغيير فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهية فلذلك كان خليفة في الأرض دون السماء والجنة ثم كان من أمره ما كان من علم الأسماء وسجود الملائكة وإبادة إبليس يأتي ذكر ذلك كله في موضعه إن شاء الله فإن هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانية وهي أربعة أنواع جسم آدم وجسم حواء وجسم عيسى وأجسام بنى آدم وكل جسم من هذه الأربعة نشؤه يخالف نشء الآخر في السببية مع الاجتماع في الصورة الجسمانية والروحانية وإنما سقنا هذا ونبهنا عليه لثلاثتهم الضعيف العقل أن القدرة الإلهية أو أن الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانية إلا عن سبب واحد يعطي بذاته هذا النشء فرد الله هذه الشبهة بأن أظهر هذا النشء الإنساني في آدم بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء

بطريق لم يظهر جسم ولد آدم وأظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى ع وينطلق على كل واحد من هؤلاء اسم الإنسان بالحد و
 الحقيقة ذلك ليعلم أن الله بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير ثم إن الله قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخلق في آية من القرآن في سورة
 الحجرات فقال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكركم ويريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى يريد بنى آدم بطريق النكاح
 والتوالد فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب الذي أوتي محمد صلى الله عليه وسلم ولما ظهر جسم آدم كما ذكرناه ولم تكن فيه شهوة
 نكاح وكان قد سبق في علم الحق إيجاد التوالد والتناسل والنكاح في هذه الدار إنما هو لبقاء النوع فاستخرج من ضلع آدم من القصيري حواء
 فقصرت بذلك عن درجة الرجل كما قال تعالى وللرجال عليهن درجة فما تلحق بهم أبدا وكانت من الضلع للانحناء الذي في الضلع لتحنو
 بذلك على ولدها وزوجها فحنو الرجل على المرأة حنوه على نفسه لأنها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع والضلع
 فيه انحناء وانعطاف وعمر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها إذ لا يبقى في الوجود خلاء فلما عمره بالهواء حن إليها
 حينئذ إلى نفسه لأنها جزء منه وحنن إليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه فحب حواء حب الوطن وحب آدم حب نفسه ولذلك يظهر
 حب الرجل للمرأة إذ كانت عينه وأعطيت المرأة القوة المعبر عنها بالحياء في محبة الرجل فقويت على الإخفاء لأن الوطن لا يتحد بها اتحاد
 آدم بها فصور في ذلك الضلع جميع ما صورته وخلقته في جسم آدم فكان نشء جسم آدم في صورته كنشء الفاخوري فيما ينشئه من الطين و
 الطبخ وكان نشء جسم حواء نشء النجار فيما ينشئه من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسواها وعدلها ففخ فيها
 من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحراث لوجود الإنبات الذي هو التناسل فسكن إليها وسكنت إليه وكانت لباسا
 له وكان لباسا لها قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وسرت الشهوة منه في جميع أجزائه فطلبها فلما تعشأها وألقى الماء في الرحم و
 دار بتلك النطفة من الماء دم الحيض الذي كتبه الله على النساء تكون في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكون منه جسم آدم وجسم
 حواء فهذا هو الجسم الثالث فتولاه الله بالنشء في الرحم حالا بعد حال بالانتقال من ماء إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم ثم كسا العظم
 لحما فلما أتم نشأته الحيوانية أنشأه خلقا آخر فنفخ فيه الروح الإنساني فتبارك الله أحسن الخالقين ولولا طول الأمر لبينا تكوينه في الرحم حالا
 بعد حال ومن يتولى ذلك من الملائكة الموكلين بإنشاء الصور في الأرحام إلى حين الخروج ولكن كان الغرض الإعلام بأن الأجسام الإنسانية و
 إن كانت واحدة في الحد والحقيقة والصور الحسية والمعنوية فإن أسباب تأليفها مختلفة لتأنيخيل أن ذلك لذات السبب تعالى الله بل ذلك
 راجع إلى فاعل مختار يفعل ما يشاء كيف يشاء من غير تجبير ولا قصور على أمر دون أمر لا إله إلا هو العزيز الحكيم ولما قال أهل الطبيعة
 إن ماء المرأة لا يتكون منه شيء وإن الجنين الكائن في الرحم إنما هو من ماء الرجل لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكوينا آخر وإن كان
 تدبيره في الرحم تدبير أجسام البنين فإن كان من ماء المرأة إذ تمثل لها الروح بشرا سويًا أو كان عن نفخ بغير ماء فعلى كل وجه هو جسم رابع
 مغاير في النشء غيره من أجسام النوع ولذلك قال تعالى إن مثل عيسى أي صفة نشء عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الضمير يعود

على آدم و وقع الشبه في خلقه من غير أب أي صفة نشئه صفة نشء آدم إلا أن آدم خلقه من تراب ثم قال له كُن ثم إن عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لأنه أسرع إليه التكوين لما أراد الله أن يجعله آية ويرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة لا بما تقتضيه مما أودع الله فيها من الأسرار والتكوينات العجيبة ولقد أنصف بعض حذاق هذا الشأن الطبيعة فقال لا نعلم منها إلا ما أعطتنا خاصة وفيها ما لا نعلم فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانية وإنها أربعة أجسام مختلفة النشء كما قررنا وأنه آخر المولدات فهو نظير العقل الأول و به ارتبط لأن الوجود دائرة فكان ابتداء الدائرة وجود العقل الأول الذي ورد في الخبر أنه أول ما خلق الله العقل فهو أول الأجناس و انتهى الخلق إلى الجنس الإنساني فكملت الدائرة و اتصل الإنسان بالعقل كما يتصل آخر الدائرة بأولها فكانت دائرة و ما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الأول الذي هو القلم أيضا و بين الإنسان الذي هو الموجود الآخر و لما كانت الخطوط الخارجة من النقطة التي في وسط الدائرة إلى المحيط الذي وجد عنها تخرج على السواء لكل جزء من المحيط كذلك نسبة الحق تعالى إلى جميع الموجودات نسبة واحدة فلا يقع هناك تغيير البتة كانت الأشياء كلها ناظرة إليه و قابلة منه ما يهبها نظر أجزاء المحيط إلى النقطة و أقام سبحانه هذه الصورة الإنسانية بالحركة المستقيمة صورة العمدة الذي للخيمة فجعله لقبه هذه السموات فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعبرنا عنه بالعمدة فإذا فنيت هذه الصورة و لم يبق منها على وجه الأرض أحد متنفس و أنشقت السماء فهي يومئذ واهية لأن العمدة زال و هو الإنسان و لما انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان إليها و خربت الدنيا بانتقاله عنها علمنا قطعاً إن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم و أنه الخليفة حقا و أنه محل ظهور الأسماء الإلهية و هو الجامع لحقائق العالم كله من ملك و فلك و روح و جسم و طبيعة و جماد و نبات و حيوان إلى ما خص به من علم الأسماء الإلهية مع صغر حجمه و جرمه و إنما قال الله فيه بأن خلق السموات و الأرض أكبر من خلق الناس لكون الإنسان متولداً عن السماء و الأرض فهما له كالأبوين فرفع الله مقدرهما و لكن أكثر الناس لا يعلمون فلم يرد في الجرمية فإن ذلك معلوم حسا غير أن الله تعالى ابتلاه ببلاء ما ابتلى به أحداً من خلقه إما لأن يسعده أو يشقيه على حسب ما يوفقه إلى استعماله فكان البلاء الذي ابتلاه به إن خلق فيه قوة تسمى الفكر و جعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل و جبر العقل مع سيادته على الفكر أن يأخذ منه ما يعطيه و لم يجعل للفكر مجالاً إلا في القوة الخيالية و جعل سبحانه القوة الخيالية محل اجامعا لما تعطى القوة الحساسة و جعل له قوة يقال لها المصورة فلا يحصل في القوة الخيالية إلا ما أعطاه الحس أو أعطته القوة المصورة و مادة المصورة من الحسوسات فتركب صوراً لم يوجد لها عين لكن أجزاءها كلها موجودة حسا و ذلك لأن العقل خلق ساذجا ليس عنده من العلوم النظرية شيء و قيل للفكر ميز بين الحق و الباطل الذي في هذه القوة الخيالية فينظر بحسب ما يقع له فقد يحصل في شبهة و قد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك و لكن في زعمه أنه عالم بصور الشبه من الأدلة و أنه قد حصل على علم و لم ينظر إلى قصور المواد التي استند إليها في اقتناء العلوم فيقبلها العقل منه و يحكم بها فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب ثم إن الله كلف هذا العقل معرفته سبحانه ليرجع إليه فيها لا إلى غيره ففهم العقل تقيض ما أراد به الحق بقوله تعالى أ

وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فَاسْتَدَّ إِلَى الْفِكْرِ وَجَعَلَهُ إِمَامًا يَتَقَدَّمُ بِهِ وَغُفِلَ عَنِ الْحَقِّ فِي مَرَادِهِ بِالتَّفَكُّرِ أَنَّهُ خَاطَبَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فَيَرَى أَنَّ عِلْمَهُ بِاللَّهِ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَعْرِيفِ اللَّهِ فَيَكْشِفُ لَهُ عَنِ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَفْهَمْ كُلَّ عَقْلِ هَذَا الْفَهْمَ إِلَّا عَقُولَ خَاصَّةِ اللَّهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَأْفَكَرَهُمْ قَالُوا بَلَى حِينَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي قَبْضَةِ الذَّرِيَةِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ لَا وَاللَّهِ بَلْ عَنَاءُ إِشْهَادِهِ إِيَاهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ أَخْذِهِ إِيَاهُمْ عَنْهُمْ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْأَخْذِ عَنْ قَوَاهِمِ الْمَفْكَرَةِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ لِيَجْتَمِعُوا قَطَّ عَلَى حُكْمٍ وَاحِدٍ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَذَهَبَ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَى مَذْهَبٍ وَكَثُرَتِ الْقَالَةُ فِي الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ الْأَحْمَى وَاجْتَرَأُوا غَايَةَ الْجِرَاءَةِ عَلَى اللَّهِ وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ خَلْقِهِ الْفِكْرَ فِي الْإِنْسَانِ وَأَهْلِ اللَّهِ افْتَقَرُوا إِلَيْهِ فِيمَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ فِي مَعْرِفَتِهِ وَعَلِمُوا أَنَّ الْمَرَادَ مِنْهُمْ رَجُوعَهُمْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَفِي كُلِّ حَالٍ فَمَنْهُمْ الْقَائِلُ سَبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ سَبِيلًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا الْعِجْزَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ قَالَ الْعِجْزَ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكًا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ وَقَالَ تَعَالَى وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ وَتَرَكَوا الْفِكْرَ فِي مَرْتَبَتِهِ وَوَفَوْهُ حَتَّى لَمْ يَنْقَلَوْهُ إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ التَّفَكُّرُ فِيهِ وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَقُولُ وَيُحَدِّثُ رُكْمُ اللَّهِ نَفْسُهُ فَوَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ مَا وَهَبَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَمَظَاهِرِهِ مَا أَشْهَدَهُمْ فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَا يَسْتَحِيلُ عَقْلًا مِنْ طَرِيقِ الْفِكْرِ لَا يَسْتَحِيلُ نِسْبَةَ إِلَهِيَّةٍ كَمَا سَنُورِدُ مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا فِي بَابِ الْأَرْضِ الْمَخْلُوقَةِ مِنْ بَقِيَّةِ طِينَةِ آدَمَ وَغَيْرِهَا فَالَّذِي يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ نَدِينُ اللَّهَ بِهِ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنْ مُمْكِنٍ وَمَحَالٍ وَلَا كُلَّ مَحَالٍ نَافِذٍ الْاِقْتِدَارَ وَاسِعَ الْعَطَاءِ لَيْسَ لِإِبْجَادِهِ تَكَرُّرٌ بَلْ أَمْثَالُ تَحَدُّثٍ فِي جَوْهَرٍ أَوْجَدَهُ وَشَاءَ بَقَاؤُهُ وَلَوْ شَاءَ أَفْنَاهُ مَعَ الْأَنْفَاسِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الباب الثامن) فِي مَعْرِفَةِ الْأَرْضِ الَّتِي خَلَقْتَ مِنْ بَقِيَّةِ خَمِيرَةِ طِينَةِ آدَمَ هِيَ أَرْضُ الْحَقِيقَةِ وَذَكَرَ بَعْضُ مَا فِيهَا مِنَ الْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ

أنت الأئمة عندنا المجهولة	يا أخت بل يا عمتي المعقولة
فتنافسوا عن همة مغلوله	نظر البنون إليك أخت أيهم
عطفوا عليك بأنفس مجبوله	إلا القليل من البنين فإنهم
فيك الاخي محققا تنزله	يا عمتي قل كيف أظهر سره
قد يرتضي رب الوري توكيله	حتى بدا من مثل ذاتك عالم
المأموم أمثال له مسلوله	أنت الإمامة والإمام أخوك و

اعلم أن الله تعالى لما خلق آدم الذي هو أول جسم إنساني تكون وجعله أصلاً لوجود الأجسام الإنسانية وفضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهي أخت لآدم وهي لنا عمه وسمها الشرع عمه وشبهها بالمؤمن ولها أسرار عجيبة دون سائر النبات وفضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسم في الحفاء فمد الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء إذا جعل العرش وما حواه والكرسي والسموات والأرضون وما تحت الثرى والجنات كلها والنار في هذه الأرض كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وفيها من

العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره ويهر العقول أمره وفي كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يقرون وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله وعظمت عند المشاهد لها قدرته وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها هي موجودة في هذه الأرض وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها وقد أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيما روى عنه في حديث هذه الكعبة وإنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً وأن في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا حتى إن فيهم ابن عباس مثلي وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف فلنرجع إلى ذكر هذه الأرض واتساعها وكثرة عالمها المخلوقين فيها ومنها ويقع للعارفين فيها تجليات إلهية أخبر بعض العارفين بأمر أعرفه شهوداً قال دخلت فيها يوماً مجلساً يسمى مجلس الرحمة لم أجلس قط أعجب منه فبينما أنا فيه إذ ظهر لي تجل إلهي لم يأخذني عني بل أبقاني معي وهذا من خاصية هذه الأرض فإن التجليات الواردة على العارفين في هذه الدار في هذه الهياكل تأخذهم عنهم وتفنيهم عن شهودهم من الأنبياء والأولياء وكل من وقع له ذلك وكذلك عالم السموات العلى والكرسي الأزهى وعالم العرش المحيط الأعلى إذا وقع لهم تجل إلهي أخذهم عنهم وصعقوا وهذه الأرض إذا حصل فيها صاحب الكشف العارف ووقع له تجل لم يفنه عن شهوده ولا اختطفه عن وجوده وجمع له بين الرؤية والكلام قال واتفق لي في هذا المجلس أمور وأسرار لا يسعني ذكرها لغموض معانيها وعدم وصول الإدراكات قبل أن يشهد مثل هذه المشاهد لها وفيها من البساتين والجنات والحيوان والمعادن ما لا يعلم قدر ذلك إلا الله تعالى وكل ما فيها من هذا كله حي ناطق كحياة كل حي ناطق ما هو مثل ما هي الأشياء في الدنيا وهي باقية لا تفنى ولا تتبدل ولا يموت عالمها وليست تقبل هذه الأرض شيئاً من الأجسام الطبيعية الطينية البشرية سوى عالمها أو عالم الأرواح منا بالخاصية وإذا دخلها العارفون إنما يدخلونها بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجددون وفي تلك الأرض صور عجيبة النشاء بديعة الخلق قائمون على أفواه السكك المشرفة على هذا العالم الذي نحن فيه من الأرض والسماء والجنة والنار فإذا أراد واحد منا الدخول لتلك الأرض من العارفين من أي نوع كان من إنس أو جن أو ملك أو أهل الجنة بشرط المعرفة وتجرد عن هيكله وجد تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها قد نصبهم الله سبحانه لذلك الشغل فيبادر واحد منهم إلى هذا الداخل فيخلع عليه حلة على قدر مقامه ويأخذ بيده ويجول به في تلك الأرض ويتبأ منها حيث يشاء ويعتبر في مصنوعات الله ولا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء ويريد أن يكلمه إلا كلمه كما يكلم الرجل صاحبه ولهم لغات مختلفة وتعطي هذه الأرض بالخاصية لكل من دخلها الفهم بجميع ما فيها من الألسنة فإذا قضى منها وطره وأراد الرجوع إلى موضعه مشى معه رفيقه إلى أن يوصله إلى الموضع الذي دخل منه يوادعه ويخلع عنه تلك الحلة التي كساه وينصرف عنه وقد حصل علومها حجة ودلائل وزاد في علمه بالله ما لم يكن عنده مشاهدة وما رأيت الفهم ينفذ أسرع مما ينفذ إذا حصل في هذه الأرض وقد ظهر عندنا في هذه الدار وهذه النشأة ما يعضد هذا القول فمن ذلك ما شاهدناه ولا أذكره ومنها ما حدثني أوحد الدين حامد بن أبي الفخر الكرمانى و

فقه الله قال كنت أخدم شيخا وأنا شاب فمرض الشيخ وكان في محارة وقد أخذه البطن فلما وصلنا تكريت قلت له يا سيدي اتركني أطلب لك دواء ممسكا من صاحب مارستان سنجار من السبيل فلما رأى احتراقي قال لي رح إليه قال فرحت إلى صاحب السبيل وهو في خيمته جالس ورجاله بين يديه قاثون والشمعة بين يديه وكان لا يعرفني ولا أعرفه فرآني واقفا بين الجماعة فقام إلي وأخذ بيدي وأكرماني وسألني ما حاجتك فذكرت له حال الشيخ فاستحضر الدواء وأعطاني إياه وخرج معي في خدمتي والخدام بالشمعة بين يديه فخفت أن يراه الشيخ فيحرج فحلفت عليه أن يرجع فرجع فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة الأمير صاحب السبيل بي فتبسم الشيخ وقال لي يا ولدي إني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي فأذنت لك فلما مشيت خفت أن ينجلك الأمير بعدم إقباله عليك فتجردت عن هيكلتي هذا ودخلت في هيكل ذلك الأمير وقعدت في موضعه فلما جئت أكرمك وفعلت معك ما رأيت ثم عدت إلى هيكلتي هذا ولا حاجة لي في هذا الدواء وما استعمله فهذا شخص قد ظهر في صورة غيره فكيف أهل تلك الأرض قال لي بعض العارفين لما دخلت هذه الأرض رأيت فيها أرضا كلها مسك عطر لوشمه أحد منا في هذه الدنيا لهلك لقوة رائحته تمتد ما شاء الله إن تمتد ودخلت في هذه الأرض أرضا من الذهب الأحمر اللين فيها أشجار كلها ذهب وثمرها ذهب فيأخذ التفاحة أو غيرها من الثمر فيأكلها فيجد من لذة طعمها وحسن رائحتها ونعمتها ما لا يصفها واصف تقصر فاكهة الجنة عنها فكيف فاكهة الدنيا والجسم والشكل والصورة ذهب والصورة والشكل كصورة الثمرة وشكلها عندنا وتختلف في الطعم وفي الثمرة من النقش البدع والزينة الحسنة ما لا توهمه نفس فأحرى إن تشهد عين ورأيت من كبر ثمرها بحيث لو جعلت الثمرة بين السماء والأرض لحجبت أهل الأرض عن رؤية السماء ولو جعلت على الأرض لفضلت عليها أضعافا وإذا قبض عليها الذي يريد أكلها بهذه اليد المعهودة في القدر عمها بقبضته لنعمتها ألطف من الهواء يطبق عليها يده مع هذا العظم وهذا مما تحيله العقول هنا في نظرها ولما شاهدتها ذو النون المصري نطق بما حكى عنه من إيراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير أو يكبر الصغير أو يوسع الضيق أو يضيق الواسع فالعظم في التفاحة على ما ذكرته باق والقبض عليها باليد الصغيرة والإحاطة بها موجود والكيفية مشهودة مجهولة لا يعرفها إلا الله وهذا العلم مما انفرد الحق به واليوم الواحد الزماني عندنا هو عدة سنين عندهم وأزمنة تلك الأرض مختلفة قال ودخلت فيها أرضا من فضة بيضاء في الصورة ذات شجر وأنهار وثمر شهى كل ذلك فضة وأجسام أهلها منها كلها فضة وكذلك كل أرض شجرها وثمرها وأنهارها وبحارها وخلقتها من جنسها فإذا تنووت وأكلت وجد فيها من الطعم والروائح والنعمة مثل سائر المأكولات غير أن اللذة لا توصف ولا تحكي ودخلت فيها أرضا من الكافور الأبيض وهي في أماكن منها أشد حرارة من النار يخوضها الإنسان ولا تحرقه وأماكن منها معتدلة وأماكن باردة وكل أرض من هذه الأرضين التي هي أماكن في هذه الأرض الكبيرة لو جعلت السماء فيها لكأنت كحلقة في فلاة بالنسبة إليها وما في جميع أراضيها أحسن عندي ولأوفق لمزاجي من أرض الزعفران وما رأيت عالما من عالم كل أرض أبسط نفوسا منهم ولا أكثر بشاشة بالوارد عليهم يتلقونه بالترحيب والتأهيل ومن

عجائب مطعوماتها أنه أي شيء أكلت منها إذا قطعت من الثمرة قطعة نبتت في زمان قطعك إياها مكانها ما سد تلك الثلمة أو تقطف بيدك ثمرة من ثمرها فزمان قطفك إياها يكون مثلها بحيث لا يشعر بها إلا الفطن فلا يظهر فيها نقص أصلا وإذا نظرت إلى نساتها ترى أن النساء الكائنات في الجنة من الحور بالنسبة إليهن كسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان وأما مجامعتن فلا يشبه لذتها لذة وأهلها أعشق الخلق فيمن برد عليهم وليس عندهم تكليف بل هم محبوبون على تعظيم الحق وجلاله تعالى لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا وأما أبنيتهم فمنها ما يحدث عن همهم ومنها ما يحدث كما تبني عندنا من اتخاذ الآلات وحسن الصنعة ثم إن بحارها لا يمتزج بعضها ببعض كما قال تعالى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فِتْنَايَنْ مِنْتَهَى بَحْرٍ الذَّهَبُ تَصْطَفِقُ مَوَاجِحَهُ وَيَأْشُرُهُ بِالْمَجَاوِرَةِ بِحْرِ الْحَدِيدِ فَلَا يَدْخُلُ مِنْ وَاحِدٍ فِي الْآخَرِ شَيْءٌ وَمَا وَهْمُ الْطُفِّ مِنَ الْهَوَاءِ فِي الْحَرَكَةِ وَالسَّيْلَانِ وَهُوَ مِنَ الصَّفَاءِ بِحَيْثُ أَنْ لَا يَخْفَى عَنْكَ مِنْ دَوَابِهِ وَلَا مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي يَجْرِي الْبَحْرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَشْرَبَ مِنْهُ وَجَدْتَ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ مَا لَا تَجِدُهُ لِمَشْرُوبِ أَصْلَا وَخَلَقَهَا يَنْبَتُونَ فِيهَا كَسَائِرِ النَّبَاتَاتِ مِنْ غَيْرِ تَنَاسُلٍ بَلْ يَتَكُونُونَ مِنْ أَرْضِهَا تَكُونُ الْحَشْرَاتُ عِنْدَنَا وَلَا يَنْعَقِدُ مِنْ مَائِهِمْ فِي نِكَاحِهِمْ وَلَدٌ وَإِنْ نَكَحَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لِحْجَرِ الشَّهْوَةِ وَالتَّعِيمِ وَأَمَّا مَرَاجِبُهُمْ فَتَعْظُمُ وَتَصْغُرُ بِحَسَبِ مَا يَرِيدُهُ الرَّابِطُ وَإِذَا سَافَرُوا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فَإِنَّهُمْ يَسَافِرُونَ بَرًا وَبَحْرًا وَسُرْعَةُ مَشِيهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أَسْرَعُ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصْرِ لِلْمَبْصُرِ وَخَلَقَهَا مَتَفَاوِتُونَ فِي الْأَحْوَالِ ففِيهِمْ مَنْ تَعَلَّبَ عَلَيْهِمُ الشَّهْوَاتُ وَفِيهِمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمُ جَنَابِ الْحَقِّ وَرَأَيْتُ فِيهَا أَلْوَانًا لَا أَعْرِفُهَا فِي أَلْوَانِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ فِيهَا مَعَادِنَ تُشَبِّهُ الذَّهَبَ وَمَا هِيَ بِذَهَبٍ وَلَا نَحَاسٍ وَأَحْجَارًا مِنَ اللَّكْوِيِّ يَنْفَعُهَا الْبَصْرُ لَصَفَائِهَا شَفَافَةً مِنَ الْيَوَاقِيتِ الْحُمْرِ وَمَنْ أَعْجَبَ مَا فِيهَا إِدْرَاكُ الْأَلْوَانِ فِي الْأَجْسَامِ السَّفَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ كَالْهَوَاءِ وَيَتَعَلَّقُ الْإِدْرَاكُ بِأَلْوَانِهَا كَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْوَانِ الَّتِي فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَعَلَى أَبْوَابِ مَدَائِنِهَا عَقُودُ مِنَ الْأَحْجَارِ الْيَاقُوتِيَّةِ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا يَزِيدُ عَلَى الْخَمْسِمِائَةِ ذِرَاعًا وَعُلُوُّ الْبَابِ فِي الْهَوَاءِ عَظِيمٌ وَعَلِيهِ مَعْلُوقٌ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْعُدَدِ مَا لَوْ اجْتَمَعَ مَلِكُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا وَفِي بِهَا وَعِنْدَهُمْ ظِلْمَةٌ وَنُورٌ مِنْ غَيْرِ شَمْسٍ تَتَعَاقَبُ وَتَعَاقِبُهُمَا يَعْرِفُونَ الزَّمَانَ وَظَلَمَتَهُمْ لَا تَحْجِبُ الْبَصْرَ عَنْ مَدْرَكِهِ كَمَا لَا يَحْجِبُهُ النُّورُ وَيَغْزُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ شَحْنَاءٍ وَلَا عَدَاوَةٍ وَلَا فِسَادِ بَنِيَّةٍ وَإِذَا سَافَرُوا فِي الْبَحْرِ وَغَرَقُوا لَا يَعْدُو عَلَيْهِمُ الْمَاءُ كَمَا يَعْدُو عَلَيْنَا بَلْ يَمِشُونَ فِيهِ كَمِشِي دَوَابِهِ حَتَّى يَلْحَقُوا بِالسَّاحِلِ وَتَحُلُّ بِتِلْكَ الْأَرْضِ زَلْزَلٌ لَوْ حَلَّتْ بِنَا لَاتَقَلَّبَتِ الْأَرْضُ وَهَلَكَ مَا كَانَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَقَدْ كُنْتُ يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ فِي حَدِيثٍ وَجَاءَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ بِحَيْثُ إِنِّي رَأَيْتُ الْأَبْنِيَّةَ تَتَحَرَّكُ كُلُّهَا تَحْرُكًا لَا يَقْدِرُ الْبَصْرُ يَتِمَكَّنُ مِنْ رُؤْيَيْهَا السَّرْعَةَ الْحَرَكَةَ مَرُورًا وَكُرُورًا وَمَا عِنْدَنَا خَبْرٌ وَكَانَا عَلَى الْأَرْضِ قِطْعَةً مِنْهَا إِلَى أَنْ فَرَّغْتُ الزَّلْزَلَةَ فَلَمَّا فَرَّغْتُ وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ أَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ بِيَدِي وَعَزَّتِي فِي ابْنَةِ لِي اسْمُهَا فَاطِمَةُ فَقُلْتُ لِلْجَمَاعَةِ إِنِّي تَرَكْتُهَا فِي عَافِيَةٍ عِنْدَ وَالِدَتِهَا قَالُوا صَدَقْتَ وَلَكِنْ هَذِهِ الْأَرْضُ مَا تَزَلْزَلُ بِنَا وَعِنْدَنَا أَحَدٌ إِلَّا مَاتَ ذَلِكَ الشَّخْصُ أَوْ مَاتَ لَهُ أَحَدٌ وَإِنْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ لَمُوتِ ابْنَتِكَ فَانظُرْ فِي أَمْرِهَا فَتَعَدَّتْ مَعَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَصَاحِبِي يَنْتَظِرُنِي فَلَمَّا أُرِدْتُ فَرَاقَهُمْ مَشُوا مَعِي إِلَى فَمِ السَّكَّةِ وَأَخَذُوا خَلْعَتَهُمْ وَجِئْتُ إِلَى بَيْتِي فَلَقِيتُ صَاحِبِي فَقَالَ لِي إِنَّ فَاطِمَةَ تَنَازَعَتْ فَدَخَلَتْ عَلَيْهَا فَفَضَّتْ وَكُنْتُ بِمَكَّةَ مَجَاوِرًا فَجَهَّزْنَاهَا وَدَفَنَّاهَا بِالْمَعْلَى فَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ مَا أَخْبَرْتُ عَنْ

تلك الأرض ورأيت بها كعبة يطوف بها أهلها غير مكسوة وتكون أكبر من البيت الذي بمكة ذات أركان أربعة تكلمهم إذا طافوا بها وتحييمهم وتقيدهم علوما لم تكن عندهم ورأيت في هذه الأرض بحرا من تراب يجري مثل ما يجري الماء ورأيت حجارة صغارا وكبارا يجري بعضها إلى بعض كما يجري الحديد إلى المغناطيس فتتألف هذه الحجارة ولا تنفصل بعضها من بعض بطبعها إلا إن فصلها فاصل مثل ما يفصل الحديد عن المغناطيس ليس في قوته أن يمتنع فإذا ترك وطبعه جرت بعضها إلى بعض على مقدار من المساحة مخصوص فتضم هذه الحجارة بعضها إلى بعض فينشأ منها صورة سفينة ورأيت منها مركبا صغيرا وشينين فإذا التأمت السفينة من تلك الحجارة رموا بها في بحر التراب وركبوا فيها وسافروا حيث يشتهون من البلاد غير إن قاع السفينة من رمل أو تراب يلصق بعضه ببعض لصوق الخاصة فمما رأيت فيما رأيت أعجب من جريان هذه السفن في ذلك البحر و صورة الإنشاء في المراكب سواء غير أن لهم في جناحي السفينة مما يلي مؤخرها أسطوانتين عظيمتين تعلو المركب أكثر من القامة وأرض المركب من جهة مؤخره ما بين الأسطوانتين مفتوح متساو مع البحر ولا يدخل فيه من رمل ذلك البحر شيء أصلا بالخاصية وهذا شكله



وفي هذه الأرض مدائن تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطنعي مختار وهي ثلاث عشرة مدينة وهي على سطح واحد وبنائها عجيب وذلك أنهم عمدوا إلى موضع في هذه الأرض فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة يسير الراكب فيها إذا أراد أن يدور بها مسيرة ثلاثة أعوام فلما أقاموها جعلوها خزانة لمنافعهم ومصالحهم وعددهم وأقاموا على بعد من جوانبها أبراجا تعلو على أبراج المدينة بما دار بها ومدوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسقف للبيت وجعلوا ذلك السقف أرضا بنوا عليه مدينة أعظم من التي بنوا أولا وعمرها واتخذوها مسكنا فضاقت عنهم فبنوا عليها مدينة أخرى أكبر منها وما زال يكثر عمارها وهم يصعدون بالبنان طبقة فوق طبقة حتى بلغت ثلاث عشرة مدينة ثم إنني غبت عنهم مدة ثم دخلت إليهم مرة أخرى فوجدتهم قد زادوا مدينتين واحدة فوق أخرى ولهم ملوك فيهم لطف وحنان صحبت منهم جماعة منهم التالي وهو التابع بمنزلة القليل في حير ولم أر ملكا أكثر منه ذكر الله قد شغله ذكر الله عن تدبير ملكه انتفعت به وكان كثير المجالسة لي ومنهم ذو العرف وهو ملك عظيم لم أر في ملوك الأرض أكثر من تأتي إليه الرسل من الملوك منه وهو كثير الحركة هين لين يصل إليه كل أحد يتلطف في النزول لكنه إذا غضب لم يقم لغضبه شيء أعطاه الله من القوة ما شاء ورأيت لبحرها

ملكاً منيع الحمى يدعي السابح هو قليل المجالسة مع من يقصد إليه و ما له ذلك الائتفات إلى أحد غير أنه مع ما يخاطر له لا مع ما يراد منه و يجاوره سلطان عظيم اسمه السابق إذا دخل عليه الوافد قام إليه من مجلسه و بش في وجهه و أظهر السرور بقدمه و قام له بجميع ما يحتاج إليه من قبل أن يسأله عن شيء فقلت له في ذلك فقال لي أكره أن أرى في وجه السائل ذلة السؤال لمخلوق غير أن يذل أحد لغير الله و ما كل أحد يقف مع الله على قدم التوحيد و إن أكثر الوجوه مصروفة إلى الأسباب الموضوععة مع الحجاب عن الله فهذا يجعلني أن أبادر إلى ما ترى من كرامة الوافد قال و دخلت على ملك آخر يدعي القائم بأمر الله لا يلتفت إلى الوافد عليه لاستيلاء عظمة الحق على قلبه فلا يشعر بالوافد و ما يفد عليه من يفد من العارفين إلا لينظروا إلى حاله التي هو عليها تراه واقفا قد عقد يديه إلى صدره عقد العبد الذليل الجاني مطرقاً إلى موضع قدميه لا تتحرك منه شعرة و لا يضطرب منه مفصل كما قيل في قوم هذه حالتهم مع سلطانهم

كأنما الطير منهم فوق رؤوسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

يتعلم العارفون منه حال المراقبة قال و رأيت ملكاً يدعي بالرداع مهيب المنظر لطيف المخبر شديد الغيرة دائم الفكرة فيما كلف النظر فيه إذا رأى أحداً يخرج عن طريق الحق رده إلى الحق قال صحبته و انتفعت به و جالست من ملوكهم كثيراً و رأيت منهم من عجائب مما يرجع إلى ما عندهم من تعظيم الله ما لو سطرناه لأعيا الكاتب و السامع فاقصرنا على هذا القدر من عجائب هذه الأرض و مدائنها لا تحصى كثرة و مدائنها أكثر من ضياعها و جميع من يملكها من الملوك ثمانية عشر سلطاناً منهم من ذكرنا و منهم من سكننا عنه و لكل سلطان سيرة و أحكام ليست لغيره قال و حضرت يوماً في ديوانهم لأرى ترتيبهم فمما رأيت أن الملك منهم هو الذي يقوم برزق رعيته بلغوا ما بلغوا فرأيتهم إذا استوى الطعام وقف خلق لا يحصى عددهم كثرة يسمونهم الجباة و هم رسل أهل كل بيت فيعطيه الأمين من المطبخ على قدر عائلته و يأخذه الجابي و ينصرف و أما الذي يقسمه عليهم شخص واحد لا غير له من الأيدي على قدر الجباة فيعرف في الزمن الواحد لكل شخص طعامه في وعائه و ينصرف و ما فضل من ذلك يرفع إلى خزانة فإذا فرغ منهم ذلك القاسم دخل الخزانة و أخذ ما فضل و خرج به إلى الصعاليك الذين على باب دار الملك فيلقيه إليهم فيأكلوه و هكذا في كل يوم و لكل ملك شخص حسن الهيئة هو على الخزانة يدعونه الخازن بيده جميع ما يملكه ذلك الملك و من شرعهم أنه إذا ولّاه ليس له عزله و رأيت فيهم شخصاً أعجبتني حركته و هو جالس إلى جانب الملك و كتبت على يمين الملك فسألته ما منزلة هذا عندكم فتبسم و قال أعجبتك قلت له نعم قال هذا المعمار الذي يبني لنا المساكن و المدن و جميع ما تراه من آثار عمله و رأيت في سوق صيارفهم أنه لا ينتقد لهم سكنهم إلا واحد في المدينة كلها و فيما تحت يد ذلك الملك من المدن قال و هكذا رأيت سيرتهم في كل أمر لا يقوم به إلا واحد لكن له وزعة و أهل هذه الأرض أعرف الناس بالله و كل ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الأرض ممكناً قد وقع و إن الله على كل شيء قدير فعلمنا إن العقول قاصرة و إن الله قادر على جمع الضدين و وجود الجسم في مكانين و قيام العرض بنفسه و انتقاله و قيام المعنى بالمعنى و كل حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض و كل

جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك و جن وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض لها من هذه الأرض موضع مخصوص و لهم رقائق ممتدة إلى جميع العالم و على كل رقيقة أمين فإذا عاين ذلك الأمين روحا من الأرواح قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده كسأه إياها كصورة دحية لجبريل و سبب ذلك أن هذه الأرض مدها الحق تعالى في البرزخ و عين منها موضعا لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيات و تنتقل إليها النفوس عند النوم و بعد الموت فنحن من بعض عالمها و من هذه الأرض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق و نحن نبين لك مثال صورة امتداد الطرف الذي يلي العالم من هذه الأرض و ذلك أن الإنسان إذا نظر إلى السراج أو الشمس و القمر ثم حال بأهداب أجفانه بين الناظر و الجسم المستنير يبصر من ذلك الجسم المستنير إلى عينيه شبه الخطوط من النور تتصل من السراج إلى عينيه متعددة فإذا رفع تلك الأهداب من مقابلة الناظر قليلا قليلا يرى تلك الخطوط الممتدة تنقبض إلى الجسم المستنير فالجسم المستنير مثال للموضع المعين من هذه الأرض لتلك الصور و الناظر مثال العالم و امتداد تلك الخطوط كصور الأجساد التي تنتقل إليها في النوم و بعد الموت و في سوق الجنة و التي تلبسها الأرواح و قصدك إلى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل من إرسال الأهداب الحائلة بين الناظر و الجسم النير مثال الاستعداد و انبعاث تلك الخطوط عند هذه الحال انبعاث الصور عند الاستعداد و انقباض الخطوط إلى الجسم النير عند رفع الحائل رجوع الصور إلى تلك الأرض عند زوال الاستعداد و ليس بعد هذا البيان بيان و قد بسطنا القول في عجائب هذه الأرض و ما يتعلق بها من المعارف في كتاب كبير لنا فيها خاصة انتهى الجزء الحادي عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع) في معرفة وجود الأرواح المارجية النارية

صورة الجن برزخا بين شيئين	مرج النار و النبات فقامت
في حضيض و بين روح بلائين	بين روح مجسم ذي مكان
طلب القوت للتغذي بلايين	فالذي قابل التجسم منها
قبل القلب بالتشكل في العين	و الذي قابل الملائك منها
و يجازى مخالفوهم بنارين	و لهذا يطيع وقتا و يعصي

قال الله تعالى وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ و ورد في الحديث الصحيح أن الله خلق الملائكة من نور و خلق الله الجان من نار و خلق الإنسان مما قيل لكم فأما قوله في خلق الإنسان مما قيل لكم و لم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة و الجان طلبا للاختصار فإنه أوتي جوامع الكلم و هذا منها فإن الملائكة لم يختلف أصل خلقها و لا الجان و أما الإنسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق فخلق آدم لا يشبه خلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم و خلق عيسى لا يشبه خلق من ذكرنا فقصده رسول الله صلى الله عليه و سلم الاختصار و أحال على

ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان فآدم من طين و حواء من ضلع و عيسى من نفخ روح و بنو آدم من ماء مِهِينٍ و لما أنشأ الله الأركان الأربعة و علا الدخان إلى مقعر فلك الكواكب الثابتة و فتق في ذلك الدخان سبع سماوات ميز بعضها عن بعض و أوحى في كل سماء أمرها بعد ما قدر في الأرض أقواتها و ذلك كله في أربعة أيام ثم قال للسماوات و الأرض أثبتا طوعاً أو كرهاً أي أجيبا إذا دعيتما لما يراد منكما مما أمنتما عليه أن تبرزاه ف قالتا أثبتنا طائعين فجعل سبحانه بين السماء و الأرض التحاماً معنوياً و توجهها لما يريد سبحانه أن يوجد في هذه الأرض من المولدات من معدن و نبات و حيوان و جعل الأرض كالأهل و جعل السماء كالبعل و السماء تلقي إلى الأرض من الأمر الذي أوحى الله فيها كما يلقي الرجل الماء بالجماع في المرأة و تبرز الأرض عند الإلقاء ما خبأه الحق فيها من التكوينات على طبقاتها فكان من ذلك أن الهواء لما اشتعل و حمي اتقد مثل السراج و هو اشتعال النار ذلك اللهب الذي هو احتراق الهواء و هو المارح و إنما سمي ما رجا لأنه نار مختلط بهواء و هو الهواء المشتعل فإن المرح الاختلاط و منه سمي المرح مرجاً لاختلاط النبات فيه فهو من عنصرين هواء و نار أعني الجان كما كان آدم من عنصرين ماء و تراب عجن به فحدث له اسم الطين كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارح ففتح سبحانه في ذلك المارح صورة الجان فيما فيه من الهواء يتشكل في أي صورة شاء و بما فيه من النار سخف و عظم لطفه و كان فيه طلب القهر و الاستكبار و العزة فإن النار أرفع الأركان مكاناً و له سلطان على إحالة الأشياء التي تقتضيها الطبيعة و هو السبب الموجب لكونه استكبر عن السجود لآدم عند ما أمره الله عز و جل بتأويل أداه أن يقول أنا خيرٌ منه يعني بحكم الأصل الذي فضل الله به بين الأركان الأربعة و ما علم إن سلطان الماء الذي خلق منه آدم أقوى منه فإنه يذهب و إن التراب أثبت منه للبرد و اليبس فالآدم القوة و الثبوت لغلبة الركين اللذين أوجده الله منهما و إن كان فيه بقية الأركان و لكن ليس لها ذلك السلطان و هو الهواء و النار كما في الجان من بقية الأركان و لذا سمي ما رجا و لكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان و أعطى آدم التواضع للطبيعة بالطبع فإن تكبر فلأمر يعرض له يقبله بما فيه من النارية كما يقبل اختلاف الصور في خياله و في أحواله من الهوائية و أعطى الجان التكبر بالطبع للنارية فإن تواضع فلأمر يعرض له يقبله بما فيه من الترابية كما يقبل الثبات على الإغواء إن كان شيطاناً و الثبات على الطاعات إن لم يكن شيطاناً و قد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم لما تلا سورة الرحمن على أصحابه قال إني تلوتهما على الجن فكانوا أحسن استماعاً لها منكم فكانوا يقولون و لا بشيء من آلاء ربنا نكذب إذ قلت فيآي الآء ربكم أن نكذب بان ثابتين عليه ما تزلزلوا عند ما كان يقول لهم ع في تلاوته فيآي الآء ربكم أن نكذب بان و ذلك بما فيه من الترابية و بما فيه من المائة ذهبت بحمية النارية فمنهم الطائع و العاصي مثلنا و لهم التشكل في الصور كالملائكة و أخذ الله بأبصارنا عنهم فلا تراهم إلا إذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم و لما كانوا من عالم السخافة و اللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني إنما هي أول صورة قبل عند ما أوجده الله ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها و لو كشف الله عن أبصارنا حتى نرى ما تصوره القوة المصورة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المنخيل منا لرأيت مع الأناة الإنسان في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً و لما نفع الروح في

اللهب وهو كثير الاضطراب لسخافته و زاده النفخ اضطرابا و غلب الهواء عليه و عدم قراره على حالة واحدة ظهر عالم الجان على تلك الصورة و كما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرحم فكانت الذرية و التوالد في هذا الصنف البشري الآدمي كذلك وقع التناسل في الجان بإلقاء الهواء في رحم الأنثى منهم فكانت الذرية و التوالد في صنف الجان و كان وجودهم بالقوس و هو ناري هكذا ذكر الوارد حفظه الله فكان بين خلق الجان و خلق آدم ستون ألف سنة و كان ينبغي على ما يزعم بعض الناس أن ينقطع التوالد من الجان بعد انقضاء أربعة آلاف سنة و ينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء سبعة آلاف سنة و لم يقع الأمر على ذلك بل الأمر راجع إلى ما يريد الله فالتوالد في الجن إلى اليوم باق و كذلك فينا فتحقق بهذا كم لآدم من السنين و كم بقي إلى انقضاء الدنيا و فناء البشر عن ظهرها و انقلابهم إلى الدار الآخرة و ليس هذا بمذهب الراسخين في العلم و إنما قال به شذمة لا يعد بقولها فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار و الجان أرواح منفوخة في رياح و الأناسي أرواح منفوخة في أشباح و يقال إنه لم يفصل عن الموجود الأول من الجان أنثى كما فصلت حواء من آدم قال بعضهم إن الله خلق للموجود الأول من الجان فرجا في نفسه فنكح بعضه ببعض فولد مثل ذرية آدم ذكرانا و إناثا ثم نكح بعضهم بعضا فكان خلقه خنثى و لذلك هم الجان من عالم البرزخ لهم شبهة بالبشر و شبهة بالملائكة كخنثى يشبه الذكر و يشبه الأنثى و قد روينا فيما روينا من الأخبار عن بعض أئمة الدين أنه رأى رجلا و معه ولدان و كان خنثى الواحد من ظهره و الآخر من بطنه نكح فولد له و نكح فولد و سمي خنثى من الانخثات و هو الاسترخاء و الرخاوة و عدم القوة و الشدة فلم تقويه قوة الذكورية فيكون ذكرا و لم تقويه قوة الأنوثة فيكون أنثى فاسترخى عن هاتين القوتين فسمي خنثى و الله أعلم و لما غلب على الجان عنصر الهواء و النار لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء مما في العظام من الدسم فإن الله جاعل لهم فيها رزقا فإننا نشاهد جوهر العظم و ما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء فعلمنا قطعا إن الله جاعل لهم فيها رزقا و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم في العظام إنها زاد إخوانكم من الجن و في حديث إن الله جاعل لهم فيها رزقا و أخبرني بعض المكاشفين أنه رأى الجن يأتون إلى العظم فيشمونه كما تشم السباع ثم يرجعون و قد أخذوا رزقهم و غذاؤهم في ذلك الشم فسبحان اللطيف الخبير و أما اجتماع بعضهم ببعض عند النكاح فالتواء مثل ما تبصر الدخان الخارج من الأتون أو من فرن الفخار يدخل بعضه في بعضه فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل و يكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرد الرائحة كغذائهم سواء و هم قبائل و عشائر و قد ذكر أنهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولا ثم يفرعون إلى أفخاذ و تقع بينهم حروب عظيمة و بعض الزواجر قد يكون عين حربهم فإن الزوجة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبها أن تخترقها فيؤدي ذلك المنع إلى الدور المشهود في الغبرة في الحس التي آتاها تقابل الريحين المتضادين فمثل ذلك يكون حربهم و ما كل زوجة حربهم و حديث عمرو الجني حمد الله مشهورة مروية و قتله في الزوجة التي أبصرت فانتشعت عنه و هو على الموت فما لبث إن مات و كان عبدا صالحا من الجان و لو كان هذا الكتاب مبناه على إيراد أخبار و حكايات لذكرنا منها طرفا و إنما هذا كتاب علم المعاني فليظن حكاياتهم في تواريخ الأدب و أشعارهم ثم نرجع و نقول و إن هذا العالم الروحاني إذا تشكل و ظهر في صورة حسية يقيد به البصر

بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ينظر إليه بالخاصية ولكن من الإنسان فإذا قيده ولم يبرح ناظرا إليه وليس له موضع يتوارى فيه أظهر له هذا الروحاني صورة جعلها عليه كالستر ثم يخيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة فيتبعها بصره فإذا اتبعها بصره خرج الروحاني عن تقيده فغاب عنه وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي اتبعها بصره فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره فإذا غاب جسم السراج فقد ذلك النور فهكذا هذه الصورة فمن يعرف هذا ويجب تقيده لا يتبع الصورة بصره وهذا من الأسرار الإلهية التي لا تعرف إلا بتعريف الله وليست الصورة غير عين الروحاني بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان أو في كل مكان و مختلفة الأشكال وإذا اتفق قتل صورة من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ كما تنتقل نحن بالموت ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواء وتسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجسادا وهو قوله تعالى وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً وَقوله وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْجَنِّ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ إِنِ اشْتَرَكُوا فِي الرُّوحَانِيَةِ أَنَّ الْجَنِّ غَذَاؤُهُمْ مَا تَحْمَلُهُ الْأَجْسَامُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَ الْمَلَائِكَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ وَ لِهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي قِصَّةِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَّا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ يَعْنِي إِلَى الْعَجَلِ الْحَنِيدِ أَيْ لَّا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ خَافَ وَ حِينَ جَاءَ وَ قَتَّ إِنْشَاءَ عَالَمِ الْجَنِّ تَوَجَّهَ مِنَ الْأَمْنَاءِ الَّذِينَ فِي الْفَلَكَ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثَلَاثَةَ ثَمَّ أَخَذُوا مِنْ نَوَابِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ فِي هَذَا النَّشْءِ ثَمَّ نَزَلُوا إِلَى السَّمَوَاتِ فَأَخَذُوا مِنَ النَّوَابِ اثْنَيْنِ مِنَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَ السَّادِسَةَ مِنْ هُنَاكَ وَ نَزَلُوا إِلَى الْأَرْكَانِ فَهَيَّؤُوا الْحُلَّ وَ اتَّبَعْتَهُمْ ثَلَاثَةَ آخَرَ مِنَ الْأَمْنَاءِ وَ أَخَذُوا مِنَ الثَّانِيَةِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَوَابِهِمْ ثَمَّ نَزَلُوا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَ الْخَامِسَةَ مِنْ هُنَاكَ فَأَخَذُوا مِنْ مَلَكَيْنِ وَ مَرُوا بِالسَّمَاءِ السَّادِسَةَ فَأَخَذُوا نَائِبًا آخَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ نَزَلُوا إِلَى الْأَرْكَانِ لِيَكْمُلُوا التَّسْوِيَةَ فَنَزَلَتِ السَّادِسَةُ الْبَاقِيَةَ وَ أَخَذَتْ مَا بَقِيَ مِنَ النَّوَابِ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَ فِي السَّمَوَاتِ فَاجْتَمَعَ الْكُلُّ عَلَى تَسْوِيَةِ هَذِهِ النَّشْأَةِ بِإِذْنِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ فَلَمَّا تَمَّتْ نَشْأَتُهُ وَ اسْتَقَامَتِ بِنِيَّتِهِ تَوَجَّهَ الرُّوحُ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ فَفَنَّخَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ رُوحاً سَرَّتْ فِيهِ بِوُجُودِهَا الْحَيَاةَ فَقَامَ نَاطِقاً بِالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ لَمَّا أَوْجَدَهُ جِبَلَةَ جِبَلِ عَلَيْهَا وَ فِي نَفْسِهِ عِزَّةٌ وَ عِزْمَةٌ لَّا يَعْرِفُ سَبَبَهَا وَ لَّا عَلِمَ مِنْ يَمَعِزِّهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مَخْلُوقٌ آخَرَ مِنْ عَالَمِ الطَّبَائِعِ سِوَاهُ فَبَقِيَ عَابِداً لِرَبِّهِ مَصْرُوعاً عَلَى عِزَّتِهِ مَتَوَاضِعاً لِرُبُوبِيَّةِ مَوْجِدِهِ بِمَا يَعْرِضُ لَهُ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ فِي نَشْأَتِهِ إِلَى أَنْ خَلَقَ آدَمَ فَلَمَّا رَأَى الْجَنِّ صُورَتَهُ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ الْحَارِثُ بَعْضُ تِلْكَ النَّشْأَةِ وَ تَجَهَّمُ وَجْهَهُ لِرُؤْيَةِ تِلْكَ الصُّورَةِ الْآدَمِيَّةِ وَ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ لِحَسَنِهِ فَعَتَبُوهُ لِذَلِكَ لَمَّا رَأَوْهُ عَلَيْهِ مِنَ الْغَمِّ وَ الْحُزَنِ لَهَا فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ آدَمَ مَا كَانَ أَظْهَرَ الْحَارِثَ مَا كَانَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ وَ أَبِي عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِ خَالِقِهِ بِالسُّجُودِ لآدَمَ وَ اسْتَكْبَرَ عَلَى آدَمَ بِنَشْأَتِهِ وَ افْتَخَرَ بِأَصْلِهِ وَ غَابَ عَنْهُ سِرُّ قُوَّةِ الْمَاءِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ وَ مِنْهُ كَانَتْ حَيَاةُ الْجَنِّ وَ هُمْ لَّا يَشْعُرُونَ وَ تَأْمَلُ إِنْ كَتَمْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ فَحَيِّي الْعَرْشَ وَ مَا حَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فَجَاءَ بِالنُّكْرَةِ وَ لَّا يَسْبِغُ إِلَّا حَيٍّ وَ رَدَّ فِي الْحَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ يَا رَبِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ هَلْ خَلَقْتَ شَيْئاً أَشَدَّ مِنَ النَّارِ قَالَ نَعَمْ الْمَاءُ فَجَعَلَ الْمَاءُ أَقْوَى مِنَ النَّارِ فَلَوْ كَانَ عِنَصِرُ الْهَوَاءِ فِي نَشْأَةِ الْجَنِّ غَيْرَ مَشْتَعِلٍ بِالنَّارِ

لكان الجان أقوى من بنى آدم فإن الهواء أقوى من الماء فإن الملائكة قالت في هذا الحديث يا رب فهل خلقت شيئاً أشد من الماء قال نعم الهواء ثم قالت يا رب فهل خلقت شيئاً أشد من الهواء قال نعم ابن آدم الحديث فجعل النشأة الإنسانية أقوى من الهواء وجعل الماء أقوى من النار و هو العنصر الأعظم في الإنسان كما إن النار العنصر الأعظم في الجان ولهذا قال في الشيطان **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** فلم ينسب إليه من القوة شيئاً ولم يرد على العزيز في قوله **إِنَّ كَيْدَكَ كَبِيرٌ عَظِيمٌ** ولا أكذبه مع ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل فإن النساء ناقصات عقل فما ظنك بقوة الرجل وسبب ذلك أن النشأة الإنسانية تعطي التؤدة في الأمور والأناة والفكر والتدبير لغلبة العنصرين الماء والتراب على مزاجه فيكون واقر العقل لأن التراب يشبطه ويمسكه والماء يلينه ويسهله والجان ليس كذلك فإنه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الذي للإنسان ولهذا يقال فلان خفيف العقل وسخيف العقل إذا كان ضعيف الرأي هلباجة وهذا هو نعت الجان وبه ضل عن طريق الهدى لحفة عقله وعدم تثبه في نظره فقال **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فِجْمَعِ بَيْنَ الْجَهْلِ وَسُوءِ الْأَدَبِ لِحَفْتِهِ** فمن عصى من الجان كان شيطانا أي مبعودا من رحمة الله وكان أول من سمي شيطانا من الجن الحارث فأبلسه الله أي طرده من رحمته و طرد الرحمة عنه ومنه تفرعت الشياطين بأجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن إلهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقي على كفره كان شيطانا وهي مسألة خلاف بين علماء الشريعة فقال بعضهم إن الشيطان لا يسلم أبداً وتناول قوله في شيطانه وهو القرين الموكل به إن الله أعانه عليه فأسلم روى برفع الميم وفتحها أيضا فتأول هذا القائل الرفع بأنه قال فأسلم منه أي ليس له على سبيل وهكذا تأوله المخالف وتأول الفتح فيه على الاقياد قال فمعناه انقاد مع كونه عدواً فهو بعينه لا يأمرني إلا بخير جبرا من الله وعصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المخالف معنى فأسلم بالفتح أي آمن بالله كما يسلم الكافر عندنا فيرجع مؤمنا وهو الأولى والأوجه وأكثر الناس يزعمون أنه أول الجن بمنزلة آدم من الناس وليس كذلك عندنا بل هو واحد من الجن وإن الأول فيهم بمنزلة آدم في البشر إنما هو غيره ولذلك قال الله تعالى **إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** أي من هذا الصنف من المخلوقين كما كان قابيل من البشر وكتبه الله شقيا فهو أول الأشقياء من البشر وإبليس أول الأشقياء من الجن وعذاب الشياطين من الجن في جهنم أكثر ما يكون بالزمهرير لا بالحرور وقد يعذب بالنار وبنو آدم أكثر عذابهم بالنار ووقفت يوما على مخبول العقل من الأولياء وعيناه تدمعان وهو يقول للناس لا تقفوا مع قوله تعالى **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ** لإبليس فقط بل انظروا في إشارته سبحانه لكم بقوله لإبليس **جَهَنَّمَ مِنْكَ** فإنه مخلوق من النار فيعود لعنه الله إلى أصله وإن عذب به فعذاب الفخار بالنار أشد فتحفظوا فما نظر هذا الولي من ذكر جهنم إلا النار خاصة وغفل عن إن جهنم اسم لحرورها وزمهريرها وبجملتها سميت جهنم لأنها كريهة المنظر والجهايم السحاب الذي قد هرق ماءه والغيث رحمة الله فلما أزال الله الغيث من السحاب بانزاله أطلق عليه اسم الجهايم لزوال الرحمة الذي هو الغيث منه كذلك الرحمة أزالها الله من جهنم فكانت كريهة المنظر والمخبر وسميت أيضا جهنم لبعدها يقال ركية جهنم إذا كانت بعيدة القعر نسأل الله العظيم لنا وللمؤمنين الأمن منها و يكفي هذا القدر من هذا الباب

«الباب العاشر»

في معرفة دورة الملك وأول منفصل فيها عن أول موجود وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه وبما ذا عمر الموضع المنفصل عنه منهما و

تمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها وما مرتبة العالم الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وهو زمان الفترة

و لم تكن صفة مما به وصفا الملك لولا وجود الملك ما عرفا

قد التقت طرفاها هكذا كشفا فدورة الملك برهان عليه لذا

و كان أولها عن سابق سلفا فكان آخرها كمثل أولها

مليكها سيد الله معترفا و عند ما كملت بالخطم قام بها

و ما يكون وما قد كان وانصرفا أعطاه خالقه فضلا معارفها

اعلم أيدك الله أنه ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر بالراء وفي رواية بالزاي وهو التبجح بالباطل وفي

صحيح مسلم أنا سيد الناس يوم القيامة فنبت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر وقال ع كنت نبيا و آدم بين الماء والطين يريد

على علم بذلك فأخبره الله تعالى بمرتبته وهو روح قبل إيجاد الأجسام الإنسانية كما أخذ الميثاق على بنى آدم قبل إيجاد أجسامهم وألحقنا

الله تعالى بأنبيائه بأن جعلنا شهداء على أممهم معهم حين يعث من كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وهم الرسل فكانت الأنبياء في العالم نوابه

صلى الله عليه وسلم من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام وقد أبان صلى الله عليه وسلم عن هذا المقام بأمر منها قوله صلى الله عليه و

سلم والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني وقوله في نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان إنه يؤمنا أي يحكم فينا بسنة نبيناع ويكسر

الصليب ويقتل الخنزير ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث في زمان آدم لكانت الأنبياء وجميع الناس تحت حكم شريعته إلى يوم

القيامة حسا ولهذا لم يبعث عامة إلا هو خاصة فهو الملك والسيد وكل رسول سواه فبعث إلى قوم مخصوصين فلم تعم رسالة أحد من

الرسول سوى رسالته صلى الله عليه وسلم فمن زمان آدم إلى زمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ملكه وتقدمه في

الآخرة على جميع الرسل وسيادته فمنصوص على ذلك في الصحيح عنه فروحانيته صلى الله عليه وسلم موجودة وروحانية كل نبي و

رسول فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون به من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم رسلا وتشريعه الشرائع كعلي و

معاذ وغيرهما في زمان وجودهم ووجوده صلى الله عليه وسلم وكإلياس وخضر عليهما السلام وعيسى ع في زمان ظهوره في آخر

الزمان حاكما بشرع محمد صلى الله عليه وسلم في أمته المقرر في الظاهر لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه صلى الله عليه وسلم أولا

نسب كل شرع إلى من بعث به وهو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك كما هو مفقود

العين الآن وفي زمان نزول عيسى ع والحكم بشرعه وأما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا يخرج هذا النسخ ما تقدم من الشرائع أن يكون من

شرعه فإن الله قد أشهدنا في شرعه الظاهر المنزل به صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا و اتفاقنا على إن ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا فنسخ بالمتأخر المتقدم فكان تنبيهنا لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة على إن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعا له وكان نزول عيسى ع في آخر الزمان حاكما بغير شرعه أو بعضه الذي كان عليه في زمان رسالته و حكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلا على أنه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره صلى الله عليه وسلم في شرعه ويدخل في ذلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ما داموا يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون فإن حكم الشرع على الأحوال فخرج من هذا المجموع كله أنه ملك و سيد على جميع بنى آدم وأن جميع من تقدمه كان ملكا له و تبعه و الحاكمون فيه نواب عنه فإن قيل فقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني فالجواب نحن ما فضلناه بل الله فضله فإن ذلك ليس لنا وإن كان قد ورد أولئك الذين هدى الله فيهمهم اقتداه لما ذكر الأنبياء عليهم السلام فهو صحيح فإنه قال فيهمهم وهداهم من الله و هو شرعه صلى الله عليه وسلم أي الزم شرعك الذي ظهر به نوابك من إقامة الدين ولا تتفرقوا فيه فلم يقل فهم اقتده وفي قوله ولا تتفرقوا فيه تنبيه على أحدية الشرائع وقوله أتبع ملة إبراهيم وهو الدين فهو مأمور باتباع الدين فإن الدين إنما هو من الله لا من غيره وانظروا في قوله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني فأضاف الاتباع إليه وأمر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين وهدى الأنبياء لا بهم فإن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنايب من نوابه حكم الإله فإذا غاب حكم النواب بمراسمه فهو الحاكم غيبا وشهادة و ما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات إلا تأنيسا لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه ولا أطلعه الله على ذلك من نفسه وأما أهل الله فهم على ما نحن عليه فيه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم في نفوسهم وإن كان يتصور على جميع ما أوردناه في ذلك احتمالات كثيرة فذلك راجع إلى ما تعطيه الألفاظ من القوة في أصل وضعها لا ما هو عليه الأمر في نفسه عند أهل الأذواق الذين يأخذون العلم عن الله كالخضر وأمثاله فإن الإنسان ينطق بالكلام يريد به معنى واحدا مثلا من المعاني التي يتضمنها ذلك الكلام فإذا فسر بغير مقصود المتكلم من تلك المعاني فإنما فسر المفسر بعض ما تعطيه قوة اللفظ وإن كان لم يصب مقصود المتكلم ألا ترى الصحابة كيف شق عليهم قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم فأتى به نكرة فقالوا وأينا لم يلبس إيمانه بظلم فهو لاء الصحابة وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ما عرفوا مقصود الحق من الآية والذي نظره سائغ في الكلمة غير منكور فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كما ظننتم وإنما أراد الله بالظلم هنا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم فقوة الكلمة تعم كل ظلم وقصد المتكلم إنما هو ظلم معين مخصوص فكذلك ما أوردناه من الأخبار في أن بنى آدم سوقه وملك لهذا السيد محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصود من طريق الكشف كما كان الظلم هناك المقصود من المتكلم به الشرك خاصة ولذلك تتقوى التقاسير في الكلام بقرائن الأحوال فإنها المميزة للمعاني المقصودة للمتكلم فكيف من عنده الكشف الإلهي والعلم اللدني الرباني فينبغي للعاقل المنصف أن يسلم لهؤلاء القوم ما يخبرون به فإن صدقوا في ذلك فذلك الظن بهم وأنصفوا بالتسليم حيث لم يرد المسلم ما هو حق في نفس الأمر وإن لم

يصدقوا لم يضر المسلم بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس لهم به قطع و ردوا علم ذلك إلى الله تعالى فوفوا الربوبية حقها إذ كان ما قاله أولياء الله ممكنا فالتسليم أولى بكل وجه وهذا الذي نزعنا إليه من دورة الملك قال به غيرنا كالإمام أبي القاسم بن قسي في خلعه و هو روايتنا عن ابنه عنه و هو من سادات القوم و كان شيخه الذي كشف له على يديه من أكبر شيوخ المغرب يقال له ابن خليل من أهل لبلة فنحن ما نعتمد في كل ما نذكره إلا على ما يلقي الله عندنا من ذلك لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه وقد تكون جميع الاحتمالات في بعض الكلام مقصودة للمتكلم فنقول بها كلها فدورة الملك عبارة عما مهد الله من آدم إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم من الترتيبات في هذه النشأة الإنسانية بما ظهر من الأحكام الإلهية فيها فكانوا خلفاء الخليفة السيد فأول موجود ظهر من الأجسام الإنسانية كان آدم ع و هو الأب الأول من هذا الجنس و سائر الآباء من الأجناس يأتي بعد هذا الباب إن شاء الله و هو أول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس و لكن كما قررناه ثم فصل عنه أبا ثانيا لنا سماه أما فصيح لهذا الأب الأول الدرجة عليها لكونه أصلا لها فحتم النواب من دورة الملك بمثل ما به بدأ لينبه على إن الفضل بيد الله و أن ذلك الأمر ما اقتضاه الأب الأول لذاته فأوجد عيسى عن مريم فتزلت مريم منزلة آدم و تنزل عيسى منزلة حواء فكما وجدت أثنى من ذكر وجد ذكر من أثنى فحتم بمثل ما به بدأ في إيجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى و حواء إخوان و كان آدم و مريم أبوان لهما إن مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ فَأَوْقَعَ التَّشْبِيهَ فِي عَدَمِ الْأَبُوَّةِ الذَّكَرَانِيَّةِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ نَصَبَهُ دَلِيلًا لِعِيسَى فِي بَرَاءَةِ أُمِّهِ و لم يوقع التشبيه بجواء و إن كان الأمر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل إذ كانت محلا موضوعا للولادة و ليس الرجل بمحل لذلك و المقصود من الأدلة ارتفاع الشكوك و في حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلا لما صدر عنه من الولادة و هذا لا يكون دليلا إلا عند من ثبت عنده وجود آدم و تكوينه و التكوين منه و كما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد من غير أم فالمثل من طريق المعنى أن عيسى كحواء و لكن لما كان الدخول بتطرق في ذلك من المنكر لكون الأثنى كما قلنا محلا لما صدر عنها و لذلك كانت التهمة كان التشبيه بآدم لحصول براءة مريم مما يمكن في العادة فظهور عيسى بن مريم من غير أب كظهور حواء من آدم من غير أم و هو الأب الثاني و لما انفصلت حواء من آدم عمر موضعها منه بالشهوة النكاحية إليها التي وقع بها الغشيان لظهور التناسل و التوالد و كان الهواء الخارج الذي عمر موضعه جسم حواء عند خروجها إذ لا خلاء في العالم فطلب ذلك الجزء الهوائي موضعه الذي أخذته حواء بشخصيتها فحرك آدم لطلب موضعه فوجده معمورا بجواء فوقع عليها فلما تغشاها حملت منه فجاءت بالذرية فبقي ذلك سنة جارية في الحيوان من بنى آدم و غيره بالطبع لكن الإنسان هو الكلمة الجامعة و نسخة العالم فكل ما في العالم جزء منه و ليس الإنسان بجزء لواحد من العالم و كان سبب هذا الفصل و إيجاد هذا المنفصل الأول طلب الأنس بالمشاكل في الجنس الذي هو النوع الأخص و ليكون في عالم الأجسام بهذا الالتحام الطبيعي الإنساني الكامل بالصورة الذي أراد الله ما يشبه القلم الأعلى و اللوح المحفوظ الذي يعبر عنه بالعقل الأول و النفس الكل و إذا قلت القلم الأعلى فتفطن للإشارة التي تتضمن الكاتب و قصد الكتابة فيقوم معك معنى قول الشارع إن الله خلق آدم على صورته ثم عبارة الشارع في الكتاب العزيز في إيجاد الأشياء عن كُنْ فَآتَى مجرفين

الذين هما بمنزلة المقدمتين وما يكون عند كن بالنتيجة وهذا الحرفان هما الظاهران والثالث الذي هو الرابط بين المقدمتين خفي في كن و هو الواو المحذوف لالتقاء الساكنين كذلك إذا التقى الرجل والمرأة لم يبق للقلم عين ظاهرة فكان القاؤه النطقه في الرحم غيبا لأنه سر ولهذا عبر عن التكاخ بالسر في اللسان قال تعالى وَلَكِنْ لَا تُؤْعِدُوهُنَّ سِرًّا وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْإِقْتَاءِ يَسْكُنَانِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَيُمْكِنُ إِخْفَاءُ الْقَلَمِ كَمَا خَفِيَ الْحَرْفُ الثَّلَاثُ الَّذِي هُوَ الْوَاوُ مِنْ كُنِّ لِّلْسَاكِنِينَ وَكَانَ الْوَاوُ لِأَنَّ لَهُ الْعُلُوَّ لِأَنَّهُ مُتَوَلَّدٌ عَنِ الرَّفْعِ وَهُوَ إِشْبَاعُ الضَّمَّةِ وَهُوَ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ إِذَا كَانَ الْمَلِكُ عِبَارَةً عَنِ الْإِنْسَانِيِّ خَاصَّةً فَإِنَّ نَظْرَنَا إِلَى سِيَادَتِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا سِوَى الْحَقِّ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ لِلْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَوْلَا كَيْدُ مُحَمَّدٍ مَا خَلَقْتُ سَمَاءَ وَلَا أَرْضًا وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارًا وَذَكَرَ خَلْقَ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْفَعِلٍ فِيهَا النَّفْسُ الْكَلْبِيَّةُ عَنِ أَوَّلِ مَوْجُودٍ وَهُوَ الْعَقْلُ الْأَوَّلُ وَآخِرُ مَنْفَعِلٍ فِيهَا حَوَاءٌ عَنِ آخِرِ مَوْجُودِ آدَمَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ آخِرَ مَوْجُودٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْعَالَمِ فَإِنَّهُ مَا تَمَّ إِلَّا سِتَّةَ أَجْنَاسٍ وَكُلِّ جِنْسٍ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ وَتَحْتَ الْأَنْوَاعِ أَنْوَاعٌ فَالْجِنْسُ الْأَوَّلُ الْمَلِكُ وَالثَّانِي الْجَانُّ وَالثَّلَاثُ الْمَعْدِنُ وَالرَّابِعُ النَّبَاتُ وَالخَامِسُ الْحَيَوَانُ وَانْتَهَى الْمَلِكُ وَتَمَهَّدَ وَاسْتَوَى وَكَانَ الْجِنْسُ السَّادِسُ جِنْسُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْخَلِيفَةُ عَلَى هَذِهِ الْمَمْلُوكَةِ وَإِنَّمَا وَجَدَ آخِرًا لِيَكُونَ إِمَامًا بِالْفِعْلِ حَقِيقَةً لَا بِالصَّلَاحِيَّةِ وَالْقُوَّةِ فَعِنْدَ مَا وَجَدَ عَيْنَهُ لَمْ يَوْجِدْ إِلَّا الْوَالِيَا سُلْطَانًا مَلْحُوظًا ثُمَّ جَعَلَ لَهُ نَوَابًا حِينَ تَأَخَّرَتْ نَشْأَةُ جَسَدِهِ فَأَوَّلُ نَائِبٍ كَانَ لَهُ وَخَلِيفَةُ آدَمَ ثُمَّ وَلِدٌ وَاتَّصَلَ النَّسْلُ وَعَيْنٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ خَلَفَاءُ إِلَى أَنْ وَصَلَ زَمَانُ نَشْأَةِ الْجِسْمِ الطَّاهِرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَظَهَرَ مِثْلُ الشَّمْسِ الْبَاهِرَةِ فَانْدَرَجَ كُلُّ نُورٍ فِي نُورِهِ السَّاطِعِ وَغَابَ كُلُّ حَكْمٍ فِي حَكْمِهِ وَانْقَادَتْ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ إِلَيْهِ وَظَهَرَتْ سِيَادَتُهُ الَّتِي كَانَتْ بَاطِنَةً فَ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنَّهُ قَالَ أَوْتَيْتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ وَقَالَ عَنِ رَبِّهِ ضَرْبَ يَدِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ فَوَجَدَتْ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَعَلِمَتْ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَحَصَلَ لَهُ التَّخَلُّقُ وَالنَّسَبُ الْإِلَهِيُّ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ نَفْسِهِ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ فَلِذَلِكَ بَعَثَ بِالسَّيْفِ وَأَرْسَلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكُلَّ مَنْفَعِلٍ عَنِ شَيْءٍ فَقَدْ كَانَ عَامِرًا لِمَا عَنْهُ انْفِعَالٌ وَقَدْ قَلْنَا إِنَّهُ لَا خِلَاءَ فِي الْعَالَمِ فَعَمَرَ مَوْضِعَ انْفِعَالِهِ بِظَلِّهِ إِذْ كَانَ انْفِعَالَهُ إِلَى النُّورِ وَهُوَ لِلظُّهُورِ فَلَمَّا قَابَلَ النُّورَ بِذَاتِهِ امْتَدَّ ظِلُّهُ فَعَمَرَ مَوْضِعَ انْفِعَالِهِ فَلَمْ يَفْقِدْهُ مِنْ انْفِعَالِهِ عَنْهُ فَكَانَ مَشْهُودًا لِمَنْ انْفَعَلَ إِلَيْهِ وَ مَشْهُودًا لِمَنْ انْفَعَلَ عَنْهُ وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ (شَهَدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ) فَمَنْ أَسْرَارَ الْعَالَمِ أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ يَحْدُثُ إِلَّا وَ لَهُ ظِلٌّ يَسْجُدُ لِلَّهِ لِيَقُومَ عِبَادَةٌ رَبِّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ سِوَاكَ كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْحَادِثُ مَطِيعًا أَوْ عَاصِيًا فَإِنَّ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَوَافَقَةِ كَانَ هُوَ وَظِلُّهُ عَلَى السَّوَاءِ وَإِنْ كَانَ مَخَالَفًا نَابَ ظِلُّهُ مِنْهُ فِي الطَّاعَةِ لِلَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ السُّلْطَانِ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ إِذْ كَانَ ظُهُورُهُ بِجَمِيعِ صُورِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَهَا الْأَثَرُ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا وَالْعَرْشِ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ فَالضَّلَالَاتُ أَبَدًا تَابِعَةٌ لِلصُّورَةِ الْمُنْبَعِثَةِ عَنْهَا حَسَا وَمَعْنَى فَالْحَسِ قَاصِرٌ لَا يَقْوِي قُوَّةَ الظِّلِّ الْمَعْنَوِيِّ لِلصُّورَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِأَنَّهُ يَسْتَدْعِي نُورًا مُقَيَّدًا لِمَا فِي الْحَسِّ مِنَ التَّقْيِيدِ وَالضَّيْقِ وَعَدَمِ الْإِتْسَاعِ وَهَذَا نَبَهْنَا عَلَى الظِّلِّ الْمَعْنَوِيِّ بِمَا جَاءَ فِي الشَّرْحِ مِنْ أَنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ بَانَ لَكَ أَنَّ بِالضَّلَالَاتِ عَمَرْتَ الْأَمَاكِنَ فَهِنَا قَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِمَّا يَلِيقُ بِهَذَا

الباب ولم تمنع فيه مخافة التطويل وفيما أوردناه ككتابة لمن تنبه إن كان ذا فهم سليم وتذكرة لمن شاهد وعلم واشتغل بما هو أعلى أو غفل بما هو أنزل فيرجع إلى ما ذكرناه عند ما ينظر في هذا الباب

(فصل) وأما مرتبة العالم الذي بين عيسى ع ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم فمنهم من وحد الله بما تجلى لقلبه عند فكره وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه متميز بكون من أجل فكره فهذا يبعث أمة وحده كتمس بن ساعدة وأمثاله فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك فإنه ذكر المخلوقات واعتباره فيها وهذا هو الفكر ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكرة ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهم على نور من ربهم خالص غير متميز بكون هؤلاء يحشرون أخفيا أبرياء ومنهم من ألقى في نفسه وأطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره لخالص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمان آدم إلى وقت هذا المكاشف فأمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينه من ربه وهو قوله تعالى أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ يَشْهَدُ لَهُ فِي قَلْبِهِ بِصَدَقَ مَا كُوشِفَ بِهِ فَهَذَا يحشرون يوم القيامة في ضنائن خلقه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر أو اتبع ملة إبراهيم أو من كان من الأنبياء لما علم واعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى الحق لطائفة مخصوصة فتبعضهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما حرمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وإن كان ذلك ليس بواجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة ويميز في زمرته في ظاهره إذ كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر ومنهم من طالع في كتب الأنبياء شرف محمد صلى الله عليه وسلم ودينه وتواب من اتبعه فأمن به وصدق على علم وإن لم يدخل في شرع نبي ممن تقدم وأتى مكارم الأخلاق فهذا أيضا يحشر في المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فأمن به فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله ومنهم من عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك الفصور هو بالنظر إليه غاية قوته لضعف في مزاجه عن قوة غيره ومنهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق ومنهم من أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل الجهود الذي تعطيه قوته ومنهم من أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي ومنهم من أشرك عن تقليد فذلك شقي ومنهم من عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها لضعفها ومنهم من عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء في النظر أو تقليد فذلك شقي فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب

«الباب الحادي عشر في معرفة آباءنا العلويات وأمهاتنا السفليات»

و أمهات نفوس عنصريات أنا ابن آباء أرواح مطهرة
عن اجتماع بتعنيق و لذات ما بين روح و جسم كان مظهرنا
بل عن جماعة آباء و أمات ما كنت عن واحد حتى أوحده

كصانع صنع الأشياء بالآلات	هم للاله إذا حققت شأنهمو
كذاك أوجدنا رب البريات	فنسبة الصنع للنجار ليس لها
ويصدق الشخص في إثبات عمالات	فيصدق الشخص في توحيد موجدة
إسناد عنعنة حتى إلى الذات	فإن نظرت إلى الآلات طال بنا
قلنا بوحدته لا بالجماعات	و إن نظرت إليه و هو يوجدنا
و الناس كلهمو أولاد عمالات	إني ولدت وحيد العين منفردا

اعلم أيديك الله أنه لما كان المقصود من هذا العالم الإنسان وهو الإمام لذلك أضفنا الآباء والأمهات إليه فقلنا آباؤنا العلويات وأمها تنا السفليات فكل مؤثر أب وكل مؤثر فيه أم هذا هو الضابط لهذا الباب والمتولد بينهما من ذلك الأثر يسمى ابنا ومولدا وكذلك المعاني في إنتاج العلوم إنما هو بمقدمتين تتكح إحدهما الأخرى بالمفرد الواحد الذي يتكرر فيهما وهو الرابط وهو النكاح والنتيجة التي تصدر بينهما هي المطلوبة فالأرواح كلها آباء والطبيعة أم لما كانت محل الاستحالات وتوجه هذه الأرواح على هذه الأركان التي هي العناصر القابلة للتغير والاستحالة تظهر فيها المولدات وهي المعادن والنبات والحيوان والجان والإنسان أكملها وكذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع حيث جرى مجرى الحقائق الكلية فإوتي جوامع الكلم واقتصر على أربع نسوة وحرم ما زاد على ذلك بطريق النكاح الموقوف على العقد فلم يدخل في ذلك ملك اليمين وأباح ملك اليمين في مقابلة الأمر الخامس الذي ذهب إليه بعض العلماء كذلك الأركان من عالم الطبيعة أربعة وبنكاح العالم العلوي لهذه الأربعة يوجد الله ما يتولد فيها واختلفوا في ذلك على ستة مذاهب (فطائفة) زعمت أن كل واحد من هذه الأربعة أصل في نفسه وقالت طائفة ركن النار هو الأصل فما كثف منه كان هواء وما كثف من الهواء كان ماء وما كثف من الماء كان ترابا وقالت طائفة ركن الهواء هو الأصل فما سخف منه كان نارا وما كثف منه كان ماء وقالت طائفة ركن الماء هو الأصل وقالت طائفة ركن التراب هو الأصل وقالت طائفة الأصل أمر خامس ليس واحدا من هذه الأربعة وهذا هو الذي جعلناه بمنزلة ملك اليمين فعمت شريعتنا في النكاح أتم المذاهب ليندرج فيها جميع المذاهب وهذا المذهب بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا وهو المسمى بالطبيعة فإن الطبيعة معقول واحد عنها ظهر ركن النار وجميع الأركان فيقال ركن النار من الطبيعة ما هو عينها ولا يصح أن يكون المجموع الذي هو عين الأربعة فإن بعض الأركان منافر للآخر بالكلية وبعضها منافر لغيره بأمر واحد كالنار والماء متنافران من جميع الوجوه والهواء والتراب كذلك ولهذا رتبها الله في الوجود ترتيبا حكيما لأجل الاستحالات فلو جعل المنافر مجاورا لمنافره لما استحال إليه وتعطلت الحكمة فجعل الهواء يلي ركن النار والجامع بينهما الحرارة وجعل الماء يلي الهواء والجامع بينهما الرطوبة وجعل التراب يلي الماء والجامع بينهما البرودة فالخيل أب والمستحيل أم والاستحالة نكاح والذي استحال إليها ابن فالمتكلم أب والسامع أم والتكلم نكاح والموجود من ذلك في فهم السامع ابن فكل أب علوي فإنه

مؤثر وكل أم سفلية فإنها مؤثر فيها وكل نسبة بينهما معينة نكاح وتوجه وكل نتيجة ابن ومن هنا يفهم قول المتكلم لمن يريد قيامه قم فيقوم المراد بالقيام عن أثر لفظة قم فإن لم يقم السامع وهو أم بلا شك فهو عقيم وإذا كان عقيما فليس بأم في تلك الحالة وهذا الباب إنما يختص بالأمهات فأول الآباء العلوية معلوم وأول الأمهات السفلية شبيبة المعدوم الممكن وأول نكاح القصد بالأمر وأول ابن وجود عين تلك الشبيبة التي ذكرنا فهذا أب ساري الأبوة وتلك أم سارية الأمومة وذلك النكاح سار في كل شيء والنتيجة دائمة لا تنقطع في حق كل ظاهر العين فهذا يسمى عندنا النكاح الساري في جميع الذراري يقول الله تعالى في الدليل على ما قلناه إِمَّا قَوْلُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ولنا فيه كتاب شريف منبع الحمى البصير فيه أعمى فكيف من حل به العمى فلو رأيت تفصيل هذا المقام وتوجهات هذه الأسماء الإلهية الأعلام لرأيت أمرا عظيما وشاهدت مقاما هائلا جسيما فلقد تنزه العارفون بالله وبصنعه الجميل بأولى وبعد أن أشرت إلى فهمك الثاقب ونظرك الصائب بالأب الأول الساري وهو الاسم الجامع الأعظم الذي تتبعه جميع الأسماء في رفعه ونصبه وخفضه الساري حكمه والأم الأولية الآخرة السارية في نسبة الأئمة في جميع الأبناء فلنشرع في الآباء الذين هم أسباب موضوعة بالوضع الإلهي والأمهات واتصالهما بالنكاح المعنوي والحسي المشروع حتى يكون الأبناء أبناء حلال إلى أن أصل إلى التناسل الإنساني وهو آخر نوع تكون وأول مبدع بالقصد تعين فنقول إن العقل الأول الذي هو أول مبدع خلق وهو القلم الأعلى ولم يكن ثم محدث سواه وكان مؤثرا فيه بما أحدث الله فيه من انبعاث اللوح المحفوظ عنه كانبعاث حواء من آدم في عالم الأجرام ليكون ذلك اللوح موضعا ومحلا لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الإلهي وتخطيط الحروف الموضوعة للدلالة على ما جعلها الحق تعالى أدلة عليه فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعاثي وقد ورد في الشرع أن أول ما خلق الله القلم ثم خلق اللوح وقال للقلم اكتب قال القلم وما أكتب قال الله له اكتب وأنا أملي عليك فنخط القلم في اللوح ما يملي عليه الحق وهو علمه في خلقه الذي يخلق إلى يوم القيامة فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي معقول وأثر حسي مشهود ومن هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا وكان ما أودع في اللوح من الأثر مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودعة في تلك الحروف الجبرمية بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم فافهم والله يقولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وجعل الحق في هذا اللوح العاقل عن الله ما أوحى به إليه المسيح بحمده الذي لا يفقه تسبيحه إلا من أعلمه الله به وفتح سمعه لما يورده كما فتح سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه لإدراك تسبيح الحصى في كهف الطاهرة الطيبة صلى الله عليه وسلم وإنما قلنا فتح سمعه إذ كان الحصى ما زال منذ خلقه الله مسبحا بحمده موجدة فكان خرق العادة في الإدراك السمعي لافيه ثم أوجد فيه صفتين صفة علم وصفة عمل بصفة العمل تظهر صور العالم عنه كما تظهر صورة التابوت للعين عند عمل التجار فيها يعطي الصور والصور على قسمين صور ظاهرة حسية وهي الأجرام وما يتصل بها حسا كالأشكال والألوان والأكوان وصور باطنة معنوية غير محسوسة وهي ما فيها من العلوم والمعارف والإرادات وتبينك الصفتين ظهر ما ظهر من الصور فالصفة العلامة أب فإنها المؤثرة والصفة العاملة أم فإنها المؤثر فيها وعنهما ظهرت الصور التي ذكرناها فإن التجار المهندس إذا كان عالما ولا

يحسن العمل فيلقي ما عنده على سماع من يحسن عمل النجارة وهذا الإلقاء نكاح فكلام المهندس أب وقبول السماع أم ثم يصير علم السماع أبا وجوارحه أما وإن شئت قلت فالمهندس أب والصانع الذي هو النجار أم من حيث ما هو مصغ لما يلقي إليه المهندس فإذا أثر فيه فقد أنزل ما في قوته في نفس النجار والصورة التي ظهرت للنجار في باطنه مما ألقى إليه المهندس وحصلت في وجود خياله قائمة ظاهرة له بمنزلة الولد الذي ولد له فهمه عن المهندس ثم عمل النجار فهو أب في الحشبة الذي هو أم النجارة بالآلات التي يقع بها النكاح وإنزال الماء الذي هو أثر كل ضربة بالقدم أو قطع بالمنشار وكل قطع وفصل وجمع في القطع المنجورة لإنشاء الصورة فظهر التابوت الذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحس فهكذا فلتقهم الحقائق في ترتيب الآباء والأمهات والأبناء وكيفية الإنتاج فكل أب ليس عنده صفة العمل فليس هو أب من ذلك الوجه حتى أنه لو كان عالما ومنع آلة التوصيل بالكلام أو الإشارة ليقع الإفهام وهو غير عامل لم يكن أب من جميع الوجوه وكان أما لما حصل في نفسه من العلوم غير إن الجنين لم يخلق فيه الروح في بطن أمه أو مات في بطن أمه فأحالاته طبيعة لام إلى أن تصرف ولم يظهر له عين فافهم وبعد أن عرفت الأب الثاني من الممكنات وأنه أم ثانية للقلم الأعلى كان مما ألقى إليها من الإلقاء الأقدس الروحاني الطبيعة والهباء فكان أول أم ولدت توأمين فأول ما ألت الطبيعة ثم تبعها بالهباء والطبيعة والهباء أخ وأخت لأب واحد وأم واحدة فانكح الطبيعة الهباء فولد بينهما صورة الجسم الكلي وهو أول جسم ظهر فكان الطبيعة الأب فإن لها الأثر وكان الهباء الأم فإن فيها ظهر الأثر وكانت النتيجة الجسم ثم نزل التوالد في العلم إلى التراب على ترتيب مخصوص ذكرناه في كتابنا المسمى بعقلة المستوفز وفيه طول لا يسعه هذا الباب فإن الغرض الاختصار ونحن لا نقول بالمركز وإنما نقول بنهاية الأركان وأن الأعظم يجذب الأصغر ولهذا نرى البخار والنار يطلبان العلو والحجر وما أشبهه يطلب السفلى فاختلفت الجهات وذلك على الاستقامة من الاثنين أعني طالب العلو والسفل فإن القائل بالمركز يقول إنه أمر معقول دقيق تطلبه الأركان ولولا التراب لدار به الماء ولولا الماء لدار به الهواء ولولا الهواء لدار به النار ولو كان كما قال لكنا نرى البخار يطلب السفلى والحس يشهد بخلاف ذلك وقد بينا هذا الفصل في كتاب المركز لنا وهو جزء لطيف فإذا ذكرناه في بعض كتبنا إنما نسوقه على جهة مثال النقطة من الأكرة التي عنها يحدث المحيط لما لنا في ذلك من الغرض المتعلق بالمعارف الإلهية والنسب لكون الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط على السواء لتساوى النسب حتى لا يقع هناك تفاضل فإنه لو وقع تفاضل أدى إلى نقص المفضول والأمر ليس كذلك وجعلناه محل العنصر الأعظم تنبيهها على إن الأعظم يحكم على الأقل وذكرناه مشارا إليه في عقلة المستوفز ولما أدار الله هذه الأفلاك العلوية وأوجد الأيام بالفلك الأول وعينه بالفلك الثاني الذي فيه الكواكب الثابتة للإبصار ثم أوجد الأركان ترابا وماء وهواء ونارا ثم سوى السموات سبعا طباقا وقتها أي فصل كل سماء على حدة بعد ما كانت رتقا إذ كانت دخانا وفق الأرض إلى سبع أرضين سماء أولي لأرض أولى وثانية لثانية إلى سبع وخلق الجوارى الخمسة في كل سماء كوكب وخلق القمر وخلق أيضا الشمس فحدث الليل والنهار بخلق الشمس في اليوم وقد كان اليوم موجودا فجعل النصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهارا وهو من طلوع الشمس إلى غروبها وجعل النصف الآخر منه ليلا

و هو من غروب الشمس إلى طلوعها و اليوم عبارة عن المجموع و لهذا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْأَيَّامَ كَانَتْ موجودة بوجود حركة فلك البروج وهي الأيام المعروفة عندنا لا غير فما قال الله خلق العرش والكرسي وإنما قال خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فإذا دار فلك البروج دورة واحدة فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السموات والأرض ثم أحدث الله الليل والنهار عند وجود الشمس لا الأيام و أما ما يطراً فيها من الزيادة والنقصان أعني في الليل والنهار لا في الساعات فإنها أربع وعشرون ساعة وذلك لحلول الشمس في منطقة البروج وهي حمانلية بالنسبة إلينا فيها ميل فيطول النهار إذا كانت الشمس في المنازل العالية حيث كانت وإذا حلت الشمس في المنازل النازلة قصر النهار حيث كانت وإنما قلنا حيث كانت فإنه إذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا فتكون الشمس في المنازل العالية بالنسبة إليهم وفي المنازل النازلة بالنسبة إلينا فإذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم لما ذكرناه واليوم هو اليوم بعينه أربع وعشرون ساعة لا يزيد ولا ينقص ولا يطول ولا يقصر في موضع الاعتدال فهذا هو حقيقة اليوم ثم قد نسمي النهار وحده يوماً بحكم الاصطلاح فافهم وقد جعل الله هذا الزمان الذي هو الليل والنهار يوماً والزمان هو اليوم والليل والنهار موجودان في الزمان جعلهما أباً وأماً لما يحدث الله فيهما كما قال يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ كَمَثَلِ قَوْلِهِ فِي آدَمَ فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ فَإِذَا غَشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ كَانَ اللَّيْلُ أَبًا وَكَانَ النَّهَارُ أُمًَّ وَصَارَ كُلُّ مَا يَحْدُثُ اللَّهُ فِي النَّهَارِ بِمَنْزِلَةِ الْأَوْلَادِ الَّتِي تَلِدُ الْمَرْأَةُ وَإِذَا غَشَى النَّهَارَ اللَّيْلُ كَانَ النَّهَارُ أَبًا وَكَانَ اللَّيْلُ أُمًَّ وَكَانَ كُلُّ مَا يَحْدُثُ اللَّهُ مِنَ الشُّيُورِ فِي اللَّيْلِ بِمَنْزِلَةِ الْأَوْلَادِ الَّتِي تَلِدُ الْأُمُّ وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا الْفَصْلَ فِي كِتَابِ الشُّنَنِ لَنَا تَكَلَّمْنَا فِيهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِنْ ذَكَرْنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَيَّامِ طَرَفًا شَافِيًا وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى أَيْضًا يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ فَزَادَ بَيَانًا فِي التَّنَاقُحِ وَأَبَانَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارِ أَنَّ اللَّيْلَ أُمَّ لَهُ وَأَنَّ النَّهَارَ مَوْلودٌ عَنْهُ كَمَا يَنْسَلِخُ الْمَوْلودُ مِنْ أُمِّهِ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا وَالحية من جلدها فيظهر مولداً في عالم آخر غير العالم الذي يحويه الليل والأب هو اليوم الذي ذكرناه وقد بينا ذلك في كتاب الزمان لنا ومعرفة الدهر فهذا الليل والنهار أبوان بوجه وأمان بوجه وما يحدث الله فيهما في عالم الأركان من المولدات عند تصريفهما يسمون أولاد الليل والنهار كما قرناه ولما أنشأ الله أجرام العالم كله القابل للتكوين فيه جعل من حد ما يلي مقعر السماء الدنيا إلى باطن الأرض عالم الطبيعة والاستحالات وظهور الأعيان التي تحدث عند الاستحالات وجعلها بمنزلة الأم وجعل من مقعر فلك السماء الدنيا إلى آخر الأفلاك بمنزلة الأب وقدر فيها منازل وزينها بالألوان الثابتة والساججة فالساججة تقطع في الثابتة والثابتة والساججة تقطع في الفلك المحيط بتقدير العزيز بدليل أنه رؤي في بعض الأهرام التي بديار مصر مكتوباً بقلم يذكّر في ذلك تاريخ لأهرام أنها بنيت والنسر في الأسد ولا شك أنه الآن في الجدي كذا ندره فدل على أن الكواكب الثابتة تقطع في فلك البروج الأطلس والله يقول في القمر وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ وَقَالَ فِي الْكَوَاكِبِ كُلِّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ وَقَالَ تَعَالَى وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا وَقَدْ قَرَأْتُ لَهَا لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَنَافُرٌ ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِهِ فِي الْقَمَرِ أَنَّهُ قَدَرَهُ مَنَازِلَ وَقَالَ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ أَي فِي شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ

جعل هذه الأنوار المسماة بالكواكب أشعة متصلة بالأركان تقوم اتصالاتها بها مقام نكاح الآباء للامهات فيحدث الله تعالى عند اتصال تلك الشعاعات النورية في الأركان الأربعة من عالم الطبيعة ما يتكون فيها مما نشاهده حسا فهذه الأركان لها بمنزلة الأربعة النسوة في شرعنا وكما لا يكون نكاح شرعي عندنا حلالا إلا بعقد شرعي كذلك أوحى في كل سماء أمرها فكان من ذلك الوحي تنزل الأمر بينهن كما قال تعالى **يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** يعني الأمر الإلهي وفي تفسير هذا التنزل أسرار عظيمة تقرب مما نشير إليه في هذا الباب وقد روى عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية لو فسرتها لقلت إني كافر وفي رواية لرجموني وإنها من أسرار آي القرآن قال تعالى **خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ثم قال **يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** ثم تم وأبان فقال **لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** وهو الذي أشرنا إليه بصفة العمل الذي ذكرناه آنفا من إيجاد الله صفة العلم والعمل في الأب الثاني فإن القدرة للإيجاد وهو العمل ثم تم في الأخبار فقال **وإن الله قد أحاط بكل شيء علما** وقد أشرنا إليه بصفة العلم التي أعطها الله للأب الثاني الذي هو النفس الكلية المنبثقة فهو العليم سبحانه بما يوجد القدير على إيجاد ما يريد إيجادا لا مانع له فجعل الأمر ينزل بين السماء والأرض كالولد يظهر بين الأبوين وأما اتصال الأشعة النورية الكوكبية عن الحركة الفلكية السماوية بالأركان الأربعة التي هي أم المولدات في الحين الواحد للكل معا جعله الحق مثلا للعارفين في نكاح أهل الجنة في الجنة جميع نسايمهم وجواريمهم في الآن الواحد نكاحا حسيا كما إن هذه الاتصالات حسية فينكح الرجل في الجنة جميع من عنده من المنكوحات إذا اشتهى ذلك في الآن الواحد نكاحا جسميا محسوسا بإبلاخ وجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر وهذا هو النعيم الدائم والاقترار الإلهي والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره وإنما يدرك هذا بقوة أخرى إلهية في قلب من يشاء من عباده كما أن الإنسان في الجنة في سوق الصور إذا اشتهى صورة دخل فيها كما تشكل الروح هنا عندنا وإن كان جسما ولكن أعطاه الله هذه القدرة على ذلك والله على كل شيء قدير و حديث سوق الجنة ذكره أبو عيسى الترمذي في مصنفه فانظره هناك فإذا اتصلت الأشعة النورية في الأركان الأربعة ظهرت المولدات عن هذا النكاح الذي قدره العزيز العليم فصارت المولدات بين آباء وهي الأفلاك والأنوار العلوية وبين أمهات وهي الأركان الطبيعية السفلية و صارت الأشعة المتصلة من الأنوار بالأركان كالنكاح وحركات الأفلاك وسباحات الأنوار بمنزلة حركات الجامع وكان حركات الأركان بمنزلة المخاض للمرأة لاستخراج الزبد الذي يخرج بالمخض وهو ما يظهر من المولدات في هذه الأركان للعين من صورة المعادن والنبات والحيوان ونوع الجن والإنس فسبحان القادر على ما يشاء لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه قال تعالى **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** فقد تبين لك أيها الولي أبائك وأمهاك من هم إلى أقرب أب لك وهو الذي ظهر عينك به وأمك كذلك القربة إليك إلى الأب الأول وهو الجد الأعلى إلى بما بينهما من الآباء والأمهات فشكرهم الذي يسرون به ويفرحون بالثناء عليهم هو أن تنسبهم إلى مالكمهم وموجدهم وتسلب الفعل عنهم و تلحقه بمستحقه الذي هو خالق كل شيء فإذا فعلت ذلك فقد أدخلت سرورا على آباتك بفعلك ذلك وإدخال هذا السرور عليهم هو عين برك بهم وشكرك إياهم وإذا لم تفعل هذا ونسيت الله بهم فما شكرتهم ولا امتثلت أمر الله في شكرهم فإنه قال **أَنِ اشْكُرْ لِي** فقدم نفسه

ليعرفك أنه السبب الأول والأولى ثم عطف وقال ولوالديك وهي الأسباب التي أوجدك الله عندها لتنسبها إليه سبحانه ويكون لها عليك فضل التقدم بالوجود خاصة لافضل التأثير لأنه في الحقيقة لا أثر لها وإن كانت أسبابا لوجود الآثار فهذا القدر صح لها الفضل وطلب منك الشكر وأنزلها الحق لك وعندك منزلته في التقدم عليك لا في الأثر ليكون الثناء بالتقدم والتأثير لله تعالى وبالتقدم والتوقف للوالدين ولكن على ما شرطناه فلا تشرك بعبادة ربك أحدا فإذا أثبتت على الله تعالى وقلت ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات فلا فرق بين أن أقولها أنا أو يقولها جميع بنى آدم من البشر فلم يخاطب شخصا بعينه حتى يسوق آباءه وأمهاته من آدم وحواء إلى زمانه وإنما القصد هذا النشء الإنساني فكنت مترجما عن كل مولود بهذا التحميد من عالم الأركان وعالم الطبيعة والإنسان ثم ترتقي في النياحة عن كل مولود بين مؤثر ومؤثر فيه فتحمد به بكل لسان وتوجه إليه بكل وجه فيكون الجزاء لنا من عند الله من ذلك المقام الكلي كما قال لي بعض مشيختي إذا قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أو قلت السلام عليكم إذا سلمت في طريقك على أحد فاحضر في قلبك كل صالح لله من عباده في الأرض والسماء وميت وحي فإنه من ذلك المقام يرد عليك فلا يبقى ملك مقرب ولا روح مطهر يبلغه سلامك إلا ويرد عليك وهو دعاء فيستجاب فيك فتقلح ومن لم يبلغه سلامك من عباد الله المهيمين في جلاله المشتغلين به المستفرغين فيه وأنت قد سلمت عليهم بهذا الشمول فإن الله ينوب عنهم في الرد عليك وكفى بهذا شرفا في حقك حيث يسلم عليك الحق فليته لم تسمع أحدا ممن سلمت عليه حتى ينوب عن الجميع في الرد عليك فإنه بك أشرف قال تعالى تشريفا في حق يحيى عَ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا وهذا سلام فضيلة وإخبار فكيف سلام واجب الحق مناب من أجاب عنه وجزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل في حق من قيل فيه وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ فيجمع له بين الفضيلتين وقد وردت صلاة الله علينا ابتداء وما وصل إلي هل ورد السلام ابتداء كما وردت الصلاة أم لا فمن روى في ذلك شيئا وتحققه فقد جعلت أمانة في عنقه أن يلحقه في هذا الموضع إلى جانب صلاة الله علينا في هذا الباب ليكون بشرى للمؤمنين وشرفا لكنابي هذا والله المعين والموفق لا رب غيره وأما الآباء الطبيعيين والأمهات فلم نذكرهم فلنذكر الأمر الكلي من ذلك وهم أبوان وأمان فالأبوان هما الفاعلان والأمان هما المنفعلان وما يحدث عنهما هو المنفعل عنهما فالحرارة والبرودة فاعلان والرطوبة واليبوسة منفعلان فنكحت الحرارة اليبوسة فانتجا ركن النار ونكحت الحرارة الرطوبة فانتجا ركن الهواء ثم نكح البرودة الرطوبة فانتجا ركن الماء ونكح البرودة اليبوسة فانتجا ركن التراب فحصلت في الأبناء حقائق الآباء والأمهات فكانت النار حارة يابسة فحرارتها من جهة الأب وبيوستها من جهة الأم وكان الهواء حارا رطبا فحرارته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأم وكان الماء باردا رطبا فبرودته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأم وكانت الأرض باردة يابسة فبرودتها من جهة الأب وبيوستها من جهة الأم فالحرارة والبرودة من العلم والرطوبة واليبوسة من الإرادة هذا حد تعلقها في وجودها من العلم الإلهي وما يتولد عنهما من القدرة ثم يقع التوالد في هذه الأركان من كونها أمهات لآباء الأنوار العلوية لا من كونها آباء وإن كانت الأبوة فيها موجودة فقد عرفناك أن الأبوة والبنوة من الإضافات والنسب فالأب ابن لأب هو ابن

له والابن أب لابن هو أب له وكذلك باب النسب فانظر فيه والله الموفق لا رب غيره ولما كانت اليبوسة منفصلة عن الحرارة وكانت الرطوبة منفصلة عن البرودة قلنا في الرطوبة واليبوسة إنهما منفعلتان وجعلناهما بمنزلة الأم للأركان ولما كانت الحرارة والبرودة فاعلين جعلناهما بمنزلة الأب للأركان ولما كانت الصنعة تستدعي صناعا ولا بد والمنفعل يطلب الفاعل بذاته فإنه منفعل لذاته ولولم يكن منفعل لذاته لما قبل الانفعال والأثر وكان مؤثرا فيه بخلاف الفاعل فإنه يفعل بالاختيار إن شاء فعل فيسمى فاعلا وإن شاء ترك وليس ذلك للمنفعل ولهذا الحقيقة ذكر تعالى وهو من فصاحة القرآن وإيجازه ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين فذكر المنفعل ولم يذكر ولا حار ولا بارد لما كانت الرطوبة واليبوسة عند العلماء بالطبيعة تطلب الحرارة والبرودة اللتين هما منفعلتان عنهما كما تطلب الصنعة الصانع لذلك ذكرهما دون ذكر الأصل وإن كان الكل في الكتاب المبين فلقد جاء الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعلوم ما نالها أحد سواه كما قال فعلت علم الأولين والآخرين في حديث الضرب باليد فالعلم الإلهي هو أصل العلوم كلها وإليه ترجع وقد استوفينا ما يستحقه هذا الباب على غاية الإيجاز والاختصار فإن الطول فيه إنما هو بذكر الكيفيات وأما الأصول فقد ذكرناها ومهدناها والله يقول الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثاني عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الباب الثاني عشر»

في معرفة دورة فلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي دورة السيادة وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى

و آدم بين الماء و الطين واقف	إلا بأبي من كان ملكا و سيدا
له في العلى مجد تليد و طارف	فذاك الرسول الأبطحي محمد
و كانت له في كل عصر مواقف	أتى بزمان السعد في آخر المدى
فأثنت عليه ألسن و عوارف	أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه
وليس لذلك الأمر في الكون صارف	إذا رام أمرا لا يكون خلفه

اعلم أيديك الله أنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد صلى الله عليه وسلم ثم صدرت الأرواح عند الحركات فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة وأعلمه الله بنبوته وبشره بها و آدم لم يكن إلا كما قال بين الماء و الطين وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بذاته جسما وروحا فكان الحكم له باطنا أولا في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء و الرسل سلام الله عليهم أجمعين ثم صار الحكم له

ظاهرها فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان المشرع واحداً وهو صاحب الشرع فإنه قال كنت نبيا وما قال كنت إنسانا ولا كنت موجودا وليست النبوة إلا بالشرع المقرر عليه من عند الله فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوابه في هذه الدنيا كما قررناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب فكانت استدارته انتهاء دورته بالاسم الباطن وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر فقال استدار كهيئته يوم خلقه الله في نسبة الحكم لنا ظاهرا كما كان في الدورة الأولى منسوبا إلينا باطنا أي إلى محمد وفي الظاهر منسوبا إلى من نسب إليه من شرع إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء والرسل وفي الأنبياء من الزمان أربعة حرم هود وصالح وشعيب سلام الله عليهم ومحمد صلى الله عليه وسلم وعينها من الزمان ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب مضر ولما كانت العرب تنسأ في الشهور فتزد المحرم منها حلالا والحلال منها حراما وجاء محمد صلى الله عليه وسلم ففرد الزمان إلى أصله الذي حكم الله به عند خلقه فعين الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله عليه فلماذا قال في اللسان الظاهر إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله كذلك استدار الزمان فأظهر محمدا صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه جسما وروحا بالاسم الظاهر حسا فنسخ من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه وأبقى ما أراد الله أن يبقى منه وذلك من الأحكام خاصة لا من الأصول ولما كان ظهوره بالميزان وهو العدل في الكون وهو معتدل لأن طبعه الحرارة والرطوبة كان من حكم الآخرة فإن حركة الميزان متصلة بالآخرة إلى دخول الجنة والنار ولهذا كان العلم في هذه الأمة أكثر مما كان في الأوائل وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم علم الأولين والآخرين لأن حقيقة الميزان تعطي ذلك وكان الكشف أسرع في هذه الأمة مما كان في غيرها لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا وإن كانوا أذكاء وعلماء فأحاد منهم معينون بخلاف ما هم الناس اليوم عليه ألا ترى هذه الأمة قد ترجمت جميع علوم الأمم ولو لم يكن المترجم عالما بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح أن يكون هذا مترجما ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فعلمت علم الأولين وهم الذين تقدموه ثم قال والآخرين وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين وهو ما تعلمه أمته من بعده إلى يوم القيامة فقد أخبر أن عندنا علوما لم تكن قبل فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لنا وهو الصادق بذلك فقد ثبت له صلى الله عليه وسلم السيادة في العلم في الدنيا وثبت له أيضا السيادة في الحكم حيث قال لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني وبين ذلك عند نزول عيسى ع وحكمه فينا بالقرآن فصحت له السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتح باب الشفاعة ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له صلى الله عليه وسلم فقد شفع صلى الله عليه وسلم في الرسل والأنبياء أن تشفع نعم وفي الملائكة فاذن الله تعالى عند شفاعته في ذلك لجمع من له شفاعته من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع فهو صلى الله عليه وسلم أول شافع بإذن الله ورحم الراحمين آخر شافع يوم القيامة فيشفع الرحيم عند المنتقم أن يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط فيخرجهم المنعم المتفضل وأي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين وآخر الدائرة متصل بأولها فأبي شرف أعظم من شرف محمد صلى

الله عليه وسلم حيث كان ابتداء هذه الدائرة حيث اتصل بها آخرها لكما لها فيه سبحانه ابتدأت الأشياء وبه كملت وما أعظم شرف المؤمن حيث تلت شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين فالؤمن بين الله وبين الأنبياء فإن العلم في حق المخلوق وإن كان له الشرف التام الذي لا تجهل مكانته ولكن لا يعطي السعادة في القرب الإلهي إلا بالإيمان فنور الإيمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه فإذا كان الإيمان يحصل عنه العلم فنور ذلك العلم المولد من نور الإيمان أعلى وبه يمتاز على المؤمن الذي ليس بعالم فيرفع الله الذين أتوا العلم من المؤمنين درجات على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ويزيد العلم بالله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه أتم أعلم بمصالح دنياكم فلا فلك أوسع من فلك محمد صلى الله عليه وسلم فإن له الإحاطة وهي لمن خصه الله بها من أمته بحكم التبعية فلنا الإحاطة بسائر الأمم و لذلك كما شهداء على الناس فأعطاه الله من وحي أمر السموات ما لم يعط غيره في طالع مولده فمن الأمر المخصوص بالسماء الأولى من هناك لم يبدل حرف من القرآن ولا كلمة ولو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها ينقص أو زيادة لنسخ الله ذلك وهذا عصمة ومن ذلك الثبات ما نسخت شريعته بغيرها بل ثبتت محفوظة واستقرت بكل عين ملحوظة ولذلك تستشهد بها كل طائفة ومن الأمر المخصوص بالسماء الثانية من هناك أيضا خص بعلم الأولين والآخين والتؤدة والرحمة والرفق وكان بالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وما أظهر في وقت غلظة على أحد إلا عن أمر إلهي حين قيل له جاهد الكفار والمنافقين واغز عليهم فأمر به لما لم يقتض طبعه ذلك وإن كان بشرا يغضب لنفسه ويرضى لنفسه فقد قدم لذلك دواءنا فما يكون في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يشعر بها في حال الغضب فكان يدل بغضبه مثل دالته برضاه وذلك لأسرار عرفناها ويعرفها أهل الله منا فصحت له السيادة على العالم من هذا الباب فإن غير أمته قيل فيهم يُحَرِّقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ فأضلهم الله على علم وتولى الله فينا حفظ ذكره فقال إِبَانًا تَحْنُ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِبَانًا لَهُ لِحَافِظُونَ لِأَنَّهُ سَمِعَ الْعَبْدَ وَبَصْرَهُ وَلسَانَهُ وَيَدَهُ وَاسْتَحْفَظَ كِتَابَهُ غَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَحَرَفُوهُ وَمِنَ الْأَمْرِ الْمَخْصُوصِ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هُنَاكَ أَيْضًا السَّيْفُ الَّذِي بَعَثَهُ بِهِ وَخِلَافَةُ وَاخْتِصَافُ بَقِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ مِنْهَا أَيْضًا فَإِنَّ مَلَائِكَةَ هَذِهِ السَّمَاءِ قَاتَلَتْ مَعَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَمِنْ هَذِهِ السَّمَاءِ أَيْضًا بَعَثَ مَنْ قَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا فِي قُرَى الْأَضْيَافِ وَنَحْرِ الْجَزْرِ وَالْحُرُوبِ الدَّائِمَةِ وَسَفْكَ الدَّمَاءِ وَبِهَذَا يَتَمَدَّحُونَ وَيَمْدَحُونَ قِيلَ فِي بَعْضِهِمْ

ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا زادا فإنك عاقر

«وقال الآخر منهم يمدح قومه»

سم العداة و آفة الجزر لا يبعدين قومي الذين همو
و الطيبون معاهد الأزر النازلون بكل معترك

فمدحهم بالكرم والشجاعة والعفة يقول عنتر بن شداد في حفظ الجار في أهله

وأغض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارى جارتني ما وأها

ولا إخفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والحماسة والوفاء وإن كان في العجم كرماء وشجعان ولكن آحاد كما إن في العرب جنباء وبجلاء ولكن آحاد وإنما الكلام في الغالب لا في النادر وهذا ما لا ينكره أحد فهذا مما أوحى الله في هذه السماء فهذا كله من الأمر الذي ينزل بين السماء والأرض لمن فهم ولو ذكرنا على التفصيل ما في كل سماء من الأمر الذي أوحى الله سبحانه فيها لأبرزنا من ذلك عجائب ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم من طريق الرصد والتسيير من أهل التعاليم ويحار المنصف منهم فيه إذا سمعه ومن الوحي المأمور به في السماء الرابعة نسخه بشريعته جميع الشرائع وظهر دينه على جميع الأديان عند كل رسول ممن تقدمه وفي كل كتاب منزل فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلا ما قرر منه فبتقريره ثبت فهو من شرعه وعموم رسالته وإن كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلا في أهل الجزية خاصة وإنما قلنا ليس هو حكم الله لأنه سماه باطلا فهو على من اتبعه لا له فهذا أعني بظهور دينه على جميع الأديان كما قال النابغة في مدحه

ترى كل ملك دونها يتذبذب أ لم تر أن الله أعطاك سورة
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب بأنك شمس والملوك كواكب

وهذه منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ومنزلة ما جاء به من الشرع من الأنبياء وشرائعهم سلام الله عليهم أجمعين فإن أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس فالتها ر لنا والليل وحده لأهل الكتب إذا أعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون وقد بسطنا في التنزيلات الموصلية من أمر كل سماء ما إذا وقتت عليه عرفت بعض ما في ذلك ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة من هناك المختص بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه ما ورد قط عن نبي من الأنبياء أنه حبيب إليه النساء إلا محمد صلى الله عليه وسلم وإن كانوا قد رزقوا منهم كثيرا كسليمان ع وغيره ولكن كلامنا في كونه حبيب إليه وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان نبيا و آدم بين الماء والطين كما قررناه وعلى الوجه الذي شرحناه فكان منقطعاً إلى ربه لا ينظر معه إلى كون من الأكوام لشغله بالله عنه فإن النبي مشغول بالتلقي من الله ومراعاة الأدب فلا يتفرغ إلى شيء دونه فحبيب الله إليه النساء فأحبهن عناية من الله بهن فكان صلى الله عليه وسلم يحبهن بكون الله حبيهن إليه خرج مسلم في صحيحه في أبواب الإيمان أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحب أن يكون نعلي حسنا وثوبي حسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال ومن هذه السماء حب الطيب وكان من سنته النكاح لا التبطل وجعل النكاح عبادة للسر الإلهي الذي أودع فيه وليس إلا في النساء وذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام التي تقدم ذكرها في الإنتاج عن المقدمتين والرابط الذي جعله علة الإنتاج فهذا الفضل وما شاكله مما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم وزاد فيه بنكاح الهبة كما جعل في أمته فيما بين لها من النكاح لمن لا شيء له من الأعراس بما يحفظه من القرآن خاصة لأنه يعلمها وهذا وإن لم يقو قوة الهبة ففيه اتساع اللامعة وليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كل سماء ومن الأمر الموحى في السماء السادسة إعجاز القرآن والذي أعطيه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم من

هذه السماء تنزل إليه ولم يعط ذلك نبي قبله وقد قال أعطيت ستماً لم يعطني نبي قبلي وكل ذلك أوحى في السموات من قوله وأوحى في كل سماءٍ أمرها فجعل في كل سماء ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق فكان من ذلك أن بعث وحده إلى الناس كافة فعمت رسالته وهذا مما أوحى الله به في السماء الرابعة ونصر بالعرب وهو ما أوحى الله به في السماء الثالثة من هناك ومنها ما حلل الله له من الغنائم وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً من السماء الثانية من هناك أوتيت جوامع الكلم من أمر وحي السماء السادسة ومن أمر هذه السماء ما خصه الله به من إعطائه إياه مفاتيح خزائن الأرض ومن الوحي المأمور به في السماء السابعة من هناك وهي السماء الدنيا التي تلينا كون الله خصه بصورة الكمال فكملت به الشرائع وكان خاتم النبيين ولم يكن ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم فهذا وأمثاله انفراد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها والشرف المحيط الأعم صلى الله عليه وسلم فهذا قد نبهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كل سماء من أمره وقوله الزمان ولم يقل الدهر ولا غيره ينبه على وجود الميزان فإنه ما خرج عن الحروف التي في الميزان بذكر الزمان وجعل ياء الميزان مما يلي الزاي وخفف الزاي وعددها في الزمان إشعاراً بأن في هذه الزاي حرفاً مدغماً فكان أول وجود الزمان في الميزان للعدل الروحاني وفي الاسم الباطن لحمد صلى الله عليه وسلم بقوله كنت نبياً و آدم بين الماء والطين ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان التي هي ثمانية وسبعون ألف سنة ثم ابتدأت دورة أخرى من الزمان بالاسم الظاهر فظهر فيها جسم محمد صلى الله عليه وسلم وظهرت شريعته على التعيين والتصريح لا بالكناية واتصل الحكم بالآخرة فقال تعالى وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لَنَا وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَقَالَ تَعَالَى وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ فَبِالْمِيزَانِ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَبِهِ قَدَرٌ فِي الْأَرْضِ أَقْوَاتُهَا وَنَصَبَ الْحَقَّ فِي الْعَالَمِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمِيزَانَ مَعْنَوِي وَمِيزَانَ حَسِّي لَا يَخْطِئُ أَبَدًا فدخل الميزان في الكلام وفي جميع الصنائع المحسوسة وكذلك في المعاني إذ كان أصل وجود الأجسام والأجرام وما تحمله من المعاني عند حكم الميزان وكان وجود الميزان وما فوق الزمان عن الوزن الإلهي الذي يطلبه الاسم الحكيم ويظهره الحكم العدل لا إله إلا هو وعن الميزان ظهر العقرب وما أوحى الله فيه من الأمر الإلهي والقوس والجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة وانتهت الدورة الزمانية إلى الميزان لتكرار الدور فظهر محمد صلى الله عليه وسلم وكان له في كل جزء من أجزاء الزمان حكم اجتمع فيه بظهوره صلى الله عليه وسلم وهذه الأسماء أسماء ملائكة خلقهم الله وهم الاثنا عشر ملكاً وجعل لهم الله مراتب في الفلك المحيط وجعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه فيمن هو دونهم إلى الأرض حكمة فكانت روحانية محمد صلى الله عليه وسلم تكتسب عند كل حركة من الزمان أخلاقاً بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهية فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا بما جبله الله عليه من الأخلاق المحمودة فقيل فيه وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فكان ذا خلق لم يكن ذا مخلوق ولما كانت الأخلاق تختلف أحكامها باختلاف الخلق الذي ينبغي أن يقابل بها احتياج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه حتى يصرف في ذلك الخلق الذي يليق به عن أمر الله فيكون قرينة إلى الله فذلك تنزلت الشرائع

لتبين للناس محال أحكام الأخلاق التي جبل الإنسان عليها فقال الله في مثل ذلك ولا تقل لهما أف لوجود التأفيف في خلقه فأبان عن المحل الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخلق ثم بين المحل الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخلق فقال أف لكم ولما تعبدون من دون الله قال تعالى فلا تخافوهم فأبان عن المحل الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خلق الخوف ثم قال لهم خافون فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر حكم هذه الصفة وكذلك الحسد والحرص وجميع ما في هذه النشأة الطبيعية الظاهر حكم روحانيتها فيها قد أبان الله لنا حيث نظرها وحيث تمنعها فإنه من المحال إزالتها عن هذه النشأة إلا بزوالها لأنها عينها والشيء لا يفارق نفسه قال صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين وقال زادك الله حرصا ولا تعد وإنما قلنا الظاهر حكم روحانيتها فيها تحرزنا بذلك من أجل أهل الكشف والعلماء الراسخين في العلم من المحققين العالمين فإن المسمى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة لا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير إن هذا المزاج الخاص يسمى إنسانا لا غير بالصورة ووقع التفاضل بين الخلاق في المزاج فإنه لا بد في كل ممتزج من مزاج خاص لا يكون إلا له به يتميز عن غيره كما يجتمع مع غيره في أمر فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميز عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميز فاعلم ذلك وتحققه قال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وشيء نكرة ولا يسبح إلا حي عاقل عالم بمسبحه وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس والشرايع والنبوات من هذا القبيل مشحونة ونحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها وتخطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان فكل جنس من خلق الله أمة من الأمم فطهرهم الله على عبادة تخصصهم وأوحى بها إليهم في نفوسهم فرسولهم من ذواتهم إعلام من الله بالهام خاص جبلهم عليه كعلم بعض الحيوانات بأشياء يقصر عن إدراكها المهندس النحريرو علمهم على الإطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش والمأكول وتجنب ما يضرهم من ذلك كل ذلك في فطرتهم كذلك المسمى جمادا ونباتا أخذ الله بأبصارنا وأسماعنا عما هم عليه من النطق ولا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فحذه بما فعله أهله جعل الجهلاء من الحكماء هذا إذا صح إيمانهم به من باب العلم بالاختلاج يريدون به علم الزجر وإن كان علم الزجر علما صحيحا في نفس الأمر وأنه من أسرار الله ولكن ليس هو مقصود الشارع في هذا الكلام فكان له صلى الله عليه وسلم الكشف الأتم فيرى ما لا يرى ولقد نبه على أمر عمل عليه أهل الله فوجده صحيحا قوله لولا ترديد في حديثكم وتمريح في قلوبكم لرأيت ما أرى ولسمعت ما أسمع فخص برتبة الكمال في جميع أموره ومنها الكمال في العبودية فكان عبدا صرفا لم يقم بذاته ربانية على أحد وهي التي أوجبت له السيادة وهي الدليل على شرفه على الدوام وقد قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ولنا منه ميراث وافر وهو أمر يختص بباطن الإنسان وقوله وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال فقد بينا في هذا الباب ما مست الحاجة إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

«الباب الثالث عشر في معرفة حملة العرش»

و حاملوه و هذا القول معقول	العرش و الله بالرحمن محمول
لولاه جاء به عقل و تنزيل	و أي حول لمخلوق و مقدرة
ما ثم غير الذي رتبت تفصيل	جسم و روح و أقوات و مرتبة
و المستوي باسمه الرحمن مأمول	فذا هو العرش إن حققت سورته
و اليوم أربعة ما فيه تعليل	و هم ثمانية و الله يعلمهم
و آدم و خليل ثم جبريل	محمد ثم رضوان و مالكهم
سوى ثمانية غر بهاليل	و الحق بميكال إسرافيل ليس هنا

اعلم أيد الله الولي الحميم أن العرش في لسان العرب يطلق ويراد به الملك يقال ثل عرش الملك إذا دخل في ملكه خلل و يطلق ويراد به السرير فإذا كان العرش عبارة عن الملك فتكون حملته هم القائمون به وإذا كان العرش السرير فتكون حملته ما يقوم عليه من القوائم أو من يحمله على كواهلهم و العدد يدخل في حملة العرش و قد جعل الرسول حكمهم في الدنيا أربعة و في القيامة ثمانية قتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ثم قال و هم اليوم أربعة يعني في يوم الدنيا وقوله يومئذ ثمانية يعني يوم الآخرة روينا عن ابن مسرة الجبلي من أكبر أهل الطريق علما و حالا و كشف العرش المحمول هو الملك و هو محصور في جسم و روح و غذاء و مرتبة فأدم و إسرافيل للصور و جبريل و محمد للأرواح و ميكائيل و إبراهيم للأرزاق و مالك و رضوان للوعد و الوعيد و ليس في الملك إلا ما ذكر و الأغذية التي هي الأرزاق حسية و معنوية فالذي نذكر في هذا الباب الطريقة الواحدة التي هي بمعنى الملك لما يتعلق به من الفائدة في الطريق و تكون حملته عبارة عن القائمين بتدبيره فتدبر صورة عنصرية أو صورة نورية و روحا مدبر الصورة عنصرية و روحا مدبرا مسخرا الصورة نورية و غذاء لصورة عنصرية و غذاء علوم و معارف لأرواح و مرتبة حسية من سعادة بدخول الجنة و مرتبة حسية من شقاوة بدخول جهنم و مرتبة روحية علمية فمبنى هذا الباب على أربع مسائل المسألة الأولى الصورة و المسألة الثانية الروح و المسألة الثالثة الغذاء و المسألة الرابعة المرتبة و هي الغاية و كل مسألة منها تنقسم قسمين فتكون ثمانية و هم حملة عرش الملك أي إذا ظهرت الثمانية قام الملك و ظهر و استوى عليه مليكه المسألة الأولى الصورة و هي تنقسم قسمين صورة جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية و القسم الآخر صورة جسمية نورية فلتنبذ بالجسم النوري فنقول إن أول جسم خلقه الله أجسام الأرواح الملكية المهمة في جلال الله و منهم العقل الأول و النفس الكل و إليها انتهت الأجسام النورية المخلوقة من نور الجلال و ما ثم ملك من هؤلاء الملائكة من وجد بواسطة غيره إلا النفس التي دون العقل و كل ملك خلق بعد هؤلاء فدخلون تحت حكم الطبيعة فهم من جنس أفلاكها التي خلقوا منها و هم عمارها و كذلك ملائكة العناصر و آخر صنف من الأملاك الملائكة المخلوقون من أعمال العباد و أنفاسهم فلنذكر ذلك صنفا صنفا في هذا الباب إن شاء الله تعالى اعلم أن الله تعالى كان قبل أن يخلق

الخلق ولا قبلية زمان وإنما ذلك عبارة للتوصيل تدل على نسبة يحصل بها المقصود في نفس السامع كان جل وتعالى في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء وهو أول مظهر إلهي ظهر فيه سرى فيه النور الذاتي كما ظهر في قوله الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فلما انصبغ ذلك العماء بالنور فتح فيه صور الملائكة المهيمين الذين هم فوق عالم الأجسام الطبيعية ولا عرش ولا مخلوق تقدمهم فلما أوجدهم تجلّى لهم فصار لهم من ذلك التجلي غيبا كان ذلك الغيب روحا لهم أي لتلك الصور وتجلّى لهم في اسمه الجميل فما في جلال جماله فهم لا يفقهون فلما شاء أن يخلق عالم التدوين والتسطير عين واحدا من هؤلاء الملائكة الكرويين وهو أول ملك ظهر من ملائكة ذلك النور سماه العقل والقلم وتجلّى له في مجلى التعليم الوهبي بما يريد إيجاده من خلقه لا إلى غاية و حد فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم الخلقى فاشتق من هذا العقل موجودا آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلّى إليه ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير وجعل لهذا القلم ثلاثمائة وستين سنا في قلميّه أي من كونه قلما و من كونه عقلا ثلاثمائة وستين تجليا أو رقيقة كل سن أو رقيقة تعترف من ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الإجمالية فيفصلها في اللوح فهذا حصر ما في العالم من العلوم إلى يوم القيامة فعلمها اللوح حين أودعه إياها القلم فكان من ذلك علم الطبيعة وهو أول علم حصل في هذا اللوح من علوم ما يريد الله خلقه فكانت الطبيعة دون النفس وذلك كله في عالم النور الخالص ثم أوجد سبحانه الظلمة المحضة التي هي في مقابلة هذا النور بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعند ما أوجدها أفاض عليها النور إفاضة ذاتية بمساعدة الطبيعة فألم شعنها ذلك النور فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق وخلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فَلَيْسَ لَهُمْ شِغْلٌ إِلَّا كَوْنُهُمْ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يسبحون بحمده وقد بينا خلق العالم في كتاب سميناه عقلة المستوفز وإنما نأخذ منه في هذا الباب رءوس الأشياء ثم أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فكل فلك أصل لما خلق فيه من عمارة كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب و عمر به و بنيه الأرض وقسم في هذا الكرسي الكريم الكلمة إلى خبر وحكم وهما القدمان اللتان تدلتا له من العرش كما ورد في الخبر النبوي ثم خلق في جوف الكرسي الأفلاك فلما في جوف فلك وخلق في كل فلك عالما منه يعمرونه سماهم ملائكة يعني رسلا وزينها بالكواكب وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا إِلَى أَنْ خَلَقَ صُورَ الْمَوْلِدَاتِ وَلَمَّا أَكْمَلَ اللَّهُ هَذِهِ الصُّورَ النُّورِيَّةَ وَالْعَنْصَرِيَّةَ بِالْأَرْوَاحِ تَكُونُ غَيْبًا لِهَذِهِ الصُّورِ تَجَلَّى لِكُلِّ صَنْفٍ مِنَ الصُّورِ بِحَسَبِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فَتَكُونُ عَنِ الصُّورِ وَعَنْ هَذَا التَّجَلِّيِ أَرْوَاحُ الصُّورِ وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ فَخَلَقَ الْأَرْوَاحَ وَأَمْرَهَا بِتَدْيِيرِ الصُّورِ وَجَعَلَهَا غَيْرَ مَنْقَسِمَةَ بِلِذَاتِهَا وَاحِدَةً وَمِيزَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ قَتْمِيزَتْ وَكَانَ مِيزُهَا بِحَسَبِ قَبُولِ الصُّورِ مِنْ ذَلِكَ التَّجَلِّيِ وَلَيْسَتْ الصُّورُ بِأَيْنَاتٍ لِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْ هَذِهِ الصُّورِ لَهَا كَالْمَلِكِ فِي حَقِّ الصُّورِ الْعَنْصَرِيَّةِ وَكَالْمُظَاهِرِ فِي حَقِّ الصُّورِ كُلِّهَا ثُمَّ أَحْدَثَ اللَّهُ الصُّورَ الْجَسَدِيَّةَ الْخَيَالِيَّةَ بِتَجَلُّيِ آخَرِينَ اللَّطَائِفِ وَالصُّورِ تَجَلَّى فِي تِلْكَ الصُّورِ الْجَسَدِيَّةِ الصُّورَ النُّورِيَّةَ وَالنَّارِيَّةَ ظَاهِرَةً لِلْعَيْنِ وَتَجَلَّى الصُّورَ الْحَسِيَّةَ حَامِلَةً لِلصُّورِ الْمَعْنَوِيَّةِ

في هذه الصور الجسدية في النوم و بعد الموت و قبل البعث و هو البرزخ الصوري و هو قرن من نور أعلاه و أسفله ضيق فإن أعلاه الصماء و أسفله الأرض و هذه الأجساد الصورية التي يظهر فيها الجن و الملائكة و باطن الإنسان و هي الظاهرة في النوم و صور سوق الجنة و هي هذه الصور التي تعمر الأرض التي تقدم الكلام عليها في بابها ثم إن الله تعالى جعل لهذه الصور و لهذه الأرواح غذاء و هو المسألة الثالثة يكون بذلك الغذاء بقاءهم و هو رزق حسي و معنوي فالمعنوي منه غذاء العلوم و التجليات و الأحوال و الغذاء المحسوس معلوم و هو ما تحمله صور المطعومات و المشروبات من المعاني الروحانية أعني القوي فذلك هو الغذاء فالغذاء كله معنوي على ما قلناه و إن كان في صور محسوسة فتتغذى كل صورة نورية كانت أو حيوانية أو جسدية بما يناسبها و تفصيل ذلك يطول ثم إن الله جعل لكل عالم مرتبة في السعادة و الشقاء و منزلة و تفاصيلها لا تنحصر فسعادتها بحسبها فمنها سعادة غرضية و منها سعادة كمالية و منها سعادة ملائمة و منها سعادة وضعية أعني شرعية و الشقاوة مثل ذلك في التقسيم بما لا يوافق الغرض و لا الكمال و لا المزاج و هو غير الملائم و لا الشرع و ذلك كله محسوس و معقول فالحسوس منه ما يتعلق بدار الشقاء من الآلام في الدنيا و الآخرة و يتعلق بدار السعادة من اللذات في الدنيا و الآخرة و منه خالص و تمتزج فالخالص يتعلق بالدار الآخرة و الممتزج يتعلق بالدار الدنيا فيظهر السعيد بصورة الشقي و الشقي بصورة السعيد و في الآخرة يمتازون و قد يظهر الشقي في الدنيا بشقاوته و يتصل بشقاء الآخرة و كذلك السعيد و لكنهم مجهولون و في الآخرة يمتازون و امتازوا اليوم أيها المجرمون فهناك تلحق المراتب بأهلها لحوقا لا ينحرم و لا يتبدل فقد بان لك معنى الثمانية التي هي مجموع الملك المعبر عنه بالعرش و هذه هي المسألة الرابعة فقد بان لك معنى الثمانية و هذه الثمانية للنسب الثمانية التي يوصف بها الحق و هي الحياة و العلم و القدرة و الإرادة و الكلام و السمع و البصر و إدراك المطعوم و المشموم و الملموس بالصفة اللاتمة به فإن لهذا الإدراك بها تعلقا كإدراك السمع بالمسموعات و البصر بالمبصرات و لهذا انحصر الملك في ثمانية فالظاهر منها في الدنيا أربعة الصورة و الغذاء و المرتبتان و يوم القيامة تظهر الثمانية بجمعها للعيان و هو قوله تعالى و يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ فقال صلى الله عليه و سلم و هم اليوم أربعة هذا في تفسير العرش بالملك و أما العرش الذي هو السرير فإن لله ملائكة يحملونه على كواهلهم هم اليوم أربعة و غذا يكونون ثمانية لأجل الحمل إلى أرض الحشر و ورد في صور هؤلاء الأربعة الحملة ما يقاربه قول ابن مسرة فليل الواحد على صورة الإنسان و الثاني على صورة الأسد و الثالث على صورة النسر و الرابع على صورة الثور و هو الذي رآه السامري فتحيل أنه إله موسى فصنع لقومه العجل و قال هذا إلهكم و إله موسى القصة و الله يقول الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

« الباب الرابع عشر »

في معرفة أسرار الأنبياء أعني أنبياء الأولياء و أقطاب الأمم المكملين من آدم إلى محمد صلى الله عليه و سلم و أن القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت و أين مسكنه

عرف الله بهم من بعثه	أنبياء الأولياء الورثة
سر هذا الأمر روح نفته	ثم في روع إمام واحد
و سرى في خلقه ما نكثا	ثم لما عقد الله له
منة منه قلوب الورثة	شو تلقته على عزته
ليس يدريه سوى من ورثه	موضع القطب الذي يسكنه

اعلم أيديك الله أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه فإن بعث بها إلى غيره كان رسولاً ويأتيه الملك على حالتين إما ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوال في ذلك التنزل وإما على صورة جسدية من خارج يلقى ما جاء به إليه على أذنه فيسمع أو يلقها على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء وكذلك سائر القوي الحساسة وهذا باب قد أغلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سبيل أن يتعبد الله أحداً بشريعة ناسخة لهذه الشريعة الحمديّة وإن عيسى ع إذا نزل ما يحكم إلا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الأولياء فإنه من شرف محمد صلى الله عليه وسلم إن ختم الله ولاية أمته والولاية مطلقة بنبي رسول مكرم ختم به مقام الولاية فله يوم القيامة حشر أن يحشر مع الرسل رسولاً ويحشر معنا ولياً تابعا محمداً صلى الله عليه وسلم كرمه الله تعالى والياس بهذا المقام على سائر الأنبياء وأما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة فهو كل شخص أقامه الحق في تجلياته وأقام له مظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومظهر جبريل ع فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ من خطابه وفرغ عن قلب هذا الولي عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة الحمديّة فيأخذها هذا الولي كما أخذها المظهر الحمدي للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة مما أمر به ذلك المظهر الحمدي من التبليغ لهذه الأمة فيرد إلى نفسه وقد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد صلى الله عليه وسلم وعلم صحته علم يقين بل عين يقين فأخذ حكم هذا النبي وعمل به على بينة من ربه فرب حديث ضعيف قد ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع كان في روايته يكون صحيحاً في نفس الأمر ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث ولم يضعه وإنما رده الحدث لعدم الثقة بقوله في نقله وذلك إذا انفرد به ذلك الواضع أو كان مدار الحديث عليه وأما إذا شاركه فيه ثقة سمعه معه قبل ذلك الحديث من طريق ذلك الثقة وهذا ولي قد سمعه من الروح يلقى على حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم كما سمع الصحابة في حديث جبريل ع مع محمد صلى الله عليه وسلم في الإسلام والإيمان والإحسان في تصديقه إياه وإذا سمعه من الروح الملقى فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً لا يشك فيه بخلاف التابع فإنه يقبله على طريق غلبة الظن لارتفاع التهمة المؤثرة في الصدق ورب حديث يكون صحيحاً من طريق روايته يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث الصحيح فأنكره وقال له لم أقله و

لا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به عن بينة من ربه وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الأمر ليس كذلك وقد ذكر مثل هذا مسلم في صدر كتابه الصحيح وقد يعرف هذا المكاشف من وضع ذلك الحديث الصحيح طريقه في زعمهم إما أن يسمى له أو تقام له صورة الشخص فهؤلاء هم أنبياء الأولياء ولا يتفردون قط بشريعة ولا يكون لهم خطاب بها إلا بتعريف إن هذا هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم أو يشاهد المنزل عليه بذلك الحكم في حضرة التمثل الخارج عن ذاته والداخل المعبر عنه بالمبشرات في حق النائم غير إن الولي يشترك مع النبي في إدراك ما تدرکه العامة في النوم في حال اليقظة سواء وقد أثبت هذا المقام للأولياء أهل طريقنا وإتيان هذا وهو الفعل بالهمة والعلم من غير معلم من المخلوقين غير الله وهو علم الخضر فإن آتاه الله العلم بهذه الشريعة التي تعبد به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتفاع الوسائط أعني الفقهاء وعلمااء الرسوم كان من العلم اللدني ولم يكن من أنبياء هذه الأمة فلا يكون من يكون من الأولياء وارث نبي إلا على هذه الحالة الخاصة من مشاهدة الملك عند الإلقاء على حقيقة الرسول فافهم هؤلاء هم أنبياء الأولياء وتستوي الجماعة كلها في الدعاء إلى الله على بصيرة كما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وهم أهل هذا المقام فهم في هذه الأمة مثل الأنبياء في بنى إسرائيل على مرتبة تعبد هارون بشريعة موسى عليهما السلام مع كونه نبياً فإن الله قد شهد بنبوته وصرح بها في القرآن فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة الصحيحة التي لا شك فيها على أنفسهم وعلى هذه الأمة ممن اتبعهم فهم أعلم الناس بالشرع غير أن الفقهاء لا يسلمون لهم ذلك وهؤلاء لا يلزمهم إقامة الدليل على صدقهم بل يجب عليهم الكتم لمقامهم ولا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم مع علمهم بأن ذلك خطأ في نفس الأمر فحكمهم حكم المجتهد الذي ليس له أن يحكم في المسألة بغير ما أداه إليه اجتهاده وأعطاه دليله وليس له أن يخطف المخالف له في حكمه فإن الشارع قد قرر ذلك الحكم في حقه فالأدب يقتضي له أن لا يخطف ما قرره الشارع حكماً ودليلاً وكشفه بحكم عليه باتباع حكم ما ظهر له وشاهده وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن علماء هذه الأمة أنبياء بنى إسرائيل يعني المنزلة التي أشرنا إليها فإن أنبياء بنى إسرائيل كانت تحفظ عليهم شرائع رسولهم وتقوم بها فيهم وكذلك علماء هذه الأمة وأئمتها يحفظون عليها أحكام رسولها صلى الله عليه وسلم كعلماء الصحابة ومن نزل عنهم من التابعين وأتباع التابعين كالثوري وابن عيينة وابن سيرين والحسن ومالك وابن أبي رباح وأبي حنيفة ومن نزل عنهم كالشافعي وابن حنبل ومن جرى مجرى هؤلاء إلى هلم جرا في حفظ الأحكام (و طائفة أخرى) من علماء هذه الأمة يحفظون عليها أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأسرار علومه كعلي وابن عباس وسلمان وأبي هريرة وحذيفة ومن التابعين كالحسن البصري ومالك بن دينار وبنان الحمال وأيوب السخيتاني ومن نزل عنهم بالزمان كشيمان الراعي وفرج الأسود المعمر والفضيل بن عياض وذي النون المصري ومن نزل عنهم كالجنيد والتستري ومن جرى مجرى هؤلاء من السادة في حفظ الحال النبوي والعلم اللدني والسر الإلهي فأسرار حفظة الحكم موقوفة في الكرسي عند القدمين إذ لم يكن لهم حال نبوي يعطي سرا إلهيا ولا علما لدنيا وأسرار حفاظ الحال النبوي والعلم اللدني من علماء حفاظ الحكم و

غيرهم موقوفة عند العرش والعماء ولا موقوفة ومنها ما لها مقام ومنها ما لا مقام لها وذلك مقام لها تتميز به فإن ترك العلامة بين أصحاب
العلامات علامة محققة غير محكوم عليها بتقييد وهي أسنى العلامات ولا يكون ذلك إلا للمتمكن الكامل في الورث الحمدي وأما أقطاب
الأمم المكملين في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماءهم باللسان العربي لما أشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخية وأنا
بمدينة قرطبة في مشهد أقدس فكان منهم المفرق ومداوي الكلوم والبكاء المرتفع والشفاء والمالحق والعاقب والمنحور وشجر الماء و
عنصر الحياة والشريد والراجع والصانع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحبي والرامي والواسع والبحر والملصق والهادي و
المصلح والباقي فهؤلاء المكملون الذين سموا لنا من آدم إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله
عليه وسلم وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة قيل له صلى الله
عليه وسلم متى كنت نبيا فقال صلى الله عليه وسلم وآدم بين الماء والطين وكان اسمه مداوي الكلوم فإنه بجراحات الهوى خبير والرأي و
الدينا والشيطان والنفس بكل لسان نبوي أو رسالي أو لسان الولاية وكان له نظر إلى موضع ولادة جسمه بمكة وإلى الشام ثم صرف الآن
نظره إلى أرض كثيرة الحر والبيس لا يصل إليها أحد من بني آدم بجسده إلا أنه قد رآها بعض الناس من مكة في مكانه من غير قلة زويت له
الأرض فرآها وقد أخذنا نحن عنه علوما جممة بما خد مختلفة ولهذا الروح الحمدي مظاهر في العالم أكمل مظهره في قطب الزمان وفي الأفراد و
في ختم الولاية الحمدي وختم الولاية العامة الذي هو عيسى ع وهو المعبر عنه بمسكنه وسأذكر فيما بعد هذا الباب إن شاء الله ما له من
كونه مداوي الكلوم من الأسرار وما انتشر عنه من العلوم ثم ظهر هذا السر بعد ظهور حال مداوي الكلوم في شخص آخر اسمه المستسلم
للقضاء والقدر ثم انتقل الحكم منه إلى مظهر الحق ثم انتقل من مظهر الحق إلى الهاج ثم انتقل من الهاج إلى شخص يسمى واضع الحكم وأظنه
لقمان والله أعلم فإنه كان في زمان داود وما أنا منه على يقين أنه لقمان ثم انتقل من واضع الحكم إلى الكاسب ثم انتقل من الكاسب إلى جامع
الحكم وما عرفت لمن انتقل الأمر من بعده وسأذكر في هذا الكتاب إذا جاءت أسماء هؤلاء ما اختصوا به من العلوم ونذكر لكل واحد منهم
مسألة إن شاء الله ويجري ذلك على لساني فما أدري ما يفعل الله بي ويكفي هذا القدر من هذا الباب والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

انتهى الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الخامس عشر في معرفة الأنفاس ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم هي»

وهم الأعلون في القدس	عالم الأنفاس من نفسي
وحيه يأتيه في الجرس	مصطفاهم سيد لسن
ما أقاسيه من الحرس	قلت للبواب حين رأى

قلت قرب السيد الندس قال ما تبغيه يا ولدي
خطرة منه لمختلس من شفيعي للإمام عسى
لغني غير مبتس قال ما يعطي عوارفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نفس الرحمن يأتي من قبل اليمن قيل إن الأنصار نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من مقاساة الكفار المشركين والأنفاس روائح القرب الإلهي فلما تنسنت مشام العارفين عرف هذه الأنفاس وتوفرت الدواعي منهم إلى طلب محقق ثابت القدم في ذلك المقام ينبئهم بما في طي ذلك المقام الأقدس وما جاءت به هذه الأنفاس من العرف لإنفس من الأسرار والعلوم بعد البحث بالهمم والتعرض لنفحات الكرم عرفوا بشخص إلهي عنده السر الذي يطلبونه والعلم الذي يريدون تحصيله وأقامه الحق فيهم قطبا يدور عليه فلهم وأما ما يقوم به ملكهم يقال له مداوي الكلام فانتشر عنه فيهم من العلم والحكم والأسرار ما لا يحصرها كتاب وأول سر أطلع عليه الدهر الأول الذي عنه تكونت الدهور وأول فعل أعطى فعل ما تقتضيه روحانية السماء السابعة سماء كيوان فكان يصير الحديد فضة بالتدبير والصنعة ويصير الحديد ذهباً بالخاصية وهو سر عجيب ولم يطلب على هذا رغبة في المال ولكن رغبة في حسن المال ليقف من ذلك على رتبة الكمال وأنه مكتسب في التكوين فإن المرتبة الأولى من عقد الأجر المعدنية بالحركات الفلكية والحرارة الطبيعية زئبقاً وكبريتاً وكل متكون في المعدن فإنه يطلب الغاية الذي هو الكمال وهو الذهب لكن تطراً عليه في المعدن علل وأمراض من يبس مفرط أو رطوبة مفرطة أو حرارة أو برودة تخرجه عن الاعتدال فيؤثر فيه ذلك المرض صورة تسمى الحديد أو النحاس أو الأسرب أو غير ذلك من المعادن فأعطى هذا الحكيم معرفة العقاقير والأدوية المنزل استعمالها تلك العلة الطارئة على شخصية هذا الطالب درجة الكمال من المعدنية وهي الذهب فأزالها فصح ومشى حتى لحق بدرجة الكمال ولكن لا يقوي في الكمال قوة الصحيح الذي ما دخل جسمه مرض فإن الجسد الذي يدخله المرض بعيد أن يتخلص وينقى الخلوص الذي لا يشوبه كدر وهو الخالص الأصلي كيجي في الأنبياء وآدم عليهما السلام لم يكن الغرض إلا درجة الكمال الإنساني في العبودية فإن الله خلقه في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأبقوا على الصحة الأصلية وذلك أنه في طبيعته اكتسب علل الأعراض وأمراض الأغراض فأراد هذا الحكيم أن يرده إلى أحسن تقويم الذي خلقه الله عليه فهذا كان قصد الشخص العاقل بمعرفة هذه الصنعة المسماة بالكيمياء وليست سوى معرفة المقادير والأوزان فإن الإنسان لما خلقه الله وهو آدم أصل هذه النشأة الإنسانية والصورة الجسمية الطبيعية العنصرية ركب جسده من حار وبارد ورطب ويابس بل من بارد يابس وبارد رطب وحار رطب وحار يابس وهي الأخلاط الأربعة السوداء والبلغم والدم والصفراء كما هي في جسم العالم الكبير النار والهواء والماء والتراب فخلق الله جسم آدم من طين وهو مزج الماء بالتراب ثم نفخ فيه نفساً وروحاً ولقد ورد في النبوة الأولى في بعض الكتب المنزلة على نبي في بني إسرائيل ما أذكر نصه الآن فإن الحاجة مست إلى ذكره فإن أصدق الأخبار ما

روى عن الله تعالى فروينا عن مسلمة بن وضاح مسندا إليه وكان من أهل قرطبة فقال قال الله في بعض ما أنزله على أنبياء بنى إسرائيل إني خلقت يعني آدم من تراب و ماء و نفخت فيه نفسا و روحا فسويت جسده من قبل التراب و رطوبته من الماء و حرارته من النفس و برودته من الروح قال ثم جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع آخر لا تقوم واحدة منهن إلا بالأخرى وهي المرتان و الدم و البلغم ثم أسكنت بعضهن في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء و مسكن الحرارة في المرة الصفراء و مسكن الرطوبة في الدم و مسكن البرودة في البلغم ثم قال جل ثناؤه فأني جسد اعتدلت فيه هذه الأخلاط كملت صحته و اعتدلت بنيته فإن زادت واحدة منهن على الأخرى و قهرتهن دخل السقم على الجسد بقدر ما زادت و إذا كانت ناقصة ضعفت عن مقاومتها فدخل السقم بغلبتهن إياها و ضعفها عن مقاومتها فعلم الطب أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد طلب الاعتدال في كلام طويل عن الله تعالى ذكرناه في الموعدة الحسنة فكان هذا الإمام من أعلم الناس بهذا النشء الطبيعي و ما للعالم العلوي فيه من الآثار المودعة في أنوار الكواكب و سباحتها و هو الأمر الذي أوحى الله في السموات و في اقتراناتها و هبوطها و صعودها و أوجها و حضيضها قال تعالى و أوحى في كل سماء أمرها و قال في الأرض و قد رَفِينَا أَقْوَاتَهَا و كان لهذا الشخص فيما ذكرناه مجال رحب و باع متسع و قدم راسخة لكن ما تعدت قوته في النظر الفلك السابع من باب الذوق و الحال لكن حصل له ما في الفلك المكوكب و الأطلس بالكشف و الاطلاع و كان الغالب عليه قلب الأعيان في زعمه و الأعيان لا تنقلب عندنا جملة واحدة فكان هذا الشخص لا يبرح يسبح بروحانيته من حيث رصده و فكره مع المقابل في درجه و دقائقه و كان عنده من أسرار إحياء الموات عجائب و كان مما خصه الله به أنه ما حل بموضع قد أجذب إلا أوجد الله فيه الخصب و البركة كما رونا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في خضر رضي الله عنه و قد سئل عن اسمه بخضر فقال صلى الله عليه و سلم ما قعد على فروة إلا اهترت تحته خضراء و كان هذا الإمام له تلميذ كبير في المعرفة الذاتية و علم القوة و كان يتلطف بأصحابه في التنبه عليه و يستر عن عامة أصحابه ذلك خوفا عليه منهم و لذلك سمي مداوي الكلوم كما استكتم يعقوب يوسف عليهما السلام حذرا عليه من إخوته و كان يشغل عامة أصحابه بعلم التدبير و مثل ذلك مما يشاكل هذا الفن من تركيب الأرواح في الأجساد و تحليل الأجساد و تأليفها بخلق صورة عنها أو خلع صورة عليها ليقفوا من ذلك على صنعة الله العليم الحكيم و عن هذا القطب خرج علم العالم و كونه إنسانا كبيرا و إن الإنسان مختصرة في الجريمة مضاهية في المعنى فأخبرني الروح الذي أخذت منه ما أودعته في هذا الكتاب أنه جمع أصحابه يوما في دسكرة و قام فيهم خطيبا و كانت عليه مهابة فقال افهموا عني ما أمرزه لكم في مقامي هذا و فكروا فيه و استخرجوا كنهه و اتساع زمانه في أي عالم هو و إني لكم ناصح و مأكّل ما يدري يداع فإنه لكل علم أهل يختص بهم و ما يتمكن الانفراد و لا يسع الوقت فلا بد أن يكون في الجمع فطر مختلفة و أذهان غير مؤتلفة و المقصود من الجماعة واحد إياه أقصد بكلامي و بيده مفتاح رمزي و لكل مقام مقال و لكل علم رجال و لكل وارد حال فافهموا عني ما أقول و عوا ما تسمعون فبنور النور أفسمت و بروح الحياة و حياة الروح آليت إني عنكم لمنقلب من حيث جئت و راجع إلى الأصل الذي عنه وجدت فقد طال مكثي في هذه الظلمة و ضاق

نفسى بترادف هذه الغمة وإني سألت الرحلة عنكم وقد أذن لي في الرحيل فأثبتوا على كلامي فتعقلون ما أقول بعد انقضاء سنين عينها و ذكر عددها فلا تبرحوا حتى آتيكم بعد هذه المدة وإن برحتم فلتسرعوا إلى هذا المجلس الكثرة وإن لطف مغناه وغلب على الحرف معناه فالحقيقة الحقيقية والطريقة الطريقة فقد اشتركت الجنة والدنيا في اللبن والبناء وإن كانت الواحدة من طين وتين والأخرى من عسجد ولجين هذا ما كان من وصيته لبنيه وهذه مسألة عظيمة رمزها وراح فمن عرفها استراح ولقد دخلت يوما بقرطبة على قاضيها أبي الوليد بن رشد وكان يرغب في لقائي لما سمع وبلغه ما فتح الله به علي في خلوتي فكان يظهر التعجب مما سمع فبعثني والدي إليه في حاجة قصدا منه حتى يجتمع بي فإنه كان من أصدقائه وأنا صبي ما بقل وجهي ولا طر شاربي فعند ما دخلت عليه قام من مكانه إلى محبة وإعظاما فعانقني وقال لي نعم قلت له نعم فزاد فرحه بي لفهمي عنه ثم إني استشعرت بما أفرحه من ذلك فقلت له لا فانقبض وتغير لونه وشك فيما عنده وقال كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي هل هو ما أعطاه لنا النظر قلت له نعم لا وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادها والأعناق من أجسادها فاصفر لونه وأخذ الأفكل وقعد يحوقل وعرف ما أشرت به إليه وهو عين هذه المسألة التي ذكرها هذا القطب الإمام أعني مداوي الكلوم وطلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا هل هو يوافق أو يخالف فإنه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي فشكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلا وخرج مثل هذا الخروح من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة وقال هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أربابا فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغالقي أبوابها والحمد لله الذي خصني برويته ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فأقيم لي رحمه الله في الواقعة في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني وقد شغل بنفسه عني فقلت إنه غير مراد لما نحن عليه فما اجتمعت به حتى درج وذلك سنة خمس وتسعين وخمسائة بمدينة مراکش ونقل إلى قرطبة وبها قبره ولما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر وأنا واقف ومعني الفقيه الأديب أبو الحسين محمد بن جبير كاتب السيد أبي سعيد وصاحبي أبو الحكم عمر وابن السراج الناسخ فالتفت أبو الحكم إلينا وقال ألا نتظرون إلى من يعادل الإمام ابن رشد في مركبه هذا الإمام وهذه أعماله يعني تواليفه فقال له ابن جبير يا ولدي نعم ما نظرت لافض فوك فقيدتها عندي موعظة وتذكرة رحم الله جميعهم وما بقي من تلك الجماعة غيري وقلنا في ذلك

هذا الإمام وهذه أعماله يا ليت شعري هل أتت أماله

وكان هذا القطب مداوي الكلوم قد أظهر سر حركة الفلك وأنه لو كان على غير هذا الشكل الذي أوجده الله عليه لم يصح أن يتكون شيء في الوجود الذي تحت حيطته وبين الحكمة الإلهية في ذلك ليرى الأبواب علم الله في الأشياء وإِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا إله إلا هو العليم الحكيم في معرفة الذات والصفات علم ما أشار إليه هذا القطب فلو تحرك غير المستدير لما عمر الخلال بحركته وكانت أحياء كثيرة تبقى في الخلال فكان لا يتكون عن تلك الحركة تمام أمر وكان ينقص منه قدر ما نقص من عمارة تلك الأحياء بالحركة وذلك بمشيئة الله تعالى وحكمته

الجارية في وضع الأسباب وأخبر هذا القطب أن العالم موجود ما بين المحيط والنقطة على مراتبهم وصغر أفلاكهم وعظمتها وأن الأقرب إلى المحيط أوسع من الذي في جوفه فيومه أكبر ومكانه أفسح ولسانه أفصح وهو إلى التحقق بالقوة والصفاء أقرب وما انحط إلى العناصر نزل عن هذه الدرجة حتى إلى كرة الأرض وكل جزء في كل محيط يقابل ما فوقه وما تحته بذاته لا يزيد واحد على الآخر شيء وإن اتسع الواحد وضاق الآخر وهذا من إيراد الكبير على الصغير والواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع والكل ينظر إلى النقطة بذواتهم والنقطة مع صغرها تنظر إلى كل جزء من المحيط بها بذاتها فالمختصر المحيط والمختصر منه النقطة وبالعكس فانظر ولما انحط الأمر إلى العناصر حتى انتهى إلى الأرض كثر عكسه مثل الماء في الحب والزيت وكل مائع في الدن ينزل إلى أسفله عكسه ويصفو أعلاه والمعنى في ذلك ما يجده عالم الطبيعة من الحجب المانعة عن إدراك الأنوار من العلوم والتجليات بكدورات الشهوات والشبهات الشرعية وعدم الورع في اللسان والنظر والسمع والمطعم والمشرب والملبس والمركب والمنكح وكدورات الشهوات بالانكباب عليها والاستقراع فيها وإن كانت حالاً وإنما لم يمنع نيل الشهوات في الآخرة وهي أعظم من شهوات الدنيا من التجلي لأن التجلي هناك على الأبصار وليست الأبصار بمحل للشهوات والتجلي هنا في الدنيا إنما هو على البصائر والبواطن دون الظاهر والبواطن محل الشهوات ولا يجتمع التجلي والشهوة في محل واحد فهذا جنح العارفون والزهاد في هذه الدنيا إلى التقليل من نيل شهواتها والشغل بكسب حطامها وهذا الإمام هو الذي أعلم أصحابه أن ثم رجلاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم وإيهم تنظر روحانيات السموات السبع لكل شخص منهم قوة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السموات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين وأما يحيى فله تردد بين عيسى وبين هارون فينزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة من حقائق هؤلاء الأنبياء عليهم السلام وتنظر إليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله تعالى في سبحاتها في أفلاكها وبما أودع الله في حركات هذه السموات السبع من الأسرار والعلوم والآثار العلوية والسفلية قال تعالى وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا فَلَهُمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِحَسَبِ مَا يَعْطِيهِ صَاحِبُ تِلْكَ السَّاعَةِ وَسُلْطَانُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَكُلُّ أَمْرٍ عِلْمِيٌّ يَكُونُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ فَمِنْ مَادَّةِ إِدْرِيسَ عَ وَكُلُّ أَثَرِ عَلَوِيٍّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي عِنَصِرِ الْهَوَاءِ وَالنَّارِ فَمِنْ سَبَاحَةِ الشَّمْسِ وَنَظَرِهَا الْمَوْدِعِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا وَمَا يَكُونُ مِنْ أَثَرٍ فِي عِنَصِرِ الْمَاءِ وَالتَّرَابِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَمِنْ حَرَكَةِ الْفَلَكَ الرَّابِعِ وَمَوْضِعِ هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي يَحْفَظُهُ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ فَمِمَّا يَحْصُلُ لِهَذَا الشَّخْصِ الْمَخْصُوصِ مِنَ الْأَبْدَالِ بِهَذَا الْإِقْلِيمِ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمُ أَسْرَارِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَعِلْمُ النَّوْرِ وَالضِّيَاءِ وَعِلْمُ الْبَرْقِ وَالشَّعَاعِ وَعِلْمُ كُلِّ جِسْمٍ مُسْتَتِيرٍ وَمَاذَا اسْتَتَارَ وَمَا الْمَزَاجِ الَّذِي أَعْطَاهُ هَذَا الْقَبُولُ مِثْلَ الْحَبَابِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَكَأَصُولِ شَجَرِ التِّينِ مِنَ النَّبَاتِ وَكَحَجَرِ الْمَهَا وَالْبَاقُوتِ وَبَعْضِ لَحُومِ الْحَيَوَانِ وَعِلْمُ الْكَمَالِ فِي الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ وَالْمَلِكِ وَعِلْمُ الْحَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ حَيْثُمَا ظَهَرَتْ فِي حَيَوَانٍ أَوْ نَبَاتٍ وَعِلْمُ مَعَالِمِ التَّاسِيْسِ وَأَنْفَاسِ الْأَنْوَارِ وَعِلْمُ خَلْعِ الْأَرْوَاحِ الْمُدْبِرَاتِ وَإِيضَاحِ الْأُمُورِ الْمُبْهَمَاتِ وَحَلِّ الْمَشْكَلِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْغَامِضَةِ وَعِلْمُ النِّعْمَاتِ الْفَلَكيَّةِ وَالدُّوَالِبِيَّةِ وَأَصْوَاتِ الْآلَاتِ

الطرب من الأوتار وغيرها وعلم المناسبة بينها وبين طبائع الحيوان وما للنبات منها وعلم ما إليه تنتهي المعاني الروحانية والروائح العطرية وما المزاج الذي عطرها ولما ذا ترجع وكيف ينقلها الهواء إلى الإدراك الشمي وهل هو جوهر أو عرض كل ذلك يناله ويعلمه صاحب ذلك الإقليم في ذلك اليوم وفي سائر الأيام في ساعات حكم حركة ذلك الفلك وحكم ما فيه من الكواكب وما فيه من روحانية النبي هكذا إلى تمام دورة الجمعة وكل أمر علمي يكون في يوم الإثنين فمن روحانية آدم ع وكل أثر علوي في عنصر الهواء والنار فمن سباحة القمر وكل أثر سفلي في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الدنيا ولهذا الشخص الإقليم السابع فما يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الإثنين وفي كل ساعة من ساعات أيام الجمعة مما يكون لهذا الفلك حكم فيها علم السعادة والشقاء وعلم الأسماء وما لها من الخواص وعلم المد والجزر والربو والنقص وكل أمر علمي يكون في يوم الثلاثاء فمن روحانية هارون ع وكل أثر علوي في عنصر النار والهواء فمن روحانية الأحمر وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة الفلك الخامس ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثالث فما يعطيه من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم تدبير الملك وسياسته وعلم الحماية والحماية وترتيب الجيوش والقتال ومكايد الحروب وعلم القرابين وذبح الحيوان وعلم أسرار أيام النحر وسريانه في سائر البقاع وعلم الهدى والضلال وتميز الشبهة من الدليل وكل أمر علمي يكون في يوم الأربعاء فمن روحانية عيسى ع وهو يوم النور وكان له نظر إلينا في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها وكل أثر في عنصر النار والهواء فمن روحانية سباحة الكاتب في فلكه وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الثانية وللبدل صاحب هذا اليوم الإقليم السادس ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم الأوهام والإلهام والوحي والآراء والأقيسة والرؤيا والعبادة والاختراع الصناعي والعطردة وعلم الغلط الذي يعلق بعين الفهم وعلم التعاليم وعلم الكتابة والآداب والزجر والكهانة والسحر والطلسمات والعزائم وكل أمر علمي يكون في يوم الخميس فمن روحانية موسى ع وكل أثر علوي في ركن النار والهواء فمن سباحة المشتري وكل أثر سفلي في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلكه ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثاني ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم النبات والنواميس وعلم أسباب الخير ومكارم الأخلاق وعلم القربات وعلم قبول الأعمال وأين ينتهي بصاحبها وكل أمر علمي يكون في يوم الجمعة يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الإقليم الخامس فمن روحانية يوسف ع وكل أثر علوي يكون في ركن النار والهواء فمن نظر كوكب الزهرقو كل أثر سفلي في ركن الماء والأرض فمن حركة فلك الزهرة وهو من الأمر الذي أوحى الله في كل سماء وهذه الآثار هي الأمر الإلهي الذي يتنزل بين السماء والأرض وهو في كل ما يتولد بينهما بين السماء بما ينزل منها وبين الأرض بما تقبل من هذا النزول كما يقبل رحم الأتشي الماء من الرجل للتكوين والهواء الرطب من الطير قال تعالى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَعَلَّكُمْ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ والقدرة ما لها تعلق بالإيجاد فعلمنا إن المقصود بهذا التنزل إنما هو التكوين ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم التصوير من حضرة الجمال والأنس وعلم الأحوال وكل أمر علمي يكون في يوم السبت لهذا البدل

الذي له حفظ الإقليم الأول فمن روحانية إبراهيم الخليل ع وما يكون فيه من أثر علمي في ركن النار والهواء فمن حركة كوكب كيوان في فلكه وما كان من أثر في العالم السفلي ركن الأرض والماء فمن حركة فلكه يقول تعالى في الكواكب السيارة كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبُحُونَ وَقَالَ تَعَالَى وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ فَخَلَقَهَا لِالْهِتَادِ بِهَا وَمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعُلُومِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي سَاعَاتِهِ مِنْ بَاقِي الْأَيَّامِ لَيْلًا وَنَهَارًا عِلْمَ الثَّبَاتِ وَالتَّمَكِينِ وَ عِلْمَ الدَّوَامِ وَالبَقَاءِ وَ عِلْمَ هَذَا الْإِمَامِ بِمَقَامَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَبْدَالِ وَهَجِيرَاهُمْ وَقَالَ إِنَّ مَقَامَ الْأَوَّلِ وَهَجِيرَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ سَبَبُ ذَلِكَ كَوْنُ الْأُولِيَّةِ لَهُ إِذْ لَوْ تَقَدَّمَ لَهُ مِثْلُ مَا صَحَّتْ لَهُ الْأُولِيَّةُ فَذَكَرَهُ مَنَاسِبَ لِمَقَامِهِ وَمَقَامَ الشَّخْصِ الثَّانِي فِي هَجِيرِهِ لَنَفَذَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ هُوَ مَقَامَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَتَعَلُّقِهِ لَا يَنْتَهِي وَهُوَ الثَّانِي مِنَ الْأَوْصَافِ فَإِنَّ أَوَّلَ الْأَوْصَافِ الْحَيَاةَ وَيَلِيهِ الْعِلْمُ وَهَجِيرَ الشَّخْصِ الثَّلَاثِ وَمَقَامِهِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ فَإِنَّ الْآيَاتِ الْأَوَّلَ هِيَ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ وَالْآيَاتِ الثَّوَانِي فِي الْآفَاقِ وَالْآيَاتِ الَّتِي تَلِي الثَّوَانِي فِي أَنْفُسِنَا قَالَ تَعَالَى سُنُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ فَلِهَذَا اخْتَصَّ بِهَذَا الْهَجِيرِ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَبْدَالِ وَمَقَامَ الرَّابِعِ فِي هَجِيرِهِ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا وَهُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنَ الْأَرْكَانِ الَّذِي يُطَلَّبُ الْمَرْكَزَ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِهِ فَيَلِيسُ لِنَقْطَةِ الْاَكْرَةَ أَقْرَبَ مِنَ الْأَرْضِ وَتِلْكَ النَّقْطَةُ كَانَتْ سَبَبَ وَجُودِ الْخَيْطِ فَهُوَ يُطَلَّبُ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ مُوجِدِ الْأَشْيَاءِ وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالتَّوَاضُعِ وَلَا أَنْزَلَ فِي التَّوَاضُعِ مِنَ الْأَرْضِ وَهِيَ مَنَابِعُ الْعُلُومِ وَتَفْجُرُ الْأَنْهَارُ وَكُلُّ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْمَعْصَرَاتِ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَجَارَاتِ الرُّطُوبَاتِ الَّتِي تَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ فَفَمِنْهَا تَفْجُرُ الْعَيُونَ وَالْأَنْهَارُ وَمِنْهَا تَخْرُجُ الْبَخَارَاتُ إِلَى الْجَوْفِ فَتَسْتَحِيلُ مَاءً فَيَنْزِلُ غَيْثًا فَلِهَذَا اخْتَصَّ الرَّابِعُ بِالرَّابِعِ مِنَ الْأَرْكَانِ وَمَقَامَ الْخَامِسِ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَا يَسْأَلُ إِلَّا الْمَوْلُودَ فَإِنَّهُ فِي مَقَامِ الطُّفُولَةِ مِنَ الطُّفْلِ وَهُوَ الْهِنْدِيُّ قَالَ تَعَالَى أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا فَلَا يَعْلَمُ حَتَّى يَسْأَلَ فَالْوَلَدُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ لِأَنَّ أُمَّهَاتَهُ أَرْبَعَةٌ وَ هُنَّ الْأَرْكَانُ فَكَانَ هُوَ الْعَيْنَ الْخَامِسَةَ فَلِهَذَا كَانَ السُّؤَالُ هَجِيرَ الْبَدَلِ الْخَامِسِ مِنْ بَيْنِ الْأَبْدَالِ وَأَمَّا مَقَامَ السَّادِسِ فَهَجِيرَهُ أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ وَ هِيَ الْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ فَكَانَتْ لِلْسَّادِسِ وَإِنَّمَا كَانَتْ السَّادِسَةُ لَهُ لِأَنَّهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ كَمَا ذَكَرْنَا يَسْأَلُ وَقَدْ كَانَ لَا يَعْلَمُ فَعِنْدَ مَا سَأَلَ عِلْمٌ وَ لَمَّا عِلْمٌ تَحَقَّقَ بِعِلْمِهِ بِرَبِّهِ فَوَاضَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ عِلْمٌ إِنْ أَمْرُهُ لَيْسَ بِيَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا مَلَكَ مَلِكِي أَمْرِي وَهُوَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ عَلِمْتَ إِنَّ التَّقْوِيضَ فِي ذَلِكَ أَرْجَحُ لِي فَلِذَلِكَ اتَّخَذَهُ هَجِيرًا وَمَقَامَ السَّابِعِ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهَا الرُّتْبَةَ السَّابِعَةَ وَكَانَ أَيْضًا تَكْوِينِ آدَمَ الْمَعْبُورِ عَنِ الْإِنْسَانِ فِي الرُّتْبَةِ السَّابِعَةِ فَإِنَّهُ عَنِ الْعَقْلِ ثُمَّ نَفْسٍ ثُمَّ هَبَاءٍ ثُمَّ فَلَكَ ثُمَّ فَاعْلَانِ ثُمَّ مَنْفَعْلَانِ فَهَذِهِ سِتَّةٌ ثُمَّ تَكْوِينِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ آدَمُ فِي الرُّتْبَةِ السَّابِعَةِ وَ لَمَّا كَانَ وَجُودَ الْإِنْسَانِ فِي السَّنْبَلَةِ وَ لَهَا مِنَ الزَّمَانِ فِي الدَّلَالَةِ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ فَوَجَدَ الْإِنْسَانُ فِي الرُّتْبَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْمُدَّةِ فَمَا حَمَلَ الْأَمَانَةَ إِلَّا مَنْ تَحَقَّقَ بِالسَّابِعَةِ وَكَانَ هَذَا هُوَ السَّابِعُ مِنَ الْأَبْدَالِ فَلِذَلِكَ اتَّخَذَ هَجِيرًا هَذِهِ الْآيَةَ فَهَذَا أَقْدَمُ بَيْنَكَ مَرَاتِبِ الْأَبْدَالِ وَ أَخْبَرْتَ أَنَّ هَذَا الْقَطْبَ الَّذِي هُوَ مَدَاوِي الْكُلُومِ كَانَ فِي زَمَانِ حِسْبِهِ فِي هَيْكَلِهِ وَوَلَاتِهِ فِي الْعَالَمِ إِذَا وَقَفَ وَقَفَ لَوْقَتَهُ سَبْعُونَ قَبِيلَةَ كُلِّهِمْ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْمَعَارِفُ الْإِلَهِيَّةُ وَأَسْرَارُ الْوُجُودِ وَكَانَ أَبَدًا لَا يَتَعَدَّى كَلَامَهُ السَّابِعَةَ وَ مَكَثَ زَمَانًا طَوِيلًا فِي أَصْحَابِهِ وَكَانَ يَعْينُ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ شَخْصًا فَاضِلًا كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ مَجْلِسًا كَانَ اسْمُهُ الْمُسْتَسْلِمُ فَلَمَّا دَرَجَ هَذَا الْإِمَامُ وَلِي مَقَامَهُ فِي الْقَطْبِيَّةِ الْمُسْتَسْلِمِ وَكَانَ غَالِبَ

علمه علم الزمان وهو علم شريف منه يعرف الأزل ومنه ظهر قوله ع كان الله ولا شيء معه وهذا علم لا يعلمه إلا الأفراد من الرجال وهو المعبر عنه بالدهر الأول ودهر الدهور وعن هذا الأزل وجد الزمان وبه تسمى الله بالدهر وهو قوله ع لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر والحديث صحيح ثابت ومن حصل له علم الدهر لم يقف في شيء ينسبه إلى الحق فإن له الاتساع الأعظم ومن هذا العلم تعددت المقالات في الإله ومنه اختلفت العقائد وهذا العلم يقبلها كلها ولا يرد منها شيئاً وهو العلم العام وهو الظرف الإلهي وأسراره عجيبة ما له عين موجودة وهو في كل شيء حاكم يقبل الحق نسبته ويقبل الكون نسبته هو سلطان الأسماء كلها المعينة والمغيبة عنا فكان لهذا الإمام فيه اليد البيضاء وكان له من علمه بدهر الدهور علم حكمة الدنيا في لعبها بأهلها ولم يسمي لعباً والله أوجده وكثيراً ما ينسب اللعب إلى الزمان فيقال لعب الزمان بأهله وهو متعلق السابقة وهو الحاكم في العاقبة وكان هذا الإمام يذم الكسب ولا يقول به مع معرفته بحكمته ولكن كان يرقى بذلك هم أصحابه عن التعلق بالوسائط أخبرت أنه مات حتى علم من أسرار الحق في خلقه ستة وثلاثين ألف علم وخمسمائة علم من العلوم العلوية خاصة ومات رحمه الله وولي بعده شخص فاضل اسمه مظهر الحق عاش مائة وخمسين سنة ومات وولي بعده الهاجج وكان كبير الشأن ظهر بالسيف عاش مائة وأربعين سنة مات مقتولاً في غزاة كان الغالب على حاله من الأسماء الإلهية القهار ولما قتل وولي بعده شخص يقال له لقمان والله أعلم وكان يلقب واضع الحكم عاش مائة وعشرين سنة كان عارفاً بالترتيب والعلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وكان كثير الوصية لأصحابه فإن كان هو لقمان فقد ذكر الله لنا ما كان يوصي به ابنه مما يدل على رتبته في العلم بالله وتحريضه على القصد والاعتدال في الأشياء في عموم الأحوال ولما مات رحمه الله وكان في زمان داود ع ولي بعده شخص اسمه الكاسب وكانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالمين والمناسبة الإلهية التي وجد لها العالم على هذه الصورة التي هو عليها كان هذا الإمام إذا أراد إظهار أثر ما في الوجود نظر في نفسه إلى المؤثر فيه من العالم العلوي نظرة مخصوصة على وزن معلوم فيظهر ذلك الأثر من غير مباشرة ولا حيلة طبيعية وكان يقول إن الله أودع العلم كله في الأفلاك وجعل الإنسان مجموع رقائق العالم كله فمن الإنسان إلى كل شيء في العالم رقيقة ممتدة من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أمنه الله عليها ليؤديها إلى هذا الإنسان وتلك الرقيقة يحرك الإنسان العارف ذلك الشيء لما يريد فما من شيء في العالم إلا وله أثر في الإنسان وللإنسان أثر فيه فكان لهذا كشف هذه الرقائق ومعرفتها وهي مثل أشعة النور عاش هذا الإمام ثمانين سنة ولما مات ورثه شخص يسمى جامع الحكم عاش مائة وعشرين سنة له كلام عظيم في أسرار الأبدال والشيخ والتلميذ وكان يقول بالأسباب وكان قد أعطى أسرار النبات وكان له في كل علم يختص بأهل هذا الطريق قدم و

فيما ذكرناه في هذا الباب غنية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

«الباب السادس عشر»

في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية ومبدأ معرفة الله منها ومعرفة الأوتاد والأبدال ومن تولاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها

هي الدليل على المطلوب للرسول	علم الكنائف أعلام مرتبة
و هي التي كشفت معالم السبل	وهي التي حجبت أسرار ذي عمه
من الهلال و خذ علوا إلى زحل	لها من العالم العلوي سبعة
رسي بها الأرض فابتزت من الميل	شلولوا الذي أوجد الأوتاد أربعة
فأعجب له مثلا ناهيك من مثل	لما استقر عليها من يكون بها

اعلم أيديك الله أنا قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا منازل الأبدال ومقاماتهم ومن تولاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها وما للنيرات فيهم من الآثار وما لهم من الأقاليم فلندكر في هذا الباب ما بقي مما ترجمت عليه المنازل السفلية هنا عبارة عن الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان وسميها سفلية لأن الشيطان من عالم السفلى فلا يأتي إلى الإنسان إلا من المنازل التي تناسبه وهي اليمين والشمال والخلف والأمام قال تعالى **ثُمَّ لَمْ يَلْبَسْنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ** ويستعين على الإنسان بالطبع فإنه المساعد له فيما يدعو إليه من اتباع الشهوات فأمر الإنسان أن يقاتله من هذه الجهات وأن يحصن هذه الجهات بما أمره الشرع أن يحصنها به حتى لا يجد الشيطان إلى الدخول إليه منها سبيلا فإن جاءك من بين يديك وطرده لاحت لك من العلوم علوم النور منة من الله عليك وجزاء حيث آثرت جناب الله على هোক وعلوم النور على قسمين علوم كشف وعلوم برهان بصحيح فكر فيحصل له من طريق البرهان ما يرد به الشبه المضلة القادحة في وجود الحق وتوحيده وأسمائه وأفعاله فبالبرهان يرد على المعطلة ويدل على إثبات وجود الإله وبه يرد على أهل الشرك الذين **يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ويدل على توحيد الإله من كونه إلهًا وبه يرد على من ينفي أحكام الأسماء الإلهية وصحة آثارها في الكون ويدل على إثباتها بالبرهان السمعي من طريق الإطلاق وبالبرهان العقلي من طريق المعاني وبه يرد على نفاة الأفعال من الفلاسفة ويدل على أنه سبحانه فاعل وأن المفعولات مرادة له سمعا وعقلا وأما علوم الكشف فهو ما يحصل له من المعارف الإلهية في التجليات في المظاهر وإن جاءك من خلفك وهو ما يدعوك إليه أن تقول على الله ما لا تعلم وتدعى النبوة والرسالة وإن الله قد أوحى إليك وذلك أن الشيطان إنما ينظر في كل ملة كل صفة علق المذمة عليها في تلك الأمة فيأمرك بها وكل صفة علق الحمدة عليها نهاك عنها هذا على الإطلاق والمملك على التقيض منه يأمرك بالحمود منها وينهاك عن المذموم فإذا طرده من خلفك لاحت لك علوم الصدق ومنازله وأين ينتهي بصاحبه كما قال تعالى **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ** إلا أن ذلك صدقهم هو الذي أقعدهم ذلك المقعد **عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ** فإن الاقتدار يناسب الصدق فإن معناه القوي يقال رمح صدق أي صلب قوي ولما كانت القوة صفة هذا الصادق حيث قوى على نفسه فلم يترنن بما ليس له والتزم الحق في أقواله وأحواله وأفعاله وصدق فيها أقعده الحق **عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ** أي أطلعه على القوة الإلهية التي أعطته القوة في صدقه الذي كان عليه فإن المملك هو الشديد أيضا فهو مناسب للمقتدر قال قيس بن الحطيم يصف طعنة

ملكتم بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

أي شددت كفي بها يقال ملكتم العجين إذا شددت عجنه فيحصل لك إذا خالفته في هذا الأمر الذي جاءك به علم تعلق الاقتدار الإلهي بالإيجاد وهي مسألة خلاف بين أهل الحقائق من أصحابنا ويحصل لك علم العصمة والحفظ الإلهي حتى لا يؤثر فيك وهمك ولا غيرك فتكون خالصا لربك وإن جاءك من جهة اليمين فقيوت عليه ودفعته فإنه إذا جاءك من هذه الجهة الموصوفة بالقوة فإنه يأتي إليك ليضعف إيمانك ويقينك ويلقي عليك شبحها في أدلتك ومكاشفاتك فإنه له في كل كشف يطلعك الحق عليه أمرا من عالم الخيال ينصبه لك مشابها لحالك الذي أنت به في وقتك فإن لم يكن لك علم قوي بما تميز به بين الحق وما يخيله لك فتكون موسوي المقام وإلا التبس عليك الأمر كما خيلت السحرة للعامة أن الحبال والعصي حيات ولم تكن كذلك وقد كان موسى ع لما التقى عصاه فكانت حيةً تسعى خاف منها على نفسه على مجرى العادة وإنما قدم الله بين يديه معرفة هذا قبل جمع السحرة ليكون على يقين من الله أنها آية وأنها لا تضره وكان خوفه الثاني عند ما ألقى السحرة الحبال والعصي فصارت حيات في أبصار الحاضرين على الأمة لئلا يلتبس عليهم الأمر فلا يفرقون بين الخيال والحقيقة أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله فاختلف تعلق الخوفين فإنه ع على بينة من ربه قوي الجأش بما تقدم له إذ قيل له في الإلقاء الأول خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى أي ترجع عصا كما كانت في عينك فأخفى تعالى العصا في روحانية الحية البرزخية فتلقفت جميع حيات السحرة المتخيلة في عيون الحاضرين فلم يبق لتلك الحبال والعصي عين ظاهرة في أعينهم وهي ظهور حجته على حججهم في صور حبال وعصي فأبصرت السحرة والناس حبال السحرة وعصيم التي ألقوها حبالا وعصيا فهذا كان تلقفها لأنها انعدمت الحبال والعصي إذ لو انعدمت لدخل عليهم التليس في عصا موسى وكانت الشبهة تدخل عليهم فلما رأى الناس الحبال حبالا علموا أنها مكيدة طبيعية يعضدها قوة كيدية وروحانية فتلقفت عصا موسى صور الحيات من الحبال والعصي كما يبطل كلام الخصم إذا كان على غير حق أن يكون حجة لا إن ما أتى به ينعدم بل يبقى محفوظا معقولا عند السامعين ويزول عندهم كونه حجة فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحججة وأنه خارج عما جاءوا به وتحققت شفوف ما جاء به على ما جاءوا به ورأوا خوفه علموا أن ذلك من عند الله ولو كان من عنده لم يخف لأنه يعلم ما يجري فأيتته عند السحرة خوفه وآيته عند الناس تلقف عصاه فأمنت السحرة قيل كانوا ثمانين ألف ساحر و علموا إن أعظم الآيات في هذا الموطن تلقف هذه الصور من أعين الناظرين وإبقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم والحال عندهم واحدة فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه وأن هذا الذي أتى به خارج عن الصور والحيل المعلومة في السحر فهو أمر إلهي ليس لموسى ع فيه تعمل فصدقا برسائته على بصيرة واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله وآثروا الآخرة على الدنيا و علموا من علمهم بذلك أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأن الحقائق لا تتبدل وأن عصا موسى مبطونة في صورة الحية عن أعين الجميع وعن الذي ألقاها بخوفه الذي شهدوا منه فهذه فائدة العلم وإن جاءك الشيطان من جهة الشمال بشبهات التعطيل أو وجود الشريك لله تعالى في ألوهيته

فطردته فإن الله يقويك على ذلك بدلائل التوحيد و علم النظر فإن الخلف للمعطلة و دفعهم بضرورة العلم الذي يعلم به وجود الباري فالخلف
للتعطيل و الشمال للشرك و اليمين للضعف و من بين أيديهم التشكيك في الحواس و من هنا دخل التلبس على السوفسطائية حيث أدخل لهم
الغلط في الحواس و هي التي يستند إليها أهل النظر في صحة أدلتهم و إلى البديهيات في العلم الإلهي و غيره فلما أظهر لهم الغلط في ذلك قالوا ما
ثم علم أصلا يوثق به فإن قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثم علم فما مستندكم و أتم غير قائلين به قالوا و كذلك تقول إن قولنا هذا ليس بعلم و هو من
جملة الأغاليط يقال لهم فقد علمتم إن قولكم هذا ليس بعلم و قولكم إن هذا أيضا من جملة الأغاليط إثبات ما نقيتموه فأدخل عليهم الشبه
فيما يستندون إليه في تركيب مقدماتهم في الأدلة و يرجعون إليه فيها و لهذا عصمنا الله من ذلك فلم يجعل للحس غلطا جملة واحدة و إن
الذي يدركه الحس حق فإنه موصل ما هو حاكم بل شاهد و إنما العقل هو الحاكم و الغلط منسوب إلى الحاكم في الحكم و معلوم عند القائلين
بغلط الحس و غير القائلين به إن العقل يغلط إذا كان النظر فاسدا أعني نظر الفكر فإن النظر ينتقسم إلى صحيح و فاسد فهذا هو من بين أيديهم
ثم تعلم أن الإنسان قد جعله الحق قسمين في ترتيب مدينة بدنه و جعل القلب بين القسمين منه كالفصل بين الشيين فجعل في القسم الأعلى
الذي هو الرأس جميع القوي الحسية و الروحانية و ما جعل في النصف الآخر من القوي الحساسة إلا حاسة اللمس فيدرك الخشن و اللين و
الحر و البارد و الرطب و اليابس بروحه الحساس من حيث هذه القوة الخاصة السارية في جميع بدنه لا غير ذلك و أما من القوي الطبيعية
المتعلقة بتدبير البدن فالقوة الجاذبة و بها تجذب النفس الحيوانية ما به صلاح العضو من الكبد و القلب و القوة الماسكة و بها تمسك ما جذبته
الجاذبة على العضو حتى يأخذ منه ما فيه منافع فإن قلت فإذا كان المقصود المنفعة فمن أين دخل المرض على الجسد فاعلم إن المرض من
الزيادة على ما يستحقه من الغذاء أو النقص مما يستحقه فهذه القوة ما عندها ميزان الاستحقاق فإذا جذبت زائدا على ما يحتاج إليه البدن
أو نقصت عنه كان المرض فإن حقيقتها الجذب ما حقيقتها الميزان فإذا أخذته على الوزن الصحيح فذلك لها بحكم الاتفاق و من قوة أخرى
لا بحكم القصد و ذلك ليعلم المحدث نقصه و أن الله يفعل ما يريد و كذلك فيه أيضا القوة الدافعة و بها يعرق البدن فإن الطبيعة ما هي دافعة
بمقدار مخصوص لأنها تجهل الميزان و هي محكمة لأمر آخر من فضول تطرأ في المزاج تعطيها القوة الشهوانية و كذلك أيضا هذا كله سار في
جميع البدن علوا و سفلا و أما سائر القوي فمحلها النصف الأعلى و هو النصف الأشرف محل وجود الحياتين حياة الدم و حياة النفس فأى
عضومات من هذه الأعضاء زالت عنه القوي التي كانت فيه من المشروط وجودها بوجود الحياة و ما لم يمت العضو و طرأ على محل قوة ما
خلل فإن حكمها يفسد و يتخبط و لا يعطي علما صحيحا كمثل الخيال إذا طرأت فيه علة فالخيال لا يبطل و إنما يبطل قبول الصحة فيما يراه
علما و كذلك العقل و كل قوة روحانية و أما القوي الحسية فهي أيضا موجودة لكن تطرأ حجب بينها و بين مدركاتها في العضو القائمة به من
ماء ينزل في العين و غير ذلك و أما القوي ففي محالها ما زالت و لا برحت و لكن الحجب طرأت فمنعت فالأعمى يشاهد الحجاب و يراه و هو
الظلمة التي يجدها فهي ظلمة الحجاب فمشهده الحجاب و كذلك ذائق العسل و السكر إذا وجدته مرا فالباشر للعضو القائم به قوة الذوق وإنما

هو المرة الصفراء فلذلك أدرك المرارة فالحس يقول أدركت مرارة والحاكم إن أخطأ يقول هذا السكر مر وإن أصاب عرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ما أدركت القوة وعرف أن الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي يخطئ ويصيب

«فصل» وأما معرفة الحق من هذا المنزل فاعلم إن الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلاً وإنما متعلقة العلم بالمرتبة وهو مسمى الله فهو الدليل المحفوظ الأركان الساد على معرفة الإله وما يجب أن يكون عليه سبحانه من أسماء الأفعال و نعوت الجلال وأية حقيقة يصدر الكون من هذه الذات المنعوتة بهذه المرتبة المجهولة العين والكيف وعندنا لا خلاف في أنها لا تعلم بل يطلق عليها نعوت تنزيه صفات الحدث وأن القدم لها والأزل الذي يطلق لوجودها إنما هي أسماء تدل على سلوب من نفي الأولية وما يليق بالحدوث وهذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلمين الأشاعرة ويتخيرون أنهم قد علموا من الحق صفة نفسية ثبوتية وهيات أنني لهم بذلك وأخذت طائفة ممن شاهدناهم من المتكلمين كأبي عبد الله الكفائي وأبي العباس الأشقر والضرب السلاوي صاحب الأرجوزة في علم الكلام على أبي سعيد الخراز وأبي حامد وأمثالهما في قولهم لا يعرف الله إلا الله وإنما اختلف أصحابنا في رؤية الله تعالى إذا رأيناها في الدار الآخرة بالأبصار ما الذي نرى وكلامهم فيه معلوم عند أصحابنا وقد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب مفرقا في أبواب منازلها وغيرها بطريق الإيماء لا بالتصريح فإنه مجال ضيق تقف العقول فيه لمناقضته أدلتها فهو المرئي سبحانه على الوجه الذي قاله وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما أراده من ذلك فإن الناظرين فيما قاله وأوحى به إلينا اختلفوا في تأويله وليس بعض الوجوه بأولى من بعض فتركنا الخوض في ذلك إذا الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا ولا بما نورد فيه

«فصل» وأما حديث الأوتاد الذي يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم إن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الأبدال والإمامان أخص منهم والقطب هو أخص الجماعة والأبدال في هذا الطريق لفظ مشترك يطلقون الأبدال على من تبدلت أوصافه المذمومة بالمحمودة ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها ومنهم من قال عددهم سبعة والذين قالوا سبعة منا من جعل السبعة الأبدال خارجين عن الأوتاد تمييزاً ومنا من قال إن الأوتاد الأربعة من الأبدال فالأبدال سبعة ومن هذه السبعة أربعة هم الأوتاد واثنان هما الإمامان وواحد هو القطب وهذه الجملة هم الأبدال وقالوا سموأبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله ويؤخذ من الأربعين واحد وتكمل الأربعون بواحد من الثلاثمائة وتكمل الثلاثمائة بواحد من صالحى المؤمنين وقيل سموأبدالاً لأنهم أعطوا من القوة أن يتركوا بدلم حيث يريدون لأمر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد وهؤلاء الأوتاد الأربعة لهم مثل ما للأبدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا روحانية إلهية وروحانية إلهية فمنهم من هو على قلب آدم والآخر على قلب إبراهيم والآخر على قلب عيسى والآخر على قلب محمد عليهم السلام فمنهم من تمده روحانية إسرافيل وآخر روحانية ميكائيل وآخر روحانية جبريل وآخر روحانية عزرائيل ولكل وتدرك من أركان البيت

فالذي على قلب آدم ع له الركن الشامي والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي والذي على قلب عيسى ع له الركن اليماني والذي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم له ركن الحجر الأسود وهولنا بحمد الله وكان بعض الأركان في زماننا الربيع بن محمود المارديني الخطاب فلما مات خلفه شخص آخر وكان الشيخ أبو علي الهواري قد أطلع الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم وتحقق صورهم فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحس أبصر ربيعا المارديني وأبصر الآخر وهو رجل فارسي وأبصرنا ولازمنا إلى أن مات سنة تسع وتسعين و خمسمائة أخبرني بذلك وقال لي ما أبصرت الرابع وهو رجل حبشي واعلم أن هؤلاء الأوتاد يحجون على علوم جمّة كثيرة فالذي لا بد لهم من العلم به وبه يكونون أوتادا فما زاد من العلوم فمنهم من له خمسة عشر علما ومنهم من له ولا بد ثمانية عشر علما ومنهم من له أحد و عشرون علما ومنهم من له أربعة وعشرون علما فإن أصناف العدد كثيرة هذا العدد من أصناف العلوم لكل واحد منهم لا بد له منه وقد يكون الواحد أو كلهم يجمع أو يجمعون علم الجماعة وزيادة ولكن الخاص لكل واحد منهم ما ذكرنا من العدد فهو شرط فيه وقد لا يكون له و لا واحد منهم علم زائد لا من الذي عند أصحابه ولا مما ليس عندهم فمنهم من له الوجه وهو قوله تعالى عن إبليس ثم لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلِكُلِّ جَهَةٍ وَتَدِيشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ إبليس من جهته فالذي له الوجه له من العلوم علم الاصطلام والوجد والشوق والعشق وغامضات المسائل وعلم النظر وعلم الرياضة وعلم الطبيعة والعلم الإلهي وعلم الميزان وعلم الأنوار وعلم السبجات الوجهية وعلم المشاهدة وعلم الفناء وعلم تسخير الأرواح وعلم استئزال الروحانيات العلى وعلم الحركة وعلم إبليس وعلم المجاهدة وعلم الحشر وعلم النشر وعلم موازين الأعمال وعلم جهنم وعلم الصراط والذي له الشمال له علم الأسرار وعلم الغيوب وعلم الكونز وعلم النبات وعلم المعدن وعلم الحيوان وعلم خفيات الأمور وعلم المياه وعلم التكوين وعلم التلوين وعلم الرسوخ وعلم الثبات وعلم المقام وعلم القدم وعلم الفصول المقومة وعلم الأعيان وعلم السكون وعلم الدنيا وعلم الجنة وعلم الخلود وعلم الثقلبات والذي له اليمين له علم البرازخ وعلم الأرواح البرزخية وعلم منطق الطير وعلم لسان الرياح وعلم التنزل وعلم الاستحالات وعلم الزجر وعلم مشاهدة الذات وعلم تحريك النفوس وعلم الميل وعلم المعراج وعلم الرسالة وعلم الكلام وعلم الأنفاس وعلم الأحوال وعلم السماع وعلم الحيرة وعلم الهوى والذي له الخلف له علم الحياة وعلم الأحوال المتعلقة بالعقائد وعلم النفس وعلم التجلي وعلم المنصات وعلم النكاح وعلم الرحمة وعلم التعاطف وعلم التودد وعلم الذوق وعلم الشرب وعلم الري وعلم جواهر القرآن وعلم درر الفرقان وعلم النفس الأمانة فكل شخص كما ذكرنا لا بد له من هذه العلوم فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الإلهي فهذا قد بينا مراتب الأوتاد وكنا في الباب الذي قبله بينا ما يختص به الأبدال و بينا في فصل المنازل من هذا الكتاب ما يختص به القطب والإمامان مستوفى

الأصول في باب يخصه وهو السبعون ومائتان من أبواب هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

«الباب السابع عشر في معرفة انتقال العلوم الكونية ونبد من العلوم الإلهية الممددة الأصلية»

و علم الوجه لا يرجو زوالا
 و تقطع نجدها حالا فحالا
 و مثلك من تبارك أو تعالى
 و هل غير يكون لكم مثلا
 إلهي لقد طلب المحالا
 و ما ترجو التألف والوصالا
 و هل شيء سواكم لا ولا لا
 و لست النيرات ولا الضلالا
 و كيف أرى الحال أو الضلالا
 ليطلب من أناتك النوالا
 تولد من غناك فكان حالا
 و لم يرني سواه فكنت آلا
 يرى عين الحياة به زلالا
 و من أنا مثله قبل المثالا
 عساك ترى مماثله استحالا
 تنزه أن يقاوم أو ينالا
 فما في الكون غير وجود فرد
 علوم الكون تنتقل انتقالا
 فنثبتها و ننفها جميعا
 إلهي كيف يعلمكم سواكم
 إلهي كيف يعلمكم سواكم
 و من طلب الطريق بلا دليل
 إلهي كيف تهواكم قلوب
 إلهي كيف يعرفكم سواكم
 إلهي كيف تبصركم عيون
 إلهي لا أرى نفسي سواكم
 إلهي أنت أنت و إن إني
 لفقر قام عندي من وجودي
 و أطلعي ليظهرني إليه
 و من قصد السراب يريد ماء
 أنا الكون الذي لا شيء مثلي
 و ذا من أعجب الأشياء فانظر
 فما في الكون غير وجود فرد

اعلم أيديك الله أن كل ما في العالم منتقل من حال إلى حال فعالم الزمان في كل زمان منتقل وعالم الأنفاس في كل نفس وعالم التجلي في كل تجل و
 العلة في ذلك قوله تعالى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ وأيده بقوله تعالى سَتَفْرُجُ لَكُمْ آيَةَ الْفَلَاحِ وكل إنسان يجد من نفسه تنوع الخواطر في قلبه في حركاته و
 سكناته فما من قلب يكون في العالم الأعلى والأسفل إلا وهو عن توجه إلهي بتجل خاص لتلك العين فيكون استناده من ذلك التجلي بحسب
 ما تعطيه حقيقته واعلم أن المعارف الكونية منها علوم مأخوذة من الأكوان ومعلوماتها أكوان وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلوماتها نسب و
 النسب ليست بأكوان وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلوماتها ذات الحق وعلوم تؤخذ من الحق ومعلومها الأكوان وعلوم تؤخذ من النسب و
 معلومها الأكوان وهذه كلها تسمى العلوم الكونية وهي تنتقل بانتقال معلوماتها في أحوالها وصورة انتقالها أيضا إن الإنسان يطلب ابتداء
 معرفة كون من الأكوان أو يتخذ دليلا على مطلوبه كونا من الأكوان فإذا حصل له ذلك المطلوب لاح له وجه الحق فيه ولم يكن ذلك الوجه

مطلوباً له فتعلق به هذا الطالب و ترك قصده الأول وانتقل العلم يطلب ما يعطيه ذلك الوجه فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من هو حاله هذا ولا يعرف ما انتقل عنه ولا ما انتقل إليه حتى إن بعض أهل الطريق زل فقال إذا رأيت الرجل يقيم على حال واحدة أربعين يوماً فاعلموا أنه مرأى يا عجباً وهل تعطي الحقائق أن يبقى أحد نفسين أو زمانين على حال واحدة فتكون الألوهية معطلة الفعل في حقه هذا ما لا يتصور إلا أن هذا العارف لم يعرف ما يراد بالانتقال بكون الانتقال كان في الأمثال فكان ينتقل مع الأنفاس من الشيء إلى مثله فالتبست عليه الصورة بكونه ما تغير عليه من الشخص حاله الأول في تخيله كما يقال فلان ما زال اليوم ماشياً وما قعد ولا شك أن المشي حركات كثيرة متعددة وكل حركة ما هي عين الأخرى بل هي مثلها وعلمك ينتقل بانتقالها فيقول ما تغير عليه الحال وكم تغيرت عليه من الأحوال

«فصل» وأما انتقالات العلوم الإلهية فهو الاسترسال الذي ذهب إليه أبو المعالي إمام الحرمين والتعلقات التي ذهب إليها محمد بن عمر بن الخطيب الرازي وأما أهل القدم الراسخة من أهل طريقنا فلا يقولون هنا بالانتقالات فإن الأشياء عند الحق مشهودة معلومة الأعيان والأحوال على صورها التي تكون عليها ومنها إذا وجدت أعيانها إلى ما لا يتناهى فلا يحدث تعلق على مذهب ابن الخطيب ولا يكون استرسال على مذهب إمام الحرمين رضي الله عن جميعهم والدليل العقلي الصحيح يعطي ما ذهبنا إليه وهذا الذي ذكره أهل الله ووافقنا هم عليه يعطيه الكشف من المقام الذي وراء طور العقل فصدق الجميع وكل قوة أعطت بحسبها فإذا أوجد الله الأعيان فإنما أوجدها لها لا له وهي على حالاتها بأماكنها وأزمنتها على اختلاف أمكنتها وأزمنتها فيكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئاً بعد شيء إلى ما لا يتناهى على التالي والتتابع فالأمر بالنسبة إلى الله واحد كما قال تعالى وما أمراً إلا واحدة كلمح بالبصر والكثرة في نفس المعدودات وهذا الأمر قد حصل لنا في وقت فلم يختل علينا فيه وكان الأمر في الكثرة واحداً عندنا ما غاب ولا زال وهكذا شهده كل من ذاق هذا فهم في المثال كشخص واحد له أحوال مختلفة وقد صورت له صورة في كل حال يكون عليها هكذا كل شخص وجعل بينك وبين هذه الصور حجاب فكشف لك عنها وأنت من جملة من له فيها صورة فأدرت جميع ما فيها عند رفع الحجاب بالنظرة الواحدة فالحق سبحانه ما عدل بها عن صورها في ذلك الطبق بل كشف لها عنها وأبسها حالة الوجود لها فعابنت نفسها على ما تكون عليه أبداً وليس في حق نظرة الحق زمان ماض ولا مستقبل بل الأمور كلها معلومة له في مراتبها بتعداد صورها فيها و مراتبها لا توصف بالتناهي ولا تنحصر ولا حد لها تنقف عنده فهكذا هو إدراك الحق تعالى للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها فعليها تنوعت الأحوال في خيالها لا في علمها فاستقادت من كشفها لذلك علماً لم يكن عندها لا حالة لم تكن عليها فتحقق هذا فإنها مسألة خفية غامضة تتعلق بسر القدر القليل من أصحابنا من يعثر عليها وأما تعلق علمنا بالله تعالى فعلى قسمين معرفة بالذات الإلهية وهي موقوفة على الشهود والرؤية لكنها رؤية من غير إحاطة ومعرفة بكونه لها وهي موقوفة على أمرين أو أحدهما وهو الوهب والأمر الآخر النظر والاستدلال وهذه هي المعرفة المكتسبة وأما العلم بكونه مختاراً فإن الاختيار يعارضه أحدية المشيئة فنسبته إلى الحق إذا وصف به إنما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه لا من

حيث ما هو الحق عليه قال تعالى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي وَقَالَ تَعَالَى أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَقَالَ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَحْسَنَ مَا تَمَّ بِهِ هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ وَهَذَا نَبِيٌّ عَلَى سِرِّ الْقَدْرِ وَبِهِ كَانَتِ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَلِيْقُ بِجَنَابِ الْحَقِّ وَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَى الْكَوْنِ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا فَمَا شِئْنَا وَلَكِنْ اسْتَدْرَكَ لِلتَّوَصِيلِ فَإِنَّ الْمُمْكِنَ قَابِلٌ لِلْهُدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ مِنْ حَيْثُ حَقِيقَتُهُ فَهُوَ مَوْضِعُ الْإِنْتِسَامِ وَعَلَيْهِ يَرُدُّ التَّقْسِيمَ وَفِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ إِلَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ حَالِ الْمُمْكِنِ «مَسْأَلَةٌ» ظَاهِرٌ مَعْقُولٌ الْإِخْتِرَاعُ عَدَمُ الْمِثَالِ فِي الشَّاهِدِ كَيْفَ يَصِحُّ الْإِخْتِرَاعُ فِي أَمْرٍ لَمْ يَنْزِلْ مَشْهُودًا لَهُ تَعَالَى مَعْلُومًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ بِالْأَشْيَاءِ فِي كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ «مَسْأَلَةٌ» الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ نَسَبٌ وَإِضَافَاتٌ تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ إِذْ لَا يَصِحُّ هُنَاكَ كَثْرَةُ بَوْجُودِ أَعْيَانٍ فِيهِ كَمَا زَعَمَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِاللَّهِ مِنْ بَعْضِ النَّظَارِ وَلَوْ كَانَتِ الصِّفَاتُ أَعْيَانًا زَائِدَةً وَمَا هُوَ إِلَّا بِهَا لَكَانَتِ الْأُلُوْهِيَّةُ مَعْلُومَةً بِهَا فَلَا يَجْلُو أَنْ تَكُونَ هِيَ عَيْنَ الْإِلَهِ فَالْشَيْءُ لَا يَكُونُ عِلَّةً لِنَفْسِهِ أَوْ لَا تَكُونُ فَاللَّهُ لَا يَكُونُ مَعْلُولًا لِعِلَّةٍ لَيْسَتْ عَيْنُهُ فَإِنَّ الْعِلَّةَ مَقْدَمَةٌ عَلَى الْمَعْلُولِ بِالرُّتْبَةِ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ انْفِتِقَارُ الْإِلَهِ مِنْ كَوْنِهِ مَعْلُولًا لِهَذِهِ الْأَعْيَانِ الزَّائِدَةِ الَّتِي هِيَ عِلَّةٌ لَهُ وَهُوَ مَحَالٌ ثُمَّ إِنَّ الشَّيْءَ الْمَعْلُولَ لَا يَكُونُ لَهُ عِلْمَانٌ وَهَذِهِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَكُونُ لَهَا إِلَّا بِهَا فَبَطُلَ أَنْ تَكُونَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَعْيَانًا زَائِدَةً عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا «مَسْأَلَةٌ» الصُّورَةُ فِي الْمَرَاةِ جَسَدٌ بَرَزَخِي كَالصُّورَةِ الَّتِي يَرَاهَا النَّائِمُ إِذَا وَافَقَتِ الصُّورَةَ الْخَارِجَةَ وَكَذَلِكَ الْمَيْتَ وَالْمَكَاشِفَ وَصُورَةَ الْمَرَاةِ أَصْدَقُ مَا يَعْطِيهِ الْبَرَزَخُ إِذَا كَانَتِ الْمَرَاةُ عَلَى شَكْلِ خَاصٍ وَمَقْدَارٍ جَرْمٍ خَاصٍ فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ تَصْدُقْ فِي كُلِّ مَا تَعْطِيهِ بَلْ تَصْدُقُ فِي الْبَعْضِ وَعَلِمَ أَنَّ أَشْكَالَ الْمَرَاةِ تَخْتَلِفُ فَتَخْتَلِفُ الصُّورُ فَلَوْ كَانَ النَّظَرُ بِالْإِنْعِكَاسِ إِلَى الْمَرِيئَاتِ كَمَا يَرَاهُ بَعْضُهُمْ لِأَدْرَكِهَا الرَّائِي عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ كِبَرِ جَرْمِهَا وَصِغَرِهِ وَنَحْنُ نَبْصُرُ فِي الْجِسْمِ الصَّقِيلِ الصَّغِيرِ الصُّورَةَ الْمَرِيئَةَ الْكَبِيرَةَ فِي نَفْسِهَا صَغِيرَةً وَكَذَلِكَ الْجِسْمُ الْكَبِيرُ الصَّقِيلُ يَكْبُرُ الصُّورَةَ فِي عَيْنِ الرَّائِي وَيَخْرُجُ عَنْ حُدُودِهَا وَكَذَلِكَ الْعَرِيضُ وَالطَّوِيلُ وَالْمَتَمَوِّجُ فَإِذْ نَيْسَتْ الْإِنْعِكَاسَاتُ تَعْطِي ذَلِكَ فَلَمْ يَتِمَّ أَنْ نَقُولَ إِلَّا أَنَّ الْجِسْمَ الصَّقِيلَ أَحَدُ الْأُمُورِ الَّتِي تَعْطِي صُورَةَ الْبَرَزَخِ وَلِهَذَا لَا تَتَعَلَّقُ الرَّؤْيَةُ فِيهَا إِلَّا بِالْحَسُوسَاتِ فَإِنَّ الْخَيَالَ لَا يَمْسُكُ إِلَّا مَا لَهُ صُورَةٌ مُحْسُوسَةٌ أَوْ مَرْكَبٌ مِنْ أَجْزَاءٍ مُحْسُوسَةٍ تَرْكِبُهَا الْقُوَّةُ الْمَصْصُورَةُ فَتَعْطِي صُورَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي الْحَسِّ وَجُودٌ أَصْلًا لَكِنْ أَجْزَاءٌ مَا تَرْكَبَتْ مِنْهُ مُحْسُوسَةٌ لِهَذَا الرَّائِي بِلَا شَكِّ «مَسْأَلَةٌ» أَكْمَلُ نَشْأَةُ ظَهَرَتْ فِي الْمَوْجُودَاتِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْجَمِيعِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْكَامِلَ وَجَدَ عَلَى الصُّورَةِ لِالْإِنْسَانِ الْحَيَوَانِ وَالصُّورَةَ لَهَا الْكَمَالُ وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ فَهُوَ أَكْمَلُ بِالْجَمْعِ فَإِنْ قَالُوا يَقُولُ اللَّهُ لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَكْبَرَ فِي الْجَرْمِ وَلَكِنْ يَرِيدُ فِي الْمَعْنَى قَلْنَا لَهُ صَدَقَتْ وَلَكِنْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْهُ فِي الرُّوحَانِيَّةِ بَلْ مَعْنَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ حَيْثُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى الْمُنْفَرِدِ مِنَ النِّظْمِ الْخَاصِّ لِأَجْرَامِهِمَا أَكْبَرَ فِي الْمَعْنَى مِنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّ كُلَّ الْإِنْسَانِ وَ لِهَذَا يَصْدُرُ عَنِ حَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْيَانُ الْمَوْلِدَاتِ وَالتَّكْوِينَاتِ وَالْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ جَرْمُهُ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ وَلَا يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ هَذَا وَطَبِيعَةُ الْعُنَاصِرِ مِنْ ذَلِكَ فَلِهَذَا كَانَا أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ إِذْ هُمَا لَهُ كَالْأَبْوِينِ وَهُوَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يَنْزِلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَنَحْنُ إِنَّمَا

نظر في الإنسان الكامل فنقول إنه أكمل وأما أفضل عند الله فذلك لله تعالى وحده فإن المخلوق لا يعلم ما في نفس الخالق إلا بإعلامه إياه «مسألة» ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعداً إذ لو كان لكانت ذاته مركبة منهما أو منهن والتركيب في حقه محال فإثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة محال «مسألة» لما كانت الصفات نسبا وإضافات والنسب أمور عدمية وما ثم إلا ذات واحدة من جميع الوجوه لذلك جاز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر ولا يسرمد عليهم عدم الرحمة إلى ما لا نهاية له إذ لا مكره له على ذلك والأسماء والصفات ليست أعيانا توجب حكما عليه في الأشياء فلا مانع من شمول الرحمة للجميع ولا سيما وقد ورد سبقها للغضب فإذا انتهى الغضب إليها كان الحكم لها فكان الأمر على ما قلناه لذلك قال تعالى ولو شاء ربك (أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً فَكَانَ حَكْمَ هَذِهِ الْمَشِيئَةِ فِي الدُّنْيَا بِالتَّكْلِيفِ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالحَكْمَ لِقَوْلِهِ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ إِلَّا تَسْرَمِدُ الْعَذَابَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ وَلَا يَدُ أَوْ عَلَى وَاحِدٍ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ حَتَّى يَكُونَ حَكْمُ الْأَسْمِ الْمَعْدُوبِ وَالْمَبْلَى وَالْمُنْتَقِمِ وَأَمثاله صحيفا والاسم المبلى وأمثاله نسبة وإضافة لا عين موجودة وكيف تكون الذات الموجودة تحت حكم ما ليس بموجود فكل ما ذكر من قوله لو شاء ولئن شئنا لأجل هذا الأصل فله الإطلاق وما ثم نص يرجع إليه لا ينطرق إليه احتمال في تسرمد العذاب كما لنا في تسرمد النعيم فلم يبق إلا الجواز وأنه رحمن الدنيا والآخرة فإذا فهمت ما أشرنا إليه قل تشعيبك بل زال بالكلية «مسألة» إطلاق الجواز على الله تعالى سوء أدب مع الله ويحصل المقصود بإطلاق الجواز على الممكن وهو الأليق إذ لم يرد به شرع ولا دل عليه عقل فافهم وهذا القدر كاف فإن العلم إلهي أوسع من أن يستقصي وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن عشر»

في معرفة علم المتجهدين وما يتعلق به من المسائل ومقداره في مراتب العلوم وما يظهر منه من العلوم في الوجود

علم التهجد علم الغيب ليس له	في منزل العين إحساس ولا نظر
إن التنزل يعطيه وإن له	في عينه سورا تعلق به صور
فإن دعاه إلى المعراج خالقه	بدت له بين أعلام العلى سور
فكل منزلة تعطيه منزلة	إذا تحكّم في أجفانه السهر
ما لم ينم هذه في الليل حالته	أو يدرك الفجر في آفاقه البصر
نوافج الزهر لا تعطيك رائحة	ما لم يجد بالنسيم اللين السحر
إن الملوك وإن جلت مناصبها	لها مع السوقة الأسرار والسمر

اعلم أيّدك الله أن المتجهدين ليس لهم اسم خاص إلهي يعطيهم التهجد وقيمهم فيه كما لمن يقوم الليل كله فإن قائم الليل كله له اسم إلهي يدعوه

إليه ويحركه فإن التهجد عبارة عن يقوم ويناوم ويقوم ويناوم ويقوم فمن لم يقطع الليل في مناجاة ربه هكذا فليس بمتهجد قال تعالى وَمَنِ اللَّيْلِ فَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ وَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلَّةً وَهُوَ لَعَلَّكَ خَافُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ تَسْتَدُّ إِلَيْهِ وَلَمْ تَرْتَبِ نِسْبَةَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَقِّ فَاسْتَدَّتْ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْحَقِّ وَقَبَلَهَا هَذَا الْأَسْمَاءُ فَكُلَّ عِلْمٍ يَأْتِي بِهِ الْمُتَهَجِّدُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَقِّ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْقِيَامِ وَالنُّومِ لِأَدَاءِ حَقِّ النَّفْسِ مِنْ أَجْلِ الْعَيْنِ وَلِأَدَاءِ حَقِّ النَّفْسِ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ وَلَا تُوَدِّي الْحَقُّوقَ إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحَقِّ وَمِنْهَا مَنْ غَيْرُهُ فَهَذَا اسْتَدَّ الْمُتَهَجِّدُونَ هَذَا الْأَسْمَاءُ ثُمَّ إِنَّهُ لِلْمُتَهَجِّدِ أَمْرٌ آخِرٌ لَا يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجْبِي ثَمْرَةَ مَنَاجَاةِ التَّهَجُّدِ وَيَحْصُلُ عِلْمُهُ إِلَّا مَنْ كَانَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ لَهُ نَافِلَةً وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ فَرِيضَتَهُ مِنَ الصَّلَاةِ نَاقِصَةً فَإِنَّهَا تَكْمَلُ مِنْ نَوَافِلِهِ فَإِنَّ اسْتَعْرَقَتْ الْفَرَائِضُ نَوَافِلَ الْعَبْدِ الْمُتَهَجِّدِ لَمْ يَبْقَ لَهُ نَافِلَةٌ وَلا صَاحِبُ نَافِلَةٍ فَهَذَا لَا يَحْصُلُ لَهُ حَالُ النَوَافِلِ وَلا عِلْمُهَا وَلا تَجْلِيَاتُهَا فَاعْلَمْ ذَلِكَ فَنُومُ الْمُتَهَجِّدِ لِحَقِّ عَيْنِهِ وَقِيَامُهُ لِحَقِّ رَبِّهِ فَيَكُونُ مَا يُعْطِيهِ الْحَقُّ مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّجْلِي فِي نَوْمِهِ ثَمْرَةَ قِيَامِهِ وَمَا يُعْطِيهِ مِنَ النِّشَاطِ وَالقُوَّةِ وَتَجْلِيهِمَا وَعِلْمُهُمَا فِي قِيَامِهِ ثَمْرَةَ نَوْمِهِ وَهَكَذَا جَمِيعُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِ فَتَدْخُلُ عِلْمُ الْمُتَهَجِّدِينَ كَمَا دَخَلَ صَفِيرَةُ الشَّعْرِ وَهِيَ مِنَ الْعِلْمِ الْمَعْشُوقَةِ لِلنَّفْسِ حَيْثُ تَلْتَفُّ هَذَا الْإِنْتِظَارُ فَيُظْهِرُ هَذَا الْإِنْتِظَارُ أَسْرَارَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ وَالْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّنْزِيهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالْتَفَّتِ السَّمَاءُ بِالسَّمَاءِ أَي اجْتَمَعَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَمَا تَمَّ إِلَّا دُنْيَا وَآخِرَةٌ وَهُوَ الْمَقَامُ الْحَمِيدُ الَّذِي يَنْتِجُهُ التَّهَجُّدُ قَالَ تَعَالَى وَمَنِ اللَّيْلِ فَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يُبْعَثَنَّكَ رَبُّكَ بِمَقَامٍ مَحْمُودًا وَعَسَىٰ مِنْ اللَّهِ وَاجِبَةٌ وَالْمَقَامُ الْحَمِيدُ الَّذِي لَهُ عَوَاقِبُ الثَّنَاءِ أَي إِلَيْهِ يَرْجِعُ كُلُّ ثَنَاءٍ وَأَمَّا قَدْرُ عِلْمِ التَّهَجِّدِ فَهُوَ عَزِيزُ الْمَقْدَارِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْمٌ إِلَهِي يَسْتَدُّ إِلَيْهِ كَسَائِرُ الْأَثَارِ عَرَفَ مِنْ حَيْثُ الْجَمَلَةِ إِنَّ تَمَّ أَمْرًا غَابَ عَنْهُ أَصْحَابُ الْأَثَارِ وَالْأَثَارُ فَطَلَبَ مَا هُوَ فَادَاهُ النَّظْرُ إِلَى أَنْ يَسْتَكْشِفَ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ هَلْ لَهَا أَعْيَانٌ أَوْ هَلْ هِيَ نَسَبٌ حَتَّى يَرَى رُجُوعَ الْأَثَارِ هَلْ تَرْجِعُ إِلَى أَمْرٍ وَجُودِي أَوْ عَدَمِي فَلَمَّا نَظَرَ رَأَى أَنَّهُ لَيْسَ الْأَسْمَاءُ أَعْيَانًا مَوْجُودَةً وَإِنَّمَا هِيَ نَسَبٌ فَرَأَى مَسْتَدُّ الْأَثَارِ إِلَى أَمْرٍ عَدَمِي فَقَالَ الْمُتَهَجِّدُ قِصَارَى الْأَمْرِ أَنْ يَكُونَ رُجُوعِي إِلَى أَمْرٍ عَدَمِي فَأَمْعَنَ النَّظْرَ فِي ذَلِكَ وَرَأَى نَفْسَهُ مَوْلِدًا مِنْ قِيَامٍ وَنَوْمٍ وَرَأَى النَّوْمَ رُجُوعَ النَّفْسِ إِلَى ذَاتِهَا وَمَا تَطْلِبُهُ وَرَأَى الْقِيَامَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتُهُ مَرْكَبَةً مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ نَظَرَ إِلَى الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ ذَاتُ الْحَقِّ فَالْحَقُّ إِذَا انْفَرَدَ بِذَاتِهِ لَذَاتِهِ لَمْ يَكُنْ الْعَالَمُ وَإِذَا تَوَجَّهَ إِلَى الْعَالَمِ ظَهَرَ عَيْنَ الْعَالَمِ لِذَلِكَ التَّوَجُّهُ فَرَأَى أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مَوْجُودٌ عَنْ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ الْمَخْتَلَفِ النَّسَبِ وَرَأَى الْمُتَهَجِّدُ ذَاتَهُ مَرْكَبَةً مِنْ نَظَرِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ دُونَ الْعَالَمِ وَهُوَ حَالَةُ النَّوْمِ لِلنَّائِمِ وَمِنْ نَظَرِهِ إِلَى الْعَالَمِ وَهُوَ حَالَةُ الْقِيَامِ لِأَدَاءِ حَقِّ الْحَقِّ عَلَيْهِ فَعَلِمَ أَنَّ سَبَبَ وَجُودِ عَيْنِهِ أَشْرَفُ الْأَسْبَابِ حَيْثُ اسْتَدَّ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى الذَّاتِ مَعْرَاةٌ عَنِ نَسَبِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَطْلُبُ الْعَالَمَ إِلَيْهِ فَتَحْتَقِقُ أَنَّ وَجُودَهُ أَعْظَمُ الْوُجُودِ وَأَنَّ عِلْمَهُ أَسْنَى الْعِلْمِ وَحَصَلَ لَهُ مَطْلُوبُهُ وَهُوَ كَانَ غَرَضَهُ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ انْكَسَارُهُ وَفَقْرُهُ فَقَالَ فِي قَضَاءِ طَرَفِهِ مِنْ ذَلِكَ

متمثلاً

فجره حتى انقضى وطري رب ليل بته ما أتى
بجديث طيب الخبر من مقام كنت أعشقه

وقال في الأسماء

غير من قد كان مفعولا لم أجد للاسم مدلولاً
كونه للعقل مفعولا ثم أعطتنا حقيقته
واعتقدنا الأمر مجهولا فتلفظنا به أدبا

وكان قدر علمه في العلوم قدر معلومه وهو الذات في المعلومات فيتعلق بعلم التهجد علم جميع الأسماء كلها وأحقها به الاسم القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وهو العبد في حال مناجاته فيعلم الأسماء على التفصيل أي كل اسم جاء علم ما يحوي عليه من الأسرار الوجودية وغير الوجودية على حسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم ومما يتعلق بهذه الحالة من العلوم علم البرزخ وعلم التجلي الإلهي في الصور وعلم سوق الجنة وعلم تعبير الرؤيا لأنفس الرؤيا من جهة من يراها وإنما هي من جانب من ترى له فقد يكون الرائي هو الذي رآها لنفسه وقد يراها له غيره والعابر لها هو الذي له جزء من أجزاء النبوة حيث علم ما أريد بتلك الصورة ومن هو صاحب ذلك المقام واعلم أن المقام المحمود الذي للمتهدج يكون لصاحبه دعاء معين وهو قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يأمره به وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ يَعْنِي لِهَذَا الْمَقَامِ فَإِنَّهُ مَوْقِفٌ خَاصٌّ بِمُحَمَّدٍ بِحَمْدِ اللَّهِ فِيهِ بِمُحَمَّدٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا إِذَا دَخَلَ ذَلِكَ الْمَقَامَ وَأَخْرَجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ أَي إِذَا انْتَقَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالْمَوَاقِفِ أَنْ تَكُونَ الْعِنَايَةُ بِهِ مَعَهُ فِي خُرُوجِهِ مِنْهُ كَمَا كَانَتْ مَعَهُ فِي دُخُولِهِ إِلَيْهِ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا تَصِيرًا مِنْ أَجْلِ الْمَنَازِعِينَ فِيهِ فَإِنَّ الْمَقَامَ الشَّرِيفَ لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مَحْسُودًا وَمَا كَانَتْ النُّفُوسُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ رَجَعَتْ تَطَلُّبٌ وَجْهًا مِنْ وَجْهِهِ الْقَدْحِ فِيهِ تَعْظِيمًا لِحَالِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا حَتَّى لَا يَنْسَبُ النِّقْصَ إِلَيْهِمْ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ فَطَلَبَ صَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ النَّصْرَةَ بِالْحُجَّةِ الَّتِي هِيَ السَّلْطَانُ عَلَى الْجَاهِدِينَ شَرَفَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع عشر»

في سبب نقص العلوم وزيادتها وقوله تعالى وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبضه بقبض العلماء

دليل على ما في العلوم من النقص تجلّى وجود الحق في فلك النفس
فهل مدرك إياه بالبحث و الفحص وإن غاب عن ذاك التجلي بنفسه
فقد ثبت الستر المحقق بالنص وإن ظهرت للعلم في النفس كثرة

على عالم الأرواح شيء سوى القرص ولم يبد من شمس الوجود و نورها
ولو هلك الإنسان من شدة الحرص وليست تنال العين في غير مظهر
و ما هو بالزور المموه و الحرص ولا ريب في قولي الذي قد بثته

اعلم أيديك الله أن كل حيوان و كل موصوف بإدراك فإنه في كل نفس في علم جديد من حيث ذلك الإدراك لكن الشخص المدرك قد لا يكون ممن يجعل باله أن ذلك علم فهذا هو في نفس الأمر علم فالتصاف بالعلوم بالنقص في حق العالم هو أن الإدراك قد حيل بينه وبين أشياء كثيرة مما كان يدركها لو لم يتم به هذا المانع كمن طرأ عليه العمي أو الصمم أو غير ذلك و لما كانت العلوم تغلو وتتضع بحسب المعلوم لذلك تعلقتم بالعلوم الشريفة العالية التي إذا اتصف بها الإنسان زكت نفسه و عظمت مرتبته فأعلاها مرتبة العلم بالله و أعلى الطرق إلى العلم بالله علم التجليات و دونها علم النظر و ليس دون النظر علم إلهي وإنما هي عقائد في عموم الخلق لا علوم و هذه العلوم هي التي أمر الله نبيه ع بطلب الزيادة منها قال تعالى وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا أَي زِدْنِي مِنْ كَلَامِكَ مَا تَزِيدُ بِهِ عِلْمًا بِكَ فَإِنَّهُ قَدْ زَادَ هُنَا مِنَ الْعِلْمِ الْعِلْمَ بِشَرَفِ التَّائِي عِنْدَ الْوَحْيِ أَدْبَا مَعَ الْمَعْلَمِ الَّذِي آتَاهُ بِهِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَهَذَا أَرَدَفَ هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ وَعَدَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ أَي ذَلَّتْ فَأَرَادَ عِلْمَ التَّجْلِي وَالتَّجْلِي أَشْرَفَ الطَّرِيقِ إِلَى تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَهِيَ عُلُومُ الْأَذْوَاقِ وَاعْلَمْ أَنَّ لِلزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِ بِأَبَا آخِرَ ذِكْرِهِ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَنَفْسِ الْإِنْسَانِ مِنْ جَمَلَتِهِ الْأَشْيَاءَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَهِيَ تَدْرِكُ بِالظَّاهِرِ أُمُورًا تَسْمَى عَيْنًا وَتَدْرِكُ بِالْبَاطِنِ أُمُورًا تَسْمَى عِلْمًا وَالحَقُّ سَبْحَانَهُ هُوَ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ فِيهِ وَقَعَ الإدْرَاكُ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي قَدْرَةِ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ أَنْ يَدْرِكَ شَيْئًا بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا أَدْرَكَهُ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ وَتَجَلَّى الْحَقُّ لِكُلِّ مَنْ تَجَلَّى لَهُ مِنْ أَيِّ عَالَمٍ كَانَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ أَوْ الشَّهَادَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْمِ الظَّاهِرِ وَأَمَّا الْأَسْمُ الْبَاطِنُ فَمِنْ حَقِيقَةِ هَذِهِ النِّسْبَةِ أَنَّهُ لَا يَقَعُ فِيهَا تَجَلُّ أَبَدًا لِأَنَّ الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ إِذْ كَانَ التَّجْلِي عِبَارَةً عَنْ ظُهُورِهِ لِمَنْ تَجَلَّى لَهُ فِي ذَلِكَ الْجَلِيِّ وَهُوَ الْأَسْمُ الظَّاهِرُ فَإِنَّ مَعْقُولِيَةَ النِّسْبِ لَا تَبْدَلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَجُودٌ عَيْنِي لَكِنْ لَهَا الْوُجُودُ الْعَقْلِي فَهِيَ مَعْقُولَةٌ فَإِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ إِمَّا مِنْهُ أَوْ إِجَابَةً لِسُؤَالٍ فِيهِ فَتَجَلَّى لظَاهِرِ النَّفْسِ وَقَعَ الإدْرَاكُ بِالْحَسِّ فِي الصُّورَةِ فِي بَرزَخِ التَّمَثُّلِ فَوَقَعَتِ الزِّيَادَةُ عِنْدَ الْمُتَجَلِّي لَهُ فِي عُلُومِ الْأَحْكَامِ إِنْ كَانَ مِنْ عِلْمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَفِي عُلُومِ مَوَازِينِ الْمَعَانِي إِنْ كَانَ مُنْطَقِيًّا وَفِي عُلُومِ مِيزَانِ الْكَلَامِ إِنْ كَانَ نَحْوِيًّا وَكَذَلِكَ صَاحِبُ كُلِّ عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الْأَكْوَانِ وَغَيْرِ الْأَكْوَانِ تَقَعُ لَهُ الزِّيَادَةُ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِي هُوَ بِصَدَدِهِ فَأَهْلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةُ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ التَّجْلِي الْإِلَهِيِّ لِهَوْلَاءِ الْأَصْنَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِنْكَارِ مَا كَشَفَ لَهُمْ وَغَيْرِ الْعَارِفِينَ يَحْسُونَ بِالزِّيَادَةِ وَيَنْسُبُونَ ذَلِكَ إِلَى أَفْكَارِهِمْ وَغَيْرِ هَذِينَ يَجِدُونَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَلا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَرَادُوا شَيْئًا فَهَمَّ فِي الْمَثَلِ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِسِّمْ مِثْلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَهِيَ هَذِهِ الزِّيَادَةُ وَأَصْلُهَا وَالعَجَبُ مِنَ الَّذِينَ نَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى أَفْكَارِهِمْ وَما عِلْمُ إِنْ فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ وَمَجْثَهُ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسْأَلَاتِ هُوَ مِنْ زِيَادَةِ الْعُلُومِ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ التَّجْلِي الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَالناظر مشغول بمتعلق نظره و بغاية مطلبه فيحجب عن علم الحال فهو في مزيد علم و هو لا يشعر وإذا وقع

التجلي أيضا بالاسم الظاهر لباطن النفس وقع الإدراك بالبصيرة في عالم الحقائق والمعاني المجردة عن المواد وهي المعبر عنها بالنصوص إذ النص ما لا إشكال فيه ولا احتمال بوجه من الوجوه وليس ذلك إلا في المعاني فيكون صاحب المعاني مستريحاً من تعب الفكر فتقع الزيادة له عند التجلي في العلوم الإلهية وعلوم الأسرار وعلوم الباطن وما يتعلق بالآخرة وهذا مخصوص بأهل طريقنا فهذا سبب الزيادة وأما سبب نقصها فامرآن إما سوء في المزاج في أصل النشء أو فساد عارض في القوة الموصلة إلى ذلك وهذا لا ينبغي كما قال الخضر في الغلام إنه طبع كافراً فهذا في أصل النشء وأما الأمر العارض فقد يزول إن كان في القوة بالطلب وإن كان في النفس فشغله حب الرئاسة واتباع الشهوات عن اقتناء العلوم التي فيها شرفه وسعادته فهذا أيضاً قد يزول بداعي الحق من قلبه فيرجع إلى الفكر الصحيح فيعلم إن الدنيا منزل من منازل المسافر وأنها جسريعير وأن الإنسان إذا لم تتحل نفسه هنا بالعلوم ومكارم الأخلاق وصفات الملا الأعلى من الطهارة والتزهد عن الشهوات الطبيعية الصارفة عن النظر الصحيح واقتناء العلوم الإلهية فيأخذ في الشروع في ذلك فهذا أيضاً سبب نقص العلوم ولأعني بالعلوم التي يكون النقص منها عيباً في الإنسان إلا العلوم الإلهية وإلا فالحقيقة تعطي أنه ما ثم نقص قط وأن الإنسان في زيادة علم أبداً دائماً من جهة ما تعطيه حواسه وتقلبات أحواله في نفسه وخواطره فهو في مزيد علوم لكن لا منفعة فيها والظن والشك والنظر والجهل والغفلة والنسيان كل هذا وأمثاله لا يكون معها العلم بما أنت فيه بحكم الظن أو الشك أو النظر أو الجهل أو الغفلة أو النسيان وأما نقص علوم التجلي وزيادتها فالإنسان على إحدى حالتين خروج الأنبياء بالتبليغ أو الأولياء بحكم الوراثة النبوية كما قيل لأبي يزيد حين خلع عليه خلع النيابة وقال له اخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رأني فلم يسعه إلا امتثال أمر ربه فخطا خطوة إلى نفسه من ربه فغشي عليه فإذا النداء ردوا على حبيبي فلا صبر له عني فإنه كان مستهلكاً في الحق كأبي عقاب المغربي فرد إلى مقام الاستهلاك فيه الأرواح الموكلة به المؤيدة له لما أمر بالخروج فرد إلى الحق وخلعت عليه الذلة والافتقار والانكسار فطاب عيشه ورأى ربه فزاد أنسه واستراح من حمل الأمانة المعارضة التي لا بد له أن تؤخذ منه والإنسان من وقت رقية في سلم المعراج يكون له تجل إلهي بحسب سلم معراجه فإنه لكل شخص من أهل الله سلم يخصه لا يرقى فيه غيره ولو رقى أحد في سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة فإن كل سلم يعطي لذاته مرتبة خاصة لكل من رقى فيه وكانت العلماء ترقى في سلم الأنبياء فتنال النبوة بريقها فيه والأمر ليس كذلك وكان يزول الانتساع الإلهي بتكرار الأمر وقد ثبت عندنا أنه لا تكرار في ذلك الجناب غير إن عدد درج المعالي كلها الأنبياء والأولياء والمؤمنون والرسول على السواء لا يزيد سلم على سلم درجة واحدة فالدرجة الأولى الإسلام وهو الانقياد وآخر الدرج الفناء في العروج والبقاء في الخروج وبينهما ما بقي وهو الإيمان والإحسان والعلم والتقديس والتنزيه والغني والفقير والذلة والعزة والتلوين والتمكين في التلوين والفناء إن كنت خارجاً والبقاء إن كنت داخل إليه وفي كل درجة في خروجك عنه ينقص من باطنك بقدر ما يزيد في ظاهرك من علوم التجلي إلى أن تنتهي إلى آخر درجة فإن كنت خارجاً ووصلت إلى آخر درجة ظهر بذاته في ظاهرك على قدرك وكت له مظهرها في خلقه ولم يبق في باطنك منه شيء أصلاً وزالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة فإذا دعاك إلى

الدخول إليه فهي أول درج يتجلى لك في باطنك بقدر ما ينقص من ذلك التجلي في ظاهرك إلى أن تنتهي إلى آخر درج فيظهر على باطنك بذاته ولا يبقى في ظاهرك تجل أصلا و سبب ذلك أن لا يزال العبد والرب معا في كمال وجود كل واحد لنفسه فلا يزال العبد عبدا والرب ربا مع هذه الزيادة والنقص فهذا هو سبب زيادة علوم التجليات ونقصها في الظاهر والباطن و سبب ذلك التركيب ولهذا كان جميع ما خلقه الله وأوجده في عينه مركبا له ظاهر وله باطن والذي نسمعه من البسائط إنما هي أمور معقولة لا وجود لها في أعيانها فكل موجود سوى الله تعالى مركب هذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيه وهو الموجب لاستصحاب الافتقار له فإنه وصف ذاتي له فإن فهمت فقد أوضحتنا لك المنهاج ونصبتنا لك المعراج فاسلك وأعرج تبصر وتشاهد ما بيناه لك ولما عينا لك درج المعارج ما أبقينا لك في النصيحة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لو وصفنا لك الثمرات والنتائج ولم نعين لك الطريق إليها لشوقناك إلى أمر عظيم لا تعرف الطريق الموصل إليه فالذي نفسي بيده أنه هو المعراج والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

«الباب العشرون في العلم العيسوي ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما»

جهل الخلق قدره	علم عيسى هو الذي
كانت الأرض قبره	كان يحيى به الذي
غاب فيه و أمره	قاوم النفخ إذن من
كان في الغيب صهره	شأن لاهوته الذي
أظهر الله سره	هو روح ممثل
قد محا الله بدره	جاء من غيب حضرة
كان روحا فغره	صار خلقا من بعد ما
فحباه و سره	و انتهى فيه أمره
عظم الله أجره	من يكن مثله فقد

اعلم أيديك أن العلم العيسوي هو علم الحروف ولهذا أعطى النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة فإذا انقطع الهواء في طريق خروجه إلى فم الجسد سمي مواضع انقطاعه حروفا فظهرت أعيان الحروف فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو أول ما ظهر من الحضرة الإلهية للعالم ولم يكن للاعيان في حال عدمها شيء من النسب إلا السمع فكانت الأعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الأمر الإلهي إذا ورد عليها بالوجود فلما أراد بها الوجود قال لها كن فتكونت وظهرت في أعيانها فكان الكلام الإلهي أول شيء أدركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه فأول كلمة تركبت كلمة كن وهي مركبة من ثلاثة أحرف كاف و واو و نون وكل حرف من

ثلاثة فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة وهي أول الأفراد وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كل فظهر بكن عين المعدود والعدد ومن هنا كان أصل تركيب المقدمات من ثلاثة وإن كانت في الظاهر أربعة فإن الواجد يتكرر في المقدمتين فهي ثلاثة وعن الفرد وجد الكون لا عن الواحد وقد عرفنا الحق أن سبب الحياة في صور المولدات إنما هو النفخ الإلهي في قوله فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي وهو النفس الذي أحيا الله به الإيمان فأظهره قال صلى الله عليه وسلم إن نفس الرحمن يأتي من قبل اليمن فحييت بذلك النفس الرحماني صورة الإيمان في قلوب المؤمنين وصورة الأحكام المشروعة فأعطى عيسى علم هذا النفخ الإلهي ونسبته فكان ينفخ في الصورة الكائنة في القبر أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين فيقوم حيا بالأذن الإلهي الساري في تلك النفخة وفي ذلك الهواء ولولا سريان الأذن الإلهي فيه لما حصلت حياة في صورة أصلا فمن نفس الرحمن جاء العلم العيسوي إلى عيسى فكان يجيي الموتى بنفخه وكان انتهاؤه إلى الصور المنفوخ فيها وذلك هو الحظ الذي لكل موجود من الله وبه يصل إليه إذا صارت إليه الأمور كلها وإذا تحلل الإنسان في معراجة إلى ربه وأخذ كل كون منه في طريقه ما يناسبه لم يبق منه إلا هذا السر الذي عنده من الله فلا يراه إلا به ولا يسمع كلامه إلا به فإنه يتعالى ويتقدس أن يدرك إلا به وإذا رجع الشخص من هذا المشهد وتركبت صورته التي كانت تحللت في عروجه ورد العالم إليه جميع ما كان أخذه منه مما يناسبه فإن كل عالم لا يتعدى جنسه فاجتمع الكل على هذا السر الإلهي واشتمل عليه وبه سبجت الصورة بمجده وحمدت ربها إذ لا يحمده سواه ولو حمدته الصورة من حيث هي لا من حيث هذا السر لم يظهر الفضل الإلهي ولا الامتنان على هذه الصورة وقد ثبت الامتنان له على جميع الخلاق فثبت إن الذي كان من المخلوق لله من التعظيم والثناء إنما كان من ذلك السر الإلهي ففي كل شيء من روحه وليس شيء فيه فالحق هو الذي حمد نفسه وسبح نفسه وما كان من خير إلهي لهذه الصورة عند ذلك التحميد والتسبيح فمن باب المنة لا من باب الاستحقاق الكوني فإن جعل الحق له استحقاقا فمن حيث إنه أوجب ذلك على نفسه فالكلمات عن الحروف والحروف عن الهواء والهواء عن النفس الرحماني وبالأسماء تظهر الآثار في الأكوان وإليها ينتهي العلم العيسوي ثم إن الإنسان بهذه الكلمات يجعل الحضرة الرحمانية تعطيه من نفسها ما تقوم به حياة ما يسأل فيه بتلك الكلمات فيصير الأمر دوريا دائما واعلم أن حياة الأرواح حياة ذاتية ولهذا يكون كل ذي روح حي بروحه ولما علم بذلك السامري حين أبصر جبريل وعلم أن روحه عين ذاته وأن حياته ذاتية فلا يبطأ موضعا إلا حيي ذلك الموضع بمباشرة تلك الصورة الممثلة إياه فأخذ من أثره قبضة وذلك قوله تعالى فيما أخبر به عنه أنه قال ذلك فقبضت قبضة من أثر الرسول فلما صاع العجل وصورة نبذ فيه تلك القبضة فخارا العجل ولما كان عيسى عروحا كما سماه الله وكما أنشأه روحا في صورة إنسان ثابتة أنشأ جبريل في صورة أعرابي غير ثابتة كان يجيي الموتى بمجرد النفخ ثم إنه أيده بروح القدس فهو روح مؤيد بروح طاهرة من دنس الأكوان والأصل في هذا كله الحي الأزلي عين الحياة الأبدية وإنما ميز الطرفين أعني الأزل والأبد وجود العالم وحدوثه الحي وهذا العلم هو المتعلق بطول العالم أعني العالم الروحاني وهو عالم المعاني والأمر ويتعلق بعرض العالم وهو عالم الخلق والطبيعة والأجسام والكل لله الأله الخلق والأمر قل الروح من أمر ربي تبارك

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَهَذَا كَانَ عِلْمَ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ رَحِمَهُ اللهُ إِذَا سَمِعَتْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ طَرِيقِنَا يَتَكَلَّمُ فِي الْحُرُوفِ فَيَقُولُ إِنَّ الْحَرْفَ الْفُلَانِي طُولُهُ كَذَا ذِرَاعًا أَوْ شِبْرًا أَوْ عَرْضُهُ كَذَا كَالْحَلَاخِ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُ يَرِيدُ بِالطُّوْلِ فَعَلَهُ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَبِالْعَرْضِ فَعَلَهُ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ ذَلِكَ الْمَقْدَارُ الْمَذْكُورُ الَّذِي يُمَيِّزُهُ بِهِ وَهَذَا الْإِصْطِلَاحُ مِنْ وَضْعِ الْحَلَاخِ فَمَنْ عِلْمٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَقِيقَةٌ كُنَّ فَقَدْ عِلْمَ الْعِلْمِ الْعُلُوبِيِّ وَمَنْ أَوْجَدَ بِهِمَتَهُ شَيْئًا مِنَ الْكَائِنَاتِ فَمَا هُوَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَلَمَّا كَانَتِ التَّسْعَةُ ظَهَرَتْ فِي حَقِيقَةِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَحْرَفِ ظَهَرَ عَنْهَا مِنَ الْمَعْدُودَاتِ التَّسْعَةُ الْأَفْلاكُ وَبِحَرَكَاتِ مَجْمُوعِ التَّسْعَةِ الْأَفْلاكِ وَتَسْيِيرِ كَوَاكِبِهَا وَجَدَتِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا كَمَا أَنَّهَا أَيْضًا تَحْرِبُ بِحَرَكَاتِهَا وَبِحَرَكَةِ الْأَعْلَى مِنْ هَذِهِ التَّسْعَةِ وَجَدَتِ الْجَنَّةَ بِمَا فِيهَا وَعِنْدَ حَرَكَةِ ذَلِكَ الْأَعْلَى يَتَكُونُ جَمِيعُ مَا فِي الْجَنَّةِ وَبِحَرَكَةِ الثَّانِي الَّذِي يَلِي الْأَعْلَى وَجَدَتِ النَّارَ بِمَا فِيهَا وَالْقِيَامَةَ وَبِالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَبِمَا ذَكَرْنَاهُ كَانَتِ الدُّنْيَا مَمْتَزِجَةً نَعِيمٍ مَمزُوجٍ بِعَذَابٍ وَبِمَا ذَكَرْنَاهُ أَيْضًا كَانَتِ الْجَنَّةُ نَعِيمًا كُلِّهَا وَالنَّارُ عَذَابًا كُلِّهَا وَزَالَ ذَلِكَ الْمَزْجُ فِي أَهْلِهَا فَنَشْأَةُ الْآخِرَةِ لَا تَقْبَلُ مَزْجَ نَشْأَةِ الدُّنْيَا وَهَذَا هُوَ الْفَرْقَانُ بَيْنَ نَشْأَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّ نَشْأَةَ النَّارِ أَعْنِي أَهْلِهَا إِذَا أَتَتْهُمْ فِيهِمُ الْغَضَبُ الْإِلَهِيُّ وَآمَدَهُ وَلِحَقِّ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي سَبَقَتْهُ فِي الْمَدَى يَرْجِعُ الْحُكْمُ لَهَا فِيهِمْ وَصُورَتِهَا لَا تَبْدَلُ وَلَوْ تَبَدَّلَتْ تَعَذَّبُوا فَيُحْكَمُ عَلَيْهِمْ أَوْلًا بِإِذْنِ اللهِ وَتَوَلِيَّتِهِ حَرَكَةُ الْفَلَكَ الثَّانِي مِنَ الْأَعْلَى بِمَا يَظْهَرُ فِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ قَابِلٍ لِلْعَذَابِ وَإِنَّمَا قَلْنَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ قَابِلٍ لِلْعَذَابِ لِأَجْلِ مَنْ فِيهَا مَنْ لَا يَقْبَلُ الْعَذَابَ فَإِذَا انْقَضَتْ مَدَّتُهَا وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ سَنَةٍ تَكُونُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ عَذَابًا عَلَى أَهْلِهَا يَتَعَذَّبُونَ فِيهَا عَذَابًا مُتَّصِلًا لَا يَفْتَرُ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَرْسِلُ الرَّحْمَنُ عَلَيْهِمْ نَوْمَةً يَغِيبُونَ فِيهَا عَنِ الْإِحْسَاسِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَقَوْلُهُ ع فِي أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ يَرِيدُ حَالَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَغِيبُونَ فِيهَا عَنِ الْإِحْسَاسِ مِثْلَ الَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ الْجَزَعِ وَقُوَّةِ الْأَلَامِ الْمَفْرَطَةِ فَيَمْكُثُونَ كَذَلِكَ تِسْعَ عَشْرَةَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَفِيقُونَ مِنْ غَشِيَّتِهِمْ وَقَدْ بَدَّلَ اللهُ جُلُودَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا فَيَعْدُونَ فِيهَا خَمْسَةَ عَشْرَةَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَغْشَى عَلَيْهِمْ فَيَمْكُثُونَ فِي غَشِيَّتِهِمْ إِحْدَى عَشْرَةَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَفِيقُونَ وَقَدْ بَدَّلَ اللهُ جُلُودَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ فَيَجِدُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ سَبْعَةَ أَلْفِ سَنَةٍ ثُمَّ يَغْشَى عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَلْفِ سَنَةٍ ثُمَّ يَفِيقُونَ فَيَرِزُقُهُمُ اللهُ لَذَّةً وَرَاحَةً مِثْلَ الَّذِي يَنَامُ عَلَى تَعَبٍ وَيَسْتَيْقِظُ وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَوَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَيَكُونُ لَهَا حُكْمٌ عِنْدَ ذَلِكَ حُكْمُ التَّائِبِ مِنَ الْأَسْمِ الْوَاسِعِ الَّذِي بِهِ وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَلَا يَجِدُونَ أَلَمًا وَيَدُومُ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَسْتَغْنَمُونَهُ وَيَقُولُونَ نَسِينَا فَلَا نَسْأَلُ حَذْرًا أَنْ نَذَكَرَ بِنَفْسِنَا وَقَدْ قَالَ اللهُ لَنَا إِخْسَؤًا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ فَيَسْكُتُونَ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَلَا يَبْقَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا الْخَوْفُ مِنْ رُجُوعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ فَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ الَّذِي يَسْرَمُدُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْخَوْفُ وَهُوَ عَذَابٌ نَفْسِيٌّ لِاحْسَاسِيٍّ وَقَدْ يَذْهَبُونَ عَنْهُ فِي أَوْقَاتٍ فَتَنَعِيمُهُمُ الرَّاحَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْحَسَنِيِّ بِمَا يَجْعَلُ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ وَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ يَقُولُونَ نَسِينَا إِذَا لَمْ يَحْسُوا بِالْأَلَامِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَ اللهِ فَتَنَسِيهِمْ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي أَيَّ تَرَكْنَا فِي جَهَنَّمَ إِذْ كَانَ النَّسِيَانُ التَّرْكَ وَبِالْهَمْزِ التَّأَخَّرَ فَأَهْلُ النَّارِ حَظُّهُمْ مِنَ النَّعِيمِ عَدَمٌ وَقَوْلُهُ الْعَذَابُ وَحَظُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ تَوَقُّعُهُ فَإِنَّهُ لَا أَمَانَ لَهُمْ بِطَرِيقِ الْأَخْبَارِ عَنِ اللهِ وَيَجْبُونَ عَنِ خَوْفِ التَّوَقُّعِ فِي أَوْقَاتٍ فَوْقًا يَجْبُونَ عَنْهُ عَشْرَةَ

آلاف سنة و وقتاً ألفي سنة و وقتاً ستة آلاف سنة و لا يخرجون عن هذا المقدار المذكور متى ما كان لا بد أن يكون هذا القدر لهم من الزمان وإذا أراد الله أن ينعمهم من اسمه الرحمن ينظرون في حالهم التي هم عليها في الوقت و خروجهم مما كانوا فيه من العذاب فينعمون بذلك القدر من النظر فوقاً يدوم لهم هذا النظر ألف سنة و وقتاً تسعة آلاف سنة و وقتاً خمسة آلاف سنة فيزيد و ينقص فلا تزال حالهم هذه دائماً في جهنم إذ هم أهلها و هذا الذي ذكرناه كله من العلم العيسوي الموروث من المقام الحمدي و الله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الحادي والعشرون في معرفة ثلاثة علوم كونية و توابع بعضها في بعض)

علم النتائج فانسبه إلى النظر	علم التوابع علم الفكر يصحبه
مثل الدلالة في الأنتى مع الذكر	هي الأدلة إن حقت صورتها
على حقيقة كن في عالم الصور	على الذي أوقف الإيجاد أجمعه
في العين قائمة تمشي على قدر	و الواو لولا سكنون النون أظهرها
و في توجهه في جوهر البشر	فاعلم بأن وجود الكون في فلک

اعلم أيديك الله أن هذا هو علم التوالد و التناسل و هو من علوم الأكوان و أصله من العلم الإلهي فلنئين لك أولاً صورته في الأكوان و بعد ذلك نظيره لك في العلم الإلهي فإن كل علم أصله من العلم الإلهي إذ كان كل ما سوى الله من الله قال الله تعالى وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فَهَذَا علم التوابع سار في كل شيء و هو علم الالتحام و النكاح و منه حسي و معنوي و الإلهي فاعلم أنك إذا أردت أن تعلم حقيقة هذا فلتنظره أولاً في عالم الحس ثم في عالم الطبيعة ثم في المعاني الروحانية ثم في العلم إلهي فأما في الحس فاعلم أنه إذا شاء الله أن يظهر شخصاً بين اثنين ذاك الاثنان هما ينتجانه و لا يصح أن يظهر عنهما ثالث ما لم يتم بهما حكم ثالث و هو أن يفضي أحدهما إلى الآخر بالجماع فإذا اجتمعاً على وجه مخصوص و شرط مخصوص و هو أن يكون الحبل قابلاً للولادة لا يفسد البذر إذا قبله و يكون البذر يقبل فتح الصورة فيه هذا هو الشرط الخاص و أما الوجه المخصوص فهو أن يكون التقاء الفرجين و إنزال الماء أو الريح عن شهوة فلا بد من ظهور ثالث و هو المسمى ولداً و الاثنان يسميان والدين و ظهور الثالث يسمى ولادة و اجتماعهما يسمى نكاحاً و سفاحاً و هذا أمر محسوس واقع في الحيوان وإنما قلنا بوجه مخصوص و شرط مخصوص فإنه ما يكون عن كل ذكر و أنثى يجتمعان بنكاح و لا بد إلا بحصول ما ذكرناه و سنبينه في المعاني بوضوح من هذا إذ المطلوب ذلك و أما في الطبيعة فإن السماء إذا أمطرت الماء و قبلت الأرض الماء و ربت و هو حملها و أنبتت من كل رَوْحٍ بِهِيجٍ و كذلك لقاح النخل و الشجر و من كل شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ لِأَجْلِ التَّوَالِدِ و أما في المعاني فهو أن تعلم أن الأشياء على قسمين مفردات و مركبات و أن العلم بالمفرد يتقدم على العلم بالمركب و العلم بالمفرد يقتض بالحد و العلم بالمركب يقتض بالبرهان فإذا أردت أن تعلم وجود العالم هل هو عن سبب أو لا فلتعمد إلى مفردين أو ما هو في حكم المفردين مثل المقدمة الشرطية ثم تجعل أحد المفردين موضوعاً

مبتدأً وتحمل المفرد الآخر عليه على طريق الإخبار به عنه فتقول كل حادث فهذا المسمى مبتدأً فإنه الذي بدأت به وموضوعاً أول فإنه الموضوع الأول الذي وضعته لتحمل عليه ما تخبر به عنه وهو مفرد فإن الاسم المضاف في حكم المفرد ولا بد أن تعلم بالحد معنى الحدوث و معنى كل الذي أضفته إليه وجعلته له كالسور لما يحيط به فإن كل تقتضي الحصر بالوضع في اللسان فإذا علمت الحادث حينئذ حملت عليه مفرداً آخر وهو قولك فله سبب فأخبرت به عنه فلا بد أن تعلم أيضاً معنى السبب ومعقوليته في الوضع وهذا هو العلم بالمفردات المقتنصة بالحد فقام من هذين المفردين صورة مركبة كما قامت صورة الإنسان من حيوانية ونطق فقلت فيه حيوان ناطق فتركيب المفردين يحمل أحدهما على الآخر لا ينتج شيئاً وإنما هي دعوى يفتقر مدعيها إلى دليل على صحتها حتى يصدق الخبر عن الموضوع بما أخبر به عنه فيؤخذ منا ذلك مسلماً إذا كان في دعوى خاصة على طريق ضرب المثال مخافة التطويل وليس كتابي هذا بمحل لميزان المعاني وإنما ذلك موقوف على علم المنطق فإنه لا بد أن يكون كل مفرد معلوماً وأن يكون ما يخبر به عن المفرد الموضوع معلوماً أيضاً إما برهان حسي أو بديهي أو نظري يرجع إليهما ثم تطلب مقدمة أخرى تعمل فيها ما عملت في الأولى ولا بد أن يكون أحد المفردين مذكوراً في المقدمتين فهي أربعة في صورة التركيب وهي ثلاثة في المعنى لما ذكره إن شاء الله وإن لم يكن كذلك فإنه لا ينتج أصلاً فتقول في هذه المسألة التي مثلنا بها في المقدمة الأخرى والعالم حادث وتطلب فيه من العلم بحد المفرد فيها ما طلبته في المقدمة الأولى من معرفة العالم ما هو وحمل الحدوث عليه بقولك حادث وقد كان هذا الحادث الذي هو محمول في هذه المقدمة موضوعاً في الأولى حين حملت عليه السبب فتكرر الحادث في المقدمتين وهو الرابط بينهما فإذا ارتبطا سمي ذلك الارتباط وجه الدليل وسمي اجتماعهما دليلاً وبرهاناً فينتج بالضرورة أن حدوث العالم له سبب فالعلة الحدوث والحكم السبب بالحكم أعم من العلة فإنه يشترط في هذا العلم أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساوياً لها وإن لم يكن كذلك فإنه لا يصدق هذا في الأمور العقلية وأما مأخذها في الشرعيات فإذا أردت أن تعلم مثلاً أن النبيذ حرام بهذه الطريقة فتقول كل مسكر حرام والنبيذ مسكر فهو حرام وتعتبر في ذلك ما اعتبرت في الأمور العقلية كما مثلت لك فالحكم التحريم والعلة الإسكار فالحكم أعم من العلة الموجبة للتحريم فإن التحريم قد يكون له سبب آخر غير السكر في أمر آخر كالتحريم في الغصب والسرقة والجناية وكل ذلك علل في وجود التحريم في الحرام فلهذا الوجه المخصوص صدق فقد بان لك بالتقريب ميزان المعاني وأن النتائج إنما ظهرت بالتوالج الذي في المقدمتين اللذين هما كالأبوين في الحس وأن المقدمتين مركبة من ثلاثة أو ما هو في حكم الثلاثة فإنه قد يكون للجملة معنى الواحد في الإضافة والشرط فلم تظهر نتيجة إلا من الفردية إذ لو كان الشفع ولا يصحبه الواحد صحبة خاصة ما صح أن يوجد عن الشفع شيء أبداً فبطل الشريك في وجود العالم وثبت الفعل للواحد وأنه بوجوده ظهرت الموجودات عن الموجودات فتبين لك أن أفعال العباد وإن ظهرت منهم أنه لو لا الله ما ظهر لهم فعل أصلاً فجمع هذا الميزان بين إضافة الأعمال إلى العباد بالصورة والإيجاد تلك الأفعال لله تعالى وهو قوله وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ أي وخلق ما تعملون فنسب العمل إليهم وإيجاده لله تعالى والخلق قد يكون بمعنى الإيجاد ويكون بمعنى التقدير كما أنه قد يكون بمعنى الفعل مثل

قوله تعالى ما أشهدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَيَكُونُ بِمَعْنَى المَخْلُوقِ مِثْلَ قَوْلِهِ هَذَا خَلَقَ اللهُ وَأَمَّا هَذَا التَّوَالُجُ فِي العِلْمِ الإِلهِيِّ وَالتَّوَالِدِ فَاعْلَمْ إِنَّ ذَاتَ الحَقِّ تَعَالَى لَمْ يَظْهَرْ عِنْدَهَا شَيْءٌ أَصْلًا مِنْ كَوْنِهَا ذَاتًا غَيْرَ مَنْسُوبٍ إِلَيْهَا أَمْرٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَنْسَبَ إِلَى هَذِهِ الذَّاتِ أَنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى الإِبْجَادِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ أَهْلِ الحَقِّ أَوْ يَنْسَبَ إِلَيْهَا كَوْنُهَا عِلَّةٌ وَليْسَ هَذَا مَذْهَبَ أَهْلِ الحَقِّ وَلَا يَصِحُّ وَهَذَا مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَكِنْ كَانَ الغَرَضُ فِي سِيَاقِهِ مِنْ أَجْلِ مَخَالِفِي أَهْلِ الحَقِّ لِنَقَرِّرُ عِنْدَهُ أَنَّهُ مَا نَسَبَ وَجُودَ العَالِمِ لِهَذِهِ الذَّاتِ مِنْ كَوْنِهَا ذَاتًا وَإِنَّمَا نَسَبُوا العَالِمَ لَهَا بِالوُجُودِ مِنْ كَوْنِهَا عِلَّةٌ فَلِهَذَا أوردنا مَقَالَتَهُمْ وَمَعَ هَذِهِ النِّسْبَةِ وَهِيَ كَوْنُهُ قَادِرًا لِأَبَدٍ مِنْ أَمْرٍ ثَالِثٍ وَهُوَ إِرَادَةُ الإِبْجَادِ لِهَذِهِ العَيْنِ المَقْصُودَةِ بِأَنْ تَوْجِدَ وَلَا بَدَّ مِنْ التَّوَجُّهِ بِالقَصْدِ إِلَى إِبْجَادِهَا بِالقُدْرَةِ عَقْلًا وَبِالقَوْلِ شَرْعًا بِأَنْ تَتَكَوَّنَ فَمَا وَجَدَ الخَلْقَ إِلَّا عَنِ الفَرْدِيَّةِ لِأَنَّ الأَحْدِيَّةَ لِأَنَّ أَحْدِيَّتَهُ لَا تَقْبَلُ الثَّانِي لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَحْدِيَّةً عِدَدٌ فَكَانَ ظُهُورَ العَالِمِ فِي العِلْمِ الإِلهِيِّ عَنِ ثَلَاثِ حَقَائِقٍ مَعْقُولَةٍ فَسَرَى ذَلِكَ فِي تَوَالِدِ الكَوْنِ بَعْضُهُ عَنِ بَعْضٍ لَكِنِ الأَصْلُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ وَ يَكْفِي هَذَا القَدْرُ مِنْ هَذَا البَابِ فَقَدْ حَصَلَ المَقْصُودُ بِهَذَا التَّنْبِيهِ فَإِنَّ هَذَا الفَنَ فِي مِثْلِ طَرِيقِ أَهْلِ اللهُ لَا يَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُلُومِ الفِكْرِ هَذَا الكِتَابِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ عُلُومِ التَّلْقِي وَالتَّدْلِي فَلَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مِيزَانٍ آخَرَ غَيْرِ هَذَا وَإِنْ كَانَ لَهُ بِهِ ارْتِبَاطٌ فَإِنَّهُ لَا يَجْلُو عَنْهُ جَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنْ بَعْدَ تَصْحِيحِ المَقْدَمَاتِ مِنَ العِلْمِ بِمَفْرَدَاتِهَا بِالحُدِّ الذِّي لَا يَمْنَعُ وَالمَقْدَمَاتِ بِالبَرهَانِ الذِّي لَا يَدْفَعُ بِقَوْلِ اللهُ فِي هَذَا البَابِ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فِهَذَا مِمَّا كُنَّا بَصَدَدِهِ فِي هَذَا البَابِ وَهَذِهِ الآيَةُ وَأَمْثَالُهَا أَحْوَجَتْنَا إِلَى ذِكْرِ هَذَا الفَنِ وَمِنْ بَابِ الكَشْفِ لَمْ يَشْتَغَلْ أَهْلُ اللهُ بِهَذَا الفَنِ مِنَ العُلُومِ لِتَضْيِيقِ الوَقْتِ وَعَمَرِ الإِنْسَانِ عَزِيزٌ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَقْطَعَهُ الإِنْسَانُ إِلَّا فِي مَجَالِسَةِ رَبِّهِ وَالحَدِيثِ مَعَهُ عَلَى مَا شَرَعَهُ لَهُ وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ أَتَمَّى الجُزْءَ الخَامِسَ عَشَرَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل و ترتيب جميع العلوم الكونية)

إن المنازل في المنازل سارية	عجبا لأقوال النفوس السامية
إلا بقهر الحضرة المتعالية	كيف العروج من الحضيض إلى العلى
نحو اللطائف و الأمور السامية	فصناعة التحليل في معراجها
بسنا الوجود إلى ظلام الهاوية	و صناعة التركيب عند رجوعها

اعلم أيديك الله أنه لما كان العلم المنسوب إلى الله لا يقبل الكثرة ولا الترتيب فإنه غير مكتسب ولا مستفاد بل علمه عين ذاته كسائر ما ينسب إليه من الصفات وما سمي به من الأسماء و علوم ما سوى الله لا بد أن تكون مرتبة محصورة سواء كانت علوم وهب أو علوم كسب فإنها لا تخلو من هذا الترتيب الذي نذكره وهو علم المفرد أولاً ثم علم التركيب ثم علم المركب ولا رابع لها فإن كان من المفردات التي لا تقبل التركيب علمه مفرداً وكذلك ما بقي فإن كل معلوم لا بد أن يكون مفرداً أو مركباً والمركب يستدعي بالضرورة تقدم علم التركيب وحينئذ يكون علم

المركب فهذا قد علمت ترتيب جميع العلوم الكونية فلنبين لك حصر المنازل في هذا المنزل وهي كثيرة لا تحصى ولنقتصر منها على ما يتعلق بما يختص به شرعنا ويمتاز به لا بالمنازل التي يقع فيها الاشتراك بيننا وبين غيرنا من سائر علوم الملل والنحل وجملتها تسعة عشر مرتبة أمهات ومنها ما يتفرع إلى منازل ومنها ما لا يتفرع فلنذكر أسماء هذه المراتب ولنجعل لها اسم المنازل فإنه كذا عرفنا بها في الحضرة الإلهية والأدب أولى فلنذكر ألقاب هذه المنازل وصفات أربابها وأقطابها المتحققين بها وأحوالهم وما لكل حال من هذه الأحوال من الوصف ثم بعد ذلك نذكر إن شاء الله كل صنف من هذه التسعة عشر ونذكر بعض ما يشتمل عليه من أمهات المنازل لا من المنازل فإنه ثم منزل يشتمل على ما يزيد على المائة من منازل العلامات والدلالات على أنوار جليلة ويشتمل على آلاف وأقل من منازل الغايات الحاوية على الأسرار الخفية والخواص الجليلة ثم نتلو ما ذكرنا بما يضاهاه هذا العدد لهذه المنازل من الموجودات قديمها وحديثها ثم نذكر ما يتعلق ببعض معاني هذا المنزل على التقريب والاختصار إن شاء الله تعالى فمن ذلك منازل الثناء والمدح هو لأرباب الكشوفات والفتح ومنازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والحجاز ومنازل الدعاء لأهل الإشارات والبعث ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والاتصال ومنازل الابتداء لأهل الهواجس والإيماء ومنازل التنزيه لأهل التوجيه في المناظرات والاستنباط ومنازل التقريب للغرباء المتألمين ومنازل التوقع لأصحاب البراقع من أجل السبجات ومنازل البركات لأهل الحركات ومنازل الأقسام لأهل التديير من الروحانيين ومنازل الدهر لأهل الذوق ومنازل الإنية لأهل المشاهدة بالأبصار ومنازل اللام والأف للالتفاف الحاصل بالتحلق بالأخلاق الإلهية ولأهل السر الذي لا ينكشف ومنازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعية والروحانية ومنازل فناء الأكوان للضنائن المخدرات ومنازل الألفة لأهل الأمان من أهل الغرف ومنازل لوعيد للمتمسكين بقائمة العرش الأجد ومنازل الاستخبار لأهل غامضات الأسرار ومنازل الأمر للمتحققين بمقتضى سره فيهم وأما صفاتهم فأهل المدح لهم الزهو وأهل الرموز لهم النجاة من الاعتراض وأما المتألمون فلهم التيه بالتحلق وأما أهل الأحوال والاتصال فلهم الحصول على العين وأما أهل الإشارة فلهم الحيرة عند التبليغ وأما أهل الاستنباط فلهم الغلط والإصابة وليسوا بمعصومين وأما الغرباء فلهم الانكسار وأما أهل البراقع فلهم الخوف وأما أهل الحركة فلهم مشاهدة الأسباب والمدبرون لهم الفكر والممكنون لهم الحدود وأهل المشاهد لهم الجحد وأهل الكتم لهم السلامة وأهل العلم لهم الحكم على المعلوم وأهل الستر منتظرون رفعه وأهل الأمن في موطن الخوف من المكر وأهل القيام لهم القعود وأهل الإلهام لهم التحكم وأهل التحقيق لهم ثلاثة أثواب ثوب إيمان وكفر ونفاق وأما ذكر أحوالهم فاعلم إن الله تعالى قد هيا المنازل للنازل ووطأ المعامل للعامل وزوي المراحل للراحل وأعلى المعامل للعالم وفصل المقاسم للقاسم وأعد القواصم للقاصم وبين العواصم للمعاصم ورفع القواعد للقاعد ورتب المراصد للمراصد وسخر المراكب للمراكب وقرب المذاهب للذاهب وسطر الحامد للحامد وسهل المقاصد للقاصد وأنشأ المعارف للمعارف وثبت المواقف للمواقف وعر المسالك للمسالك وعين المناسك للناسك وأخرس المشاهد للشاهد وأحرس الفراقد للراقد فإنه سبحانه جعل النازل مقدرًا والعامل مفكرًا والراحل مشمرًا والعالم مشاهدًا والقاسم مكابدًا و

القاصم مجاهداً والعاصم مساعداً والقاعد عارفاً والراصد واقفاً والراكب محمولاً والذاهب معلولاً والحامد مسئولاً والقاصد مقبولاً والعارف مبخوتاً والواقف مبهوراً والسالك مردوداً والناسك مبعوداً والشاهد محكماً والراقد مسلماً فهذا قد ذكرنا صفات هؤلاء التسعة عشر صنفاً في أحوالهم فلنذكر ما يتضمن كل صنف من أمهات المنازل وكل منزل من هذه الأمهات يتضمن أربعة أصناف من المنازل الصنف الأول يسمى منازل الدلالات والصنف الأخير يسمى منازل الحدود والصنف الثالث يسمى منازل الخواص والصنف الرابع يسمى منازل الأسرار ولا تحصى كثرة فلنقتصر على التسعة عشر ولنذكر أعداد ما تنطوي عليه من الأمهات وهذا أولها منزل المدح له منزل الفتح فتح السرير ومنزل المفاتيح الأول ولنا فيه جزء سميناه مفاتيح الغيوب ومنزل العجائب ومنزل تسخير الأرواح البرزخية ومنزل الأرواح العلوية ولنا في بعض معانيه من النظم قولنا

منازل ما لها تناهي	منازل المدح و التباهي
مدائح القوم في الثرى هي	لا تطلبن في السمو مدحا
يشرب من أعذب المياه	من ظمّت نفسه جهادا

نقول ليس مدح العبد أن يتصف بأوصاف سيده فإنه سوء أدب وللسيد أن يتصف بأوصاف عبده تواضعا فللسيد النزول لأنه لا يحكم عليه فنزوله إلى أوصاف عبده تفضل منه على عبده حتى يبسطه فإن جلال السيد أعظم في قلب العبد من أن يدل عليه لولا تنزله إليه وليس للعبد أن يتصف بأوصاف سيده لا في حضرته ولا عند إخوانه من العبيد وإن ولاة عليهم كما قال عانا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا أَيْ مَمْلُوكًا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ الْأَرْضَ قَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ ذُلُولًا وَالْعَبْدُ هُوَ الذَّلِيلُ وَالذَّلِيلُ لَا تَمْتَضِي الْعُلُوفُ مِنْ جَاوَزَ قَدْرَهُ هَلِكُ يُقَالُ مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ وَقَوْلُهُ مَا لَهَا تَنَاهَى يَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِي عِبَادَتِهِ نِهَآيَةٌ يَصِلُ إِلَيْهَا ثُمَّ يَرْجِعُ رِبَاكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلرَّبِّ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَعُودُ عَبْدًا فَالرَّبُّ رَبٌّ إِلَى غَيْرِ نِهَآيَةٍ وَالْعَبْدُ عَبْدٌ إِلَى غَيْرِ نِهَآيَةٍ فَلِذَا قَالَ مَدَائِحُ الْقَوْمِ فِي الثَّرَى هِيَ وَهُوَ أَدْلُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَقَالَ لَا يَعْرِفُ لَذَّةَ الْمَاءِ إِلَّا الظَّمَانُ يَقُولُ لَا يَعْرِفُ لَذَّةَ الْإِتِّصَافِ بِالْعِبُودِيَّةِ إِلَّا مَنْ ذَاقَ الْآلَامَ عِنْدَ اتِّصَافِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَاحْتِيَاجِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مِثْلَ سَلِيمَانَ حِينَ طَلَبَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ عَلَى يَدَيْهِ حَسَبًا فَجَمِيعُ مَا حَضَرَهُ مِنَ الْأَقْوَاتِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَخَرَجَتْ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِ الْبَحْرِ فَطَلَبَتْ قُوَّتَهَا فَقَالَ لَهَا خُذِي مِنْ هَذَا قَدْرَ قُوَّتِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَأَكَلْتَهُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهِ فَقَالَتْ زِدْنِي فَمَا وَفَيْتُ بِرِزْقِي فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِينِي كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ هَذَا عَشْرَ مَرَّاتٍ وَغَيْرِي مِنَ الدَّوَابِّ أَكْثَرُ مِنْنِي وَأَكْثَرُ رِزْقًا فَتَابَ سَلِيمَانَ عَإِلَى رَبِّهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِ الْمَخْلُوقِ مَا يَنْبَغِي لِلْخَالِقِ تَعَالَى فَإِنَّهُ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ مَمْلُوكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَاسْتَقَالَ مِنْ سؤَالِهِ حِينَ رَأَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعَتِ الدَّوَابُّ عَلَيْهِ تَطَلُّبَ أَرْزَاقِهَا مِنْ جَمِيعِ الْجَنَاهَاتِ فَصَاقَ لِذَلِكَ ذَرْعًا فَلَمَّا قَبِلَ اللَّهُ سؤَالَهُ وَأَقَالَهُ وَجَدَ مِنَ اللَّذَّةِ لِذَلِكَ مَا لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ (منزل الرموز) فاعلم وفقك الله أنه وإن كان منزلاً فإنه يحتوي على منازل منها منزل الوجدانية ومنزل العقل الأولي والعرش الأعظم والصداء والإتيان من العلماء إلى العرش وعلم

التمثل ومنزل القلوب والحجاب ومنزل الاستواء الفهواني والألوهية السارية واستمداد الكهان والدهر والمنازل التي لا ثبات لها ولا ثبات لأحد فيها ومنزل البرازخ والإلهية والزيادة والغيرة ومنزل الفقد والوجدان ومنزل رفع الشكوك والجدود والمخزون ومنزل القهر والخسف ومنزل الأرض الواسعة ولما دخلت هذا المنزل وأنا بتونس وقعت مني صيحة ما لي بها علم أنها وقعت مني غير أنه ما بقي أحد ممن سمعها إلا سقط مغشيا عليه ومن كان على سطح الدار من نساء الجيران مستشرفا علينا غشى عليه ومنه من سقط من السطح إلى صحن الدار على علوها وما أصابه بأس وكنت أول من أفاق وكنا في صلاة خلف إمام فما رأيت أحدا إلا صاعقا فبعد حين أفاقوا فقلت ما شأنكم فقالوا أنت ما شأنك لقد صحت صيحة أثرت ما ترى في الجماعة فقلت والله ما عندي خبر أنني صحت ومنزل الآيات الغريبة والحكم الإلهية ومنزل الاستعداد والزينة والأمر الذي مسك الله به الأفلاك السماوية ومنزل الذكر والسلب وفي هذه المنازل قلت

منازل	كلها	رموز	منازل الكون في الوجود
دلائل	كلها	تجوز	منازل للعقول فيها
لنيل شيء	فذاك	جوزوا	لما أتى الطالبون قصدا
هذا الذي ساقكم	وجوزوا	فيا عبيد الكيان	جوزوا

الرمز والغز هو الكلام الذي يعطي ظاهره ما لم يقصده قائله وكذلك منزل العالم في الوجود ما أوجده الله لعينه وإنما أوجده الله لنفسه فاشتغل العالم بغيره ما وجد له فخالف قصد موجدة ولهذا يقول جماعة من العلماء العارفين وهم أحسن حالاً ممن دونهم إن الله أوجدنا لنا و المحقق والعبد لا يقول ذلك بل يقول إنما أوجدنا له لالحاجة منه إلي فإننا لغز ربي ورمزه ومن عرف أشعار الألفاز عرف ما أوردناه وأما قوله لما أتى الطالبون قصد النيل شيء بذاك جوزوا من المجازات يقول من طلب الله لأمر فهو لما طلب ولا ينال منه غير ذلك وقوله فيا عبيد الكيان يقول من عبد الله لشيء فذلك الشيء معبوده وربه والله بريء منه وهو لما عبده وقوله جوزوا أي خذوا ما جئتم له أي بسببه و جوزوا أي روحوا عنا فإنكم ما جئتم إلينا ولا بسببنا (منزل الدعاء) هذا المنزل يحتوي على منازل منها منزل الأتس بالشبيه ومنزل التغذي ومنزل مكة والطائف والحجب ومنزل المقاصير والابتلاء ومنزل الجمع والفرقة والمنع ومنزل النواشي والتقديس وفي هذا المنزل قلت

فأجب نداء الحق طوعاً يا فل	لتأيه الرحمن فيك منازل
ترجو النوال فلا يخيب السائل	رفعت إليك المرسلات أكفها
و لنا عليه شواهد و دلائل	أنت الذي قال الدليل بفضله
بنزولك الأعلى لديه منازل	لولا اختصاصك بالحقيقة ما زهت

يقول إن نداء الحق عباده إنما هو لسان المرسلات تطلب اسما من أسمائه وذلك العبد في ذلك الوقت تحت سلطانها والمرسلات لطائف الخلق ترفع أكتفها إلى من هي في يديه من الأسماء لتجود به على من يطلبها من الأسماء والمسئول أبدا إنما هو من له المهيمنة على الأسماء كالعليم الذي له التقدم على الخبير والحسيب والمحصي والمفضل ولهذا قال أنت الذي قال الدليل بفضلته والحقيقة التي اختص بها إحاطته بما تحته في الرتبة من الأسماء الإلهية إذ القادر في الرتبة دون المريد والعالم في الرتبة فوق المريد والحي فوق الكل فالمنازل التي تحت إحاطة الاسم الجامع تتمخر بنزوله إليها إجابة لسؤالها (منزل الأفعال) وهو يشمل على منازل منها منزل الفضل والإلهام ومنزل الإسراء الروحاني ومنزل التلطف ومنزل الهلاك وفي هذه المنازل أقول

ورياحها تزجي السحاب زعازع
لمنازل الأفعال برق لامع
وسيوفها في الكائنات قواطع
وسهامها في العالمين نوافذ
فالعين تبصر والتناول شاسع
ألفت إلى العز الحقيق أمرها

الناس في أفعال العباد على قسمين طائفة ترى الأفعال من العباد وطائفة ترى الأفعال من الله وكل طائفة يبدو لها مع اعتقادها ذلك شبه البرق اللامع في ذلك يعطيها أن للذي نفى عنه ذلك الفعل نسبة ما وكل طائفة لها سحاب يحول بينها وبين نسبة الفعل لمن نفته عنه وقوله في رياحها إنها شديدة أي الأسباب والأدلة التي قامت لكل طائفة على نسبة الأفعال لمن نسبتها إليه قوية بالنظر إليه ووصف سهامها بالنفوذ في نفوس الذين يعتقدون ذلك وكذلك سيوفها فيهم قواطع وقوله إنها ألفت إلى العز أي احتمت بحمي مانع يمنع المخالف أن يؤثر فيه فيبقى على هذا كل أحد على ما هي إرادة الله فيه قال تعالى رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ وقوله فالعين تبصر يقول الحس يشهدان الفعل للعبد والإنسان يجد ذلك من نفسه بما له فيه من الاختيار وقوله التناول شاسع أي ونسبته إلى غير ما يعطيه الحس والنفس بعيد المتناول إلا أنه لا بد فيه من برق لامع يعطي نسبة في ذلك الفعل لمن نفى عنه لا يقدر على جحدها (منزل الابتداء) ويشتمل على منازل منها منزل الغلظة والسبحات ومنزل التنزلات والعلم بالتوحيد الإلهي ومنزل الرحمت ومنزل الحق والفرع وفي هذا المنزل أقول

وله إذا حط الركاب منازل
للابتداء شواهد و دلائل
ويمده الله الكريم الفاعل
يحوي على عين الحوادث حكمه
إلا التعلق والوجود الحاصل
ما بينه نسب و بين إلهه
مبني الوجود حقائق و أباطل
لا تسمعن مقالة من جاهل
وسوى الوجود هو الحال الباطل
مبني الوجود حقائق مشهودة

يقول لابتداء الأكوان شواهد فيها إنما لم تكن لأنفسها ثم كانت وله الضمير يعود على الابتداء إذا حط الركاب أي إذا تبعته من أين جاء

وجدته من عند من أوجده ولذلك كان له البقاء قال تعالى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِإِذَا حَطَّطَتْ عِنْدَهُ عَرَفَتْ مَنْزِلَتَهُ مِنْهُ الَّذِي كَانَ فِيهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ وَتِلْكَ مَنْزِلَةُ الْأُولِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي قَوْلِهِ هُوَ الْأَوَّلُ وَمِنْ هَذِهِ الْأُولِيَّةِ صَدَرَ ابْتِدَاءُ الْكَوْنِ وَمِنْهُ تَسْتَمِدُّ الْحَوَادِثُ كُلَّهَا وَهُوَ الْحَاكِمُ فِيهَا وَهِيَ الْجَارِيَةُ عَلَى حُكْمِهِ وَنَفْيِ النَّسَبِ عَنْهُ فَإِنَّ أُولِيَّةَ الْحَقِّ تَمُدُّ أُولِيَّةَ الْعَبْدِ وَلَيْسَ لِأُولِيَّةِ الْكَوْنِ إِمْدَادٌ لِشَيْءٍ فَمَا تَمَّ نَسَبُ إِلَّا الْعِنَايَةُ وَلَا سَبَبٌ إِلَّا الْحُكْمُ وَلَا وَقْتُ غَيْرِ الْأَزْلِ هَذَا مَذْهَبُ الْقَوْمِ وَمَا بَقِيَ مِمَّا لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ حَصْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَعَمَى وَتَلَيَسَ هَكَذَا صَرَّحَ بِهِ صَاحِبُ مَحَاسِنِ الْجَالِسِ وَقَوْلُ مَنْ قَالَ مَبْنِي الْوُجُودِ حَقَائِقُ وَأَبَاطِلُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ فَإِنَّ الْبَاطِلَ هُوَ الْعَدَمُ وَهُوَ صَحِيحٌ فَإِنَّ الْوُجُودَ الْمُسْتَفَادَ فِي حُكْمِ الْعَدَمِ وَالْوُجُودَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ وَجُودُهُ لِنَفْسِهِ وَكُلُّ عَدَمٍ وَجِدَ فَمَا وَجِدَ إِلَّا مَنْ وَجِدَ كَانَ مَوْصُوفًا بِهِ لِغَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَالَّذِي اسْتَفَادَ هُوَ الْوُجُودَ لِعَيْنِهِ وَأَمَّا الْحَالُ الْبَاطِلُ فَهُوَ الَّذِي لَا وَجُودَ لَهُ لِنَفْسِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ (منزل التنزيه) هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الشكر ومنزل البأس ومنزل النشر ومنزل النصر والجمع ومنزل الريح والخسران والاستحالات ولنا في هذا

سر مقول حكمه معقول	لمنازل التنزيه و التقديس
فردوس قدس روضة مطلول	علم يعود على المنزه حكمه
ما قاله فمرامه تضليل	فمنزه الحق المبين مجوز

يقول المنزه على الحقيقة من هو تنزيه لنفسه وإنما ينزهه من يجوز عليه ما ينزه عنه وهو المخلوق فلماذا يعود التنزيه على المنزه قال صلى الله عليه وسلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمن كان عمله التنزيه عاد عليه تنزيهه فكان محله منزها عن أن يقوم به اعتقاد ما لا ينبغي أن يكون الحق عليه ومن هنا قال من قال سبحاني تعظيما لجلال الله تعالى ولهذا قال روضة مطلول وهو نزول التنزيه إلى محل العبد المنزه خالقه وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(منزل التقرب هذا المنزل يشتمل على منزلين منزل خرق العوائد ومنزل أحادية كن وفيه أنشدت)

ولها على ذات الكيان تحكم	لمنازل التقرب شرط يعلم
جبارها خضع الوجود ويخدم	فإذا أتى شرط القيامة واستوى
إلا التي فعلت و أنت مجسم	هيئات لا تجني النفوس ثمارها

يقول إن التقرب من صفات المحدثات لأنها تقبل التقرب وضده والحق هو التقرب وإن كان قد وصف نفسه بأنه يتقرب والمصدر منه التقرب والتقرب ولما قال شرط يعلم وهو قبول التأثير قال ولا يعرف وينكشف الأمر عموما إلا في الآخرة وقال والنفوس ما لها جنى إلا ما غرسته في حياتها الدنيا من خير أو شر فلها التقرب من أعمالها فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (منزل التوقع) وهذا المنزل أيضا يشتمل على منزلين منزل الطريق الإلهي ومنزل السمع وفيه نظمت

و قطوفها ليد المقرب دانية
ظهرت منازل للتوقع بادية
لا تقطفن من العصون العادية
فاقطف من أغصان الدنوثارها
وسط الطريق تر الحقائق بادية
لا تخرجن عن اعتدالك و الزمن

يقول ما يتوقعه الإنسان قد ظهر لأنه ما يتوقع شيئاً إلا وله ظهور عنده في باطنه فقد برز من غيبه الذي يستحقه إلى باطن من يتوقعه ثم إنه يتوقع ظهوره في عالم الشهادة فيكون أقرب في التناول و هو قوله قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ أي قريبة ليد القاطف يقول احفظ طريق الاعتدال لا تنحرف عنه و الاعتدال هنا ملازمك حقيقتك لا تخرج عنها كما خرج المتكبرون و من كان برزخا بين الطرفين كان له الاستشراق عليهما فإذا مال إلى أحدهما غاب عن الآخر (منزل البركات) وهو أيضا يشتمل على منزلين على منزل الجمع و التفرقة و منزل الخصام البرزخي و هو منزل الملك والقهر وفيه قلت

و له بجبات القلوب توقع
لمنازل البركات نور يسطع
و لها إلى نفس الوجود تطلع
فيها المزيد لكل طالب مشهد
بجفائق البركات شد المطمع
فإذا تحقق سر طالب حكمة
أعيانه مشهودة تسمع
فالحمد لله الذي في كونه

البركات الزيادة وهي من نتائج الشكر و ما سمي الحق نفسه تعالى بالاسم الشاكر و الشكور إلا لتزيد في العمل الذي شرع لنا أن نعمل به كما يزيد الحق النعم بالشكر منا فكل نفس مَطَّلعة للزيادة يقول وإذا تحقق طالب الحكم الزيادة انفراداً بأمور يجهد أن لا يشاركه فيها أحد لتكون الزيادة من ذلك النوع و صاحب هذا المقام تكون حاله المراقبة للحال الذي يطلبه (منزل الأقسام و الإيلاء) و هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الفهوانيات الرحمانية و منزل المقاسم الروحانية و منزل الرقوم و منزل مساقط النور و منزل الشعراء و منزل المراتب الروحانية و منزل النفس الكلية و منزل القطب و منزل انفهاق الأنوار على عالم الغيب و منزل مراتب النفس الناطقة و منزل اختلاف الطرق و منزل المودة و منزل علوم الإلهام و منزل النفوس الحيوانية و منزل الصلاة الوسطى و في هذا قلت

أحكامها في عالم الأرض
منازل الأقسام في العرض
من قام بالسنة و الفرض
تجري بأفلاك السعود على
و حكمها في الطول و العرض
و علمها وقف على عينها

يقول القسم نتيجة التهمة و الحق يعامل الخلق من حيث ما هم عليه لا من حيث ما هو عليه و لهذا لم يول الحق تعالى للملائكة لأنهم ليسوا من عالم التهمة و ليس لمخلوق أن يقسم بمخلوق و هو مذهبنا و إن أقسم بمخلوق عندنا فهو عاص و لا كفاية عليه إذا حنث و عليه التوبة مما وقع فيه لا

غير وإنما أقسم الحق بنفسه حين أقسم بذكر المخلوقات وحذف الاسم يدل على ذلك إظهار الاسم في مواضع من الكتاب العزيز مثل قوله فَوَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . . . يَرْبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ فكان ذلك أعلما في المواضع التي لم يجز للاسم ذكر ظاهر أنه غيب هنالك لأمر أراه سبحانه في ذلك يعرفه من عرفه الحق ذلك من نبي وولي ملهم فإن القسم دليل على تعظيم المقسم به ولا شك أنه قد ذكر في القسم من يبصر و من لا يبصر فدخل في ذلك الرفيع والوضيع والمرضى عنه والمغضوب عليه والمحبوب والممقوت والمؤمن والكافر والموجود والمعدوم ولا يعرف منازل الأقسام إلا من عرف عالم الغيب فيغلب على الظن أن الاسم الإلهي هنا مضمرة وقد عرفناك إن عالم الغيب هو الطول وعالم الشهادة هو العرض (منزل الإنية) ويشتمل على منازل منها منزل سليمان ودون غيره من الأنبياء ومنزل الستر الكامل ومنزل اختلاف المخلوقات ومنزل الروح ومنزل العلوم وفيه أقول

لوجودها عند الرجال منازل	إنية	قدسية	مشهودة
في سورة أعلامها تتفاضل	تفني الكيان إذا تجلت صورة		
خلف الظلال وجودها لك شامل	و تريك فيك وجودها بنعوتها		

يقول إن الحقيقة الإلهية المعنوية بنعوت التنزيه إذا شوهدت تفني كل عين سواها وإن تفاضلت مشاهدها في الشخص الواحد بحسب أحواله وفي الأشخاص لاختلاف أحوالهم لما أعطت الحقيقة أنه لا يشهد الشاهد منا إلا نفسه كما لا تشهد هي منا إلا نفسها فكل حقيقة للأخرى مرآة المؤمن مرآة أخيه ليس كمثله شيء (منزل الدهور) يحتوي هذا المنزل على منازل منها منزل السابقة ومنزل العزة ومنزل روحانيات الأفلاك ومنزل الأمر الإلهي ومنزل الولادة ومنزل الموازنة ومنزل البشارة باللقاء وفيه أقول

مثل الزمان فإنه متوهم	ومن المنازل ما يكون مقدره
وله التصرف والمقام الأعظم	دلت عليه الدائرات بدورها

يقول لما كان الأزل أمرا متوهما في حق الحق كان الزمان أيضا في حق الحق أمرا متوهما أي مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك فإن الأزل كالزمان للمخلق فافهم (منزل لام الألف) هذا منزل الالتفاف والغالب عليه الائتلاف لا الاختلاف قال تعالى وَالتَّقَاتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ وهو يحتوي على منازل منها منزل مجمع البحرين وجمع الأمرين ومنزل التشريف الحمدي الذي إلى جانب المنزل الصمدي وفيه أقول

عند اللقاء انفصال حال وصلهما	منازل اللام في التحقيق والألف
سر الوجود و إني عينه فهما	هما الدليل أعلى من قال إن أنا
لا كالذي دل بالأقوال فانصرما	نعم الدليلان إذ دلا بجاهلما

يقول وإن ارتبط اللام بالألف وانعقد وصارا عينا واحدة وهو ظاهر في المزج من الحروف في المقام الثامن والعشرين بين الواو والياء اللذين لهما الصحة والاعتلال فلما في الألف من العلة ولما في اللام من الصحة وقعت المناسبة بينه وبين هذين الحرفين فيلي الصحيح منه حرف الصحة ويلى المعتل منه حرف العلة فيداه مبسوطه بالرحمة مقبوضة بنقيضها وليس للام الألف صورة في نظم المفرد بل هو غيب فيها ورتبة على حالها بين الواو والياء وقد استتاب في مكانه الزاي والحاء والطاء اليابسة فله في غيبه الرتبة السابعة والثامنة والتاسعة فله منزلة القمر بين البدر والحلال فلم تزل تصحبه رتبة البرزخية في غيبته وظهره فهو الرابع والعشرون إذ كانت له السبعة بالزاي والثمانية بالحاء والتسعة بالطاء واليوم أربع وعشرون ساعة ففي أي ساعة عملت به فيها أنجح عملك على ميزان العمل بالوضع لأنه في حروف الرقم لا في حروف الطبع لأنه ليس له في حروف الطبع إلا اللام وهو من حروف اللسان برزخ بين الحلق والشفتين والألف ليست من حروف الطبع فما ناب إلا مناب حرف واحد وهو اللام الذي عنه تولد الألف إذا أشبعت حركته فإن لم تشبع ظهرت الهمزة ولهذا جعل الألف بعض العلماء نصف حرف والهمزة نصف حرف في الرقم الوضعي لا في اللفظ الطبيعي ثم نرجع فنقول إن انعقد اللام بالألف كما قلنا وصارا عينا واحدة فإن فخذه يدلان على أنهما اثنان ثم العبارة باسمه تدل على أنه اثنان فهو اسم مركب من اسمين لعينين الواحدة اللام والأخرى الألف ولكن لما ظهرا في الشكل على صورة واحدة لم يفرق الناظر بينهما ولم يميز له أي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر الألف فاختلف الكتاب فيه فمنهم من راعى التلفظ ومنهم من راعى ما يتبدى به مخطظه فيجعله أولا فاجتمعا تقديم اللام على الألف لأن الألف هنا تولد عن اللام بلا شك وكذلك الهمزة تنلو اللام في مثل قوله لا أنتم أشد رهبة وأمثاله وهذا الحرف أعني لام ألف هو حرف الالتباس في الأفعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو إن قلت هو لله صدقت وإن قلت هو للمخلوق صدقت ولولا ذلك ما صح التكليف وإضافة العمل من الله للعبد يقول صلى الله عليه وسلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم ويقول الله وما يفعلوا من خير فلن يكفروه واعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصيرٌ والله يقول الحق فكذلك أي الفخذين جعلت اللام أو الألف صدقت وإن اختلف العمل في وضع الشكل عند العلماء به للتحقق بالصورة وكل من دل على إن الفعل للواحد من الفخذين دون الآخر فذلك غير صحيح وصاحبه ينقطع ولا يثبت وإن غيره من أهل ذلك الشأن يخالفه في ذلك ويدل في زعمه والقول معه كالقول مع مخالفه ويتعارض الأمر ويشكل إلا على من نور الله بصيرته وهداه إلى سواء السبيل (منزل التقرير) وهو يشتمل على منازل منها منزل تعداد النعم ومنزل رفع الضرر ومنزل الشرك المطلق وفي ذلك أقول

ورجحت الظهور على الكمون تقررت المنازل بالسكون
مفجرة من الماء المعين و دلت بالعيان على عيون
إذا لمعت على النور المبين و دلت بالبروق سحب مزن

اعلم أيديك الله أنه يقول الثبوت يقرر المنازل فمن ثبت وظهر لكل عين على حقيقتها ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الشبه فيحكم الناظر

على الشيء بخلاف ما هو عليه ذلك الشيء فيقول في النار الذي في الجمرة أو في رأس الفتيمة إذا أسرع بحركته عرضاً إنه خط مستطيل أو يديره بسرعة فيرى دائرة نار في الهواء و سبب ذلك عدم الثبوت وإذا ثبتت المنازل دلت على ما تحوي عليه من العلوم الإلهية (منزل

المشاهدة) وهو منزل واحد هو منزل فناء الكون فيه يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وفيه أقول

روحه فينا تنزل	في فناء الكون منزل
ما له نور ولا ظل	إنه ليلة قدر
ما له عنه تنقل	هو عين النور صرفاً
ملك في الصدر الأول	فأنا الإمام حقاً
فيوليكم و يعزل	عنده مفتاح أمري
لست بالسماك الأعزل	سمميراتي طوال
دائم لا يتبدل	فالمقام الحق فيكم
و هو الإمام الأعدل	و هو القاهر منه
بل من المهابة أكمل	ليس بالنور الممثل
بمكان السر الأفضل	و أنا منه يقينا
و بأمر الأمر أنزل	فبعين العين أسمى

يقول حالة الفناء لا نور ولا ظل مثل ليلة القدر ثم قال وذلك هو الضوء الحقيقي والظل الحقيقي فإنه الأصل الذي لا ضد له والأنوار تقابلها الظلم وهذا لا يقابله شيء وقوله أنا الإمام يعني شهوده للحق من الوجه الخاص الذي منه إلي وهو الصدر الأول ومن هذا المقام يقع التفصيل والكثرة والعدد في الصور وجعل السمميريات كناية عن تأثير القيومية في العالم ولها الثبوت ولذا قال لا تتبدل وله القهر والعدل لا يقبل التشبيه

فبشهود الذات أعلو وبالامر الإلهي أنزل إماماً في العالم (منزل الألفة) هو منزل واحد وفيه أقول

وهي بهذا النعت معروفه	منازل الألفة مألوفه
فإنها بالأمن محفوفه	فقل لمن عرس فيها أقم
وعن عذاب الوتر مصروفه	وهي على الاثنين موقوفه

هذا منزل الأعراس والسرور والأفراح وهو ما امتن الله به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لَوَأَنَّفَتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ يَرِيدُ عَلَيْكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ يَرِيدُ عَلَى مَوَدَّتِكَ وَإِجَابَتِكَ وَتَصَدِيقِكَ (منزل الاستخبار) وهو يشمل على منازل منها منزل

المنازعة الروحانية ومنزل حلية السعداء كيف تظهر على الأشقياء وبالعكس ومنزل الكون قبل الإنسان وفيه أقول

أحالوني على استفهام لفظي إذا استفهمت عن أحباب قلبي
فيا شؤمي لذاك وسوء حظي منازلهم بلفظك ليس إلا
فما التقت بخاطرها لوعظي وعظت النفس لا تنظر إليهم
فكانوا عين كوني لفظي لفظهم عسى أحظي بكون
وأسأل عنهم من أرى وهمومي وقال ومن عجب إني أحن إليهم
ويشاقهم قلبي وهم بين أضلعي وترصدهم عيني وهم في سوادها

يقول إنهم في لساني إذا سألت عنهم وفي سواد عيني إذا نظرت إليهم وفي قلبي إذا فكرت فيهم واشتقت إليهم فهم معي في كل حال أكون عليها فهم عيني ولست عينهم إذ لم يكن عندهم مني ما عندي منهم (منزل الوعيد) وهو منزل واحد محوي على الجور والاستمسك بالكون وفيه قلت

ترك السلوك على الطريق الأقوم إن الوعيد لمنزلان هما لمن
ومشى على حكم العلو الأقدم فإذا تحقق بالكمال وجوده
في النار وهي نعيم كل مكرم عادا نعيما عنده فنعيمه

منزل روحاني وهو عذاب النفوس ومنزل جسماني وهو العذاب الحسوس ولا يكون إلا لمن حاد عن الطريق المشروع في ظاهره وباطنه فإذا وفق للاستقامة وسبقت له العناية عصم من ذلك وتعم بنار المجاهدة لجنة المشاهدة (منزل الأمر) وهو يشمل على منازل منزل

الأرواح البرزخية ومنزل التعليم ومنزل السري ومنزل السبب ومنزل التمام ومنزل القطب والإمامين ولنا فيه
بها تحصل أفرأحي و لذاتي منازل الأمر فهو إنية الذات
ولا أزول إلى وقت الملاقاة فليتي قائم فيها مدى عمري
إذا تبرز في صدر المناجاة فقرة العين للمختار كان له

الأمر الإلهي من صفة الكلام وهو مسدود دون الأولياء من جهة التشريع وما في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا أن يكون مشروعاً فما بقي للولي إلا سماع أمرها إذا أمرت الأنبياء فيكون للولي عند سماعه ذلك لذة سارية في وجوده لكن يبقى للأولياء المناجاة الإلهية التي لا أمر فيها سمراً وحديثاً فكل من قال من أهل الكشف إنه مأمور بأمر إلهي في حركته وسكاته مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر وإن كان صادقاً فيما قال إنه سمع وإنما يمكن إن ظهر له تجل إلهي في صورة نبيه صلى الله عليه وسلم فخاطبه نبيه أو أقيم في سماع

خطاب نبيه وذلك أن الرسول موصل أمر الحق تعالى الذي أمر الله به عباده فقد يمكن أن يسمع من الحق في حضرة ما ذلك الأمر الذي قد جاء به أولاً رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول أمرني الحق وإنما هو في حقه تعريف بأنه قد أمر وانقطع هذا السبب بمحمد صلى الله عليه وسلم وما عدا الأوامر من الله المشروعة فللأولياء في ذلك القدم الراسخة فهذا قد أتينا على التسعة عشر صنفاً من المنازل فلنذكر أخص صفات كل منزل فنقول (وصل) أخص صفات منزل المدح تعلق العلم بما لا يتناهى وأخص صفات منزل الرموز تعلق العلم بخواص الأعداد والأسماء وهي الكلمات والحروف وفيه علم السيمياء وأخص صفات منزل الدعاء علوم الإشارة والتحلية وأخص صفات منزل الأفعال علم الآن وأخص صفات منزل الابتداء علم المبدأ والمعاد ومعرفة الأوليات من كل شيء وأخص صفات التنزيه علم السلخ والخلع وأخص صفات التقريب علم الدلالات وأخص صفات منزل التوقع علم النسب والإضافات وأخص صفات منزل البركات علم الأسباب والشروط والعلل والأدلة والحقيقة وأخص صفات الأقسام علوم العظمة وأخص صفات منزل الدهر علم الأزل وديمومة الباري وجوداً وأخص صفات منزل الإنية علم الذات وأخص صفات منزل لام ألف علم نسبة الكون إلى المكون وأخص صفات منزل التقرير علم الحضور وأخص صفات منزل فناء الكون علم قلب الأعيان وأخص صفات منزل الألفة علم الالتحام وأخص صفات منزل الوعيد علم المواطن وأخص صفات منزل الاستفهام علم لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وأخص صفات منزل الأمر علم العبادة (وصل) اعلم أنه لكل منزل من هذه المنازل التسعة عشر صنفاً من الممكنات فمنهم صنف الملائكة وهم صنف واحد وإن اختلفت أحوالهم (وعلم الأجسام ثمانية عشر) الأفلاك أحد عشر نوعاً والأركان أربعة والمولدات ثلاثة ولها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الإلهية الجوهر للذات وهو الأول الثاني الأعراس وهي للصفات الثالث الزمان وهو للأزل الرابع المكان وهو للاستواء أو النعوت الخامس الإضافات للصفات السادس الأوضاع للفهوانية السابع الكميات للأسماء الثامن الكيفيات للتجليات التاسع التأثيرات للوجود العاشر الانفعالات للظهور في صور الاعتقادات الحادي عشر الخاصة وهي للاحدية الثاني عشر الحيرة وهي للوصف بالنزول والفرح والقرض وأشبه ذلك الثالث عشر حياة الكائنات للحي الرابع عشر المعرفة للعلم الخامس عشر الهواجس للإرادة السادس عشر الأبصار للبصير السابع عشر السمع للسمع الثامن عشر الإنسان للكمال التاسع عشر الأنوار والظلم للنور (وصل في نظائر المنازل التسعة عشر) نظائرها من القرآن حروف الهجاء التي في أول السور وهي أربعة عشر حرفاً في خمس مراتب أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ونظائرها من النار الحزنة تسعة عشر ملكاً نظائرها في التأثير اثنا عشر برجاً والسبعة الدراري نظائرها من القرآن حروف البسملة ونظائرها من الرجال النقباء اثنا عشر والأبدال السبعة وهؤلاء السبعة منهم الأوتاد أربعة والإمامان اثنان والقطب واحد والنظائر لهذه المنازل من الحضرة الإلهية ومن الأكوان كثير (وصل) اعلم أن منزل المنازل عبارة عن المنزل الذي يجمع جميع المنازل التي تظهر في عالم الدنيا من العرش إلى الثرى وهو المسمى بالإمام المين قال الله تعالى وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ فقوله أَحْصَيْنَاهُ دليل على أنه ما أودع فيه إلا علوماً متناهية فنظرنا هل ينحصر لأحد عددها فخرجت عن

الحصر مع كونها متناهية لأنه ليس فيه إلا ما كان من يوم خلق الله العالم إلى أن ينقضي حال الدنيا و تنتقل العمارة إلى الآخرة فسالنا من أثق به من العلماء بالله هل تنحصر أمهات هذه العلوم التي يحويها هذا الإمام المين فقال نعم فأخبرني الثقة الأمين الصادق صاحب و عاهدني أنني لا أذكر اسمه أن أمهات العلوم التي تتضمن كل أم منه ما لا يحصى كثرة تبلغ بالعدد إلى مائة ألف نوع من العلوم و تسعة و عشرين ألف نوع و ستمائة نوع و كل نوع يحتوي على علوم حجة و يعبر عنها بالمنازل فسألت هذا الثقة هل نالها أحد من خلق الله و أحاط بها علما قال لا ثم قال و ما يعلم جنود ربك إلا هو و إذا كانت الجنود لا يعلمها إلا هو و ليس للحق منازع يحتاج هؤلاء الجنود إلى مقابله فقال لي لا تعجب فورب السماء و الأرض لقد ثم ما هو أعجب فقلت ما هو فقال لي الذي ذكر الله في حق امرأتين من نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم تلا و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهر فهذا أعجب من ذكر الجنود فأسرار الله عجيبة فلما قال لي ذلك سألت الله أن يطلعني على فائدة هذه المسألة و ما هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة فأخبرت بها فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك و علمت لمن استندتا و من يقويهما و لولا ما ذكر الله نفسه في النصر ما استطاعت الملائكة و المؤمنون مقاومتها و علمت أنهما حصل لهما من العلم بالله و التأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة و هذا من العلم الذي كهيمة المكنون فشكرت الله على ما أولى فما أظن أن أحدا من خلق الله استند إلى ما استندها تان المرأتان يقول لوطع لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد و كان عنده الركن الشديد و لم يكن يعرفه فإن النبي صلى الله عليه و سلم قد شهد له بذلك فقال يرحم الله أخي لوطا لقد كان ياوي إلى ركن شديد و عرفناه عائشة و حفصة فلو علم الناس علم ما كانتا عليه لعرفوا معنى هذه الآية و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل

(الباب الثالث و العشرون في معرفة الأقطاب المصونين و أسرار صونهم)

في وجودي فليس عين تراها	إن لله حكمة أخفاها
فبناها وجوده سواها	خلق الجسم دار لهو و أنس
جاء روح من عنده أحيها	ثم لما تعدلت و استقامت
حبه و اقياده لهواها	ثم لما تحقق الحق علما
فدعاه له بما أخلاها	قال للموت خذ إليك عبيدي
أين أنسي فقال ما تنساها	و تجلى له فقال إلهي
من قواكم فهي التي لا تضاهي	كيف أنسي دارا جعلت قواها
ما عشقنا منها سوى معناها	يا إلهي و سيدي و اعتمادي
بلسان الرسول من أعلاها	أعلمتنا بما تريدون منا

بك يا سيدي فما أحلاها فقطعنا أيامنا في سرور
 صدق الروح إنه يهواها قال ردوا عليه دار هواه
 طربا دائما إلى سكنهاها فرددنا مخلدين سكارى
 و تجلى لها بما قواها و بناها على اعتدال قواها

اعلم أيديك الله أن هذا الباب يتضمن ذكر عباد الله المسمين بالملامية وهم الرجال الذين حلوا من الولاية في أقصى درجاتها وما فوقهم إلا درجة النبوة وهذا يسمى مقام القربة في الولاية وآيتهم من القرآن حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ينبه بنوع نساء الجنة و حورها على نفوس رجال الله الذين اقتطعهم إليه و صانهم و حبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية في زوايا الكون أن تمتد إليهم عين فتشغلهم لا والله ما يشغلهم نظر الخلق إليهم لكنه ليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم لعلو منصبها فتقف العباد في أمر لا يصلون إليه أبدا فحبس ظواهرهم في خيمات العادات و العبادات من الأعمال الظاهرة و المتأثرة على الفرائض منها و النوافل فلا يعرفون بخرق عادة فلا يعظمون و لا يشار إليهم بالصالح الذي في عرف العامة مع كونهم لا يكون منهم فساد فهم الأخفاء الأبرياء الأمناء في العالم الغامضون في الناس فيهم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه عز و جل إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه و أطاعه في السر و العلانية و كان غامضا في الناس يريد أنهم لا يعرفون بين الناس بكبير عبادة و لا ينتهكون المحارم سرا و علنا قال بعض الرجال في صفتهم لما سئل عن العارف قال مسود الوجه في الدنيا و الآخرة فإن كان أراد ما ذكرناه من أحوال هذه الطائفة فإنه يريد باسوداد الوجه استقراغ أوقاته كلها في الدنيا و الآخرة في تجليات الحق له و لا يرى الإنسان عندنا في مرآة الحق إذا تجلى له غير نفسه و مقامه و هو كون من الأكوان و الكون في نور الحق ظلمة فلا يشهد إلا سواده فإن وجه الشيء حقيقته و ذاته و لا يدوم التجلي إلا لهذه الطائفة على الخصوص فهم مع الحق في الدنيا و الآخرة على ما ذكرناه من دوام التجلي و هم الأفراد و أما إن أراد بالتسويد من السيادة و أراد بالوجه حقيقة الإنسان أي له السيادة في الدنيا و الآخرة فيمكن و لا يكون ذلك إلا للرسول خاصة فإنه كما لهم و هو في الأولياء نقص لأن الرسل مضطرون في الظهور لأجل التشريع و الأولياء ليس لهم ذلك ألا ترى الله سبحانه لم أكمل الدين كيف أمره في السورة التي نعى الله إليه فيها نفسه فأنزل عليه إذا جاء نصرُ الله و الفتحُ و رأيت الناس يدخُلونَ في دينِ الله أفواجا فسبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ و اسْتَغْفِرْهُ أَي اشغل نفسك بتزيه ربك و الثناء عليه بما هو أهله فاقتطعه بهذا الأمر من العالم لما كمل ما أريد منه من تبليغ الرسالة و طلب بالاستغفار أن يستره عن خلقه في حجاب صونه لينفرد به دون خلقه دائما فإنه كان في زمان التبليغ و الإرشاد و شغله بأداء الرسالة فإن له وقتا لا يسعه فيه غير ربه و سائر أوقاته فيما أمر به من النظر في أمور الخلق فرده إلى ذلك الوقت الواحد الذي كان يحتلسه من أوقات شغله بالخلق و إن كان عن أمر الحق ثم قوله إنه كان تَوَابًا أَي يرجع الحق إليك رجوعا مستصحبا لا يكون للخلق عندك فيه دخول بوجه من الوجوه و لما تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه السورة بكى أبو

بكر الصديق رضي الله عنه وحده دون من كان في ذلك المجلس و علم أن الله تعالى قد نعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو كان أعلم الناس به وأخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه ولا يعرفون سبب ذلك والأولياء الأكابر إذا تركوا وأنفسهم لم يختر أحد منهم الظهور أصلاً لأنهم علموا أن الله ما خلقهم لهم ولا لأحد من خلقه بالتعلق من القصد الأول وإنما خلقهم له سبحانه فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له فإن أظهرهم الحق عن غير اختيار منهم بأن يجعل في قلوب الخلق تعظيمهم فذلك إليه سبحانه ما لهم فيه تعمل وإن سترهم فلم يجعل لهم في قلوب الناس قدراً يعظمونهم من أجله فذلك إليه تعالى فهم لا اختيار لهم مع اختيار الحق فإن خيرهم ولا بد فيخترون الستر عن الخلق والانتقطاع إلى الله ولما كان حالهم ستر مرتبتهم عن نفوسهم فكيف عن غيرهم تعين علينا أن نبين منازل صونهم فمن منازل صونهم أداء الفرائض في الجماعات والدخول مع الناس في كل بلد بزى ذلك البلد ولا يوطن مكاناً في المسجد وتختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة حتى تضع عينه في غمار الناس وإذا كلم الناس فيكلمهم ويرى الحق رقيباً عليه في كلامه وإذا سمع كلام الناس سمع كذلك ويقل من مجالسة الناس إلا من جيرانه حتى لا يشعر به ويقضي حاجة الصغير والأرملة ويلاعب أولاده وأهله بما يرضي الله تعالى ويمرح ولا يقول إلا حقاً وإن عرف في موضع انتقل عنه إلى غيره فإن لم يتمكن له الانتقال استقصى من يعرفه وألح عليهم في حوائج الناس حتى يرغبوا عنه وإن كان عنده مقام التحول في الصور تحول كما كان للروحاني التشكل في صور بني آدم فلا يعرف أنه ملك وكذلك كان قضيب البان وهذا كله ما لم يرد الحق إظهاره ولا شهرته من حيث لا يشعر ثم إن هذه الطائفة إنما نالوا هذه المرتبة عند الله لأنهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الأكوان سوى الله فليس لهم جلوس إلا مع الله ولا حديث إلا مع الله فهم بالله قائلون وفي الله ناظرون وإلى الله راحلون ومقلدون عن الله ناطقون ومن الله آخذون وعلى الله متوكلون وعند الله قائلون فما لهم معروف سواه ولا مشهود إلا إياه صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم فهم في غيابات الغيب محبوبون هم ضنائق الحق المستخلصون يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مشي ستر وأكل حجاب فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة في هذا الباب (تتمة شريفة) لهذا الباب قلنا ومن هذه الحضرة بعثت الرسل سلام الله عليهم أجمعين مشرعين ووجد معهم هؤلاء تابعين لهم قائلين بأمرهم من عين واحدة أخذ عنها الأنبياء والرسل ما شرعوا وأخذ عنها الأولياء ما اتبعوهم فيه فهم التابعون على بصيرة العالمون بمن اتبعوه وفيما اتبعوه وهم العارفون بمنزل الرسل ومناهج السبل من الله ومقاديرهم عند الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السادس عشر والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع والعشرون)

في معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تضمنه من العجائب ومن حصلها من العالم ومراتب أقطابهم وأسرار الاشتراك بين شريعتين و القلوب المتعشقة بعالم الأنفاس وبالأنفاس وأصلها وإلى كم تنتهي منازلها

و من مالك أضحي لمملوكه ملكا
تعجبت من ملك يعود بنا ملكا
من اللؤلؤ المنثور من علمنا سلكا
فذلك ملك الملك إن كنت ناظما
ليأخذ ذاك العلم من شاءه عنكا
فإن كنت مثلي في العلوم فقد ترى
وقد فتكت أسيافكم في الورى فتكا
و من أنت كنت السيد العلم الملكا
فلو كنت تدري يا حبيبي وجوده
أتيت إليه إن تحفته ملكا
و كان إله الخلق يأتيك ضعف ما

اعلم أيديك الله أن الله يقول ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ فَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مَرْبُوبٌ لِهَذَا
الرب و ملك لهذا الملك الحق سبحانه و لا معنى لكون العالم ملك الله تعالى إلا تصرفه فيه على ما يشاء من غير تحجير و أنه محل تأثير الملك
سيده جل علاه فتتبع الحالات التي هو العالم عليها هو تصرف الحق فيه على حكم ما يريد ثم إنه لما رأينا الله تعالى يقول كَبَّرْتُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ فَأَشْرَكَ نَفْسَهُ مَعَ عَبْدِهِ فِي الْوَجُوبِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَوْجِبَ عَلَى نَفْسِهِ مَا أَوْجِبَ فَكَلَامَهُ صَدَقَ وَعَدَهُ حَقٌّ كَمَا يُوجِبُ
الإنسان بالنذر على نفسه ابتداء ما لم يوجب الحق عليه فأوجب الله عليه الوفاء بنذره الذي أوجبه على نفسه فأمره بالوفاء بنذره ثم رأينا
تعالى لا يستجيب إلا بعد دعاء العبد إياه كما شرع كما إن العبد لا يكون مجيبا للحق حتى يدعوه الحق إلى ما يدعوه إليه قال تعالى فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي فِصَارٍ لِّلْعَبْدِ وَ الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ مَلِكٌ لِّلَّهِ سُبْحَانَهُ تَصَرَّفَ إِلَهِي فِي الْجَانِبِ الْأَحْمَى بِمَا تَقْتَضِيهِ حَقِيقَةُ الْعَالَمِ بِالطَّلَبِ الذَّاتِي وَ تَصَرَّفَ آخَرَ بِمَا
يَقْتَضِيهِ وَضَعُ الشَّرِيعَةِ فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ كَوْنِ الْحَقِّ يَجِبُ أَمْرَ الْعَبْدِ إِذَا دَعَاهُ وَ سَأَلَهُ كَمَا إِنَّ الْعَبْدَ يَجِبُ أَمْرَ اللَّهِ إِذَا أَمَرَهُ وَ هُوَ
قَوْلُهُ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ فَشَرِكٌ فِي الْقَضِيَّةِ وَ لَمَّا كَانَ الْحَقُّ يَقْتَضِي بِذَاتِهِ أَنْ يَتَذَلَّلَ لَهُ سِوَاءَ شَرَعِ لِعِبَادَتِهِ أَعْمَالًا أَوْ لِمِشْرَعِ كَذَلِكَ يَقْتَضِي
بِقَاءَهُ وَ جُودَ عَيْنِهِ حِفْظَ الْحَقِّ إِيَّاهُ سِوَاءَ شَرَعِ الْحَقِّ مَا شَرَعَهُ أَوْ لِمِشْرَعِهِ ثَمَّ لَمَّا شَرَعِ لِلْعَبْدِ أَعْمَالًا إِذَا عَمَلَهَا شَرَعِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَجَازِيَ هَذَا الْعَبْدَ
عَلَى فِعْلٍ مَا كَلَفَهُ بِهِ فِصَارِ الْجَنَابِ الْعَالِي مَلِكًا لِهَذَا الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ الْعَالَمُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ أَثَرِ الْعَبْدِ فِيهِ مِنَ الْعَطَاءِ عِنْدَ السُّؤَالِ فَانْطَلَقَ عَلَيْهِ صِفَةٌ
يَعْبُرُ عَنْهَا مَلِكُ الْمَلِكِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَالِكٌ وَ مَلِكٌ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ عِبَادَتِهِ وَ هُوَ سُبْحَانَهُ مَلِكٌ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْعَبْدَ فَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِي كَمَا قَالَ لَهُ الْحَقُّ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي فَيَسْمَى مَا كَانَ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ لِلْعَبْدِ أَمْرًا وَيَسْمَى مَا كَانَ مِنْ جَانِبِ الْعَبْدِ لِلْحَقِّ دَعَاءً أَدْبًا إِلَهِيًا وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَمْرٌ فَإِنَّ
الحد يشمل الأمرين معا و أول من اصطلح على هذا الاسم في علمي محمد بن علي الترمذي الحكيم و ما سمعنا هذا اللفظ عن أحد سواه و
ربما تقدمه غيره بهذا الاصطلاح و ما وصل إلينا إلا أن الأمر صحيح و مسألة الوجوب على الله عقلا مسألة خلاف بين أهل النظر من
المتكلمين فمن قائل بذلك و غير قائل بها و أما الوجوب الشرعي فلا ينكره إلا من ليس بمؤمن بما جاء من عند الله و اعلم أن المتضايين لا بد أن

يحدث لكل أحد من المتضامين اسم تعطيه الإضافة فإذا قلت زيد فهو إنسان بلا شك لا يعقل منه غير هذا فإذا قلت عمرو فهو إنسان لا يعقل منه غير هذا فإذا قلت زيد بن عمرو أو زيد عبد عمرو فلا شك أنه قد حدث لزيد البنوة إذ كان ابن عمرو وحدث لعمرو واسم الأبوة إذ كان أبا لزيد فبنوة زيد أعطت الأبوة لعمرو والأبوة لعمرو أعطت البنوة لزيد فكل واحد من المتضامين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به قبل الإضافة وكذلك زيد عبد عمرو فأعطت العبودية أن يكون زيد مملوكا وعمرو مالكا فقد أحدثت مملوكية زيد اسم المالك لعمرو وأحدثت ملك عمرو لزيد مملوكية زيد فقيل فيه مملوك وقيل في عمرو مالك ولم يكن لكل واحد منهما معقولة هذين الاسمين قبل أن توجد الإضافة فالحق حق والإنسان إنسان فإذا قلت الإنسان أو الناس عبيد الله قلت إن الله ملك الناس لا بد من ذلك فلو قدرت ارتفاع وجود العالم من الذهن جملة واحدة من كونه ملكا لم يرتفع وجود الحق لارتفاع العالم وارتفع وجود معنى الملك عن الحق ضرورة ولما كان وجود العالم مرتبطا بوجود الحق فعلا وصلاحيه لهذا كان اسم الملك لله تعالى أزلا وإن كان عين العالم معدوما في العين لكن معقوليته موجودة مرتبطة باسم المالك فهو مملوك لله تعالى وجودا وتقديرا قوة وفعلا فإن فهمت وإلا فافهم وليس بين الحق والعالم بون يعقل أصلا إلا التمييز بالحقائق فالله ولا شيء معه سبحانه ولم ينزل كذلك ولا يزال كذلك لا شيء معه فمعنيته معنا كما يستحق جلاله وكما ينبغي لجلاله ولولا ما نسب لنفسه إنه معنا لم يقتض العقل أن يطلق عليه معنى المعية كما لا يفهم منها العقل السليم حين أطلقها الحق على نفسه ما يفهم من معية العالم بعضه مع بعض لأنه ليس كمثله شيء قال تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَقَالَ تَعَالَى إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى لِمُوسَى وَهَارُونَ فَتَقُولُ إِنَّ الْحَقَّ مَعَنَا عَلَىٰ حِدِّ مَا قَالَهُ وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ وَلَا تَقُولُ إِنَّا مَعَ الْحَقِّ فَإِنَّهُ مَا وَرَدَ وَالْعَقْلُ لَا يُعْطِيهِ فَمَا لَنَا وَجْهٌ عَقْلِيٌّ وَلَا شَرْعِيٌّ يُطْلَقُ بِهِ إِنَّا مَعَ الْحَقِّ وَأَمَّا مَنْ نَفَىٰ عَنْهُ إِطْلَاقَ الْإِيْتِيَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ نَاقِصُ الْإِيْمَانِ فَإِنَّ الْعَقْلَ يَنْفِي عَنْهُ مَعْقُولِيَةَ الْإِيْتِيَةِ وَالشَّرْعُ الثَّابِتُ فِي السَّنَةِ لَا فِي الْكِتَابِ قَدْ أَثْبَتَ إِطْلَاقَ لَفْظِ الْإِيْتِيَةِ عَلَى اللَّهِ فَلَا تَعْدَى وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا وَتَطْلُقُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَطْلَقَهَا الشَّارِعُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْسُّودَاءِ الَّتِي ضَرَبَهَا سَيِّدُهَا أَيْنَ اللَّهُ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَقَبِلَ إِشَارَتَهَا وَقَالَ أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ فَالسَّائِلُ بِالْإِيْتِيَةِ أَعْلَمُ النَّاسُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَأَوَّلَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الرُّسُومِ إِشَارَتَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَبُولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ مِنْهَا لِمَا كَانَتْ الْآلِهَةَ الَّتِي تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ وَهَذَا تَأْوِيلٌ جَاهِلٌ بِالْأَمْرِ غَيْرُ عَالِمٍ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَعْبُدُ كَوْكَبًا فِي السَّمَاءِ يُسَمَّى الشَّعْرَى سَنَهُ لِهَمِّ أَبُو كَبْشَةَ وَتَعْتَقِدُ فِيهَا أَنَّهَا رَبُّ الْأَرْبَابِ هَكَذَا وَقَفَّتْ عَلَىٰ مَنَاجَاتِهِمْ إِيَّاهَا وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى فَلَوْ لَمْ يَعْبُدْ كَوْكَبٌ فِي السَّمَاءِ لَسَاخٌ هَذَا التَّأْوِيلُ لِهَذَا التَّأْوِيلِ وَهَذَا أَبُو كَبْشَةَ الَّذِي كَانَ شَرِعَ عِبَادَةَ الشَّعْرَى هُوَ مِنْ أَجْدَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمِّهِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْسِبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ فَتَقُولُ مَا فَعَلَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ حَيْثُ أَحْدَثَ عِبَادَةَ إِلَهٍ وَاحِدًا كَمَا أَحْدَثَ جَدُّهُ عِبَادَةَ الشَّعْرَى وَمِنْ أَقْطَابِ هَذَا الْمَقَامِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ وَمِنْ شَيْوَحْنَا أَبُو مَدِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ يَعْرِفُ فِي الْعَالَمِ الْعُلُوِيِّ بِأَبِي النَّجَا وَبِهِ يُسَمُّونَهُ الرُّوحَانِيُونَ وَكَانَ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَوْرَتِي مِنَ الْقُرْآنِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كُنَّا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ أَحَدٌ

الإمامين لأن هذا هو مقام الإمام ثم تقول ولما كان الحق تعالى مجيباً لعبده المضطر فيما يدعوه به ويسأله منه صار كالمصرف فهذا كان يشير أبو مدين بقوله فكان يقول فيه ملك الملك وأما صحة هذه الإضافة لتحقق العبد في كل نفس إنه ملك لله تعالى من غير أن يتخلل هذا الحال دعوى تناقضه فإذا كان بهذه المثابة حينئذ يصدق عليه أنه ملك عنده فإن شابهته رائحة من الدعوى وذلك بأن يدعي لنفسه ملكاً عربياً عن حضوره في تملك الله إياه ذلك الأمر الذي سماه ملكاً له وملكاً لم يكن في هذا المقام ولا صح له أن يقول في الحق إنه ملك الملك وإن كان كذلك في نفس الأمر فقد أخرج هذا نفسه بدعواه بجهله أنه ملك لله وغفلته في أمر ما فيحتاج صاحب هذا المقام إلى ميزان عظيم لا يبرح بيده و نصب عينه (وصل) وأما أسرار الاشتراك بين الشريعتين فمثل قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى وهذا مقام ختم الأولياء ومن رجاله اليوم خضر والياس وهو تقرير الثاني ما أثبتته الأول من الوجه الذي أثبتته مع مغايرة الزمان ليصح المتقدم والمتأخر وقد لا يتغير المكان ولا الحال فيقع الاشتراك في الشريعة من شخصين إلا أن العبارة يختلف زمانها ولسانها إلا أن ينطقا في آن واحد بلسان واحد كموسى وهارون لما قيل لهما اذهبا إلى فرعون إنه طغى ومع هذا كله فقد قيل لهما فقولا له قولاً لينا فأتى بالنعرة في قوله قولاً ولا سيما وموسى يقول هو أفصح مني لساناً يعني هارون فقد يمكن أن يختلفا في العبارة في مجلس واحد فقد جمعهما مقام واحد وهو البعث في زمان واحد إلى شخص واحد برسالة واحدة وإن كان قد منع وجود مثل هذا جماعة من أصحابنا وشيوخنا كأبي طالب المكي ومن قال بقوله وإليه نذهب وبه أقول وهو الصحيح عندنا فإن الله تعالى لا يكرر تجلياً على شخص واحد ولا يشرك فيه بين شخصين للتوسع الإلهي وإنما الأمثال والأشياء توهم الرائي والسماع للتشابه الذي يعسر فصله إلا على أهل الكشف والقائلين من المتكلمين إن العرض لا يبقى زمانين ومن الاتساع الإلهي أن الله أعطى كل شيء خلقه وميز كل شيء في العالم بأمر ذلك الأمر هو الذي يميزه عن غيره وهو أحدية كل شيء فما اجتمع اثنان في مزاج واحد قال أبو العتاهية

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وليست سوى أحدية كل شيء فما اجتمع قط اثنان فيما يقع به الامتياز ولو وقع الاشتراك فيه ما امتازت وقد امتازت عقلاً وكشفاً ومن هذا المنزل في هذا الباب تعرف إيراد الكبير على الصغير والواسع على الضيق من غير أن يضيق الواسع ويوسع الضيق أي لا يغير شيء عن حاله لكن لا على الوجه الذي يذهب إليه أهل النظر من المتكلمين والحكماء في ذلك فإنهم يذهبون إلى اجتماعهما في الحد والحقيقة لا في الجرمية فإن كبر الشيء وصغره لا يؤثر في الحقيقة الجامعة لهما ومن هذا الباب أيضاً قال أبو سعيد الخراز ما عرف الله إلا بجمعه بين الضدين ثم تلا هو الأول والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ يريد من وجه واحد لا من نسب مختلفة كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم واعلم أنه لا بد من نزول عيسى و لا بد من حكمه فينا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم يوحى الله بها إليه من كونه نبياً فإن النبي لا يأخذ الشرع من غير

مرسله فيأتيه الملك مخبرا بشرع محمد الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وقد يلهمه إلهاما فلا يحكم في الأشياء بتحليل وتحريم إلا بما كان يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حاضرا ويرتفع اجتهاد المجتهدين بنزوله عليه السلام ولا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في أوان رسالته ودولته فيما هو عالم بها من حيث الوحي الإلهي إليه بها هو رسول ونبي وبما هو الشرع الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم هو تابع له فيه وقد يكون له من الاطلاع على روح محمد صلى الله عليه وسلم كشفًا بحيث أن يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمته صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى عصاحبًا و نابعا من هذا الوجه وهو عليه السلام من هذا الوجه خاتم الأولياء فكان من شرف النبي صلى الله عليه وسلم إن ختم الأولياء في أمته نبي رسول مكرم هو عيسى عليه السلام وهو أفضل هذه الأمة المحمدية وقد نبه عليه الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء له وشهد له بالفضيلة على أبي بكر الصديق وغيره فإنه وإن كان وليا في هذه الأمة والملة المحمدية فهو نبي ورسول في نفس الأمر فله يوم القيامة حشران يحشر في جماعة الأنبياء والرسل بلواء النبوة والرسالة وأصحابه تابعون له فيكون متبوعا كسائر الرسل ويحشر أيضا معنا وليا في جماعة أولياء هذه الأمة تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم تابعا له مقدما على جميع الأولياء من عهد آدم إلى آخره ولي يكون في العالم فجمع الله له بين الولاية والنبوة ظاهرا وما في الرسل يوم القيامة من يتبعه رسول إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يحشر يوم القيامة في أتباعه عيسى والياس عليهما السلام وإن كان كل من في الموقف من آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم فذلك لوائه العام وكلامنا في اللواء الخاص بأمته صلى الله عليه وسلم وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ختم خاص هو في الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولا وقد ولد في زماننا ورأيت أيضا واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده إلا وهو راجع إليه كما أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو راجع إليه كعيسى إذا نزل فنسبة كل ولي يكون بعد هذا الختم إلى يوم القيامة نسبة كل نبي يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة كإلياس وعيسى والخضر في هذه الأمة وبعد أن بينت لك مقام عيسى عليه السلام إذا نزل فقل ما شئت إن شئت قلت شريعتين لعين واحدة وإن شئت قلت شريعة واحدة (وصل) وأما القلوب المتعشقة بالأنفاس فإنه لما كانت خزائن الأرواح الحيوانية تعشقت بالأنفاس الرحمانية للمناسبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نفس الرحمن يأتي من قبل اليمن ألا وإن الروح الحيوانية نفس وإن أصل هذه الأنفاس عند القلوب المتعشقة بها النفس الرحمانية الذي من قبل اليمن لمن أخرج عن وطنه وحيل بينه وبين مسكنه وسكنه ففيها تفريج الكرب ودفع النوب وقال صلى الله عليه وسلم إن لله نفحات فتعرضوا لنفحات ربكم وتنتهي منازل هذه الأنفاس في العدد إلى ثلاثمائة نفس و ثلاثين نفسا في كل منزل من منازلها التي جملتها الخارج من ضرب ثلاثمائة و ثلاثين في ثلاثمائة و ثلاثين فما خرج فهو عدد الأنفاس التي تكون من الحق من اسمه الرحمن في العالم البشري والذي أتخفقه أن لها منازل تزيد على هذا المقدار مائتين منزلا في حضرة الفهوانية خاصة فإذا ضربت ثلاثمائة و ثلاثين في خمسمائة و ثلاثين فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني كل نفس منها علم إلهي مستقل عن تجل إلهي خاص

لهذه المنازل لا يكون لغيرها فمن شم من هذه الأنفاس رائحة عرف مقدارها و ما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس وأكثر ما يكونون من بلاد الأندلس واجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس وبمكة فسألته يوما في مسألة فقال لي هل تشم شيئا فعلمت أنه من أهل ذلك المقام وخدمني مدة وكان لي عم أخو والدي شقيقة اسمه عبد الله بن محمد بن العربي كان له هذا المقام حسا ومعنى شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس والعشرون)

في معرفة وتد مخصوص معمر وأسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العلوم وسر المنزل والمنازل ومن دخله من العالم

من بعد ظهر و بطن فيه تجتمع	إن الأمور لها حد و مطلع
إلا مراتب أعداد بها تقع	في الواحد العين سر ليس يعلمه
وهو الذي ما له في العد متسع	هو الذي أبرز الأعداد أجمعها
كناظر في مرآء حين ينطبع	مجاله ضيق رحب فصورته
تكثرأ فهو بالتنزيه يمتنع	فما تكثر إذ أعطت مراتبه
بنفسه و بكم تعلق و تتضع	كذلك الحق إن حققت صورته

اعلم أيها الولي الحميم أيديك الله أن هذا الوند هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطل الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العربي رحمه الله جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو فلان ابن فلان وسمي لي شخصا أعرفه باسمه وما رأيت ولكن رأيت ابن عمته فرمما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول أعني قوله فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري فانصرفت عنه إلى منزلي فكنت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداء سلام محب مشفق وقال لي يا محمد صدق الشيخ أبا العباس فيما ذكر لك عن فلان وسمي لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العربي فقلت له نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حينئذ إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعند ما دخلت عليه قال لي يا أبا عبد الله أحجاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدق فلانا فيما ذكره لك ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتوقف فقلت إن باب التوبة مفتوح فقال وقبول التوبة واقع فعلمت إن ذلك الرجل كان الخضر ولا شك أنني استفهمت الشيخ عنه أ هو هو قال نعم هو الخضر ثم اتفق لي مرة أخرى أنني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني وأهل المركب قد ناموا فقممت إلى جانب السفينة وتطلعت إلى البحر فرأيت شخصا على بعد في ضوء القمر وكانت ليلة البدر وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل إلي فوقف معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على

الأخرى فرأيت باطنها وما أصابها بلل ثم اعتمد عليها و رفع الأخرى فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم وانصرف يطلب المنارة محرسا على شاطئ البحر على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى وربما مشى إلى شيخنا جراح بن خميس الكناني وكان من سادات القوم مرابطا بمرسى عيدون وكنت جئت من عنده بالأمس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلا صالحا فقال لي كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ما قال لك وما قلت له فلما كان بعد ذلك التأريخ خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط ومعني رجل ينكر خرق العوائد للصالحين فدخلت مسجدا خرابا منقطعاً لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي إنه الخضر وفيهم رجل كبير القد أكبر منه منزلة وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودة فقمتم فسلمت عليه فسلم علي و فرح بي وتقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام وخرجت خلفه وهو يريد باب المسجد وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقمتم أتحدث معه على باب المسجد وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر قد أخذ حصيرا صغيرا كان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض و وقف على الحصير في الهواء ينتقل لصاحبي أما تنظر إلى هذا وما فعل فقال لي سر إليه وسله فتركت صاحبي واقفا وجئت إليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وأشدت له نفسي

في حب من خلق الهواء وسخره	شغل الحب عن الهواء يسره
عن كل كون ترتضيه مطهره	العارفون عقولهم معقولة
أحوالهم مجهولة و مسترة	فهمو لديه مكرمون و في الوري

فقال لي يا فلان ما فعلت ما رأيت إلا في حق هذا المنكر وأشار إلى صاحبي الذي كان ينكر خرق العوائد وهو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه ليعلم أن الله يفعل ما يشاء مع من يشاء فرددت وجهي إلى المنكر وقلت له ما تقول فقال ما بعد العين ما يقال ثم رجعت إلى صاحبي وهو ينتظرنني بباب المسجد فتحدثت معه ساعة وقلت له من هذا الرجل الذي صلى في الهواء وما ذكرت له ما اتفق لي معه قبل ذلك فقال لي هذا الخضر فسكت وانصرفت الجماعة وانصرفنا نريد روضة موضع مقصود يقصده الصالحاء من المنقطعين وهو بمقربة من بشكنصار على ساحل البحر المحيط فهذا ما جرى لنا مع هذا الودد نفعنا الله برؤيته وله من العلم اللدني ومن الرحمة بالعالم ما يليق بمن هو على رتبته وقد أثنى الله عليه واجتمع به رجل من شيوخنا وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب علي المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان كان يسكن بالمقلى خارج الموصل في بستان له وكان الخضر قد ألبسه الخرقه بحضور قضيب البان وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها وقد كنت لبست خرقه الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقي

الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أبي التوزيري ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيخ بالديار المصرية وهو ابن حمويه وكان جده قد لبسها من يد الخضر ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقه وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكتبت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقه عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ولهذا لا يوجد لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن توجد صحبة وأدبا وهو المعبر عنه بلباس التقوى فجزت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمر ما وأرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكمله حاله فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك فذلك هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا ثم اعلم أن رجال الله على أربع مراتب رجال لهم الظاهر ورجال لهم الباطن ورجال لهم الحد ورجال لهم المطع فإن الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إن الوحي قد انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقي بأيدينا إلا أن يرزق الله عبدا فهما في هذا القرآن وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في آي القرآن إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز من أهل باغة بأغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسائة وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد فقال لي الرجال أربعة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم رجال الظاهر ورجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم رجال الباطن جلساء الحق تعالى ولهم المشورة ورجال الأعراف وهم رجال الحد قال الله تعالى وعلى الأعراف رجال أهل الشم والتمييز والسراح عن الأوصاف فلا صفة لهم كان منهم أبو يزيد البسطامي ورجال إذا دعاهم الحق إليه يأتونه رجالا لسرعة الإجابة لا يركبون وأذن في الناس بالحق يا توك رجالا وهم رجال المطع فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرف في عالم الملك والشهادة وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي أدبا مع الله أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله قال لما اجتمع محمد بن قائد الأواني وكان من الأفراد بأبي السعود هذا قال له يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا فقال له أبو السعود يا ابن قائد وهبتك سهمي نحن تركنا الحق يتصرف لنا وهو قوله تعالى فاتخذوه وكيلًا فامتثل أمر الله فقال لي أبو البدر قال لي أبو السعود إنني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله فتركه وما ظهر علي منه شيء وأما رجال الباطن فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت فيستنزلون الأرواح العلوية بهمهم فيما يريدونه وأعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة وإنما كان ذلك لما منع إلهي قومي يقتضيه مقام الأملاك أخبر الله به في قول جبريل عليه السلام محمد صلى الله عليه وسلم فقال وما ننزل إلا بأمر ربك ومن كان تنزله بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية ولا ينزل بها نعم أرواح الكواكب تستنزل

بالأسماء و البحورات و أشباه ذلك لأنه تنزل معنوي و لمن يشاهد فيه صوراً خيالي فإن ذات الكواكب لا تبرح من السماء مكانها و لكن قد جعل الله لمطرح شعاعاتها في عالم الكون و الفساد تأثيرات معادة عند العارفين بذلك كالري عند شرب الماء و الشبع عند الأكل و نبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر و الصحو حكمة أودعها العليم الحكيم جل و عز فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة و الصحف المطهرة و كلام العالم كله و نظم الحروف و الأسماء من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصاً إلهياً و أما رجال الحد فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية عالم البرزخ الجبروت فإنه تحت الجبر ألاتراه مقهوراً تحت سلطان ذوات الأذنان و هم طائفة منهم من الشهب الثواقب فما قهرهم إلا مجنسهم فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها و إحضارها و هم رجال الأعراف و الأعراف سور حاجز بين الجنة و النار برزخ باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب فهو حد بين دار السعداء و دار الأشقياء دار أهل الرؤية و دار الحجاب و هؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور و لهم شهود الخطوط المتوهمة بين كل تقيضين مثل قوله **بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يُبْغِيَانِ** فلا يتعدون الحدود و هم رجال الرحمة التي **وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** فلهم في كل حضرة دخول و استشراف و هم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات العقلية و الحسية و أما رجال المطالع فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية فيستنزلون بها منها ما شاء الله و هذا ليس لغيرهم و يستنزلون بها كل ما هو تحت تصرف الرجال الثلاثة رجال الحد و الباطن و الظاهر و هم أعظم الرجال و هم الملامية هذا في قوتهم و ما يظهر عليهم من ذلك شيء منهم أبو السعود و غيره فهم و العامة في ظهور العجز و ظاهر العوائد سواء و كان لأبي السعود في هؤلاء الرجال تميز بل كان من أكبرهم و سمعه أبو البدر على ما حدثنا مشافهة يقول إن من رجال الله من يتكلم على الخاطر و ما هو مع الخاطر أي لا علم له بصاحبه و لا يقصد التعريف به و لما وصف لنا عمر البزاز و أبو البدر و غيرهما حال هذا الشيخ رأيناه يجري مع أحوال هذا الصنف العالي من رجال الله قال لي أبو البدر كان كثيراً ما ينشد بيتاً نسمع منه غيره وهو

وأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون أخمصك الحشر

وكان يقول ما هو إلا الصلوات الخمس و انتظار الموت و تحت هذا الكلام علم كبير و كان يقول الرجل مع الله تعالى كساعي الطير فم مشغول و قدم تسعى و هذا كله أكبر حالات الرجال مع الله إذ الكبير من الرجال من يعامل كل موطن بما يستحقه و موطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله المحقق إلا بما ذكره هذا الشيخ فإذا ظهر في هذه الدار من رجل خلاف هذه المعاملة علم إن ثم نفساً و لا بد إلا أن يكون مأموراً بما ظهر منه و هم الرسل و الأنبياء عليهم السلام و قد يكون بعض الورثة لهم أمر في وقت بذلك و هو مكر خفي فإنه انفصال عن مقام العبودية التي خلق الإنسان لها و أما سر المنزل و المنازل فهو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواه فلو لا تجليه لكل شيء ما ظهرت شبيبة ذلك الشيء قال تعالى **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** إذا أردناه أن نقوله إذا أردناه هو التوجه الإلهي لإيجاد ذلك الشيء ثم قال **أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** فسماع ذلك الشيء خطاب الحق تكون ذلك الشيء فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد فتظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى بوجود الواحد في هذه

المنازل ولولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد ولا كان لها اسم ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة ما ظهر لذلك العدد عين فلا تجتمع عينه واسمه معا أبدا فيقال اثنان ثلاثة أربعة خمسة إلى ما لا يتناهى وكل ما أسقطت واحدا من عدد معين زال اسم ذلك العدد و زالت حقيقته فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الأعداد وباسمه يعدمها كذلك إذا قلت القديم فنى الحدث وإذا قلت الله فنى العالم وإذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن للعالم وجود وفنى وإذا سرى حفظ الله في العالم بقي العالم موجودا فيظهوره وتجليه يكون العالم باقيا وعلى هذه الطريقة أصحابنا وهي طريقة النبوة والمنكلمون من الأشاعرة أيضا عليها وهم القائلون بانعدام الأعراض لأنفسها وبهذا يصح افتقار العالم إلى الله في بقائه في كل نفس ولا يزال الله خلاقا على الدوام وغيرهم من أهل النظر لا يصح لهم هذا المقام وأخبرني جماعة من أهل النظر من علماء الرسوم أن طائفة من الحكماء عثروا على هذا رأيتهم مذهبا لابن السيد البطليوسي في كتاب ألفه في هذا الفن والله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس والعشرون في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق)

على المعنى المغيب في الفؤاد	ألا إن الرموز دليل صدق
و الغاز ليدعى بالعباد	و إن العالمين له رموز
و أدى العالمين إلى العناد	و لولا اللغز كان القول كفرا
بإهراق الدماء و بالفساد	فهم بالرمز قد حسبوا فقالوا
بلا ستر يكون له استنادي	فكيف بنا لو أن الأمر يبدو
و عند البعث في يوم التنادي	لقام بنا الشقاء هنا يقينا
ليسعدنا على رغم الأعادي	و لكن الغفور أقام سترا

اعلم أيها الولي الحميم أيديك الله بروح القدس وفهمك إن الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها وإنما هي مرادة لما رمزت له ولما ألغز فيها و مواضعها من القرآن آيات الاعتبار كلها والتنبيه على ذلك قوله تعالى وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ فَأَلْئِمْنَا مَا جَاءَتْ مَطْلُوبَةٌ لِأَنْفُسِهَا وَإِنَّمَا جَاءَتْ لِيَعْلَمَ مِنْهَا مَا ضَرَبْتَ لَهُ وَ مَا نَصَبْتَ مِنْ أَجْلِهِ مِثْلًا مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً فَجَعَلَهُ كَالْبَاطِلِ كَمَا قَالَ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ ثُمَّ قَالَ وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ ضَرِبَهُ مِثْلًا لِلْحَقِّ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ وَ قَالَ فَاعْبِرُوا يَا أُُولِي الْأَبْصَارِ أَمْي تَعَجَّبُوا وَ جُوزُوا وَ اعْبَرُوا إِلَى مَا أَرَدْتَهُ بِهَذَا التَّعْرِيفِ وَ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ مِنْ عَبْرَتِ الْوَادِي إِذَا جَزَتْهُ وَ كَذَلِكَ الْإِشَارَةُ وَ الْإِيْمَاءُ قَالَ تَعَالَى لَنبِيهِ زَكَرِيَّا الْإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا أَيْ بِالْإِشَارَةِ وَ كَذَلِكَ فَاشَارَتْ إِلَيْهِ فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ لَمَّا نَذَرَتْ لِلرَّحْمَنِ أَنْ

تمسك عن الكلام ولهذا العلم رجال كبير قد رهم من أسرارهم سر الأزل والأبد والحال والخيال والرؤيا والبرازخ وأمثال هذه من النسب الإلهية ومن علومهم خواص العلم بالحروف والأسماء والخواص المركبة والمفردة من كل شيء من العالم الطبيعي وهي الطبيعة المجهولة فأما علم سر الأزل فاعلم إن الأزل عبارة عن نفي الأولية لمن يوصف به وهو وصف لله تعالى من كونه إلها وإذا انتفت الأولية عنه تعالى من كونه إلها فهو المسمى بكل اسم سمي به نفسه أزلا من كونه متكلماً فهو العالم الحي المريد القادر السميع البصير المتكلم الخالق البارئ المصور الملك لم يزل مسمى بهذه الأسماء وانتفت عنه أولية التقييد فسمع المسموع وأبصر المبصر إلى غير ذلك وأعيان المسموعات منا والمبصرات معدومة غير موجودة وهو يراها أزلا كما يعلمها أزلا ويميزها ويفصلها أزلا ولا عين لها في الوجود النفسي العيني بل هي أعيان ثابتة في رتبة الإمكان فالإمكانية لها أزلا كما هي لها حالا وأبداً لم تكن قط واجبة لنفسها ثم عادت ممكنة ولا محالاً ثم عادت ممكنة بل كان الوجود الوجودي الذاتي لله تعالى أزلا كذلك وجوب الإمكان للعالم أزلا فالله في مرتبة بأسمائه الحسنَى يسمى منعوتاً موصوفاتها فعين نسبة الأول له نسبة الآخر والظاهر والباطن لا يقال هو أول بنسبة كذا ولا آخر بنسبة كذا فإن الممكن مرتبط بواجب الوجود في وجوده وعدمه ارتباطاً افتقار إليه في وجوده فإن أوجده لم يزل في إمكانه وإن عدم لم يزل عن إمكانه فكما لم يدخل على الممكن في وجود عينه بعد أن كان معدوماً صفة تزيله عن إمكانه كذلك لم يدخل على الخالق الواجب الوجود في إيجاد العالم وصف يزيله عن وجوب وجوده لنفسه فلا يعقل الحق إلا هكذا ولا يعقل الممكن لا هكذا فإن فهمت علمت معنى الحدوث ومعنى القدم فقل بعد ذلك ما شئت فأولية العالم وآخريته أمر إضافي إن كان له آخر أما في الوجود فله آخر في كل زمان فرد وانتهاء عند أرباب الكشف ووافقتهم الحسابية على ذلك كما وافقتهم الأشاعرة على إن العرض لا يبقى زمانين فالأول من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده والآخر من العالم بالنسبة إلى ما خلق قبله وليس كذلك معقولة الاسم الله بالأول والآخر والظاهر والباطن فإن العالم يتعدد والحق واحد لا يتعدد ولا يصح أن يكون أولاً لنا فإن رتبته لا تناسب ربتنا ولا تقبل ربتنا أوليته ولو قبلت ربتنا أوليته لاستحال علينا اسم الأولية بل كان ينطلق علينا اسم الثاني لأوليته ولسنا بثان له تعالى عن ذلك فليس هو بأول لنا فلماذا كان عين أوليته عين آخريته وهذا المدرك عزيز المنال يتعذر تصوره على من لا أنسه له بالعلوم الإلهية التي يعطيها التجلي والنظر الصحيح وإليه كان يشير أبو سعيد الخزاز بقوله عرفته الله بجمعه بين الضدين ثم يتلو هو الأول والآخر والظاهر والباطن فقد أبت لك عن سر الأزل وإنه نعت سلمي وأما سر الأبد فهو نفي الآخرة فكما إن الممكن انتفت عنه الآخرة شرعاً من حيث الجملة إذ الجنة والإقامة فيها إلى غير نهاية كذلك الأولية بالنسبة إلى ترتيب الموجودات الزمانية معقولة موجودة فالعالم بذلك الاعتبار الإلهي لا يقال فيه أول ولا آخر بالاعتبار الثاني هو أول وآخر بنسبتين مختلفتين بخلاف ذلك في إطلاقها على الحق عند العلماء بالله وأما سر الحال فهو الديمومة وما لها أول ولا آخر وهو عين وجود كل موجود فقد عرفتك ببعض ما يعلمه رجال الرموز من الأسرار وسكت عن كثير فإن بابه واسع وعلم الرؤيا والبرزخ والنسب الإلهية من هذا القبيل والكلام فيها يطول وأما علومهم في الحروف والأسماء فاعلم إن الحروف لها خواص وهي على ثلاثة

أضرب منها حروف رقمية ولفظية ومستحضرة وأعني بالمستحضرة الحروف التي يستحضرها الإنسان في وهمه وخياله ويصورها فأما إن يستحضر الحروف الرقمية أو الحروف اللفظية وما ثم للحروف رتبة أخرى فيفعل بالاستحضر كما يفعل بالكتاب أو التلفظ فأما حروف التلفظ فلا تكون إلا أسماء فذلك خواص الأسماء وأما المرقومة فقد لا تكون أسماء واختلف أصحاب هذا العلم في الحرف الواحد هل يفعل أم لا فرأيت منهم من منع من ذلك جماعة ولا شك أنني لما خضت معهم في مثل هذا أوقفتم على غلطهم في ذلك الذي ذهبوا إليه وإصابتهم وما نقصهم من العبارة عن ذلك ومنهم من أثبت الفعل للحرف الواحد وهؤلاء أيضا مثل الذين منعوا محطون ومصيبون ورأيت منهم جماعة وأعلمتهم بموضع الغلط والإصابة فاعترفوا كما اعترف الآخرون وقلت للطائفتين جربوا ما عرفتم من ذلك على ما بيناه لكم فجربوه فوجدوا الأمر كما ذكرناه ففروا بذلك ولولا أنني آليت عقدا أن لا يظهر مني أثر عن حرف لأريتهم من ذلك عجباً فاعلم إن الحرف الواحد سواء كان مرقوماً أو متلفظاً به إذا عرى القاصد للعمل به عن استحضاره في الرقم أو في اللفظ خيالا لم يعمل وإذا كان معه الاستحضر عمل فإنه مركب من استحضر ونطق أو رقم وغاب عن الطائفتين صورة الاستحضر مع الحرف الواحد فمن اتفق له الاستحضر مع الحرف الواحد ورأى العمل غفل عن الاستحضر ونسب العمل للحرف الواحد ومن اتفق له التلفظ أو الرقم بالحرف الواحد دون استحضر فلم يعمل الحرف شيئاً قال بمنع ذلك وما واحد منهم نطقن المعنى الاستحضر وهذه حروف الأمثال المركبة كالواوين وغيرهما فلما نبهناهم على مثل هذا جربوا ذلك فوجدوه صحيحاً وهو علم ممقوت عقلا وشرعاً فأما الحروف اللفظية فإن لها مراتب في العمل وبعض الحروف أعم عملاً من بعض وأكثر فالواو أعم الحروف عملاً لأن فيها قوة الحروف كلها والهاء أقل الحروف عملاً وما بين هذين الحرفين من الحروف تعمل بحسب مراتبها على ما قرناه في كتاب المبادي والغايات فيما تضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات وهذا العلم يسمى علم الأولياء وبه تظهر أعيان الكائنات ألا ترى تنبيه الحق على ذلك بقوله كُنْ فَيَكُونُ فظهر الكون عن الحروف ومن هنا جعله الترمذي علم الأولياء ومن هنا منع من منع أن يعمل الحرف الواحد فإنه رأى مع الاقتدار الإلهي لم يأت في الإيجاد حرف واحد وإنما أتى بثلاثة أحرف حرف غيبي وحرفين ظاهرين إذا كان الكائن واحداً فإن زاد على واحد ظهرت ثلاثة أحرف فهذه علوم هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الباب وعمل أكثر رجال هذا العلم لذلك جدولا وأخطئوا فيه وما صح فلا أدري بالقصد عملوا ذلك حتى يتروكوا الناس في عمية من هذا العلم أم جهلوا ذلك وجرى فيه المتأخر على سنن المتقدم وبه قال تلميذ جعفر الصادق وغيره وهذا هو

الجدول في طبائع الحروف

فكل حرف منها وقع في جدول الحرارة فهو حار وما وقع منها في جدول البرودة فهو بارد وكذلك البيوسة والرطوبة ولم نر هذا الترتيب يصيب في كل عمل بل يعمل بالاتفاق كأعداد الوقوف واعلم أن هذه الحروف لم تكن لها هذه الخاصية من كونها حروفاً وإنما كان لها من كونها أشكالاً فلما كانت ذات أشكال كانت الخاصية

حار بارد يابس رطب			
د	ج	ب	ا
ح	ز	و	هـ
ل	ك	ي	ط
ع	س	ن	م
ر	ق	ص	ف
خ	ث	ت	ش
غ	ظ	ض	ذ

للشكل ولهذا يختلف عملها باختلاف الأقلام لأن الأشكال تختلف فأما الرقمية فأشكالها محسوسة بالبصر فإذا وجدت أعيانها وصحبتها أرواحها وحياتها الذاتية كانت الخاصية لذلك الحرف لشكله وتركيبه مع روحه وكذلك إن كان الشكل مركبا من حرفين أو ثلاثة أو أكثر كان للشكل روح آخر ليس الروح الذي كان للحرف على انفراده فإن ذلك الروح يذهب وتبقي حياة الحرف معه فإن الشكل لا يدبره سوى روح واحد وينقل روح ذلك الحرف الواحد إلى البرزخ مع الأرواح فإن موت الشكل زواله بالحو و هذا الشكل الآخر المركب من حرفين أو ثلاثة أو ما كان ليس هو عين الحرف الأول الذي لم يكن مركبا إن عمرا ليس هو عين زيد وإن كان مثله وأما الحروف اللفظية فإنها تتشكل في الهواء ولهذا تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم فإذا تشكلت في الهواء قامت بها أرواحها وهذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلها وإن انقضى عملها فإن عملها إنما يكون في أول ما تشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الأمم فيكون شغلها تسيح رباها و تصعد علواً إليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وهو عين شكل الكلمة من حيث ما هي شكل مسبح لله تعالى ولو كانت كلمة كفر فإن ذلك يعود وباله على المتكلم بها لعلها ولهذا قال الشاعر إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا فجعل العقوبة للمتلفظ بها بسببها وما تعرض إليها فهذا كلام الله سبحانه يعظم ويمجد ويقدم المكتوب في المصاحف ويقرأ على جهة القرية إلى الله وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله من الكفر والسب وهي كلمات كفر عاد وبأهلها على قائلها وبقيت الكلمات على بابها تتولى يوم القيامة عذاب أصحابها أو نعيمهم وهذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها بخلاف الحروف الرقمية وذلك لأن شكل الحرف الرقمي والكلمة الرقمية تقبل التغيير والزوال لأنه في محل يقبل ذلك والأشكال اللفظية في محل لا يقبل ذلك ولهذا كان لها البقاء فالجو كله مملوء من كلام العالم يراه صاحب الكشف صوراً قائمة وأما الحروف المستحضرة فإنها باقية إذ كان وجود أشكالها في البرزخ لا في الحس وفعالها أقوى من فعل سائر الحروف ولكن إذا استحكم سلطان استحضارها واتحد المستحضر لها ولم يبق فيه متسع لغيرها ويعلم ما هي خاصيتها حتى يستحضرها من أجل ذلك فيرى أثرها فهذا شبيه الفعل بالهمة وإن لم يعلم ما تعطيه فإنه يقع الفعل في الوجود ولا علم له به وكذلك سائر أشكال الحروف في كل مرتبة وهذا الفعل بالحرف المستحضر يعبر عنه بعض من لا علم له بالهمة والصدق وليس كذلك وإن كانت الهمة روحاً للحرف المستحضر لا عين الشكل المستحضر وهذه الحضرة نعم الحروف كلها لفظية و رقمية فإذا علمت خواص الأشكال وقع الفعل بها علماً لكاتبها أو المتلفظ بها وإن لم يعين ما هي مرتبطة به من الانفعالات لا يعلم ذلك وقد آتينا من قرآنية من القرآن وما عنده خبر فرأى أثراً غريباً حدث وكان ذا فطنة فرجع في تلاوته من قريب لينظر ذلك الأثر بأية آية يختص فجعل يقرأ وينظر فمر بالآية التي لها ذلك الأثر فرأى الفعل فتعدها فلم ير ذلك الأثر فعاود ذلك مرارا حتى تحققته فاتخذها لذلك الانفعال ورجع كلما أراد أن يرى ذلك الانفعال تلك الآيات فظهر له ذلك الأثر وهو علم شريف في نفسه إلا أن السلامة منه عزيزة فالأولى ترك طلبه فإنه من العلم الذي اختص الله به أوليائه على الجملة وإن كان عند بعض الناس منه قليل ولكن من غير الطريق الذي يناله الصالحون ولهذا يشقى به

من هو عنده ولا يسعد فאלله يجعلنا من العلماء بالله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب السابع والعشرون في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك وهو من منزل العالم النوراني)

بعين المبصرات و لا رأتها و لولا النور ما اتصلت عيون
بأعيان الأمور فأدركتها و لولا الحق ما اتصلت عقول
تعد مغايرات أنكرتها إذا سألت عقول عن ذوات
تمد ذوات خلق أظهرتها شو قالت ما علمنا غير ذات
فمهما عينت أمرا عنتها شهى المعنى ونحن لها حروف

اعلم أيها الولي الحميم تولاك الله بعنايته إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فَاقْبَلْهُم مِّنْ حَيْثُ مَا هُمْ لَئِن مَّبْتُغُوا مِنِّي فَحُورًا لَّيَكُونُوا مِنِّي قَوْمًا فَالَّذِينَ هُمْ يُحِبُّونَ هُم مِّنِّي وَمَا لَمْ أُبَدَّ إِلَيْهِمْ قَلْبًا لَّأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا يَفْقَهُونَ لَئِن مَّسَّحُوا بِرَأْسِهِم مِّنَ التُّرَابِ لَأَعْلَمْنَ مَا فِي قُلُوبِهِم مِّنْ شَيْءٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

وقال أحيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي فقد تم إجابته لنا إذا دعونا على إجابته له إذا دعانا وجعل الاستجابة من العبيد لأنها أبلغ من الإجابة فإنه لا مانع له من الإجابة سبحانه فلا فائدة للتأكيد وللإنسان موانع من الإجابة لما دعاه الله إليه وهي الهوى والنفس والشيطان والدنيا فلذلك أمر بالاستجابة فإن الاستفعال أشد في المبالغة من الأفعال وأين الاستخراج من الإخراج ولهذا يطلب الكون من الله العون في أفعاله ويستحيل على الله أن يستعين بمخلوق قال تعالى تعليما لنا أن نقول وَإِنَّكَ تَسْتَعِينُ مِنْ رَبِّكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

وصالك فقد قدم الإرادة منه لذلك فقال صل فإذا عملت في الوصلة فذلك عين وصلته بك فذلك جعلها نية لا عملا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا وهذا قرب مخصوص يرجع إلى ما تقرب إليه سبحانه به من الأعمال والأحوال فإن القرب العام قوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَضَاعَفَ الْقُرْبَ بِالذَّرَاعِ فَإِنَّ الذَّرَاعَ ضَعْفٌ لِلْبَشْرِ أَي قَوْلُهُ صَلَّى هُوَ قُرْبٌ ثُمَّ تَقَرُّبٌ إِلَيْهِ شَبْرًا فَتَبْدِي لَكَ إِنَّكَ مَا تَقَرَّبْتَ إِلَيْهِ إِلَّا بِهِ لِأَنَّهُ لَوْلَا مَا دَعَاكَ وَبَيْنَ لَكَ طَرِيقَ الْقُرْبَةِ وَأَخَذَ بِنَاصِيَتِكَ فِيهَا مَا تَمَكَّنَ لَكَ أَنْ تَعْرِفَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَقْرُبُ مِنْهُ مَا هِيَ وَلَوْ عَرَفْتَهَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِهِ وَمَا كَانَ الْقُرْبُ بِالسَّلْوَكِ وَالسَّفَرُ إِلَيْهِ لِذَلِكَ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ النُّورَ لِنَهْدِي بِهِ فِي الطَّرِيقِ كَمَا قَالَ تَعَالَى جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَهُوَ السَّلْوَكُ الظَّاهِرُ بِالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْبَحْرِ وَهُوَ السَّلْوَكُ الْبَاطِنُ الْمَعْنَوِي بِالْأَعْمَالِ النَّفْسِيَّةِ فَأَصْحَابُ هَذَا الْبَابِ مَعَارِفُهُمْ مَكْتَسِبَةٌ لَا مَوْهَبَةٌ وَأَكْلَهُمْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ أَي مِنْ كَسْبِهِمْ لَهَا وَاجْتِهَادِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَلَوْلَا مَا أَرَادَهُمُ الْحَقُّ لِذَلِكَ مَا وَفَّقَهُمْ وَلَا اسْتَعْمَلَهُمْ حِينَ طَرَدَ غَيْرَهُمْ بِالْمَعْنَى وَدَعَاهُمْ بِالْأَمْرِ فَحَرَمَهُمُ الْوَصُولَ بِحَرْمَانِهِ إِيَّاهُمْ اسْتِعْمَالَ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا طَرِيقًا إِلَى الْوَصُولِ مِنْ حَضْرَةِ الْقُرْبِ وَلِذَلِكَ بَشَرَهُمْ فَقَالَ صَلَّى هُوَ قُرْبٌ وَصَالِكٌ فَسَبَقَتْ لَهُمُ الْعُنَايَةُ فَسَلَكُوا وَهُمْ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِلِبَاسِ النَّعْلَيْنِ فِي الصَّلَاةِ إِذْ كَانَ الْقَاعِدُ لَا يَلْبَسُ النَّعْلَيْنِ وَإِنَّمَا وَضَعْتَ لِلْمَاشِي فِيهَا فَدَلَّ إِنَّ الْمَصْلِي يَمِشِي فِي صَلَاتِهِ وَمَنَاجَاةِ رَبِّهِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي يَنَاجِيهِ فِيهَا مَنْزِلًا مَنْزِلًا كُلَّ آيَةٍ مَنْزِلًا وَحَالَ فَقَالَ لَهُمْ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ

عِنْدُ كُلِّ مَسْجِدٍ قَالَ الصَّاحِبُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ أَمَرْنَا فِيهَا بِالصَّلَاةِ فِي التَّعْلِينِ فَكَانَ ذَلِكَ تَنْبِيْهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُصَلِّيِ أَنَّهُ يَمْشِي عَلَى مَنَازِلِ مَا يَتْلُوهُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ إِذْ كَانَتْ السُّورُ هِيَ الْمَنَازِلُ لِقَوْلِ النَّابِغَةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبذَبُ

أَرَادَ مَنزِلَةً وَقِيلَ لِمُوسَى عَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ أَيَّ قَدٍ وَصَلْتَ الْمَنزِلَ فَإِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ بَعِيرٌ وَاسْطَةُ بِكَلَامِهِ سَبْحَانَهُ بِلَا تَرْجَمَانٍ وَلِذَلِكَ أَكَّدَهُ فِي التَّعْرِيفِ لَنَا بِالْمَصْدَرِ فَقَالَ تَعَالَى وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا وَمَنْ وَصَلَ إِلَى الْمَنزِلِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَبَانَتْ رُتْبَةُ الْمُصَلِّيِ بِالتَّعْلِينِ وَمَا مَعْنَى الْمُنَاجَاةِ فِي الصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي حَصَلَ لِمُوسَى عَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْمُصَلِّيِ يَنَاجِيهِ وَالْمُنَاجَاةُ فَعَلٌ فَاعِلِينَ فَلَا بَدَّ مِنْ لِبَاسِ التَّعْلِينِ إِذْ كَانَ الْمُصَلِّيُّ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ وَالتَّرَدُّدُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ يُعْطِي الْمَشِيَّ بَيْنَهُمَا بِالْمَعْنَى دَلَّ عَلَيْهِ بِالْفِظِّ لِبَاسِ التَّعْلِينِ وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِتَرْجَمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ قَسَمْتَ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ثُمَّ قَالَ يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَوَصَفَهُ إِنْ الْعَبْدُ مَعَ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَسْمَعُ خَالَفَهُ وَمُنَاجِيَهُ ثُمَّ يَرْحَلُ الْعَبْدُ مِنْ مَنزِلِ قَوْلِهِ إِلَى مَنزِلِ سَمِعَهُ لِيَسْمَعَ مَا يَجِبُ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِ وَهَذَا هُوَ السَّفَرُ فَهَذَا لِبَسِ نَعْلَيْهِ لِيَسْلُكَ بِهِمَا الطَّرِيقَ الَّذِي بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَنزِلَيْنِ فَإِذَا رَحَلَ إِلَى مَنزِلِ سَمِعَهُ سَمِعَ الْحَقُّ يَقُولُ لَهُ حَمْدُنِي عَبْدِي فَيَرْحَلُ مِنْ مَنزِلِ سَمِعَهُ إِلَى مَنزِلِ قَوْلِهِ فِيقُولُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فَإِذَا فَرَّغَ رَحَلَ إِلَى مَنزِلِ سَمِعَهُ فَإِذَا نَزَلَ سَمِعَ الْحَقُّ تَعَالَى يَقُولُ لَهُ أَتْنِي عَلَى عَبْدِي فَلَا يَزَالُ مُتَرَدِّدًا فِي مُنَاجَاتِهِ قَوْلًا ثُمَّ لَهُ رَحْلَةٌ أُخْرَى مِنْ حَالِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى حَالِ رُكُوعِهِ فَيَرْحَلُ مِنْ صِفَةِ الْقِيَوْمِيَّةِ إِلَى صِفَةِ الْعِظْمَةِ فَيَقُولُ سَبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثُمَّ يَرْفَعُ وَهُوَ رَحْلَتُهُ مِنْ مَقَامِ التَّعْظِيمِ إِلَى مَقَامِ النِّيَابَةِ فَيَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ مَنْ حَمَدَهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ اللَّهُ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ سَمِعَ اللَّهُ مَنْ حَمَدَهُ فَقُولُوا رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ فَهَذَا جَعَلْنَا الرَّفْعَ مِنَ الرُّكُوعِ نِيَابَةً عَنِ الْحَقِّ وَرُجُوعًا إِلَى الْقِيَوْمِيَّةِ فَإِذَا سَجَدَ انْدَرَجَتِ الْعِظْمَةُ فِي الرَّفْعَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَيَقُولُ السَّاجِدُ سَبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ فَإِنْ السَّجُودَ يَنَاقِضُ الْعُلُوقَ فَإِذَا خَلَصَ الْعُلُوقُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجُودِ وَاسْتَوَى جَالِسًا وَهُوَ قَوْلُهُ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَاجْبِرْنِي وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي فَهَذِهِ كُلُّهَا مَنَازِلُ وَمَنَاهِلُ فِي الصَّلَاةِ فَعَلَا فَيَسَافِرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَمَنْ كَانَ حَالُهُ السَّفَرُ دَائِمًا كَيْفَ لَا يُقَالُ لَهُ الْبَسُّ نَعْلَيْكَ أَيَّ اسْتَعْنِ فِي سَيْرِكَ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَهِيَ زِينَةُ كُلِّ مَسْجِدٍ فَإِنْ أَحْوَالَ الصَّلَاةِ وَمَا يَطْرَأُ فِيهَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَمَا يَتَعَرَّضُ فِي ذَلِكَ مِنَ الشَّبْهِ فِي غَوَامِضِ الْآيَاتِ الْمَثَلُوعَةِ وَكُونَ الْإِنْسَانِ فِي الصَّلَاةِ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ فَيَجِدُهُ فَهَذِهِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ لَشُوكِ وَالْوَعْرِ الَّذِي يَكُونُ بِالطَّرِيقِ وَلَا سِيْمَا طَرِيقَ التَّكْلِيفِ فَأَمْرٌ بِلِبَاسِ التَّعْلِينِ لِيَسْتَقِي بِهِمَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ الْأَذَى لِقَدَمِي السَّالِكِ اللَّتَيْنِ هُمَا عِبَارَةٌ عَنْ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَهَذَا جَعَلْنَا هُمَا الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ وَأَمَّا نَعْلَا مُوسَى عَ فَلَيْسَتْ هَذِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ رَبِّهِ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِكِّ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ فَرَوَيْنَا أَنَّهُمَا كَاتَا مِنْ جِلْدِ حَمَارٍ مَيَّتٍ فَجَمَعَتْ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْجِلْدُ وَهُوَ ظَاهِرُ الْأَمْرِ أَيَّ لَا تَقْفُ مَعَ الظَّاهِرِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَالثَّانِي الْبِلَادَةُ فَإِنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْحَمَارِ وَالثَّلَاثُ كَوْنُهُ مَيِّتًا غَيْرَ مَذْكُومٍ وَالمَوْتُ الْجَهْلُ وَإِذَا كُنْتَ مَيِّتًا لَا تَعْقِلُ مَا تَقُولُ وَلَا مَا يُقَالُ لَكَ وَالْمُنَاجِيَةُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ بِصِفَةِ مَنْ يَعْقِلُ مَا يَقُولُ وَ

يقال له فيكون حي القلب فطنا بمواقع الكلام غواصا على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها فإذا فرغ من صلاته سلم على من حضر سلام القادم من عند ربه إلى قومه بما أتحفه به فقد نبهتكم على سر لباس النعلين في الصلاة في ظاهر الأمر وما المراد بهما عند أهل طريق الله تعالى من العارفين قال صلى الله عليه وسلم الصلاة نور والنور يهتدى به واسم الصلاة مأخوذة من المصلى وهو المتأخر الذي يلي السابق في الحلبة ولهذا ترجم هذا الباب بالوصلة وجعله من عالم النور ولأهل هذا المشهد نور خلع النعلين ونور لباس النعلين فهم الحمديون الموسويون المخاطبون من شجر الخلاف بلسان النور المشبه بالمصباح وهو نور ظاهر يمده نور باطن في زيت من شجرة زيتونة مباركة في خط الاعتدال منزهة عن تأثير الجهات كما كان الكلام لموسى ع من شجرة فهو نور على نور أي نور من نور فأبدل حرف من بعلي لما يفهم به من قرينة الحال وقد تكون على على باها فإن نور السراج الظاهر يعلو حسا على نور الزيت الباطن وهو الممد للمصباح فلو لا رطوبة الدهن تمد المصباح لم يكن للمصباح ذلك الدوام وكذلك إمداد التقوى للعلم العرفاني الحاصل منها في قوله تعالى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وقوله تعالى إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا لَا يَقْطَعُ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْإِلَهِي فنور الزيت باطن في الزيت محمول فيه يسرى منه معنى لطيف في رقيقة من رقائق الغيب لبقاء نور المصباح ولا لأقطاب هذا المقام أسرار منها سر الإمداد وسر النكاح وسر الجوارح وسر الغيرة وسر العنين وهو الذي لا يقوم بالنكاح وسر دائرة الزمهرير وسر وجود الحق في السراب وسر الحجب الإلهية وسر نطق الطير والحيوان وسر البلوغ وسر الصديقين وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن والعشرون في معرفة أقطاب ألم تر كيف)

لكنه بوجود الحق موسوم	العلم بالكيف مجهول و معلوم
علم يشار إليه فهو مكنوم	فضاهر الكون تكييف و باطنه
بما لنا فهو في التحقيق معلوم	من أعجب الأمر أن الجهل من صفتي
وكيف أجهله و الجهل معدوم	وكيف أدرك من بالعجز أدركه
سواه فالخلق ظلام و مظلوم	قد حرت فيه وفي أمري ولست أنا
أو قلت إنك قال الإن مفهوم	إن قلت إني يقول الإن منه أنا
و إنما الرزق بالتقدير مقسوم	فالحمد لله لا أبغي به بدلا

اعلم أن أمهات المطالب أربعة وهي هل سؤال عن الوجود وما وهو سؤال عن الحقيقة التي يعبر عنها بالماهية وكيف وهو سؤال عن الحال لم وهو سؤال عن العلة والسبب واختلف الناس فيما يصح منها أن يسأل بها عن الحق واتفقوا على كلمة هل فإنه يتصور أن يسأل بها عن الحق واختلفوا فيما بقي فمنهم من منع ومنهم من أجاز فالذي منع وهم الفلاسفة وجماعة من الطائفة منعوا ذلك عقلا ومنهم من منع ذلك

شرعا فأما صورة منعهم عقلا أنهم قالوا في مطلب ما إنه سؤال عن الماهية فهو سؤال عن الحد والحق سبحانه لا حد له إذ كان الحد مركبا من جنس وفصل وهذا ممنوع في حق الحق لأن ذاته غير مركبة من أمر يقع فيه الاشتراك فيكون به في الجنس وأمر يقع به الامتياز وما ثم إلا الله و الخلق ولا مناسبة بين الله والعالم ولا الصانع والمصنوع فلا مشاركة فلا جنس فلا فصل والذي أجاز ذلك عقلا ومنعه شرعا قال لا أقول إن الحد مركب من جنس وفصل بل أقول إن السؤال بما يطلب به العلم بحقيقة المسئول عنه ولا بد لكل معلوم أو مذكور من حقيقة يكون في نفسه عليها سواء كان على حقيقة تقع له فيها الاشتراك أو يكون على حقيقة لا تقع له فيها الاشتراك فالسؤال بما يتصور ولكن ما ورد به الشرع فمنعنا من السؤال به عن الحق لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأما منعهم الكيفية وهو السؤال بكيف فانقسموا أيضا قسمين فمن قائل بأنه سبحانه ما له كيفية لأن الحال أمر معقول زائد على كونه ذاتا وإذا قام بذاته أمر وجودي زائد على ذاته أدى إلى وجود واجبي الوجود لذا تهما أزالا وقد قام الدليل على إحالة ذلك وإنه لا واجب إلا هو لذاته فاستحالت الكيفية عقلا ومن قائل إن له كيفية ولكن لا نعلم فهي ممنوعة شرعا لا عقلا لأنها خارجة عن الكيفيات المعقولة عندنا فلا تعلم وقد قال ليس كمثل شئ يعني في كل ما ينسب إليه مما نسبه إلى نفسه يقول هو على ما تنسبه إلى الحق وإن وقع الاشتراك في اللفظ فالمعنى مختلف وأما السؤال بلم فممنوع أيضا لأن أفعال الله تعالى لا تعلق لأن العلة موجبة للفعل فيكون الحق داخلا تحت موجب أوجب عليه هذا الفعل زائد على ذاته وأبطل غيره إطلاق لم على فعله شرعا بأن قال لا ينسب إليه ما لم ينسب إلى نفسه فهذا معنى قولي شرعا لأنه ورد النهي من الله عن كل ما ذكرنا منعه شرعا وهذا كله كلام مدخول لا يقع التخليص منه بالصحة والفساد إلا بعد طول عظيم هذا قد ذكرنا طريقة من منع وأما من أجاز السؤال عنه بهذه المطالب من العلماء فهم أهل الشرع منهم وسبب إجازتهم لذلك إن قالوا ما حجر الشرع علينا حجرناه وما أوجب علينا أن نخوض فيه خضنا فيه طاعة أيضا وما لم يرد فيه تحجير ولا وجوب فهو عافية إن شئنا تكلمنا فيه وإن شئنا سكتنا عنه وهو سبحانه ما نهى فرعون على لسان موسى عليه السلام عن سؤاله بقوله وما رب العالمين بل أجاب بما يليق به الجواب عن ذلك الجناب العالي وإن كان وقع الجواب غير مطابق للسؤال فذلك راجع لاصطلاح من اصطلاح على أنه لا يسأل بذلك إلا عن الماهية المركبة واصطلاح على إن الجواب بالآثر لا يكون جوابا لمن سأل بما وهذا الاصطلاح لا يلزم الخصم فلم يمنع إطلاق هذا السؤال بهذه الصيغة عليه إذ كانت الألفاظ لا تطلب لأنفسها وإنما تطلب لما تدل عليه من المعاني التي وضعت لها فإنها بحكم الوضع وما كل طائفة وضعتها بإزاء ما وضعتها الأخرى فيكون الخلاف في عبارة لا في حقيقة ولا يعتبر الخلاف إلا في المعاني وأما إجازتهم الكيفية فمثل إجازتهم السؤال بما ويحتجون في ذلك بقوله تعالى سَنَفَعُكُمْ أَيَّ التَّقْلَانِ وقوله إن لله عينا وأعينا ويدا وإن يده الميزان يخفض ويرفع وهذه كلها كفيات وإن كانت مجهولة لعدم الشبه في ذلك وأما إجازتهم السؤال بلم وهو سؤال عن العلة فلقوله تعالى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فهذه لام العلة والسبب فإن ذلك في جواب من سأل لم خالق الله الجن والإنس فقال الله لهذا السائل لِيَعْبُدُونِ أي لعبادتي فمن ادعى التحجير في إطلاق هذه العبارات فعليه بالدليل فيقال للجميع من المشرعين المجوزين والممانعين كلكم

قال وما أصاب وما من شيء قلموه من منع وجواز إلا وعليكم فيه دخل والأولى التوقف عن الحكم بالمنع أو بالجواز هذا مع المشرعين و أما غير المشرعين من الحكماء فالخوض معهم في ذلك لا يجوز إلا إن أباح الشرع ذلك أو أوجبه وأما إن لم يرد في الخوض فيه معهم نطق من الشارع فلا سبيل إلى الخوض فيه معهم فعلا ويتوقف في الحكم في ذلك فلا يحكم على من خاض فيه أنه مصيب ولا مخطئ وكذلك فيمن ترك الخوض إذ لا حكم إلا للشرع فيما يجوز أن يتلفظ به أو لا يتلفظ به يكون ذلك طاعة أو غير طاعة فهذا يا ولي قد فصلنا لك ما أخذ الناس في هذه المطالب وأما العلم النافع في ذلك أن نقول كما أنه سبحانه لا يشبه شيئاً كذلك لا تشبهه الأشياء وقد قام الدليل العقلي والشرعي على نفي التشبيه وإثبات التنزيه من طريق المعنى وما بقي الأمر إلا في إطلاق اللفظ عليه سبحانه الذي أباح لنا إطلاقه عليه في القرآن أو على لسان رسوله فأما إطلاقه عليه فلا يخلو إما أن يكون العبد مأموراً بذلك الإطلاق فيكون إطلاقه طاعة فرضاً ويكون المتلفظ به مأجوراً مطيعاً مثل قوله في تكثير الإحرام الله أكبر وهي لفظة وزنها يقتضي المفاضلة وهو سبحانه لا يفاضل وإما أن يكون مخيراً فيكون بحسب ما يقصده المتلفظ وبحسب حكم الله فيه وإذا أطلقناه فلا يخلو الإنسان إما أن يطلقه ويصحب نفسه في ذلك الإطلاق المعنى المفهوم منه في الوضع بذلك اللسان أو لا يطلقه إلا تعبداً شرعياً على مراد الله فيه من غير أن يتصور المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان كالفارسي الذي لا يعلم اللسان العربي وهو يتلو القرآن ولا يعقل معناه وله أجر التلاوة كذلك العربي فيما تشابه من القرآن والسنة يتلوها ويذكر به ربه تعبداً شرعياً على مراد الله فيه من غير ميل إلى جانب بعينه محض فإن التنزيه ونفي التشبيه يطلبه أن وقف بوجهه عند التلاوة لهذه الآيات فالأسلم والأولى في حق العبد أن يرد علم ذلك إلى الله في إرادته إطلاق تلك الألفاظ عليه إلا إن أطلعه الله على ذلك وما المراد بتلك الألفاظ من نبي أو ولي محدث ملهم على بينة من ربه فيما يلهم فيه أو يحدث ذلك مباح له بل واجب عليه أن يعتقد المفهوم منه الذي أخبر به في الهامة أو في حديثه وليعلم أن الآيات المتشابهات إنما نزلت ابتلاء من الله لعباده ثم بالغ سبحانه في نصيحة عباده في ذلك ونهاهم أن يتبعوا المتشابه بالحكم أي لا يحكموا عليه بشيء فإن تأويله لا يعلمه إلا الله وأما الراسخون في العلم إن علموه فبإعلام الله لا بفكرهم واجتهادهم فإن الأمر أعظم أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي فالتسليم أولى والحمد لله رب العالمين وأما قوله ألم تر كيف وأطلق النظر على الكيفيات فإن المراد بذلك بالضرورة الكيفيات لا التكيف فإن التكيف راجع إلى حالة معقولة لها نسبة إلى المكيف وهو الله تعالى وما أحد شاهد تعلق القدرة الإلهية بالأشياء عند إيجادها قال تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض الكيفيات المذكورة التي أمرنا بالنظر إليها لا فيها إنما ذلك لنتخذها عبرة ودلالة على إن لها من كیفها أي صيرها ذات كیفیات وهي الهيئات التي تكون عليها المخلوقات الكيفيات فقال أ فلا يُنظرون إلى الأبل كيف خلقت . . . وإلى الجبال كيف نصبت وغير ذلك ولا يصح أن تنظر إلا حتى تكون موجودة فننظر إليها وكيف اختلفت هيئاتها ولو أراد بالكيف حالة الإيجاد لم يقل انظر إليها فإنها ليست بموجودة فعلمنا إن الكيف المطلوب منا في رؤية الأشياء ما هو ما يتوهم من لا علم له بذلك ألا تراه سبحانه لما أراد النظر الذي هو الفكر قرنه بحرف في ولم يصحبه لفظ كيف فقال تعالى أ ولم ينظروا في

مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ المعنى أن يفكروا في ذلك فيعلموا أنها لم تقم بأنفسها وإنما أقامها غيرها وهذا النظر لا يلزم منه وجود الأعيان مثل النظر الذي تقدم وإنما الإنسان كلف أن ينظر بفكره في ذلك لا بعينه ومن الملكوت ما هو غيب وما هو شهادة فما أمرنا قط بجرف في إلا في المخلوقات لا في الله لنستدل بذلك عليه أنه لا يشبهها إذ لو أشبهها لحاز عليه ما يجوز عليها من حيث ما أشبهها وكان يؤدي ذلك إلى أحد محظورين إما أن يشبهها من جميع الوجوه وهو محال لما ذكرناه أو يشبهها من بعض الوجوه ولا يشبهها من بعض الوجوه فتكون ذاته مركبة من أمرين والتركيب في ذات الحق محال فالتشبيه محال والذي يليق بهذا الباب من الكلام يتعدر إيراد مجموعا في باب واحد لما يسبق إلى الأوهام الضعيفة من ذلك لما فيه من الغموض ولكن جعلناه مبددا في أبواب هذا الكتاب فاجعل بالك منه في أبواب الكتاب عشر على مجموع هذا الباب ولا سيما حيثما وقع لك مسألة تجل إلهي فهناك قف وانظر تجد ما ذكرته لك مما يليق بهذا الباب والقرآن مشحون بالكيفية فإن الكيفيات أحوال والأحوال منها ذاتية للمكيف ومنها غير ذاتية والذاتية حكمها حكم المكيف سواء كان المكيف يستدعي مكيفا في كفيته أو كان لا يستدعي مكيفا لتكيفه بل كفيته عين ذاته وذاته لا تستدعي غيرها لأنها لنفسها هي فكيفيته كذلك لأنها عينه لا غيره ولا زائد عليه فافهم والله يقولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاسع والعشرون)

في معرفة سر سلمان الذي أحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم ومعرفة أسرارهم

عنه انفصال يرى فعلا وتقديرا	العبد مرتبط بالرب ليس له
قد حرر الشرع فيه العلم تحييرا	والابن أنزل منه في العلى درجا
إذ كان وارثه شحا وتقيرا	فالابن ينظر في أموال والده
وأن يراه مع الأموات مقبورا	والابن يطمع في تحصيل رتبته
إليه يرجع مختارا و مجبورا	والعبد قيمته من مال سيده
فلا يزال بستر العز مستورا	والعبد مقداره في جاه سيده
فلا يزال مع الأنفاس مقهورا	الذل يصحبه في نفسه أبدا
عز فيطلب توقيرا و تعزيرا	والابن في نفسه من أجل والده

اعلم أيديك الله أنا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مولى القوم منهم وخرج الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وقال تعالى في حق المختصين من عباده إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ فَكُلْ عَبْدَ إلهي توجه لأحد عليه

حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله بقدر ذلك الحق فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان به فلا يكون عبدا محضا خالصا لله وهذا هو الذي رجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق ولزومهم السياحات والبراري والسواحل والفرار من الناس والخروج عن ملك الحيوان فإنهم يريدون الحرية من جميع الأكوام ولقيت منهم جماعة كبيرة في أيام سياحتي ومن الزمان الذي حصل لي فيه هذا المقام ما ملكت حيوانا أصلا بل ولا الثوب الذي ألبسه فأني لأبسه إلا عارية لشخص معين أذن لي في التصرف فيه والزمان الذي أتمك الشيء فيه أخرج عنه في ذلك الوقت إما بالهبة أو بالعق إن كان ممن يعق وهذا حصل لي لما أردت التحقق بعبودية الاختصاص لله قيل لي لا يصح لك ذلك حتى لا يقوم لأحد عليك حجة قلت ولا لله إن شاء الله قيل لي وكيف يصح لك أن لا يقوم لله عليك حجة قلت إنما تقام الحجج على المنكرين لا على المعترفين وعلى أهل دعاوي وأصحاب الحظوظ لا على من قال مالي حق ولا حظ ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا محضا قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم فإن الرجس هو القدر عند العرب هكذا حكى الفراء قال تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولا بد فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتدريس فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وشهد الله لهم بالتطهير وذهب الرجس عنهم وإذا كان لا ينضاف إليهم إلا مطهر مقدس وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة فهذه الآية تدل على إن الله قد شارك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَأَيُّ وَسْخٍ وَقَدْرٍ أَقْدَرٍ مِنَ الذَّنْبِ وَأَوْسَخَ فَطَهَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا هُوَ ذَنْبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا لَوْ وَقَعَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ ذَنْبًا فِي الصُّورَةِ لَا فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ الذَّمَّ لَا يَلْحَقُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ وَلَا مَنَّا شَرَعًا فَلَوْ كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الذَّنْبِ لَصَحِبَ الذَّنْبَ مِنَ الْمَذْمُومَةِ وَلَمْ يَصِدْقَ قَوْلُهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا فَدَخَلَ الشَّرْفَاءُ أَوْلَادَ فَاطِمَةَ كُلِّهِمْ وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِثْلَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْغَفْرَانِ فَهَمَّ الْمَطْهُورُونَ اخْتِصَاصًا مِنَ اللَّهِ وَعِنَايَةً بِهِمْ لِشَرَفِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنَايَةً لِلَّهِ بِهِ وَلَا يَظْهَرُ حُكْمُ هَذَا الشَّرْفِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ إِلَّا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُمْ يَحْشَرُونَ مَغْفُورًا لَهُمْ وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَنْ أَتَى مِنْهُمْ حُدًّا أَقِيمَ عَلَيْهِ كَالْتَّائِبِ إِذَا بَلَغَ الْحَاكِمُ أَمْرَهُ وَقَدْ زَنَى أَوْ سَرَقَ أَوْ شَرِبَ أَقِيمَ عَلَيْهِ الْحُدَّ مَعَ تَحَقُّقِ الْمَغْفِرَةِ كَمَا عَزَّ وَأَمثالُهُ وَلَا يَجُوزُ ذَمُّهُ وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلَهُ أَنْ يَصِدَّقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا فَيَعْتَقِدُ فِي جَمِيعِ مَا يَصْدُرُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِنْ اللَّهُ قَدْ عَفَا عَنْهُمْ فِيهِ فَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَلْحَقَ الْمَذْمُومَةَ بِهِمْ وَلَا مَا يَشْنَأُ أَعْرَاضَ مَنْ قَدْ شَهِدَ اللَّهُ بِتَطْهِيرِهِ وَذَهَابِ الرِّجْسِ عَنْهُ لَا يَعْمَلُ عَمَلُوهُ وَلَا يَجْزِرُ قَدَمُوهُ بَلْ سَابِقَ عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ بِهِمْ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَإِذَا صَحَّ الْخَبَرُ الْوَارِدُ فِي سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فَلَهُ هَذِهِ الدَّرَجَةُ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ سَلْمَانَ عَلَى أَمْرِ يَشْنُوهُ ظَاهِرَ الشَّرْعِ وَتَلَحُّقَ الْمَذْمُومَةَ

بعامله لكان مضافا لي أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص
فسلمان منهم بلا شك فأرجو أن يكون عقب علي و سلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالي أهل
البيت فإن رحمة الله واسعة يا ولي وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم وشرفهم ليس لأنفسهم و
إنما الله تعالى هو الذي اجتباهم وكساهم حلة الشرف كيف يا ولي بمن أضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته فهو المجيد
سبحانه وتعالى فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة قال تعالى لإبليس إن عبادي
فأضافهم إليه ليس لك عليهم سلطاناً وما تجدد في القرآن عبادا مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد فما
ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بجدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى وأتم وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام ومن هؤلاء
الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق وما لأنفسهم والمخلق عليهم
من الحقوق وأقواهم على أدائها وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الإيمان بالثريا لثريا لنا له رجال من فارس وأشار إلى سلمان
الفارسي وفي تخصيص النبي ص ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة لأنها سبعة كواكب فافهم فسر
سلمان الذي أحقه بأهل البيت ما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من أداء كتابته وفي هذا فقه عجيب فهو عتيقة صلى الله عليه وسلم و
مولي القوم منهم والكل موالي الحق و رحمته وسعت كل شيء وكل شيء عبده ومولاه وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه لا
ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلا فإن الله طهرهم فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه ولو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في
نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جرمي المقادير علينا في ماله ونفسه بغرق أو بحرق و
غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحبائه أو يصاب في نفسه وهذا كله مما لا يوافق غرضه ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا
قضاءه بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضي وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر فإن في طي ذلك
نعما من الله لهذا المصاب وليس وراء ما ذكرناه خير فإنه ما وراءه ليس إلا الضجر والسخط وعدم الرضي وسوء الأدب مع الله فكذا
ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه فيقابل ذلك كله بالرضي والتسليم والصبر ولا
يلحق المذمة بهم أصلا وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعا فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى المقادير وإنما منعنا تعليق الذم بهم إذ
ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقترض من اليهود وإذا طالبوه
بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن وإن تناول اليهودي عليه بالقول يقول دعوه إن لصاحب الحق مقالا وقال صلى الله عليه وسلم في قصة لو
أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء وعلى أي حال يشاء فهذه حقوق الله ومع هذا لم يذمهم الله
وإنما كلامنا في حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به فنحن مخيرون إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا والترك أفضل عموما فكيف في أهل البيت وليس

لنا ذم أحد فكيف بأهل البيت إذا نزلنا عن طلب حقوقنا و عفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلغى فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما طلب منا عن أمر الله إلا المودة في القربى وفيه سر صلة الأرحام ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه بأي وجه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته وهو ما أسعف نبيه صلى الله عليه وسلم فيما طلب منه من المودة في قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص القرابة ثم إنه جاء بلفظ المودة وهو الثبوت على المحبة فإنه من ثبت وده في أمر استصحابه في كل حال وإذا استصحابته المودة في كل حال لم يؤخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثارا لنفسه لا عليها قال الحب الصادق وكل ما يفعل المحبوب محبوب وجاء باسم الحب فكيف حال المودة ومن البشري ورود اسم الودود لله تعالى ولا معنى لثبوتها إلا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة وفي النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم وقال الآخر في المعنى

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

ولنا في هذا المعنى

أحب لحبك الحبشان طرا وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحجب إليها فهذا فعل الحب في حب من لا تسعده محبته عند الله ولا تورثه القرابة من الله فهل هذا إلا من صدق الحب وثبت الود في النفس فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأريت كل ما يصدر منهم في حقل مما لا يوافق طبعك ولا غرضك إنه جمال تتعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسوله صلى الله عليه وسلم فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بالسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك وإذا رأيتك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذي أنت محتاج إليهم ولرسول صلى الله عليه وسلم حيث هدك الله به فكيف أثق أنا بذك الذي تزعم به أنك شديد الحب في الرعاية لحقوقي أو لجاني وأنت في حق أهل نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم والله ما ذلك إلا من نقص إيمانك ومن مكر الله بك واستد راجه إياك من حيث لا تعلم وصورة المكر أن تقول وتعتقد إنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه وتقول في طلب حقلك إنك ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وإيثارك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقا وتنزل عن حقلك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد أو إنصاف مظلوم أو رد حق إلى أهله فإن كنت حاكما ولا بد فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت فإن أبي حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الآخرة لوددت أن تكون مولى من موالهم فالله يلمنا برشد أنفسنا فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم ولما بينت لك أقطاب هذا المقام وأنهم عبيد الله المصطفون الأخيار فاعلم إن

أسرارهم التي أطلعنا الله عليها تجهلها العامة بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام والخضر منهم رضي الله عنه وهو من أكبرهم وقد شهد الله له أنه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما اتبعه فيه كليم الله موسى عليه السلام الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت وما قد نبه الله على علو رتبهم في ذلك ومن أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم مع دعواهم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤاله المودة في القربى وهو صلى الله عليه وسلم من جملة أهل البيت فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر الله فعصوا الله ورسوله وما أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان فأغراضهم أحبوا وبنفوسهم تعشقوا ومن أسرارهم الاطلاع على صحة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمدية من حيث لا تعلم العلماء بها فإن الفقهاء والمحدثين الذين أخذوا علمهم ميتا عن ميت إنما المتأخر منهم هو فيه على غلبة ظن إذ كان النقل شهادة والتواتر عزيز ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصا فيما حكموا به فإن النصوص عزيزة فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوة فهمهم فيه ولهذا اختلفوا وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نص آخر يعارضه ولم يصل إليهم وما لم يصل إليهم ما تعبدوا به ولا يعرفون بأي وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوة هذا اللفظ كان بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع فأخذه أهل الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكشف على الأمر الجلي والنص الصريح في الحكم أو عن الله بالبينة التي هم عليها من ربهم والبصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها كما قال الله أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَقَالَ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَلَمْ يَفْرُدْ نَفْسَهُ بِالْبَصِيرَةِ وَشَهِدَ لَهُم بِالْإِتِّبَاعِ فِي الْحُكْمِ فَلَا يَتَّبِعُونَهُ إِلَّا عَلَى بَصِيرَةٍ وَهُمْ عِبَادَ اللَّهِ أَهْلُ هَذَا الْمَقَامِ وَمِنْ أَسْرَارِهِمْ أَيْضًا إِصَابَةُ أَهْلِ الْعَقَائِدِ فِيمَا اعْتَقَدُوهُ فِي الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ وَمَا تَجَلَّى لَهُمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا ذَلِكَ وَمِنْ أَيْنَ تَصَوَّرَ الْخِلَافَ مَعَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى السَّبَبِ الْمَوْجِبِ الَّذِي اسْتَدَّوْا إِلَيْهِ فَإِنَّهُ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ اثْنَانِ وَإِنَّمَا وَقَعَ الْخِلَافَ فِيمَا هُوَ ذَلِكَ السَّبَبُ وَمَا ذَا يُسَمَّى ذَلِكَ السَّبَبُ فَمَنْ قَائِلٌ هُوَ الطَّبِيعَةُ وَمَنْ قَائِلٌ هُوَ الدَّهْرُ وَمَنْ قَائِلٌ غَيْرَ ذَلِكَ فَاتَّفَقَ الْكُلُّ فِي إِثْبَاتِهِ وَوُجُوبِ وَجُودِهِ وَهَلْ هَذَا الْخِلَافُ يَضُرُّهُمْ مَعَ هَذَا الْاسْتِنَادِ أَمْ لَا هَذَا كُلُّهُ مِنْ عُلُومِ أَهْلِ هَذَا الْمَقَامِ انْتَهَى الْجُزْءُ السَّابِعُ عَشَرَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبان)

نَجَبِ الْأَعْمَالِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ	إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا رَكِبُوا
لِعَزِيْزٍ جَلَّ مِنْ فَرْدٍ عَلِيمٍ	وَتَرَقَّتْ هَمَمُ الذَّلِّ بِهِمْ
وَتَلَقَّاهُمْ بِكَأْسَاتِ النَّدِيمِ	فَاجْتَبَاهُمْ وَتَجَلَّى لَهُمْ
إِنَّهُ يَعْرِفُ مَقْدَارَ الْعَظِيمِ	مَنْ يَكُنْ ذَا رَفْعَةٍ فِي ذَلَّةٍ

إنما يظهر فيها بالقديم رتبة الحادث إن حقتها
في رسول و نبي و قسيم إن الله علوما جمة
عالم الأنفاس أنفاس النسيم لطف ذاتا فما يدركها

اعلم أيديك الله أن أصحاب النجب في العرف هم الركبان قال الشاعر

فليت لي بهمو قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

الفرسان ركاب الخيل والركبان ركاب الإبل فالأفراس في المعروف تركبها جميع الطوائف من عجم و عرب و الهجن لا يستعملها إلا العرب و العرب أرباب الفصاحة و الحماسة و الكرم و لما كانت هذه الصفات غالبية على هذه الطائفة سميهاهم بالركبان فمنهم من يركب نجب الهمم و منهم من يركب نجب الأعمال فلذلك جعلناهم طبقتين أولى و ثانية و هؤلاء أصحاب الركبان هم الأفراد في هذه الطريقة فإنهم رضي الله عنهم على طبقات فمنهم الأقطاب و منهم الأئمة و منهم الأوتاد و منهم الأبدال و منهم النقباء و منهم النجباء و منهم الرجبيون و منهم الأفراد و ما منهم طائفة إلا و قد رأيت منهم و عاشرتهم ببلاد المغرب و ببلاد الحجاز و الشرق فهذا الباب مختص بالأفراد و هي طائفة خارجة عن حكم القطب و حدها ليس للقطب فيهم تصرف و لهم من الأعداد من الثلاثة إلى ما فوقها من الأفراد ليس لهم و لاغيرهم فيما دون الفرد الأول الذي هو الثلاثة قدم فإن الأحديية و هو الواحد لذات الحق و الاثنان للمرتبة و هو توحيد الألوهية و الثلاثة أول وجود الكون عن الله فالأفراد في الملائكة الملائكة المهيمون في جمال الله و جلاله الخارجون عن الأملاك المسخرة و المدبرة اللذين هما في عالم التدوين و التسطير و هم من القلم و العقل إلى ما دون ذلك و الأفراد من الإنس مثل المهيمية من الأملاك فأول الأفراد الثلاثة و قد قال صلى الله عليه و سلم الثلاثة ركب فأول الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك و لهم من الحضرات الإلهية الحضرة الفردانية و فيها يتميزون و من الأسماء الإلهية الفرد و المواد الواردة على قلوبهم من المقام الذي ترد منه على الأملاك المهيمية و لهذا يجهل مقامهم و ما يأتون به مثل ما أنكر موسى عليه السلام على خضر مع شهادة الله فيه لموسى عليه السلام و تعريفه بمنزله و تزكية الله إياه و أخذه العهد عليه إذ أراد صحبته و لما علم الخضر أن موسى عليه السلام ليس له ذوق في المقام الذي هو الخضر عليه كما إن الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى عليه من العلم الذي علمه الله إلا أن مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق الله لمشاهدة خاصة هو عليها و مقام موسى و الرسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير في كل ما يروونه خارجا عما أرسلوا به و دليل ما ذهبنا إليه في هذا قول الخضر لموسى عليه السلام و كَيْفَ تُصِيرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قُلُوْا كَانَ الْخَضِرُ نَبِيًّا لَمَّا قَالَ لَهُ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا فَالَّذِي فَعَلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَقَامِ النَّبُوَّةِ وَقَالَ لَهُ فِي انْفِرَادٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَقَامِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مُوسَى أَنَا عَلَى عِلْمِ عِلْمِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمِ عِلْمِكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا وَافْتِرَاقًا وَتَمِيْزًا بِالْإِنْكَارِ فَالْإِنْكَارُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْأَفْرَادِ فَإِنَّ لَهُمُ الْأَوْلِيَّةَ فِي الْأُمُورِ فَهَمُ يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْكُرُونَ قَالَ الْجَنِيْدُ لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ دَرَجَ الْحَقِيْقَةِ حَتَّى يَشْهَدَ فِيهِ أَلْفُ

صديق بأنه زنديق وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم وهم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين يضرب يده إلى صدره ويتنهد إن هاهنا لعلوما جملة لو وجدت لها حملة فإنه كان من الأفراد ولم يسمع هذا من غيره في زمانه إلا أبي هريرة ذكر مثل هذا خرج البخاري في صحيحة عنه أنه قال حملت عن النبي صلى الله عليه وسلم جوابين أما الواحد فبثته فيكم وأما الآخر فلو بثته لقطع مني هذا البلعوم البلعوم مجرى الطعام فأبو هريرة ذكر أنه حمله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيه ناقلا عن غير ذوق ولكنه علم لكونه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن إنما نتكلم فيمن أعطى عين الفهم في كلام الله تعالى في نفسه وذلك علم الأفراد وكان من الأفراد عبد الله بن العباس البحر كان يلقب به لاتساع علمه فكان يقول في قوله عز وجل **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** لو ذكرت تفسيره لرجموني وفي رواية لقلتم إني كافر وإلى هذا العلم كان يشير على ابن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليهم الصلاة والسلام بقوله فلا أدري هل هما من قبلة أو تمثل بهما

لقل لي أنت ممن يعبد الوثنا يا رب جوهر علم لو أبح به
 برون أقبج ما يأتونه حسنا ولاستحل رجال مسلمون دمي

فنبه بقوله يعبد الوثنا على مقصوده ينظر إليه تأويل قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته بإعادة الضمير على الله تعالى وهو من بعض احتمالاته بالله يا أخي أنصفي فيما أقوله لك لا شك أنك قد أجمعت معي على أنه كل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار في كل ما وصف به فيها ربه تعالى من الفرح والضحك والتعجب والتبشيش والغضب والتردد والكرهه والمحبة والشوق إن ذلك وأمثاله يجب الإيمان به والتصديق فلو هبت ففحات من هذه الحضرة الإلهية كشفا وتجليا وتعريفا لطيها على قلوب الأولياء بحيث أن يعلموا بإعلام الله وشاهدوا بإشهاد الله من هذه الأمور المعبر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرسول وقد وقع الإيمان مني ومنك بهذا كله إذا أتى بمثله هذا الولي في حق الله تعالى ألسنت تزندقه كما قال الجنيد ألسنت تقول إن هذا مشبه هذا عابد وث كيف وصف الحق بما وصف به المخلوق ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا كما قال علي بن الحسين ألسنت كنت تقتله أو تفقي بقتله كما قال ابن عباس فبأي شيء آمنت وسلمت لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الله من الأمور التي تحيلها الأدلة العقلية ومنعت من تأويلها والأشعري تأولها على وجوه من التنزيه في زعمه فأين الإنصاف فهلا قلت القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطت للنبي من علوم الأسرار فإن ذلك ليس من خصائص النبوة ولا حجر الشارع على أمته هذا الباب ولا تكلم فيه بشيء بل قال إن يكن في أمتي محدثون فعمر منهم فقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم أن ثم من يحدث ممن ليس بنبي وقد يحدث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام فإن ذلك أعني التشريع من خصائص النبوة وليس الإطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوة التشريع بل هي سارية في عباد الله من رسول وولي وتابع ومتبوع يا ولي فأين الإنصاف منك أليس هذا موجودا في الفقهاء وأصحاب الأفكار الذين هم فراعنة الأولياء و

دجاجة عباد الله الصالحين والله يقول لمن عمل منا بما شرع الله له إن الله يعلمه ويتولى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله قال تعالى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَقَالَ إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَمَنْ أَقْطَابُ هَذَا الْمَقَامِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَذْكُرُ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ يَا عُمَرُ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ فِي فِجْحٍ إِلَّا سَلَكَ فِجْحًا غَيْرَ فِجْحِكَ! فَدَلَّ عَلَى عَصَمَتِهِ بِشَهَادَةِ الْمُعْصُومِ وَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ الشَّيْطَانُ مَا يَسْلُكُ قَطُّ بِنَا إِلَّا إِلَى الْبَاطِلِ وَهُوَ غَيْرُ فِجْحِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَمَا كَانَ عُمَرَ يَسْلُكُ إِلَّا فِجْحًا الْحَقُّ بِالْإِنصَابِ فَكَانَ مَنْ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنَّهُمْ فِي جَمِيعِ مَسَالِكِهِ وَلِلْحَقِّ صَوْلَةٌ وَمَا كَانَ الْحَقُّ صَعْبَ الْمَرَامِ قُوًّا حَمَلَهُ عَلَى النَّفْسِ لِاتِحْمَلَهُ وَلَا تَقْبَلُهُ بَلْ تَمَجُّهُ وَتُرَدُّهُ لِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِعُمَرَ مِنْ صَدِيقٍ وَصَدَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ أَمَّا فِي الظَّاهِرِ فَلِعَدَمِ الْإِنصَافِ وَحُبِّ الرَّئِاسَةِ وَخُرُوجِ الْإِنسَانِ عَنْ عِبُودِيَّتِهِ وَاشْتِغَالِهِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ وَعَدَمِ تَفَرُّغِهِ لِمَا دَعِيَ إِلَيْهِ مِنْ شُغْلِهِ بِنَفْسِهِ وَعَيْبِهِ عَنْ عَيْبِ النَّاسِ وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ فَمَا تَرَكَ الْحَقُّ لِعُمَرَ فِي قَلْبِهِ مِنْ صَدِيقٍ فَمَا كَانَ لَهُ تَعَلُّقٌ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ الطَّامَةُ الْكُبْرَى أَنْكَ إِذَا قَلْتَ لَوْاحِدًا مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُنكَرَةِ اشْتَغَلَ بِنَفْسِكَ يَقُولُ لَكَ إِنَّمَا أَقُومُ حِمَايَةَ لَدِينِ اللَّهِ وَغَيْرَةَ لَهُ وَالغَيْرَةَ لِلَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَمْثَالُ هَذَا وَلَا يَسْكُنُ وَلَا يَنْظُرُ هَلْ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ الْإِمْكَانِ أَمْ لَا أَعْنِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ عَرَفَ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ بِمَا يَجْرِيهِ فِي خَلْقِهِ كَالْخَضِرِ وَيَعْلَمُهُ عُلُومًا مِنْ لَدُنْهُ تَكُونُ الْعِبَارَةَ عَنْهَا بِهِذِهِ الصَّيْغِ الَّتِي يَنْطَلِقُ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ الْخَضِرُ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي وَأَمِنْ هَذَا الْمُنكَرِ بِهَا عَلَى زَعْمِهِ إِذْ جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُؤْمِنًا بِهَا مَا أَنْكَرَهَا عَلَى هَذَا الْوَلِيِّ لِأَنَّ الشَّارِعَ مَا أَنْكَرَ إِطْلَاقَهَا فِي جَنَابِ الْحَقِّ مِنْ اسْتِوَاءِ وَنَزُولِ وَمَعِيَّةِ وَضَحْكِ وَفَرْحِ وَتَبَشُّبِشٍ وَتَعْجَبِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَمَا وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أَنَّهُ حَجَرَهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَلْ أَخْبَرَ عَنْ اللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ لَنَا لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَمَتَّحْنَا وَنَدَبْنَا إِلَى النَّاسِي بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَهَذَا مِنْ اتِّبَاعِهِ وَالنَّاسِي بِهِ فَمَنْ النَّاسِي بِهِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَارْدَ حَقِّ فَعَلِمْنَا مِنْ لَدُنْهُ عُلُومًا فِيهِ رَحْمَةٌ حَبَانًا لِلَّهِ بِهَا وَعِنَايَةٌ حَيْثُ كُنَّا فِي ذَلِكَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّنَا وَيَتْلُوهَا شَاهِدٌ مِنَّا وَهُوَ اتِّبَاعُنَا سُنَّتَهُ وَمَا شَرَعْنَا لَمْ نَخْلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَا ارْتَكَبْنَا مَخَالَفَةَ بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ فَتَنْطَلِبُ لِذَلِكَ الْمَعْلُومِ الَّذِي عَلِمْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ أَمْثَالُ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ النَّبَوِيَّةِ لِنَفْصَحَ بِهَا عَنْ ذَلِكَ وَلَا سِيْمَا إِذَا سَأَلْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فَمَنْ النَّاسِي الْمَأْمُورُ بِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَطْلُقَ عَلَى تِلْكَ الْمَعْنَى هَذِهِ الْأَلْفَاظِ النَّبَوِيَّةِ إِذْ لَوْ كَانَ فِي الْعِبَارَةِ عَنْهَا مَا هُوَ أَفْصَحُ مِنْهَا لَا طَلَقَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ الْمَأْمُورُ بِتَبْيِينِ مَا أَنْزَلَ بِهِ عَلَيْنَا وَلَا نَعْدِلُ إِلَى غَيْرِهَا لَمَّا نُرِيدُهُ مِنَ الْبَيَانِ مَعَ التَّحْقُقِ بِلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَإِنَّا إِذَا عَدَلْنَا إِلَى عِبَارَةٍ غَيْرِهَا ادْعَيْنَا بِذَلِكَ أَنَا أَعْلَمُ بِحَقِّ اللَّهِ وَأَنْزَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا أَسْوَأُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ ثُمَّ إِنْ الْمَعْنَى لَا بَدَّ أَنْ يَخْتَلَّ عِنْدَ السَّمَاعِ إِذْ كَانَ ذَلِكَ اللَّفْظُ الَّذِي خَالَفَتْ بِهِ لَفْظًا مِنْ كَانَ أَفْصَحَ النَّاسِ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنُ لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى بِحِكْمِ الْمَطَابَقَةِ فَشَرَعْنَا النَّاسِي وَغَابَ هَذَا الْمُنكَرُ الْمَكْفُورُ مِنْ أَمْرٍ يَمَثَلُ هَذَا عَنِ النَّظَرِ فِي هَذَا كَلَهُ وَذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ أَوْ لِأَحَدِهِمَا إِنْ كَانَ عَالِمًا فَلِحَسَدِ قَامَ بِهِ قَالَ تَعَالَى حَسَدًا مِنْ

عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا فَهُوَ بِالنَّبُوَّةِ أَجْهَلُ يَا وَلِيَّ لَقِينَا مِنْ أَقْطَابِ هَذَا الْمَقَامِ بِجِبِلِّ أَبِي قَيْسٍ بِمَكَّةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَا يَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ رَجُلًا وَلَيْسَ لِهَذِهِ الطَّبَقَةِ تَلْمِيذٌ فِي طَرِيقِهِمْ أَصْلًا وَلَا يَسْلُكُونَ أَحَدًا بِطَرِيقِ التَّرْبِيَةِ لَكِنْ لَهُمُ الوَصِيَّةُ وَالنَّصِيحَةُ وَنَشْرُ الْعِلْمَ فَمَنْ وَفَّقَ أَخَذَ بِهِ وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا السَّعُودِ بْنِ الشَّبَلِ كَانَ مِنْهُمْ وَمَا لَقِيْتَهُ وَلَا رَأْيَتَهُ وَلَكِنْ شَمَمْتَ لَهُ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ وَنَفْسًا عَطْرِيًّا وَبَلَّغَنِي أَنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلِيَّ وَكَانَ عَدْلًا قَطْبَ وَقْتِهِ شَهِدَ لِمُحَمَّدِ بْنِ قَائِدِ الْأَوَانِي بِهَذَا الْمَقَامِ كَذَا نَقَلَ إِلَيَّ وَالْعَهْدَةُ عَلَى النَّاقِلِ فَإِنَّ ابْنَ قَائِدٍ زَعَمَ أَنَّهُ مَا رَأَى هُنَاكَ أَمَامَهُ سِوَى قَدَمِ نَبِيِّهِ وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَفْرَادِ الْوَقْتِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَفْرَادِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَرَى قَدَمَ قَطْبٍ وَقْتَهُ أَمَامَهُ زَائِدًا عَلَى قَدَمِ نَبِيِّهِ إِنْ كَانَ إِمَامًا وَإِنْ كَانَ وَتَدَا فَيَرَى أَمَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْدَامٍ وَإِنْ كَانَ بَدَلًا يَرَى أَرْبَعَةَ قَدَامٍ وَهَكَذَا إِلَّا أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي حَضْرَةِ الْإِتْبَاعِ مَقَامًا فَإِذَا لَمْ يَتِمَّ فِي حَضْرَاتِ الْإِتْبَاعِ وَعَدَلَ بِهِ عَنِ يَمِينِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْمَخْدَعِ وَبَيْنِ الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ لَا يَبْصُرُ قَدَمًا أَمَامَهُ وَذَلِكَ هُوَ طَرِيقُ الْوَجْهِ الْخَاصِ الَّذِي مِنَ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ مَوْجُودٍ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْخَاصِ تَنْكَشِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْعُلُومُ الَّتِي تَنْكُرُ عَلَيْهِمْ وَيَزْدُقُونَ بِهَا وَيَزْدَقُهُمْ بِهَا وَيَكْفُرُهُمْ مِنْ يَوْمَنْ بِهَا إِذَا جَاءَتْهُ عَنِ الرَّسْلِ وَ هِيَ الْعُلُومُ عَيْنِهَا وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا وَأَصْحَابُ هَذَا الْمَقَامِ التَّصَرُّفِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى مِنْ هَؤُلَاءِ تَرَكَّتْ التَّصَرُّفَ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ مَعَ التَّمَكُّنِ وَتَوَلِيَةِ الْحَقِّ لَهُمْ إِيَّاهُ تَمَكُّنًا لَا أَمْرًا لَكِنْ عَرْضًا فَلَبَسُوا السِّتْرَ وَدَخَلُوا فِي سَرَادِقَاتِ الْغَيْبِ وَاسْتَرَوْا بِمَجْجَبِ الْعَوَائِدِ وَلَزَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْإِفْتِقَارَ وَهُمْ الْفَتَيَانُ الظُّرْفَاءُ الْمَلَامِيَّةُ الْأَخْفِيَاءُ الْأَبْرِيَاءُ وَكَانَ أَبُو السَّعُودِ مِنْهُمْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ أَمْتَلَّ أَمْرَ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَاتَّخِذْهُ وَكَيْلًا فَالْوَكِيلُ لَهُ التَّصَرُّفُ فَلَوْ أَمْرًا مِثْلَ الْأَمْرِ هَذَا مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَمَّا عَبْدُ الْقَادِرِ فَالظَّاهِرُ مِنْ حَالِهِ إِنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِالتَّصَرُّفِ فَلِهَذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ هَذَا هُوَ الظَّنُّ بِأَمْتَالِهِ وَأَمَّا مُحَمَّدُ الْأَوَانِي فَكَانَ يَذْكُرُ أَنَّ اللَّهَ عَطَاهُ التَّصَرُّفَ فَكُلَّ مَا يَتَّصَرَّفُ وَلَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا فَابْتَلِيَّ فَنَقَصَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْقَدْرِ الَّذِي عَلَا أَبُو السَّعُودِ بِهِ عَلَيْهِ فَتَنَطَّقَ أَبُو السَّعُودِ بِلِسَانِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْ طَائِفَةِ الرُّكْبَانِ وَاسْمِيْنَاهُمْ أَقْطَابًا لِشُبُوتِهِمْ وَلِأَنَّ هَذَا الْمَقَامَ أَعْنِي مَقَامَ الْعِبَادَةِ يَدُورُ عَلَيْهِمْ لَمْ أَرِدْ بِقَطْبِيَّتِهِمْ أَنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ تَحْتَ أَمْرِهِمْ يَكُونُونَ رُؤَسَاءَ عَلَيْهِمْ وَأَقْطَابًا لَهُمْ هُمْ أَجَلُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْلَى فَلَا رِيَاةَ أَصْلًا لَهُمْ فِي نَفْسِهِمْ لِتَحْقِيقِهِمْ بِعِبَادَتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَمْرٌ لِهَيْبَةٍ بِالتَّقَدُّمِ فَمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ فَيَلْزِمُهُمْ طَاعَتَهُ لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّحَقُّقِ أَيْضًا بِالْعِبَادَةِ فَيَكُونُونَ قَائِمِينَ بِهِ فِي مَقَامِ الْعِبَادَةِ بِأَمْتَالِهِمْ وَأَمَّا مَعَ التَّخْيِيرِ وَالْعَرْضِ أَوْ طَلَبِ تَحْصِيلِ الْمَقَامِ فَإِنَّهُ لَا يَظْهَرُ بِهِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَتَّحَقَّقْ بِالْعِبَادَةِ الَّتِي خَلَقَ لَهَا فَهَذَا يَا وَلِيَّ قَدْ عَرَفْتَكُ فِي هَذَا الْبَابِ بِمَقَامَاتِهِمْ وَبَقِيَ التَّعْرِيفُ بِأَصْوَحِّهِمْ وَتَعْيِينُ أَحْوَالِ الْأَقْطَابِ الْمُدَبِّرِينَ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْهُمْ نَذَكُرُ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

(الباب الحادي والثلاثون في معرفة أصول الركبان)

و مضى في حكمه و ما ونى حذب الدهر علينا و حنا
يطرب الدهر بإيقاع الغنا و عشقناه فغنينا عسى
فاحكم إن شئت علينا أو لنا نحن حكمتك في أنفسنا

كان ذاك الحكم للدهر بنا و لقد كان له الحكم و ما
 صرف الدهر كذا صرفنا فشفيعي هو دهري و الذي
 جعل السر لدينا علنا فركبنا نطلب الأصل الذي
 و له منا الذي سكننا فلنا منه الذي حركنا
 أنه قال له ما سكننا حركات الدهر فينا شهدت
 و أنا حق و ما الحق أنا فأنا العبد الذليل المجتبي

اعلم أيديك الله أن الأصول التي اعتمد عليها الركبان كثيرة منها التبري من الحركة إذا أقيموا فيها فلماذا ركبوا فهم الساكنون على مراكبهم المتحركون بتحريك مراكبهم فهم يقطعون ما أمروا بقطعه بغيرهم لا بهم فيصلون مستريحين مما تعطيه مشقة الحركة متبرعين من الدعوى التي تعطى الحركة حتى لو افتخروا بقطع المسافات البعيدة في الزمان القليل لكان ذلك الفخر راجعا للمركب الذي قطع بهم تلك المسافة لا لهم فلهم التبري و ما لهم الدعوى فهجيرهم لا حول ولا قوة إلا بالله و آيتهم و ما رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى يَقَالُ لَهُمْ و ما قطعتم هذه المسافات حين قطعتموها ولكن الركاب قطعها فهم المحمولون فليس للعبد صولة لا بسطان سيده وله الذلة والعجز والمهانة والضعف من نفسه ولما رأوا أن الله قد نبه بقوله تعالى وَلَهُ مَا سَكَنَ فَأَخْلَصَهُ لَهُ عِلْمُوا إِنْ الْحَرَكَةَ فِيهَا الدَّعْوَى وَأَنَّ السَّكُونَ لَا تَشْبُوهُ دَعْوَى فَإِنَّهُ نَفَى الْحَرَكَةَ فَقَالُوا إِنْ اللَّهُ قَدْ أَمَرْنَا بِقَطْعِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَجُوبِ هَذِهِ الْمَفَاوِزِ الْمَهْلِكَةِ إِلَيْهِ فَإِنْ نَحْنُ قَطَعْنَاهَا بِنَفْسِنَا لَمْ نَأْمَنْ عَلَى نَفْسِنَا مِنْ أَنْ تَمْدَحَ بِذَلِكَ فِي حَضْرَةِ الْإِتِّصَالِ فَإِنَّهَا مَجْبُولَةٌ عَلَى الرَّعُونَةِ وَطَلَبِ التَّقَدُّمِ وَحُبِّ الْفَخْرِ فَتَنْكُرُ مِنْ أَهْلِ النَّقْصِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْتَرَمَ بِهِ ذَلِكَ الْجَلَالَ الْأَعْظَمَ فَلَتَنْتَهِدَ رُكَابًا تَقْطَعُ بِهِ فَإِنْ أَرَادَتْ الْإِفْتِحَارَ يَكُونُ الْإِفْتِحَارُ لِلرُّكَابِ لَا لِلنَّفْسِ فَاتَّخَذَتْ مِنْ لِحَوْلٍ وَلَا قُوَّةٍ إِلَّا بِاللَّهِ نَجْبًا لِمَا كَانَتْ النَّجْبُ أَصْبَرَ عَنِ الْمَاءِ وَالْعَلْفِ مِنَ الْأَفْرَاسِ وَغَيْرِهَا وَالطَّرِيقَ مَعْطُشَةً جَدْبَةً يَهْلِكُ فِيهَا مِنَ الْمَرَائِبِ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَرْتَبَةُ النَّجْبِ فَلِهَذَا اتَّخَذَهَا نَجْبًا دُونَ غَيْرِهَا مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يَرْكَبَ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَإِنَّ هَذَا الذِّكْرَ مِنْ خِصَائِصِ الْوَصُولِ وَلَا سُبْحَانَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ التَّجْلِيِّ وَلَا لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ الدَّعَاوِيِّ وَلَا اللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ الْمَفَاضِلَةِ فَتَعِينِ لِحَوْلٍ وَلَا قُوَّةٍ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ الْأَعْمَالِ فَعَلًا وَقَوْلًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِأَنَّهُمْ بِالْأَعْمَالِ أَمَرُوا وَالسَّفَرَ عَمَلٌ قَلْبًا وَبَدَنًا وَمَعْنَى وَحَسَا وَذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالْحَوْلِ وَلَا قُوَّةٍ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهُ يَقُولُونَ لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَبِهَا تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَلِمَا كَانَ السَّكُونَ عَدَمَ الْحَرَكَةِ وَالْعَدَمُ أَصْلُهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلُهُ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا يُرِيدُ مَوْجُودًا فَاخْتَارُوا السَّكُونَ عَلَى الْحَرَكَةِ وَهُوَ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَصْلِ فَنَبِهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَنَّ الْخَلْقَ سَلِمُوا لَهُ الْعَدَمُ وَادْعُوا لَهُ فِي الْوُجُودِ فَمِنْ بَابِ الْحَقَائِقِ عَرَى الْحَقُّ خَلْقَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ إِضَافَةِ مَا ادْعَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيُّ مَا ثَبَتَ وَالثَّبُوتُ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ عَقْلِيٌّ لَا عَيْنِيٌّ بَلْ نَسِيٌّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

يسمع دعواكم في نسبة ما هو له وقد نسبتموه إليكم عليم بأن الأمر على خلاف ما دعيتموه ومن أصولهم التوحيد بلسان بي يتكلم وبي يسمع وبي يبصر وهذا مقام لا يحصل إلا عن فروع الأعمال وهي النوافل فإن هذه الفروع تنتج المحبة الإلهية والمحبة تورث العبد أن يكون بهذه الصفة فتكون هذه الصفة أصلاً لهذا الصف من العباد فيما يعلمونه ويحكمون به من أحكام الخضر وعلمه فهو أصل مكتسب وهو للخضر أصل عناية إلهية بالرحمة التي آتاه الله وعن تلك الرحمة كان له هذا العلم الذي طلب موسى عليه السلام أن يعلمه منه فإن تقطنت لهذا الأمر الذي أوردناه عرفت قدر ولاية هذه الملة المحمدية والأمة ومنزلتها وأن ثمرة زهرة فروع أصلها المشروع لها في العامة هي أصل الخضر الذي امتن الله تعالى على عبده موسى عليه السلام بلقائه وأدبه به فاتج للمحمدي فرع فرع أصله ما هو أصل للخضر ومثل موسى عليه السلام يطلب منه أن يعلمه مما هو عليه من العلم فانظر منزلة هذا العارف المحمدي أين تميزت فكيف لك بما ينتج الأصل الذي ترجع إليه هذه الفروع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه إن الله يقول ما تقرب إلي المقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم فهذا هو الأصل أداء الفرض ثم قال ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل وهو ما زاد على الفرائض ولكن من جنسها حتى تكون الفرائض أصلاً لها مثل نوافل الخيرات من صلاة وزكاة وصوم وحج وذكر فهذا هو الفرع الأقرب إلى الأصل ثم ينتج له هذا العمل الذي هو نافلة محبة الله إياه وهي محبة خاصة جزاء ليست هي محبة الامتنان فإن محبة الامتنان الأصلية اشترك فيها جميع أهل السعادة عند الله تعالى وهي التي أعطت لهؤلاء التقرب إلى الله بنوافل الخيرات ثم إن هذه المحبة وهي الفرع الثاني الذي هو بمنزلة الزهرة أنتجت له أن يكون الحق سمعه وبصره ويده إلى غير ذلك وهذا هو الفرع الثالث وهو بمنزلة الثمرة التي تعقد عند الزهرة فعند ذلك يكون العبد يسمع بالحق وينطق به ويبصر به ويبطش به ويدرك به وهذا وحى خاص إلهي أعطاه هذا المقام ليس للملك فيه وساطة من الله ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام ما لم تُحط به خُبراً فإن وحى الرسل إنما هو بالملك بين الله وبين رسوله فلا خبر له بهذا الذوق في عين إمضاء الحكم في عالم الشهادة فما تعود الإرسال لتشريع الأحكام الإلهية في عالم الشهادة إلا بواسطة الروح الذي ينزل به على قلبه أو في تمثله لم يعرف الرسول الشريعة إلا على هذا الوصف لا غير الشريعة فإن الرسول له قرب أداء الفرض والمحبة عليها من الله وما تنتج له تلك المحبة وله قرب النوافل ومحبتها وما يعطيه محبتها ولكن من العلم بالله لا من علم التشريع وإمضاء الحكم في عالم الشهادة فلم يحط به خبراً من هذا القبيل فهذا القدر هو الذي اختص به خضر دون موسى عليه السلام ومن هذا الباب يحكم المحمدي الذي لم يتقدم له علم بالشريعة بوساطة النقل وقراءة الفقه والحديث ومعرفة الأحكام الشرعية فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع على ما هو عليه في الشرع المنزل من هذه الحضرة وليس من الرسل وإنما هو تعريف إلهي وعصمة يعطيها هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل فهذا معنى قوله ما لم تُحط به خُبراً فإن الرسول لا يأخذ هذا الحكم إلا بنزول الروح الأمين على قلبه أو بمثال في شاهده يتمثل له الملك رجلاً ولما كانت النبوة قد منعت والرسالة كذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان التعريف لهذا الشخص بما هو الشرع المحمدي عليه في عالم الشهادة فلو كان في زمان التشريع كما كان زمان موسى لظهر الحكم من هذا

الولي كما ظهر من الخضر من غير وساطة ملك بل من حضرة القرب فالرسول والنبى لهما حضرة القرب مثل ما لهذا وليس له التشريع منها بل التشريع لا يكون له لا بوساطة الملك الروح وما بقي إلا إذا حصل للنبي المتأخر من شرع المتقدم ما هو شرع له هل يحصل ذلك بوساطة الروح كسائر شرعه أو يحصل له كما حصل للخضر ولهذا الولي منا من حضرة الوحي فمذهبي أنه لا يحصل له إلا كما يحصل ما يختص به من الشرائع ذلك الرسول ولهذا ليصدق الثقة العدل في قوله ما لم تحط به خيرا وما يعرف له منازع ولا مخالف فيما ذكرناه من أهل طريقنا ولا وقفنا عليه غير أنه إن خالفنا فيه أحد من أهل طريقنا فلا يتصور فيه خلاف لنا إلا من أحد رجلين إما رجل من أهل الله التبس عليه الأمر وجعل التعريف الإلهي حكما فأجاز أن يكون النبي أو الرسول كذلك ولكن في هذه الأمة وأما في الزمان الأول فهو حكم لصاحبه ولا بد وهو تعريف للرسول بوساطة الملك أن هذا شرع غيره قال تعالى لما ذكر الأنبياء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وما ذكر له هداهم إلا بالوحي بوساطة لروح والرجل الآخر رجل قاس الحكم على الأخبار وأما غير ذلك فلا يكون ومع هذا فلم يصل إلينا عن أحد منهم خلاف فيما ذكرناه ولا وفاق ومن أصول هذه الطبقة أيضا أنه يتكلم بما به يسمع ولا يقول بذلك سواهم من حيث الذوق لكن قد يقول بذلك من يقول به من حيث الدليل العقلي فهو لا يأخذونه عن تجل إلهي وغيرهم يأخذونه عن نظر صحيح موافق للأمر على ما هو عليه وهو الحق ووقوع الاختلاف في الطريق فهذا الطريق غير هذا الطريق وإن اتفقا في المنزل وهو الغاية فهو السميع لنفسه البصير لنفسه العالم لنفسه وهكذا كل ما تسميه به أو تصفه أو تنعته إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله حيث يطلق لفظ صفة على ما نسب إليه أو لفظ نعت فإنه ما أطلق على ذلك إلا لفظ اسم فقال سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَقَالَ فِي حَقِّ الْمُشْرِكِينَ قُلْ سَمُّوهُمْ وَمَا قَالَ صَفْوَهُمْ وَلَا نَعْتَهُمْ بَلْ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فَتَنَزَّهْ نَفْسَهُ عَنِ الْوَصْفِ لَفْظًا وَمَعْنَى إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالتَّقْطِنِ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِي إِنْ كُنْتَ مِنْ يَسِيءِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ وَالمُخَالَفِ لَنَا يَقُولُ إِنَّهُ يَعْلَمُ بِعِلْمٍ وَيَقْدِرُ بِقَدْرَةٍ وَيَبْصُرُ بِبَصَرٍ وَهَكَذَا جَمِيعٌ مَا يُتَسَمَّى بِهِ الْإِصْفَاتُ التَّنْزِيهِ فَإِنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا بِهَذَا النُّوعِ كَالغَنِيِّ وَأَشْبَاهِهِ إِلَّا بَعْضُهُمْ فَإِنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَعْنَانِي قَائِمَةً بِذَاتِ اللَّهِ لَا هِيَ هُوَ وَلَا هِيَ غَيْرُهُ وَلَكِنْ هِيَ أَعْيَانُ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ وَالْأَسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ جَعَلَ السَّبْعَةَ أَصُولًا لِأَعْيَانًا زَائِدَةً عَلَى ذَاتِهِ اتَّصَفَتْ بِهَا ذَاتُهُ وَجَعَلَ كُلَّ اسْمٍ مَجْسَبٌ مَا تَعْطِيهِ دَلَالَتُهُ فَجَعَلَ صِفَاتُ التَّنْزِيهِ كُلَّهَا فِي جَدُولِ الْأَسْمِ الْحَيِّ وَجَعَلَ الْخَيْرَ وَالْحَسْبَ وَالْعِلْمَ وَالْحَصِي وَأَخْوَاتِهِ فِي جَدُولِ الْعِلْمِ وَجَعَلَ الْأَسْمَ الشُّكُورِ فِي جَدُولِ الْكَلَامِ وَهَكَذَا الْحَقُّ الْكُلُّ كُلِّ صِفَةٍ مِنَ السَّبْعَةِ مَا يَلِيْقُ بِهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ بِالْمَعْنَى كَالْخَالِقِ وَالرَّازِقِ لِلْقَدْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ هَذَا مَذْهَبُ الْأَسْتَاذِ وَأَجْمَعُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ عَلَى إِنْ تَمَّ مُورًا زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ وَنُصِبُوا عَلَى ذَلِكَ أَدْلَةً ثُمَّ إِنَّهُمْ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى الزَّائِدِ لَمْ يَجِدُوا دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى إِنْ هَذَا الزَّائِدِ عَلَى الذَّاتِ هَلْ هُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ لَهَا أَحْكَامٌ مُخْتَلِفَةٌ وَإِنْ كَانَ زَائِدًا لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ هَلْ هَذَا الزَّائِدُ أَعْيَانٌ مُتَعَدِّدَةٌ لَمْ يَقُلْ حَادِقُوهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْئًا بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ يَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ وَيُمْكِنُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَعْيَانٍ مُخْتَلِفَةٍ إِلَّا أَنَّهُ زَائِدٌ وَلَا بَدَّ وَلَا فَائِدَةٌ جَاءَ بِهَا هَذَا الْمُتَكَلِّمُ لِإِعْدَمِ التَّحْكُمِ فَإِنَّ الذَّاتَ إِذَا قَبِلَتْ عَيْنًا وَاحِدَةً زَائِدَةً جَازَ أَنْ تَقْبَلَ عِيُونًا

كثيرة زائدة على ذاتها فيكون القدماء لا يحصون كثرة وهو مذهب أبي بكر بن الطيب والخلاف في ذلك يطول وليس طريقنا على هذا بنى أعني في الرد عليهم ومنازعتهم لكن طريقنا تبيين ما أخذ كل طائفة ومن أين انتحلته في نخلها وما تجلّى لها وهل يؤثر ذلك في سعادتها أو لا يؤثر هذا حظ أهل طريق الله من العلم بالله فلا نشغل بالرد على أحد من خلق الله بل ربما يقيم لهم العذر في ذلك للتوسع الإلهي فإن الله أقام العذر فيمن يدعومع الله إله آخر يبرهان يرى أنه دليل في زعمه فقال عزم من قائل ومن يدع مع الله إله آخر لا يبرهان له به ومن أصولهم الأدب مع الله تعالى فلا يسمونه إلا بما سمي به نفسه ولا يضيفون إليه إلا ما أضافه إلى نفسه كما قال تعالى ما أصابك من حسنّةٍ فمن الله وقال في السيئة وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك ثم قال قل كل من عند الله قال ذلك في الأمرين إذا جمعتهما لا تقل من الله فإع اللفظ واعلم أن لجمع الأمر حقيقة تخالف حقيقة كل مفرد إذا انفرد ولم يجتمع مع غيره كسواد المداد بين العفص والزاج ففصل سبحانه بين ما يكون منه وبين ما يكون من عنده يقول تعالى في حق طائفة مخصوصة والله خير وأبقى ببنية المفاضلة ولا مناسبة وقال في حق طائفة أخرى معينة صفتها وما عند الله خير وأبقى فما هو عنده ما هو عين ما هو منه ولا عين هويته فين الطائفتين ما بين المنزلتين كما قيل لواحد ما تركت لأهلك قال الله ورسوله وقيل للآخر فقال نصف مالي فقال بينكما ما بين كلمتيكما يعني في المنزلة فإذا أخذ العبد من كل ما سواه جعله في الله خير وأبقى وإذا أخذه من وجه من العالم يقتضي الحجاب والبعد والذم جعله فيما عند الله خير وأبقى فميز المراتب ثم إنه سبحانه عرفنا بأهل الأدب و منزلهم من العلم به فقال عن إبراهيم خليله أنه قال الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين لم يقل يجوعني وإذا مرضت لم يقل أمرضني فهو يشفين فأضاف الشفاء إليه والمرض لنفسه وإن كان الكل من عنده ولكنه تعالى هو أدب رسله إذ كان المرض لا تقبله النفوس بخلاف الموت فإن الفضلاء من العقلاء العارفين يطلبون الموت للتخلص من هذا الحبس وتطلبه الأنبياء للقاء الله الذي يتضمنه وكذلك أهل الله ولذلك ما خير نبي في الموت إلا اختاره لأن فيه لقاء الله فهو نعمة منه عليه ومنة والمرض شغل شاغل عن أداء ما أوجب الله على العبد أداء من حقوق الله لإحساسه بالألم وهو في محل التكليف وما يحس بالألم إلا الروح الحيواني فيشغل الروح المدبر لجسده عما دعي إليه في هذه الدنيا فلهذا أضاف المرض إليه والشفاء والموت للحق كما فعل صاحب موسى عليه السلام في إضافة حرق السفينة إليه إذ جعل خرقها عيبا وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربه لما فيه من الرحمة بابويه وما ساءهما من ذلك أضافه إليه وأضاف إقامة الجدار إلى ربه لما فيه من الصلاح والخير فقال تعالى عن عبده خضر في حرق السفينة فأردت أن أعيبتها تنزيها أن يضيف إلى الجناب العالي ما ظاهره ذم في العرف والعادة وقال في إقامة الجدار لما جعل إقامته رحمة باليتيمين لما يصيبانه من الخير الذي هو الكنز فأراد ربك يخبر موسى عليه السلام أن يبلغا أشدهما ويسخر جاكزهما رحمة من ربك وقال لموسى في حق الغلام إنه طبع كافرا والكفر صفة مذمومة قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وأراد أن يخبره بأن الله يبدل أبويه خيرا منه زكاة وأقرب رحما فأراد أن يضيف ما كان في المسألة من العيب في نظر موسى ع حيث جعله نكرا من المنكر وجعله نفسا زكية قتلت بعير نفس قال فأردنا أن نبدلها ربهما فأتى بنون الجمع فإن في قتله أمرين أمر يؤدي إلى الخير و

أمر إلى غير ذلك في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو الله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر في ظاهر الأمر وفي نظر موسى عليه السلام في ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فنون الجمع لها وجهان لما فيها من الجمع وجه إلى الخير به أضاف الأمر إلى الله ووجه إلى العيب به أضاف العيب إلى نفسه وجاء بهذه المسألة والواقعة في الوسط لا في الطرف بين السفينة والجدار ليكون ما فيها من عيب من جهة السفينة وما فيها من خير من جهة الجدار فلو كانت مسألة الغلام في الطرف ابتداء أو انتهاء لم تعط الحكمة أن يكون كل وجه مخلصا من غير أن يشوبه شيء من الخير أو ضده فلو كان أولا وكانت السفينة وسط لم يصل ما في مسألة الغلام من الخير الذي له ولأبويه حتى يمر على حضرة مصيبة ظاهرا وهي السفينة وحينئذ يتصل بالخير الذي في الجدار ولو كان الجدار وسطا وتأخر حديث الغلام لم يصل عيب السفينة إلى الاتصال بعيب الغلام حتى يمر بخير ما في الجدار فيمر بغير المناسب ومن شأن الحضرات أن تقلب أعيان الأشياء أعني صفاتها إذا مرت بها فكانت مسألة الغلام وسطا فبلي وجه العيب جهة السفينة وبلي جهة الخير جهة الجدار واستقامت الحكمة فإن قلت فلم جمع بين الله وبين نفسه في ضمير النون أعني نون فأردنا وقال صلى الله عليه وسلم لما سمع بعض الخطباء وقد جمع بين الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمير واحد في قوله ومن يعصهما بئس الخطيب أنت فاعلم أنه من الباب الذي قرناه وهو أنه لا يضاف إلى الحق إلا ما أضافه الحق إلى نفسه أو أمر به رسوله أو من آتاه علما من لدنه كالخضر المنصوص عليه فهذا من ذلك الباب فلما كان هذا الخطيب عريا من العلم الدني ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم إليه في إباحة مثل هذا لهذا ذمه وقال بئس الخطيب أنت فإنه كان ينبغي له أن لا يجمع بين الحق والخلق في ضمير واحد إلا باذن إلهي من رسول أو علم لدني ولم يكن واحد من هذين الأمرين عنده فلماذا ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رويناه عنه في خطبة خطبها فذكر الله تعالى فيها وذكر نفسه صلى الله عليه وسلم ثم جمع بين ربه تعالى وبين نفسه فيها في ضمير واحد فقال من يُطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا وما ينطق صلى الله عليه وسلم عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وكذا قال الخضر وما فعلته عن أمري يعني جميع ما فعله من الأعمال وجميع ما قال من الأقوال في العبارة لموسى عليه السلام عن ذلك فافهم فهذا قد أبت لك عن أصولهم ما فيه كفاية فالركبان هم المرادون المجدوبون المصونة أسرارهم في البيض فلا يتخللها هواء مثل الفاصرات الطرف من الحور المقصورات في الخيام كأنهن بيض مكنون ومن صفاتهم أنهم لا يكشفون وجوههم عند النوم ولا ينامون إلا على ظهورهم لم التلقي لا يتحركون إلا عن أمر إلهي ولا يسكنون إلا كذلك بإرادة إرادتهم ما يراهم ولما كان السكون أمرا عديما لذلك قرنا به الإرادة دون الأمر ولما كان التحرك أمرا وجوديا لذلك قرنا به الأمر الإلهي إن فهمت وهم رضي الله عنهم لا يزامون ولا يزامون أكثر ما يجري على ألسنتهم ما شاء الله سخرت لهم السحاب لهم القدم الراسخة في علم الغيوب لهم في كل ليلة معراج روحاني بل في كل نومة من ليل أو نهار لهم استشراف على بواطن العالم فأروا ملكوت السموات والأرض يقول الله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين

قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا وهو عين إسرائه والعلماء ورثة الأنبياء أحوالهم الكتمان لو قطعوا إربا إربا ما عرف ما عندهم لهذا قال خضر ما فعلته عن أمرِي فالكتمان من أوصولهم إلا أن يؤمروا بالإفشاء والإعلان وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني والثلاثون في معرفة الأقطاب المدبرين أصحاب الركاب من الطبقة الثانية)

به تعشقت الأسماء و الدول	إن التدبر معشوق لصاحبه
في كل ما يقتضيه كونه العمل	عليه عند الذي يقضي سوائفه
فكل كون له في علمه أجل	به ترتب ما في الكون من عجب

لقيت من هؤلاء الطبقة جماعة بإشيلية من بلاد الأندلس منهم أبو يحيى الصنهاجي الضرير كان يسكن بمسجد الزبيدي صحبته إلى أن مات ودفن بجبل عال كثير الرياح بالشرق فكل الناس شق عليهم طلوع الجبل لطوله وكثرة رياحه فسكن الله الرياح فلم تهب من الوقت الذي وضعناه في الجبل وأخذ الناس في حفر قبره وقطع حجره إلى أن فرغنا منه وواريناه في روضته وانصرفنا فعند انصرفنا هبت الرياح على عادتها فتعجب الناس من ذلك ومنهم أيضا صالح البربري وأبو عبد الله الشرفي وأبو الحجاج يوسف الشبربلي فأما صالح فساح أربعين سنة ولزم بإشيلية مسجد الرطند إلى أربعين سنة على التجريد بالحالة التي كان عليها في سياحته وأما أبو عبد الله الشرفي فكان صاحب خطوة بقي نحو من خمسين سنة ما أسرج له سراجا في بيته رأيت له عجائب وأما أبو الحجاج الشبربلي من قرية يقال لها شبريل بشرق إشيلية كان ممن يشي على الماء وتعاشره الأرواح وما من واحد من هؤلاء إلا وعاشرته معاشرة مودة وامتزاج ومحبة منهم فينا وقد ذكرناهم مع أشياخنا في الدررة الفاخرة عند ذكرنا من انتفعت به في طريق الآخرة فكان هؤلاء الأربعة من أهل هذا المقام وهم من أكابر الأولياء الملازمة جعل بأيديهم علم التدبير والتفصيل فلهم الاسم المدبر المفصل وهجيرهم يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ هُم الْعَرَائِسُ أَهْلُ الْمُنْصَاطِ فَهَلُم الْآيَاتِ الْمُعَادَةِ وَغَيْرِ الْمُعَادَةِ فَالْعَالَمُ كُلُّهُ عِنْدَهُمْ آيَاتُ بِنَاتٍ وَالْعَامَّةُ لَيْسَتْ الْآيَاتِ عِنْدَهُمْ إِلَّا الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ غَيْرِ مُعَادَةِ فَتَلِكُ تَنْبَهُهُمُ إِلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْآيَاتِ الْمُعَادَةَ لِأَصْنَافٍ مُخْتَلِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ فَمِنْهَا لِلْعُقَلَاءِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فَهَم الْآيَاتِ لِلْعُقَلَاءِ كُلُّهَا مُعَادَةُ وَآيَاتٍ لِلْمُؤَقِنِينَ وَآيَاتٍ لِلْأُولِي الْأَلْبَابِ وَآيَاتٍ لِلْأُولِي النَّهْيِ وَآيَاتٍ لِلْسَامِعِينَ وَهَم أَهْلُ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَآيَاتٍ لِلْمُتَفَكِّرِينَ وَآيَاتٍ لِأَهْلِ التَّذَكُّرِ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَصْنَافٍ نَعْتَمُ اللَّهُ بِنِعْوَتِ مُخْتَلِفَةٍ وَآيَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ كُلُّهَا ذَكَرْهَا لَنَا فِي الْقُرْآنِ إِذَا مَحْتَتْ عَلَيْهَا وَتَدَبَّرْتَهَا عَلِمْتَ أَنَّهَا آيَاتٌ وَدَلَالَاتٌ عَلَى أُمُورٍ مُخْتَلِفَةٍ تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ غَفَلَ عَنِ ذَلِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلِذَا عَدَدُ الْأَصْنَافِ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ الْمُعَادَةِ مَا يَدْرِكُ

الناس دلالتها من كونهم ناسا وجنا وملائكة وهي التي وصف بإدراكها العالم بفتح اللام ومن الآيات ما تغمض بحيث لا يدركها إلا من له التفكير السليم ومن الآيات ما هي دلالتها مشروطة بأولي الألباب وهم العقلاء الناظرون في لب الأمور لا في قشورها فهم الباحثون عن المعاني وإن كانت الألباب والنهي العقول فلم يكف سبجانه بلفظة العقل حتى ذكر الآيات لأولي الألباب فما كل عاقل ينظر في لب الأمور و بواطنها فإن أهل الظاهر لهم عقول بلا شك وليسوا بأولي الألباب ولا شك أن العصاة لهم عقول ولكن ليسوا بأولي نهي فاختلفت صفاتهم إذ كانت كل صفة تعطي صنفا من العلم لا يحصل إلا لمن حاله تلك الصفة فما ذكرها الله سدى وكثر الله ذكر الآيات في القرآن العزيز ففي مواضع أردفها وتلا بعضها بعضا وأردف صفة العارفين بها وفي مواضع أفردتها فمثل إرداف بعضها على بعض مساقها في سورة الروم فلا يزال يقول تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ وَمَنْ آيَاتِهِ فَيَتْلُوها جميع الناس ولا يتنبه لها إلا الأصناف الذين ذكرهم في كل آية خاصة فكان تلك الآيات في حق أولئك أنزلت آيات وفي حق غيرهم مجرد التلاوة ليؤجروا عليها ولما قرأت هذه السورة وأنا في مقام هذه الطبقة ووصلت إلى قوله وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ تعجبت كل العجب من حسن نظم القرآن وجمعه ولما ذا قدم ما كان ينبغي في النظر العقلي في ظاهر الأمر أن يكون على غير هذا النظم فإن النهار لا ابتغاء الفضل والليل للمنام كما قال في القصص وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ فَأَعَاد الضمير على الليل وَلَتَسْبُغُوا مِنْ فَضْلِهِ يريد في النهار فأضمر وإن كان الضميران يعودان على المعنى المقصود فقد يعمل الصانع بالليل ويبع ويشترى بالليل كما أنه ينام أيضا ويسكن بالنهار ولكن الغالب في الأمور هو المعتبر فلاح لي من خلف ستارة هذه الآية وحسن العبارة عنها الرافعة سترها وهو قوله مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أمر زائد على ما يفهم منه في العموم بقرائن الأحوال في ابتغاء الفضل للنهار والمنام ليل ما نذكره وهو أن الله نبه بهذه الآية على إن نشأة الآخرة الحسية لا تشبه هذه النشأة الدنيوية وإنما ليست بعينها بل تركيب آخر ومزاج آخر كما وردت به الشرائع والتعريفات النبوية في مزاج تلك الدار وإن كانت هذه الجواهر عينها بلا شك فإنها التي تبعث في القبور وتشر ولكن يختلف التركيب والمزاج بأعراض وصفات تليق بتلك الدار لا تليق بهذه الدار وإن كانت الصورة واحدة في العين والسمع والأنف والشم واليد والرجلين بكمال النشأة ولكن الاختلاف بين فمته ما يشعر به وبحس منه ما لا يشعر به ولما كانت صورة الإنشاء في الدار الآخرة على صورة هذه النشأة لم يشعر بما أشرنا إليه ولما كان الحكم يختلف عرفنا إن المزاج اختلف فهذا الفرق بين حظ الحس والعقل فقال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ولم يذكر اليقظة وهي من جملة آيات فذكر المنام دون اليقظة في حال الدنيا فدل على إن اليقظة لا تكون إلا عند الموت وأن الإنسان نائم أبدا ما لم يميت فذكر أنه في منام بالليل والنهار في يقظته ونومه وفي الخبر الناس ينام فإذا ماتوا انتبهوا ألا ترى أنه لم يأت بالباء في قوله تعالى وَالنَّهَارِ واكتفى بباء الليل ليحقق بهذه المشاركة أنه يريد المنام في حال اليقظة المعادة فحذفها مما يقوي الوجه الذي أبرزناه في هذه الآية فالمنام هو ما يكون فيه النائم في حال نومه فإذا استيقظ يقول رأيت كذا وكذا فدل إن الإنسان في منام ما دام في هذه النشأة في الدنيا إلى أن يموت فلم يعتبر الحق اليقظة المعادة عندنا في العموم بل جعل الإنسان في منام في نومه ويقظته كما أوردناه في الخبر

النبي من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فوصفهم بالنوم في الحياة الدنيا والعامة لا تعرف النوم في المعتاد إلا ما جرت به العادة أن يسمى نوما فنبه النبي صلى الله عليه وسلم بل صرح أن الإنسان في منام ما دام في الحياة الدنيا حتى ينتبه في الآخرة والموت أول أحوال الآخرة فصدقه الله بما جاء به في قوله تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَهُوَ النَّوْمُ الْعَادِي وَالنَّهَارُ وَهُوَ هَذَا الْمَنَامُ الَّذِي صَرَحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا جَعَلَ الدُّنْيَا عِبْرَةً جَسْرًا يَبْعُرُ أَيُّ عِبْرٍ كَمَا تَعْبُرُ الرُّوْيَا الَّتِي يَرَاهَا الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ فَكَمَا إِنْ الَّذِي يَرَاهُ الرَّائِي فِي حَالِ نَوْمِهِ مَا هُوَ مَرَادٌ لِنَفْسِهِ إِنَّمَا هُوَ مَرَادٌ لِغَيْرِهِ فَيَعْبُرُ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُرْتِيَةِ فِي حَالِ النَّوْمِ إِلَى مَعْنَاهَا الْمَرَادِ بِهَا فِي عَالَمِ الْيَقْظَةِ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ كَذَلِكَ حَالُ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا مَا هُوَ مَطْلُوبٌ لِلدُّنْيَا فَكُلُّ مَا يَرَاهُ مِنْ حَالٍ وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ مَطْلُوبٌ لِلْآخِرَةِ فَهَنَّاكَ يَعْبرُ وَيُظْهِرُ لَهُ مَا رَأَى فِي الدُّنْيَا كَمَا يَظْهِرُ لَهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا اسْتَيْقَظَ مَا رَأَى فِي الْمَنَامِ فَالِدُّنْيَا جَسْرٌ يَعْبرُ وَلَا يَعْمرُ كَالْإِنْسَانِ فِي حَالٍ مَا يَرَاهُ فِي نَوْمِهِ يَعْبرُ وَلَا يَعْمرُ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ لَا يَجِدُ شَيْئًا مِمَّا رَأَى مِنْ خَيْرٍ يَرَاهُ أَوْ شَرٍّ وَدِيَارٍ وَبِنَاءٍ وَسَفَرٍ وَأَحْوَالٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ فَلَا بَدَأْنَ يَعْبرُ لَهُ الْعَارِفُ بِالْعِبَارَةِ مَا رَأَى فَيَقُولُ لَهُ تَدُلُّ رُؤْيَاكَ لَكَذَا عَلَى كَذَا فَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَنَامٌ إِذَا انْتَقَلَ إِلَى الْآخِرَةِ بِالْمَوْتِ لَمْ يَنْتَقِلْ مَعَهُ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِي يَدِهِ وَفِي حَسَبِهِ مِنْ دَارٍ وَأَهْلِ وَمَالٍ كَمَا كَانَ حِينَ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ لَمْ يَرِ شَيْئًا فِي يَدِهِ مِمَّا كَانَ لَهُ حَاصِلًا فِي رُؤْيَاهُ فِي حَالِ نَوْمِهِ فَهَذَا قَالَ تَعَالَى إِنَّمَا فِي مَنَامِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي الْآخِرَةِ تَكُونُ الْيَقْظَةُ وَهَنَّاكَ تَعْبُرُ الرُّوْيَا فَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ وَعَبَّرَ رُؤْيَاهُ هُنَا قَبْلَ الْمَوْتِ أَفْلَحَ وَيَكُونُ فِيهَا مِثْلُ مَنْ رَأَى رُؤْيَا ثُمَّ رَأَى فِي رُؤْيَاهُ إِنَّهُ اسْتَيْقَظَ فَيَقْصُ مَا رَأَى وَهُوَ فِي النَّوْمِ عَلَى حَالِهِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يَرَاهُمْ فِي نَوْمِهِ فَيَقُولُ رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا فَيُفَسِّرُهُ وَيَعْبِرُهُ لَهُ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِمَا يَرَاهُ فِي عِلْمِهِ بِذَلِكَ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ حِينَئِذٍ يَظْهِرُ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَنَامٍ فِي حَالِ الرُّؤْيَا وَفِي حَالِ التَّعْبِيرِ لَهَا وَهُوَ أَصَحُّ التَّعْبِيرِ وَكَذَلِكَ الْفُطْنُ اللَّيْبُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَعَ كَوْنِهِ فِي مَنَامِهِ يَرَى أَنَّهُ اسْتَيْقَظَ فَيَعْبُرُ رُؤْيَاهُ فِي مَنَامِهِ لِيَنْتَبِهَ وَيَزْدَجِرُ وَيَسْلُكُ الطَّرِيقَ الْأَسَدَ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بِالْمَوْتِ حَمْدُ رُؤْيَاهُ وَفَرَحٌ بِمَنَامِهِ وَأَثْمَرَتْ لَهُ رُؤْيَاهُ خَيْرًا فَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْيَقْظَةُ وَذَكَرَ الْمَنَامُ وَأَضَافَهُ إِلَيْنَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَكَانَ ابْتِغَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فِي حَقِّ مَنْ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ اسْتَيْقَظَ فِي نَوْمِهِ فَيَعْبُرُ رُؤْيَاهُ وَهِيَ حَالَةُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُلْهِمُنَا رَشْدًا أَنْفُسَنَا هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ فَهَذَا تَفْصِيلُ آيَاتِ الْمَنَامِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِبْتِغَاءُ مِنَ الْفَضْلِ وَجَعَلَهُ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ أَيُّ يَفْهَمُونَ كَمَا قَالَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ أَرَادَ الْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ وَقَالَ فِيهِمْ صُمُّ مَعَ كَوْنِهِمْ يَسْمَعُونَ بِكُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ يَتَكَلَّمُونَ عُمِّي مَعَ كَوْنِهِمْ يَبْصُرُونَ فَهْمٌ لَا يَعْطَلُونَ فَنَبَهْتُمْ عَلَى مَا أَرَادَ بِالسَّمْعِ وَالْكَلَامِ وَالْبَصْرِ هُنَا فَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الرَّكْبَانِيَّةُ الثَّانِيَةُ مَا خَذَهُمُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا الْحَدِّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا الْمَأْخُذَ لِنَعْرِفَكَ بِطَرِيقَتِهِمْ فَتَسِينُ لِكَ مَنَزَلَتِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَطَّافْتَهُمْ بِالْآيَاتِ الْمَنْصُوبَةِ الْمَعْتَادَةِ وَغَيْرِ الْمَعْتَادَةِ فَائِمَةٌ نَاطِرَةٌ إِلَى نَفْسِ الْعَالَمِ نَاطِرَةٌ إِلَى الْوُجُوهِ الْعَرَضِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا يَتَوَجَّهُونَ بِسَبَبِ أَغْرَاضِهِمْ نَاطِرَةٌ إِلَى الْحُدُودِ الْإِلَهِيَّةِ فِيمَا إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُونَ لَا يَغْفَلُونَ عَنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ طَرَفَةً عَيْنٍ فَغَفَلْتُمْ الَّتِي تَقْتَضِيهَا جِبَلَتُهُمْ إِنَّمَا مَتَعَلَقًا مِنْهُمْ عَمَّا ضَمَّنَ لَهُمْ فَهَمَّ مَتَيْقِظُونَ فِيمَا طَلَبَ مِنْهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا ضَمَّنَ لَهُمْ حَتَّى لَا يَخْرُجُونَ عَنِ حَكْمِ الْغَفْلَةِ فَإِنَّهَا مِنْ جِبَلَةِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ صَرَفَتْهَا الْغَفْلَةُ عَمَّا يَرَادُ مِنْهَا فَإِنَّ كَانَ الَّذِي يَقَعُ إِلَيْهِ التَّوَجُّهُ طَاعَةً نَظَرًا وَفِي

دقائق تحصيلها ونظروا إلى الأمر الإلهي الذي يناسبها والاسم الإلهي الذي له السلطان عليها فيفصل لهم الأمر الإلهي الآية التي يطلبونها فإن كانت الآية معادة مثل اختلاف الليل والنهار و تسخير السحاب وغير ذلك من الآيات المعتادة التي لا خبر لنفوس العامة بكونها حتى يفقدوها فإذا فقدوها حينئذ خرجوا للاستسقاء وعرفوا في ذلك الوقت موضع دلالتها وقدرها وإنهم كانوا في آية وهم لا يشعرون فإذا جاءتهم وأمطروا عادوا إلى غفلتهم هذا حال العامة كما قال الله فيهم معجلا في هذه الدار هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين . . . فلما تجأهم إلى البر إذا هم بشركون وإذا هم ببغون في الأرض غير الحق يقول الله لهم يا أيها الناس إنما بعيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا وهكذا يقولون في النار يا ليتنا تردنا قال تعالى ولورثوا لعادوا لما نهبوا عنه كما عاد أصحاب الفلك إلى شركهم وبعيتهم بعد إخلاصهم لله فإذا نظرت هذه الطائفة إلى هذه الآيات أرسلوها مع أمرها الإلهي إلى حيث دعاها وإن كانت الآية غير معادة نظروا أي اسم إلهي يطلبها فإن طلبها القهار وأخواته فهي آية رهبة وزجر ووعيد أرسلوها على النفوس وإن طلبها أعني تلك الآية الاسم اللطيف وأخواته فهي آية رغبة أرسلوها على الأرواح فأشرق لها نور شعشعاني على النفوس فجنحت بذلك النفوس إلى بارئها فرزقت التوفيق والهداية وأعطيت التلذذ بالأعمال فقامت فيها بنشاط و تعرت فيها من ملابس الكسل و تبغض إليها معاشره الباطلين و صحبة الغافلين اللاهين عن ذكر الله ويكرهون المأوى والجلوة ويؤثرون الانفراد والخلوة وهذه الطبقة الثانية حقيقة ليلة القدر وكشفها وسرها ومعناها ولهم فيها حكم إلهي اختصوا به وهي حظهم من الزمان فانظر ما أشرف إذ حباهم الله من الزمان بأشرفه فإنها خير من ألف شهر فيه زمان رمضان ويوم الجمعة ويوم عاشوراء ويوم عرفة وليلة القدر فكأنه قال فتضاعف خيرها ثلاثا وثمانين ضعفا وثلث ضعف لأنها ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وقد تكون الأربعة الأشهر مما يكون فيها ليلة القدر فيكون التضعيف في كل ليلة قدر أربعة وثمانين ضعفا فانظر ما في هذا الزمان من الخير وبأي زمان خصت هذه الطائفة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثامن عشر والحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثالث والثلاثون في معرفة أقطاب النيات وأسرارهم وكيفية أصولهم ويقال لهم النياتيون)

الروح للجسم و النيات للعمل	تحيا بها كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر و الأشجار بارزة	و كل ما تخرج الأشجار من ثمر
كذلك تخرج من أعمالنا صور	لها روائح من نبت و من عطر
لولا الشريعة كان المسك ينجل من	أعرافها هكذا يقضي به نظري
إذا كان مستند التكوين أجمعه	له فلا فرق بين النفع و الضرر

تحلها صور تزهو على سرر فالزم شريعته تنعم بها سورا
أو كالعرائس معشوقين للبصر مثل الملوك تراها في أسرتها

روينا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعلم أن مراعاة النيات رجالا على حال مخصوص ونعت خاص أذكرهم إن شاء الله وأذكر أحوالهم والنية لجميع الحركات والسكنات في المكلفين للأعمال كالمطر لما تنبت الأرض فالنية من حيث ذاتها واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوي فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فإن حظ النية إنما هو القصد للفعل أو تركه وكون ذلك الفعل حسنا أو قبيحا وخيرا أو شرا ما هو من أثر النية وإنما هو من أمر عارض عرض ميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء إنما منزلته أن ينزل أو يسبح في الأرض وكون الأرض الميتة تحيا به أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فتخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والحبيثة من خبث مزاج البقعة أو طيبها أو من خبث البزرة أو طيبها قال تعالى يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فليس للنية في ذلك إلا الإمداد كما قال تعالى يُضِلُّهُ بِكَثِيرٍ وَيَهْدِيهِ بِكَثِيرٍ يَعْنِي الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ أَي بِسَبَبِهِ وَهُوَ مِنَ الْقُرْآنِ فكما كان الماء سببا في ظهور هذه الروائح المختلفة والطعوم المختلفة كذلك هي النيات سبب في الأعمال الصالحة وغير الصالحة ومعلوم أن القرآن مهداة كله ولكن بالتأويل في المثل المضروب ضل من ضل وبه اهتدى من اهتدى فهو من كونه مثلا لم تتغير حقيقته وإنما العيب وقع في عين الفهم كذلك النية أعطت حقيقتها وهو تعلقها بالمنوي وكون ذلك المنوي حسنا أو قبيحا ليس لها وإنما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن والقبح وقال تعالى إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ أَي بِنَا لَهُ طَرِيقَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا هَذَا رَاجِعٌ لِلْمَخَاطَبِ الْمَكْلُوفِ فَإِنَّ نَوَى الْخَيْرِ أَثَرٌ خَيْرًا وَإِنَّ نَوَى الشَّرِّ أَثَرٌ شَرًّا فَمَا أَتَى عَلَيْهِ إِلَّا مِنَ الْحُلِّ مِنَ طَيْبِهِ أَوْ خَبِثَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ أَي هَذَا أَوْجِبَتْهُ عَلَى نَفْسِي كَانَ اللَّهُ يَقُولُ الَّذِي يَلْزَمُ جَانِبَ الْحَقِّ مِنْكُمْ أَنْ يَبِينَ لَكُمْ السَّبِيلَ الْمَوْصِلَ إِلَى سَعَادَتِكُمْ وَقَدْ فَعَلْتَ فَإِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَهُ إِلَّا بِإِعْلَامِي لَكُمْ بِهِ وَتَبَيَّنِي وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ سَبَقَ فِي الْعِلْمِ إِنْ طَرِيقَ سَعَادَةِ الْعِبَادِ إِنَّمَا هُوَ فِي سَبَبٍ خَاصٍ وَسَبَبَ شَقَاؤِهِمْ أَيْضًا إِنَّمَا هُوَ فِي طَرِيقٍ خَاصٍ وَلَيْسَ إِلَّا الْعُدُولُ عَنْ طَرِيقِ السَّعَادَةِ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِمَّا أَلْزَمْنَا فِيهِ الْإِيمَانَ بِهِ وَلَمَّا كَانَ الْعَالَمُ فِي حَالِ جَهْلِ بِمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنْ تَعْيِينِ تِلْكَ الطَّرِيقِ تَعْيِينَ الْإِعْلَامِ بِهِ بِصِفَةِ الْكَلَامِ فَلَا بَدَّ مِنَ الرَّسُولِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا وَلَا نُوَجِبُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَقَدْ أَوْجَبَ التَّعْرِيفَ عَلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ مِثْلَ قَوْلِهِ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا وَجِبَ ذَلِكَ عَلَى النَّسْبَةِ لَا عَلَى نَفْسِهِ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ حَدِّ الْوَاجِبِ الشَّرْعِيِّ فَكَأَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّقَ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ أَوْلَا بِتَعْيِينِ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَعَادَتُنَا وَلَمْ يَكُنْ لِلْعِلْمِ بِمَا هُوَ عِلْمُ صُورَةِ التَّبْلِيغِ وَكَانَ التَّبْلِيغُ مِنْ صِفَةِ الْكَلَامِ تَعْيِينَ التَّبْلِيغِ

على نسبة كونه متكلماً بتعريف الطريق التي فيها سعادة العباد التي عينها العلم فأبان الكلام الإلهي بترجمته عن العلم ما عينه من ذلك فكان الوجوب على النسبة فإنها نسب مختلفة وكذلك سائر النسب الإلهية من إرادة وقدرة وغير ذلك وقد بينا محاضرة الأسماء الإلهية ومحاورتها ومجاراتها في حلبة المناظرة على إيجاد هذا العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله في كتاب عنقاء مغرب بوبنا عليه محاضرة أزلية على نشأة أبدية وكذلك في كتاب إنشاء الجداول والدوائر لقد علمت كيف تعلق الوجوب الإلهي على الحضرة الإلهية إن كنت فطنا لعلم النسب وعلى هذا يخرج قوله تعالى **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَوَدًا** وكيف يحشر إليه من هو جلسه وفي قبضته سمع أبو يزيد البسطامي قارئاً يقرأ هذه الآية **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَوَدًا** فبكى حتى ضرب الدمع المنبر بل روى أنه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وصاح وقال يا عجباً كيف يحشر إليه من هو جلسه فلما جاء زماننا سألنا عن ذلك فقلت ليس العجب إلا من قول أبي يزيد فاعلموا إنما كان ذلك لأن المتقي جلس الجبار فيقتي سطوته والاسم الرحمن ما له سطوة من كونه الرحمن إنما الرحمن يعطي اللين والالطف والعفو والمغفرة فلذلك يحشر إليه من الاسم الجبار الذي يعطي السطوة والهيبة فإنه جلس المتقين في الدنيا من كونهم متقين وعلى هذا الأسلوب تأخذ الأسماء الإلهية كلها وكذا تجدها حيث وردت في السنة النبوات إذا قصدت حقيقة الاسم وتميزه من غيره فإن له دلائل دلالة على المسمى به ودلالة على حقيقته التي بها يتميز عن اسم آخر فافهم واعلم أن هؤلاء الرجال إنما كان سبب اشتغالهم بمعرفة النية كونهم نظروا إلى الكلمة وفيها فعلوا أنها ما ألقت حروفها وجمعت لإظهار نشأة قائمة تدل على المعنى الذي جمعت له في الاصطلاح فإذا تلفظ بها المتكلم فإن السامع يكون همه في فهم المعنى الذي جاءت له فإن بذلك تقع الفائدة ولهذا وجدت في ذلك اللسان على هذا الوضع الخاص ولهذا لا يقول هؤلاء الرجال بالسماع المقيد بالنعمة لعلو همتهم ويقولون بالسماع المطلق فإن السماع المطلق لا يؤثر فيهم إلا فهم المعاني وهو السماع الروحاني الإلهي وهو سماع الأكابر والسماع المقيد إنما يؤثر في أصحابه النعم وهو السماع الطبيعي فإذا ادعى من ادعى أنه يسمع في السماع المقيد بالألحان المعنى ويقول لولا المعنى ما تحركت ويدعي أنه قد خرج عن حكم الطبيعة في ذلك يعني في السبب المحرك فهو غير صادق وقد رأينا من ادعى ذلك من المتشيعين المتطفلين على الطريقة فصاحب هذه الدعوى إذا لم يكن صادقاً يكون سريع الفضيحة وذلك أن هذا المدعي إذا حضر مجلس السماع فاجعل بالك منه فإذا أخذ القوال في القول بتلك النعمات المحركة بالطبع للمزاج القابل أيضاً وسرت الأحوال أ النفوس الحيوانية فحركت الهياكل حركة دورية لحكم استدارة الفلك وهو أعني الدور مما يدل على إن السماع الطبيعي لأن اللطيفة الإنسانية ما هي عن الفلك وإنما هي عن الروح المنفوخ منه وهي غير متحيزة فهي فوق الفلك فما لها في الجسم تحريك دوري ولا غير دوري وإنما ذلك للروح الحيواني الذي هو تحت الطبيعة والفلك فلا تكن جاهلاً بنشأتك ولا بمن يحركك فإذا تحرك هذا المدعي وأخذ الحلال ودار أو ففز إلى جهة فوق من غير دور وقد غاب عن إحساسه بنفسه وبالمجلس الذي هو فيه فإذا فرغ من حاله ورجع إلى إحساسه فأسأله ما الذي حركه فيقول إن القوال قال كذا وكذا ففهمت منه معنى كذا وكذا فذلك المعنى حركني فقل له ما

حركك سوى حسن النعمة والفهم إنما وقع لك في حكم التبعية فالطبع حكم على حيوانيتك فلا فرق بينك وبين الحمل في تأثير النعمة فيك فيعز عليه مثل هذا الكلام ويثقل ويقول لك ما عرفتني وما عرفت ما حركني فاسكت عنه ساعة فإن صاحب هذه الدعوى تكون الغفلة مسئولية عليه ثم خذ معه في الكلام الذي يعطي ذلك المعنى فقل له ما أحسن قول الله تعالى حيث يقول واتل عليه آية من كتاب الله تتضمن ذلك المعنى الذي كان حركه من صوت المغني وحققه عنده حتى يتحققه فيأخذ معك فيه ويتكلم ولا يأخذه لذلك حال ولا حركة ولا فناء ولكن يستحسنه ويقول لقد تضمن هذه الآية معنى جليلا من المعرفة بالله فما أشد فضيحتي في دعواه فقل له يا أخي هذا المعنى بعينه هو الذي ذكرت لي أنه حركك في السماع البارحة لما جاء به القوال في شعره بنعمته الطيبة فلأبي معنى سرى فيك الحال البارحة وهذا المعنى موجود فيما قد صغته لك وسقته بكلام الحق تعالى الذي هو أعلى وأصدق وما رأيتك تهتمز مع الاستحسان وحصول الفهم وكتبت البارحة يتخبطك الشيطان من المس كما قال الله تعالى وحجبتك عن عين الفهم السماع الطبيعي فما حصل لك في سماعك إلا الجهل بك فمن لا يفرق بين فهمه وحركته كيف يرجى فلاحه فالسماع من عين الفهم هو السماع الإلهي وإذا ورد على صاحبه وكان قويا لما يرد به من الإجمال فغاية فعله في الجسم أن يضجعه لا غير ويغيبه عن إحساسه ولا يصدر منه حركة أصلا بوجه من الوجوه سواء كان من الرجال الأكابر أو الصغار هذا حكم الوارد الإلهي القوي وهو الفارق بينه وبين حكم الوارد الطبيعي فإن الوارد الطبيعي كما قلنا يحركه الحركة الدورية والهيمنان والتخبط فعل الجنون وإنما يضجعه الوارد الإلهي لسبب أذكره لك وذلك أن نشأة الإنسان مخلوقة من تراب قال تعالى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ الْعُنَاصِرِ وَلَكِنَّ الْعُنَاصِرَ الْأَعْظَمَ التُّرَابَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ أَيْضًا إِنَّ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ وَالْإِنْسَانُ فِي قَعُودِهِ وَقِيَامِهِ بَعْدَ عَنِ أَصْلِهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي مِنْهُ نَشَأُ مِنْ أَكْثَرِ جِهَاتِهِ فَإِنْ قَعُودُهُ وَقِيَامُهُ وَرُكُوعُهُ فَرُوعٌ فَإِذَا جَاءَهُ الْوَارِدُ الْإِلَهِيُّ وَالْوَارِدُ الْإِلَهِيُّ صِفَةُ الْقِيَوْمِيَّةِ وَهِيَ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ جَسْمِيَّتِهِ بِحُكْمِ الْعَرَضِ وَرُوحَهُ الْمَدْبُرُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَقِيمُهُ وَيَقْعُدُهُ فَإِذَا اشْتَغَلَ الرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّ الْمَدْبُرَ عَنْ تَدْبِيرِهِ بِمَا يَتَلَقَاهُ مِنَ الْوَارِدِ الْإِلَهِيِّ مِنَ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ لِمَبِيقِ الْجَسْمِ مِنْ يَحْفَظُ عَلَيْهِ قِيَامَهُ وَلَا قَعُودَهُ فَرُجَعَ إِلَى أَصْلِهِ وَهُوَ لَصُوقُهُ بِالْأَرْضِ الْمَعْبَرِ عَنْهُ بِالْاضْطِجَاعِ وَلَوْ كَانَ عَلَى سَرِيرٍ فَإِنَّ السَّرِيرَ هُوَ الْمَانِعُ لَهُ مِنْ وَصُولِهِ إِلَى التُّرَابِ فَإِذَا فَرِغَ رُوحَهُ مِنْ ذَلِكَ التَّلَقِّيِّ وَصَدَرَ الْوَارِدُ إِلَى رَبِّهِ رَجَعَ الرُّوحُ إِلَى تَدْبِيرِ جَسَدِهِ فَأَقَامَهُ مِنْ ضَجْعَتِهِ هَذَا سَبَبُ اضْطِجَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى ظُهُورِهِمْ عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِمْ وَمَا سَمِعَ قَطُّ عَنْ نَبِيِّ أَنَّهُ تَخَبَّطَ عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ هَذَا مَعَ وَجُودِ الْوَاسِطَةِ فِي الْوَحْيِ وَهُوَ الْمَلِكُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْوَارِدُ بَرَفَعِ الْوَسَائِلَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ قَطُّ غَيْبَةٌ عَنِ إِحْسَاسِهِ وَلَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْوَارِدَ الْإِلَهِيَّ بَرَفَعِ الْوَسَائِلَ الرُّوحَانِيَّةَ يَسْرِي فِي كَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَيَأْخُذُ كُلَّ عَضُوبٍ كُلِّ جَوْهَرٍ فَرَدَّ فِيهِ حِظَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَارِدِ الْإِلَهِيِّ مِنْ لَطِيفٍ وَكَثِيفٍ وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ جَلِيسَهُ وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ مِنْ حَالِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ مِنْ جَلِيسِهِ شَيْءٌ إِنْ كَانَ يَأْكُلُ بَقِيَّ عَلَى أَكْلِهِ فِي حَالِهِ أَوْ شَرِبَهُ أَوْ حَدِيثَهُ الَّذِي هُوَ فِي حَدِيثِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ الْوَارِدَ يَمُّ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فَمَنْ كَانَتْ أَيْنِيَّتُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَالَةَ الْأَكْلِ أَوْ الشَّرْبِ أَوْ الْحَدِيثِ أَوْ اللَّعْبِ أَوْ مَا كَانَ بَقِيَّ عَلَى

حاله فلما رأت هذه الطائفة الجليلة هذا الفرق بين الواردات الطبيعية والروحانية والإلمية و رأت أن الالتباس قد ظراً على من يزعم أنه في نفسه من رجال الله تعالى أن يتصفوا بالجهل والتخليط فإنه محل الوجود الطبيعي فارتقت همتهم إلى الاشتغال بالنيات إذ كان الله قد قال لهم وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له والإخلاص النية ولهذا قيدها بقوله له ولم يقل مخلصين وهو من الاستخلاص فإن الإنسان قد يخلص نيته للشيطان ويسمى مخلصاً فلا يكون في عمله لله شيء وقد يخلص للشركة وقد يخلص لله فهذا قال تعالى مخلصين له الدين لا غيره ولا لحكم الشركة فشغلوا نفوسهم بالأصل في قبول الأعمال ونيل السعادات وموافقة الطلب الإلهي منهم فيما كفهم به من الأعمال الخالصة له وهو المعبر عنه بالنية فنسبوا إليها لغلبة شغلهم بها وتحققوا إن الأعمال ليست مطلوبة لأنفسها وإنما هي من حيث ما قصد بها وهو النية في العمل كالمعنى في الكلمة فإن الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها وإنما هي لما تضمنته فانظرياً أخي ما أدق نظر هؤلاء الرجال وهذا هو المعبر عنه في الطريق بحاسبة النفس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ولقيت من هؤلاء الرجال اثنين أبو عبد الله بن المجاهد وأبو عبد الله بن قسوم بإشيلية كان هذا مقامهم وكانوا من أقطاب الرجال النياتين ولما شرعنا في هذا المقام تأسبا بهما وبأصحابهما وامتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب امتثاله في أمره حاسبوا أنفسكم وكان أشياءنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيده في دفتر فإذا كان بعد صلاة العشاء وخلصوا في بيوتهم حاسبوا أنفسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول وعمل وقابلوا كل عمل بما يستحقه إن استحق استغفارا استغفروا وإن استحق توبة تابوا وإن استحق شكراً شكروا إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم وبعد ذلك ينامون فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر فكنا نقيده ما تحدثنا به نفوسنا وما تهم به زائداً على كلامنا وأفعالنا وكتب أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت وأحضر الدفتر وأطالها بجميع ما خطر لها وما حدثت بنفسها وما ظهر للحسن من ذلك من قول وعمل وما نوته في ذلك الخاطر والحديث فقلت الخواطر والفضول إلا فيما يعني فهذا فائدة هذا الباب وفائدة الاشتغال بالنية وما في الطريق ما يغفل عنه أكثر من هذا الباب فإن ذلك راجع إلى مراعاة الأنفاس وهي عزيزة وبعد أن عرفتكم بأصول هذه الطائفة وما هو سبب شغلهم بذلك وأنه لهم أمر شرعي وما لهم في ذلك من الأسرار والعلوم فاعلم أيضاً مقامهم في ذلك وما لهم فهذه الطائفة على قلب يونس عليه السلام فإنه لما ذهب مغاضباً وظن أن الله لا يضييق عليه لما عهده من سعة رحمة الله فيه وما نظر ذلك الاتساع الإلهي الرحماني في حق غيره فتناله أمته واقتصر به على نفسه والغضب ظلمة القلب فأثرت لعلو منصبه في ظاهره فاسكن في ظلمة بطن الحوت ما شاء الله لينبئه الله على حاله حين كان جنينا في بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور منه أن يغاضب أو يغاضب بل كان في كنف الله لا يعرف سوى ربه فرده إلى هذه الحالة في بطن الحوت تعليماً له بالفعل لا بالقول فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت عذرا عن أمته في هذا التوحيد أي تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشاء سُبْحَانَكَ أَيُّ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ مشتق من الظلمة أي ظلمتي عادت على ما أنت ظلمتي بل ما كان في باطني سرى إلى ظاهري وانتقل النور إلى باطني فاستنار فأزال ظلمة

الماغضة وانتشر فيه نور التوحيد وانسبطت الرحمة فسرى ذلك النور في ظاهره مثل ما سرت ظلمة الغضب فاستجاب له ربه فنجاه من الغم فقد فة الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من ولد آدم ولادتين سوى يونس عليه السلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال وهو سقيم ورباه باليقطين فإن ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب فإن الطفل لضعفه لا يستطيع أن ينزل الذباب عن نفسه فغطاه بشجرة خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعمة ورقها فإن ورق اليقطين مثل القطن في النعمة بخلاف سائر ورق الأشجار كلها فإن فيها خشونة وأنشأه الله عز وجل نشأة أخرى ولما رأت هذه الطائفة أن يونس عليه السلام ما أتى عليه إلا من باطنه من الصفة التي قامت به ومن قصده شغلوا نفوسهم بتمحيص النيات والقصد في حركاتهم كلها حتى لا ينوون إلا ما أمرهم الله به أن ينووه ويقصدوه وهذا غاية ما يقدر عليه رجال الله وهذه الطائفة في الرجال قليلون فإنه مقام ضيق جدا يحتاج صاحبه إلى حضور دائم وأكبر من كان فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه في حرب اليمامة فما هو إلا أن رأيت أن الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق لمعرفة عمر باشتغال أبي بكر باطنه فإذا صدرت منه حركة في ظاهره فما تصدر إلا من إله وهو عزيز ولهذا كان من يفهم المقامات من المتقدمين من أهل الكتاب إذا سمعوا أو يقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا يقولون هذا كلام ما خرج إلا من إله أي هو كلام إلهي ما هو كلام مخلوق فانظر ما أحسن العلم وفي أي مقام ثبتت هذه الطائفة وبأي قائمة استمسكت جعلنا الله منهم فجعل أعمالهم في الباطن مساكن السائحين منهم الغيران والكهوف وفي الأمصار ما بناه غيرهم من عباد الله تعالى لا يضعون لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن انتقل إلى ربه ما بنى قط مسكنا لنفسه وسبب ذلك أنهم رأوا الدنيا جسرا منصوبا من خشب على نهر عظيم وهم عابرون فيه راحلون عنه فهل رأيت أحدا بنى منزلا على جسر خشب لا والله ولا سيما وقد عرف أن الأمطار تنزل وأن النهر يعظم بالسيول التي تأتي وأن الجسور تنقطع فكل من بنى على جسر فإنما يعرض به للتلذذ فلو أن عمار الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسرا ويروا النهر الذي بنيت عليه أنه خطر قوي ما بنوا الذي بنوا عليه من القصور المشيدة فلم يكن لهم عيون يبصرون بها إن الدنيا قنطرة خشب على نهر عظيم خرار ولا كان لهم سمع يسمعون به قول الرسول العالم بما أوحى الله إليه به إن الدنيا قنطرة فلا بالإيمان عملوا ولا على الرؤية والكشف حصلوا فهم كما قال الله فيهم وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ سَمَاعِهِمْ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهُمْ إِنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ فَلَا تَشْغَلُوا نَفْسَكُمْ بِعَمَارَتِهَا وَانْهَضُوا فَمَا فَرَّغَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى عَمَاهُمْ وَصَمَّوهُمْ مَعَهُمْ مَعَهُمْ مُؤْمِنِينَ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَهُ بِقَوْلِهِ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ يَقُولُ مَا نَفَعُ الْقَوْلَ فِيهِمْ يَا وَلِيَّ لَوْ فَرَضْنَا إِنْ الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ أَلْسِنَا نَبْصُرَ رِحْلَتِنَا عَنْهَا جِيْلًا بَعْدَ جِيْلٍ فَمِنْ أَحْوَالِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مَرَاعَاتُهُمْ لِقُلُوبِهِمْ وَأَسْرَارُهُمْ مَتَعَلِّقَةٌ بِاللَّهِ مِنْ حَيْثُ مَعْرِفَةُ نَفْسِهِمْ وَلَا اجْتِمَاعَ لَهُمْ بِالنَّهَارِ مَعَ الْغَافِلِينَ بِلِ حَرَكَتِهِمْ لَيْلِيَّةً وَنَظَرَهُمْ فِي الْغَيْبِ الْغَالِبِ عَلَيْهِمْ مَقَامُ الْحَزْنِ فَإِنَّ الْحَزْنَ إِذَا فَقَدَ مِنَ الْقَلْبِ خَرِبَ فَالْعَارِفُ يَأْكُلُ الْحَلْوَى وَالْعَسَلُ وَالْحَقِيقُ الْكَبِيرُ يَأْكُلُ الْحَنْظَلُ فَهِيَ كَثِيرٌ

التنغيص لا يلتذ بنعمة أبدا ما دام في هذه الدار لشغله بما كلفه الله من الشكر عليها لقيت منهم بدنيسر عمر الفرقوي وبمدينة فاس عبد الله السماد والعارفون بالنظر إلى هؤلاء كالأطفال الذين لا عقول لهم يفرحون ويلتذون بحشخاشة فما ظنك بالمريدين فما ظنك بالعامه لهم القدم الراسخة في التوحيد ولهم المشافهة في الفهوانية يقدمون النفي على الإثبات لأن التنزيه شأنهم كلفظة لا إله إلا الله وهي أفضل كلمة جاءت بها الرسل والأنبياء توحيدهم كوني عقلي ليسوا من الهوي في شيء لهم الحضور التام على الدوام وفي جميع الأفعال اختصوا بعلم الحياة والأحياء لهم اليد البيضاء فيعلمون من الحيوان ما لا يعلمه سواهم ولا سيما من كل حيوان يمشي على بطنه لقربه من أصله الذي عنه تكون فإن كل حيوان يبعد عن أصله ينقص من معرفته بأصله على قدر ما بعد منه ألا ترى المريض الذي لا يقدر على القيام والقعود ويبقى طريحا لضعفه وهو رجوعه إلى أصله تراه فقيرا إلى ربه مسكينا ظاهر الضعف والحاجة بلسان الحال والمقال وذلك أن أصله حكم عليه لما قرب منه يقول الله خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ وَقَالَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا فَإِذَا اسْتَوَى قَائِمًا وَبَعْدَ عَنْ أَصْلِهِ تَفَرَّعَ وَتَجَرَّعَ وَادْعَى الْقُوَّةَ وَقَالَ أَنَا فَالرجل من كان مع الله في حال قيامه وصحته كحاله في اضطجاعه من المرض والضعف وهو عزيز لهم البحث الشديد في النظر في أفعالهم وأفعال غيرهم معهم من أجل النيات التي بها يتوجهون وإليها ينسبون لشدة مجتهد عنها حتى تخلص لهم الأعمال ويخلصوها من غيرهم ولهذا قيل فيهم النياتيون كما قيل الملامية والصوفية لأحوال خاصة هم عليها فلهم معرفة الهاجس والهمة والعزم والإرادة والقصد وهذه كلها أحوال مقدمة للنية والنية هي التي تكون منه عند مباشرة أفعاله وهي المعبرة في الشرع الإلهي ففيها يبحثون وهي متعلق بالإخلاص وكان عالمنا الإمام سهل بن عبد الله يدقق في هذا الشأن وهو الذي نبه على نقر الخاطر ويقول إن النية هو ذلك الهاجس وأنه السبب الأول في حدوث الهم والعزم والإرادة والقصد فكان يعتمد عليه وهو الصحيح عندنا وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع والثلاثون في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس فعابن منها أموراً أذكرها إن شاء الله)

فالعرش في حقه إن كان إنسان	إن المحقق بالأنفاس رحمان
له العماء وإحسان وإحسان	و إن توجه نحو العين يطلبها
يزوره فيه أنصار و أعوان	مقامه باطن الأعراف يسكنه
كما له من وجود العين إنسان	له من الليل إن حققت آخره
أو لاح باطنه تقول فرقان	إن لاح ظاهره تقول قرآن
فهو الكمال الذي ما فيه نقصان	قد جمع الله فيه كل منقبة

اعلم أيديك الله بروح القدس أن المعلومات مختلفة لأنفسها وأن الإدراكات التي تدرك بها المعلومات مختلفة أيضاً لأنفسها كالمعلومات ولكن من حيث أنفسها وذواتها لا من حيث كونها إدراكات وإن كانت مسألة خلاف عند أرباب النظر وقد جعل الله لكل حقيقة مما يجوز أن يعلم

إدراكا خاصا عادة لا حقيقة أعني محلها وجعل المدرك بهذه الإدراكات لهذه المدركات عينا واحدة وهي ستة أشياء سمع وبصر وشم و لمس وطعم وعقل وإدراك جميعها للأشياء ما عدا العقل ضروري ولكن الأشياء التي ارتبطت بها عادة لا تختص أبدا وقد غلط في هذا جماعة من العقلاء ونسبوا الغلط للحس وليس كذلك وإنما الغلط للحاكم وأما إدراك العقل المعقولات فهو على قسمين منه ضروري مثل سائر الإدراكات ومنه ما ليس بضروري بل يفتقر في علمه إلى أدوات ست منها الحواس الخمس التي ذكرناها ومنها القوة المفكرة ولا يخلو معلوم يصح أن يعلمه مخلوق أن يكون مدركا بأحد هذه الإدراكات وإنما قلنا إن جماعة غلطت في إدراك الحواس فنسبت إليها الأغاليط وذلك أنهم رأوا إذا كانوا في سفينة تجري بهم مع الساحل رأوا الساحل يجري بالساحل يجرى بالسفينة فقد أعطاهم البصر ما ليس بحقيقة ولا معلوم أصلا فإنهم عالمون علما ضروريا أن الساحل لم يتحرك من مكانه ولا يقدر أن يتحرك ما شاهدوه من التحرك وكذلك إذا طعموا سكرًا أو عسلا فوجدوه مرا وهو حلو فعملوا ضرورة أن حاسة الطعم غلطت عندهم ونقلت ما ليس بصحيح والأمر عندنا ليس كذلك ولكن القصور والغلط وقع من الحاكم الذي هو العقل لا من الحواس فإن الحواس إدراكها لما تعطيه حقيقتها ضروري كما إن العقل فيما يدركه بالضرورة لا يخطئ وفيما يدركه بالحواس أو بالفكر قد يغلط فما غلط حس قط ولا ما هو إدراكه ضروري فلا شك أن الحس رأى تحركا بلا شك ووجد طعاما بلا شك فأدرك البصر التحرك بذاته وأدرك الطعم قوة المرارة بذاته وجاء عقل فحكم إن الساحل متحرك وأن السكر مر وجاء عقل آخر وقال إن الخلط الصفراوي قام بحل الطعم فأدرك المرارة وحال ذلك الخلط بين قوة الطعم وبين السكر فاذا ذاق الطعم إلا مرارة الصفراء فقد أجمع العقلاء من الشخصين على أنه أدرك المرارة بلا شك واختلف العقلاء فيما هو المدرك للطعم فإن إن العقل غلط لا الحس فلا ينسب الغلط أبدا في الحقيقة إلا للحاكم لا للشاهد وعندني في هذه المسألة أمر آخر يخالف ما ادعوه وهو أن الحلاوة التي في الحلوى وغير ذلك من الأطعمة ليس هو في المعلوم لأمر إذا بحثت عليه وجدت صحة ما ذهبنا إليه وكذا الحكم في سائر الإدراكات ولو كان في العادة فوق العقل مدرك آخر يحكم على العقل ويأخذ عنه كما يحكم العقل على الحس لغلط أيضا ذلك المدرك الحاكم فيما هو للعقل ضروري وكان يقول إن العقل غلط فيما هو له ضروري فإذا تقرر هذا وعرفت كيف رتب الله المدركات والإدراكات وأن ذلك الارتباط أمر عادي فاعلم إن الله عبادا آخرين خرق لهم العادة في إدراكهم العلوم فمنهم من جعل له إدراك ما يدرك بجميع القوي من المعقولات والمحسوسات بقوة البصر خاصة وآخر بقوة السمع وهكذا بجميع القوي ثم بأمور عرضية خلاف القوي من ضرب وحركة وسكون وغير ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ضرب بيده بين كفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين فدخل في هذا العلم كل معلوم معقول ومحسوس مما يدركه المخلوق فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوي الحسية والمعنوية فلماذا قلنا إن ثم سببا آخر خلاف هذه القوي تدرك به المعلومات وإنما قلنا قد تدرك العلوم بغير قواها المعتادة فحكمنا على هذه الإدراكات لمدركاتها المعتادة بالعادة من أجل المتفرس فينظر صاحب الفراسة في الشخص فيعلم ما يكون منه أو ما خطر له في باطنه أو ما فعل وكذلك الزاجر و

أشباهه وإنما جئنا بهذا كله تأنيسا لما نريد أن ننسبه إلى أهل الله من الأنبياء والأولياء فيما يدركونه من العلوم على غير الطرق المعتادة فإذا أدركوها نسبوا إلى تلك الصفة التي أدركوا بها المعلومات فيقولون فلان صاحب نظر أي بالنظر يدرك جميع المعلومات وهذا ذقتة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفلان صاحب سماع وفلان صاحب طعم وصاحب نفس وأنفاس يعني الشم وصاحب لمس وفلان صاحب معنى وهذا خارج عن هؤلاء بل هو كما يقال في العامة صاحب فكر صحيح فمن الناس من أعطى النظر إلى آخر القوي على قدر ما أعطى وهو له عادة إذا استمر ذلك عليه لأنه مشتق من العود أي يعود ذلك عليه في كل نظرة أو في كل شم ما ثم غير ذلك وكذلك أيضا تعلم إن الأسماء الإلهية مثل هذا وأن كل اسم يعطي حقيقة خاصة ففي قوته أن يعطي كل واحد من الأسماء الإلهية ما تعطيه جميع الأسماء قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وكذلك لو ذكر كل اسم لقال فيه إن له الأسماء الحسنَى وذلك لاحدية المسمى فاعلم ذلك فمن الناس من يختص به الاسم الله فتكون معارفه إلهية ومنهم من يختص به الاسم الرحمن فتكون معارفه رحمانية كما كانت في القوي الكونية يقال فيها معارف هذا الشخص نظرية وفي حق آخر سمعية فهو من عالم النظر وعالم السمع وعالم الأنفاس هكذا تنسب معارفه في الإلهيات إلى الاسم الإلهي الذي فتح له فيه فتدرج فيه حقائق الأسماء كلها فإذا علمت هذا أيضا فاعلم إن الذي يختص بهذا الباب من الأسماء الإلهية لهذا الشخص المعين الاسم الرحمن والذي يختص به من القوي فينسب إليها قوة الشم ومتعلقها الروائح وهي الأنفاس فهو من عالم الأنفاس في نسبة القوي ومن الرحمانين في مراتب الأسماء فنقول إن هذا الشخص المعين في هذا الباب سواء كان زيدا أو عمرا معرفته رحمانية فكل أمر ينسب إلى الاسم الرحمن في كتاب أو سنة فإنه ينسب إلى هذا الشخص فإن هذا الاسم هو الممد له وليس لاسم إلهي عليه حكم إلا بوساطة هذا الاسم على أي وجه كان ولهذا نقول إن الله سبحانه قد أبطن في مواضع رحمته في عذابه ونقمته كالمرضى الذي جعل في عذابه بالمرض رحمته به فيما يكفر عنه من الذنوب فهذه رحمة في نقمة وكذلك من انتقم منه في إقامة الحد من قتل أو ضرب فهو عذاب حاضر فيه رحمة باطنة بها ارتفعت عنه المطالبة في الدار الآخرة كما أنه في نعمته في الدنيا من الاسم المنعم أبطن نقمته فهو ينعم الآن بما به يعذب لبطون العذاب فيه في الدار الآخرة أو في زمان التوبة فإن الإنسان إذا ناب ونظر وفكر فيما تلذذ به من الحرامات تعود تلك الصور المستحضرة عليه عذابا وكان قبل التوبة حين يستحضرها في ذهنه يلتذ بها غاية اللذة فسبحان من أبطن رحمته في عذابه و عذابه في رحمته ونعمته في نقمته ونعمته في نعمته فالبطون أبدا هو روح العين الظاهرة أي شيء كان فهذا الشخص لما كانت معرفته رحمانية وكان الاسم الرحمن استوى على العرش فقال تعالى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كانت همة هذا الشخص عرشية فكما كان العرش للرحمن كانت الهمة لهذه المعرفة محلا لاستوائها فقبل همة عرشية ومقام هذا الشخص باطن الأعراف وهو السور الذي بين أهل السعادة والشقاوة للأعراف رجال سيذكرون وهم الذين لم تقيدهم صفة كأبي يزيد وغيره وإنما كان مقامه باطن الأعراف لأن معرفته رحمانية وهمة عرشية فإن العرش مستوي الرحمن كذلك باطن الأعراف فيه الرحمة كما إن ظاهره فيه العذاب فهذا الشخص له رحمة بالموجودات كلها بالعصاة و

الكفار وغيرهم قال تعالى لسيد هذا المقام وهو محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا على رعل وذكوان وعصية بالعذاب والانتقام فقال عليك بفلان وفلان وذكر ما كان منهم قال الله له إن الله ما بعثك سبأ ولا لعانا ولكن بعثك رحمة فنهى عن الدعاء عليهم وسبهم وما يكرهون وأنزل الله عز وجل عليه وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فعم العالم أي لترحمهم وتدعوني لهم لا عليهم فيكون عوض قوله لعنهم الله تاب الله عليهم وهداهم كما قال حين جرحوه اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون يريد من كذبه من غير أهل الكتاب والمقلدة من أهل الكتاب لا غيرهم فلماذا قلنا في حق هذا الشخص صاحب هذا المقام إنه رحيم بالعصاة والكفار فإذا كان حاكما هذا الشخص وأقام الحد أو كان ممن تتعين عليه شهادة في إقامة حد فشهد به أو أقامه فلا يقيمه إلا من باب الرحمة ومن الاسم الرحمن في حق الحدود والمشهود عليه لا من باب الانتقام وطلب التشفيع لا يقتضيه مقام هذا الاسم فلا يعطيه حاله هذا الشخص قال تعالى في قصة إبراهيم إني أخاف أن يمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ وَمَنْ كَانَ هَذَا مَقَامَهُ وَمَعْرِفَتَهُ وَهَذَا الْأَسْمُ الرَّحْمَنِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَيَعَايِنُ مِنَ الْأَسْرَارِ ذَوْقًا مَا بَيْنَ نِسْبَةِ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى الْعَرْشِ وَمَا بَيْنَ نِسْبَةِ الْأَيْنِ إِلَى الْعَمَاءِ هَلْ هُمَا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ أَوْ يَخْتَلِفُ وَيَعْلَمُ مَا لِلْحَقِّ مِنْ نَعْوَتِ الْجَلَالِ وَاللُّطْفِ مَعَ بَيْنِ الْعَمَاءِ وَالْأَسْتَوَاءِ إِذْ قَدْ كَانَ فِي الْعَمَاءِ وَلَا عَرْشٍ فَيُوصَفُ بِالْأَسْتَوَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ خُلِقَ الْعَرْشُ وَاسْتَوَى عَلَيْهِ بِالْأَسْمِ الرَّحْمَنِ وَاللَّعْرَشِ حَدٌّ يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنَ الْعَمَاءِ الَّذِي هُوَ الْأَسْمُ الرَّحْمَنِ وَاللَّعْرَشِ حَدٌّ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْعَرْشِ وَلَا بَدَّ مِنْ انْتِقَالٍ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ فَمَا كَانَ نَعْتَهُ تَعَالَى بَيْنَ الْعَمَاءِ وَالْعَرْشِ أَوْ بَأْيِ نِسْبَةٍ ظَهَرَ بَيْنَهُمَا إِذْ قَدْ تَمَيَّزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ صَاحِبِهِ بِجَدِهِ وَحَقِيقَتِهِ كَمَا يَتَمَيَّزُ الْعَمَاءُ الَّذِي فَوْقَهُ الْهَوَاءُ وَتَحْتَهُ الْهَوَاءُ وَهُوَ السَّحَابُ الرَّيْقِيُّ الَّذِي يَحْمِلُهُ الْهَوَاءُ الَّذِي تَحْتَهُ وَفَوْقَهُ عَنِ الْعَمَاءِ الَّذِي مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ فَهُوَ عَمَاءٌ غَيْرَ مَحْمُولٍ فَيَعْلَمُ السَّامِعُ أَنَّ الْعَمَاءَ الَّذِي جَعَلَ لِلرَّبِّ أَيْنِيَّةً أَنَّهُ عَمَاءٌ غَيْرَ مَحْمُولٍ ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ فَهَلْ هَذَا الْغَمَامُ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى ذَلِكَ الْعَمَاءِ فَيَكُونُ الْعَمَاءُ حَامِلًا لِلْعَرْشِ وَيَكُونُ الْعَرْشُ مَسْتَوِي الرَّحْمَنِ فَتَجْمَعُ الْقِيَامَةُ بَيْنَ الْعَمَاءِ وَالْعَرْشِ أَوْ هُوَ هَذَا الْمَقَامُ الْمَقْصُودُ الَّذِي فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ فَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ يَعْطِي عِلْمَ ذَلِكَ كُلَّهُ ثُمَّ إِنْ صَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ يَعْطِي أَيْضًا مِنَ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ بِالْأَسْمِ الرَّحْمَنِ نَزُولُ الرَّبِّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَرْشِ يَكُونُ هَذَا النُّزُولُ أَوْ مِنَ الْعَمَاءِ فَإِنَّ الْعَمَاءَ إِنَّمَا وَرَدَ حِينَ وَقَعَ السُّؤَالُ عَنِ الْأَسْمِ الرَّحْمَنِ فَقِيلَ لَهُ أَيْنَ كَانَ رَبَّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ فَقَالَ كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ فَاسْمُ كَانَ الْمَضْمَرُ هُوَ رَبَّنَا وَقَالَ يَنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ فَيَدْلِكُ هَذَا عَلَى إِنْ نَزَلَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ ذَلِكَ الْعَمَاءِ كَمَا كَانَ اسْتَوَاءَهُ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَاءِ فَنَسَبَتْهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعَرْشِ لِأَنَّ فَارِقَ الْعَرْشِ فِي نَزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلَا فَارِقَ الْعَمَاءِ فِي نَزُولِهِ إِلَى الْعَرْشِ وَلَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي هَذَا النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبُ عَلَيْهِ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَاغْفِرْ لَهُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَجِيبَهُ فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ رَحْمَتِهِ وَلَطْفِهِ وَهَذَا حَقِيقَةُ الْأَسْمِ الرَّحْمَنِ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَانزَلت هذه الصفة مع الاسم الرب إلى السماء الدنيا فهو ما أعلمناك به إن كل اسم إلهي يتضمن حكم جميع الأسماء الإلهية من حيث إن المسمى واحد فيعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول الرباني السماوي ما يختص بالاسم

الرحمن منه الذي قال به هل من تائب هل من مستغفر فإن الرحمن يطلب هذا القول بلاشك فهذا حظ ما يعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول بلا واسطة ويعلم نزول الرب من العماء إلى السماء بوساطة الاسم الرحمن لأنه ليس للاسم الرب على صاحب هذا المقام سلطان فإنه كما قلنا الاسم الرحمن فلا يعلم من الاسم الرب ولا غيره أمراً إلا بالاسم الرحمن فيعلم عند ذلك بإعلام الرحمن إياه ما أراد الحق بنزوله من العماء إلى السماء على هذا الوجه هي معرفته ثم مما يختص بعلمه صاحب هذا المقام بوساطة الاسم الرحمن علم قول الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فأتى بياء الإضافة في السعة والعبودية فلم يأخذ من الله إلا قدر ما تعطيه الياء خاصة ويتضمن هذا علمين علماً بما فيه من العناية بعبده المؤمن فيأخذه من الاسم الرحمن بذاته وعلماً بما فيه من سر الإضافة بحرف الياء فيأخذه من الله بترجمة الاسم الرحمن فيعلم إن للسعة هنا المراد بها الصورة التي خلق الإنسان عليها كأنه يقول ما ظهرت أسمائي كلها إلا في النشأة الإنسانية قال تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَي الْأَسْمَاءَ الإلهية التي وجدت عنها الأكران كلها ولم تعطها الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته وإن كان الضمير عندنا متوجهاً أن يعود على آدم فيكون فيه رد على بعض النظائر من أهل الأفكار ويتوجه أن يعود على الله لتخليقه بجميع الأسماء الإلهية فعلمت إن هذه السعة إنما قبلها العبد المؤمن لكونه على الصورة كما قبلت المرأة صورة الرائي دون غيرها مما لا صقالة فيه ولا صفاء ولم يكن هذا للسماء لكونها شفاقة ولا للأرض لكونها غير مصقولة فدل على إن خلق الإنسان وإن كان عن حركات فلكية هي أبوه وعن عناصر قابلة وهي أمه فإن له من جانب الحق أمراً ما هو في آبائه ولا في أمهاته من ذلك الأمر وسع جلال الله تعالى إذ لو كان ذلك من قبل أبيه الذي هو السماء أو أمه التي هي الأرض أو منهما لكان السماء والأرض أولى بأن يسعا الحق بمن تولد عنهما ولا سيما والله تعالى يقول لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يريد في المعنى لا في الجرمية ومع هذا فاختص الإنسان بأمر أعطاه هذه السعة التي ضاق عنها السماء والأرض فلم تكن له هذه السعة إلا من حيث أمر آخر من الله فضل به على السماء والأرض فكل واحد من العالم فاضل مفضول فقد فضل كل واحد من العالم من فضله لحكمة الاقتدار والنقص الذي هو عليه كل ما سوى الله فإن الإنسان إذا زها بهذه السعة وافتخر على الأرض والسماء جاءه قوله تعالى لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وإذا زهت السماء والأرض بهذه الآية على الإنسان جاءه قوله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي فأزال عنه هذا العلم ذلك الزهو والفخر وعنهما وافتقر الكل إلى ربه وانحجب عن زهوه ونفسه وقوله وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يدل على إن بعض الناس يعلم ذلك وعلم هذا من علمه منا من الاسم الرحمن الذي هو له وبه تحقق فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا فَرَحِمَهُ عِنْدَ مَا زَهَا بِعِلْمِ مَا فَضَّلَ بِهِ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَسْمِ الرَّحْمَنِ إِلَّا قَدَرَ مَا كَشَفَ لَهُ مِمَّا فِيهِ دَوَاؤُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ الَّذِي بِهِ فَضَّلَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ هَذَا الْعَبْدُ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْأَسْمِ الرَّحْمَنِ مَا جَادَ بِهِ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ وَلَا تَقُولُ إِنَّ هَذَا طَعْنٌ فِي كَوْنِهِ نَسْخَةً مِنَ الْعَالِمِ بَلْ هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ نَسْخَةٌ جَامِعَةٌ بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِيهِ شَيْئًا مِنَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ مَا وَمِنْ الْأَرْضِ بِوَجْهِهِ مَا وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِوَجْهِهِ مَا لَا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ

لا يقال فيه إنه سماء ولا أرض ولا عرش ولكن يقال فيه إنه يشبه السماء من وجه كذا والأرض من وجه كذا والعرش من وجه كذا وعنصر النار من وجه كذا وركن الهواء من وجه كذا والماء والأرض وكل شيء في العالم فهذا الاعتبار يكون نسخة وله اسم الإنسان كما للسماء اسم السماء ومن علوم صاحب هذا المقام نزول القرآن فرقانا لا قرآناً فإذا علمه قرآناً فليس من الاسم الرحمن وإنما الاسم الرحمن ترجم له عن اسم آخر إلهي يتضمنه الاسم الرحمن وأنه نزل في ليلة مباركة وهي ليلة القدر فعرف بنزوله مقادير الأشياء وأوزانها وعرف بقدره منها كما نزل الرب تعالى في الثلث الباقي من الليل فالليل محل النزول الزماني للحق وصفته التي هي القرآن وكان الثلث الباقي من الليل في نزول الرب غيب محمد صلى الله عليه وسلم وغيب هذا النوع الإنساني فإن الغيب ستر والليل ستر وسمي هذا الباقي من الليل الثلث لأن هذه النشأة الإنسانية لها البقاء دائما في دار الخلود فإن الثلثين الأولين ذهبا بوجود الثلث الباقي أو الآخر من الليل فيه نزل الحق فأوجب له البقاء أيضا وهوليل لا يعقبه صباح أبدا فلا يذهب لكن ينتقل من حال إلى حال ومن دار إلى دار كما ينتقل الليل من مكان إلى مكان أمام الشمس وإنما يفر أمامها ثلثا تذهب عينه إذ كان النور ينافي الظلمة وتنافيه غير أن سلطان النور أقوى فالنور ينفر الظلمة والظلمة لا تنفر النور وإنما هو النور ينتقل فقطظهر الظلمة في الموضع الذي لا عين للنور فيه ألا ترى الحق تسمى بالنور ولم يتسم بالظلمة إذ كان النور وجودا والظلمة عدما وإذا كان النور لا تغالبه الظلمة بل النور الغالب كذلك الحق لا يغالبه الخلق بل الحق الغالب فسمى نفسه نورا فتذهب السماء وهو الثلث الأول من الليل وتذهب الأرض وهو الثلث الثاني من الليل ويبقى الإنسان في الدار الآخرة أبد الأبدين إلى غير نهاية وهو الثلث الباقي من الليل وهو الولد عن هذين الأبوين السماء والأرض فنزل القرآن في الليلة المباركة في الثلث الآخر منها وهو الإنسان الكامل ففرق فيه كل أمر حكيم فتميز عن أبويه بالبقاء نزل به الروح الأمين على قلبك هو محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الشاعر كيف قال في ولد الزنا إنه شر الثلاثة وكذلك ولد الحلال خير الثلاثة من هذا الوجه خاصة فإن الماء الذي خلق منه الولد من الرجل والمرأة أراد الخروج وهو الماء الذي تكون منه الولد وهو الأمر الثالث فحرك لما أراد الخروج الأبوين للنكاح ليخرج وكان تحريكه لهما على غير وجه مرضي شرعا يسمى سفاحا فليل فيه إنه شر الثلاثة أي هو سبب الحركة التي بها انطلق عليهم اسم الشر فجعله ثلاثة أثلاث الأبوان ثلثان والولد ثالث كذلك قسم الليل على ثلاثة أثلاث ثلثان ذهابان وهما السماء والأرض وثلث باق وهو الإنسان وفيه ظهرت صورة الرحمن وفيه نزل القرآن وإنما سميت السماء والأرض ليلا لأن الظلمة لها من ذاتها والإضاءة فيها من غيرها من الأجسام المستتيرة التي هي الشمس وأمثالها فإذا زالت الشمس أظلمت السماء والأرض فهذا يا أخي قد استمدت علوما لم تكن تعرفها قبل هذا وهي علوم هذا الشخص الحق بمنزل الأنفاس وكل ما أدركه هذا الشخص وإنما أدركه من الروائح بالقوة الشمية لا غير وقد رأينا منهم جماعة بإشيلية وبمكة وبالبيت المقدس وفاوضناهم في ذلك مفاوضة حال لا مفاوضة نطق كما أنني فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصري بالبصر فكنت أسأل وأجاب ونسأل ونجيب بمجرد النظر ليس بيننا كلام معناد ولا اصطلاح بالنظر أصلا لكن كنت إذا نظرت إليه علمت جميع ما يريد مني وإذا نظرت إلى علم جميع ما يريد منه فيكون نظره

إلي سؤالاً أو جواباً ونظري إليه كذلك فنحصل علوماً جمّة بيننا من غير كلام ويكفي هذا القدر من بعض علم هذا الشخص فإن علومه كثيرة أحطنا بها فمن أراد أن يعرف مما ذكرناه شيئاً فليعلم الفرق بين في قوله كان في عماء وبين استوى في قوله الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ولم يقل في كما قال في السماء وفي الليل وتبين لك في كل ما ذكرناه مقام جمع الجمع ومقام التفرقة ومقام تمييز المراتب وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء التاسع عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس والثلاثون في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته رضي الله عنه)

كحاله بعد موت الجسم و الروح	العبد من كان في حال الحياة به
نورا كإشراق ذات الأرض من بوح	والعبد من كان في حال الحجاب به
كما الحياة لها الدعوى بتصریح	فحالة الموت لا دعوى تصاحبها
تلك الدعاوي بإيماء و تلويح	في حق قوم و في قوم تكون لهم
و زنا تنزه عن نقص و ترجيح	فإن فهمت الذي قلناه قمت به
و لا سبيل إلى طعن و تجريح	و كنت ممن تركيه حقائقه
دار السؤال بصدور غير مشروح	وإن جهلت الذي قلناه جئت إلى

اعلم أيديك الله بروح القدس أن هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس أي شخص كان فإن حاله بعد موته يخالف سائر أحوال الموتى فلنذكر أولاً حصر ما أخذ أهل الله العلوم من الله كما قررناه في الباب قبل هذا ولنذكر ما لهم وآثار تلك المآخذ في ذواتهم فلنقل اعلم يا أخي أن علم أهل الله المأخوذ من الكشف إنه على صورة الإيمان سواء فكل ما يقبله الإيمان عليه يكون كشف أهل الله فإنه حق كله والمخبر به وهو النبي صلى الله عليه وسلم مخبر به عن كشف صحيح وذوات العلماء بالله تعالى تكون على صفة الشيء الذي تأخذ منه العلم بالله أي شيء كان واعلم أن الصفات على نوعين صفات نفسية و صفات معنوية فالصفات المعنوية في الموصوف هي التي إذا رفعتها عن الذات الموصوفة بها لم ترتفع الذات التي كانت موصوفة بها والصفات النفسية هي التي إذا رفعتها عن الموصوف بها ارتفع الموصوف بها ولم يبق له عين في الوجود العيني ولا في الوجود العقلي حيث ما رفعتها ثم إنه ما من صفة نفسية للموصوف التي هي ليست بشيء زائد على ذاته إلا ولها صفة نفسية بها يمتاز بعضها عن بعض فإنه قد تكون ذات الموصوف مركبة من صفتين نفسيتين إلى ما فوق ذلك وهي الحدود الذاتية وهنا باب معلق لو فتحناه لظهر ما يذهب بالعقول ويزيل الثقة بالمعلوم وربما كان يؤول الأمر في ذلك إلى أن يكون السبب الأول من صفات نفس الممكثات كما

أنتك إذا جعلت السبب شرطاً في وجود المشروط و رفعت الشرط ارتفع المشروط بلا شك و لا يلزم العكس فهذا يطرد و لا يعكس
فتركاه مقلالمن يجد مفتاحه فيفتحه وإذا كان الأمر عندنا وعند كل عاقل بهذه المثابة فقد علمت إن الصفات معان لا تقوم بأنفسها و ما لها
ظهور إلا في عين الموصوف و الصفات النفسية معان و هي عين الموصوف و المعاني لا تقوم بأنفسها فكيف تكون هي عين الموصوف لا غيره
فيوصف الشيء بنفسه و صار قائماً بنفسه من حقيقته ألا يقوم بنفسه فإن كل موصوف هو مجموع صفاته النفسية و الصفات لا تقوم بأنفسها
و ما ثم ذات غيرها تجمعها و تظهر و قد نبهت على أمر عظيم لتعرف لما ذا يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم و يتبين لك أن العلم
الصحيح لا يعطيه الفكر و لا ما قرره العقلاء من حيث أفكارهم و أن العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم و هو نور إلهي يختص
به من يشاء من عباده من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و من لا تكشف له لا علم له و لهذا جاءت الرسل و التعريف الإلهي بما تحيله العقول
فتضطر إلى التأويل في بعضها لتقبله و تضطر إلى التسليم و العجز في أمور لا تقبل التأويل أصلاً و غايته أن يقول له وجه لا يعلمه إلا الله لا تبلغه
عقولنا و هذا كله تأنيس للنفس لا علم حتى لا ترد شيئاً مما جاءت به النبوة هذا حال المؤمن العاقل و أما غير المؤمن فلا يقبل شيئاً من ذلك و
قد وردت أخبار كثيرة مما تحيلها العقول منها في الجناب العالي و منها في الحقائق و انقلاب الأعيان فأما التي في الجناب العالي فما وصف الحق
به نفسه في كتابه و على لسان رسوله مما يجب الإيمان به و لا يقبله العقل بدليله على ظاهره إلا إن تأوله بتأويل بعيد فإيمانه إنما هو بتأويله لا بالخبر
و لم يكن له كشف إلهي كما كان للنبي فيعرف مراد الحق في ذلك الخبر فوصف نفسه سبحانه بالظرفية الزمانية و المكانية و وصفه بذلك
رسوله صلى الله عليه و سلم و جميع الرسل و كلهم على لسان واحد في ذلك لأنهم يتكلمون عن إله واحد و العقلاء أصحاب الأفكار
اختلفت مقالاتهم في الله تعالى على قدر نظرهم فالإله الذي يعبد بالعقل مجرداً عن الإيمان كأنه بل هو إله موضوع بحسب ما أعطاه نظر ذلك
العقل فاختلفت حقيقته بالنظر إلى كل عقل و تقابلت العقول و كل طائفة من أهل العقول تجهل الأخرى بالله و إن كانوا من النظائر الإسلاميين
المتأولين فكل طائفة تكفر الأخرى و الرسل صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد صلى الله عليه و سلم ما نقل عنهم اختلاف فيما ينسبونهم إلى
الله من النعوت بل كلهم على لسان واحد في ذلك و الكتب التي جاءت بها كلها تنطق في حق الله بلسان واحد ما اختلف منهم اثنان يصدق
بعضهم بعضاً مع طول الأزمان و عدم الاجتماع و ما بينهم من الفرق المنازعين لهم من العقلاء ما اختلف نظامهم و كذلك المؤمنون بهم على
بصيرة المسلمون المسلمون الذين لم يدخلوا نفوسهم في تأويل فهم أحد رجلين إما رجل آمن و سلم و جعل علم ذلك إليه إلى أن مات و هو المقلد
و إما رجل عمل بما علم من فروع الأحكام و اعتقد الإيمان بما جاءت به الرسل و الكتب فكشف الله عن بصيرته و صيره ذا بصيرة في شأنه
كما فعل بنبيه و رسوله صلى الله عليه و سلم و أهل عناية فكشف و أبصر و دعا إلى الله عز و جل على بصيرة كما قال الله تعالى في حق
نبيه صلى الله عليه و سلم مخبراً له أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و هؤلاء هم العلماء بالله العارفين و إن لم يكونوا رسلاً و أنبياء
فهم على بينة من ربهم في علمهم به و بما جاء من عنده و كذلك و وصف نفسه بكثير من صفات المخلوقين من المجيء و الإتيان و التجلي

للأشياء والحدود والحجب والوجه والعين والأعين واليدين والرضي والكرهية والغضب والفرح والتبشيش وكل خبر صحيح ورد في كتاب وسنة والأخبار أكثر من أن تحصى مما لا يقبلها إلا مؤمن بها من غير تأويل أو بعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويل أضطره إليه إيمانه فانظر مرتبة المؤمن ما أعزها ومرتبة أهل الكشف ما أعظمها حيث ألحقت أصحابها بالرسول والأنبياء عليهم السلام فيما خصوا به من العلم الإلهي لأن العلماء ورثة الأنبياء وما ورثوا دينارا ولا درهما بل ورثوا العلم يقول صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة فمن كان عنده شيء من هذه الدنيا فليوقفه صدقة على من يراه من الأقربين إلى الله فهو النسب الحقيقي أو يهد فيه ولا يترك شيئا يورث عنه إن أراد أن يلحق بهم ولا يرث أحدا فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظ الوافر فهذا بعض ما ورد علينا من الله عز وجل في الله تعالى من الأوصاف وأما في قلب الحقائق فلا خلاف بين العقلاء في أنه لا يكون ودل دليل العقل القاصر من جهة فكره ونظره لا من جهة إيمانه وقبوله إذ لا عقل من الرسل وأهل الله إن الأعيان لا تنقلب حقيقة في نفسها وإن الصفات والأعراض في مذهب من يقول إنها أعيان موجودة لا تقوم بأنفسها ولا بد لها من محل قائم بنفسه أو غير قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه ولا بد ومثال الأول السواد مثلا أو أي لون كان لا يقوم إلا بمحل يقال فيه لقيام السواد به أسود ومثال الثاني كالسواد المشرق مثلا فالسواد هو المشرق فإنه نعت له فهذا معنى قولي أو غير قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه وهذه مسألة خلاف بين النظائر هل يقوم المعنى بالمعنى فمن قائل به وما من ذلك وقد ثبت أن جميع الأعمال كلها أعراض وإنها تفني ولا بقاء لها وإنه ليس لها عين موجودة بعد ذهابها ولا توصف بالانتقال وإن الموت إما عرض موجود في الميت في مذهب بعض النظائر وإما نسبة افتراق بعد اجتماع وكذا جميع الأكوان في مذهب بعضهم وهو الصحيح الذي يقتضيه الدليل وعلى كل حال فإنه لا يقوم بنفسه ووردت الأخبار النبوية بما يناقض هذا كله مع كوننا مجمعين على إن الأعمال أعراض أو نسب فقال الشارع وهو الصادق صاحب العلم الصحيح والكشف الصريح إن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح يعرفه الناس ولا ينكره أحد فيذبح بين الجنة والنار روى أن يحيى ع هو الذي يضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون إليه وورد أيضا في الخبر أن عمل الإنسان يدخل معه في قبره في صورة حسنة أو قبيحة فيسأله صاحبه فيقول أنا عمك وأن مانع الزكاة يأتيه ماله شجاعا أقرع له زبيتان وأمثال هذا في الشرع لا تخصي كثرة فأما المؤمنون فيؤمنون بهذا كله من غير تأويل وأما أهل النظر من أهل الإيمان وغيرهم فيقولون حمل هذا على ظاهره محال عقلا وله تأويل فيتاؤلونه بحسب ما يعطيهم نظرهم فيه ثم يقولون أهل الإيمان منهم عقيب تأويلهم والله أعلم يعني في ذلك التأويل الخاص الذي ذهب إليه هل هو المراد لله أم لا وأما حملة على ظاهره فمحال عندهم جملة واحدة والإيمان إنما يتعلق بلفظ الشارع به خاصة هذا هو اعتقاد أهل الأفكار وبعد أن بينا لك هذه الأمور ومراتب الناس فيها فإنها من هذا الباب الذي نحن بصدده فاعلم أنه ما ثم إلا ذوات أوجدها الله تعالى فضلا منه عليها قائمة بأنفسها وكل ما وصفت به فنسب وإضافات بينها وبين الحق من حيث ما وصفت فإذا أوجد الموجد قيل فيه إنه قادر على الإيجاد ولولا ذلك ما أوجد وإذا خصص الممكن بأمر دون غيره مما يجوز أن يقوم به قيل مرید ولولا ذلك ما خصصه بهذا دون

غيره و سبب هذا كله إنما تعطيه حقيقة الممكن فالممكنات أعطت هذه النسب فافهم إن كنت ذا لب ونظر إلهي وكشف رحماني وقد قررنا في الباب الذي قبل هذا أن مأخذ العلوم من طرق مختلفة وهي السمع والبصر والشم واللمس والطعم والعقل من حيث ضرورياته و هو ما يدركه بنفسه من غير قوة أخرى و من حيث فكره الصحيح أيضا مما يرجع إلى طرق الحواس أو الضروريات والبدهييات لا غير فذلك يسمى علما و الأمور العارضة الحاصل عنها العلوم أيضا ترجع إلى هذه الأصول لا تنفك عنها وإنما سميت عوارض من أجل أن العادة في إدراك الألوان إن اللمس لا يدركها وإنما يدركها البصر فإذا أدركها الأكمه باللمس وقد رأينا ذلك فقد عرض لحاسة اللمس ما ليس من حقيقتها في العادة أن تدركه وكذلك سائر الطرق إذا عرض لها درك ما ليس من شأنها في العادة أن يدرك بها يقال فيه عرض لها وإنما فعل الله هذا تنبيها لنا أنه ما ثم حقيقة كما يزعم أهل النظر لا ينفذ فيها الاقتدار الإلهي بل تلك الحقيقة إنما هي بجعل الله لها على تلك الصورة وإنما ما أدركت الأشياء المربوط إدراكها بها من كونها بصرا و لا غير ذلك يقول الله بل جعلنا فيدرك جميع العلوم كلها بحقيقة واحدة من هذه الحقائق إذا شاء الحق فلهذا قلنا عرض لها إدراك ما لم تجر العادة بإدراكها إياه فتعلم قطعاً أنه عز وجل قد يكون مما يعرض لها أن تعلم وترى من ليس كمثل شيء و إن كانت الإدراكات لم تدرك شيئاً قط إلا و مثله أشياء كثيرة من جميع المدركات و لم ينف سبحانه عن إدراكه قوة من القوي التي خلقها إلا البصر فقال لا تُدركهُ الأبصارُ فمَنع ذلك شرعاً و ما قال لا يدركه السمع و لا العقل و لا غيرهما من القوي الموصوف بها الإنسان كما لم يقل أيضا إن غير البصر يدركه بل ترك الأمر مبهما و أظهر العوارض التي تعرض لهذه القوي في معرض التنبيه أنه ربما وضع ذلك في رؤيتنا من ليس كمثل شيء كما رأينا أول مرئي و سمعنا أول مسموع و شمنا أول مشموم و طعمنا أول مطعوم و لمسنا أول ملموس و عقلنا أول معقول مما لم يكن له مثل عندنا و إن كان له أمثال في نفس الأمر و لكن في أولية الإدراك سر عجيب في نفي المماثلة له فقد أدرك المدرك من لا مثل له عنده فيقيسه عليه و كون ذلك المدرك يقبل لذاته المثل أو لا يقبله حكم آخر زائد على كونه مدركا لا يحتاج إليه في الإدراك إن كنت ذا فطنة بل نقول إن التوسع الإلهي يقتضي أن لا مثل في الأعيان الموجودة و أن المثلية أمر معقول متوهم فإنه لو كانت المثلية صحيحة ما امتاز شيء عن شيء مما يقال هو مثله فذلك الذي امتاز به الشيء عن الشيء هو عين ذلك الشيء و ما لم يمتاز به عن غيره فما هو إلا عين واحدة فإن قلت رأينا مفترقا مفارقا ينفصل هذا عن هذا مع كونه مماثلة في الحد و الحقيقة يقال له أنت الغالط فإن الذي وقع به الانفصال هو المعبر عنه بأنه تلك العين و ما لم يقع به الانفصال هو الذي توهمت أنه مثل وهذا من أغض مسائل هذا الباب فما ثم مثل أصلا و لا يقدر على إنكار الأمثال و لكن بالحدود لا غير و لهذا انطلق المثلية من حيث الحقيقة الجامعة المعقولة لا الموجودة فالأمثال معقولة لا موجودة فنقول في الإنسان إنه حيوان ناطق بلاشك و أن زيدا ليس هو عين عمرو و من حيث صورته و هو عين عمرو و من حيث إنسانيته لا غيره أصلا و إذا لم يكن غيره في إنسانيته فليس مثله بل هو هو فإن حقيقة الإنسانية لا تتبع بل هي في كل إنسان بعينها لا يجوزيتها فلا مثل لها و هكذا جميع الحقائق كلها فلم تصح المثلية إذا جعلتها غير عين المثل فزيد ليس مثل عمرو و من حيث إنسانيته بل هو هو و ليس زيد مثل عمرو في صورته فإن الفرقان

بينهما ظاهر ولولا الفارق لالتبس زيد بعمره ولم تكن معرفة بالأشياء فما أدرك المدرك أي شيء أدرك إلا من ليس كمثل شيء وذلك لأن الأصل الذي نرجع إليه في وجودنا وهو الله تعالى ليس كمثل شيء فلا يكون ما يوجد عنه إلا على حقيقة أنه لا مثل له فإنه كيف يخلق ما لا تعطيه صفته وحقيقته لا تقبل المثل فلا بد أن يكون كل جوهر فرد في العالم لا يقبل المثل إن كنت ذا فطنة ولب فإنه ليس في الإله حقيقة تقبل المثل فلو كان قبول المثل موجودا في العالم لاستند في وجوده من ذلك الوجه إلى غير حقيقة إلهية وما ثم موجد إلا الله ولا مثل له فما في الوجود شيء له مثل بل كل موجود متميز عن غيره بحقيقة هو عليها في ذاته وهذا هو الذي يعطيه الكشف والعلم الإلهي الحق فإذا أطلقت المثل على الأشياء كما قد تقرر فاعلم أنني أطلق ذلك عرفا قال تعالى أمم أمثالكم أي كما انطلق عليكم اسم الأمة كذلك ينطلق اسم أمة على كل دابة و طائر يطير بجناحيه وكما إن كل أمة وكل عين في الوجود ما سوى الحق تقتصر في إيجادها إلى موجد تقول بتلك النسبة في كل واحد إنه مثل للآخر في الافتقار إلى الله وبهذا يصح قطعاً إن الله ليس كمثل شيء بزيادة الكاف أو بفرض المثل فإنك إذا عرفت أن كل محدث لا يقبل المثلية كما قررناه لك فالحق أولى بهذه الصفة فلم تنق المثلية الواردة في القرآن وغيره إلا في الافتقار إلى الله الموجد أعيان الأشياء ثم ارجع وأقول إن كل واحد من أهل الله لا يخلو أن يكون قد جعل الله علم هذا الشخص بالأشياء في جميع القوي أو في قوة بعينها كما قررنا إما في الشم وهو صاحب علم الأنفاس وإما في النظر فيقال هو صاحب نظر وإما في الضرب وهو من باب اللمس بطريق خاص ولذلك كفي عن ذلك بوجود برد الأنامل فينسب صاحب تلك الصفة التي بها تحصل العلوم إليها فيقال هو صاحب كذا كما قررنا إن الصفة هي عين الموصوف في هذا الباب أعني الصفة النفسية فكما رجع المعنى الذي يقال فيه إنه لا يقوم بنفسه صورة قائمة بنفسها رجعت الصورة التي هي هذا العالم معنى لتحققه بذلك المعنى وتألفه به كما تألفت هذه المعاني فصار من تأليفها ذات قائمة بنفسها يقال فيها جسم وإنسان وفرس ونبات فافهم فيصير صاحب علم الذوق ذوقاً وصاحب علم الشم شماً ومعنى ذلك أنه يفعل في غيره ما يفعل الذوق فيه إن كان صاحب ذوق أو ما فعل الشم فيه إن كان صاحب شم فقد التحق في الحكم بمعناه و صار هو في نفسه معنى يدرك به المدرك الأشياء كما يدرك الرائي بالنظر في المرأة الأشياء التي لا يدركها في تلك الحالة إلا بالمرآة كان للشيخ أبي مدين ولد صغير من سوداء وكان أبو مدين صاحب نظر فكان هذا الصبي وهو ابن سبع سنين ينظر ويقول أرى في البحر في موضع صفته كذا وكذا سفنا وقد جرى فيها كذا وكذا فإذا كان بعد أيام وتجيء تلك السفن إلى بحاية مدينة هذا الصبي التي كان فيها يوجد الأمر على ما قاله الصبي فيقال للصبي بما ذا ترى فيقول بعيني ثم يقول لا إنما أراه بقلي ثم يقول لا إنما أراه بالمرآة إذا كان حاضراً ونظرت إليه رأيت هذا الذي أخبركم به وإذا غاب عني لأرى شيئاً من ذلك ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى في العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه يقول فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به والحديث فيه يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش ويسعى فهذا معنى قولنا يرجع الحق بمثل صورة معنى ما تحقق به فكان ينظر بأبيه كما ينظر الإنسان بعينه في المرأة فافهم وهكذا كل صاحب طريق من طرق هذه القوي وقد يجمع الكل واحد فيرى بكل قوة ويسمع بكل قوة ويشم بكل قوة وهو أتم

الجماعة وأما أحوالهم بعد موتهم فعلى قدر ما كانوا عليه في الدنيا من التفرغ لأمر ما معين أو أمور مختلفة على قدر ما تحققوا به في التفرغ له و هم في الآخرة على قدر أحوالهم في الدنيا فمن كان في الدنيا عبدا محضاً كان في الآخرة ملكاً محضاً ومن كان في الدنيا يتصف بالملك ولو في جوارحه أنها ملك له نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما استوفاه في الدنيا ولو أقام العدل في ذلك و صرفه فيما أوجب الله عليه أن يصرفه فيه شرعا و هو يرى أنه مالك لذلك لغفلة طرأت منه فإن وبال ذلك يعود عليه و يؤثر فيه فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق والحقيقة ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه ولو كان مصفوعاً في الدنيا ولا أريد بعز الدنيا أن يكون فيها ملكاً إلا أن يكون صفة في نفسه العزة وكذلك الذلة وأما أن يكون في ظاهر الأمر ملكاً أو غير ذلك فما نبالي في أي مقام وفي أي حال أقام الحق عبده في ظاهره وإنما المعتبر في ذلك حاله في نفسه ذكر عبد الكريم بن هوازن القشيري في بعض كتبه وغيره عن رجل من الناس أنه دفن رجلاً من الصالحين فلما جعله في قبره نزع الكفن عن خده ووضع خده على التراب ففتح الميت عينيه وقال له يا هذا أتذللني بين يدي من أعزني فتعجب من ذلك وخرج من القبر ورأيت أنا مثل هذا لعبد الله صاحب الحبشي في قبره وراه غاسله وقد هاب أن يغسله في حديث طويل ففتح عينيه في الغسل وقال له اغسل فمّن أحوالهم بعد الموت أنهم أحياء بالحياة النفسية التي بها يسبح كل شيء ومن كانت له همة بمعبده في حال عبادته في حياته بحيث أن يكون يحفظها من الداخل فيها حتى لا يتغير عليه الحال إن كان صاحب نفس فإذا مات ودخل أحد بعده معبده ففعل فيه ما لا يليق بصاحبه الذي كان يعمره ظهرت فيه آية وهذا قد روينا في حكاية عن أبي يزيد البسطامي كان له بيت يتعبد فيه يسمى بيت الأبرار فلما مات أبو يزيد بقي البيت محفوظاً محترماً لا يفعل فيه إلا ما يليق بالمساجد فاتفق أنه جاء رجل فبات فيه قيل وكان جنبا فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة ففر من البيت فما كان يدخله أحد فيفعل فيه ما لا يليق إلا رأى آية فينبقى أثر مثل هذا الشخص بعد موته يفعل مثل ما كان يفعله في حياته سواء وقد قال بعضهم وكان محبا في الصلاة يا رب إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فاجعلي ذلك فرثي وهو يصلي في قبره وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه بقبر موسى ع فرآه وهو يصلي في قبره ثم عرج به إلى السماء و ذكر الإسراء وما جرى له فيه مع الأنبياء ورأى موسى في السماء السادسة وقد رآه وهو يصلي في قبره فمّن أحوال هذا الشخص بعد موته مثل هذه الأشياء لا فرق في حقه بين حياته وموته فإنه كان في زمان حياته في الدنيا في صورة الميت حاله الموت فجعله الله في حال موته كمن حاله الحياة جزاء وفاقا ومن صفات صاحب هذا المقام في موته إذا نظر الناظر إلى وجهه وهو ميت يقول فيه حي وإذا نظر إلى مجس عروقه يقول فيه ميت فيحار الناظر فيه فإن الله جمع له بين الحياة والموت في حال حياته وموته وقد رأيت ذلك لوالدي رحمه الله يكاد إنا ما دفناه إلا على شك مما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء ومما كان من سكن عروقه وانقطاع نفسه من صورة الأموات وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوماً أخبرني بموته وأنه يموت يوم الأربعاء وكذلك كان فلما كان يوم موته وكان مريضاً شديداً المرض استوى قاعداً غير مستند وقال لي يا ولدي اليوم يكون الرحيل واللقاء فقلت له كتب الله سلامتكم في سفرك هذا وبارك لك في لقاءك وفرح بذلك وقال لي جزاك الله يا ولدي

عني خيرا كل ما كنت أسمعك منك تقوله ولا أعرفه وربما كنت أنكرك بعضه هوذا أنا أشهده ثم ظهرت على جبينه لمعة بيضاء تخالف لون جسده من غير سوء له نور يتلألأ قشعر بها الوالد ثم إن تلك اللمعة انتشرت على وجهه إلى أن عمت بدنه فقبلته ووادعته وخرجت من عنده وقلت له أنا أسير إلى المسجد الجامع إلى أن يأتيني نعيك فقال لي رح ولا تترك أحدا يدخل علي وجمع أهله وبناته فلما جاء الظهر جاءني نعيه فجمت إليه فوجدته على حالة يشك الناظر فيه بين الحياة والموت وعلى تلك الحالة دفناه وكان له مشهد عظيم فسبحان من يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ فَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ حَيَاتِهِ وَمَوْتُهُ سَوَاءٌ وَكُلُّ مَا قَدِمْنَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْعِلْمِ هُوَ عِلْمُ صَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ فَإِنَّهُ مِنْ عِلْمِ الْأَنْفَاسِ وَهَذَا ذَكَرْنَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس والثلاثون في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم)

و شفى من علة الحجب	كل من أحيا حقيقته
عندنا شيء من الرب	فهو عيسى لا يناط به
رتبة تسمو على الرتب	فلقد أعطت سجيته
في صريح الوحي والكتب	بنعوت القدس تعرفه
صفة في سالف الحقب	لم ينلها غير وارثه
في أعاجم و في عرب	فسرت في الكون همته
و بها إزالة النوب	فبها تحيا نفوسهمو

اعلم أيديك الله أنه لما كان شرع محمد صلى الله عليه وسلم تضمن جميع الشرائع المتقدمة وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررتة الشريعة المحمدية فبتقريرها ثبتت قاعدتنا بها نفوسنا من حيث إن محمدا صلى الله عليه وسلم قررها لا من حيث إن النبي المخصوص بها في وقته قررها فلهذا أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فإذا عمل المحمدي وجميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجن محمدي ليس في العالم اليوم شرع إلهي سوى هذا الشرع المحمدي فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمة إن يصادف في عمله فيما يفتح له منه في قلبه و طريقه ويتحقق به طريقة من طرق نبي من الأنبياء المتقدمين مما تتضمنه هذه الشريعة وقررت طريقته وصحبته نتيجته فإذا فتح له في ذلك فإنه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة فيقال فيه عيسوي أو موسوي أو إبراهيمي وذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف وظهر له من المقام من جملة ما هو تحت حيلة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيتميز بتلك النسبة أو بذلك النسب من غيره ليعرف أنه ما ورث من محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حيا واتبعه ما ورث إلا ذلك منه ولما تقدمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا العارف وارثا إذ كان الورث للآخر من الأول فلو لم يكن لذلك الأول شرع مقرر قبل تقرير محمد صلى الله عليه وسلم لساويننا الأنبياء و

الرسول إذ جمعنا زمان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما يساويها اليوم الياس والخضر وعيسى إذا نزل فإن الوقت يحكم عليه إذ لا نبوة تشريع بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة أنه محمدي إلا للشخصين إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله فيقال فيه محمدي وإما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام كأبي يزيد وأمثاله فهذا أيضا يقال فيه محمدي وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء ولهذا ورد في الخبر أن العلماء ورثة الأنبياء ولم يقل ورثة نبي خاص والمخاطب بهذا علماء هذه الأمة وقد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم وفي رواية كأنياء بنى إسرائيل فالعيسويون الأول هم الحواريون أتباع عيسى فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه وانفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة ما كان قبل هذا شرعا لعيسى ع فيرث من عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب ثم يرث من عيسى عليه السلام في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ميراث تابع من تابع لا من متبوع وبينهما في الذوق فرقان ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الشخص أن له الأجر مرتين كذلك له ميراثان وفتحان وذوقان مختلفان ولا ينسب فيهما إلا إلى ذلك النبي ع فهو له هم العيسويون الثواني وأصولهم توحيد التجريد من طريق المثال لأن وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذكر بشري وإنما كان عن تمثل روح في صورة بشر ولهذا غلب على أمة عيسى بن مريم دون سائر الأمم القول بالصورة فيصورون في كائنهم مثلا ويتعبدون في أنفسهم بالتوجه إليها فإن أصل نبيهم ع كان عن تمثل فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن ولما جاء شرع محمد صلى الله عليه وسلم ونهى عن الصور وهو صلى الله عليه وسلم قد حوى على حقيقة عيسى وانطوى شرعه في شرعه فشرع لنا صلى الله عليه وسلم أن نعبد الله كأننا نراه فأدخله لنا في الخيال وهذا هو معنى التصوير إلا أنه نهى عنه في الحس أن يظهر في هذه الأمة بصورة حسية ثم إن هذا الشرع الخاص الذي هو عبد الله كأنك تراه ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم لنا بلا واسطة بل قاله لجبريل عليه السلام وهو الذي تمثل لمريم بشرا سويًا عند إيجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل في المثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة فكنا نحن المرادين بذلك القول ولهذا جاء في آخر الحديث هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا وفي رواية جاء ليعلم الناس دينهم وفي رواية أتاكم يعلمكم دينكم فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين بالتعليم ثم تعلم إن الذي لنا من غير شرع ع قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذا من أصولهم وكان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله عيسويًا في نهايته وهي كانت بدايتنا أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي ثم بعد ذلك نقلنا إلى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى جميع النبيين عليهم السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم هكذا كان أمرنا في هذا الطريق ثبته الله علينا ولا حاد بنا عن سواء السبيل فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي أنشأنا الله عليها في هذا الطريق وجه الحق في كل شيء فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا ولنا فيه شهود عين حق نعظمه منه فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي وفي زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس عليه السلام يحبون وهم منقطعون عن الناس فأما القوم الذين هم من قوم يونس فرأيت أثر

قدم واحد منهم بالساحل كان صاحبه قد سبقني بقليل فشبرت قدمه في الأرض فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا بشبري و
أخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية وجاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين و
خمسائة وهي السنة التي كما فيها وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الإفريج فكان كما قال ما غادر حرفا وأما الذي في الزمان من أصحاب
عيسى فهو ما روينا من حديث عريشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوقمي الخبوشاني كتابة قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل
العباسي الطوسي أنا أبو الحسن علي بن أبي الفضل الفارمدي إنا أحمد بن الحسين بن علي قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عمر و
عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد إملاء ثنا يحيى بن أبي طالب ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر
قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليغز على ضواحيها
قال فوجه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا على ضواحيها وأصابوا غنيمة و سبيا فأقبلوا يسوقون
الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر وكادت الشمس أن تغرب فالجأ نضلة السبي والغنيمة إلى سفح الجبل ثم قام فاذن فقال الله أكبر الله
أكبر قال و مجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة وقال أشهد أن محمدا رسول
الله فقال هو الدين وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليهما السلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن
مشى إليها وواظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال قد أفلح من أجاب محمدا صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لأمته قال الله أكبر الله أكبر
قال كبرت كبيرا قال لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص يا نضلة فحرم الله جسدي على النار قال فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من أنت
يرحمك الله أمك أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله أسمعنا صوتك فارنا شخصك فإننا وفد الله وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد عمر بن الخطاب قال فانلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله و
بركاته فقلنا و عليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما
السلام أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصرى ما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم قلنا قبض فبكى بكاء طويلا حتى خضب لحيته بالدموع ثم قال فمن قام فيكم بعده قلنا أبو بكر قال ما فعل قلنا قبض
قال فمن قام فيكم بعده قلنا عمر قال إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأقرءوا عمر مني السلام وقولوا يا عمر سدد وقارب فقد دنا
الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب إذا استغنى
الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا في غير مناسبتهم واتموا إلى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم و
ترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به وترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم وكان المطر قيظا والولد
غيظا و طولوا المنابر و فضضوا المصاحف و زخرفوا المساجد وأظهروا الرشي وشيدوا البناء و اتبعوا الهوى و باعوا الدين بالدنيا و

استخفوا الدماء وتقطعت الأرحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار التسايط فخرا والغني عزا وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه وركبت النساء السروح قال ثم غاب عنا فكتب بذلك نضلة إلى سعد وكتب سعد إلى عمر فكتب عمر أنت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزل هذا الجبل فإذا لقيته فأقرئه مني السلام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلم يجد لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك ابن أنس والمعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر عن نافع وابن الأزهر مجهول قال أبو عبد الله الحاكم لم يسمع بذكر ابن الأزهر في غير هذا الحديث والسؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر هو من حديث ابن طبيعة عن ابن الأزهر قلنا هذا الحديث وإن تكلم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفا وقوله في زخرفة المساجد وتفضيض المصاحف ليسا على طريق الذم وإنما هما دلالة على اقتراب الساعة وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى ع وخروج المهدي وطلوع الشمس من مغربها معلوم كل ذلك إنه ليس على طريق الذم وإنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة ومحمودة هذا الوصي العيسوي بن برثلام يزل في ذلك الجبل يتعبد لا يعاشر أحدا وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى ذلك الراهب بقي على أحكام النصراني لا والله فإن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة يقول صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني وهذا عيسى إذا نزل ما يؤمنا إلا منا أي بسنتنا ولا يحكم فينا إلا بشرنا فهذا الراهب ممن هو على بينة من ربه علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الطريق التي اعتادها من الله وهذا عندنا ذوق محقق فإننا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه وسلم المقررة في شرعه عند علماء الرسوم وما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق ووجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا ومن تلك الطريق نصح الأحاديث النبوية ونردها أيضا إذا أعلمنا أنها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن قرر الشارع حكم المجتهد وإن أخطأ ولكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوصي من الأفراد وطريقه في مآخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا وإن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح فإن ذلك لا يقدر في العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أعطى الولاية من غير مسألة إن الله يعينه عليها وإن الله يبعث إليه ملكا يسدده يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به قال الخضر وما فعلته عن أمرٍي وقال عليه السلام إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر ثم إنه قد ثبت عندنا إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق وانفردوا برهبهم فقال ذروهم وما انقطعوا إليه فأتى بلفظ مجمل ولم يأمرنا بأن ندعوهم لعلمه صلى الله عليه وسلم أنهم على بينة من ربهم وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالتبليغ وأمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب فلولا ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الخضر وغيره ما كان كلامه هذا ولا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة وهو الصادق في دعواه صلى الله عليه وسلم أنه بعث إلى الناس كافة كما ذكر الله تعالى فيه فعمت رسالته

جميع الخلق وروح هذا التعريف أنه كل من أدركه زمانه وبلغت إليه دعوته لم يتعبده الله إلا بشرعه فإننا نعلم قطعاً أنه صلى الله عليه وسلم ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه فما هو إلا الوجه الذي ذكرنا وهذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام إلى زمان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم تعبد الله هذا الراهب بشرعه صلى الله عليه وسلم وعلمه من لدنه علماً بالرحمة التي آتاه من عنده كان ورثه أيضاً حالة عيسوية من محمد صلى الله عليه وسلم فلم يزل عيسويًا في الشريعتين ألا ترى هذا الراهب قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام وأخبر أنه إذا نزل يقتل الخنزير ويكسر الصليب أترأه بقي على تحليل لحم الخنزير فلم يزل هذا الراهب عيسويًا في الشريعتين فله الأجر مرتين أجر اتباعه نبيه وأجر اتباعه محمداً صلى الله عليه وسلم وهو في انتظار عيسى إلى أن ينزل وهؤلاء الصحابة قد رأوه مع فضلة وما سألوهم عن حاله في الإسلام والايان ولا بما يتعبد نفسه من الشرائع لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرهم بسؤال مثله فعلمنا قطعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر أحداً على الشرك وعلم إن لله عبادة يتولى الحق تعليمهم من لدنه علم ما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم رحمة منه وفضلاً وكان فضل الله ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة أنه محمدي إلا لشخصين إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله فيقال فيه محمدي وإما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام كأبي يزيد وأمثاله فهذا أيضاً يقال فيه محمدي وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء ولهذا ورد في الخبر أن العلماء ورثة الأنبياء ولم يقل ورثة نبي خاص والمخاطب بهذا علماء هذه الأمة وقد ورد أيضاً بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم وفي رواية كأنبياء بنى إسرائيل فالعيسويون الأول هم الحواريون أتباع عيسى فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه واتفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة ما كان قبل هذا شرعاً لعيسى ع فيرث من عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب ثم يرث من عيسى عليه السلام في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ميراث تابع من تابع لا من متبوع وبينهما في الذوق فرقان ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الشخص أن له الأجر مرتين كذلك له ميراثان وفتحان وذوقان مختلفان ولا ينسب فيهما إلا إلى ذلك النبي ع فهؤلاء هم العيسويون الثواني وأصوهم توحيد التجريد من طريق المثال لأن وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذكر بشري وإنما كان عن تمثل روح في صورة بشر ولهذا غلب على أمة عيسى بن مريم دون سائر الأمم القول بالصورة فيصورون في كنائسهم مثلاً ويتعبدون في أنفسهم بالتوجه إليها فإن أصل نبيهم ع كان عن تمثل فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن ولما جاء شرع محمد صلى الله عليه وسلم ونهى عن الصور وهو صلى الله عليه وسلم قد حوى على حقيقة عيسى وانطوى شرعه في شرعنا فشرعنا صلى الله عليه وسلم أن نعبد الله كأننا نراه فأدخله لنا في الخيال وهذا هو معنى التصوير إلا أنه نهى عنه في الحس أن يظهر في هذه الأمة بصورة حسية ثم إن هذا الشرع الخاص الذي هو عباد الله كأنك تراه ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم لنا بلا واسطة بل قاله لجبريل عليه السلام وهو الذي تمثل لمريم بَشَرًا سَوِيًّا عند إيجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل في المثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة فكنا نحن المرادين بذلك القول ولهذا جاء في آخر الحديث

هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا وفي رواية جاء ليعلم الناس دينهم وفي رواية أتاكم يعلمكم دينكم فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين بالتعليم ثم تعلم إن الذي لنا من غير شرع عيسى قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذا من أصولهم وكان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله عيسويا في نهايته وهي كانت بدايتنا أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي ثم بعد ذلك نقلنا إلى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى جميع النبيين عليهم السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم هكذا كان أمرنا في هذا الطريق ثبته الله علينا ولا حاد بنا عن سواء السبيل فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي أنشأنا الله عليها في هذا الطريق وجه الحق في كل شيء فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا ولنا فيه شهود عين حق نعظمه منه فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي وفي زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس عليه السلام يحبون وهم منقطعون عن الناس فأما القوم الذين هم من قوم يونس فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل كان صاحبه قد سبقني بقليل فشبرت قدمه في الأرض فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا بشبري وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية وجاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين وخمسمائة وهي السنة التي كنا فيها وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الإفريج فكان كما قال ما غادر حرفا وأما الذي في الزمان من أصحاب عيسى فهو ما روينا من حديث عرشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي التوقي الحبشاني كتابة قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي أنا أبو الحسن علي بن أبي الفضل الفارمدي إنا أحمد بن الحسين بن علي قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عمر و عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد إملاء ثنا يحيى بن أبي طالب ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليزر على ضواحيها قال فوجه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا على ضواحيها وأصابوا غنيمة وشيا فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهمت بهم العصور وكادت الشمس أن تغرب فالجأ نضلة السبي والغنيمة إلى سفح الجبل ثم قام فاذن فقال الله أكبر الله أكبر قال ومجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة وقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال هو الدين وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليهما السلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال قد أفلح من أجاب محمدا صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لأمة قال الله أكبر الله أكبر قال كبرت كبيرا قال لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص يا نضلة فحرم الله جسديك على النار قال فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله أسمعنا صوتك فارنا شخصك فإننا وفد الله وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عمر بن الخطاب قال فانلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلنا ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثلا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما

السلام أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتبرأ مما نحلته النصارى ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قلنا قبض فبكى بكاء طويلا حتى خضب لحيته بالدموع ثم قال فمن قام فيكم بعده قلنا أبو بكر قال ما فعل قلنا قبض قال فمن قام فيكم بعده قلنا عمر قال إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأقرءوا عمر مني السلام وقلوا يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا في غير مناسبتهم واتموا إلى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به وترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه وتعلم عاملهم العلم ليحلب به الدنانير والدرهم وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنابر وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وأظهروا الرشي وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وابعوا الدين بالدنيا واستخفوا الدماء وتقطعت الأرحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار التسلط فخرا والغني عزا وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه وركبت النساء السروج قال ثم غاب عنا فكذب بذلك نضلة إلى سعد وكتب سعد إلى عمر فكذب عمر أنت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزل هذا الجبل فإذا لقيته فأقرئه مني السلام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلم يجده لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك ابن أنس والمعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر عن نافع وابن الأزهر مجهول قال أبو عبد الله الحاكم لم يسمع بذكر ابن الأزهر في غير هذا الحديث والسؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر هو من حديث ابن طيعة عن ابن الأزهر قلنا هذا الحديث وإن تكلم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفا وقوله في زخرفة المساجد ونفض المصاحف ليسا على طريق الذم وإنما هما دلالة على اقتراب الساعة وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى ع وخروج المهدي وطلوع الشمس من مغربها معلوم كل ذلك إنه ليس على طريق الذم وإنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة ومحمودة هذا الوصي العيسوي بن برثلام يزل في ذلك الجبل يتعبد لا يعاشر أحدا وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أ ترى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى لا والله فإن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة يقول صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني وهذا عيسى إذا نزل ما يؤمننا إلا منا أي بسنتنا ولا يحكم فينا إلا بشرعنا فهذا الراهب ممن هو على بينة من ربه علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الطريق التي اعتادها من الله وهذا عندنا ذوق محقق فإننا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه وسلم المقررة في شرعه عند علماء الرسوم وما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق وجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا ومن تلك الطريق نصح الأحاديث النبوية ونردها أيضا إذا أعلمنا أنها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن قرر الشارع حكم المجتهد وإن أخطأ ولكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوصي من

الأفراد وطريقه في مآخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا وإن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح فإن ذلك لا يقدح في العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أعطى الولاية من غير مسألة إن الله يعينه عليها وإن الله يبعث إليه ملكا يسدده يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به قال الخضر وما فعلته عن أمري وقال عليه السلام إن يكن في أمي محدثون فمنهم عمر ثم إنه قد ثبت عندنا إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق وانفردوا برهبهم فقال ذروهم وما انقطعوا إليه فأتمى بلفظ مجمل ولم يأمرنا بأن ندعوهم لعلمه صلى الله عليه وسلم أنهم على بينة من ربهم وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالتبليغ وأمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب فلولا ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الخضر وغيره ما كان كلامه هذا ولا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة وهو الصادق في دعواه صلى الله عليه وسلم أنه بعث إلى الناس كافة كما ذكر الله تعالى فيه فعمت رسالته جميع الخلق وروح هذا التعريف أنه كل من أدركه زمانه وبلغت إليه دعوته لم يتعبده الله إلا بشرعه فإننا نعلم قطعا أنه صلى الله عليه وسلم ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه فما هو إلا الوجه الذي ذكرنا وهذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام إلى زمان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم تعبد الله هذا الراهب بشرعه صلى الله عليه وسلم وعلمه من لدنه علما بالرحمة التي آتاه من عنده كان ورثه أيضا حالة عيسوية من محمد صلى الله عليه وسلم فلم يزل عيسويا في الشريعتين ألا ترى هذا الراهب قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام وأخبر أنه إذا نزل يقتل الخنزير ويكسر الصليب أترأه بقي على تحليل لحم الخنزير فلم يزل هذا الراهب عيسويا في الشريعتين فله الأجر مرتين أجر اتباعه نبيه وأجر اتباعه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في انتظار عيسى إلى أن ينزل وهؤلاء الصحابة قد رأوه مع فضلة وما سألوه عن حاله في الإسلام والايان ولا بما تعبد نفسه من الشرائع لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرهم بسؤال مثله فعلمنا قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر أحدا على الشرك وعلم إن لله عبادا يتولى الحق تعليمهم من لدنه علم ما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة منه وفضلا وكان فضل الله عظيما ولو كان ممن يؤدي الجزية لقلنا إن الشرع الحمدي قد قرر له دينه ما دام يعطي الجزية وهذه مسألة دقيقة في عموم رسالته وأنه بظهوره لم يبق شرع إلا ما شرعه ومما شرع تقريرهم على شرعهم ما داموا يعطون الجزية إذا كانوا من أهل الكتاب وكم لله تعالى من هؤلاء العباد في الأرض فأصل العيسويين كما قررناه تجريد التوحيد من الصور الظاهرة في الأمة العيسوية والمثل التي لهم في الكنائس من أجل أنهم على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الروحانية الحالية التي هم عليها عيسوية في النصرى وموسوية في اليهود من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه والله في قبلة المصلي وإن العبد إذا صلى استقبل ربه ومن كل ما ورد في الله من أمثال هذه النسب وليس للعيسوي من هذه الأمة من الكرامات المشي في الهواء ولكن لهم المشي على الماء والحمدي يشي في الهواء بحكم التبعية فإن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان محمولا قال في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء ولا شك أن عيسى عليه السلام أقوى في اليقين منا بما لا يتقارب فإنه من أولي العزم من الرسل ونحن

نمشي في الهواء بلا شك وقد رأينا خلقا كثيرا ممن يمشي في الهواء في حال مشيهم في الهواء فعلمنا قطعاً إن مشينا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام قد علم كل منا مشربه فمشينا بحكم التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص الذي له هذا المقام لا من قوة اليقين كما قلنا الذي كما نفضل به عيسى عليه السلام حاشى لله أن تقول بهذا كما إن أمة عيسى يمشون على الماء بحكم التبعية لا بمساواة يقينهم يقين عيسى عليه السلام فنحن مع الرسل في خرق العوائد الذين اختصوا بها من الله وظهر أمثالها علينا بحكم التبعية كما مثلناه في كتاب اليقين لنا أن للماليك الخواص الذين يسكنون نعال أساتذتهم من الأمراء إذا دخلوا على السلطان وبقي بعض الأمراء خارج الباب حين لم يؤذن لهم في الدخول أ ترى للماليك الداخلين مع أساتذتهم أرفع مناصباً من الأمراء الذي ما أذن لهم فهل دخلوا إلا بحكم التبعية لأساتذتهم بل كل شخص على رتبته فالأمراء متميزون على الأمراء والماليك متميزون على الماليك في جنسهم كذلك نحن مع الأنبياء فيما يكون للاتباع من خرق العوائد ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم ما مشى في الهواء إلا محمولاً على البراق كالراكب و على الرفرف كالمحمول في الحفة فأظهر البراق والرفرف صورة المقام الذي هو عليه في نفسه بأنه محمول في نفسه ونسبة أيضاً إلهية من قوله تعالى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَمِنْ قَوْلِهِ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَاَلْعَرْشُ محمول فهذا حمل كرامة بالحاملين وحال راحة ومجد وعز للمحمولين وقد قررنا لك في غير موضع أن المحمول أعلى من غير المحمول في هذا المقام وأمثاله وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله مما اختص به الحملة وإن كان جميع الخلق محمولين ولكن لم يكشف ذلك الحمل لكل أحد وإن كان الحمل على مراتب حمل عن عجز وحمل عن حقيقة كحمل الأتقال وحمل عن شرف ومجد فالعناية بهذه الطائفة أن يكونوا محمولين ظاهراً كما هو الأمر في نفسه باطنا لتبريهم من الدعوى كما قررناه في بابه وللعيسويين همة فعالة ودعاء مقبول وكلمة مسموعة ومن علامة العيسويين إذا أردت أن تعرفهم فتنظر كل شخص فيه رحمة بالعالم وشفقة عليه كان من كان وعلى أي دين كان وبأية نحلة ظهر وتسليم لله فيهم لا ينطقون بما تضيق الصدور له في حق الخلق أجمعين عند خطابهم عباد الله ومن علامتهم أنهم ينظرون من كل شيء أحسنه ولا يجري على ألسنتهم إلا الخير واشتركت في ذلك الطبقة الأولى والثانية فالأولى مثل ما روى عن عيسى ع أنه رأى خنزيراً فقال له أنج بسلام فقيل له في ذلك فقال أعود لساني قول الخير وأما الثانية فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الميتة حين مر عليها ما أحسن بياض أسنانها وقال من كان معه ما أنت ريجها وأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد أمر بقتل الحيات على وجه خاص وأخبر أن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية ومع هذا فإنه كان بالغار في منى وقد نزلت عليه سورة والمرسلات يعرف الغار إلى الآن دخلته تبركا فخرجت حية وابتدر الصحابة إلى قتلها فأعجزهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وقاها شركم كما وقاكم شرها فسماه شرا مع كونه مأمورا به مثل قوله تعالى في القصص وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فسمى القصص سيئةً وندب إلى العفو فما وقعت عينه صلى الله عليه وسلم إلا على أحسن ما كان في الميتة فهكذا أولياء الله لا ينظرون من كل منظورا لا أحسن ما فيه وهم العمي عن مساوي الخلق لا عن المساوي لأنهم مأمورون باجتناها كما هم ضم عن سماع

الفحشاء كما هم البكم عن التلفظ بالسوء من القول وإن كان مباحا في بعض المواطن هكذا عرفناهم فسبحان من اصطفاهم واجتباهم وهداهم إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ أولئك الذين هَدَى اللَّهُ فِيهِدَاهُمْ أَقْدَهُ فهذا مقام عيسى عليه السلام في محمد صلى الله عليه وسلم لأنه تقدمه بالزمان وقلت عنه هذه الأحوال قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين ذكر في القرآن من ذكر من النبيين وعيسى في جملة من ذكر عليهم السلام أولئك الذين هَدَى اللَّهُ فِيهِدَاهُمْ أَقْدَهُ وإن كان مقام الرسالة يقتضي تبيين الحسن من القبيح ليعلم كما قال تعالى لئِنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فإن بين السوء في حق شخص فبوحى من الله كما قال في شخص بسئ أن العشيرة والحضر قتل الغلام وقال فيه طبع كافر أو أخبروا تركه بما يكون منه من السوء في حق أبيه وقال ما فعلت ذلك عن أمري فالذي للرجال من ذواتهم القول الحسن والنظر إلى الحسن والإصغاء بالسمع إلى الحسن فإن ظهر منهم وقتا ما خلاف هذا من نبي أو ولي مرجوم فذلك عن أمر إلهي ما هولسانهم فهذا قد ذكرنا من أحوال العيسويين ما يسره الله على لساني وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع والثلاثون في معرفة الأقطاب العيسويين وأسرارهم)

فاعلم أيديك الله بروح القدس أن

و العيسوى الذي يديه قدامه	القطب من ثبتت في الأمر أقدامه
بين النبيين في الإشهاد أعلامه	و العيسوى الذي يوما له رفعت
كالمسك في شمها بالوحي أعلامه	و جاءه من أبيه كل رائحة
فلا يموت و لا تفنيه أيامه	له الحياة فيحيي من يشاء بها
تسعى لتظهر في الأكوان أحكامه	فلو تراه و قد جاءته آيته
بأنك الله و هو الله علامة	مواجهها بلسان أنت قلت لهم
تنظر لجرم الذي أرداه إجرامه	جوابه قيل ما قد قيل فاعف ولا
أعطى وأعطى الذي أعطاه إكرامه	صلى عليه إله الخلق من رجل

اعلم أيديك الله بروح القدس إنا قد عرفناك إن العيسوى من الأقطاب هو الذي جمع له الميراثان الميراث الروحاني الذي يقع به الانفعال والميراث الحمدي ولكن من ذوق عيسى عليه السلام لا بد من ذلك وقد بينا مقاماتهم وأحوالهم فلندكر في هذا الباب نبذا من أسرارهم فمنها أنهم إذا أرادوا أن يعطوا حالا من الأحوال التي هم عليها وهي تحت سلطانهم لما يرون في ذلك الشخص من الاستعداد إما بالكشف وإما بالتعريف الإلهي فيلمسون ذلك الشخص أو يعانقونه أو يقبلونه أو يعطونه ثوبا من لباسهم أو يقولون له ابسط ثوبك ثم يعرفون له مما يريدون أن يعطوه والحاضر ينظر أنهم يعرفون في الهواء و يجعلونه في ثوبه على قدر ما يجد لهم من الغرفات ثم يقولون له ضم ثوبك مجموع الأطراف إلى

صدرك أو ألبسه على قدر الحال التي يحبون أن يهبوه إياها فأى شيء فعلوا من ذلك سرى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته لا يتأخر وقد رأينا ذلك لبعض شيوخنا جاء لأقوام من العامة فيقول لي هذا شخص عنده استعداد فيقرب منه فإذا لمسه أو صر به بصدرة في ظهره قاصداً أن يهبه ما أراد سرى فيه ذلك الحال من ساعته وخرج مما كان فيه وانقطع إلى ربه وكان أيضاً له هذه الحال مكى الواسطي المدفون بمكة تلميذ أزدشير كان إذا أخذته الحال يقول لمن يكون حاضراً معه عاتقني أو تعرف الحاضر أمره فإذا رآه متلبساً بجاله عاتقة فيسري ذلك الحال في هذا الشخص ويتلبس به شكى جابر بن عبد الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على ظهر الفرس فضرب في صدره بيده فما سقط عن ظهر فرس بعد ونحس رسول الله صلى الله عليه وسلم مركوباً كان تحت بعض أصحابه بطيماً يمشي به في آخر الناس فلما نحسه لم يقدر صاحبه على إمساكه وكان يتقدم على جميع الركاب وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً بطيماً لأبي طلحة يوم أُغِير على سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ذلك الفرس إنا وجدناه لبحراً فما سبق بعد ذلك وشكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هريرة أنه ينسى ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا هريرة ابسط رداءك فبسط أبو هريرة رداءه فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من الهواء أو ثلاث غرفات وألقاها في رداء أبي هريرة وقال له ضم رداءك إلى صدرك فضمه إلى صدره فما نسي بعد ذلك شيئاً يسمعه وهذا كله من هذا المقام فانظر في سر هذا الأمر أنه ما ظهر شيء من ذلك إلا بجرعة محسوسة لإثبات الأسباب التي وضعها الله ليعلم أن الأمر الإلهي لا يتخرم وأنه في نفسه على هذا الحد فيعرف العارف من ذلك نسب الأسماء الإلهية وما ارتبط بها من وجود الكائنات وأن ذلك تقضي الحضرة الإلهية لذاتها فنصرف العالم المحقق بهذه الأمور والتنبيهات الإلهية على إن الحكمة فيما ظهر وأن ذلك لا يتبدل وأن الأسباب لا ترفع أبداً وكل من زعم أنه رفع سبباً بغير سبب فما عنده علم لا بما رفع به ولا بما رفع فلم يمنح عبد شيئاً أفضل من العلم والعمل به وهذه أحوال الأدباء من عباد الله تعالى ومن أسرارهم أيضاً أنهم يتكلمون في فصول البلاغة في النطق ويعلمون إعجاز القرآن ولم يعلم منهم ولا حصل لهم من العلم بلسان العرب والتحقيق به على الطريقة المعهودة من قراءة كتب الأدب ما يعلم أنهم حصل لهم ذلك من هذه الجهة بل كان ذلك لهم من الهبات الإلهية بطريق خاص يعرفونه من نفوسهم إذا أعطوا العبارة عن الذي يرد عليهم في بواطنهم من الحقائق وهم أميون وإن أحسنوا الكتابة من طريق النقش ولكن هم عوام الناس فينطقون بما هو خارج في المعتاد عن قوتهم إذ لم يكونوا من العرب وإن كانوا من العرب فلم يكونوا إلا بالنسب لا باللسان فيعرف الإعجاز فيه منه فمن هنالك يعرف إعجاز القرآن وذلك قول الحق قيل لي في بعض الوقائع أتعرف ما هو إعجاز القرآن قلت لا قال كونه إخباراً عن حق التزم الحق يكن كلامك معجزاً فإن المعارض للقرآن أول ما يكذب فيه أنه يجعله من الله وليس من الله فيقول على الله ما لا يعلم فلا يشر ولا يثبت فإن الباطل زهوق لا يثبت له ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها بأمر تناسبها في الألفاظ مما لم يقع ولا كانت فهي باطل والباطل عدم والعدم لا يقاوم الوجود والقرآن إخبار عن أمر وجودي حق في نفس الأمر فلا بد أن يعجز المعارض

عن الإتيان بمثله فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله فقد امتاز عن أهل زمانه وعن كل من لم يسلك مسلكه فأعجز من أراد التصور على مقامه من غير حق ومن أسرارهم أيضا علم الطبائع وتأليفها وتحليلها ومنافع العقاقير يعلم ذلك منها كشافا خرج شيخنا أبو عبد الله الغزال كان بالمرية رحمه الله في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العريف وكان ابن العريف أديب زمانه فهو بالأحرش بطريق الصماد حية إذ رأى أعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة أو النجم خذني فإني أنفع لكذا وأدفع من المضار كذا حتى ذهل وبقي حائرا من نداء كل شجرة منها تحبها له وتقربا منه فرجع إلى الشيخ وعرفه بذلك فقال له الشيخ ما لهذا خدمتنا أين كان منك الضار النافع حين قالت لك الأشجار إنها نافعة ضارة فقال يا سيدي التوبة قال له الشيخ إن الله فتك واختبرك فإني ما دلتك إلا على الله لا على غيره فمن صدق توبتك أن ترجع إلى ذلك الموضع فلا تكلمك تلك الأشجار التي كلمتك إن كنت صادقا في توبتك فرجع أبو عبد الله الغزال إلى الموضع فما سمع شيئا مما كان قد سمعه فسجد لله شكرا ورجع إلى الشيخ فعرفه فقال الشيخ الحمد لله الذي اختار لنفسه ولم يدفعك إلى كون مثلك من أكوانه تشرف به وهو على الحقيقة يشرف بك فانظر همته رضي الله عنه وإذا علم أسرار الطبائع ووقف على حقائقها علم من الأسماء الإلهية التي علمها الله آدم عليه السلام نصفها وهي علوم عجيبة لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة رأينا أمرا هائلا وعلما من سر الله في خلقه وكيف سر الاقتدار الإلهي في كل شيء فلا شيء ينفع إلا به ولا يضر إلا به ولا ينطق إلا به ولا يتحرك إلا به وحب العالم بالصور فنسبوا كل ذلك إلى أنفسهم وإلى الأشياء والله يقول يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وكلامه حق وهو خير ومثل هذه الأخبار لا يدخلها النسخ فلا فقر إلا إلى الله ففي هذه الآية تسمى الله بكل شيء يفقر إليه ومن هذا الباب يكون الفقير من يفقر إلى كل شيء ولا يفقر إليه شيء فيتناول الأسباب على أوضاعها الحكمية لا يحل بشيء منها وهذا الذوق عزيز ما رأينا أحدا عليه فيمن رأيناه ولا نقل إلينا سمعا لا في المتقدم ولا في المتأخر لكن رأينا ونقل إلينا عن جماعة إثبات الأسباب وليس من هذا الباب فإن الذي نذكره ونطلبه سريان الألوهية في الأسباب أو تجليات الحق خلف حجاب الأسباب في أعيان الأسباب أو سريان الأسباب في الألوهية هذا هو الذي لم نجد له ذائقا إلا قول الله تعالى فهي الآية اليتيمة في القرآن لا يعرف قدرها إذ لا قيمة لها وكل ما لا قيمة له ثبت بالضرورة أنه مجهول القدر ولو اعتقدت فيه النفاسة ومن أسرارهم أيضا معرفة النشأتين في الدنيا وهي النشأة الطبيعية والنشأة الروحانية وما أصلهما ومعرفة النشأتين في الدار الآخرة الطبيعية والروحانية وما أصلهما ومعرفة النشأتين نشأة الدنيا ونشأة الآخرة فهي ستة علوم لا بد من معرفتها ومن أسرارهم أنه ما منهم شخص كمل له هذا المقام إلا ويوهب ستمائة قوة إلهية ورثها من جده الأقرب لأبيه فيفعل بها بحسب ما تعطيه فإن شاء أخفاها وإن شاء أظهرها والإخفاء أعلى فإن العبادة إنما تأخذ من القوي ما تستعين بها على أداء حق أوامر سيدها لتبوت حكم عبوديتها وكل قوة تخرجه عن هذا الباب بالقصد فليس هو المطلوب لرجال الله فإنهم لا يزاحمون ذا القوة المتين فإن الله ما طلب منهم أن يطلبوا العون منه إلا في عبادته لأن يظهرها بها ملوكا أربابا كما زعمت طائفة من أهل الكتاب ممن اتخذوا عيسى ربا قالوا إن محمدا يطلب منا أن نعبد كما عبدنا

عيسى فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا نَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ أَسْرَارَهُمْ أَيْضاً أَنْهُمْ لَا يَتَعَدُونَ فِي مَعَارِجِهِمْ مِنْ حَيْثُ أَيْبَهُم السَّمَاءُ الثَّانِيَةَ إِلَّا أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى الْجَدِّ الْأَقْرَبِ فَرِيماً يَنْتَهِي بَعْضُهُمْ
 إِلَى السَّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَيْهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ لَا تَعْدَاهَا وَمِنْ هُنَاكَ يَقْبَلُهَا الْحَقُّ وَهِيَ بَرَزْخُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي مَيِّتَ فِيهِ
 صَاحِبُ ذَلِكَ الْعَمَلِ وَيَكْفِي هَذَا الْقَدْرُ مِنْ عِلْمِ أَسْرَارِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ أَنْتَهَى الْجُزْءُ الْعَشْرُونَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الباب الثامن والثلاثون في معرفة من اطلع على المقام المحمدي ولم ينله من الأقطاب)

لكن لها الشرف الأتم الأعظم بين النبوة و الولاية فارق
 وكذلك القلم العلي الأفخم يعنو لها الفلك المحيط بسره
 وقد انتهت ولها السبيل الأقوم إن النبوة و الرسالة كانتا
 في ذاته فله البقاء الأدوم و أقام بيتا للولاية محكما
 فيكون عند بلوغه يتهدم لا تطلبه نهاية يسعى لها
 فهو الولي فقهره متحكما صفة الدوام لذاته نفسية
 والعالم الأعلى و من هو أقدم يأوي إليه نبيه و رسوله

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولأنني الحديث بكامله فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان وبين عبوديته وإذا انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين عبوديته من أكمل الوجوه انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين الله فإن العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديته ينتقصه من تقريبه من سيده لأنه يزاحمه في أسمائه وأقل المزاحمة الاسمية فأبقى علينا اسم الولي وهو من أسمائه سبحانه وكان هذا الاسم قد نزع من رسوله وخلع عليه وسماه بالعبد والرسول لا يليق بالله أن يسمى بالرسول فهذا الاسم من خصائص العبودية التي لا تصح أن تكون للرب وسبب إطلاق هذا الاسم وجود الرسالة والرسالة قد انقطعت فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها من حيث نسبتها بها من الله ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في أمته من يرجع مثل هذا الكأس وعلم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الألم لذلك رحمهم فجعل لهم نصيبا ليكونوا بذلك عبيد العبيد فقال للصحابة ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ لينطلق عليهم أسماء الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله أمراً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها يعني حرفاً وحرفاً وهذا لا يكون إلا لمن بلغ الوحي من قرآن أو سنة بلفظه الذي جاء به وهذا لا يكون إلا لنقله الوحي من المقرئين والمحدثين ليس للفقهاء ولا لمن نقل الحديث على المعنى كما يراه سفيان الثوري وغيره نصيب ولا حظ فيه

فإن الناقل على المعنى إنما نقل إلينا فهمه في ذلك الحديث النبوي ومن نقل إلينا فهمه فإنما هو رسول نفسه ولا يجسر يوم القيامة فيمن بلغ الوحي كما سمعه وأدى الرسالة كما يحشر المقرئ والحديث الناقل لفظ الرسول عينه في صف الرسل عليهم السلام فالصحابه إذا نقلوا الوحي على لفظه فهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون رسل الصحابة وهكذا الأمر جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا أنه رسول الله وإن شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وإنما جوزنا حذف الوسائط لأن رسول الله كان يخبره جبريل عليه السلام وملك من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل وإنما نقول فيه رسول الله كما قال الله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ مَعَ قَوْلِهِ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ وَمَعَ هَذَا فَمَا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَّا إِلَى نَفْسِهِ فَهَذَا الْقَدْرُ بَقِيَ لِمَنْ مِنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ خَيْرٌ عَظِيمٌ آمَنَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَمَهْمَا لَمْ يَنْتَقِلْهُ الشَّخْصُ بِسِنْدِهِ مَتَّصِلًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا الْمَقَامُ وَلَا شَمُّ لَهُ رَائِحَةٌ وَكَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْمَزَاحِمِينَ الْحَقِّ فِي الْأَسْمِ الْوَلِيِّ فَتَقْصَهُ مِنْ عِبَادِيَّةِ بَقَدْرٍ هَذَا الْأَسْمِ فَهَذَا اسْمُ الْحَدِيثِ بِفَتْحِ الدَّالِ أَوْلَى بِهِ مِنْ اسْمِ الْوَلِيِّ فَإِنَّ مَقَامَ الرَّسَالَةِ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِقَدْرِ مَا بَيْنَاهُ فَهُوَ الَّذِي أَبْقَاهُ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا تَعْرِفُ مَقَامَ شَرَفِ الْعِبَادَةِ وَشَرَفِ الْحَدِيثِ نَقْلَةَ الْوَحْيِ بِالرَّوَايَةِ وَهَذَا اشْتَدَّ عَلَيْنَا غَلَقُ هَذَا الْبَابِ وَعَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ طَرَدَنَا مِنْ حَالِ الْعِبَادَةِ الْأَخْتِصَاصِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَكُونَ عَلَيْهَا وَأَمَّا النَّبُوءَةُ فَقَدْ بَيْنَا هَالِكًا فِيمَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ الْأَفْرَادِ وَهُمْ أَصْحَابُ الرِّكَابِ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى مِنْ بَابِ طَرَدِنَا مِنَ الْعِبَادَةِ وَمَقَامَهَا قَالَ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَمَنْ نَحْنُ حَتَّى تَقَعَ الْقِسْمَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْفَاعِلُ الْمَحْرُوكُ الَّذِي يَقُولُنَا فِي قَوْلِنَا إِبْرَاهِيمَ عُبُدُوا وَأَمَّا ذَلِكَ مِمَّا أَضَافَهُ إِلَيْنَا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ نَوَاصِيئَنَا بِيَدِهِ فِي قِيَامِنَا وَرُكُوعِنَا وَسُجُودِنَا وَجُلُوسِنَا وَفِي نَطْقِنَا يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ اللَّهُ حَمْدُنِي عَبْدِي تَفَضُّلًا مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمَا قَدَرَهُ حَتَّى يَقُولَ السَّيِّدُ قَالَ عَبْدِي وَقُلْتُ لَهُ هَذَا حِجَابٌ مَسْدَلٌ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ مَكْرًا خَفِيًّا فِي عِبَادِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يَمَكِّرُ بِهِ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِهِ فَيَأْخُذُ هَذَا التَّكْرِيمَ الْإِلَهِيَّ ابْتِدَاءً مِنَ اللَّهِ مَدْرَجًا فِي نِعْمَةٍ فَإِذَا صَلَّى وَتَلَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقُولُهَا حِكَايَةً مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مَأْمُورٌ بِهَا لِتَصِحَّ عِبَادِيَّتُهُ فِي صَلَاتِهِ وَلَا يَنْتَظِرُ الْجَوَابَ وَلَا يَقُولُ لِيَجَابَ بَلْ يَشْتَغَلُ بِمَا كَلَّفَهُ سَيِّدُهُ مِنْ الْعَمَلِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ الْجَوَابَ وَالْإِنْعَامَ مِنَ السَّيِّدِ لَا مِنْ كَوْنِهِ قَالَ فَإِنَّ الْقَائِلَ عَلَى الْحَقِيقَةِ خَالِقَ الْقَوْلِ فِيهِ فَنَسَلَمَ مِنْ هَذَا الْمَكْرِ وَإِنْ كَانَ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةً وَلَكِنْ بِالنَّظَرِ إِلَى مَنْ هُوَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مَنْ نَزَلَ عَنْهَا فَمَا وَرَثَتْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَنَا إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ عُنَايَةِ الْحَقِّ بِمَنْ كَشَفَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ وَرَزَقَهُ عِلْمَ نَقْلِ الْوَحْيِ بِالرَّوَايَةِ مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ فَمَا أَشْرَفَ مَقَامَ أَهْلِ الرَّوَايَةِ مِنَ الْمُقْرَأِينَ وَالْحَدِيثِينَ جَعَلَنَا اللَّهُ مَنْ اخْتَصَّ بِنَقْلِهِ مِنْ قُرْآنٍ وَسُنَّةٍ فَإِنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ وَالْحَدِيثُ مِثْلُ الْقُرْآنِ بِالنَّصِّ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ وَمَنْ تَحَقَّقَ بِهَذَا الْمَقَامِ مَعَنَا أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ كَشَفَ لَهُ مِنْهُ بَعْدَ السُّؤَالِ وَالتَّضَرُّعِ قَدْ حَرَّقَ الْإِبْرَةَ فَأَرَادَ أَنْ يَضَعُ قَدَمَهُ فِيهِ فَاحْتَرَقَ فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَنَالُ ذَوْقًا وَهُوَ كَمَالُ الْعِبَادَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرَةٌ وَهَذَا كَثِيرٌ لِمَنْ عَرَفَ فَمَا عِنْدَ الْخَلْقِ مِنْهُ إِلَّا ظِلٌّ وَلَمَّا أَطَّلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ عَنِ

سؤال وإنما كان عن عناية من الله ثم إنه أيديني فيه بالأدب رزقا من لدنه وعناية من الله بي فلم يصدر مني هناك ما صدر من أبي يزيد بل اطلعت عليه وجاء الأمر بالرقعي في سلمة فعلت إن ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء لا خطاب تشريف على أنه قد يكون بعض الابتلاء تشريفاً فتوقفت و سألت الحجاب فعلم ما أردت فوضع الحجاب بيني وبين المقام وشكر لي ذلك فمئني منه الشعرة التي ذكرناها اختصاصاً إلهياً فشكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة غير طالب بالشكر الزيادة وكيف أطلب الزيادة من ذلك وأنا أسأل الحجاب الذي هو من كمال العبودية فسرت في العبادة وظهر سلطانها وحيل بيني وبين مرتبة السيادة لله الحمد على ذلك وكم طلبت إليها وما أجتبت وهكذا إن شاء الله أكون في الآخرة عبداً محضاً خالصاً ولو ملكني جميع العالم ما ملكت منه إلا عبوديته خاصة حتى يقوم بذاتي جميع عبودية العالم وللناس في هذا مراتب فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره فإن أطلق الله السنة الخلق عليه بأنه ولي الله ورأى أن الله قد أطلق عليه اسماً أطلقه تعالى على نفسه فلا يسمعه من يسميه به إلا على أنه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل حتى يشم فيه رائحة العبودية فإن بنية فعيل قد تكون بمعنى الفاعل وإنما قلنا هذا من أجل ما أمرنا أن نتخذة سبحانه وكيفا فيما هو له مما نحن مستخلفون فيه فإن في مثل هذا مكرراً خفياً فتحفظ منه ويكفي من التنبيه الإلهي العاصم من المكر كونك ما موراً بذلك فامتثل أمره واتخذة وكلا لا تدعى الملك فإن الله تولاك فإنه قال وَهُوَ يُولَى الصَّالِحِينَ واسم الصالح من خصائص العبودية ولهذا وصف محمد صلى الله عليه وسلم نفسه بالصلاح فإنه ادعى حالة لا تكون إلا للعبيد الكمل فمنهم من شهد له بها الحق عز وجل بشرى من الله فقال في عبده يحيى عليه السلام نبياً من الصَّالِحِينَ وقال في نبيه عيسى عليه السلام وَكَهَلًا وَمِن الصَّالِحِينَ وقال في إبراهيم عليه السلام وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِن الصَّالِحِينَ من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا وهي قوله عن زوجته سارة إنها أخته بتأويل وقوله إني سقيم اعتذاراً وقوله بل فعله كبيرهم إقامة حجة فبهذه الثلاثة يعتد يوم القيامة للناس إذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة إذ لم يؤاخذه بذلك كما قال الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَقَالَ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ قَدِمَ الْبَشَرَى قَبْلَ الْعِتَابِ وهذه الآية عندنا بشرى خاصة ما فيها عتاب بل هو استفهام لمن أنصف وأعطى أهل العلم حقهم وأما سليمان وأمثاله عليهم السلام فأخبرنا الحق أنه قال وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وإن كانوا صالحين في نفس الأمر عند الله فهم بين سائل في الصلاح ومشهود له به مع كونه نعماً عبودياً لا يليق بالله فما ظنك بالاسم الولي الذي قد تسمى الله به بمعنى الفاعل فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد وإن أطلقه الحق عليه فذلك إليه تعالى ويلزم الإنسان عبوديته وما يختص به من الأسماء التي لم تنطلق قط على الحق لفظاً فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله تعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم هذه الآية ليعرف الناس بها فكان الله حكى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا بد له أن يقوله ويتلفظ به فجعله تعالى قرآناً يتلى إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر فقال تعالى إِنَّ وِليَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يُولَى الصَّالِحِينَ فشهد له بالصلاح إذا كان الحق حاكياً في هذه الآية وإن كان آمراً فيكون من المشهودين لهم بالصلاح فعرفنا إن

الله تولاه وأخبرنا أن الله يتولى الصالحين فشهد لنفسه بالصلاح بالوجه الذي ذكرناه ولم ينقل ذلك عن غيره بل نقل ما يقاربه من قول عيسى عليه السلام إني عبدُ الله أتاني الكتابَ وجعلني نبياً وجعلني مباركا أين ما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيقا والسلام علي يوم وُلدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حياً يقول الله تعالى تلك الرُّسلُ فضلنا بعضهم على بعضٍ أي فكذلك أنت فكان من فضله نيل مثل هذا المقام فاحفظ يا ولي نفسك في التخلق بأسماء الله الحسنى فإن العلماء لم يختلفوا في التخلق بها فإذا وفقت للتخلق بها فلا تغب في ذلك عن شهود آثارها فيك ولنكن فيها ومعها بحكم النياية عنها فتكون مثل اسم الرسول لا تشارك الحق في إطلاق اسم عليك من أسمائه بذلك المعنى والزم الأدب وقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاسع والثلاثون في معرفة المنزل الذي يحط إليه الولي إذا طرده الحق تعالى من جواره)

عروج وارتقاء في علو إذا حط الولي فليس إلا
 ففي عين النوى عين الدنو فإن الحق لا تقيد فيه
 سمو في سمو في سمو فحال المجتبي في كل حال
 و لا تأثير فيه للعلو فلا حكم عليه بكل وجه

اعلم أيدك الله بروح منه إن الله تعالى يقول لإبليس اسجد لآدم فظهر الأمر فيه وقال لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة فظهر النهي فيهما و التكليف مقسم بين أمر ونهي وهما محمولان على الوجوب حتى تخرجهما عن مقام الوجوب قرينة حال وإن كان مذهبنا فيهما التوقيف فتعين امتثال الأمر والنهي وهذا أول أمر ظهر في العالم الطبيعي وأول نهى وقد أعلمناك أن الخاطر الأول وأن جميع الأوليات لا تكون إلا ربانية ولهذا تصدق ولا تخطئ أبدا ويقطع به صاحبه فسلطانه قوي ولما كان هذا أول أمر ونهى لذلك وقعت العقوبة عند المخالفة ولم يمهل فإذا جاءت الأوامر بالوسائط لم تقو قوة الأول وهي الأوامر الواردة إلينا على السنة الرسل وهي على قسمين إما ثوان وهو ما يلقي الله إلى نبيه في نفسه من غير واسطة الملك فيصل إلينا الأمر الإلهي وقد جاز على حضرة كونية فاكسب منه حالة لم يكن عليها فإن الأسماء الإلهية تلقت في هذه الحضرة الكونية فشاركها بأحكامها في حكمه وإما أن ينزل عليه بذلك الأمر الملك فيكون الأمر الإلهي قد جاز على حضرتين من الكون جبريل وأي ملك كان وأي نبي كان فيكون فعله وأثره في القوة دون الأول والثاني فلذلك لم تقع المؤاخذة معجلة فأما إمهال إلى الآخرة وإما غفران فلا يؤاخذ بذلك أبدا وفعل الله ذلك رحمة بعباده كما أنه تعالى خص النهي بآدم وحواء والنهي ليس بتكليف عملي فإنه يتضمن أمرا عدميا وهو لا تفعل ومن حقيقة الممكن أنه لا يفعل فكأنه قيل له لا تفارق أصلك والأمر ليس كذلك فإنه يتضمن أمرا وجوديا وهو أن يفعل فكأنه قيل له أخرج عن أصلك فالأمر أشق على النفس من النهي إذ كلف الخروج عن أصله فلو أن إبليس لما عصى ولم يسجد لم يقل ما قال من التكبر والفضيلة التي نسبها إلى نفسه على غيره فخرج عن عبوديته بقدر ذلك فحلت به عقوبة الله وكانت العقوبة لآدم وحواء لما تكلفا

الخروج عن أصلهما وهو الترك وهو أمر عديم بالأكل وهو أمر وجودي فشارك الله بين إبليس وآدم وحواء في ضمير واحد وهو كان أشد العقوبة على آدم فقيل لهم اهبطوا بضمير الجماعة ولم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحواء وإنما كان عقوبة لإبليس فإن آدم اهبط لصدق الوعد بأن يجعل في الأرض خليفة بعد ما تاب عليه واجتباؤه وتلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فاعترفه عليه السلام في مقابلة كلام إبليس ^٩ أنا خير منه فعرفنا الحق بمقام الاعتراف عند الله وما ينتجه من السعادة لنتخذة طريقا في مخالفتنا وعرفنا بدعوى إبليس ومقاتلته لنحذر من مثلها عند مخالفتنا وأهبطت حواء للتناسل وأهبط إبليس للاغواء فكان هبوط آدم وحواء هبوط كرامة وهبوط إبليس هبوط خذلان وعقوبة واكتساب أوزار فإن معصيته كانت لا تقتضي تأييد الشقاء فإنه لم يشرك بل افتخر بما خلقه الله عليه وكتبه شقيا ودار الشقاء مخصوصة بأهل الشرك فأنزله الله إلى الأرض ليسن الشرك بالوسوسة في قلوب العباد فإذا أشركوا وتبرأ إبليس من الشرك ومن الشرك لم ينفعه تبرئه منه فإنه هو الذي قال له أفر كما أخبر الله تعالى فحار عليه وزر كل مشرك في العالم وإن كان موحدا فإنه من سن سنة سيئة فعلية وزرها وزر من عمل بها فإن الشخص الطبيعي كإبليس وبنى آدم لا بد أن يتصور في نفسه مثال ما يريد أن يبرزه فما سن الشرك ووسوس به حتى تصوره في نفسه على الصورة التي إذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فإذا تصورها في نفسه بهذه الصورة فقد خرج التوحيد عن تصوره في نفسه ضرورة فإن الشريك متصور له في نفسه إلى جانب الحق الذي في نفسه متخيلا أعني من العلم بوجوده فما تركه في نفسه وحده فكان إبليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ولا بد أن يحفظ في نفسه بقاء صورة الشريك ليمد بها المشركين مع الأنفاس فإنه خائف منهم أن تزول عنهم صفة الشرك فيوحدوا الله فيسعدوا فلا يزال إبليس يحفظ صورة الشرك في نفسه ويراقب بها قلوب المشركين الكائنين في الوقت شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ويرد بها الموحدين في المستقبل إلى الشرك ممن ليس بمشرك فلا ينفك إبليس دائما على الشرك فبذلك أشقاه الله لأنه لا يقدر أن يتصور التوحيد نفسا واحدا لملازمته هذه الصفة وحرصه على بقائها في نفس المشرك فإنها لو ذهبت من نفسه لم يجد المشرك من يحدته في نفسه بالشرك فيذهب الشرك عنه ويكون إبليس لا يتصور الشريك لأنه قد زالت عن نفسه صورة الشريك فيكون لا يعلم أن ذلك المشرك قد زال عن إشراكه فدل إن الشريك يستصحب إبليس دائما فهو أول مشرك بالله وأول من سن الشرك وهو أشقى العالمين فلذلك يطعم في الرحمة من عين المنة ولهذا قلنا إن العقوبة في حق آدم إنما كانت في جمعه مع إبليس في الضمير حيث خاطبهم الحق بالهبوط بالكلام الذي يليق بجلاله ولكن لا بد أن يكون في الكلام الصفة التي يقتضيها لفظ الضمير فإن صورة اللفظ يطلب المعنى الخاص وهذه طريقة لم تجعل العلماء وبالها من ذلك وإنما ذكرنا مسألة آدم تأنيسا لأهل الله تعالى إذا زالوا فحطوا عن مقامهم أن ذلك الانحطاط لا يقتضي بشقائهم ولا بد بل يكون هبوطهم كهبوط آدم فإن الله لا يتحيز ولا يتقيد وإذا كان الأمر على هذا الحد وكان الله بهذه الصفة من عدم التقيد فيكون عين هبوط الولي عند الزلة وما قام به من الذلة والحياء والانكسار فيها عين الترقى إلى أعلى مما كان فيه لأن علوه بالمعرفة والحال وقد يزيد من العلم بالله ما لم يكن عنده ومن الحال وهو الذلة والانكسار ما لم يكن عليهما وهذا هو عين الترقى إلى مقام أشرف فإذا

فقد الإنسان هذه الحالة في زلته ولم يندم ولا انكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فليس من أهل هذه الطريقة بل ذلك جليس إبليس بل إبليس أحسن حالاً منه لأنه يقول لمن يطيعه في الكفر إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ونحن إنما نتكلم على زلات أهل الله إذا وقعت منهم قال تعالى وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الندم توبة وإنما الإنسان الولي إذا كان في المقام الذي كان والحال التي كان عليها ملتذاً بها فلذته إنما كانت بحاله فإن الله تعالى أن يلتذ به فلما زل وعرفته حالة الذلة والانكسار زالت ضرورة الحالة التي كان يلتذ بوجودها وهي حالة الطاعة والموافقة فلما فقدها نخيل أنه انخط من عين الله وإنما تلك الحالة لما زالت عنه انخط عنها إذ كانت حالة تقتضي الرفعة وهو الآن في معراج الذلة والندم والافتقار والانكسار والاعتراف والأدب مع الله تعالى والحياء منه فهو يرتقي في هذا المعراج فيجد هذا العبد في غاية هذا المعراج حالة أشرف من الحالة التي كان عليها فعند ذلك يعلم أنه ما انخط وأتة ترقى من حيث لا يشعر أنه في ترقى وأخفى الله ذلك عن أوليائه لئلا يجترأوا عليه في المخالفات كما أخفى الاستدراج فيمن أشقاه الله فقال سَتَسُدُّرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ فَمَنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا كَذَلِكَ أَخْفَى سُبْحَانَهُ تَقْرِيْبَهُ وَعِنَايَتَهُ فَمِنْ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِمَا شَغَلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى ذَنْبِهِ وَمَشَاهِدَتِهِ زَلَّتْهُ وَنَظَرَهُ إِلَيْهَا فِي كِتَابِهِ وَذَهَلَ عَنْ إِنْ ذَلِكَ النَّدَمَ يُعْطِيهِ التَّرْقِيَّ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَا بَشَرَهُ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ فَهُوَ مُتَحَقِّقٌ وَقَعِ الزَّلَّةُ حَاكِمٌ عَلَيْهِ الْإِنْكَسَارُ وَالْحِيَاءُ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يُؤَاخِذْهُ اللَّهُ بِذَلِكَ الذَّنْبِ فَكَانَ الْإِسْتِدْرَاجُ حَاصِلًا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَفِي السَّعْدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ وَلَقِيَتْ بِمَدِينَةِ فَاسٍ رَجُلًا عَلَيْهِ كَابَةٌ كَأَنَّهُ يَخْدُمُ فِي الْأَتُونِ فَسَأَلَتْ أَبَا الْعَبَّاسِ الْحِصَارِ وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّيُوخِ عَنْهُ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُجَالِسُهُ وَيُحْنُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي هَذَا رَجُلٌ كَانَ فِي مَقَامٍ فَانْخَطَّ عَنْهُ فَكَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَكَانَ مِنَ الْحِيَاءِ وَالْإِنْكَسَارِ بِمَجَالَةٍ وَجِبَتْ عَلَيْهِ السَّكُوتُ عَنْ كَلَامِ الْخَلْقِ فَمَا زَلَّتْ الْأَطْفَةَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ وَأَزِيلَ عَنْهُ مَرَضُ تِلْكَ الزَّلَّةِ بِمِثْلِ هَذَا الْعِلَاجِ وَكَانَ قَدْ مَكْنَى مِنْ نَفْسِهِ فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى سَرَى ذَلِكَ الدَّوَاءُ فِي أَعْضَائِهِ فَأَطْلَقَ مِحْيَاهُ وَفَتَحَ لَهُ فِي عَيْنِ قَلْبِهِ بَابَ إِنْ قَبُولِهِ وَمَعَ هَذَا فَكَانَ الْحِيَاءُ يَسْتَلْزِمُهُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ زَلَاتُ الْأَكْبَابِ غَالِبًا نَزْوَلُهُمْ إِلَى الْمُبَاحَاتِ لِأَخِي فِي حُكْمِ النَّادِرِ تَقَعُ مِنْهُمْ الْكِبَائِرُ قَلِيلٌ لِأَبِي يَزِيدَ الْبَسْطَامِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْعَصِي الْعَارِفُ فَقَالَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا يُرِيدُ أَنْ مَعْصِيَتُهُمْ بِحُكْمِ الْقَدْرِ النَّافِذِ فِيهِمْ لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ اتِّهَاكَ حُرْمَاتِ اللَّهِ هُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِذَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَّ مَعْصُومُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَلَا تَصْدُرُ مِنْهُمْ مَعْصِيَةٌ أَصْلًا اتِّهَاكَ حُرْمَةَ اللَّهِ كَمَعْصِيَةِ الْغَيْرِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ الْمَكْتُوبَ فِي الْقُلُوبِ يَنْعَى مِنْ ذَلِكَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْصِي غَفْلَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَخَالِفُ عَلَى حُضُورِ عَنِ كَشْفِ الْإِلَهِيِّ قَدْ عَرَفَهُ اللَّهُ فِيهِ مَا قَدْرَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ وَقُوعِهِ فَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَبَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَهَذِهِ الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْبَشَرِيِّ فِي قَوْلِهِ لِيُعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَدْ أَعْلَمَهُ بِالذَّنْبِ الْوَاقِعَةِ الْمَغْفُورَةِ فَلَا حُكْمَ لَهَا وَلَا لِسُلْطَانِهَا فِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا جَاءَ وَقْتُ ظُهُورِهَا يَكُونُ فِي صَحْبَتِهَا الْأَسْمُ الْغَفَّارُ فَتَنْزِلُ بِالْعَبْدِ وَيَجِبُ الْغَفَّارُ حُكْمَهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ يَلْقَى فِي النَّارِ وَلَا يَحْتَرِقُ كِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ فِي النَّارِ وَلَا حُكْمَ لَهَا فِيهِ بِالْحِجَابِ الَّذِي هُوَ الْمَانِعُ كَذَلِكَ زَلَةُ الْعَارِفِ صَاحِبِ مَقَامِ الْكَشْفِ لِلْقَدْرِ تَحَلُّ بِهَ النَّازِلَةِ وَحُكْمَهَا بِمَعْرَلٍ عَنْهَا فَلَا تَوْثُرُ فِي مَقَامِهِ بِخِلَافٍ مِنْ تَحَلُّ فِيهِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ بِمَا قَدْرَ عَلَيْهِ

فهذا يستلزمه الحياء والندم والذلة وذلك ليس كذلك وهنا أسرار إلهية لا يسعنا التعبير عنها وبعد أن فهمنا مراتبهم في هذا المقام وفرقنا لك بين معصية العارفين وبين معاصي العامة من علماء الرسوم ومقلديهم فاعلم أنه حكيم عن بعضهم أنه قال أقعد على البساط يريد بساط العبادة وإياك والانسباط أي التزم ما تعطيه حقيقة العبادة من حيث إنها مكلفة بأمر حدها له سيدها فإنه لولا تلك الأمور لاقتضي مقامها الإدلال والفخر والزهو من أجل مقام من هو عبد له ومنزلته كما زها يوما عتبة الغلام وافتخر فقيل له ما هذا الزهو الذي نراه في شماثلك مما لم يكن يعرف قبل ذلك منك فقال وكيف لأزهو وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا فما قبض العبيد من الإدلال وأن يكونوا في الدنيا مثل ما هم في الآخرة إلا التكليف فهم في شغل بأمر سيدهم إلى أن يفرغوا منها فإذا لم يبق لهم شغل قاموا في مقام الإدلال الذي تقتضيه العبودية وذلك لا يكون إلا في الدار الآخرة فإن التكليف لهم مع الأنفاس في الدار الدنيا فكل صاحب إدلال في هذه الدار فقد نقص من المعرفة بالله على قدر إدلاله ولا يبلغ درجة غيره من ليس له إدلال أبدا فإنه فاتته أنفاس كثيرة في حال إدلاله غاب عما يجب عليه فيها من التكليف الذي يناقض الاشتغال به الإدلال فليست الدنيا بدار إدلال ألا ترى عبد القادر الجليلي مع إدلاله لما حضرته الوفاة وبقي عليه من أنفاسه في هذه الدار ذلك القدر الزماني وضع خده في الأرض واعترف بأن الذي هو فيه الآن هو الحق الذي ينبغي أن يكون العبد عليه في هذه الدار و سبب ذلك أنه كان في أوقات صاحب إدلال لما كان الحق يعرفه به من حوادث الأكران وعصم الله أبا السعود تلميذه من ذلك الإدلال فلازم العبودية المكلفة مع الأنفاس إلى حين موته فما حكى أنه تغير عليه الحال عند موته كما تغير على شيخه عبد القادر و حكى لنا الثقة عندنا قال سمعته يقول طريق عبد القادر في طرق الأولياء غريب وطريقنا في طرق عبد القادر غريب رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم والله يعصمنا من المخالفات وإن كانت قدرت علينا فالله أسأل أن يجعلنا في ارتكابها على بصيرة حتى يكون لنا بها ارتقاء درجات والله يقولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الأربعون)

في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه نظم يتضمن ما ترجمنا عليه

يقول الذي يعطاه كشف حقيقي	مجاور علم الكون علم إلهي
و ما هو علوي و ما هو سفلي	و ما هو من علم البرازخ خالص
و في السفلى وجه بالحقائق علوي	له في العلى وجه غريب محقق
و لا هو جنى و لا هو إنسي	و ليس الذي يدريه ملك مخلص
بدا لك شكل مستفاد كياني	و لكنها الأعيان لما تألفت
فلست تراه و هو للعين مرئي	فقل فيه ما تهواء يقبله أصله

فما هو غيبي و ما هو حسي فما هو محكوم و ليس بحاكم
فلا هو شرقي و لا هو غربي تنزه عن حصر الجهات ضياؤه
و يسرى مثال منه فينا اتصالي فسبحان من أخفى عن العين ذاته
و لكنه كشف صحيح خيالي نراه إذا كنا و ما هو عينه
فذلك مقصودي بقولي مثالي تجلّى لرأي العين في كل صورة

اعلم أيّدك الله بروح القدس أن هذا المنزل منزل الكمال و هو مجاور منزل الجلال و الجمال هو من أجل المنازل و النازل فيه أتم نازل اعلم أن خرق العوائد على ثلاثة أقسام قسم منها يرجع إلى ما يدركه البصر أو بعض القوي على حسب ما يظهر لتلك القوة مما ارتبطت في العادة بإدراكه و هو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة مثل قوله تعالى يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى وَ هَذَا الْقِسْمُ دَاخِلٌ تَحْتَ قُدْرَةِ الْبَشْرِ وَ هُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنْهُ مَا يَرْجِعُ إِلَى قُوَّةِ نَفْسِيَّةٍ وَ مِنْهُ مَا يَرْجِعُ إِلَى خَوَاصِّ أَسْمَاءٍ إِذَا تَلَفَّظَ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ ظَهَرَتْ تِلْكَ الصُّورُ فِي عَيْنِ الرَّائِي أَوْ فِي سَمْعِهِ خَيَالًا وَ مَا تَمَّ فِي نَفْسِ الْأَمْرَاعِي فِي الْحَسُوسِ شَيْءٌ مِنْ صُورَةٍ مَرْتَبَةٍ وَ لَا مَسْمُوعَةٍ وَ هُوَ فِعْلُ السَّاحِرِ وَ هُوَ عَلَى عِلْمٍ أَنَّهُ مَا تَمَّ شَيْءٌ مِمَّا وَقَعَ فِي الْأَعْيُنِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْقِسْمُ الْآخَرُ الَّذِي هُوَ قُوَّةٌ نَفْسِيَّةٌ يَكُونُ عَنْهَا فِيمَا تَرَاهُ الْعَيْنُ أَوْ أَيُّ إِدْرَاكِ كَانَ مَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي ظَهَرَ عَنْ خَوَاصِّ الْأَسْمَاءِ وَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا إِنْ الَّذِي يَفْعَلُهُ بِطَرِيقِ الْأَسْمَاءِ وَ هُوَ السَّاحِرُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَمَّ شَيْءٌ مِنْ خَارِجٍ وَ إِنَّمَا لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى خَيَالِ الْحَاضِرِينَ فَتَخْطَفُ أَبْصَارَ النَّاطِرِينَ فَيَرَى صُورًا فِي خَيَالِهِ كَمَا يَرَى النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ وَ مَا تَمَّ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مِمَّا يَدْرِكُهُ وَ هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ الَّذِي لِلْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَمَّ شَيْءٌ فِي الْخَارِجِ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فَيَعْتَقِدُ إِنْ الْأَمْرَ كَمَا رَأَاهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِي فِي كِتَابِ مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فِي بَابِ الْكِرَامَاتِ مِنْهُ أَنْ عَلِيمًا الْأَسْوَدَ وَ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ الطَّرِيقِ إِنْ بَعْضُ الصَّالِحِينَ اجْتَمَعَ بِهِ فِي قِصَّةٍ أَدَتْهُ إِلَى أَنْ ضَرَبَ عَلِيمَ الْأَسْوَدَ إِلَى أَسْطُوَانَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ رِخَامٍ فَإِذَا هِيَ كَلَّمَا ذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ أَسْطُوَانَةً ذَهَبَ فَتَعَجَّبَ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنْ الْأَعْيَانَ لَا تَنْقَلِبُ وَ لَكِنْ هَكَذَا تَرَاهَا لِحَقِيقَتِكَ بِرَبِّكَ وَ هِيَ غَيْرُ ذَلِكَ فَخَرَجَ مِنْ كَلَامِهِ فِيمَا يَظْهَرُ لِمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْأَشْيَاءِ بِبَادِي الرَّأْيِ أَوْ مِنْ أَوْلٍ نَظَرَ أَنَّ الْأَسْطُوَانَةَ حَجَرًا كَمَا كَانَتْ وَ لَيْسَتْ ذَهَبًا إِلَّا فِي عَيْنِ الرَّائِي ثُمَّ إِنْ الرَّجُلُ أَبْصَرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَجَرًا كَمَا كَانَتْ أَوْلَ مَرَّةٍ قَالَ تَعَالَى فِي عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ ثُمَّ قَالَ الْفَهْ يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ فِي الْأَرْضِ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى فَلَمَّا خَافَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا عَلَى مَجْرَى الْعَادَةِ فِي النَّفُوسِ أَنَّهَا تَخَافُ مِنَ الْحَيَاتِ إِذَا فَاجَأَتْهَا لَمَّا قَرْنَ اللَّهُ بِهَا مِنَ الضَّرْرِ لِبَنِي آدَمَ وَ مَا عِلْمُ مُوسَى مَرَادَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَ لَوْ عَلِمَهُ مَا خَافَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ خُذْهَا وَ لَا تَحْفَ سُنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأَوْلَى أَيُّ تَرَجَعَ عَصَا كَمَا كَانَتْ أَوْ تَرَجَعَ تَرَاهَا عَصَا كَمَا كَانَتْ فَالْآيَةُ مُحْتَمَلَةٌ فَإِنَّ الضَّمِيرَ الَّذِي فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ سُنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأَوْلَى إِذَا لَمْ تَكُنْ عَصَا فِي حَالِ كَوْنِهَا فِي نَظَرِ مُوسَى حَيَّةً لَمْ يَجِدْ الضَّمِيرَ عَلَى مَنْ يَعُودُ كَمَا إِنْ الْإِنْسَانَ إِذَا عَوَدَكَ أَمْرًا مَا وَ هُوَ أَنَّهُ كَانَ يَحْسُنُ إِلَيْكَ ثُمَّ أَسَاءَ إِلَيْكَ فَتَقُولُ لَهُ قَدْ تَغَيَّرَتْ سِيرَتُكَ مَعِيَ مَا

أنت هو ذلك الذي كان يحسن إليّ و معلوم أنه هو فيقال له سيعود معك إلى سيرته الأولى من الإحسان إليك وهو في صورته ما تغير ولكن تغير عليك فعله معك و قدم الله هذا لموسى عليه السلام توطئة لما سبق في علمه سبحانه أن السحرة تظهر لعينه مثل هذا فيكون عنده علم من ذلك حتى لا يذهل و لا يخاف إذا وقع منهم عند إلقاءهم حبالهم و عصيهم و خيل إلى موسى أنها تسعى يقول له فلا تخف إذا رأيت ذلك منهم يقوى جأشه فلما وقع من السحرة ما وقع مما ذكر الله لنا في كتابه و امتلأ الوادي من حبالهم و عصيهم و رآها موسى فيما خيل له حيات تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى فلم يكن نسبة الخوف إليه في هذا الوقت نسبة الخوف الأول فإن الخوف الأول كان من الحية ف ولى مُدْبِرًا و لَمْ يُعَبِّبْ حتى أخبره الله تعالى و كان هذا الخوف الآخر الذي ظهر منه للسحرة على الحاضرين لئلا تظهر عليه السحرة بالحجة فيلبس الأمر على الناس و لهذا قال الله له لا تخف إناك أنت الأعلى و لما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه و ما علموا متعلق هذا الخوف أي شيء هو علموا أنه ليس عند موسى من علم السحر شيء فإن الساحر لا يخاف مما يفعله لعلمه أنه لا حقيقة له من خارج و أنه ليس كما يظهر لأعين الناظرين فأمر الله موسى أن يلقي عصاه و أخبر أنها تلقف ما صنعوا فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية علمت السحرة بأجمعها مما علمت من خوف موسى أنه لو كان ذلك منه و كان ساحرا ما خاف و رأوا عصاه حية حقيقة علموا عند ذلك أنه أمر غيب من الله الذي يدعوهم إلى الإيمان به و ما عنده من علم السحر خبر فتلقفت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال و العصي أي تلقفت صور الحيات منها فبدت حبالا و عصيا كما هي و أخذ الله بأبصارهم عن ذلك فإن الله يقول تلقف ما صنعوا و ما صنعوا الحبال و لا العصي وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات و هي التي تلقفت عصا موسى فتنبه لما ذكرت لك فإن المفسرين ذهلوا عن هذا الإدراك في أخبار الله تعالى فإنه ما قال تلقف حبالهم و عصيهم فكانت الآية عند السحرة خوف موسى و أخذ صور الحيات من الحبال و العصي و علموا إن الذي جاء به موسى من عند الله فآمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم و خروا سجدا عند هذه الآية و قالوا آمنا برب العالمين رب موسى و هارون حتى يرتفع الالتهاب فإنهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى و هارون أي الذي يدعو إليه موسى و هارون فارتفع الإشكال فتوعدهم فرعون بالعذاب فأثروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة و كان من كلامهم ما قص الله علينا و أما العامة فنسبوا ما جاء به موسى إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم و أعلم بالسحر بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى عليه السلام فقالوا هذا سحر عظيم و لم تكن آية موسى عند السحرة إلا خوفه و أخذ صور الحيات من الحبال و العصي خاصة فمثل هذا خارج عن قوة النفس و عن خواص الأسماء لوجود الخوف الذي ظهر من موسى في أول مرة فكان الفعل من الله و لما واقع السحرة اللبس على أعين الناظرين بتصوير الحبال و العصي حيات في نظرهم أراد الحق أن يأتيهم من بابهم الذي يعرفونه كما قال تعالى و لَبَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسونَ فإن الله يراعي في الأمور المناسبات فجعل العصا حية كحيات عصيهم في عموم الناس و لبس على السحرة بما أظهر من خوف موسى فتخلوا أنه خاف من الحيات و كان موسى في نفس الأمر غير خائف من الحيات لما تقدم له في ذلك من الله في الفعل الأول حين قال له خذها و لا تخف

فنهاه عن الخوف منها وأعلمه أن ذلك آية له فكان خوفه الثاني على الناس لئلا يلتبس عليهم الدليل والشبهة والسحرة تظن أنه خاف من الحيات فلبس الله عليهم خوفه كما لبسوا على الناس وهذا غاية الاستقصاء الإلهي في المناسبات في هذا الموطن لأن السحرة لو علمت إن خوف موسى من الغلبة بالحجة لما سارعت إلى الايمان ثم إنه كان لحية موسى التلقف ولم يكن لحياتهم تلقف ولا أثر لأنها حبال وعصى في نفس الأمر فهذا المنزل الذي ذكرناه في هذا الباب أنه مجاور لعلم جزئي من علوم الكون هو هذا العلم الجزئي علم المعجزات لأنه ليس عن قوة نفسية ولا عن خواص أسماء فإن موسى عليه السلام لو كان انفعال العصا حية عن قوة وهمية أو عن أسماء أعطيتها ما ولى مدبرا ولم يعقب خوفا فعلمنا أن ثم أمورا تختص بجانب الحق في علمه لا يعرفها من ظهرت على يده تلك الصورة فهذا المنزل مجاور لما جاءت به الأنبياء من كونه ليس عن حيلة ولم يكن مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء لا علم لهم بذلك وهؤلاء ظهر ذلك عنهم بهمتهم أو قوة نفسهم أو صدقهم قل كيف شئت فهذا اختصت باسم الكرامات ولم تسم معجزات ولا سميت سحرا فإن المعجزة ما يعجز الخلق عن الإتيان بمثلا إما صرفا وإما أن تكون ليست من مقدورات البشر العدم قوة النفس وخواص الأسماء وتظهر على أيديهم وإن السحر هو الذي يظهر فيه وجه إلى الحق وهو في نفس الأمر ليس حقا مشتق من السحر الزماني وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح وهو ليس بنهار لعدم طلوع الشمس للإبصار فكذلك هذا الذي يسمى سحرا ما هو باطل محقق فيكون عدما فإن العين أدركت أمرا ما لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي وكرامات الأولياء ليست من قبيل السحر فإن لها حقيقة في نفسها وجودية وليست بمعجزة فإنه على علم وعن قوة همة وأما قول عليم لحقيقتك بربك تراها ذهباً فإن الأعيان لا تنقلب وذلك لما رآه قد عظم ذلك الأمر عند ما رآه فقال له العلم بك أشرف مما رأيت فاتصف بالعلم فإنه أعظم من كون الأسطوانة كانت ذهباً في نفس الأمر فأعلمه إن الأعيان لا تنقلب وهو صحيح في نفس الأمر أي أن الحجرية لم ترجع ذهباً فإن حقيقة الحجرية قبلها هذا الجوهر كما قبل الجسم الحرارة فقبل فيه إنه حار فإذا أراد الله أن يكسو هذا الجوهر صورة الذهب خلع عنه صورة الحجر وكساه صورة الذهب فظهر الجوهر أو الجسم الذي كان حجرا ذهباً كما خلع عن الجسم الحار الحرارة وكساه البرد فصار بارداً فما انقلبت عين الحرارة برودة و الجسم البارد بعينه هو الذي كان حاراً فما انقلبت الأعيان كذلك حكاية عليم الجوهر الذي قبل صورة الذهب عند الضرب هو الذي كان قد قبل صورة الحجر والجوهر هو الجوهر بعينه فالحجر ما عاد ذهباً ولا الذهب عاد حجراً كما إن الجوهر الهولاني قبل صورة الماء فقبل هو ماء بلا شك فإذا جعلته في القدر وأغليتها على النار إلى أن يصعد بخاراً فتعلم قطعاً إن صورة الماء زالت عنه وقبل صورة البخار فصار يطلب الصعود لعنصره الأعظم كما كان إذ قامت به صورة الماء يطلب عنصره الأعظم فيأخذ سفلاً فهذا معنى قول عليم في هذا المنزل المختص بالأولياء والهمة المجاورة لعلم المعجزة أن الأعيان لا تنقلب وقوله لحقيقتك بربك أي إذا اطلعت إلى حقيقتك وجدت نفسك عبداً محضاً عاجزاً ميتاً ضعيفاً عدماً لا وجود لك كمثل هذا الجوهر ما لم يلبس الصور لم يظهر له عين في الوجود فهذا العبد يلبس صور

الأسماء الإلهية فتظهر بها عينه فأول اسم يلبسه الوجود فيظهر موجودا لنفسه حتى يقبل جميع ما يمكن أن يقبله الموجود من حيث ما هو موجود فيقبل جميع ما يخضع عليه الحق من الأسماء الإلهية فيتصف عند ذلك بالحي والقادر والعليم والمريد والسميع والبصير والمتكلم والشكور والرحيم والخالق والمصور وجميع الأسماء كما اتصف هذا الجسم بالحجر والذهب والفضة والنحاس والماء والهواء ولم تنزل حقيقة الجسمية عن كل واحد مع وجود هذه الصفات كذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبدا إنسانا مع وجود هذه الأسماء الإلهية فيه فهذا معنى قوله لحقيقتك بربك أي لا ارتباط حقيقتك بربك فلا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها كذلك هذا الجسم لا تخلو عن صورة يظهر فيها وكما تنوع أنت بصور الأسماء الإلهية فينتقل عليك بحسب كل صورة اسم غير الاسم الآخر كذلك ينطلق على هذا الجوهر اسم الحجرية والذهبية للوصف لا عينه فقد تبينت فيما ذكرناه الثلاثة الأقسام في خرق العوائد وهي المعجزات والكرامات والسحر وما ثم خرق عادة أكثر من هذا ولست أعني بالكرامات إلا ما ظهر عن قوة الهمة لا إني أريد بهذا الاصطلاح في هذا الموضع التقريب الإلهي لهذا الشخص فإنه قد يكون ذلك استدراجا ومكرا وإنما أطلقت عليه اسم الكرامة لأنه الغالب والمكر فيه قليل جدا فهذا المنزل مجاور آيات الأنبياء عليهم السلام وهو العلم الجزئي من علوم الكون لا يجاور السحر فإن كرامة الولي وخرق العادة له إنما كانت باتباع الرسول والجري على سنته فكأنها من آيات ذلك النبي إذ باتباعه ظهرت للمتحقق بالاتباع فهذا جاورته فأقطاب هذا المنزل كل ولي ظهر عليه خرق عادة عن غير همة فيكون إلى النبوة أقرب ممن ظهر عنه خرق العادة بهمة والأنبياء هم العبيد على أصلهم فكذلك أقطاب هذا المنزل فكلما قربت أحوالك من أحوال الأنبياء عليهم السلام كنت في العبادة أمكن وكانت لك الحجة ولم يكن للشيطان عليك سلطان كما قال تعالى إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَقَالَ يَسْلُوكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا فَلَا تَأْتِرُ الشَّيْطَانَ فِيهِمْ فَكَذَلِكَ مِنْ قَرَبٍ مِنْهُمْ وَلَمَّا عَابَنِي هَذَا الْمَشْهَدَ قَلَّتِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوْلَاهَا

و دارت عليه مثل دائرة القلب	تنزلت الأملاك ليلا على قلبي
نزول علوم الغيب عينا على القلب	حذرا من إلقاء اللعين إذا يرى
وعصمته في المرسلين بلا ريب	و ذلك حفظ الله في مثل طورنا

القصيدة بكاملها وهي مذكورة في أول الباب الثلاثين وثلاثمائة من هذا الكتاب وترتيب هذا الباب هو ما ذكرناه من مراتب خرق العوائد و أما ما فيه من الغرائب فإلحاق البشر بالروحانيين في التمثل وإلحاق الروحانيين بالبشر في الصورة و ظهور صورة عنهم شبيهة الصورة التي يتمثلون بها قال تعالى فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا يَسْمَى رُوحًا مِثْلَ مَا هُوَ جِبْرِيلُ رُوحٌ فَيُحْيِي الْمَوْتَى كَمَا يُحْيِي جِبْرِيلُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا وَطِئَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ مَوْضِعًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا حَيَّيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ وَهَذَا أَخَذَ السَّامِرِيُّ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِهِ حِينَ عَرَفَهُ لَمَّا جَاءَ لِمُوسَى وَقَدْ عَلِمَ إِنْ وَطِئَتْهُ بِحَيَا بِهَا مَا وَطِئَتْهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَقَبِضَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَرَمَى بِهَا فِي الْعَجَلِ الَّذِي صَنَعَهُ فَحَيَّيَ ذَلِكَ الْعَجَلُ وَكَانَ ذَلِكَ إِقْلَاعًا مِنَ الشَّيْطَانِ فِي

نفس السامري لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح فوجد السامري في نفسه هذه القوة وما علم بأنها من إلقاء إبليس فقال وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي وفعل ذلك إبليس من حرصه على إضلاله بما يعتقد من الشريك لله تعالى فخرج عيسى على صورة جبريل في المعنى والاسم و الصورة المثلثة فالتحق البشر بالروحاني والتحق الروحاني بصورة البشر في نازلة واحدة ويكفي هذا القدر من هذا الباب فإنه باب واسع لمريم وآسية لحقائق الرسل عليهم السلام فيه مجال رحب فإنه منزل الكمال من حصله ساد على أبناء جنسه و ظهر حاكما على صاحب الجلال والجمال وهو من مقامات أبي يزيد البسطامي والأفراد وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الحادي والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الحادي والأربعون في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم وأسرار أقطابهم)

و أهل معاريج و أهل تنقل	ألا إن أهل الليل أهل تنزل
و من نازل يبغي للقوق بأسفل	فمن صاعد نحو المقام بهمة
وجود الترقى و التلقي بمعزل	بحكم التداني والتدلي هما وعن
صدقت فقد حلوا بأكرم منزل	فإن قلت فيهم إنهم خير عصابة
صدقت فليسوا بالنبي و لا الولي	و إن قلت فيهم إنهم شر فتيه
و لكنهم في معقل متزلزل	فهم لا هموليسوا بهم و بغيرهم
و بين جنوب في الهبوب و شمال	عزيز الحمى بين المشاهد و النهي
إذا أصبحوا نالوا المنى بالتأمل	فما منهمو إلا إمام مسود
لهم سطوة في كل تاج مكلل	لهم نظرة لا يعرف الغير حكمها

اعلم أيديك الله بروح منه أن الله جعل الليل لأهله مثل الغيب لنفسه فكما لا يشهد أحد فعل الله في خلقه لحجاب الغيب الذي أرسله دونهم كذلك لا يشهد أحد فعل أهل الليل مع الله في عبادتهم لحجاب ظلمة الليل التي أرسلها الله دونهم فهم خير عصابة في حق الله وهم شر فتيه في حق أنفسهم ليسوا بأنبياء تشريع لما ورد من غلق باب النبوة ولا يقال في واحد منهم عندهم إنه ولي لما فيه من المشاركة مع اسم الله فيقال فيهم أولياء ولا يقولون ذلك عن أنفسهم وإن بشروا فجعل الليل لباسا لأهله يلبسونه فيسترهم هذا اللباس عن أعين الأغيار يتمعون في خلواتهم الليلية بحبيبهم فيناجونه من غير رقيب لأنه جعل النوم في أعين الرقباء سببا تا أي راحة لأهل الليل إلهية كما هو راحة للناس طبيعية فإذا نام الناس استراح هؤلاء مع ربهم و خلوا به حسا و معنى فيما يسألونه من قبول توبة و إجابة دعوة و مغفرة حوبة و غير ذلك فنوم الناس راحة لهم وإن الله تعالى ينزل إليهم بالليل إلى السماء الدنيا فلا يبقى بينه وبينهم حجاب فللكي ونزوله إليهم رحمة بهم و يتجلى من سماء الدنيا

عليهم كما ورد في الخبر فيقول كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يطلب الخلوه بحبيبه هو أنا ذا قد تجليت لعبادي هل من داع فاستجيب له هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له حتى ينصدع الفجر فأهل الليل هم الفائزون بهذه الخطوة في هذه الخلوه وهذه المسامرة في محاربتهم فهم قائمون يتلون كلامه ويفتحون أسماعهم لما يقول لهم في كلامه إذا قال يا أيها الناس يصفون ويقولون نحن الناس ما تريد منا يا ربنا في ندائك هذا فيقول لهم عز وجل على لسانهم بتلاوتهم كلامه الذي أنزله اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يا أيها الناس يقولون لبيك ربنا يقول لهم اتقوا ربكم الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون فيقولون يا ربنا خاطبتنا فسمعنا وفهمنا ففهمنا فبنا وربنا وفقنا واستعملنا فيما طلبته منا من عبادتك وتقواك إذ لا حول لنا ولا قوة إلا بك ومن نحن حتى تنزل إلينا من علو جلالك وتنادينا وتسالنا وتطلب منا يا أيها الناس يقولون لبيك إن وعد الله حق فلا تعزكم الحياة الدنيا فيقولون يا ربنا أسمعنا فسمعنا وأعلمنا فعلمنا فأعصمنا وتعطف علينا فالمنصور من نصرته والمؤيد من أيدته والمخذول من خذله يا أيها الإنسان فيقول الإنسان منهم لبيك يا رب ما غرك ربك الكريم فيقول كرمك يا رب فيقول صدقت يا أيها الذين آمنوا فيقولون لبيك ربنا اتقوا الله حق تقاته اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يقولون وأي قول لنا إلا ما تقولنا وهل لمخلوق حول أو قوة إلا بك فاجعل نطقنا ذكرك وقولنا تلاوة كتابك يا أيها الذين آمنوا فيقولون لبيك ربنا فيقول تعالى عليكم أنفسكم لا يصركم من ضل إذا هتديتم فيقولون ربنا اغرقتنا بأنفسنا لما جعلتها محلا لإيمانك فقلت وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقلت سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق والآيات ليست مطلوبة إلا لما تدل عليه وأنت مدلوها فكأنك تقول في قولك عليكم أنفسكم أي الزمونا واثبروا علينا وأظفوا بنا ثم قلت لا يصركم من ضل أي حار و تلف حين طلبنا بفكره فأراد أن يدخلنا تحت حكم نظره وعقله إذا هتديتم بما عرفتمكم به مني في كتابي وعلى لسان رسولي فعرفتموني بما وصفت لكم به نفسي فما عرفتموني إلا بي فلم تضلوا فكانت لكم هدايتي وتقريبي نورا تمشون به على صراطنا المستقيم فلا يزال دأب أهل الليل هكذا مع الله في كل آية يقرأونها في صلاتهم وفي كل ذكر يذكرونه به حتى ينصدع الفجر قال محمد بن عبد الجبار النفري وكان من أهل الليل أوقفني الحق في موقف العلم وذكر رضي الله عنه ما قال له الحق في موقفه ذلك فكان من جملة ما قال له في ذلك الموقف يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى الليل لي لا للمحمدة والثناء يقول الله تعالى إن لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل لي كما هو لي فإن في الليل نزولي فلا أراك في النهار في معاشك فإذا جاء الليل وطلبتك ونزلت إليك وجدتك نائما في راحتك وفي عالم حياتك وما ثم إلا ليل ونهار فلا في النهار وجدتك وقد جعلته لك ولم أنزل فيه إليك وسلمته لك وجعلت الليل لي فنزلت إليك فيه لأناجيك وأسامرك وأقضي حوائجك فوجدتك قد تمت عني وأسأت الأدب معي مع دعواك محبتي وإيثار جنابي فقم بين يدي وسلي حتى أعطيك مسألتك وما طلبتك لتلو القرآن فتقف مع معانيه فإن معانيه تفرق عني فآية تمشي بك في جنتي وما أعددت لأولياي فيها فأين أنا إذا كت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام كأنهن الياقوت والمرجان متكئا على فرش بطانتها من إسبرق وحنى

الْجَنَّةِ دَانَ تَسْقَى مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ مَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ وَآيَةٌ تَوْفِيقٌ مَعَ مَلَائِكَتِي وَهُمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ وَآيَةٌ تَسْتَشْرِفُ بِكَ عَلَى جَهَنَّمَ فَتَعَانِ مَا أَعَدَدْتَ فِيهَا لِمَنْ عَصَانِي وَأَشْرَكَ بِي مِنْ سُمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَ
لَا كَرِيمٍ وَتَرَى الحُطْمَةَ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الحُطْمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْنَدَةِ إِيَّاهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ أَي مَسْلُطَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ أَيْ أَنَا يَا
عَبْدِي إِذَا تَلَوْتَ هَذِهِ الآيَةَ وَأَنْتَ بِجَانِبِهَا وَهَمَّتْكَ فِي الجَنَّةِ نَارَةٌ وَفِي جَهَنَّمَ نَارَةٌ ثُمَّ تَلَوْتَ آيَةَ فَتَمَشِي بِكَ فِي القَارِعَةِ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ يَوْمَ نَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سَكَرَى وَ مَا هُمْ بِسَكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ وَتَرَى فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ يَفْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وَتَرَى العَرْشَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَحْمَلُهُ ثَمَانِيَةَ أَمْلَاكٍ وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تُعْرَضُونَ فَأَيْنَ أَنَا وَ اللَّيْلِ لِي فِي النَّهَارِ
فِي مَعَاشِكَ وَفِي اللَّيْلِ فِيمَا تَعَطِيهِ تَلَاوَتِكَ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَعَرَضُ فَأَنْتَ بَيْنَ آخِرِ دُنْيَا وَبَرْخِ مَا تَرَكْتُمْ لِي وَقَتًا تَحْلُوبِي فِيهِ إِجْعَلْتَهُ لِنَفْسِكَ
وَ اللَّيْلِ لِي يَا عَبْدِي لِأَلْمُحَمَّدَةِ وَ الشَّاءِ ثُمَّ تَلَوْتَ آيَةَ فَأُولَئِكَ (مَعَ) الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ فَتَشَاهِدُهُمْ
فِي تَلَاوَتِكَ وَ تَفَكَّرَ فِي مَقَامَتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَ مَا أُعْطِيَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ القَاتِلِينَ وَ القَاتِلَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ
الصَّابِرَاتِ وَ الخَاشِعِينَ وَ الخَاشِعَاتِ وَ المُسْتَضْعَفِينَ وَ المُسْتَضْعَفَاتِ وَ الصَّابِتِينَ وَ الصَّابِتَاتِ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ
فِي كِتَابِي فَأَيْنَ أَنَا وَ أَيْنَ خَلْوَتِكَ بِي مَا عَرَفْتِي وَ لَا عَرَفَ مَقْدَارَ قَوْلِي اللَّيْلِ لِي وَ مَا عَرَفَ لِمَا نَزَلَتْ إِلَيْكَ بِاللَّيْلِ إِلا العَارِفَ الحَقِيقَ الَّذِي لَقِيَهُ
بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي أَذْكَرْتَنِي فِي خَلْوَتِكَ بِرَبِّكَ فَأَجَابَهُ ذَلِكَ العَبْدُ فَقَالَ إِذَا ذَكَرْتِكَ فَلَسْتُ مَعَهُ فِي خَلْوَةٍ فَمَثَلَ ذَلِكَ عَرَفَ قَدْرَ نَزْوِي إِلَى
السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِاللَّيْلِ وَ لِمَا نَزَلَتْ وَ لِمَنْ طَلَبْتَ فَأَنَا أَتَلُو كِتَابِي عَلَيْهِ بِلِسَانِهِ وَ هُوَ يَسْمَعُ فَتَلُكُ مَسَامِرْتِي وَ ذَلِكَ العَبْدُ هُوَ المَلْتَمِذُ بِكَلَامِي فَإِذَا
وَقَفَ مَعَ مَعَانِيهِ فَقَدْ خَرَجَ عَنِّي بِفِكْرِهِ وَ تَأَمَّلَهُ فَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْغِي إِلَيَّ وَيُخْلِجِي سَمْعَهُ لِكَلَامِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا فِي تِلْكَ التَّلَاوَةِ كَمَا تَلَوْتَ عَلَيْهِ
وَ اسْمَعْتَهُ أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَشْرَحُ لَهُ كَلَامِي وَ أَتَرْجِمُ لَهُ عَن مَعْنَاهُ فَتَلُكُ مَسَامِرْتِي مَعَهُ فَيَأْخُذُ العِلْمَ مِنِّي لِأَنَّ فِكْرَهُ وَ اعْتِبَارَهُ فَلَإِيْبَالِي بِذِكْرِ جَنَّةِ
وَ النَّارِ وَ لا حِسَابَ وَ لا عَرَضَ وَ لا دُنْيَا وَ لا آخِرَةَ فَإِنَّهُ مَا نَظَرَهَا بِعَقْلِهِ وَ لا بَحْثَ عَنِ الآيَةِ بِفِكْرِهِ وَ إِنَّمَا أَلْقَى السَّمْعَ لِمَا أَقُولُ لَهُ وَ هُوَ شَهِيدٌ
حَاضِرٌ مَعِي أَتَوَلِّي تَعْلِيمَهُ بِنَفْسِي فَأَقُولُ لَهُ يَا عَبْدِي أَرَدْتُ بِهَذِهِ الآيَةِ كَذَا وَ كَذَا وَ بِهَذِهِ الآيَةِ الأُخْرَى كَذَا وَ كَذَا هَكَذَا إِلى أَنْ يَنْصَدِعَ الفَجْرُ
فِيحْصَلُ مِنَ العِلْمِ عَلَى يَقِينٍ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي سَمِعَ القُرْآنَ وَ مِنِّي سَمِعَ شَرْحَهُ وَ تَفْسِيرَ مَعَانِيهِ وَ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ الكَلَامِ وَ بِتِلْكَ الآيَةِ وَ
السُّورَةِ فَيَكُونُ حَسَنَ الأَدَبِ مَعِي فِي اسْتِمَاعِهِ وَ إِصْاخَتِهِ فَإِنَّ طَالِبَتَهُ بِالمَسَامِرَةِ فِي ذَلِكَ فَيَجِيبُنِي بِحُضُورٍ وَ مَشَاهِدَةٍ يَعْرُضُ عَلَى جَمِيعِ مَا
كَلَّمْتَهُ بِهِ وَ عِلْمَتَهُ إِياهُ فَإِنَّ كَانَ أَخَذَهُ عَلَى الاسْتِيفَاءِ وَ إِلا فَنَجْبِرُهُ مَا نَقَصَهُ مِنْ ذَلِكَ فَيَكُونُ لِي لَالَهُ وَ لا لِمَخْلُوقٍ فَمَثَلَ هَذَا العَبْدُ هُوَ لِي وَ اللَّيْلِ
بَيْنِي وَ بَيْنَهُ فَإِذَا انْصَدَعَ الفَجْرُ اسْتَوَيْتُ عَلَى عَرْشِي أَدْبِرُ الأَمْرَ أَفْضَلُ الآيَاتِ وَ يَمِشِي عَبْدِي إِلَى مَعَاشِهِ وَ إِلَى مُحَادَثَةِ إِخْوَانِهِ وَ قَدْ فَتَحَتْ بَيْنِي
وَ بَيْنَهُ بَابًا فِي خَلْقِي يَنْظُرُ إِلَيَّ مِنْهُ وَ انْظُرْ إِلَيْهِ مِنْهُ وَ الخَلْقُ لَا يَشْعُرُونَ فَأَحْدِثْهُ عَلَى أَسْنَنَتِهِمْ وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ وَ يَأْخُذُ مِنِّي عَلَى بَصِيرَةٍ وَ هُمْ لَا

يعلمون فيحسبون أنه يكلمهم وما يكلم سوى ويظنون أنه يجيبهم وما يجيب إلا إياي كما قال بعض أصحاب هذه الصفة

يا مؤنسي بالليل إن هجع الوري ومحدثي من بينهم بنهاري

وإذ قد أبت لك عن أهل الليل كيف ينبغي أن يكونوا في ليهم فإن كنت منهم فقد علمت الأدب الخاص بأهل الله وكيف ينبغي لهم أن يكونوا مع الله وأعلم أنه تختلف طبقاتهم في ذلك فالزاهد حاله مع الله في ليله من مقام زهده والمتوكل حاله مع الله من مقام توكله وكذلك صاحب كل مقام ولكل مقام لسان هو الترجمان الإلهي فهم متباينون في المراتب بحسب الأحوال والمقامات وأقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجردة عن المواد المحسوسة والخيالية فهم واقفون مع الحق بالحق على الحق من غير حد ولا نهاية ووجود ضد ومن أهل الليل من يكون صاحب عروج وارتقاء وذنو فيتلقاه الحق في الطريق وهو نازل إلى السماء الدنيا فيتدلى إليه فيضع كفه عليه وكل همة من كل صاحب معراج يتلقاها الحق في ذلك النزول حيث وجدها فمن الهمم من يلقاها الحق في السماء الدنيا ومنها من يلقاها في الثانية وفيما بينهما وفي الثالثة وفيما بينهما وفي الرابعة وفيما بينهما وفي الخامسة وفيما بينهما وفي السادسة وفيما بينهما وفي السابعة وفيما بينهما وفي الكراسي وفيما بينهما وفي العرش في أول النزول وفيما بينهما وهو مستوي الرحمن فيعطي لتلك الهمة من المعاني والمعارف والأسرار بحسب المنزل الذي لقيته فيه ثم تنزل معه إلى السماء الدنيا فتقف الهمم بين يديه ويستشرف الحق على من بقي من الهمم من أهل الليل في محاربتهم وما عرجت فيلقي إليهم الحق تعالى بحسب ما يسألونه في صلاتهم ودعائهم وهم في بيوتهم وفي محاربتهم فتسمع تلك الهمم التي لقيته في طريقها ما يكون منه جل جلاله إلى أولئك العبيد فيستفيدون علومها لم تكن عندهم فإنه قد يخطر لهؤلاء الذين ما صعدت هممهم من السؤال للحق في المعارف والأسرار ما لم يكن في قوة هذه الهمم أن تسألها لتصورها عنها فإذا سمعوا الجواب من الحق الذي يجيب به أولئك القوم الذين في محاربتهم وما اخترقت هممهم سماء ولا فلكا فيحصل لهم من العلم بالله بقدر ما سأل عنه أولئك الأقوام ثم همم آخر ارتقت فوق العرش إلى مرتبة النفس فقد تجدد الحق هناك وجود تنزيه ما هو وجودها له مثل وجودها له في عالم المساحة والمقدار فيشاهدون مقاما أنزه ومنزلا أقدس وبينية لا يحدها التقدير ولا يأخذها التصوير فيبينيتها بينية تميز علوم ومراتب فهوم ومن الهمم من يلقاه في العقل الأول ومن الهمم ما تلقاه في المقرين من الأرواح المهيمة ومن الهمم ما تلقاه في العماء ومن الهمم من تلقاه في الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم عليه السلام فإذا لقيته هذه الهمم في هذه المراتب أعطاهما على قدر تعطشها من المقام الذي بعثها على الترقى إلى هذه المراتب وينزلون معه إلى السماء الدنيا وعلى الحقيقة هو ينزلهم إلى السماء الدنيا وينزل معهم فيستفيدون من العلوم التي يهبها الحق لتلك الهمم التي ما تعدت العرش هكذا كل ليلة ثم تنزل هذه الهمم وقد عرفت ما أكرمها به الحق فاجتمعت بالهمم التي ما برحت من مكانها فوجدتها على طبقات فمنهم من وجد عندهم من العلوم التي لم تتقيد بترق وكان الحق أقرب إليها من حبل الوريد حين كان مع أولئك في العماء وفي السماء الدنيا وما بينهما قال تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فهو مع كل همة حيث كانت ويجدون همما أرضية قد تقدست عن الأينية وعن مراتب العقول فلم تتقيد بحضرة فتتال من العلوم

التي تليق بهذه الصفة التي وهبهم الحق منها ما حصلوا عليه من المعارف ما يبهت أولئك الحمم وهي من علوم الإطلاقات الخارجة عن الحصر الأيني الفلكي وعن الحصر الروحاني العقلي فهم مع كونهم في ظلمة الطبيعة على نور أضاءت به تلك الظلمة لوجود المشاهدة وهؤلاء هم الذين يعرفون أن إدراك الأشياء المرئية إنما هو من اجتماع نور البصر مع نور الجسم المستنير شمسا كان أو سراجا أو ما كان فتظهر المبصرات فلو فقد الجسم المستنير ما ظهر شيء ولو فقد البصر ما أضاء شيء مما يدركه البصر مع النور الخارج أصلا ألا ترى صاحب الكشف إذا أظلم الليل وانغلق عليه باب بيته ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر وقد تساويا في عدم الكشف للمبصرات فيكون أحدهم ممن يكشف له في أوقات فيتجلى له نور يجتمع ذلك النور مع نور البصر فيدرك ما في ذلك البيت المظلم مما أراد الله أن يكشف له منه كله أو بعضه يراه مثل ما يراه بالنهار أو بالسراج ورفيقه الذي هو معه لا يرى إلا الظلمة غير ذلك لا يراه فإن ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره فينفر حجاب الظلمة فلولا لم يكن الأمر كما ذكرناه لكان صاحب هذا الكشف مثل صاحبه لا يدرك شيئا أو يكون رفيقه مثله يدرك الأشياء فيكون إما من أهل الكشف مثله أو يدركه بنور العلم فإن المكاشف يدركه بنور الخيال كما يدركه النائم ورفيقه إلى جانبه مستيقظ لا يرى شيئا كذلك صاحب الكشف ولو سألت صاحب الكشف هل ترى ظلمة في حال كشفك لقال لا بل يقول أنا أرت البقعة حتى قلت إن الشمس ما غابت فأدركت المبصرات كما أدركها نهارا وهذه المسألة ما رأيت أحدا نبه عليها إلا أن كان وما وصل إلي فالكون كله في أصله مظلم فلا يرى إلا بالنورين فإنه يحدث هذا الأمر ونظيره الذي يؤيده إيجاد العالم فإنه من حيث ذاته عدم ولا يكسب الوجود إلا من كونه قابلا وذلك لإمكانه واقتدار الحق المخصص المرجح وجوده على عدمه فلوزال القبول من الممكن لكان كالحال لا يقبل الإيجاد وقد اشترك الحلال والممكن قبل الترجيح بالوجود في العدم كما أنه مع قبوله لولا لم يكن اقتدار الحق ما وجد عين هذا المعدوم الذي هو الممكن فلم تظهر الأعيان المعدومة للوجود إلا بكونها قابلة وهو مثل نور البصر وكون الحق قادرا وهو مثل نور الجسم النير فظهرت الأعيان كما ظهرت المبصرات بالنورين فكما إن الممكن لا يزال قابلا والحق مقتدرا ومريدا فيحفظ على الممكن إبقاء الوجود إذ له من ذاته العدم كذلك الباصر لا يزال نور بصره في بصره والشمس متجلية في نورها فتحفظ الأبصار المتعلقة بالمبصرات وهي من ذاتها أعني المبصرات غير منورة بل هي مظلمة فاعقل إن كنت تعقل فهذا الأمر أصل ضلال العقلاء وهم لا يشعرون لما يعقلوه وهو سر من أسرار الله تعالى جهله أهل النظر ومن هذه المسألة يتبين لك قدم الحق وحدوث الخلق لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام وعلى غير الوجه الذي تعقله الحكماء باللقب لا بالحقيقة فإن الحكماء على الحقيقة هم أهل الله الرسل والأنبياء والأولياء إلا أن الحكماء باللقب أقرب إلى العلم من غيرهم حيث لم يعقلوا الله إلا لها وأهل الكلام من النظائر ليس كذلك فأقطاب أهل الليل من يكون الليل في حقهم كالنهار كشفنا وشغلا قال تعالى وَإِتِّكُم لَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَي تعلمون منهم في الصباح ما تعلمون منهم في الليل إذ كان ليلا عند غيرهم ممن ليس له مقام الكشف بالليل كما لصاحب النور فالليل والصباح عنده سواء فهذا معنى قوله أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَإِن ادعت لك نفسك أنك من أهل الليل

فانظر هل لها قدم وكشف فيما ذكرت لك فهو الحك والمعيار ولكل ليل في القرآن أمور وعلوم لا يعرفها إلا أهل الليل خاصة والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني والأربعون في معرفة الفتوة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم وأسرار أقطابهم)

لهم قدم في كل فضل و مكرمة	و فتیان صدق لا ملالة عندهم
فهم بين توقيير لقوم و مرجمه	مقسمة أحوالهم في جليسههم
ولا تلحق الفتیان في ذاك مندمة	و إن جاء كفؤ آثروه برهم
و ما هو موسوم لديهم بسمسمه	لهم من خفايا العلم كل شعيرة
و من كان منهم ممن الله أعلمه	كنجل قسي و الذي كان قبله
فليس يجيبون السفیه بلفظ مه	بذلك حاز و السبق في كل حلبة
و ليس لها ضد يسمى بمشامة	بيمينه خصوا تعالى مقامها
و إن كريم القوم من كان أكرمه	فكلتا يدي ربي يمين كريمة
ملايسهم بين الملابس معلمه	إذا خلع الولي على أهله ترى

اعلم أن للفتوة مقام القوة وما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء وخلق الإنسان أقوى من الهواء إذا كان مؤمناً كذا ورد في الخبر النبوي عن الله تعالى مع الملائكة لما خلق الأرض وجعلت تمد الحديث بكامله وفي آخره يا رب فهل خلقت شيئاً أشد من الريح قال نعم المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شماله وقال تعالى إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فنعت الرزاق بالقوة لوجود الكفران بالمنعم من المرزوقين فهو يبرزهم مع كفرهم به ولا يمنع عنهم الرزق والإنعام والإحسان بكفرهم مع أن الكفر بالمنعم سبب مانع يمنع النعمة فلا يرزق الكافر مع وجود الكفر منه لما رزقه إلا من له القوة فلماذا نعته بذي القوة المتين فإن المتانة في القوة تضاعفها فما أكفى سبحانه بالقوة حتى وصف نفسه بأنه المتين فيها إذ كانت لقوة لها طبقات في التمكّن من القوي فوصف نفسه بالمتانة وهذه صفة أهل الفتوة فإن الفتوة ليس فيها شيء من الضعف إذ هي حالة بين الطفولة والكهولة وهو عمر الإنسان من زمان بلوغه إلى تمام الأربعين من ولادته يقول الله تعالى في هذا المقام اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً وَكَذَلِكَ حَالُ الْفِتْوَةِ وَفِيهَا يُسَمَّى قَتَى وَمَا قَرْنَ مَعَهَا شَيْئاً مِنَ الضَّعْفِ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهِ وَتَعَالَى ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَعْنِي ضَعْفَ الْكُهُولَةِ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ وَشَيْبَةَ يَعْنِي وَقَاراً أَيْ سَكُوناً لضعفه عن الحركة فإن الوقار من الوقور وهو الثقل فقرن مع هذا الضعف الثاني الشيبه التي هي الوقار فإن الطفل وإن كان ضعيفاً فإنه متحرك جداً واختلف في حركته هل هي من الطبيعة أو من الروح روى أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال يا رب ما هذا قال الوقار قال اللهم زدني وقاراً فهذا حال الفتوة ومقامها وأصحابها

يسمون الفتيان وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها ولا يتمكن لأحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق ما لم يعلم الحال التي يصر فيها و يظهر بها فالفتيان أهل علم وافر وقد أفردنا لها بابا في داخل هذا الكتاب حين تكلمنا على المقامات والأحوال فمن ادعى الفتوة وليس عنده علم بما ذكرناه فدعواه كاذبة وهو سريع الفضيحة فلا ينبغي يسمى فتى إلا من علم مقادير الأكوان ومقدار الحضرة الإلهية فيعامل كل موجود على قدره من المعاملة ويقدم من ينبغي أن يقدم ويؤخر ما ينبغي أن يؤخر وتفاصيل هذا المقام وحكم الطائفة فيه استوفيناها في رسالة الأخلاق التي كتبنا بها للفخر محمد بن عمر بن خطيب الري رحمه الله فلندكر منها في هذا الباب الأصل الذي ينبغي أن يعول عليه وذلك أنه ليس في وسع الإنسان أن يسع العالم بمكارم أخلاقه إذ كان العالم كله واقفا مع غرضه أو إرادته لا مع ما ينبغي فلما اختلفت الأغراض والإرادات وطلب كل صاحب غرض أو إرادة من الفتى أن يعامله بحسب غرضه وإرادته والأغراض متضادة فيكون غرض زيد في عمره وأن يعادي خالدا ويكون غرض خالد في زيد أن يعادي عمرا أو غرضه أن يواليه ويحبه ويوده فإن تفتي مع عمر وعادي خالد أو ذمه خالد و أثنى عليه زيد بالفتوة وكريم الخلق وإن لم يعاد خالدا والاه وأحبه أثنى عليه خالد وذمه زيد فلما رأينا أن الأمر على هذا الحد وأنه لا يعم ولم يتمكن عقلا ولا عادة أن يقوم الإنسان في هذه الدنيا أو حيث كان في مقام يرضى المتضادين انبغى للفتى أن يترك هوى نفسه ويرجع إلى خالقه الذي هو مولاه وسيده ويقول أنا عبد و ينبغي للعبد أن يكون بحكم سيده لا بحكم نفسه ولا بحكم غير سيده يتبع مرضيه ويقف عند حدوده ومراسمه ولا يكن ممن جعل مع سيده شريكا في عموديته فيكون مع سيده بحسب ما يحذ له ويتصرف فيما يرسم له ولا يبالي وافق أغراض العالم أو خالفهم فإن وافق ما وافق منها فذلك راجع إلى سيده فخرج له توقيع من ديوان سيده على يدي رسول قام الدليل له و العلم بأنه خرج إليه من عند سيده وأن ذلك التوقيع توقيع سيده فقام له إجلالا وأخذ توقيع سيده ومع التوقيع مشافهة فشافه العبيد بما أمره السيد أن يشافههم به وذلك هو الشرع المقرر والتوقيع هو الكتاب المنزل المسمى قرآنا والرسول هو جبريل عليه السلام وحاجب الباب الذي يصل إليه الرسول الملكي من عند الله بالتوقيع والمشافهة هو النبي المبشر محمد صلى الله عليه وسلم أو أي نبي كان من الأنبياء في زمان بعثهم فلزم العبيد مراسم سيدهم التي ضمنها توقيعهم والتي جاءت بها المشافهة فلم يكن لهم في نفوسهم ملك ولا تدبير فمن وقف عند حدود سيده وامتثل مراسيمه ولم يخالفه في شيء مما جاءه به على حد ما رسم له من غير زيادة بقياس أو رأى ولا نقصان بتأويل فعامل جنسه من الناس بما أمر أن يعاملهم به من مؤمن وكافر وعاص ومناقق وما ثم إلا هؤلاء الأصناف الأربعة وكل صنف من هؤلاء على طبقات فالمؤمن منه طائع وعاص وولي ونبي ورسول وملك وحيوان ونبات ومعدن والكافر منه مشرك وغير مشرك والمناقق منه ينقص في الظاهر عن درك الكافر فإن المنافق له الدرك الأسفل من النار والكافر له الأعلى والأسفل وأما العاصي فينقص في الظاهر عن درجة المؤمن المطيع بقدر معصيته فهذا الواقف عند مراسم سيده هو الفتى فكل إنسان لا بد أن يكون جليسا لأكبر منه أو أصغر منه أو مكافئا له إما في السن وإما في الرتبة أو فيهما فالفتى من وقر الكبير في العلم أو في السن والفتى من رحم الصغير في العلم أو في السن والفتى من أثر

المكافئ في السن أو في العلم ولست أعني بقولي في العلم إلا المرتبة خاصة فأتينا بالعلم لشرفه فإن الملك قد يكون صغيرا في السن صغيرا في العلم ويكون شخص من رعيته كبيرا في السن كبيرا في العلم فإن عرف الملك قدر ما رسم له الحق في شرعه من توقير الكبير وشرف العلم عامله الملك بذلك وإن لم يفعل فيكون الملك سيئ الملكة فينبغي للفتى أن يعرف شرف المرتبة التي هي السلطنة وأنه نائب الله في عباده و خليفته في بلاده فيعامل من أقامه الله فيها وإن لم يجر الحق على يده بما ينبغي للمرتبة من السمع والطاعة في المنشط والمكروه على حد ما رسم له سيده وما هو عليه مما أقام الله ذلك السلطان فيه من الأخلاق الحمودة أو المذمومة في الجور والعدل فينبغي للفتى أن يوفي السلطان حقه الذي أوجبه الله له عليه ولا يطلب منه حقه الذي جعله الله له قبل السلطان مما له أن يسأحه فيه إن منعه منه قوة عليه ورحمة به وتعظيما لمنزلته إذ كان له أن يطلبه به يوم القيامة فالفتى من لا خصم له لأنه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم فالفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة ومعنى هذا أن الله سمعه يقول وما خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا وهذه الحركة الصادرة من الفتى مما بينهما وكذلك حركة كل متحرك خلقه الله بين السماء والأرض فما هي عبث فإن الخالق حكيم فالفتى من يتحرك أو يسكن لحكمة في نفسه ومن كان هذا حاله في حركته فلا تكون حركته عبثا لا في يده ولا في رجله ولا شمه ولا أكله ولا لمسه ولا سمعه ولا بصره ولا باطنه فيعلم كل نفس فيه وما ينبغي له وما حكم سيده فيه ومثل هذا لا يكون عبثا وإذا كانت الحركة من غيره فلا ينظرها عبثا فإن الله خلقها أي قدرها وإذا قدرها فما تكون عبثا ولا باطلا فيكون حاضرا مع هذا عند وقوعها في العالم فإن فتح له بالعلم في الحكمة فيها فبئس على بخ وهو صاحب عناية وإن لم يفتح له في العلم بالحكمة فيها فيكفيه حضوره في نفسه إنها حركة مقدرة منسوبة إلى الله وأن الله فيها سرا يعلمه الله فيؤديه هذا القدر من العلم إلى الأدب الإلهي وهذا لا يكون إلا للفتيان أصحاب القوة الحاكمين على طبائع النفوس والعادات ولا يكون في هذا المقام من هذه الطائفة إلا الملامية فإن الله قد ولاهم على نفوسهم وأيدهم بروح منه عليها فلهم التصريف التام والكلمة الماضية والحكم الغالب فهم السلاطين في صور العبيد يعرفهم الملائ الأعلى فليس أحد مما سوى الإنس والجان إلا ويقول بفضله إلا بعض الثقلين فإن الحسد يمنعه من ذلك فطبقات الفتيان هو ما ذكرناه من يعلم منهم علم الله في الحركات ومن لا يعلم علم الله في ذلك على التعيين وإن علم إن ثم أمر لم يطلع الله عليه وأما منزلتهم فهو الذي قلنا في أول الباب في قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة وينظر إلى هذا الإيجاد من الحقائق الإلهية الآتية لأخرى وهي قوله إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فهم يعاملون الخلق بالإحسان إليهم مع إساءة لهم كإعطاء الله الرزق للمرزوقين الكافرين بالله ونعمه فلهم القوة العظمى على نفوسهم حيث لم يغلبهم هواهم ولا ما جبلت النفس عليه من حب الشاء والشكر والاعتراف قال تعالى حاكيا سمعنا قسي يذكركم يقال له إبراهيم فاطلق الله على ألسنتهم فتوة إبراهيم بلسانهم لما كانت الفتوة بهذه المثابة لأنه قام في الله حق القيام لما أحاطهم على الكبير من الأصنام على نية طلب السلامة منهم فإنه قال لهم فسئلوهم إن كانوا ينطقون يريد توبيخهم ولهذا رجعوا إلى أنفسهم وهو قوله تعالى وتلك حجبتنا آتيناها إبراهيم على قومه في كل حال وإنما سمي ذلك كذبا لإضافة الفعل في عالم الألفاظ إلى كبيرهم والكبير

الله على الحقيقة والله هو الفاعل المكسر للأصنام بيد إبراهيم فإنه يده التي يطش بها كذا أخبر عن نفسه فكسر هذه الأصنام التي زعموا أنها آلهة لهم ألا ترى المشركين يقولون فيهم ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فاعترفوا إن ثم لها كبيرا أكبر من هؤلاء كما هو أحسن الخالقين وأرحم الراحمين فهذا الذي قاله إبراهيم عليه السلام صحيح في عقد إبراهيم عليه السلام وإنما أخطأ المشركون حيث لم يفهموا عن إبراهيم ما أراد بقوله بل فعله كبيرهم فكان قصد إبراهيم بكبيرهم الله تعالى وإقامة الحجّة عليهم وهو موجود في الاعتقادين وكونهم آلهة ذلك على زعمهم والوقف عليه حسن عندنا تام وابتداء إبراهيم بقوله هذا قولي للخبر محذوف يدل عليه مساق القصة فسئلواهم إن كانوا ينطقون فهم يخبرونكم ولو نطقت الأصنام في ذلك الوقت لنسبت الفعل إلى الله لا إلى إبراهيم فإنه مقرر عند أهل الكشف من أهل طريقنا إن الجماد والنبات والحيوان قد فطرهم الله على معرفته وتسيحجه مجده فلا يرون فاعلا إلا الله ومن كان هذا في فطرته كيف ينسب الفعل لغير الله فكان إبراهيم على بينة من ربه في الأصنام أنهم لو نطقوا لأضافوا الفعل إلى الله لأنه ما قال لهم سلوهم إلا في معرض الدلالة سواء نطقوا أو سكوا فإن لم ينطقوا يقول لهم لم تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكم من الله شيئا ولا عن نفسه ولو نطقوا لقالوا إن الله قطعنا قطعاً لا يتمكن في الدلالة أن تقول الأصنام غير هذا فإنها لو قالت الصنم الكبير فعل ذلك بنا لكذب ويكون تقريراً من الله بكفرهم ورداً على إبراهيم عليه السلام فإن الكبير ما قطعهم جذاذاً ولو قالوا في إبراهيم إنه قطعنا لصدقوا في الإضافة إلى إبراهيم ولم تلزم الدلالة بنطقهم على وحدانية الله ببقاء الكبير فيبطل كون إبراهيم قصد الدلالة فلم تقع ولم يصدق وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه فكانت له الدلالة في نطقهم لو نطقوا كما قررنا وفي عدم نطقهم لو لم ينطقوا ومثل هذا ينبغي أن يكون قصد الأنبياء عليهم السلام فهم العلماء صلوات الله عليهم ولهذا رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنا لكم أنتم الظالمون ثم تكسبوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فقال الله للمثل هؤلاء أتعبدون ما تتجسون فكان من قوته إن باع نفسه في حق أحدية خالفه لا في حق خالقه لأن الشريك ما ينفي وجود الخالق وإنما توجه على نفي الأحدية فلا يقوم في هذا المقام إلا من له القطبية في القوة بحيث يدور عليه مقامها ومن القوة قوله تعالى وإذ قال موسى لفتاه فأطلق عليه باللسان العبراني معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى وكان في خدمة موسى عليه السلام وكان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب فإنه الشارع في تلك الأمة ورسولها ولكل أمة باب خاص إلهي شارعهم هو حاجب ذلك الباب الذي يدخلون منه على الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو حاجب الحجاب لعموم رسالته دون سائر الأنبياء عليهم السلام فهم حجبه صلى الله عليه وسلم من آدم عليه السلام إلى آخر نبي ورسول وإنما قلنا إنهم حجبه لقوله صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائيه فهم نوابه في عالم الخلق وهو روح مجرد عارف بذلك قبل نشأة جسمه قيل له متى كنت نبياً فقال كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أي لم يوجد آدم بعد إلى أن وصل زمان ظهور جسده المطهر صلى الله عليه وسلم فلم يبق حكم لثابت من نوابه من سائر الحجاب الإلهيين وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام إلا عنت وجوههم لقيومية مقامه إذ كان حاجب الحجاب فقرر من شرعهم ما شاءه بإذن سيده ومرسله ورفع من شرعهم وأمر يرفعه ونسخه فرمما قال من لا علم له بهذا الأمر إن

موسى عليه السلام كان مستقلاً مثل محمد بشرعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حياً ما وسعته إلا أن يتبعني وصدق صلى الله عليه وسلم فالفتى أبداً في منزل التسخير كما قال عليه السلام خادم القوم سيدهم فمن كانت خدمته سيادته كان عبداً محضاً خالصاً وتفضل الفتيان بعضهم على بعض بحسب المفتى عليه من المنزلة عند الله بوجهه ومن الضعف بوجهه فأعلامهم من تفتي على الأضعف من ذلك الوجه وأعلامهم أيضاً من تفتي على الأعلى عند الله من ذلك الوجه الآخر فالمفتي على الأضعف كصاحب السفرة وهو الشخص الذي أمره شيخه أن يقرب السفرة إلى الأضياف فأبطأ عليهم من أجل النمل الذي كان فيها فلم ير من الفتوة أن ينفض النمل من السفرة فإن من الفتوة أن يصرفها في الحيوان فوقف إلى أن خرجت النمل من السفرة من ذاتها من غير أن يكون لهذا الشخص في إخراج النمل تعمل قهري فإن الفتيان لهم الفتوة وليس لهم القهر إلا على نفوسهم خاصة ومن لا قوة له لا فتوة له كما أنه من لا قدرة له لا حلم له فقال له الشيخ لقد دقت فهذه مراعاة الأضعف لكنه ما تفتي مع الأضياف حيث أبطأ عن المبادرة إلى كرامتهم فلماذا ربطنا في أول الباب أنه لا يتمكن لأحد إرسال المكارم في العموم لاختلاف لأغراض فينظر الفتى في حق الشخصين المختلفي الأغراض اللذين إذا أرضى الواحد منهما أسخط الآخر و صورة نظره في حق الشخصين أيهما أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع فالذي هو أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع صرف الفتوة معه فإن اتسع الوقت إلى أن يتفتى مع الآخر بوجهه يرضى الله فعل أيضاً وإن لم يتسع فقد وفي المقام حقه وكان من الفتيان بلاشك وإن كان في رتبة الفعل بالهمة والفعل بالحس فعل الفتوة مع الواحد حساً ومع الآخر بالهمة دخل رجل على شيخنا أبي العباس العريبي وأنا عنده فتقافوا في إيصال معروف فقال الرجل يا سيدنا الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من غير توقف إلى الله وأخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن عبد الكريم التميمي الفاسي قال مخبراً عن أبي عبد الله الدقاق كان بمدينة فاس وتذاكروا الفعل بالهمة فقال أبو عبد الله الدقاق فزت بواحدة مالي فيها شريك ما اغتبت أحداً قط ولا اغتبت أحد بحضرتي قط فهذا من الفعل بالهمة حيث تفتي على من عادته أن يغتاب فيكنسب الأوزار أن لا يقدر على الغيبة في مجلسه بحضوره من غير أن يكون من الشيخ نهي له عن ذلك وتفتي أيضاً على الذي يذكر بما يكره بحضوره بأنه لا يذكر في فيه بما يكره وكان سيد وقته في هذا الباب خرج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آنفاً في كتاب المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد فقد علمت على الحقيقة أن الفتى من بذلك وسعه واستطاعته في معاملة الخلق على الوجه الذي يرضى الحق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب الثالث والأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين وعامة ذلك المقام)

لورث الهاشمي مع المسيح أنا ختم الولاية دون شك
أجاهد كل ذي جسم وروح كما أنى أبو بكر عتيق
و ترجمة بقرآن فصيح بأرماع مثقفة طوال

تنازعني على الوحي الصريح أشد على كتيبة كل عقل
على الأحوال بالنبا الصحيح لي الورع الذي يسمو اعتلاء
من الورعين من أهل الفتوح وساعدني عليه رجال صدق
و يستثون سلطنة الميخ يوالون الوجوب و كل ندب

الكلام على الورع وأهله وتركه يرد في داخل الكتاب في ذكر المقامات والأحوال منه إن شاء الله تعالى والذي يتعلق بهذا الباب الكلام على معرفة طائفة من أقطابه وعموم مقامه فاعلم إن أبا عبد الله الحارث بن أسد الحاسبي كان من عامة هذا المقام وأبا يزيد البسطامي وشيخنا أبا مدين في زماننا كانا من خاصته فأعلى أقطاب الورعين اجتناب الاشتراك في إطلاق اللفظ إذ كان الورع اجتناب المحرمات وكل ما فيه شبهة من جانب الحرم فيجتنب لذلك الشبه وهو المعبر عنه بالشبهات أي الشيء الذي له شبه بما جاء النص الصريح بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع بالحال الذي يوجب له هذا الاسم مثل أكل لحم الخنزير لمن ليس له حال الاضطرار فهو عليه حرام فهذا قلنا بالحال الذي يوجب له هذا الاسم كما أن المضطر ليس بمخاطب بالتحريم فأكل لحم الخنزير في حق من حاله الاضطرار هو له حلال بلا خلاف ولما كان التحريم معناه المنع من الالتباس به ورأوا أن لذلك أحوالا وأنه ما ثم في الوضع شيء محرم لعينه لهذا قيده الشارع بالأحوال وقد انسحب عليه التحريم للحال فما هو محرم لعينه أولى بالاجتناب فلا بد من اجتنابه باطنا علما وقد يحل هذا الحرم لعينه في ظاهر الحال ما يلزمه وهذا هو التحريم الذي لا يحل أبدا من حيث معناه ولا يصح أن تجيء آية شرعية تحله وهو الاتصاف بأوصاف الحق تعالى التي بها يكون لها فواجب شرعا وعقلا اجتناب هذه الأسماء الإلهية معنى وإن أطلقت لفظا فينبغي أن لا تطلق لفظا على أحد إلا تلاوة فيكون الذي يطلقها تاليا حاكيا كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فسماه عزيزا رؤوفا رحيم فنسماه بتسمية الله إياه ونعتقد أنه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أو أواه متيب فإطلاق الألفاظ التي تطلق على الحق من الوجه الصحيح الذي يليق بالجناب الإلهي لا ينبغي أن تطلق على أحد من خلق الله إلا حيث أطلقها الحق لا غير وإن أباح ذلك فالورع ما هو مع المباح ولا سيما في هذه المسألة خاصة فلا يطلقها مع كون ذلك قد أبيض له فإذا أطلقها على من أطلقها عليه الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون هذا المطلق تاليا أو مترجما ناقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإطلاق ثم من الورع عند هؤلاء الرجال أن ينزلوا إلى ما اختصت به الأنبياء والرسل من الإطلاق فيثور عوا أن يطلقوا عليهم أو على أحد ممن ليس بنبي ولا رسول اللفظ الذي اختصوا به فيطلقون على الرسل الذين ليسوا برسول الله لفظ الورثة والمترجمين فيقولون وصل من السلطان الفلاني إلى السلطان الفلاني ترجمان يقول كذا وكذا فلم يطلقوا على المرسل ولا على المرسل إليه اسم الملك ورعا وأدبا مع الله وأطلقوا عليه اسم السلطان فإن الملك من أسماء الله فاجتنبوا هذا اللفظ أدبا وحرمة ورعا وقالوا السلطان إذ كان هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله وأطلقوا على الرسول الذي جاء من عنده

اسم الترجمان ولم يطلقوا عليه اسم الرسول لأنه قد أطلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه من خصائص النبوة والرسالة الإلهية أدبا مع رسل الله عليهم السلام وإن كان هذا اللفظ قد أبيع لهم ولم ينهوا عنه ولكن لم يوجب عليهم فكان لزوم الأدب أولى مع من عرفنا الله أنه أعظم منا منزلة عنده وهذا لا يعرفه إلا الأدياء الورعون ثم إن هؤلاء مرتبة أخرى في الورع وهي أنهم رضي الله عنهم يجتنبون كل أمر تقع فيه المزاومة بين الأكوان ويطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم ولا من مقامهم فلا يزاومون أحدا في شيء مما يتحققون به في نفوسهم ويتصفون به ويحبون من الله أن يدعو به في الدنيا والآخرة وهو ما يكونون عليه من الأخلاق الإلهية فيكونون مع تحققهم بمعانيها وظهور أحكامها على ظواهرهم من الرحمة بعباد الله والتلطف بهم والإحسان إليهم والتوكل على الله والقيام بحمد الله ويظهرون في العالم أن جميع ما يرى عليهم إن ذلك فعل الله لا فعلهم ويبد الله لا يدهم وأن المثنى عليه بذلك الفعل إنما ينبغي أن يتعلق ذلك الثناء بفاعله وفاعله هو الله جل جلاله لأن نحن فيتبرءون من أفعالهم الحسنة غاية التبري ومن الأوصاف المستحسنة كذلك وكل وصف مذموم شرعا وعرفا يضيفونه إلى أنفسهم أدبا مع الله تعالى وورعا شافيا كما قال الخضر في العيب فأردت وفي الخير فأراد ربك وكما قال الخليل عليه السلام وإذ أمرضت ولم يقل أمرضني وكما قال تعالى في معرض التعليم لنا وما أصابك من سيئة فمِن نَفْسِكَ هذا وإن كان الحق في هذا الخبر يحكى قولهم ولكن فيه تنبيه في التعليم وكما قال عليه السلام في دعائه وهو مما يؤيد ما ذهبنا إليه في التنبيه في هذه الآية فقال والخير كله بيدك فأكد بكل وهي كلمة تقتضي الإحاطة في اللسان وقال والشر ليس إليك وإن كان لم يؤكده واكتفى بالألف واللام ونفى أضافه الشر أدبا مع الله وحقيقة وهذه المسألة من أعمس المسائل الإلهية عند أهل الله خاصة وأما أهل النظر فقد اعتمدت كل طائفة منهم على ما اقتضاه دليلها في زعمها وهؤلاء الرجال الغالب عليهم فهم مقاصد الشرع فجروا معه على مقصده وذلك من بركة الورع والاحترام الذي احترموه به الجناب الإلهي حقيقة لا مجازا فتح الله لهم بأدبهم عين الفهم في كتبه وفيما جاءت به رسله مما لا تستقل العقول بإدراكه وما تستقل لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم ففهموا من ذلك كله بهذه العناية ما لم يفهم من لم يتصف بهذه الصفة ولم يكن له هذا المقام ولما كان هذا حال الورعين سلكوا في أمورهم وحركاتهم مسالك العامة فلم يظهر عليهم ما يميزون به عنهم واستتروا بالأسباب الموضوعة في العالم التي لا يقع الثناء بها على من تلبس بها فلم ينطق على هؤلاء الرجال في العموم اسم صلاح يخرجهم عن صلاح العامة ولا توكل ولا زهد ولا ورع ولا شيء مما يقع عليه اسم ثناء خاص يخرجون به عن العامة ويشار إليهم فيه مع أنهم أهل ورع وتوكل وزهد وخلق حسن وقناعة وسخاء وإيثار فأمثال هذا كله اجتنب رجال الله من هؤلاء الطبقة فسموا ورعين في اصطلاح أهل الله لأن الورع الاجتناب وتدبر ما أحسن قول من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم كيف قال في هذا المقام يعلم رجاله كيف يكونون فيه دع ما يربك إلى ما لا يربك وقال استفت قلبك وإن أفنك المقتون فأحلم على قلوبهم لما علم ما فيها من سر الله الحاوية عليه في تحصيل هذا المقام ففي القلوب عصمة إلهية لا يشعر بها إلا أهل المراقبة وفيه ستر لهم فإن هؤلاء الرجال لو سألوا وعرف منهم البحث والتفتيش في مثل هذا عند الناس وعند العلماء الذين سألوا في ذلك بالضرورة كان

يشار إليهم ويعتقد فيهم الذين الخالص كبشر الحافي وغيره وهو من أقطاب هذا المقام عرف به وسلم له حكي أن أخت بشر الحافي سألت أحد أئمة الدين في الغزل الذي تغزله في ضوء مشاغل الظاهرية إذا مروا بها ليلا وهي على سطحها ففرفت بهذا السؤال أنها من أهل الورع لو عملت على حديث استفتت قلبك لعلمت أنها ما سألت حتى رابها فكانت تدع ذلك الغزل أو لا تغزل بعد ذلك وترك الغزل فأفتاها الإمام المسئول وهو أحمد بن حنبل وأثنى عليها بذلك حتى نقل إلينا و سطر في الكتب فأعطانا صلى الله عليه وسلم الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الأغيار خالصا لله مخلصا لا يعلمه إلا الله ثم صاحبه وهو قوله **الَلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** فكل دين وقع فيه ضرب من الاشتراك المحمود أو المذموم فما هو بالدين الخالص الذي لله إن كان الذي وقع به الاشتراك محمودا كمثلة أخت بشر الحافي وإن وقع الاشتراك بالمذموم فليس بدين أصلا فإنه ليس ثم دين إلهي يتعلق به لسان ذم فلما رأى رجال هذا المقام مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم ما يحصل في قلب العبد مما قاله وما أحال به لإنسان على نفسه باجتنابه طلبا للتستر تعملوا في تحصيل ذلك و سلكوا عليه و علموا إن النجاة المطلوبة من الشارع لنا إنما هي في ستر المقام فأعطاهم العمل على هذا و التحقق به الحقيقة الإلهية التي استندوا إليها في ذلك وهو اجتنابه التجلي منه سبحانه لعموم عباده في الدنيا فاقتدوا برهبهم في احتجاجه عن خلقه فعمل هؤلاء الرجال أن هذه الدار دار ستر وأن الله ما اكتفى في التعريف بالدين حتى نعتة بالخالص فطلبوا طريقا لا يشوبهم فيها شيء من الاشتراك حتى يعاملوا المواطن بما يستحقه أدبا و حكمة و شرعا و اقتداء فاستروا عن الخلق بجنن الورع الذي لا يشعر به وهو ظاهر الدين و العلم المعهود فإنهم لو سلكوا غير المعهود في الظاهر في العموم من الدين لتمييزوا و جاء الأمر على خلاف ما قصده فكانت أسماءهم أسماء العامة فهؤلاء الرجال يحمدهم الله و تحمدهم الأسماء الإلهية القدسية و يحمدهم الملائكة و يحمدهم الأنبياء و الرسل و يحمدهم الحيوان و النبات و الجماد و كل شيء يسبح بحمد الله و أما الثقلان فيجهلونهم إلا أهل التعريف الإلهي فإنهم يحمدهم و لا يظهرهم و أما غير أهل التعريف الإلهي من الثقلين فهم فيهم مثل ما هم في حق العامة يذكرونهم بحسب أغراضهم فيهم لا غير فلهم المقام المجهول في العامة أما ثناء الله عليهم فلتعلمهم استخلاصهم لله فخلصوا له دينه فأثنى عليهم حيث لم يملكهم كون و لا حكم على عبوديتهم رب غير الله و أما ثناء الأسماء الإلهية عليهم فكونهم تلقوها و علموا تأثيرها و ما أثروا بها في كون من الأكوان فيذكرون بذلك الأمر الذي هو لذلك الاسم الإلهي فيكون حجابا على ذلك الاسم فلما لم يفعلوا ذلك و أضافوا الأثر الصادر على أيديهم للاسم الإلهي الذي هو صاحب الأثر على الحقيقة حمدتهم الأسماء الإلهية بأجمعها و أما ثناء الملائكة فالأنهم ما زاحمهم فيما نسبوه إلى أنفسهم بالنسبة لا بالفعل في قولهم **نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** فقال هؤلاء الرجال لا حول و لا قوة إلا بك فلم يدعوا في شيء مما هم علمه من تعظيم الله و نسبوا ذلك إلى الله فأثنت عليهم الملائكة فإنها مع هذه الحال لم تجح الملائكة و تأدبت معها حيث لم تتعرض للطعن عليها بما صدر منها في حق أبيها آدم عليه السلام و اعتذرت عن الملائكة لإيثارهم جناب الحق و إصابتهم العلم فإنه وقع ما قالوه في بنى آدم لا شك من الفساد و سفك الدماء و لهذا سر معلوم و أما ثناء الأنبياء و الرسل عليهم السلام فلكونهم سلموا لهم ما ادعوه أنه لهم من النبوة و الرسالة و

آمنوا بهم وما توفقوا مع كونهم على أحوالهم من أجزاء النبوة قد اتصفوا بها ولكن مع هذا لم يتسموا بأنبياء ولا برسل وأخلصوا في اتباع آثارهم قدما بقدم كما روى عن الإمام أحمد بن حنبل المتبع المقتدى سيد وقته في تركه أكل لبطيخ لأنه ما ثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على قوة تباعه كيفيات أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكاته وجميع أفعاله وأحواله وإنما عرف هذا منه لأنه كان في مقام الوراثة في التبليغ والإرشاد بالقول والعمل والحال لأن ذلك أمكن في نفس السامع فهو وأمثاله حفاظ الشريعة على هذه الأمة وأما ثناء الحيوان والنبات والجماد عليهم فإن هؤلاء الأصناف عرفوا الحركات التي تسمى عبثا من التي لا تسمى عبثا فكل من تحرك فيهم بحركة تكون عبثا عند المتحرك بها لا عند المحرك يعلم الناظر منهم المشاهد لتلك الحركة البعثية أنه صاحب غفلة عن الله ورأت هذه الطائفة أنها لا تتحرك في حيوان ولا نبات ولا جماد بحركة تكون عبثا ويلحق بهذا الباب صيد الملوك ومن لا حاجة له بذلك إلا للفرجة واللهو واللعب فأنى من ذكرناه من هؤلاء الأصناف على هذه الطائفة فإله يقول وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا بَاطِنًا أَعْيُنًا لَمْ يَرَوْهَا كَمَا هُوَ عَنِ النَّاسِ أَلَيْسَ لَللَّهِ عِلْمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ

تعالى في حال من مات ممقوتا عند الله فما بكت عليهم السماء والأرض فوصف السماء والأرض بالبكاء على أهل الله ولا يشك مؤمن في كل شيء أنه مسبح وكل مسبح حي عقلا وورد أن العصفور يأتي يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم يقتلني عبثا وكذلك من يقطع شجرة لغير منفعة أو ينقل حجرا لغير فائدة تعود على أحد من خلق الله فلما أعطى الله هذه المعارف لهؤلاء الأصناف لذلك وصفتها بالثناء على هؤلاء الرجال وعرفت ذلك منهم كشفا حسيا مثل ما كان للصحابة سماع تسييح الحصى وتسييح الطعام لأنهم ليس بينهم وبين الحركة البعثية دخول بل يجتنبون ذلك جملة واحدة ولما جهل أكثر الثقلين هذه العلوم لذلك لا يعرفون مراتب هؤلاء الرجال فلا يمدحونهم ولا يتعرضون إليهم ولهذا أخبر تعالى أن كل شيء في العالم يسجد لله تعالى من غير تبعض إلا الناس فقال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالتُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَلَمْ يَبْعُضْ وَكثير من الناس فبعض فإن فهمت ما ذكرناه لك من صفة أصحاب هذا المقام وسلكت طريقهم كنت من المفلحين الفائزين والله يقول الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثالث والعشرون

(الباب الرابع والأربعون في البهاليل وأئمتهم في البهلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فلا تكسها حلة الأجل إذا كنت في طاعة راغبا
مع الوقت يجرون كالعاقل وكن كالبهليل في حالهم
ولا تصبرن إلى قابل وحوصل من السنبل الحاصل
ليحصل ما ليس بالحاصل فحوصلة الرزق قد هيئت

يفتك الذي هو في العاجل و لا تبكين على فائت
ولا السين وأرحل مع الراحل و سوف فلا تلتقت حكمها
و مت حصلت على طائل عساك إذا كنت ذا عزمة
تخبطت في شرك الحابل و قل للذي لم يزل وانبا
تريد فيا خيبة السائل و ما ظفرت كهنكم بالذي
كفعل الفتى الحذر الواجل فلو كان فعلك في أمره
يجلي لك الحق كالباطل لميزت بيني و بين الذي

يقول الله تعالى وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَ ذَٰلِكَ أَن لَّهٗ قَوْمًا كَانَتْ عَقُولُهُمْ مَّحْجُوبَةً بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَلَّفَهُمُ الْحَقُّ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّصَرُّفَ فِيهَا شَرْعًا وَ شَرَعَهَا لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ الْحَقُّ فَجَاءَهُ لِمَنْ خَلَا بِهِ فِي سِرِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي أَمْرِهِ وَ هِيَ قَلْبُهُ لِنُورِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ فَجَاءَهُ الْحَقُّ عَلَىٰ غَفْلَةٍ مِنْهُ بِذَلِكَ وَ عَدَمِ عِلْمِهِ وَ اسْتِعْدَادِهَا لِأَمْرِ فَذَهَبَ بِعَقْلِهِ فِي الذَّاهِبِينَ وَأَبْقَىٰ تَعَالَىٰ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ الَّذِي فَجَاءَهُ مَشْهُودًا لَهُ فَهَامَ فِيهِ وَ مَضَىٰ مَعَهُ فَبَقِيَ فِي عَالَمِ شَهَادَتِهِ بِرُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَتَصَرَّفُ فِي ضُرُورَاتِهِ الْحَيَوَانِيَّةِ تَصَرَّفَ الْحَيَوَانُ الْمَفْطُورُ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِمَنَافِعِهِ الْحَسُوسَةِ وَ مَضَارِهِ مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ وَ لَا رُوبِيَّةٍ وَ لَا فِكْرٍ يَنْطَلِقُ بِالْحِكْمَةِ وَ لَا عِلْمٍ لَهُ بِهَا وَ لَا يَقْصِدُ نَفْعًا بِهَا لِتَعْظُفٍ وَ تَذَكَّرَ أَنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ بِيَدِكَ وَ أَنَّكَ عَبْدٌ مُصْرَفٌ بِتَصْرِيفِ حَكِيمٍ وَ سَقَطَ التَّكْلِيفُ عَنْ هَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمْ عَقُولٌ يَقْبَلُونَ بِهَا وَ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا تَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ خِذِ الْعَفْوَ أَيْ الْقَلِيلَ مِمَّا يَجْرِي اللَّهُ عَلَيْهِ أَلْسِنَتُهُمْ مِنَ الْحُكْمِ وَ الْمَوَاعِظِ وَ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمُونَ عَقْلَاءَ الْجَانِينَ يَرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنَّ جَنُونَهُمْ مَا كَانَ سَبَبَهُ فُسَادُ مَزَاجٍ عَنْ أَمْرٍ كَوْنِيٍّ مِنْ غِذَاءٍ أَوْ جُوعٍ أَوْ غَيْرِ ذَٰلِكَ وَ إِنَّمَا كَانَ عَنْ نَجْلِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْلِهِمْ وَ فَجَاءَتْ مِنَ الْحَقِّ فَجَاءَتْهُمْ فَذَهَبَتْ بِعَقُولِهِمْ فَعَقُولُهُمْ مَحْبُوسَةٌ عِنْدَهُ مِنْعَةً بِشَهَادَتِهِ عَاكِفَةً فِي حَضْرَتِهِ مَنزَهَةً فِي جَمَالِهِ فَهَمُ أَصْحَابُ عَقُولٍ بِلَا عَقُولٍ وَ عَرَفُوا فِي الظَّاهِرِ بِالْجَانِينَ أَيْ الْمَسْتَوْرِينَ عَنْ تَدْبِيرِ عَقُولِهِمْ فَهَٰذَا سَمَوْا عَقْلَاءَ الْجَانِينَ قِيلَ لِأَبِي السَّعْدِ بْنِ الشَّيْبِ الْبَغْدَادِيِّ عَاقِلٌ زَمَانُهُ مَا تَقُولُ فِي عَقْلَاءِ الْجَانِينَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ مَلَّاحٌ وَ الْعَقْلَاءُ مِنْهُمْ أَمْلَحُ قِيلَ لَهُ فَبِمَا ذَا نَعْرِفُ الْجَانِينَ الْحَقُّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَقَالَ جَانِينَ الْحَقِّ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ آثَارُ الْقُدْرَةِ وَ الْعَقْلَاءُ يَشْهَدُ الْحَقُّ بِشَهَادَتِهِمْ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ عَنْ صَاحِبِهِ أَبُو الْبَدْرِ التَّمَّاسِكِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ كَانَ ثِقَّةً ضَابِطًا عَارِفًا بِمَا يَنْقَلُ لَا يَجْعَلُ فَاءَ مَكَانٍ وَ أَوْ فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ شَاهِدٍ مَا شَاهَدُوا وَ أَبْقَىٰ عَلَيْهِ عَقْلُهُ فَذَٰلِكَ أَحْسَنُ وَ أَمَكُنُ فَإِنَّهُ قَدْ أَقِيمَ وَ أُعْطِيَ مِنَ الْقُوَّةِ قَرِيبًا مِمَّا أُعْطِيَتِ الرَّسُلُ وَ لِيَنْ تَغْيِرُوا فِي وَقْتِ الْفَيْجَاتِ فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ وَسَلَّمَ لَمَّا فَجَاءَهُ الْوَحْيُ جِئَتْ مِنْهُ رَعْبًا فَأَتَىٰ خَدِيجَةَ تَرَجِفُ بِوَادِرِهِ فَقَالَ زَمَلُونِي زَمَلُونِي وَ ذَٰلِكَ مِنْ تَجَلَّىٰ مَلِكٍ فَكَيْفَ بِهِ تَجَلَّىٰ مَلِكٌ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ حَرَّ مُوسَىٰ صَعَقًا وَ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ الْوَحْيُ وَ نَزَلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ بِهِ عَلَىٰ قَلْبِهِ أَخَذَ

عن حسه و سجي و رغا كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه و قد وعى ما جاءه به فيلقيه على الحاضرين و يبلغه للسامعين فمواجهه صلى الله عليه و سلم من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة من نزول ملك و وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه و لكن كان منتظرا مستعدا لذلك الهول و مع هذا يؤخذ عن نفسه فلو أنه رسول مطلوب بتبليغ الرسالة و سياسة الأمة لذهب الله بعقول الرسل لعظيم ما يشاهدونه فمكثهم الله القوي المتين من القوة بحيث يتمكنون من قبول ما يرد عليهم من الحق و يوصلونه إلى الناس و يعملون به فاعلم إن الناس في هذا المقام على إحدى ثلاث مراتب منهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون بحكمه يصرفه الحال و لا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال فإن استمر عليه إلى آخر عمره فذلك المسمى في هذه الطريقة بالجنون كأبي عقال المغربي و منهم من يمسك عقله هناك و يبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل و يشرب و يتصرف من غير تدبير و لا روية فهو لاء يسمون عقلاء الجنان لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات و أما مثل أبي عقال فمجنون مأخوذ عنه بالكلية و لهذا ما أكل و ما شرب من حين أخذ إلى أن مات و ذلك في مدة أربع سنين بمكة فهو مجنون أي مستور مطلق عن عالم حسه و منهم من لا يدوم له حكم ذلك الوارد فيزول عنه الحال فيرجع إلى الناس بعقله فيدبر أمره و يعقل ما يقول و يقال له و يتصرف عن تدبير و روية مثل كل إنسان و ذلك هو النبي و أصحاب الأحوال من الأولياء و منهم من يكون وارده و تجليه مساويا لقوته فلا يرى عليه أثر من ذلك حاكم لكن يشعر عند ما يبصر أن ثم أمرا ما طرأ عليه شعورا خفيا فإنه لا بد لهذا أن يصغي إليه أي إلى ذلك الوارد حتى يأخذ عنه ما جاءه به من عند الحق فحاله كحال جليسك الذي يكون معك في حديث فيأتي شخص آخر في أمر من عند الملك إليه فيترك الحديث معك و يصغي إلى ما يقول له ذلك الشخص فإذا وصل إليه ما عنده رجع إليك فحدثك فلو لم تبصره عينك و رأيته يصغي إلى أمر شعرت أن ثم أمرا شغله عنك في ذلك كرجل يجد أنك فأخذته ففكره في أمر فصرف حسه إليه في خياله فجمدت عينه و نظره و أنت تحدته فتتظر إليه غير قابل حديثك فتشعر أن باطنه متفكر في أمر آخر خلاف ما أنت عليه و منهم من تكون قوته أقوى من الوارد فإذا أتاه الوارد و هو معك في حديث لم تشعر به و هو يأخذ من الوارد ما يلقي إليه و يأخذ عنك ما تحدته به أو يحدثك به و ما ثم أمر رابع في واردات الحق على قلوب أهل هذه الطريقة و هي مسألة غلط فيها بعض أهل الطريق في الفرق بين النبي و الولي فقالوا الأنبياء يصرفون الأحوال و الأولياء تصرفهم الأحوال فالأنبياء ما يكون أحوالهم و الأولياء مملوكون لأحوالهم و الأمر إنما هو كما فصلناه لك و قد بينا لك لما ذا يرد الرسول و يحفظ عليه عقله مع كونه يؤخذ و لا بد عن حسه في وقت وارد الحق على قلبه بالوحي المنزل فانهم ذلك و تحفته و قد لقينا جماعة منهم و عاشرناهم و اقتبسنا من فوائدهم و لقد كنت واقفا على واحد منهم و الناس قد اجتمعوا عليه و هو ينظر إليهم و هو يقول لهم أطيعوا الله يا مساكين فإنكم من طين خلقتم و أخاف عليكم أن تطبخ النار هذه الأواني فتردها فخارا فهل رأيتم قط آية من طين تكون فخارا من غير أن تطبخها ناريا مساكين لا يغرنكم إبليس بكونه يدخل النار معكم و تقولون الله يقول لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ إبليس خلقه الله من نار فهو يرجع إلى أصله و أنتم من طين تتحكم النار في مفصلكم يا مساكين

انظروا إلى إشارة الحق في خطابه لإبليس بقوله **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ** وهنا قف ولا تقرأ ما بعدها فقال له جهنم منك وهو قوله **خَلَقَ الْجَانَّ** من مارح من نار فمن دخل بيته وجاء إلى داره واجتمع بأهله ما هو مثل الغريب الوارد عليه فهو يرجع إلى ما به افتخر قال **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي** من نار فسروره رجوعه إلى أصله وأتم يا مناحيس تتفخر بالنار طينتكم فلا تسمعوا من إبليس ولا تطيعوا واهربوا إلى محل النور تسعدوا يا مساكين أتم عمي ما تبصرون الذي أبصره أنا تقولون سقف هذا المسجد ما يمسكه إلا هذه الأسطوانات أتم تبصرونها أسطوانات من رخام وأنا أبصرها رجالا يذكرون الله ويمجدونه بالرجال تقوم السموات فكيف هذا المسجد ما أدري إما أنا هو الأعمى لا أبصر الأسطوانات حجارة وإما أتم هم العمي لا تبصرون هذه الأسطوانات رجالا والله يا إخوتي ما أدري لا والله أتم هم العمي ثم استشهدني دون الجماعة فقال يا شاب أأستأق الحق قلت بلى ثم جلست إلى جانبه فجعل يضحك وقال يا ناس الأسأه المنمنة تصفر بعضها لبعض وهذا الشاب منن مثلي هذه المناسبة جعلته يجلس إلى جانبي ويصدقني أتم الساعة تحسبون عاقلا وأنا مجنون هو أجن مني بكثير وإنما أتم كما أعماكم الله عن رؤية هذه الأسطوانات رجالا أعماكم أيضا عن جنون هذا الشاب ثم أخذ بيدي وقال قم امش بنا عن هؤلاء فخرجت معه فلما فارق الناس ترك بيدي من يده وانصرف عني وهو من أكبر من لقيته من المعتهين كنت إذا سألته ما الذي ذهب بعقلك يقول لي أنت هو المجنون حقا ولو كان لي عقل كنت تقول لي ما الذي ذهب بعقلك أين عقلي حتى يخاطبك قد أخذه معه ما أدري ما يفعل به وتركني هنا في جملة الدواب آكل وأشرب وهو يدبرني قلت له فمن يركبك إذا كنت دابة قال أنا دابة وحشية لا أركب ففهمت أنه يريد خروجه عن عالم الإنس وأنه في مفاوز المعرفة فلا حكم للإنس عليه وكذلك كان محفوظا من أذى الصبيان وغيرهم كثير السكوت مبهوتا دائم الاعتبار يلزم المسجد ويصلي في أوقات فرما كنت أسأله عند ما أراه يصلي أقول له أراك تصلي يقول لي لا والله إنما أراه يميني ويقعدني ما أدري ما يريد بي أقول له فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك فيقول لي أي شيء تكون النية أقول له القصد بهذه الأعمال القربة إليه فيضحك ويقول أنا أقول له أراه يميني ويقعدني فكيف أنوي القربة إلى من هو معي وأنا أشهده ولا يغيب عني هذا كلام المجانين ما عندكم عقول ثم تعلم إن هؤلاء البهاليل كهلول وسعدون من المتقدمين وأبي وهب الفاضل وأمثالهم منهم المسرور ومنهم المحزون وهم في ذلك بحسب الوارد الأول الذي ذهب بعقولهم فإن كان وارد فهر قبضهم كعقوب الكوراني كان بالجرس الأبيض رأته وكان على هذا القدم وكذلك مسعود الحبشي رأته بدمشق ممتزجا بين القبض والبسط الغالب عليه البهت وإن كان وارد لطف بسطهم رأيت من هذا الصنف جماعة كأبي الحجاج الغليري وأبي الحسن علي السلاوي والناس لا يعرفون ما ذهب بعقولهم شغلهم ما تجلى لهم عن تدبير نفوسهم فسخر الله لهم الخلق فهم مشغولون بمصالحهم عن طيب نفس فأشهى ما إلى الناس أن يأكل واحد من هؤلاء عنده أو يقبل منه ثوبا تسخيرا إلهيا فجمع الله لهم بين الراحة حيث يأكلون ما يشتهون ولا يحاسبون ولا يسألون وجعل لهم القبول في قلوب الخلق والمحبة والعطف عليهم واستراحوا من التكليف ولهم عند الله أجر من أحسن عملا في مدة أعمارهم التي ذهبت بغير عمل لأنه سبحانه هو الذي أخذهم

إليه فحفظ عليهم نتائج الأعمال التي لو لم يذهب بعقولهم لعملوها من الخير كمن بات نائما على وضوء وفي نفسه أن يقوم من الليل يصلي فيأخذ الله بروحه فينام حتى يصبح فإن الله يكتب له أجر من قام ليلة لأنه الذي حبسه عنده في حال نومه فالمخاطب بالتكليف منهم وهو روحهم غائب في شهود الحق الذي ظهر سلطانه فيهم فما لهم أذن واعية لحفظ السماع من خارج وتعقل ما جاء به ولقد ذقت هذا المقام ومر على وقت أؤدي فيه الصلوات الخمس إما ما بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع والسجود وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال وأنا في هذا كله لا أعلم لي بذلك لا بالجماعة ولا بالخل ولا بالحال ولا بشيء من عالم الحس لشهود غلب على غبت فيه عني وعن غيري وأخبرت أنني كنت إذا دخلت وقت الصلاة أقيم الصلاة وأصلي بالناس فكان حالي كالحرركات الواقعة من النائمة ولا أعلم له بذلك فعلمت إن الله حفظ على وقتي ولم يجز على لساني ذنب كما فعل بالشبلي في وله لكنه كان الشبلي يرد في أوقات الصلوات على ما روى عنه فلا أدري هل كان يعقل رده أو كان مثل ما كنت فيه فإن الراوي ما فصل فلما قيل للجنيد عنه قال الحمد لله الذي لم يجز عليه لسان ذنب إلا أنني كنت في أوقات في حال غيبيتي أشاهد ذاتي في النور الأعم والتجلي الأعظم بالعرش العظيم يصلي بها وأنا عرى عن الحركة بمعزل عن نفسي وأشاهدها بين يديه راکعة وساجدة وأنا أعلم أنني أنا ذلك الراكع والساجد كروية النائمة واليد في ناصيتي وكنت أتعجب من ذلك وأعلم أن ذلك ليس غيري ولا هو أنا ومن هناك عرفت المكلف والتكليف والمكلف اسم فاعل واسم مفعول فقد أبت لك حالة المأخوذین عنهم من المجانين الإلهيين إبانة ذائق بشهود حاصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب الخامس والأربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل ومن جعله يعود)

و تفصيل آيات لو أنك تعقل	وجودك عن تدبير أمر محقق
رب يرى الأشياء تعلقو وتسفل	فيا أيها الإنسان ما غر ذاتكم
علمت الذي قد كنت بالأمس تجهل	فإن كنت ذا عقل وفهم وفطنة
لقرب و بعد بالذي أنت تعمل	و ذلك أن تدري بأنك قابل
فذاك الذي بالعبد أولى وأجمل	فخف رب تدبير و تفصيل مجمل
لعل بشارات بسعدك تحصل	إذا كان هذا حالك اليوم ذاتبا
وفي الخلق يقضي ما يشاء ويفصل	فإن جلال الحق يعظم قدره
إليه و يقضي ما يشاء و يعدل	إذا أخذ المولى قلوب عباده
ورد الذي قد شاء لما كان يأمل	فمن شاء أبقا له مكرما
و ما ثم إلا هؤلاء فأجملوا	و ذلك نبى أو رسول و وارث

والاثنتان قد راحا فما لك تعدل
و لم يبق إلا واحد و هو وارث
ليغبطه فيها الذي هو أفضل
فسبحان من خص الولي براحة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم ولما كانت حالته صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه عناية من الله سبحانه به صلى الله عليه وسلم إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرفه بنبوته فلما تقرر عند أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ودعا إلى الله عز وجل على بصيرة فالوارث الكامل من الأولياء منا من انقطع إلى الله بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن فتح الله له في قلبه في فهم ما أنزل الله عز وجل على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتجل إلهي في باطنه فرزقه الفهم في كتابه عز وجل وجعله من المحدثين في هذه الأمة فقام له هذا مقام الملك الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رده الله إلى الخلق يرشدهم إلى صلاح قلوبهم مع الله ويفرق لهم بين الخواطر الحمودة والمذمومة وبين لهم مقاصد الشرع وما ثبت من الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يثبت بإعلام من الله أتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما فيرقى هممهم إلى طلب الأنفس بالمقام الأقدس ويرغبهم فيما عند الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته غير إن الوارث لا يحدث شريعة ولا ينسخ حكما موقرا لكن يبين فإنه على بينة من ربه وبصيرة في علمه ويؤلوه شاهد منه بصدق اتباعه وهو الذي أشركه الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وسلم في الصفة التي يدعوها إلى الله فأدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وهم الورثة فهم يدعون إلى الله على بصيرة وكذلك شركهم مع الأنبياء عليهم السلام في الخنة وما ابتلوا به فقال إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وهم الورثة فشرك بينهم في البلاء كما شرك بينهم في الدعوة إلى الله فكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه كثيرا ما يقول من علامات صدق المرید في إرادته فراره عن الخلق وهذه حالة الرسول صلى الله عليه وسلم في خروجه وانقطاعه عن الناس في غار حراء للتحنث ثم يقول من علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في انقطاعه حتى فجأه الحق ثم قال ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق يريد حالة بعثه صلى الله عليه وسلم بالرسالة إلى الناس ويعني في حق الورثة بالإرشاد وحفظ الشريعة عليهم فأراد الشيخ بهذا صفة الكمال في الوارث النبوي فإن لله عبادا إذا فجأهم الحق أخذهم إليه ولم يردهم إلى العالم وشغلهم به وقد وقع هذا كثيرا ولكن كمال الوارث النبوي الرسالي في الرجوع إلى الخلق فإن اعترضك هنا قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا إنما ذلك فيمن رجع إلى شهواته الطبيعية ولذاته وما تاب منه إلى الله وأما الرجوع إلى الله تعالى بالإرشاد فلا يقول لولاح لهم بارقة من الحقيقة ما رجعوا إلى ما تابوا إلى الله منه ولو رأوا وجه الحق فيه فإن موطن التكليف والأدب يمنعهم من ذلك وأما قول الآخر من أكابر الرجال لما قيل له فلان يزعم أنه

وصل فقال إلى سقر فإنه يريد بهذا أنه من زعم أن الله محدود يوصل إليه وهو القائل وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ أو ثم أمر إذا وصل إليه سقطت عنه الأعمال المشروعة وأنه غير مخاطب بها مع وجود عقل التكليف عنده وإن ذلك الوصول أعطاه ذلك فهو هذا الذي قال فيه الشيخ إلى سقر أي هذا لا يصح بل الوصول إلى الله يقطع كل ما دونه حتى يكون الإنسان يأخذ عن ربه فهذا لا تمنعه الطائفة بلا خلاف وكان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي يقول بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كؤود ونحن في أسفل العقبة من جهة الطبيعة فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى نصل إلى أعلاها فإذا استشرفنا على ما وراءها من هناك لم نرجع فإن وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه وهو قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا يريد إلى رأس العقبة فمن رجع من الناس إنما رجع من قبل الوصول إلى رأس العقبة والإشراف على ما وراءها فالسبب الموجب للرجوع مع هذا إنما هو طلب الكمال ولكن لا ينزل بل يدعوهم من مقامه ذلك وهو قوله عَلَى بَصِيرَةٍ فيشهد فيعرف المدعو على شهود محقق والذي لم يرد ماله وجهه إلى العالم فيبقى هناك واقفا وهو أيضا المسمى بالواقف فإنه ما وراء تلك العقبة تكليف ولا ينحدر منها إلا من مات إلا أنه منهم أعني من الواقفين من يكون مستهلكا فيما يشاهده هناك وقد وجد منهم جماعة وقد دامت هذه الحالة على أبي يزيد البسطامي وهذا كان حال أبي عقاب المغربي وغيره واعلم أنه بعد ما أعلمتكم ما معنى الوصول إلى الله أن الواصلين على مراتب منهم من يكون وصوله إلى اسم ذاتي لا يدل إلا على الله تعالى من حيث هو دليل على الذات كالاسماء الأعلام عندنا لا تدل على معنى آخر مع ذلك يعقل فهذا يكون حاله الاستهلاك كالملائكة المهيمن في جلال الله تعالى والملائكة الكرويين فلا يعرفون سواه ولا يعرفهم سواه سبحانه ومنهم من يصل إلى الله من حيث الاسم الذي أوصله إلى الله أو من حيث الاسم الذي يتجلى له من الله ويأخذه من الاسم الذي أوصله إليه سبحانه ثم إن هذين الرجلين المذكورين أو الشخصين فإنه قد يكون منهم النساء إذا وصلوا فإن كان وصولهم من حيث الاسم الذي أوصلهم فشاهدوه فكان لهم عين يقين فلا يخلو ذلك الاسم إما أن يطلب صفة فعل كخالق وبارئ أو صفة صفة كالشكور والحسب أو صفة تنزيه كالغني فيكون بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم ومن ثم يكون مشربه وذوقه وريه وجوده لا يتعداه فيكون الغالب عليه عندنا في حاله ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي فتضيفه إليه وبه تدعوه فتقول عبد الشكور وعبد الباري وعبد الغني وعبد الجليل وعبد الرزاق وإن كان وصولهم إلى اسم غير الاسم الذي أوصلهم فإنه يأتي بعلم غريب لا يعطيه حاله بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم فيتكلم بغرائب العلم في ذلك المقام وقد يكون في ذلك العلم ما ينكره عليه من لا علم له بطريق القوم ويرى الناس أن علمه فوق حاله وهو عندنا أعلى من الذي وصل إلى مشاهدة الاسم الذي أوصله فإن هذا لا يأتي بعلم غريب لا يناسب حاله فيرى الناس أن علمه تحت حاله ودونه يقول أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه العارف فوق ما يقول والعالم تحت ما يقول فهذا قد حصرنا لك مراتب الواصلين فمنهم من يعود ومنهم من لا يعود ثم إن الراجعين على قسمين منهم من يرجع اختيارا كأبي مدين ومنهم من يرجع اضطرارا مجبوراً كأبي يزيد لما خلع عليه الحق الصفات التي بها ينبغي أن يكون وارثا وراثته إرشاد وهداية خطأ خطوة من عنده فغشي عليه فإذا النداء ردوا على حبيبي فلا صبر له عني فمثل هذا لا

يرغب في الخروج إلى الناس وهو صاحب حال وأما العاليي من الرجال وهم الأكابر وهم الذين ورثوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبوديته فإن أمروا بالتبليغ فيحتملون في ستر مقامهم عن أعين الناس ليظهروا عند الناس بما لا يعلمون في العادة أنهم من أهل الاختصاص الإلهي فيجمعون بين الدعوة إلى الله وبين ستر المقام فيدعونهم بقراءة الحديث وكتب الرقائق وحكايات كلام المشايخ حتى لا تعرفهم العامة إلا أنهم نقلة لأنهم يتكلمون عن أحوالهم من مقام القرية هذا إذا كانوا مأمورين ولا بد وإن لم يكونوا مأمورين بذلك فهم مع العامة التي لم تنزل مستورة الحلال لا يعتقد فيهم خير ولا شر ثم إن من الرجال الواصلين من لا يكشف لهم عن العلم بالأسماء الإلهية التي تدبرهم ولكن لهم نظر إلى الأعمال المشروعة التي يسلكون بها وهي ثمانية يد ورجل وبطن ولسان وسمع وبصر وفرج وقلب ما ثم غير ذلك فهؤلاء يفتح لهم عند وصولهم في عالم المناسبات فينظرون فيما يفتح لهم عند الوصول إلى الباب الذي قرعوه فعند ما يفتح لهم يعرفون فيما يتجلى لهم من الغيب أي باب ذلك الباب الذي فتح لهم فإن كان المشهود لهم يطلب اليد بمناسبة تظهر لهم كان صاحب يد وإن كان يطلب البصر بمناسبة كان صاحب بصر وهكذا جميع الأعضاء ومن ذلك الجنس تكون كراماته إن كان وليا ومعجزاته إن كان نبيا ومن ذلك الجنس تكون منازلهم ومعارفهم كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يركع ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء فتحته له الثمانية الأبواب من الجنة يدخل من أيها شاء كذلك هذا الشخص يفتح له من أعمال أعضائه إذا كملت طهارته ووصفا سره أي شيء كان مما تعطيه أعمال أعضائه المكلفة وقد بينا هذه المراتب العملية على الأعضاء في كتاب مواقع النجوم ثم إن الله سبحانه يدهم من الأنوار بما يناسبهم وهي ثمانية من حضرة النور فمنهم من يكون إمداده من نور البرق وهو المشهد الذاتي وهو على ضريبين خلب وغير خلب فإن لم ينتج مثل صفات التنزيه فهو البرق الخلب وإن أنتج ولا ينتج إلا أمرا واحدا لأنه ليس لله صفة نفسية سوى واحدة هي عين ذاته لا يصح أن تكون اثنان فإن اتفق أن يحصل له من هذا النور البرقي في بعض كشف تعريف إلهي لا يكون برق خلب ومنهم من يكون إمداده من حضرة النور نور الشمس ومنهم من يكون إمداده من نور البدر ومنهم من يكون إمداده من نور القمر ومنهم من يكون إمداده من نور الهلال ومنهم من يكون إمداده من نور السراج ومنهم من يكون إمداده من نور النجوم ومنهم من يكون إمداده من نور النار وما ثم نور أكثر وقد ذكرنا مراتب هذه الأنوار في مواقع النجوم أيضا فيكون إدراكهم على قدر مراتب أنوارهم فتتميز المراتب بتميز الأنوار وتميز الرجال بتميز المراتب ومن الرجال الواصلين من ليس لهم معرفة بهذا المقام ولا بالأسماء الإلهية ولكن لهم وصول إلى حقائق الأنبياء ولطائفهم فإذا وصلوا فتح لهم باب من لطائف الأنبياء على قدر ما كانوا عليه من الأعمال في وقت الفتح فمنهم من يتجلى له حقيقة موسى عليه السلام فيكون موسوي المشهد ومنهم من يتجلى له لطيفة عيسى وهكذا سائر الرسل فينسب إلى ذلك الرسول بالوراثة ولكن من حيث شريعة محمد صلى الله عليه وسلم المقررة من شرع ذلك النبي الذي تجلى له فيجد هذا الواصل أنه كان محققا في عمله الموجب لفتحه من جهة ظاهره أو باطنه شرع نبي متقدم مثل قوله تعالى **أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدِكْرِي** فإن ذلك من شرع موسى وقرره الشارع لنا فيمن خرج عنه وقت الصلاة بنوم أو

نسيان فهؤلاء يأخذون من لطائف الأنبياء عليهم السلام ولقينا منهم جماعة وليس لهؤلاء في الأنوار ولا في الأعضاء ولا في الأسماء الإلهية ذوق ولا شرب ولا شرب ومن الواصلين أيضا إلى الله تعالى الوصول الذي بيناه من يجمع الله له الجميع ومنهم من يكون له من ذلك مرتبتان وأكثر على قدر رزقه الذي قسمه الله له منه وكل إنسان من هؤلاء إذا رد إلى الخلق بالإرشاد والهداية لا يتعدى ذوقه في أي مرتبة كان والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس والأربعون في معرفة العلم القليل ومن حصله من الصالحين)

و الكثر في المعلوم لا في ذاته	العلم بالأشياء علم واحد
متعدد في ذاته و صفاته	و الأشعري يرى و يزعم أنه
ولو أنه من فكره و هباته	إن الحقيقة قد أبت ما قاله
متوحد في عينه و سماته	الحق أبلج لا خفاء بأنه

قال الله عز وجل وَمَا أُوتِئْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فكان شيخنا أبو مدين يقول إذا سمع من يتلو هذه الآية القليل أعطيناه ما هولنا بل هو معار عندنا والكثير منه لم يصل إليه فنحن الجاهلون على الدوام وقال من هذا الباب خضر لموسى عليه السلام لما رأى الطائر الذي وقع على حرف السفينة و نقر في البحر بمنقاره أتدري ما يقول هذا الطائر في نقرة في الماء قال موسى عليه السلام لأدري قال يا موسى يقول هذا الطائر ما نقص علمي و علمك من علم الله إلا ما نقص من هذا البحر منقاري والمراد المعلومات بذلك لا العلم فإن العلم لو تعدد أدى أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى وهو محال فإن المعلومات لا نهاية لها فلو كان لكل معلوم علم لزم ما قلناه و معلوم أن الله يعلم ما لا يتناهى فعلمه واحد فلا بد أن يكون للعلم عين واحدة لأنه لا يتعلق بالمعلوم حتى يكون موجودا و ما هو ذلك العلم هل هو ذات العالم أو أمر زائد في ذلك خلاف بين النظائر في علم الحق سبحانه و معلوم أن علم الله متعلق بما لا يتناهى فبطل أن يكون لكل معلوم علم و سواء زعمت أن العلم عين ذات العالم أو صفة زائدة على ذاته إلا أن تكون ممن يقول في الصفات إنها نسب وإن كنت ممن يقول إن العلم نسبة خاصة فالنسب لا تتصف بالوجود نعم ولا بالعدم كالأحوال فيمكن على هذا أن يكون لكل معلوم علم و قد علمنا إن المعلومات لا تتناهى فالنسب لا تتناهى ولا يلزم من ذلك محال كحدوث العلاقات عند ابن الخطيب والاسترسال عند إمام الحرمين و بعد أن فهمت ما قررناه في هذه المسألة فقل بعد ذلك ما شئت من نسبة الكثرة للعلم والقلة فما وصف الله العلم بالقلة إلا العلم الذي أعطى الله عباده وهو قوله وَمَا أُوتِئْتُمْ أَيُّ أُعْطِيتُمْ فجعلة هبة وقال في حق عبده خضر وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا وَقَالَ عِلْمُ الْقُرْآنِ فَهَذَا كَلِمَةٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ نِسْبَةٌ لِأَنَّ الْوَاحِدَ فِي ذَاتِهِ لَا يَتَّصِفُ بِالْقَلَّةِ وَلَا بِالكَثْرَةِ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّدُ وَبِهَذَا يَقُولُ إِنَّ الْوَاحِدَ لَيْسَ بِعَدَدٍ وَإِنْ كَانَ الْعَدَدُ مِنْهُ يَنْشَأُ أَلَّا تَرَى أَنَّ الْعَالَمَ وَإِنْ اسْتَدَّ إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مِنَ الْعَالَمِ كَذَلِكَ الْوَاحِدُ وَإِنْ نَشَأَ مِنْهُ الْعَدَدُ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ بِهَذَا مِنَ الْعَدَدِ فَالْوَحْدَةُ لِلْوَاحِدِ نَعْتٌ نَفْسِي لَا يَقْبَلُ الْعَدَدُ وَإِنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ فَإِنَّ كَانَ الْعِلْمُ نِسْبَةً فإطلاق القلة و

الكثرة عليه إطلاق حقيقي وإن كان غير ذلك فإطلاق القلة والكثرة عليه إطلاق مجازي وكلام العرب مبني على الحقيقة والمجاز عند الناس وإن كما قد خالفناهم في هذه المسألة بالنظر إلى القرآن فإننا ننفي أن يكون في القرآن مجاز بل في كلام العرب وليس هذا موضع شرح هذه المسألة والذي يتعلق بهذا الباب علم الوهب لا علم الكسب فإنه لو أراد الله العلم المكتسب لم يقل أوتيتم بل كان يقول أوتيتم الطريق إلى تحصيله لا هو وكان يقول في خضر وَعَلَّمْنَاهُ طَرِيقَ أَكْتِسَابِ الْعُلُومِ لم يقل شيئاً من هذا ونحن نعلم أن ثم علماً اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا و ثم علماً لم نكتسبه بشيء من عندنا بل هبة من الله عز وجل أنزله في قلوبنا وعلى أسرارنا فوجدناه من غير سبب ظاهر وهي مسألة دقيقة فإن أكثر الناس يتخيلون أن العلوم الحاصلة عن التقوى علوم وهب وليست كذلك وإنما هي علوم مكتسبة بالتقوى فإن التقوى جعلها الله طريقاً إلى حصول هذا العلم فقال **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَقَالَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** كما جعل الفكر الصحيح سبباً لحصول العلم لكن بترتيب المقدمات كما جعل البصر سبباً لحصول العلم بالمبصرات والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه فاعلم ذلك حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية فإن الوهاب هو الذي تكون أعطياته على هذا الحد بخلاف الاسم الإلهي الكريم والجواد والسخي فإنه من لا يعرف حقائق الأمور لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية ومن لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية لا يعرف تنزيل الثناء على الوجه اللائق به فهذا نبهتك لتنبه فلا تكون من الجاهلين فالنبوات كلها علوم وهبية لأن النبوة ليست مكتسبة فالشرايع كلها من علوم الوهب عند أهل الإسلام الذين هم أهله وأريد بالاكْتِسَابِ في العلوم ما يكون للعبد فيه تعمل كما إن الوهب ما ليس للعبد فيه تعمل وإنما قلنا هذا من أجل الاستعدادات التي جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبي والكسبي فإنه لا بد من الاستعداد فإن وجد بعض الاستعدادات مما يتعمل الإنسان في تحصيلها كان العلم الحاصل عنها مكتسباً كمن عمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم وأشبه ذلك فالشرايع كلها علوم وهبية ومن حصل علوم وهب مما ليس بشرع جماعة قليلة من الأولياء منهم الخضر على التعيين فإنه قال من لدنه والذي عرفناه من الأنبياء عليهم السلام آدم والياس وزكريا ويحيى وعيسى وإدريس وإسماعيل وإن كان قد حصله جميع الأنبياء عليهم السلام ولكن ما ذكرنا منهم إلا من حصل لنا التعريف به وسموا لنا من الوجه الذي نأخذ عن الله تعالى منه فهذا سميناً هؤلاء ولم نذكر غيرهم فأما قوله تعالى **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** فليس بنص في الوهب ولكن له وجهان وجه يطلبه أوتيتم وجه يطلبه قليلاً من الاستقلال أي ما أعطيتم من العلم إلا ما تستقلون نجمه وما لا تطيقونه ما أعطيناكموه فإنكم ما تستقلون به فيدخل في هذا العطاء علوم النظر فإنها علوم تستقل العقول بإدراكها و اختلف أصحابنا في العلم المحدث هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا فمن منع أن تعرف ذات الله منع من ذلك ومن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله ولكن ما نقل إلينا إنه حصل لأحد في الدنيا وما أدري في الآخرة ما يكون فإننا قد علمنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد علم علم الأولين والآخرين وقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه إنه يحمد الله غداً يوم القيامة بمحامد عند ما يطلب من الله عز وجل فتح باب الشفاعة أخبر أن الله تعالى يعلمه إياها في ذلك الوقت لا يعلمها الآن فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأولين والآخرين وهو صلى الله

عليه وسلم الصادق في قوله فحصل من هذا إن أحدا لم يتعلق علمه بما لا يتناهى ولهذا ما تكلم الناس إلا في إمكانه هل يمكن أم لا وما كل ممكن واقع ووقوع الممكنات من المسائل المغلقة وكيف يكون ثم ممكن ولا يقع وهو المعقول عندنا في كل وقت فإن ترجيح أحد الممكنين أو الممكنات يمنع من وقوع ما ليس بمرجح في الحال فإن كان الذي لم يقع في الوجود من الممكنات مرجحا عدم وقوعه في الوجود فيكون عدمه مرجحا فقد وقع الممكن فإنه لا يلزم فيه من حيث الإمكان إلا اتصافه بكونه مرجحا سواء ترجح عدمه أو وجوده وإذا كان كذلك فقد وقع كل ممكن بلا شك وإن لم تتناه الممكنات فإن الترجيح ينسحب عليها وهي مسألة دقيقة فإن الممكنات وإن كانت لا تتناهى وهي معدومة فإنها عندنا مشهودة للحق عز وجل من كونه يرى فإننا لا نعلل الرؤية بالوجود وإنما نعلل الرؤية للأشياء بكون المرئي مستعد القبول تعلق الرؤية به سواء كان معدوماً أو موجوداً وكل ممكن مستعد للرؤية فالممكنات وإن لم تتناه فهي مرئية لله عز وجل لا من حيث نسبة العلم بل من نسبة خري تسمى رؤية كانت ما كانت قال تعالى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ وَلَمْ يُقَلِّ هُنَا أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ قَالَ نَجْرِي بِأَعْيُنِنَا أَمْ يَخْشَىٰ أَنْ يَرَاهَا قَالَ أَيْضًا لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الرابع والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع والأربعون)

في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية ومقاماتها وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه وما السر الذي يتجلى له حتى يدعوه إلى ذلك

أتيت إلى بحر البداية اغترف	ولما رأيت الحق بالأول اتصف
فيشهدني في غاية الحال اعترف	بلذة ظمآن لا شرب شربة
على كبد حراء فاعمل لها وقف	فيا بردها من شربة مستلذة
ترى ربها في الوقت بالعجب يتصف	فإن لذاك الشرب في القلب لذة
ولا ما يرى فيه من الزهو والصلف	ولا يججبه عجبه عن شهوده
فما خلف إلا و مثل لها سلف	فإن له فيمن تقدم أسوة
بأسماء حق بالحقيقة مكثف	وراثته مختار و نعت محقق
لقوم أتوا من بعدهم ما لهم خلف	و إن نهايات الرجال بداية
له خلف بل عنده الأمر قد وقف	كمثل رسول الله في طوره فما

اعلم أن العالم لما كان أكرى الشكل لهذا حن الإنسان في نهايته إلى بدايته فكان خروجنا من العدم إلى الوجود به سبحانه وإليه نرجع كما قال

عز وجل وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وَقَالَ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ألا تراك إذا بدأت وضع دائرة فإنك عند ما تبتدئ بها لا تزال تديرها إلى أن تنتهي إلى أولها وحينئذ تكون دائرة ولو لم يكن الأمر كذلك لكنا إذا خرجنا من عنده خطأ مستقيما لم نرجع إليه ولم يكن يصدق قوله وهو الصادق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وكل أمر وكل موجود فهو دائرة يعود إلى ما كان منه بدؤه وأن الله تعالى قد عين لكل موجود مرتبته في علمه فمن الموجودات من خلقت في مراتبها ووقفت ولم ترح فلم يكن لها بداية ولا نهاية بل يقال وجدت فإن البدء ما تعقل حقيقته إلا بظهور ما يكون بعده مما ينتقل إليه وهذا ما انتقل فعين بدئه هو عين وجوده لا غير ومن الموجودات ما كان وجودها أولا في مراتبها ثم نزل بها إلى عالم طبيعتها وهي الأجسام المولدة من العناصر ولا كلها بل أجسام الثقلين وأقام الله لها في تلك المرتبة المعينة لها التي أنزلت منها على غير علم منها بها داعيا يدعو كل شخص إليها فلا يزال يرتقي بالأعمال الصالحة حتى يصل إليها أو يطلبها بالأعمال التي لا يرتضيها الحق فداعي الحق إذا قام بقلب العبد إنما يدعو من مقامه الذي تكون غايته إليه إذا سلك ولما كان كل وارد ملذوذا لذذا فإنه جديد غريب لطيف لهذا يحن إليه دائما ومن ذلك حب الأوطان قال ابن الرومي

مآرب قضاها الشباب هنا لكا وحبب أوطان الرجال إليهمو
عهود الصبي فيها فحنوا لذلك إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو

ولما لم يتمكن للتائب أن يرد عليه وورد التوبة إلا حتى ينتبه من سنة الغفلة فيعرف ما هو فيه من الأعمال التي مالها إلى هلاكه وعطبه خاف ورأى أنه في أسر هواه وأنه مقتول بسيف أعماله القبيحة فقال له حاجب الباب قد رسم الملك أنك إذا أقلت عن هذه المخالفات ورجعت إليه ووقفت عند حدوده ومراسمه أنه يعطيك الأمان من عقابه ويحسن إليك ويكون من جملة إحسانه أن كل قبيح أتيت ترد صورته حسنة ثم أعطاه التوقيع الإلهي فإذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَسْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَمَا قَرَأَ وَحَشِي هَذَا التَّوْقِيعِ قَالَ وَمَنْ لِي بَأَنْ أَوْفِقَ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي اشْتَرَطَهُ عَلَيْنَا فِي التَّبْدِيلِ فِجَاءَ فِي الْجَوَابِ تَوْقِيعِ آخِرِ فِيهِ مَكْتُوبٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَقَالَ وَحَشِي مَا أَدْرِي هَلْ أَنَا مِنْ شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ أَمْ لَا فِجَاءَ فِي الْجَوَابِ تَوْقِيعِ ثَالِثٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَلَمَّا قَرَأَ وَحَشِي هَذَا التَّوْقِيعِ قَالَ الْآنَ فَاسْلَمْ رَجَعْنَا إِلَى التَّوْقِيعِ الْأَوَّلِ فَتَقُولُ فَلَمَّا قَرَأَ هَذَا التَّوْقِيعِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ قَالَ لَهُ حَاجِبُ الْبَابِ وَهُوَ الشَّارِعُ إِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَمَانُ عَقِيبَ ذَلِكَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَجَدَ لِلْأَمَانِ حَلَاوَةً وَلَذَّةً لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجَلُ فَعِنْدَ مَا يَحْصُلُ لَهُ طَعْمُ هَذِهِ اللَّذَّةِ وَشَرَعُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَطَهَّرَ مَحَلَّهُ وَاسْتَعَدَّ مَجَالِسَةَ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يَقُولُ أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِنِي وَتَقَوْتُ مَعْرِفَتَهُ بِهِ

سبحانه و علم ما يستحقه جلاله و علم قدر من عصاه استحقا كل الحياء و ذهبت لذته التي وجدها عند ورود و ارد توبته عليه و اطلع و رأى الحضرة الإلهية تطلبه بالأدب و الشكر على ما أولاه من النعم فيكثر همه و غمه و تنتقي لذته و لهذا ترى العلماء بالله لا يرون في نومهم ما يراه المریدون أصحاب البدايات من الأنوار فإن المبتدئ يستحضر مستحسناً أعماله و أحواله فيرى نتائجها و العالمون ينامون على رؤية تقصير و تفریط لما يستحقه الجناب العالی فلا يرى في النوم إلا ما يهيمهم من ظلمات و رعد و برق و كل أمر مخوف فإن النوم تابع للحس و لما كانت النفس بطبعها تحب الأمور المملوذة و قد فقدت لذة التوبة في حال معرفتها و نهايتها لذلك حنت إلى بدايتها من أجل ما اقترن بذلك الموطن من اللذة مع علو مقامه و يكون هذا الحنان استراحة لهمة و غمه الذي أعطته معرفته بالله فهو مثل الذي يلتذ بالأمانى فهذا سبب حنين أصحاب النهايات إلى بدايتهم و أما المنازل السفلية فهي ما تعطيه الأعمال البدنية من المقامات العلوية كالصلاة و الجهاد و الصوم و كل عمل حسي و ما تعطيه أيضا الأعمال النفسية و هي الرياضات من تحمل الأذى و الصبر عليه و الرضي بالقليل من ملذوذات النفوس و القناعة بالموجود و إن لم تكن به الكفاية و حبس النفس عن الشكوى فإن كل عمل من هذه الأعمال الرياضية و المجاهدات له نتائج مخصوصة و لكل عمل حال و مقام و قد أبان عن بعض ذلك الشاعر ليسدّل بما ذكره على ما سكت عنه من حيث اختلاف النتائج لاختلاف الصفات و تعريفا بأن النوافل من كل عبادة مفروضة صفتها من صفة فريضة و لهذا تكمل له منها إذا كانت فريضة ناقصة و رد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان اتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضة من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم و أما الحديث الآخر في صفات العبادات فإنه ورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال الصلاة نور و الصدقة برهان و الصبر ضياء و القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها فجعل النور للصلاة و البرهان للصدقة و هي الزكاة و الضياء للصوم و الحج و هو المعبر عنه بالصبر لما فيها من المشقة للجوع و العطش و ما يتعلق بأفعال الحج و جعل لإله إلا الله في خبر آخر لا يزنها شيء و نوافل كل فريضة من هذه الفرائض من جنسها فصفتها كصفتها ثم أدخل في قوله كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها و هو الذي باعها من الله قال تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ أَوْ مَبِيعَتِهَا وَ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى الصَّلَاةَ بِالْهُدَى وَ الْعَذَابَ بِالْمُغْفِرَةِ فعم بقوله كل الناس يغدو فبائع نفسه جميع أحكام الشريعة نافلتها و فريضتها و مباحها و مكروهها فما من عبادة شرعها الله تعالى لعباده إلا و هي مرتبطة باسم إلهي أو حقيقة إلهية من ذلك الاسم يعطيه في عبادته تلك ما يعطيه في الدنيا في قلبه من منازل و علومه و معارفه و في أحواله من كراماته و آياته و في آخرته في جناته في درجاته و رؤية خالقه في الكتيب في جنة عدن خاصة في مراتبه و قد قال الله عز و جل في المصلي إنه يتاجيه و هو نور فيناجيه الله تعالى من اسمه النور لا من اسم آخر فكما أن النور ينفرد كل ظلمة كذلك الصلاة تقطع كل شغل بخلاف سائر الأعمال فإنها لا نعم ترك كل ما سواها مثل الصلاة فهذا كانت نورا يبشره الله بذلك أنه إذا ناجاه من اسمه النور انفرد به و أزال

كل كون بشهوده عند مناجاته ثم شرعها في المناجاة سرا وجهرا ليجمع له فيها بين الذكرين ذكر السر وهو الذكر في نفسه وذكر العلانية وهو الذكر في الملا العبد في صلاته يذكر الله في ملا الملائكة ومن حضر من الموجودات السامعين وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة قال الله تعالى في الخبر الثابت عنه إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه قد يريد بذلك الملائكة المقربين الكروبين خاصة الذين اختصهم لحضرة فهذا الفضل شرع لهم في الصلاة الجهر بالقراءة والسر فكل عبد صلى ولم تنزل عنه صلاته كل شيء دونها فما صلى وما هي نور في حقه وكل من أسر القراءة في نفسه ولم يشاهد ذكر الله له في نفسه فما أسر فإنه وإن أسر في الظاهر وأحضر في نفسه ما أحضره من الأكوان من أهل وولد وأصحاب من عالم الدنيا وعالم الآخرة وأحضر الملائكة في خاطره فما أسر في قراءته ولا كان ممن ذكر الله في نفسه لعدم المناسبة فإن الله إذا ذكر العبد في نفسه لم يطلع أحد من المخلوقين على ما في نفس الباري من ذكره عبده كذلك ينبغي أن يكون العبد فيما أسر فإنه ما يتاجي في صلاته إلا ربه في حال قراءته وتسيحاته ودعائه وكذلك إذا ذكره في ملا في ظاهره وفي باطنه فأما في ظاهره فبين وأما في باطنه فما يحضر معه في نفسه من المخلوقين وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة والتسيحات والدعاء ثم إنه ليس في العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقربين وهو أعلى مقام أولياء الله من ملك ورسول وني ولي ومؤمن إلا الصلاة قال تعالى **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** فإن الله في هذه الحالة يباهي به المقربين من ملائكته وذلك أنه يقول لهم يا ملائكتي أنا قربتكم ابتداء وجعلتكم من خواص ملائكتي وهذا عبدي جعلت بينه وبين مقام القربة حجابا كثيرة وموانع عظيمة من أغراض نفسية وشهوات حسية وتدير أهل ومال وولد وخدم وأصحاب وأهوال عظام فقطع كل ذلك وجاهد حتى سجد واقترب فكان من المقربين فانظروا ما خصصتكم به يا ملائكتي من شرف المقام حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع ولا كفتكم مشاقها فاعرفوا قدر هذا العبد وراعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي فيقول الملائكة يا ربنا لو كما ممن يتنعم بالجنان وتكون محلا لإقامتنا أأنت كمت تعين لنا فيه منازل تقتضيها أعمالنا ربنا نحن نسألك أن تهبها لهذا العبد فيعطيه الله ما سألته فيه الملائكة فانظروا ما أشرف الصلاة وأفضل ما فيها ذكر الله من الأقوال والسجود من الأفعال ومن أقوالها سمع الله لمن حمده فإنه من أفضل أحوال العبد في الصلاة للنيابة عن الحق فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يقول تعالى **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ الظَّاهِرِ لِلتَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ الَّذِي فِيهَا وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ** يعني فيها من أفعالها وينبغي للمحقق أنه لا يذكر الله إلا بالأذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين أعني الفضيلة فيكون فتحه في ذلك من ذلك القبيل وعلمه وسره وحاله ومقامه ومنزله وإذا ذكره من غير أن يقصد الذكر الوارد في القرآن فهو ذاكر لا غير فينقصه من الفضيلة على قدر ما تنقصه من القصد ولو كان ذلك الذكر من القرآن غير أنه لم يقصده وقد ثبت أن الأعمال بالنيات وإنما لا مرمى نوى فينبغي لك إذا قلت لا إله إلا الله أن تقصد بذلك التهليل الوارد في القرآن مثل قوله تعالى **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** وكذلك التسييح والتكبير والتحميد وأنت تعلم أن أنفاس الإنسان نفيسة والنفس إذا مضى لا يعود فينبغي لك أن تخرجه في الأنفس والأعز فهذا قد نبهت على نسبة التورية من الصلاة

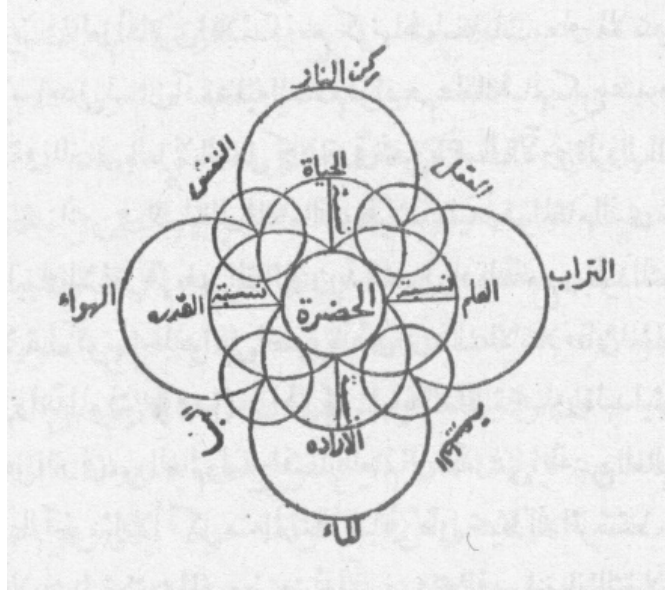
وأما اقتران البرهان بالصدقة فهو إن الله تعالى جبل الإنسان على الشح وقال إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا يعني في أصل نشأته إذا مَسَّ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا وقال وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَنَسِبَ الشَّحَّ لِنَفْسِ الْإِنْسَانِ وَأصل ذلك إنه استفاد وجوده من الله ففطر على الاستفادة لا على الإفادة فما تعطي حقيقته أن يتصدق فإذا تصدق كانت صدقته برهانا على أنه قد وقى شح نفسه الذي جبله الله عليه فلذلك قال الصدقة برهان ولما كانت الشمس ضياء يكشف به كل ما تنبسط عليه لمن كان له بصر فإن الكشف إنما يكون بضياء النور لا بالنور فإن النور ما له سوى تنفير الظلمة والبضياء يقع الكشف وإن النور حجاب كما هي الظلمة حجاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ربه تعالى حجاب به النور وقال إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة أو سبعين ألفا وقيل له صلى الله عليه وسلم أ رأيت ربك فقال صلى الله عليه وسلم نور إني أراه فجعل الصبر الذي هو الصوم والحج ضياء أي يكشف به إذا كنت متلبسا به ما تعطيه حقيقة الضوء من إدراك الأشياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى إنه قال كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وقال صلى الله عليه وسلم لرجل عليك بالصوم فإنه لا مثل له وقال تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فالصوم صفة صمدانية وهو التزهر عن التغذية وحقيقة المخلوق التغذية فلما أراد العبد أن يتصف بما ليس من حقيقته أن يتصف به وكان انصافه به شرعا لقوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَالَ اللَّهُ لَهُ الصَّوْمُ لِي لَأَكْ أَيْ أَنَا هُوَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُطْعَمَ وَأَشْرَبَ وَإِذَا كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ وَكَانَ سَبَبَ دُخُولِكَ فِيهِ كَوْنِي شَرَعْتَهُ لَكَ فَأَنَا أَجْزِي بِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ وَأَنَا جَزَاؤُهُ لِأَنَّ صِفَةَ التَّزْهَرِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَطْلُبُنِي وَقَدْ تَلَبَّسْتُ بِهَا وَمَا هِيَ حَقِيقَتُكَ وَمَا هِيَ لَكَ وَأَنْتَ مُتَّصِفٌ بِهَا فِي حَالِ صَوْمِكَ فَهِيَ تَدْخُلُكَ عَلَيَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ حَبْسَ النَّفْسِ وَقَدْ حَبَسْتَهَا بِأَمْرِي عَمَّا تَعْطِيهِ حَقِيقَتُهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَهَذَا قَالَ لِلصَّائِمِ فَرِحْتَانِ فَرِحَةٌ عِنْدَ فَطْرِهِ وَتِلْكَ الْفَرِحَةُ لِرُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ لَا غَيْرَ وَفَرِحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَتِلْكَ الْفَرِحَةُ لِنَفْسِهِ النَّاطِقَةِ أَيْ لَطِيفَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ فَأَوْرَثَهُ الصَّوْمُ لِقَاءَ اللَّهِ وَهُوَ الْمَشَاهِدَةُ فَكَانَ الصَّوْمُ أَمًّا مِنَ الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ أُتِّحَ لِقَاءَ اللَّهِ وَمَشَاهِدَتُهُ وَالصَّلَاةُ مَنَاجَاةٌ لَا مَشَاهِدَةَ وَالْحِجَابُ يَصْحَبُهَا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَمَا كَانَ لِنَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَذَلِكَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَلِذَلِكَ طَلَبَ الرُّؤْيَا فَعَرَنَ الْكَلَامَ بِالْحِجَابِ وَالْمَنَاجَاةُ مَكَالِمَةُ يَقُولُ اللَّهُ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ نَصْفَهَا لِي وَنَصْفَهَا لِعَبْدِي مَا سَأَلَ يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ اللَّهُ حَمْدُنِي عَبْدِي وَالصَّوْمُ لَا يَنْقَسِمُ فَهُوَ لِلَّهِ لَا لِلْعَبْدِ أَجْرُهُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ اللَّهُ وَهَذَا سِرٌّ شَرِيفٌ فَقَلْنَا إِنْ الْمَشَاهِدَةُ وَالْمَنَاجَاةُ لَا يَجْتَمِعَانِ فَإِنَّ الْمَشَاهِدَةَ لِلْمَهْتِ وَالْكَلَامَ لِلْفَهْمِ فَأَنْتَ فِي حَالِ الْكَلَامِ مَعَ مَا يَنْكَلِمُ بِهِ لَا مَعَ الْمُنْكَلِمِ أَيْ شَيْءٍ كَانَ فَافْهَمِ الْقُرْآنَ فَتَفْهَمِ الْفَرْقَانَ فَبِهَذَا قَدْ حَصَلَ لَكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَأَمَّا قَوْلُنَا إِنَّ اللَّهَ جَزَاءُ الصَّائِمِ لِلِقَائِهِ رَبِّهِ فِي الْفَرْجِ بِهِ الَّذِي قَرَنَهُ بِهِ فَسَرَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ وَأَمَّا الْحِجَابُ فَلَمَّا فِيهِ مِنَ الصَّبْرِ وَهُوَ حَبْسُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنِ النِّكَاحِ وَالْبَسِ الْمَخِيطَ وَالصَّفْرَةَ كَمَا حَبَسَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عَنِ الطَّعَامِ فِي الصَّوْمِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ وَمَا لَمْ يَعْصِ الْحِجَابَ مَسَكَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا عَنِ النِّكَاحِ وَالْغَيْبَةِ لِذَلِكَ تَأَخَّرَ فِي الْقَوَاعِدِ الَّتِي بَنَى الْإِسْلَامَ عَلَيْهَا فَكَانَ حَكْمُهُ حَكْمَ الصَّائِمِ وَالْمُصَلِّيِّ حَالِ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ فِي

التزهد عن مباشرة السكن وذلك التزهد يقول الله هولي لالك حيث كان ولما كان النكاح سببا لظهور المولدات من ذلك أعطاه الله إذ تركه من أجله بدله كن في الآخرة ولأوليائه في الدنيا بسم الله لمن أراد الله أن يظهر على يده أثرا فيقول العبد في الآخرة للشيء يريد كُنْ فَيَكُونُ ذلك الشيء وليس قوله إلا من كونه حاجا أو صائما ولهذا شرك بين الحج والصوم في لفظة الصبر فقال والصبر ضياء هذا وإن لم يكن فيه صوم واجب فإن ترك الطعام فيه لشغله بالدعاء في ذلك اليوم من الظهر وهو السنة في ذلك اليوم في ذلك الموضع للحاج خاصة فالمشغل فيه لا شك أن الجوع جوع العادة يلزمه والطائفة تسمى الجوع في الموات الأربعة الموت الأبيض وهو مناسب للضياء فإن لأهل الله أربع موات موت أبيض وهو الجوع وموت أحمر وهو مخالفة النفس في هواها وموت أخضر وهو طرح الرقاق في اللباس بعضها على بعض وموت أسود وهو تحمل أذى الخلق بل مطلق الأذى وإنما سميت لبس المرقعات موتا أخضر لأن حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه والأزهار فأشبه اختلاف الرقاق وأما الموت الأسود لاحتمال الأذى فإن في ذلك غم النفس والغم ظلمة النفس والظلمة تشبه في الألوان السواد والموت الأحمر مخالفة النفس شبيهة بمجرة الدم فإنه من خالف هواه فقد ذبح نفسه وسيأتي إن شاء الله في هذا الكتاب أبواب مفردات في شهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج وهي قواعد الإسلام التي بنى عليها ومن أراد أن يعرف من أسرار الصلاة شيئا وما تنبج كل صلاة من المعارف وما لها من الأرواح النبوية والحركات الفلكية فلينظر في كتابنا المسمى بالتنزلات الموصلية وهذا القدر في هذا الباب كاف في المقصود ولنذكر بعض أسرار من المعارف كما ترجمنا عليه بطريق الإيجاز

(فصل) بل وصل سر إلهي قالت الملائكة وما مِنَّا إِلَاهٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وهكذا كل موجود ما عدا الثقلين وإن كان الثقلان أيضا مخلوقين في مقامهما غير أن الثقلين لهما في علم الله مقامات معينة مقدرة عنده غيبت عنهما إليهما ينتهي كل شخص منهما بانتهاء أنفاسه فأخر نفس هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ولهذا دعوا إلى السلوك فسلكوا علوا بإجابة الدعوة المشروعة وسفلا بإجابة الأمر الإرادي من حيث لا يعلمون إلا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوكه إلى المقام المعلوم الذي خلق له ومنهم شقي وسعيد وكل موجود سواهما فمخلوق في مقامه فلم ينزل عنه فلم يؤمر بسلوك إليه لأنه فيه من ملك وحيوان ونبات معدن فهو سعيد عند الله لا شقاء يناله فقد دخل الثقلان في قول الملائكة وما مِنَّا إِلَاهٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ عند الله ولا يتمكن لمخلوق من العالم أن يكون له علم بمقامه إلا بتعريف إلهي لا بكونه فيه فإن كل ما سوى الله ممكن ومن شأن الممكن أن لا يقبل مقاما معيناً لذاته وإنما ذلك المرجح بحسب ما سبق في علمه به والمعلوم هو الذي أعطاه العلم به ولا يعلم هو ما يكون عليه وهذا هو سر القدر المتحكم في الخلق إذ كان علم المرجح لا يقبل التغيير لاستحالة عدم القديم وعلمه بتعيين المقامات قديم فلذلك لا يعدم وهذه المسألة من أغمض المسائل العقلية ومما يدلك على إن علمه سبحانه بالأشياء ليس زائدا على ذاته بل ذاته هي المتعلقة من كونها علما بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه خلافا لبعض النظائر فإن ذلك يؤدي إلى نقص الذات عن درجة الكمال ويؤدي إلى أن تكون الذات قد حكم عليها أمر زائد أوجب لها ذلك الزائد حكما يقتضيه ويبطل كون الذات تفعل ما تشاء و

تختار لا إله إلا هو العزيم الحكيم فتحقق هذه المسألة وتفرغ إليها فإنها غامضة جدا في مسائل الخيرة لا يهتدي إليها عقل على الحقيقة من حيث فكره بل بكشف إلهي نبوي ثم نرجع ونقول إن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف فقالت بطريق القوة وتفكر الفاسد إن الكامل من بنى آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقا ولم تنقيد صنفا ولا مرتبة من المراتب التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره ثم علقت فقالت إن لبني آدم الترقى مع الأنفاس وليس للملائكة هذا فإنها خلقت في مقامها وما علمت الجماعة القائلة بهذا هذه الحقيقة التي نبهنا عليها والصحيح الترقى أن لنا وللملائكة وغيرهم وهو لازم لكل دينا وبرزخا وآخره هذا لكل متصف بالموت في العلم ألا ترى الملائكة مع كونها لها مقامات معلومة لا تعداها وما حرمت مزيد العلم فإن الله قد عرفنا أنه علمهم الأسماء على لسان آدم عليه السلام فزادهم علما إلهيا لم يكن عندهم بالأسماء الإلهية فسبحوه و قدسوه بها فساوتنا الملائكة في الترقى بالعلم لا بالعمل كما لا ترقى نحن بأعمال الآخرة لزوال التكليف فنحن وإياهم على السواء في ذلك في الآخرة فما ارتقينا نحن في الدنيا إلى المقام الذي قبضنا عليه وهو المقام الذي خلق فيه غيرنا ابتداء لشرفنا على غيرنا وإنما كان ذلك ليلبونا لا غير فلم يفهم القائلون بذلك ما أَرَادَهُ اللهُ مع وجود النصوص في القرآن مثل قوله لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ولا يقال كونهم خلقوا على الصورة أدى إلى ذلك الابتلاء فإن الجان شاركونا في هذه المرتبة وليس لهم حظ في الصورة فاعلم والله الموفق (وصل سر إلهي) نهاية الدائرة مجاورة لبدانيتها وهي تطلب النقطة لذاتها والنقطة لا تطلبها فصح نهاية أهل الترقى من العالم وصح افتقار العالم إلى الله وغنى الله عن العالم وتبين أنه كل جزء من العالم يمكن أن يكون سببا في وجود عالم آخر مثله لأكمل منه إلى ما لا يتناهى فإن محيط الدائرة نقط متجاورة في أحياء متجاورة ليس بين حيزين حيز ثالث ولا بين النقطتين المفروضتين أو الموجودتين فيهما نقطة ثالثة لأنه لا حيز بينهما فكل نقطة يمكن أن يكون عنها محيط وذلك المحيط الآخر حكمه حكم المحيط الأول إلى ما لا نهاية له و النهاية في العالم حاصلة والغاية من العالم غير حاصلة فلا تزال الآخرة دائمة التكوين عن العالم فإنهم يقولون في الجان للشيء يريدونه كمن فيكون فلا يتوهمون أمرا ما ولا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر ما إلا ويتكون بين أيديهم وكذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوف من عذاب أكبر مما هم فيه إلا تكون فيهم أو لهم ذلك العذاب وهو عين حصول الخاطر فإن الدار الآخرة تقتضي تكوين العالم عن العالم لكن حسا وبمجرد حصول الخاطر والهم والإرادة والتمني والشهوة كل ذلك محسوس وليس ذلك في الدنيا أعني من الفعل بالهمة لكل أحد وقد كان ذلك في الدنيا لغير الولي كصاحب العين والغرائية بإفريقية ولكن ما يكون بسرعة تكوين الشيء بالهمة في الدار الآخرة وهذا في الدار الدنيا نادر شاذ كفضيب البان وغيره وهو في الدار الآخرة للجميع فصدق قول الإمام أبي حامد ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ليس أكمل من الصورة التي خلق عليها الإنسان الكامل فلو كان لكان في العالم ما هو أكمل من الصورة التي هي الحضرة الإلهية (وصل سر إلهي) كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساو لصاحبه وينتهي إلى نقطة من المحيط والنقطة في ذاتها ما تعددت ولا تزيد مع كثرة الخطوط الخارجة منها إلى المحيط وهي تقابل كل نقطة من المحيط بذاتها إذ لو كان ما تقابل به نقطة من المحيط غير ما تقابل به نقطة أخرى لانقسمت ولم يصبح أن تكون

واحدة وهي واحدة فما قابلت النقط كلها على كثرتها إلا بذاتها فقد ظهرت الكثرة عن الواحد العين ولم يتكرر هو في ذاته فبطل قول من قال إنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد فذلك الخط الخارج من النقطة إلى النقطة الواحدة من المحيط هو الوجه الحاصل الذي لكل موجود من خالقه سبحانه وهو قوله إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فالإرادة هنا هو ذلك الخط الذي فرضناه خارجا من نقطة الدائرة إلى المحيط وهو التوجه الإلهي الذي عين تلك النقطة في المحيط بالإيجاد لأن ذلك المحيط هو عين دائرة الممكنات والنقطة التي في الوسط المعينة لنقطة الدائرة المحيطة هي الواجب الوجود لنفسه وتلك الدائرة المفروضة دائرة أجناس الممكنات وهي محصورة في جوهر متحيز وجوهر غير متحيز وأكوان وألوان والذي لا ينحصر وجود الأنواع والأشخاص وهو ما يحدث من كل نقطة من كل دائرة من الدوائر فإنه يحدث فيها دوائر الأنواع وعن دوائر أنواع وأشخاص فاعلم ذلك والأصل النقطة الأولى لهذا كله وذلك الخط المتصل من النقطة إلى النقطة المعينة من محيطها يمتد منها إلى ما يتولد عنها من النقط في نصف الدائرة الخارجة عنها وعن ذلك النصف تخرج دوائر كاملة وعلّة ذلك الامتياز بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن فلا يتمكن أن يظهر عن الممكن الذي هو دائرة الأجناس دائرة كاملة فإنها كانت تدخل بالمشاركة فيما وقع به الامتياز وذلك محال فتكوين دائرة كاملة من الأجناس محال لئتين نقض الممكن عن كمال الواجب الوجود لنفسه وصورة الأمر فيها هكذا صورة شكل الأجناس والأنواع من غير قصد للحصر إذ للأنواع أنواع حتى ينتهي إلى النوع الأخير كما ينتهي إلى جنس



الأجناس

واعلم أن لنفوس الثقلين ونفوس الحيوان قوتين قوة علمية وقوة عملية عند أهل الكشف وقد ظهر ذلك في العموم من الحيوان كالنحل و العنكب و الطيور التي تتخذ الأوكار وغيرهم من الحيوانات ولنفس الثقلين دون سائر الحيوان قوة ثالثة ليست للحيوان ولا للنفس الكلية و هي القوة المفكرة فيكتسب بعض العلوم من الفكر هذا النوع الإنساني ويشترك سائر العالم في أخذ العلوم من الفيض الإلهي وبعض علومها كالحيوان بالفطرة ككثفي الطفل ثدي أمه للرضاعة وقوله اللبن وليس لغير الإنسان اكتساب علوم تبقي معه من طريق فكر فالفكر من الإنسان

بمنزلة الحقيقة الإلهية المنصوص عليها بقوله تعالى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ وقوله تعالى في الخبر الصحيح عنه ما ترددت في شيء أنا فاعله وليس للعقل الأول هذه الحقيقة ولا للنفس الكلية فهذا أيضا مما اختص به الإنسان من الصورة التي لم يخلق غيره عليها ونحن نعلم أن الإنسان الكامل موجود على الصورة ونحن نقطع أنه ما أوجد الله غير الإنسان على ذلك فإنه ما ورد وقوع ذلك ولا عدم وقوعه لا على لسان نبي ولا في كتاب منزل وإن غلط في ذلك جماعة فإنهم لم يستندوا فيه إلى تعريف إلهي وإنما يحتجون بالخبر وليس في الخبر ما يدل على إن غير الإنسان الكامل ما خلق على الصورة ويمكن صحة ذلك ويمكن عدم صحته (وصل سر إلهي) الطبيعة بين النفس والهباء وهو رأي الإمام أبي حامد ولا يمكن أن تكون مرتبتها إلا هنالك فكل جسم قبل الهباء إلى آخر موجود من الأجسام فهو طبيعي وكل ما تولد من الأجسام الطبيعية من الأمور والقوي والأرواح الجزئية والملائكة والأنوار فالطبيعة فيها حكم إلهي قد جعله الله تعالى وقدره فحكم الطبيعة من الهباء إلى ما دونه وحكم النفس الكلية من الطبيعة فما دونها وما فوق النفس فلا حكم للطبيعة ولا للنفس فيه وفيما ذكرناه خلاف كثير بين أصحاب النظر من غير طريقنا من الحكماء فإن المتكلم لا حظ له في هذا العلم من كونه متكلمًا بخلاف الحكيم فإن الحكيم عبارة عن جمع العلم الإلهي والطبيعي والرياضي والمنطقي وما ثم إلا هذه الأربع المراتب من العلوم وتختلف الطريق في تحصيلها بين الفكر والوهب وهو الفيض الإلهي وعليه طريقة أصحابنا ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق إليه من الفساد والصحة فيه مظنونة فلا يوثق بما يعطيه وأعني بأصحابنا أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات لا العباد ولا الزهاد ولا مطلق الصوفية إلا أهل الحقائق والتحقيق منهم ولهذا يقال في علوم النبوة والولاية إنها وراء طور العقل ليس للعقل فيها دخول بفكر لكن له القبول خاصة عند السليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظره وعلوم الأسرار كثيرة والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن والأربعون في معرفة إنما كان كذا لكذا وهو إثبات العلة والسبب)

علم من حاز رتبة الحكم	إنما كان هكذا لكذا
فيكون سيركم إلى العدم	لا تعال وجود خالقنا
أول في الحدوث و القدم	و هو الأول الذي ما له

أول مسألة من هذا الباب ما السبب الموجب لوجود العالم حتى يقال فيه إنما وجد العالم لكذا وذلك الأمر المتوقف عليه صحته وجوده إما أن تكون علة فتطلب معلولها لذاتها وإذا كان هذا فهل يصح أن يكون للمعلول علتان فما زاد أو لا يصح وذلك في النظر العقلي لاني الوضعيات وإذا تعددت العلة فهل تعددها يرجع إلى أعيان وجودية أو هل هي نسب لأمر واحد و ثم أمور يتوقف صحته وجودها على شرط يتقدمها أو شروط ويجمع ذلك كله اسم السبب وللشروط حكم وللعلة حكم فهل العالم في افتقاره إلى السبب الموجب لوجوده افتقار المعلول إلى العلة أو افتقار المشروط إلى الشرط وأيهما كان لم يكن الآخر فإن العلة تطلب المعلول لذاتها والشرط لا يطلب المشروط لذاته فالعلم مشروط بالحياة

ولا يلزم من وجود الحياة وجود العلم وليس كون العالم عالماً كذلك فإن العلم علة في كون العالم عالماً فلما ارتفع العلم ارتفع كونه عالماً فهو من هذا الوجه يشبه الشرط إذ لو ارتفعت الحياة ارتفع العلم ولو ارتفع كونه عالماً ارتفع العلم فتميز عن الشرط إذ لو ارتفع العلم لم يلزم ارتفاع الحياة فهاتان مرتبتان معقولتان قد تميزتا تسمى الواحدة علة وتسمى الأخرى شرطاً فهل نسبة العالم في وجوده إلى الحق نسبة المعلول أو نسبة المشروط محال أن تكون نسبة المشروط على المذهبين فإننا لا نقول في المشروط يكون ولا بد وإنما نقول إذا كان فلا بد من وجود شرطه المصحح لوجوده ونقول في العالم على مذهب المتكلم الأشعري إنه لا بد من كونه لأن العلم سبق بكونه ومحال وقوع خلاف المعلوم وهذا لا يقال في المشروط وعلى مذهب المخالف وهم الحكماء فلا بد من كونه لأن الله اقتضى وجود العالم لذاته فلا بد من كونه ما دام موصوفاً بذاته بخلاف الشرط فلا فرق إذن بين المتكلم الأشعري والحكيم في وجوب وجود العالم بالغير فلنسمي تعلق العلم بكون العالم أزلاً علة كما يسمى الحكيم الذات علة ولا فرق ولا يلزم مساواة المعلول علمته في جميع المراتب فالعلة مقدمة على معلولها بالمرتبة بلا شك سواء كان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن بون زمني ولا تقدير زمني لأن كلامنا في أول موجود ممكن و الزمان من جملة الممكنات فإن كان أمراً وجودياً فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وإن لم يكن أمراً وجودياً وكان نسبة فحدثت النسبة بحدوث الموجود المعلول حدوداً عقلياً لا حدوداً وجودياً وإذا لم يعقل بين الحق والخلق بون زمني فلم يبق إلا الرتبة فلا يصح أن يكون أبداً الخلق في رتبة الحق كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها فالذي هرب منه المتكلم في زعمه وشنع به على الحكيم القائل بالعلة يلزمه في سبق العلم بكون المعلوم لأن سبق العلم يطلب كون المعلوم لذاته ولا بد ولا يعقل بينهما بون مقدر فهذا قد نهناك على بعض ما ينبغي في هذه المسألة فالعالم لم يبرح في رتبة إمكانه سواء كان معدوماً أو موجوداً والحق تعالى لم يبرح في مرتبة وجوب وجوده لنفسه سواء كان العالم أو لم يكن فلو دخل العالم في الوجوب النفسي لزم قدم العالم ومساوقته في هذه الرتبة لواجب الوجود لنفسه وهو الله ولم يدخل بل بقي على إمكانه واقتضاه إلى موجدته وسببه وهو الله تعالى فلم يبق معقول بينية بين الحق والخلق إلا التمييز بالصفة النفسية فهذا تفرق بين الحق والخلق فافهم وأما قولنا هل يكون في العقل للأمر المعلول علمتان فلا يصح أن يكون للمعلول العقلي علمتان بل إن كان معلولاً فعن علة واحدة لأنه لا فائدة للعلة إلا أن يكون لها أثر في المعلول وأما إن اتفق أن يكون من شرط المعلول أن يكون على صفة بها يقبل أن يكون معلولاً لهذه العلة ولا يمكن أن يكون هذا علة لذلك المعلول نفسه إلا أن يكون ذلك المعلول بتلك الصفة النفسية فلا بد منها ولا يلزم من هذا أن تكون تلك الصفة النفسية علة له فإنها صفة نفسية والشيء لا يكون علة لنفسه فإنه يؤدي إلى أن تكون العلة عين المعلول فيكون الشيء مقدماً على نفسه بالرتبة وهذا محال فكون الشيء علة لنفسه محال فإن العالم لو لم يكن في نفسه على صفة يقبل الاتصاف بالوجود والعدم على السواء لم يصح أن يكون معلولاً لعلة المرجحة له أحد الجائزين بالنظر إلى نفسه فإن المحال لا يقبل صفة الإيجاد فلا يكون الحق علة له فبطل أن يكون كونه ممكناً علة له وبطل أن يكون للشيء علمتان فإن الأثر للعلة في المعلول إنما كان وجوده فما حكم العلة الأخرى فيه إن كان وجوده فقد حصل من

إحداهما فلم يبق للآخر أثر فإن قيل باجتماعهما كان المعلول عن ذلك الاجتماع فكان عنهما قلنا فكل واحد منهما إذا انفرد لا يكون علة ولا يصح عليه اسم العلية وقد صح فبطل أن يكون كونه علة متوقفا على أمر آخر فإن قال وما المانع أن تكون العلة بالاجتماع قلنا إنما يكون الشيء علة لنفسه لهذا المعلول عنه لا لغيره فيكون معلولا لذلك الغير لأن ذلك الغير كسبه العلية وكل مكتسب لا يكون صفة نفسية ولو قلنا باجتماعهما كان علة فلا يخلو ذلك الاجتماع أن يكون أمرا زائدا على نفس كل واحد منهما أو هو عينهما لا جائز أن يكون عينهما فإننا نعقل عين كل واحد منهما ولا اجتماع فلا بد أن يكون زائدا فذلك الزائد لا بد أن يكون وجودا أو عدما أو لا وجودا ولا عدما أو وجودا وعدمًا معا فهذا القسم الرابع محال بالبديهة ومحال أن يكون وجودا للتسلسل اللازم له بما يلزمه من ملزومه أو الدور فيكون علة لمن هو معلول له وهذا محال ومحال أن يكون عدما لأن عدم نفي محض ولا يتصف النفي المحض بالآثر ومحال أن يكون لا وجود ولا عدم كالنسب إذ لا حقيقة للنسب في الوجود فإنها أمور إضافية تحدث ولا يكون ما يحدث علة لما هو عنه حادث فبطل إن يكون للشيء علتان في العقل وأما في الوضعيات فقد يعتبر الشرع أمورا تكون بالجموع سببا في ترتيب الحكم هذا لا يمنع فإذ قد علمت هذا فهو أدل دليل على توحيد الله تعالى كونه علة في وجود العالم غير أن إطلاق هذا اللفظ عليه لم يرد به الشرع فلا نطلقه عليه ولا ندعوه به فهذا توحيد ذاتي ينقي معه الشريك بلا شك قال الله عز وجل لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ومعنى هذا لم يوجد يعني العالم العلوي وهو السماء والسفلي وهو الأرض فحقق هذه المسألة في ذهنك فإنها نافعة في نفي الشريك ونفي التحديد عن الله تعالى فلا حد لذاته ولا شريك له في ملكه لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

علوه	لكونه	إنما عللوا الذي
ليس معلول عينه	هو معلول علمه	
فهو من سر بينه	فانظروا ما نصصته	
عن سواه بيينة	فصل الأمر نفسه	
إنبي سر عونته	في سر محقق	
طلبي عين صوته	فلبست الرداء من	

(مسألة أخرى)

إنما كان كذا الكذا إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية فإن الرتبة الإلهية تطلب لذاتها إن يكون في العالم بلاء وعافية ولا يلزم من ذلك دوام شيء من ذلك إلا أن يشاء الله فقد كان ولا عالم وهو مسمى بهذه الأسماء فالأمر في هذا مثل الشرط والمشروط ما هو مثل العلة والمعلول فلا يصح المشروط ما لم يصح وجود الشرط وقد يكون الشرط وإن لم يقع المشروط فلما رأينا البلاء والعافية قلنا لا بد لهما من شرط وهو كون الحق إلهما يسمى بالمبلي والمعذب والمنعم وكما إن كل ممكن قابل لأحد الحكيم أعني الضدين هو قابل أيضا لانتقاء أحد الضدين

فالعالم كله ممكن فيجائز أن ينتفي عنه أحد الحكمين فلا يلزم الخلود في الدار الآخرة في العذاب ولا في النعيم بل ذلك كله ممكن فإن ورد الخبر الإلهي الذي يفيد العلم بالنص الذي لا يحتمل التأويل بخلود العالم في أحد الحكمين أو بوقوع كل حكم في جزء من العالم معين وخلود ذلك الجزء فيه إلى ما لا يتناهى قبلناه وقلنا به وما ورد من الشارح أن العالم الذي هو في جهنم الذين هم أهلها ولا يخرجون منها أن بقاءهم فيها لوجود العذاب فكما ارتفع حكم العذاب عن ممكن ما وهم أهل الجنة كذلك يجوز أن يرتفع عن أهل النار وجود العذاب مع كونهم في النار لقوله وما هم بخارجين من النار وقال سبقت رحمتي غضبي ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط فيكون الله إلهًا بجميع أسمائه ولا عذاب في العالم ولا أم لأنه ليس ارتفاعه عن ممكن ما بأولى من ارتفاعه عن جميع الممكنات فلم يبق بأيدينا من طريق العقل دليل على وجود العذاب دائما ولا غيره فليس إلا النصوص المتواترة أو الكشف الذي لا يدخله شبهة فليس للعقل رده إذا ورد من الصادق النص الصريح أو الكشف الواضح

(مسألة أخرى من هذا الباب)

إنما صححت الصورة لآدم لخلقته باليدن فاجتمع فيه حقائق العالم بأسره والعالم يطلب الأسماء الإلهية فقد اجتمع فيه الأسماء الإلهية ولهذا خص آدم عليه السلام بعلم الأسماء كلها التي لها توجه إلى العالم ولم يكن ذلك العلم أعطاه الله للملائكة وهم العالم الأعلى الأشرف قال الله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَلَمْ يَقْلَعْ بَعْضَهَا وَقَالَ عَرَضَهُمْ وَلَمْ يَقْلَعْ بَعْضَهُمْ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ عَرَضَ الْمَسْمُومِينَ لِأَسْمَاءِ لَا الْأَسْمَاءِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِكَ فَإِنْ كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ دَعَا بِهِ قَبْلَ نَزُولِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَيْهِ فَلَا مَعْرُوضَةَ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْآيَةِ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ الْأَسْمَاءَ هُنَا هِيَ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى بِهِ إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ دَعَا بِهِ بَعْدَ نَزُولِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَيَكُونُ يَرِيدُ قَوْلَهُ كُلُّهَا الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي تَطْلُبُ الْآثَارَ فِي الْعَالَمِ وَمَا تَعْبُدُ بِهِ مِنْ أَسْمَاءِ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَا مَدَّ يَعْلَمُنِيهَا اللَّهُ لَا أَعْلَمُهَا الْآنَ مَعَ قَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الضَّرْبَةِ فَعَلِمْتَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَمَنْ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ عِلْمَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي عِلْمُهَا اللَّهُ آدَمَ وَرَبِّمَا يَكُونُ مِنْ عِلْمِ الْآخِرِينَ عِلْمَ هَذِهِ الْحَامِدِ الَّتِي يَحْمَدُ بِهَا رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(مسألة أخرى من هذا الباب)

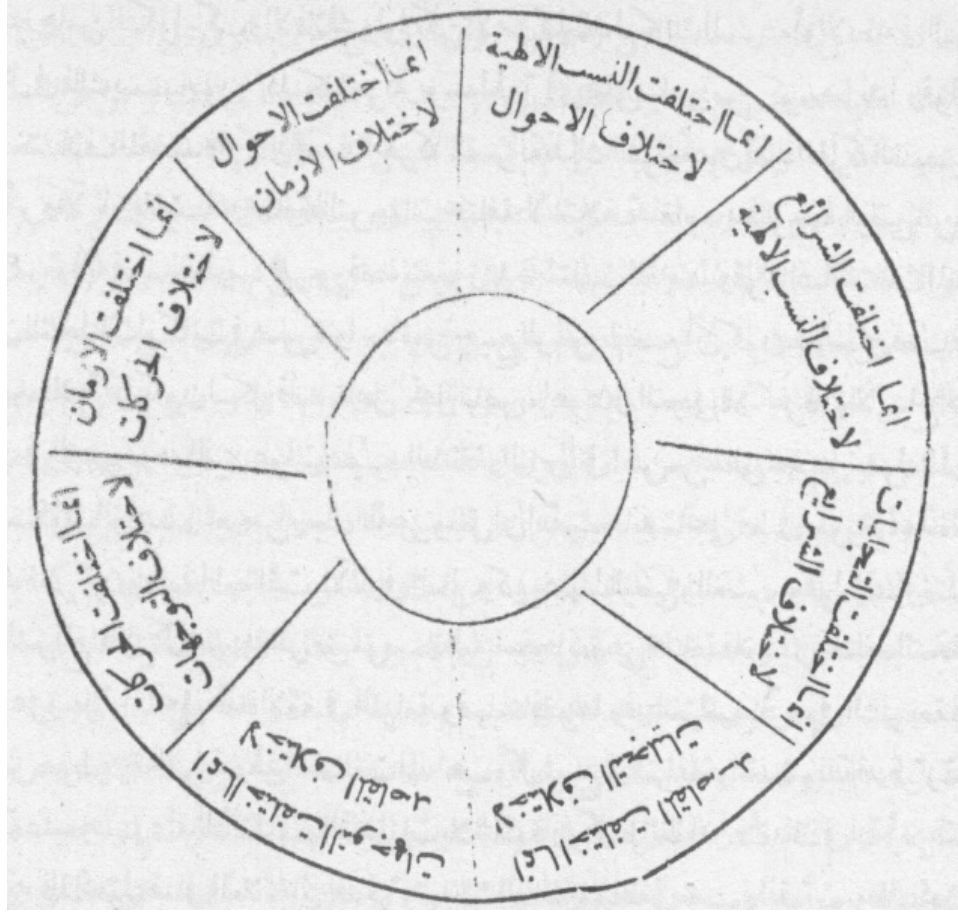
إنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته فالخليفة لا بد أن يظهر فيما استخلف عليه بصورة مستخلفة وإلا فليس بخليفة له فيهم فأعطاه الأمر والنهي وسماه بالخليفة وجعل البيعة له بالسمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر وأمر الله سبحانه عباده بالطاعة لله ولرسوله والطاعة لأولي الأمر منهم فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرسالة والخلافة كداود عليه السلام فإن الله نص على خلافته عن الله بقوله تعالى فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَأَجْمَلَ خِلافةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا كَلَّ

رسول خليفة فمن أمر ونهى وعاقب وعفا وأمر الله بطاعته وجمعت له هذه الصفات كان خليفة ومن بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى أن يأمر وينهى فهو رسول يبلغ رسالات ربه وبهذا بان لك الفرقان بين الرسول والخليفة ولهذا جاء بالألف واللام في قوله تعالى من يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وقال عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ أَيُّ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا قَالَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ وَهُوَ كُلُّ أَمْرٍ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ قَالَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَفَصَلَ أَمْرَ طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كَانَ يَعْنِي بِذَلِكَ مَا بَلَغَ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ تَكُنْ ثُمَّ فَائِدَةٌ زَائِدَةٌ فَلَا بَدَّ أَنْ يُولِيَهُ رَتَبَةَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَى فَتَحْتَنُ مَأْمُورُونَ بِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ اللَّهِ بِأَمْرِهِ وَقَالَ تَعَالَى مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَطَاعَتَنَا لَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَى عَنْهُ مِمَّا لَمْ يَقُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَكُونُ قِرَاءَةً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا أَنَا كَمَا تُكْفِرُونَ فَحَدُّهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّبَعُوا فَأَضَافَ النَّهْيَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآتَى بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي الرَّسُولِ يَرِيدُ بِهِمَا التَّعْرِيفَ وَالْعَهْدَ أَيَّ الرَّسُولِ الَّذِي اسْتَحْلَفْنَا عَنْهُ فَجَعَلْنَا لَهُ أَنْ يَأْمُرَ وَيَنْهَى زَائِدًا عَلَى تَبْلِيغِ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا إِلَى عِبَادِنَا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ عَيْنِهَا وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ أَيُّ إِذَا وُلِّيَ عَلَيْكُمْ خَلِيفَةٌ عَنْ رَسُولِي أَوْ وَلِيَتَمُوهُ مِنْ عِنْدِكُمْ كَمَا شَرَعَ لَكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مَجْدَعِ الْأَطْرَافِ فَإِنْ فِي طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ طَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا لَمْ يَسْتَأْنَفْ فِي أُولِي الْأَمْرِ أَطِيعُوا وَكَتَفَى بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَمْ يَكْتَفِ بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ عَنْ قَوْلِهِ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَفَصَلَ لِكَوْنِهِ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَاسْتَأْنَفَ الْقَوْلَ بِقَوْلِهِ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ شَرَعَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ وَيَنْهَى وَلَيْسَ لِأُولِي الْأَمْرِ أَنْ يَشْرَعُوا شَرِيعَةً إِنَّمَا لَهُمُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ فِيمَا هُوَ مَبَاحٌ لَهُمْ وَلَنَا فَإِذَا أَمَرْنَا بِمَبَاحٍ أَوْ نَهَوْنَا عَنْ مَبَاحٍ وَأَطَعْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ أَجْرْنَا فِي ذَلِكَ أَجْرَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَهَذَا مِنْ كَرَمِ اللَّهِ بِنَا وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ أَهْلُ الْغَفْلَةِ مَنَا

(مسألة أخرى من هذا الباب)

إِنَّمَا أَمَرَتِ الْمَلَائِكَةَ وَالْخَلْقَ أَجْمَعُونَ بِالسُّجُودِ وَجَعَلَ مَعَهُ الْقُرْبَةَ فَقَالَ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ فِي سَجُودِهِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْحَقَّ فِي نِسْبَةِ الْفَوْقِ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ كَنِسْبَةِ التَّحْتِ إِلَيْهِ فَإِنَّ السُّجُودَ طَلَبَ السُّفْلِ بِوَجْهِهِ كَمَا إِنَّ الْقِيَامَ يَطْلُبُ الْفَوْقَ إِذَا رَفَعَ وَجْهَهُ بِالِدُّعَاءِ وَيَدِهِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ السُّجُودَ حَالَةَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ يَقْبِضْهُ سَبْحَانَهُ الْفَوْقَ عَنِ التَّحْتِ وَلَا التَّحْتِ عَنِ الْفَوْقِ فَإِنَّهُ خَالِقُ الْفَوْقِ وَالتَّحْتِ كَمَا لَمْ يَقْبِضْهُ الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ عَنِ النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَقْبِضْهُ النُّزُولُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَنِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا لَمْ يَقْبِضْهُ سَبْحَانَهُ الِاسْتِوَاءُ وَالنُّزُولُ عَنِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَا أَيْنَمَا كُنَّا كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيُّ مَا كُنْتُمْ بِالْمَعْنَى الَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ كَمَا قَالَ أَيُّضًا مَا وَسَعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي كَمَا قَالَ عَنْهُ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا وَقَالَ تَعَالَى أَيُّضًا فِي حَقِّ الْمَيْتِ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَنَسَبَ الْقُرْبَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَيْتِ وَقَالَ أَيُّضًا عَزَّ وَجَلَّ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يَعْنِي الْإِنْسَانَ مَعَ قَوْلِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

(مسألة دورية من هذا الباب وهذه صورتها)



إنما قلنا اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية لأنه لو كانت النسبة الإلهية لتحليل أمر ما في الشرع كالنسبة لتحريم ذلك الأمر عينه في الشرع لما صح تغيير الحكم وقد ثبت تغيير الحكم ولما صح أيضاً قوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وقد صح أن لكل أمة شرعة ومنها جاءها بذلك نبيها ورسولها فنسخ وأثبت فعلمنا بالقطع أن نسبته تعالى فيما شرعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم خلاف نسبته إلى نبي آخر وإلا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه وهي الموجبة للتشريع الخاص لكان الشرع واحداً من كل وجه فإن قيل فلم اختلفت النسب الإلهية قلنا لاختلاف الأحوال فمن حاله المرض يدعوا معافي ويا شافي ومن حاله الجوع يقول يا رزاق ومن حاله الغرق يقول يا مغيث فاختلفت النسب لاختلاف الأحوال وهو قوله كل يوم هو في شأنٍ و سنفرع لكم أيه الثقلان وقوله صلى الله عليه وسلم لما وصف ربه تعالى بيده الميزان يخفض ويرفع فلحالة الوزن قيل فيه الخافض الرافع فظهرت هذه النسب فهكذا في اختلاف أحوال الخلق وقلنا إننا اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان فإن اختلاف أحوال الخلق سببها اختلاف الأزمان عليها فحالها في زمان الربيع يخالف حالها في زمان الصيف وحالها في زمان الصيف يخالف حالها في زمان الخريف وحالها في زمان الخريف يخالف حالها في زمان الشتاء وحالها في زمان الشتاء يخالف حالها في زمان الربيع يقول بعض العلماء بما تفعله الأزمان في الأجسام الطبيعية تعرضوا لهواء زمان الربيع فإنه يفعل في

أبدانكم ما يفعل في أشجاركم وتحفظوا من هواء زمان الحريف فإنه يفعل في أبدانكم كما يفعل في أشجاركم وقد نص الله تعالى على إننا من جملة نبات الأرض فقال **وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** أراد فنبتهم نباتاً لأن مصدر أنبتكم إنما هو إنبتا كما قال في نسبة التكوين إلى نفس المأمور به فقال تعالى **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** فيجعل التكوين إليه كذلك نسب ظهور النبات إلى النبات فافهم فلذلك قلنا إنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان وأما قولنا إنما اختلفت الأزمان لاختلاف الحركات فأعني بالحركات الحركات الفلكية فإنه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمان الليل والنهار وتعينت السنون والشهور والفصول وهذه المعبر عنها بالأزمان وقولنا اختلفت الحركات لاختلاف التوجهات أريد بذلك توجه الحق عليها بالإيجاد لقوله تعالى **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ فَلَوْ كَانَ التوجه واحدا عليها لما اختلفت الحركات وهي مختلفة فدل إن التوجه الذي حرك القمر في فلكه ما هو التوجه الذي حرك الشمس ولا غيرها من الكواكب والأفلاك ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت السرعة أو الإبطاء في الكل على السواء قال تعالى **كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ** فلكل حركة توجه إلهي أي تعلق خاص من كونه مريدا وقولنا إنما اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجه عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجه لم يميز أثر عن أثر والآثار بلا شك مختلفة فالتوجهات مختلفة لاختلاف المقاصد فتوجهه بالرضى عن زيد غير توجهه بالغضب على عمرو فإنه قصد تعذيب عمرو وقصد تنعيم زيد فاختلفت المقاصد وقولنا إنما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات فإن التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصبح أن يكون لها سوى قصد واحد وقد ثبت اختلاف القصد فلا بد أن يكون لكل قصد خاص تجل خاص ما هو عين التجلي للآخر فإن الاتساع الإلهي يعطي أن لا يتكرر شيء في الوجود وهو الذي عولت عليه الطائفة والناس في لبس من خلق جديد يقول الشيخ أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب وغيره من رجال الله عز وجل إن الله سبحانه ما تجلى قط في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة مرتين ولهذا اختلفت الآثار في العالم وكفي عنها بالرضى والغضب وقولنا إنما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع فإن كل شريعة طريق موصلة إليه سبحانه وهي مختلفة فلا بد أن تختلف التجليات كما تختلف العطايا ألا تراهم عز وجل إذا تجلى هذه الأمة في القيامة وفيها منافقوها وقد اختلف نظرهم في الشريعة فصار كل مجتهد على شرع خاص هو طريقه إلى الله ولهذا اختلفت المذاهب وكل شرع في شريعة واحدة والله قد قرر ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عندنا فاختلفت التجليات بلا شك فإن كل طائفة قد اعتقدت في الله أمرا ما إن تجلى لها في خلافه أنكرته فإذا تحول لها في العلامة التي قد قررتها تلك الطائفة مع الله في نفسها أقرت به فإذا تجلى للأشعري في صورة اعتقاد من يخالفه في عقده في الله وتجلي للمخالف في صورة اعتقاد الأشعري مثلا أنكره كل واحد من الطائفتين كما ورد وهكذا في جميع الطوائف فإذا تجلى لكل طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى وهي العلامة التي ذكرها مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقروا له بأنه ربهم وهو هو لم يكن غيره فاختلفت التجليات لاختلاف الشرائع وقولنا إنما اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية قد تقدم ودار الدور فكل شيء أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولا وآخرا ووسطا و**

هكذا كل أمر دوري يقبل كل جزء منه بالفرض الأولية والآخريّة و ما بينهما وقد ذكرنا مثل هذا الشكل الدوري في التديرات الإلهية مضاهيا لقول المتقدم إذ قال العالم بستان سياحه الدولة سلطنة تجببه السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك راع بعضده الجيش الجيش أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عبيد تعبدهم العدل العدل مألوف فيه صلاح العالم العالم بستان و دار الدور و يكفي هذا القدر من الإيماء إلى العلل والأسباب مخافة التطويل فإن هذا الباب واسع جدا إذ كان العالم كله مرتبطا بعضه ببعض أسباب و مسببات و علل و معلولات وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع والأربعون)

في معرفة قوله صلى الله عليه وسلم إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن معرفة هذا المنزل ورجاله

في سوى الرحمن مستند	نفس الرحمن ليس له
ما لها ركن ولا سند	حكمه في كل طائفة
وهو لا روح ولا جسد	بين الأكوان منزله
وهو المطلوب والصمد	ما له حد يعينه
ثم لم يظفر به أحد	فجميع الخلق يطلبه
بكمال التعت منفرد	أحد ما مثله أحد

اعلم يا ولي أن لله عبادا من حيث اسمه الرحمن وهو قوله وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا يَقُولُ تَعَالَى يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقُدًّا وَلِلَّهِ عِبَادٌ يَأْتِي إِلَيْهِمُ الرَّحْمَنُ مِنْ أَسْمَةِ الرَّبِّ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَكَمَالَهُ مِنَ الْأَسْمَةِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى كَذَلِكَ مِنْ الْأَسْمَةِ الرَّحْمَنِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَقَالَ وَجَاءَ رَبُّكَ فَنَمَّ إِيَّانَ عَامٍ مِثْلَ هَذَا وَهُوَ الْإِيَّانُ لِلْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ وَثُمَّ إِيَّانَ خَاصٌّ بِالرَّحْمَةِ لَمَنْ أَعْتَنَى بِهِ مِنْ عِبَادِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اشْتَدَّ كَرِبُهُ مِنَ الْمَنَازِعِينَ إِيَّانِي لِأَجْدِ نَفْسِ الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ وَهُوَ مَا مَشَى إِلَى الْيَمَنِ لَكِنَّ النَّفْسَ أَدْرَكَهُ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ وَمَا أَدْرَكَهُ حَتَّى أَتَاهُ فَجَاءَ بِالتَّنْفِيسِ مِنَ الشَّدَةِ وَالضِّيْقِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ النَّفْسُ فِي بَاطِنِهِ وَقَلْبِهِ مَبْشَرًا بِمَا يَظْهَرُهُ اللَّهُ مِنْ نَصْرَةِ الدِّينِ وَإِقَامَتِهِ عَلَى أَيْدِي الْأَنْصَارِ وَلَقَدْ جَرَى لَنَا فِي حَدِيثِ الْأَنْصَارِ مَا نَذَكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ عِنْدَنَا بِدَمَشَقٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَالدِّينِ يُقَالُ لَهُ يُحْيِي بِنِ الْأَخْفَشِ مِنْ أَهْلِ مَرَاكِشَ كَانَ أَبُوهُ يَدْرُسُ الْعَرَبِيَّةَ بِهَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَوْمًا مِنْ مَنْزِلِهِ بِدَمَشَقٍ وَأَنَا بِهَا يَقُولُ لِي فِي كِتَابِهِ يَا وَلِي رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَارِحَةَ بِجَمَاعٍ

دمشق وقد نزل بمقصورة الخطابة إلى جانب خزانة المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه والناس يهرعون إليه ويدخلون عليه
 بياعونه فبقيت واقفا حتى خف الناس فدخلت عليه وأخذت يده فقال لي هل تعرف محمدا قلت له يا رسول الله من محمد فقال له ابن
 العربي قال فقلت له نعم أعرفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا قد أمرناه بأمر فقل له يقول لك رسول الله انهض لما أمرت به و
 اصحبه أنت فإنك تنتفع بصحبته وقل له يقول لك رسول الله امتدح الأنصار ولعين منهم سعد بن عباداة ولا بد ثم استدعى بحسان بن ثابت
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حسان حفظه بيتا يوصله إلى محمد بن العربي ببني عليه وينسج على منواله في العروض والروي
 فقال حسان يا يحيى خذ إليك وأنشدني بيتا وهو

شغف السهاد بمقلتي ومزاري فعلى الدموع معولي ومشاري

وما زال يردده علي حتى حفظته ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مدح الأنصار فاكتبه بخط بين واحمله ليلة الخميس إلى تربة
 هذا الذي تسمونها قبر الست فستجد عندها شخصا اسمه حامد فادفع إليه المديح فلما أخبرني بذلك هذا الرأي و فقه الله عملت
 القصيدة من وقتي من غير فكرة ولا روية ولا تشبث ودفعت القصيدة إليه فكتب إلى أنه لما جاء قبر الست وصل إليه بعد العشاء الآخرة قال
 فرأيت رجلا عند القبر فقال لي ابتداء أنت يحيى الذي جاء من عند فلان وسماني قال فقلت له نعم قال فأين القصيد الذي مدح به الأنصار
 عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هو ذا عندي فناولته إياه فقرب من الشمعة ليقرا القصيدة فلم أره يجذب ذلك الخط فقلت له
 تأمرني أنشدك إياها قال نعم فأشده إياها وهذا نص القصيدة

فقر الكلام و نشأة الأشعار
 قال ابن ثابت الذي فخرت به
 فعلى الدموع معولي ومشاري
 شغف السهاد بمقلتي ومزاري

وكانت أُمِّي تنسب إلى الأنصار فقلت

هي من حروف الرد والتكرار
 فلذا جعلت رويه الراء التي
 في مدح قوم سادة أبرار
 فأقول مبتدئا لطاعة أحمد
 فإذا مدحتهم ومدحت نجاري
 إنني امرؤ من جملة الأنصار
 أنواره في رأس كل منار
 بسيوفهم قام الهدى وبهم علت
 قاموا بنصر الهاشمي محمد
 المصطفى المختار من مختار
 فازوا بهن حميدة الآثار
 و لذلك ما صحبوه بالإيثار
 باعوا نفوسهمو لنصرة دينه
 صحبوا النبي بنية و عزائم

يأتيه من يمن مع الأقدار	عنهم كفى المختار بالنفس الذي
يوم السقيفة جملة الأنصار	سعد سليل عبادة فخرت به
نزلت بدين الله و الأختيار	لله آساد لكل كرهية
دين الهدى بالعسكر الجرار	عزوا بدين الله في إعزازهم
وبهم ترى يوم الورود فخاري	فيهم علا يوم القيامة مشهدي
في مدحهم ما كتبت بالمكثار	لو أنني صغت الكلام قلاتدا
لحقت بهم أعداؤه بتبار	كرش النبي و عيبة لرسوله
آساد غاب في الوغى بنهار	رهبان ليلا يقرءون كلامه

وقصة الرؤيا طويلة فاقصرت من ذلك على ما نحتاج إليه في هذا الباب من ذكر الأنصار ثم نرجع فنقول فما جاءت الأنصار إلا بعد أن نفس الله عن نبيه بما بشره به فلقية الأنصار في حال اتساع و انشراح و سرور و تلقاها صلى الله عليه و سلم تلقي الغني بربه فكان معها و المهاجرين عوناً على إقامة دين الله كما أمرهم الله قال الله عز و جل وَاللَّهُ يَبْخُسُ وَيَبْصُطُ فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَهَا آثَارُ وَتَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ وَ هِيَ الْمَتَّوِّجَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِيجَادِ الْمَمَكِّنَاتِ وَ مَا تَحْوِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي لَا نَهَايَةَ لَهَا وَاللَّهُ مِنْ حَيْثُ ذَاتَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللَّهَ تَعَالَى أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ لِعِلْمِنَا أَنَّهُ سَبْحَانَهُ مَا أَوْجَدْنَا إِلَّا لَنَا لَا لِنَفْسِهِ وَ مَا خَلَقْنَا لِعِبَادَتِهِ إِلَّا لِيَعُودَ ثَوَابُ ذَلِكَ الْعَمَلِ وَ فَضْلُهُ إِلَيْنَا وَ لِذَلِكَ مَا خَصَّ بِهَذَا الْخُطَابِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَلَا نَشْكُ أَنْ كُلَّ مَا خَلَقْنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَالَمِ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا مُسَبِّحِينَ بِحَمْدِهِ وَ مَا خَصَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ أَعْنِي صِفَةَ الْعِبَادَةِ وَ هِيَ الذَّلَّةُ فَمَا خَلَقْنَاهُمْ حِينَ خَلَقْنَاهُمْ إِذْ لَا وَإِنَّمَا خَلَقْنَاهُمْ لِيَذَلُّوا وَ خَلَقَ مَا سِوَاهُمْ إِذْ لَا فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ فَمَا جَعَلَ الْعِلَّةَ فِي سِوَى الثَّقَلَيْنِ الذَّلَّةُ كَمَا جَعَلَهَا فِيْنَا وَ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا تَكْبَرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ وَ لَا عَصَى اللَّهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ سِوَى الثَّقَلَيْنِ فَأَمْرَ إبْلِيسَ فَعَصَى وَ نَهَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقْرُبَ الشَّجَرَةَ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَالَ اللَّهُ لَنَا فِي كِتَابِهِ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ وَ أَمَا الْمَلَائِكَةُ فَقَدْ شَهِدَ لَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ رَدَا عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِي فِي حَقِّ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلٍ مِنَ الْمَفْسَرِينَ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِمْ وَ لَا يُعْطِيهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ لَكِنِ الْإِنْسَانَ يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَقُولُ فِيهِ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ فَكَيْفَ لَا يَقُولُ فِي الْمَلَائِكَةِ فَكَمَا كَذَبَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ فِي أُمُورٍ فَيَكُونُ هَذَا الْقَائِلُ قَدْ كَذَبَ رَبَّهُ فِي قَوْلِهِ فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ كَذَبَنِي ابْنُ آدَمَ وَ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ وَ شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ فَلَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدْنَى مِنَ اللَّهِ كَذَا وَ رَدَّ أَيْضًا فِي الْخَبَرِ وَ هُوَ سَبْحَانَهُ بِرِزْقِهِمْ وَ يَحْسَنُ إِلَيْهِمْ وَ هُمْ فِي حَقِّهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَاعْلَمُوا أَنَّ السَّبَبَ الْمَوْجِبَ لِتَكْبِيرِ الثَّقَلَيْنِ دُونَ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ إِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ تَوَجَّهَ عَلَى إِيجَادِهِمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ أَسْمَاءَ الْجَبْرُوتِ وَ

الكبرياء والعظمة والقهر والعزة فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي وتعرف إليهم حين أوجدتهم بهذه الأسماء فلم يتمكن لمن خلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه ولا إن يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله فكيف على من خلقه وقد أشهده أنه في قبضته وتحت قهره وشهدوا كشفًا نواصبهم ونواصي كل دابة بيده في القرآن العزيز ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها ثم قال متمما إن ربي على صراطٍ مستقيمٍ والأخذ بالناصية عند العرب إذلال هذا هو المقرر عرفا عندنا فمن كان حاله في شهود نظره إلى ربه أخذ النواصي بيده ويرى ناصيته من جملة النواصي كيف يتصور منه عز أو كبرياء على خالقه مع هذا الكشف وأما الثقلان فخلقهم بأسماء اللطف والحنان والرافة والرحمة والتنزل الإلهي فعند ما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء ورأوا نفوسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف وتنزل ولم يبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمته في خروجهم إلى الدنيا شيئا يشغلهم عن نفوسهم ألا تراهم في الأخذ الذي عرض لهم من ظهورهم حين قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ هل قال أحد منهم نعم لا والله بل قالوا بلى فأفروا له بالربوبية لأنهم في قبضة الأخذ محصورون فلو شهدوا أن نواصبهم بيد الله شهادة عين أو إيمان كشهادة عين كشهادة الأخذ ما عصوا الله طرفة عين وكانوا مثل سائر المخلوقات يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفُتُونَ فَلَمَّا ظهروا عن هذه الأسماء الرحمانية قالوا يا ربنا لم خلقتنا قال لتعبدون أي لتكونوا أذلاء بين يدي فلم يروا صفة قهر ولا جناب عزة تذلهم ولا سيما وقد قال لهم لتذلوا إلي فأضاف فعل الإذلال إليهم فزادوا بذلك كبرا فلو قال لهم ما خلقتكم إلا لأذلكم لفرقوا وخافوا فإنها كلمة قهر فكانوا يبادرون إلى الذلة من نفوسهم خوفا من هذه الكلمة كما قال للسموات والأرض أُنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا فَلَوْ لَمْ يَقُلْ كَرِهًا فَإِنهَا كَلِمَةُ قَهْرٍ حَيْثُمَا أَتَتْ فَلِهَذَا قَلْنَا مَا أَوْجَدَ كُلُّ مَا أَوْجَدَا الثَّقَلَيْنِ وَلَا خَاطِبَهُمْ إِلَّا بِصِفَةِ الْقَهْرِ وَالْجَبْرُوتِ فَلَمَّا قَالَ لِلثَّقَلَيْنِ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي لِأَجَلِهِ أَوْجَدْتُهُمْ وَخَلَقْتُهُمْ فَظَنُّوا إِلَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي وَجَدُوا عَنْهَا فَمَا رَأَوْا اسْمًا إِلَهِيًّا مِنْهَا يَقْتَضِي أَخْذَهُمْ وَعِقَابَهُمْ إِنْ عَصَوْا أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ وَتَكْبَرُوا عَلَى أَمْرِهِ فَلَمْ يَطِيعُوهُ وَعَصَوْهُ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ وَهُوَ أَوَّلُ النَّاسِ وَعَصَى إِبْلِيسُ رَبَّهُ فَسَرَتْ الْمَخَالَفَةُ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ فِي جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آدَمَ لَمَّا جَحَدَ وَنَسِيَ مَا وَهَبَهُ لِدَاوُدَ مِنْ عَمْرِهِ فَنَسِيَ آدَمَ فَنَسِيَ ذُرِّيَّتَهُ وَجَحَدَ آدَمَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا مِنْ رَحِمِ رَبُّكَ فَعَصَمَهُ وَلَكِنْ مِنَ التَّكْبَرِ عَلَى اللَّهِ لَا مِنْ تَكْبَرِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَعَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ فَمَا عَصَمَ أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ ابْتِدَاءً فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَلَكِنْ إِذَا اعْتَنَى اللَّهُ بَعْدَهُ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ يَرْزُقُهُ التَّوْفِيقَ وَالْعِنَايَةَ فَيَلْزِمُ مَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَيَلْحَقُ بِسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهُوَ عَزِيزُ الْوُجُودِ وَأَبْنُ الْعَبْدِ الَّذِي هُوَ فِي نَفْسِهِ مَعَ أَنْفَاسِهِ عَبْدٌ لِلَّهِ دَائِمًا فَلَا يَدُلُّ أَحَدٌ مِنَ الثَّقَلَيْنِ إِلَّا عَنِ قَهْرٍ يَجِدُهُ فَهُوَ فِي ذَلِكَ مَجْبُورٌ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ حَيْثُ دَلَّتْ إِلَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي عَنْهَا وَجَدَ وَهِيَ أَسْمَاءُ الرَّحْمَةِ فَيَطْلُبُهَا لِتَزِيلَ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْحَرَجِ الَّذِي مَا اعْتَادَهُ فَيُحْنُ إِلَى جِهَتِهَا وَيَعْرِفُ أَنَّ لَهَا قُوَّةَ وَسُلْطَانًا فَتَنْفَسُ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ فَأَشَارَ إِلَى الْأَسْمِ الَّذِي خَلَقَ بِهِ الثَّقَلَيْنِ وَقَرْنَ مَعَهُ جِهَةَ الْقُوَّةِ فَقَالَ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ وَالْقَبْلُ النَّاحِيَّةُ وَالْجِهَةُ وَالْيَمَنِ مِنَ الْيَمِينِ وَهُوَ الْقُوَّةُ قَالَ الشَّاعِرُ

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أراد بالقوة فإن اليمين محل القوة والسَّمَاوَاتِ مَطُوبَاتٌ بِيَمِينِهِ وكذلك كان لما نظر إليه الاسم الرحمن الذي عنه وجد كان النصر على أيدي الأنصار وكذلك قوله يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ الْمُتَّقِينَ هُوَ الْحَذَرُ الْخَائِفُ الْوَجَلُ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ يَشْهَدُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ الرَّءُوفَ وَيَتَّقِيهِ وَإِنَّمَا مشهود المتقي السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار فيتقي ويخاف فيؤمنه الله تعالى بأن يحشره إلى الرحمن فيأمن سطوة الجبار القهار ولهذا قال تعالى فينا إن رحمته سبقت غضبه لأنه بالرحمة أوجدنا لم يوجدنا بصفة القهر وكذلك تأخرت المعصية فتأخر الغضب عن الرحمة في الثقلين فالله يجعل حكمهما في الآخرة كذلك ولو كانت بعد حين ألا ترى الله تعالى إذا ذكر أسماءنا لابتدئ بأسماء الرحمة ويؤخر أسماء الكبرياء لأننا لا نعرفها فإذا قدم لنا أسماء الرحمة عرفناها وحننا إليها عند ذلك يتبعها أسماء الكبرياء لأننا أخذنا بحكم التبعية فقال تعالى هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَهَذَا نَعْتُ يَمُوجِبُ الْجَمِيعَ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ يَأْتِيهِ مِنَ الْآخِرِ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ هُوَ الرَّحْمَنُ فَعَرَفْنَا الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ لِأَنَّا عَنَّا وَجَدْنَا ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ابْتَدَأَ لِجَعْلِهِ فَصَلًا بَيْنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبَيْنَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُكَبَّرِ فَقَالَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ نَعَوَاتِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ جَاءَ وَقَالَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُكَبَّرُ فَقَبَلْنَا هَذِهِ النُّعُوتَ بَعْدَ أَنْ آتَيْنَا بِأَسْمَاءِ اللَّطْفِ وَالْحَنَانِ وَأَسْمَاءِ الْإِشْتِرَاكِ الَّتِي لَهَا وَجْهٌ إِلَى الرَّحْمَةِ وَوَجْهٌ إِلَى الْكِبْرِيَاءِ وَهُوَ اللَّهُ وَالْمَلِكُ فَلَمَّا جَاءَ بِأَسْمَاءِ الْعِظْمَةِ وَالْحُلِّ قَدْ تَأَنَسَ بِتَرَادُفِ الْأَسْمَاءِ الْكَثِيرَةِ الْمَوْجِبَةِ الرَّحْمَةَ قَبَلْنَا أَسْمَاءَ الْعِظْمَةِ لِمَا رَأَيْنَا أَسْمَاءَ الرَّحْمَةِ قَدْ قَبَلْتَهَا حَيْثُ كَانَتْ نَعُوتًا لَهَا فَقَبَلْنَا هَا ضَمْنَا تَبَعًا لِأَسْمَائِنَا ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا عَلَّمَ الْخَلْقَ أَنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَبِمَوَاقِعِ خَطَابِهِ إِذَا سَمِعَ مِثْلَ أَسْمَاءِ الْعِظْمَةِ لَا يَدَّ أَنْ تَوَثَّرَ فِيهِ أَثَرُ خَوْفٍ وَقَبْضٍ نَعْتَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَأَرَدَهَا بِأَسْمَاءٍ لَا تَخْتَصُّ بِالرَّحْمَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَا تَعْرِى عَنِ الْعِظْمَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَقَالَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَهَذَا كُلُّهُ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عِبَادَهُ وَتَنْزِيلٌ إِلَيْهِمْ فَمَنَّا زِلْ أَصْحَابُ هَذَا الْبَابِ هِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْمَذْكُورَةُ وَحَضْرَاتُهَا وَهَذَا قَدْ سَبَّحَانَهُ فِي كِتَابِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي كُلِّ سُورَةٍ إِذْ كَانَتْ السُّورَةُ تَحْوِي عَلَى أُمُورٍ مَخُوفَةٍ تَطْلُبُ أَسْمَاءَ الْعِظْمَةِ وَالْإِقْتِدَارَ فَقَدْ مِثْلُهَا الرَّحْمَةَ تَأْنِيسًا وَبِشْرَى وَهَذَا قَالُوا فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ إِنَّهَا وَالْأَنْفَالِ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ حَيْثُ لَمْ يَفْصَلْ بَيْنَهُمَا بِالْبِسْمَلَةِ وَفِي ذَلِكَ خِلَافٌ مَقُولُ بَيْنَ عُلَمَاءِ هَذَا الشَّانِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَمَّا عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَجْرِي مِنَ الْخِلَافِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي حَذْفِ الْبِسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ بَرَاءةٍ فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا سُورَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ وَكَانَ الْقُرْآنُ عِنْدَهُ مِائَةً وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً فَيَحْتَاجُ إِلَى مِائَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ بِسْمَلَةً أَظْهَرَ لَهَا فِي سُورَةِ النَّملِ بِسْمَلَةً لِيَكْمَلَ الْعِدَّةَ وَجَاءَ بِهَا كَمَا جَاءَ بِهَا فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعِينَهَا فَإِنَّ لُغَةَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَكُنْ عَرَبِيَّةً وَإِنَّمَا كَانَتْ أُخْرَى فَمَا كَتَبَ لُغَةَ هَذَا اللَّفْظِ فِي كِتَابِهِ وَإِنَّمَا كَتَبَ لُفْظَةً بَلَّغَتْهُ تَقْتَضِي مَعْنَاهَا بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِذَا عَبَّرَ عَنْهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢٧ وَآتَى بِهَا مَحْذُوفَةَ الْأَلْفِ كَمَا جَاءَتْ فِي أَوَائِلِ السُّورِ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا فِي أَوَائِلِ السُّورِ وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ فِي بَسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَقَرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ فَاتَّبَعْنَاهُ هُنَاكَ لِيَفْرُقَ مَا بَيْنَ اسْمِ الْبِسْمَلَةِ وَغَيْرِهَا وَهَذَا تَتَضَمَّنُ سُورَةُ التَّوْبَةِ مِنْ صِفَاتِ الرَّحْمَةِ وَالتَّنَزُّلِ الْإِلَهِيِّ كَثِيرًا فَإِنَّ فِيهَا شِرَاءَ اللَّهِ نَفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَأَيُّ نَزَلٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَشْتَرِيَ السَّيِّدَ مَلِكُهُ مِنْ عِبْدِهِ وَهَلْ يَكُونُ فِي الرَّحْمَةِ أَلْبَلُغُ مِنْ هَذَا فَلَا يَدَّ أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ وَالْأَنْفَالُ سُورَةٌ

واحدة أو تكون بسملة النمل السلمانية لسورة التوبة ثم انظر في اسمها سورة التوبة والتوبة تطلب الرحمة ما تطلب التبري وإن ابتداء عز وجل بالتبري فقد ختم بآية لم يأت بها ولا وجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين فإن كنت تعقل علمت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة ولا سيما في قوله تعالى وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ وَذَلِكَ كُلُّهُ رَحْمَةً بِنَا لِنَحْذِرُ الْوَقُوعَ فِيهِ وَالْإِنصَافَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا نَزَلَ فَلَمْ تَتَّضِعْ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِي حَقِّنَا رَحْمَةً أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ لِأَنَّهُ كَثُرَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيهَا الْمُؤْمِنُ وَيَجْتَنِبُهَا فَلَمْ يَعْرِفْنَا الْحَقَّ تَعَالَى بِهَا رَبَّمَا وَقَعْنَا فِيهَا وَلَا نَشْعُرُ فِيهِ سُورَةٌ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِذْ وَقَدْ عَرَفْنَاكَ بِمَنْزَلِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ رَجَالَ هُمْ كُلٌّ مِنْ كَانُ حَالَهُ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ حَالٌ مِنْ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَسْمَاءُ الْجَبْرُوتِيَّةُ مِنْ جَمِيعِ عَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ فَيَقَعُ مِنْهُ اللَّجَأُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى أَسْمَاءِ الرَّحْمَةِ فَيَتَجَلَّى لَهُ الْأَسْمَاءُ الرَّحْمَنُ الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالَّذِي بِهِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فِيهِهِ الْأَقْتِدَارُ الْإِلَهِيُّ فَيُحِبُّهُ آثَارُ الْأَسْمَاءِ الْقَهْرِيَّةِ فَيَتَسَّعُ لَهُ الْجَمَالُ فَيُنشِرُ الصِّدْرَ وَيَجْرِي النَّفْسَ وَيَسْرِي فِيهِ رُوحَ الْحَيَاةِ وَتَأْتِي إِلَيْهِ وَفُودُ الْأَسْمَاءِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالْحَقَائِقُ الْإِلَهِيَّةُ بِالتَّهَانِي وَالْبَشَائِرُ فَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَتَهُ وَيَعْرِفُهَا ذَوْقًا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ مِنْ رَجَالِ هَذَا الْمَقَامِ فَلَا يَغَالُطُ نَفْسَهُ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَعْلَمُ بِحَالِهِ وَلَا يَنْفَعُكَ أَنْ تَنْزِلَ نَفْسُكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْزِلَةً لَيْسَتْ لَكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَقَدْ نَصَحْتِكَ وَأَبْنَتْ لَكَ عَنْ طَرِيقِ الْقَوْمِ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِمَا عَرَفْنَاكَ بِهِ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَسْبَى بِأَيْتِكَ الْيَقِينُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخمسون في معرفة رجال الحيرة والعجز)

و لم يحركان برهاناً بأن جهلاً	من قال يعلم أن الله خالقه
فليس حاضرکم مثل الذي غفلاً	لا يعلم الله إلا الله فاتسبها
كذا هو الحكم فيه عند من عقلاً	العجز عن درك الإدراك معرفة
هو النزبه فلا تضرب له مثلاً	هو الإله فلا تحصى محامده

اعلم أيديك الله بروح منه أن سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته جل وتعالى بأحد الطريقين إما بطريق الأدلة العقلية وإما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أوما إليها وما صرح والدليل العقلي قد منع من إدراك حقيقة ذاته من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو سبحانه في نفسه عليها وما أدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير وسمي هذا معرفة والشارع قد نسب إلى نفسه أمورا وصف نفسه بها تحيلها الأدلة العقلية إلا بتأويل بعيد يمكن أن يكون مقصودا للشارع ويمكن أن لا يكون وقد لزمه الايمان والتصديق بما وصف به نفسه لقيام الأدلة عنده بصدق هذه الأخبار عنه إنه أخبر بها عن نفسه في كنهه أو على السنة رسله فتعارض هذه الأمور مع طلبه معرفة ذاته تعالى أو الجمع بين الدليلين المتعارضين أو قمعهم في الحيرة فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل واستقصوها غاية الاستقصاء إلى أن أدهم ذلك النظر إلى العجز والحيرة فيه من نبي أو صديق قال صلى الله عليه وسلم اللهم زدني فيك تحيرا فإنه كلما

زاده الحق علما به زاده ذلك العلم حيرة ولا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بذل جهده في الثناء على خالقه بما أوحى به إليه لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا المقام وكان من رجاله العجز عن درك الإدراك إدراك أي إذا علمت إن ثم من لا يعلم ذلك هو العلم بالله تعالى فكان الدليل على العلم به عدم العلم به والله قد أمرنا بالعلم بتوحيده وما أمرنا بالعلم بذاته بل نهى عن ذلك بقوله وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ مِنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ كَيْفَ يُوَصَّلُ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى آمَرَ بِالْعِلْمِ بِتَوْحِيدِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَالْمَعْرِفَةُ بِهِ مِنْ كَوْنِهِ إِيَّاهُ وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يَنْبَغِي لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَمْتَّازُ بِهَا عَنْ مَنْ لَيْسَ بِإِلَهِ وَعَنِ الْمَالُوهِ هِيَ الْمَأْمُورُ بِهَا شَرْعًا فَلَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ فَقَامَتِ الْأَدَلَةُ الْعَقْلِيَّةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ وَأَهْلِ الْكَشْفِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ الْعَقْلِيِّ بِوَجُودِهِ وَرَأَيْنَا أَهْلَ طَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رَسُولٍ وَنَبِيِّ وَوَلِيٍّ قَدْ جَاءُوا بِأُمُورٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِنَعْوَتِ الْإِلَهِ فِي طَرِيقِهِمْ إِحَالَتَهَا الْأَدَلَةُ الْعَقْلِيَّةُ وَجَاءَتْ بِصَحَّتِهَا الْأَفْظَانِ النَّبَوِيَّةُ وَالْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ فَبَحِثْ أَهْلَ الطَّرِيقِ عَنْ هَذِهِ الْمَعْنَى لِيَحْصُلُوا مِنْهَا عَلَى أَمْرٍ يَمْتَّازُ بِهِ عَنْ أَهْلِ النَّظَرِ الَّذِينَ وَقَفُوا حَيْثُ بَلَغَتْ بِهِمْ أَفْكَارُهُمْ مَعَ تَحْقِيقِهِمْ صِدْقَ الْأَخْبَارِ فَقَالُوا نَعْلَمُ أَنَّ ثَمَّ طَوْرًا آخَرَ وَرَاءَ طَوْرِ إِدْرَاكِ الْعَقْلِ الَّذِي يَسْتَقِلُّ بِهِ وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَكِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ بِهِ يَقْبَلُونَ هَذِهِ الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ فَعَمَلَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْخُلُوتِ وَالْأَذْكَارِ الْمَشْرُوعَةِ لَصَفَاءِ الْقُلُوبِ وَطَهَارَتِهَا مِنْ دَنَسِ الْفِكْرِ إِذْ كَانَ الْمَفْكَرُ لَا يَفْكَرُ إِلَّا فِي الْمَحْدَثَاتِ لَا فِي ذَاتِ الْحَقِّ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ الَّذِي هُوَ مَسْمُومٌ بِاللَّهِ وَلَمْ يَجِدْ صِفَةَ إِثْبَاتِ نَفْسِيَّةٍ فَأَخَذَ يَنْظُرُ فِي كُلِّ صِفَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَهَا الْمَحْدَثُ الْمُمْكِنُ بِسَلْبِهَا عَنِ اللَّهِ لِئَلَّا يَلْزِمَهُ حُكْمُ تِلْكَ الصِّفَةِ كَمَا لَزِمَتْ الْمُمْكِنُ الْحَادِثُ مِثْلُ مَا فَعَلَ بَعْضُ النَّظَّارِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أُمُورٍ أَثْبَتُوهَا وَطَرَدُوهَا شَاهِدًا وَغَائِبًا وَيَسْتَحِيلُ عَلَى ذَاتِ الْحَقِّ أَنْ تَجْتَمِعَ مَعَ الْمُمْكِنِ فِي صِفَةٍ فَإِنَّ كُلَّ صِفَةٍ يَتَصَفَّ بِهَا الْمُمْكِنُ يَزُولُ وَجُودُهَا بِزَوَالِ الْمَوْصُوفِ بِهَا أَوْ تَزُولُ هِيَ مَعَ بَقَاءِ الْمُمْكِنِ كَصِفَاتِ الْمَعْنَانِيِّ وَالْأُولَى كَصِفَاتِ النَّفْسِ ثُمَّ إِنَّ كُلَّ صِفَةٍ مِنْهَا مُمْكِنَةٌ فَإِذَا طَرَدُوهَا شَاهِدًا وَغَائِبًا فَقَدْ وَصَفُوا وَاجِبَ الْوُجُودِ لِنَفْسِهِ بِمَا هُوَ مُمْكِنٌ لِنَفْسِهِ وَالْوَاجِبَ الْوُجُودِ لِنَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَكُونَ فَإِذَا بَطَلَ الْإِتِّصَافُ بِهِ مِنْ حَيْثُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْوَصْفِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَفْظِ إِذْ قَدْ بَطَلَ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْخَدِّ وَالْحَقِيقَةُ فَلَا يَجْمَعُ صِفَةَ الْحَقِّ وَصِفَةَ الْعَبْدِ حُدًّا وَاحِدًا أَصْلًا فَاذَنْ بَطَلَ طَرْدُ مَا قَالُوهُ وَطَرْدُوهُ شَاهِدًا وَغَائِبًا فَلَمْ يَكُنْ قَوْلُنَا فِي اللَّهِ إِنَّهُ عَالِمٌ عَلَى حُدِّ مَا نَقُولُ فِي الْمُمْكِنِ الْحَادِثِ إِنَّهُ عَالِمٌ مِنْ طَرِيقِ حُدِّ الْعِلْمِ وَحَقِيقَتُهُ فَإِنَّ نِسْبَةَ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَخَالَفَ نِسْبَةَ الْعِلْمِ إِلَى الْخَلْقِ الْمُمْكِنِ وَلَوْ كَانَ عَيْنَ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ هُوَ عَيْنَ الْعِلْمِ الْمَحْدَثِ لَجَمَعَهُمَا حُدًّا وَاحِدًا ذَاتِي أَعْيُنِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتِحَالَ عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِيلُ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ وَوَجَدْنَا الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَتَعَمَلَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ فِي تَحْصِيلِ شَيْءٍ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ وَشَرَعَتْ فِي صِقَالَةِ قُلُوبِهَا بِالْأَذْكَارِ وَتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَفْرِيعِ الْحُلِّ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمُمْكِنَاتِ وَالْحَضُورِ وَالْمَرَاقِبَةِ مَعَ طَهَارَةِ الظَّاهِرِ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ الْمَشْرُوعَةِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَنِ الْأُمُورِ

التي نهى أن ينظر إليها من العورات وغيرها وإرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار والإستبصار وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله و
 بطنه وفرجه وقلبه وما ثم في ظاهره سوى هذه السبعة والقلب ثامنها ويزيل التفكير عن نفسه جملة واحدة فإنه مفرق لهما ويعتكف على
 مراقبة قلبه عند باب ربه عسى الله أن يفتح له الباب إليه ويعلم ما لم يكن يعلم مما علمته الرسل وأهل الله مما لم تستقل العقول بإدراكه وإحاطته
 فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب حصل له تجل إلهي أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه فينسب إلى الله منه أمرا لم يكن
 قبل ذلك يجزأ على نسبه إلى الله سبحانه ولا يصفه به إلا قدر ما جاءت به الأنبياء الإلهية فيأخذها تقليدا والآن يأخذ ذلك كشفا موافقا
 مؤيدا عنده لما نطقت به الكتب المنزلة وجاء على السنة الرسل عليهم السلام فكان يطلقها إيمانا حاكيا من غير تحقيق لمعانها ولا يزيد عليها
 والآن يطلق في نفسه عليه تعالى ذلك علما محققا من أجل ذلك الأمر الذي تجلى له فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر ويعرف معنى ما يطلقه
 وما حقيقة ذلك فيتخيل في أول تجل أنه قد بلغ المقصود وحاز الأمر وأنه ليس وراء ذلك شيء يطلب سوى دوام ذلك فيقوم له تجل آخر
 بحكم آخر ما هو ذلك الأول والمتجلي واحد لا يشك فيه فيكون حكمه فيه حكم الأول ثم تنوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه
 فيعلم عند ذلك أن الأمر ما له نهاية يوقف عندها ويعلم أن الإنية الإلهية ما أدركها وأن الهوية لا يصح أن تتجلى له وأنها روح كل تجل فيزيد
 حيرة لكن فيها لذة وهي أعظم من حيرة أصحاب الأفكار بما لا يتقارب فإن أصحاب الأفكار ما برحوا بأفكارهم في الأكوان فلمهم أن
 يجاروا ويعجزوا وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان وما بقي لهم شهود إلا فيه فهو مشهودهم والأمر بهذه المثابة فكانت حيرتهم باختلاف
 التجليات أشد من حيرة النظاري في معارضات الدلالات عليه فقوله صلى الله عليه وسلم أو قول من يقول من هذا المقام زدني فيك تحيرا
 طلب لتوالي التجليات عليه فهذا الفرق بين حيرة أهل الله وحيرة أهل النظر فصاحب العقل ينشد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وصاحب التجلي ينشد قولنا في ذلك

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه

فبينهما ما بين كلمتيهما فما في الوجود إلا الله ولا يعرف الله إلا الله ومن هذه الحقيقة قال من قال أنا الله كأبي يزيد وسبحاني كغيره من رجال
 الله المتقدمين وهي من بعض تحريجات أقوالهم رضي الله عنهم فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين فقد وصل غير أن أصحابنا اليوم يجدون غاية
 الألم حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام فما أعظم تلك التجليات وإنما منعهم أن
 يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام عدم إنصاف السامعين من الفقهاء وأولي الأمر لما يسارعون إليه في تكفير من
 يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام في جنب الله وتركوا معنى قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كما قال له صلى الله
 عليه وسلم ربه عز وجل عند ذكره الأنبياء والرسل عليهم السلام أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأغلق الفقهاء هذا الباب من أجل

المدعين الكاذبين في دعواهم ونعم ما فعلوا وما على الصادقين في هذا من ضرر لأن الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب وفي ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كفاية لهم فيوردونها يستريحون إليها من تعجب وفرح وضحك وتبشش ونزول ومعية ومجبة وشوق وما أشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه الولي كفر وربما قتل وأكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقا وشربا فأنكروا مثل هذا من العارفين حسدا من عند أنفسهم إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى ما أطلقه على نفسه ولا أطلقته رسله عليهم السلام عليه ومنعهم الحسد أن يعلموا أن ذلك رد على كتاب الله وتحجير على رحمة الله أن تنال بعض عباد الله وأكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار تقليدا لهم لا بل بحمد الله أقل العامة وأما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق لشغلهم بما دفعوا إليه فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا إليه إلا القليل منهم فإنهم اتهموا علماء الرسوم في ذلك لما رأوه من انكبابهم على حطام الدنيا وهم في غنى عنه وحب الجاه والرئاسة وتمشية أغراض الملوك فيما لا يجوز وبقي العلماء بالله تحت ذل العجز والحصر معهم كرسول كذبه قومه وما آمن به واحد منهم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزل وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فَاَنْظُرْ مَا يَقَاسِيهِ فِي نَفْسِهِ الْعَالَمُ بِاللَّهِ فَسَبْحَانَ مَنْ أَعْمَى بَصَائِرَهُمْ حَيْثُ أَسْلَمُوا وَسَلَمُوا وَأَمَّنُوا بِمَا بِهِ كَفَرُوا فَاللَّهُ يَجْعَلُنَا مِنْ عَرَفِ الرَّجَالِ بِالْحَقِّ لِأَمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ بِالرَّجَالِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن)

يا من تحقق بالنفس	إن الكلام لفي القبس
وكذا الهبات من العلوم	لدى المحقق في البلس
لله قوم ما لهم	في نفس نفسهم نفس
وهم الذين همومهم	أهل المشاهد في الغلس
شفهم الخلاف في الغيوب	وفي الشهادة كالعسس
أعلى الإله مقامهم	في سورة تتلى عبس
فيها لطائف سرهم	فابحث ولا تاتك تحلس
من كان ذا علم بها	في حاله لم يتسس

اعلم أيديك الله بروح القدس أن رجال هذا الباب هم الزهاد الذين كان الورع سبب زهدهم وذلك أن القوم تورعوا في المكاسب على أشد ما يكون من عزائم الشريعة فكلما حاك له في نفوسهم شيء تركوه عملا على قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يربيك إلى ما لا يربيك وقوله استقت قلبك وقال بعضهم ما رأيت أسهل علي من الورع كل ما حاك له في نفسي شيء تركته إلى أن جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال

من الحرام في المطاعم وغيرها إلى أن ارتقوا عن العلامات إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورع فيه فيستعملونه فيظن من لا علم له بذلك أنه أتى حراما وليس كذلك فأتسع عليهم ذلك الضيق والحرج وقد ذقنا هذا من نفوسنا وزال عنهم ما كانوا يجدونه في نفوسهم من البحث والتفتيش عن ذلك وهذه العلامة وهذا الحال التي ارتقوا إليها لا تكون أبدا إلا من نفس الرحمن رحمهم بذلك الرحمن لما رأهم فيه من التعب والضيق والحرج وتهمة الناس في مكاسبهم وما يؤديهم إليه هذا الفعل من سوء الظن بعباد الله فنفس الرحمن عنهم بما جعل لهم من العلامات في الشيء وفي حق قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه الذي ذكرناه فيكون طيبا ويستعملون طيبا فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات واستراحوا إذ كانوا على بينة من ربهم في مطاعمهم ومشاربهم وأداهم التحقق بالورع إلى الزهد في الكسب إذ كان مبني اكتسابهم الورع ليأكلوا مما يعلمون أن ذلك حلال لهم استعماله ثم عملوا على ذلك الورع في المنطق من أجل الغيبة والكلام فيما يخوض الإنسان فيه من الفضول فأروا أن السبب الموجب لذلك مجالسة الناس ومعاشرتهم وربما قدروا على مسك نفوسهم عن الكلام بما لا ينبغي لكن بعضهم أو أكثرهم عجز أن يمنع الناس بحضوره عن الكلام بالفضول وما لا يعينهم فأداهم أيضا هذا الحرج إلى الزهد في الناس فأثروا العزلة والانتقاع عن الناس باتخاذ الخلوات وغلق بابهم عن قصد الناس إليهم وآخرون بالسياحة في الجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الأنس به أعطاهم ذلك نفس الرحمن فأسمعهم أذكار الأحجار وخرير المياه وهبوب الرياح ومناطق الطير وتسييح كل أمة من المخلوقات ومحادثتهم معه وسلامهم عليه فأنس بهم من وحشته وعاد في جماعة وخلق ما لهم كلام إلا في تسييح أو تعظيم أو ذكر الآء إلهية أو تعريف بما ينبغي وهو جليس لهم ويسمع جوارحه وكل جزء فيه يكلمه بما أنعم الله عليه به فتعمره النعم فيزيد في العبادة ومنهم من ينفس عنه بالأنس بالوحوش رأينا ذلك فتعدو عليه وتروح مستأنسة به وتكلمه بما يزيده حرصا على عبادة ربه ومنهم من يجالس الروحانيين من الجن ولكن هو دون الجماعة في الرتبة إذا لم يكن له حال سوى هذا لأنهم قريب من الأنس في الفضول والكيس من الناس من يهرب منهم كما يهرب من الناس فإن مجالستهم رديئة جدا قليل أن تنتج خيرا لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركته كان الفضول أسرع إليه في كل شيء فهم أشد فتنة على جلسهم من الناس فإنهم قد اجتمعوا مع الناس في كشف عورات الناس التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها غير أن الإنس لا تؤثر مجالسة الإنسان إياهم تكبرا ومجالسة الجن ليست كذلك فإنهم بالطبع يؤثرون في جلسهم التكبر على الناس وعلى كل عبد لله وكل عبد لله رأى لنفسه شفوفا على غيره تكبرا فإنه يمتته الله في نفسه من حيث لا يشعر وهذا من المكر الخفي وعين مقت الله إياه هو ما يجده من التكبر على من ليس له مثل هذا ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفاتت ثم اعلم أن الجن هم أجهل العالم الطبيعي بالله ويتخيل جلسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان وما يجري في العالم مما يحصل لهم من استراق السمع من الملأ الأعلى فيظن جلسهم أن ذلك كرامة الله به وهيات لما ظنوا ولهذا ما ترى أحدا قط جالسهم فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة غاية الرجل الذي تعني به أرواح الجن أن ينحوه من علم خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وهو علم السيمياء فلم يكتسب منهم إلا العلم الذي

ذمه السنة الشرائع ومن ادعى صحبتهم وهو صادق في دعواه فأسأله عن مسألة في العلم الإلهي ما تجد عنده من ذلك ذوقاً أصلاً فرجال الله يفرون من صحبتهم أشد فراراً منهم من الناس فإنه لا بد أن تحصل صحبتهم في نفس من يصحبهم تكبراً على الغير بالطبع وازدراء بمن ليس له في صحبتهم قدم وقد رأينا جماعة ممن صحبتهم حقيقة وظهرت لهم براهين على صحة ما ادعوه من صحبتهم وكانوا أهل جد واجتهاد وعبادة ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ورأينا فيهم عزة وتكبراً فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم لإنصافهم وطلبهم الأنفس كما أيضاً رأينا ضد ذلك منهم فما أفلح ولا يفلح من هذه صفة إذا كان صادقا وأما الكاذب فلانشتغل به ومنهم من نفس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة ونعم الجلساء هم هم أنوار خالصة لا فضول عندهم وعندهم العلم الإلهي الذي لا مرية فيه فيرى جلسهم في مزيد علم بالله دائماً مع الأنفاس فمن ادعى مجالسة الملائكة الأعلى ولم يستفد في نفسه علماً بربه فليس بصحيح الدعوى وإنما هو صاحب خيال فاسد ومنهم من ينفس الرحمن عنه بأنس بالله في باطنه وتجليات دائمة معنويات فلا يزال في كل نفس صاحب علم بحال جديد بالله وأنس جديد ومنهم من ينفس الرحمن عنه ذلك الضيق بمشاهدته عالم الخيال يستصحبه ذلك دائماً كما يستصحب الرؤيا النائم فيخاطب ويخاطب ولا يزال في صور دائماً في لذة وفي نكاح إن جاءته شهوة جماع ولا تكليف عليه ما دام في تلك الحال لغيبته عن إحساسه في الشاهد فينكح ويلتذ ويولد له في عالم الخيال أولاد فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه ومنهم من يخرج ولده إلى عالم الشهادة وهو خيال على أصله مشهود للحس وهذا من الأسرار الإلهية العجيبة ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال وما من طبقة ذكرناها إلا وقد رأينا منهم جماعة من رجال ونساء بإشبيلية وتلمسان وبمكة وبمواضع كثيرة وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه وأما نحن فلانحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدعيه فإن الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها من حيث لا يشعر وكم رأينا ممن يدعي ذلك كاذباً أو صاحب خيال فاسد فإن علمنا منه أنه يرجع نصحناه وإن رأيناه عاشقاً لحاله محجوباً بخياله الفاسد تركناه وأصدق من رأينا في هذا الباب من النساء فاطمة بنت ابن المشنى بإشبيلية خدمتها وهي بنت خمس وتسعين سنة وشمس أم الفقراء بمرشانة وأم الزهراء بإشبيلية أيضاً وكنها بمكة تدعى ست غزالة ومن الرجال أبو العباس بن المنذر من أهل إشبيلية وأبو الحجاج الشيرلي من قرية بشرف إشبيلية تسمى شيريل ويوسف بن صخر بقرطبة وهذا قد أعربنا لك عن أحوال رجال هذا الباب وما أنتج لهم الزهد في الناس وما وجدوه من نفس الرحمن لذلك وعلى هذا الحد تكون أعمال الجوارح كلها يجمعها ترك الفضول في كل عضو بما يستحقه ظاهراً وباطناً فأولها الجوارح وأعلاها في الباطن الفكر فلا يتفكر فيما لا يعينه فإن ذلك يؤديه إلى الهوس والأمانى وعدم المسابقة بحضور النية في أداء العبادات فإن الإنسان لا يخلو فكره في أحد أمرين إما فيما عنده من الدنيا وإما فيما ليس عنده منها فإن فكر فيما عنده فليس له دواء عند الطائفة إلا الخروج عنه والزهد فيه صرح بذلك أبو حامد وغيره وإن فكر فيما ليس عنده فهو عند الطائفة عديم العقل أحرق لا دواء له إلا المداومة على الذكر ومجالسة أهل الله الذين الغالب على ظواهرهم المراقبة والحياء من الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب الثاني والخمسون في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف إلى عالم الشهادة إذا أبصره)

لم ير الحق جهارا علنا كل من خاف على هيكله
راجعا للكون يبغي البدنا فتراه عند ما يشهده
للذي يحذر منه الجبنا وترى الشجعان قد ما طلبا

اعلم أيديك الله بروح منه أن النفوس الإنسانية قد جبلها الله على الجزع في أصل نشأتها فالشجاعة والإقدام لها أمر عرضي والجزع في الإنسان أقوى منه في الحيوانات إلا الصرصر تقول العرب أجبن من صرصر وسبب قوته في الإنسان العقل والفكر الذي ميزه الله بهما على سائر الحيوان وما يشجع الإنسان إلا القوة الوهمية كما أنه أيضا بهذه القوة يزيد جبنا وجزعا في مواضع مخصوصة فإن الوهم سلطان قوي وسبب ذلك أن اللطيفة الإنسانية متولدة بين الروح الإلهي الذي هو النفس الرحماني وبين الجسم المسوي المعدل من الأركان المعدلة من الطبيعة التي جعلها الله مقهورة تحت النفس الكلية كما جعل الأركان مقهورة تحت حكم سلطان الأفلاك ثم إن الجسم الحيواني مقهور تحت سلطان الأركان التي هي العناصر فهو مقهور لمقهور عن مقهور وهو النفس عن مقهور وهو العقل فهو في الدرجة الخامسة من القهر من وجه فهو أضعف الضعفاء قال الله عز وجل الذي خلقكم من ضعف فالضعف أصله ثم جعل له قوة عارضة وهو قوله **ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً** ثم رده إلى أصله من الضعف فقال عز وجل **ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً** فهذا الضعف الأخير إنما أعده لإقامة النشأة الآخرة عليه كما قامت نشأة الدنيا على الضعف ولقد علمتم النشأة الأولى وإنما كان هذا ليلازم ذاته الذلة والافتقار وطلب المعونة والحاجة لي خالقه ومع هذا كله يذهل عن أصله ويتيه بما عرض له من القوة فيدعي ويقول أنا وبيني نفسه بمقابلة لأهوال العظام فإذا قرصة برغوث أظهر الجزع لوجود الألم وبادر لإزالة ذلك الضرر ولم يقربه فرار حتى يجده فيقتله وما عسى أن يكون البرغوث حتى يعتني به هذا الاعتناء ويزلزه عن مضجعه ولا يأخذه نوم فأين تلك الدعوى والإقدام على الأهوال العظام وقد فضحته قرصة برغوث أو بعوضة هذا أصله ذلك ليعلم أن إقدامه على الأهوال العظام إنما هو بغيره لا بنفسه وهو ما يؤيده الله به من ذلك كما قال **وَإَيْدِنَاهُ أَي قُوْنَاهُ** ولهذا شرع **وَإِيَّاكَ تَسْعِينُ** في كل ركعة ولا حول ولا قوة إلا بالله ولما علم الإنسان أنه لو لا جود الله عز وجل لم يظهر له عين في الوجود وأن أصله لم يكن شيئا مذكورا قال تعالى **وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئًا** فالوجود لذة وحلاوة وهو الخير وتوهم العدم العيني ألم شديد عظيم في النفوس لا يعرف قدر ذلك إلا العلماء ولكن كل نفس تجزع من العدم أن تلحق به كما هو حالها فمهما رأت أمرا تتوهم فيه أنه يلحقها بعدم عينها أو بما يقاربه هربت منه وارتاعت وخافت على عينها وبما كانت أيضا عن الروح الإلهي الذي هو نفس الرحمن ولهذا كفي عنه بالنفخ لمناسبة النفس فقال ونفخت فيه من روحي وكذا جعل عيسى بنفخ في صورة طينية كهيئة الطير فما ظهرت الأرواح إلا من الأنفاس غير أن للمحل الذي تمر به أثرا فيها بلاشك ألا ترى الريح إذا مرت على شيء ننت جئات ريح منتنة إلى مشمك وإذا مرت بشيء عطر جئات بريح طيبة لذلك اختلفت أرواح الناس فروح طيبة لجسد

طيب ما أشركت قط ولا كانت محلا لسفساف الأخلاق كأرواح الأنبياء والأولياء والملائكة وروح خييث لجسد خييث لم تنزل مشرقة محلا لسفساف الأخلاق وذلك إنما كان لغلبة بعض الطبائع أعني الأخلاط على بعض في أصل نشأة الجسد التي هي سبب طيب الروح ووجود مكارم الأخلاق وسفسافها وخبث الروح فصحة الأرواح وعافيتها مكارم أخلاقها التي اكتسبتها من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل طيب ومليح ومرض الأرواح سفساف الأخلاق ومذمومها التي اكتسبتها أيضا من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل خييث وقبيح ألا ترى الشمس إذا أفاضت نورها على جسم الزجاج الأخضر ظهر النور في الحائط أو في الجسم الذي تطرح الشعاع عليه أخضر وإن كان الزجاج أحمر طرح الشعاع أحمر في رأى العين فانصبغ في الناظر بلون الخل وذلك للطافته يقبل الأشياء بسرعة ولما كان الهواء من أقوى الأشياء وكان الروح نفسا وهو شبيهه بالهواء كانت القوة له فكان أصل نشأة الأرواح من هذه القوة واكتسبت الضعف من المزاج الطبيعي البدني فإنه ما ظهر لها عين إلا بعد أثر المزاج الطبيعي فيها فخرجت ضعيفة لأنها إلى الجسم أقرب في ظهور عينها فإذا قبلت القوة إنما تقبلها من أصلها الذي هو النفس الرحماني المعبر عنه بالروح المنفوخ منه المضاف إلى الله فهي قابلة للقوة كما هي قابلة للضعف وكلاهما بحكم الأصل وهي إلى البدن أقرب لأنها أحدث عهدا به فغلب ضعفها على قوتها فلو تجردت عن المادة ظهرت قوتها الأصلية التي لها من النفخ الإلهي ولم يكن شيء أشد تكبرا منها فالزمها الله الصورة الطبيعية دائما في الدنيا وفي البرزخ في النوم وبعد الموت فلا ترى نفسها أبدا مجردة عن المادة وفي الآخرة لا تزال في أجسادها يبعثها الله من صور البرزخ في الأجساد التي أنشأها لها يوم القيامة وبها تدخل الجنة والنار ذلك ليلزمها الضعف الطبيعي فلا تزال فقيرة أبدا ألا تراها في أوقات غفلتها عن نفسها كيف يكون منها التهجم والإقدام على المقام الإلهي فتدعى الربوبية كهرعون وتقول في غلبة ذلك الحال عليها أنا الله وسبحاني كما قال ذلك بعض العارفين وذلك لغلبة الحال عليه ولهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول ولا نبي ولا ولي كامل في علمه وحضوره ولزومه باب المقام الذي له وأدبه ومراعاة المادة التي هو فيها وبها ظهر فهو ردم ملآن بضعفه و فقره مع شهوده أصله علما وحالا وكشفا وعلمه بأصله ومقام خلافته من وجه آخر لو كان حاله لأدعى الألوهة فإن الأمر الخارج في النفخ من النافع له من حكمه بقدر ذلك فلو ادعاه ما ادعى محالا وبذلك القدر الذي فيه من القوة الإلهية التي أظهرها النفخ توجه عليه التكليف فإنه عين المكلف وأضيفت الأفعال إليه وقيل له قل وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنه أصلك الذي إليه ترجع فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العباد من وجه بدليل شرعي وصدق المخالف في إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى من وجه بدليل شرعي أيضا وعقلي وقالت بالكسب في أفعال العباد للعباد بقوله تعالى لها ما كَسَبَتْ وقال في المصورين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أين من ذهب بخلق كخلفي فأضاف الخلق إلى العباد وقال في عيسى عليه السلام وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ فَنَسَبِ الخلق إليه عليه السلام وهو إيجاد صورة الطائر في الطين ثم أمره أن ينفخ فيه فقامت تلك الصورة التي صورها عيسى عليه السلام طائرا حيا وقوله بِإِذْنِ اللَّهِ يعني الأمر الذي أمره الله به من خلقه صورة الطائر والنفخ وإبراء الأكمه والأبرص وإحيائه الميت فأخبر أن عيسى عليه السلام لم ينبعث إلى ذلك من نفسه و

إنما كان عن أمر الله ليكون ذلك وإحياء الموتى من آياته على ما يدعيه فلو لا أن الإنسان من حيث حقيقته من ذلك النفس الرحماني ما صح و لا ثبت أن يكون عن نفعه طائر يطير بجناحيه و لما كانت حقيقة الإنسان هكذا خوفاً لله بما ذكر من صفة المنكبرين و ما لهم و اسوداد و جوههم كل ذلك دواء للأرواح لتقف مع ضعف مزاجها الأقرب في ظهور عينها فالإنسان ابن أمه حقيقة بلا شك فالروح ابن طبيعة بدنه و هي أمه التي أرضعته و نشأ في بطنها و تغذى بدمها فحكمه حكمها فلا يستغني عن غذاء في بقاء هيكله (تتميم) فلما كان الغالب هذا على الإنسان رجعنا إلى المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة عند ما يرى ما يهوله في كشفه مثل صاحبنا أحمد العصاد الحبري رحمه الله فإنه كان إذا أخذ سريع الرجوع إلى حسه باهتزاز و اضطراب فكنت أعتبه و أقول له في ذلك فيقول أخاف و أجن من عدم عيني لما أراه و لو علم المسكين أنه لو فارق المواد رجع النفس إلى مستقره و هو عينه و رجع كل شيء إلى أصله و لكن لو كان ذلك لانعدمت الفائدة في حق العبد فيما يظهر و ليس الأمر كذلك و لذلك قلنا و هو عينه أي عين العبد فالبقاء الذي أراده الحق أولى به بوجود هذا الهيكل العنصري في الدنيا الطبيعي في الآخرة و الذي يثبت هنالك أعني عند الوارد إنما يثبت إذا دخل عبداً كما إن الذي لا يثبت إنما دخل و في نفسه شيء من الربوبية فخاف من زوالها هناك فهرب إلى الوجود الذي ظهرت فيه ربانيته و لهذا تكون فائدته قليلة و الثابت يدخل عبداً قابلاً بهمة محترقة إلى أصله ليهبه من عوارفه ما عوده فإذا خرج خرج نوراً يستضاء به فمثل الداخل إلى ذلك الجناب العالي برؤيته مثل من يدخل بسراج موقود و مثل الذي يدخل بعبوديته مثل من يدخل بقبيلة لا ضوء فيها أو بقبضة حشيش فيها نار غير مشتعلة فإذا دخلا بهذه المثابة هب عليهما نفس من الرحمن فطفئ لذلك الهبوب السراج و اشتعل الحشيش فخرج صاحب السراج في ظلمة و خرج صاحب الحشيش في نور يستضاء به فانظر ما أعطاه الاستعداد فكل هارب من هناك إنما يخاف على سراجة أن ينطفئ فهو يخاف على ربوبيته أن تزول فيفر إلى محل ظهورها و لكن ما يخرج إلا و قد طفئ سراجة و لو خرج به موقداً كما دخل و لم يؤثر فيه ذلك الهبوب لأدعى الربوبية حقاً و لكن من عصمة الله له كان ذلك و من دخل عبداً لا يخاف و إذا اشتعلت قبيلته هنالك عرف من أشعلها و رأى المنة له سبحانه في ذلك فخرج عبداً منوراً كما قال تعالى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ يَنبَغِي عَبْدًا فَكَانَ فِي خُرُوجِهِ إِلَى أُمَّتِهِ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا كَمَا دَخَلَ عَبْدًا ذَلِيلًا عَارِفًا بِمَا دَخَلَ وَعَلَى مَنْ دَخَلَ فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَزِمَ عِبُودِيَّتَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَ إِنْ عَرَفَ أَصْلِيهِ فَيَرْجِعُ الْأَصْلَ الْأَقْرَبَ إِلَيْهِ جَانِبَ أُمِّهِ فَإِنَّهُ ابْنُ أُمِّهِ بِلَا شَكٍّ أَلَا تَرَى إِلَى السَّنَةِ فِي تَلْقِينِ الْمَيِّتِ عِنْدَ حَصُولِهِ فِي قَبْرِهِ يُقَالُ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَيَا ابْنَ أُمَّةِ اللَّهِ فَيُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ سِتْرًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهَا فَأُضَيَّفُ إِلَى أُمِّهِ لِأَنَّهَا أَحَقُّ بِهِ لظهور نشأته و وجود عينه فهو لأبيه ابن فراش و هو ابن أُمِّهِ حَقِيقَةً فَافْهَمْ مَا أَعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقي المرید على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ)

فكن في نعت من لاذا إذا لم تلق أستاذًا

أفلاذا	فأفلاذا	وقطع نفسه والليل
فأسهده	بمن حاذى	و تسيحاً و قرآناً
فلما لم يقل	ما ذا	وأضعفه وأحياء
تلميذا	و أستاذاً	فكان له الذي يبغيه
زرافات	و أفذاذا	و جاءته معارفه
فلا ينفك	عن هذا	فهذا قد أبنت له

اعلم أيديك الله ونورك أنه أول ما يجب على الداخل في هذه الطريقة الإلهية المشروعة طلب الأستاذ حتى يجده ويعمل في هذه المدة التي يطلب فيها الأستاذ الأعمال التي أذكرها به وهي أن يلزم نفسه تسعة أشياء فإنها بسائط الأعداد فيكون له في التوحيد إذا عمل عليها قدم راسخة ولهذا جعل الله الأفلاك تسعة أفلاك فانظر ما ظهر من الحكمة الإلهية في حركات هذه التسعة فاجعل منها أربعة في ظاهره وخمسة في باطنك فالتى في ظاهره الجوع والسهر والصمت والعزلة فائتان فاعلان وهما الجوع والعزلة واثنتان منفعلان وهما السهر والصمت وأعني بالصمت ترك كلام الناس والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان إلا فيما أوجب الله عليه مثل قراءة أم القرآن أو ما تيسر من القرآن في الصلاة والتكبير فيها وما شرع من التسيح والأذكار والدعاء والشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تسلم منها فتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان فالجوع يتضمن السهر والصمت تتضمنه العزلة وأما الخمسة الباطنة فهي الصدق والتوكل والصبر والعزيمة واليقين فهذه التسعة أمهات الخير تتضمن الخير كله والطريقة مجموعة فيها فالزمها حتى تجد الشيخ (وصل شارح) وأنا أذكر لك من شأن كل واحدة من هذه الخصال ما يحرضك على العمل بها والدعوى عليها والله ينفعنا وإياك ويجعلنا من أهل عنايةه ولتبتدئ بالظاهرة أولاً ولنقل أما العزلة وهي رأس الأربعة المعتبرة التي ذكرناها عند الطائفة أخبرني أخي في الله تعالى عبد المجيد بن سلمة خطيب مرشانة الزيتون من أعمال إشبيلية من بلاد الأندلس وكان من أهل الجد والاجتهاد في العبادة فأخبرني سنة ست وثمانين وخمسمائة قال كنت بمنزلي بمرشانة ليلة من الليالي فقامت إلى حزبي من الليل فبينما أنا واقف في مصلي وباب الدار وباب البيت علي مغلق وإذا بشخص قد دخل علي وسلم وما أدري كيف دخل فجزعت منه وأوجزت في صلاتي فلما سلمت قال لي يا عبد المجيد من تأنس بالله لم يخرج ثم نفث الثوب الذي كان تحتي أصلي عليه ورمى به وبسط تحتي حصيراً صغيراً كان عنده وقال لي صل علي هذا قال ثم أخذني وخرج بي من الدار ثم من البلد ومشى بي في أرض لا أعرفها وما كنت أدري أين أنا من أرض الله فذكرنا الله تعالى في تلك الأماكن ثم ردني إلى بيتي حيث كنت قال فقلت له يا أخي بما ذا يكون الأبدال أبدالاً فقال لي بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت ثم سماها لي الجوع والسهر والصمت والعزلة قلنا ثم قال لي عبد المجيد هذا هو الحصر فصليت عليه وهذا الرجل كان من أكابرهم يقال له معاذ بن أشرس فأما العزلة

فهي أن يعتزل المرید كل صفة مذمومة وكل خلق دنيء هذه عزلته في حاله وأما في قلبه فهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله من أهل ومال وولد وصاحب وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره ولا يكن له هم إلا واحد وهو تعلقه بالله وأما في حسه فعزلته في ابتداء حاله الانقطاع عن الناس وعن المألوفات إما في بيته وإما بالسياحة في أرض الله فإن كان في مدينة فبحيث لا يعرف وإن لم يكن في مدينة فيلزم السواحل والجبال والأماكن البعيدة من الناس فإن أنست به الوحوش وتألقت به وأنطقها الله في حقه فكلمته أو لم تكلمه فليعتزل عن الوحوش والحيوانات ويرغب إلى الله تعالى في أن لا يشغله بسواه وليثابر على الذكر الحفي وإن كان من حفاظ القرآن فيكون له منه حذب في كل ليلة يقوم به في صلاته لئلا ينساه ولا يكثر الأوراد ولا الحركات ويرد اشتغاله إلى قلبه دائما هكذا يكون دأبه وديدنه وأما الصمت فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات التي لزمت في سياحته أو في موضع عزلته وإن ظهر له أحد من الجن أو من الملائ الأعلی فيغض عينه عنهم ولا يشغل نفسه بالحديث معهم وإن كلموه فإن تفرض عليه الجواب أجاب بقدر أداء الفرض بغير مزيد وإن لم يتفرض عليه سكت عنهم واشتغل بنفسه فإنهم إذا رأوه على هذه الحالة اجتنبوه ولم يتعرضوا له واحتجبا عنه فإنهم قد علموا أنه من شغل مشغولا بالله عن شغله به عاقبه الله أشد عقوبة وأما صمته في نفسه عن حديث نفسه فلا يحدث نفسه بشيء مما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع إليه فإنه تضييع للوقت فيما ليس بحاصل فإنه من الأمانی وإذا عود نفسه بحديث نفسه حال بينه وبين ذكر الله في قلبه فإن القلب لا يتسع للحديث والذكر معا فيفوته السبب المطلوب منه في عزلته و صمته وهو ذكر الله تعالى الذي تتجلى به مرآة قلبه فيحصل له تجلى ربه وأما الجوع فهو التقليل من الطعام فلا يتناول منه إلا قدر ما يقيم صلبه لعبادة ربه في صلاة فريضته فإن التنفل في الصلاة قاعدا بما يجده من الضعف لقلته الغذاء أنفع وأفضل وأقوى في تحصيل مراده من الله من القوة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائما فإن الشبع داع إلى الفضول فإن البطن إذا شبع طغت الجوارح وتصرفت في الفضول من الحركة والنظر والسماع والكلام وهذه كلها قواطع له عن المقصود وأما السهر فإن الجوع يولده لقلته الرطوبة والأبخرة الجالبة للنوم ولا سيما شرب الماء فإنه نوم كله وشهوته كاذبة وفائدة السهر التيقظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائما فإنه إذا نام انتقل إلى عالم البرزخ بحسب ما نام عليه لا يزيد فيفوته خير كثير مما لا يعلمه إلا في حال السهر وأنه إذا التزم ذلك سرى السهر إلى عين القلب وانجلى عين البصيرة بملازمة الذكر فيرى من الخير ما شاء الله تعالى وفي حصول هذه الأربعة التي هي أساس المعرفة لأهل الله وقد اعتنى بها الحارث بن أسد الحاسبي أكثر من غيره وهي معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة الدنيا ومعرفة الشيطان وقد ذكر بعضهم معرفة الهوى بدلا من معرفة الله وأنشدوا في ذلك

أني بليت بأربع برميني بالنبل من قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

وقال الآخر

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وأما الخمسة الباطنة فإنه حدثني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي قالت رأيت في منامي شخصا كان يتعاهدني في وقائعي وما رأيت له شخصا قط في عالم الحس فقال لها تقصدين الطريق قالت فقلت له إي والله أقصد الطريق ولكن لأدري بما ذا قالت فقال لي بخمسة وهي التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق فعرضت رؤياها علي فقلت لها هذا مذهب القوم وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في داخل الكتاب فإن لها أبوابا تخصها وكذلك الأربعة التي ذكرناها لها أيضا أبواب تخصها في الفصل الثاني من

فصول هذا الكتاب وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء السادس والعشرون

(الباب الرابع والخمسون في معرفة الإشارات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وسيرها فيك تأويب وإسناد علم الإشارة تقرب وإبعاد
لمن يقوم به إفك وإلحاد فابحث عليه فإن الله صيره
كن فاستوى كائنا والقوم إلهاد تنبيه عصمة من قال الإله له

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه أن الإشارة عند أهل طريق الله تؤذن بالبعد أو حضور الغير قال بعض الشيخ في محاسن المجالس الإشارة نداء على رأس البعد ويوجع العين العلة يريد أن ذلك تصريح بحصول المرض فإن العلة مرض وهو قولنا أو حضور الغير ولا يريد بالعلة هنا السبب ولا العلة التي اصطلاح عليها العقلاء من أهل النظر وصورة لمرض فيها إن المشير غاب عنه وجه الحق في ذلك الغير ومن غاب عنه وجه الحق في الأشياء تمكنت منه الدعوى والدعوى عين المرض وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله ونحن وإن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم والإشارة قد ثبتت وظهر حكمها فلا بد من بيان ما هو المراد بها فاعلم إن الله عز وجل لما خلق الخلق خلق الإنسان أطوارا فمننا العالم والجاهل ومننا المنصف والمعاند ومننا القاهر ومننا المقهور ومننا الحاكم ومننا المحكوم ومننا المتحكم ومننا المتحكم فيه ومننا الرئيس والرئوس ومننا الأمير والمأمور ومننا الملك والسوقة ومننا الحاسد والحسود وما خلق الله أشق والمتحكم من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهي الذين منحهم أسرارهم في خلقه وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسول عليهم السلام ولما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم كما ذكرناه عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إشارات وإن كان ذلك حقيقة وتفسيرا لمعانيه النافعة ورد ذلك كله إلى نفوسهم مع تقريرهم إياه في العموم وفيما نزل فيه كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم فعم به سبحانه عندهم الوجهين كما قال

تعالى سُرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ يَعْنِي الْآيَاتِ الْمُنزَلَةِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ فَكُلُّ آيَةٍ مُنَزَّلَةٌ لَهَا وَجْهَانِ وَجْهٌ يَرُونَهُ فِي نَفْسِهِمْ وَوَجْهٌ آخَرُ يَرُونَهُ فِيمَا خَرَجَ عَنْهُمْ فَيَسْمَعُونَ مَا يَرُونَهُ فِي نَفْسِهِمْ إِشَارَةً لِيَأْنَسَ الْفَقِيهَ صَاحِبَ الرَّسُومِ إِلَى ذَلِكَ وَلَا يَقُولُونَ فِي ذَلِكَ إِنَّهُ تَفْسِيرٌ وَقَايَةُ لِشَرِّهِمْ وَتَشْنِيعُهُمْ فِي ذَلِكَ بِالْكَفْرِ عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ بِمَوَاقِعِ خُطَابِ الْحَقِّ وَاقْتَدَوْا فِي ذَلِكَ بِسِنَنِ الْهَدْيِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَنْصِيصِ مَا تَأْوَلَهُ أَهْلُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا فَعَلَ بَلْ أَدْرَجَ فِي تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِلِسَانِ الْعَامَّةِ عُلُومَ مَعَانِي الْأَخْتِصَاصِ الَّتِي فَهَمَهَا عِبَادُهُ حِينَ فَتَحَ لَهَا فِيهَا بَعَيْنَ الْفَهْمِ الَّذِي رَزَقَهُمْ وَلَوْ كَانَ عُلَمَاءُ الرَّسُومِ يَنْصِفُونَ لِاعْتِبَرُوا فِي نَفْسِهِمْ إِذَا نَظَرُوا فِي الْآيَةِ بِالْعَيْنِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي يَسْلَمُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَيَرُونَ أَنَّهُمْ يَتَقَاضُونَ فِي ذَلِكَ وَيَعْلَمُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْكَلَامِ فِي مَعْنَى تِلْكَ الْآيَةِ وَيَقْرَأُ الْقَاصِرُ بِفَضْلِ غَيْرِ الْقَاصِرِ فِيهَا وَكُلُّهُمْ فِي مَجْرَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا الْفَضْلِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ يَنْكُرُونَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ إِذَا جَاءَ وَابْشَىءَ مِمَّا يَغْمِضُ عَنْ إِدْرَاكِهِمْ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِعُلَمَاءَ وَأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمَعْتَادِ فِي الْعَرَفِ وَصَدَقُوا فَإِنَّ أَصْحَابَنَا مَا حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ الْعِلْمَ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَهُوَ الْإِعْلَامُ الرَّحْمَانِي الرَّبَّانِي قَالَ تَعَالَى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَإِنَّهُ الْقَائِلُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ فَهُوَ سَبْحَانَهُ مَعْلَمُ الْإِنْسَانَ فَلَا نَشْكُ أَنَّ أَهْلَ اللَّهِ هُمْ وَرِثَةُ الرَّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَاللَّهُ يَقُولُ فِي حَقِّ الرَّسُولِ وَعَلَّمَكَمَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَقَالَ فِي حَقِّ عِيسَى وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالتَّانِجِيلَ وَقَالَ فِي حَقِّ خُضْرٍ صَاحِبِ مَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَّمْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا فَصَدَقَ عُلَمَاءُ الرَّسُومِ عِنْدَنَا فِيمَا قَالُوا إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَأَخْطَئُوا فِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ مِنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَلَا رَسُولٍ يَقُولُ اللَّهُ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَهِيَ الْعِلْمُ وَجَاءَ بِنِ وَهِيَ نِكْرَةٌ وَلَكِنْ عُلَمَاءُ الرَّسُومِ لَمَّا آثَرُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَآثَرُوا جَانِبَ الْخَلْقِ عَلَى جَانِبِ الْحَقِّ وَتَعَدَّوْا أَخْذَ الْعِلْمِ مِنَ الْكُتُبِ وَمِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الَّذِينَ مِنْ جَنْسِهِمْ وَرَأَوْا فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ بِمَا عِلْمُوا وَامْتَازُوا بِهِ عَنِ الْعَامَّةِ حُجْبِهِمْ ذَلِكَ عَنْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عِبَادًا تَوَلَّى اللَّهُ تَعْلِيمَهُمْ فِي سِرَائِهِمْ بِمَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ وَهُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ عَنِ الْعَالَمِ الْمَعْلَمِ الَّذِي لَا يَشْكُ مُؤْمِنٌ فِي كَمَالِ عِلْمِهِ وَلَا غَيْرُ مُؤْمِنٍ فَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْجَزْئِيَّاتِ مَا أَرَادُوا نَفِي الْعِلْمِ عَنْهَا وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنَّ تَعَالَى لَا يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلْمٌ بِشَيْءٍ بَلْ عِلْمُهَا مَنَدْرَجَةٌ فِي عِلْمِهِ بِالْكَلِمَاتِ فَاتَّبَعُوا لَهُ الْعِلْمَ سَبْحَانَهُ مَعَ كَوْنِهِمْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ وَقَصَدُوا تَنْزِيهِهَ سَبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ وَإِنْ أَخْطَئُوا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ فَتَوَلَّى اللَّهُ بَعْنَايَتِهِ لِبَعْضِ عِبَادِهِ تَعْلِيمَهُمْ بِنَفْسِهِ بِإِلْهَامِهِ وَإِفْهَامِهِ إِيَّاهُمْ فَالْهَمُّ فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا فِي أَثَرِ قَوْلِهِ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَبَيْنَ لَهَا الْفَجُورُ مِنَ التَّقْوَى إِلْهَامًا مِنَ اللَّهِ لَهَا لِتَجْتَنِبَ الْفَجُورَ وَتَعْمَلَ بِالتَّقْوَى كَمَا كَانَ أَصْلُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ كَانَ تَنْزِيلُ الْفَهْمِ مِنَ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ فَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا قَالَتْ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ لَهَا وَلَا أَخْرَجَتْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهَا وَلَا مِنْ أَفْكَارِهَا وَلَا تَعْمَلَتْ فِيهِ بَلْ جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى نُنزِّلُ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ وَقَالَ فِيهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَإِذَا كَانَ الْأَصْلُ الْمُسْتَكْمَلُ فِيهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ فِكْرِ الْإِنْسَانِ وَرُوتِهِ وَعُلَمَاءُ الرَّسُومِ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي إِنْ يَكُونُ أَهْلُ اللَّهِ الْعَامِلُونَ بِهِ أَحَقُّ بِشَرْحِهِ وَبَيَانِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ عُلَمَاءِ الرَّسُومِ فَيَكُونُ شَرْحُهُ

أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل الله كما كان الأصل وكذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا الباب ما هو إلا فهم يؤتية الله من شاء من عباده في هذا القرآن فجعل ذلك عطاء من الله يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله فأهل الله أولى به من غيرهم فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتنون به وأحقهم بالذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وهم في إنكارهم على أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعا سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات فإذا كان في غد يوم القيامة يكون الأمر في الكل كما قال القائل

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

كما يتميز المحقق من أهل الله من المدعي في الأهلية غدا يوم القيامة قال بعضهم

إذا اشتبكت دموع في حدود تين من بكى ممن تباكى

أين عالم الرسوم من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين أخبر عن نفسه أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا هل هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله في القرآن فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من صاحب علم الرسوم فإن الله يقول فيهم لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ فأقامهم مقام الرسول في التقه في الدين والإنذار وهو الذي يدعو إلى الله على بصيرة كما يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة لا على غلبة ظن كما يحكم عالم الرسوم فشتان بين من هو فيما يفتي به ويقول على بصيرة منه في دعائه إلى الله وهو على بينة من ربه وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه ثم إن من شأن عالم الرسوم في الذب عن نفسه إنه يجهل من يقول فهمني ربي ويرى أنه أفضل منه وأنه صاحب العلم إذ يقول من هو من أهل الله إن الله ألقى في سرى مراده بهذا الحكم في هذه الآية أو يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعتي فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه وبحكمه عنده قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا المقام وصحته يخاطب علماء الرسوم أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي وأتم تقولون حدثني فلان وأين هو قالوا مات عن فلان وأين هو قالوا مات وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول ما نريد نأكل قديدا ها تواتوني بلحم طري يرفع همم أصحابه هذا قول فلان أي شيء قلت أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدني أي حدثوا عن ربكم واركوا فلانا وفلانا فإن أولئك أكلوه لحما طريا والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد والفيض الإلهي والمبشرات ما سد بابها وهي من أجزاء النبوة والطريق واضحة والباب مفتوح والعمل مشروع والله يهول لتلقى من أتى إليه يسعى وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راعبهم وهو معهم أين ما كانوا فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك والايان به لم تترك الأخذ عنه والحديث معه وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك يكون المطر فوق ربتك حيث برز إليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين نزل وحسر عن رأسه حتى أصابه الماء فقيل له في ذلك فقال إنه حديث عهد بربه تعليماً لنا و
تبيينها ثم لتعلم إن أصحابنا ما اصطاحوا على ما جاءوا به في شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ إلا بتعليم إلهي جهله علماء
الرسوم وذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير لا من جهة المشار إليه وإذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة أجروها
عند السائل من علماء الرسوم مجرى الغالب مثال ذلك الإنسان يكون في أمر ضاق به صدره وهو مفكر فيه فينادي رجل رجلاً آخر اسمه
فرج فيقول يا فرج فيسمع هذا الشخص الذي ضاق صدره فيستبشر ويقول جاء فرج الله إن شاء الله يعني من هذا الضيق الذي هو فيه و
ينشرح صدره كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصالحة المشركين لما صدوه عن البيت فجاء رجل من المشركين اسمه سهيل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل الأمر أخذه فالأفكان كما تفاعل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتنظم الأمر على يد سهيل وما
كان أبوه قصد ذلك حين سماه به وإنما جعله له اسماً علماً يعرف به من غيره وإن كان ما قصد أبوه تحسين اسم ابنه إلا الخير ولما رأى أهل الله
أنه قد اعتبر الإشارة استعمالها فيما بينهم ولكنهم يتنوا معناها ومحلا ووقتها فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من
ليس من جنسهم أو لأمر يقوم في نفوسهم واصطاح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم و سلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم كما
سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص
الصریح وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطاحوا عليها فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه ولا ما يقولون ومن
أعجب الأشياء في هذه الطريقة ولا يوجد إلا فيها إنه ما من طائفة تحمل علماً من المنطقين والنجاة وأهل الهندسة والحساب والتعليم و
المتكلمين والفلاسفة إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله لا بد من ذلك إلا أهل هذه الطريقة خاصة إذا
دخلها المرید الصادق وبهذا يعرف صدقه عندهم وما عنده خبر بما اصطاحوا عليه فإذا فتح الله له عين فهمه وأخذ عن ربه في أول ذوقه و
ما يكون عنده خبر بما اصطاحوا عليه ولم يعلم أن قوماً من أهل الله اصطاحوا على ألفاظ مخصوصة فإذا قعد معهم وتكلموا باصطلاحهم
على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم أو من أخذها عنهم فهم هذا المرید الصادق جميع ما يتكلمون به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح و
يشاركهم في الكلام بها معهم ولا يستغرب ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه وكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف
حصل له والدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بموقف فهذا معنى الإشارة عند القوم ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير أو في
تأليفهم ومصنفاً لهم لا غير والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب الخامس والخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية)

الذي فيها من الحكم لو أن الله يفهمنا

مجال الفكر والهمم رأيت الأمر يعلو عن

إليك جوامع الكلم يدق فليس تظهره

الخواطر أربعة لا خامس لها خاطر رباني و خاطر ملكي و خاطر نفسي و خاطر شيطاني و لا خامس هناك وقد ذكرنا معرفة الخواطر في هذا الكتاب و في بعض كتبنا فلنذكر في هذا الباب الخاطر الشيطاني خاصة اعلم أن الشياطين قسمان قسم معنوي و قسم حسي ثم القسم الحسي من ذلك على قسمين شيطاني إنسي و شيطاني جني يقول الله عز و جل شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ فجعلهم أهل افتراء على الله و حدث فيما بينهما في الإنسان شيطان معنوي و ذلك أن شيطان الجن و الإنس إذا ألقى من ألقى منهم في قلب الإنسان أمرا ما يبعده عن الله به فقد يلقي أمرا خاصا و هو خصوص مسألة بعينها و قد يلقي أمرا عاما و يتركه فإن كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا إلى أمور لا يظن لها الجني و لا الإنسي تتفقه فيه النفس و تستبطن من تلك الشبه أمورا إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أو لا شيطان الإنس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية لأن كل واحد من شياطين الإنس و الجن يجهلون ذلك و ما قصدوه على التعيين وإنما أرادوا بالقصد الأول فتح هذا الباب عليه لأنهم علموا إن في قوته و فطنته أن يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك و سبب ذلك الأصل الأول فإنه اتخذها أصلا صحيحا و عول عليه فلا يزل التفقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الأصل و على هذا جرى أهل البدع و الأهواء فإن الشياطين ألفت إليهم أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التليسات من عدم الفهم حتى ضلوا فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل و لو علموا إن الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه و أكثر ما ظهر ذلك في الشيعة و لا سيما في الإمامية منهم فدخلت عليهم شياطين الجن أولا و لا يجب أهل البيت و استقراغ الحب فيهم و رأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله و كذلك هول و وقعوا و لا يزيدون عليه إلا أنهم تعدوا من حب أهل البيت إلى طريقين منهم من تعدى إلى بغض الصحابة و سبهم حيث لم يقدر موهم و تخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية فكان منهم ما قد عرف و استفاض و طائفة زادت إلى سب الصحابة القدح في رسول الله صلى الله عليه و سلم و في جبريل عليه السلام و في الله جل جلاله حيث لم ينصوا على رتبهم و تقديمهم في الخلافة للناس حتى أنشد بعضهم ما كان من بعث الأمين أمينا و هذا كله واقع من أصل صحيح و هو حب أهل البيت أتج في نظرهم فاسدا فضلوا و أضلوا فانظر ما أدى إليه الغلو في الدين أخرجهم عن الحد فانعكس أمرهم إلى الضد قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل و طائفة ألفت إليهم الشياطين أصلا صحيحا لا يشكون فيه إن النبي صلى الله عليه و سلم قال من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها ثم تركهم بعد ما حبيت إليهم العمل على هذا فجعل بعض الناس لحرصه على الخير يتفقه لكونه يريد تحصيل أجور من عمل بها فإذا سن سنة حسنة يخاف إذا نسبها إلى نفسه لا تقبل منه فيضع لأجل قبولها حديثا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك و يتأول أن ذلك داخل في حكم قوله من سن سنة حسنة فأجاز الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أن يقول عليه صلى

الله عليه وسلم ما لم يقله ولا فاه به لسانه ويرى أن ذلك خير فإن الأصول تعضده فإذا أخطر له الملك قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وأخطر له أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ليس كذب علي ككذب علي أحد من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يتأول ذلك كله بإلقاء الشيطان في خاطره فيقول له إنما ذلك إذا دعا إلى ضلالة وأنا ما سننت إلا خيرا فهو مأجور بالضرورة من كونه سن سنة حسنة وما زور من كونه كذب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عنه إنه صرح بما لم يقله صلى الله عليه وسلم وكذلك إن كان من أهل الخلوات والرياضات واستعجل الرئاسة من قبل أن يفتح الله عليه بابا من أبواب عبوديته فيلزم طريق الصدق ولا يقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما وقف الأول وأنه يجري إلى الافتراء على الله فينسب ذلك الذي سنه إلى الله تعالى ويتأول أنه لا فاعل إلا الله وأنه تعالى المنطق عباده ويصير من وقته لذلك أشعريا مجبورا ويقول هذا كله خير فإني ما قصدت إلا أن أعضد تلك السنة الحسنة فلم أر أشد في تقويتها من أني أسندها إلى الله تعالى كما هي في نفس الأمر خلق الله تعالى أجزاها الله على لساني هذا كله يحدث به نفسه لا يقول ذلك لأحد فإذا كان مع الناس يريهم أن ذلك جاءه من عند الله كما يجيء الأولياء الله على تلك الطريق فإذا أخطر له الملك قول الله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله يتأول ذلك مع نفسه ويقول ما أنا مخاطب بهذه الآية وإنما خوطب بها أهل الدعوى الذين ينسبون الفعل إلى أنفسهم فإنه قال افترى فنسب فعل الافتراء إلى هذا القائل وأنا أقول إن الأفعال كلها لله تعالى لا إلي فهو الذي قال على لساني ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصلاة إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فكذلك هذا ثم قال أو قال أوحى إلي فأضاف القول إليه وكذلك قوله إلي ومن أنا حتى أقول إلي إذ الله هو المتكلم وهو السميع ثم قال سأُنزل مثل ما أنزل الله وما أقول أنا ذلك بل الإنزال كله من الله فإذا نفقه في نفسه في هذا كله افترى على الله كذبا وزين له سوء عمله فرآه حسنا فهذا أصل صحيح لها تين الطائفتين قد ألقاه الشيطان إليهما وتركه عندهما وبقي يتفقه في ذلك فقها نفسيا فإن لم يكن الإنسان على بصيرة وتميز من خواطره حتى يفرق بين إلقاء الشيطان وإن كان خيرا وبين إلقاء الملك والنفس ويميز بينهما ميزا صحيحا وإلا فلا يفعل فإنه لا يفلح أبدا فإن الشيطان لا يأتي إلى كل طائفة إلا بما هو الغالب عليها وليس غرضه من الصالحين إلا أن يجلوهم في الأخذ عنه فإذا جهلوه ونسبوا ذلك إلى الله ولم يعرفوا على أي طريق وصل إليهم كأنه قنع منهم بهذا القدر من الجهل وعرف أنهم تحت سلطانه فلا يزال يستدرجه في خيريته حتى يتمكن منه في تصديق خواطره وأنها من الله فيسلخه من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها أ لا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحية كذلك هذا الأمر جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام في صورة شخص شيخ في ظاهر الحس لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء عليهم السلام من سبيل فخواطر الأنبياء عليهم السلام كلها إما رابانية أو ملكية أو نفسية لا حظ للشيطان في قلوبهم ومن يحفظ من الأولياء في علم الله يكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقي لا في العصمة من وصوله إليه فالولي المعنى به على علامة من الله فيما يلقي إليه الشيطان وسبب ذلك أنه ليس بمشروع والأنبياء مشرعون فلذلك عصمت بواطنهم فقال لعيسى عليه السلام يا

عيسى قل لا إله إلا الله ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر فقال عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فرجع خاسئاً ومن هنا تعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به وأن السعادة في الإيمان وهو أن تقول ما تعلمه وما قلته لقول رسولك الأول الذي هو موسى عليه السلام لقول هذا الرسول الثاني الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم لا لعلمك ولا للقول الأول فحينئذ لك يشهد بالإيمان ومالك السعادة وإذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت أنك قلت ذلك لقوله كمت منافقاً قال تعالى يا أيها الذين آمنوا يريد أهل الكتاب حيث قالوا ما قالوه لأمر نبيهم عيسى أو موسى أو من كان من أهل الإيمان بذلك من الكتب المتقدمة ولهذا قال لهم يا أيها الذين آمنوا ثم قال لهم آمنوا بأنبيائي قولوا لا إله إلا الله لقول محمد صلى الله عليه وسلم لا لعلمكم بذلك ولا لإيمانكم بنبيكم الأول فتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران فيقتنع الشيطان من الإنسان أن يلبس عليه بهذا القدر فلا يفرق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو من عند الله ولا بين طريق الملك والنفس والشيطان فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك ومما تعرف به الخواطر الشيطانية وإن كانت في لطاعة بعدم الثبوت على الأمر الواحد وسرعة الاستبدال من خاطر بأمر ما إلى خاطر بأمر آخر فإنه حريص وهو مخلوق من لهب النار ولهب النار سريع الحركة فأصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة في أصل نشأته فهو بحكم أصله والإنسان له الثبوت فإنه من التراب فله البرد واليبس فهو ثابت في شغله وكذلك الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلها الملك أو الشيطان ومتعلق أصل الخواطر الشيطانية إنما هو المحذور فعلا كان أو تركاً ثم يليه المكروه فعلا كان أو تركاً فالأول في العامة والثاني في العباد من العامة وقد يتعلق بالمباح في حق المبتي من أهل طريق الله ويأتي بالمندوب في حق المتوسطين من أهل الله أصحاب السماع فإنه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها فإنه عالم بمواقع المكر والاستدراج ويأتي العارفين بالواجبات فلا يزال بهم حتى نوا مع الله فعل أمر ما من الطاعات وهو في نفس الأمر عهد يعهده مع الله فإذا استوثق منه في ذلك وعزم وما بقي إلا الفعل أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعاً فيرى العارف أن يقطع زمانه بالأولى فيترك الأول ويشرع في الثاني فيفرج إبليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه والعارف لا يخبر له بذلك فلو عرف من أول أن ذلك من الشيطان عرف كيف يردّه وكيف يأخذه كما فعل عيسى عليه السلام وكل متمكن من أهل الله من ورثة الأنبياء فيراها مع كونها حسنة هي خواطر شيطانية وكذا جاء للمنافق من أهل الكتاب قال له ألم تعلم أن نبيك قد بشر بهذا الرجل وقد علمت أنه هو والنبوة تجمعهما فقل له أنك رسول الله لقول نبيك لا لقوله ولا فرق بينهما فيقول المنافق عند ذلك أنك رسول الله فأكد بهم الله فقال تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله على ما قرره الشيطان فقال الله والله يعلم أنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في أنهم قالوا ذلك لقولك لا في قولهم أنك رسول الله ولو أراد ذلك كان نفياً لرسالته صلى الله عليه وسلم فقد أعلمتكم بداخل الشيطان إلى نفوس العالم لتحذره وتساءل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها وقد أعطاك الله في العامة ميزان الشريعة وميزلك بين فرائضه ومندوباته ومباحة ومحظوره ومكروهه ونص على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله فإذا خطر لك خاطر في محذور أو مكروه فتعلم أنه من الشيطان بلا شك وإذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلا شك فخاطر الشيطان بالمحذور والمكروه

اجتنبه فعلا كان أو تركا و المباح أنت مخير فيه فإن غلب عليك طلب الأرباح فاجتنب المباح واشتغل بالواجب أو المندوب غير أنك إذا تصرفت في المباح فتصرف فيه على حضور أنه مباح وأن الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرفت فيه فتكون مأجورا في مباحك لا من حيث كونه مباحا إلا من حيث إيمانك به أنه شرع من عند الله فإن الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الحكم هو عين الشرع وقد سد ذلك الباب فالمباح مباح لا يكون واجبا ولا محظورا أبدا وكذلك كل واحد من الأحكام وإن خطر لك خاطر في فرض فقم إليه بلا شك فإنه من الملك وإذا خطر لك خاطر في مندوب فاحفظ أول الخاطر فإنه قد يكون من إبليس فأثبت عليه فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى فلا تعدل عن الأول وأثبت عليه واحفظ الثاني وافعل الأول ولا بد فإذا فرغت منه اشرع في الثاني فافعله أيضا فإن الشيطان يرجع خاسئا بلا شك حيث لم يتفق له مقصوده وبهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك وتكون عمري المقام ما يلقاك الشيطان في فنج إلا سلك فجا غير فجك إذا عاملته بمثل هذا فحافظ على ما نهيتك عليه فإن الله قد أثنى على الذين يسأرون في الحيرات وهم لها سابقون ويكفي هذا القدر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب السادس والخمسون) في معرفة الاستقراء وصحته من سقمه

يلازمه القوي من الرجال	للاستقراء حد في المعاني
فصورته كمنزلة الظلال	له حكم ولا يعطيك علما
وأين العين من شخص المثل	مزاحمة الدليل بقوم فيها
لمعطيك النزول إلى سفال	منازلة الظنون وإن منها
فما عين الغزالة كالغزال	فلا تحكم بالاستقراء قطعا
فما حكم التضمير كالهزال	وإن ظهرت بالاستقراء علوم

خرج مسلم في صحيحه أن الله يقول شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فسمى نفسه عز وجل أرحم الراحمين وقال إنه خير الغافرين وقال في الصحيح أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فإذا استقرينا الوجود إن الكرام الأصول لا يصدر منهم إلا مكارم الأخلاق من الإحسان للمحسن والتجاوز عن المسيء والعفو عن الزلة وإقالة العثرة وقبول المعذرة والصفح عن الجاني ومثال هذا مما هو من مكارم الأخلاق واستقرينا ذلك فوجدنا لا يخطئ بقول شاعر العرب في ذلك أن الجياد على أعراقها تجري والحق أولى بصفة مكارم الأخلاق من المخلوقين فهنا تكون صحة الاستقراء في الإلهيات وأما سقم الاستقراء فلا يصح في العقائد فإن مبناها على الأدلة الواضحة فإنه لو استقرينا كل من ظهرت منه صنعة وجدناه جسما ونقول إن العالم صنعة الحق وفعله وقد تبعنا الصانع فما وجدنا صناعا إلا ذا جسم فالحق جسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وتبعنا الأدلة في المحدثات فما وجدنا عالما لنفسه وإنما الدليل

يعطي أن لا يكون عالم إلا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما و حكمها فيمن قامت به أن يكون عالما وقد علمنا إن الحق عالم فلا بد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به كلاب هو الله العالم الحي القادر القاهر الخبير كل ذلك لنفسه لا بأمر زائد على ذاته إذ لو كان ذلك بأمر زائد على نفسه وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات إلا بها فيكون كماله بزائد على ذاته و تنصف ذاته بالنقص إذا لم يقيم به هذا الزائد فهذا من الاستقراء وهذا الذي دعا المتكلمين أن يقولوا في صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره وفيما ذكرناه ضرب من الاستقراء الذي لا يليق بالجناب العالي ثم إنه لما استشعر القائلون بالزائد سلكوا في العبارة عن ذلك مسلكا آخر فقالوا ما عقلناه بالاستقراء وإنما قلنا أعطى الدليل أنه لا يكون عالم إلا من قام به العلم ولا بد أن يكون أمرا زائدا على ذات العالم لأنه من صفات المعاني يقدر رفعه مع بقاء الذات فلما أعطى الدليل ذلك طردناه شاهدا و غائبا يعني في الحق والخلق وهذا هرب منهم و عدول عن عين الصواب ثم إنهم أكدوا ذلك بقولهم ما ذكرناه عنهم إن صفاته لا هي هو ولا هي غيره و حدودا الغيرين مجد ينعه غيرهم وإذا سألتهم هل هي أمر زائد اعترفوا بأنها أمر زائد وهذا هو عين الاستقراء فلماذا قلنا إن الاستقراء في العلم بالله لا يصح وإن الاستقراء على الحقيقة لا يفيد علما وإنما أثبتناه في مكارم الأخلاق شرعا و عرفا لا عقلا فإن العقل يدل عليه سبحانه إنه فعّال لما يريد لا يقاس بال مخلوق ولا يقاس المخلوق عليه وإنما الأدلة الشرعية أتت بأمر تقرر عندنا منها إنه يعامل عباده بالإحسان و على قدر ظنهم به قال تعالى وَبَدَأَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ فِي الطَّرْفَيْنِ للوالم قررهما الشارع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن النائم عن الصلاة إذا استيقظ أو الناسي إذا تذكر و قد خرج وقت الصلاة فيصليها هل يشبهها دائما في كل يوم في ذلك الوقت فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم فيبين أنه سبحانه ما يحمد خلقا من مكارم الأخلاق إلا و الحق تعالى أولى به بأن يعامل به خلقه ولا يذم شيئا من سفاسف الأخلاق إلا و كان الجناب الإلهي أبعد منه ففي مثل هذا الفن يسوغ الاستقراء بهذه الدلالات الشرعية و أما غير ذلك فلا يكون فقد أثبت لك صحة الاستقراء من سقمه في المعاملات و أما الاستقراء في التجليات فرأينا إن الهوى الصناعية تقبل بعض الصور لا كلها فوجدنا الخشب يقبل صورة الكرسي و المنبر و التخت و الباب و لم نره يقبل صورة القميص و الرداء و لا السراويل و رأينا الشقة تقبل ذلك و لا تقبل صورة السكين و السيف ثم رأينا الماء يقبل صورة لون الأوعية و ما يتجلى فيها من المتلونات فيتصف بالزرقة و البياض و الحمرة سئل الجنيد رحمه الله عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه ثم استقرأنا عالم الأركان كلها و الأفلاك فوجدنا كل ركن منها و كل فلك يقبل صورة مخصوصة و بعضها أكثر قبولا من بعض ثم نظرنا في الهوى الكل فوجدناها تقبل جميع صور الأجسام و الأشكال فنظرنا في الأمور فرأيناها كلما لطفت قبلت الصور الكثيرة فنظرنا في الأرواح فوجدناها أقبل للتشكل في الصور من سائر ما ذكرناه ثم نظرنا في الخيال فوجدناه يقبل ما له صورة و يصور ما ليست له صورة فكان أوسع من الأرواح في التنوع في الصور ثم جئنا إلى الغيب في التجليات فوجدنا الأمر أوسع مما ذكرناه و رأينا قد جعل ذلك أسماء كل اسم منها يقبل صورة لا نهاية لها في التجليات و علمنا إن الحق وراء ذلك كله لا

تُدْرِكُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَيْرُ فجاء في عدم الإدراك بالاسم اللطيف إذ كانت اللطافة مما ينبو الحس عن إدراكها فتعقل ولا تشهد فتسمى في وصفه الذي تنزه أن يدرك فيه باللطيف الخبير أي تطف عن إدراك الحدتات ومع هذا فإنه يعلم ويعقل أن ثم أمرا يستند إليه فأتى بالاسم الخبير على وزن فعيل وفعيل يرد بمعنى المفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو المراد هنا والأوجه وقد يرد بمعنى الفاعل كعليم بمعنى عالم وقد يكون أيضا هو المراد هنا ولكنه يعد فإن دلالة مساق الآية لا تعطي ذلك فإن مساقها في إدراك الأَبْصَارِ لا في إدراك البصائر فإن الله قد ندبنا إلى التوصل بالعلم به فقال فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ولا يعلم حتى ننظر في الأدلة فيؤدينا النظر فيها إلى العلم به على قدر ما تعطينا القوة في ذلك فلماذا رجحنا خبير هنا بمعنى المفعول أي أن الله يعلم ويعقل ولا تُدْرِكُ الأَبْصَارُ فهذا القدر مما يتعلق بهذا الباب من الاستقراء وأما كونه لا يفيد العلم في هذا الموطن فإنه ما من أصل ذكرناه يقبل صوراً ما إلا يجوز بل يقع وقد وقع أنه يتكرر في تلك الصور مراتب عديدة وهذا قد ورد في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل مرارا على صورة دحية الكلبي ولما لم يصح عندنا في التجلي الإلهي أن يتكرر تجل إلهي لشخص واحد مرتين ولا يظهر في صورة واحدة لشخصين علمنا إن الاستقراء لا يفيد علما فإن جناب التجلي لا يقبل التكرار فخرج عن حكم الاستقراء من وجه عدم التكرار ولحق به من حيث التحول في الصور وقد ورد التحول في حديث مسلم في حديث الشفاعة من كتاب الإيمان فلا يعول على الاستقراء في شيء من الأشياء لآي الأحوال والآي المقامات والآي المنازل والآي المنازلات وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع والخمسون في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس)

يكون في غير ما يرضاه واهبه	لا تحكمن بإلهام تجده فقد
فإنها تمر يجنيه كاسبه	واجعل شريعتك المثلى مصححة
تعلی طرائقه تردى مذهبه	له الإساءة والحسنى معا فكما
حكما إذا جهلت فينا مكاسبه	فاحذره إن له في كل طائفة
فإن وسواس إبليس يصاحبه	لا تطلبن من الإلهام صورته
و إن تميز فالمعنى يقاربه	في شكله وعلى ترتيب صورته

قال الله تعالى وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا من قوله أيضا كَلَّا بُدُّ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ من عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا فجعل النفس محلا قابلا لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور فتجنبه والتقوى فتسلك طريقه ومن وجه آخر تطلبه الآية وهو أنه بما ألهمها عراها أن يكون لها في الفجور والتقوى كسب أو تعمل وإنما هي محل لظهور الفعل فجورا كان أو تقوى شرعا فهي برزخ وسط بين هذين الحكيمين ولم ينسب سبحانه إلى نفسه خاطر المباح ولا الهامة فيها به وسبب ذلك أن المباح ذاتي لها فبنفس ما خلق عينها

ظهر عين المباح فهو من صفاتها النفسية التي لا تعقل النفس إلا به فهو على الحقيقة أعني خاطر المباح نعت خاص كالضحك للإنسان وإن لم يكن من الفصول المقومة فهو حد لازم رسمي فإن من خاصية النفس دفع المضار واستجلاب المنافع وهذا لا يوجد في أقسام أحكام الشرع إلا في قسم المباح خاصة فإنه الذي يستوي فعله وتركه فلا أجر فيه ولا وزر شرعا وهو قوله وما سواها من التسوية وهو الاعتدال في الشيء فسواك فعدلك يمتن بذلك على الإنسان وما في أقسام أحكام الشريعة قسم يقتضي العدل ويعطي الاعتدال إلا قسم المباح فهي تطلبه بذاتها و خاصيتها فلذلك لم يصفها بأنها ملهمة فيه وما ذكر سبحانه من الملمه لها بالفجور والتقوى فأضمر الفاعل فالظاهر أن الضمير المضمير يعود على المضمير في سواها وهو الله تعالى ومن نظر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للملك في الإنسان لمة وللشيطان لمة يعني بالطاعة وهي التقوى والمعصية وهي الفجور فيكون الضمير في **فَأَلْهَمَهَا** للملك في التقوى وللشيطان في الفجور ولم يجمعهما في ضمير واحد لبعده المناسبة بينهما وكل بقضاء الله وقدره ولا يصح أن يقال في هذا الموضع إن الله هو الملمه بالتقوى وإن الشيطان هو الملمه بالفجور لما في هذا من الجهل وسوء الأدب لما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين والفجور أغلب من التقوى وأيضا لقوله تعالى ما أصابك من حسنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ فإنه في تلك الآية ظاهر الاسم والسيئة فيها ما هي شرعا فتكون فجورا وإنما هي مما يسوءه ولا يوافق غرضه وهو في الظاهر قولهم فإنهم كانوا يتطيرون به صلى الله عليه وسلم أعني الكافرين فأمره سبحانه أن يقول كلُّ من عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا أي ما يحدث فيهم من الكوائن يقول الله عنهم إنهم يقولون إن نُصِبُهمُ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبُهمُ سَيِّئَةً أَي ما يسوءهم ف من عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ من عِنْدِ اللَّهِ وهو قوله طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ فالفاعل في **فَأَلْهَمَهَا** مضمير فإن كان الله هنا في الضمير هو الملمه بالتقوى والشيطان هو الملمه بالفجور فقد جمع الله والشيطان ضمير واحد وهذا غاية في سوء الأدب مع الله وما أحسن ما جاء بالواو العاطفة في قوله وَتَقَوَّا فَعَٰلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ أَنْ يَجْتَمَعَ مَعَ الْمَطْرُودِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي ضَمِيرٍ مَعَ احْتِمَالِ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسُّ الْخَطِيبِ أَنْتَ لَمَّا سَمِعَهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ فَقَالَ وَمِنْ بَعْضِهِمَا وَمَا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ إِلَّا بُوْحِي مِنَ اللَّهِ وَهُوَ قَوْلُهُ مِنْ يُطْعِمُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَقَالَ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ وَنَحْنُ لِيَلْزَمُنَا مَلَازِمَةَ الْأَدَبِ فِيمَا لَمْ نُوْمَرْ بِهِ وَلَا نَهَيْنَا عَنْهُ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ بَسُّ الْخَطِيبِ أَنْتَ وَكَذَلِكَ لَا يَتَرَجَّحُ أَنْ تَنْسَبَ الْإِلْهَامَ بِالْفَجْرِ إِلَى اللَّهِ فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ هَذَا الْاسْتِقْصَاءِ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي **فَأَلْهَمَهَا** بِالْفَجْرِ إِلَّا الشَّيْطَانَ وَبِالْوَاوِ بِالتَّقْوَىٰ إِلَّا الْمَلِكَ فَمَقَابَلَةَ مَخْلُوقٍ بِمَخْلُوقٍ أَوَّلَىٰ مِنْ مَقَابَلَةِ مَخْلُوقٍ بِمَخْلُوقٍ وَفِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسُّ الْخَطِيبِ كَمَا يَلْنُ أَنْارَ اللَّهِ بِصِيرَتِهِ فَقَدْ أَعْلَمَكَ بِرَبِّتِهِ نَفْسِكَ وَإِنَّمَا لَيْسَتْ بِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا وَإِنَّمَا يَنْسَبُ إِلَيْهَا ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلْإِلْهَامِ الشَّيْطَانِ بِالْفَجْرِ وَلِجَهْلِهَا بِالْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ فِي ذَلِكَ كَنَفْسٍ أَمَرَتْ صَاحِبَهَا بِارْتِكَابِ أَمْرٍ لَمْ تَعْلَمْ تَحْرِيمَهُ فِي الشَّرْعِ أَوْ قَامَتْ عِنْدَهَا شَبْهَةٌ بِإِبَاحَةِ ذَلِكَ فِيرَاهُ مِنْ مَذْهَبِهِ التَّحْرِيمِ فَيَقُولُ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ كَشْرَبِ النَّبِيذِ بَيْنَ مَحَلِّهِ وَمَحْرَمِهِ وَنِكَاحِ الرَّبِيبَةِ الَّتِي لَمْ يَجْتَمِعْ فِيهَا

الشرطان ومثل هذا في الشريعة كثير وكلا المذهبين شرع مقرر صحيح إذا كانا عن اجتهاد مع أن أحدهما أخطأ دليل الشارع الذي حكم به في تلك المسألة أو لو حكم فيها والمجتهدان مأجوران وقد يكون في المسألة أحد المجتهدين مصيبا وقد يكون كل واحد منهما مخطئا فإن الحكم في تلك المسألة شرعا ليس بمنحصر ثم إن قول الله تعالى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فما هو حكم الله عليها بذلك وإنما الله حكى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز وهل أصابت في هذه الإضافة أو لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه بل الذي هو لها أنها لوامة نفسها إذا قبلت من الشيطان ما يأمرها به فهذا الإخبار عن النفس أنها أمارة بالسوء ما هو حكم الله عليها ولا من قول يوسف عليه السلام فبطل التمسك بهذه الآية لما دل عليه الظاهر والدليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به وأما قوله تعالى في هذا المقام كَلَّا بُدُّهُ هُوَ لَاءَ وَهُوَ لَاءَ من عَطَاءٍ رَبِّكَ فهو إبانة عن حقيقة صحيحة بما هو الأمر عليه في نفسه من أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وقوله وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا أي ممنوعا يقول إن الله يعطي على الدوام والمحال تقبل على قدر حقائق استعداداتها كما تقول إن الشمس تنبسط أنوارها على الموجودات و ما تبخل بنورها على أحد و تقبل المحال ذلك النور على قدر استعدادها وكل محل يضيف الأثر إلى الشمس ويفعل عن استعداده فالشخص المبرود يلتذ بجاراتها والجسم الحرور يتألم بجاراتها والنور من حيث ذاته واحد وكل واحد من الشخصين يتألم بما به ينعم صاحبه فلو كان ذلك للنور وحده لأعطى حقيقة واحدة وكذلك أعطى ما في قوته غير أنه للقابل حكم في ذلك ولا بد فإن النتيجة لا تكون إلا عن مقدمتين فيسود وجه القصار الذي يبيض الثوب فإن استعداد الثوب يعطي الشمس فيه التبييض ووجه القصار يعطي الشمس فيه السواد وكذلك النفخة الواحدة من النافخ وهي الهواء تطفى السراج وتشعل النار الذي في الحشيش والهواء في نفسه واحد فتد الآية من كتاب الله واحدة العين على الأسماع فسامع يفهم منها أمرا واحد أو سامع آخر لا يفهم منها ذلك الأمر ويفهم منها أمرا آخر وآخر يفهم منها أمورا كثيرة ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها لاختلاف استعداد الأفهام وهكذا في التجليات الإلهية فالمتجلي من حيث هو في نفسه واحد العين واختلفت التجليات أعني صورها بحسب استعدادات المتجلي لهم وكذلك في العطايا الإلهية سواء فإذا فهمت هذا علمت إن عطاء الله ليس بممنوع إلا أنك تحب أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك وتنسب المنع إليه فيما طلبته منه ولم تجعل بالك إلى الاستعداد فقد يستعد الشخص للسؤال وما عنده استعداد لقبول ما سأل فيه فلو أعطيه بدلا من المنع ويقول إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و يصدق في ذلك ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلهية في العالم وما تعطيه حقائق الأشياء والكُل من عند الله فمنعه عطاء وعطاؤه منع ولكن بقي لك أن تعلم لكذا ومن كذا فقد عرفتك بالنفس وأنها الحركة للجوارح بما يغلب عليها أما من ذاتها أو مما تقبله من الملك أو الشيطان فيما يلهمها به فعلم الإلهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أقره في نفسك ولكن بقي عليك إن تنظر على يدي من ألهمك وعلى أي طريق جاءك ذلك الإلهام من ملك أو شيطان وما يخرج من قبيل الأمر والنهي المشروع فهو العلم اللدني ما هو الإلهام فالعلم بالطاعة الهامي والعلم بتأنيج الطاعة لدني ففرق ما بين العلم اللدني والإلهام فالإلهام عارض طارئ يزول ويجيء وغيره والعلم اللدني ثابت لا يبرح فمنه ما يكون في أصل

الخلقة والجملة كعلم الحيوانات والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارهم فهو علم ضروري للإلهام وأما قوله وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ
فإنه يريد في أصل نشأتها فطرها الله على ذلك والإلهام هو ما يلهمه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك والعلم اللدني الذي لا يكون في
أصل الخلقة فهو العلم الذي تنتج الأعمال فيرحم الله بعض عباده بأن يوفقه لعمل صالح فيعمل به فيورثه الله من ذلك علما من لدنه لم يكن
يعلمه قبل ذلك ولا يلزم من العلم اللدني أن يكون في مادة والإلهام لا يكون إلا في مواد والعلم يصيب ولا بد والإلهام قد يصيب وقد يخطئ
فالمصيب منه يسمى علم الإلهام وما يخطئ منه يسمى إلهاما لا علما أي لا علم إلهام والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن والخمسون)

في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين ومعرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق خواطره وشتتها

تحققه فأنت به سعيد	إذا أعطاك بالإلهام علما
قوي في مبانيه سديد	كمثل النحل مختلف المعاني
و أنت لحالها أبدا شهيد	فتلقى طيبا عن طيب أصل
لها من فعلها قصر مشيد	وفي الأشجار والشم الرواسي
و أنت السيد الندب الجليل	فلا تعجزك للعلياء نحل
كما لك في منازلك القصود	فمنك القصد خيرا واختيارا
كمثلك إنك الخلق الجديد	فحقق و التمس علما وحيدا

اعلم أيديك الله بروح منه أن الله عز وجل أمرنا بالعلم بوحدايته في ألوهيته غير أن النفوس لما سمعت ذلك منه مع كونها قد نظرت بفكرها و
دلت على وجود الحق بالأدلة العقلية بل بضرورة العقل بعلم وجود البارئ تعالى ثم دلت على توحيد هذا الموجود الذي خلقها وأنه من الحال
أن يوجد واجبا الوجود لنفسه ولا ينبغي أن يكون إلا واحدا ثم استدلوا على ما ينبغي أن يكون عليه من هو واجب الوجود لنفسه من
النسب التي ظهر عنه بها ما ظهر من الممكنات ودل على إمكان الرسالة ثم جاء الرسول وأظهر من الدلائل على صدقه أنه رسول من الله
إلينا فعرفنا بالأدلة العقلية أنه رسول الله فلم نشك وقام لنا الدليل العقلي على صدق ما يخبر به فيما ينسب إليه وراه قد أتى في أخباره عنه
تعالى بنسب وأمر كان الدليل العقلي يحيلها ويرمي بها فتوقف العقل وأنهم معرفته وقدح في دليله هذا الإنباء الإلهي بما نسبه لنفسه ولا
يقدر على تكذيب المخبر ثم كان من بعض ما قال له هذا الشارع اعرف ربك وهذا العاقل لو لم يعلم ربه الذي هو الأصل المعول عليه ما
صدق هذا الرسول فلا بد أن يكون العلم الذي طلب منه الرسول أن يعلم به ربه غير العلم الذي أعطاه دليله وهو أن يعمل في تحصيل علم من
الله بالله يقبل به على بصيرة هذه الأمور التي نسبها الله إلى نفسه ووصف نفسه بها التي أحالها العقل بدليله فانقده له بتصديقه الرسول إن ثم

وراء العقل وما يعطيه بفكره أما آخر يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه الأدلة العقلية بل تحيله قولاً واحداً فإذا علمه بهذه القوة التي عرف أنها وراء طور العقل هل يبقى له الحكم فيما كان يحيله العقل من حيث فكره أولاً على ما كان عليه أم لا يبقى فإن لم يبق له الحكم بأن ذلك محال فلا بد أن يعثر على الوجه الذي وقع له منه الغلط بلا شك وأن ذلك الذي اتخذ دليلاً على إحالة ذلك على الله لم يكن دليلاً في نفس الأمر وإذا كان هذا فما ذلك الأمر مما هو وراء طور العقل فإن العقل قد يصيب وقد يخطئ وإن بقي للعقل بعد كشفه وتحقيقه لصحة هذا الأمر الذي نسبته الله لنفسه ووصف به نفسه وقبله عقول الأنبياء وقبله عقل هذا المكاشف بلا شك ولا ريب ومع هذا فإنه يحكم على الله بأن ذلك الأمر محال عقلاً من حيث فكره لا من حيث قبوله وحينئذ يصح أن يكون ذلك المقام وراء طور العقل من جهة أخذه عن الفكر لا من جهة أخذه عن الله هذا ومن أعجب الأمور عندنا إن يكون الإنسان يقلد فكره ونظيره وهو يحدث مثله وقوة من قوى الإنسان التي خلقها الله فيه وجعل تلك القوة خادمة للعقل ويقلدها العقل فيما تعطيه هذه القوة ويعلم أنها لا تتعدى مرتبتها وأنها تعجز في نفسها عن أن يكون لها حكم قوة أخرى مثل القوة الحافظة والمصورة والتمخيلة والقوي التي هي الحواس من لمس وطعم وشم وسمع وبصر ومع هذا القصور كله يقلدها العقل في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط بلا شك إلا من نور الله بصيرته فعرف إن الله قد أعطى كل شيء خلقه فأعطى السمع خلقه فلا يتعدى إدراكه وجعل العقل فقيراً إليه يستمد منه معرفة الأصوات وتقطيع الحروف وتغيير الألفاظ وتنوع اللغات فيفترق بين صوت الطير وهبوب الرياح وصرير الباب وخرير الماء وصياح الإنسان ويعار الشاة وثواج الكباش وخوار البقر ورجاء الإبل وما أشبه هذه الأصوات كلها ولبس في قوة لعقل من حيث ذاته إدراك الشيء من هذا ما لم يوصله إليه السمع وكذلك القوة البصرية جعل الله العقل فقيراً إليها فيما توصله إليه من المبصرات فلا يعرف الخضرة ولا الصفرة ولا الزرقة ولا البياض ولا السواد ولا ما بينهما من الألوان ما لم ينعم البصر على العقل بها وهكذا جميع القوي المعروفة بالحواس ثم إن الخيال فقير إلى هذه الحواس فلا يتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوي ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوي لا يبقى في الخيال منها شيء فهو فقير إلى الحواس وإلى القوة الحافظة ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها وبين الخيال فيفوت الخيال أمور كثيرة من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف لوجود المانع فافتقر إلى القوة المذكورة فتذكره ما غاب عنه فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال افتقرت إلى القوة المصورة لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور صورة دليل على أمر ما وبرهان تستند فيه إلى المحسوسات أو الضرورات وهي أمور مركوزة في الجبلة فإذا تصور الفكر ذلك الدليل حينئذ يأخذه العقل منه فيحكم به على المدلول وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت فانظر يا أخي ما أفقر العقل حيث لا يعرف شيئاً مما ذكرناه إلا بوساطة هذه القوي وفيها من العلل ما فيها فإذا أنفق للعقل أن يحصل شيئاً من هذه الأمور بهذه الطرق ثم أخبره الله بأمر ما توقف في قبوله وقال إن الفكر يرده فما أجهل هذا العقل بقدر ربه كيف قلد فكره و

جرح ربه فقد علمنا إن العقل ما عنده شيء من حيث نفسه وأن الذي يكتسبه من العلوم إنما هو من كونه عنده صفة القبول فإذا كان بهذه المثابة فقبوله من ربه لما يخبر به عن نفسه تعالى أولى من قبوله من فكره وقد عرف أن فكره مقلد لخياله وأن خياله مقلد لحواسه ومع تقليده فهو غير قوي على إمساك ما عنده ما لم تساعده على ذلك القوة الحافظة والمذكورة ومع هذه المعرفة بأن القوي لا تتعدى خلقها وما تعطيه حقيقتها وأنه بالنظر إلى ذاته لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها لا يقبل قول من يقول له إن ثم قوة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوة المفكرة نالها أهل الله من الملائكة والأنبياء والأولياء ونظمت بها الكتب المنزلة فاقبل منها هذه الأخبار الإلهية فتقليد الحق أولى وقد رأيت عقول الأنبياء على كثرتهم والأولياء قد قبلتها وآمنت بها وصدقها ورأت أن تقليدها ربه في معرفة نفسه أولى من تقليد أفكارها فما لك أيها العاقل المنكر لها لا تقبلها ممن جاء بها ولا سيما عقول تقول إنها في محل الإيمان بالله ورسله وكتبه ولما رأيت عقول أهل الإيمان بالله تعالى إن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت إن ثم علما آخر بالله لا تصل إليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات وقطع العائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ الحلق وتقدس القلب عن شوائب الأفكار إذ كان متعلق الأفكار الأكوام واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسول وسمعت أن الحق جل جلاله ينزل إلى عباده ويستعطفهم فعلمت إن الطريق إليه من جهته أقرب إليه من الطريق من فكرها ولا سيما أهل الإيمان وقد سمعت قوله تعالى من أتاني يسعي أتيته هرولة وإن قلبه وسع جلال الله وعظمته فتوجه إليه بكله وانقطع من كل ما يأخذ عنه من هذه القوي فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علما إلهيا عرفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة والتجلي لا يقبله كون ولا يرده ولذلك قال إن في ذلك يشير إلى العلم بالله من حيث المشاهدة لذكرى لمن كان له قلبٌ ولم يقل غير ذلك فإن القلب معلوم بالتقليب في الأحوال دائما فهو لا يبقى على حالة واحدة فكذلك التجليات الإلهية فمن لم يشهد التجليات بقلبه ينكرها فإن العقل يقيد وغيره من القوي إلا القلب فإنه لا يتقيد وهو سريع التقبل في كل حال ولذا قال الشارع إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فهو يتقلب بتقلب التجليات والعقل ليس كذلك فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل فلو أراد الحق في هذه الآية بالقلب أنه العقل ما قال لمن كان له قلبٌ فإن كل إنسان له عقل وما كل إنسان يعطي هذه القوة التي وراء طور العقل المسماة قلبا في هذه الآية فلذلك قال لمن كان له قلبٌ فالتقليب في القلب نظير التحول الإلهي في الصور فلا تكون معرفة الحق من الحق إلا بالقلب لا بالعقل ثم يقبلها العقل من القلب كما يقبل من الفكر فلا يسعه سبحانه إلا أن يقبل ما عندك ومعنى قلب ما عندك هو أنك علقت المعرفة به عز وجل وضبطت عندك في علمك أمرا ما وأعلى أمر ضبطته في علمك به أنه لا ينضبط سبحانه ولا يتقيد ولا يشبه شيئا ولا يشبه شيء فلا ينضبط مضبوطا لتمييزه عما ينضبط فقد انضبط ما لا ينضبط مثل قولك العجز عن درك الإدراك إدراك والحق إنما وسعه القلب ومعنى ذلك أن لا يحكم على الحق تعالى بأنه لا يقبل ولا يقبل فإن ذات الحق وأتية مجهولة عند الكون ولا سيما وقد أخبر جل جلاله عن نفسه بالتقيضين في الكتاب والسنة فشبهه في موضع ونزهه في موضع بليس كمثل شيءٍ وشبيهه بقوله وهو السميع البصير فتفرقت خواطر التشبيه و

تشتت خواطر التنزيه فإن المنزه على الحقيقة قد قيده وحصره في تنزيهه وأخلي عنه التشبيه والمشبه أيضا قيده وحصره في التشبيه و
أخلي عنه التنزيه والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين فلا ينزه تنزيها يخرج عن التشبيه ولا يشبه تشبيها يخرج عن التنزيه فلا تطلق ولا تقيد
لتمييزه عن التقييد ولو تميز تقيد في إطلاقه ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمي به
نفسه من أسماء الكمال وهو الواحد الحق الجلي الخفي لا إله إلا هو العلي العظيم (وصل) وأما أسرار أهل الإلهام المستدلين فلا تتجاوز
سدره المنتهى فإن إليها تنتهي أعمال بنى آدم ونهاية كل أمر إلى ما منه بدا فإن قال لك عارف ممن لا علم له بهذا الأمر إن الكرسي موضع
القدمين فقل له ذلك عالم الخلق والأمر والتكليف إنما انقسم من السدره فإنه قطع أربع مراتب والسدره هي المرتبة الخامسة فنزل من قلم إلى
لوح إلى عرش إلى كرسي إلى سدره فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والحظور من العرش والمكروه من الكرسي والمباح من
السدره والمباح قسم النفس وإليها تنتهي نفوس عالم السعادة ولأصولها وهي الزقوم تنتهي نفوس أهل الشقاء وقد بينها في كتاب التنزلات
الموصلية في باب يوم الإثنين وإذا ظهرت قسمة الأحكام من السدره فإذا صعدت الأعمال التي لا تخلو من أحد هذه الأحكام لا بد أن تكون
نهايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت إذ لا تعرف من كونها منقسمة إلى السدره ثم يكون من العقل الذي هو القلم نظر إلى الأعمال المفروضة
فيتمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوب إليها فيتمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظر إلى المحظورات
وهو مستوي الرحمن فلا ينظرها إلا بعين الرحمة ولهذا يكون مال أصحابها إلى الرحمة ويكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة فينظر
إليها بحسب ما يرى فيها وهو تحت حيطه العرش والعرش مستوي الرحمن والكرسي موضع القدمين فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب
المكروه من الأعمال ولهذا يؤجر تاركها ولا يؤاخذ فاعلمها فكتاب الأبرار في عليين ويدخل فيهم العصاة أهل الكبائر والصغائر وأما كتاب
الفرجار ففي سجين وفيه أصول السدره التي هي شجرة الزقوم فهناك تنتهي أعمال الفجار في أسفل سافلين فإن رحمهم الرحمن من عرش
الرحمانية بالنظرة التي ذكرناها جعل لهم نعيما في منزلهم فلا يموتون فيه ولا يحبون فهم في نعيم النار دائمون مؤبدون كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها
في حال نومه من السرور وربما يكون في فراشه مريضا ذا بؤس وفقير ويرى نفسه في المنام ذا سلطان ونعمة وملك فإن نظرت إلى النائم من
حيث ما يراه في منامه يلتذ به قلت إنه في نعيم وصدقت وإن نظرت إليه من حيث ما تراه في فراشه الخشن ومرضه ويأسه وقره وكلومه
قلت إنه في عذاب هكذا يكون أهل النار ف لا يموت فيها ولا يحيى أي لا يستيقظ أبدا من نومه فتلك الرحمة التي يرحم الله بها أهل النار
الذين هم أهلها وأمثالها كالحرور منهم بتعم بالزمهرير والمقرور منهم يجعل في الحرور وقد يكون عذابهم توهم وقوع العذاب بهم وذلك كله
بعد قوله لا يفتقر عنهم العذاب وهم فيه مُبلسون ذلك زمان عذابهم وأخذهم بجرانهم قبل أن تلحقهم الرحمة التي سبقت الغضب الإلهي فإذا
اطلع أهل الجنان في هذه الحالة على أهل النار ورأوا منازلهم في النار وما أعد الله فيها وما هي عليه من قبج المنظر قالوا معذبون وإذا
كوشفوا على الحسن المعنوي الإلهي في خلق ذلك المسمى قبجا ورأوا ما هم فيه في نومتهم وعلموا أحوال أمرجتهم قالوا منعمون فسبحان

القادر على ما يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم فقد فهمت قول الله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود والمقدر)

محقق فهو بالأوهام معلوم	إن الزمان إذا حققت حاصله
والعين منها ومنه فيه معدوم	مثل الطبيعة في التأثير قوته
عين يكون عليه منه تحكيم	به تعينت الأشياء وليس له
لذا نقول بأن الدهر موهوم	العقل يعجز عن إدراك صورته
وجوده فله في القلب تعظيم	لو لا التنزه ما سمي الإله به
فحكمه أزلي و هو محكوم	أصل الزمان إذا أنصفت من أزل
في غير جسم بوهم فيه تجسيم	مثل الخلال امتداد ما له طرف

اعلم أولاً أن الله تعالى هو الأول الذي لا أولية لشيء قبله ولا أولية لشيء يكون قائماً به أو غير قائم به معه فهو الواحد سبحانه في أوليته فلا شيء واجب الوجود لنفسه إلا هو فهو الغني بذاته على الإطلاق عن العالمين قال تعالى فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ بالدليل العقلي والشرعي فوجود العالم لا يخلو ما أن يكون وجوده عن الله لنفسه سبحانه أو لأمر زائد ما هو نفسه إذ لو كان نفسه لم يكن زائداً ولو كان نفسه أيضاً لكان مركباً في نفسه وكانت الأولية لذلك الأمر الزائد وقد فرضنا أنه لا أولية لشيء معه ولا قبله فإذا لم يكن ذلك الأمر الزائد نفسه فلا يخلو إما أن يكون وجوداً أولاً وجوداً محالاً أن يكون لا وجود فإن لا وجود لا يصح أن يكون له أثر إيجاد فيما هو موصوف بأن لا وجود وهو العالم فليس أحدهما بأولى بتأثير الإيجاد من الآخر إذ كلاهما أن لا وجود فإن لا وجود لا أثر له لأنه عدم ومحال أن يكون وجوداً فإنه لا يخلو عند ذلك إما أن يكون وجوده لنفسه أو لا يكون محال أن يكون وجوده لنفسه فإنه قد قام الدليل على إحالة أن يكون في الوجود اثنان واجبا الوجود لأنفسهما فلم يبق إلا أن يكون وجوده بغيره ولا معنى لا مكان العالم إلا أن وجوده بغيره فهو العالم إذن أو من العالم ولو كان وجود العالم عن الله لنسبة ما لولاها ما وجد العالم تسمى تلك النسبة إرادة أو مشيئة أو علماً أو ما شئت مما يطلبه وجود الممكن فيكون الحق تعالى بلا شك لا يفعل شيئاً إلا بتلك النسبة ولا معنى للافتقار إلا هذا وهو محال على الله فإن الله له الغني على الإطلاق فهو كما قال غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فإن قيل إن المراد بالنسبة عين ذاته قلنا فالشيء لا يكون مفتقراً إلى نفسه فإنه غني لنفسه فيكون الشيء الواحد فقيراً من حيث ما هو عني كل ذلك لنفسه وهو محال وقد نفينا الأمر الزائد فاقضى ذلك أن يكون وجود العالم من حيث ما هو موجود بغيره مرتبطاً بالواجب الوجود لنفسه وإن عين الممكن محل تأثير الواجب الوجود لنفسه بالإيجاد ولا يعقل إلا هكذا فمشيئته وإرادته وعلمه وقدرته ذاته تعالى الله أن يتكثر في ذاته

علوا كبيرا بل له الوحدة المطلقة وهو الواحد الأحد الله الصمد لم يلدُ فيكون مقدمة ولم يولدُ فيكون نتيجة ولم يكن له كفواً أحدٌ فيكون به وجود العالم نتيجة عن مقدمتين عن الحق والكفو تعالى الله وبهذا وصف نفسه سبحانه في كتابه لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه فنزلت سورة الإخلاص تخلصت من الاشتراك مع غيره تعالى الله في تلك التعوت المقدسة والأوصاف فما من شيء نفاه في هذه السورة و لا أثبتة إلا وذلك المنفي أو المثبت مقالة في الله لبعض الناس وبعد أن بينا لك ما ينبغي أن يكون عليه من نحن مفتقرون إليه وهو الله سبحانه فلنبين ما بوبنا عليه فاعلم أن نسبة الأزل إلى الله نسبة الزمان إلينا ونسبة الأزل نعت سلمي لا عين له فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود فيكون الزمان للممكن نسبة متوهمة الوجود لا موجودة لأن كل شيء يفرضه يصح عنه السؤال بمتى ومتى سؤال عن زمان فلا بد أن يكون الزمان أمراً متوهماً لا وجوداً ولهذا أطلقه الحق على نفسه في قوله وكان الله بكل شيء عليمًا ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ وفي السنة تقرير قول السائل أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ولو كان الزمان أمراً وجودياً في نفسه ما صح تنزيه الحق عن التقييد إذ كان حكم الزمان يقيد فعرنا أن هذه الصيغ ما تحتها أمر وجودي ثم نقول إن لفظة الزمان اختلف الناس في معقولها ومدلولها فالحكام تطلقه بإزاء أمور مختلفة وأكثرهم على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك والمتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر وهو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى والعرب تطلقه و تريد به الليل والنهار وهو مطلوبنا في هذا الباب والليل والنهار فصلا اليوم فمن طلع الشمس إلى غروبها يسمى نهاراً ومن غروب الشمس إلى ما طلوعها يسمى ليلاً وهذه العين المفصلة تسمى يوماً وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى وما في الوجود العيني إلا وجود المتحرك لا غير وما هو عين الزمان فرجع محصول ذلك إلى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له وإذا تقرر هذا فاليوم المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور وتسمى أياً وتقدر بهذا اليوم الأصغر المعتاد الذي فصله الليل والنهار فالزمان المقدر هو ما زاد على هذا اليوم الأصغر الذي تقدر به سائر الأيام الكبار فيقال في يومٍ كان مقداره ألف سنةٍ مما تعدون وقال في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ وقال عليه السلام في أيام الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم فقد يكون هذا الشدة الهول فرغ الإشكال ظاهر إتمام الحديث في قول عائشة فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال يقدر لها فلو لأن الأمر في حركات الأفلاك على ما هو عليه باق ما احتل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعمل صورتها أهل هذا العلم فيعلمون بها الأوقات في أيام الغيم إذ لا ظهور للشمس فيكون في أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتوالى بحيث أن يستوي في رأى العين وجود الليل والنهار وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هي فتظهر الحركات في الصنائع العملية التي عملها أهل صنعة العلماء بالهيئة ومجاري النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلوات بلا شك ولو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوماً واحداً لم يلزمنا أن تقدر للصلوات فإننا نتظر زوال الشمس فما لم نزل لا نصلي الظهر المشروع ولو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة لم يكلفنا الله غير ذلك فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير عرفنا أن حركات الأفلاك على بابها لم يحتل نظامها فقد أعلمتكم ما هو الزمان وما معنى

نسبة الوجود إليه ونسبة التقدير فالأيام كثيرة ومنها كبير وصغير فأصغرها الزمن الفرد و عليه يخرج كل يوم هو في شأن فسمى الزمن الفرد يوما لأن الشأن يحدث فيه فهو أصغر الأزمان وأدقها ولاحد لأكبرها يوقف عنده وبينهما أيام متوسطة أولها اليوم المعلوم في العرف وتفصله الساعات والساعات تفصلها الدرج والدرج تفصله الدقائق وهكذا إلى ما لا يتناهى عند بعض الناس فإنهم يفصلون الدقائق إلى ثوان فلما دخلها حكم العدد كان حكمها العدد و العدد لا يتناهى فالتفصيل في ذلك لا ينتهي و بعض الناس يقولون بالتناهي في ذلك وينظرونه من حيث المحدود وهم الذين يشبون أن للزمان عينا موجودة وكل ما دخل في الوجود فهو متناه بلاشك والمخالف يقول المحدود من كونه يعد ما دخل في الوجود فلا يوصف بالتناهي فإن العدد لا يتصف بالتناهي وبهذا يحتج منكر الجوهر الفرد وإن الجسم ينقسم إلى ما لا نهاية له في العقل وهي مسألة خلاف بين أهل النظر حدثت من عدم الإنصاف والبحث عن مدلول الألفاظ وقد ورد في الخبر الصحيح أن من أسماء الله الدهر ومعقولية الدهر معلومة نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السابع والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الستون)

في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي و في أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى و أية روحانية لنا

و هي البنات لعالم الأفلاك	أن لعناصر أمهات أربع
في عالم الأركان و الأملاك	عنها تولدنا فكان وجودنا
من حكم سنبله بلا إشراك	جعل الإله غداءنا بسنابل
سبع بقول ليس من أفاك	وكذاك ضاعف أجرنا بسنابل
بتكرر الأضواء و الأحلاك	و زماننا سبع من الآلاف جا

المركبات الركن الواحد الماء المركب مما يلي الأرض لأنه بارد رطب فلم يكن له قوة الصعود فبقي على الأرض تمسكه بما فيها من البيوسة عليها والآخر النار وهي أكرة الأثير مما يلي السماء لأنه حار يابس فلم يكن له طبع النزول إلى الأرض فبقي مما يلي السماء من أجل حرارته و البيوسة تمسكه هناك و حدث ما بين النار و الماء ركن الهواء من حرارة النار و رطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنار فإن ثقل الرطوبة يمنع أن يكون بحيث النار و إن طلبت الرطوبة تنزله إلى أن يكون بحيث الماء تمتعه الحرارة من النزول فلما تمانع لم يبق إلا أن يكون بين الماء و النار لأنهما يتجاذبان على السواء فذلك المسمى هواء فقد بان لك مراتب العناصر و ماهيتها و من أين ظهرت و أصل الطبيعة و لما دارت الأفلاك و محضت الأركان بما حملته مما ألفت فيها في هذا النكاح المعنوي و ظهرت المولدات من كل ركن بحسب ما يقتضيه حقيقة ذلك الركن فظهرت

أمم العالم وظهرت الحركة المنكوسة والحركة الأفقية فلما انتهى الحكم إلى السنبله ظهرت النشأة الإنسانية بتقدير العزيز العليم فأنشأ الله عز وجل الإنسان من حيث جسمه خلقا سويا وأعطاه الحركة المستقيمة وجعل الله لها من الولاية في العالم العنصري سبعة آلاف سنة وينتقل الحكم إلى الميزان وهو زمان القيامة وفيه يضع الله الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ولما لم يكن الحكم له بما أودع الله فيه من العدل في الدنيا شرع الموازين فلم يعمل بها إلا القليل من الناس وهم النبيون خاصة ومن كان محفوظا من الأولياء ولما كانت القيامة محل سلطان الميزان لم تظلم نفس شيئا قال الله تعالى وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ يُعْنَى مِنَ الْعَمَلِ آتَيْنَاهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ولما كان للعدراء السبعة من الأعداد كانت لها السبعة والسبعون والسبعائة من الأعداد في تضاعف الأجور وضرب الأمثال في الصدقات فقال تعالى مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ إِلَى سَبْعَةِ آلافٍ إِلَى سَبْعِينَ ألفًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ألفٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ألفٍ إلى ما لا نهاية له ولكن من حساب السبعة وإنما كانت الفروض المقدرة في الفلك الأطلس اثني عشر فرضا لأن منتهى أسماء العدد إلى اثني عشر اسما وهو من الواحد إلى العشرة إلى المائة وهو الحادي عشر إلى الألف وهو الثاني عشر وليس وراءه مرتبة أخرى ويكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصة ويدخل الناس الجنة والنار وذلك في أول الحادية إحدى عشرة درجة من الجوزاء وتستقر كل طائفة في دارها ولا يبقى في النار من يخرج بشفاعته لا بعناية إلهية ويدبح الموت بين الجنة والنار ويرجع الحكم في أهل الجنة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودع الله في حركات الفلك الأقصى وبه يقع التكوين في الجنة بحسب ما تعطيه نشأة الدار الآخرة فإن الحكم أبدا في القوابل فإن الحركة واحدة وآثارها تختلف بحسب القوابل وسبب ذلك حتى لا يستقل أحد من الخلق بفعل ولا بأمر دون مشاركة فيتميز بذلك فعل الله الذي يفعل لا بمشراكة من فعل المخلوق فالمخلوق أبدا في محل الاقتدار والعجز والله الغني العزيز ويكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودعه الله تعالى في حركات الفلك الأقصى وفي الكواكب الثابتة وفي سباحة الدراري السبعة والمطموسة الأنوار فهي كواكب لكنها ليست بثواب فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة فيقرب حكم النار من حكم الدنيا فليس بعذاب خالص ولا بنعيم خالص ولهذا قال تعالى لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ فلم يخلصه إلى أحد الوجهين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وقد قدمنا في الباب الذي قبل هذا صورة النعيم والعذاب وسبب ذلك أنه بقي ما أودع الله عليهم في الأفلاك وحركات الكواكب من الأمر الإلهي وتغير منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبديل ومن الكواكب بالطمس والانتثار فاختلف حكمها بزيادة ونقص لأن التغير وقع في الصور لا في الذوات واعلم أن الله تعالى لما تسمى بالملك رتب العالم ترتيب المملكة فجعل له خواص من عباده وهم الملائكة المهمة جلساء الحق تعالى بالذكر لَا يَسْكُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ثم اتخذ حاجبا من الكرويين واحدا أعطاه علمه في خلقه وهو علم مفصل في إجمال فعلمه سبحانه كان فيه مجلى له وسمي ذلك الملك نونا فلا يزال معتكفا في حضرة علمه عز وجل وهو رأس

الديوان الإلهي والحق من كونه عليما لا يحتاج عنه ثم عين من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة سماه القلم وجعل منزلته دون النون واتخذة كاتباً فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاء في خلقه بوساطة النون ولكن من العلم الإجمالي ومما يحوي عليه العلم الإجمالي علم التفصيل وهو من بعض علوم الإجمال لأن العلوم لها مراتب من جملتها علم التفصيل فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملية إلا علم التفصيل مطلقاً و بعض العلوم المفصلة لا غير واتخذ هذا الملك كاتب ديوانه وتجلي له من اسمه القادر فأمدته من هذا التجلي الإلهي وجعل نظره إلى جهة عالم التدوين والتسطير فخلق له لوحاً وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجربه في خلقه إلى يوم القيامة خاصة وأنزله منه منزلة التلميذ من الأستاذ فتوجهت عليه هنا الإرادة الإلهية فخصصت له هذا القدر من العلوم المفصلة وله تجليان من الحق بلا واسطة وليس للنون سوى تجل واحد في مقام أشرف فإنه لا يدل تعدد التجليات ولا كثرتها على الأشرفية وإنما الأشرف من له المقام الأعم فأمر الله النون أن يمد القلم بثلاثمائة وستين علماً من علوم الإجمال تحت كل علم تفاصيل ولكن معينة منحصرة لم يعطه غيرها يتضمن كل علم إجمالي من تلك العلوم ثلاثمائة وستين علماً من علوم التفصيل فإذا ضربت ثلاثمائة وستين في مثلها فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصة ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا لا يزيد ولا ينقص وهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاثمائة وستين درجة وكل درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق والثواني والثالث إلى ما شاء الله سبحانه مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة وسمي هذا القلم الكاتب ثم إن الله سبحانه وتعالى أمر أن يولي على عالم الخلق اثني عشر واليا يكون مقرهم في الفلك الأقصى منا في بروج فقسّم الفلك الأقصى اثني عشر قسماً جعل كل قسم منها برجا لسكنى هؤلاء الولاة مثل أبراج سور المدينة فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها كل وال على تخت في برجه ورفع الله الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ فأرأوا فيه مسطراً أسماءهم ومراتبهم وما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كله في نفوسهم وعلموه علماً محفوظاً لا يتبدل ولا يتغير ثم جعل الله لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجين ينفذان أوامرهم إلى نوابهم وجعل بين كل حاجين سفيراً يمشي بينهما بما يلقي إليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم الله حجاباً لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها وأنزلهم إليها وهي الثمانية والعشرون منزلة التي تسمى المنازل التي ذكرها الله في كتابه فقال وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ يَعْنِي فِي سِيرِهِ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَزَلَةً مِنْهَا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ يَدُورُ دَوْرَةً أُخْرَى لَتَعْلَمُوا بِسِيرِهِ وَسِيرِ الشَّمْسِ فِيهَا وَالْحَنَسَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَهُ الْحَقُّ لَنَا تَفْصِيلاً فَاسْكُنْ فِي هَذِهِ الْمَنَازِلِ هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ حِجَابٌ أَوْلَئِكَ الْوَلَاةُ الَّذِينَ فِي الْفَلَكِ الْأَقْصَى ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ هَؤُلَاءِ الْوَلَاةَ أَنْ يَجْعَلُوا نَوَابِئَهُمْ وَتَقْبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ فِي كُلِّ سَمَاءٍ تَقْبِيًا كَالْحَاجِبِ لَهُمْ يَنْظُرُ فِي مَصَالِحِ الْعَالَمِ الْعَنْصَرِيِّ بِمَا يَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ الْوَلَاةَ وَيَأْمُرُونَهُمْ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا فَجَعَلَ اللَّهُ أَجْسَامَ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ النُّجُومِ أَجْسَامًا نِيرَةً مُسْتَدِيرَةً وَنَفْخَ فِيهَا أَرْوَاحَهَا وَأَنْزَلَهَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ فِي كُلِّ سَمَاءٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ قَدْ جَعَلْنَاكُمْ تَسْتَخْرَجُونَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْإِثْنِي عَشَرَ وَالْيَا بِنَسَاطَةِ الْحِجَابِ الَّذِينَ هُمْ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ كَمَا يَأْخُذُ أَوْلَئِكَ الْوَلَاةَ عَنِ الْوَلُوحِ الْحَفُوفِ ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ تَقِيْبٍ مِنْ

هؤلاء السبعة النقباء فلما سيج فيه هوله كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها إذ كان لهم التصرف في حوادث العالم والاستشراف عليه وهم سدنة وأعوان يزيدون على الألف وأعطاهم الله مراكب سماها أفلاك فهم أيضا يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلا من ملك السموات والأرض فيدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون في حقنا إذ كنا المقصود من العالم قال تعالى وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ يَا ابْنَ آدَمَ خَلَقْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ يَسْتَشْرِفُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى أَحْوَالِ أَهْلِ مَلِكِهِ يَقُولُ تَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ لِأَنَّهُ يُسْأَلُهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِلِسَانِ حَالٍ وَلِسَانِ مَقَالٍ وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُ الْعَالَمِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فَمَا لَهُ شُغْلٌ إِلَّا بِهَا يَقُولُ تَعَالَى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ بِفَضْلِ الْآيَاتِ وَلَوْلَا وَجُودُ الْمَلِكِ مَا سَمِيَ الْمَلِكُ مَلِكًا فَحِفْظُهُ لِمَلِكِهِ حِفْظُهُ لِبَقَاءِ اسْمِ الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فَمَا جَاءَ بِاسْمِ الْمَلِكِ فَإِنْ أَسْمَاءُ الْإِضَافَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْمُضَافِ فَكُلُّ سُلْطَانٍ لَا يَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ وَلَا يَمْشِي بِالْعَدْلِ فِيهِمْ وَلَا يَعَالِمُهُم بِالْإِحْسَانِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِمْ فَقَدْ عَزَلَ نَفْسَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَيَقُولُ الْفُقَهَاءُ إِنْ الْحَاكِمُ إِذَا فَسَقَ أَوْ جَارَ فَقَدْ انْعَزَلَ شَرَعًا وَلَكِنْ عِنْدَنَا انْعَزَلَ شَرَعًا فِيمَا فَسَقَ فِيهِ خَاصَّةً لِأَنَّهُ مَا حَكَمَ بِمَا شَرَعَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ فَقَدْ أَثْبَتَهُم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَاةً مَعَ جُورِهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِينَا وَفِيهِمْ فَإِنْ عَدَلُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ وَإِنْ جَارُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ وَنَهَى أَنْ تُخْرِجَ يَدَا مَنْ طَاعَهُ وَمَا خَصَّ بِذَلِكَ وَالْيَا مِنْ وَالْأَمْرِ فَلِذَلِكَ زَدْنَا فِي عَزَلِهِ شَرَعًا إِنَّمَا ذَلِكَ فِيمَا فَسَقَ فِيهِ فَالْمَلِكُ مَا مَرَّ أَنْ يَحْفَظَ نَفْسَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِمَّا حَدَّ لَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي رِعَايَاهُ وَفِي نَفْسِهِ فَإِنَّهُ وَالْعَلَى نَفْسَهُ كَلِّمَ رَاعٍ وَكَلِّمَ مَسْئُولَ عَنِ رَعِيَّتِهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ رَاعٍ عَلَى نَفْسِهِ فَمَا زَادَ لِدَلِكِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا الْحَدِيثُ فَمَنْ لَمْ يَفِ لِمَنْ بَاعِعَهُ بِمَا بَاعِعَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ عَزَلَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ بِمَلِكٍ وَإِنْ كَانَ حَاكِمًا فَمَا كُلُّ حَاكِمٍ يَكُونُ سُلْطَانًا فَإِنَّ السُّلْطَانَ مَنْ تَكُونُ لَهُ الْحِجَّةُ لَاعَلَيْهِ وَهَذَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَفْلَكَ تَدُورُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ دَوْرَةً لِنَنْظُرَ الْوَلَاةَ مَا تَدْعُو حَاجَةَ الْخَلْقِ إِلَيْهِمْ فَيَسُدُّونَ الْخَلْلَ وَيَنْفِذُونَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كَوْنِهِ مَرِيدًا فِي خَلْقِهِ لَا مِنْ كَوْنِهِ أَمْرًا فَيَنْفِذُونَ أَحْكَامَهُ الَّتِي أَمَرَهُمْ سَبْحَانَهُ أَنْ يَنْفِذُوهَا فِيهِمْ وَهُوَ الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ فِي أَرْزَامٍ مُخْتَلِفَةٍ فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدْرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ فِي اللَّوْحِ الْخَفِوْظِ مَا فِيهِ إِلَّا مَا يَقَعُ وَلَا يَنْفِذُ هَؤُلَاءِ الْوَلَاةَ فِي الْعَالَمِ إِلَّا مَا فِيهِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ وَمَعَ هَذَا كُلُّهُ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَمْلُوكَةِ أَمْرٌ خَاصٌّ فِي نَفْسِهِ يَعْلَمُهُ الْوَلَاةَ وَالْحِجَابَ وَالنَّقْبَاءَ فَهُمْ لَا يَفْقَدُونَ مَشَاهِدَةَ ذَلِكَ الْوَجْهِ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَنَّهُ رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَإِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ زَمَامَ هَذِهِ الْأُمُورِ بِأَيْدِي هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَقْعَدَ مِنْ أَقْعَدِ مَنْهُمْ فِي بَرَجِهِ وَمَسْكَنِهِ الَّذِي فِيهِ تَحْتَ مَلِكِهِ وَأَنْزَلَ مِنْ أَنْزَلِ مِنَ الْحِجَابِ وَالنَّقْبَاءِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي سَمَاوَاتِهِمْ وَجَعَلَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَلَائِكَةً مَسْخُورَةً تَحْتَ أَيْدِي هَؤُلَاءِ الْوَلَاةِ وَجَعَلَ تَسْخِيرَهُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ فَمِنْهُمْ أَهْلُ الْعُرُوجِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الْحَقِّ إِلَيْنَا وَمِنَّا إِلَى الْحَقِّ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ وَمَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا فِي حَقِّنَا وَمِنْهُمْ الْمُسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ لَغَلْبَةِ الْغَيْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ

عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض ومنهم الموكلون بإيصال الشرائع ومنهم أيضا الموكلون باللمات ومنهم الموكلون بالإلهام وهم الموصولون العلوم إلى القلوب ومنهم الموكلون بالأرحام ومنهم الموكلون بتصوير ما يكون الله في الأرحام ومنهم الموكلون بفتح الأرواح ومنهم الموكلون بالأرزاق ومنهم الموكلون بالأقطار ولذلك قالوا وما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وما من حادث يحدث الله في العالم إلا وقد وكل الله بإجرائه ملائكة ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة كما منهم أيضا الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والساحجات والمليقات والمدبرات ومع هذا فما يزالون تحت سلطان هؤلاء الولاة إلا الأرواح المهمة فهم خصائص الله ومن دونهم فإنهم ينفذون أوامر الله في خلقه ثم إن العامة ما تشاهد إلا منازلهم والخاصة يشهدونهم في منازلهم كما أيضا تشاهد العامة أجرام الكواكب ولا تشاهد أعيان الحجاب ولا النقباء وجعل الله في العالم العنصري خلقا من جنسهم فمنهم الرسل والخلفاء والسلطين والملوك وولاة أمور العالم وجعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاة في الأرض من أهلها بينهم وبين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات ورفائق تمتد إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين منهم بحسب استعداد أنهم فمن كان استعداده قويا حسنا قبل ذلك الأمر على صورته طاهرا مطهرا فكان والي عدل وإمام فضل ومن كان استعداده رديئا قبل ذلك الأمر الظاهر ورده إلى شكله من الرداءة والتبجح فكان والي جور ونائب ظلم وبخل فلا يلومن إلا نفسه فقد أنبت لك سلطنة العالم العلوي على العالم السفلي وكيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب وما ذكرنا من ذلك إلا الأمهات لا غير يقول الله تعالى وأوحى في كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَقَالَ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ وَيَكْفِي هَذَا الْقَدْرُ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وفي كتاب التنزيلات الموصلية ذكرنا حديث هؤلاء الولاة والنواب والحجاب وما ولاهم الله عليه من التأثير في العالم العنصري الروحاني من ذلك ما تعرضنا لما تعطيه من الطبيعة والأمور البدنية وتكلمنا فيها على كل ما ذكرناه مفصلا في باب يوم الأحد وهو باب الإمام وبيننا ما بيد كل نائب من السبعة النقباء في باب يوم الأحد وسائر الأيام إلى يوم السبت وبيننا مقامات أرواح الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلنا هذه الألقاب الروحانية لأرواح الأنبياء عليهم السلام وبيننا مراتبهم في الرؤية والحجاب يوم القيامة وما يتكلمون به في أتباعهم من أهل السعادة والشقاء وذلك منه في باب يوم الإثنين بلسان آدم وترجمة القمر وجاء بديعا في شأنه والله المؤيد والموفق لا رب غيره

(الباب الحادي والستون في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات فيها عذابا ومعرفة بعض العالم العلوي)

كانت وأنجمها يزول ضياؤها	إن السماء تعود رتقا مثل ما
وعليه قام عمادها و بناؤها	هذا لينصفك المقيم بأرضها
من كان منها خلقه فسماؤها	فأشد خلق الله ألما بها
فلذلك يعظم في النفوس بلاؤها	تكسوه حلة ناره من نورها

اعلم عصمنا الله وإياك أن جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة والمشركون وهي لاهتين الطائفتين دار مقامة والكافرون والمنافقون وأهل الكباثر من المؤمنين قال تعالى وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ثم يخرج بالشفاعة من ذكرنا وبالامتنان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه وسميت جهنم جهنم لبعدها يقال بر جهنم إذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي على حرور وزمهير ففيها البرد على أقصى درجاته والحرور على أقصى درجاته وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين واختلف الناس في خلقها هل خلقت بعد أم لم تخلق والخلاف مشهور فيها وكل واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجة عنده وكذلك اختلفوا في الجنة وأما عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فأما قولنا مخلوقة فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فإذا دخلها لم ير إلا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف وسرايب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها مما يريد السالك أن يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها وهي دار حرورها هواء محترق لا جمر لها سوى بنى آدم والأحجار المتخذة آلهة والجن لهبها قال تعالى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ وَقَالَ لِكُلِّكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ قَالَ تَعَالَى فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن والإنس الذين يدخلونها وأوجدها الله بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة صورة الجاموس سواء هذا الذي يعول عليه عندنا وبهذه الصورة رآها أبو الحكم بن بركان في كشفه وقد تمثل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حية فيتخيل إن تلك الصورة هي التي خلقها الله عليها كأبي القاسم بن قسي وأمثاله ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكانت الشمس والأحمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدي وخلقها الله تعالى من تجلى قوله في حديث مسلم جعلت فلم تطعمني وظممت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني وهذا أعظم نزول نزله الحق إلى عباده في اللطف بهم فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعادنا الله وإياكم منها فلذلك تجبرت على الجبابة وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي ولا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانتها في رحمة الله منغمسون ملتذون يسبحون لا يفترون يقول تعالى وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ أَيُّ نَزَلَ بِكُمْ غَضَبِي فأضاف الغضب إليه وإذا نزل بهم كانوا محلاله وجهنم إنما هي مكان لهم وهم النازلون فيها وهم محل الغضب وهو النازل بهم فإن الغضب هنا هو عين الألم فمن لا معرفة له ممن يدعي طريقتنا ويريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل والقوة والمناسبة في الصفات فيقول إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي وإن الاسم القاهر هو ربها والمتحلي لها ولو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابة ولم يتمكن لها أن تقول هل من مزيدٍ ولا إن تقول أكل بعضي بعضا فنزول الحق برحمته إليها التي وسعت كل شيءٍ وحنانه وسع لها المجال في الدعوى والتسلط على من تجر على من أحسن إليها هذا الإحسان وجميع ما تفعله بالكفار من باب شكر

المنعم حيث أنعم عليها فما تعرف منه سبحانه إلا لنعمة المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها فالناس غاطون في شأن خلقها ومن أعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدية قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقى من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدية فما فرغ من كلامه صلى الله عليه وسلم إلا والصراخ في دار مناقق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذلك المنافق وأنه منذ خلقه الله يهوى في نار جهنم وبلغ عمره سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها قال تعالى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ فكان سماعهم تلك الهدية التي أسمعه الله ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوة وما أطف تعريفه وما أحسن إشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم ولقد سألت الله أن يمثل لي من شأنها ما شاء لي فمثل لي حالة خصامهم فيها وهو قوله تعالى إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ وقوله تعالى قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ لضلالهم وأهتهم إِذْ نَسَوْنَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا الَّذِينَ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِمْ وَأَمَّا زَوْجَ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ يريد بالمجرمين أهل النار الذين يعمرونها ولا يخرجون منها يمتازون عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين وسابق العناية الإلهية في الموحدن فهذا مثل لي في وقت منها فما شبهت خصامهم فيها إلا كخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم إذا استدل أحدهم فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة التي أطلعني الله عليها ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند الكتاب والسنة ولقد عمي الناس عن قوله صلى الله عليه وسلم عند نبي لا ينبغي تنازع وحضور حديثه صلى الله عليه وسلم كحضوره لا ينبغي أن يكون عند إيراده تنازع ولا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبوي فإن الله يقول لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَفْرُقُوا عِنْدَ أَهْلِ اللَّهِ بَيْنَ صَوْتِ النَّبِيِّ أَوْ حِكَايَةِ قَوْلِهِ فَمَا لَنَا إِلَّا التَّهْيُؤُ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ بِهِ الْحَدِيثُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ جِدَالٍ سِوَاكَ كَانَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ ابْتِدَاءٍ كَلَامٍ فَاَلْوَقُوفُ عِنْدَ كَلَامِهِ فِي الْمَسْأَلَةِ أَوْ فِي النَّازِلَةِ وَاجِبٌ فَمَتَى مَا قِيلَ قَالَ اللَّهُ أَوْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْبَغِي أَنْ يَقْبَلَ وَيَتَأَدَّبَ السَّامِعُ وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى صَوْتِ الْحَدِيثِ إِذَا قَالَ مَا قَالَ اللَّهُ أَوْ سَرَدَ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فَاجْرُوهَ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ وَمَا تَلَاهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا سَمِعَهُ السَّامِعُ إِلَّا مِنْهُ ثُمَّ إِذَا شَارَكَ السَّامِعُ فِي حَالِ كَلَامِهِ فَهُوَ لَيْسَ بِسَامِعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْآدَابِ الَّتِي أَدَّبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ وَلَا تُعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَاللَّهُ يَقُولُ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ وَتَوَعَدَ عَلَى ذَلِكَ بِجَبْطِ الْعَمَلِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ يَتَخِيلُ فِي رَدِّهِ وَخِصَامِهِ أَنَّهُ يَذُبُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَهَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ الَّذِي قَالَ فِيهِ سَتَسُدُّرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالَ وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَالْعَاقِلُ الْمُؤْمِنُ النَّاصِحُ نَفْسَهُ إِذَا سَمِعَ مِنْ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَنْصِتْ وَيَصْغُ وَيَتَأَدَّبْ وَيَتَفَهَّمْ مَا قَالَ اللَّهُ أَوْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَأَوْقَعَ التَّرْجِيَّ مَعَ هَذِهِ الصِّفَةِ وَمَا قَطَعَ بِالرَّحْمَةِ فَكَيْفَ حَالٌ مِنْ خَاصِمٍ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَدَاخَلَ التَّالِيَّ وَسَاءَ رَدُّ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي الْكَلَامِ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ التَّرْجِيَّ الْإِلَهِيَّ وَاجِبًا كَمَا يَرَاهُ الْعُلَمَاءُ وَلَمَّا عَايَنْتَ هَذَا الْحُلَّ رَأَيْتَ عَجَبًا وَفِي هَذِهِ الرَّؤْيَةِ رَأَيْتَ اعْتِمَادَ الْمَاءِ عَلَى الْهَوَاءِ وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ فِي عِمَارَةِ الْأَحْيَازِ وَإِنْ جَوْهَرِينَ لَا يَكُونَانِ فِي حَيْزٍ وَاحِدٍ وَإِنْ الْحَيْزُ لَنْ شَغَلَهُ وَفِي هَذِهِ الرَّؤْيَةِ عَلِمْتَ إِبْطَالَ التَّوَالِدِ وَأَنَّ الْحَرَكَةَ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنَّ السَّبَبَ لَا أَثَرَ لَهُ فِي الْفِعْلِ جَمْلَةً وَاحِدَةً وَفِي هَذِهِ الرَّؤْيَةِ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَطْلَفَ أَقْوَى مِنَ الْأَكْتَفِ فَإِنَّ الْهَوَاءَ أَطْفَ مِنَ الْمَاءِ بِلَا شَكٍّ وَقَدْ مَنَعَهُ وَلَمْ يَقَاوِمِ الْمَاءَ فِي الْقُوَّةِ وَمَنَعَهُ مِنَ النَّزُولِ فَإِنِّي رَأَيْتُ نَفْسِي فِي الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ فَوْقِي وَمَنَعَهُ الْهَوَاءُ مِنَ النَّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ وَفِي هَذِهِ الرَّؤْيَةِ عَلِمْتَ عُلُومًا جَمَّةً كَثِيرَةً وَفِي هَذِهِ الرَّؤْيَةِ رَأَيْتَ مِنْ دَرَكَاتِ أَهْلِ النَّارِ مَنْ كَوَّنَهَا جَهَنَّمَ لِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَطَّلِعَنِي مِنْهَا وَرَأَيْتُ فِيهَا مَوْضِعًا يَسْمَى الْمَظْلَمَةَ نَزَلَتْ فِي دَرَجَةٍ نَحْوِ خَمْسَةِ أَدْرَاجٍ وَرَأَيْتُ مَهَالِكَهَا ثُمَّ زَجَّ بِهَا فِي الْمَاءِ عَلُوًّا فَاخْتَرَقَتْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا وَعَلِمْتَ فِي أَحْوَالِ مَخَاصِمَتِهِمْ حَيْثُ يَخْتَصِمُونَ فِي الْجَحِيمِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْخِصَامَ هُوَ نَفْسُ عَذَابِهِمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَأَنَّ عَذَابَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَا هُوَ مِنْ جَهَنَّمَ وَإِنَّمَا جَهَنَّمَ دَارُ سَكَنَاتِهِمْ وَسَجْنَتِهِمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ الْأَلَامَ فِيهِمْ مَتَى شَاءَ فَعَذَابَهُمْ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَحَلُّ لَهُ وَخَلَقَ اللَّهُ لَجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ جِزَاءٌ مِنَ الْعَالَمِ وَمِنَ الْعَذَابِ مَقْسُومٍ وَهَذِهِ الْأَبْوَابُ السَّبْعَةُ مَفْتُوحَةٌ وَفِيهَا بَابٌ ثَامِنٌ مَغْلُوقٌ لَا يَفْتَحُ وَهُوَ بَابُ الْحِجَابِ عَنِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ عَرَفَتْ أَسْمَاءَهُمْ هُنَاكَ وَذَهَبَتْ عَنِ حَفْظِي إِلَّا إِسْمَاعِيلَ فَهُوَ بَقِيَ عَلَيَّ ذِكْرِي وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ كُلُّهَا فَهِيَ فِي جَهَنَّمَ مَظْلَمَةُ الْأَجْرَامِ عَظِيمَةِ الْخَلْقِ وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالطُّلُوعُ وَالْغُرُوبُ لَهَا فِي جَهَنَّمَ دَائِمًا فَشَمْسُهَا شَارِقَةٌ لَا مَشْرِقَةَ وَالتَّكْوِينَاتُ عَنِ سَيْرِهَا بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِتِلْكَ الدَّارِ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَمَا تَغْيِيرُهَا مِنَ الصُّورِ فِي التَّبْدِيلِ وَالِاتِّثَارِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَالحَالَةُ مَسْتَمِرَّةٌ فِيهِ الْبُرْزُخُ يَكُونُ الْعَرَضُ وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَكُونُ الدِّخُولُ فَذَوَاتُ الْكَوَاكِبِ فِيهَا صُورَتُهَا صُورَةُ الْكَسُوفِ عِنْدَنَا سِوَا غَيْرِ وَأَنَّ وَزْنَ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ فِي تِلْكَ الدَّارِ خِلَافَ مِيزَانِهَا الْيَوْمَ فَإِنَّ كَسُوفَهَا مَا يَنْجَلِي وَهُوَ كَسُوفٌ فِي ذَاتِهَا لَا فِي أَعْيُنِنَا وَالْهَوَاءُ فِيهَا فِيهِ تَطْلِيفٌ فَيَحُولُ بَيْنَ الْأَبْصَارِ وَبَيْنَ إِدْرَاكِ الْأَنْوَارِ كُلِّهَا فَتَبْصُرُ الْأَعْيُنُ الْكَوَاكِبَ الْمُنْتَشِرَةَ غَيْرَ نِيرَةِ الْأَجْرَامِ كَمَا يَعْلَمُ قَطْعًا إِنَّ الشَّمْسَ هُنَا فِي ذَاتِهَا نِيرَةٌ وَأَنَّ الْحِجَابَ الْقَمَرِيَّ هُوَ الَّذِي مَنَعَ الْبَصَرَ أَنْ يَدْرِكَهَا أَوْ يَدْرِكَ نُورَ الْقَمَرِ أَوْ مَا كَانَ مَكْسُوفًا وَهَذَا فِي زَمَانِ كَسُوفِ شَيْءٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعٍ يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَا يَكُونُ مِنْهُ شَيْءٌ فَلَمَّا اخْتَلَفَتِ الْأَبْصَارُ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ الْأَمَاكِنِ عَلِمْنَا قَطْعًا أَنَّ ثَمَّ أَمْرًا عَارِضًا عَرَضَ فِي الطَّرِيقِ حَالِ بَيْنَ الْبَصَرِ وَبَيْنَهَا أَوْ بَيْنَ نُورِهَا كَالْقَمَرِ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِدْرَاكِ جِزْمِ الشَّمْسِ وَظِلُّ الْأَرْضِ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نُورِ الْقَمَرِ لَا يَبْنُكَ وَبَيْنَ جِزْمِهِ مِثْلُ مَا حَالَ الْقَمَرِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ جِزْمِ الشَّمْسِ وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَكُونُ مِنْكَ وَيَكُونُ مِنْهُ وَهَكَذَا سَائِرُ الْكَوَاكِبِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ فَإِنَّ ذَلِكَ الْكَسُوفُ كُلُّهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ خَشُوعٌ مِنَ الْمَكْسُوفِ عَنِ تَجَلُّهِ الْإِلَهِيِّ حَصَلَ لَهُ وَحَدَّ جَهَنَّمَ بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنَ الْحِسَابِ وَدَخُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْجَنَّةِ مِنْ مَقْعَرِ فَلَكَ الْكَوَاكِبُ الثَّابِتَةُ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ فَهَذَا كُلُّهُ يَزِيدُ فِي جَهَنَّمَ

مما هو الآن ليس مخلوقا فيها ولكن ذلك معد حتى يظهر إلا الأماكن التي قد عينها الله من الأرض فإنها ترجع إلى الجنة يوم القيامة مثل الروضة التي بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبره صلى الله عليه وسلم وكل مكان عينه الشارع وكل نهر فإن ذلك كله بصير إلى الجنة وما بقي فيعود نارا كاله وهو من جهنم ولهذا كان يقول عبد الله بن عمر إذا رأى البحر يقول يا بحر متى تعود نارا وقال تعالى وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ أَيُ أَجِبَتْ نَارًا مِنْ سَجَرَاتِ النَّوْرِ إِذَا أَوْقَدْتَهُ وَكَانَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ كَبْرَةَ الْوَضُوءَ بِمَاءِ الْبَحْرِ وَيَقُولُ التَّمِيمُ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْهُ وَلَوْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ أَبْصَارِ الْخَلْقِ الْيَوْمَ لَرَأَوْهُ يَتَأَجَّجُ نَارًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَظْهَرُ مَا يَشَاءُ وَيَخْفَى مَا يَشَاءُ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَكْثَرُ مَا يَجْرِي هَذَا الْأَهْلُ الْوَرَعُ فَيَرَى الطَّعَامَ الْحَرَامَ صَاحِبَ الْوَرَعِ الْمُحْفَظِ خَنْزِيرًا أَوْ عَذْرَةَ وَالشَّرَابَ خَمْرًا لَا يَشْكُ فِيمَا يَرَاهُ يَرَاهُ جَلِيسَهُ قَرِصَةَ خَبْزِ طَبِيبَةٍ وَيَرَى الشَّرَابَ مَاءً عَذْبًا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هُوَ صَاحِبُ الْحَسَنِ الصَّحِيحِ مِنْ صَاحِبِ الْخَيَالِ هَلِ الَّذِي أَدْرَكَ الْحُكْمَ الشَّرْعِي صُورَةً أَوْ هَلِ الَّذِي أَدْرَكَ الْحَسُوسَ فِي الْعَادَةِ عَلَى حَالِهِ وَهَذَا مِمَّا يَقْوِي مَذْهَبَ الْمُعْتَزَلَةِ فِي أَنَّ الْقَبِيحَ قَبِيحٌ لِنَفْسِهِ وَالْحَسَنَ حَسَنٌ لِنَفْسِهِ وَأَنَّ الْإِدْرَاكَ الصَّحِيحَ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ أَدْرَكَ الشَّرَابَ الْحَرَامَ خَمْرًا فَلَوْلَا أَنَّهُ قَبِيحٌ لِنَفْسِهِ مَا صَحَّ هَذَا الْكَشْفُ لِصَاحِبِهِ وَلَوْ كَانَ فَعَلَهُ عَيْنٌ تَعْلُقُ الْخَطَابَ بِالْحَرَمَةِ وَالْقَبِيحَ مَا ظَهَرَ ذَلِكَ الطَّعَامَ خَنْزِيرًا فَإِنَّ الْفِعْلَ مَا وَقَعَ مِنَ الْمَكْلُوفِ فَإِنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ لَهُ صُورَتَهُ وَأَنَّهُ قَبِيحٌ حَتَّى لَا يَقْدَمَ عَلَى أَكْلِهِ وَهَذَا بَعِينُهُ يَتَصَوَّرُ فِيمَنْ يَدْرِكُهُ طَعَامًا عَلَى حَالِهِ فِي الْعَادَةِ وَلَكِنْ هَذَا أَحَقُّ فِي الشَّرْعِ فَعَلِمَ قَطْعًا إِنْ يَرَاهُ طَعَامًا عَلَى عَادَتِهِ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَقِيقَةِ حُكْمِ الشَّرْعِ فِيهِ بِالْقَبِيحِ وَلَوْ كَانَ الشَّيْءُ قَبِيحًا بِالْقَبِيحِ الْوَضْعِيِّ لَمْ يَصْدُقْ قَوْلُ الشَّرْعِ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهُ إِنَّهُ قَبِيحٌ أَوْ حَسَنٌ فَإِنَّهُ خَبِرَ بِالشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْأَحْكَامَ الْخَبِيرَةَ بِالشَّيْءِ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ عَارِفٍ بِالْكَلَامِ فَإِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَّ هَذَا حَرَامٌ وَهَذَا حَلَالٌ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى فِي ذِمِّ مَنْ قَالَ عَنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ وَلَا يَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ فَإِنَّهُ الْحَقُّ الْحَكْمُ بِالْخَبَرِ لِأَنَّهُ خَبِرَ بِالشَّيْءِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي قُوَّةِ الْبَشَرِ فِي أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ إِدْرَاكَ قَبِيحِ الْأَشْيَاءِ وَلَا حَسَنَتِهَا فَإِذَا عَرَفْنَا الْحَقَّ بِهَا عَرَفْنَا هَا وَمِنْهَا مَا يَدْرِكُ قَبِيحَهُ عَقْلًا فِي عَرَفْنَا مِثْلَ الْكُذْبِ وَكُفْرِ الْمُنْعَمِ وَحَسَنَتِهِ عَقْلًا مِثْلَ الصَّدَقِ وَشُكْرِ الْمُنْعَمِ وَكَوْنِ الْإِثْمِ يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الصَّدَقِ وَالْأَجْرُ يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْكُذْبِ فَذَلِكَ لِلَّهِ يُعْطِي الْأَجْرَ عَلَى مَا شَاءَ مِنْ قَبِيحٍ وَحَسَنٍ وَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى حَسَنِ الشَّيْءِ وَلَا قَبِيحِهِ كَالْكَذْبِ فِي نَجَاةِ مُؤْمِنٍ مِنْ هَالِكٍ يُؤْجَرُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَإِنْ كَانَ الْكُذْبُ قَبِيحًا فِي ذَاتِهِ وَالصَّدَقُ كَالْغَيْبَةِ يَأْتُمُّ بِهَا الْإِنْسَانُ وَإِنْ كَانَ الصَّدَقُ حَسَنًا فِي ذَاتِهِ فَذَلِكَ أَمْرٌ شَرْعِيٌّ يُعْطِي فَضْلَهُ مِنْ شَاءَ وَيَمْنَعُهُ مِنْ شَاءَ كَمَا قَالَ يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ شَاءَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَعَلِمَ أَنَّ أَشَدَّ الْخَلْقِ عَذَابًا فِي النَّارِ إِبْلِيسُ الَّذِي سَنَّ الشَّرْكَ وَكُلَّ مَخَالِفَةٍ وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّارِ فَعَذَابُهُ بِمَا خَلِقَ مِنْهُ لَا تَرَى النَّفْسَ بِهَ تَكُونُ حَيَاةَ الْجَسْمِ الْحَسَّاسِ فَإِذَا مَنَعَ بِالشَّنَقِ أَوْ الْخَنْقِ خُرُوجَ ذَلِكَ النَّفْسِ انْعَكَسَ رَاجِعًا إِلَى الْقَلْبِ فَأَحْرَقَهُ مِنْ سَاعَتِهِ فَهَالِكٌ لِحَيْنِهِ فَبِالنَّفْسِ كَانَتْ حَيَاتُهُ وَبِهِ كَانَ هَالِكُهُ وَهَالِكُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالنَّفْسِ مِنْ كَوْنِهِ مَتَنَفَسًا لَا مِنْ كَوْنِهِ ذَا نَفْسٍ وَلَا مِنْ كَوْنِهِ مَتَنَفَسًا فَقَطُّ بَلْ مِنْ كَوْنِهِ يَجْذِبُ بِالْقُوَّةِ الْجَاذِبَةِ نَفْسَ الْهَوَاءِ الْبَارِدِ إِلَى قَلْبِهِ وَيَخْرِجُ بِالْقُوَّةِ الدَّافِعَةِ النَّفْسَ الْحَارَّ الْمُحْرَقَ مِنْ قَلْبِهِ فَسَبَبَ هَذِهِ الْأَحْوَالُ بِهَا تَكُونُ حَيَاتُهُ فَإِنَّ الَّذِي يَرْمَى

في النار هو متنفس ولكن لا يخلو من أحد الوجهين إما إنه لا يتنفس في النار فتكون حالته حالة المشنوق الذي يخنق بالحبل فيقتله نفسه وإما أن يتنفس فيجذب بالقوة الجاذبة هواء ناريا محرقا إذا وصل إلى قلبه أحرقه فلماذا قلنا في سبب الحياة هذه الأمور كلها فعذاب إبليس في جهنم بما فيها من الزمهير فإنه يقابل النار الذي هو أصل نشأة إبليس فيكون عذابه بالزمهير وبما هو نار مركبة فيه من ركن الهواء والماء والتراب فلا بد أن يعذب بالنار على قدر مخصوص وعامة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقه والنار نار نار حسية وهي المسلطة على إحساسه وحيوانيته وظاهر جسمه وباطنه و نار معنوية وهي التي تطلع على الأفئدة وبها يعذب روحه المدبر لهيكله الذي أمر فعصى فمخالفته عذبه وهي عين جهله بمن استكبر عليه فلا عذاب على الأرواح أشد من الجهل فإنه غبن كله ولهذا سمي يومُ التَّعَابِين يريد يوم عذاب النفوس فيقول يا ويلتا على ما فرطتُ وهو يومُ الحَسْرَةِ يقول يوم الكشف من حسرت عن الشيء إذا كشفت عنه فكأنه يقول يا ليتني حسرت عن هذا الأمر في الدنيا فأكون على بصيرة من أمري فيعتب في نفسه والتعابن يدرك في ذلك اليوم الكل الطائع والعاصي فالطائع يقول يا ليتني بذلت جهدي ووفيت حق استطاعتي وتدبرت كلام ربي فعملت بمقتضاه مع كونه سعيدا والمخالف يقول يا ليتني لم أخالف ربي فيما أمرني به ونهاني ف ذلك يومُ التَّعَابِين وسيأتي هذا في باب يوم القيامة إن شاء الله ولما أعلمناك بمرتبة النفس والتنفس إنما جئنا به لتعلم إن جهنم لما اختص بالأم أهلها صفة الغضب الإلهي واختص بوجودها النزول الرحماني الإلهي وجاء في الخبر الصحيح نفس الرحمن مشعرا بصفة الغضب فكان التنفس ملحقا صفة الغضب بمن حل به ولهذا لما أتى نفس الرحمن من قبل اليمن حل الغضب الإلهي بالكفار بالقتل والسيف الذي وقعت بهم الأنصار فنفس الله بذلك عن دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم فإن ذا الغضب إذا وجد على من يرسل غضبه نفس عنه ما يجده من ألم الغضب وأكمل الصورة في محمد صلى الله عليه وسلم فقام به على الكفار لأجل ردهم كلمة الله صفة الغضب فنفس الرحمن عنه بما أمره به من السيف ونفس عنه بأصحابه وأنصاره فوجد الراحة فإنه وجد حيث يرسل غضبه فافهم من هذا آلام أهل النار والصورة الحجابية المحمدية على الغضب الإلهي على أعداء الله وإن الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم ونفس الله عن دينه وهو أمره وكلامه وهو عين علمه في خلقه وعلمه ذاته جل وتعالى وقد بينا لك أمر جهنم من حيث ما هي دار فلنئين إن شاء الله في الباب الذي يلي هذا الباب مراتب أهل النار ثم اعلم أن الله قد جعل فيها مائة درك في مقابلة درج الجنة ولكل درك قوم مخصوصون لهم من الغضب الإلهي الحال بهم آلام مخصوصة وأن المتولي عذابهم من الولاية الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب القائم والإقليد والحامد والنائب والسادن والجابر فهؤلاء الأملاك من الولاية هم الذين يرسلون عليهم العذاب بإذن الله تعالى ومالك هو الخازن وأما بقية الولاية مع هؤلاء الذين ذكرناهم وهم الحائر والسائق والماتح والعاذل والدائم والحافظ فإن جميعهم يكونون مع أهل الجنان وخازن الجنان رضوان وإمدادهم إلى أهل النار مثل إمدادهم إلى أهل الجنة فإنهم يمدونهم بحقائقهم وحقائقهم لا تختلف فيقبل كل طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ما تعطيههم نشأتهم فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحل كما قلنا في المبرود إنه يتنعم بحر الشمس والحورر يتعذب بحر الشمس فنفس ما وقع به

النعيم به عينه وقع به الألم عند الآخر فالله ينشئنا نشأة النعماء كما قال تعالى في حق الأبرار تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ أي هم في خلقهم على هذه الصفة ونشأة أهل النار تخالف نشأة أهل الجنان فإن نشأة الجنة إنما هو من الحق سبحانه على أيدي الولاة خاصة ونشأة أهل النار على أيدي الولاة والحجاب والتقباء والسدية على كثرتهم فإنه لا يخصصي عددهم إلا الله ولكل ملك منهم في هذه النشأة الدنيوية ونشأة النار ونشأة أهلها حكم سخره الله في ذلك فهم كالفعل في المملكة وإنشاء الدار المبنية وسيأتي إن شاء الله ذكر الجنة وما فيها وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني والستون في مراتب أهل النار)

وليس فيها اختصاصات وإنجاز	مراتب النار بالأعمال تمتاز
بشرى وإن عذبوا فيها بما حازوا	بوزن أفعال قد جاء العذاب له
تعذبوا فلهم ذل و إعزاز	لا يخرجون من النار ولو خرجوا
وعزهم ما لم حد إذا جازوا	فذلهم كونهم في النار ما برحوا
محقق في علوم الوهب إعجاز	في قولنا إن تأملت لذي نظر
فيه لطائف آيات و إيجاز	فيه اختصار بدیع لفظه حسن
يا أيها المجرمون اليوم فامتازوا	قال الجليل لأهل الحق بينهمو
ولبسهم عند أهل الكشف أخزاز	مثل الملوك تراهم في نعيمهم
كأنهم مثل ما قد قال إعجاز	ومن جسومهم في النار تحسبهم

قولنا بوزن أفعال أريد قوله تعالى لِإِنَّ فِيهَا أَحْقَابًا وهو من أوزان جمع القلة فإن أوزان جمع القلة أربعة افعال مثل كلب وأفعال مثل أحقاب و فعلة مثل فنية وأفعلة مثل أحمره وجمع ذلك بعض الأدباء في بيت من الشعر فقال

بأفعل وبأفعال وأفعلة وفعلة يجمع الأذن من العدد

يقول الله تعالى من كرمه لإبليس وعموم رحمته حين قال له أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتِ عَلَيَّ . . . لَأَحْنِئَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَفْزِرْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ فَمَا جَاءَ إبليس إلا بأمر الله تعالى فهو أمر إلهي يتضمن وعيدا وتهديدا وكان ابتلاء شديدا في حقنا ليريه تعالى أن في ذريته من ليس لإبليس عليه سلطان ولا قوة ثم إن الذي خذلم الله من العباد جعلهم طائفتين طائفة لا تضرهم الذنوب التي وقعت منهم وهو قوله وَ اللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا فَلاتسهم النار بما تاب الله عليهم واستغفار الملأ الأعلى لهم ودعائه لهذه الطائفة وطائفة أخرى أخذهم الله

بذنوبهم والذين أخذهم الله بذنوبهم قسمهم بقسمين قسم أخرجهم الله من النار بشفاعته الشافعين وهم أهل الكبائر من المؤمنين وبالعبادة الإلهية وهم أهل التوحيد بالنظر العقلي وقسم آخر أبقاهم الله في النار وهذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها وهم المجرمون خاصة الذين يقول الله فيهم **وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ** أي المستحقون بأن يكونوا أهلاً لسكنى هذه الدار التي هي جهنم يعمرونها ممن يخرج منها إلى الدار الآخرة التي هي الجنة وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلها في النار لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وهم المتكبرون على الله كفرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله فقال يا أيها الملأ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي وقال آتَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى يريد أنه ما في السماء إله غيري وكذلك نمرود وغيره والطائفة الثانية المشركون وهم الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فقالوا مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وقالوا أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إلهًا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ والطائفة الثالثة المعطلة وهم الذين نفوا الإله جملة واحدة فلم يشبوا إلهًا للعالم ولا من العالم والطائفة الرابعة المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاثة للفهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذرايعهم وهم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث فهؤلاء أربعة أصناف هم الذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جن وإنس وإنما كانوا أربعة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتي من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا فيأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمعطل من خلفه ويأتي إلى المتكبر من عن يمينه ويأتي إلى المنافق من عن شماله وهو الجانب الأضعف فإنه أضعف الطوائف كما إن الشمال أضعف من اليمين وجعل المتكبر من اليمين لأنه محل القوة فتكبر لقوته التي أحسها من نفسه وجاء للمشرك من بين يديه فإنه رأى إذ كان بين يديه جهة عينية فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك مع الله في ألوهيته وجاء للمعطل من خلفه فإن الخلف ما هو محل النظر فقال له ما ثم شيء أي ما في الوجود إله ثم قال الله تعالى في جهنم لها سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ فهذه أربع مراتب لهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب التي دخل عليهم منها إبليس في السبعة الأبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلاً وكذلك جعل الله المنازل التي قدرها الله للإنسان المفرد وهو القمر وغيره من السيارة الخنفس الكنيس تسير فيها وتنزلها لإيجاد الكائنات فيكون عند هذا السير ما يتكون من الأفعال في العالم العنصري فإن هذه السيارة قد انحصرت في أربع طبائع مضرورية في ذواتها وهن سبعة فخرج منها منازلها الثمانية والعشرون ذلك بتقدير العزيز العليم كما قال **كُلُّ فِي فَلَكَ يُسَبِّحُونَ** وكان مما ظهر عن هذا التسيير الإلهي في هذه الثمانية والعشرين وجود ثمانية وعشرين حرفاً ألف الله الكلمات منها وظهر الكفر في العالم والايان بأن تكلم كل شخص بما في نفسه من إيمان وكفر وكذب وصدق لتقوم الحجة لله على عباده ظاهراً بما تلفظوا به ووكل بهم ملائكة يكتبون ما تلفظوا به قال تعالى **كِرَامًا كَاتِبِينَ** وقال ما يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ فجعل منازل النار ثمانية وعشرين منزلاً و جهنم كلها مائة درك من أعلاها إلى أسفلها نظائر درج الجنة التي ينزل فيها السعداء وفي كل درك من هذه الدركات ثمانية وعشرون منزلاً فإذا ضربت ثمانية وعشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفين وثمانمائة منزل فهي الثمانية والعشرون مائة فما برحت الثمانية والعشرون تصحبنا وهذه منازل

النار فلكل طائفة من الأربع سبعمائة نوع من العذاب وهم أربع طوائف فالجموع ثمان وعشرون مائة نوع من العذاب كما لأهل الجنة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم كَمَلَّ حَبَّةً أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً فَالجموع سبعمائة وهم أربعة طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون فلكل متصدق من هؤلاء الأربعة سبعمائة ضعف من النعيم في عملهم فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي وموازنته في خلقه في الدارين الجنة والنار لإقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم وجزاء العذاب فهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة وأهل النار للتساوي في عدد الدرج والدرك ويقع الامتياز بأمر آخر وذلك أن النار امتازت عن الجنة بأنه ليس في النار دركات اختصاص إلهي ولا عذاب اختصاص إلهي من الله فإن الله ما عرفنا قط إنه اختص بنقمة من يشاء كما أخبرنا أنه يَخَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وبفضله فالجنة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص فالأهل السعادة ثلاث جنات جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث وذلك أنه ما من شخص من الجن والإنس إلا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لإمكانه الأصلي فإنه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم أو يوجد فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم وقبول العذاب فالجنة تطلب الجميع والجميع يطلبها والنار تطلب الجميع والجميع يطلبها فإن الله يقول وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ أَي أَنَّهُمْ قَابِلُونَ لِذَلِكَ وَلَكِنْ حَقَّتْ الْكَلِمَةُ وَسَبَقَ الْعِلْمُ وَنَفَذَتِ الْمَشِيئَةُ فَلَا رَادَ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ فَيَنْزِلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمِيرَاثِ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ لِأَهْلِ النَّارِ لَوْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَهُمْ جَنَّاتُ الْاِخْتِصَاصِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا فَهَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُمْ بِطَرِيقِ الْوَرِثِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَلَمْ يَقُلْ فِي أَهْلِ النَّارِ إِنَّهُمْ يَرِثُونَ مِنَ النَّارِ أَمَا كُنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَوْ دَخَلُوا النَّارَ وَهَذَا مِنْ سَبَقِ الرَّحْمَةِ بِعَمُومِ فَضْلِهِ سَبَّحَانَهُ فَمَا نَزَلَ مِنْ نَزْلِ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا بِأَعْمَالِهِمْ وَلِهَذَا يَبْقَى فِيهَا أَمَا كُنْ خَالِيَةً وَهِيَ الْأَمَاكِنُ الَّتِي لَوْ دَخَلَهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ عَمَرُوهَا فَيَخْلُقُ اللَّهُ خَلْقًا يَعْمُرُوهَا عَلَى مِزَاجٍ لَوْ دَخَلُوا بِهَ الْجَنَّةَ تَعَذَّبُوا وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ الْجَبَّارَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَقُولُ قَطُّ قَطُّ أَيُّ حَسْبِي حَسْبِي فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهَا هَلِ امْتَلَأْتِ فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَإِنَّهُ قَالَ لِلْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤْهَا فَمَا اشْتَرَطَ لَهَا إِلَّا أَنْ يَمْلَأَهَا خَلْقًا وَمَا اشْتَرَطَ عَذَابًا مِنْ يَمْلَأُهَا بِهِمْ وَلَا نَعِيمَهُمْ وَإِنَّ الْجَنَّةَ أَوْسَعُ مِنَ النَّارِ بِلَاشِكِ فَإِنَّ عَرْضَهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ فَمَا ظَنَنْكَ بِطَوْلِهَا فَهِيَ لِلنَّارِ كَمَحِيطِ الدَّائِرَةِ مِمَّا يَحْوِي عَلَيْهِ وَفِي التَّنَزُّلَاتِ الْمَوْصُولِيَةِ رَسْمَانَهَا وَبَيْنَاهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهَا فِي بَابِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَالنَّارِ عَرْضُهَا قَدْرُ الْخَطِّ الَّذِي يَمِيزُ قَطْرِي دَائِرَةَ فَلَكَ الْكَوَاكِبُ الثَّابِتَةُ فَأَيْنَ هَذَا الضِّيقُ مِنْ تِلْكَ السَّعَةِ وَسَبَبُ هَذَا الْاِتِّسَاعِ جَنَّاتُ الْاِخْتِصَاصِ الْإِلَهِيِّ فَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ يَبْقَى أَيْضًا فِي الْجَنَّةِ أَمَا كُنْ مَا فِيهَا أَحَدٌ فَيَخْلُقُ اللَّهُ خَلْقًا لِلنَّعِيمِ يَعْمُرُهَا بِهِمْ وَهُوَ أَنْ يَضَعَ الرَّحْمَنُ فِيهَا قَدَمَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا فِي جَنَّاتِ الْاِخْتِصَاصِ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ يَخَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَمَنْ كَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَنْزَلَ أَهْلَ النَّارِ إِلَّا عَلَى أَعْمَالِهِمْ خَاصَّةً وَأَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ فَذَلِكَ لِطَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ وَهِيَ الْأُتَمَّةُ الْمَضْلُونَ يَقُولُ تَعَالَى وَيَحْمِلُنْ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ أَضَلُّوا الْعِبَادَ وَأَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الشُّبُهَةَ الْمَضْلَةَ فَحَادُوا بِهَا عَنْ سَبِيلِ

فصلوا وأضلوا وقالوا لهم اتبعوا سبيلنا ولتحمل خطاياكم يقول الله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكانوا في هذا القول بل هم حاملون خطاياهم والذين أضلوهم يحملون أيضا خطاياهم وخطايا هؤلاء مع خطاياهم ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء يقول صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا فهو قوله ثم أزدوا كفرا فهؤلاء قيل فيهم زدتهم عذابا فوق العذاب فما أنزلوا من النار إلا منازل استحقاق بخلاف الجنة فإن أهل الجنة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفار في النار بأعمالهم وأنزلوا أيضا منازل ووراثه ومنازل اختصاص وليس ذلك في أهل النار ولا بد لأهل النار من فضل الله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار لأنهم ليسوا بخارجين من النار أبدا فلا يموتون فيها ولا يحيون فتتخدر جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها و ثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيما خياليا مثل ما يراه النائم و جلده كما قال تعالى كلما نصبت جلودهم هو كما قلنا خدرها فزمان النضج والتبدل يفقدون الآلام لأنه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقهم فيكونون في النار كالآمة التي دخلتها وليست من أهلها فأما تهم الله فيها إمامة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم الحديث بكما له ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته وأما أبواب جهنم فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ما ذكر ولكن من هؤلاء الأربع الطوائف الذين هم أهلها ومن خرج بالشفاعة أو العناية ممن دخلها فقد جاء ببعض ما وصف الله به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك وهي باب الجحيم و باب سقر و باب السعير و باب الحطمة و باب لظى و باب الحامية و باب الهاوية و سميت الأبواب بصفات ما وراءها مما أعدت له و وصف الداخلون فيها بما ذكر الله تعالى في مثل قوله في لظى إنها تدعوا من أدبر و تولى و جمع فأوعى و قال ما يقول أهل سقر إذا قيل لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين و لم نك نطعم المسكين و كنا نحوس مع الخائضين و كنا نكذب بيوم الدين و قال في أهل الجحيم إنه يكذب بيوم الدين و ما يكذب به إلا كل معتد أثم فوصفه بالإثم و الاعتداء ثم قال فيهم ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون و هكذا في الحطمة و السعير و غير ذلك مما جاء به القرآن أو السنة فهذا قد ذكرنا الأمهات و الطبقات و أما مناسبات الأعمال لهذه المنازل فكثيرة جدا يطول الشرح فيها و لو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فإن المجال رحب ولكن الأعمال المذكورة و لعذاب عليها مذكور فمتى و قفت على شيء من ذلك و كتبت على نور من ربك و بينة فإن الله يطالعك عليه بكرمه و الذي شرطنا في هذا الباب و ترجمنا عليه إنما كان ذكر المراتب و قد ذكرناها و بينها و نبهنا على مواضع يحول فيها نظر الناظر من كتابي هذا من الآيات التي استشهدنا بها في هذا الباب من أوله من أمر الله إبليس بما ذكر له فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي أمر يعود عليه منه من حيث ما هو ممتثل أم لا و أشباه هذه التنبيهات إن و قفت لذلك عشرت على علوم جملة إلهية مما يختص بأهل الشقاء و النار و هذا القدر في هذا الباب كاف و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل

(الباب الثالث و الستون في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا و البعث)

مراتب برزخيات لها سور	بين القيامة و الدنيا لذي نظر
قبل الممات عليه اليوم فاعتبروا	تحوي على حكم ما قد كان صاحبها
تبدي العجائب لا تُبقي ولا تدرُ	لها على الكل أقدام و سلطنة
تقيد و هي لا عين و لا أثر	لها مجال رحيب في الوجود بلا
فكيف يخرج عن أحكامها بشر	تقول للحق كن و الحق خالقها
فيها الدلائل و الإعجاز و العبر	فيها العلوم و فيها كل قاصمة
و لا انتضى غرض فينا و لا وطر	لو لا الخيال لكننا اليوم في عدم
الشرع جاء به و العقل و النظر	كان سلطانها إن كنت تعقلها
تنفك عن صور إلا أتت صور	من الحروف لها كاف الصفات فما

قولنا كان سلطانها برقع سلطانها أي سلطان الخيال هو عين كان و هو معنى قوله صلى الله عليه و سلم اعبد الله كأنك تراه فهي خير و سلطانها مبتدأ تقدير الكلام سلطان حضرة الخيال من الألفاظ هو كان اعلم أن البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين لا يكون متطرفاً أبداً كالخط الفاصل بين الظل و الشمس و قوله تعالى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ و معنى لَا يَبْغِيَانِ أي لا يختلط أحدهما بالآخر و إن عجز الحس عن الفصل بينهما و العقل يقضي أن بينهما حاجزاً يفصل بينهما فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ فإن أدرك بالحس فهو أحد الأمرين ما هو البرزخ و كل أمرين يقتدران إذا تجاورا إلى برزخ ليس هو عين أحدهما و فيه قوة كل واحد منهما و لما كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم و غير معلوم و بين معدوم و موجود و بين منفي و مثبت و بين معقول و غير معقول سمي برزخاً اصطلاحاً و هو معقول في نفسه و ليس إلا الخيال فإنك إذا أدركته و كت عاقلاً تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً و وقع بصرك عليه و تعلم قط ما بدليل أنه ما ثم شيء رأساً و أصلاً فما هو هذا الذي أثبت له شئسية وجودية و نفيها عنه في حال إثباتك إياها فالخيال لا موجود و لا معدوم و لا معلوم و لا مجهول و لا منفي و لا مثبت كما يدرك الإنسان صورته في المرآة يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه و يعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه لما يرى فيها من الدقة إذا كان جرم المرآة صغيراً و يعلم أن صورته أكبر من التي رأى بما لا يتقارب و إذا كان جرم المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر و يقطع أن صورته أصغر مما رأى و لا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته و يعلم أنه ليس في المرآة صورته و لا هي بينه و بين المرآة و لا هو انعكاس شعاع البصرة إلى الصورة المرئية فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها إذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها و ما هي عليه و في رؤيتها في السيف من الطول أو العرض يتبين لك ما ذكرنا مع علمه أنه رأى صورته بلا شك فليس بصادق و لا كاذب في قوله إنه رأى صورته ما رأى صورته فما تلك الصورة المرئية و أين محلها و ما شأنها فهي منفية ثابتة موجودة معدومة معلومة مجهولة أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة

لعبده ضرب مثال ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز و حار في درك حقيقة هذا و هو من العالم و لم يحصل عنده علم بحقيقته فهو بخالفها أعجز و أجهل و أشد حيرة و نهبه بذلك أن تجليات الحق له أرق و أطف معنى من هذا الذي قد حارت العقول فيه و عجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها أن تقول هل لهذا ماهية أو لا ماهية له فإنها لا تلحقه بالعدم المحض و قد أدرك البصر شيئاً ما و لا بالوجود المحض و قد علمت أنه ما ثم شيء و لا بالإمكان المحض و إلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه و بعد موته فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها تخاطبه و يخاطبها أجساداً لا يشك فيها و المكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه و الميت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً و يرى الموت كبشاً أملح بذيح و الموت نسبة مفارقة عن اجتماع فسبحان من يجهل فلا يعلم و يعلم فلا يجهل لا إله إلا هو العزيز الحكيم و من الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس و من الناس من يدركه بعين الخيال و أعني في حال اليقظة و أما في النوم فبعين الخيال قطعاً فإذا أراد الإنسان أن يفرق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة فلينظر إلى المتخيل و ليقده بنظره فإن اختلفت عليه أكوام المنظور إليه لاختلافه في التكوينات و هو لا ينكر أنه ذلك بعينه و لا يقده النظر عن اختلاف التكوينات فيه كالناظر إلى الحباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلا شك ما هو عين الحس فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس و قليل من يتقطن إلى هذا ممن يدعي كشف الأرواح النارية و النورية إذا تمثلت لعينه صوراً مدركة لا يدري بما أدركها هل بعين الخيال أو بعين الحس و كلاهما أعني الإدراكين بحاسة العين فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال و بعين الحس و هو علم دقيق أعني العلم بالفصل بين العينين و بين حاسة العين و عين الحس و إذا أدركت العين المتخيل و لم تغفل عنه و رأته لا تختلف عليه التكوينات و لا رأته في مواضع مختلفة معاً في حال واحدة و الذات واحدة لا يشك فيها و لا انتقلت و لا تحولت في أكوام مختلفة فتعلم أنها محسوسة لا متخيلة و أنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال و من هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى و هو منزه عن الصورة و المثال و ضبط الإدراك إياه و تقيده و من هنا تعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري يتحلى في أدنى صورة من التي رأوه فيها و في تحوله في صورة يعرفونها و قد كانوا أنكروه و تعوذوا منه فيعلم بأي عين تراه فقد أعلمت أنك الخيال يدرك بنفسه يريد بعين الخيال أو يدرك بالبصر و ما الصحيح في ذلك حتى نعلم عليه و لنا في ذلك

إذا تجلّى حبيبي بأي عين أراه

بعينه لا بعيني فما يراه سواء

تنزيهاً لمقامه و تصديقاً بكلامه فإنه القائل لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ و لم يخض داراً من دار بل أرسلها آية مطلقاً و مسألة معينة محققة فلا يدركه سواء فبعينه سبحانه أراه في الخبر الصحيح كنت بصره الذي يبصر به فتتقظ أيها الغافل النائم عن مثل هذا و انتبه فلقد فتحت عليك باباً من المعارف لا تصل إليه الأفكار لكن تصل إلى قبوله العقول إما بالعبادة الإلهية أو بجلاء القلوب بالذكر و التلاوة فيقبل العقل ما يعطيه التجلي و يعلم أن ذلك خارج عن قوة نفسه من حيث فكره و أن فكره لا يعطيه ذلك أبداً فيشكر الله تعالى الذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا و هي

نشأة الرسل والأنبياء وأهل العناية من الأولياء وذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره فتحقق يا أخي بعد هذا من يتجلى لك من خلف هذا الباب فهي مسألة عظيمة حارت فيها الأبواب ثم إن الشارع وهو الصادق سمي هذا الباب الذي هو الحضرة البرزخية التي تنتقل إليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها بالصور والناقور والصور هنا جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو عينه واختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال والصفات واختلفت الصفات فاختلفت الأسماء فصارت أسماءه كهو يحار فيها من عادته يفلي الحقائق ولا يرمى منها بشيء فإنه لا يتحقق له أن النقر أصل في وجود اسم الناقور أو الناقور أصل في وجود اسم النقر كمسألة النحوي هل الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل ثم فارق مسألة النحوي بشيء آخر حتى لا يشبه مسألة النحوي في الاشتقاق بقوله يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَ لَمْ يَقُلْ فِي الْمُنْفَخِ فِيهِ فَهَلْ كَوْنُهُ صَوْرًا أَوْ فِي وَجُودِ النَّفْخِ أَوْ فِي وَجُودِ نَفْخِ أَصْلٍ فِي وَجُودِ اسْمِ الصُّورِ وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعْدِيلَ صَوْرَةِ الْإِنْسَانِ قَالَ وَ تَفَخَّتْ فِيهِ وَقَالَ فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ خَلْقِ صَوْرَتِهِ فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا فَظَهَرَتْ الصُّورَةُ فَوَقَعَتِ الْحَيْرَةُ مَا هُوَ الْأَصْلُ هَلِ الصُّورَةُ فِي وَجُودِ النَّفْخِ أَوْ النَّفْخِ فِي وَجُودِ الصُّورَةِ فَهَذَا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ وَالسَّيْمَا وَجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْوَقْتِ الْمَذْكُورِ فِي حَالِ التَّمَثُّلِ بِالْبَشَرِ وَمَرْيَمَ قَدْ تَخَيَّلَتْ أَنَّهُ بَشَرٌ فَهَلْ أَدْرَكَهُ بِالْبَصْرِ الْحَسِّيِّ أَوْ بَعَيْنَ الْخَيَالِ فَتَكُونُ مِنْ أَدْرِكِ الْخَيَالِ بِالْخَيَالِ وَإِذَا كَانَ هَذَا فَيَنْفَتِحُ عَلَيْكَ مَا هُوَ أَكْبَرُ وَهُوَ هَلْ فِي قُوَّةِ الْخَيَالِ أَنْ يُعْطِيَ صَوْرَةَ حَسِيَّةٍ حَقِيقَةٍ فَلَا يَكُونُ لِلْحَسِّ فَضْلٌ عَلَى الْخَيَالِ لِأَنَّ الْحَسَّ يُعْطِي الصُّورَ لِلْخَيَالِ فَكَيْفَ يَكُونُ الْمُؤَثِّرُ فِيهِ مُؤَثِّرًا فِيمَنْ هُوَ مُؤَثَّرٌ فِيهِ فَمَا هُوَ مُؤَثِّرٌ فِيمَا هُوَ مُؤَثَّرٌ فِيهِ وَهَذَا مَحَالٌ عَقْلًا فَتَفْتَظُنْ لِهَذِهِ الْكُمُوزِ فَإِنْ كُنْتَ حَصَلْتَهَا مَا يَكُونُ فِي الْعَالَمِ أَعْنِي مِنْكَ إِلَّا مِنْ يَسَاوِيكَ فِي ذَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَأَلَ عَنِ الصُّورِ مَا هُوَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ قَرْنٌ مِنْ نُورِ الْقَمَةِ إِسْرَافِيلَ فَأَخْبَرَ أَنْ شَكَلَهُ شَكْلَ الْقَرْنِ فَوَصَفَ بِالسَّعَةِ وَالضِّيْقِ فَإِنَّ الْقَرْنَ وَاسِعٌ ضَيْقٌ وَهُوَ عِنْدَنَا عَلَى خِلَافِ مَا يَتَخَيَّلُهُ أَهْلُ النَّظَرِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ مَا هُوَ أَعْلَى الْقَرْنِ وَأَسْفَلُهُ وَنَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ هَذَا فِي هَذَا الْبَابِ فَاعْلَمْ إِنَّ سَعَةَ هَذَا الْقَرْنِ فِي غَايَةِ السَّعَةِ لَا شَيْءَ مِنَ الْأَكْوَانِ أَوْسَعُ مِنْهُ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ يَحْكُمُ بِحَقِيقَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَى مَا لَيْسَ بِشَيْءٍ وَيَتَصَوَّرُ الْعَدَمَ الْخِضَّ وَالْحَالَ وَالْوَاجِبَ وَالْإِمْكَانَ وَيَجْعَلُ الْوُجُودَ عَدَمًا وَالْعَدَمَ وَجُودًا وَفِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ مِنْ حَضْرَةِ هَذَا عَبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَاللَّهُ فِي قَبْلَةِ الْمُصَلِّيِ أَيُّ نَخِيلَهُ فِي قَبْلَتِكَ وَأَنْتَ تَوَاجِهَةٌ لِتَرَاقِبِهِ وَتَسْتَحْيِي مِنْهُ وَتَلْزَمُ الْأَدَبَ مَعَهُ فِي صَلَاتِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا أَسَأْتَ الْأَدَبَ فَلَوْلَا أَنَّ الشَّارِعَ عَلِمَ أَنَّ عِنْدَكَ حَقِيقَةً تَسْمَى الْخَيَالِ لَهَا هَذَا الْحُكْمُ مَا قَالَ لَكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ بِبَصْرِكَ فَإِنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ يَمْنَعُ مِنْ كَانَ فَإِنَّهُ يَحِيلُ بِدَلِيلِهِ التَّشْبِيهِ وَالْبَصْرَ فَمَا أَدْرَكَ شَيْئًا سِوَى الْجِدَارِ فَعَلِمْنَا إِنَّ الشَّارِعَ خَاطَبَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ أَنَّكَ تَوَاجِهَةٌ لِلْحَقِّ فِي قَبْلَتِكَ الْمَشْرُوعِ لَكَ اسْتِقْبَالُهَا وَاللَّهُ يَقُولُ فَأَيْنَمَا نُؤَلُّوا قَتْمٌ وَجْهَهُ اللَّهُ وَوَجْهَهُ الشَّيْءُ حَقِيقَتُهُ وَعَيْنُهُ فَقَدْ صَوَّرَ الْخَيَالُ مِنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ بِالْدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الصُّورَةَ وَالتَّصَوُّرَ فَلِهَذَا كَانَ وَاسِعًا وَأَمَّا مَا فِيهِ مِنَ الضِّيْقِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِ الْخَيَالِ أَنْ يَقْبَلَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنُويَّةِ وَالنَّسَبِ وَالْإِضَافَةِ وَجَلَالِ اللَّهِ وَذَاتِهِ إِلَّا بِالصُّورَةِ وَلَوْ رَامَ أَنْ يَدْرِكَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ صَوْرَةٍ لَمْ تَعْطِ حَقِيقَتَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَيْنُ الْوَهْمِ لَا غَيْرَهُ فَمَنْ هُنَا هُوَ ضَيْقٌ فِي غَايَةِ الضِّيْقِ فَإِنَّهُ لَا يَجْرُدُ الْمَعَانِي عَنِ الْمَوَادِّ أَصْلًا وَهَذَا كَانَ الْحَسَّ

أقرب شيء إليه فإنه من الحس أخذ الصور وفي الصور الحسية يجلي المعاني فهذا من ضيقه وإنما كان هذا حتى لا يتصف بعدم التقييد و بإطلاق الوجود وبالفعال لما يريد إلا الله تعالى وحده ليس كمثله شيء فالخيال أوسع المعلومات ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها فيرى العلم في صورة لبن أو غسل و خمر ولؤلؤ ويرى الإسلام في صورة قبة وعمد ويرى القرآن في صورة سمن و غسل ويرى الدين في صورة قيد ويرى الحق في صورة إنسان وفي صورة نور فهو الواسع الضيق والله واسع على الإطلاق عليم بما أوجد الله عليه خلقه كما قال تعالى **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** أي بين الأمور على ما هي عليه بإعطاء كل شيء خلقه وأما كون القرن من نور فإن النور سبب الكشف والظهور إذ لولا النور ما أدرك البصر شيئاً فجعل الله هذا الخيال نوراً يدرك به تصوير كل شيء أي أمر كان كما ذكرناه فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجوداً فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية فنوره لا يشبه الأنوار وبه تدرك التجليات وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس فافهم فإنه ينفعك معرفة كونه نوراً فتعلم الإصابة فيه ممن لا يعلم ذلك وهو الذي يقول هذا خيال فاسد وذلك لعدم معرفة هذا القائل بأدراك النور الخيالي الذي أعطاه الله تعالى كما إن هذا القائل يخطئ الحس في بعض مداركته وإدراكه صحيح والحكم لغيره لا إليه فالحاكم أخطأ لا الحس كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك وما له حكم وإنما الحكم لغيره وهو العقل فلا ينسب إليه الخطأ فإنه ما ثم خيال فاسد قط بل هو صحيح كله وأما أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقة المركز وأعلاه الفلك الأعلى الذي لا فلك فوقه وأن الصور التي يحوي عليها صور العالم فجعلوا واسع القرن الأعلى و ضيقه الأسفل من العالم وليس الأمر كما زعموا بل لما كان الخيال كما قلنا يصور الحق فمن دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع وهكذا خلقه الله فأول ما خلق منه الضيق وآخر ما خلق منه ما اتسع وهو الذي يلي رأس الحيوان ولا شك أن حضرة الأفعال والأكوان أوسع ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم إلا بقدر ما يعلمه من العالم ثم إنه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة إلى الضيق قليلاً قليلاً فتقل علومه كلما رقى في العلم بذات الحق كشفاً إلى أن لا يبقى له معلوم إلا الحق وحده وهو أضيقة ما في القرن فضيقه هو الأعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الأول الذي ظهر منه إذا أنبته الله في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله تسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الأول ألا ترى الحق سبحانه أول ما خلق القلم أو قل العقل كما قال فما خلق إلا واحداً ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد ثم الذي يقبل الثاني لا من الواحد الوجود ثم يقبل التضعيف والتركيب في المراتب فيتسع اتساعاً عظيماً إلى ما لا يتناهى فإذا انتهت فيه من الاتساع إلى حد ما من الآلاف وغيرها ثم تطلب الواحد الذي نشأ منه العدد لا يزال في ذلك تقلل العدد ويزول عنك ذلك الاتساع الذي كنت فيه حتى تنتهي إلى الاثنين التي بوجودها ظهر العدد إذ كان الواحد أولها فالواحد أضيقة الأشياء وليس بالنظر إلى ذاته بعدد في نفسه ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه وعينه أبداً فاعلم ذلك والناس في وصف الصور بالقرن على خلاف ما ذكرناه وبعد ما قررناه فلتعلم إن الله سبحانه إذا قبض لأرواح

من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت والعنصرية أودعها صوراً جسدية في مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها وهو إدراك حقيقي ومن الصور هنالك ما هي مقيدة عن التصرف ومنها ما هي مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار ومنها ما يتحلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي تصدق رؤياه أبداً وكل رؤيا صادقة ولا تختلئ فإذا أخطأت الرؤيا فالرؤيا ما أخطأت ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة ألا تراه صلى الله عليه وسلم ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً وكذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم ضربت عنقه فوقع رأسه فجعل الرأس يتدهده وهو يكلمه فذكر له رسول الله أن الشيطان يلعب به فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة ما رآه وما قال له خيالك فاسد فإنه رأى حقاً ولكن أخطأ في التأويل فأخبره صلى الله عليه وسلم بحقيقة ما رآه ذلك النائم وكذلك قوم فرعون يعرضون على النار في تلك الصور غدوة وعشية ولا يدخلونها فإنهم محبسون في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم في حال موتهم بالعرض فتدرك بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معا فيدرك المتخيل الذي هو الإنسان بعين خياله وقتاً ما هو متخيل كقوله صلى الله عليه وسلم مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط فأدرك ذلك بعين حسه وإنما قلنا بعين حسه لأنه تقدم حين رأى الجنة ليأخذ قطفاً منها وتأخر حين رأى النار وهو في صلاته ونحن نعرف أن عنده من القوة بحيث إنه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسه ما أثر في جسمه تقدماً ولا تأخراً فإننا نجد ذلك وما نحن في قوته ولا في طبقة صلى الله عليه وسلم وكل إنسان في البرزخ مرهون بكسبه محبوس في صور أعماله إلى أن يبعث يوم القيامة من تلك الصور في النشأة الآخرة والله يقول الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثامن والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع والستون في معرفة القيامة ومنازلها وكيفية البعث)

يطير عن كل نوام به و سنه	يوم المعارج من خمسين ألف سنة
لا تأخذنها لما يقضي الإله سنه	والأرض من حذر عليه ساهرة
من الخوارج أهل الألسن اللسنه	فكن غربيا و لا تركن لطائفة
فخذ على يده تجزى به حسنة	و إن رأيت امراً يسعى لمفسدة
تريك فتنه يوما كمثل سنه	ولتعصم حذرا بالكهف من رجل
و لم يزل في هواه خالعا رسنه	قد مد خطوته في غير طاعته

اعلم أنه إنما سمي هذا اليوم يوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم لرب العالمين في النشأة الآخرة التي ذكرناها في البرزخ في الباب الذي قبل هذا الباب ولقيامهم أيضا إذا جاء الحق للفصل والقضاء وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَي من أجل رب العالمين حين يأتي وجاء بالاسم الرب إذ كان الرب المالك فله صفة القهر وله صفة الرحمة ولما أت بالاسم الرحمن لأنه لا بد من الغضب في ذلك اليوم كما سيرد في هذا الباب ولا بد من الحساب والإتيان بجهنم والموازن وهذه كلها ليست من صفات الرحمة المطلقة التي يطلبها الاسم الرحمن غير أنه سبحانه أتى باسم إلهي تكون الرحمة فيه أغلب وهو الاسم الرب فإنه من الإصلاح والتربة فتقوى ما في المالك والسيد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر فتسبق رحمته غضبه ويكثر التجاوز عن سيئات أكثر الناس فأول ما أئب وأقول ما قال الله في ذلك اليوم من امتداد الأرض وقبض السماء وسقوطها على الأرض ومجيء الملائكة ومجيء الرب في ذلك اليوم وأين يكون الخلق حين تمد الأرض وتبدل صورتها وتجيء جهنم وما يكون من شأنها ثم أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة وحديث الشفاعة اعلم يا أخي أن الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده إن شاء الله وأراد الله أن يبدل الأرض غير الأرض وتمد الأرض بإذن الله ويكون الجسر دون الظلمة فيكون الخلق عليه عند ما يبدل الله الأرض كيف يشاء إما بالصورة وإما بأرض أخرى ما نيم عليها تسمى الساهرة فيمدها سبحانه مد الأديم يقول تعالى وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَزِيدَتْ فِي سَعَتِهَا مَا شَاءَ أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزءا إلى تسعة وتسعين جزءا حتى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم إنه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه كطَيِّ السَّجْلِ لِلْكَتُبِ ثم يرميها على الأرض التي مدها واهية وهو قوله وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ويرد الخلق إلى الأرض التي مدها فيقفون منتظرين ما يصنع الله بهم فإذا هت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرى أهل الأرض خلقا عظيما أضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون إن الله نزل فيهم لما يرون من عظم المملكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحانه ربنا ليس فينا وهوات فتصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحي الأرض محيطين بالعالم الإنس والجن وهؤلاء هم عمارة السماء الدنيا ثم ينزل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله أيضا ويرمي بكوكبها في النار وهو المسمى كاتباً وهم أكثر عددا من السماء الأولى فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتفزع الملائكة من قولهم فيقولون سبحانه ربنا ليس هو فينا وهوات فيفعلون فعل الأولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل أهل السماء الثالثة ويرمي بكوكبها المسمى الزهرة في النار ويقبضها الله بيمينه فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحانه ربنا ليس هو فينا وهوات فلا يزال الأمر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحانه ربنا قد جاء ربنا وإن كان وَعَدُ رَبُّنَا لِمَعْمُولًا فَيَأْتِي اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَعَلَى الْجَنَّةِ الْيَسْرَى جَهَنَّمُ وَيَكُونُ إِيَّانَهُ إِيَّانُ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يَقُولُ مَلِكُ (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ وهو ذلك اليوم فسمي بالملك ويصطف الملائكة عليهم السلام سبعة صفوف محيطة بالخالق فإذا أبصر الناس جهنم لها فوران وتعيظ على الجبابرة المتكبرين فيفرون الخلق بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفرع الأكبر إلا الطائفة التي لا يحزبهم الفرع الأكبر وتلقاهم

الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ فَهَمُ الْآمِنُونَ مَعَ النَّبِيِّينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ غَيْرَ إِنْ النَّبِيِّينَ تَفَرَّجَ عَلَى أُمَّهَاتِهِمْ لِلشَّفَقَةِ الَّتِي جَاهِلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا لِلخَلْقِ
 فيقولون في ذلك اليوم سلم سلم وكان الله قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون
 عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب تعالى فإذا فر الناس خوفاً من جهنم وفرقا لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم يجدون الملائكة
 صفوفاً لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى إلى الحشر وتناديهم أنبياءهم وهم يرجعون أرجعوا فينادي بعضهم
 بعضاً فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف عليكم يوم التنادي يوم تكونون مدبرين ما لكم من الله من عاصم و
 الرسل تقول اللهم سلم سلم ويخافون أشد الخوف على أممهم والأمم يخافون على أنفسهم والمطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم
 بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضاً بالمخالفات الشرعية آمنون بغطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم النبيون عليه من الخوف على
 أممهم فينادي مناد من قبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون أو لا أدري هل ذلك نداء الحق سبحانه بنفسه أو نداء عن أمره سبحانه يقول في
 ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم فإنه قال لنا يا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم تعليماً له وتنبها ليقول كرمك و
 لقد سمعت شيخنا الشنخنة يقول يوماً وهو يبكي يا قوم لا تفعلوا بكرمه أخرجنا ولم تكن شيئاً وعلمنا ما لم تكن نعلم وامن علينا ابتداءً
 بالإيمان به وبكتبه ورسله ونحن لا نعقل أفتراه يعذبنا بعد أن عقلنا وامننا حاشى كرمه سبحانه من ذلك فأبكاني بكاءً فرحاً وبكى
 الحاضرون ثم ترجع وتقول فيقول الحق في ذلك النداء أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما
 رزقناهم يفتنون فيؤتى بهم إلى الجنة ثم يسمعون من قبل الحق نداءً ثانياً لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق أين الذين
 كانوا لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن مما عملوا و
 يزيدهم من فضله وتلك الزيادة كما قلنا من جنات الاختصاص فيؤمر بهم إلى الجنة ثم يسمعون نداءً ثالثاً لا أدري هل هو نداء الحق بنفسه أو
 نداء عن أمر الحق يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليجزيهم الله الصادقين بصدقهم
 فيؤمر بهم إلى الجنة فبعد هذا النداء يخرج عنق من النار فإذا أشرف على الخلاق وله عينان ولسان فصيح يقول يا أهل الموقف إني وكلت
 منكم بثلاث كما كان النداء الأول ثلاث مرات لثلاث طوائف من أهل السعادة وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد أجمعهم العرق و
 اشتد الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم إني وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين
 الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا لم يترك أحداً منهم في الموقف نادى نداءً ثانياً يا أهل الموقف إني وكلت بمن آذى الله ورسوله
 فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم من بين الخلاق فإذا لم يترك منهم أحد نادى ثالثةً يا أهل الموقف إني وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله
 فيلقط أهل التصاوير وهم الذين يصورون صوراً في الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصورون الأصنام وهو قوله تعالى أتعبدون ما
 تشحون فكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأحجار ليعبدوها من دون الله فهؤلاء هم المصورون فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير حب

السمسم فإذا أخذهم الله عن آخرهم بقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصدها أولئك من عباداتها حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها وليسوا بنا فحين كما ورد في الخبر في المصورين فيفنون ما شاء الله ينتظرون ما فعل الله بهم والعرق قد أجمعهم فحدثنا شيخنا القصار بمكة سنة تسع وتسعين وخمسائة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة وهو يونس ابن يحيى بن الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي من لفظه وأنا أسمع قال حدثنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي قال حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الحياط المغربي قال قرئ علي أبي سهل محمود بن عمر بن إسحاق العكبري وأنا أسمع قيل له حدثكم رضي الله عنكم أبو بكر محمد بن الحسن النقاش فقال نعم حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري المروزي قال حدثنا محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله قال حدثنا سلمة بن صالح قال أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن غنم وزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده عبد الله بن عباس رضي الله عنه وحوله عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في القيامة لخمسين موقفا كل موقف منها ألف سنة فأول موقف إذا خرج الناس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة عراة حفاة جياعا عطاشا فمن خرج من قبره مؤمنا بربه مؤمنا بنبيه مؤمنا بجنه و ناره مؤمنا بالبعث والقيامة مؤمنا بالقضاء والقدر خيره وشره مصدقا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه نجا وفاز و غنم وسعد و من شك في شيء من هذا بقي في جوعه وعطشه وغمه وكرهه ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساقون من ذلك المقام إلى الحشر فيفنون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران في حر الشمس والنار عن أيانهم والنار عن شمائلهم والنار من بين أيديهم والنار من خلفهم والشمس من فوق رؤسهم ولا ظل إلا ظل العرش فمن لقي الله تبارك وتعالى شاهدا له بالإخلاص مقرا بنبيه صلى الله عليه وسلم بريئا من الشرك ومن السحر وبريئا من إهراق دماء المسلمين ناصحا لله ولرسوله محبا لمن أطاع الله ورسوله مبغضا لمن عصى الله ورسوله استظل تحت ظل عرش الرحمن ونجا من غمه ومن حاد عن ذلك وقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة أو تغير قلبه أو شك في شيء من دينه بقي ألف سنة في الحر والهم والعذاب حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساق الخلق إلى النور والظلمة فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام فمن لقي الله تبارك وتعالى لم يشرك به شيئا ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق ولم يشك في شيء من أمر دينه وأعطى الحق من نفسه وقال الحق وأنصف الناس من نفسه وأطاع الله في السر والعلانية ورضي بقضاء الله وقنع بما أعطاه الله خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة العين مبيضا وجهه قد نجا من الغموم كلها ومن خالف في شيء منها بقي في الغم والهم ألف سنة ثم خرج منها مسودا وجهه وهو في مشيئة الله يفعل به ما يشاء ثم يساق الخلق إلى سرادقات الحساب وهي عشر سرادقات يقفون في كل سرادق منها ألف سنة فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز إلى السرادق الثاني فيسأل عن الأهواء فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث فيسأل عن

عقوق الوالدين فإن لم يكن عاقا جاز إلى السرادق الرابع فيسأل عن حقوق من فوض الله إليه أمورهم وعن تعليمهم القرآن وعن أمر دينهم وتأديبهم فإن كان قد فعل جاز إلى السرادق الخامس فيسأل عما ملكت يمينه فإن كان محسنا إليهم جاز إلى السرادق السادس فيسأل عن حق قرابته فإن كان قد أدى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع فيسأل عن صلة الرحم فإن كان وصولا لرحمه جاز إلى السرادق الثامن فيسأل عن الحسد فإن كان لم يكن حاسدا جاز إلى السرادق التاسع فيسأل عن المكر فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السرادق العاشر فيسأل عن الخديعة فإن لم يكن خدع أحدا نجا ونزل في ظل عرش الله تعالى قارة عينه فرحا قلبه ضاحكا فوه وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كل موقف منها ألف عام جائعا عطشانا حزنا مغموما مهموما لا ينفعه شفاعة شافع ثم يحشرون إلى أخذ كتبهم بإيمانهم وشمائهم فيحسبون عند ذلك في خمسة عشر موقفا كل موقف منها ألف سنة فيسألون في أول موقف منها عن الصدقات وما فرض الله عليهم في أموالهم فمن أداها كاملة جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن قول الحق والعفو عن الناس فمن عفا عفا الله عنه و جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الأمر بالمعروف فإن كان آمرا بالمعروف جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن النهي عن المنكر فإن كان ناهيا عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الحب في الله والبغض في الله فإن كان محبا في الله مبغضا في الله جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن مال الحرام فإن لم يكن أخذ شيئا جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن شرب الخمر فإن لم يكن شرب من الخمر شيئا جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور فإن لم يكن قاله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الايمان الكاذبة فإن لم يكن حلفها جاز إلى الموقف الثاني عشر فيسأل عن أكل الربا فإن لم يكن أكله جاز إلى الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فإن لم يكن قذف المحصنات أو افتري على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر فيسأل عن شهادة الزور فإن لم يكن شهدا جاز إلى الموقف الخامس عشر فيسأل عن البهتان فإن لم يكن بهت مسلما مر فنزل تحت لواء الحمد وأعطى كتابه بيمينه ونجا من غم الكتاب وهوله وحوسب حسبا بيسيرا وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب ثم خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقي في كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفا ألف سنة في الغم والهول والهم والحزن والجوع والعطش حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخيا قد قدم ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته قرأ كتابه وهون عليه قراءته وكسي من ثياب الجنة وتوج من تيجان الجنة وأقعد تحت ظل عرش الرحمن آمنا مطمئنا وإن كان بخيلا لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته أعطى كتابه بشماله ويقطع له من مقطعات النيران يقاوم على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع والعطش والعري والهم والغم والحزن والفضيحة حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يحشرون الناس إلى الميزان فيقومون عند الميزان ألف عام فمن رجع ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين ومن خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغم والهم والحزن والعذاب والجوع والعطش حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يدعي بالخلق إلى الموقف بين يدي الله في اثني عشر موقفا كل موقف منها مقدار ألف عام فيسأل في

أول موقف عن عتق الرقاب فإن كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار و جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن القرآن وحقه و قراءته فإن جاء بذلك تاما جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد فإن كان جاهد في سبيل الله محتسبا جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة فإن لم يكن اغتاب جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن النعمة فإن لم يكن تاما جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فإن لم يكن كذابا جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن طلب العلم فإن كان طلب العلم و عمل به جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن العجب فإن لم يكن معجبا بنفسه في دينه و دنياه أو في شيء من عمله جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن التكبر فإن لم يكن تكبر على أحد جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة الله فإن لم يكن قنط من رحمة الله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأمن من مكر الله فإن لم يكن أمن من مكر الله جاز إلى الموقف الثاني عشر فيسأل عن حق جاره فإن كان أدى حق جاره أقيم بين يدي الله تعالى قريبا عينه فرحا قلبه مبيضا وجهه كاسيا ضاحكا مستبشرا فيرحب به ربه و يبشره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد إلا الله فإن لم يأت بواحدة منهن تامة و مات غير تائب حبس عند كل موقف ألف عام حتى يقضي الله عز و جل فيه بما يشاء ثم يؤمر بالخلع إلى الصراط فينتهون إلى الصراط و قد ضربت عليه الجسور على جهنم أدق من الشعر و أحد من السيف و قد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام و لهب جهنم بجانبها يلهب و عليها حسك و كلاب و خطاطيف و هي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها و على كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعود و ألف عام استواء و ألف عام هبوط و ذلك قول الله عز و جل إِنَّ رَبَّكَ لِبِأْمْرٍ صَادِعٍ عَنِى تِلْكَ الْجِسْرُ وَمَلَائِكَةٌ يَرُودُونَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا لِيَسْأَلَ الْعَبْدَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ فَإِنْ جَاءَ بِهِ مُؤْمِنًا مَخْلَصًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا زَيْغَ جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الثَّانِي فَيَسْأَلُ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الثَّلَاثِ فَيَسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الرَّابِعِ فَيَسْأَلُ عَنِ الصِّيَامِ فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ الْخَامِسِ فَيَسْأَلُ عَنِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ السَّادِسِ فَيَسْأَلُ عَنِ الطَّهْرِ فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَةً جَازَ إِلَى الْجِسْرِ السَّابِعِ فَيَسْأَلُ عَنِ الْمَظَالِمِ فَإِنْ كَانَ لَمْ يَظْلَمْ أَحَدًا جَازَ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ قَصْرًا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حَبَسَ عَلَى كُلِّ جِسْرٍ مِنْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عِزَّ وَ جَلَّ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ وَ ذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ وَ سَيَأْتِي بَقِيَّةُ الْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي بَابِ الْجَنَّةِ فَإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِالْجَنَّةِ وَ لَمْ يَذَكَرْ النَّشْأَةَ الْآخَرَى الَّتِي يَحْشُرُ فِيهَا الْإِنْسَانَ فِي بَابِ الْبَرِّخِ لِأَنَّهَا نَشْأَةٌ مَحْسُوسَةٌ غَيْرُ خَيَالِيَّةٍ وَ الْقِيَامَةُ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ مَوْجُودٌ حَسْبِي مِثْلُ مَا هُوَ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا فَلِذَلِكَ أَخْرَجْنَا ذِكْرَهَا إِلَى هَذَا الْبَابِ (وصل) اعلم أن الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام و لم تعرض لمذهب من يحمل الإعادة و النشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة فإن ذلك على خلاف ما هو الأمر عليه لأنه جهل إن ثم نشأتين نشأة الأجسام و نشأة الأرواح و هي النشأة المعنوية فأثبتوا المعنوية و لم يثبتوا المحسوسة و نحن نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانية المعنوية لا بما خالف فيه و أن عين موت الإنسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول من مات فقد قامت قيامته و إن الحشر جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية هذا كله أقول به كما يقول المخالف و إلى هنا ينتهي حديثه في القيامة و يختلف في ذلك بعينه من

يقول بالتناسخ ومن لا يقول به وكلهم عقلاء أصحاب نظر ويحتجون في ذلك كله بظواهر آيات من الكتاب وأخبار من السنة إن أوردناها و تكلمنا عليها طال الباب في الحوض معهم في تحقيق ما قالوه وما منهم من نخل نخلة في ذلك إلا وله وجه حق صحيح وإن القائل به فهم بعض مراد الشارع ونقصه علم ما فهمه غيره من إثبات الحشر المحسوس في الأجسام المحسوسة والميزان المحسوس والصراط المحسوس والنار و الجنة المحسوسان كل ذلك حق وأعظم في القدرة وفي علم الطبيعة بقاء الأجسام الطبيعية في الدارين إلى غير مدة متناهية بل مستمرة الوجود وأن الناس ما عرفوا من أمر الطبيعة إلا قدر ما أطلعهم الحق عليه من ذلك مما ظهر لهم في مدد حركات الأفلاك والكواكب السبعة و لهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة وعشرين سنة الذي اقتضاه هذا الحكم فإذا زاد الإنسان على هذه المدة وقع في العمر المجهول وإن كان من الطبيعة ولم يخرج عنها ولكن ليس في قوة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص فكما زاد على العمر الطبيعي سنة وأكثر جاز أن يزيد على ذلك آلاف من السنين و جاز أن يمتد عمره دائما ولولا أن الشارع عرف بانقضاء مدة هذه الدار وأن كل نفس ذائقة الموت وعرف بالإعادة و عرف بالدار الآخرة وعرف بأن الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية ما عرفنا ذلك وما خرجنا في كل حال من موت وإقامة وبعث أخروي ونشأة أخرى و جنان ونعيم و نار و عذاب بأكل محسوس و شرب محسوس و نكاح محسوس و لباس على الجري الطبيعي فعلم الله أوسع وأتم و الجمع بين العقل و الحس و العقول و المحسوس أعظم في القدرة و أتم في الكمال الإلهي ليستمر له سبحانه في كل صنف من الممكنات حكم عالم الغيب و الشهادة و يثبت حكم الاسم الظاهر و الباطن في كل صنف فإن فهمت فقد وفقت و تعلم أن العلم الذي أطلع عليه النبيون و المؤمنون من قبل الحق أعم تعلقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجردة عن الفيض الإلهي فالأولى بكل ناصح نفسه الرجوع إلى ما قاله الأنبياء و الرسل على الوجهين المعقول و المحسوس إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبت المحسوس من ذلك و المعقول فالإمكان باق حكمه و المرجح موجود فيما ذا يحيل و ما أحسن قول القائل

لا تبتعث الأجسام قلت إليكما زعم المنجم والطبيب كلاهما
أوصح قولي فالخسار عليكما إن صح قولكما فلست بخاسر

فقوله فالخسار عليكما يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاء بهم به الرسل عليهم السلام و قوله فلست بخاسر فإني مؤمن أيضا بالأمر المعنوية المعقولة مثلكم و زدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أتم به و لم يرد القائل به أنه يشك بقوله إن صح وإنما ذلك على مذهبه كأيها المخاطب و هذا يستعمل مثله كثيرا فتدبر كلامي هذا و أزم الإيمان نفسك تريح و تسعد إن شاء الله تعالى و بعد أن تقرر هذا فاعلم إن الخلاف الذي وقع بين المؤمنين القائلين في ذلك بالحس و المحسوس إنما هو راجع إلى كيفية الإعادة فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة تكون في الناس مثل ما بدأهم بنكاح و تناسل و ابتداء خلق من طين و نفخ كما جرى من خلق آدم و حواء و سائر البنين من نكاح و اجتماع إلى آخر مولود في العالم البشري الإنساني و كل ذلك في زمان صغير و مدة قصيرة على حسب ما يقدره الحق تعالى هكذا زعم الشيخ أبو القاسم بن قسي في خلع التعلين له في قوله

تعالى كما بدأكم تعودون فلا أدري هل هو مذهبه أو هل قصد شرح المتكلم به وهو خلف الله الذي جاء بذلك الكلام وكان من الأمين و منهم من قال بالخبر المروي إن السماء تمطر مطرا شبه المني تخض به الأرض فتنشأ منه النشأة الآخرة و أما قوله تعالى عندنا كما بدأكم تعودون هو قوله ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون وقوله كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا وقد علمنا إن النشأة الأولى أوجدها الله تعالى على غير مثال سبق فهكذا النشأة الآخرة يوجدها الله تعالى على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة نشأة أهل الجنة والنار ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا إن ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشأها عليه وهو أعظم في القدرة و أما قوله وهو أهون عليه فلا يقدح فيما قلنا فإنه لو كانت النشأة الأولى عن اختراع فكر و تدبر و نظر إلى أن خلق أمرا فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقا آخر مما يقارب ذلك و يزيد عليه أقرب للاختراع والاستحضار في حق من يستفيد الأمور بفكره و الله منزه عن ذلك و متعال عنه علوا كبيرا فهو الذي يفيد العالم و لا يستفيد و لا يتجدد له علم بشيء بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهى بعلم كلي فعلم التفصيل في عين الإجمال وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون فينشئ الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة فأما أبو حامد فرأى إن العجب المذكور في الخبر أنه النفس و عليها تنشأ النشأة الآخرة و قال غيره مثل أبي زيد الرقاعي هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغير عليه تنشأ النشأة الأخرى و كل ذلك محتمل و لا يقدح في شيء من الأصول بل كلها توجيهات معقولة يحتمل كل توجيه منها أن يكون مقصودا و الذي وقع لي به الكشف الذي لأشك فيه إن المراد بعجب الذنب هو ما تقوم عليه النشأة و هو لا يبلى أي لا يقبل البلى فإذا أنشأ الله النشأة الآخرة و سواها و عدلها و إن كانت هي الجواهر بأعيانها فإن الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم لا تنعدم أعيانها بعد وجودها و لكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات و الامتزاجات التي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فإذا تهيأت هذه الصور كانت كالحشيش المحرق و هو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنارية التي فيه لقبول الاشتعال و الصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة قمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها و تمر النفخة التي تليها و هي الأخرى إلى الصورة المستعدة للاشتعال و هي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها الله به فمن ناطق بالحمد لله و من ناطق يقول من بعثنا من مرقدنا و من ناطق يقول سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور و كل ناطق ينطق بحسب علمه و ما كان عليه و نسي حاله في البرزخ و يتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما تخيله المستيقظ و قد كان حين مات و انتقل إلى البرزخ كان كالمستيقظ هناك و أن الحياة الدنيا كانت له كالمنام و في الآخرة يعتقد في أمر الدنيا و البرزخ أنه منام في منام و أن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة و هو في ذلك الحال يقول إن الإنسان في الدنيا كان في منام ثم انتقل بالموت إلى البرزخ فكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنه استيقظ من النوم ثم بعد ذلك في النشأة الآخرة هي اليقظة التي لا نوم فيها و لا نوم بعدها لأهل السعادة لكن لأهل النار و فيها راحتهم كما قدمنا و قال رسول الله صلى الله عليه و

سلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فالدنيا بالنسبة إلى البرزخ نوم و منام فإن البرزخ أقرب إلى الأمر الحق فهو أولى باليقظة و البرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام فاعلم ذلك فإذا قام الناس و مدت الأرض و أنشئت السماء و انكدرت النجوم و كورت الشمس و خسف القمر و حشر الوحوش و سيجرت البحار و زوجت النفوس بأبدانها و نزلت الملائكة على أرجائها أعني أرجاء السموات و أتى ربنا في ظلل من الغمام و نادى المنادي يا أهل السعادة فأخذ منهم الثلاث الطوائف الذين ذكراهم و خرج العنق من النار فقبض الثلاث لطوائف الذين ذكراهم و ماج الناس و اشتد الحر و أجم الناس العرق و عظم الخطب و جل الأمر و كان البهت فلا تسمع إلا همساً و جيء بجهنم و طال الوقوف بالناس و لم يعلموا ما يريد الحق بهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول الناس بعضهم لبعض تعالوا ننتقل إلى أيننا آدم فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه فقد طال وقوفنا فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله و ذكر خطيئته فيستحي من ربه أن يسأله فيأتون إلى نوح بمثل ذلك فيقول لهم مثل ما قال آدم و يذكر دعوته على قومه و قوله و لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً فموضع المواخذه عليه قوله و لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً لأنفس دعائه عليهم من كونه دعاء ثم يأتون إلى إبراهيم عليه السلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالته لمن تقدم فيقول كما قال من تقدم و يذكر كذباته الثلاث ثم يأتون إلى موسى و عيسى و يقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيئونهم مثل جواب آدم فيأتون إلى محمد صلى الله عليه و سلم و هو سيد الناس يوم القيامة فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء فيقول محمد صلى الله عليه و سلم أنا لها و هو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة فيأتي و يسجد و يحمد الله بحماد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة و الرسل و الأنبياء و المؤمنين فهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فإنه شفع عند الله أن تشفع الملائكة و الرسل و مع هذا تأدب صلى الله عليه و سلم و قال أنا سيد الناس و لم يقل سيد الخلائق فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السلام كلهم و لم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام عليهم من اختصاصه يعلم الأسماء كلها فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة و الناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة و إظهار ما له من الجاه عند الله إذ كان القهر الإلهي و الجبروت الأعظم قد أخرس الجميع و كان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام و أعظم في يوم اشتدت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلهي الذي تجلّى فيه الحق في ذلك اليوم و لم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم فدل بالجموع على عظيم قدره صلى الله عليه و سلم حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلهية على مناجاة الحق فيما سأل فيه فأجابته الحق سبحانه فعلمت الموازين و نشرت الصحف و نصب الصراط و بدىء بالشفاعة فأول ما شفعت الملائكة ثم النبيون ثم المؤمنون و بقي أرحم الراحمين و هنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه فإنه مقام عظيم غير أن الحق يتجلى في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى تبقي هذه الأمة و فيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور التي كان تجلّى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون

نعوذ بالله منك ها نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل و تعالى هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله إلا يسجد ومن كان يسجد إنقاء و رياء جعل الله ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خر على قفاه و ذلك قوله يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . . . وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ يعني في الدنيا و الساق التي كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتد الحرب و عظم أمرها و كذلك النَّفَّ السَّاقِ بِالسَّاقِ أَي دَخَلَتِ الْأَهْوَالُ وَ الْأُمُورُ الْعِظَامُ بَعْضُهَا فِي بَعْضِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِذَا وَقَعَتِ الشَّفَاعَةُ وَ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ مُؤْمِنٌ شَرْعِيٌّ أَصْلًا وَ لَا مِنْ عَمَلٍ مَشْرُوعًا مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ بِلِسَانِ نَبِيٍّ وَ لَوْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَمَا فُوقَ ذَلِكَ فِي الصَّغْرِ إِلَّا خَرَجَ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ بَقِيَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ عَلِمُوا التَّوْحِيدَ بِالْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَ لَمْ يَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَ لَا آمَنُوا إِيمَانًا شَرْعِيًّا وَ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ مِنْ حَيْثُ مَا اتَّبَعُوا فِيهِ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ ذَرَّةٌ مِنْ إِيمَانٍ فَمَا دُونَهَا فَيُخْرِجُهُمْ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَ مَا عَمَلُوا خَيْرًا قَطُّ يَعْنِي مَشْرُوعًا مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ وَ لَا خَيْرٌ أَعْظَمُ مِنَ الْإِيمَانِ وَ مَا عَمَلُوهُ وَ هَذَا حَدِيثُ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ فِي الصَّحِيحِ لِمُسْلِمِ بْنِ الْحِجَّاجِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مَنْ مَاتَ وَ هُوَ يَعْلَمُ وَ لَمْ يَقُلْ يَوْمُنَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَ لَا قَالَ يَقُولُ بَلْ أَفْرَدَ الْعِلْمَ فَفِي هَؤُلَاءِ تَسْبِقُ عِنَايَةَ اللَّهِ فِي النَّارِ فَإِنَّ النَّارَ بِذَاتِهَا لَا تَقْبَلُ تَخْلِيدَ مُوَحَّدٍ لِلَّهِ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ وَ أَمَّ وَ جُوهَهُ الْإِيمَانُ عَنْ عِلْمٍ فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَ الْإِيمَانِ فَإِنَّ قَلْبَ إِبْلِيسَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فَلَمَّا صَدَقَتْ وَ لَكِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الشَّرْكَ فَعَلِيهِ إِثْمُ الْمُشْرِكِينَ وَ إِثْمُهُمْ لَاهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ هَذَا إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ مَاتَ مُوَحَّدًا وَ مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ مَاتَ مُشْرِكًا لِشِبْهِهِ طَرَأَتْ عَلَيْهِ فِي نَظَرِهِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِيمَا مَضَى مِنَ الْأَبْوَابِ فإِبْلِيسَ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ النَّارِ فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ وَ هُنَا عِلْمٌ كَثِيرٌ وَ فِيهَا طَوْلٌ يَخْرُجُنَا عَنْ الْمَقْصُودِ مِنَ الْإِخْتِصَارِ إِيْرَادَهَا وَ لَكِنْ مَعَ هَذَا فَلَا بَدَّ أَنْ نَذْكَرَ نَبْذَةً مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ مَشْهُورٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْقِيَامَةِ كَالْعَرَضِ وَ أَخَذَ الْكُتُبِ وَ الْمِيزَانَ وَ الصَّرَاطِ وَ الْأَعْرَافِ وَ ذَبْحِ الْمَوْتِ وَ الْمَادِبَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي مِيدَانِ الْجَنَّةِ فَهَذِهِ سَبْعَةٌ مِنْ مَوَاطِنَ لَا غَيْرَ وَ هِيَ أَمْهَاتٌ لِلْسَّبْعَةِ الْأَبْوَابِ الَّتِي لِلنَّارِ وَ السَّبْعَةِ الْأَبْوَابِ الَّتِي لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْبَابَ الثَّامِنَ هُوَ لُجْنَةُ الرُّؤْيَةِ وَ هُوَ الْبَابُ الْمَغْلُوقُ الَّذِي فِي النَّارِ وَ هُوَ بَابُ الْحِجَابِ فَلَا يَفْتَحُ أَبَدًا فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ مَحْجُوبُونَ عَنْ رَبِّهِمُ الْأَوَّلِ وَ هُوَ الْعَرَضُ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا فَقَالَ ذَلِكَ الْعَرَضُ يَا عَائِشَةُ مِنْ نَوْقِ الْحِسَابِ عَذْبٌ وَ هُوَ مِثْلُ عَرَضِ الْجَيْشِ أَعْنِي عَرَضُ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهَا زِيَّ أَهْلِ الْمَوْقِفِ وَ اللَّهُ الْمَلِكُ فَ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ كَمَا يَعْرِفُ الْأَجْنَادُ هُنَا بِرَبِّهِمُ الثَّانِي الْكُتْبُ قَالَ تَعَالَى اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا وَ قَالَ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَ هُوَ الْمُؤْمِنُ السَّعِيدُ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ وَ هُوَ الْمُنَافِقُ فَإِنَّ الْكَافِرَ لَا كِتَابَ لَهُ فَالْمُنَافِقُ سَلَبَ عَنْهُ الْإِيمَانَ وَ مَا أَخَذَ مِنْهُ الْإِسْلَامُ فَتَقِيلُ فِي الْمُنَافِقِ إِيَّاهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَيَدْخُلُ فِيهِ الْمَعْطَلُ وَ الْمُشْرِكُ وَ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى اللَّهِ وَ لَمْ يَتَّعِزْ لِلْإِسْلَامِ فَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَنْقَادُ ظَاهِرًا لِيَحْفَظَ مَالَهُ وَ أَهْلَهُ وَ

دمه ويكون في باطنه واحدا من هؤلاء الثلاثة وإنما قلنا إن هذه الآية تعم الثلاثة فإن قوله لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ معناه لا يصدق بالله والذين لا يصدقون بالله هم طائفتان طائفة لا تصدق بوجود الله وهم المعطلة وطائفة لا تصدق بتوحيد الله وهم المشركون وقوله العظيم في هذه الآية يدخل فيها المتكبر على الله فإنه لو اعتقد عظمة الله التي يستحقها من يسمى بالله لم يتكبر عليه وهؤلاء الثلاثة مع هذا المناق الذي تميز عنهم بخصوص وصف هم أهل النار الذين هم أهلها وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم وأشركوا به تَمَنَّا قَلِيلًا فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلَ لَهُ خُذْهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ أَمْ مِنْ أَمَامِكَ الَّذِي نَبَذْتَهُ فِيهِ فِي حَيَاتِكَ الدُّنْيَا فَهُوَ كِتَابُهُمُ الْمُنزَلُ عَلَيْهِمْ لَا كِتَابَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهُ حِينَ نَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ أَيُّ تَيْقَنَ قَالَ الشَّاعِرُ فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجَّجٍ أَيُّ تَيْقَنُوا وَرَدَّ فِي الصَّحِيحِ يَقُولُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَظَنَنْتَ أَنَّكَ مَلَاقِي وَ قَالَ تَعَالَى وَ ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ لَوِزْنَ الْأَعْمَالِ فَيَجْعَلُ فِيهَا الْكَفَّ بِمَا عَمِلُوا وَ آخِرُ مَا يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ قَوْلُ الْإِنْسَانِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّا الْمِيزَانَ فَإِنَّهُ يَلْقَى فِي الْمِيزَانِ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ إِلَّا كَلِمَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَبْقَى مِنْ مَلَأَهُ تَحْمِيدَةً فَتَجْعَلُ فِيمَتَلَى بِهَا فَإِنَّ كِفَّةَ مِيزَانِ كُلِّ أَحَدٍ بِقَدْرِ عَمَلِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَ لَا نَقْصَانٍ وَ كُلِّ ذَكَرٍ وَ عَمَلٍ يَدْخُلُ الْمِيزَانَ إِلَّا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا قُلْنَا وَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ خَيْرٍ لَهُ مَقَابِلٌ مِنْ ضَدِّهِ فَيَجْعَلُ هَذَا الْخَيْرِ فِي مَوَازِنِهِ وَ لَا يَقَابِلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الشُّرْكَ وَ لَا يَجْتَمِعُ تَوْحِيدٌ وَ شُرْكَ فِي مِيزَانٍ أَحَدٍ لِأَنَّهُ إِنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعْتَقِدًا لَهَا فَمَا أَشْرَكَ وَ إِنْ أَشْرَكَ فَمَا اعْتَقَدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَمَّا لَمْ يَصِحَّ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا لَمْ يَكُنْ لِكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ يَعَادِلُهَا فِي الْكِفَّةِ الْآخَرَى وَ لَا يَرْجِحُهَا شَيْءٌ فَلهَذَا لَا تَدْخُلُ الْمِيزَانَ وَ أَمَّا الْمَشْرُوكُونَ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا أَيُّ لَا قَدْرَ لَهُمْ وَ لَا يَوْزَنَ لَهُمْ عَمَلٌ وَ لَا مِنْ هُوَ مِنْ أَمْنَاهُمْ مَنْ كَذَبَ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَ كَفَرَ بِآيَاتِهِ فَإِنَّ أَعْمَالَ خَيْرِ الْمَشْرُوكِ مَحْبُوطَةٌ فَلَا يَكُونُ لَشَرِّهِمْ مَا يَوَازِنُهُ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا وَ أَمَّا صَاحِبُ السَّجَلَاتِ فَإِنَّهُ شَخْصٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا أَنَّهُ تَلَفَّظَ بِكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا فَتَوْضَعُ لَهُ فِي مَقَابِلَةِ التَّسْعَةِ وَ التَّسْعِينَ سَجَلًا مِنْ أَعْمَالِ الشُّرْكِ كُلِّ سَجَلٍ مِنْهَا كَمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَ الْمَشْرِقِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا لَهُ عَمَلٌ خَيْرٌ غَيْرِهَا فَتَرْجَحُ كِفَّتُهَا بِالْجَمِيعِ وَ تَطْيِشُ السَّجَلَاتِ فَيَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا يَدْخُلُ الْمَوَازِينَ إِلَّا أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ شَرِّهَا وَ خَيْرُهَا السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ وَ اللَّسَانُ وَ الْيَدُ وَ الْبَطْنُ وَ الْفَرْجُ وَ الرَّجْلُ وَ أَمَّا الْأَعْمَالُ الْبَاطِنَةُ فَلَا تَدْخُلُ الْمِيزَانَ الْحَسُوسَ لَكِنْ يَقَامُ فِيهَا الْعَدْلُ وَ هُوَ الْمِيزَانُ الْحَكْمِيُّ الْمَعْنَوِيُّ الْحَسُوسُ الْمَعْنَى يُقَابَلُ كُلَّ شَيْءٍ بِمَثَلِهِ فَلهَذَا تَوْزَنُ الْأَعْمَالُ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ.

الرَّابِعُ الصِّرَاطُ وَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمَشْرُوعُ الَّذِي كَانَ هُنَا مَعْنَى يَنْصَبُ هُنَاكَ حَسَا حَسُوسًا يَقُولُ اللَّهُ لَنَا وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ وَ لَمَّا تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ خَطَا وَ خَطَّ عَنْ جَنبَيْهِ خُوطًا هَكَذَا وَ هَذَا هُوَ صِرَاطُ التَّوْحِيدِ وَ لَوَازِمُهُ وَ حَقُوقُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرٌ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَ حَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ وَ حَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَالُوا مَعْتَقِدِينَ لَهَا إِلَّا اللَّهُ فَالْمَشْرُوكِ

لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعتل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف إلى النار مع المعتلة ومن هو من أهل النار الذين هم أهلها إلا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة وفيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من نعيم الجنان ثم يصرفون إلى النار وهذا من عدل الله فقبلوا بأعمالهم والطائفة التي لا تخلد في النار إنما تمسك وتساءل وتعذب على الصراط والصراط على متن جهنم غائب فيها والكلايب التي فيه بها يمسكهم الله عليه ولما كان الصراط في النار وما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه قال تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ومن عرف معنى هذا القول عرف مكان جهنم ما هو ولو قاله النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه لقلته فما سكت عنه وقال في الجواب في علم الله إلا بأمر إلهي فإنه ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى وما هو من أمور الدنيا فسكوتنا عنه هو الأدب وقد أتى في صفة الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف وكذا هو علم الشريعة في الدنيا لا يعلم وجه الحق في المسألة عند الله ولا من هو المصيب من المجتهدين بعينه ولذلك تعبدنا بغلطات الظنون بعد بذل الجهد في طلب الدليل لا في المتواتر ولا في خبر الواحد الصحيح المعلوم فإن المتواتر وإن أفاد العلم فإن العلم المستفاد من التواتر إنما هو عين هذا اللفظ أو العلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أو عمل به ومطلوبنا بالعلم ما يفهم من ذلك القول والعمل حتى يحكم في المسألة على القطع وهذا لا يوصل إليه إلا بالنص الصريح المتواتر وهذا لا يوجد إلا نادرا مثل قوله تعالى تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ في كونها عشرة خاصة فحكمها بالشرع أحد من السيف وأدق من الشعر في الدنيا فالمصيب للحكم واحد لا بعينه والكل مصيب للأجر فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا يزال في كل ركعة من الصلاة يقول أهدنا الصراطَ الْمُسْتَقِيمَ فهو أحد من السيف وأدق من الشعر فظهوره في الآخرة محسوس أبين وأوضح من ظهوره في الدنيا إلا لمن دعا إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه فألحقهم الله بدرجة الأنبياء في الدعاء إلى الله على بصيرة أي على علم وكشف وقد ورد في خبر أن الصراط يظهر يوم القيامة منته للابصار على قدر نور المارين عليه فيكون دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين يصدق هذا الخبر قوله تعالى نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ وَالسَّعْيُ مَشْيٌ وما ثم طريق إلا الصراط وإنما قال بآيائهم لأن المؤمن في الآخرة لا شمال له كما أن أهل النار لا يمين لهم هذا بعض أحوال ما يكون على الصراط وأما الكلايب والخطاطيف والحسك كما ذكرنا هي من صور أعمال بنى آدم تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينتهضون إلى الجنة ولا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة والعبادة الإلهية كما قررنا فمن تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك ومن أنظر معسرا أنظره الله ومن عفا عفا الله عنه ومن استقصى حقه هنا من عباده استقصى الله حقه منه هناك ومن شدد على هذه الأمة شدد الله عليه وإنما هي أعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده كان ما كان وكانوا ما كانوا الخامس الأعراف وأما الأعراف فسور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة منه وظاهره من قبلة العذاب وهو ما يلي النار منه يكون عليه من تساوت كهنًا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد الدارين فإذا دعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف فيسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة و

قد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات ويرون رحمة الله فيطمعون وسبب طمعهم أيضا إنهم من أهل لا إله إلا الله ولا يرونها في ميزانهم ويعلمون إن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ولو جاءت ذرة لإحدى الكفتين لرجحت بها لأنهما في غاية الاعتدال فيطمعون في كرم الله وعدله وأنه لا بد أن يكون لكلمة لا إله إلا الله عناية بصاحبها يظهر لها أثر عليهم يقول عز وجل فيهم وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون كما نادوا أيضا إذا صرقت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والظلم هنا الشرك لا غير السادس ذبح الموت الموت وإن كان نسبة فإن الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح وينادي يا أهل الجنة فيشربون وينادي يا أهل النار فيشربون وليس في النار في ذلك الوقت إلا أهلها الذين هم أهلها فيقال للفريقين أتعرفون هذا وهو بين الجنة والنار فيقولون هو الموت ويأتي بحيسى عليه السلام ويده الشفرة فيضجعه و يذبحه وينادي مناديا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلاموت وذلك هو يوم الحسرة فأما أهل الجنة إذا رأوا الموت سرورا برويته سرورا عظيما ويقولون له بارك الله لنا فيك لقد خلصتنا من نكد الدنيا وكنت خير وورد علينا وخير تحفة أهداها الحق إلينا فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الموت تحفة المؤمن وأما أهل النار إذا أبصروه يفرقون منه ويقولون له لقد كنت شر وورد علينا حلت بيننا وبين ما كنا فيه من الخير والدعة ثم يقولون له عسى تمينا فنستريح مما نحن فيه وإنما سمي يوم الحسرة لأنه حسر للجميع أي ظهر عن صفة الخلود الدائم للطائفتين ثم تعلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده وتنطبق النار على أهلها ويدخل بعضها في بعض ليعظم انضغاط أهلها فيها ويرجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها وترى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذ كان تحتها النار العظيمة تغلي كغلي الحميم فتدور بمن فيها علوا وسفلا كلما حبت زديناهم سعيرا بتبديل الجلود السابع المادبة وهي مأدبة الملك لأهل الجنة وفي ذلك الوقت يجتمع أهل النار في مندبة فأهل الجنة في المادب وأهل النار في المنادب وطعامهم في تلك المادبة زيادة كبد النون وأرض الميدان درمكة بيضاء مثل القرصة ويخرج من الثور الطحال لأهل النار فيأكل أهل الجنة من زيادة كبد النون وهو حيوان مجري مائي فهو من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبحار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لأهل الجنة ببقاء الحياة عليهم وأما الطحال في جسم الحيوان فهو بيت الأوساخ فإن فيه تجتمع أوساخ البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطي لأهل النار يأكلونه وهو من الثور والثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس والطحال من الثور لغذاء أهل النار أشد مناسبة فيما في الطحال من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن ومن الدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون فيورثهم أكله سقما ومرضا ثم يدخل أهل الجنة الجنة ف ما هم منها بمُخرَجين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثامن والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس والستون في معرفة الجنة ومنازلها ودرجاتها وما يتعلق بهذا الباب)

إلى منازل و الأعمال تطلبها	مراتب الجنة المحسوسة انقسمت
به إليها و رسل الله تحجبها	فكل ذي عمل تجري ركبته
للمكرمين جنان الورث تعقبها	وجنة الاختصاصات التي انفهقت
و نورنا اليوم في عدن مكوكبها	نور الكواكب كما نستضيء بها
لزال عند ورود الشرع مركبها	لو أن غير صراط العرش مركبنا
نورا ومن ذاته الإجلال يكسبها	فصالح العمل المشروع يظهرها

اعلم أيدينا الله وإياك أن الجنة جنتان جنة محسوسة و جنة معنوية و العقل يعقلهما معا كما إن العالم عالمان عالم لطيف و عالم كئيف و عالم غيب و عالم شهادة و النفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم و المعارف من طريق نظرها و فكرها و ما وصلت إليه من ذلك بالأدلة العقلية و نعيم بما تحمله من اللذات و الشهوات مما يناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل و شرب و نكاح و لباس و روائح و نعمات طيبة تتعلق بها الأسماع و جمال حي في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر في نساء كعبات و وجوه حسان و ألوان متنوعة و أشجار و أنهار كل ذلك تنقله الحواس إلى النفس الناطقة فتلتذ به من جهة طبيعتها و لو لم يلدن به إلا الروح الحساس الحيواني لا النفس الناطقة لكان الحيوان يلدن بالوجه الجميل من المرأة المستحسنة و الغلام الحسن الوجه و الألوان و المصاغ فلما لم نر شيئا من الحيوان يلدن بشيء من ذلك علمنا قطعا إن النفس الناطقة هي التي تلتذ بجميع ما تعطيه القوة الحسية مما تشاركها في إدراكه الحيوانات و مما لا تشاركها فيه و اعلم أن الله خلق هذه الجنة المحسوسة بطالع الأسد الذي هو الإقليد و برجه هو الأسد و خلق الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهي من صفة الكمال و الابتهاج و السرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم و الجنة المعنوية كالروح و قواه و لهذا سماها الحق تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتعمون فيها حسا و معنى فالمعنى الذي هو اللطيفة الإنسانية و الجنة أيضا أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها و لهذا تطلب مآلها من الساكنين و قد ورد في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الجنة اشتاقت إلى بلال و علي و عمار و سلمان فوصفها بالشوق إلى هؤلاء و ما أحسن موافقة هذه الأسماء لما في شوقها من المعاني فإن الشوق من المشتاق فيه ضرب ألم لطلب اللقاء و بلال من أبل الرجل من مرضه و استبل و يقال بل الرجل من دائه و بلال معناه و سلمان من السلامة من الآلام و الأمراض و عمار رأى بعمارتها بأهلها يزول ألمها فإن الله سبحانه يتجلى لعباده فيها فعلي يعلو بذلك التجلي شأنها على النار التي هي أختها حيث فازت بدرجة التجلي و الرؤية إذ كانت النار دار حجاب فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنة حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين و الناس على أربع مراتب في هذه المسألة فمنهم من يشتهي و يشتهي و هم الأكابر من رجال الله من رسول و نبي و ولي كامل و منهم من يشتهي

ولا يشتهي وهم أصحاب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله الذين غلب معناهم على حسهم وهم دون الطبقة الأولى فإنهم أصحاب أحوال ومنهم من يشتهي ولا يشتهي وهم عصاة المؤمنين ومنهم من لا يشتهي ولا يشتهي وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف واعلم أن الجنات ثلاث جنات جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وخدمهم من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخا إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليهم دعوة رسول والجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها والجنة الثالثة جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنه فضله في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما وطئت منها موضعا إلا سمعت خشخشتك أمامي فقال يا رسول الله ما أحدثت قط إلا تروضت ولا تروضت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبلال بم نلت أن تكون مطرقا بين يدي تحجيني من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة فلما ذكر له ذلك قال له صلى الله عليه وسلم بهما فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها والتفاضل على مراتب فمنها بالسن ولكن في الطاعة والإسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل بالسن فإنه أقدم منه فيه ويفضل أيضا بالزمان فإن العمل في رمضان وفي يوم الجمعة وفي ليلة القدر وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء أعظم من سائر الأزمان وكل زمان عينه الشارع وتقع المفاضلة بالمكان كالمصلي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلي في مسجد المدينة وكذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى وهكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على سائر المساجد ويتفاضلون أيضا بالأحوال فإن الصلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشخص وحده وأشبه هذا ويتفاضلون بالأعمال فإن الصلاة أفضل من إمامة الأذى وقد فضل الله الأعمال بعضها على بعض ويتفاضلون أيضا في نفس العمل الواحد كالمصدق على رحمه فيكون صاحب صلة رحمه وصدقة والمتصدق على غير رحمه دونه في الأجر وكذلك من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل ممن أهدى لغير شريف أو بره أو أحسن إليه ووجوه المفاضلة كثيرة في الشرع وإن كانت محصورة ولكن أريتك منها أنموذجا تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة والرسول عليهم السلام إنما ظهر فضلها في الجنة على غيرها بجنة الاختصاص وأما بالعمل فهم في جنات الأعمال بحسب الأحوال كما ذكرنا وكل من فضل غيره ممن ليس في مقامه فمن جنات الاختصاص لا من جنات الأعمال ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالا كثيرة فيصرف سمعه فيما ينبغي في زمان تصرفه بصره في

زمان تصريفه يده في زمان صومه في زمان صدقته في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل و ترك فيؤجر في الزمن الواحد من
 وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك ولذلك لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الثمانية الأبواب من الجنة أن يدخل من أيها شاء قال
 أبو بكر يا رسول الله وما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر فأراد
 أبو بكر بذلك القول ما ذكرنا أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعم أبواب الجنة ومن هنا أيضا تعرف النشأة الآخرة فكما لا
 تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها وإن اجتمعت في الأسماء كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا وإن اجتمعت في الأسماء و
 الصورة الشخصية فإن الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة فيكون الإنسان
 بعينه في أماكن كثيرة وأما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام ولقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع وأخذتها بشري من الله فإنها مطابقة
 لحديث نبوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام فقال صلى الله عليه وسلم مثلي في الأنبياء
 كمثل رجل بنى حائطا فأكمله إلا لبنة واحدة فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي ولا نبي فشبه النبوة بالحائط والأنبياء باللبن التي قام بها
 هذا الحائط وهو تشبيه في غاية الحسن فإن مسمى الحائط هنا المشار إليه لم يصبح ظهوره إلا باللبن فكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
 فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسائة أرى فيما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب لبنة فضة ولبنة ذهب وقد كملت بالبناء و
 ما بقي فيها شيء وأنا أنظر إليها وإلى حسناتها فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي هو إلى الركن الشامي أقرب فوجدت موضع
 لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفيين في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة فرأيت
 نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين فكنت أنا عين تينك اللبنتين وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص وأنا واقف أنظر واعلم إنني
 واقف واعلم إنني عين تينك اللبنتين لأشك في ذلك وأنها عين ذاتي واستيقظت فشكرت الله تعالى وقلت متأولا إنني في الاتباع في صغفي
 كرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنبياء عليهم السلام وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي وما ذلك على الله بعزيز وذكرت حديث
 النبي صلى الله عليه وسلم في ضربه المثل بالحائط وأنه كان تلك اللبنة فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر
 فأخبرني في تأويلها بما وقع لي وما سميت له الرائي من هو فالله أسأل أن يتمها علي بكرمه فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة
 ولا العمل وإن ذلك من فضل الله يخصص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم واعلم أن جنة الأعمال مائة درجة لا غير كما إن النار مائة
 درك غير أن كل درجة تنقسم إلى منازل فلندكر من منازلها ما يكون لهذه الأمة الحمديّة وما تفضل به على سائر الأمم فإنها خير أمة
 أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فِي الْقُرْآنِ وَتَعْرِيفِهِ وَهَذِهِ الْمِائَةُ دَرَجَةٍ فِي كُلِّ جَنَّةٍ مِنَ الثَّمَانِ الْجَنَّاتِ وَصَوَّرْتَهَا جَنَّةً فِي جَنَّةٍ وَأَعْلَاهَا جَنَّةٌ عَدْنُ
 وَهِيَ قِصْبَةُ الْجَنَّةِ فِيهَا الْكَثِيبُ الَّذِي يَكُونُ اجْتِمَاعُ النَّاسِ فِيهِ لِرُؤْيَةِ الْحَقِّ تَعَالَى وَهِيَ أَعْلَى جَنَّةٍ فِي الْجَنَّاتِ هِيَ فِي الْجَنَّاتِ بِمَنْزِلَةِ دَارِ الْمَلِكِ
 يَدُورُ عَلَيْهَا ثَمَانِيَةُ أَسْوَارٍ بَيْنَ كُلِّ سَوْرَيْنِ جَنَّةٌ فَالَّتِي تَلِي جَنَّةَ عَدْنٍ إِنَّمَا هِيَ جَنَّةُ الْفَرْدُوسِ وَهِيَ أَوْسَطُ الْجَنَّاتِ الَّتِي دُونَ جَنَّةِ عَدْنٍ وَأَفْضَلُهَا

ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة وأما الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له بدعاء أمته فعل ذلك الحق سبحانه حكمة أخفاها فإنا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كما خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وبه ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيين وهو صلى الله عليه وسلم بشر كما أمر أن يقول ولنا وجه خاص إلى الله عز وجل بناجيه منه ويناجينا وهكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه فأمرنا عن أمر الله أن ندعوه بالوسيلة حتى ينزل فيها وينالها بدعاء أمته فافهم هذا الفضل العظيم وهذا من باب الغيرة الإلهية إن فهمت فلقد كرم الله هذا النبي وهذه الأمة فتحوى درجات الجنة من الدرج فيها على خمسة آلاف درجة ومائة درجة وخمسة أدرج لا غير وقد تزيد على هذا العدد بلاشك ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الأجناس والذي اختصت به هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم من هذه الأدرج اثنا عشر درجا لا غير لا يشاركها فيها أحد من الأمم كما فضل صلى الله عليه وسلم غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة وفتح باب الشفاعة وفي الدنيا بست لم يعطها نبي قبله كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته وتحليل الغنائم والنصر بالرعب وجعلت له الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها له طهوراً وأعطى مفاتيح خزائن الأرض ثم اعلم أن أهل الجنة أربعة أصناف الرسل وهم الأنبياء والأولياء وهم أتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم والمؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام والعلماء بتوحيد الله إنه لا إله إلا هو من حيث الأدلة العقلية قال الله تعالى شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ وَهُوَ اللَّهُ يَرْفَعُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ والطريق الموصلة إلى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما ومن وحد الله من غير هذين الطريقين فهو مقلد في توحيد (الطريق الواحدة) طريق الكشف وهو علم ضروري يحصل عند الكشف بجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة ولا يقدر على دفعه ولا يعرف لذلك دليلاً يستند إليه سوى ما يجده في نفسه إلا أن بعضهم قال يعطي الدليل والمدلول في كشفه فإنه ما لا يعرف إلا بالدليل فلا بد أن يكشف له عن الدليل وكان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد الله بن الكثاني بمدينة فاس سمعت ذلك منه وأخبر عن حاله وصدق وأخطأ في إن الأمر لا يكون إلا كذلك فإن غيره يجد ذلك في نفسه ذوقاً من غير أن يكشف له عن الدليل وأما أن يحصل له عن تجل إلهي يحصل له وهم الرسل والأنبياء وبعض الأولياء (والتاريخ الثاني) طريق الفكر والاستدلال بالبرهان العقلي وهذا الطريق دون الطريق الأول فإن صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشبه القادحة في دليله فيكلف الكشف عنها والبحث عن وجه الحق في الأمر المطلوب وما ثم طريق ثالث فهؤلاء هم أولو العلم الذين شهدوا بتوحيد الله ولفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالة ونظر زيادة علم على التوحيد بتوحيد في الذات بأدلة قطعية لا يعطاها كل أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها وهؤلاء الأربع الطوائف يتميزون في جنات عدن عند رؤية الحق في الكتيب الأبيض وهم فيه على أربعة مقامات طائفة منهم أصحاب منابر وهي الطبقة العليا الرسل والأنبياء والطائفة الثانية هم الأولياء ورثة الأنبياء قولاً وعملاً وحالاً وهم على بينة من ربهم وهم أصحاب الأسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر

البرهاني العقلي وهم أصحاب الكراسي والطبقة الرابعة وهم المؤمنون المقلدون في توحيدهم ولهم المراتب وهم في الحشر مقدمون على أصحاب النظر العقلي وهم في الكتيب عند النظر يتقدمون على المقلدين فإذا أراد الله أن يتجلى لعباده في الزور العام نادى منادي الحق في الجنات كلها يا أهل الجنان حي على المنة العظمى والمكانة الزلفى والمنظر الأعلى هلموا إلى زيارة ربكم في جنة عدن فيبادرون إلى جنة عدن فيدخلونها وكل طائفة قد عرفت مرتبتها ومنزلتها فيجلسون ثم يؤمر بالموائد فتنصب بين أيديهم موائد اختصاص ما رأوا مثلها ولا تخيلوه في حياتهم ولا في جناتهم جنات الأعمال وكذلك الطعام ما ذاقوا مثله في منازلهم وكذلك ما تناولوه من الشراب فإذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلها فيما تقدم ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإذا فرغوا من ذلك قاموا إلى كتيب من المسك الأبيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله لا على قدر عملهم فإن العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن فينا هم على ذلك إذا بنور قد بهرهم فيخرون سجدا فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهرا وفي بصائرهم باطنا وفي أجزاء أبدانهم كلها وفي لطائف نفوسهم فيرجع كل شخص منهم عينا كله وسمعا كله فيرى بذاته كلها لا تقيدته الجهات ويسمع بذاته كلها فهذا يعطيهم ذلك النور فيه يطبقون المشاهدة والرؤية وهي أم من المشاهدة فيأتيهم رسول من الله يقول لهم تأهبوا لرؤية ربكم جل جلاله فما هو يتجلى لكم فيأتهاون فيتجلى الحق جل جلاله وبينه وبين خلقه ثلاثة حجب حجاب العزة وحجاب الكبرياء وحجاب العظمة فلا يستطيعون نظرا إلى تلك الحجب فيقول الله جل جلاله لأعظم الحجة عنده ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني فترفع الحجب فيتجلى لهم الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف إلى أبصارهم وكلهم بصر واحد فينفق عليهم نور يسرى في ذواتهم فيكونون به سمعا كلهم وقد أبهتهم جمال الرب وأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث النقاش في مواقف القيامة وهذا تمامه فيقول الله جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم حياكم الله سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم طِبُّمُ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ طابت لكم الجنة فطيبوا أنفسكم بالنعيم المقيم والثواب من الكريم والخلود الدائم أنتم المؤمنون الآمنون وأنا الله المؤمن المهيمن شققت لكم اسما من اسمائي لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ أنتم أوليائي وجيراني وأصفيائي وخاصتي وأهل محبتي وفي داري سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين أنتم المسلمون وأنا السلام وداري دار السلام سأريكم وجهي كما سمعتم كلامي فإذا تجليت لكم وكشفت عن وجهي الحجب فاحمدوني وادخلوا إلى داري غير محجوبين عني بسلام آمنين فردوا علي واجلسوا حولي حتى تنظروا إلي وتروني من قريب فأتخفكم بتحفي وأجيزكم بجواتزي وأخصكم بنوري وأغشيكم بجمالي وأهب لكم من ملكي وأفاكمكم بضحكي وأغلفكم بيدي وأشمكم بروحي أنا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني وتحبوني وتحافوني وعزتي وجلالي وعلوي وكبريائي وبهائي وسناي إني عنكم راض وأحبكم وأحب ما تحبون ولكم عندي ما تشتهي أنفسكم وتلذ أعينكم ولكم عندي ما تدعون وما شئتم وكل ما شئتم أشياء فاسألوني ولا تحتشموا ولا تستحيوا ولا تستوحشوا وإني أنا الله الجواد الغني الملي الوفي

الصادق وهذه داري قد أسكنتكموها وجنتي قد أجتكموها ونفسي قد أريتكموها وهذه يدي ذات الندى والطل مبسوطه ممتدة عليكم لأقبضها عنكم وأنا أنظر إليكم لأصرف بصري عنكم فاسألوني ما شئتم واشتهتم فقد آنتسكم بنفسي وأنا لكم جليس وأنيس فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا ولا بؤس ولا مسكنة ولا ضعف ولا هرم ولا سخط ولا حرج ولا تحويل أبدا سرمدنا نعيمكم نعيم الأبد وأنتم الآمنون المقيمون الماكثون المكرمون المنعمون وأنتم السادة الأشراف الذين أطمعوني واجتنبتم محارمي فارعوا إلي حوائجكم أفضها لكم وكرامة ونعمة قال فيقولون ربنا ما كان هذا أملنا ولا أمنيتنا ولكن حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم أبدا أبدا ورضي نفسك عنا فيقول لهم العلي الأعلى مالك الملك السخي الكريم تبارك وتعالى فهذا وجهي بارز لكم أبدا سرمدنا فانظروا إليه وأبشروا فإن نفسي عنكم راضية فتمتعوا وقوموا إلى أزواجكم فعانقوا وأنكحوا وإلى ولادكم ففاكحوا وإلى غرفكم فادخلوا وإلى بساتينكم فتنزهوا وإلى دوابكم فاركبوا وإلى فرشكم فانكثوا وإلى جواريتكم وسرايركم في الجنان فاستأنسوا وإلى هداياكم من ربكم فأقبلوا وإلى كسوتكم فالبسوا وإلى مجالسكم فحدثوا ثم قبلوا قائلة لا نوم فيها ولا غائلة في ظل ظليل وأمن مقليل ومجاورة الجليل ثم روحوا إلى نهر الكوثر والكافور والماء المطهر والتسنيم والسلسيل والزنجبيل فاعتسلوا وتنعموا طوبى لكم وحسن مأب ثم روحوا فانكثوا على الرفارف الخضر والعبقري الحسان والفرش المرفوعة في الظل الممدود والماء المسكوب والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُسَكُونٍ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَامًا قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ

ثم تلا هذه الآية أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا إلى هنا انتهى حديث أبي بكر النقاش الذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث الواقف ثم إن الحق تعالى بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب ويتجلى لعباده فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا موطن سجود عبادي ما دعوتكم إلا لتنعمو بمشاهدتي فيمسكهم في ذلك ما شاء الله فيقول لهم هل بقي لكم شيء بعد هذا فيقولون يا ربنا وأي شيء بقي وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا ملابس كرمك وأريتنا وجهك فيقول الحق جل جلاله بقي لكم فيقولون يا ربنا وما ذلك الذي بقي فيقول دوام رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا فما أحلاها من كلمة وما أذها من بشرى فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال كُنْ فأول شيء كان لنا منه السماع فختم بما به بدأ فقال هذه المقالة فختم بالسمع وهو هذه البشرية وتفاضل الناس في رؤيته سبحانه ويتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً على قدر علمهم فمنهم ومنهم ثم يقول سبحانه ملائكته ردوهم إلى قصورهم فلا يهتدون لأمرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها فلولا أن الملائكة تدل بهم ما عرفوا منازلهم فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد كسي بهاء وجمالا ونورا من وجوههم أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نورا وبهاء وجمالا ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم وكذاكم أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيانا فينعم بعضهم ببعض واعلم أن الراحة والرحمة مطلقة في الجنة كلها وإن كانت الرحمة ليست بأمر

وجودي وإنما هي عبارة عن الأمر الذي يلتذ ويتنعم به المرحوم وذلك هو الأمر الوجودي فكل من في الجنة مستنعم وكل ما فيها نعيم فحركاتهم ما فيها نصب وأعمالهم ما فيها لغوب إلا راحة النوم ما عندهم لأنهم ما ينامون فما عندهم من نعيم النوم شيء ونعيم النوم هو الذي يتنعم به أهل النار خاصة فراحة النوم محلها جهنم ومن رحمة الله بأهل النار في أيام عذابهم خمود النار عنهم ثم تسعر بعد ذلك عليهم فيخف عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النار قال تعالى كَلَّمَا خَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا وهذا يدل أن النار محسوسة بلا شك فإن النار ما تتصف بهذا الوصف إلا من كون قيامها بالأجسام لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا الزيادة ولا النقص وإنما هو الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية وإن حملنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا قوله تعالى كَلَّمَا خَبَّتْ يعني النار المسالطة على أجسامهم زِدْنَاهُمْ يعني المعذبين سَعِيرًا فإنه لم يقل زدناها ومعنى ذلك أن العذاب ينقلب إلى بواطنهم وهو أشد العذاب الحسي يشغلهم عن العذاب المعنوي فإذا خبت النار في ظواهرهم وجدوا الراحة من حيث حسهم سالت الله عليهم في بواطنهم التفكير فيما كانوا فرطوا فيه من الأمور التي لو عملوا بها لتالوا السعادة وتسلط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهمون عذابا أشد مما كانوا فيه فيكون عذابهم بذلك التوهم في نفوسهم أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم وتلك النار التي أعطاها الوهم هي النار التي تَطَّلَعُ عَلَى الْآفِئِدَةِ وهي التي قلنا فيها

ونار معنى على الأرواح تطلع النار ناران نار كلها هب
لكن لها ألم في القلب ينطبع وهي التي ما لها سفح ولا هب

وكذلك أهل الجنة يعطيهم الله من الأمانى والنعيم المتوهم فوق ما هم عليه فما هو إلا أن الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه فيكون فيه بحسب ما يتوهمه إن تمناه معنى كان معنى أو توهمه حسا كان محسوسا أي ذلك كان وذلك النعيم من جنات الاختصاص ونيمةا وهو جزاء لمن كان يتوهم هنا ويتمنى أن لو قدر وتمكن أن يكون ممن لا يعصي الله طرفة عين وأن يكون من أهل طاعته وأن يلحق بالصلحين من عباده ولكن قصرته به العناية في الدنيا فيعطي هذا التمني في الجنة فيكون له ما تمناه وتوهمه وأراحه الله في الدنيا من تلك الأعمال الشاقة ولحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العلى وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي لا قوة له ولا مال له فيرى رب المال الموفق يتصدق ويعطي في فك الرقاب ويوسع على الناس ويصل الرحم ويبني المساجد ويعمل أعمالا لا يمكن أن يصل إليها إلا رب المال ويرى أيضا من هو أجلد منه على العبادات التي ليس في قوة جسمه أن يقوم بها ويتمنى أنه لو كان له مثل صاحبه من المال والقوة لعمل مثل عمله قال صلى الله عليه وسلم فهما في الأجر سواء ومعنى ذلك أنه يعطي في الجنة مثل ذلك التمني من النعيم الذي أنتجته تلك الأعمال فيكون له ما تمنى وهو أقوى في اللذة والتنعم مما لو وجدته في الجنة قبل هذا التمني فلما انفعل عن تمنيه كان النعيم به أعلى فمن جنات الاختصاص ما يخلق الله له من همته وتمنيه فهو اختصاص عن عمل معقول متوهم وتمن لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا وهو الذي عيننا

ما بين أعمال و بين اختصاص	مراتب الجنة مقسومة
نجب من أعمالكم لا مناص	فيا أولي الأبواب سبقا على
من أثر الأعمال غير الخلاص	إن بلي لم تعط أطفالنا
فهو اختصاص ما لديه انتفاص	لأنه لم يك شرعا لهم

فأردنا بالاختصاص الثاني ما لا يكون عن تمن ولا توهم وأردنا بالاختصاص الأول ما يكون عن تمن وتوهم الذي هو جزء عن تمن وتوهم في الدنيا وأما الأمانى المذمومة فهي التي لا يكون لها ثمرة ولكن صاحبها يتعم بها في الحال كما قيل

أمانى إن تحصل تكن أحسن المنى وإل فقد عشنا بها زمنا رغدا

ولكن تكون حسرة في المال وفيها قال الله تعالى وَغَرَّبْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَفِيهَا يُقَالُ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْفَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا لَأَنَّهُ لَا مَفَاضِلَةَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَمَا كَانَ خَيْرَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ إِلَّا مِنْ كَوْنِهِ وَقَعًا وَجُودِيًا مُحْسُوسًا فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي كَانَ الْكَافِرِيَّةُ يَوْمَهُ فِي الدُّنْيَا وَيُظَنُّ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِكُفْرِهِ لِحَمَلِهِ فَلِهَذَا قَالَ فِيهِ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ اللَّهُ فَآتَى بِنِيَةِ الْمَفَاضِلَةِ وَهِيَ أَفْعَلُ مِنْ كَذَا فَافْهَمُوا هَذَا الْمَعْنَى وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس والستون في معرفة سر الشريعة ظاهرا و باطنا وأي اسم إلهي أوجدها)

فأبى الجليل يشاهد الإجلالا	طلب الجليل من الجليل جلالا
عبد الإله يصاحب الإدلالا	لما رأى عز الإله و جوده
متجبرا متكبرا محتالا	وقد اطمأن بنفسه متعززا
فأذله سلطانها إذلالا	أنهى إليه شريعة معصومة
يا من تبارك جده و تعالى	نادى العبيد بفاقة و بذلة

قال الله عز وجل قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَرْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاً رَسُولاً وَقَالَ تَعَالَى وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً فَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَةَ لِسَانَ حَالٍ تَعْطِيهَا الْحَقَائِقُ فَاجْعَلْ بِأَلْبَابِكَ مَا تَسْمَعُ وَلَا تَتَوَهَّمُ الْكَثْرَةَ وَلَا الْاجْتِمَاعَ الْوَجُودِيَّ وَإِنَّمَا أُورِدَ فِي هَذَا الْبَابِ تَرْتِيبَ حَقَائِقَ مَعْقُولَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ لِأَنَّ جِهَةَ وَجُودِ عَيْنِي فَإِنَّ ذَاتَ الْحَقِّ وَاحِدَةٌ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ ذَاتٌ ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا عَلِمْنَا مِنْ وَجُودِنَا وَاقْتِرَانِنَا وَإِمَّاكَانِنَا أَنَّهُ لَا بَدَلَ لَنَا مِنْ مَرَجِحِ نَسْتَدِ إِلَيْهِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْمُسْتَدَّ لَا بَدَلَ أَنْ يُطَلَّبَ وَجُودِنَا مِنْهُ نَسْبًا مُخْتَلَفَةً كَمَا الشَّارِعُ عَنْهَا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَسُمِّيَ بِهَا مِنْ كَوْنِهِ مُتَكَلِّمًا فِي مَرْتَبَةٍ وَجُوبِيَّةٍ وَجُودِهِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا يَصِحُّ أَنْ يَشَارَكَ فِيهِ فَإِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ فَأَقُولُ

بعد هذا التقرير في ابتداء هذا الأمر و التأثير و الترجيح في العالم الممكن إن الأسماء اجتمعت بحضرة المسمى و نظرت في حقائقها و معانيها فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها فإن الخالق الذي هو المقدر و العالم و المدبر و المفصل و الباري و المصور و الرزاق و الحبي و المميت و الوارث و الشكور و جميع الأسماء الإلهية نظروا في ذواتهم و لم يروا مخلوقا و لا مدبرا و لا مفصلا و لا مصورا و لا مرزوقا فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي تظهر أحكامنا فيها فيظهر سلطاننا فليجأت الأسماء الإلهية التي تطلبها بعض حقائق العالم بعد ظهور عينه إلى الاسم الباري فقالوا له عسى توجد هذه الأعيان لتظهر أحكامنا و يثبت سلطاننا إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال الباري ذلك راجع إلى الاسم القادر فإني تحت حيطته و كان أصل هذا أن الممكنات في حال عدمها سألت الأسماء الإلهية سؤال حال ذلة و افتقار و قالت لها إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضا و عن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا و كسوتونا حلة الوجود أنعمتم علينا بذلك و قمنا بما ينبغي لكم من الإجلال و التعظيم و أنتم أيضا كانت السلطنة تصح لكم في ظهورنا بالفعل و اليوم أنتم علينا سلاطين بالقوة و الصلاحية فهذا الذي نطلبه منكم هو في حقه أكثر منه في حقنا فقالت الأسماء إن هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح فتحركوا في طلب ذلك فلما لجئوا إلى الاسم القادر قال القادر أنا تحت حيطه المرید فلا أوجد عينا منكم إلا باختصاصه و لا يمكنني الممكن من نفسه إلا أن يأتيه أمر الأمر من ربه فإذا أمره بالتكوين و قال له كن مكني من نفسه و تعلقت بإيجاده فكوته من حينه فالجئوا إلى الاسم المرید عسى أنه يرجع و يخص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ تجتمع أنا و الأمر و المتكلم و نوجدكم فليجئوا إلى الاسم المرید فقالوا له إن الاسم القادر سألناه في إيجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المرید صدق القادر و لكن ما عندي خبر ما حكم الاسم العالم فيكم هل سبق علمه بإيجادكم فنخصص أو لم يسبق فإننا تحت حيطه الاسم العالم فسيروا إليه و اذكروا له قضيتكم فساروا إلى الاسم العالم و ذكروا ما قاله الاسم المرید فقال العالم صدق المرید و قد سبق علمي بإيجادكم و لكن الأدب أولى فإن لنا حضرة مهيمنة علينا و هي الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فإنها حضرة الجمع فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة الله فقال ما بالكم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم و إني دليل على مسمى و هو ذات مقدسة له نعوت الكمال و التنزيه فقفوا حتى أدخل على مدلولي فدخل على مدلوله فقال له ما قالته الممكنات و ما تحاورت فيه الأسماء فقال اخرج و قل لكل واحد من الأسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فإني الواحد لنفسي من حيث نفسي و الممكنات إنما تطلب مرتبتي و تطلبها مرتبتي و الأسماء إلهية كلها للمرتبة لاني إلا الواحد خاصة فهو اسم خصيص بي لا يشاركني في حقيقته من كل وجه أحد لا من و الأسماء و لا من المراتب و لا من الممكنات فخرج الاسم الله و معه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات و الأسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم و المرید و القائل و القادر فظهر الممكن الأول من الممكنات بتخصيص المرید و حكم العالم فلما ظهرت الأعيان و الآثار في الأكوان و تسلط بعضها على بعض و قهر بعضها بعضا بحسب ما تستند إليه من الأسماء فادى إلى منازعة و خصام فقالوا إنا نخاف علينا أن يفسد نظامنا و نلحق بالعدم الذي كنا فيه فنبهت الممكنات الأسماء بما ألقى

إليها الاسم العليم والمدبر وقالوا أنتم أيها الأسماء لو كان حكمكم على ميزان معلوم و حد مرسوم بإمام ترجعون إليه بحفظ علينا وجودنا و نحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجئوا إلى الله عسى يقدم من يجد لكم حدا تفقون عنده وإلا هلكنا و تعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة و عين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا إن الاسم المدبر هو ينهي أمركم فانها إلى المدبر الأمر فقال أنا لها فدخل و خرج بأمر الحق إلى الاسم الرب و قال له افعل ما تقتضيه المصلحة في بقاء أعيان هذه الممكنات فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به الوزير الواحد الاسم المدبر و الوزير الآخر المفصل قال تعالى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْتُونَ الَّذِي هُوَ الْإِمَامُ فَانظُرْ مَا أَحْكَمَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ جَاءَ بِلَفْظٍ مُطَابِقٍ لِلْحَالِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فَحَدَّ الْأَسْمَاءُ الرَّبِّ لِهَمِّ الْحُدُودِ وَ وَضَعَ لِهَمِّ الْمَرَامِ لِإِصْلَاحِ الْمَمْلُوكَةِ وَ لِيَبْلُوَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى قَسْمَيْنِ قَسَمٌ يَسْمَى سِيَاسَةَ حَكِيمِيَّةِ الْفَاهَا فِي فَطْرِ نَفُوسِ الْأَكْبَرِ مِنَ النَّاسِ فَحَدَّوْا حُدُودًا وَ وَضَعُوا نَوَامِيسَ بَقْوَةِ وَجَدِهَا فِي نَفُوسِهِمْ كُلِّ مَدِينَةٍ وَ جِهَةٍ وَ إِقْلِيمٍ مَجْسَبٌ مَا يَقْتَضِيهِ مَزَاجُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَ طَبَاعِهِمْ لِعِلْمِهِمْ بِمَا تَعْطِيهِ الْحِكْمَةُ فَانْحَفِظْتَ بِذَلِكَ أَمْوَالَ النَّاسِ وَ دِمَائِهِمْ وَ أَهْلُوهُمْ وَ أَرْحَامَهُمْ وَ أَنْسَابَهُمْ وَ سَمُوهَا نَوَامِيسَ وَ مَعْنَاهَا أَسْبَابُ خَيْرٍ لِأَنَّ النَّامُوسَ فِي الْعَرَفِ الْإِصْطِلَاحِي هُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ وَ الْجَسُوسُ يَسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ فَهَذِهِ هِيَ النَوَامِيسُ الْحَكِيمِيَّةُ الَّتِي وَضَعَهَا الْعُقَلَاءُ عَنِ الْإِهَامِ مِنَ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ لِصَالِحِ الْعَالَمِ وَ نَظْمِهِ وَ ارْتِبَاطِهِ فِي مَوَاضِعٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ شَرَعٌ إِلَهِي مَنْزِلٌ وَ لَا عِلْمٌ لِمَوَاضِعِ هَذِهِ النَوَامِيسِ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مُقَرَّبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَ لَا تَوَرَّثَ جَنَّةٌ وَ لَا نَارٌ وَ لَا شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الْآخِرَةِ وَ لَا عِلْمًا أَنْ تَمَّ آخِرَةٌ وَ بَعَثًا مُحْسُوسًا بَعْدَ الْمَوْتِ فِي أَجْسَامٍ طَبِيعِيَّةٍ وَ دَارًا فِيهَا أَكْلٌ وَ شَرِبٌ وَ لِبَاسٌ وَ نِكَاحٌ وَ فِرْحٌ وَ دَارًا فِيهَا عَذَابٌ وَ آلَمٌ فَإِنَّ وَجُودَ ذَلِكَ مُمْكِنٌ وَ عَدَمُهُ مُمْكِنٌ وَ لَا دَلِيلَ لَهُمْ فِي تَرْجِيحِ أَحَدِ الْمُمْكِنَيْنِ بِلِ رَهْبَانِيَّةٍ أَبَدَعُوهَا فَلِهَذَا كَانَ مَبْنِي نَوَامِيسِهِمْ وَ مَصَالِحِهِمْ عَلَى إِبْقَاءِ الصَّلَاحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ ثُمَّ انْفَرَدُوا فِي نَفُوسِهِمْ بِالْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَ مَا يَنْبَغِي لَجَلَالِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَ التَّقْدِيسِ وَ صِفَاتِ التَّنْزِيهِ وَ عَدَمِ الْمِثْلِ وَ التَّشْبِيهِ وَ نَبَهَ مِنْ يَدْرِي وَ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ لَا يَدْرِي وَ حَرَضُوا النَّاسَ عَلَى النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَ أَعْلَمُوهُمْ أَنَّ لِلْعُقُولِ مِنْ حَيْثُ أَفْكَارِهَا حُدَا تَقْفُ عِنْدَهُ لَا تَجَاوِزُهُ وَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَى قُلُوبِ بَعْضِ عِبَادِهِ فِيضًا إِلَهِيًّا يَعْلَمُهُمْ فِيهِ مِنْ لَدُنْهِ عِلْمًا وَ لَمْ يَبْعُدْ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَ إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْدَعَ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَمْوَارًا اسْتَدَلُّوا عَلَيْهَا بِوُجُودِ آثَارِهَا فِي الْعَالَمِ الْعَنْصَرِيِّ وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا فَابْحَثُوا عَنْ حَقَائِقِ نَفُوسِهِمْ لِمَا رَأَوْا أَنَّ الصُّورَةَ الْجَسَدِيَّةَ إِذَا مَا تَمَّتْ مَا نَقَصَ مِنْ أَعْضَائِهَا شَيْءٌ فَعَلِمُوا أَنَّ الْمَدْرَكَ وَ الْحَرَكَ لِهَذَا الْجَسَدِ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ آخِرٌ زَائِدٌ عَلَيْهِ فَابْحَثُوا عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ الزَّائِدِ فَعَرَفُوا نَفُوسَهُمْ ثُمَّ رَأَوْا أَنَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَ مَا كَانَ يَجْهَلُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ أَشْرَفَ مِنْ أَجْسَادِهَا فَإِنَّ الْفَقْرَ وَ الْفَاقَةَ يَصْحَبُهَا فَاعْتَلُوا بِالنَّظَرِ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وَ كَلِمًا وَصَلُوا إِلَى شَيْءٍ رَأَوْهُ مُفْتَقِرًا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ حَتَّى اتَّهَى بِهِمُ النَّظَرُ إِلَى شَيْءٍ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ وَ لَا مِثْلَهُ شَيْءٍ وَ لَا يَشْبَهُ شَيْئًا وَ لَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ فَوَقَفُوا عِنْدَهُ وَ قَالُوا هَذَا هُوَ الْأَوَّلُ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا لِذَاتِهِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ وَ أَنَّ أَوْلِيَّتَهُ لَا تَقْبَلُ الثَّانِيَّ وَ لَا أَحَدِيَّتَهُ لِأَنَّهُ لَا شَبَهَ لَهُ وَ لَا مَنَاسِبَ فَوَحْدَهُ تَوْحِيدٌ وَ جُودٌ ثُمَّ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْمُمْكِنَاتِ لِأَنْفُسِهَا لَا تَتَرَجَّحُ لِذَاتِهَا عِلْمًا أَنَّ هَذَا الْوَاحِدَ أَفَادَهَا الْوُجُودَ فَافْتَقَرَتْ إِلَيْهِ وَ عَظَمَتَهُ بِأَنَّ سَلَبَتْ عَنْهُ جَمِيعَ مَا تَصِفُ ذَوَاتِهَا بِهِ فَهَذَا حَدُّ الْعَقْلِ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ

إذ قام شخص من جنسهم لم يكن عندهم من الحكمة في العلم بحيث أن يعتقدوا فيه أنه ذو فكر صحيح ونظر صائب فقال لهم أنا رسول الله إليكم فقالوا الإنصاف أولى انظروا في نفس دعواه هل ادعى ما هو ممكن أو ادعى ما هو محال فقالوا إنه قد ثبت عندنا بالدليل أن لله فيضاً إلهياً يجوز أن يمنحه من يشاء كما أفاض ذلك على أرواح هذه الأفلاك وهذه العقول والكل قد اشتركوا في الإمكان وليس بعض الممكنات بأولى من بعض فيما هو ممكن فما بقي لنا نظر إلا في صدق هذا المدعي أو كذبه ولا تقدم على شيء من هذين الحكيمين بغير دليل فإنه سوء أدب مع علمنا فقالوا هل لك دليل على صدق ما تدعيه فجاءهم بالدلائل فنظروا في دلالته وفي أدلته ونظروا أن هذا الشخص ما عنده خبر مما تنتجته الأفكار ولا عرف منه فعلوا إن الذي أوحى في كل سماء أمرها كان مما أوحاه في كل سماء وجود هذا الشخص وما جاء به فأسرعوا إليه بالإيمان به وصدقوه وعلّموا أن الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلوي من المعارف ما لم تصل إليه أفكارهم ثم أعطاه من المعرفة بالله ما لم يكن عندهم ورأوا نزوله في المعارف بالله إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك وإلى الكبير العقل الصحيح النظر بما يصلح لعقله من ذلك فعلموا أن الرجل عنده من الفيض الإلهي ما هو وراء طور العقل وأن الله قد أعطاه من العلم به والقدرة عليه ما لم يعطه إياهم فقالوا بفضلهم وتقدمه عليهم وآمنوا به وصدقوه واتبعوه فعين لهم الأفعال المقربة إلى الله تعالى وأعلمهم بما خلق الله من الممكنات فيما غاب عنهم وما يكون منه سبحانه فيهم في المستقبل وجاءهم بالبعث والنشور والحشر والجنة والنار ثم إنه تابعت الرسل على اختلاف الأزمان واختلاف الأحوال وكل واحد منهم يصدق صاحبه ما اختلفوا قط في الأصول التي استندوا إليها وعبروا عنها وإن اختلفت الأحكام فنزلت الشرائع ونزلت الأحكام وكان الحكم مجسب الزمان والحال كما قال تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ فَتَفُتُّتْ أَصُولُهُمْ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَفَرَّقُوا فِي هَذِهِ السِّيَاسَاتِ النَّبَوِيَّةِ الْمَشْرُوعَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا وَضَعَتِ الْحُكَمَاءُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْحِكْمِيَّةِ الَّتِي اقْتَضَاهَا نَظَرُهُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بَلَّاشِكْ فَقَبِلُوا مَا أَعْلَمَهُمْ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ وَأَمَّنُوا بِالرَّسْلِ وَمَا عَابَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَمْ يَنْصَحْ نَفْسَهُ فِي عِلْمِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَطَلَبَ الرِّئَاسَةَ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَجَهْلَ نَفْسِهِ وَقَدْرَهُ وَجَهْلَ رَبِّهِ فَكَانَ أَصْلَ وَضَعِ الشَّرِيعَةِ فِي الْعَالَمِ وَسَبَبِهَا طَلَبُ صِلَاحِ الْعَالَمِ وَمَعْرِفَةُ مَا جَهْلَ مِنَ اللَّهِ مِمَّا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ أَيْ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ الْعَقْلُ مِنْ حَيْثُ نَظَرَهُ فَتَنَزَّلَتْ بِهِذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْكُتُبَ الْمُنزَلَةَ وَنَطَقَتْ بِهَا السَّنَةُ الرَّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَعَلِمَتِ الْعُقَلَاءُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهَا نَقْصُهَا مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ أُمُورٌ تَمْتَنُّهَا لَهُمُ الرَّسْلِ وَلَا أَعْنِي بِالْعُقَلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْيَوْمَ فِي الْحِكْمَةِ وَإِنَّمَا أَعْنِي بِالْعُقَلَاءِ مَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الشُّغْلِ بِنَفْسِهِ وَالرِّيَاضَاتِ وَالْمَجَاهِدَاتِ وَالخُلُوتِ وَالتَّهَيُّؤِ لَوَارِدَاتِ مَا يَأْتِيهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِنْدَ صِفَائِهَا مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ الْمُوْحَى فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى فَهَؤُلَاءِ أَعْنِي بِالْعُقَلَاءِ فَإِنَّ أَصْحَابَ اللَّقَلْقَلَةِ وَالْكَلامِ وَالْجِدْلِ الَّذِينَ اسْتَعْمَلُوا أَفْكَارَهُمْ فِي مَوَادِّ الْأَلْفَاظِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنِ الْأَوَائِلِ وَغَابُوا عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَخَذَهَا عَنْهُ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ وَأَمَّا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَنَا الْيَوْمَ لَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ فَإِنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِالْدينِ وَيَسْتَحْفُونَ بِعِبَادِ اللَّهِ وَلَا يَعْظَمُونَ عِنْدَهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ مَعَهُمْ عَلَى مَدْرَجَتِهِمْ قَدْ اسْتَوَى عَلَى قُلُوبِهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَطَلَبُ الْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ كَمَا أَذْهَبَ الْعِلْمَ وَحَقَّرَهُمْ وَصَغَّرَهُمْ وَأَلْجَأَهُمْ إِلَى أَبْوَابِ

الملوك والولاة من الجهال فاذلتهم الملوك والولاة فأمثال هؤلاء لا يعتبر قوتهم فإن قلوبهم قد ختم الله عليها وفأصمهم وأعمى أبصارهم مع الدعوى العريضة أنهم أفضل العالم عند نفوسهم فالفقيه المفتي في دين الله مع قلة ورعه بكل وجه أحسن حالا من هؤلاء فإن صاحب الايمان مع كونه أخذه تقليدا هو أحسن حالا من هؤلاء العقلاء على زعمهم وحاشى العاقل أن يكون بمثل هذه الصفة وقد أدركنا من كان على حالهم قليلا وكانوا أعرف الناس بمقدار الرسل ومن أعظمهم تبعا لسنن الرسول صلى الله عليه وسلم وأشهدهم محافظة على سننه عارفين بما ينبغي لجلال الحق من التعظيم عالمين بما خص الله عباده من النبيين وأتباعهم من الأولياء من العلم بالله من جهة الفيض الإلهي الاختصاصي الخارج عن التعلم المعتاد من الدرس والاجتهاد ما لا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل إليه ولقد سمعت واحدا من أكابرهم وقد رأى مما فتح الله به علي من العلم به سبحانه من غير نظر ولا قراءة بل من خلوة خلوت بها مع الله ولم أكن من أهل الطلب فقال الحمد لله الذي أنا في زمان رأيت فيه من آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما فالله يَخَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع والستون في معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو الايمان)

أنه لا إله إلا هو الله شهد الله لم يزل أزلا

أنه لا إله إلا هو الله ثم أملاكه بذا شهدت

أنه لا إله إلا هو الله وأولو العلم كلهم شهدوا

إنه لا إله إلا هو الله ثم قال الرسول قولوا معي

من قبلنا لا إله إلا هو الله أفضل ما قلته وقال به

أنه لا إله إلا هو الله ما عدا الإنس كلهم شهدوا

قال الله جل ثناؤه في كتابه العزيز شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قانما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ثم قال إن الدين عند الله الإسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الحديث فقال سبحانه وأولو العلم لم يقل وأولو الايمان فإن شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون إيمانا ولهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون إلا عن علم وإفلا تصح شهادته ثم إنه عز وجل عطف الملائكة وأولي العلم على نفسه بالواو وهو حرف يعطي الاشتراك ولا اشتراك هنا إلا في الشهادة قطعاً ثم أضافهم إلى العلم لا إلى الايمان فعلمنا أنه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم النظري أو الضروري لا من طريق الخبر كأنه يقول وشهدت الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروري من التجلي الذي أفادهم العلم وقام لهم مقام النظر الصحيح في الأدلة فشهدت لي بالتوحيد كما شهدت لنفسي وأولو العلم بالنظر العقلي الذي جعلته في عبادي ثم جاء بالإيمان بعد ذلك في الرتبة الثانية من العلماء وهو الذي يعول عليه في

السعادة فإن الله به أمر وسميها علما لكون المخبر هو الله فقال **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** وقال تعالى **وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** حين قسم المراتب في آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح من أمات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ولم يقل هنا يؤمن فإن الإيمان موقوف على الخبر وقد قال **وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** وقد علمنا أن الله عبادا كانوا في فترات وهم موحدون علما وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة فيلزم أهل كل زمان الإيمان فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق الذي يفيد العلم لا من جهة الإيمان وغير المؤمن بالإيمان لا يصح وجوده إلا بعد مجيء الرسول والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثم لها وأن ذاك الإله واحد لا بد من ذلك لأن الرسول من جنس من أرسل إليهم فلا يختص واحد من الجنس دون غيره إلا لعدم المعارض وهو الشريك فلا بد أن يكون عالما بتوحيد من أرسله وهو الله تعالى ولا بد أن يتقدمه العلم بأن هذا الإله هو على صفة يمكن أن يبعث رسولا بنسبة خاصة ما هي ذاته وحينئذ ينظر في صدق دعوى هذا الرسول أنه رسول من عند الله لا مكان ذلك عنده وهذه في العلم مراتب معقولة يتوقف العلم بعضها على بعض وليس هذا كله حظ المؤمن فإن مرتبة الإيمان وهو التصديق بأن هذا رسول من عند الله لا تكون إلا بعد حصول هذا العلم الذي ذكرناه فإذا جاءت الدلالات على صدقه بأنه رسول الله لا بتوحيد مرسله حينئذ تتأهب العقلاء أولو الأبواب والأحلام والنهي لما يورده في رسالته هذا الرسول فأول شيء قال في رسالته إن الله الذي أرسلني بقول لكم قولوا لا إله إلا الله فاعلم أولو الأبواب أن العالم بتوحيد الله لا يلزمه أن يتلفظ به فلما سمع من الرسول الأمر بالتلفظ به وأن ذلك ليس من مدلول دليل العلم بتوحيد الله تلفظ به هذا العالم الموحد إيمانا وتصديقا بهذا الرسول فإذا قال العالم لا إله إلا الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا إله إلا الله عن أمر الله سمي مؤمنا فإن الرسول أوجب عليه أن يقولها وقد كان في نفسه عالما بها ومخيرا في نفسه في التلفظ بها وعدم التلفظ بها فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل فمن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة بلا شك ولا ريب وهو من السعداء فأما من كان في الفترات فيبعثه الله أمة وحده كنهس بن ساعدة لا تابع لأنه ليس بمؤمن ولا هو متبوع لأنه ليس برسول من عند الله بل هو عالم بالله وبما علم من الكوائن الحادثة في العالم بأي وجه علمها وليس لمخلوق أن يشرع ما لم يأذن به الله ولا أن يوجب وقوع ممكن من عالم الغيب يجوز خلافه في دليله على جهة القربة إلى الله إلا بوحي من الله وأخبارنا وهنا نكت لمن له قلب وفطنة لقوله تعالى **وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا** وقوله إنه أودع اللوح المحفوظ جميع ما يجريه في خلقه إلى يوم القيامة ومما أوحى الله في سمواته وأودعه في لوحه بعثة الرسل فتؤخذ من اللوح كشفا واطلاعا وتؤخذ من السماء نظرا واختبارا وعلمهم ببعثة الرسل علمهم بما يحيون به من القربات إلى الله وبأزمانهم وأمكنهم وحلاهم وما يكون من الناس بعد الموت وما يكون منهم في البعث والحشر ومآلهم إلى السعادة والشقاء من الجنة ونار وأن الله جعل بروج الفلك ومنازله وسباحة كواكبه أدلة على حكم ما يجريه الله في العالم الطبيعي والعنصري من حر وبرد ويبس ورطوبة في حار وبارد ورطب ويابس فمنها ما يقتضي وجود الأجسام في حركات معلومة ومنها ما يقتضي وجود الأرواح ومنها ما

يقتضي بقاء مدة السموات وهو العلم الذي أشار إليه أبو طالب المكّي من أن الفلك يدور بأنفاس العالم ومع رؤيتهم لذلك كله هم فيه متفاضلون بعضهم على بعض فمنهم الكامل المحقق المدقق ومنهم من ينزل عن درجته بالتفاضل في النزول وقد رأينا جماعة من أصحاب خط الرمل والعلماء بتقادير حركات الأفلاك وتسيير كواكبها والاقترانات ومقاديرها ومنازل اقتراناتها وما يحدث الله عند ذلك من الحكم في خلقه كالأسباب المعتادة في العامة التي لا يجيئها أحد ولا يكفر القائل بها فهذه أيضا مععادة عند العلماء بها فإنها تعطي بحسب تأليف طباعها مما لا يعطيه حالها في غير اقترانها بغيرها فيخبون بأمر جزئية تقع على حد ما أخبروا به وإن كان ذلك الأمر واقعا بحكم الاتفاق بالنظر إليه وإن كان علما في نفس الأمر فإن الناظر فيه ما هو على يقين وإن قطع به في نفسه لغموض الأمر فما يصح أن يكون مع الإنصاف على يقين من نفسه أنه ما فاتته دقيقة في نظره ولا فات لمن مهد له السبيل قبله من غيرني يخبر عن الله فإن المتأخر على حساب المتقدم يعتمد فلما رأينا ذلك علمنا أن الله أسراراً في خلقه ومن حصل في هذه المرتبة من العلم لم يكن أحد أقوى في الأيمان منه بما جاءت به الرسل وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله إلا من يدعو إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه وإن كلامنا في المفاضلة إنما هو بين هؤلاء وبين المؤمنين أهل التقليد لا بين الرسل وأولياء الله وخاصة الذين تولى الله تعليمهم فأتاهم رحمة من عنده وعلمهم من لدنه علما فهم فيما علموه بحكم القطع لا بحكم الاتفاق يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الخط إن نبيا من الأنبياء بعث به قيل هو إدريس عليه السلام فأوحى الله إليه في تلك الأشكال التي أقامها الله له مقام الملك لغيره وكما يجيء الملك من غير قصد من النبي لمحيطه كذلك يجيء شكل الخط من غير قصد الضارب صاحب الخط إليه وهذه هي الأمهات خاصة ثم شرع له أن يشرع وهي السنة التي يرى الرسول أن يضعها في العالم وأصلها الوحي كذلك ما يولد صاحب الخط عن الأمهات من الأولاد وأولاد الأولاد فتفصح له تلك الأشكال عن الأمر المطلوب على ما هو عليه والضمير فيه كالتبعية في العمل فلا يخطئ قال عليه السلام في العلماء العالمين بالخط فمن وافق خطه يعني خط ذلك النبي فذاك يقول فقد أصاب الحق فهذا مثل من يدعو إلى الله على بصيرة من اتباع الرسل فقله فإن وافق فما جعله علما عنده لكونه لا يقطع به وإن كان علما في نفس الأمر فهذا الفرق بين هؤلاء وبين من يدعو إلى الله على بصيرة ومن هو على بينة من ربه فاعلم العلماء بالله بعد ملائكة الله رسل الله وأولياؤه ثم العلماء بالأدلة ومن دونهم وإن وافق العلم في نفس الأمر فليس هو عند نفسه بعالم للتردد الإمكانى الذي يجده في نفسه المنصف فما هو مؤمن إلا بما جاء في كتاب الله على التعيين وما جاء عن رسوله على الجملة لا على التفصيل إلا ما حصل له من ذلك تواترا ولهذا قيل للمؤمنين آمنوا بالله ورسوله فقد بانت لك مراتب الخلق في العلم بالله فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله وقال للجميع قولوا لا إله إلا الله علمنا على القطع أنه صلى الله عليه وسلم في ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين وعلمنا أنه في ذلك القول أيضا معلم للعلماء بالله وتوحيدهم إن التلفظ به واجب وأنه العاصم لهم من سفك دمائهم وأخذ أموالهم وسي ذراريتهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم

على الله ولم يقل حتى يعلموا فإن فيهم العلماء فالحكم هنا للقول لا للعلم والحكم يوم تُبلى السرائر في هذا للعلم لا للقول فقالها هنا العالم والمؤمن والمنافق الذي ليس بعالم ولا مؤمن فإذا قالوا هذه الكلمة عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها في الدنيا والآخرة وحسابهم على الله في الآخرة من أجل المنافق ومن ترتب عليه حق لأحد فلم يؤخذ منه وأما في الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعه فإن قول لا إله إلا الله لا يسقطها في الدنيا ولا في الآخرة وأما حسابهم على الله في الآخرة يوم يجتمع الله الرسل فيقول ما ذا أُجبتُم فيعلمون بقربة الحال أنه سؤال واستفهام عن إجابتهم بالقلوب فيقولون لا علم لنا أي لم نطلع على القلوب إنا أنت علام الغيوب تأكيد وتأيد لما ذكرنا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اسمه الملك بنى الإسلام على خمس فصيحه ملكا شهادة أن لا إله إلا الله وهي القلب وأن محمدا رسول الله حاجب الباب وإقام الصلاة المحنبة اليمنى وإيتاء الزكاة المحنبة اليسرى وصيام رمضان التقدمة والحج الساقية وربما كانت الصلاة التقدمة لكونها نورا فهي تحجب الملك وقد ورد في الخبر أن حجاب النور وتكون الزكاة الميمنة لأنها إيفاق يحتاج إلى قوة لإخراج ما كان يملكه عن ملكه ويكون الحج الميسرة لما فيه من الإنفاق والقرابين حيث تجتمع بالزكاة في الصدقة والهدية وكلاهما من أعمال الأيدي ويكون الصوم في الساقية فإن الخلف نظير الأمام وهو ضياء فإن الصبر ضياء يريد الصوم والضياء من النور فهو أولى بالساقية للموازنة فإن الآخر يمشي على أثر الأول وهكذا يكون الإيمان الإلهي يوم القيامة فيأتي الإيمان يوم القيامة في صورة ملك على هذه الصفة فأهل لا إله إلا الله في القلب وأهل الصلاة في التقدمة وأهل الزكاة وهي الصدقة في الميمنة وأهل الحج في الميسرة وأهل الصيام في الساقية جعلنا الله من قام بناء بيته على هذه القواعد فكان بيته الإيمان وحده من القبلة الصلاة ومن الشمال الصوم ومن الغرب صدقة السر ومن الشرق الحج فلقد سعد ساكنه واعلم أن لا إله إلا الله كلمة نفي وإثبات وهي أفضل كلمة قالتها الأنبياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة فيه إشارة لدعاء العارفين بالله وأفضل ما قلته أنا والنبون من قبلي لا إله إلا الله وهو حديث صحيح رواية ومعنى فالنفي لا بد أن يرد على ثابت فينفيه فإنه إن ورد النفي على ما ليس بثابت وهو النفي أثبتة لأن ورود النفي على النفي إثبات كما إن عدم العدم وجود فما نفي هذا النافي بقوله لا إله إلا الله أخبرونا فقد استقمتناكم والمثبت أيضا هل حكمه حكم المنفي من أنه لا يثبت إلا المنفي أو حكمه حكم آخر يتميز به عن حكم النفي فأى شيء نفي هذا النافي وأي شيء أثبت هذا المثبت هذا كله لا بد من تحقيقه إن شاء الله فاعلم إن النفي ورد على أعيان من المخلوقات لما وصفت بالألوهية ونسبت إليها وقيل فيها ألهة ولهذا تعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله الواحد فأخبرنا الله عنه أنه قال أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ فَسَمَوْهَا آلِهَةً وَهِيَ لَيْسَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَوَرَدَ حُكْمُ النَّفْيِ عَلَى هَذِهِ النَّسْبَةِ الثَّابِتَةِ عِنْدَهُمْ إِلَيْهَا لِأَنَّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا عَلَى نَفْيِ الْأُلُوْهِةِ لِأَنَّهُ لَوْ نَفَى النَّفْيُ لَكَانَ عَيْنَ الْإِثْبَاتِ مَا زَعَمَهُ الْمُشْرِكُ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلْمُشْرِكِ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قُلْتَ لَا يَصِحُّ أَيُّ مَا هُوَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتَ وَلَا بَدَّ مِنْ إِلَهٍ وَقَدْ انْتَفَتِ الْكُثْرَةُ مِنَ الْإِلَهَةِ بِجَرَفِ الْإِجْبَابِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ إِلَّا وَأَوْجَبُوا هَذِهِ النَّسْبَةَ إِلَى الْمَذْكُورِ بَعْدَ حَرْفِ الْإِجْبَابِ وَهُوَ مَسْمَى اللَّهُ فَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَمْ تَثْبُتْ نَسْبَةُ الْأُلُوْهِةِ لِلَّهِ بِإِثْبَاتِ الْمَثْبُتِ لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ إِلَهُ لِنَفْسِهِ فَأَثْبَتَ الْمَثْبُتَ بِقَوْلِهِ إِلَّا اللَّهُ هَذَا

الأمر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده سبحانه بهذا الوصف فإن ثبت الثبوت محال وليس نفي المنفي بمحال فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا الله لأنه لو لم يعتقد الألوهة في الشريك ما عبده وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ولذلك غار الحق لهذا الوصف فعاقبهم في الدنيا إذ لم يحترموه و رزقهم وسمع دعاءهم وأجابهم إذا سألوا إلههم في زعمهم لعلمه سبحانه أنهم ما لجأوا إلا لهذه المرتبة وإن أخطأوا في النسبة فشقوا في الآخرة شقاء الأبد حيث نههم الرسول على توحيد من تجب له هذه النسبة فلم ينظروا ولا نصحوا نفوسهم ولهذا كانت دلالة كل رسول بحسب ما كان الغالب على أهل زمانه لتقوم عليهم الحجة فتكون لله الحجة البالغة فعمت هذه الكلمة مرتبة العدم والوجود فلم تبق مرتبة إلا وهي داخله تحت النفي والإثبات فلها الشمول فمن قائل لا إله إلا الله بنفسه ومن قائل لا إله إلا الله بنعته ومن قائل لا إله إلا الله بربه ومن قائل لا إله إلا الله بنعت ربه ومن قائل لا إله إلا الله بحاله ومن قائل لا إله إلا الله بحكمه وهو المؤمن خاصة والخمسة الباقون ما لهم في الإيمان مدخل أما من قال لا إله إلا الله بنفسه فهو الذي قالها من تجليه لنفسه فرأى استفادة وجوده من غيره فأعطته رؤية نفسه أن يقول لا إله إلا الله وهو التوحيد الذاتي الذي أشارت إليه طائفة من الحققين وأما القائل لا إله إلا الله بنعته فهو الذي وحده بعلمه فإن نعمته العلم بتوحيد الله وأحديته فنطقه علمه والفرق بينه وبين الأول أن الأول عن شهود وهذا الثاني عن وجود والوجود قد يكون عن شهود وقد لا يكون وأما القائل لا إله إلا الله بربه فهو الذي رأى أن الحق عين الوجود لا أمر آخر وأن اتصاف الممكنات بالوجود هو ظهور الحق لنفسه بأعيانها وذلك أن استفادتها الوجود لها من الله إنما هو من حيث وجوده فإن الوجود المستفاد وهو الظاهر وهو عين الحكم به على هذه الأعيان فقال لا إله إلا الله بربه وأما القائل لا إله إلا الله بنعت ربه فإنه رأى أن الحق سبحانه من حيث أحديته وذاته ما هو مسمى الله والرب فإنه لا يقبل الإضافة ورأى أن مسمى الرب يقتضي المربوب ومسمى الله يطلب المألوه ورأى أنهم لما استفادوا منه الوجود ثبت له اسم الرب إذ كان المربوب يطلبه فالمربوب أصل في ثبوت الاسم الرب ووجود الحق أصل في وجود الممكنات ورأى أن لا إله إلا الله لا تطلبه عين الذات فقال لا إله إلا الله بنعت الرب الذي نعمته به المربوب فالعلم بنا أصل في علمنا به يقول عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فوجدنا موقوف على وجوده والعلم به موقوف على العلم بنا فهو أصل في وجهه ونحن أصل في وجهه وأما القائل لا إله إلا الله بحاله فهو الذي يستند في أموره إلى غير الله فإذا لم يتفق له حصول ما طلب تحصيله ممن استند إليه وسدت الأبواب في وجهه من جميع الجهات رجع إلى الله اضطرارا فقال لا إله إلا الله بحاله وهؤلاء الأصناف كلهم لا يتصفون بالإيمان لأنه ما فيهم من قالها عن تقليد وأما من قال لا إله إلا الله بحكمه فهو الذي قالها لقول الشارع حيث أوجب عليه أن يقولها وحكم عليه أن يقولها ولولا هذا الحكم ما قالها على جهة القربة إلى الله وربما لو قالها قالها معلما أو معلما دخلت على شيخنا أبي العباس العربي من أهل العلياء وكان مستهترا بذكر الاسم الله لا يزيد عليه شيئا فقلت له يا سيدي لم تقول لا إله إلا الله فقال لي يا ولدي الأنفاس بيد الله ما هي بيدي فأخاف أن يقبض الله روحي عند ما قول لاله فأقبض في وحشة النفي وسألت شيخنا آخر عن ذلك فقال لي ما رأيت عيني ولا سمعت أذني من يقول أنا الله غير الله فلم أجد من أنفى فأقول كما سمعته يقول الله الله وإنما تعبدنا بهذا الاسم في التوحيد لأنه

الاسم الجامع المنعوت بجميع الأسماء الإلهية وما نقل إنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة بخلاف غيره من الأسماء مثل إله وغيره و بهذا القدر من القول إذا قيل لقول الشارع يثبت الايمان وإنما قال الشارع حتى يقولوا لا إله إلا الله ولم يقل محمد رسول الله لتضمن هذه الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة فإن القائل لا إله إلا الله لا يكون مؤمنا إلا إذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لهذا لم يقل قولوا محمد رسول الله وقال في غير القول وهو الايمان والايان معنى من المعاني ما هو مما يدرك بالحس فترن بالايان بالله الايمان به وبما جاء به يعنى من عنده مما له أن يشرعه من غير نقل عن الله فقال في حديث ابن عمر لما ذكر الايمان بالله وبالصلاة والزكاة والحج والصوم وكل هذا جاء من عند الله قال في حديث ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به من أجل المنافق المقلد فإنه يقولها من غير إيمان بقلبه ولا اعتقاد والجاحد المنافق يقولها لا لقوله مع علمه بأنه رسول الله من كتابه لا من دليله العقلي واعلم أن التلفظ بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد فيه سر إلهي عرفنا به الحق سبحانه وهو أن الإله الواحد الذي جاء بوصفه و نعتة الشارع ما هو التوحيد الإلهي الذي أدركه العقل فإن ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد فهذا التوحيد من حيث ما يعلمه الشارع ما هو التوحيد من حيث ما أثبتته النظر العقلي وإذا كان الإله الذي دعانا الشرع إلى عبادته وتوحيده إنما هو في رتبة كونه إلهيا لا في ذاته صح أن نتعته بما نعته به من النزول والاستواء والمعية والتردد والتدبر وما أشبه ذلك من الصفات التي لا يقبلها توحيد العقل المحض الجرد عن الشرع فهذا المعبود ينبغي أن تقرر شهادة الرسول برسالته بشهادة توحيد مرسله ولهذا يضاف إليه فيقال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله كل يوم ثلاثين مرة في أذان الخمس الصلوات وفي الإقامة والمتلفظون بهذه الشهادة الرسالية التفصيل فيهم كالتفصيل في شهادة التوحيد فلنتمش بها على ذلك الأسلوب من المراتب وفي الايمان بالله و برسوله الايمان بكل ما جاء به من عند الله و من عنده مما سنه و شرعه و يدخل فيما سنه الايمان بسنة من سن سنة حسنة فاستمر الشرع و حدوث العبادة المرغوب فيها مما لا ينسخ حكما ثابتا إلى يوم القيامة وهذا الحكم خاص بهذه الأمة وأعني بالحكم تسميتها سنة تشريفا لهذه الأمة وكانت في حق غيرهم من الأمم السالفة تسمى رهباينة قال تعالى وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا فَمَنْ قَالَ بدعة في هذه الأمة مما سماها الشارع سنة فما أصاب السنة إلا أن يكون ما بلغه ذلك والاتباع أولى من الابتداع والفرق بين الاتباع والابتداع معقول ولهذا جنح الشارع إلى تسميتها سنة وما سماها بدعة لأن الابتداع إظهار أمر على غير مثال هذا أصله ولهذا قال الحق تعالى عن نفسه بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَي مَوْجِدُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ فَلَوْ شَرَعَ الْإِنْسَانُ الْيَوْمَ أَمْرًا لَأَصْلَحَ لَهُ فِي الشَّرْعِ لَكِنْ ذَلِكَ إِبْدَاعٌ وَلَمْ يَكُنْ يَسُوغُ لَنَا الْأَخْذَ بِهِ فَعَدَلَ الشَّارِعُ عَنْ لَفْظِ الْإِبْتِدَاعِ إِلَى لَفْظِ السَّنَةِ إِذْ كَانَتْ السَّنَةُ مَشْرُوعَةً وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الافتداء يهدي الأنبياء عليهم السلام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثالثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثامن والستون في أسرار الطهارة)

يسيرا على أهل التيقظ و الذكاء
تبصر ترى سر الطهارة واضحا
إذا جانب البحر اللدني واحتى
فكم طاهر لم يتصف بطهارة
و لم يفن عن بحر الحقيقة ما زكا
ولو غاص في البحر الأجاج حياته
على السنة المثلى حليفا لمن مضى
إذا استجمر الإنسان وترا فقد مشى
و فارق من يهواه من باطن الردا
فإن شفيع استجماره عاد خاسرا
بخيلا بما يهوى على فطرة الأولى
إذا لم يلح سيف التوكل منتضى
و صح له رفع الستور متى يشأ
ولا وقفت كفاه في ساحة القفا
فما غسلت كف خضيب و معصم
تسخرها الأغيار في منزل التوي
و صح له رفع الستور متى يشأ
تناقص معنى الطهر للحين و انتفى
و إن لم يميس الماء لمة رأسه
بريئا من الدعوى و فيا بما أدعي
فما انفك من رق العبودية التي
و إن لم ير الكرسي في غسل رجله
تناقص معنى الطهر للحين و انتفى
و إن لم يميس الماء لمة رأسه
بريئا من الدعوى و فيا بما أدعي
و مستنشق ما شم ريح اتصاله
إلى أحسن الأقوال و أكف و اقتفى
و مستنشق ما شم ريح اتصاله
إلى أحسن الأقوال و أكف و اقتفى
و إن لبس الجر موق و هو مسافر
على طهره يمسخ و في سره خفا
و إن لبس الجر موق و هو مسافر
على طهره يمسخ و في سره خفا
ثلاثة أيام و إن كان حاضرا
بمنزله فالمسح يوم بلا قضا
ثلاثة أيام و إن كان حاضرا
بمنزله فالمسح يوم بلا قضا
و في المسح سر لا أوج بذكره
و لو قطعت مني المفاصل و الكلبي
و في المسح سر لا أوج بذكره
و لو قطعت مني المفاصل و الكلبي
و يتلوه مسح في الجبائر بين
لكل مرید لم يرد ظاهر الدنا
و يتلوه مسح في الجبائر بين
لكل مرید لم يرد ظاهر الدنا
و إن عدم الماء القراح فإنه
تيممه يكفيه من طيب الثرى
و إن عدم الماء القراح فإنه
تيممه يكفيه من طيب الثرى
و يوتره وجها و كفا فإن أبي
و صيره شفعا فنعم الذي أتى
و يوتره وجها و كفا فإن أبي
و صيره شفعا فنعم الذي أتى
إذا أجنب الإنسان علم طهوره
كما عمدت اللذات أجزاءه العلى
إذا أجنب الإنسان علم طهوره
كما عمدت اللذات أجزاءه العلى
أ لم تر أن الله نبه خلقه
بإخراجه بين الترائب و المطا
أ لم تر أن الله نبه خلقه
بإخراجه بين الترائب و المطا

ولو غاب بالذات التزيهة ما جنا
 يعيد ويقضي ما تضمن واحتوى
 فلم يأنس الزلفى و ما بلغ المنى
 وليس جهول بالأمر كمن دري
 من أحزابهم تحظى بتقريب مصطفى
 توارى عن الأبصار أعظم منتشى
 فذاك الذي أجنى عليه طهوره
 فإن نسي الإنسان ركنا فإنه
 وإن لم يكن ركنا و عطل سنة
 و ذلك في كل العبادات شائع
 فهذا طهور العارفين فإن تكن
 إذا كان هذا ظاهر الأمر فالذي

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه أنه لما كانت الطهارة النظافة علمنا أنها صفة تنزيه وهي معنوية وحسية طهارة قلب و طهارة أعضاء معينة فالمعنوية طهارة النفس من سفاسف الأخلاق و مذمومها و طهارة العقل من دنس الأفكار و الشبه و طهارة السر من النظر إلى الأغيار و طهارة الأعضاء فاعلم إن لكل عضو طهارة معنوية ذكرناها في كتاب التنزلات الموصلية في أبواب الطهارة منه و طهارة الحس من الأمور المستقدرة التي تستحبها النفوس طبعاً و عادة و هاتان الطهارتان مشروعتان فالطهارة الحسية الظاهرة نوعان النوع الواحد قد ذكرناه وهو النظافة و النوع الآخر أفعال معينة مخصوصة في محال معينة مخصوصة لأحوال موجبة مخصوصة لا يزداد فيها و لا ينقص منها شرعاً و لهذه الطهارة المذكورة ثلاثة أسماء شرعاً و وضوء و غسل و تيمم و تكون هذه الطهارة بثلاثة أشياء اثنان مجمع عليهما و واحد مختلف فيه فالجمع عليهما الماء الطلق و التراب سواء فارق الأرض أو لم يفارقها و الواحد المختلف فيه في الوضوء خاصة نبيذ التمرو ما فارق الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض إذا كان في الأرض فإنه مختلف فيه ما عدا التراب كما ذكرنا و هذه الطهارة قد تكون عبادة مستقلة كما قال صلى الله عليه وسلم فيها نورٌ على نورٍ و قد تكون شرطاً في صحة عبادة مشروعة مخصوصة لا تصح تلك العبادة شرعاً إلا بوجودها أو الأفضلية فالأول كالوضوء على الوضوء نور على نور و الثاني لرفع المانع عن فعل العبادة التي لا تصح لاهذه الطهارة و استحابة فعلها و هو الأصل في تشريعها و مما تقع به هذه الطهارة ما يكون رافعا للمانع مبيحا للفعل معا و هو الماء بلا خلاف و نبيذ التمرو في الوضوء بخلاف و منه ما تقع به الإباحة للفعل المعين في الوقت المفروض وقوعه و لا يرفع المانع بخلاف و هو التراب و عندي إنه يرفع المانع في الوقت و لا بد و كون الشارع حكم بالطهارة إذا وجد الماء حكم آخر منه كما عاد حكم المانع بعد ما كان ارتفع و ما عدا التراب مما فارق الأرض بخلاف قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم بصف اللام و خفضه إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط (أو لأمستم النساء) فلم تجدوا ماءً فتمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم و قال تعالى و ينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان و زامى الرجز هنا بدل من السنين على قراءة من قرأ الزراط بالزاي وهي لغة قرأ ابن كثير بها أعني

بالسين و حمزة بالزاي و باقي القراء بالصاد سمعت شيخا و كتبت أقرأ عليه القرآن يقال له محمد بن خلف بن صاف اللخمي بمسجده المعروف به بقوس الحنية بإشيلية من بلاد الأندلس سنة ثمان و سبعين و خمسمائة فقرأت السراط بالسين لابن كثير فقال لي سألت بعض ناقلي اللغة بعض الأعراب كيف تقولون صقراً أو سقر فقال له ما أدري ما تقول ولكنني أظنك تسأل عن الزفر فقال فزادني لغة ثالثة ما كتبت أعرفها قال القراء الرجس القذر و لا شك أن الماء ينزل القذر و الطهور الشرعي يذهب قدر الشيطان قال تعالى وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ قَالَ إِمْرُؤُ الْقَيْسِ

وإن كنت قد ساءت مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

فكنى بالثوب عن الود و الوصلة و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في خبر عن ربه سبحانه ما وسعني أرضي و لا سماءي و وسعني قلب عبدي المؤمن و من أسمائه سبحانه المؤمن فمن تخلق به فقد طهر قلبه لأن القلب محل الايمان و كانت السعة الإلهية و التجلي الرباني (و الطهارة عامة) و هي الغسل للفناء الذي عم ذاته لوجود اللذة بالكون عند الجماع أريها السهي و تربني القمر (و خاصة) و هي الوضوء المخصص بعض الأعضاء بالاعتسال و المسح و هو تنبيه على مقامات معلومة و تجليات شريفة منها القوة و الكلام و الأنفاس و الصدق و التواضع و الحياء و السماع و الثبات فهذه أعضاء الوضوء و هي مقامات شريفة لها نتائج في القرب إلى الله و هذه الطاهرة الروحانية بأحد أمرين إما سر الحياة أو بأصل النشء الطبيعي العنصري فالوضوء بسر الحياة لمشاهدة الحي القيوم أو بأصل النشء في الأب الذي هو أصل الأبناء و هو الأرض و التراب و ليس إلا النظر و التفكير في ذاتك لتعرف من أوجدك فإنه أحالك عليك في قوله تعالى وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ و في قول رسوله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه أحالك عليك بالتفصيل و أخفأك عنك بالإجمال لتنظر و تستدل فقال في التفصيل وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ و هو آدم عليه السلام هنا ثم جعلناه نُطْفَةً في قرار مَكِينٍ و هي نشأة الأبناء في الأرحام مساقط النطف و مواقع النجوم فكمنى عن ذلك بالقرار المكين ثم خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا و قد تم البدن على التفصيل فإن اللحم يتضمن العروق و الأعصاب

و في كل طور له آية تدل على إني مقتر

ثم أجمل خلق النفس الناطقة الذي هو بها إنسان في هذه الآية فقال ثم أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ عرفك بذلك أن المزاج لا أثر له في لطيفتك و إن لم يكن نصاً لكن هو ظاهر و أبين منه قوله فسَوَّكَ فَعَدَّلَكَ و هو ما ذكره في التفصيل من القلب في الأطوار فقال في آية صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ فقرنه بالمشيئة فالظاهر أنه لو اقتضى المزاج روحاً خاصاً معيناً ما قال في آية صُورَةٍ مَا شَاءَ و أي حرف نكرة مثل حرف ما فإنه حرف يقع على كل شيء فأبان لك أن المزاج لا يطلب صورة بعينها و لكن بعد حصولها تحتاج إلى هذا المزاج و ترجع به فإنه بما فيه من القوي التي لا تدبره إلا بها فإنه بقواه لها كالات لصانع النجارة أو البناء مثلاً إذا هيئت و أتقنت و فرغ منها تطلب بذاتها و حالها صانعا يعمل بها ما صنعت له و ما تعين زيدا و لا عمرا و لا خالداً و لا واحداً بعينه فإذا جاء من جاء من أهل الصنعة مكنته الآلة من نفسها تمكيناً ذاتياً لا تتصف بالاختيار فيه

فجعل يعمل بها صنعة بصرف كل آلة لما هيئت له فمنها مكملة وهي المخلفة يعني التامة الخلفة ومنها غير مكملة وهي غير المخلفة فينقص العامل من العمل على قدر ما نقص من جودة الآلة ذلك ليعلم أن الكمال الذاتي لله سبحانه فينبغي لك الحق مرتبة جسدك وروحك لتتطهر وتتفكر فتعتبر أن الله ما خلقك سدى وإن طال المدى وأما القصد الذي هو النية شرط في صحة هذا النظر بخلاف قال تعالى قَسِمُوا صَعِيداً طَيِّباً أي اقصدوا التراب الذي ما فيه ما يمنع من استعماله في هذه العبادة من نجاسة ولم يقل ذلك في طهارة الماء فإنه أحال على الماء المطلق لا المضاف فإن الماء المضاف مقيد بما أضيف إليه عند العرب فإذا قلت للعربي أعطني ما جاء إليك بالماء الذي هو غير مضاف ما يفهم العرب منه غير ذلك وما أرسل رسول ولا أنزل كتاب إلا بلسان قومه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين يقول تعالى إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فهذا لم يقل بالقصد في الماء لأنه سر الحياة فيعطي الحياة بذاته سواء قصد أم لم يقصد بخلاف التراب فإنه إن لم يقصد الصعيد الطيب فليس بنافع لأنه جسد كثيف لا يسرى فروحه القصد فإن القصد معنى روحاني فاقتصر المتيمم للقصد الخاص في التراب أو الأرض بخلاف أيضا ولم يفتقر المتوضئ بالماء بخلاف فقال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا فإن قالوا إنما الأعمال بالنيات وهي القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقول ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هناك للصعيد فيفتقر الوضوء بهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل لا من حيث ما هو عمل بماء فالماء هنا تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية وهناك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع يحتاج إلى نية أخرى عند الشروع في الفعل كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص المأمور به وهو النية بخلاف قال تعالى وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وفي هذه الآية نظر وهذه مسألة ما حققها الفقهاء على الطريقة التي سلكتها فيها وفي تحقيقها فافهم ولم يقل في الماء تيمموا الماء فيفتقر إلى روح من النية الماء في نفسه روح فإنه يعطي الحياة من ذاته قال تعالى وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَسْبِغُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَلَا يَسْبِغُ إِلَّا حَيًّا فالماء أصل الحياة في الأشياء ولهذا وقع الخلاف بين علماء الشريعة في النية في الوضوء هل هي شرط في صحته أو ليست بشرط في صحته والسر ما ذكرناه فإن قيل إن الإمام الذي لا يرى النية في الوضوء يراها في غسل الجنابة وكلا العبادتين بالماء وهو سر الحياة فيهما قلنا لما كانت الجنابة ماء وقد اعتبر الشرع الطهارة منها لندس حكمي فيها لامتزاج ماء الجنابة بما في الأخلاط وكون الجنابة ماء مستحيلا من دم فشارك الماء في سر الحياة فتمانعا فلم يقو الماء وحده على إزالة حكم الجنابة لما ذكرنا فافتقر إلى روح مؤيد له عند الاغتسال فاحتاج إلى مساعدة النية فاجتمع حكم النية وهي روح معنوي وحكم الماء فإلا بالغسل حكم الجنابة بلا شك كأبي حنيفة ومن قال بقوله في هذه المسألة ومن راعى كون ماء الجنابة لا يقوى الماء المطلق لأنه ماء استحلال من دم كماء الجنابة إلى مازجته بالأخلاط ومفارقة إياه بالكثافة واللونية قال قد ضعف ماء الجنابة عن مقاومة الماء المطلق فلم يفتقر عنده إلى نية كالحسن بن حي والمخالف لهما من العلماء ما تفتنوا لما رأياه هذان الإمامان ومن ذهب مذهبهما فاجعل بالك لما بينته لك ورجح ما شئت (وصل) وبعد أن تحققت هذا فاعلم إن الماء ماء إن ماء

ملطف مقطر في غاية الصفاء والتخليص وهو ماء الغيث فإنه ماء مستحيل من أجرة كثيفة قد أزال التطير ما كان تعلق به من الكثافة و ذلك هو العلم الشرعي اللدني فإنه عن رياضة ومجاهدة وتخليص فطهر به ذاتك لمناجاة ربك والماء الآخر ماء لم يبلغ في للطاقة هذا المبلغ وهو ماء العيون والأنهار فإنه ينبع من الأحجار ممتزجا بحسب البقعة التي ينبع بها ويجري عليها فيختلف طعمه فمنه عذب فُراتٌ ومنه ملحٌ أجاجٌ ومنه مر زعاق وماء الغيث على حالة واحدة ماء نير خالص سلسال سائغ شرابه وهذه علوم الأفكار الصحيحة والعقول فإن علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها التغير لأنها بحسب مزاج المتفكر من العقلاء لأنه لا ينظر إلا في مواد محسوسة كونية في الخيال وعلى مثل هذا تقوم براهينها فتختلف مقالاتهم في الشيء الواحد أو تختلف مقالة الناظر الواحد في الشيء الواحد في أزمان مختلفة لاختلاف الأمزجة و التخليط والأمشاج الذي في نشأتهم فاختلفت أقاويلهم في الشيء الواحد وفي الأصول التي ينون عليها فروعهم والعلم اللدني الإلهي المشروع ذو طعم واحد وإن اختلفت مطاعمه فما اختلفت في الطيب فطيب وأطيب فهو خالص ما شابه كدر لأنه تخلص من حكم المزاج الطبيعي وتأثير المنايع فيه فكانت الأنبياء والأولياء وكل مخبر عن الله على قول واحد في الله إن لم يزد فلا ينقص ولا تخالف يصدق بعضهم بعضا كما لم يختلف ماء السماء حال النزول فليكن اعتمادك و طهورك في قلبك بمثل هذا العلم وليس إلا العلم بالشرع المشبه بماء الغيث وإن لم تفعل فما نصحت نفسك وتكون في ذاتك و طهورك بحسب ما تكون البقعة التي نبع منها ذلك الماء فإن فرقت بين عذبه وملحه فاعلم إنك سليم الحاسة وهذه مسألة لم أجد أحدا نبه عليها فإن أكل السكر بالحلاوة في السكر كذلك وفي مرارة الصبر ليس بصحيح ولا يقتضيه الدليل العقلي وقد نبهناك إن تنبهت فانظر ثم يا وليي استدرك استعمال علوم الشريعة في ذاتك و علوم الأولياء والعقلاء الذين أخذوها عن الله بالرياضات والخلوات والمجاهدات والاعتزالات عن فضول الجوارح وخواطر النفوس وإن لم تفرق بين هذه المياه فاعلم إنك سيئ المزاج قد غلب عليك خلط من أخلاطك فما لنا فيك من حيلة إلا أن يتدارك الله برحمته نفسك فإذا استعملت من ماء هذه العلوم في طهارتك ما دلتك عليه وهو العلم المشروع طهرت صفاتك وروحانيتك به كما طهرت أعضائك بالماء ونظفنتها فأول طهارتك غسل يديك قبل إدخالهما في الإناء عند قيامك من نوم الليل بالاختلاف ووجوب غسلهما من نوم النهار بخلاف واليد محل القوة والتصريف فطهورهما بعلم لا حول في اليسرى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في اليمنى واليدان محل القبض والإمساك بجلا وشحا فطهرهما بالبسط والإنفاق كرما و جودا و سخاء و نوم الليل غفلتك عن علم عالم غيبك و نوم النهار غفلتك عن علم عالم شهادتك فهذا عين تحلقك وتحققك بعالم الغيب و الشهادة من الأسماء الحسنى المضافة ثم بعد هذا الاستنجاء والاستجمار والجمع بينهما أفضل من الأفراد فهما طهارتان نور في نور مرغب فيهما سنة و قرآنا فإن استنجيت وهو استعمال الماء في طهارة السواتين لما قام بهما من الأذى وهما محل الستر والصوم كما هما محل إخراج الحبت والأذى القائم بباطنك وهو ما تعلق بباطنك من الأفكار الرديئة والشبه المضلة كما ورد في الصحيح أن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول فمن خلق الله فطهارة هذا القلب من هذا الأذى ما قال له رسول الله صلى الله عليه و

سلم الاستعاذة والانتهاة وهما عورتان أي مائلتان إلى ما يوسوس به نفسه من الأمور القادحة في الدين أصلاً وفرعاً فإن الدبر هو الأصل في الأذى فإنه ما وجد إلا لهذا والفرجان الآخران في الرجل والمرأة فرعان عن هذا الأصل ففيهما وجه إلى الخير ووجه إلى الشر وهو النكاح والسفاح ألا ترى النجاسة إذا وردت على الماء القليل أثرت فيه فلم يستعمل وإذا ورد الماء على النجاسة أذهب حكمها كذلك الشبه إذا وردت على القلوب الضعيفة الأيمان الضعيفة الرأي أثرت فيها وإذا وردت على البحر استهلكته فيه كذلك القلوب القوية المؤيدة بالعلم وروح القدس كذلك الشبه إذا جاء بها شيطان الإنس والجن إلى المتضلع من العلم الإلهي الريان منه قلب عينها وعرف كيف يرد نجاسها ذهباً وقرديرها فضة يأكسر العلم اللدني الذي عنده من عناية الرحمة الإلهية التي أتاه الله بها وعرف وجه الحق منها وأثر فيها فهذا سر الاستنجاء الروحاني فإن استجمر هذا المتوضئ ولم يستنج فاعلم إن ذلك طهور المقلد فإن الجمرة الجماعة ويد الله مع الجماعة ولا يأكل الذنب إلى القاصية وهي التي بعدت عن الجماعة وخرجت عنها وذلك مخالفة الإجماع والاستجمار معناه جمع أحجار أقفلها ثلاثة إلى ما فوقها من الأوتار لأن الوتر هو الله فلا يزال الوتر مشهودك والوتر طلب الثأر وهو هنا ما ألقاه الشيطان من الشبه في إيمانك فتجمع الأحجار للإنتقاء من ذلك الخبث القائم بالعضو فالمقلد إذا وجد شبهة في نفسه هرب إلى الجماعة أهل السنة فإن يد الله كما جاء مع الجماعة ويد الله تأييده وقوته وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مفارقة الجماعة ولهذا قام الإجماع في الدلالة على الحكم المشروع مقام النص من الكتاب أو السنة المتواترة التي تفيد العلم فهذا يكون استجمارك في هذه الطهارة ثم مضمض بالذكر الحسن لتزيل به الذكر القبيح من النعمة والغيبة والجهر بالسوء من القول فلتكن مضمضتك بالتلاوة وذكر الله وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وقال مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ وقال لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ جَوَاهِرِ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وما أشبه ذلك فهذه طهارة فيك وقد فتحت لك الباب فاجر في وضوئك وغسلك وتيممك في أعضائك على هذا الأسلوب فهو الذي طلبه الحق منك وقد استوفينا الكلام على هذه الطهارة في التنزلات الموصلية فانظرها هنالك نثراً ونظماً وقد رميت بك على الطريق ولتصرف هذه الطهارة بكما لها في كل مكلف منك فإن كل مكلف منك ما مور بجميع العبادات كلها من طهور وصلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد وغير ذلك من الأعمال المشروعة وكل مكلف فيك تصرفه في هذه العبادات بحسب ما تطلبه حقيقته لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها وقد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي بين كيف تستعمله فيها وهم ثمانية أصناف لا يزيدون لكن قد ينقصون في بعض الأشخاص وهم العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب لا زائد في الإنسان عليهم لكن قد ينقصون في بعض أشخاص هذا النوع الإنساني كالأكمه والأخرس والأصم وأصحاب العاهات فمن بقي من هؤلاء المكلفين منك فالخطاب يترتب عليه ومن خطاب الشارع تعلم جميع ما يتعلق بكل عضو من هؤلاء الأعضاء من تكاليف وهم كآلة للنفس المخاطبة المكلفة بتدبير هذا البدن وأنت المسئول عنهم في إقامة العدل فيهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انقطع شسع نعله خلع الأخرى حتى يعدل بين رجليه ولا يمشي في نعل واحد وقد بينها بكما لها وما لها من

الأنوار والكرامات والمنازل والأسرار والتجليات في كتابنا المسمى مواقع النجوم ما سبقنا في علمنا في هذا الطريق إلى ترتيبه أصلا و
قيدته في أحد عشر يوما في شهر رمضان بمدينة المرية سنة خمس وتسعين وخمسائة يغني عن الأستاذ بل الأستاذ محتاج إليه فإن الأستاذين
فيهم العالي والأعلى وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها فمن حصل لديه
فليعتمد بتوفيق الله عليه فإنه عظيم المنفعة وما جعلني أن أعرفك بمنزلة إلا أنني رأيت الحق في النوم مرتين وهو يقول لي أنصح عبادي وهذا
من أكبر نصيحة نصحتك بها والله الموفق وبه الهداية وليس لنا من الأمر شيء ولقد صدق الكذوب إبليس رسول الله صلى الله عليه و
سلم حين اجتمع به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندك فقال إبليس لتعلم يا رسول الله أن الله خلقك للهداية وما بيدك من
الهداية شيء وإن الله خلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء لم يزد على ذلك وانصرف وحالت الملائكة بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم (وصل) وبعد أن نهيتك على ما نهيتك عليه مما تقع لك به الفائدة فاعلم أن الله خاطب الإنسان بجملة ما خص ظاهره من
باطنه ولا باطنه من ظاهره فتوفرت دواعي الناس أكثرهم إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم وغفلوا عن الأحكام المشروعة في باطنهم
إلا القليل وهم أهل طريق الله فإنهم بحثوا في ذلك ظاهرا وباطنا فما من حكم قرره شرعا في ظواهرهم إلا ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى
باطنهم أخذوا على ذلك جميع أحكام الشرائع فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرا وباطنا ففازوا حين خسر الأثرون ونبغت طائفة ثالثة
ضلت وأضلت فأخذت الأحكام الشرعية وصرقتها في باطنهم وما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيئا تسمى الباطنية وهم في
ذلك على مذاهب مختلفة وقد ذكر الإمام أبو حامد في كتاب المستظهر له في الرد عليهم شيئا من مذاهبهم وبين خطأهم فيها والسعادة إنما
هي مع أهل الظاهر وهم في الطرف والنفيس من أهل الباطن والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن وهم العلماء
بالله وبأحكامه وكان في نفسي إن أخرج الله في عمري أن أضع كتابا كبيرا أقر فيه مسائل الشرع كلها كما وردت في أماكنها الظاهرة وأقررها
فإذا استوفينا المسألة المشروعة في ظاهر الحكم جعلنا إلى جانبها حكمها في باطن الإنسان فيسري حكم الشرع في الظاهر والباطن فإن أهل
طريق الله وإن كان هذا غرضهم ومقصدهم ولكن ما كل أحد منهم يفتح الله له في الفهم حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه فقصدنا في
هذا الكتاب إلى الأمر العام من العبادات وهي الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والتلفظ بلا إله إلا الله محمد رسول الله فاعتنت
بهذه الخمسة لكونها من قواعد الإسلام التي بنى الإسلام عليها وهي كالأركان للبيت فالإيمان هو عين البيت ومجموعه وباب البيت الذي
يدخل منه إليه وهذا الباب له مصراعان وهما التلفظ بالشهادتين وأركان البيت أربعة وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج فجردنا العناية
في إقامة هذا البيت لنسكن فيه ويقينا من زمهرير نفس جهنم وحرورها قال النبي صلى الله عليه وسلم اشكت النار إلى ربها فقالت يا
رب أكل بعضي فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما كان من سموء وحرور فهو من نفسها وما كان من برد وزمهرير
فهو من نفسها فاتخذ الناس البيوت لتقيهم حر الشمس وبرد الهواء فينبغي للعاقل أن يقيم لنفسه بيتا يكثره يوم القيامة من هذين النفسين في ذلك

اليوم لأن جهنم في ذلك اليوم تأتي بنفسها تسعى إلى الموقف تُقَوَّرُ تَكَادُ تَمَيِّزُ من الغَيْظِ على أعداء الله فمن كان في مثل هذا البيت وقاه الله من شرها وسطوتها ولما كانت الطهارة شرطاً في صحة الصلاة أفردنا لها باباً قد مناه بين يدي باب الصلاة ثم يتلوها الزكاة ثم الصوم ثم الحج و يكفي في هذا الكتاب هذا القدر من العبادات فأتبع أمهات مسائل كل باب منها وأقررها بالحكم الكلي باسمها في الظاهر ثم انتقل إلى حكم تلك المسألة عينها في الباطن إلى أن أفرغ منها والله يؤيد ويعين (بيان وإيضاح) فأول ذلك تسميتها طهارة وقد ذكرنا ذلك في أول الباب ظاهراً وباطناً فلنشرع إن شاء الله في أحكامها وهو أن ننظر في وجوبها وعلى من تجب ومتى تجب وفي أفعالها وفيما به تفعل وفي نواقضها وفي صفة الأشياء التي تفعل من أجلها كما فعلته علماء الشريعة وقررت في كتبها وقد انحصر في هذا أمر الطهارة ولننظر ذلك ظاهراً وباطناً وإنما نؤمى إليه ظاهراً حتى لا يفتر الناظر فيها إلى كتب الفقهاء فيغنيه ما ذكرناه ولا نتعرض للدلالة التي للعلماء على ثبوت هذا الحكم من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس في مذهب من يقول به لطرد علة جامعة يراها بين المنطوق عليه والمسكوت عنه لا أتعرض إلى أصول الفقه في ذلك ولا إلى الأدلة إذا العامة ليس منصبها النظر في الدليل فنحن نذكر أمهات فروع الأحكام ومذاهب الناس فيها من وجوب وغير وجوب (وصل) نقول أولاً أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف على وجوب الطهارة على كل من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها وأنها تجب على البالغ حد الحلم العاقل واختلف الناس هل من شرط وجوبها الإسلام أم لا هذا حكم الظاهر فأما الباطن في ذلك وهي الطهارة الباطنة فنقول إن باطن الصلاة وروحها إنما هو مناجاة الحق تعالى حيث قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث فذكر المناجاة يقول العبد كذا فيقول الله كذا فمضى أراد العبد مناجاة ربه في أي فعل كان تعينت عليه طهارة قلبه من كل شيء يخرج عنه مناجاة ربه في ذلك الفعل ومتى لم يتصف بهذه الطهارة في وقت مناجاته فما ناجاه وقد أساء الأدب فهو بالطرد أحق وسأذكر في أفعالها تقاسيم هذه الطهارة في الحكم إن شاء الله وأما قول العلماء إنها تجب على البالغ العاقل بالإجماع واختلفوا في الإسلام فكذلك عندنا تجب هذه الطهارة على العاقل وهو الذي يعقل عن الله أمره ونهيه وما يلقى الله في سره ويفرق بين خواطر قلبه فيما هو من الله أو من نفسه أو من لمة الملك أو من لمة الشيطان وذلك هو الإنسان فإذا بلغ في المعرفة والتمييز إلى هذا الحد وعقل عن الله ما يريد منه وسمع قول الله تعالى وسعني قلب عبدي وجب عليه عند ذلك استعمال هذه الطهارة في قلبه وفي كل عضو يتعلق به على الحد المشروع فإن طهارة البصر مثلاً في الباطن هو النظر في الأشياء بحكم الاعتبار وعينه فلا يرسل بصره عبثاً ولا يكون مثل هذا إلا لمن تحقق باستعمال الطهارة المشروعة في محلها كلها قال تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ فجعلها للابصار والاعتبار إنما هو للبصائر فذكر الأبصار لأنها الأسباب المؤدية إلى الباطن ما يعتبر فيه عين البصيرة وهكذا جميع الأعضاء كلها وأما قول العلماء في هذه الطهارة هل من شرط وجوبها الإسلام فهو قولهم هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وإن المنافق إذا توضح هل أدى واجبا أم لا وهي مسألة خلاف نعم جميع الأحكام المشروعة فمذهبنا أن جميع الناس كافة من مؤمن وكافر ومنافق مكلفون مخاطبون بأصول الشريعة وفروعها وأنهم مؤاخذون يوم القيامة بالأصول والفروع ولهذا كان المنافق في الدرك

الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ وَهُوَ بَاطِنُ النَّارِ وَإِنَّ الْمُنَافِقَ مَعَذَبَ بِالنَّارِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِذْ أَتَى فِي الدُّنْيَا بِصُورَةِ ظَاهِرِ الْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ مِنَ التَّلْفِظِ
 بِالشَّهَادَةِ وَإِظْهَارِ تَصْدِيقِ الرِّسْلِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَمَا عِنْدَهُمْ فِي بَاطِنِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَبِهَذَا الْقَدْرِ تَمَيَّزُوا مِنَ الْكُفَّارِ وَقِيلَ فِيهِمْ
 إِنَّهُمْ مُنَافِقُونَ قَالَ تَعَالَى إِنَّ (اللَّهُ جَامِعُ) الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا فَذَكَرَ الدَّارَ فَالْمُنَافِقُونَ يَعَذَّبُونَ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
 عَذَابٌ فِي الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدِ رَتَّبَ مَرَاتِبَ وَطَبَقَاتٍ لِلْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِأَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ بِأَعْضَاءٍ مَخْصُوصَةٍ عَلَى مِيزَانٍ مَعْلُومٍ
 لَا يَتَعَدَاهُ فَالْمُؤْمِنُ لَيْسَ لِلنَّارِ إِطْلَاعٌ عَلَى مَحَلِّ إِيمَانِهِ الْبَتَّةَ فَمَا لَهُ نَصِيبٌ فِي النَّارِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ وَإِنْ خَرَجَ عَنْهُ هُنَاكَ فَإِنَّ عِنَايَتَهُ سَارِيَةً فِي
 مَحَلِّهِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَإِنَّمَا يُخْرِجُ عَنْهُ لِيَحْمِيَهُ وَيُرَدِّدُ عَنْهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَمَا خَرَجَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا وَقَعَ الْمَعْصِيَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُؤْمِنِ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ وَيَزْنِي إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِحَالِ فَعَلِهِ وَقَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ يُخْرِجُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
 حَالِ الْفِعْلِ وَتَأْوَلُ النَّاسُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ لِأَنَّهُمْ مَا فَهَمُوا مَقْصُودَ الشَّارِعِ وَفَسَرُوا الْإِيمَانَ بِالْأَعْمَالِ فَقَالُوا إِنَّهُ أَرَادَ الْعَمَلَ فَأَبَانَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَادَهُ بِذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا زَنَى خَرَجَ عَنْهُ الْإِيمَانُ حَتَّى يَصِيرَ عَلَيْهِ
 كَالظُّلَّةِ فَإِذَا أَقْلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ فَاعْلَمْ أَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَرَعَ فِي الْمَخَالَفَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا مُؤْمِنٌ أَنَّهَا مَخَالَفَةٌ وَمَعْصِيَةٌ فَقَدْ
 عَرَضَ نَفْسَهُ بِفَعْلِهِ إِيَّاهَا لِنُزُولِ عَذَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِقْبَاعِ الْعُقُوبَةِ بِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ يَسْتَدْعِي وَقُوعَ الْبَلَاءِ بِهِ مِنَ اللَّهِ فَيُخْرِجُ عَنْهُ إِيمَانَهُ الَّذِي فِي
 قَلْبِهِ حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ مِثْلُ الظُّلَّةِ فَإِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ مِنَ اللَّهِ يَطْلُبُهُ تَلْقَاهُ إِيمَانَهُ فَيُرَدِّدُهُ عَنْهُ فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَقَاومُهُ شَيْءٌ وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ رَحْمَةٌ مِنَ
 اللَّهِ وَمَا بَعْدَ بَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَانَ وَهَذَا قَلْنَا إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا يَخْلُصُ لَهُ أَبَدًا مَعْصِيَةٌ لَا تَكُونُ مَشْهُوبَةً بِطَاعَةٍ وَهِيَ كَوْنُهُ
 مُؤْمِنًا بِهَا أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ خَاطَبُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا فَقَالَ اللَّهُ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَالتَّوْبَةُ الرَّجُوعُ فَمَعْنَاهُ أَنْ يَرْجِعَ عَلَيْهِمْ
 بِالرَّحْمَةِ فَإِنَّ تَعَالَى تَمَّ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ لَهُ ثُمَّ نَرَجِعُ وَقَوْلُهُ إِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْإِيمَانُ عَيْنَ
 طَهَارَةِ الْبَاطِنِ لَمْ يَتِمَّ أَنْ يَتَّصِرَ الْخِلَافُ فِيهِ كَمَا تَتَّصِرُ فِي الطَّهَارَةِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا بِوَجْهِ دَقِيقٍ يَكُونُ حُكْمُ الظَّاهِرِ فِيهِ فِي الْبَاطِنِ حُكْمُ الْبَاطِنِ فِي
 طَهَارَةِ الظَّاهِرِ فَتَقُولُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ هَلْ مِنْ شَرَطِ طَهَارَةِ الْبَاطِنِ بِالْإِيمَانِ التَّلْفِظِ بِهِ فَيَنْطَلِقُ اللِّسَانُ بِمَا يَعْتَقِدُهُ الْقَلْبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا فَيَكُونُ فِي
 عَالَمِ الْغَيْبِ إِذَا لَمْ يَظْهَرِ بِمَا يَعْتَقِدُهُ فِي الْبَاطِنِ مُنَافِقًا كَمُنَافِقِ الظَّاهِرِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْتَقِدُ وَجُوبَ الصَّلَاةِ مِثْلًا وَلَا يَصِلِي وَلَا يَتَطَهَّرُ
 كَمَا أَنَّ الْمُنَافِقَ يَصِلِي وَيَتَطَهَّرُ وَلَا يُؤْمِنُ بِوَجُوبِهَا عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ وَلَا يَعْتَقِدُهُ وَلَا يَفْعَلُهُ لِقَوْلِ ذَلِكَ الرَّسُولِ الَّذِي شَرَعَهُ لَهُ فَهَذَا مَعْنَى ذَلِكَ إِذَا حَقَّقْتَ
 النَّظْرَ فِيهِ حَتَّى يَسْرِيَ الْحُكْمُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ عَلَى صُورَةٍ مَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الْخِلَافِ وَالْإِجْمَاعِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ (وَصَلِّ) وَأَمَّا أَفْعَالُ هَذِهِ
 الطَّهَارَةِ فَقَدْ وَرَدَ بِهَا الْكُتَابُ وَالسُّنَنُ وَبَيْنَ فَرَضِهَا مِنْ سُنَنِهَا مِنْ اسْتِحْبَابِ أَفْعَالِهَا فِيهَا وَهَذِهِ الطَّهَارَةُ شُرُوطُ أَرْكَانٍ وَصِفَاتٍ وَعَدَدٌ وَ
 حُدُودٌ مَعِينَةٌ فِي مَحَالِّهَا فَمِنْ شُرُوطِهَا النِّيَّةُ وَهِيَ الْقَصْدُ بِفَعْلِهَا عَلَى جِهَةِ الْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الشَّرْعِ فِي الْفِعْلِ فَمَنْ النَّاسُ مِنْ ذَهَبَ إِلَى
 أَنَّهَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ الْفِعْلِ الَّذِي لَا يَصِحُّ إِلَّا بِوُجُودِهَا وَمَا لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى الْوَاجِبِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ وَلَا يَدُّ وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَبِهِ نَقُولُ فِي

الطهارة الظاهرة والباطنة وهي عندنا في الباطن أكد وأوجب لأن النية من صفات الباطن أيضا فحكمها في طهارة الباطن أقوى لأنها تحكم في موضع سلطاتها والظاهر غريب عنها فلماذا لم يختلف في علمنا في الباطن واختلف في ذلك في الظاهر وقد تقدم من الكلام في النية طرف يعني وذهب آخرون إلى أنها ليست بشرط صحة وأغنى ما ذكرناه في طهارة الوضوء بالماء (وصل) اختلف علماء الشريعة في غسل اليد قبل إدخالها في الإناء الذي تريد الوضوء منه على أربعة أقوال فمن قائل إن غسلها سنة بإطلاق ومن قائل إن ذلك مستحب لمن يشك في طهارة يده ومن قائل إن غسل اليد واجب على القائم من النوم في الإناء الذي يريد الوضوء منه ومن قائل إن ذلك واجب على المنتبه من نوم الليل خاصة وهذا حصر مذاهب العلماء في علمي في هذه المسألة ولكل قائل حجة من الاستدلال يدل بها على قوله وليس كتابنا هذا موضع إيراد أدلتهم وتسميم حكم هذه المسألة في الباطن غسل اليد هو طهارتها بما كلفه الشارع فيها بتركه وذلك على قسمين منه ما هو واجب ومنه ما هو مندوب إليه والواجب عندنا والفرض على السواء لفظان متواردان على معنى واحد فلا فرق عندنا إذا قلت أو جب أو فرض ثم تقول فالواجب إذا كانت اليد على شيء يحكم الشارع فيه عليها أنها غاصبة أو بكونه مسروقا أو بكونه وقعت فيه خيانة وكل ما لم يجوز لها الشارع أن تصرف فيه والفروق في هذه الأحوال بينة فواجب طهارتها عن هذا كله وسيرد بما ذا تظهر في موضعه إن شاء الله فواجبة عليها هذه الطهارة المندوب إليها فهي ترك ما في اليد من الدنيا ما هو مباح له إمساكه فندبه الشارع إلى إخراجها عن يده رغبة فيما عند الله وذلك هو الزهد وهي تجارة فإن لها عوضا عند الله على ما تركته والترك أعلى من الإمساك وهذه مسألة إجماع في كل ملة ونحلة شرعا وعقلا فإن الناس مجمعون على أن الزهد في الدنيا وترك جمع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل هذا هو المندوب إليه في طهر اليد وهو السنة وأما المذهب في الاستحباب في طهارة اليد عند الشاك في طهارتها فهو الخروج عن المال الذي في يده لشبهة قامت له فيه قدحت في حله فليس له إمساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وإن كان له وجه إلى الحل فالمستحب تركه ولا بد فإن مراعاة الحرمة أولى فإنك في إمساكه مسئول وفي تركه للشبهة التي قامت عندك فيه غير مسئول بل أنت إلى المثوبة على ذلك أقرب وهذا في الطهارة المندوب إليها أولى والاستحباب في الترك للمباح أولى وأما اختلافهم في وجوب غسلها من النوم مطلقا وفيمن قيد ذلك بنوم الليل فاعلم أن الليل غيب لأنه محل الستر ولذلك جعل الليل لباسا والنهار شهادة لأنه محل الظهور والحركة ولذلك جعله معاشا لابتغاء الفضل يعني طلب الرزق هنا من وجهه فالفضل المبتغي فيه من الزيادة ومن الشرف وهو زيادة الفضائل فإنه يجمع ما ليس له برزق فهو فضول لأنه يجمعه لو ارثه أو غيره فإن رزق الإنسان ما هو ما يجمعه وإنما هو ما يتعدى به فاعلم أن النائم في عالم الغيب بلا شك وإذا كان النوم بالليل فهو غيب في غيب فيكون حكمه أقوى والنوم بالنهار غيب في شهادة فيكون حكمه أضعف ألا تراه جعل النوم سببا فهو راحة بلا شك وهو بالليل أقوى فإنه فيه أشد استعراقا من نوم النهار والغيب أصل فالليل أصل والشهادة فرع فالنهار فرع وآية لهم الليل تسلخ منه النهار فالنهار مسلوخ من الليل فالليل لما كان يستر الأشياء ولا يبين حقائق صورها للابصار أشبه الجهل فإن الجهل بالشيء لا يبين حكمه فمن جهل الشرع

في شيء لم يعلم حكمه فيه ولما كان النائم في حال نومه لا يعلم شيئاً من أمور الظاهر في عالم الشهادة في حق الناس كان النوم جهلاً محضاً إلا في حق من تنام عينه ولا ينام قلبه كرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله من ورثته في الحال ولما كان النهار يوضح الأشياء ويبين صور ذواتها ويظهر للمتقي ما يتقى من الأمور المضرة وما لا يتقيه أشبه العلم فإن العلم هو المبين حكم الشرع في الأشياء ولما كان النائم بالنهار متصفاً بالجهل لأجل نومه لأن النوم من أضرار العلم ربما مديده وهو لا علم له أو رجله فيفسد شيئاً مما لو كان مستيقظاً لم يتعرض إلى فساده أوجب عليه الشرع الطهارة بالمعلم من نوم الجهل إذا استيقظ فيعلم بيقظته حكم الشرع في ذلك فإنه ما كان يدري في حال نوم جهالته حيث جالت يده هل فيما أبيع له ملكه أو في ما لم يبيع له ملكه كالمنصوب وأمثاله كما ذكرنا كما راعى المخالف قوله أين باتت يده واشتركا في النوم وإنما ذكر الشارع المبيت لأن غالب النوم فيه وهو أبداً يراعى الأغلب فجعل هذا الحكم في نوم الليل ومراعاة النوم أولى من مراعاة نوم الليل ويقول مراعى نوم الليل لذكر المبيت فإنه لما كان الإنسان إذا نام بالنهار قد يكون هناك إنسان أو جماعة إذا رآوا النائم يتحرك يده أو برجله فتؤديه حركته تلك إلى كسر جرة أو غيرها أو صبي صغير رضيع تحصل يده على فمه فتؤذيه أو يمسك عنه خروج النفس فيموت وقد رأينا ذلك فيكون المستيقظ الحاضر يمنع من ذلك بإزالة الطفل القريب منه أو الحجر أو ما كان من أجل ضوء النهار الذي كشفه به ويقظته كذلك العالم مع الجاهل إذا رآه يتصرف بما لا علم له به بحكم الشرع فيه بنهه أو حال الشرع بينه وبين ذلك الفعل فوجب غسل اليد عندنا ولا بد باطنا على الغافل وهو النائم بالنهار الجاهل وهو النائم بالليل وأما اعتبارنا بالطهارة قبل إدخالها في الإناء فإنه بالعلم والعمل خوطبنا فالعلم الماء والعمل الغسل وبهما تحصل الطهارة فغسلها قبل إدخالها في إناء الوضوء هو ما يقرره في نفسه من القصد الجميل في ذلك الفعل إلى جناب الحق الذي فيه سعادته عند الشروع في الفعل على التفصيل فهذا معنى غسل اليد قبل إدخالها في إناء الوضوء في طهارة الباطن (وصل)

المضمضة والاستنشاق اختلف علماء الشريعة فيهما على ثلاثة أقوال فمن قائل إنهما سنتان ومن قائل إنهما فرض ومن قائل إن المضمضة سنة والاستنشاق فرض هذا حكمهما في الظاهر قد نقلناه فأما حكمهما في الباطن فمنهما ما هو فرض ومنهما ما هو سنة فأما المضمضة فالفرض منها التلغظ بلإله إلا الله فإن بها يتطهر لسانك من الشرك وصدرك فإن حروفها من الصدر واللسان وكذلك في كل فرض أوجب الله عليك التلغظ به مما لا ينوب فيه عنك غيرك فيسقط عنك كحرض الكفاية كرجل أبصر أعمى على بعد يريد السقوط في حفرة يتأذى بالسقوط فيها أو يهلك فيتعين عليه فرضاً أن ينادي به يحذره من السقوط بما يفهم عنه لكونه لا يلحقه فإن سبقه إنسان إلى ذلك سقط عنه ذلك الفرض الذي كان تعين عليه فإن تكلم به فهو خير له وليس بفرض عليه فإذا تممض في باطنه بهذا وأمثاله فقد أصاب خيراً وقال خيراً وهو حسن القول وصدق اللسان ظهور من الكذب والجهل بالقول الحسن ظهور من الجهل بالسوء من القول وإن كان جزءاً بقوله إلا من ظلم ولكن السكوت عنه أفضل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظهور من تقيضيهما فمثل هذا فرض المضمضة وسننها وكذلك الاستنشاق فاعلم إن الاستنشاق في الباطن لما كان الأنف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه وقد اتفق هذا

على رغم أنه والرغام التراب أي حطك الله من كبريائك وعزك إلى مقام الذلة والصغار فكفى عنه بالتراب فإن الأرض سماها الله ذلولا على المبالغة فإن أذل الأذلاء من وطنه الذليل والعييد أذلاء وهم يطؤون الأرض بالمشي عليها في مناكبها فلماذا سماها ببنية المبالغة ولا يندفع هذا ولا تزول الكبرياء من الباطن إلا باستعمال أحكام العبودية والذلة والافتقار ولهذا شرع الاستنثار في الاستنشاق فليل له يجعل في أنفك ماء ثم استثر والماء هنا علمك بعبوديتك إذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار ومنه فرض واستعماله في الباطن فرض بلاشك وأما كونه سنة فمعناه أنك لو تركته صح وضوءك ومحله في هذا القدر أنك لو تركت معاملتك لعبدك أو لمن هو تحت أمرك وهنا سر خفي يتضمنه رب أعطني كذا أو لمن هو دونك بالتواضع وأظهرت العزة وحكم الرئاسة لمصلحة تراها بأحها لك الشارع فلم تستشق جاز حكم طهارتك دون استعمال هذا الفعل وإن كان استعمالها أفضل فهذا موضع سقوط فرضها فلماذا قلنا قد يكون سنة وقد يكون فرضا لعلمنا أنه لو أجمع أهل مدينة على ترك سنة وجب قتالهم ولو تركها واحد لم يقتل فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغير على مدينة إذا جاءها ليلا حتى يصبح فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار وكان يتلو إذا لم يسمع أذانا إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنذرينَ وما من حكم من أحكام فرائض الشريعة وسننها واستحباباتها إلا ولها في الباطن حكم أو أزيد على قدر ما يفتح للعبد في ذلك فرضا كان أو سنة أو مستحبا لا بد من ذلك وحد ذلك في سائر العبادات المشروعة كلها وبهذا يتميز حكم الظاهر من الباطن فإن الظاهر يسرى في الباطن وليس في الباطن أمر مشروع يسرى في الظاهر بل هو عليه مقصور فإن الباطن معان كلها والظاهر أفعال محسوسة فينتقل من المحسوس إلى المعنى ولا ينتقل من المعنى إلى المحسوس

(باب التحديد في غسل الوجه)

لا خلاف إن غسل الوجه فرض وحكمه في الباطن المراقبة والحياء من الله مطلقا وذلك أن لا تعدى حدود الله تعالى واختلف علماء الرسوم في تحديد غسل الوجه في الوضوء في ثلاثة مواضع منها البياض الذي بين العذار والأذن والثاني ما سدل من اللحية والثالث غسل اللحية فأما البياض المذكور فمن قائل إنه من الوجه ومن قائل إنه ليس من الوجه وأما ما انسدل من اللحية فمن قائل بوجوب إمرار الماء عليه ومن قائل بأن ذلك لا يجب وأما تحليل اللحية فمن قائل بوجوب تحليلها ومن قائل إنه لا يجب (وصل في حكم ما ذكرناه في الباطن) أما غسل الوجه مطلقا من غير نظر إلى تحديد الأمر في ذلك فإن منه ما هو فرض ومنه ما ليس بفرض فأما الفرض فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وأما السنة منه الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك فالله أولى أن تستحيي منه مع علمك أنه ما من جزء فيك إلا وهو يراه منك ولكن حكمه في أفعالك من حيث أنت مكلف ما ذكرناه وقد ورد به الخبر وكذلك النظر إلى عورة امرأتك وإن كان قد أبيع لك ذلك ولكن استعمال الحياء فيها أفضل وأولى فيسقط الفرض فيه أعني في الحياء في مثل قوله لا يسُحِّي من الحقِّ فما يتعين منه فهو فرض عليك وما لا يتعين عليك فهو سنة واستحباب فإن شئت فعلته وهو أولى وإن شئت لم تفعله فيراقب الإنسان أفعاله وترك أفعاله ظاهرا و

باطنا ويراقب آثار ربه في قلبه فإن وجه قلبه هو المعبر ووجه الإنسان وكل شيء حقيقته وذاته وعينه يقال وجه الشيء ووجه المسألة ووجه الحكم ويريد بهذا الوجه حقيقة المسمى وعينه وذاته قال تعالى وَجُوهٌ يُؤْمِنُ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَجُوهٌ يُؤْمِنُ بِأَسْرَةٍ تُبْصَرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ وَالْوَجْهُ الَّذِي هِيَ فِي مَقْدَمِ الْإِنْسَانِ لَيْسَتْ تُوصَفُ بِالظُّنُونِ وَإِنَّمَا الظَّنُّ لِحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ فَالْحَيَاءُ خَيْرُ كُلِّهِ وَالْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَأَمَّا الْبَيَاضُ الَّذِي بَيْنَ الْعِذَارِ وَالْأُذُنِ وَهُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْوَجْهِ وَالْأُذُنِ فَهُوَ الْحَدُّ بَيْنَ مَا كَلَّفَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَمَلِ فِي وَجْهِهِ وَالْعَمَلُ فِي سَمْعِهِ فَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ إِدْخَالَ الْحَدِّ فِي الْحُدُودِ فَالْأُولَىٰ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَصْرَفَ حَيَاءَهُ فِي سَمْعِهِ كَمَا صَرَفَهُ فِي بَصَرِهِ فَكَمَا أَنَّهُ مِنَ الْحَيَاءِ غَضَّ الْبَصَرَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ بَاطِنٌ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ خُطَابُ النَّفْسِ وَالْعَقْلِ كَذَلِكَ يَلْزِمُهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسْمَعَ مَا لَا يَجِلُّ لَهُ سَمَاعُهُ مِنْ غَيْبَةٍ وَسُوءِ قَوْلٍ مِنْ مَتَكَلِّمٍ بِمَا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَجِلُّ لَهُ التَّلَفُّظُ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ الْبَيَاضَ بَيْنَ الْعِذَارِ وَالْأُذُنِ وَهُوَ مَحَلُّ الشَّبْهِهِ وَصُورَةُ الشَّبْهِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا أَصْغَيْتُ إِلَيْهِ لِأُرْدِي عَلَيْهِ وَعَنْ الشَّخْصِ الَّذِي اغْتَيْبَ وَهَذَا مِنْ فِقْهِ النَّفْسِ فَقَوْلُهُ هَذَا هُوَ مِنَ الْعِذَارِ فَإِنَّهُ مِنَ الْعِذْرِ أَيْ الْإِنْسَانِ إِذَا عَوْتَبَ فِي ذَلِكَ يَعْتَدِرُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَمثَالُهُ وَيَقُولُ إِنَّمَا أَصْغَيْتُ لِأَحْقُقَ سَمَاعِي قَوْلُهُ حَتَّىٰ أَنهَاءَهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَىٰ يَقِينٍ فَكَمَىٰ عَنْهُ بِالْعِذَارِ وَيَكُونُ فِيمَنْ لَا عِذَارَ لَهُ مَوْضِعَ الْعِذَارِ فَمَنْ رَأَىٰ وَجُوبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ غَسَلَهُ بِمَا قَالَ تَعَالَىٰ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَسْمَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ أَيْ بَيْنَ لَهُمُ الْحَسَنَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْقَبِيحِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ أَيْ عَقَلُوا مَا أَرَدْنَا وَهُوَ مِنْ لُبِّ الشَّيْءِ الْمَصُونِ بِالْقَشْرِ وَمَنْ لَمْ يَرِ وَجُوبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ غَسَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ كَمَنْ يَسْمَعُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّ الْكَلَامِ فِي وَجْهِهِ مِنْ ذِي سُلْطَانٍ يَخَافُ مِنْ تَعْدِيهِ عَلَيْهِ فَإِنَّ قَدْرَ عَلَىٰ الْقِيَامِ مِنْ مَجْلِسِهِ انْصَرَفَ فَذَلِكَ غَسَلُهُ إِنْ شَاءَ وَإِنْ تَرَجَّحَ عِنْدَهُ الْجُلُوسُ لِأَمْرٍ يَرَاهُ مَظْنُونًا عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَمَنْ يَرِي وَجُوبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَمَّا غَسْلُ مَا انْسَدَلَ مِنَ اللَّحْيَةِ وَتَخْلِيلِهَا فِيهِ الْأُمُورَ الْعَوَارِضَ فَإِنَّ اللَّحْيَةَ شَيْءٌ يَعْضُ فِي الْوَجْهِ مَا هِيَ مِنَ الْوَجْهِ وَلَا تَتَّخِذُ فِي حُدِّهِ مِثْلَ مَا يَعْضُ لَكَ فِي ذَاتِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَارِجَةِ عَنْ ذَاتِكَ فَأَنْتَ فِيهَا بِحُكْمِ ذَلِكَ الْعَارِضِ فَإِنَّ تَعْيِينَ عَلَيْكَ طَهَارَةَ نَفْسِكَ مِنْ ذَلِكَ الْعَارِضِ فَهُوَ اعْتِبَارُ قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ بِوَجُوبِ غَسْلِ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَتَّعِنْ عَلَيْكَ طَهَارَتَهُ فَطَهَّرْتَهُ اسْتِحْبَابًا أَوْ تَرَكَتَهُ لِكَوْنِهِ مَا تَعْيِينَ عَلَيْكَ وَلَكِنْ هُوَ تَقْصُ فِي الْجَمَلَةِ فَهَذَا قَوْلٌ مِنْ يَقُولُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَهُوَ مَذْهَبُ الْآخَرِينَ وَقَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْبَابِ أَنَّ حُكْمَ الْبَاطِنِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ بِخِلَافِ حُكْمِ الظَّاهِرِ فِيمَا فِيهِ وَجْهُ إِلَى الْفَرْضِيَّةِ وَجْهُ إِلَى السُّنَّةِ وَالاسْتِحْبَابِ فَالْفَرْضُ لَا يَدُ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ فَعَلًا كَانَ أَوْ تَرَكَ وَغَيْرِ الْفَرْضِ فِيهِ إِنْ نَزَلَهُ فِي الْإِمْتِثَالِ مِنْزِلَةَ الْفَرْضِ وَهُوَ أَوْلَىٰ فَعَلًا وَتَرَكَ وَذَلِكَ سَارٍ فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ

(باب في غسل اليدين والذراعين في الوضوء إلى المرافق)

أجمع العلماء بالشريعة على غسل اليدين والذراعين في الوضوء بالماء واختلّفوا في إدخال المرافق في الغسل ومذهبنا الخروج إلى محل الإجماع في الفعل فإن الإجماع في الحكم لا يتصور فمن قائل بوجوب إدخالها في الغسل ومن قائل بترك الوجوب ولا خلاف عند القائلين بترك الوجوب

في استحباب إدخالها في الغسل (وصل حكم الباطن في ذلك) أقول بعد تقرير حكم الظاهر الذي تعبدنا الله إن غسل اليدين والذراعين و هما المعصمان فغسل اليدين بالكرم والجود والسخاء والإيثار والهبات وأداء الأمانات وهو الذي لا يصح عنده الإيثار كما يغسلهما أيضا مع الذراعين بالاعتصام إلى المرافق بالتوكل والاعتضاد فإن المؤمن كثير بأخيه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد وإن هذا وأشباهه من نعوت اليدين والخلاف في حد اليدين أكثره إلى الآباط وأقله إلى الفصل الذي يسمى منه الذراع فبقي إدخال المرافق والمرافق في الباطن هي رؤية الأسباب التي يرتفق بها العبد وتأنس بها نفسه فإن الإنسان في أصل خلقه خُلِقَ هَلُوعًا يُخَافُ الْفَقْرَ الَّذِي تَعْطِيهِ حَقِيقَتُهُ مِنْ حَيْثُ إِمْكَانِهِ فَيَجْتَنِعُ إِلَى مَا يَرْتَفِقُ بِهِ وَيَمِيلُ إِلَيْهِ فَمَنْ رَأَى إِدْخَالَ الْمُرَافِقِ فِي غَسَلِهِ وَاجِبًا رَأَى أَنَّ الْأَسْبَابَ إِنَّمَا وَضَعَهَا اللَّهُ حِكْمَةً مِنْهُ فِي خَلْقِهِ لِمَا عَلِمَ مِنْ ضَعْفِ يَقِينِهِمْ فَيُرِيدُ أَنْ لَا يَعْطَلَ حِكْمَةَ اللَّهِ لَا عَلَى طَرِيقِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْدَحُ فِي اعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ لَا يُوجِبُهَا فِي الْغَسَلِ رَأَى سَكُونِ النَّفْسِ إِلَى الْأَسْبَابِ أَنَّهُ لَا يَخْلُصُ لَهُ مَقَامُ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ حَالًا مَعَ وَجُودِ رُؤْيَا الْأَسْبَابِ وَكُلٌّ مِنْ يَقُولِ إِنَّهَا لَا تَجِبُ يَسْتَحِبُّ إِدْخَالَهَا فِي الْغَسَلِ كَذَلِكَ رُؤْيَا الْأَسْبَابِ مُسْتَحَبَّةٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَحْكَامُهُمْ فِيهَا فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْحِكْمَةِ بِوُجُودِهَا

(باب في مسح الرأس)

اتفق علماء الشريعة على إن مسحه من فرائض الوضوء و اختلفوا في القدر الواجب منه فمن قائل بوجوب مسحه كله و من قائل بوجوب مسح بعضه و اختلفوا في حد البعض فمن قائل بوجوب الثلث و من قائل بوجوب الثلثين و من قائل بالربع و من قائل لا حد للبعض و تكلم بعض هؤلاء في حد القدر الذي يمسح به من اليد فمن قائل إن مسحه بأقل من ثلاثة أصابع لم يجزه و من قائل لا حد للبعض لا في المسح ولا فيما يمسح به و أصل هذا الخلاف وجود الباء في قوله تعالى **رَأْسِكُمْ** (وصل حكم المسح في الباطن) فأما حكم مسح الرأس في الباطن اعتبارا فإن لرأس من الرئاسة وهي العلو والارتفاع ومنه رئيس القوم أي سيدهم الذي له الرئاسة عليهم ولما كان أعلى ما في البدن في ظاهر العين و جميع البدن تحته سمي رأسا إذ كان الرئيس فوق المرءوس بالمرتبة وله جهة فوق و قد وصف الله نفسه بالفوقية لشرفها قال تعالى **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ** وقال **وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** فكان الرأس أقرب عضو في البدن إلى الحق لمناسبة الفوق ثم له شرف آخر بالمعنى الذي رأس به على أجزاء البدن كلها وهو كونه محلا جامعاً حاملا لجميع القوي كلها المحسوسة والمعقولة المعنوية فلما كانت له أيضا هذه الرئاسة من هذه الجهة سمي رأسا ثم إن العقل الذي جعله الله أشرف ما في الإنسان جعل محله أعلى ما في الرأس وهو اليا فوخ فجعله مما يلي جهة الفوقية ولما كان الرأس محلا لجميع القوي الظاهرة والباطنة ولكل قوة منها حكم و سلطان و فخر يورثه ذلك عزة على غيره كقصر الملك على سائر دور السوق وجعله الله محال هذه القوي من الرأس مختلفة حتى عمت الرأس كله أعلاه ووسطه و مقدمه و مؤخره و كل قوة كما ذكرنا لها عزة و سلطان و كبرياء في نفسها و رياسة فوجب أن يمسحه كله و هو اعتبار من يقول بوجوب مسح الرأس كله لهذه الرئاسة السارية فيه كله من

جهة حملته هذه القوي المختلفة الأماكن فيه بالتواضع والإقناع لله فيكون لكل قوة إذا عم المسح مسح مخصوص من مناسبة دعواها فإيردها بما يخصها من المسح فيعم بالمسح جميع الرأس ومن يرى أن للرأس رأسا عليه كما إن الولاية من جهة السلطان يرجع أمرهم إليه فإنه الذي ولاهم رأى كل وال أن فوقه وال عليه هو أعلى منه له سلطان على سلطانه كالقوة المصورة لها سلطان على القوة الخيالية فهي رئيسة عليها وإن كانت لها رياسة أعني القوة الخيالية فمن رأى هذا من العلماء قال بمسح بعض الرأس وهو التهمم بالأعلى ثم اختلف أصحابنا في هذا البعض فكل عارف قال بحسب ما أعطاه الله من الإدراك في مراتب هذه القوي فهو بحسب ما يراه ويعتبره فأخذ يمسح في هذه العبادة وهي التذلل وإزالة الكبرياء والشموخ بالتواضع والعبودية لأنه في طهارة العبادة يطلب الوصلة بربه لأن المصلي في مقام مناجاة ربه وهي الوصلة المطلوبة بالطهارة والعزيم الرئيس إذا دخل على من ولاية تلك العزة والرئاسة نزل عن رياسته وذه عن عزه بعز من دخل عليه وهو سيده الذي أوجده فيقف بين يديه وقوف غيره من العبيد الذين أنزلوا نفوسهم بطلب الأجرة منزلة لا جانب فوقف هذا العبد في محل الإذلال لا بصفة الإذلال بالدال اليابسة فمن غلب على خاطره رياسة بعض القوي على غيرها وجب عليه مسح ذلك البعض من أجل الوصلة التي يطلبها بهذه العبادة ولهذا لم يشع مسح الرأس في التيمم لأن وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى إذ كان الفارق حسيبه بالموت يضع التراب على رأسه فلما كان المطلوب بهذه العبادة الوصلة لا الفرقة لهذا لم يشع مسح الرأس في التيمم فامسح على حد ما ذكرناه لك ونهناك عليه وتفصيل رياسات القوي معلوم عند الطائفة لا أحتاج إلى ذكره وأما التبعض في اليد التي يمسح بها واختلافهم في ذلك فاعمل فيه كما تعمل في الممسوح سواء فإن المزبل لهذه الرئاسة أسباب مختلفة في القدرة على ذلك ومحل ذلك اليد فمن مزبل بصفة القهر ومن مزبل بسياسة وترغب كما يمسح الإنسان بيده رأس اليتيم جبرا لانكساره بلطف وحنان فهذا ترجع بعضية اليد في المسح وكيته فاعلم ذلك ولما كان الموجب لهذا الخلاف عند العلماء وجود الباء في قوله **رؤوسكم** فمن جعلها للتبعض بعض المسح ومن جعلها زائدة للتوكيد في المسح عم بالمسح جميع الرأس وإن الباء في هذا الموضوع هو وجود القدرة الحادثة فلا يخلو إما أن يكون لها أثر في المقدور فتصح البعضية وهو قول المعتزلي وغيره وإما أن لا يكون لها أثر في المقدور بوجه من الوجوه فهي زائدة كما يقول الأشعري فيسقط حكمها فتعم القدرة القديمة مسح الرأس كله لم تبعض مسحة القدرة الحادثة ويكون حد مراعاة التوكيد من كونها زائدة للتوكيد هو الأكتساب الذي قالت به الأشاعرة وهو قوله تعالى في غير موضع من كتابه بإضافة الكسب والعمل إلى المخلوق فهذا جعلوا زيادتها معنى يسمى التوكيد ألا ترى العرب تقابل الزائد بالزائد في كلامها تريد بذلك التوكيد وتحيب به القائل إذا أكد قوله يقول القائل إن زيدا قائم أو يقول ما زيد قائم فيقول السامع في جواب إن زيدا قائم ما زيد قائم وفي جواب ما إن زيدا قائم فيثبت ما نفاه القائل أو ينفي ما أثبت القائل فإن أكد القائل إيجابه فقال إن زيدا قائم فأدخل اللام لتأكيد ثبوت القيام أدخل الجيب الباء في مقابلة اللام لتأكيد نفي ما أثبت القائل فيقول ما زيد بقائم ويسمى مثل هذا زائدا لأن الكلام مستقل دونه ولكن إذا قصد المتكلم خلاف التبعض وأتى بذلك الحرف للتأكيد فإن قصد التبعض لم يكن زائداً ذلك الحرف جملة واحدة و

الصورة واحدة في الظاهر ولكن تختلف في المعنى والمراعاة إنما هي لقصد المتكلم الواضع لتلك الصورة فإذا جهلنا المعنى الذي لأجله خلق سبحانه لتمكين من فعل بعض الأعمال نجد ذلك من نفوسنا ولا ننكره وهي الحركة الاختيارية كما جعل سبحانه فينا المانع من بعض الأفعال الظاهرة فينا ونجد ذلك من نفوسنا كحركة المرتعش الذي لا اختيار للمرتعش فيها لم ندر لما يرجع ذلك التمكين الذي نجد من نفوسنا هل يرجع إلى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكنا أو عن الإرادة المخلوقة فينا فيكون التمكين أثر الإرادة لا أثر القدرة الحادثة من هنا منشأ الخلاف بين أصحاب النظر في هذه المسألة وعليه ينبغي كون الإنسان مكلفا لعين التمكين الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لما ذا يرجع ذلك التمكين هل لكونه قادرا أو لكونه مختارا وإن كان مجبورا في اختياره ولكن بذلك القدر من التمكين الذي يجده من نفسه يصح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا فقد أعطاهما أمرا وجوديا ولا يقال أعطاهما لا شيء وما رأينا شيئا أعطاهما بلا خلاف إلا التمكين الذي هو وسعها لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وما يدري لما ذا يرجع هذا التمكين وهذا الوسع هل لأحدهما أعني الإرادة أو القدرة أو الأمر زائد عليهما أو لهما ولا يعرف ذلك إلا بالكشف ولا يتمكن لنا إظهار الحق في هذه المسألة لأن ذلك لا يرفع الخلاف من العالم فيه كما ارتفع عندنا الخلاف فيها بالكشف وكيف يرتفع الخلاف من العالم والمسألة معقولة وكل مسألة معقولة لا بد من الخلاف فيها لاختلاف الفطر في النظر فقد عرفت مسح الرأس ما هو في هذه الطريقة وبقي من حكمه المسح على العمامة وما في ذلك من الحكم (وصل في المسح على العمامة) فمن علماء الشريعة من أجاز المسح على العمامة ومنع من ذلك جماعة فالذي منع لأنه خلاف مدلول الآية فإنه لا يفهم من الرأس العمامة فإن تغطية الرأس أمر عارض والحجيز ذلك لأجل ورود الخبر الوارد في مسلم وهو حديث قد تكلم فيه وقال فيه أبو عمر بن عبد البرانه معلول (وصل مسح العمامة في الباطن) وأما حكم المسح على العمامة في الباطن فاعلم إن الأمور العوارض لا يعارض بها الأصول ولا تقدر فيها فالذي ينبغي لك أن تنظر ما السبب الموجب لظهور ذلك العارض فلا يجوز إما أن يكون مما يستغني عنه أو يكون مما يحصل الضرر بفقده فلا يستغني عنه فإن استغني عنه فلا حكم له في إزالة حكم الأصل وإن لم يستغني عنه وحصل الضرر بفقده كان حكمه حكم الأصل وناب منابه وإن بقي من الأصل جزء ما ينبغي أن يراعى ذلك الجزء الذي بقي ولا بد وبقي ما بقي من الأصل ينوب عنه هذا الأمر العارض الذي يحصل الضرر بفقده هذا مذهبنا فيه ولهذا ورد في الحديث الذي ذكرنا أنه معلول عند بعض علماء هذا الشأن إن المسح وقع على الناصية والعمامة معا فقد مس الماء الشعر فقد حصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح بعض الرأس فلو لبس العمامة للزينة لم يجز له المسح عليها بخلاف المريض الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه فما ورد ما يقاوم نص القرآن في هذه المسألة (إيضاح) فإذا عرض لأهل هذه الطريقة عارض يقدر في الأصل كفعل السبب للمتجرد عن الأسباب أو التبخر والرئاسة في الحرب فإن كلامنا في مسح الرأس وله التواضع والتكبر ضرب المثل به أولى ليصل فهم السامع إلى المقصود مما يريد في هذه العبادة فإن أثر ذلك الزهو إظهار الكبر في عبودية الإنسان فنسيان كبرياء ربه عليه وعزته سبحانه وحجبه عن ذلك فلا يفعل ويطرح الكبرياء عن نفسه ولا بد ولا

يجوز له التكبير في ذلك الموطن لقدحه في الأصل وإن لم يؤثر في نفسه بل ذلك أمر ظاهر في عين العدو وهو في نفسه في ذاته وافتقاره جاز له صورة التكبير في الظاهر لقربينة الحال بحكم الموطن فإنه لم يؤثر في الأصل هكذا حكم المسح على العمامة عندنا فاعلم ذلك فقد علمت حكم المسح على العمامة في الباطن ما هو وكذلك المسح ببعض اليد على العمامة وهو إن قرح أخذك للسبب في اعتمادك على الله بقلبك فلا تأخذه ولا تستعمله ما لم يؤد إلى ما هو أعظم منه في البعد عن الله وإن لم يؤثر في الاعتماد عليه فامسح ببعض يدك ولا حرج عليك فإن طرح السبب من اليد بعض أفعال اليد لأن مجموع اليد في المعنى أمور كثيرة فإنها تصرفات كثيرة مختلفات المعاني في الأمور المشروعة والأحكام فإن لها القبض والبسط والاعتدال قال تعالى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنِ الْبَخْلِ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنِ السَّرْفِ وَكَذَلِكَ مَدْحٌ قَوْمًا بِمَثَلِ هَذَا فَقَالَ تَعَالَىٰ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَهُوَ الْعَدْلُ فِي الْإِنْفَاقِ وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ وَهُوَ هُنَا الْبَخْلُ فَتَسْبَبُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى الْأَيْدِي فَلَهَا أفعال كثيرة ولولا وجود الكثرة ما صححت البعضية لأن الواحد لا يتبعض (وصل في توقيت المسح على الرأس) بقي من تحقيق هذه المسألة التوقيت في المسح على الرأس هل في تكراره فضيلة أم لا فمن الناس من قال إنه لا فضيلة فيه ومنهم من قال إن فيه فضيلة وهذا يستحب في جميع أفعال الوضوء في جملة أعضائه سواء غير أنه يقوى في بعض الأعضاء ويضعف في بعض الأعضاء أعني التكرار ولا خلاف في وجوب الواحد إذا عمت العضو فأما مذهبنا في الأصل فلا تكرار في العالم للاتساع الإلهي فنمنع هذا اللفظ ولا نمنع وجود الأمثال بالتشابه الصوري فنعمل قطعا أن الحركات يشبه بعضها بعضا في الصورة وإن كانت كل واحدة منها ليست عين الأخرى فمذهبنا أن ننظر حكم الشارع في ذلك فإن عدد بالأمثال عددنا بالأمثال كما نقول عقيب الصلاة سبحان الله ثلاثا وثلاثين فمثل هذا إلا نمنعه فقد يقع التعدد في عمل الوضوء تأكيد الإزالة حكم الغفلات السريعة الحكم في الإنسان فعلى فهذا يكون في التكرار فضيلة فإن تيقن بالحضور فلا فضيلة فإن الفضل هو الزائد وما زاد هذا المتوضئ حكما بوجود غفلة أو سهو فيكرر فلم تصح الزيادة ولكن الصحيح عندنا إن التكرار فيه فضيلة لأنه نور على قدر ما حده الشارع المين للاحكام وقد ورد في الكتاب والسنة في تشبيه نور الله بالمصباح في الزجاج في المشكاة الآية بكما لها وقال في آخرها نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ أَي وَرَدَ فِي نُورٍ عَلَىٰ نُورٍ كَالدَّلِيلَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ عَلَى الْمَدْلُولِ الْوَاحِدِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَضُوءِ عَلَى الْوَضُوءِ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ وَرُودِ الْوَضُوءِ عَلَى الْوَضُوءِ وَبَيْنَ وَرُودِ الْغُرْفَةِ الثَّانِيَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى الْأُولَى فِي الْوَضُوءِ وَتَكَرُّرِ الْعَمَلِ مِنَ الْعَامِلِ بِوَجوب تَكَرُّرِ الثَّوَابِ وَالتَّجَلِّيِ فَأَمَّا فِي الْأَعْضَاءِ كُلِّهَا فَالثَّابِتُ التَّكَرُّارُ وَمَا كَانَ الْخِلَافُ إِلَّا فِي الرَّأْسِ وَالْأَذْنَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَقَدْ أَوْمَأْنَا إِلَى مَا يَنْبَغِي فِي ذَلِكَ

(باب مسح الأذنين وتجديد الماء لهما)

اختلف الناس في مسح الأذنين وتجديد الماء لهما فمن قائل إنه سنة ومن قائل إنه فرض ومن قائل بتجديد الماء لهما ومن قائل لا يجدد لهما الماء وهل تفرد بالمسح وحدها أو تمسح مع الرأس خاصة أو تمسح مع الوجه خاصة أو يمسح ما أقبل منهما مع الوجه وما أدبر منهما مع

الرأس ولكل حالة من هذه الأحوال قائل بها (وصل في حكمهما في الباطن) فأما حكمهما في الباطن فإنه عضو مستقل يجب تجديده الماء له فيسمح باستماع القول الأحسن ولا بد ويقع التفاضل في الأحسن فثم حسن وأحسن وأعلاه حسنا ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله من القرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا الله هذا أعني بذكر الله من القرآن وما كل آية القرآن يتضمن ذكر الله فإن فيه الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان فيه الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأه أو بإصغاء الإنسان إلى نفسه إذا تلاه ولكن ذكر الله في القرآن أحسن وأتم من حكاية قول الكافر في الله ما لا ينبغي له في القرآن أيضا وأما ما أقبل من ظاهر الأذن وما أدبر فهو ما ظهر من حكم ذلك الذكر من القرآن وما بطن وما أسر منه وما أعلن وما فهم منه وما جهل فسلم كلمات المتشابهة في حق الله إلى الله فهي مما أدبر من باطن الأذن فتسلم إلى مراد الله تعالى فيها حين تسمعها الأذن تتلى وما علم كآيات الحكمات في حق الله وما تدل عليه من الأكواف فهي مما أقبل من ظاهر الأذن فيعلم مراد الله بها فيكون الحكم بحسب ما تعلق به العلم فاعمل بحسب ما أشرنا به إليك في هذا التفصيل والأولى أن يكون حكم الأذنين حكم المضمضة والاستنشاق والاستنثار

(باب غسل الرجلين)

اعلم أن صورتها في توقيت الغسل بالأعداد صورة الرأس وقد ذكرنا ذلك اتفق العلماء على أن الرجلين من أعضاء الوضوء واختلفوا في صورة طهارتها هل ذلك بالغسل أو بالمسح أو بالتخير بينهما فأى شيء فعل منهما فقد سقط عنه الآخر وأدى الواجب هذا إذا لم يكن عليهما خف ومذهبنا التخير والجمع أولى وما من قول إلا وبه قائل فالمسح بظاهر الكتاب والغسل بالسنة ومحملة الآية بالعدل عن الظاهر منها (وصل حكم الرجلين في الباطن وأما حكم ذلك في الباطن) فاعلم أن السعي إلى الجماعات وكثرة الخطا إلى المساجد والثبات يوم الزحف مما تطهر به الأقدام فلتكن طهارتك رجلتك بما ذكرناه وأمثاله ولا تمسح بالنميمة بين الناس ولا تمسح في الأرض مَرَحًا وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَمِنْ هَذَا مَا هُوَ فَرَضَ أَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ بِمَنْزِلَةِ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي غَسْلِ عَضْوِ الْوَضُوءِ الرَّجْلِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ مَا هُوَ سُنَّةٌ وَهُوَ مَا زَادَ عَلَى الْفَرَضِ وَهُوَ مَشْيُكَ فِيمَا نَدَبَكَ الشَّرْعُ إِلَى السَّعْيِ فِيهِ وَمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ فَالْوَجِبُ عَلَيْكَ نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى مَصْلَاكِهَا وَالْمَنْدُوبُ وَالْمُسْتَحَبُّ وَالسُّنَّةُ وَمَا شَتَّ فَقُلْ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ نَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ مِنْ قَرَبٍ وَبَعْدٍ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِوَجِبٍ وَإِنْ كَانَ الْوَجِبُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مَسْجِدًا إِلَّا بَعِينَهُ وَجَمَاعَةً لَا بَعِينَهَا فَعَلَى هَذَا يَكُونُ غَسْلُ رِجْلَيْكَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى وَاعْلَمْ أَنَّ الْغَسْلَ يَتَضَمَّنُ الْمَسْحَ بِوَجْهِهِ فَمَنْ غَسَلَ فَقَدْ انْدَرَجَ الْمَسْحُ فِيهِ كَأَنْدَرَجَ نَوْرُ الْكَوَاكِبِ فِي نَوْرِ الشَّمْسِ وَمَنْ مَسَحَ فَلَمْ يَغْسِلْ إِلَّا فِي مَذْهَبٍ مِنْ يَرَى وَيُنْقَلُ عَنِ الْعَرَبِ إِنْ الْمَسْحُ لُغَةٌ فِي الْغَسْلِ فَيَكُونُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُرَادِفَةِ وَالصَّحِيحُ فِي الْمَعْنَى فِي حُكْمِ الْبَاطِنِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْمَسْحَ فِيمَا يَقْتَضِي الْخُصُوصَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْغَسْلَ فِيمَا يَقْتَضِي الْعُمُومَ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمِثْلِيَّةُ وَلِهَذَا ذَهَبْنَا إِلَى التَّخْيِيرِ بِحَسَبِ الْوَقْتِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ يَسْعَى إِلَى فَضِيلَةٍ خَاصَّةٍ فِي حَاجَةٍ مَعِينَةٍ لِشَخْصٍ بَعِينَهُ فَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمَسْحِ وَقَدْ يَسْعَى إِلَى الْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ تَعْمُ جَمِيعَ الرِّعَايَا وَحَاجَاتٍ يَدْخُلُ ذَلِكَ الشَّخْصَ فِي هَذَا الْعُمُومِ

فهذا بمنزلة الغسل الذي اندرج فيه المسح (بيان وإتمام) وأما القراءة في قوله وَأَرْجُلُكُمْ بفتح اللام وكسرها من أجل حرف الواو على أن يكون عطفًا على المسح بالخفض وعلى المغسول بالفتح فمذهبنا أن الفتح في اللام لا يخرج عن المسح فإن هذه الواو قد تكون واو مع واو المعية تنصب تقول قام زيد وعمرا واستوى الماء والخشبة وما أنت وقصعة من ثريد ومررت بزيد وعمرا تريد مع عمرو وكذلك من قرأ وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ بفتح اللام فحجة من يقول بالمسح في هذه الآية أقوى لأنه يشارك القائل بالغسل في الدلالة التي اعتبرها وهي فتح اللام ولم يشاركه من يقول بالغسل في خفض اللام فمن أصحابنا من يرجح الخاص على العام ومنهم من يرجح العام على الخاص كل ذلك مطلقًا ومذهبنا نحن على غير ذلك إنما نمشي مع الحق بحكم الحال فنعمم حيث عمم ونخص حيث خصص ولا نحدث حكما فإنه من أحدث حكما فقد أحدث في نفسه ربوبية ومن أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديته بقدر تلك المسألة وإذا انتقص من عبودته بقدر ذلك ينقص من تجلى الحق له وإذا انتقص من تجلى الحق له انتقص علمه بربه وإذا انتقص علمه بربه جهل منه سبحانه وتعالى بقدر ما نقصه فإن ظهر لذلك الذي نقصه حكم في العالم أو في عالمه لم يعرفه فلماذا كان مذهبنا أن لا نحدث حكما جملة واحدة

(باب في ترتيب أفعال الوضوء)

اختلف العلماء في ترتيب أفعال الوضوء على ما ورد في نسق الآية فمن قائل بوجوب الترتيب ومن قائل بعدم وجوبه وهذا في الأفعال المفروضة وأما في ترتيب الأفعال المفروضة مع الأفعال المسنونة فاختلفهم في ذلك بين سنة واستحباب (وصل في حكم ذلك في الباطن) و أما حكم ذلك في الباطن فلا ترتيب إنما تفعل من ذلك بحسب ما تعين عليك في الوقت فإن تعين عليك ما يناسب رأسك فعلت به وبدأت به وكذلك ما بقي وسواء كان ذلك في السنن من الأفعال أو في الفرائض فالحكم الموقت

(باب في الموالاتة في الوضوء)

فمن قائل إن الموالاتة فرض مع الذكر وعدم العذر ساقط مع النسيان ومع الذكر عند العذر ما لم يتفاحش التفاوت ومن قائل إن الموالاتة ليست بواجبة وهذا كله من حقيقة في نسق الآية فقد يعطف بالواو في الأشياء المتلاحقة على الفور وقد يعطف بها الأشياء المترامية وقد يعطف بها ويكون الفعلان معا وهذا لا يسوغ في الوضوء إلا أن ينغمس في نهر أو يصب عليه أشخاص الماء في حال واحدة لكل عضو (وصل الموالاتة في الباطن) ومذهبنا في حكم الموالاتة في الباطن أنها ليست بواجبة وذلك مثل الترتيب سواء فإننا نفعل من ذلك بحسب ما يقتضيه الوقت وقد ذكرنا نظير هذه المسألة في رسالة الأنوار فيما يمتنع صاحب الخلوة من الأسرار فأعمالنا في هذه الطريق بحسب حكم الوقت وما يعطي فإن الإنسان قد كتبت عليه الغفلات فلا يتمكن له مع ذلك الموالاتة ولكن ساعة وساعة فليس في مقدور البشر مراقبة الله في السر والعلن مع الأنفاس فالموالاتة على العموم لا تحصل إلا أن يبذل المجهود من نفسه في الاستحضر والمراقبة في جميع أفعاله قال تعالى الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ والمراد بها أنهم كلما جاء وقتها فعلوها وإن كان بين الصلاتين أمور فلماذا حصل الدوام في فعل خاص مربوط بأوقات متباعدة وأما مع

استصحاب الأنفاس فذلك من خصائص الملا الأعلى الذين يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ فهذه هي الموالاتة وإن حصلت لبعض رجال الله فنادرة الوقوع وأما قول عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه فإن كانت نقلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تشك فيه وإن كانت أرادت بذلك أن أفعاله الظاهرة كلها ما وقع منه مباح قط وأنه لم يزل في واجب أو مندوب فذلك ممكن وهو ظاهر من مرتبه فإنه معلم أمته بحركاته وسكناته للاقتداء فهو ذاكر على الدوام وأما باطنه عليه السلام فلا علم لها به إلا بإخباره صلى الله عليه وسلم ومع هذا يتصور تحصيله عندنا مع التصرف في المباح مع حضوره فيه أنه مباح وكذا إذا أحضر حكم الشرع في جميع حركاته وسكناته بهذه المثابة فيكون ممن حصل الموالاتة في عبادته انتهى الجزء الحادي والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب في المسح على الخفين)

أما المسح على الخفين فاختلف علماء الشريعة فيه فمن قائل بجوازه على الإطلاق ومن قائل بمنع جوازه على الإطلاق كابن عباس ورواية عن مالك ومن قائل بجواز المسح عليهما في السفر دون الحضر (وصل في حكم الباطن فيه) فأما حكم الباطن في المسح على الخفين فاعلم أنه أمر يعرض للشخص يشق على من عرض له انتزاعه كما يشق انتزاع الخف على لابسها فانتقل حكم الطهارة إليه فمسح عليه ولما كانت الطهارة تنزيها وكان الحق هو الذي يقصده المنزه بالتنزيه كما قال تعالى سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ والعزة المنع فذكر أنه امتنعت ذاته أن تكون محالما وصفه به الملحدون فالحق منزله الذات لنفسه ما تنزهه بتنزيه عبده إياه فتنزيه العلماء بالله الحق سبحانه إنما هو علم لا عمل إذ لو كان التنزيه من الخلق إلههم عملا لكان الله الذي هو المنزه سبحانه محلا لأثر هذا العمل فتفطن لهذه الإشارة فإنها في غاية اللطف والحسن فهو سبحانه لا يقبل تنزيه عباده من حيث إنهم عاملون فإنه لا يرى التنزيه عملا إلا الجاهل من العباد فإن العالم تراه علما وإذا تكلم به إنما تكلم به على جهة التعريف مما هو الأمر عليه في نفسه الذي هو قوله وذكره فأثر عمله إنما هو في علمه بتنزيه خالقه فأخرجه بالقول والذكر من القوة إلى الفعل فرمما أثر ذلك في نفوس السامعين ممن كان لا يعتقد في الله أنه بذلك النعت من التنزيه فالعبد حجاب على الحق فإن ظاهر الآثار إنما تدرك في العموم وتنسب للأسباب التي وضعها الحق ولهذا يقول العبد فعلت وصنعت وصمت وصليت ويضيف إلى نفسه جميع أفعاله كلها لحجابه عن خالقه فيه ومنه ومجربها فكما صار الخف حجابا بين المتوضئ وبين إيصال الوضوء إلى الرجل وانتقل حكم الطهارة إلى الخف كذلك تنزيه الإنسان خالقه وهو الطهارة والتقديس لما لم يتمكن في نفس الأمر إيصال أثر ذلك التنزيه إلى الحق لأنه منزله لذاته انتقل حكم أثر ذلك التنزيه إلى الإنسان المنزه الذي هو حجاب على خالقه من حيث إن للتنزيه العملي أثرا في المنزه وقبله الإنسان كما قبل الخف الطهارة بالمسح المشروع فيكون العبد هو الذي نزه نفسه عن الجهل الذي قام بنفس الجاهل الذي نسب إلى الحق ما لا يليق به ولا تقبله ذاته يقول الله في الخبر الصحيح إنه رجل العبد التي يسعى بها والحس إنما يبصر العبد يسعى برجله فلما لبس الخف وهو عين ذات العبد انتقل حكم الطهارة

إليه إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمتعلق الحكم الخف ومن هذا الباب كان جواز المسح على الإطلاق سفرا وحضرا فالخضرمته هو التنزيه الذي يعود عليك فتقول سبحاني في هذه الحالة كما نقل عن رجال الله فكان مشهد من قال سبحاني هذا المقام الذي ذكرناه والسفر هو التنزيه الذي ينتقل من تلفظك به في التعليم إلى سماع المتعلم السامع فيؤثر في نفس السامع حصول ذلك العلم فتطهر محله من الجهل الذي كان عليه في تلك المسألة هذا القدر من انتقاله من العالم المعلم إلى المتعلم يسمى سفرا لأنه أسفر له بهذا التعليم بما هو الأمر عليه فطهر محله ومن هذا الباب أيضا إن لباس الخف وما في معناه من جرموق وجورب مما يلبس ويسترحد الوضوء من الرجل عرفا وعادة ولما كان من أسماء الرجل في اللسان القدم كان هذا مما يقوي القدمية في القدم إذ كان القدم يقال في اللسان بالاشتراك إذ هو عبارة عن الثبوت يقال لفلان في هذا الأمر سابقة قدم يريد أن له أساسا ثابتا قديما في هذا الأمر كما يقال في الرجل بالاشتراك أيضا أعني إطلاق هذه اللفظة في اللسان يقال رجل من جراد أي قطعة وجماعة من جراد فإذا قال قائل إن الرجل يسخن بالخف يعلم قطعاً أنه يريد العضو الخاص المعروف فقرائن الأحوال ودلالات الألفاظ بالصفات تعين ما كان مبهما بالاشتراك فانتقل حكم الطهارة إلى الخف بعد ما كان متعلقها الرجل ولكن إذا كان ملبوسا فيطهر مما يمكن أن يتعلق به مما يمنع من ذلك حكما وعينا وكذلك لما نسب القدم إلى الله تعالى في حديث يضع الجبار فيها قدمه ربما وقع في نفس بعض العقلاء أن نسبة القدم إلى الله تعالى ما هو على حد ما ينسب إلى الإنسان أو لكل ذي رجل وقدام وأن المراد به مثلاً أمر آخر وغفلوا عن أقدم المتجسدين من الأرواح فأزال الله سبحانه هذا التوهم من القائل به بما نسب إلى نفسه من الهرولة التي هي الإسراع في المشي مع تقدم وصف القدم فالحق بمن يمشي على رجلين لا بمن يمشي على البطن مع التحقق بليس كمثل شيء لا بد من ذلك فلا نصفه ولا ينسب إليه إلا ما نسبه إلى نفسه أو وصف نفسه به فما نسب الهرولة إليه إلا يعلم أنه أراد القدم الذي يقبل صفة السعي وحكمه على ما يليق بجلاله لأنه الجهول الذي لا يعرف ولا يقال هو النكرة التي لا تعرف قال تعالى ولا يحيطون به علماً وما تقول أراد بنسبة القدم ما عينته المنزهة على زعمها واقتصرت عليه فجاء بالهرولة لإثبات القدمية وأقامه مقام الخف للقدم في إزالة الاشتراك المتوهم فانتقل التنزيه إلى الهرولة من القدم قد كان القائل بالتنزيه مشتغلاً بتنزيه القدم فلما جاءت الهرولة انتقل التنزيه إليها كما انتقل حكم طهارة القدم إلى الخف فنزه العبد ربه عن الهرولة المعتادة في العرف وإنما على حسب ما يليق بجلاله سبحانه فإنه لا يقدر أن لا يصفه بها إذ كان الحق أعلم بنفسه وقد أثبت لنفسه هذه الصفة فمن رد نسبتها إليه فليس بمؤمن ولكن الذي يجب عليه أن يرد العلم بها إلى الله أعني علم النسبة وأما معقولة الهرولة فما خاطب أهل اللسان إلا بما يعقلونه فالهرولة معقولة وصورة النسبة مجهولة وكذلك جميع ما وصف به نفسه مما توصف به المحدثات وليس الغرض مما ذكرنا إلا جواز انتقال الطهارة من محل إلى محل آخر بضرب من المناسبة والشبه وإنما قلنا بالجواز لا بالوجوب فإن الوجوب يناقض الجواز ولصاحب الخف أن يجرد خفه ويغسل رجليه شرعاً أو يمسحها بالماء على ما يقتضيه مذهبه في ذلك ولا مانع له من ذلك وكذلك هذا العاقل قد يبقى على تنزيهه للقدم ولا ينتقل إلى الهرولة وتوزيلها عن هذه القدم بحكم ما يسبق إلى الفهم إذ بين إن القدم ما تشبه نسبتها إلى الحق نسبة

أقدمنا إلينا من كل الوجوه فلماذا لم يتعلق الوجوب بالمسح وكان حكمه الجواز (وصل) وأما من أجازته سفرا ومنعه في الحضر فذلك إذا كان التنزيه عملا فلا أثر له إلا في المتعلم السامع القابل فيسافر التنزيه من العالم المعلم إلى المتعلم على راحلة التلفظ والكلام بعبارة أو إشارة من المعلم إلى المتعلم (وصل) وأما من منع جوازه على الإطلاق فإن حقيقة التنزيه إنما هي لله سبحانه فإنه المنزه لذاته والعبد لا يكون منزها أبدا ولا يصح وإن تنزه عن شيء ما لم يتنزه عن شيء آخر فمن حقيقته أنه لا يقبل التنزيه على الإطلاق وإذا كان بهذه الصفة لا يجوز تنزيهه فإنه خلاف العلم والأمور العارضة لا أثر لها في الحقائق فإن قبول العبد لآثار التنزيه يدل على عدم التنزيه عن قبول الآثار فيه فهذا وجه منع جواز المسح على الخف وما في معناه على الإطلاق إن فهمت (وصل و تميم) وأما الإشارة بالخفين فإن المراد بهما النشأتان نشأة الجسم ونشأة الروح ولكل نشأة ما يليق بها من الطهارة فافهم

(باب تحديد محل المسح من الخف وما في معناه)

اختلف علماء الشريعة في تحديد المسح على الخف فمن قائل إن القدر الواجب من ذلك مسح أعلى الخف وما زاد على ذلك فمستحب و هو مسح أسفل الخف يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح أعلى الخف ومن قائل بوجوب مسح ظهورهما وبطونهما ومن قائل بوجوب مسح ظهورهما فقط ولا يستحب صاحب هذا القول مسح بطونهما ومن قائل إن الواجب مسح باطن الخف ومسح الأعلى مستحب وهو قول أشهب (وصل في حكم الباطن في ذلك) اعلم أن التنزيه المعبر عنه هنا بطهارة المسح متعلقة إما الحق كما قدمنا وإما العبد الذي نزهة والقسمة منحصرة فما ثم إلا عبد ورب وخالق ومخلوق ولنا في هذه المسألة لفظة أعلى وأسفل وصفة العلو لله تعالى لأنه رفيع الدرجات لذاته قال تعالى سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وما في القرآن أقرب نسبة إلى مسح أعلى الخف من هذه الآية والسفل لنا وكذلك أيضا ظاهر الخف وباطنه أعني هاتين اللفظتين قد يكون الحق له حكم الظاهر والباطن وقد يكون حكم الظاهر له في خرق العوائد وحكم الباطن له في نفس العوائد وهي أكثر الآيات الدالة على الله لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فتارة يعلق التنزيه بالأعلى سبحانه وتعالى حقيقة وهو حد الواجب من ذلك ويستحب إطلاق التنزيه على العبد من حيث إن عمله لذلك يعود عليه وهذا على مذهب من يرى أن الواجب مسح أعلى الخف ويستحب مسح أسفله وتارة يعلق التنزيه بالحق سبحانه ظاهرا وباطنا وهو الذي لا يرى في الوجود إلا الله لغلبة سلطان المشاهدة والتجليات عليه فيرى الحق ظاهرا وباطنا فلا يقع منه تنزيه إلا على الحق سبحانه والتنزيه نسبة عدمية لا وجودية وهو الذي يوجب مسح ظهور الخفين وبطونهما وتارة يعلق التنزيه بالله تعالى لكماله في ذاته ولا يستحب تنزيه الخلق للنقص الذاتي الذي هو له فيقع في الكذب إن نزهة فيرى أنه لو تنزه الممكن يوما ما من جهة ما لصفة كمال هو عليها لكان من حيث تلك الصفة غنيا عن الله ومقاوما له ومحال على الخلق أن يكونوا على صفة يكون لهم بها الغني عن الله فإنهم من جميع الوجوه فقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فمنع من استحباب مسح أسفل الخف وقال ما ثم منزّه إلا الله

العلي الظاهر إلى عباده بنعوت الجلال وهذا كما قلنا مذهب من يرى مسح أعلى الخف ولا يستحب مسح أسفله وتارة يعلق التنزيه أعني وجوبه من اسمه الباطن ويقول إن الباطن محل يبعد العثور على ما يستحقه من نعوت الجلال لبطونه فيكون الواجب تنزيه الحق في اسمه الباطن من أثر الحجاب الذي حكم عليه إن يكون باطنا لا يدرك والله أعلى وأجل أن يحوطه حجاب فوجب تنزيهه من حيث اسمه الباطن فهذا وجه من أوجب مسح الباطن من الخف كأشهب واستحب مسح أعلاه وهو الاسم الظاهر فيقول واستحب تنزيه الحق في اسمه الظاهر وهو تجليه في الصورة لعباده فينزهه عن التقييد بها ولكن التنزيه الذي لا يخرج عن العلم أنه عين تلك الصورة فإنه أعلم بنفسه من العقل به ومن كل عالم سواه به وقد قال عن نفسه إنه هو الذي يتجلى لعباده في تلك الصورة كما ذكره مسلم في صحيحه فيكون تنزيهه عند ذلك أنه لا يتقيد بصورة أي لا تقيدته صورة بل يتجلى في أي صورة يظهر بها لعباده ومن هذه الحقيقة التي هو عليها في نفسه ذكر لنا في خلقنا بعد تسويتنا وتعديلنا في أي صورة ما شاء ركبنا كما أنه في أي صورة شاء تجلى لعباده وهنا سر إلهي نهك عليه لتعرفه به فنزهه صاحب هذا المذهب في ظهوره استحبابا عن دوام التجلي في تلك الصورة بالإقامة فيها في عينك فافهم فهذا حكم الباطن في تحديد المحل

(باب في نوع محل المسح وهو ما يستتر به الرجل من خف أو جورب)

اعلم أن القائلين بالمسح على الخفين متفقون على المسح عليهما بلا شك واختلفوا في المسح على الجوربين فمن قائل بالمنع على الإطلاق ومن قائل بالجواز على الإطلاق ومن قائل بالجواز إذا كان على صفة خاصة فأما إن يكون من الكثافة والشخانة بحيث أن لا يصل ماء المسح إلى الرجل أو يكون مبطنا بجلد يجوز المشي فيه أي يمكن المشي فيه (وصل حكمه في الباطن) فأما حكم الباطن في ذلك فقد تقدم في الخوف و بقي حكم الجورب فالمقرر إن الجورب مثل الخف في الصفة الحجابية فإن العبد حجاب دون خالقه ولهذا ورد من عرف نفسه عرف ربه فإنه الدليل عليه والدليل والمدلول وإن ارتبطا بالوجه الخاص فهما ضدان لا يجتمعان وقد قلنا فيما تقدم إن الخف هو أدل على الرجل في إزالة الاشتراك من لفظة الرجل التي تطلق عليه وكذلك الهرولة وقد مضى ذلك إلا أن الجورب وإن ستر الرجل لا يقوى قوة الخف للتخلل الذي فيه فإن الماء ينفذ ويتخلل مسامه سريعا والخف ليس كذلك وحكمه في الباطن أن من العباد عباد الله من يكون في الدلالة على الله أقوى من غيره فهو بمنزلة الجورب كما ثبت في الأثر عن الله في صفة أولياء الله حديثي غير واحد عن حدثه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من أولياء الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء له وذلك لما قلناه مما يرى عليهم من قوة الدلالة على الله تعالى من الاستهتار بذكره سبحانه وما هم عليه من الذلة والطاعة والافتقار مع الأنفاس إلى الله فإذا أراد الناس أن ينزهوه لم يتمكن لهم تنزيههم إلا بتنزيه الله فإنهم ما يذكرونهم إلا بالله لما تعطى أحوالهم الصداقة مع الله فإن كان الخف مبطنا بجلد فهو الملاهي الذي يستتر نفسه وحاله مع الله عن العالم السفلي أن يدركوا مرتبة ولايته عند الله كما يستتر الجورب عن الأرض أن تدركه وتصيبه بالجلد الذي حال بين الأرض وبينه وهو الصفة التي استتر بها هذا الملاهي

من المباحات عن العالم الأسفل المحجوب فلم يدركوا منه إلا تلك الصفة التي لم يتميز بها عن عامة المؤمنين وهو من خلف تلك الصفة في مقام الولاية مع الله وبقي أعلى الجورب من جانب الأعلى مع الله سبحانه بلا حائل بينه وبين ربه عز وجل وقد فتحت لك باب الاعتبار شرعا وهو الجواز من الصورة التي ظهر حكمها في الحس إلى ما يناسبه في ذاتك أو في جناب الحق مما يدل على الحق هذا معنى الاعتبار فإنه من عبرت الوادي إذا قطعته وجزته

(باب في صفة الممسوح عليه)

أجمع من يقول بجواز المسح على جواز المسح على الخف الصحيح واختلفوا في المخرق فمن قائل بجوازه إذا كان الخرق يسيرا من غير حد ومن قائل بتحديد الخرق اليسير بثلاثة أصابع ومن قائل بجوازه ما دام ينطلق عليه اسم الخف وإن تفاحش خرقه وهو الأوجه عندي ومن قائل بمنع المسح إذا كان الخرق في مقدم الخف وإن كان يسيرا والذي أقول به إن هذه المسألة لأصل لها ولا نص فيها في كتاب ولا سنة فكان الأولى إهمالها وأن لا نستغل بها وإن الحق في ذلك إذ وقد وقع في ذلك من الخلاف بين علماء الشريعة ما أوجنا إلى الكلام فيها وإن الحق في ذلك عندنا إنما هو مع من قال يجوز ما دام يسمى خفا (وصل في حكم الباطن في ذلك) وهو أن نقول إنما سمي الخف خفا من الخفاء لأنه يستر الرجل مطلقا فإذا انخرق وظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه ومسح على الخف وذلك ما دام يسمى خفا لا بد من هذا الشرط وفيه سر عجيب للفطن المصيب إن الخافي هو الظاهر أيضا يقول إمرؤ القيس خفاهن من أنفاقهن أي أبرزهن وأظهرهن وإنما قلنا بمسح ما ظهر لأننا قد أمرنا في كتاب الله بمسح الأرجل فإذا ظهر مسحناه وأما في الباطن فظاهر الشريعة ستر على حقيقة حكم التوحيد بنسبة كل شيء إلى الله فالطهارة في الشريعة متعلقها وهي أن تصحبها التوحيد بأن تراها حكم الله في خلقه لا حكم المخلوق مثل السياسات الحكيمية فالشرع حكم الله لا حكم العقل كما يراه بعضهم فطهارة الشريعة رؤيتها من الله الواحد الحق ولهذا لا ينبغي لنا أن نطعن في حكم مجتهد لأن الشرع الذي هو حكم الله قد قرر ذلك الحكم فهو شرع الله بتقريره إياه وهي مسألة تقع في محظورها أصحاب المذاهب كلهم لعدم استحضارهم لما نهينا عليه مع كونهم عالمين به ولكنهم غفلوا عن استحضاره فأساءوا الأدب مع الله في ذلك حين فاز بذلك الأدباء من عباد الله فمن خطأ مجتهدا بعينه فقد خطأ الحق فيما قرره حكما فإذا انخرق الشرع فظهر في مسألة ما حكم من أحكام التوحيد مما تزيل حكم الشرع مطلقا انتقل الحكم الطهارة ذلك التوحيد المؤثر في إزالة حكم الشريعة كمن ينسب الأفعال كلها إلى الله من جميع الوجوه فلا يبالي فيما يظهر عليه من مخالفة أو موافقة فمثل هذا التوحيد يجب التنزيه منه لظهور هذا الأثر فإنه خرق للشريعة ورفع لحكم الله كما لا يجوز المسح مع زوال اسم الخف فإن كان الخرق يبقى اسم الخف عليه كان الحكم كما قررناه من المسح على الخف ومسح ما ظهر من الرجل وهو أن يبين في ذلك التوحيد المعين في هذه المسألة الوجه المشروع وهو أن تقول وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ فالأعمال خلق الله مع كونها منسوبة إلينا فلم ينسبها من جميع الوجوه فلم يؤثر في المسح ويكون الحكم في ذلك كما قررناه وأهل طريقتنا اختلفوا في هذه المسألة اختلافا كثيرا على صورة ما

اختلف فيه أهل المسح على الخف سواء فأما من حده بثلاثة أصابع فراعى ظهور التوحيد في ثلاث منازل وهو حكم الشرع في الإنسان في معناه وفي حسه وفي خياله فإذا عم التوحيد هذه الثلاثة لم يجز الأخذ به وانتقل إلى مسح الرجل أو غسله كما ينتقل تنزيه الإنسان نفسه عن مثل هذا التوحيد حيث أزال حكم الشرع منه فحكم حكم من زال عنه اسم الخف

(باب في توقيت المسح)

اختلف في ذلك فمن قائل بالتوقيت فيه ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم ومن قائل بأن لا توقيت وللمسح ما بدا له ما لم يقم مانع كالجنازة (وصل حكمه في الباطن) فأما الحكم في ذلك في الباطن على مذهب القائل بالتوقيت فقد قررنا في المسح على الخف في باب العالم والمتعلم أن ذلك سفر حيث انتقل الأمر من المعلم إلى المتعلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علم الناس شرائعهم كرر الكلمة ثلاث مرات حتى تفهم عنه لأنه مأمور بالبيان والإبلاغ هذا معنى مسح المسافر ثلاثاً وأما توقيت الحاضر بيوم وليلة فإنه ليس له في نفسه إلا قيام ذلك الأمر فيعلمه فلا يعيد عليه لنفسه لأنه قد ظهر له وهو من نفسه على يقين وما هو على يقين من قبول غيره لذلك عند التعليم فيكرره ثلاث مرات ليتيقن أن قد فهم عنه ومن لم يقل بالتحديد نظر إلى فطر المتعلمين فمفهم من يفهم بأول مرة ومنهم من لا يفهم إلا بعد تفصيل وتكرار المرة بعد المرة حتى يفهم فلا يوقت عدداً بعينه في حال تعليمه غيره الذي هو بمنزلة السفر ولا ينظره في نفسه الذي هو بمنزلة الحاضر فإنه في نفسه قد يمكن أن يتصور فيما ظهر له أنه ربما يكون شبهة فيحقق النظر فيه مراراً فلا توقيت وأما حكم الجنازة في إزالة الخف فالجنازة هي الغربة والجنيب الغريب فإذا وقع في القلب أمر غريب يقدح في الشرع جرد النظر في ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع مثل أن يخاطر له خاطر البرهمي المنكر للشيعة فلا يقبل دليل الشرع على إبطال هذا القول الذي خطر له فإنه محل النزاع فلا بد أن ينزع من الاستدلال بالشرع إلى الاستدلال بما تعطيه أدلة النظر وسواء وقع ذلك له كالحضر أو لغيره كالسفر كما إن الجنب سواء كان مسافراً أو حاضراً لا بد من إزالة الخف

(باب في شرط المسح على الخفين)

فمن قائل إن من شرط المسح أن يكون الرجلان طاهرتين بطهر الوضوء ومن قائل إنه ليس من شرطه إلا طهارتهما من النجاسة وبه أقول والقول الأول أحوط وبقي شرط آخر أن لا يكون خف على خف فمن قائل بجواز المسح عليهما وبه أقول ومن قائل بالمنع وهكذا حكم الجر موق (وصل في حكم الباطن في ذلك) وأما حكم الباطن في ذلك فإن الطهر المعقول في الباطن هو التنزيه كما قررناه عقلاً وشرعاً وهذه الطهارة الخاصة للرجلين طهارة شرعية وقد وصف نفسه تعالى بأن له الهرولة لمن أقبل إليه يسعي والسعي والهرولة من صفات الأرجل فمن نزه الحق عن الهرولة فقد أكذب الحق فيما وصف به نفسه وإن كان العقل لا يقبل من حيث دليله هذه النسبة إليه تعالى واليمان يقبلها وينفي التشبيه بقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وبالذليل النظري ولا تتأول الهرولة الإلهية بتضعيف الإقبال الإلهي على العبد وتأكيده ولا غير ذلك من ضروب التأويلات المنزهة وإنما تأول ذلك من تأوله من العقلاء بتضاعف الإقبال الإلهي بجزيل الثواب على العبد إذا أتى إلى ربه

يسعى بالعبادات التي فيها المشي كالسعي إلى المساجد والسعي في الطواف وإلى الحج وإلى عيادة المرضى وإلى قضاء حوائج الناس وتشجيع الجنائز وكل عبادة فيها سعى قرب محلها أو بعد قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بُدِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فطهر الوضوء وصف الحق بأنه يهرول والطهر الذي هو النظافة هو تنزيه الحق أن لا يرفع عنه ما وصف به نفسه وأما ما لم يصف به نفسه مما هو من نعوت الممكنات فتزيهه عن أن يوصف بشيء من ذلك هو للعقل فالعقل تحت حكم الشرع إذا نطق الشرع في صفات الحق بما نطق فليس له رد ذلك إن كان مؤمنا ويكون المنطوق والموصوف بتلك الصفة قابلا أي جازئ القبول أو مجهول القبول فيلزم العقل قبول الوصف المشروع وإن جهل قبول الموصوف له ولهذا ذهبنا في طهر الرجلين إلى الطهر اللغوي الذي هو النظافة والتنزيه من النجاسة فلا يلزمنا شيء مما يتفرع من هذه المسألة من المسائل على مذهب القائلين بطهر الوضوء وأما إذا لبس خفا على خف فهو وصف الحق نفسه بالهرولة فإن الهرولة صفة للسعي والسعي صفة للرجل فقد يكون السعي بهرولة وقد لا يكون وإذا كان هذا فالهرولة من صفات السعي فين الهرولة و بين القدم أمر آخر وهو السعي فهو كالحنف على الخف وقد تقدم الكلام عليه فافهم

(باب في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف)

الاتفاق على إن نواقضها نواقض الوضوء كلها وسيأتي بابه في هذا الباب فيما بعد اختلف العلماء في نزع الخف هل هو ناقض للطهارة أم لا فمن قائل إن الطهارة تبطل ويستأنف الوضوء ومن قائل تبطل طهارة القدمين خاصة فيغسلهما ولا بد على ما تقدم من الاختلاف في الموالة ومن قائل لا يؤثر نزع الخف في طهارة القدم وبه أقول وإن استأنف الوضوء فهو أحوط ولا يؤثر في طهارته كلها إلا أن يحدث ما ينقض كما سيأتي (وصل في حكم الباطن في ذلك) أما حكم الباطن فيمن قال تبطل الطهارة كلها فهو سريان التنزيه في الموصوف فإذا قبل تنزيها بعينه قبل سائر ما يعقل فيه التنزيه كذلك إن بطل تنزيه ما في حق الموصوف سرى البطلان في النعوت كلها نعوت التنزيه ومن قال تبطل طهارة الرجل خاصة هو أن يزيل الشرع عن الحق وصفا ما على التعيين فلا يلزم منه إزالة كل وصف يقتضي التشبيه فإن الله سبحانه نزه نفسه أن يلد وما نزه نفسه عن أن يتردد في الأمر يريد فعله ولا نزه نفسه عن التدبر ولا نزه نفسه عن الغضب ومن قائل بأنه على طهره وإن نزع الخف لا حكم له ولا تأثير في الطهارة التي كان موصوفا بها في حال لبسه خفه يقول وإن نزه الحق نفسه عن أن يلد فالوصف له باق فإنه قال لو أراد الله أن يتخذ وكذا لأصطفى مما يخلق ما يشاء فأبقي الأمر على حكمه بقوله تعالى لو أراد وهذا مثل قوله تعالى لو لا كتاب من الله سبق وقوله ما يبذل القول لدي وهذا رد على من يقول إن الإله لذاته أوجد الممكن لانتسبة إرادته ولا سبق علم والصحيح ما قاله الشارع وإن لم تكن تلك النسبة أمرا وجوديا زائدا فاعلم ذلك

(أبواب المياه)

قد تقدم الكلام في أول الباب في الفرق بين ماء الغيث وماء العيون وبيننا من ذلك ما فيه غنية فلندكر في هذه الأبواب حكم ما نزعنا إليه

علماء الشريعة في الظاهر بما يناسبه من طهارة الباطن

(باب في مطلق المياه)

أجمع العلماء على إن جميع المياه طاهرة في نفسها مطهرة غيرها إلا ماء البحر فإن فيه خلافا وكذلك أيضا اتفقوا على إن ما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا إنه لا يسلب عنه صفة التطهير إلا الماء الآجن فإن ابن سيرين خالف فيه والذي أذهب إليه أن كل ما ينطلق عليه اسم الماء مطلقا فإنه طاهر مطهر سواء كان ماء البحر أو الآجن و اتفقوا أيضا على إن الماء الذي غيرت النجاسة لونه أو طعمه أو ريحه أو كل هذه الأوصاف أنه لا تجوز به الطهارة فإن لم يتغير الماء ولا واحد من أوصافه بقي على أصله من الطهارة والتطهير ولم يؤثر ما وقع فيه من النجاسة إلا أنني أعرف في هذه المسألة خلافا في قليل الماء تقع فيه قليل النجاسة بحيث أن لا يتغير من أوصافه شيء (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن فيما ذكرناه فاعلم إن الماء هو الحياة التي تحيا بها القلوب فيحصل به الطهارة لكل قلب من الجهل قال تعالى أَوَمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا هَذَا ضَرْبٌ مِّثْلُ فِي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ وَأَمَّا ماء البحر الذي وقع فيه الخلاف الشاذ فكونه مخلوقا من صفة الغضب والغضب يكون عنه الطرد والبعث في حق المغضوب عليه والطهارة مؤدية إلى القرب والوصلة فهذا سبب الخلاف في الباطن وأما العلة في الظاهر فتغير الطعم فمن رأى أن الغضب لله يؤدي إلى القرب من الله والوصلة به رأى الوضوء بماء البحر وإليه أذهب ومن اتسع في علم التوحيد ولم يلزم الأدب الشرعي فلم يغضب لله ولا لنفسه لم ير الوضوء بماء البحر لأنه مخلوق من الغضب فيخاف أن يؤثر فيه غضبا فتقوم به صفة الغضب وحاله لا تعطي ذلك فإن التوحيد يمنع من الغضب لأنه في نظره ما ثم من يغضب عليه لاحدية العين عنده في جميع الأفعال المنسوبة إلى العالم إذ لو كان عنده مغضوب عليه لم يكن توحيد فإن موجب الغضب إنما هو الفعل ولا فاعل إلا الله وهذه المسألة من أشكال المسائل عند القوم وإن كانت عندنا هيئة الخطب لمعرفتنا بمواضع الأدب الإلهي الذي شرعه لنا ثم التخلق بالأخلاق الإلهية ومنها الغضب الذي وصف به نفسه في كتابه فقال تعالى وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَكَفَرَهُ وَقَوْلُهُ فِي آيَةِ الْعَانَ وَالْخَامِسَةِ أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَقَدْ جَاءَتِ السَّنَةُ بِأَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَضْبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ فَهَذَا الَّذِي لَا يَغْضِبُ لَا يَرَى إِلَّا اللَّهَ فَيَحْكُمُ عَلَيْهِ حَالَهُ وَهَذَا مَقَامُ الْحَيْرَةِ فَالْوَيْلُ لَهُ إِنْ غَضِبَ هُنَا وَالْوَيْلُ لَهُ إِنْ لَمْ يَغْضِبْ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مُحْجُوجٌ بِكُلِّ حَالٍ دُنْيَا وَآخِرَةً وَالْغَضْبُ لِلَّهِ أَسْلَمٌ وَأُنْجَى وَأَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ فَإِنَّ فِيهِ لَزُومَ الْأَدْبِ الْمَشْرُوعِ وَلَمَّا كَانَ الْغَضْبُ فِي أَصْلِ جَبَلَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجَبْنِ وَالْحَرَصِ وَالشَّرَّةِ بَيْنَ الْحَقِّ لَهُ مَصَارِفٌ إِذَا وَقَعَ مِنَ الْعَبْدِ وَاتَّصَفَ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ مَحَالٌ وَمَوَاضِعٌ قَدْ شَرَعَتْ التَّرَمُّ بِهَا الْأَدْبَاءُ حَالًا وَغَابَ عَنْهَا أَصْحَابُ الْأَحْوَالِ وَلَعْدَمِ التَّسْلِيمِ مَحَالٌ وَمَوَاضِعٌ قَدْ شَرَعَتْ فَالْأَدِيبُ هُوَ الْوَاقِفُ مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ حَتَّى يَحْكُمَ الشَّارِعَ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ فَإِذَا حَكَّمَ وَقَفَ الْأَدِيبُ حَيْثُ حَكَّمَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَالْغَضْبُ صِفَةٌ بَاطِنَةٌ فِي الْإِنْسَانِ قَدْ يَكُونُ لَهَا أَثَرٌ فِي الظَّاهِرِ وَقَدْ لَا يَكُونُ فَإِنَّ الْحَالَ أَغْلَبَ وَالْأَحْوَالُ يعلو بعضها على بعض في القهر والغلبة على من قامت بهم فإن جمع بين وجود الرحمة على المغضوب عليه في قلبه و

حكم الغضب لله في حسه و ظاهره فإن أهل طريق الله نظروا أي الطريقين أعلى وأحق فمننا من قال بأن الغضب القائم بالنفس أعلى و منا من قال وجود الرحمة في القلب وإرسال حكم الغضب لله في الظاهر أعلى وليس بيد العبد فيه شيء وإنما العبد مصرف فهو بحسب ما يقام فيه ويرد به و ما للإنسان في تركه و عدم تركه للشيء فعل بل هو مجبور في اختياره إذا كان مؤمناً فإننا قدينا الغضب أن يكون لله و أما الغضب لغير الله فالطبع البشري يقتضي الغضب و الرضي يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر و أَرْضَى كما يَرْضَى البشر الحديث و قد علمنا به حالاً و خلقاً لله الحمد على ذلك و أما حكم الماء الآجن في الباطن دون غيره مما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالباً فاعلم إن الله سبحانه ما نزه الماء عن شيء يتغير به مما لا ينفك عنه غالباً إلا الماء الآجن فقال تعالى في صفة أهل الجنة الموصوفة بالطهارة فيها أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ يُقَالُ آسَنَ الْمَاءُ إِذَا تَغَيَّرَ وَهُوَ الْمَاءُ الْمَخْزُونُ فِي الصَّهَارِيجِ وَكُلُّ مَاءٍ مَخْزُونٍ يَتَغَيَّرُ بِطَوْلِ الْمَكْتِ إِذَا عَرِضَ لِلْعِلْمِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْمَزَاجِ الطَّبِيعِيِّ أَمْرٌ أَثَرُ فِيهِ كَالْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ إِذَا رَأَى رَحْمَتَهُ بَعَادَ اللَّهُ كَمَا يَرَاهَا مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الرِّقَّةِ وَ الشَّفَقَةِ الَّتِي يَجِدُ الْمَهْمَا فِي نَفْسِهِ فَيَطْلُبُ الْعَبْدَ إِزَالَةَ الْأَمِّ الَّذِي يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ هَذَا الَّذِي أَدْرَكَتْهُ الرَّحْمَةُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ قَامَ لَهُ قِيَامُ الرِّقَّةِ بِهِ وَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ فَتَغَيَّرَتْ عِنْدَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ بِالْقِيَاسِ عَلَى رَحْمَتِهِ فَلَمْ يَنْبَغْ لَهُ أَنْ يَطْهَرَ نَفْسَهُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَ قَدْ تَغَيَّرَتْ عِنْدَهُ وَ عِلَّةُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ مَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّقَّةِ فِي رَحْمَتِهِ فَالْحَقُّ يَقُولُ لَكَ هُنَا لَا تَجْعَلُ طَبِيعَتَكَ حَاكِمَةً عَلَى حَيَاتِكَ الْإِلَهِيَّةِ وَ مِنْ يَرَى الْوُضُوءَ بِالْمَاءِ الْآجَنِ لَمْ يَفْرَقْ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي مَوَاضِعَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الطَّبَعُ الْبَشَرِيُّ فَيَجْرِي الْكُلُّ مَجْرَى وَاحِدًا وَ الْأُولَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَوْلَى أَنْ لَا نَزِيدَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ شَيْئاً فِيمَا ذَكَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَ أَمَا حُكْمُ الْبَاطِنِ فِي الْعِلْمِ الْقَلِيلِ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ الشُّبُهَةُ الْمُضَلَّةُ وَ أَثَرَتْ فِيهِ التَّغْيِيرَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ بِهِ وَ إِنْ كَانَ عَارِفاً أَنَّ لَذَلِكَ الْعِلْمَ وَجْهًا إِلَى الْحَقِّ وَ لَكِنْ لَيْسَ فِي قُوَّتِهِ لَضَعْفِ عِلْمِهِ مَعْرِفَةً تَعْيِينَ ذَلِكَ الْوَجْهَ فَيَعْدِلُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ الشُّبُهَةَ وَ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَأْخُذُهُ عَنِ الْإِيمَانِ مِنْ طَرِيقِ الشَّرْعِ وَ الْعَمَلِ بِهِ فَإِنَّهُ الْعِلْمُ الْوَاسِعُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الشُّبُهَةَ لِأَنَّهُ يَقْبَلُ عَيْنَهَا بِالْوَجْهِ الْحَقِّ الَّذِي تَحْمَلُهُ فَيَصْرِفُهَا فِي مَوْضِعِهَا فَتَكُونُ عِلْمًا بَعْدَ مَا كَانَتْ بِكُونِهَا شُبُهَةً جَهْلًا فَإِنَّ نُورَ الْإِيمَانِ تَنْدَرُجُ فِيهِ نُورُ الْعُلُومِ أَنْدَرُجُ أَنْوَارُ الْكَوَاكِبِ فِي نُورِ الشَّمْسِ وَ طَرِيقُهُ وَاضِحَةٌ أَيْضًا فِي رُجُوعِ الشُّبُهَةِ عِلْمًا لِأَنَّهُ يَنْزِلُ حُكْمُهَا وَ يَرِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَجْهَ الْحَقِّ فِيهَا فَيَرَاهَا عَدَمًا وَ الْعَدَمُ لَا أَثَرَ لَهُ وَ لَا تَأْثِيرَ فِي الْوُجُودِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ نُورَ الْإِيمَانِ هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ أَمْرِ الشَّرْعِ أَيْ الْأَمْرِ مَا قَلَّتْ لَكَ وَ أَمْرُكَ بِهِ سِوَاءٍ وَجَدْتَ عَلَيْهِ دَلِيلًا عَقْلِيًّا أَوْ لَمْ تَجِدْ كَالْإِيمَانِ فِي الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ بِالْهَرُولَةِ وَ الضَّحْكَ وَ التَّبَشُّشِ وَ التَّعَجُّبِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَ لَا تَشْبِيهِ مَعَ مَعْقُولِيَّةِ ذَلِكَ مِنَ اللِّسَانِ لَكِنْ نَجْهَلُ النَّسْبَةَ لِاسْتِنْدَادِنَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هِيَ أَعْنِي هَذِهِ الْآيَةَ أَصْلًا فِي التَّنْزِيهِ لِأَهْلِهِ وَ أَصْلًا فِي التَّشْبِيهِ لِأَهْلِهِ

(باب في الماء تحالطه النجاسة و لم يغير أحد أوصافه)

اختلف علماء الشريعة في الماء تحالطه النجاسة و لم يغير أحد أوصافه فمن قائل إنه طاهر مطهر سواء كان قليلاً أو كثيراً و به أقول إلا أنني

أقول إنه مطهر غير طاهر في نفسه لأننا نعلم قطعاً إن النجاسة خالطته لكن الشرع عفا عنها ولا أعرف هذا القول لأحد وهو معقول وما عندنا من الشرع دليل إنه طاهر في نفسه لكنه طهور وإن احتجوا علينا بأن رسول الله ص قال خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء قلنا ما قال إنه طاهر في نفسه وإنما قال فيه إنه طهور و الطهور هو الماء والتراب الذي يطهر غيره فإننا كما قلنا نعلم قطعاً إن الماء حامل النجاسة عقلاً ولكن الشارع ما جعل لها أثراً في طهارة الإنسان به ولا سماه نجساً فقد يريد الشارع التعريف بحقيقة الأمر وهو أن الماء في نفسه طاهر بكل وجه أبداً لم يحكم عليه بنجاسة أي أن النجاسة ليست بصفة له وإنما أجزاء النجس تجاور أجزاءه فلما عسر الفصل بين أجزاء البول مثلاً بين أجزاء الماء وكثرت أجزاء النجاسة على أجزاء الماء فغيرت أحد أوصافه منع من الوضوء به شرعاً على الحد المعتبر في الشرع وإذا غلبت أجزاء الماء على أجزاء النجاسة فلم يتغير أحد أوصافه لم يعتبرها الشارع ولا جعل لها حكماً في الطهارة بها فإننا نعلم قطعاً إن المتطهر استعمل الماء والنجاسة معا في طهارته الشرعية والحكم للشرع في استعمال الأشياء لا للعقل ولم يرد شرع قط بأنه طاهر ليست فيه نجاسة إلا باعتبار ما ذكرناه من عدم تداخل الجواهر وهو أمر معقول فما بقي إلا تجاورها فاعتبر الشرع تلك المجاورة في موضع ولم يعتبرها في موضع فلذلك لم يجز الطهارة به في الموضع الذي اعتبرها وأجاز الطهارة به في الموضع الذي لم يعتبرها ولم يقل فيه إنه ليس فيه نجاسة فالحكم في الماء على ما ذكرناه على أربع مراتب إذا خالطته النجاسة أو لم تتخالطه حكم بأنه طاهر مطهر وحكم بأنه طاهر غير مطهر وحكم بأنه غير مطهر ولا طاهر وحكم بأنه مطهر غير طاهر فالطاهر المطهر هو الماء الذي لم تتخالطه نجاسة والطاهر غير المطهر هو الماء الذي يتخالطه ما ليس بنجس بحيث أن يزيل عنه اسم الماء المطلق مثل ماء الزعفران وغيره وحكم بأنه غير طاهر ولا مطهر وهو الماء الذي غيرت النجاسة أحد أوصافه وصاحب هذا الحكم يرد الحديث الذي احتج به علينا فإن الشارع قال لا ينجسه شيء فكيف اعتبره هذا المحتج به هنا ولم يعتبره في الوجه الذي ذهبنا إليه في أنه مطهر غير طاهر ويلزمه ذلك ضرورة وليس عنده دليل شرعي يردده والحكم الرابع مطهر غير طاهر وهو الفصل الذي نحن بسبيله فإنه الماء الذي خالطته النجاسة ولم يتغير أحد أوصافه ومن قائل بالفرق بين القليل والكثير فقالوا إن كان كثيراً لم ينجس وإن كان قليلاً كان نجساً ولم يحد فيه حداً بل قال بأنه ينجس ولو لم يتغير أحد أوصافه ثم اختلف هؤلاء في الحد بين القليل والكثير والخلاف في نفس الحد مشهور في المذاهب لا في نص الشرع الصحيح فإن الأحاديث في ذلك قد تكلم فيها مثل حديث القلتين وحديث الأربعين قلة ثم الخلاف بينهم في حد القلة ويتفرع على هذا الباب مسائل كثيرة مثل ورود الماء على النجاسة وورود النجاسة على الماء والبول في الماء الدائم وغير ذلك وللناس في ذلك مذاهب كثيرة ليس هذا الكتاب موضعها فإننا ما قصدنا استقصاء جميع ما يتعلق من الأحكام بهذه الطهارة من جهة تفريع المسائل وإنما قصدنا الأمهات منها لأجل الاعتبار فيها بحكم الباطن فجردنا في هذا الباب نحواً من ثمانين باباً نذكرها إن شاء الله كلها باباً باباً وهكذا أفعل إن شاء الله في سائر العبادات التي عزمنا على ذكرها في هذا الكتاب من صلاة وزكاة وصيام وحج والله المؤيد لا رب غيره (وصل في حكم الباطن وأما حكم الباطن فيما ذكرناه في هذا الباب) وهو الماء الذي تتخالطه النجاسة

و لم تغير أحد أوصافه فهو العلم الإلهي الذي يقتضي التنزيه عن صفات البشر فإذا خالطه من علم الصفات التي تتوهم منها المناسبة بينه وبين خلقه فوقع في نفس العالم به من ذلك نوع تشويش فاستهلك ذلك القدر من العلم بالصفات التي يقع بها الاشتراك في العلم الذي يقتضي التنزيه من جهة دليل العقل و من ليس كَمَثَلِهِ شَيْءٌ في دليل السمع فيبقى العلم بالله على أصله من طهارة التنزيه عقلا و شرعا مع كوننا نصفه بمثل هذه الصفات التي توهم التشبيه فإنه ما غيرت أوصافه تعالى فيثبت كل ذلك له مع تحقق ليس كمثل شئ و أما حكم القليل و الكثير في ذلك و اختلاف الناس في النجاسة إن كان الماء قليلا فالقلة و الكثرة في الماء الطهور هو راجع إلى الأدلة الحاصلة عند العالم بالله فإن كان صاحب دليل واحد و طرأت عليه في علمه بتنزيه الحق في أي وجه كان شبهة أثرت في دليله زال كونه علما كما زال كون هذا الماء طاهرا مطهرا و إن كان صاحب أدلة كثيرة على مدلول واحد فإن الشبهة تستهلك فيه فإنها إذا قدحت في دليل منها لم يلتفت إليها و اعتمد على باقي أدلته فلم تؤثر هذه الشبهة في علمه و إنما أثرت في دليل خاص لا في جميع أدلته فهذا معنى الكثرة في الماء الذي لا تغير النجاسة حكمه و أما من قال بترك الحد في ذلك و إن الماء يفسد فإنه يعتبر أحدية العين لا أحدية الدليل فيقول إن العلم تقدح فيه هذه الشبهة في زمان تصوره إياها و الزمان دقيق فرما مات في ذلك الزمان و هو غير مستحضر سائر الأدلة لضيق الزمان فيفسد عنده و في هذا الباب تفريع كثير لا يحتاج إلى إيراده و هذا القدر قد وقع به الاكتفاء في المطلوب

(باب الماء بخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غير أحد أوصافه الثلاثة)

أما الماء الذي يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غير أحد أوصافه الثلاثة فإنه طاهر غير مطهر عند الجميع إلا بعض الأئمة فإنه عنده مطهر ما لم يكن التغير عن طبع (وصل حكم الباطن) فأما حكم الباطن في ذلك فهو أن العلم بالله من حيث العقل الذي حصل له من طريق الفكر إذا خالطه وصف شرعي مما جاء الشرع به فإن ذلك العلم بالله طاهر في نفسه غير مطهر لما دل عليه من صفة التشبيه كقولهم في صفة كلام الله إنه كسلسلة على صفوان فأتى بكاف الصفة و الشرع كله ظاهر مقبول ما جاء به فلم يقدر العقل ينفك عن دليله في نفي التشبيه و سلم للشرع ما جاء به من غير تأويل و من رأى أنه مطهر على أصله ما لم يطبخ فأراد بالطبخ الأمر الطبيعي و هو أن لا يأخذ ذلك الوصف من الشارع الذي هو مخبر عن الله و أخذه عن فهمه و نظره بضرب قياس على نفسه من حيث إمكانه و طبيعته فهو طاهر غير مطهر فاعلم ذلك

(باب في الماء المستعمل في الطهارة)

الماء المستعمل في الطهارة اختلف فيه علماء الشريعة على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا تجوز الطهارة به و من قائل تجوز الطهارة به و به أقول و من قائل بكرهه الطهارة به و لا يجوز التيمم بوجوده و قول رابع شاذ و هو أنه نجس (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن فيه فاعلم إن سبب هذا الخلاف هو أنه لا يخلو أن ينطلق على ذلك الماء اسم الماء المطلق أو لا ينطلق فمن رأى أنه ينطلق قال بجواز الطهارة به و

من رأى أنه قد أثر في إطلاقه استعماله لم يجز ذلك أو كرهه على قدر ما يقوى عنده وأما من قال بنجاسته فقول غير معتبر وإن كان القائل به من المعتبرين وهو أبو يوسف فاعلم إن العلم بتوحيد الله هو الظهور على الإطلاق فإذا استعملته في أحدية الأفعال ثم بعد هذا الاستعمال رددته إلى توحيد الذات اختلف العلماء بالله بمثل هذا الاختلاف في الماء المستعمل فمن العارفين من قال إن هذا التوحيد لا يقبله الحق من حيث ذاته فلا يستعمل بعد ذلك في العلم بالذات ومن العارفين من قال يقبله لأننا ما أثبتنا عيننا زائدة والنسب ليست بأمر وجودي فتؤثر في توحيد الذات فبقي العلم بالتوحيد على أصله من الطهارة وأما من قال بأنه نجس فإن التوحيد المطلق لا ينبغي إلا لله تعالى فإذا استعملت هذا التوحيد في أحدية كل أحد التي بها يقع له التمييز عن غيره فقد صار لها حكم الكون الممكن فهذا معنى النجاسة فلا ينبغي أن ينسب إلى الله مثل هذا التوحيد لأن تمييزه في أحديته عن خلقه ليس عن اشتراك كما تتميز الممكنات بعضها عن بعض بخصوص وصفها وهي أحديتها

(باب في طهارة أسرار المسلمين وبهيمة الأنعام)

اتفق العلماء بالشريعة على طهارة أسرار المسلمين وبهيمة الأنعام واختلفوا فيما عدا ذلك فمن قائل بطهارة كل حيوان ومن قائل استثنى واختلف أهل الاستثناء خلافا كثيرا (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن في ذلك فإن سؤر المؤمن وكل حيوان فهو طاهر فإن الإيمان والحياة عين الطهارة في الحي والمؤمن إذ بالحياة كان التسيح من الحي لله تعالى وإذ بالإيمان كان قبول ما يرد به الشرع مما يحيله العقل أو لا يحيله من المؤمن بلا شك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فما بقي للعبد من العلم بعد معرفته بنفسه الذي هو سؤره وكل حيوان فإنه مشارك للإنسان المؤمن في الدلالة فسؤره مثل ذلك بذلك القدر مما بقي يعرف ربه وأما أصحاب الخلاف في الاستثناء فما نظروا في المؤمن ولا في الحيوان من كونه حيوانا ولا مؤمنا فهو بحسب ما نظر فيه هذا المستثنى ويجري معه الحكم والتفصيل فيه يطول وإنما اشترطنا المؤمن دون الإنسان وحده إذ كان الإيمان يعطي من المعرفة بالله ما يعطيه الحيوان والإنسان وزيادة مما لا يدركه الإنسان من حيث إنسانيته ولا حيوانيته بل من كونه مؤمنا فهذا قلنا سؤر المؤمن فإنه أتم في المعرفة

(باب في الطهارة بالأسرار)

اختلف العلماء بالشريعة في الطهارة بالأسرار على خمسة أقوال فمن قائل إنها طاهرة بإطلاق وبه تقول ومن قائل إنه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ومن قائل إنه يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تكن جنبا أو حائضا ومن قائل لا يجوز لكل واحد منهما أن يتطهر بفضل ظهور صاحبه ولكن يشرعان معا ومن قائل إنه لا يجوز أصلا ومن قائل يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم يتحل به (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن في ذلك فاعلم إن الرجل يزيد على المرأة درجة فإذا اتخذنا دليلا على العلم بالله من حيث ما هما رجل وامرأة لا غير فمن رأى أن لزيادة الدرجة في الدلالة فضلا على من ليس لها تلك الدرجة نقصه من العلم بذلك القدر فمن لم يجز الطهارة بذلك قال إنما

يدل من كونه رجلا وامرأة أي من كونهما فاعلا ومنفعلا على علم خاص في الإله وهو العلم بالموثر فيه وهذا يوجد في كل فاعل ومنفعلا فلا يجوز أن يوجد مثل هذا في العلم بالله ولا يتطهر به القلب من الجهل بالله ومن أجازه قال جل المعرفة بالله أن يكون خالقنا وخالق الممكنات كلها وإذا ثبت افتقارنا إليه وغناه عنا فلانبالي بما فاتنا من العلم به وبهذا الاعتبار نأخذ ما بقي من الأقسام مثل الشروع معا غير إن في الشروع معا زيادة في المعرفة وهي عدم التقييد بالزمان وهو حال الوقوف على وجه الدليل وهو أيضا كالنظر في دلالتها من حيث ما يشتركان فيه وليس إلا الإنسانية ومثل طهارة المرأة بفضل الرجل فإنه يعطي في الدلالة ما تعطي المرأة وزيادة ومثل ظهور الرجل بفضل المرأة ما لم تكن جنبا لتغرب عن موطن الأنوثة وهو منفعلا فقد اشترك مع الأنثى التي انفعلت عنه فإنه منفعلا عن موحدة ومن تغرب عن موطن الأنوثة من تشبيهها بالرجل فإن ذلك يقدر في أنوثتها أو حائضا وهي صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة والمطلوب من العلم بالله القربة والحال في الخيض البعد من الله من حيث تناجيه فالمعرفة بهذه الصفة تكون معرفة حجابية من الاسم البعيد وأما قول القائل ما لم تخل به فإن لم تخل به جازت الطهارة وإن خلت به لم تجز فاعلم إن العالم بالله كما يعلم أن ذاته منفعلة في وجود عينها عن الله ولا يعرف أنه يرضي الله و يغضبه بأفعاله إذ قد وقع التكليف فما عرفه معرفة تامة فقد خلى بالمعرفة وهذا يقدر في طهارة تلك المعرفة وإذا عشر على إن له أثرا في ذلك الجناب مثل قوله تعالى **أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَأَعْطَى الدَّعَاءَ** من الداعي في نفس المدعو الإجابة ولا معنى للانفعال إلا مثل هذا فهذا حقيقة قوله ما لم تخل به

(باب الوضوء بنبذ التمر)

اختلف علماء الشريعة في الوضوء بنبذ التمر فأجاز الوضوء به بعضهم ومنع به الوضوء أكثر العلماء وبالمنع أقول لعدم صحة الخبر النبوي فيه الذي اتخذوه دليلا ولو صح الحديث لم يكن قوله نصا في الوضوء به فإنه قال صلى الله عليه وسلم فيه تمر طيبة وماء طهور أي جمع النبذ بين التمر والماء فسمي نبذا فكان الماء طهورا قبل الامتزاج وإن صح قوله فيه شراب طهور لم يكن نصا في الوضوء به ولا بد فقد يمكن أن يطهر به الثوب من النجاسة فإن الله ما شرع لنا في الطهارة للصلاة عند عدم الماء إلا التيمم بالتراب خاصة (وصل حكم الباطن في ذلك) و أما حكم الباطن في ذلك فإن الواقف في معرفته بالله على الدليل المشروع الذي هو فرع في الدلالة عن الدليل العقلي الذي هو الأصل وليس عند صاحب الدليل المشروع علم بما ثبت به كون الشرع دليلا في العلم بالإله فضعف في الدلالة وإن سماه ماء طهورا وتمر طيبة فذلك لامتزاج الدليلين والمقلد لا يقدر على الفصل بين الدليلين فمن حيث يتضمن ذلك الامتزاج الدليل العقلي يجوز الأخذ به في الدلالة فيجوز الوضوء بنبذ التمر ومن حيث الجهل بما فيه من تضمنه الدلالة العقلية لا يجوز الأخذ به وهو على غير بصيرة في ثبوت هذا الفرع فلم يجوز الوضوء بنبذ التمر فإنه سماه شرابا وأزال عنه اسم الماء فافهم **وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**

(أبواب نواقض الوضوء)

حكم ذلك في الباطن أعني ناقض الوضوء أنه كل ما يقدح في الأدلة العقلية والأدلة الشرعية في المعرفة بالله أما في العقلية فمن الشبه الواردة و أما في الشرعية فمن ضعف الطريق الموصل إليها وهو عدم الثقة بالرواية أو غرائب المتون فإن ذلك مما يضعف به الخبر فكل ما يخرجك عن العلم بالله وتوحيده وبأسمائه الحسنى وما يجب لله أن يكون عليه وما يجوز وما يستحيل عليه عقلا إلا أن يرد به خبر متواتر في كتاب أو سنة فإن ذلك كله ناقض لطهارة القلب بمعرفة الله وتوحيده وأسمائه فلنذكرها مفصلة كما وردت في الوضوء الظاهر إن شاء الله (باب

انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس)

اختلف علماء الشريعة في انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس على ثلاثة مذاهب فاعتبر قوم في ذلك الخارج وحده من أي موضع خرج وعلى أي وجه خرج وبين هؤلاء اختلاف في أمور واعتبر قوم المخرجين القبل والدبر من أي شيء خرج وعلى أي وجه خرج من صحة ومرض واعتبر آخرون الخارج والمخرج وصفة الخروج وبه أقول (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم هذه المذاهب في المعاني في الباطن فمن اعتبر الخارج وحده وهو الذي ينظر في اللفظ الخارج من الإنسان فهو الذي يؤثر في طهارة إيمانه مثل أن يقول في يمينه برئت من الإسلام إن كان كذا وكذا أو ما كان إلا كذا وكذا فإن هذا وإن صدق في يمينه وبر ولم يحنث فإنه لا يرجع إلى الإسلام سالما كذا قال صلى الله عليه وسلم ومثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا ولا يراعى من خرجت منه من مؤمن وكافر ومن اعتبر المخرجين فهو المنافق والمرتاب فكل ما خرج منهما لا ينفعهما في الآخرة فإن الخارج قد يكون نجسا كالكفر من التلفظ به وقد يكون غير نجس كالإيمان وما كان مثل هذا من المخرجين المنافق والمرتاب لأن المخرجين خميستان لم ينفع ما ليس بنجس كظهور الإيمان وما في القلب منه شيء وهو قوله تعالى عنهم حيث قالوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَهُوَ كَخُرُوجِ الطَّاهِرِ أَعْنِي الَّذِي لَيْسَ بِنَجْسٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَهُوَ كَخُرُوجِ مَا هُوَ نَجْسٌ فَقَالَ تَعَالَى فِيهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا فَأَثَرُ فِي الطَّهَارَةِ وَأَمَّا مَنْ أَعْتَبَرَ الْخَارِجَ وَالْمَخْرُجِينَ وَصِفَةَ الْخُرُوجِ فَقَدْ عَرَفْتَ الْخَارِجَ وَالْمَخْرُجِينَ وَمَا بَقِيَ إِلَّا صِفَةُ الْخُرُوجِ فَصِفَةُ الْخُرُوجِ فِي الطَّهَارَةِ كَالْخُرُوجِ عَلَى صِفَةِ الْمَرَضِ كَالْمَقْلَدِ فِي الْكُفْرِ أَوِ الصِّحَةِ وَهُوَ الْعَالَمُ بِالْحَقِّ الصَّحِيحِ وَيُجَدِّدُهُ فَلَا يُؤْمِنُ قَالَ تَعَالَى فِي مِثْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَجَدُّوا بِمَا دَلَّمْ عَلَيْهِ وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ثُمَّ ذَكَرَ الْعِلَّةَ فَقَالَ ظَلَمْنَا وَعَلَوْا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أَنْتَهَى الْجُزْءُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(باب حكم النوم في نقض الوضوء)

اختلف العلماء في النوم على ثلاثة مذاهب فمن قائل إنه حدث فأوجبوا الوضوء في قلبه وكثيره ومن قائل إنه ليس بحدث فلم يوجب منه وضوء إلا أن يتيقن بالحدث فالناقض للوضوء هو الحدث لا النوم وإن شك في الحدث فالشك غير مؤثر في الطهارة فإن الشرع لم يعتبر الشك في هذا الموضوع وبه أقول ومن قائل بالفرق بين النوم القليل الخفيف كالسنة فلم يوجب منه وضوء وبين الكثير المستقل فأوجب منه الوضوء

(وصل حكمه في الباطن) اعلم أن القلب له حالة غفلة فذلك النوم القليل وحالة موت ونوم عن التيقظ والانتباه لما كلفه الله به من النظر والاستدلال والذكر والتذكر وهاتان الحالتان ميزلتان طهارة القلب التي هي العلم بالله ولنا في ذلك ما ينبه الغافل والسالك

و أنت تدعى فاتتبه يا نائما كم ذا الرقاد
بما دعا لو نمت به كان الإله يقوم عنك
عما دعاك و منتبه لكن قلبك غافل
يردك مهما مت به في عالم الكون الذي
إن زادك مشتهه فانظر لنفسك قبل سيرك

(باب الحكم في لمس النساء)

اختلف علماء الشريعة في لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الأعضاء الحساسة فمن قائل إنه من لمس امرأته دون حجاب أو قبلها على غير حجاب فعليه الوضوء سواء التذ أو لم يلمتذ واختلف قول صاحب هذا المذهب في الملموس فمرة سوى بينهما في إيجاب الوضوء ومرة فرق بينهما و فرق أيضا صاحب هذا القول بين أن يلمس ذوات المحارم والزوجة ومن قائل بإيجاب الوضوء من اللمس إذا قارنته اللذة وعند أصحاب هذا القول تفصيل كثير ومن قائل بأن لمس النساء لا ينتقض الوضوء وبه أقول والاحتياط أن يتوضأ للخلاف الذي في هذه المسألة اللامس والملموس (وصل حكم اللمس في الباطن) فأما حكم اللمس في القلب فالنساء عبارة وكناية عن الشهوات فإذا لمست الشهوة القلب ولمسها والتبس بها والتبست به وحالت بينه وبين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها فقد انتقض وضوؤه وإن لم يتحل بينه وبين مراقبة الله فيها فهو على طهارته فإن طهارة القلب الحضور مع الله ولا يبالي في متعلق الشهوة من حرام أو حلال إذا اعتقد التحريم في الحرام والتحليل في الحلال فلا تؤثر في طهارته فإذا اعتقد التحريم في الحلال المنصوص عليه بالحل أو التحليل المنصوص عليه بالتحريم من أجل الشهوة بالنظر إلى الرجوع في ذلك إلى قول إمام يرى ذلك مع علمه إن الشارع قرر حكم المجتهد وقرر قبول عمل القلب له إذا عمل به وقد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول ولا يعمل عليه ولا يقول به وإنما رجع إليه بسبب لمس الشهوة قلبه فمثل هذا تؤثر في طهارته فعليه الوضوء بلا خلاف عند أهل القلوب وأما في الظاهر فلنا في هذه المسألة نظر وقد تصدعنا فيها مع علماء الرسوم

(باب في لمس الذكر)

اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا وضوء عليه وبه أقول والاحتياط الوضوء في كل مسألة مختلف فيها فإن الاحتياط النزوح إلى موطن الإجماع والاتفاق مهما قدر على ذلك ومن قائل فيه الوضوء وقوم فرقوا بين مسه بمجال لذة أو باطن اليد وبين مسه بظاهر كفه وغير لذة وفضلوا في ذلك (وصل حكم ذلك في الباطن) اعلم أن الله ما جعل سبب إيجاد الكائنات الممكنات سبحانه وتعالى إلا الإرادة و

الأمر الإلهي ولأجل هذا أخذ من أخذ الإرادة في حد الأمر قال الله تعالى **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَكَانَ** في الإرادة والأمر ولم يذكر معنى ثالثا يسمى القدرة فيخرج قوله والله على كل شيء قدير على أنه عين قوله للأشياء كن إذا أراد تكوينها ولا شك أن اليد محل القدرة ولما كان النكاح سبب ظهور المولدات فمن نسب القدرة إليه في إيجاد العين الممكنة التي ظهرت وهو مس الذكر باليد فلا يخلو ما أن يغفل عن الاقتدار الإلهي في قول كن أو لا يغفل فإن غفل انتقضت طهارته حيث نسب وجود الولد للنكاح وإن لم يغفل بقي على طهارته

(باب الوضوء مما مست النار)

اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء مما مست النار وما عدا الصدر الأول فلم يختلفوا في إن ذلك لا يوجب الوضوء إلا في لحوم الإبل وبالوضوء من لحوم الإبل أقول تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه ما انتقضت طهارته بأكل لحوم الإبل فالصلاة بالوضوء المتقدم جائزة وهو عاص إن لم يتوضأ من لحوم الإبل وهذا القول ما قال به أحد فيما أعلم قبلنا وإن نوى فيه رفع المانع فهو أحوط واختلف الأئمة في الوضوء من لحوم الإبل فمن قائل بإيجاب الوضوء منه ومن قائل لا يجب (وصل حكم الباطن في ذلك) النار الذي يجد الإنسان في نفسه وهي التي تنضح كبده هي مما يجري عليه من الأمور التي لا توافق غرضه الطبيعي فإن تلقاها بالتسليم والرضي أو الصبر مع الله فيها كما تسمى الله تعالى بالصبور لقوله **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَمْهَلَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُمْ وَقَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ شَخْصٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أذى** من الله حلما منه وإذا كان العبد بهذه المثابة لم تؤثر في طهارته فإن تسخط وأثر فيه ولا سيما لحوم الإبل فإن الشارع سماها شياطين فتلك لمة الشيطان في القلب فاتقضت طهارته لأن محل اللمة القلب كما يطهر منها بلمة الملك وإنما لحوم الإبل بلمة الشيطان لأن الشيطان خلق من مارج من نار والمارج لهب النار والشارع كما قلنا سمي الإبل شياطين ونهى عن الصلاة في معاطنها وما علل إلا بكونها شياطين وهم البعداء والصلاة حال قرينة ومناجاة فاعتبرنا في الباطن حكم الوضوء من لحوم الإبل ونقض الطهارة بهذا ولو كانت لمة بخير فإنه أضمر في ذلك الخير شرا لا يتفطن له إلا العالم الخقق العارف بالأمور الإلهية كيف ترد على القلوب

(باب الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء)

اعلم أن الضحك في الصلاة أوجب منه الوضوء بعضهم ومنعه بعضهم وبالمنع أقول (وصل حكم الباطن فيه) إن الإنسان في صلاته تختلف عليه الأحوال مع الله في تلاوته إذا كان من أهل الله من يتدبر القرآن فأية تحزنه فيبكي وآية تسره فيضحك وآية تبهته فلا يضحك ولا يبكي وآية تفيده علما وآية تجعله مستغفرا وداعيا فطهارته باقية على أصلها وقد رأينا من أحواله دائما الضحك في صلاة وغير صلاة كالسلاوي وأمثاله نفعا الله به وكأبي يزيد طيفور بن عيسى ابن شروشان البسطامي روى عنه أبو موسى الديلمي أنه قال ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لأضحك ولأبكي وأما إذا غفل عن تلاوته وتدبرها ومناجاة ربه بركائه ولهوه وأمثال ذلك مما يخرج عن الحضور مع الله في صلاته فهذا ضحكه في الباطن في الصلاة في مذهب من يقول بنقض طهارته ومن هذه حاله فقد انتقضت طهارته ووجب عليه

استئناف طهارة قلبه مرة أخرى

(باب الوضوء من حمل الميت)

قالت به طائفة من العلماء و منع أكثر العلماء من ذلك و بالمنع أقول (وصل حكم الباطن فيه) أما حكم الباطن في ذلك فإنه يتعلق بعلم المناسبة فلا يجتمع شيء مع شيء إلا لمناسبة بينهما قال أبو حامد الغزالي رأى بعض أهل هذا الشأن بالحرم غراباً و حمامة و رأى أن المناسبة بينهما تبعد فتعجب و ما عرف سبب أنس كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليهما فدرجا فإذا بكل واحد منهما عرج فعرف أن العرج جمع بينهما و كان رجل من التجار يقول لشيخنا أبي مدين أريد منك إذا رأيت فقيراً يحتاج إلى شيء تعرفني حتى يكون ذلك على يدي فجاءه يوماً فقير عريان يحتاج إلى ثوب و كان مقام الشيخ و حاله في ذلك عدم الاعتماد على غير الله في جميع أموره في حق نفسه و في حق غيره فإن الشيخ قد أجمعوا على أنه من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره فتذكر أبو مدين رغبة التاجر فخرج مع الفقير إلى دكان التاجر ليأخذ منه ثوباً فمأشاه إنسان أنكره الشيخ فسأله عن دينه فإذا هو مشرك فعرف المناسبة و تاب إلى الله من ذلك الخاطر فالتفت فإذا بالرجل قد فارقه و لم يعرف حيث ذهب فلما أخبرته بحكايته و أنا أعرف بلادنا ما في بلاد الإسلام منها دينان أصلاً فعلمت إن الله أرسل إليه من خاطره ذلك شخصاً ينهيه فإن الله علمنا منه أنه يخلق من أنفاس العالم خلقاً فكذلك من هذا الباب من حمل ميتاً فلتناسبة بينهما و هو الموت فأما موت عن الأكوان و أما موت عن الحق فالميت عن الحق يتوضأ و الميت عن الأكوان باق على وضوئه

(باب نقض الوضوء من زوال العقل)

اتفق علماء الشريعة أن زوال العقل ينقض الطهارة (وصل حكم الباطن فيه) أن العقل إذا كان المزيل لحكمه في الإلهيات النص المتواتر من الشرع الذي لا يدخله احتمال و لا إشكال فيه فهو على أكمل الطهارة لأن طهارة الأيمان مع وجود النص تعطي العلم الحق و الكشف و إذا زال عقله بشبهة فقد انتقضت طهارته و يستأنف النظر في دليل آخر أو في إزالة تلك الشبهة

(أبواب الأفعال التي تشترط هذه الطهارة في فعلها)

اتفق العلماء على أن الوضوء شرط من شروط الصلاة و اختلفوا هل هو شرط صحة أو شرط وجوب و أعني بالوضوء الطهارة المشروعة و هي عندنا شرط وجوب و الطهارة عندنا عبادة مستقلة و قد تكون شرطاً في عبادة أخرى شرط صحة أو شرط وجوب و قد تكون مستحبة و سنة في عبادة أخرى (وصل حكم الباطن في ذلك) طهارة القلب شرط في مناجاة الحق أو مشاهدته شرط وجوب و شرط صحة معاً و سبب ذلك إننا في موطن التكليف و يطلب الأيمان منا بالله و بما جاء من عنده و بالرسول و الرسل و هذه إشارة أن الأمر ليس بمقصود إلا أنه عال و أعلى و فوق كل ذي علم عليم رفيع الدرجات يرفع درجات من يشاء و تارة يكون العلم شرطاً في صحة الأيمان و شرط وجوب فيه و تارة يكون الأيمان شرطاً في صحة علم الكشف و شرط وجوب فيه إلا أن الأيمان فيه طهارة للقلب من الحجاب و العلم

طهارة القلب من الجهل والشك والنفاق فطهر قلبك بالطهارتين تسم بذلك في العالمين وتحوز به علم القبضتين فإن الله قد أوجب الإيمان علينا بنفسه ومن نفسه أسماؤه وملائكته وكُتبه ورُسُله لا تفرق بين أحدٍ من رُسُله مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض رسلا وأنبياء ثم نهانا أن نفضل بين الأنبياء قياسا أو نظرا فإن العبد لا يحكم على الله بشيء

(باب الطهارة لصلاة الجنائز ولسجود التلاوة)

اختلف أهل العلم رضي الله عنهم في الطهارة للصلاة على الجنائز ولسجود التلاوة فمن قائل إنها شرط من شروطها ومن قائل ليست بشرط وبه أقول (وصل في حكم الباطن في ذلك) أما حكم الباطن في ذلك كله فإننا نقول كل عمل مشروع لا تتقدمه طهارة الإيمان لا يصح ذلك العمل بفقده فيجب وجود الإيمان في كل عمل مشروع فمن قال لا يجب الوضوء لصلاة الجنائز وسجود التلاوة لم ير استحضار للموتى والسجود للتلاوة لا في الإيمان في الدعاء واكتفى بالإيمان إلا صلى عن استحضاره عند الشروع في الفعل وهذا سبب عدم الإجابة ومن رأى أن الطهارة شرط كانت الإجابة ولا بد فيما يدعونه

(باب الطهارة لمس المصحف)

اختلف أهل العلم في الطهارة هل هي شرط في مس المصحف أم لا فأوجبها قوم ومنعها قوم وبالمنع أقول إلا أن فعلها بالطهارة أفضل أعني مس المصحف (وصل في حكم الباطن في ذلك) هل يحترم الدليل لاحترام المدلول فعندنا نعم يحترم الدليل لاحترام المدلول وعند غيرنا لا يلزم فإن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمعان فإن احترم الدليل فلا أمر آخر لا لكونه دليلا على محترم والمصحف دليل على كلام الله وقد أمرنا باحترامه ومس على الطهارة من احترامه فاعلم إنا قد أخذ العالم دليلا على الله ونذهل عما يتضمن مسمى العالم من محمود ومذموم وقد نأخذ فرعون وأمثاله من المتكبرين دليلا على وجود الصانع لأنه صنعة واتفق أن عينته في الدلالة على الخصوص ولا يجب احترامه بل يجب مقته وعدم حرمة وقد نأخذ موسى عليه السلام من حيث إنه صنعة دليلا على وجود الصانع واتفق أن عينته في الدلالة على الخصوص وقد وجب علينا احترامه وتعظيمه من وجه آخر لا من وجه كونه دليلا فهذا عظمتنا المصحف لكون الشارع أمرنا باحترامه وتعظيمه لا لكونه دليلا ثم له حرمة أخرى لكونه دليلا وبه نعلل احترامه في وقت ما فإنه يقول فيه إنه كلام الله وإن كنا نحن الكائنين له بأيدينا

(باب إيجاب الوضوء على الجنب عند إرادة النوم أو معاودة الجماع أو الأكل أو الشرب)

اختلف علماء الشريعة فيما ذكرناه في هذه الترجمة فمن قائل بإيجابه ومن قائل باستحبابه وبه أقول (وصل حكم الباطن في ذلك) وأما حكم الباطن في ذلك إحضار النية للذي انتقضت طهارته الشرعية لشهوة أغفلته عن رؤية الحق عند استحكامها فإذا أراد أن ينام نوى في النوم إعطاء حق العين فتلك طهارة الجنب إذا أراد أن ينام فإن الجنابة نقضت طهارته وهي الغربة عن موطن الإيمان الذي كان يجب عليه الحضور معه لولا استحكام سلطان الشهوة الذي أفناه عن نفسه وعن كل ما سواه وكذلك إذا أراد أن يعاود الجماع ينوي الولد المؤمن لكثرة

أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكثر الذاكرين الله بهذا الجماع وكذلك إذا أراد أن يأكل أو يشرب ينوي إعطاء النفس حقها وهذه النية فيما ذكرناه هي طهارة لكل ذلك

(باب الوضوء للطواف)

اعلم أن الوضوء للطواف اشترطه قوم ولم يشترطه قوم وبه أقول وإن كان الطواف بالطهارة أفضل (وصل حكم الباطن في ذلك) وذلك أنه من رأى أن الطواف بالبيت لكونه منسوباً إلى الله كالعرش المنسوب إلى استواء الرحمن ورأى الملائكة حافين به وهم المطهرون الكرام البررة اشترط الوضوء في الطواف بكعبة قلبه الذي وسع الحق جل جلاله يقول تعالى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي وهونزوله في تجليه تعالى إلى قلب عبده وقد بناه في مواقع النجوم في منزل التنزل الذاتي من فلك القلب ومن رأى أن الحق لا يتقيد بما أضاف إليه وإنما قصد بذلك التشريف منفعته المكلف لم يشترط الطهارة للطواف وأما في القلب فعدم اشتراط الطهارة في وقت نظر العقل في إثبات الشرع في المعرفة الأولى إما ابتداء وإما إذا نزل إليها بالتعليم لمن أراد أن يعرف الله بالأدلة النظرية

(باب الوضوء لقراءة القرآن)

اختلف العلماء في الوضوء لقراءة القرآن فمن قائل إنه تجوز قراءة القرآن لمن هو على غير طهارة وبه أقول ومن قائل لا يجوز أن يقرأ القرآن إلا على وضوء وهو الأفضل بلا خلاف وكذلك كل ما ذكرناه مما يجوز فعله عندنا وعند غيرنا على غير وضوء إن الأفضل أن لا يفعل شيئاً من ذلك إلا على وضوء (وصل حكم الباطن في ذلك) أما حكم الباطن في ذلك فإن قارئ القرآن نائب الحق سبحانه في الترجمة عنه بكلامه ومن صفاته سبحانه القدوس ومعناه الطاهر فينبغي للعبد إذا ناب مناب الحق في كلامه بتلاوته أن يكون مقدساً أي طاهراً في ظاهره بالوضوء المشروع وفي باطنه بالإيمان والحضور والتدبر وشبه ذلك وأن يقدم تلاوة الحق عليه ابتداء ثم يتلو مترجماً عن الحق ما تلاه عليه وكلمه به فأما يترجم في تلاوته تلك للحاضر عنده ليدكره وإما أن يترجم بلسانه ليسمعه فيحصل الآخر للسمع كما لو كان المصحف بيده يتلو فيه أخذ البصر حقه من النظر إلى كلام الله من حيث ما هو مكتوب كما أخذه السمع من حيث ما هو اللسان ناطق به مصوت وكذلك لو ألقى المصحف في حجره ومشى بيده على الحروف لأخذت هذه الأعضاء حظها من ذلك وهكذا كان يتلو شيخنا أبو عبد الله ابن المجاهد و أبو عبد الله ابن قيسوم وأبو الحجاج الشربلي لم أر من أشياخنا من يحافظ على مثل هذه التلاوة إلا هؤلاء الثلاثة

(أبواب الاغتسال أحكام طهارة الغسل)

هذا الغسل المشروع في هذا الباب هو تعميم الطهارة بالماء لجميع ظاهر البدن بغير خلاف وفيما يمكن إيصال الماء إليه من البدن وإن لم يكن ظاهراً بخلاف كداخل الفم وما أشبهه وسيأتي ذكره وذكر أسباب هذه الطهارة ومنها واجب وسنة ومستحب (الاعتبار في ذلك) فأما اعتبار هذه الطهارة تعميم طهارة النفس من كل ما أمرت بالطهارة منه وبه من الأعمال ظاهراً مما يتعلق بالأعضاء وباطناً بما يتعلق بالنفس

من مصارف صفاتها لا من صفاتها وإنما قلنا من مصارف صفاتها فإن صفاتها لازمة لها في أصل خلقها لا تنفك عنها حتى إن بعض أصحابنا قد جعلها عين ذاتها وأنها صفات نفسية لها كالحرص والبخل والنميمة وكل وصف مذموم فمتعلق بالذم الذي أمرنا بالطهارة منه ما هو عين الصفة وإنما هو عين المصرف فالإنسان لا يتطهر من الحرص وإنما يتطهر من صرف الحرص على جمع حطام الدنيا وحرماها فيتطهر بالحرص عينه على حكم ما تطهر منه بالمصرف أيضا وهو أن يتطهر بالحرص على طلب العلم وتحصيل أسباب الخير والأعمال الصالحة و الحرص على جمع أسباب سعادته فإن عين الحرص ما يتمكن زواله فالحرص بوجه تكون سعادة الحريص بالحرص وبوجه تكون شقاوة الحريص فلهدا قلنا بالمصرف لا بعين الصفة وعلى هذا نأخذ جميع الصفات التي علق الذم بها وإنما علق الذم بمصارفها لا بأعيانها فعموم طهارة الباطن والظاهر في هذا الاغتسال إنما متعلقة مصارف الصفات ولا يعلم مصارف الصفات إلا من يعلم مكارم الأخلاق فيتطهر بها ويعلم سفاسف الأخلاق فيتطهر منها وما خفي منها مما لا يدركه يتلقاه من الشارع وهو كل عمل يرضي الله فيتطهر به من كل عمل لا يرضيه فيتطهر منه قال الله تعالى وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ولهدا سقتنا في هذا الكتاب أبوابا متقابلة كالنوبة وتركها والورع وتركه والزهد وتركه مما سيأتي أبوابه إن شاء الله تعالى وهي كثيرة وهذه الطهارة أيضا واجبة كالتطهير بإتاء الزكاة مثلا فهو غسل واجب وكإعطائها للفقراء من ذوي الأرحام وهو مندوب إليه وك تخصيص أهل الدين منهم دون غيرهم من ذوي الأرحام وهو مستحب وهكذا يسرى حكم هذه الطهارة في جميع باطن الإنسان وظاهره من العلم والجهل والكفر والايان والشرك والتوحيد والإثبات والتعطيل وهكذا في الأعمال كلها المشروعة يطهرها بالموافقة من المخالفة فهذا معنى الاغتسال الواجب منه وغير الواجب وسأورد من تفصيل مسائل هذه الطهارة ما يجري مجرى الأمهات على حسب ما يذكر منها في ظاهر حكم الشرع في الاغتسال بالماء وإنما نفرع هذه الطهارة لا يخصص ولا يسعه كتاب لو ذكرناها مسألة مسألة وقد أعطينا فيها وينا طريقة الأخذ بها فخذها على ذلك الأمودج إن أردت أن تكون من عباد الله الذين اختصهم لخدمته واصطنعهم لنفسه ورضي عنهم فرضوا عنه جعلنا الله من العلماء العمال ولا حال بيننا وبين الاستعمال بما يرضيه سبحانه من الأعمال في الأقوال والأفعال والأحوال فأما الاغتسالات المشروعة فمنها ما اتفق على وجوبه ومنها ما اختلف في وجوبه ومنها ما اتفق على استحبابه وهي اغتسالات كثيرة كالغسل من التقاء الحناتين والغسل من إنزال الماء الدافق على علم والغسل من إنزاله على غير علم كالذي يجرد الماء ولا يذكر احتلاما والغسل من إنزال الماء الدافق على غير وجه الالتذاذ والغسل من الحيض وغسل المستحاضة عند الصلوات وغسل يوم الجمعة والغسل لصلوة الجمعة والغسل عند الإسلام والغسل للإحرام والاعتسال لدخول مكة والاعتسال للوقوف بعرفة والاعتسال من غسل الميت وأما الاعتبارات في هذه الأغسال فأنا أذكرها قبل ذكر تفصيل أمهات المسائل المشروعة في الاعتسال بالماء واعتباراتها فمن ذلك

(باب الاعتسال من غسل الميت)

لما كان الميت شرع غسله وهو لا فعل له إذ كان غيره المكلف بغسله تنبيها لغاسله أن يكون بين يدي ربه في تطهيره بتوفيقه واستعماله في طاعته وما يجري عليه من أفعال خالقه به وفيه كالميت بين يدي غاسله فلا يرى غسله بهذا الاعتبار بغسله للميت وإنما يرى أن الله هو مطهره ويرى نفسه كآلة يفعل بها الله ذلك الفعل كما يرى الغاسل الماء آلة في تحصيل غسل الميت إذ لولا الماء ما صح اسم الغاسل لهذا الذي يغسله والماء لا يتصور منه الدعوى في أنه غسل الميت فإن الماء ما تحرك إليه ولا قصد غسله وإنما قصد بالماء غسل الميت غاسله كذلك الغاسل لا يرى في قصده أنه قصد غسل الميت بالماء وإنما يرى نفسه مع الماء آلتين قصد الله بهما غسل هذا الميت فالله المطهر لا هو ولا الماء ولكن الله طهر الميت بالغاسل وبالماء فمثل هذا لا يغتسل من غسل الميت فهذا اعتبار من يرى أنه لا يجب الغسل من غسل الميت وأما من غسل ميتا وغاب في غسله عن أن الله هو مطهره وادعى ذلك الفعل لنفسه وأضافه إليها ورأى أنه لولاه ما طهر هذا الميت وجب عليه أن يغتسل ويتطهر من هذه الدعوى بالتوجه والحضور مع الله في المسائف والتذكر لما غفل عنه من تطهير الله هذا الميت على يده فمن اعتبر هذا أوجب الاغتسال من غسل الميت وأما حكم الاغتسال من غسل الميت بالماء في ظاهر حكم الشرع فليس مذهبي القول بوجوبه ولكن إن اغتسل من ذلك فهو أولى وأفضل بلا خلاف

(باب الاغتسال للوقوف بعرفة)

لما كان الوقوف بعرفة بصفة الذل والافتقار والدعاء والابتهاج بالتعري من لباس المخيط والموضع الذي يقف فيه الحاج يسمى عرفة علمنا اعتبار أن ذلك موقف العلماء العارفين بالله فإن الله يقول إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وقال ترى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ وسيأتي الكلام إن شاء الله على هذا النوع في باب الحج من هذا الكتاب ولما رأى هذا المعبر العالم بتجرده عن المخيط اعتبر في تأليف الأدلة وتركيبها لحصول المعرفة بالله من طريق النظر الفكري بتركيب المقدمات وتأليفها فتظهر من ذلك صورة المعرفة بربه كالتأليف الذي يؤلف قطع القميص بعضها إلى بعض فتظهر صورة القميص قيل له بتجريده المخيط حصل المعرفة بربك أو العلم بالله من التجلي الإلهي أو الرباني واطرح عنك في هذا الموقف وهذا اليوم النظر العقلي بتأليف المقدمات واشتغل اليوم بتحصيل المعرفة بربك من الامتتان الإلهي والوهاب الرباني من الواهب الذي يعطي لينعم فإنه الذي يقذف في نفسك العلم به على كل حال سواء نظرت في تأليف المقدمات أو لم تنظر فعامله سبحانه بالتجريد فإنه أولى بك ولا تلتفت إلى تأليفك المقدمات النظرية في العلم بالله فإن ذلك ظلمة في المعرفة لا يراها إلا البصير إذ لا مناسبة بين ما تؤلفه من ذلك وبين ما تستحقه ذاته جل وتعالى علوا كبيرا ومن كان يطلب منه هذه الحالة في ذلك الموقف الكريم والمشهد الخطير العظيم كيف لا يغتسل ويتطهر في باطنه وقلبه عن التعلق في معرفته بربه بغيره فيزيل عنه قدر مشاهدة الأغيار ودرنها بعلم الحق بالحق دون علمه بنفسه إذ لا دليل عليه إلا هو لأن المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد وأنت في عرفة والعلم يتعدى إلى مفعولين ولهذا يحصل لصاحب هذا المشهد عند العلمين إذا خرج من عرفة يريد المزدلفة وهي جمع يحصل له علم آخر يكون معلومه الله كما كان معلومه في عرفات

الرب تعالى وهذا المفعول الواحد الحاصل لك في هذا اليوم هو علمك بربك لا بنفسك فتعرف الحق بالحق فيكون الحق الذي اغتسلت به يعطي تلك المعرفة به ويكون المغتسل منه اسم مفعول عين نفسك في دعواها في معرفة ربها بنفسها من طريق العمل في تحصيلها وأين الدليل من الدليل هيئات وعزته ما تعرفه إن عرفته إلا به فافهم فهذا غسلك للوقوف بعرفة إن وفقت له والله المؤيد والمهم

(باب الاغتسال لدخول مكة زادها الله تشريفاً)

اعلم أن دخول مكة هو القدم على الله في حضرته فلا بد من تجديد طهارة لقلبك مما اكتسبه من الغفلات من زمان إحرامك من الميقات ظاهراً بالماء وباطناً بالعلم والحضور فطهارة الظاهر الاغتسال بالماء عبادة وتنظيفاً وطهارة الباطن وهو القلب بالتبري طلباً للولاء فإنه لا ولاء للحق إلا بالبراءة من الخلق حيث كان نظرك إليهم بنفسك لا بالله فمن كان حاله الحضور الدائم مع الله لم يغتسل لدخول مكة إلا الغسل الظاهر بالماء لإقامة السنة وأما لباطن فلا إلا عند رؤية البيت فإنه يتطهر باطناً بجلاء خاص لمشاهدة بيته الخاص كذا والطواف به الذين هم الطائفون كالحافين من حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ إِذْ كَانَ بَيْتَ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ الدُّنْيَا مَا جَرَتْ عَلَيْهِ يَدٌ مَخْلُوقٌ بِكَسْبٍ وَ لِيَكُنِ الْأَسْمُ الْإِلَهِيِّ الَّذِي يَتَطَهَّرُ بِهِ الْأَسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى فَإِنَّهُ مِنْ نِعْوَتِ الْبَيْتِ فَتَحْصُلُ الْمُنَاسِبَةُ قَالَ تَعَالَى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا أَيَّ جَعَلْتِ فِيهِ الْبَرَكَةَ لِعِبَادِي وَ الْهُدَى فَمَنْ رَأَى الْبَيْتَ وَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ زِيَادَةَ إِلَهِيَّةٍ فَمَا نَالَ مِنْ بَرَكَةِ الْبَيْتِ شَيْئاً لِأَنَّ الْبَرَكَةَ الزِّيَادَةَ فَمَا أَضَافَهُ الْحَقُّ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَصْدَهُ غَيْرُ صَاحِبِهَا فَإِنَّ تَعْجِيلَ الطَّعَامِ لِلضَّيْفِ سَنَةٌ فَلْيَجْعَلْ اغْتِسَالَهُ أَوَّلًا لَا لِجَعْلِهِ ثَانِيًا لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ غَسْلِ الْإِحْرَامِ فَإِنَّهُ طَهَارَةٌ خَاصَةٌ تَلِيْقُ بِمَشَاهِدَةِ الْبَيْتِ وَ الطَّوَافِ بِهِ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْاِغْتِسَالِ لِلْإِحْرَامِ إِلَّا مِنْ وَجْهِ مَا فَإِذَا زَعَمَ أَنَّهُ تَطَهَّرَ بِهَذَا الطَّهْرِ وَ فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ يَتَفَقَّدُ بَاطِنَهُ فَإِنَّ اللَّهَ مَا جَعَلَ الْبَرَكَةَ فِيهِ وَ الْهُدَى وَ هُوَ الْبَيَانُ أَيُّ يَتَبَيَّنُ لَهُ ذَلِكَ الَّذِي زَادَهُ رَبُّهُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ فَمَا جَعَلْتَ الْبَرَكَةَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَعْطِي خَازِنَهُ لِلطَّائِفِ بِهِ الْقَادِمِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْعِ الْبَرَكَةِ وَ الْقَرَبِ وَ الْعِنَايَةِ وَ الْبَيَانِ الَّذِي هُوَ الْهُدَى فِي الْأُمُورِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْأَحْوَالِ وَ الْمَسَائِلِ الْمُهَيْمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ مَا يَلِيْقُ بِمَثَلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَصْطَفَى مَحَلِّ يَمِينِ الْحَقِّ الْمُبَاحِ الْمَقْبَلِ الْمَسْجُودِ عَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ خَزَانَةُ اللَّهِ مِنَ الْبَرَكَاتِ وَ الْهُدَى وَ قَدْ نَبَّ الشَّارِعُ إِشَارَةً بِذِكْرِ الْكَنْزِ الَّذِي فِيهِ وَ أَيُّ كَنْزٍ أَعْظَمُ مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ مِنَ الْبَرَكَةِ وَ الْهُدَى حَيْثُ جَعَلَهُمَا عَيْنَ الْبَيْتِ فَكَنْزُهُ مِنْ أَضْيَفِ إِلَيْهِ وَ هُوَ اللَّهُ فَلْيَنْظُرِ الطَّائِفُ الْقَادِمُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ إِلَى قَلْبِهِ فَإِنَّ وَجْدَ زِيَادَةٍ مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَ بَيَانًا فِي مَعْرِفَتِهِ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ فَيَعْلَمُ عِنْدَ ذَلِكَ صِحَّةَ اغْتِسَالِهِ لِدُخُولِ مَكَّةَ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَطَهَّرَ وَمَا قَدَّمَ عَلَى رَبِّهِ وَلَا طَافَ بَيْتَهُ فَإِنَّهُ مِنَ الْحَالِ أَنْ يَنْزِلَ أَحَدٌ عَلَى كَرِيمٍ غَنِيٍّ وَ يَدْخُلُ بَيْتَهُ وَ لَا يَضِيْفُهُ فَإِذَا لَمْ يَجِدْ الزِّيَادَةَ فَمَا زَادَ عَلَى غَسْلِهِ بِالْمَاءِ وَ قَدُومَهُ عَلَى الْأَحْجَارِ الْمَبْنِيَّةِ فَهُوَ صَاحِبُ عِنَاءٍ وَ خِيْبَةٍ فِي قَلْبِهِ وَ مَا لَهُ سِوَى أَجْرِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَانِ وَ هُوَ الْحَاصِلُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ جَاوَرَ الْأَحْجَارَ لَا الْعَيْنَ وَإِنْ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ رَجَعَ بِخَفِيٍّ حَنِينٍ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ أَهْلَ اللَّهِ وَ خَاصَّةً آمِينَ بَعْرَتَهُ فَإِنْ اعْتَرَفَ الْمَصَابِغُ بِعَدَمِ الزِّيَادَةِ وَ مَا رَزَى بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْمَصَابِغِ مِنَ الْأَجُورِ فِي الْآخِرَةِ وَ حَرَمِ الْمَعْرِفَةِ فِي الْعَاجِلِ

(باب الاغتسال للإحرام)

اعتباره تطهير الجوارح مما لا يجوز للمحرم أن يفعله و تطهير الباطن من كل ما خلف وراءه فكما تركه حسا من أهل و مال و ولد و قدم على بيت الله بظاهرة فلا يلتفت بقلبه إلا إلى ما توجه إليه و يمنع أن يدخل قلبه أو يختر له شيء مما خلفه وراءه بالتوبة و الرجوع إلى الله و لهذا سمي غسل الإحرام لما يحرم عليه ظاهرا و باطنا فإن لم تكن هذه حالته فليس بمحرم باطنا فإن البواب قد نام و غفل و بقي الباب بلا حافظ فلم تجد خواطر النفوس و لا خواطر الشياطين من يمنعهما من الدخول إلى قلبه فهو يقول ليك بلسانه و يتخيل أنه يجيب نداء ربه بالقدوم عليه و هو يجيب نداء خاطر نفسه أو شيطانه الذي يناديه في قلبه يا فلان فيقول ليك فيقول له خاطر بحسب ما بعثه به صاحبه من نفس أو شيطان و ما جاءه به من غير ما شرع له من الإقبال عليه في تلك الحالة فيقول له صاحب ذلك خاطر عند قوله ليك اللهم ليك أهلا و سهلا ليت من يعطيك الحرمان و الخيبة و الحسرة المدين و يفرح بأن جعله إلها و لباة فلو لا فضل الله و رحمته بلسان الباطن و الحال و ما تقدم من النية لمَسَّكُمْ فيما أفضمَّ فيه من وجودكم بقلوبكم إلى ما خلفتموه حسا وراء ظهوركم عذابٌ عظيمٌ فيغفر الله لهم ما حدثوا به أنفسهم و ما أخطر لهم الشيطان في تلك الحالة بعناية التلبية الظاهرة لا غير و ما أعطاهم في قلوبهم ما أعطاه لأهل الاغتسال الباطن من المحرمين

(باب الاغتسال عند الإسلام و هو سنة بل فرض)

الاعتسال عند الإسلام مشروع و قد ورد به الخبر النبوي و أما اعتباره في الباطن فإن الإسلام الانقياد فإذا أظهر الإنسان انقياد الظاهر كان مسلما ظاهرا فيجب عليه الانقياد بباطنه حتى يكون مسلما باطنا كما كان ظاهرا فهو هنا تطهير الباطن عند الإسلام بالإيمان قال تعالى في حق طائفة قالت آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَهُوَ الطَّهَارَةُ الْبَاطِنَةُ النَّافِعَةُ الْمُنْجِيَةُ مِنَ التَّحْلِيدِ فِي النَّارِ

(باب الاغتسال لصلاة الجمعة)

اعتباره في الباطن طهارة القلب لاجتماعه بربه و اجتماع همته عليه لمناجاته برفع الحجاب عن قلبه و لهذا قال من يرى أن الجمعة تصح بالاثنتين و تقام و به أقول يقول تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين الحديث و ما ذكر ثالثا يقول العبد كذا فأقول له كذا فلا بد من طلب منه هذه الحالة أن يتطهر لها طهرا خاصا بل أقول إن لكل حالة للعبد مع الله تعالى طهارة خاصة فإنه مقام و صلة و لهذا شرعت الجمعة ركعتين فالأولى من العبد لله بما يقول و الثانية من الله للعبد بما يخبر به في إجابته قول عبده أو يخبر به الملائمة الأعلى بحسب ما يفوه به العبد في صلاته غير أنه في صلاة الجمعة بمقتضى ما شرع له أن يجهر بالقراءة و لا بد فيقول الله للملائمة الأعلى حمدني عبدي أو ما قال من إجابة و ثناء و تفويض و تمجيد

(باب الاغتسال ليوم الجمعة)

الاعتبار الطهارة بالأزل للزمان اليومي من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة فإن الله قد شرع حقا و اجبا على كل عبد أن يغتسل في كل سبعة

أيام فغسل يوم الجمعة لليوم لا للصلاة فكانت الطهارة لصلاة الجمعة طهارة الحال وهذه طهارة الزمان فإن العلماء اختلفوا فمن قائل إن الغسل إنما هو ليوم الجمعة وهو مذهبنا فإن أوقعه قبل صلاة الجمعة ونوى أيضا الاغتسال لصلاة الجمعة فهو أفضل ومن قائل إنه لصلاة الجمعة في يوم الجمعة وهو الأفضل بلا خلاف حتى لو تركه قبل الصلاة وجب عليه أن يغتسل ما لم تغرب الشمس ولما قلنا إن جمع العبد على الحق في هذا اليوم الزماني كانت نسبة هذا اليوم إلى جناب الحق ما يدخل الأزل من التقديرات الزمانية فيه بتعيين توجهات الحق لإيجاد الكائنات في الأزمان المختلفة التي يصحبها القبل والبعد والآن لله الأمر من قبل ومن بعد فاعلم ذلك فإنه دقيق جدا فمن اغتسل لصلاة الجمعة فقد جمع بين الغسل للحال والزمان ومن اغتسل ليوم الجمعة بعد الصلاة فقد أفرد وهو قدح في مسمى الجمعة فالأظهر أنه مشروع في يوم الجمعة ولصلاة الجمعة وهو الأوجه وما يبعد أن يكون مقصود الشارع به ذلك

(باب غسل المستحاضة وسيرد ونين فيه مذهبنا)

وأما اعتباره فالاستحاضة مرض والعبد ما مور بتصحیح عبادته لا يدخلها شيء من المرض فمهما اعتل في عبادة ما من عباداته تظهر من تلك العلة وأزالها حتى يعبد الله عبدا خالصا محضا لا تشوبه علة ولا مرض في عبادته ولا عبودته

(باب الاغتسال من الحيض)

الحيض ركضة شيطان فيجب الاغتسال منه قال تعالى إنه رجس من عمل الشيطان فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان إذا نزلت به ومسه في باطنه وتطهيرها بلمة الملك والقصة البيضاء هي العلامة أو من بعض العلامات على عناية الله بهذا القلب حيث طرد عنه وأزال ركضة الشيطان فيستعمل لمة الملك عند ذلك وهو تطهير القلب وإن كئيت عن ذلك بالإصبعين وكلاهما رحمة فإنه أضافهما إلى الرحمن فلولا رحم الله عبده بتلك اللمة الشيطانية ما حصل له ثواب مخالفته بالتبديل في العدول عنه إلى العمل بلمة الملك فله أجران قلنا إنه أضافهما إلى الاسم الرحمن فإذا أزاغه جاهد نفسه أن لا يفعل ما أماله إليه فجوزي أجر المجاهد فإن عمل و تاب أثر الفعل بعد مجاهدة فساعد الشيطان عليه القدر السابق بالفعل فوقع منه الفعل ورأى أن ذلك من الشيطان مؤمنا بذلك مصداقا كما قال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين و تاب عقيب وقوع الفعل وأعني بالتوبة هنا الندم فإنه معظم أركان التوبة وقد ورد أن الندم توبة كان له أجر شهيد لوقوع الفعل منه والشهيد حي ليس بميت وأي حياة أعظم أو أكمل من حياة القلوب مع الله في أي فعل كان فإن الحضور مع الإيمان عند وقوع المخالفة يرد ذلك العمل حيا بحياة الحضور يستغفر له إلى يوم القيامة فهذا من عناية الاسم الرحمن الذي أضاف الإصبعين إليه فالشيطان يسعى في تضعيف الخير للعبد وهو لا يشعر فإن الحرص أعماه ويحور الوبال وإثم تلك المعصية عليه وهذا من مكر الله تعالى بإبليس فإنه لو علم أن الله يسعد العبد بتلك اللمة من الشيطان سعادة خاصة ما ألقى إليه شيئا من ذلك وهذا المكر الإلهي الذي مكر به في حق إبليس ما رأيت أحدا نبه عليه ولولا علمي بإبليس ومعرفتي بجعله وحرصه على التحريض على المخالفة ما نبهت على هذا العلمي بأنه

لولا هذا المانع لاجتنب لمة المخالفة فهذا هو الذي حملني على ذكرها لأن الشيطان لا يقف عندها لحجابه بحرصه على شقاوة العبد وجهله بأن الله يتوب على هذا العبد الخاص فإن كل ممكور به إنما يمكر الله به من حيث لا يشعر وقد يشعر بذلك الكر غير الممكور به

(باب الاغتسال من المني الخارج على غير وجه اللذة)

اختلف فيه فمن قائل بوجوبه ومن قائل لا يجب عليه غسل وبه أقول (وصل حكم الباطن فيه) اعتبار الجنابة الغربية والغربة لا تكون إلا بمفارقة الوطن وموطن الإنسان عبوديته فإذا فارق موطنه ودخل في حدود الربوبية فاتصف بوصف من أوصاف السيادة على أبناء موطنه وأمثاله ولم يجد لذة لذلك فما وفي صفة السيادة حقها فإن الكامل لذة كماله لا تقارنها لذة أصلا والابتهاج الكمالي لا يشبهه ابتهاج فلما لم يوف الصفة حقها تعين عليه الاغتسال وهو الاعتراف بما قصر به في حق تلك الصفة الإلهية فمن هنا أوجب الغسل من أوجبه على من خرج منه المني في اليقظة من غير التذاد ومن رأى أن صفة الكمال التي تنبغي للواجب الوجود بنفسه إذا اتصف بها العبد في غربته لم يكن لها حكم فيه لأنه ليس بمحل لها لم يوجب عليه غسلًا

(باب الاغتسال من الماء يجده النائم إذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاما)

في مثل هذا بقي حكم قوله صلى الله عليه وسلم إنما الماء من الماء فهو مخصص ما هو منسوخ كما يراه بعضهم (وصل اعتباره في الباطن) العارف يجد قبضا أو بسطا في حال من الأحوال لا يعرف سببه وهو أمر خطر عند أهل الطريق فيعلم أن ذلك لغفلة منه عن مراقبة قلبه في وارداته وقلة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الأمر الذي أورثه تلك الصفة فيتعين عليه التسليم لموارد القضاء حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل فإذا عرفه وجب عليه الاغتسال بالحضور التام مع الحق في علم المناسبات حتى لا يجهل ما يرد عليه من الحق من واردات التقديس وما الاسم الذي جاءه بذلك وما الاسم الذي جيء به من عنده وما الاسم الإلهي الذي هو في الحال حاكم عليه وهو الذي استدعى ذلك الوارد فهذه ثلاثة الاسم المستدعي والاسم المستدعى منه والاسم الوارد به فإن الحق من حيث ذاته لا سبيل لمناسبة تربطنا به أو تربطه بنا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فبِأَسْمَائِهِ تَعْلَقُ وَبِهَا تَخْلُقُ وَبِهَا تَتَحَقَّقُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

(باب الاغتسال من التقاء الختانين من غير إنزال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل واختلف العلماء في هذه المسألة فمن قائل بأنه يجب الغسل من التقاء الختانين ومن قائل بأنه لا يجب الغسل من التقاء الختانين وبه أقول (وصل) الاعتبار في ذلك إذا جاوز العبد حده ودخل في حدود الربوبية وأدخل ربه في الحد معه بما وصفه به مما هو من صفات الممكنات فقد وجب عليه الطهر من ذلك فإن تنزیه العبد أن لا يخرج عن إمكانه ولا يدخل الواجب لنفسه في إمكانه فلا يقول يجوز أن يفعل الله كذا أو يجوز أن لا يفعله فإن ذلك يطلب المرجح والحق له الوجوب على الإطلاق والذي ينبغي أن يقال يجوز أن توجد الحركة من المتحرك ويجوز أن لا توجد فيقتصر إلى المرجح فإذا كان العالم بالله تعالى بهذه

المثابة وجب عليه الاغتسال وهو الطهر من هذا العلم بالعلم الذي لا يدخله تحت الجواز وسترده هذه المسألة إن شاء الله

(باب الاغتسال من الجنابة على وجه اللذة)

قد قررنا إن الجنابة هي العربة وهي هنا غربة العبد عن موطنه الذي يستحقه وليس إلا العبودية أو تعريب صفة ربانية عن موطنها فيتصف بها أو يصف بها ممكنا من الممكنات فيجب الطهر في هذه المسألة بلا خلاف واعلم أن هذا الغسل الواحد المذكور في هذا الباب يتفرع منه مائة وخمسون حالا يجب الاغتسال على العبد في قلبه من كل حال منها ونحن نذكر لك أعيانها كلها إن شاء الله تعالى في عشرة فصول كل فصل منها يتضمن خمسة عشر حالا لتعرف كيف تلقاها إذا وردت على قلب العبد لأنه لا بد من ورودها على كل قلب من العوام والخصوص والله المؤيد والملمم لا قوة إلا به فمن ذلك

(الفصل الأول) الجبروت والأوهية والعزة والمهيمنة والايان والقيام والشوق والولاء والظلمة والسحر وعموم الرحمة وخصوصها والسلامة والظاهرة والملك

(الفصل الثاني) الكبرياء والستر والصورة والخلق والبراءة والإخلاص والإقرار والبر والنصيحة والحب والقهر والهبه والرزق والفتوح والعلم

(الفصل الثالث) البسط والقبض والإعزاز ورفع الدرج وخفض الميزان والشرك والإنصاف والطاعة والرضي والقناعة والإذلال والأصوات والرؤية والقضاء والعدالة

(الفصل الرابع) اللطف والاختبار ورفع الستور والعظمة والحلم والشكر والاعتلاء والحفاظة والتقدير والزيادة والحدود والهوى والمنازعة والولاية والتمليك

(الفصل الخامس) الرحم وإدخال السرور والقطيعة والحداع والاستدراج والحسبان والجلالة والكرم والمراقبة والإجابة والانتساع والحكمة والوداد والبعث والشرف

(الفصل السادس) الشهادة والحق المحلوف به والوكالة والقوة والصلابة في كل شيء والنصرة والثناء والإحصاء والابتداء والإعادة والصدقة والقول والعتو والأمر والنهي

(الفصل السابع) الأخلاق والمال والجاه والزيادة والايان والحياة والموت والأحياء والقيومية والوجدان والاستشراق والوحدة والصدماني والقدرة والاقطار

(الفصل الثامن) التقديم والتأخير والدار الأولى والآخرة والاختفاء وإشالة الحجب والإحسان والرجوع والانتقام والصفح والحجر والنكاح والرياء والاختلاق والبهت

(الفصل التاسع) الرأفة وملك الملك والكرامات والآجال والتعالي والمغالطة والجمع والاستغناء والتعدي والكفاية والسخاء والكذب والتكذيب والسياسة والنواميس

(الفصل العاشر) المنع والهداية والانتفاع والضرر والنور والابتداع والبقاء والتوارث والرشد والإيناس والأذى والامتنان والحماسة والمقاومة والجاسوس اعلم أيدينا الله وإياك بروج منه أن جميع ما ذكرنا في هذه الفصول وما تتضمنه كل حالة منها مما لم نذكره مخافة التويل يجب على الإنسان طهارة باطنه وقلبه منه في مذهب أهل الله وخاصة من أهل الكشف بلا خلاف بين أهل الأذواق في ذلك ولكن يحتاج المتطهر من أكثرها إلى علم غزير في كيفية الطهارة مما ذكرنا وقد يكون بعضها ظهور البعض ثم نرجع إلى مقصودنا من إيراد الأحكام المشروعة في هذه الطهارة التي هي الاغتسال بالماء واعتباراتها وأحكامها في الباطن فأقول قد ذكرنا في الوضوء على من تجب طهارته ومتى يكون وجوبها فلا يحتاج إلى ذكر ما يشترك فيه الطهارتان

(باب التدلك باليد في الغسل في جميع البدن)

اختلف الناس من علماء الشريعة في التدلك باليد في جميع الجسد فمن قائل إن ذلك شرط في كمال الطهارة ومن قائل ليس بشرط وأما مذهبنا فأبصال الماء إلى الجسد حتى يعمه بأي شيء كان يمكن إبطاله (وصل) حكم ذلك في الباطن الاستقصاء في طهارة الباطن لما فيها من الخفاء الذي تضره النفوس من حب الحمدة عند الناس بما يظهر عنها من الخير فبأي وجه أمكن إزالة هذه الصفة وكل مانع يمنع من عموم طهارة الباطن فلم تحصل الطهارة

(باب النية في الغسل)

اختلف العلماء في شرط النية في الغسل فمن العلماء من اشترطها وبه أقول ومنهم من لم يشترطها (وصل اعتبارها في الباطن) لا بد من شرطها في طهارة الباطن فإنها روح العمل وحياته والنية من عمل الباطن فلا بد منها وقد تقدم الكلام عليها في أول الباب ظاهرا وباطنا

(باب المضمضة والاستنشاق في الغسل)

اختلف العلماء علماء الشريعة في المضمضة والاستنشاق في الغسل فمن قائل بوجوبها ومن قائل بعدم وجوبها والذي ذهب إليه في ذلك أن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمها من حيث إنه متوضئ في اغتساله لا من حيث إنه مغتسل فإنه ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تميمض ولا استنشق في غسله إلا في الوضوء فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا في اختلافهم في ذلك فالحكم فيها عندي راجع إلى حكم الوضوء والوضوء عندنا لا بد منه في الاغتسال من الجنابة وعندنا في هذه المسألة نظر في حالتين الحالة الواحدة فيمن جامع ولم ينزل فعليه وضوءه في اغتساله فإن جامع وأنزل فعليه وضوء واحد إلا أن مذهبنا أن التقاء الحناتين دون إنزال لا يوجب الغسل ويوجب الوضوء وبه قال أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة والأعمش وقد تقدم الكلام في شرط الترتيب والفور في الوضوء واعتباره

(باب في ناقض هذه الطهارة التي هي الغسل)

فناقضها الجنابة والحيض والاستحاضة والتقاء الختانين فالحيض بلا خلاف وكذلك إنزال الماء على وجه اللذة في اليقظة بلا خلاف وما عدا هذين بخلاف فإن بعض الناس من المتقدمين لا يرى على المرأة غسلًا إذا وجدت الماء من الاحتلام مع وجود اللذة

(باب في إيجاب الطهر من الوطء)

فمن قائل بوجوده أنزل أو لم ينزل إذا التقى الختانان ومن قائل بوجوده مع إنزال الماء وبه أقول وإنزال الماء من غير وطء وبه قال جماعة من أهل الظاهر إنه يجب الطهر من الإنزال فقط (وصل في اعتباره في الباطن) الوطء توجه لمؤثر على المؤثر فيه بضرب من الوهب فلا يخلو المؤثر فيه أن يكون حاضرًا عارفاً بخصوص ذلك المؤثر من الأسماء الإلهية فلا يجب عليه الطهر أو لا يكون فيجب عليه الطهر وقد يعطي ذلك المؤثر نومة القلب ثم لا يخلو هذا الاسم الإلهي أن يؤثر علم كون من الأكوان أو علما يتعلق بالله وعلى الحالتين فإن رأى نفسه موطئًا ولم يأخذ بالله كالصدقة تقع بيد الرحمن وإن أخذها السائل والله المعطي فيكون سبحانه المعطي والآخذ فلا طهارة عليه في الباطن فإن بالحق تكون طهارة الأشياء فإن غاب عن هذا الشهود ورأى نفسه أنه هو الآخذ ما أنزله الله على قلبه من العلوم وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه و كذلك إذا وطئ غيره بمسألة يعلمه إياها بالحال أو بالقول فإن كان عن حضور فلا طهارة عليه فإنه ما زال على طهارته وإن رأى نفسه في تعليمه غيره بالحال أو بالقول وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه لا بد من ذلك فإن رجال الله في هذه الطريق بالله يتحركون وبه يسكنون عن مشاهدة وكشف وعامتهم عن حضور اعتقاد وإيمان بما ورد بأن الأمر بيده وأن نواصي عباده وكل دابة بيده

(باب في الصفة المعبرة في كون خروج المني موجبًا للاغتسال)

اختلفت العلماء في الصفة المعبرة في كون خروج المني موجبًا للاغتسال فمن قائل باعتبار اللذة ومن قائل بنفس الخروج سواء كان عن لذة أو بغير لذة (وصل) الاعتبار في هذا الباب اللذة من الملتذ بها إما أن تكون نفسية أو إلهية فإن كانت نفسية طبيعية فقد وجب الغسل وإن كانت غير نفسية فلا يخلو ذلك العلم الذي هو بمنزلة الجنابة إما أن يتعلق بالله أو يتعلق بكون من الأكوان فإن تعلق بالله ولذته غير نفسية فلا طهر عليه وإن تعلق بالأكوان فعليه الطهر سواء التذ أو لم يلتذ ومعنى قولنا اللذة الإلهية أعني لذة الكمال لا لذة الوارد ولذة الكمال في العبد أن يكون عبداً محضاً لا يتصف بالغربة عن موطنه في باطنه ولو خلع عليه الحق من صفات السيادة ما شاء من حضرته لا يخرج ذلك عن موطنه وإذا كان كذلك فما هو ذو جنابة إذ لا غربة عنده فإنه ما يرجع في موطنه وهو غاية الكمال والطهارة معرفة للنقص

(باب في دخول الجنب المسجد)

فمن قائل بالمنع بإطلاق ومن قائل بالمنع إلا لعابر فيه غير مقيم ومن قائل بإباحة ذلك للجميع وبه أقول (وصل) الاعتبار في ذلك العارف من كونه عارفاً لا يبرح عند الله دائماً في الحديث جعلت لي الأرض كلها مسجداً ولا يتفك الجنب أن يكون في الأرض وإذا كان في الأرض فهو في

المسجد العام المشروع الذي لا يتقيد بشروط المساجد المعلومة بالعرف ثم إن العارف بل العالم كله علوه وسفله لا تصح في حاله الإقامة له فهو عابر أبداً مع الأنفاس فالعلماء بالله يشاهدون هذا العبور وغير العلماء بالله يتخيلون أنهم مقيمون والوجود على خلاف ذلك فإن الإله الموجد في كل نفس موجد يفعل فلا يعطل نفساً واحداً تتصف منه بالإقامة كما قال كلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ وقال تعالى سَنُفْرِعُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ و قال بيده الميزان يخفض ويرفع ومن قال بالمنع من ذلك غلب عليه رؤية نفسه إنه ليس بمحل طاهر حيث لم يتخلق بالأسماء الإلهية ولو تخلق بها ولم يفن عن تخلقته عنده فما تخلق بها وعندنا إن المتخلق بالأسماء مهما فنى عن تخلقته بها فليس بمتخلق فإن المعنى بكونه متخلقا بها أي تقوم به كما يقوم الخالق بالمتخلق به وقد يخلقه غيره فيكون عند ذلك مخلقا بالأخلاق الإلهية وذلك أن العبد مأمور والحق لا يأمر نفسه فالتخلق امتثال أمر الله بقوة الله وعونه فمن الأدب أن يرى المتخلق كونه متخلقا مكلفا وإن كان الحق سمعه وبصره أليس الحق قد أثبت عين عبده بالضمير في سمعه وبصره فأين يذهب هذا العبد والعين موجودة وغايته إن يكون صورة في هيولى الوجود المطلق مقيدة وليس له بعد هذا مرتبة إلا العدم والعدم لا يقبل الصورة فافهم انتهى الجزء الثالث والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب مس الجنب المصحف)

اختلف علماء الشريعة في مس الجنب المصحف فذهب قوم إلى إجازة مس الجنب المصحف ومنع قوم من ذلك (وصل في اعتبار ذلك) العالم كله كلمات الله في الوجود قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام وَكَلِمَةُ أَقْبَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وقال تعالى مَا تَقَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ وقال تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ والكلم جمع كلمة ويقول تعالى للشيء إذا أراد أن يخلق فيكسوه ذلك الشيء التكوين فيكون فالوجود فيه رق منشور والعالم فيه كتاب مسطور بل هو مرقوم لأن له وجهين وجه يطلب العلو والأسماء الإلهية ووجه يطلب السفلى وهو الطبيعة فاللهذا رجحنا اسم المرقوم على المسطور فكل وجه من المرقوم مسطور وفي ذلك أقول

فيه لناظره نقش و تحبير إن الكيان عجيب في قلبه

إذ كل وجه من المرقوم مسطور انظر إليه ترى ما فيه من بدع

الكون مرتقم والرق منشور أن الوجود لسر حار ناظره

فالأمر كما قلنا رق منشور والأعيان فيه كتاب مسطور فهو كلمات الله التي لا تنفذ فيبته معمر وسفقه مرفوع وحرمة ممنوع وأمره مسموع فأين يذهب هذا العبد وهو من جملة حروف هذا المصحف أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون هل تدعون الشريك لعينه لا والله إلا لكونه في اعتقادكم إلهاً فالله دعوتكم لتلك الصورة ولهذا أوجب دعاؤكم والصورة لا تضر ولا تنفع انظر في قوله قل سموهم فإن سموهم بهم فهم عينهم فلا يقولون في معبودهم حجر ولا شجر ولا كوكب ينحته بيده ثم يعبده فما عبد جوهره والصورة

من عمله وإن سموهم بالإله عرفت أن الإله عبدوا هذا تحقيق الأمر في نفسه وقد أشارت الآية الواردة في القرآن إلى ما ذهبنا إليه بقوله تعالى وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فَهُوَ عِنْدَنَا بِمَعْنَىٰ حَكْمٍ وَعِنْدَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الرُّسُومِ بِالْحَقَائِقِ بِمَعْنَىٰ أَمْرٍ وَبَيْنَ الْمَعْنَيْنِ فِي التَّحْقِيقِ بُونَ بَعِيدٍ وَفِي قَوْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلَمَا لَنَا أَعْبَدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ بِحُضُورِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَا هُوَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَجَاءَ بِكَأَنَّ وَقَدْ عَلِمْتَ إِنْ الْخِيَالِ خَزَانَةُ الْحِسُوسَاتِ وَأَنَّ الْحَقَّ لَيْسَ بِحِسُوسٍ لَنَا وَمَا نَعْقِلُ مِنْهُ إِلَّا وَجُودَهُ فَجَاءَ بِكَأَنَّ لِنُدْخَلُهُ تَحْتَ قُوَّةِ الْبَصْرِ فَنَلْحَقُهُ بِالْوَهْمِ بِالْحِسُوسَاتِ فَقَرَّبْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَبَدُوهُ فِيمَا نَحْتَوُهُ فَتَدْبِرُ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا كَمَا قَرَّرَهُ الشَّارِعُ فَقَرَّرَ فِي مَوْضِعٍ مَا أَنْكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَالْعَالَمُ مِنَّا أَنْ يَقَرَّرَ مَا قَرَّرَهُ الْحَقُّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَرَّرَهُ الْحَقُّ وَلِيُنْكَرَ مَا أَنْكَرَهُ الْحَقُّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْحَقُّ فَمَا تَمَّ إِلَّا الْإِيمَانُ الصَّرْفُ فَلَا تَأْخُذُ مِنْ سُلْطَانِ عَقْلِكَ إِلَّا الْقَبُولَ فَانظُرْ مَا أَشْرَفَ حَرْفَ التَّمثِيلِ الَّذِي هُوَ كَانَ

فإنه خبر عنها مع الخبر	كان سلطاننا فانظر له خبرا
إن كنت تعلم أن العلم في النظر	كان حرف له في الكون سلطنة
ولا يقاومه خلق من البشر	هو الإمام الذي فيه نصرته

ولا شك أن أهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي على كلام الله كما إن القلب قد وسع الحق جل جلاله حين ضاق عنه السماء والأرض فكما أمرنا بتزيه القلب عن إن يكون فيه دنس من دخول الأغيار فيه ورأينا أن المصحف قد حوى على كلام الله وهو صفته والصفة لا تفارق الموصوف فمن نزه الصفة نزه الموصوف ومن راعى الدليل على أمر ما فقد راعى المدلول الذي هو ذلك الأمر فعلى كلا المذهبين ينبغي أن ينزه المصحف أن يمسه جنب وقد نهينا أن نساغر بالقرآن إلى أرض العدو ونسمى المصحف قرآناً لظهوره فيه وما نهى حملة القرآن عن السفر إلى أرض العدو وإن كان القرآن في أجوافهم محفوظاً مثل ما هو في المصحف وذلك لبطونه فيهم ألا ترى النبي صلى الله عليه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ فَتَلَاهُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَنْبَغِي لِلْجَنبِ وَهُوَ الْغَرِيبُ عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ الْحَقُّ فَإِنَّ الْبَعْدَ بِالْحَقَائِقِ وَالْحُدُودَ مَا يَكُونُ فِيهِ قَرَبٌ أَبَدًا وَبَعْدَ الْمَسَافَةِ قَدْ يَقْرُبُ صَاحِبُهَا مِنْ صَاحِبِهَا الَّذِي يَرِيدُ قَرْبَهُ فَكَمَا لَا يَكُونُ الرَّبُّ عَبْدًا كَذَلِكَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ رَبًّا لِأَنَّهُ لِنَفْسِهِ هُوَ عَبْدٌ كَمَا إِنْ الرَّبُّ لِدَاتِهِ هُوَ رَبٌّ فَلَا يَتَّصِفُ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْحَقِّ بِالْمَعْنَى الَّذِي يَتَّصِفُ بِهَا الْحَقُّ وَلَا الْحَقُّ يَتَّصِفُ بِمَا هُوَ حَقِيقَةُ الْعَبْدِ فَالْجَنبُ لَا يَمِيسُ الْمَصْحَفَ أَبَدًا بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَبِغْيِ الْعَبْدِ أَنْ لَا تَظْهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا الْعِبَادَةُ الْحَضَّةُ فَإِنَّهُ جَنِبٌ كُلُّهُ فَلَا يَمِيسُ الْمَصْحَفَ فَإِنَّ تَخَلُّقَ فَحِينْتَهُ تَكُونُ يَدُ الْحَقِّ تَمَسُّ الْمَصْحَفَ فَإِنَّهُ قَالَ عَنِ نَفْسِهِ فِي الْعَبْدِ إِذَا أَحْبَبَهُ أَنَّهُ يَدُهُ الَّتِي يَطِّشُ بِهَا فَانظُرْ فِي هَذَا الْقَرْبِ الْمَفْرُطِ وَهَذَا الْإِتِّحَادِ أَيْنَ هُوَ مِنْ بَعْدِ الْحَقَائِقِ وَاللَّهُ مَا عَرَفَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ

فلا تعب نفسك يا صاحب النظر ودر مع الحق كيفما دار وخذ منه ما يعرفك به من نفسه ولا تقس فتقتلس لابل تتبسس وتعلم أن يد الحق طاهرة على أصلها مقدسة كطهارة الماء المستعمل في العبادة فتنبه لما عرفتك به في هذا الفصل

(باب قراءة القرآن للجنب)

اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن الناس من منع قراءة القرآن للجنب بجد وبغير حد ومن الناس من أجاز ذلك وأما الوارث عندي فلا يقرأ القرآن جنباً اقتداءً بمن ورثه لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ولم يكن يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة ولكن الغالب عندي من قرينة الحال أنه كره أن يذكر الله تالياً إلا على طهارة كاملة فإنه يتم لرد السلام وقال إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر أو قال على طهارة ومن الناس من أجاز للجنب قراءة القرآن بجد وبغير حد وبه أقول وبغير حد أيضاً ولكن أكرهه اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم (وصل الاعتبار في ذلك) المتقدم بأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنع من قراءة القرآن في الجنابة بغير حد وقد أعلمناك أن الجنابة هي الغربة والغربة نزوح الشخص عن موطنه الذي ربي فيه وولد فيه فمن اغترب عن موطنه حرم عليه الاتصاف بالأسماء الإلهية في حال غرته قال تعالى ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ كما كان عند نفسه في زعمه فإنه تغرب عن موطنه فهو صاحب دعوى والذي أقول في هذه المسألة لأهل التحقيق أن القرآن ما سمي قرآناً إلا للحقيقة الجمعية التي فيه فإنه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه وما أخبر به عن مخلوقاته وعبادته مما حكاه عنهم فلا يخلو هذا الجنب في تلاوته إذا أراد أن يتلو إما أن ينظر ويحضر في أن الحق يترجم لنا بكلامه ما قال عباده أو ينظر فيه من حيث المترجم عنه فإن نظر من حيث المترجم عنه فيتلو بالأول فلا يتلو حتى يتطهر في باطنه وصورة طهارة باطنه أن يكون الحق لسانه الذي يتكلم به كما كان الحق يده في مس المصحف فيكون الحق إذ ذاك هو يتلو بكلامه لا العبد الجنب ثم إنه للعار ف فيما يتلوه الحق عليه من صفات ذاته مما لا يخبر به عن أحد من خلقه ومن كونه كلم عبده بهذا القرآن فليس المقصود من ذلك التعريف إلا قبوله وقبوله لا يكون إلا بالقلب فإذا قبله الأيمان لم يمتنع من التلفظ به فإن القرآن في حقنا نزل ولهذا هو محدث الإتيان والنزول قديم من كونه صفة المتكلم به وهو الله وإنما قول من قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة فما هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو قول الراوي وما هو معه في كل أحيانه فالحاصل منه أن يقول ما سمعته يقرأ القرآن في حال جنبته أي ما جهر به ولا يلزم قارئ القرآن الجهر به إلا فيما شرع الجهر به كلقين المتعلم وكصلاة الجهر والنهي ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما ورد والخير لا يمتنع منه

(باب الحكم في الدماء)

اعلم أن الدماء ثلاثة دم حيض ودم استحاضة ودم نفاس وهذه كلها مخصوصة بالمرأة لا حكم للرجل فيها فليكن الاعتبار في ذلك للنفس فإن الغالب عليها التأنيث فإن الله قال فيها النفس اللوامة والمطمئنة فأنثها ولا حظ للقلب في هذه الدماء ولا للروح فنقول إن أهل الطريق من

المتقدمين وجماعة من غيرهم ممن اشترك مع أهل الله في الرياضات والمجاهدات من العقلاء قد أجمعوا على أن الكذب حيض النفوس فليكن الصدق على هذا طهارة النفس من هذا الحيض فدم الحيض ما خرج على وجه الصحة ودم الاستحاضة ما خرج على وجه المرض فإنه خرج لعله ولهذا حكم باعتبار أنه أن حيض النفس وهو الكذب وهو كما قلنا دم يخرج على وجه الصحة فهو الكذب على الله الذي يقول الله تعالى فيه وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَقَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَذِبٍ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوأ مقعده من النار فقوله متعمدا هو خروجه على وجه الصحة وأما صاحب الشبهة فلا فهذا يكذب ويعرف أنه يكذب و صاحب الشبهة يقول إنه صادق عند نفسه وهو كاذب في نفس الأمر وأما اعتبار دم الاستحاضة وهو الكذب لعله فلا يمنع من الصلاة ولا من الوطء وهذا يدل على أنه ليس بأذى فإن الحيض هو أذى فيتأذى الرجل بالنكاح في دم الحيض ولا يتأذى به في دم الاستحاضة وإن كان عن مرض فإن هذا الكذب وإن كان يدل على الباطل وهو العدم فإن له رتبة في الوجود وهو التلفظ به وكان المراد به دفع مضرة عما ينبغي دفعها بذلك الكذب أو استجلاب منفعة مشروعة مما ينبغي أن يظهر مثل هذا فيها وبسببها فيكون قرينة إلى الله حتى لو صدق في هذا المواطن كان بعدا عن الله ألا ترى المستحاضة لا تمتنع من الصلاة مع سيلان دمها وأما دم النفاس فهو عين دم الحيض فإذا زاد على قدر زمان الحيض أو خرج عن تلك الصفة التي لدم الحيض خرج عن حكم الحيض والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس فإن الله ما أمسكه في الرحم ثم أرسله إلا ليزلق به سبيل خروج الولد رفقا بأمه فيسهل على المرأة به خروج الولد وخروج الولد هو النشاء الظاهر الخارج على فطرة الله والإقرار بربوبيته التي كانت له في قبض الذر فكان الدم النفاس بهذا القصد خصوص وصف كالمعين لبقاء ذكر الله بابقاء الذكور من جهة وصف خاص و لدم النفاس زمان ومدة في الشريعة كما لدم الحيض ودم الاستحاضة ما له مدة يوقف عندها

(باب في أكثر أيام الحيض وأقلها وأقل أيام الطهر)

اختلف العلماء في هذا فمن قائل أكثر أيام الحيض خمسة عشر يوما ومن قائل أكثرها عشرة أيام ومن قائل أكثر أيام الحيض سبعة عشر يوما وأما أقل أيام الحيض فمن قائل لا حد له في الأيام وبه أقول فإن أقل الحيض عندنا دفعة ومن قائل أقله يوم وليلة ومن قائل أقله ثلاثة أيام وأما أقل أيام الطهر فمن قائل عشرة أيام ومن قائل ثمانية أيام ومن قائل خمسة عشر ومن قائل سبعة عشر ومن قائل ساعة وبه أقول ولا حد لأكثره

(وصل اعتبار هذا الباب)

زمان كذب النفس النية فيمتد بامتداد ما نوته حتى يطهر بالتوبة من ذلك فلا حد لأكثره ولا لأقله وكذلك زمان الطهر لا حد له جملة واحدة فإنه لا حد للصدق غير أنه تحكم عليه المواطن الشرعية بالحمد والذم وأصله الحمد كما أن الكذب تحكم عليه المواطن بالحمد والذم وأصله الذم فالواجب عليه أن يصدق دائما إلا أن يحكم الحلال والواجب عليه ترك الكذب دائما إلا أن يحكم عليه حال ما وهو الكذب لعله فأشبهه دم الاستحاضة

(باب في دم النفاس في أقله وأكثره)

اختلف العلماء في هذه المسألة فمن قائل لا حد لأقله و به أقول ومن قائل حده خمسة وعشرون يوما ومن قائل حده أحد عشر يوما ومن قائل عشرون يوما وأما أكثر زمانه فمن قائل ستون يوما ومن قائل سبعة عشر يوما ومن قائل أربعون يوما ومن قائل للذكر ثلاثون يوما وللأنثى أربعون يوما والأولى أن يرجع في ذلك إلى أحوال النساء فإنه ما ثبتت فيه سنة يرجع إليها

(وصل اعتبارها في الباطن)

لا حد للنية من الزمان كما قلنا في اعتبار دم الحيض فإن دم الحيض هو عين دم النفاس وقد اعتبرناه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحائض أنقست بهذا اللفظ

(باب في الدم تراه الحامل)

اختلف فيه هل هو دم حيض أو هو دم استحاضة وحكم كل قائل فيه بحكم ما ذهب إليه
(وصل اعتبار حكمه في الباطن)

الحامل صفة النفس إذا امتلأت بالأمر الذي تجده فتبديه على غير وجهه وهو الكذب وقد يكون ذلك عن عادة اعتادها كما قال بعضهم لا يكذب المرء إلا من مهاتته أو عادة السوء أو من قلة الأدب

أما قوله من مهاتته فإن الملوك لا تكذب وقوله من قلة الأدب لما جاء في الخبر أن الشخص إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من تن ما جاء به فالكاذب فيما لا يجوز له الكذب فيه أساء الأدب مع الملك فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والإنسان يتأذى بالنتن كذلك الملك لقرب الشبه بين نشء الملك ونشء روح الإنسان

(باب في الصفرة والكدر هل هي حيض أم ليست بحيض)

اختلف العلماء في الصفرة والكدر هل هي حيض أم لا فمن قائل إنها حيض في أيام الحيض ومن قائل لا تكون حيضا إلا بأثر الدم ومن قائل ليست حيضا و به أقول

(وصل اعتبارها في الباطن)

الكذب بشبهة ليس صاحبه ممن تعمد الكذب والأولى تركه إذا عرف أن ذلك شبهة فإنها ما سميت شبهة إلا لكونها تشبه الحق من وجه و تشبه الباطل من وجه فالأولى ترك مثل هذا إلا أن يقترن معها دفع مضرة أو حصول منفعة دينية أو دنيوية بخلاف الكذب المحض الذي هو لعينه وهذا لا يقع فيه عاقل أصلا وأما الكذب الذي هو بمنزلة دم الاستحاضة فيعتبر فيه صلاح الدين لصلاح الدنيا

(باب فيما يمنع دم الحيض في زمانه)

اعلم أن الحيض في زمانه يمنع من الصلاة والصيام والوطء والطواف

(وصل اعتبار ذلك في الباطن)

الكذب في المناجاة وهو أن تكون في الصلاة بظاهرك وتكون مع غير الله في باطنك من محرم وغيره اعتباره في الصوم فالصوم هو الإمساك و أنت ما مسكت نفسك عن الكذب كالحائض لا تمسك عن الأكل والشرب وهو الكذب الواجب إتيانه شرعا وهو محمود واعتباره في الطواف بالبيت وهو المشبه بأفضل الأشكال وهو الدور فهو كذب إلى غير نهاية فهو الإصرار على الكذب واعتباره في الجماع أما الجماع فقصد المؤمن به كون الولد والمقدمات إذا كانت كاذبة خرجت النتيجة عن أصل فاسد وقد تصدق النتيجة وقد تكون مثل مقدماتها فالأذى يعود على فاعل الجماع يقول في زمان الكذب لا تحضر الله تعالى بخاطرك فإنه سوء أدب مع الله وقلة حياء منه وجراءة عليه وكيف ينبغي للعبد أن يجراً على سيده ولا يستحي منه مع علمه وتحققه أنه يراه قال تعالى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى

(باب في مباشرة الحائض)

اختلف العلماء في صورة مباشرة الحائض فقال قوم يستباح من الحائض ما فوق الإزار وقال قوم لا يجتنب من الحائض إلا موضع الدم خاصة و به أقول

(وصل اعتباره في الباطن)

قلنا إن الحيض كذب النفوس قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيزني المؤمن قال نعم قيل أيشرب المؤمن قال نعم قيل أيسرق المؤمن قال نعم قيل له أيكذب المؤمن قال لا فإذا رأت نفسك نفسا أخرى تفعل ما لا ينبغي فأكد أن تجتنب من أفعالها الكذب على الله وعلى رسوله و الرابع حول الحمى يوشك أن يقع فيه و من عود نفسه الكذب على الناس يستدرجه الطبع حتى يكذب على الله فإن الطبع يسرقه يقول تعالى وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَنْ عِبَادَهُ أَشَدُّ الْعَوِيدِ إِذَا هُمْ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هَذَا الْحَكْمُ سَارٍ فِي كُلِّ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ وَرَدَ فِيمَنْ يَكْذِبُ فِي حِلْمِهِ أَنَّهُ يَكْلَفُ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ مِنْ نَارٍ لِمُنَاسِبَةٍ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَأْلِيفٍ مَا لَا يَصِحُّ ائْتِلافه فلم يأتلف في نفس الأمر وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبدا وهذا تكليف ما لا يطاق فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله لا بغير ذلك

(باب وطء الحائض قبل الاغتسال وبعده الطهر المحقق)

قال تعالى وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ بِسُكُونِ الطَّاءِ وَضَمِّ الهاءِ مَخْفِفاً وَقَرِيّاً بِفَتْحِ الطَّاءِ وَالهَاءِ مَشْدُوداً فَمَنْ قَاتَلَ بِجَوَازِهِ عَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ خَفْفٍ وَ مَنْ قَاتَلَ بِعَدَمِ جَوَازِهِ عَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ شَدَدٍ وَهُوَ مُحْتَمَلٌ وَبِالْأَوَّلِ أَقُولُ وَ مَنْ قَاتَلَ إِنْ ذَلِكَ جَائِزٌ إِذَا طَهَّرَتْ لِأَكْثَرِ أَمَدِ الْحَيْضِ فِي مَذْهَبِهِ وَ مَنْ قَاتَلَ إِنْ ذَلِكَ جَائِزٌ إِذَا غَسَلَتْ فَرَجَهَا بِالْمَاءِ وَبِهِ أَقُولُ أَيْضاً

(وصل) اعتبره في الباطن ما يلقبه المعلم من العلم في نفس المتعلم إذا كان حديث عهد بصفة الدعوى الكاذبة لرعونة نفسه فله أن يلقي إليه من العلم المتعلق بالتكوين ما يؤديه إلى استعمال غسل واحد فرد بنيتين فيكون له الأجر مرتين وإن لم يتب من تلك الدعوى إلا أنه غير قائل بها في الحال فهو طاهر المحل بالغفلة في ذلك الوقت فإن خطر له خاطر الرجوع عن تلك الدعوى فهو بمنزلة المرأة تغسل فرجها بعد رؤية الطهر وإن لم تغسل فإن تاب من الدعوى بالعمل بذلك الخاطر كان كالاعتسالم للمرأة بعد الطهر

(باب من أتى امرأته وهي حائض هل يكفر)

فمن قائل لا كفارة عليه وبه أقول ومن قائل عليه الكفارة (وصل) اعتبره في الباطن العالم يعطي الحكمة غير أهلها فلا شك أنه قد ظلمها فمن رأى أن لهذا الفعل كفارة فكفارة أن ينظر من فيه أهلية لعلم من العلوم النافعة عند الله الدينية وهو متعطش لذلك فيبادر من نفسه إلى تعليمه وتبريد غلة عطشه فيضع في محلها وعند أهلها فيكون ذلك كفارة لما فرط في الأول ومن لم ير لذلك كفارة قال يتوب ويستغفر الله وليس عليه طلب تعليم غيره على جهة الكفارة

(باب حكم طهارة المستحاضة)

اختلف علماء الشريعة في طهر المستحاضة ما حكمها فمن قائل ليس عليها سوى طهر واحد إذا عرفت أن حيضتها انقضت ولا شيء عليها لا وضوء ولا غسل وحكمها حكم غير المستحاضة وبه أقول وقسم آخر من يقول إنه ما عليها سوى طهر واحد إن عليها الوضوء لكل صلاة وهو أحوط ومن قائل إنها تغتسل لكل صلاة ومن قائل إنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد

(وصل اعتبار الباطن في ذلك)

في مذهبا أنه ليس على المستحاضة من كونها مستحاضة طهر كذلك النفس إذا كذبت لمصلحة مشروعة أوجب الشرع عليها فيها الكذب أو أباحه لا بل يكون عاصيا إن صدق في تلك الحالة فلا توبة عليها من تلك الكذبة فكما أن دم الاستحاضة ليس عين دم الحيض وإن اشتركا في الدمية والمحل كذلك الكذب المشروع بإباحته الحلال ليس عين الكذب المحرم وقوعه منه وإن اشتركا في كونه كذبا وهو الأخبار بما ليس الأمر عليه في نفسه فمن رأى التوبة من كون إطلاق اسم الكذب عليه بالحقيقة وإن كان مباحا أو واجبا كحبيب العجمي في حديثه مع الحسن البصري لما طلبه الحجاج للقتل والحكاية مشهورة قال بالتوبة منه كما قال بغسل المستحاضة للاشتراك في اسم الحيض فإن الاستحاضة استفعال من الحيض

(باب في وطء المستحاضة)

اختلف علماء الشريعة فيه على ثلاثة أقوال قول بجوازه وبه أقول وقول بعدم جوازه وقول بعدم جوازه إلا أن يطول ذلك بها (وصل) اعتبره في الباطن لا يمتنع تعليم من تعلم منه أنه لا يكذب إلا لسبب مشروع وعله مشروعة فإن ذلك لا يقدر في عدالتة بل هو نوص في

عدالته وقد وقع مثل هذا من الأكابر الكمل من الرجال

(أبواب التيمم)

التيمم القصد إلى الأرض الطيبة كان ذلك الأرض ما كان مما يسمى أرضا ترابا كان أو رملا أو حجرا أو زرينخا فإن فارق الأرض شيء من هذا كله وأمثاله لم يجز التيمم بما فارق الأرض من ذلك إلا التراب خاصة لورود النص فيه وفي الأرض سواء فارق الأرض أو لم يفارق (وصل) اعتبره في الباطن القصد إلى الأرض من كونها ذلولا وهو القصد إلى العبودية مطلقا لأن العبودية هي الذلة والعبادة منها فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه من الذلة والافتقار والوقوف عند مراسم سيده وحدوده وامثال أوامره فإن فارق النظر من كونه أرضا فلا تيمم إلا بالتراب من ذلك لأنه من تراب خلق من نحن أبناءه وبما بقي فيه من الفقر والفاقة من قول العرب تربت يد الرجل إذا افتقر ثم أن التراب أسفل العناصر فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته طهوره من كل حدث يخرج من هذا المقام وهذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء والماء العلم فإن بالعلم حياة القلوب كما بالماء حياة الأرض فكأنه حالة المقلد في العلم بالله والمقلد عندنا في العلم بالله هو الذي قلد عقله في نظره في معرفته بالله من حيث الفكر فكما أنه إذا وجد الميمم الماء أو قدر على استعماله بطل التيمم كذلك إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهي بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسألة ولا سيما إذا لم يوافق في دليله كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع فهو ذو شرع وعقل معا في هذه المسألة فاعلم ذلك

(باب كون التيمم بدلا من الوضوء باتفاق ومن الكبرى بخلاف)

اتفق العلماء بالشرعية أن التيمم بدل من الطهارة الصغرى واختلفا في الكبرى ونحن لا نقول فيها إنها بدل من شيء وإنما نقول إنها طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع فإنه ما ورد شرع من النبي صلى الله عليه وسلم ولا من الكتاب العزيز أن التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة وإنما قلنا مشروعة لأنها ليست بطهارة لغوية وسيأتي التفصيل في فصول هذا الباب إن شاء الله تعالى فمن قائل إن هذه الطهارة أعني طهارة التراب بدل من الكبرى ومن قائل إنها لا تكون بدلا من الكبرى وإنما نسب لفظ الصغرى والكبرى للطهارة لعموم الطهارة في الاغتسال لجميع البدن وخصوصها ببعض الأعضاء في الوضوء فالحدث الأصغر هو الموجب للوضوء والحدث الأكبر هو كل حدث يوجب الاغتسال (وصل) اعتبره في الباطن أن كل حدث يقدر في الإيمان يجب منه الاغتسال بالماء الذي هو تجديد الإيمان بالعلم إن كان من أهل النظر في الأدلة العقلية فيؤمن عن دليل عقلي فهو كواجب الماء القادر على استعماله وإن لم يكن من أهل النظر في الأدلة وكان مقلد أزمته الطهارة بالإيمان من ذلك الحدث الذي أزال عنه الإيمان بالسيف أو حسن لظن فهو الميمم بالتراب عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعمال الماء وهذا على مذهب من يرى أن التيمم بدل أيضا من الطهارة الكبرى فيرى التيمم للجنب وأما على مذهب من يرى أن الجنب لا تيمم كما بن مسعود وغيره هو الذي لا يرى التقليد في الإيمان بل لا بد من معرفة الله وما يجب له ويجوز ويستحيل بالدليل النظري و

قال به جماعة من المتكلمين وأما كونه أعني التيمم بدلا من الطهارة الصغرى فهو أن يقدح له حدث في مسألة معينة لا في الايمان لعدم النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع في ذلك فكما جاز له التيمم في هذه الطهارة الصغرى على البدل جاز له القياس في الحكم في تلك المسألة لعل جماعة بين هذه المسألة التي لا حكم فيها منطوقا به وبين مسألة أخرى منطوق الحكم فيها من كتاب أو سنة أو إجماع ومذهبنا في قولنا إن التيمم ليس بدلا بل هو طهارة مشروعة مخصوصة معينة لحال مخصوص شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فما هي بدل وإنما هو عن استخراج الحكم في تلك المسألة من نص ورد في الكتاب أو في السنة يدخل الحكم في هذه المسألة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين قال تعالى لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَا يَحْتَاجَ إِلَى قِيَاسٍ فِي ذَلِكَ مِثَالِ ذَلِكَ رَجُلٌ ضَرَبَ أَبَاهُ بَعْضًا أَوْ بَمَا كَانَ فَقَالَ أَهْلُ الْقِيَاسِ لَا نَصَّ عِنْدَنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَلَكِنْ لَمَّا قَالَ تَعَالَى فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا فَلَمَّا قِيلَ وَإِذَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ التَّأْيِيفِ وَهُوَ قَلِيلٌ فَالضَّرْبُ بِالْعَصَا أَشَدُّ فَكَانَ تَنْبِيْهُمَا مِنَ الشَّارِعِ بِالْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَلَا بَدَّ مِنَ الْقِيَاسِ عَلَيْهِ فَإِنَّ التَّأْيِيفَ وَالضَّرْبَ بِالْعَصَا يَجْمَعُهُمَا الْأَذَى فَقَسْنَا الضَّرْبَ بِالْعَصَا الْمَسْكُوتِ عَنْهُ عَلَى التَّأْيِيفِ الْمَنْطُوقِ بِهِ وَقَلْنَا نَحْنُ لَيْسَ لَنَا التَّحَكُّمُ عَلَى الشَّارِعِ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يَكْلَفَ بِهِ وَلَا التَّحَكُّمُ وَلَا سِيْمَا فِي مِثْلِ هَذَا لَوْ لَمْ يَرِدْ فِي نِطْقِ الشَّرْعِ غَيْرُ هَذَا لَمْ يَلْزَمْنَا هَذَا الْقِيَاسَ وَلَا قَلْنَا بِهِ وَلَا أَحْقَنَاهُ بِالتَّأْيِيفِ وَإِنَّمَا حَكَمْنَا بِمَا وَرَدَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا فَأَجْمَلَ الْخُطَابَ فَاسْتَخْرَجْنَا مِنْ هَذَا الْجَمْلِ الْحُكْمَ فِي كُلِّ مَا لَيْسَ بِإِحْسَانٍ وَالضَّرْبُ بِالْعَصَا مَا هُوَ مِنَ الْإِحْسَانِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ فِي مَعَامِلَتِنَا لِأَبَائِنَا فَمَا حَكَمْنَا إِلَّا بِالنَّصِّ وَمَا احْتَجْنَا إِلَى قِيَاسِ فَإِنَّ الدِّينَ قَدْ كَمَلَ وَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِيهِ كَمَا لَمْ يَجْزِ النِّقْصُ مِنْهُ فَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ بِالْعَصَا فَمَا أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَحْسُنْ لِأَبِيهِ فَقَدْ عَصَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ أَبُويهِ وَمَنْ رَدَّ كَلَامَ أَبُويهِ وَفَعَلَ مَا لَا يَرْضَى أَبُويهِ مِمَّا هُوَ مَبَاحٌ لَهُ تَرَكَهُ فَقَدْ عَقَبَهُمَا وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْكِبَائِرِ فَلِهَذَا قَلْنَا إِنَّ الطَّهَارَةَ بِالتَّرَابِ وَهُوَ التَّيْمُمُ لَيْسَ بَدَلًا بَلْ هِيَ مَشْرُوعَةٌ كَمَا شَرَعَ الْمَاءَ وَلَهَا وَصْفٌ خَاصٌّ فِي الْعَمَلِ فَإِنَّهُ بَيْنَ أَنَا لَا نَعْمَلُ بِهِ إِلَّا فِي الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْوَضُوءِ وَالغَسْلِ لَيْسَا كَذَلِكَ وَيَنْبَغِي لِلْبَدَلِ أَنْ يَحِلَّ مَحَلُّ الْمَبْدَلِ مِنْهُ وَهَذَا مَا حَلَّ مَحَلَّ الْمَبْدَلِ مِنْهُ فِي الْفِعْلِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(باب فيمن تجوز له هذه الطهارة)

اتفق علماء الشريعة على أن التيمم يجوز للمريض والمسافر إذا عدا الماء وعندنا أو عدم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك (وصل اعتباره في الباطن) المسافر صاحب النظر في الدليل فإنه مسافر بفكره في منازل مقدماته وطريق ترتيبها حتى ينتج له الحكم في المسألة المطلوبة والمريض هو الذي لا تعطي فطرته لنظر في الأدلة لما يعلم من سوء فطرته وقصوره عن بلوغ المقصود من النظر بل الواجب أن يزجر عن النظر ويؤمر بالإيمان تقليدا وقد قلنا فيما قبل إن المقلد في الايمان كالتيمم بالتراب لأن التراب لا يكون في الطهارة أعني النظافة مثل الماء ولكن نسميه طهورا شرعا أعني التراب خاصة بخلاف الماء فإنه أسميه طهورا شرعا وعقلا فصاحب النظر وإن آمن أو لا تقليدا فإنه يريد البحث عن الأدلة والنظر فيما آمن به لا على الشك ليحصل له العلم بالدليل الذي نظر فيه

فيخرج من التقليد إلى العلم أو يعمل على ما قلد فيه فينتج له ذلك العمل بالله فيفرق به بين الحق والباطل عن بصيرة صحيحة لا تقليد فيها و هو علم الكشف قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَهُوَ عَيْنٌ قَلْبَانَا وَقَالَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَقَالَ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ وَقَالَ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَسَمَاهُمْ عُلَمَاءَ وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَا وَرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ وَالْأَخْذَ لِلْعِلْمِ بِالْمُجَاهِدَةِ وَالْأَعْمَالَ أَيْضًا سَفَرُ فَكَمَا سَافَرَ الْعَقْلُ بِنَظَرِهِ الْفِكْرِيُّ فِي الْعَالَمِ سَافَرَ الْعَامِلُ بِعَمَلِهِ وَاجْتَمَعَ فِي النَّيْجَةِ وَزَادَ صَاحِبُ الْعَمَلِ أَنَّهُ عَلِيٌّ بِصَبْرَةٍ فِيمَا عِلْمٌ لَا يَدْخُلُهُ شَبْهَةٌ وَصَاحِبُ النَّظَرِ مَا يَخْلُو عَنْ شَبْهَةٍ تَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي دَلِيلِهِ فَصَاحِبُ الْعَمَلِ أَوْلَى بِاسْمِ الْعَالَمِ مِنْ صَاحِبِ النَّظَرِ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيمَا يَجُوزُ مِنَ السَّفَرِ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ فِي صَلَاةِ الْمَسَافِرِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(باب في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله)

اختلف العلماء بالشريعة في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله فمن قائل بجواز التيمم له وبه أقول ولا إعادة عليه ومن قائل لا يتيمم مع وجود الماء سواء في ذلك المريض والخائف ومن قائل في حقهما يتيمم ويعيد الصلاة إذا وجد الماء ومن قائل يتيمم وإن وجد الماء قبل خروج الوقت توضاً وأعاد وإن وجده بعد خروج الوقت لا إعادة عليه (وصل اعتبار ذلك في الباطن) المريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر وأنه مرض مزمن مع وجود الأدلة إلا أنه يخاف عليه من الهلاك والخروج عن الدين إن نظر فيها لتصوره وقد رأينا جماعة منهم خرجوا عن الدين بالنظر لما كانت فطرته معلولة وهم يزعمون أنهم في ذلك على علم صحيح فهم كما قال الله وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا فَأُخِذَ مِنْ هَذَا إِنْ أَرَادَ النِّجَاةَ الْعَقَائِدَ تَقْلِيدًا كَمَا أَخَذَ الْأَحْكَامَ وَلِيَقْلِدَ أَهْلَ الْحَدِيثِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَهَذَا تَقْلِيدُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي اللَّهِ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِيهِ بِنَزِيهِهِ مَعِينٌ وَلَا تَشْبِيهِهُ وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْعَامَّةِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهَذَا هُوَ الْمَرِيضُ الَّذِي يَجِدُ الْمَاءَ وَيَخَافُ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْإِعْتِبَارِ

(باب الحاضر يعدم الماء ما حكمه)

فمن قائل بجواز التيمم له وبه أقول ومن قائل لا يجوز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء (وصل اعتبار ذلك في الباطن) الحاضر هو المقيم على عقده الذي ربط عليه من آبائه ومربيته ثم عقل ورجع إلى نفسه واستقل هل يبقى على عقده ذلك أو ينظر في الدليل حتى يعرف الحق فمن قائل يكفيه ما ربا عليه أبواه أو مربيته ويشغل بالعمل فإن النظر قد يخرج به إلى الحيرة فلا يؤمن عليه فهو الذي قال بالتيمم عند عدم الماء وقد قدمنا أن الماء هو العلم للاشتراك في الحياة به فإن هذا الحاضر الدليل معدوم عنده على الحقيقة فإنه لا يرى مناسبة بين الله وبين خلقه فلا يكون الخلق دليلاً ساد على معرفة ذات الحق فبقاؤه عنده على تقليده أولى ومن قال لا يجوز له التيمم وإن عدم الماء يقول لا يقلد وإن لم ينظر في الدليل فإن الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لزمته واستحال رجوعها عنه ولا يدري كيف حصل ولا كيف هو فهو علم ضروري عنده

فقد خرج عن حكم ما يعطيه التقليد مع كونه ليس بناظر ولا صاحب دليل وعلى هذا أكثر الناس في عقائدهم فعدم الماء في حق هذا الحاضر هو عدم الأمان على نفسه أن يوقعه النظر في شبهة تخرجه عن الأيمان

(باب في الذي يجرد الماء ويمنعه من الخروج إليه خوف عدو)

اختلف العلماء فيمن هذه حالته فمن قائل يجوز له التيمم وبه أقول ومن قائل لا تيمم (وصل اعتباره في الباطن) الخوف من البحث عن الدليل لينظر فيه ليؤديه إلى العلم بالمدلول جهل بعين الدليل أنه دليل فلا بد من أحد الأمرين إما أن يقلد أحدا في أن هذا دليل على أمر ما يعينه له أو يفتقر إلى نظر وفكر فيما ينبغي أن يتخذه دليلا على معرفة الله فإن كان الأول فليبق على تقليده في معرفة الله وهو الذي يقال له تيمم ومن قال لا يجوز له التيمم قال إن هذا الخوف لا يلزمه أن لا ينظر فليتنظر لا ولا بد

(باب الخائف من البرد في استعمال الماء)

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يجوز التيمم إذا غلب على ظنه أنه يمرض إن استعمل الماء ومن قائل لا يجوز له التيمم وبالأول أقول (وصل اعتبار ذلك في الباطن) الصوفي ابن وقته فإن كان وقته الصحة فهو غير مريض أو غير شديد المرض فلا تيمم فإن الوهم لا ينبغي أن يقضي على العلم والخوف هنا قد يكون وهما فلا يبقى مع تقليده ولينظر في الأدلة ولا بد ومن قال لا يجوز له التيمم وإن كان وقته الخوف فليس بصحيح فإن الخوف علة ومرض فليبق على تقليده ولا بد

(باب النية في طهارة التيمم)

اختلف العلماء في النية في طهارة التيمم فمن قائل إنها تحتاج إلى نية ومن قائل لا تحتاج إلى نية وبالأول أقول فإن الله قال لنا وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ والتيمم عبادة والإخلاص عين النية (وصل اعتبار ذلك في الباطن) إذا كان العقد عن علم ضروري أو عن حسن ظن بعالم أو بوالد فلا يحتاج إلى نية فإن شرط النية أن توجد منه عند الشروع في الفعل مقارنة للشروع ومن كانت عقيدته بهذه المثابة فما هو صاحب فعل حتى يفتقر إلى نية فإن إرادة الحق تعالى الذي هو الخالق لذلك الفعل كافية في الباب فإنه لا يوجد شيئا إلا عن تعلق إرادة منه سبحانه لإيجاده ولا يكونه إلا بها قال تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ وَهَذَا فَعَل يَجْعده في العبد فلا بد من حكم ما ذكر فيه فكان مذهب زفر في هذه المسألة أوجه في باطن الأمر من مذهب الجماعة إلا أن يكون كافرا أسلم فهذا يفتقر إلى نية لأنه ما استصحبه شيء من القرية إلى الله بهذا الشرع الخاص المسمى إسلاما ولا كان عنده قبل إسلامه بل كان يرى أن ذلك كفر والدخول فيه يعبد عن الله

(باب من لم يجرد الماء هل يشترط فيه الطلب أم لا يشترط)

اختلف العلماء فيمن هذه صفته فمن قائل يشترط الطلب ولا بد ومن قائل لا يشترط الطلب وبه أقول (وصل اعتبار ذلك في الباطن) لا يلزم المقلد البحث عن دليل من قلد في الفروع ولا في الأصل وإنما الذي يتعين على المقلد إذا لم يعلم السؤال عن الحكم في الواقعة لمن يعلم أنه يعلم

من أهل الذكر فيفتيه قال تعالى فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ومن رأى أنه يشترط طلب الماء فهو الذي يطلب من المسئول دليله على ما أفتاه به في مسأله هل هو من الكتاب أو السنة أو يطلب منه أن يقول له هذا حكم الله أو حكم رسوله أخذ به وإن قال له هذا رأيي كما يقول أصحاب الرأي في كتبهم فإنه يحرم عليه اتباعه فيه فإن الله ما تعبد إلا بما شرع له في كتاب أو سنة وما تعبد الله أحدا برأي أحد

(باب اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة)

اختلف أهل العلم رضي الله عنهم في اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة فمن قائل به وبه أقول ومن قائل بعدم هذا الشرط فيها (وصل اعتباره في الباطن) الوقت هو عندنا إذا تعين تعلق خطاب الشرع بالكلف فيما كلفه به ظاهرا وباطنا فهو في الباطن تجل إلهي يرد على القلب فجأة يسمى الهجوم في الطريق

(باب في حد الأيدي التي ذكر الله عز وجل في هذه الطهارة)

فإن الله يقول قَتِمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي حَدِّ الْأَيْدِي فِي هَذِهِ الطَّهَارَةِ فمن قائل حدها مثل حدها في الوضوء ومن قائل هو مسح الكف فقط ومن قائل إن الاستحباب إلى المرفقين والفرس الكمان ومن قائل إن الفرس إلى المناكب والذي أقول به إن أقل ما يسمى يدا في لغة العرب يجب فما زاد على أقل مسمى اليد إلى غايته فذلك له وهو مستحب عندي (وصل اعتبار الباطن في ذلك) لما كان التراب والأرض أصل نشأة الإنسان وهو تحقيق عبوديته وذلك ثم عرض له عارض الدعوى بكون الرسول قال فيه صلى الله عليه وسلم إنه مخلوق على الصورة وذلك عندنا لاستعداده الذي خلقه الله عليه من قبوله للتخلق بالأسماء الإلهية على ما تعطيه حقيقته فإن في مفهوم الصورة والضمير خلافا فما هو نص في الباب فاعترز لهذه النسبة وعلا وتكبر فأمر بطهارة نفسه من هذا التكبر بالأرض والتراب وهو حقيقة عبوديته فتظهر بنظره في أصل خلقه مم خلق كما قال تعالى فيمن هذه صفته في معرض الدواء لهذا الخاطر الذي أورثه التكبر فليَنظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ وهم البنون خُلِقَ من ماءٍ دَافِقٍ وهو الماء المهين فإنه من جملة ما ادعاه الاقتدار والعطاء وهو محبوب على العجز والبخل وهذه الصفات من صفات الأيدي فقليل له عند هذه الدعوى ورؤية نفسه في الاقتدار الظاهر منه والجود والكرم والعطاء طهر نفسك من هذه الصفات بنظرك ما جبلت عليه من الضعف والبخل يقول تعالى وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ وَقَالَ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا وَإِذَا نَظَرَ فِي هَذَا الْأَصْلِ زَكَتْ نَفْسُهُ وَتَطَهَّرَ مِنَ الدَّعْوَى

(باب في عدد الضربات على الصعيد للمتيمم)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في عدد الضربات على الصعيد للمتيمم فمن قائل واحدة ومن قائل اثنتين والذين قالوا اثنتين منهم من قال ضربة للوجه وضربة لليدين ومنهم من قال ضربتان لليدين وضربتان للوجه ومذهبنا من ضرب واحدة أجزاء عنه ومن ضرب اثنتين لا جناح عليه وحديث الضربة الواحدة أثبت فهو أحب إلي (وصل اعتبار الباطن في ذلك) التوجه إلى ما تكون به هذه الطهارة فمن غلب

التوحيد في الأفعال قال بالضربة الواحدة ومن غلب حكمة السبب الذي وضعه الله ونسب سبحانه الفعل إليه مع تعريته عنه مثل قوله وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ فَأُثِّبَتْ وَنَفَى قَالَ بِالضَّرْبَتَيْنِ وَمَنْ رَأَى ذَلِكَ فِي كُلِّ فِعْلٍ قَالَ بِالضَّرْبَتَيْنِ لِكُلِّ عَضْوٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(باب في إيصال التراب إلى أعضاء الميتيم)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في ذلك فمن قائل بوجوده ومن قائل بأنه لا يجب وإنما يجب إيصال اليد إلى عضو الميتيم بعد ضربة الأرض
بيده أو التراب والظاهر الإيصال لقوله منه (وصل اعتبار ذلك في الباطن) إذا قلنا بتطهير النفس بالذلة التي هي أصلها من العزة التي ادعتها
حين اكتسبتها لم يجب الإيصال فإن الذلة لو قلناها إلى محل العزة لامتنع حصول الذلة في ذلك المحل لأن الذي في المحل أقوى في الدفع من الذي
جاء يذهبه ولو شاركه في المحل لاجتمع الضدان ولم يكن أحدهما أولى بالإزالة من الآخر وإنما الصحيح في ذلك أن النفس مصروفة الوجه
إلى حضرة العز فاكتست من نور العزة ما أداها إلى ما ادعته فقيل لها اصرف وجهك إلى ذلك وضعفك الذي خلقت منه فإن بقيت عليك
أنوار هذه العزة فأنت أنت فقام عندها إنه ربما يبقى عليها ذلك فلما صرفت وجهها إلى ذلتها وضعفها زالت عنها أنوار العزة بالذات
فافتقرت إلى بارئها وذلت تحت سلطانه فلماذا قال من قال إنه لا يجب إيصال التراب إلى عضو التيميم ومن قال إن كلمة من هنا للتبعيض وأنه لا
بد من إيصال التراب إلى العضو قال إن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها من تقوم به وليس لإحقيقة الإنسان فلا بد أن تكون صفة الذلة و
حينئذ تصح طهارته وهو قول من يقول بوجود إيصال التراب إلى عضو التيميم

(باب فيما يصنع به هذه الطهارة)

اختلف العلماء فيما عدا التراب فمن قائل لا يجوز التيميم إلا بالتراب الخالص ومن قائل يجوز بكل ما صعد على وجه الأرض من رمل و
حصى و تراب ومن قائل يمثل هذا وزاد وما تولد من الأرض من نورة و زرينخ و حص و طين و رخام ومن قائل باشتراط كون التراب على
وجه الأرض ومن قائل بغير الثوب و اللبن و أما مذهبنا فإنه يجوز التيميم بكل ما يكون في الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض فإذا فارق
الأرض لم يجز من ذلك إلا لتراب خاصة (وصل اعتبار ذلك في الباطن) قد تقدم أنه قد زال عنه بالانتقال اسم الأرض و سمي زرينخا أو
حجرا أو رملا أو ترابا ولما ورد النص باسم التراب في التيميم فوجدنا هذا الاسم يستصحبه مع الأرض و مع مفارقة الأرض و لم نجد غيره
كذلك أوجبنا التيميم بالتراب سواء فارق الأرض أو لم يفارق و الأحكام الشرعية تابعة للأسماء و الأحوال و ينتقل الحكم بانتقال الاسم أو
الحال

(باب في ناقض هذه الطهارة)

اتفق العلماء رضي الله عنهم أنه ينفذ كل ما ينفذ الوضوء و الطهر و اختلفوا في أمرين الأمر الواحد إذا أراد الميتيم صلاة مفروضة بالتيميم
الذي صلى به غيرها فمن قائل إن إرادة لصلاة الثانية تنقضها و من قائل لا تنقضها و به أقول و الأولى عندي إن يتيمم و لا بد لأن مذهبنا أن

التيمم ليس بدلا من الوضوء وإنما هو طهارة أخرى عينها الشارع بشرط خاص لا على وجه البدل وقد قلنا إن الحكم يتبع الحال وينتقل الحكم بانتقال الأحوال والأسماء (وصل) اعتبار ذلك في الباطن كما لا يتكرر التجلي كذلك لا تتكرر هذه الطهارة بل لكل تجل طهارة فلكل صلاة تيمم ومن نظر إلى التجلي نفسه من حيث ما هو تجل لا من حيث ما هو تجل في كذا قال يصلي بالتيمم الواحد ما شاء كالموضوع لا فرق وهو قولنا

حتى بدت للعين سبحة وجهه وإلى هلم فلم تكن إلهي

(باب في وجود الماء لمن حاله التيمم)

فمن قائل إن وجود الماء ينتقضها ومن قائل إن الناقض لها هو الحدث (وصل) اعتبار ذلك في الباطن قلنا المقلد يقوم له دليل في مسألة خاصة من الإلهيات يناقض ما أعطاه تقليده للشرع فلا يخرج ذلك الدليل عن تقليده وإنما يخرج عن تقليده دليل العقل الذي ثبت به الشرع عنده لا هذا الدليل الخاص فإذا ظهر له نفس الحدث فيما كان يعتقد في تقليده في تلك المسألة يعلم لذلك إن الشارع لم يكن مقصوده هذا الظاهر في هذه المسألة وقد نهبه على ذلك وجود هذا الدليل الطارئ الذي هو بمنزلة وجود الماء فهكذا هي المسألة إذا حقيقتها

(باب في أن جميع ما يفعل بالوضوء يستباح بهذه الطهارة)

اختلف العلماء رضي الله عنهم هل يستباح بها أكثر من صلاة واحدة فقط فمن قائل يستباح وهو مذهبنا والأولى عندنا له لا يستباح ومن قائل لا يستباح على خلاف يفرع في ذلك (وصل) اعتبار ذلك في الباطن قد تقدم في تكرار التجلي وقد انتهى الكلام في أمهات مسائل التيمم على الإيجاز والاختصار وما ذهب العلماء في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(انتهى النصف الأول من الجزء الأول من الفتوحات المكية ويليهِ النصف الثاني أوله أبواب الطهارة من النجس)

الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
والدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدس الله روحه و نور ضريحه آمين

بقية

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

(أبواب الطهارة من النجس)

اعلم أن الطهارة طهارتان طهارة غير معقولة المعنى وهي الطهارة من الحدث المانع من الصلاة وطهارة من النجس وهي معقولة المعنى فإن معناها النظافة وهل هي شرط في صحة الصلاة كطهارة الحدث من الحدث أم هي غير شرط فمن قائل إن الطهارة من النجس فرض مطلق وليست شرطاً في صحة الصلاة ومن قائل إنها واجبة كطهارة من الحدث التي هي شرط في صحة الصلاة ومن قائل إنها سنة مؤكدة ومن قائل إن إزالتها فرض مع الذكر ساقط مع النسيان (وصل اعتبار ذلك في الباطن) اعلم أن الطهارة في طريقنا طهارتان طهارة غير معقولة المعنى وهي الطهارة من الحدث والحدث وصف نفسي للعبد فكيف يمكن أن يتطهر الشيء من حقيقة فإنه لو تطهر من حقيقة انتفت عينه وإذا انتفت عينه فمن يكون مكلفاً بالعبادة وما ثم إلا الله فهذا قلنا إن الطهارة من الحدث غير معقولة المعنى فصورة الطهارة من الحدث عندنا أن يكون الحق سمعك وبصرك وكلك في جميع عباداتك فأثبتك ونفك فتكون أنت من حيث ذاتك ويكون هو من حيث تصرفاتك وإدراكك فأنت مكلف من حيث وجود عينك محل للخطاب وهو العامل بك من حيث إنه لا فعل لك إذ الحدث لا أثر له في عين الفعل ولكن له حكم في الفعل إذ كان ما كلفه الحق من حركة وسكون لا يعمل الحق إلا بوجود المتحرك والساكن إذ ليس إذا لم يكن العبد موجوداً للحق والحق تعالى عن الحركة والسكون أو يكون محلاً لتأثيره في نفسه فلا بد من حدوث العبد حتى يكون محلاً لأثر الحق فمن كونه حدثاً وجبت الطهارة على العبد منه فإن الصلاة التي هي عين الفعل الظاهر فيه لا يصح أن تكون منه لأنه لا أثر له بل هو سبب من حيث عينيته لظهور الأثر الإلهي فيه فبالطهارة من نظر الفعل لحدثه صحت الأفعال أنها لغيره مع وجود العين لصحة الفعل الذي لا تقبله ذات الحق وليست هكذا الطهارة من النجس فإن النجس هو سفساف الأخلاق وهي معقولة المعنى فإنها النظافة فالطهارة من النجاسات هي الطهارة بمكارم الأخلاق وإزالة سفسافها من النفوس فهي طهارة النفوس وسواء قصدت بذلك العبادة أو لم تقصد فإن قصدت العبادة ففضل على فضل ونور على نور وإن لم تقصد ففضل لا غير فإن مكارم الأخلاق مطلوبة لذاتها وأعلى منزلتها استعمالها بالعبادة من النجاسات وإزالة النجاسات من النفوس التي قلنا هي الأخلاق أ فرض عندنا ما هي شرط في صحة العبادة فإن الله قد جعلها عبادة مستقلة مطلوبة لذاتها فهي كسائر الواجبات فرض مع الذكر ساقط مع النسيان فمتى ما تذكرها وجبت كالصلاة المفروضة قال تعالى **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ثم نذكر الكلام في الأحكام المتعلقة بأعيانها فنقول

(باب في تعداد أنواع النجاسات)

اتفق العلماء رضي الله عنهم من أعيانها على أربع على ميتة الحيوان ذي الدم الذي ليس بمائي وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب

حياته وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي أو من الميت إذا كان مسفوحا أعني كثيرا و بول ابن آدم و رجيعه إلا لرضيع واختلوا في غير ذلك (وصل اعتبار الباطن في ميتة الحيوان ذي الدم البري) اعلم أن الموت موتان موت أصلي لا عن حياة متقدمة في الموصوف بالموت وهو قوله تعالى كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فُهَذَا هُوَ الْمَوْتُ الْأَصْلِيُّ وَهُوَ الْعَدَمُ الَّذِي لِمَمَكْنِ إِذْ كَانَ مَعْلُومَ الْعَيْنِ لِلَّهِ وَلَا وَجُودَ لَهُ فِي نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فَأَحْيَاكُمْ وَمَوْتُ عَارِضٌ وَهُوَ الَّذِي يَطْرَأُ عَلَى الْحَيِّ فَيُزِيلُ حَيَاتَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ثُمَّ يَمِيتُكُمْ وَهَذَا الْمَوْتُ الْعَارِضُ هُوَ الْمَطْلُوبُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ثُمَّ زَادَ وَصَفَا آخَرَ فَقَالَ ذِي الدَّمِ الَّذِي لَهُ دَمٌ سَأَلْتُ يَقُولُ أَيُّ الْحَيَوَانَ الَّذِي لَهُ رُوحٌ سَأَلْتُ أَيُّ سَارٍ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ لَا يَرِيدُ مِنْ هَيِّ حَيَاتِهِ عَيْنَ نَفْسِهِ الَّتِي هِيَ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ثُمَّ زَادَ وَصَفَا آخَرَ فَقَالَ الَّذِي لَيْسَ بِمَائِي يَرِيدُ الْحَيَوَانَ الْبَرِّيَّ أَيُّ الَّذِي فِي الْبَرِّ مَا هُوَ حَيَوَانَ الْبَحْرِ إِذْ الْبَحْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ فَيَقُولُ لَا أُرِيدُ بِالْحَيَوَانَ الْمَوْجُودِ فِي عِلْمِ اللَّهِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ بَقْعَ الْخِلَافِ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْحَيَوَانَ الَّذِي ظَهَرَتْ عَيْنُهُ وَكَانَتْ حَيَاتُهُ بِالْهَوَاءِ فِيهِ هَذِهِ الشَّرُوطُ كُلُّهَا ثَبَّتَتْ نَجَاسَتَهُ بِإِخْلَافِ إِذَا زَالَ شَرْطُهَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْلُوبُ بِالْإِتِّفَاقِ إِذَا كَانَتْ حَيَاةُ الْعَبْدِ عَارِضَةً لَا ذَاتِيَةً فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَزْهَوْهَا وَلَا يَدْعِي فَلَمَّا ادْعَى وَقَالَ أَنَا وَغَابَ عَنِ شَهُودٍ مِنْ أَحْيَاءِهِ عَرَضَ لَهُ الْمَوْتُ الْعَارِضُ أَيُّ هَذَا أَصْلِكَ فَرَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ وَلَكِنْ غَيْرَ طَاهِرٍ بِسَبَبِ الدَّعْوَى وَنَسْيَانٍ مِنْ أَحْيَاءِهِ ثُمَّ إِنَّا نَظَرْنَا فِي السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِهَذِهِ الدَّعْوَى قَالَ كَوْنُهُ بَرِيًّا فَقُلْنَا مَا مَعْنَى كَوْنِهِ بَرِيًّا فَقَالَ حَيَاتُهُ مِنَ الْهَوَاءِ فَعَلِمْنَا أَنَّ الْهَوَى هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَكُلُّ مُتَرَدِّدٍ بَيْنَ هَوَاءَيْنِ لَا يَدُ مِنْ هَلَاكِهِ كَمَا قَالَ صَاحِبُنَا أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَارَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ

هوى صحيح وهواء عليل صلاح حالي بهما مستحيل

أَشَدُّ نِيهَا لِنَفْسِهِ بِتَلَمَّسَانِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ فَكُلُّ عَبْدٍ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الشَّرُوطُ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ نَجَسٌ وَأَمَّا اعْتِبَارُ لَحْمِ الْخَنزِيرِ فَإِنَّ لَحْمَهُ مَسْرَى الْحَيَاةِ الدَّمِيَّةِ فَإِنَّ اللَّحْمَ دَمٌ جَامِدٌ وَصِفَةُ الْخَنزِيرِيَّةِ وَهِيَ التَّوَلُّعُ بِالْقَاذُورَاتِ الَّتِي تَسْتَحْبِثُهَا النَّفُوسُ وَهِيَ مَذَامُ الْأَخْلَاقِ إِذَا ذَهَبَتْ الْحَيَاةُ مِنْ ذَلِكَ لِلْحَمِّ كَانَ نَجَسًا وَذَلِكَ إِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْخَلْقِ الْمَذْمُومِ غَيْبٌ عَنِ حُكْمِ الشَّرْعِ فِيهِ الَّذِي هُوَ رُوحُهُ كَانَ فِي حَقِّهِ مَيْتَةٌ قَالَ تَعَالَى وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَقَالَ مِثْلُهَا وَلَمْ يَقِيدَ مِنْ وَجْهِ كَذَا فَالْحَقُّ بِمَذَامِ الْأَخْلَاقِ ثُمَّ قَالَ فَيَمُنْ لَمْ يَفْعَلْهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَبِهِ عَلَى أَنْ تَرَكَ الْجَزَاءَ عَلَى السَّيِّئَةِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَهَذَا قُلْنَا بِأَيِّ شَيْءٍ ذَهَبَتْ حَيَاتُهُ إِذْ كَانَتْ التَّدْكِيَّةُ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ طَهَارَةٌ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّجُلِ الَّذِي طَلَبَ الْقِصَاصَ مِنْ قَاتِلٍ مِنْهُ هُوَ وَلِيهِ فَطَلَبَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْفُو عَنْهُ أَوْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ فَأَبَى فَقَالَ خُذْهُ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا قَفَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ إِنْ قَتَلَهُ كَانَ مِثْلَهُ يَرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَبَلَّغَ ذَلِكَ الْقَوْلَ الرَّجُلَ فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلَى عَنْ قَتْلِهِ وَبَيْتِي عَلَى هَذَا مَسْأَلَةُ التَّبِيحِ وَالْحَسَنِ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ خَاضَ النَّاسُ فِيهَا وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ مَوْضِعَ الْكَشْفِ عَنِ حَقِيقَةِ ذَلِكَ وَإِنْ كُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَالثَّلَاثُ مِنَ النِّجَاسَاتِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهَا الدَّمُ نَفْسُهُ مِنَ الْحَيَوَانَ الْبَرِّيِّ إِذَا انْفَصَلَ عَنِ الْحَيِّ أَوْ عَنِ الْمَيْتِ وَكَانَ كَثِيرًا أَعْنِي بِمَجِثِ أَنْ يَتَفَاحَشَ فَقَدْ عَلَّمْنَاكَ أَنَّ الْحَيَوَانَ الْبَرِّيِّ

هو لعين الموجودة لنفسها ما هي الموجود في علم الله كحيوان البحر وأن حياتها بالهواء وأن الدم هو الأصل الذي يخرج من حرارته ذلك البخار الذي تكون منه حياة ذلك الحيوان وهو الروح الحيواني فلما كان الدم أصلا في هذه النجاسة كان هو أولى بحكم النجاسة مما تولد عنه فالذي أورث العبد الدعوى هو العزة التي فطر الإنسان عليها حيث كان مجموع العالم ومضاهيا لجميع الموجودات على الإطلاق فلما غاب عن العناية الإلهية به في ذلك والموت الأصلي الذي نبه الله عليه في قوله وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا وَقَوْلَهُ تَعَالَى وَقَدْ خَلَقْتُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا وَقَوْلَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا لَدُنْكَ اتفق العلماء على نجاسته إذا تفاحش أي كثرت منه الغفلة عن هذا المقام فإن لم يتفاحش لم يقع عليه الاتفاق في هذا الحكم الرابع بول ابن آدم ورجيعه اعتبره اعلم أنه من شرفت مرتبته وعلت منزلته كبرت صغيرته ومن كان وضع المنزلة خسيس المرتبة صغرت كبيرته والإنسان شريف المنزلة رفيع المرتبة نائب الحق ومعلم الملائكة فينبغي إن يطهر من عاشره ويقدم من خالطه فلما غفل عن حقيقته اشتغل بطبيعته فصاحبه الأشياء الطاهرة من المشارب والمطاعم أخذ طيبها بطبيعته لاجمعيته وأخرج خبيثها بطبيعته لاجمعيته فكان طيبها نجسا وهو الدم وكان خبيثها نجسا وهو البول والرجيع وكان الأولى أن لا يكسبه خبث الروائح فإنه من عالم الأنفاس فكانت نجاسته من حيث طبيعته وكذلك هي من كل حيوان غير أن حقائق الحيوانات وأرواحها ليست في علو الشرف والمنزلة مثل حقيقة الإنسان فكانت زلته كبيرة فانفقوا بلا خلاف على نجاسته من مثل هذا واختلفوا في سائر أحوال الحيوانات ورجيعها وإن كان الكل من الطبيعة فمن راعى الطبيعة قال بنجاسة الكل ومن راعى منزلة الشرف والانحطاط قال بنجاسة بول الإنسان ورجيعه ولم يعف عنه لعظم منزلته وعفا عن هودونه من الحيوانات فقد أئنت لك عن سبب الاتفاق والاختلاف والحمد لله والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(باب في مية الحيوان الذي لادم له وفي مية الحيوان البحري)

اختلف العلماء في هاتين الميتين فمن قائل إنها طاهرة وبه أقول ومن قائل بطهارة مية البحر و نجاسة مية البر التي لادم لها إلا ما وقع الاتفاق على طهارتها لكونها ليست مية كدود الخل وما يتولد في المطعومات ومن قائل بنجاسة مية البر والبحر إلا ما لادم له (وصل اعتبارها في الباطن) قد أعلمناك فيما تقدم أنفا من هذه الطهارة اعتبار الدم فمن قائل بطهارة مية الحيوان الذي لادم له فهو البراءة من الدعوى لأن الحياة المتولدة من الدم فيها تقع الدعوى لا في الحياة التي لجميع الموجودات التي يكون بها التسبيح لله بحمده فإن تلك الحياة طاهرة على الأصل لأنها عن الله من غير سبب يحجبها عن الله ومن قال بطهارة مية البحر وإن كان ذا دم فإنه في علم الله ولا حكم على الأشياء في علم الله وإنما تتعلق بها الأحكام إذا ظهرت في أعيانها وهو بروزها من العلم إلى الوجود الحسي وعلى مثل هذا تعتبر بقية ما اختلفوا فيه من ذلك في هذه المسألة انتهى الجزء الرابع والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه مية)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة مع اتفاقهم على إن اللحم من أجزاء الميتة ميتة وقد بينا اعتبار اللحم في لحم الخنزير واختلفوا في العظام والشعر فمن قائل إنهما ميتة ومن قائل إنهما ليستا بميتة وبه أقول ومن قائل إن العظم ميتة وأن الشعر ليس بميتة (وصل اعتبار الباطن في ذلك) لما كان الموت المعبر في هذه المسألة هو الطارئ المزبل للحياة التي كانت في هذا الحبل نظرنا إلى مسمى الحياة فمن جعل الحياة النمو قال إنهما ميتة ومن جعل الحياة الإحساس قال إنهما ليستا بميتة ومن فرق قال إن العظم يحس فهو ميتة والشعر لا يحس فليس بميتة فمن رأى نموه بالغذاء وحسه بالروح الحيواني فهما ميتة سواء عبر بالحياة عن النمو أو عن الحس ومن كان يرى نموه بره لا بالغذاء وإدراكه المحسوسات بره لا بالحواس لم يلتفت إلى الوساطة لفنائه بشهود الأصل الذي هو خالقه وإن رأى أن الحق سمعه وبصره وهو عين حسه لم يصح عنده أنه ميتة أصلاً وسواء كانت الحياة عبارة عن النمو أو عن الحس

(باب الانتفاع بجلود الميتة)

فمن قائل بالانتفاع بها أصلاً دبغت أم لم تدبغ ومن قائل بالفرق بين أن تدبغ وبين أن لا تدبغ وفي طهارتها خلاف فمن قائل إن الدباغ مطهر لها ومن قائل إن الدباغ لا يطهرها ولكن تستعمل في اليابسات ثم إن الذين ذهبوا إلى أن الدباغ مطهر اتفقوا على أنه مطهر لما تعمل فيه الذكاة يعني المباح الأكل من الحيوان واختلفوا فيما لا تعمل فيه الذكاة فمن قائل إن الدباغ لا يطهر إلا ما تعمل فيه الذكاة فقط وأن الدباغ يدل من الذكاة في إفادة الطهارة ومن قائل إن الدباغ يعمل في طهارة ميتات الحيوانات ما عدا الخنزير ومن قائل بأن الدباغ يطهر جميع ميتات الحيوان الخنزير وغيره والذي أذهب إليه وأقول به إن الانتفاع جائز بجلود الميتات كلها وأن الدباغ يطهرها كلها لأحاشي شيئاً من ميتات الحيوان (وصل الاعتبار في ذلك في الباطن) قد عرفناك مسمى الميتة فالانتفاع لا يحرم بجلدها وهو استعمال الظاهر فمن أخذ في الأحكام بالظاهر من غير تأويل ولا عدول عن ظاهر الحكم الذي يدل عليه اللفظ فلا مانع له من ذلك ولا حجة علينا لمن يقول بما يدل عليه بعض الألفاظ من التشبيه فنقول ما وقفت مع الظاهر فإنه ما جاء الظاهر بالتشبيه لأن المثل وكاف الصفة ليستا في الظاهر فما ذلك الخطأ في المسألة إلا من التأويل واللفظ إذا كان بهذه النسبة مع اللفظ الصريح الذي لا يحتمل التأويل كان إذا قرنته بمنزلة الميتة من الحي فلما لم نجد من الشارع مانعاً من الانتفاع بقينا على الأصل وهو قوله تعالى خَلَقَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ولم يفصل طاهراً من غير طاهر فلا نحكم بطهارته وإن انتفعنا به لا إذا دبغ فهو إذ ذاك طاهر واعتباره أن اللفظ الوارد من الشارع المحتمل فنحكم بظاهره ولا تقطع به إن ذلك هو المراد فإذا اتفق أن نجد نصاً آخر في ذلك المحكوم به يرفع الاحتمال الذي أعطاه ذلك اللفظ الآخر طهر ذلك اللفظ الأول من ذلك الاحتمال وكان له هذا الخبر الثاني كالدباغ لهذا الجلد فجمعنا بين الطهارة له في نفسه وهو صرفه بالخبر الثاني إلى أحد محتملاته على القطع وانتفعنا به مثل ما كنا نتفع به قبل أن يكون طاهراً من حيث انتفعنا به لا من حيث انتفعنا به من وجه خاص فإنه قد يكون ذلك الخبر يصرفه عن الظاهر الذي كنا نستعمله فيه إلى أمر آخر من محتملاته فلماذا قلنا من حيث ما هو منتفع به لا من حيث ما هو منتفع به في وجه خاص إذ كان غيرنا لا يرى الانتفاع به أصلاً

(باب في دم الحيوان البحري وفي القليل من دم الحيوان البري)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في دم الحيوان البحري وفي القليل من دم الحيوان البري فمن قائل دم السمك طاهر ومن قائل إنه نجس على أصل الدماء ومن قائل إن القليل من الدماء والكثير واحد في الحكم ومن قائل إن القليل معفو عنه والذي أذهب إليه أن التحريم ينسحب على كل دم مسفوح من أي حيوان كان ويحرم أكله وأما كونه نجاسة فلا أحكم بنجاسة الحرمات إلا أن ينص الشارع على نجاستها على الإطلاق أو يقف على القدر الذي نص على نجاسته وليس النص بالاجتناب نصا في كل حال فيفتقر إلى قرينة ولا بد فما كل محرم نجس وإن اجتنباه فما اجتنباه لنجاسته فإن كونه نجاسة حكم شرعي وقد يكون غير مستقذر عقلا ولا مستخبث (وصل اعتباره في الباطن) الحكم على الشيء الذي يقتضيه لنفسه لا يشترط فيه وجود عينه ولا تقدير وجود عينه فسواء كان معدوم العين أو موجودا الحكم فيه على السواء سواء كان بطهارته أو عدم طهارته فلا يؤثر كونه في علم الله أو كونه موجودا في عينه ألا ترى إلى الممكن قد رجح المرجح وجوده على عدمه أو عدمه على وجوده ومع ذلك ما زال عن حكم الإمكان عليه وأن الإمكان واجب له لذاته كما إن الإحالة للمحال واجبة له لذاته كما إن الوجوب للواجب واجب له لذاته فينسحب معقول الوجوب على الواجب لنفسه وكذلك حكم الممكن والحال لا يتغير حكمه وإن اختلفت المراتب

(باب حكم أبوالحيوانات كلها وبول الرضيع من الإنسان)

اختلف أهل العلم في أبوالحيوانات كلها وأرواثها ما عدا الإنسان إلا بول الرضيع فمن قائل إنها كلها نجسة ومن قائل بطهارتها كلها على الإطلاق ومن قائل إن حكمها حكم لحومها فما كان منها أكله حلالا كان بوله وروثه طاهرا وما كان منها أكله حراما كان بوله وروثه نجسا وما كان منها لحمه مكروها أكله كان بوله وروثه مكروها (وصل اعتباره في الباطن) الطهارة في الأشياء أصل والنجاسة أمر عارض فنحن مع الأصل ما لم يأت ذلك العارض وهذا مذهبنا فالعبد طاهر الأصل في عبوديته لأنه مخلوق على الفطرة وهي الإقرار بالعبودية للرب سبحانه قال الله تعالى وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ آيَةِ إِنْ اللَّهُ لَمَا خَلَقَ آدَمَ قَبِضَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كَأَمْثَالِ الذَّرَفِ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ طَاهِرٌ فِي تَعَلُّقِهِ بِمَعْلُومِهِ فَمَهْمَا عَرَضَ تَحْجِيرٌ مِنَ الْحَقِّ فِي أَمْرٍ مَا وَعَلِمَ مَا وَقَفْنَا عِنْدَهُ وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ لِذَاتِهَا طَاهِرَةٌ مَطْهُرَةٌ وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ حَيٌّ فَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ طَاهِرٌ بِالْأَصْلِ فَبِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ خَلَقَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَإِنَّمَا قَلْنَا كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ حَيٌّ فَإِنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ وَالشَّيْءُ أَنْكَرُ النُّكَرَاتِ إِلَّا وَهُوَ يَسْبِيحُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَلَا يَكُونُ التَّسْبِيحُ إِلَّا مِنْ حَيٍّ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَخَذَ بِأَسْمَاعِنَا عَنْ تَسْبِيحِ الْجَمَادَاتِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ كَمَا أَخَذَ بِأَبْصَارِنَا عَنْ إدْرَاكِ حَيَاةِ الْجَمَادِ وَالنَّبَاتِ إِلَّا لِمَنْ خَرَقَ اللَّهُ لَهُ الْعَادَةَ كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ حِينَ أَسْمَعَهُمُ اللَّهُ تَسْبِيحَ الْحَصَى فَمَا كَانَ خَرَقَ الْعَادَةَ فِي تَسْبِيحِ الْحَصَى وَإِنَّمَا نَخَرَقُ الْعَادَةَ فِي تَعَلُّقِ أَسْمَاعِهِمْ بِهِ وَقَدْ سَمِعْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي بَدْءِ أَمْرِنَا

تسيح حجر ونطقه بذكر الله فمن الموجودات ما هو حي بجياتين حياة مدركة بالحس وحياة غير مدركة بالحس ومنها ما هو حي بحياة واحدة غير مدركة بالحس عادة ومنها ما هو حي بثلاثة أنواع من الحياة وهو الإنسان خاصة فإنه حي بالحياة الأصلية التي لا يدركها بالحس عادة وهو أيضا حي بحياة روحه الحيواني وهو الذي يكون به الحس وهو حي أيضا بنفسه الناطقة فالعالم كله طاهر فإن عرض له عارض إلهي يقال له نجاسة حكمنا بنجاسة ذلك الحبل على الحد المقدر شرعا خاصة في عين تلك النسبة الخاصة بالنجاسة في الأشياء عوارض نسب وأعظم النجاسات الشرك بالله قال تعالى إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا فالشرك نجس العين فإذا آمن فهو طاهر العين أي عين الشرك وعين الأيمان فافهم فإنه ما يصدر عن القدس إلا مقدس ولذا قلنا في النجاسة إنها عوارض نسب والنسب أمور عدمية فلا أصل للنجاسة في العين إذ الأعيان طاهرة بالأصل الظاهرة منه وهنا أسرار لا يمكن ذكرها إلا شفاها لأهلها فإن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله فمن فهم ما أشرنا إليه فقد حصل على كنز عظيم ينفق منه ما بقيت الدنيا والآخرة أي إلى ما لا يتناهى وجوده والله المؤيد معلم الإنسان البيان

(باب حكم قليل النجاسات)

اختلف أهل العلم في قليل النجاسات فمن قائل إن قليلها وكثيرها سواء ومن قائل إن قليلها معفو عنه وهؤلاء اختلفوا في حد القليل ومن قائل إن القليل والكثير سواء إلا ما لا يمكن الانفكاك عنه ولا يعتبر في ذلك منع وقوع الصلاة بها أو وقوعها فإن ذلك حكم آخر والتفصيل في ذلك قد ورد في الشرع فيوقف عنده ولا يتعدى فإنه لا يلزم من كونه نجاسة عدم صحة الصلاة بها فقد يعفو الشرع عن بعض ذلك في موضع وقد لا يعفو في موضع وللأحوال في ذلك تأثير فقد أزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في الصلاة من دم حلمة أصاب نعله ولم يبطل صلاته ولا أعاد ما صلى به (وصل اعتباره في الباطن) أما اعتباره في الباطن فمذام الأخلاق والجهالات وإساءة الظنون في بعض المواطن قليل ذلك وكثيره سواء وفي ذلك حكايات وأقوال لأهل الله والتفصيل الوارد في الخلاف في الظاهر يعتبر بحسبه فإنه قد تقدم في الفصول قبل هذا كيف تؤخذ وجوه الاعتبار فيه في الباطن

(باب حكم المنى)

اختلف علماء الشريعة في المنى هل هو طاهر أو نجس فمن قائل بطهارته ومن قائل بنجاسته (وصل اعتباره في الباطن) التكوين منه طبيعي ومنه غير طبيعي وبينهما فرقان إن شئنا اعتبرنا وإن شئنا لم نعتبره فإن التكوين الطبيعي لا فرق عندنا بينه وبين التكوين غير الطبيعي فإن التكوين الطبيعي من حيث الوجه الخاص المعلوم عند أهل الله المنصوص عليه في القرآن صادر عن حضرة التدريس والاسم القدوس ومن غير ذلك الوجه الخاص فهو صادر عن مثله وهو الذي أيضا تقول فيه عالم الخلق وعالم الأمر فكل موجود عند سبب مخلوق مما سوى الله هو عالم الخلق وكل ما لم يوجد عند سبب مخلوق فهو عالم الأمر والكل على الحقيقة عالم الأمر إلا إننا لا يمكننا رفع الأسباب من العالم فإن الله قد

وضعها ولا سبيل إلى رفع ما وضعه الله فأقول إنه من احتجب بنفسه عن ربه فليس بطاهر ولما كان خروج المني غالبا يستغرق لذته الإنسان بل الحيوان كله حتى يفنى عن ربه إلا عن حكم الخارج منه وهو المني كان المني غير طاهر ولهذا أمرنا بالتطهير منه أي التطهير العام لجميع أجزاء البدن لأنه يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ وَمِنْ رَاعَى أَنْ الْحَقُّ مَا تَوَلَّى التَّكْوِينَ الطَّبِيعِيِّ إِلَّا بِهِ حَكْمٌ بِطَهَارَتِهِ لِأَنَّ الْحَالَ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ دَمٌ مَقْصُورٌ قَصْرَتِ الْمَثَانَةُ فَتَغْيِيرُ عَنِ الدَّمِيَةِ فَتَغْيِيرُ الْحَكْمِ وَهُوَ أَوْلَى فَاَلْمَنِي عِنْدَنَا طَاهِرٌ إِلَّا أَنْ يَخَالِطَهُ شَيْءٌ نَجَسٌ لَا يَتِمَّكَنُ تَخْلِيصَهُ مِنْهُ وَحِينَئِذٍ نَحْكُمُ بِهِ أَنَّهُ نَجَسٌ بِمَا طَرَأَ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ أَصْلُهُ وَعَيْنُهُ دَمًا فَلَوْ بَقِيَ عَلَى صُورَتِهِ فِي أَصْلِهِ مِنَ الدَّمِيَةِ إِذَا خَرَجَ حَكْمَنَا بِنَجَاسَتِهِ شَرَعًا

(باب في الحال التي تزال عنها النجاسة)

أما الحال التي تزال عنها النجاسة شرعا فهي ثلاثة الثياب والأبدان أبدان المكلفين والمساجد (وصل اعتبارها في الباطن) فالثياب الباطنة الصفات فإن لباس الباطن صفاته يقول إمرؤ القيس لعنيزة

وإن كنت قد ساءت مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أراد ما لبسه من ثياب مودتها في قلبه يقول الله ولباس التقوى ذلك خير وهو موجه عندي لقرائن الأحوال مثل قوله تعالى فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى سِوَاهُ إِنْ نَفَطْنَتْ لَمَّا أَرَادَ هُنَا بِالتَّقْوَى وَاعْتِبَارَ الْأَبْدَانِ الْقُلُوبِ وَالأرواح فاعلم واعتبار المساجد مواطن المناجاة وأحوالها الإلهية

(باب في ذكر ما تزال به هذه النجاسات من هذه الحال)

اتفق العلماء بالشريعة على إن الماء الطاهر المطهر يزيلها من هذه الحال الثلاثة وعندنا كل ما يزيل عينها فهو مزيل من تراب وحجر ومائع و يعتبر اللون في بقاء عينها إن كانت ذات لون يدركه البصر ولا يعتبر بقاء الرائحة مع ذهاب العين لعلم عندنا آخر (وصل الاعتبار في ذلك) إن العلم الذي أنتجته التقوى في قوله تعالى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَقَوْلُهُ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا فَذَلِكَ الْعِلْمُ هُوَ الْمَزِيلُ الْمَطْهَرُ هَذِهِ الْحَالُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا هِيَ فِي الْبَاطِنِ الصِّفَاتِ وَالْقُلُوبِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي قَلْنَا إِنَّهَا الثِّيَابُ وَالْأَبْدَانُ وَالْمَسَاجِدُ وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا أَنَّ الْحِجَارَةَ تَزِيلُهَا مِنَ الْمَخْرَجِينَ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ فِي الشَّرْعِ بِالِاسْتِجْمَارِ وَلا يَصِحُّ عِنْدِي الْاسْتِجْمَارُ بِحِجْرٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ تَقْيِضٌ مَا سَمِيَ بِهِ الْاسْتِجْمَارُ فَإِنَّ الْجَمْرَةَ الْجَمَاعَةَ وَأَقْلَ الْجَمَاعَةَ اثْنَانِ وَالْإِعْتِبَارُ هُنَا فِي مَحَلِّ الْإِتْفَاقِ إِنْ الْحِجَارَةَ لَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ النِّسْبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقُلُوبِ فِي أُمُورٍ مِنْهَا ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَالْقَسْوَةُ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَطْهَرَ مِنْهَا كَانَتْ مَا كَانَتْ فَإِنَّهَا مِنْ نَجَاسَاتِ الْقُلُوبِ الْمَأْخُودِ بِهَا وَالمَعْفُوعِ عَنْهَا وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَهِيَ مِنَ الْقُلُوبِ الْعُلُومُ الْغَزِيرَةُ الْوَاسِعَةُ الْحَيْطَةُ بِأَكْثَرِ الْمَعْلُومَاتِ وَتَفْجِرُهَا خُرُوجُهَا عَلَى أَسْنَةِ الْعُلَمَاءِ لِلتَّعْلِيمِ فِي الْفَنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَشْتَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَهِيَ الْقُلُوبُ الَّتِي تَغْلِبُ عَلَيْهَا الْأَحْوَالُ فَتَخْرُجُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى أَسْنَةِ أَصْحَابِهَا بِقَدْرِ مَا يَشْتَقُّ مِنْهَا وَبِقَدْرِ الْعِلْمِ الَّذِي فِيهَا فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَهَبُوطِ الْقُلُوبِ الْمَشْبُوهَةِ بِالْحِجَارَةِ فِي هَبُوطِهَا هُوَ نَزْوُلُهَا مِنْ عَزَّتِهَا إِلَى عِبُودِيَّتِهَا وَنَظَرِهَا فِي عِجْزِهَا وَقُصُورِهَا بِالْأَصَالَةِ وَقَدْ قَلْنَا إِنْ الْمَاءُ هُوَ الْمَطْهَرُ الْمَزِيلُ

للتنجاسات من هذه المحال فالأحجار التي هي منابع هذا الماء حكمها في إزالة النجاسة من المخرجين حكم ما خرج منها وهو العلم في الاعتبار كما إن الخشية مما يتطهر بها فإن الخشية من خصائص العلماء بالله المرضيين عنهم المطلوب منهم الرضي عن الله قال تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ والعلم طاهر مطهر ولا سيما العلم الذي هو نتجه التقوى فإن غيره من العلوم وإن كان طاهرا مطهرا فما هو في القوة مثل هذا العلم الذي نشير إليه فالخشية المنعوت بها الأحجار هي التي أدتها إلى الهبوط وهو التواضع من الرفعة التي أعطاها الله فإنه لما وصفها بالهبوط علمنا إن الأحجار التي في الجبال يريد والجبال الأوتاد التي سكن الله بها ميد الأرض فلما جعلها أوتادا أورثها ذلك فخر العلو منصبها فنزلت هذه الأحجار هابطة من خشية الله لما سمعت الله يقول تَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تُجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ والإرادة من صفات القلوب فنزلت من علوها وإن كان برها هابطة من خشية الله حذرا أن لا يكون لها حظ في الدار الآخرة التي تنتقل إليها وأعني بالدار الآخرة هنا دار سعادتها فإن في الآخرة منزل شقاوة ومنزل سعادة فكانت لهذا طاهرة مطهرة وأما اختصاص تطهيرها المخرجين واعتبر المخرجين اللذين هما مخرج الكثيف وهو الرجيع واللطيف وهو البول فاعلم إن للحق سبحانه في القلوب تجليين التجلي الأول في الكثائف وهو تجليه في الصور التي تدر كها الأبصار و الخيال مثل رؤية الحق في النوم فأراه في صورة تشبه الصور المدركة بالحس وقد قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فيزيل هذا العلم من قلبك تقيده الحق بهذه الصور التي تجلى لك فيها في حال نومك أو في حال تخميك في عبادتك إذ قال لك رسوله صلى الله عليه وسلم عنه تعالى لا عن هواه فإنه صلى الله عليه وسلم ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ اعبد الله كأنك تراه فجاء بكان وهي تعطي الحقائق فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لمن قال أنا مؤمن حقا فما حقيقة إيمانك فقال كأنني أنظر إلى عرش ربي بارزا فأتى بكان والرؤية وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فشهد له بالمعرفة وهذا هو التجلي الآخر فإن تجلى الخيال الأطف من تجلى الحس بما لا يتقارب ولهذا يسرع إليه القلب من حال إلى حال كما هو باطن الإنسان هنا كذلك يكون ظاهره في النشأة الآخرة وقد ورد أن في الجنة سوقا لا يباع فيه ولا يشتري لكنه مجلى الصور فمن انتهى صورة دخل فيها كالذي هو باطن الإنسان اليوم فإذا جعل العابد معبوده بحيث يراه كأنه أنزله من قلبه منزلة من يراه ببصره من غير أن يكون هناك صورة من خارج كما كانت في تجلى المنام فإذا حده هذا التخيل والحق لا حد له سبحانه يتقيد به فطهره علم الخشية وهو الحجر الذي ذكرناه من تقييد الحدود فطهر القلب إنما هو بالخشية من مثل هذا التشبيه والتقييد إذ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فهذا اعتبار اتفاق العلماء بأن الحجارة تطهر المخرجين واختلفوا فيما عدا ما ذكرناه من الاتفاق عليه من المائعات والجمادات التي تزيل النجاسات من المحال التي ذكرناها فمن قائل إن كل مائع وجامد في أي موضع كان إذا كان طاهرا فإنه يزيل عين النجاسة وبه أقول ومن قائل بالمنع على الإطلاق إلا ما وقع عليه الاتفاق من الماء والاستجمار وقد ذكرناهما

(باب منه)

اختلفوا في الاستجمار بالعظم والروث اليابس فمنع من ذلك قوم وأجازوا الاستجمار بغير ذلك مما ينقى واستثنى من ذلك قوم ما هو مطعوم ذو حرمة كالخبز وقد جاء في العظم أنه طعام إخواننا من الجن واستثنت طائفة أن لا يستجمر بما في استعماله سرف كالذهب والياقوت أما تقيدهم بأن في ذلك سرفا فليس بشيء فلو عللوه بأمر آخر يعقل كان أحسن ولكن ينبغي أن ينظر في مثل هذا فإن كان الذهب مسكوكا وعليه اسم الله أو اسم من الأسماء المجهولة عنده من طريق لسان أصحابها خوفا من أن يكون ذلك من أسماء الله بذلك اللسان أو يكون عليه صورة فيجتنب الاستجمار به لأجل هذا لا لكونه ذهبيا ولا ياقوتا وقوم قصرُوا الإتياء على الأحجار فقط وقوم أجازوا الاستجمار بالعظم دون الروث وإن كان مكروها عندهم ومن قائل بجواز الاستجمار بكل طاهر ونجس انفرد به الطبري دون الجماعة (وصل في اعتبار ما ذكرناه في الباطن) إذا صح الإتياء من الأخلاق المذمومة والجهالات بأي شيء صح بخلاق حسن أو بخلاق آخر سفساف وبعلم شريف لشرف معلومه أو بعلم دون ذلك مما لا أثر له في الخلل إلا الإتياء جاز استعماله في إزالة هذه النجاسة وإلى هذا منزع الطبري فيما شد فيه دون الجماعة ومن راعى في الإزالة ما يزال به لا ما يزال وتتبع الشرع وما فصله في ذلك المشرع فهو على حسب ما يفهم من الشارع في تفهيمه في دين الله فإن فطر الناس مختلفة في الفهم عن الله وهو محل الاجتهاد فلا يزال عين النجاسة إلا بالذي يغلب على فهمه من مقصود الشارع ما هو هو الأولى وهذا يسرى في الحكم الظاهر والباطن سواء فأغنى عن التفصيل

(باب في الصفة التي بها تزال هذه النجاسات)

وهي غسل ومسح ونضح وصب وهو صب الماء على النجاسة كما ورد في الحديث لما بال الأعرابي في المسجد فصاح به الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزر موه حتى إذا فرغ من بوله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعا بذنوب من ماء فصبه عليه فهذه حالة لا تسمى غسلا ولا مسحا ولا نضحا فهذا زنا الصب ولم يأت بهذه اللفظة العلماء وأدخلوا هذا الفعل تحت الغسل فأكتفوا بلفظ الغسل عن الصب فرأينا إن الإفصاح به بلفظ الصب أولى لأن الراوي ذكره بلفظ الصب ولم يسمه غسلا واعلم أنه ما اختلفت هذه المراتب إلا لاختلاف النجاسات تخفيفا عن هذه الأمة فإن المقصود زوال عينها الموجود المعين أو التوهيم فبأي شيء زال الوهم أو العين من هذه الصفات استعملت في إزالته واستعمال الأعم منها يدخل فيه الأخص فيغني عن استعمال الأخص إن فهمت كالغسل فإنه أعمها فيغني عن الكل والشارع قد صب وغسل ومسح ونضح وهو الرش وقد وردت في ذلك كله أخبار محلها كتب الفقه (وصل اعتبار الباطن في ذلك) إن الخلق المذموم إن وجدنا صفة إذا استعملناها أزلت جميع الأخلاق المذمومة استعملناها فهي كالغسل الذي يعم جميع الصفات المذمومة لأعيان النجاسات وتوهمها وهو الأولى والأيسر وإن تعذر ذلك فينظر في كل خلق مذموم وينظر إلى الصفة المذمومة لعينه فيستعملها في إزالة ذلك الخلق لا غير هذا هو ربط هذا الباب وفي هذا الباب اختلاف كثير في المسح والنضح والعدد ليس هذا موضعه إلا إن فتح الله و يؤخر في الأجل فنعمل كتابا في اعتبارات أحكام الشرع كلها في جميع الصور واختلاف العلماء فيه ليجمع بين الطريقتين ونظهر حكمة الشرع

في النشأتين والصورتين أعني الظاهر والباطن ليكون كتابا جامعاً لأهل الظاهر وأهل الاعتبار في الباطن والموازن الباحثين عن النسب و
الله المؤيد لا رب غيره

(باب في آداب الاستنجاء ودخول الخلاء)

وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة وأوامر مثل النهي عن الاستنجاء باليمين ومس الذكر باليمين عند البول وعدم الكلام على الحاجة والتعوذ
عند دخول الخلاء وهي كثيرة جداً فمن قائل بأنها كلها محمولة على الندب وعليه جماعة الفقهاء وأما في الاعتبار فهي كلها واجبة فإن الباطن
ما حكمه في أوامر الحق حكم الظاهر فإن الله ما ينظر من الإنسان إلا إلى قلبه فيجب على العبد أن لا يزال قلبه طاهراً أبداً لأنه محل نظر الله
منه والشرع ينظر إلى ظاهر الإنسان ويراعيه في الدار الدنيا دار التكليف أكثر من باطنه وفي الآخرة بالعكس هنالك تُبلى السرائر وهنا
يراعي الشرع أيضاً الباطن في أفعال مخصوصة أوجب الشرع عليه فعلها وأفعال مخصوصة ندبه الشرع إليها وأفعال مخصوصة خيره الشرع بين
فعلها وتركها وأفعال مخصوصة حرم الشرع عليه فعلها وأفعال مخصوصة كره الشرع له فعلها والحكم في الترك كذلك واختلفوا من هذه
الآداب في استقبال القبلة بالغائط والبول واستدبارها فكانوا فيها على ثلاثة مذاهب فمن قائل إلى أنه لا يجوز استقبال القبلة الغائط أو بول
أصلاً في أي موضع كان ومن قائل إنه يجوز ذلك بإطلاق وبه أقول والتزهد عن ذلك أولى وأفضل ومن قائل إنه يجوز ذلك في الكنف المبنية ولا
يجوز في الصحاري ولكل قائل حجة من خبر يستند إليه ذكر ذلك علماء الشريعة في كتبهم (وصل اعتبار الباطن في ذلك) لما أخبر النبي
صلى الله عليه وسلم أن الله في قبلة المصلي وأن العبد إذا صلى واجهه ربه فمن فهم من ذلك أن القبلة المعلومة إليها نسب كونه الله أو نسب
إليها في حال صلاة المصلي خاصة فمن فهم إن المراد القبلة بتلك النسبة لم يجز استقبال القبلة عند الحاجة لسوء الأدب ومن فهم أن المراد
حال المصلي أجاز استقبال القبلة عند الحاجة فإنه غير متصل الصلاة المخصوصة بالصفة المعلومة ومن رأى روح الصلاة وهو الحضور مع
الله دائماً ومناجاته كانت جميع أفعاله صلاة فلم يقل بالمنع من استقبال القبلة عند الحاجة فإنه في روح الصلاة لا ينفك دائماً وهم أهل
الحضور مع الله على الدوام والمشار إليهم بقوله تعالى الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ اعتباراً فأما من لم يخطر له خاطر الحضور مع الله إلا في
وقت الحاجة فذلك خاطر شيطاني لا يعول عليه ويحْتَنَب استقبال القبلة ولا بد عندنا من هذه حالته فإنه من عمل الشيطان وقد أمرنا
باجتناب عمل الشيطان في قوله إنه رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ وَأما من يرى الاستقبال في الكنف المبنية دون الصحاري فإن
الكنف المبنية والمدن حال الجمعية فتشبه جمعية الأسماء الإلهية فما من شيء إلا وهو مرتبط بحقيقة إلهية به كانت معقولته فإن المعلوم
مرتبط بالتنزيه فلا يخلو صاحب هذا الحال عن مشاهدة ربه من حيث تلك الحقيقة فإن البناء والمدن دلالة على ذلك فجاز له أن يستقبل
القبلة وأن يكون بحكم الوطن وأما في الصحراء فهو وحده فلا مانع له من ترك استقبال القبلة بالحاجة فيأدب ولا يستقبل احتراماً لقول
الشارع فإنه ما في الصحراء حالة تقيد لرؤية حقيقة إلهية إلا اختياره ولا ينبغي للعبد أن يكون له اختيار مع سيده قال تعالى وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ وَيَخْتَارُ فما اختار المدن والكنف المبنية ما كان لهم الخيرة فيما لم يختره لهم فليس لهم أن يختاروا بل يقفون عند المراسم الشرعية فإن الشارع هو الله تعالى فيستعمل بهذا النظر جميع الأخبار الواردة في استقبال القبلة بالحاجة واستدبارها والنهي عن ذينك فقد أثبتنا في هذا الباب من فصول الطهارة ما يجري مجرى الأصول والقول الجامع في الطهارة هو أن تقول الطهارة من الإنسان المعقولة المعنى بما يزيلها أي شيء كان من البراهين جدلية كانت أو وجودية فإن الغرض إزالتها لا بما تزال ما لم يكن الذي تزال به يؤثر نجاسة في الحبل فاذن ما زالت النجاسة و أما التي هي غير معقولة المعنى فطهارتها موقوفة على ما ينص الله تعالى في ذلك أو رسوله فيزيلها بذلك فإن شاء الحق عرفك بمعناه ونسبته فتكون إزالتها في حقه عن علم محقق وإذ لم يكن ذلك فهو المسمى بالتعبد وهو المعنى المطلق في جميع التكليف وهو العلة الجامعة والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس والثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع والستون في معرفة أسرار الصلاة وعمومها)

سوى رؤية الحراب والكد والعناء	وكم من مصل ما له من صلته
وإن كان قد صلى الفريضة وابتدى	و آخر يحظى بالمناجاة دائما
و إن كان مأموما فقد بلغ المدى	وكيف و سر الحق كان إمامه
و إلا فحل المرء أو حرمه سوا	فتحريمها التكمير إن كنت كابرا
لرجعته العليا في ليلة السري	وتحليلها التسليم إن كنت تابعا
و أسرار غيب ما تحس وما ترى	و ما بين هذين المقامين غاية
وحيد فريد الدهر قطب قد استوى	فمن نام عن وقت الصلاة فإنه
و ذكره الرحمن يجبر ما سها	وإن حل سهو في الصلاة و غفلة
فشطر صلاة الفرض ينقص ما عدا	وإن كان في ركب إلى العين قاصدا
لسر خفي في الصباح و في المساء	صلاة انفجار الصبح حقا ومغرب
تفز بالذي فاز الحضارمة الأولى	وحافظ على الشفع الكريم لو تراه
وعشرون إن كان المصلي على طوى	و بين صلاة الفذ و الجمع سبعة
لدى مطلع الشمس المنيرة و السننا	ولا تنس يوم العيد واشهد صلته
تحز قصب السباق في حلبة العلى	و نادر تهجير العروبة رائحا

حجاب وجود النفس دونك يا فتى
و إن حل خسف النيرين فإنه
تحول عن الأحوال علك ترتضي
ومن كان يستسقي يحول رداءه
و أن ليس للإنسان غير الذي سعى
فهذي عبادات المراد تخلصت

اعلم أيديك الله بروح القدس أن مسمى الصلاة يضاف إلى ثلاثة وإلى رابع ثلاثة بمعنيين بمعنى شامل وبمعنى غير شامل فتضاف الصلاة إلى الحق بالمعنى الشامل والمعنى الشامل هو الرحمة فإن الله وصف نفسه بالرحيم ووصف عباده بها فقال أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يرحم الله من عباده الرحماء قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فوصف نفسه بأنه يصلي أي يرحمكم بأن يخرجكم من الظلمات إلى النور يقول من الضلالة إلى الهدى ومن الشقاوة إلى السعادة وتضاف الصلاة إلى الملائكة بمعنى الرحمة والاستغفار والدعاء للمؤمنين قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ فُصِّلَتْ إِلَى اللَّهِ مَا ذَكَرْنَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُونَ غَافِرٌ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . . . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِنَا صَالِحِ دَعَاؤِ الْمَلَائِكَةِ وَتَضَافِ الصَّلَاةُ إِلَى الْبَشَرِ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ وَالدَّعَاءِ وَالْأَفْعَالِ الْمَخْصُوصَةِ الْمَعْلُومَةِ شَرَعًا عَلَى مَا سَنَذَكُرُهُ فَيَجْمَعُ الْبَشَرُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَرَاتِبَ الْمَسْمُومَةَ صَلَاةً قَالَ تَعَالَى أَمْرًا لَنَا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَتَضَافِ الصَّلَاةُ إِلَى كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مَلِكٍ وَإِنْسَانٍ وَحَيَوَانَ وَنَبَاتٍ وَمَعْدَنٍ بِجَسَبِ مَا فَرَضَتْ عَلَيْهِ وَعِينَتْ لَهُ قَالَ تَعَالَى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ فَأَضَافِ الصَّلَاةُ إِلَى الْكَلِّ وَالتَّسْبِيحِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الصَّلَاةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ وَكَانَ لَا يَتَنَفَّلُ فِي السَّفَرِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ مَسْبُوحًا أَمَّمْتُ وَقَالَ تَعَالَى تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَقَالَ خَطَابًا مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْكَشْفِ حَيْثُ يَرَى مَا لَا نَرَى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ فَانظُرْ إِلَى فَقَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ التَّخْفِيفَ عَنْ عِبِيدِهِ بَوْضِعَ شَطْرِ الصَّلَاةِ عَنْهُمْ لَمْ يَرَأَنَّ يَتَنَفَّلُ مُوَافِقَةً لِمَقْصُودِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ فَهَذَا نَفَقَةٌ رُوحَانِيَّةٌ وَأَمَّا مَنْ تَنَفَّلَ فِي السَّفَرِ فَرَأَى أَنَّ مَقْصُودَ الْحَقِّ إِسْقَاطَ الْفَرْضِيَّةِ لِإِسْقَاطِ الصَّلَاةِ الَّتِي يَتَطَوَّعُ الْإِنْسَانُ فَلَوْ أَنَّ الْمَسَافِرَ لَكَانَ الْغَرَضُ مِنْهَا رَكْعَتَيْنِ وَالْبَاقِي نَافِلَةً فَإِنَّ اللَّهَ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ هَذَا الْمَتَنَفَّلُ إِلَّا إِسْقَاطَ الْفَرْضِيَّةِ عَنْهُ لَا التَّطَوُّعَ بِالصَّلَاةِ تَنَفَّلَ فِي السَّفَرِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَفَّلَ فِي السَّفَرِ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَعَلِمَ الْقَائِلُ بِهَذَا أَنَّ الْغَرَضَ هُوَ الَّذِي قَصِدَ إِسْقَاطَهُ عَنْهُ وَاقْتَدَى بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّنَفُّلِ فِي السَّفَرِ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لَنَا لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَاذْكُرُوا الصَّلَاةَ الْمَشْرُوعَةَ فَرَضًا وَسَنًّا مُؤَكَّدَةً بَيْنَ النَّافِلَةِ وَالْفَرِيضَةِ ثَمَانِيَّةً كَمَا إِنَّ الْأَعْضَاءَ الْمَكْلُوفَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ ثَمَانِيَّةً لِأَنَّ الذَّاتَ مَعَ نَسَبِهَا الْمَعْبُورِ عَنْهَا بِالصِّفَاتِ ثَمَانِيَّةً فَهَذِهِ الثَّمَانِيَّةُ هِيَ الذَّاتُ وَالْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْإِرَادَةُ وَالْكَلَامُ وَالْقُدْرَةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْإِنْسَانُ الْمَكْلُوفُ ذَاتَ حَيَاةٍ عَالِمَةٌ مَرِيدَةٌ مُتَكَلِّمَةٌ قَادِرَةٌ سَمِيعَةٌ بَصِيرَةٌ وَأَمَّا الْأَعْضَاءُ الْمَكْلُوفَةُ أَعْنِي الَّتِي يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ بِهَا مَا

كلف إن يفعله أو يتركه فهي ثمانية الأذن والعين واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب وأما الصلوات الثمانية المشروع الفعل بها فرضاً وسنة مؤكدة فالصلوات الخمس والوتر من الليل والجمعة والعيان والكسوف والاستسقاء والاستخارة والصلوة على الجنائز وأما الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت في الدعاء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نصلي عليه أي كيف ندعوه وقد أمرنا أن ندعوه بالوسيلة والمقام المحمود ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب فصول هذه الصلوات كلها مكتملة بشروطها وما أتبع ما تحوي عليه من التفاصيل فإن ذلك يطول وإنما أقصد إلى ذكر فصول تجري مجرى الأمهات كما عملنا في الطهارة إلى أن نستوفيها إن شاء الله والصلاة وقعت في الرتبة الثانية من قواعد الإيمان التي بنى الإسلام عليها في الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج فعلم الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم راعى الترتيب لما يدخل الواو من الاحتمال ولهذا لما قال بعض رواة هذا الحديث من الصحابة لما سردته فقال والحج وصوم رمضان أنكروا عليه وقال له وصوم رمضان والحج فقدمه وعلما أنه أراد الترتيب ونبه على إن لا ننقل عنه صلى الله عليه وسلم إلا عين ما تلفظ به فإنه من العلماء من يرى نقل الحديث المتلفظ به من النبي صلى الله عليه وسلم على المعنى فالصلاة ثانية في القواعد مشتقة من المصلي في الخيل وهو الذي يلي السابق في الحلبة والسابق في القواعد الشهادة والمصلي هي الصلاة وجعل الزكاة تلي الصلاة لأن الزكاة التطهير فناسبت الصلاة فإن الصلاة لا يقبلها الله بغير طهور والزكاة تطهير الأموال قال تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا يعني النفس التي سواها يريد قد أفلح من طهرها بامتثال أوامر الله ومن شرط الصلاة طهارة الثياب والأبدان والبقعة التي توقع الصلاة عليها وفيها كانت ما كانت وجعل الصوم يلي الزكاة لما شرع الله في صوم رمضان عند انتقضائه من زكاة الفطر فلم يبق الحج إلا أن يكون آخراً وقد ذكرنا الشهادة التوحيدية وذكرنا من الصلاة الطهارة التي لا تصح الصلاة إلا بها فلنذكر الطهارة إن شاء الله بهذا الباب ولنبدأ بالصلاة المفروضة وما يلزمها ويتبعها من اللوازم والشروط والأركان في أفعالها وأقوالها ثم بعد ذلك أشرع في ذكر الصلوات التي تطلبها الأحوال ومن الله نسأل التأييد والعون

(فصل في الأوقات)

ولأعني بالكلام هنا في الأوقات أوقات الصلوات فقط وإنما أريد الوقت من حيث ما هو وقت سواء كان لعبادة أو غير عبادة فإذا عرفناك بمعناه واعتباره حينئذ نشرع في ذكر الأوقات المشروعة للعبادات فنقول الوقت عبارة عن التقدير في الأمر الذي لا يقبل وجود عين ما يقدر وهو الفرض كما تقدر أو نفرض في الشكل الكروي أولاً أو وسطاً أو نهاية وهو في نفسه وعينه لا يقبل الأولية بالفعل ولا الوسط ولا الآخرة فيجعل له من ذلك ما نجعله بحكم الفرض فيه والتقدير فالوقت فرض مقدر في الزمان لما كان الزمان مستديراً كما خلقه الله في ابتدائه فهو كالآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله فذكر إن الله خلقه مستديراً والأوقات فيه مقدره فلما خلق الله الفلك الأطلس ودار لم يتعين اليوم ولا ظهر له عين فإنه مثل ماء الكوز في النهر قبل إن يكون في الكوز فلما فرض فيه لاثني عشر

فرضا ووقت معينة وسمها بروجاً في ذلك الفلك وهو قوله تعالى وَالسَّمَاءِ لَعَلَّوْهَا عَلِينَا ذَاتِ الْبُرُوجِ وهي هذه الفروض الموقته ووقف شخص يدور عليه هذا الفلك وجعل لهذا الشخص بصر عاين بها تلك الفروض بعلامات جعلت له فيها فتميز عنده بعضها عن بعض بتلك العلامات المجعولة دلالات عليها فجعل عينه في فرض منها أعني في العلامة ثم دار الفلك بتلك العلامة المفروضة التي جعل عينه عليها هذا الناظر وغابت عنه وما برح واقفاً في موضعه ذلك حتى انتهت إليه تلك العلامة فعلم عند ذلك أن الفلك قد دار دورة واحدة بالنسبة إلى هذا الناظر لا بالنسبة إلى الفلك فسمينا تلك الدورة يوماً ثم بعد ذلك خلق الله في السماء الرابعة من السبع السموات كوكباً نيراً عظيم الجرم سماه باللسان العربي شمساً فطلع له به في نظره ذلك الفلك من خلف حجاب الأرض الذي هذا الناظر عليها فسمى ذلك المطلع مشرقاً و الطلوع شروقاً لكون ذلك الكوكب المنير طلع منه وأضاء به الجو الذي هذا الناظر فيه فما زال يتبع بصره حركة ذلك الكوكب إلى أن قارنه فسمى تلك القارنة استواءً ثم أخذ الكوكب نازلاً عن استواءه عند هذا الناظر يطلب جهة اليمين منه لا بالنظر إلى الكوكب في نفسه كما قلنا فسمى أول انفصاله في عين الناظر عن الاستواء زوالاً ودلوكاً ثم ما زال هذا الناظر يتبعه بصره إلى أن غاب جرم ذلك الكوكب فسمى مغيبه غروباً والموضع الذي رأى بصره أنه غاب فيه مغرباً وأظلم عليه الجو فسمى مدة استنارة الجو من مشرق ذلك الكوكب إلى مغربه نهارة لانساع النور فيه مأخوذ من النهر الذي هو اتساع الماء في المسيل الذي يجري فيه فما زال الناظر في ظلمة إلى أن طلع الكوكب المسمى شمساً من الموضع الذي سماه مشرقاً في عين الناظر من موضع آخر متصل بذلك الموضع الذي شرقت منه أمس المسمى درجة فسمى مدة تلك الظلمة التي بقي فيها من وقت غروب الشمس إلى طلوعها ليلاً فكان اليوم مجموع الليل والنهار معاً وسمي المواضع التي يطلع منها هذا الكوكب كل يوم درجة ثم نظر إلى هذا الكوكب النير المسمى شمساً ينتقل في تلك الفروض المقدرة في الفلك المحيط درجة درجة حتى يقطع ذلك بشروق تسمى أياماً فكلما أكمل قطع فرض من تلك الفروض شرع في قطع فرض آخر إلى أن أكمل الاثني عشر فرضاً بالقطع ثم شرع يستدئ كورة أخرى في قطع تلك الفروض فسمى ابتداء قطع كل فرض إلى انتهاء قطع ذلك الفرض شهراً وسمي قطع تلك الفروض كلها سنة فتبين لك أن الليل والنهار واليوم والشهر والسنة هي هذه المعبر عنها بالأوقات وتدق إلى مسمى الساعات ودونها وأن ذلك كله لا وجود له في عينه وأنه نسب وإضافات وإن الموجود إنما هو عين الفلك والكوكب لا عين الوقت والزمان وأنها مقدرات فيها أعني الأوقات وتبين لك أن الزمان عبارة عن الأمر المتوهم الذي فرضت فيه هذه الأوقات فالوقت فرض متوهم في عين موجودة وهو الفلك والكوكب يقطع حركة ذلك الفلك والكوكب بالفرض المفروض فيه في أمر متوهم لا وجود له يسمى الزمان وقد أبت لك حقيقة الزمان الذي جعله الله ظرفاً للكائنات المتحيزات الداخلة تحت هذا الفلك الموقت فيه المفروض في عينه تعيين الأوقات ليقال خلق كذا وظهر كذا في وقت كذا وَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ نَفْصِيلاً سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ وبعد أن علمت ما معنى الزمان والوقت فاعتبره أي جزه واقطعه إلى معرفة الأزل الذي تنعت به خالقك وتجعله له كالزمان لك وإذا كان الزمان لك بهذه النسبة أمراً نسبياً لا حقيقة له في عينه وأنت محدود

مخلوق فالأزل أبعد وأبعد أن يكون حد الوجود الله في قولك وقول من قال أن الله تكلم في الأزل وقال في الأزل وقدر في أزله كذا وكذا و يتوهم بالوهم فيه أنه امتداد كما تتوهم امتداد الزمان في حقه فهذا من حكم الوهم لا من حكم العقل والنظر الصحيح فإن مدلول لفظة الأزل إنما هو عبارة عن نفي الأولية لله تعالى أي لا أول لوجوده بل هو عين الأول سبحانه لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت إحاطتها ومعلولا عنها و فرق بين ما يعطيه وهمك وعقلك وأكثر من هذا البسط في هذه المسألة ما يكون فالحق سبحانه يقدر الأشياء أزلا ولا يقال يوجد أزلا فإنه محال من وجهين فإن كونه موجدا إنما هو بأن يوجد ولا يوجد ما هو موجود وإنما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود وهو المعدم فمحال أن يتصف الموجود الذي كان معدوما بأنه موجود أزلا فإنه موجود عن موجود أوجده والأزل عبارة من نفي الأولية عن الموصوف به فمن المحال أن يكون العالم أزلي الوجود ووجوده مستفاد من موجدة وهو الله تعالى والوجه الآخر من المحال الذي يقال في العالم أنه موجود أزلا لأن معقول الأزل نفي الأولية والحق هو الموصوف به فيستحيل وصف وجود العالم بالأزل لأنه راجع إلى قولك العالم مستفيد الوجود من الله غير مستفيد الوجود من الله لأن الأولية قد انتفت عنه بكونه أزلا فيستحيل على العالم أن يتصف بهذا الوصف السليبي الذي هو الأزل ولا يستحيل الموصوف به وهو الحق أن يقال خلق الخلق أزلا بمعنى قدر فإن التقدير راجع إلى العلم وإنما يستحيل إذا كان خلق بمعنى أوجد فإن الفعل لا يكون أزلا فقد ثبت لك التقدير في الأزل كما ثبت لك التقدير في الزمان وأن الزمان متوهم لا وجود له وكذلك الأزل وصف سليبي لا وجود له فإنه ما هو عين الله وما ثم إلا الله وما هو أمر وجودي يكون غير الحق ويكون الحق مظروفا له فيحصره من كونه ظرفا كما يحصرنا الزمان من كونه ظرفا لنا على الوجه الذي ذكرناه فافهم وبعد أن عرفتكم معنى الأوقات فلنرجع ونبين المراد بأوقات العبادات ومن العبادات أوقات صلوات

(فصل في أوقات الصلوات فنقول)

أوقات الصلاة منها معين وغير معين فغير المعين وقت تذكّر الناسي واستيقاظ النائم فإن وقته عند ما يتذكر إن كان ناسيا أو يستيقظ إن كان نائما و الوقت المعين على قسمين قسم مخلص وقسم مشترك فالمخلص وسط الوقت الموسع في الصلوات كلها وآخر وقت الصبح وأول وقت الظهر فإنه لا يقع فيما ذكرناه اشتراك لصلاة أخرى كما يقع في أواخر الصلوات الأربع والمشارك هو الوقت الذي بين الصلاتين كالظهر والعصر وغيرهما بالخلاف المذكور المعلوم في ذلك عند علمائنا من علماء الشريعة نذكر ذلك في موضعه إن شاء الله عند كلامنا في أوقات الصلوات كلها صلاة صلاة على التفصيل اعتبره قلنا المصلي هو الثاني من السابق في الحلبة وإن الصلاة ثانية في المرتبة من شهادة التوحيد وقد قال الحق سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فجعله في حال الصلاة ثانيا له في القسمة الإلهية فقال في الصلاة مطلقا وما قيد فرضا من تطوع وقد قلنا إن الوقت منه معين وهو في الاعتبار الفرض وغير معين وهو في الاعتبار التطوع فالعارف الذي هو على صلواته دائم وفي مناجاته بين يدي ربه قائم في حرركاته وسكناته فما عنده وقت معين ولا غير معين بل هو صاحب الوقت ومن ليس له هذا المشهد فهو

بحسب ما يذكره ربه من الحضور معه غير أن العارف الدائم الحضور إذا لم يفرق بين الأوقات بما يجده من المزيد والفضل بين ما هو مفروض من ذلك الحضور وبين ما تطوع به من نفسه فهو ناقص المقام كامل الحال لاستصحابه الحضور الدائم فإن الحضور من الأحوال لا الحضور من وجه كذا فإن الحضور من وجه كذا للكامل من الرجال فالأول من أهل الحضور لا فرق عنده بين الوجوه لأنه مستغرق في الحال كاللذة المجهولة عند الإنسان التي لا يعرف سابها والثاني من أهل الحضور وهو الكامل الدائم الحضور بحكم لوجوه كالواجد للذة بما هي لذة فهو ملتذ دائما وبما هي لذة عن طعم علم أو طعم جماع أو طعم شيء ملائم للمزاج يعلم الذائق ذلك ما يبينهن من التمييز والفرقان فإن أسماء الحق تعالى تختلف على قلوب الأولياء بفنون المعارف مع الآتات والأنفاس فيجد في كل نفس و زمان علما لم يكن عنده بر به من حيث ما يعطيه ذلك النفس و الزمان من تجلّي ذلك الاسم الخاص به و لما قسمنا الأوقات إلى مخلص و مشترك فاعلم أن الوقت في هذا الطريق هو ما أنت به في حالك أي شيء كنت به من حسن و سيئ و معرفة و جهل فلا يرتبط و كذلك الأوقات الزمانية بحسب ما يحدث الله فيها في حق كل شخص فالمخلص من الأوقات كل اسم إذا ورد عليك لم يقع في حكمه اشتراك و المشترك كل اسم له وجهان فصاعدا فالأول كالحلي فإنه مخلص للحياة و كذلك العالم مخلص للعلم و الثاني الذي هو المشترك نظير الوقت المشترك كالاسم الحكيم فإن له وجهها إلى العالم و وجهها إلى المدير فإن للاسم الحكيم حكيمين حكما على مواضع الأمور و حكم وضعها في مواضعها بالفعل فكم من عالم لا يضع الشيء في موضعه و كم واضع للأشياء في مواضعها بحكم الاتفاق لا عن علم فالحكيم هو العالم بمواضع الأمور و وضعها في أماكنها على بصيرة فمن كان وقته الحكمة كان في الوقت المشترك و من كان في اسم لا يدل إلا على أمر واحد كالقادر و أمثاله كان في الوقت المخلص فهذه أوقات العارفين في صلواتهم المعنوية على مثال أوقاتهم الظاهرة في صلواتهم البدنية

(فصل في وقت صلاة الظهر)

قال تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا أي مفروضة في وقت معين سواء كان موسعا أو مضيقا فإنه معين ولا بد بقوله مَوْقُوتًا فمن أخرج صلاة مفروضة عن وقتها المعين له كان ما كان من ناس أو متذكر فإنه لا يقضيها أبدا ولا تبرأ ذمته فإنه ما صلى الصلاة المشروعة إذ كان الوقت من شروط صحة تلك الصلاة فليكثر النوافل بعد التوبة ولا قضاء عليه عندنا لخروج وقتها الذي هو شرط في صحتها و وقت الناسي والنائم وقت تذكره واستيقاظه من نومه و هو مؤد ولا بد لا يسمى قاضيا على الاعتبار الذي يراه الفقهاء لا على ما تعطيه اللغة فإن القاضي و المؤدي لا فرق بينهما في اللسان فكل مؤد للصلاة فقد قضى ما عليه فهو قاض بأدائه ما تعين عليه أدائه من الله فلنقل أما وقت صلاة الظهر فاتفق العلماء بالسرعة أن وقت الظهر الذي لا تجوز قبله هو الزوال و اختلفوا منها في موضعين في آخر وقتها الموسع و في وقتها المرغب فيه فأما آخر وقتها الموسع فمن قائل هو أن يكون ظل كل شيء مثله و من أصحاب هذا القول من يقول إن ذلك المثل الذي هو آخر وقت الظهر هو أول وقت العصر و من قائل منهم إنه آخر وقت الظهر خاصة فإن أول وقت العصر إنما هو المثان و إن ما بين المثل و المثان لا يصلح لصلاة الظهر

وأما وقتها المرغب فيه فمن قائل أول الوقت للمنفرد أفضل ومن قائل أول الوقت أفضل للمنفرد والجماعات إلا في شدة الحر ومن قائل أول الوقت أفضل بإطلاق في انفراد وجماعة وحر وبرد ولكل قائل استدلال ليس هذا موضعه اعتباره الاستواء هو وقوف العبد المربوب في محل النظر من غير ترجيح فيما يعمل أي بأي نية يقصد العبادة هل يعتبر بذلك أداء ما يلزمه من حق العبودية وكونه مربوباً أو يعتبر ما يلزمه بذلك من أداء حق سيده وربه فهو في حال الاستواء من غير ترجيح فإذا زالت الشمس ترجح عند ذلك الزوال عنده أن يعبده لما تستحقه الربوبية على العبودية من الإنعام على هذا العبد من وقت الطلوع إلى وقت الاستواء فيعبده شكراً لهذه النعمة وإن نظر إلى زوالها بعين المفارقة لطلب الغروب عنه وإسدال الحجاب دونه عبده ذلة وفقراً وانكساراً وطلباً للمشاهدة فلا يزال يرقبها إلى الغروب ومن الغروب يرقب آثارها بصلاة المغرب والتنفل بعدها لي مغيب الشفق فيغيب أثرها فيبقى في ظلمة الليل سائلاً باكياً متضرعاً يراعي نجوم الليل لاستنارتها بنور الشمس ويسأل ويتضرع إلى طلوع الفجر فيرى آثار الحجيء وقبول دعائه فيعبده شكراً على ذلك وهو يشاهد آثار القبول فيؤدي فرض الصبح ولا يزال مراقباً بالذكري إلى أن تتجلي طاعة فإذا ابضت وزال عنها التغيير الذي يحول بين البصر وبين يابضها من حجب أبحرة الأرض وهي الأنفاس الطبيعية قام إجلالاً على قدم الشكر إلى حد الاستواء فلا يزال في عبادة الفرح والشكر إلى أن تزول فيرجع إلى عبادة الصبر والافتقار وتوقع المفارقة ما دام حياً فهو بين عبادتين وذلك أنه لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ترون ربكم كما ترون الشمس فاعتبر ذلك في عبادته في صلواته المفروضة والتطوع شكراً وفقراً بين نعمة وبلاء وشدة ورخاء فإن المؤمن من استوى خوفه ورجاؤه فهو يدعو ربه خوفاً من حد الزوال إلى الغروب الشفقي وطمعاً بقية ليلته إلى طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إلى حد الاستواء طمعاً أن لا يكون حجاب بعد ذلك هكذا هي عبادات العارفين فافهم فأما آخر الوقت الموسع فهو آخر أحكام الاسم الإلهي المخصوص بذلك الوقت وهو الاسم الظاهر كما إن أول الزوال حكم الاسم الإلهي الأول في الظهور الخاص بالعبادة المشروعة إلى أن يكون ظل كل شيء مثله وهو آخر الوقت كذلك حكم الاسم الإلهي إذا قام به هذا العبد في عبادته الخاصة به في هذا الوقت واستوفاه بحيث أن يكون إذا قابله به كان مثله أي لم يبق في الاسم الإلهي حكم يختص به بهذا الوقت إلا وأثره ظاهر في هذا العبد فقد انقضى حكم هذا الاسم الإلهي في هذا العبد فخرج وقت الظهر ودخل وقت العصر وهو حكم اسم آخر بين الاسمين فرقان متوهم لا ينقسم معقول غير موجود وهو برزخ بينهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت عنه لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الأخرى يعني في الأربع الصلوات لدليل آخر فإنه إذا خرج وقت الصبح لم يدخل وقت الظهر حتى تزول الشمس بخلاف الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح فاعلم ذلك فإن اليوم أربع وعشرون ساعة وهو أربعة أرباع كل ربع ست ساعات فمن طلوع الشمس إلى الظهر ربع اليوم ست ساعات وليس بمحل لصلاة مفروضة بحكم التعيين وإنما قلنا بحكم التعيين من أجل الناسي والنائم فإن الوقت ما عين إيقاع الصلاة في ذلك الوقت وإنما عينه للناسي تذكروه وللنائم تيقظه شرعاً فسواء كان في ذلك الوقت أو في غيره فهذا حررنا القول في ذلك وقلنا بحكم التعيين فإن مذهبي في كل ما أورده إني لأقصد لفظة

بعينها دون غيرها مما يدل على معناها إلا المعنى ولا أزيد حرفاً إلا المعنى فما في كلامي بالنظر إلى قصدي حشو وإن تخيله الناظر فالغلط عنده في قصدي لا عندي وكان من زوال الشمس إلى طلوعها من اليوم الثاني وقتاً مستصحباً لصلوات معينة مفروضة فيها متى وقعت وقعت في وقتها المعين لها كذلك الإنسان مقسم على أربعة أرباع الثلاثة الأرباع منه متعبدة لله بأعمال مخصوصة كالثلاثة الأرباع من اليوم فأرباع الإنسان ظاهره وباطنه الذي هو قلبه ولطيفته التي هي روحه المخاطب منه وطبيعته فظاهره وقلبه وروحه لا ينفك عن عبادة أصلاً تتعلق به فأما أن يطيع وإما أن يعصي والربع الواحد طبيعته وهو مثل زمان طلوع الشمس إلى الزوال من اليوم فهو يتصرف بطبعه مباحاً له ذلك لا حرج عليه إلا إن شاء أن يلحقها بسائر أرباعه في العبادات فيعمل المباح له عمله من كونه مباحاً شرعاً ويحضر مع الأيمان به كالمصلي من طلوع الشمس وإضائه لها إلى أول الزوال أعني الاستواء فلا يمنع من ذلك وهو ليس بوقت وجوب شيء من الصلوات الخمس معين فافهم و أما اعتبار الوقت المرغوب فيه على ما ذكرناه من الاختلاف وانفق الكل على الأولية أو الأكثر واختلّفوا في الأحوال فاعلم إن الأول أفضل الأشياء وأعلاها لأنه لا يكون عن شيء بل تكون الأشياء عنه فلو كان عن شيء لم تصح له الأولية على الإطلاق فكذلك العبد يسعى في أن يعبد ربه من حيث أولية ربه لا من حيث أولية عينه فإن أولية عينه عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الأسباب فهو سبحانه السبب الأول الذي لا سبب لأوليته فإذا عبده العارف في تلك الأولية المنزهة عن إن يتقدمها أولية انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على عبادة كل مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات إلى حين وجوده وهي الأولية المؤثرة في إيجاد الكائنات فقد عبده في الوقت المرغوب فيه سواء عبده بصفة خاصة من أعضائه المكلفة كصلاة الفذ المنفرد أو عبده بجميع أعضائه كصلاة الجماعة أو في زمان الحر أي في شدة خوفه ومجاهدته وحرقة اشتياقه ووجده وولفه وكلفه أو في برد أي في حال علمه وثلج يقينه وبرده على أي حالة كان فالأولى أفضل له فإن الله يقول أمراً سارِعُوا و سَابِقُوا وَأَنْتُمْ عَلَىٰ مِنْ هَذِهِ حَالَتِهِ فَقَالَ أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ فَالْمَبَادِرَةُ إِلَىٰ أَوَّلِ الْأَوْقَاتِ فِي الْعِبَادَاتِ هُوَ الْأَحْوَطُ وَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْعِبَادَةِ فِي حَالِ التَّكْلِيفِ وَهَذَا الْاحْتِرَازُ وَالْاحْتِيَاطُ يَحْمِلُ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ إِذَا وَرَدَ مَعْرَىٰ عَنْ قِرَائِنِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَفْهَمُ مِنْهَا النَّدْبُ أَوْ الْإِبَاحَةُ عَلَىٰ الْوَجُوبِ وَيَحْمِلُ النَّهْيَ كَذَلِكَ عَلَىٰ الْحُظْرِ إِذَا تَعَرَّىٰ عَنْ قَرِينَةِ حَالِ تَعْطِيقِ الْكِرَاهَةِ وَلَا تَتَوَقَّفُ عَنْ حَمْلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَىٰ مَا قَلْنَاهُ إِلَّا بِقَرِينَةِ حَالِ تَخْرُجِهَا عَنْ حَكْمِ الْوَجُوبِ فِي الْأَمْرِ وَحَكْمِ الْحُظْرِ فِي النَّهْيِ فَقَدْ بَانَ لَكَ يَا أَخِي اعْتِبَارُ الْأَوْقَاتِ مطلقاً و اعتبار الوقت المرغوب فيه بعد أن عرفناك بمذاهب علماء الشريعة فيه للجمع بين العبادتين الظاهرة في حسك والباطنة في عقلك فتكون من أهل الجمع والوجود فإنك إذا طلبت الطريق إلى الله من حيث ما شرعه الله كان الحق الذي هو المشرع غايتك وإذا طلبته من حيث ما تعطيه نفسك من الصفاء والالتحاق بعالمها من التنزه عن الحكم الطبيعي عليها كان غايتها الالتحاق بعالم الروحاني خاصة ومن هناك تنشأ لها شرائع الأرواح تسلك عليها وبها حتى يكون الحق غايتها هذا إن فسح الله له في الأجل وإن مات فلن يدرك ذلك أبداً وقد أفردنا لهذه الطريقة خلوة مطلقة غير مقيدة في جزء يعمل عليها المؤمن فيزيد إيماناً ويعمل بها وعليها غير المؤمن من كافر ومعتل ومشارك ومناقف فإذا وفي العمل عليها وبها

كما شرطناه وقررناه فإنه يحصل له العلم بما هو الأمر عليه في نفسه ويكون ذلك سبب إيمانه بوجود الله إن كان معطلاً وتوحيد الله إن كان مشركاً وبحصول إيمانه إن كان كافراً وبإخلاقه إن كان منافقاً أو مرتاباً فمن دخل تلك الخلوّة وعمل بتلك الشرائط كما قررنا أثمرت له ما ذكرناه وما سبقني إليها أحد في علمي إلا إن كان وما وصل إلي فإن الله لا تحجير عليه يؤتي الحكمة من يشاء فإنني أعلم أن أحداً من أهل الطريق ما يجهلها إن كان صاحب كشف تام ولكن ما ذكروها ولا رأيت أحداً منهم نبه عليها إلا الخلوّات المقيدة ولولا ما سألتني فيها أخونا وولينا أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن أبي التوزري ثم المصري المعروف بالقسطلاني الجاور الآن بمكة ما خطر لنا الإبانة عنها فربما اتفق لمن تقدمنا مثل هذا فلم نبهوا عليها لعدم السائل

(فصل بل وصل في وقت صلاة العصر) اختلف علماء الشريعة في أول وقتها مع آخر وقت صلاة الظهر وفي آخر وقت صلاة العصر فمن قائل إن أول وقت العصر هو بعينه آخر وقت الظهر وهو إذا صار ظل كل شيء مثله واختلف القائلون بهذا القول فمن قائل إن ذلك الوقت مشترك للصلاطين معاً ومقداره أن يصلي فيه أربع ركعات إن كان مقيماً أو ركعتين إن كان مقصراً ومن قائل آخر وقت الظهر هو الآن الذي هو أول وقت العصر وهو زمان لا ينقسم جاء الحديث الثابت في إمامة جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الأول وفي الحديث الثابت الآخر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر وقت الظهر ما لم يدخل وقت العصر وحديث آخر ثابت لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى فالحديث الأول يعطي الاشتراك في الوقت والحديثان الآخران يعطي الزمان الذي لا ينقسم فيرفع الاشتراك والقول هنا أقوى من الفعل لأن الفعل يعسر الوقوف على تحقيق الوقت به وهو من قول صاحب على ما أعطاه نظره وقول النبي صلى الله عليه وسلم يخالف ما قاله صاحب وحكم به على فعل صلاة جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسراً للفعل الذي فسره الراوي والأخذ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمرنا أن نأخذ به قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وكان ينبغي في هذه المسألة وأما لها أن لا يتصور خلاف ولكن الله جعل هذا الخلاف رحمة لعباده واتساعاً فيما كلفهم به من عبادته لكن فقهاء زماننا حجروا وضيقوا على الناس المقلدين للعلماء ما وسع الشرع عليهم فقالوا للمقلد إذا كان حنفي المذهب لا تطلب رخصة الشافعي فيما نزل بك وكذلك لكل واحد منهم وهذا من أعظم الرزايا في الدين والحرج والله يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج والشرع قد قرر حكم المجتهد له في نفسه ولمن قلده فأبوا فقهاء زماننا ذلك وزعموا أن ذلك يؤدي إلى التلاعب بالدين وهذا غاية الجهل منهم فليس الأمر والله كما زعموا مع إقرارهم على أنفسهم أنهم ليسوا بمجتهدين ولا حصلوا في رتبة الاجتهاد ولا تقلوا عن أئمتهم إنهم سلكوا هذا المسلك فأكذبوا أنفسهم في قولهم إنهم ما عندهم استعداد الاجتهاد والذي حجروه على المقلدين ما يكون إلا بالاجتهاد نعوذ بالله من العمي والخذلان فما أرسل الله رسوله إلا رحمة للعالمين وأي رحمة أعظم من تنفيس هذا الكرب المهم والخطب الملم وأما آخر وقت العصر فمن قائل إن آخر وقتها أن يصير ظل كل شيء مثليه ومن قائل

إن آخر وقتها ما لم تصفر الشمس ومن قائل إن آخر وقتها قبل أن تغرب الشمس بركة وبه أقول الاعتبار قد تقدم الاعتبار في الوقت المشترك
 بالأسماء الإلهية في حق المتخلق بها من أهل الله وغير المشترك فليؤخذ في كل الصلوات مطلقاً وما بقي من الاعتبار في هذا الفصل إلا
 الاعتبار في الآن الذي لا ينقسم وفي الاصفرار أما اعتبار الآن الفاصل بين الوقتين فهو المعنى الفاصل بين الاسمين اللذين لا يفهم من كل واحد
 منهما اشتراك فظهر حكم كل اسم منهما على الانفراد وهو حد الواقف عندنا فإن الإنسان السالك إذا انتقل من مقام قد احتكمه وحصله
 تخلقاً وذوقاً وخلقاً إلى مقام آخر يريد تحصيله أيضاً يوقف بين المقامين وقفة يخرج حكم تلك الوقفة عن حكم المقامين عن حكم المقام الذي
 انتقل عنه وعن حكم المقام الذي يريد الانتقال إليه يعرف في تلك الوقفة بين المقامين وهو كالألآن بين الزمانين آداب المقام الذي ينتقل إليه وما
 ينبغي أن يعامل به الحق فإذا أبين له عنه دخل في حكم المقام الذي انتقل إليه على علم فإن المقامات في هذا الطريق كأنواع الأعمال في الشريعة
 مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك فكما إن لكل نوع من هذه الأعمال علم يخصه كذلك لكل مقام آداب ومعاملة تخصه و
 قد بين ذلك محمد بن عبد الجبار النفري في كتابه الذي سماه بالمواقف والقول وقفت على أكثره وهو كتاب شريف يحوي على علوم آداب
 المقامات يقول في ترجمة الموقف اسم الموقف يقول في انتقاله إلى موقف العلم مثلاً وهو من جملة مواقفه في ذلك الكتاب فقال موقف العلم ثم قال
 أوقفني في موقف العلم وقال لي يا عبدي لا تأتمر للعلم ولا خلقتك لتدل على سواي ثم قال قال لي الليل لي للقرآن يتلى الليل لي للحمدة و
 الثناء إلى أن ينتهي إلى جميع ما يوقفه الحق عليه فإذا عرف حينئذ يدخل إلى ذلك المقام وهو يعرف كيف يتأدب مع الحق في ذلك المقام قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أدبني فحسن أدبي فهذا هو الآن الذي بين الصلاتين فأهل الأذواق من أهل الله يوقفون فيه فيعطون
 آداب الصلاة التي ينبغي أن يعامل الله بها في ذلك اليوم الخاص هكذا في صلوات كل يوم مع الله في مقام العلم فهذا هو الآن الذي بين الصلاتين وأما
 اعتبار الاصفرار في أنه الحد الآخر وقت العصر فاعلم أولاً أن الاصفرار تغيير يطرأ في عين الناظر فيحكم به أنه في نور الشمس من أجرة
 الأرض الحائلة بين البصر وبين إدراك خالص نور الشمس فاعتباره ما يطرأ في نفس العبد في حكم لاسم الإلهي الحق من الخواطر النفسية
 العرضية في نفس ذلك الحكم فينسبها إلى الحق بوجه غير مخلص وينسبها إلى نفسه بوجه غير مخلص ويقع مثل هذا في الطريق من الأديب ومن
 غير الأديب فأما وقوعه من الأديب فهو الذي يعرف أن النور في نفسه لم يصفر ولا تغير وهو أن الحكم لاسم الإلهي مخلص لا حكم
 لنفس معه وإنما هو ذلك الحكم ربما تعلق عنده اسم عيب عرفاً أو شرعاً فينزه جناب الحق تعالى عن ذلك الحكم بأن ينسبها إليه ولكن
 بمشية الله ويقول وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ هذا هو العيب عرفاً فأضاف المرض إلى نفسه إذ كان عيباً عنده وأضاف الشفاء إلى ربه إذ كان
 حسناً ومع هذا القصد فإن الظاهر في اللفظ إزالة حكم الاسم الإلهي الذي أمرضه فلما علم الخليل عليه السلام هذا القدر نادى ذلك
 الاسم الذي أمرضه بقوله رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين يقول إنه أخطأ وإن كان قصد الأدب حيث نسب المرض لنفسه وما نسبه إلى حكم
 الاسم إلهي الذي أمرضه وما قصد إلا الأدب معه حتى لا يضيف ما هو عيب عندهم عرفاً لي حكم لاسم الإلهي فيفهم من هذا الاعتراف

أن الحكم كان للاسم الإلهي وهو كان مقصود الاسم فجمع هذا العارف بين أدبين في هذه المسألة بين أدب نسبة المرض إلى نفسه وبين الأدب في التعريف إن ذلك المرض حكم ذلك الاسم الإلهي من غير تصريح لكن بالتضمن والإجمال في قوله رب اغفر لي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ولم يسم الخطيئة ما هي يوم الدين يقول يوم الجزاء وهكذا في قوله وَمَا أَسْأَلُكَ إِلَّا الشَّيْطَانَ وَهُوَ قَوْلُ يَوْشَعَ فَتَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَفِي الْحَقِيقَةِ مَا أَسَاءَ إِلَّا اسْمَ إلهي حَكَمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَأَضَافَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ أَدْبَاعَ ذَلِكَ اسْمِ الإلهي الَّذِي أَسَاءَهُ أَنْ يَعْرِفَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَيَاةِ الْحَوْتِ لَمَّا أَرَادَ اللهُ مِنْ تَمَامِ مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمَ الإلهي مِنْ زِيَادَةِ الْأَقْدَامِ الَّتِي قَدَّرَ لَهُ أَنْ يَقْطَعَ بِهَا تِلْكَ الْمَسَافَةَ وَيَجَاوِزَ بِهَا الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ خَضِرٌ فَأَرْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا أَيَّيَّتِبَعَانِ الْأَثَرِ إِلَى أَنْ عَادَا إِلَى الْمَكَانِ فَوَجَدَاهُ تَنْبِيهَا مِنَ اللهِ وَتَأْدِيبًا لَمَّا جَاوَزَهُ مِنَ الْحَدِّ فِي إِضَافَتِهِ الْعِلْمَ إِلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ أَعْلَمَ مِنْ فِي الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ فَلَوْ كَانَ عَالِمًا لَعَلِمَ دَلَالَةَ الْحَقِّ الَّتِي هِيَ عَيْنُ اتِّخَاذِ الْحَوْتِ سَرِيًّا وَمَا عِلْمَ ذَلِكَ وَقَدْ عِلْمَهُ يَوْشَعَ وَنَسَاهُ اللهُ التَّعْرِيفَ بِذَلِكَ لِيُظْهِرَ لِمُوسَى تَجَاوُزَهُ الْحَدِّ فِي دَعْوَاهُ وَلَمْ يَرِدْ ذَلِكَ إِلَى اللهِ فِي عِلْمِهِ فِي خَلْقِهِ الْقِصَّةَ إِلَى آخِرِهَا وَفِيهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِاعْتِبَارِ الصَّفْرَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى نُورِ الشَّمْسِ فِي قَوْلِهِ فِي قِتْلِ الْغُلَامِ فَأَرَدْنَا فَجَعَلَ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى اسْمِ الإلهي وَعَلَيْهِ عَلَى اسْمِ الإلهي بِمَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْقَتْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِالْأَبِينِ وَبِالْغُلَامِ وَعَلَيْهِ بِقَتْلِ نَفْسٍ زَكِيَّةٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَظَاهِرُهُ جُورُ فَشْرِكٍ فِي الضَّمِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ فَدَخَلَ فِي نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى اللهِ فِي الظَّاهِرِ اصْفِرَارُ أَيِّ تَغْيِيرٍ بِاشْتِرَاكِ اسْمِ الْخَضِرِ فِي الضَّمِيرِ مَعَهُ مَعَ قَصْدِ الْأَدْبِ ثُمَّ قَالَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي أَيَّ الْحَقِّ عِلْمِي الْأَدْبِ مَعَهُ فَهَذَا قَدْ أَبْنَتْ لَكَ اعْتِبَارَ الْآنَ وَاصْفِرَارَ الشَّمْسِ فَأَطْرَدَهُ حَيْثُ وَجَدْتَ مَعْنَى الْآنَ الْفَاصِلَ بَيْنَ الزَّمَانَيْنِ وَالصَّفْرَةَ الَّتِي دَخَلَ عَلَى النُّورِ الْخَالِصِ مِنْ اسْمِهِ النُّورِ سَبْحَانَهُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَمَّا لَمْ يَطْلُقْ عَلَى نَفْسِهِ اسْمَ النُّورِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْإِضَافَةَ وَقَالَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَعْلَمْنَا مَا أَرَادَ بِالنُّورِ هُنَا فَاتَّخَذَ حَكْمَ التَّعْلِيمِ وَالْإِعْلَامِ فِي النُّورِ الْمَطْلُوقِ الْإِضَافَةَ فَقَيَّدَهُ عَنْ إِطْلَاقِهِ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَمَّا أَضَافَهُ نَزَلَ عَنْ دَرَجَةِ النُّورِ الْمَطْلُوقِ فِي الصِّفَةِ فَقَالَ مِثْلُ نُورِهِ أَيَّ صِفَةِ نُورِهِ يَعْنِي الْمُضَافَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمِشْكَاةٍ إِلَى أَنْ ذَكَرَ الصَّبَاحَ وَمَادَتَهُ وَأَيَّ صِفَةِ نُورِ السَّرَاجِ وَإِنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنْ صِفَةِ النُّورِ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَعَلِمْنَا سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَدْبِ فِي النَّظَرِ فِي أَسْمَائِهِ إِذَا أُطْلِقْنَاهَا عَلَيْهِ بِالْإِضَافَةِ كَيْفَ فَعَلَّ وَإِذَا أُطْلِقْنَاهَا عَلَيْهِ بِغَيْرِ الْإِضَافَةِ كَيْفَ فَعَلَّ مِثْلَ قَوْلِهِ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مِنْ يَشَاءُ فَأَضَافَ النُّورَ هُنَا إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَا إِلَى غَيْرِهِ وَجَعَلَ النُّورَ الْمُضَافَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هَادِيًا إِلَى مَعْرِفَةِ نُورِهِ الْمَطْلُوقِ كَمَا جَعَلَ الْمَصْبَاحَ هَادِيًا إِلَى نُورِهِ الْمَقْيَدِ بِالْإِضَافَةِ وَتَمَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ ثُمَّ نَهَانَا عَنْ مِثْلِ هَذَا فَقَالَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَاللهُ اسْمٌ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ مِحِيطٌ بِمَعَانِيهَا كُلِّهَا وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ يَخْصُ اسْمًا وَاحِدًا مَعِينًا فَإِنْ ضَرَبْنَا الْأَمْثَالَ لِلَّهِ وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ شَامِلٌ فَمَا طَبَقْنَا الْمَثَالَ عَلَى الْمِثْلِ فَإِنَّ الْمَثَالَ خَاصٌ وَالْمِثْلُ بِهِ مَطْلُوقٌ فَوْقَ الْجَهْلِ بِلَا شَكِّ فَنَهَيْنَا أَنْ نَضْرِبَ الْمِثْلَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا أَنْ نَعِينُ اسْمًا خَاصًا يَنْطَبِقُ الْمِثْلُ عَلَيْهِ فَحِينَئِذٍ يَصِحُّ ضَرْبُ الْمِثْلِ لِذَلِكَ اسْمِ الْخَاصِ كَمَا فَعَلَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ اللهُ وَمَا ضَرَبَ الْمِثْلَ لِلْإِسْمِ اللهُ وَإِنَّمَا عَيْنُ سَبْحَانَهُ اسْمًا آخَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَضَرْبُ الْمِثْلِ بِالْمَصْبَاحِ لِذَلِكَ اسْمِ النُّورِ الْمُضَافِ أَيَّ هَكَذَا فَافْعَلُوا وَلَا

تضربوا الأمثال لله فإنني ما ضربتها فافهموا فهمنا الله وإياكم مواقع خطابه وجعلنا من تأدب بما عرفناه من آدابه أنه اللطيف بإحبابه

(فصل بل وصل في وقت صلاة المغرب الشاهد)

اختلف علماءنا في وقت صلاة المغرب هل لها وقت موسع كسائر الصلوات أم لا فمن قائل إن وقتها واحد غير موسع ومن قائل إن وقتها موسع وهو ما بين غروب الشمس إلى مغيب الشفق وبه أقول باعتبار الباطن في ذلك أعلم أنه إنما وقع الاختلاف لما كانت صلاة المغرب وترا والوتر أحدي الأصل فينبغي أن يكون لها وقت واحد من أجل المناسبة في الوترية ولذلك ورد في إمامة جبريل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى المغرب في اليومين في وقت واحد في أول فرض الصلوات لأن الملك أقرب إلى الوترية من البشر والمغرب وتر صلاة النهار كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل إن الله قد زادكم صلاة إلى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فأوتروا يا أهل القرآن فشببها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها من جعلها واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد شرع وتر صلاة الليل وزاده إلى الصلاة المفروضة وفيها المغرب وهو وتر صلاة النهار وقال إن الله وتر يحب الوتر فقيد المغرب بوترية صلاة النهار وقيد الوتر بوترية صلاة الليل وقال إن الله وتر يحب الوتر يعني يجب الوتر لنفسه فشرع لنا وترين ليكون شفعا لأن الوترية في حق المخلوق محال قال تعالى وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ حَتَّى لَا تَبْغِيَ الْأَحْدِيَةَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَعَ وَتَرَ صَلَاةَ اللَّيْلِ لِيُشْفِعَ بِهِ وَتَرَ صَلَاةَ النَّهَارِ لِيَنْفِرَ دُونَهُ سَبْحَانَهُ بِحَقِّقَةِ الْوَتْرِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الشَّفِيعَةَ فَإِنَّهُ مَا تَمَّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِلَهُ آخِرِ شَفِيعٍ وَتَرِيَةِ الْحَقِّ تَعَالَى كَمَا شَفَعْتَ وَتَرِيَةِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَتَرِيَةِ صَلَاةِ النَّهَارِ فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِيهِ وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ فَخَلَقَ وَتَرَيْنِ فَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَشْفَعُ وَتَرِيَةَ صَاحِبِهِ وَهَذَا لِمَلِيحَتِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةِ النَّافِلَةِ بَلْ قَالَ زَادَكُمْ صَلَاةً إِلَى صَلَاتِكُمْ يَعْنِي الْفَرَائِضَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أُمَّتَهُ فَلَمَّا سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ إِمَامَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ وَقْتِ الصَّلَاةِ صَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمَيْنِ صَلَّى فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الْأَوْقَاتِ وَصَلَّى فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فِي آخِرِ الْأَوْقَاتِ الْخَمْسَ كُلِّهَا وَفِيهَا الْمَغْرِبُ ثُمَّ قَالَ لِلسَّائِلِ الْوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ فَجَعَلَ لِلْمَغْرِبِ وَقْتَيْنِ كَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَأَلْحَقَهَا بِالصَّلَاةِ الشَّفِيعَةِ وَإِنْ كَانَتْ تَوْرًا وَلَكِنَّهَا تَوْرٌ مَفِيدٌ شَفِيعَةٌ وَتَرَ صَلَاةَ اللَّيْلِ فَوَسَّعَ وَقْتَهَا كَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَهُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَعُولَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَتَّأخَّرَ عَنِ إِمَامَةِ جَبْرِيلَ فَوَجِبَ الْأَخْذُ بِهِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانَتْ تَأْخُذُ بِالْأَحْدَثِ فَالْأَحْدَثُ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَثَابِرُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ الْأَوْقَاتِ فَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ مَا لَهَا وَقْتَانِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَقَدْ أَبَانَ عَنِ ذَلِكَ وَصَرَّحَ بِهِ وَمَا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَالْبَيَانُ وَقَدْ فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا اعْتَبَارٌ وَتَعْلِيلٌ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ

(فصل بل وصل في وقت صلاة العشاء الآخرة)

اختلفت علماء الشريعة في وقتها في موضعين في أول وقتها وآخر وقتها فمن قائل إن أول وقتها مغيب حمرة الشفق وبه أقول ومن قائل إن أول

وقتها مغيب البياض الذي يكون بعد الحمرة و الشفق شفقان و هو سبب الخلاف فالشفق الأول صادق و البياض الذي بعده هو الشفق الثاني تقع فيه الشبهة فإنه قد يشبه أن يكون شبه الفجر الكاذب الذي هو ذنبالسرطان و هو المستطيل و جعله الشارع من الليل و لا يجوز بظهوره صلاة الصبح و لا يمنع مريد الصوم من الأكل و يشبه أن يكون شبه الفجر المستطير الذي يصلى بظهوره صلاة الصبح و لا يجوز للصائم أن يأكل بظهوره إلا أن الأظهر عندي إنه يشبه الفجر المستطير الذي يصلى بظهوره الصبح و ذلك لا اتصاله بالحمرة إلى طلوع الشمس لا ينقطع بظلمة كما ينقطع الفجر الكاذب كذلك البياض الذي في أول الليل متصل بالحمرة فإذا غابت الحمرة بقي البياض فلو كانت بين البياض و الحمرة ظلمة قليلة كما يكون بين الفجر المستطيل و حمرة أسفار الصبح كما نلحقها بالفجر الكاذب و نلغي حكمها فكان و الله أعلم أن الذي يراعي مغيب البياض في أول وقت العشاء أوجه ولكن إذا ثبت أن الشارع صلى في البياض بعد مغيب الشفق الأحمر فنقف عنده فللشارع إن يعتبر البياض و الحمرة التي تكون في أول الليل بخلاف ما تعتبرها في آخر الليل و إن كان ذلك عن آثار الشمس في غروبها و طلوعها و أما قوله تعالى و الصبح إذا تنفس فالأوجه عندي في تفسيره أنه الفجر المستطيل لا ينقطع كما ينقطع نفس المتفس ثم بعد ذلك تتصل أنفاسه و أما آخر وقتها فمن قائل إنه ثلث الليل و من قائل إنه إلى نصف الليل و من قائل إنه إلى طلوع الفجر و به أقول و لقد رأيت قولاً و لا أدري من قاله و لا أين رأيت إن آخر وقت صلاة العشاء ما لم تتم و لو سهرت إلى طلوع الفجر (الاعتبار في الباطن في ذلك الاعتبار في أول وقت هذه الصلاة و آخره) اعلم أن العالم قد قسمه الحق على ثلاث مراتب و قسم الحق أوقات الصلوات على ثلاث مراتب فجعل عالم الشهادة و هو عالم الحس و الظهور هو بمنزلة صلاة النهار فأناجي الحق بما يعطيه عالم الشهادة و الحس من الدلالة عليه و ما ينظر إليه من الأسماء و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يعني في الصلاة فناب العبد هنا مناب الحق و هذا من الاسم الظاهر فكان الحق ظهر بصورة هذا القائل سمع الله لمن حمده و كذلك قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حق الأعرابي فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ و هو ما سمع إلا الأصوات و الحروف من فم النبي صلى الله عليه وسلم و قال الله إن ذلك كلامي و أضافه إلى نفسه فكان الحق ظهر في عالم الشهادة بصورة التالي لكلامه فافهم و جعل عالم الغيب و هو عالم العقل و هو بمنزلة صلاة العشاء و صلاة الليل من مغيب الشفق إلى طلوع الفجر فيناجي المصلي ربه في تلك الصلاة بما يعطيه عالم الغيب و العقل و الفكر من الأدلة و البراهين عليه سبحانه و تعالى و هو خصوص دلالة لخصوص معرفة يعرفها أهل الليل و هي صلاة المحيين أهل الأسرار و غوامض العلوم المكتنفين بالحجب فيعطهم من العلوم ما يليق بهذا الوقت و في هذا العالم و هو وقت معارج الأنبياء و الرسل و الأرواح البشرية لرؤية الآيات الإلهية المثالية و التقريب الروحاني و هو وقت نزول الحق من مقام الاستواء إلى السماء الأقرب إلينا للمستغفرين و التائبين و السائلين و الداعين فهو وقت شريف و من صلى هذه الصلاة في جماعة فكأنما قام نصف ليله و في هذا الحديث رائحة لمن يقول إن آخر وقتها إلى نصف الليل و جعل سبحانه عالم التخيل و البرزخ الذي هو تنزل المعاني في الصور الحسية فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية و ليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة و أن ظهورها بتلك الصور أمر

عارض عرض للمدرك لها لا للمعنى في نفسه كالعلم في صورة اللبن والدين في صورة القيد والايان في صورة العروة وهو من أوقات الصلوات وقت المغرب ووقت صلاة الصبح فإنهما وقتان ما هما من الليل ولا من النهار فهما برزخان بينهما من الطرفين لكون زمان الليل والنهار دوريا ولهذا قال تعالى يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ من كور العمامة فيخفي كل واحد منهما بظهور الآخر كما قال يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ أي يغطيه وكذلك النهار يغشى الليل فيناجي المصلي ربه في هذا الوقت بما يعطيه عالم البرزخ من الدلالات على الله في التجليات وتنوعاتها والتحول في الصور كما ورد في الأخبار الصحاح غير أن برزخية صلاة المغرب هو خروج العبد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فيمر بهذا البرزخ الوترى فيقف منه على أسرار قبول عالم الغيب لعالم الشهادة وهو بمنزلة الحس الذي يعطي للخيال صورة فيأخذها الخيال بقوة الفكر فيلحقها بالمعقولات لأن الخيال قد لطف صورتها التي كانت لها في الحس من الكثافة فتروحت بوساطة هذا البرزخ وسببه وتر صلاة المغرب فإن الفعل للوتر فهو الذي لطف صورتها على الحقيقة ليقبلها عالم الغيب والعقل لأن العقل لا يقبل صور الكثيف والغيب لا يقبل الشهادة فلا بد أن يلطف البرزخ صورتها حتى يقبلها عالم الغيب وكذلك برزخ الفجر وهو خروج عالم الغيب إلى عالم الشهادة والحس فلا بد أن يمر ببرزخ الخيال وهو وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فما هو من عالم الغيب ولا من عالم الشهادة فيأخذ البرزخ الذي هو الخيال المعبر عنه بوقت الفجر إلى طلوع الشمس المعاني المجردة المعقولة التي لها الليل فيكثفها الخيال في برزخه فإذا كساها كثافة من تخيله بعد لطفها حينئذ وقعت المناسبة بينها وبين عالم الحس فظهر صورة كثيفة في الحس بعد ما كانت صورة روحانية لطيفة غيبية فهذا من أثر البرزخ يرد المعقول محسوسا في آخر الليل ويرد المحسوس معقولا في أول الليل مثاله أن لصورة الدار في العقل صورة لطيفة معقولة إذا نظر إليها الخيال صورها بقوته وفصلها وكثفها عن لطفها في العقل ثم صرف الجوارح في بنائها بجمع اللبن والطين والحص وجميع ما نخيله البناء المهندس فأقامها في الحس صورة كثيفة يشهدها البصر بعد ما كانت معقولة لطيفة تتشكل في أي صورة شاءت فزالت عنها في الحس تلك القوة بما حصل لها من التقييد فتبقى النهار كله مقيدة بتلك الصورة على قدر طول النهار فإن كان النهار لا انقضاء له كيوم الدار الآخرة فتكون الصورة لا ينتهي أمدها وإن كان أنها ينتضي كيوم الدنيا وأيامها متفاضلة فيوم من أربع وعشرين ساعة ويوم من شهر ويوم من سنة ويوم من ثلاثين سنة ودون ذلك وفوق ذلك فتبقى الصورة مقيدة بتلك المدة طول يومها وهو المعبر عنه بعمرها إلى الأجل المسمى إلى أن يحیی وقت المغرب فيلطف البرزخ صورتها وينقلها من عالم الحس ويؤديها إلى عالم العقل فترجع إلى لطفها من حيث جاءت هكذا حركة هذا الدولاب الدائر فإن فهمت وعقلت هذه المعاني التي أوضحنا لك أسرارها علمت علم الدنيا وعلم الموت وعلم الآخرة والأزمنة المختصة بكل محل وأحكامها والله يفهمنا وإياك حكمه ويجعلنا ممن ثبت في معرفته قدمه فالليل ثلاثة أثلاث والإنسان ثلاثة عوالم عالم الحس وهو الثلث الأول وعالم خياله وهو الثاني وعالم معناه وهو الثلث الآخر من ليل نشأته وفيه ينزل الحق وهو قوله وسعني قلب عبدي وقوله إن الله لا ينظر إلى صوركم وهو الثلث الأول ولا إلى أعمالكم وهو الثلث الثاني ولكن ينظر إلى قلوبكم وهو الثلث الآخر فقد عم الليل كله فمن قال

إن آخر الوقت الثلث الأول فباعبار ثلث الحس و من قال آخره إلى نصف الليل وهو وسط الثلث الثاني فباعبار الثلث الثاني وهو عالم خياله لأنه محل العمل في التلطيف أو التكثيف و من قال إلى طلوع الفجر فباعبار عالم المعنى من الإنسان وكل قائل بحسب ما ظهر له وقد وقع الإجماع بطلوع الفجر أنه يخرج وقت صلاة العشاء فالظاهر أن آخر الوقت إلى طلوع الفجر محل الإجماع والاتفاق على خروج الوقت بطلوع الفجر و بقولنا يقول ابن عباس إن آخر وقتها إلى طلوع الفجر

(فصل بل وصل في وقت صلاة الصبح)

اتفق الجميع على إن أول وقت الصبح طلوع الفجر و آخره طلوع الشمس و اختلفوا في وقتها المختار فمن قائل إن الأسفار بها أفضل و من قائل إن التغليس بها أفضل و به أقول (الاعتبار في الباطن في ذلك) اعلم أنه من غلب على فهمه من قوله صلى الله عليه وسلم و قول الله تعالى في رؤية الله إن ذلك راجع إلى العلم و العقل لا إلى البصر و به قال جماعة من العقلاء النظار من أهل السنة فهم بمنزلة من يرى التغليس و من غلب على فهمه مما ورد في الشرع من الرؤية أن ذلك بالبصر وأنه لا يقدح في الجناب الإلهي و أن الجهة لا تقيد البصر وإنما تقيد الجارحة فهو بمنزلة من يرى الأسفار بصلاة الصبح بحيث أن يبقى لطلوع الشمس قدر ركعة أو يسلم مع ظهور حاجب الشمس و العجب من هذا أن الذي ذهب إلى أن الرؤية الواردة في الشرع محمولة على العلم لا على البصر يرى الأسفار بالصبح و أن الأكثر من الذين يرون أن الرؤية الواردة في الشرع يوم القيامة محمولة على البصر لا على العلم يرون التغليس بالصبح فهذا أحسن وجه في اعتبار هذا الوقت و أعمه و أعلاه و له اعتبارات غير هذا و لكن يجمعها كلها ما ذكرناه و لا يجمع تلك الاعتبارات التي تركناها حقيقة هذا الاعتبار الذي ذكرناه فهذا اقتصرنا عليه و الله يقولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ أَنْتَهَى الْجُزْءَ السَّادِسَ وَ الثَّلَاثُونَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل بل وصل في أوقات الضرورة و العذر فقوم أثبتوها و قوم نفوها)

و الخلاف مشهور بينهم في ذلك اعتبار الباطن في ذلك من نسب الأفعال إلى الله نفاها و من أثبت الفعل للعبد كسبا أو خلقا بأي وجه كان من هذين أثبتها

(فصل بل وصل في أوقات الضرورة عند مثبتها)

اتفق العلماء بالسرعة على أنها لأربع للحائض تطهر في هذه الأوقات أو تحيض في هذه الأوقات و هي لم تصل و المسافر يذكر الصلوات في هذه الأوقات و هو حاضر أو الحاضر يذكرها فيها و هو مسافر و الصبي يحتلم فيها و الكافر يسلم و اختلفوا في المعنى عليه فمن قائل هو كالحائض لا يقضي الصلاة و من قائل يقضي فيما دون الخمس الاعتبار الباطن في ذلك الحائض تطهر في وقت الضرورة التائب من الكذب لضرورة و الطاهر تحيض الصادق يكذب للضرورة اعتبار المسافر و الحاضر المسافر بفكره أو بذكره يذكر ما فاتة في وقت سفره في حصوله في المقام

لنقص يشاهده فيه يعلم أنه نسي ذلك في وقت سفره والحاضر يعني صاحب المقام يذكر في حال سفره ما فاتته في وقت إقامته من الأدب مع الحق كقولهم أقعد على البساط وإياك والانبساط لخلل يراه في سفره فيعلم إن ذلك من آثار ما فاتته من الأدب في مقامه قال تعالى لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ نَصَبٌ لِيَتَذَكَّرَ دَلَالَةَ الْحَوْتِ اعْتِبَارَهُ فِي الصَّبِيِّ يَبْلُغُ فِيهَا الْعَبْدُ يَكُونُ تَحْتَ الْحَجَرِ فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ وَقَوَاهُ وَجَوَارِحَهُ كَمَا وَرَدَ فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْحَجَرِ فَإِذَا أَدْرَكَهُ هَذَا الْحَالُ وَهُوَ فِي حَكْمِ اسْمِ إلهِي لَمَّا ذَا يَكُونُ الْحَكْمُ فِيهِ هَلْ لِلْاسْمِ الَّذِي كَانَ تَحْتَ حَكْمِهِ أَوْ لِلْاسْمِ الَّذِي انْتَقَلَ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْوَقْتَ مَشْتَرِكٌ وَكَذَلِكَ الْاعْتِبَارُ فِي الْكَافِرِ يَسْلَمُ فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ وَالْكَافِرُ هُوَ صَاحِبُ السِّرِّ وَالْغَيْبَةِ تَغْلِبُ عَلَيْهِ وَالْغَيْبَةُ عَلَى الْحَقِّ لَا تَصِحُّ وَفِي الْحَقِّ تَصِحُّ وَلِلْحَقِّ تَصِحُّ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ إِنْ لَا غَيْرَ وَلَا سِيْمَا إِنْ عَرَفَ مَعْنَى هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَمَا تَمَّ إِلَّا هَذِهِ الْأَحْوَالُ وَهُوَ الْكُلُّ إِذْ هُوَ عَيْنُهَا فَمَنْ يَغَارُ أَوْ مَن يَغَارُ أَوْ عَلَى مَنْ يَغَارُ أَوْ فِيمَنْ يَغَارُ أَخْبَرُونِي أَخْبَرُونِي إِنِّي حَرْتُ فِي اللَّهِ فَمَا أَصْنَعُهُ وَأَمَّا اعْتِبَارُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ فَهُوَ صَاحِبُ الْحَالِ مَا حَكْمَهُ إِذَا أَفَاقَ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَوْ أَخَذَهُ الْحَالُ فِي هَذَا الْوَقْتِ هُوَ مَعَ الْاسْمِ الْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ الْحَاكِمِ فِيهِ

(فصل بل وصل في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها)

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها هي بالاتفاق والاختلاف خمسة أوقات وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت الاستواء وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر اعتبار ذلك في الباطن وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الشَّمْسُ الْحَقُّ وَالصَّلَاةُ الْمُنَاجَاةُ فَإِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ كَانَ الْبَهْتُ وَالْفَنَاءُ فَلَمْ يَصِحَّ الْكَلَامُ وَلَا الْمُنَاجَاةُ فَإِنَّ هَذَا الْمَقَامَ الْإلهِيَّ يَعْطِي أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا أَشْهَدَكَ لَمْ يَكْلَمْكَ وَإِذَا كَلَمْكَ لَمْ يَشْهَدَكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّجَلِّيُّ فِي الصُّورَةِ عِنْدَ ذَلِكَ تَجْمَعُ بَيْنَ الْكَلَامِ وَالْمَشَاهِدَةِ وَإِذَا غَابَ الْمَشَاهِدُ عَنْ نَفْسِهِ لَمْ تَصِحَّ الْمُنَاجَاةُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ بِلَا شَكٍّ وَقَدْ عَلِمْتَ إِنَّ الْعَبْدَ غَائِبٌ عِنْدَ الشُّهُودِ لَا سِتْيَاءَ الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ فَلَا مُنَاجَاةَ وَفِي وَقْتِ الْاسْتِوَاءِ يَغِيبُ عَنكَ ظِلُّكَ فِيكَ وَظِلُّكَ حَقِيقَتُكَ وَالنُّورُ قَدْ صَفَّ بِكَ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَغَمْرُكَ فَلَا يَتَّعِينَ لَكَ أَمْرٌ تَسْجُدُ لَهُ إِلَّا وَعَيْنُهُ مِنْ خَلْفِكَ كَمَا هُوَ مِنْ أَمَامِكَ وَمَنْ عَنِ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ وَفَوْقَكَ فَلَا يَجْذِبُكَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِكَ لِأَنَّكَ نُورٌ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِكَ وَالصَّلَاةُ نُورٌ فَانْدَرَجَتْ الْأَنْوَارُ فِي الْأَنْوَارِ وَالصَّلَاةُ لَا تَصْلِي لَهَا وَأَمَّا بَعْدَ الصَّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَهُوَ وَقْتُ خُرُوجِكَ مِنْ عَالِمِ الْبَرَزَخِ إِلَى عَالِمِ الشَّهَادَةِ وَالصَّلَاةُ لَمْ يَفْرَضْ وَقْتُهَا إِلَّا فِي الْحَسَنِ لَا فِي الْبَرَزَخِ وَكَذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَإِنَّ السَّفَلَ بَضْمَ الْحَبِيبِ يَغْنِي عَنْ مَخَاطَبَتِهِ لِسِرِّيَانِ اللَّذَّةِ فِي ذَلِكَ الضَّمِّ

(فصل في الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات المنهي عن الصلاة فيها)

فمن قائل هي الصلاة كلها بإطلاق ومن قائل هي ما عدا المفروض من سنة أو نفل ومن قائل هي النفل دون السنن ومن قائل هي النفل فقط بعد الصبح والعصر والنفل والسنن معا عند الطلوع والغروب وأما عندنا فإن هذه الأوقات هي للفرائض للنائم والناسي يتذكر أو يستيقظ فيها ولقضاء النوافل إذا شغل عنها أن يصلحها في الوقت الذي كان عينه لها اعتبار الباطن في ذلك المناجاة الإلهية بين الله وبين عبده على

أربعة أقسام مناجاة من حيث إنه يراك و مناجاة من حيث إنك تراه و مناجاة من حيث إنه يراك و تراه و مناجاة لبعض أهل النظر في الاعتقادات بالأدلة من حيث إنك لا تراه علما في اعتقاد ولا تراه بصرا في اعتقاد ولا يراك بصرا في اعتقاد ولا علما في اعتقاد من نفى عنه العلم بالجزئيات لكن تراه علما لاندرج الجزء في الكل وهذا ما هو اعتقادنا ولا اعتقاد أهل السنة بل هو سبحانه بكل شيء عليم وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح عنه أنه يراك وقد نهناك على مأخذ الاعتبارات في هذه الأقسام وأنت تعرف قسمك منها ومن عرف قسمه فمن هناك ثبتت مناجاته أو يحيلها

(فصول بل ووصول الأذان والإقامة)

الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء للاجتماع إلى الصلاة في المساجد والإقامة الدعاء إلى المناجاة الإلهية الاعتبار في الباطن في ذلك الأذان الإعلام بالتجلي الإلهي لتظهر الذوات لمشاهدته والإقامة للقيام لتجليه إذا ورد يوم يقوم الناس لرب العالمين

(فصل بل وصل في صفات الأذان)

اعلم أن الأذان على أربع صفات الصفة الأولى تشبیه التكبير و تربع الشهادتين و باقية مثنى و بعض القائلين بهذه الصفة يرون الترجيع في الشهادتين و ذلك أن يثنى الشهادتين أولا خفيا ثم يثنىها مرة ثانية مرفوع الصوت بها وهذا الأذان أذان أهل المدينة الصفة الثانية تربع التكبير الأول و الشهادتين و تشبیه باقي الأذان وهذا أذان أهل مكة الصفة الثالثة تربع التكبير الأول و تشبیه باقي الأذان وهذا أذان أهل الكوفة الصفة الرابعة تربع التكبير الأول و تثليث الشهادتين و تثليث الحيعلتين يبتدئ بالشهادة إلى أن يصل إلى حي على الفلاح ثم يعيد ذلك على هذه الصفة ثانية ثم يعيدها أيضا على تلك الصورة ثلاثة الأربع الكلمات نسقا ثلاث مرات وهذا أذان أهل البصرة اعتبار الباطن في ذلك تشبیه التكبير للكبير و الأكبر و تربيعة للكبير و الأكبر و لمن تكبر نفسا و حسا مشروعا كان ذلك التكبير كحديث أبي دجانة أو غير مشروع و التربع في الشهادتين للأول و الآخر و الظاهر و الباطن و تشبیه ما بقي لك وله تعالى و تثليث الأربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة و هو كما قلنا مذهب البصريين إعلام بالمرّة لواحدة لعالم الشهادة و بالثانية لعالم الجبروت و بالثالثة لعالم الملكوت و عند أبي طالب المكي الثانية لعالم الملكوت و الثالثة لعالم الجبروت تحقيق ذلك هو أن الإنسان إذا نظر بعين بصره و عين بصيرته إلى الأسباب التي وضعها الله تعالى شعائر و أعلاما لما يريد تكوينه و خلقه من الأشياء لما سبق في علمه أن يربط الوجود بعضها ببعضه و دل الدليل على توقف وجود بعضه على وجود بعضه و سماع ثناء الحق تعالى على من عظم شعائر الله و إن ذلك التعظيم لها من تقوى القلوب في قوله تعالى في كتابه العزيز و من يُعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب قال عند ذلك الله أكبر يقول و إن كانت عظيمة في نفسها بما تدل عليه و عظيمة من حيث إن الله أمر بتعظيمها فموجدها و خالقها الأمر بتعظيمها أكبر منها و هذه هي أكبر للمفاضلة و هي أفعل من فلما أتمها كوشف هذا الإنسان الناطق بها على حقارة الأسباب في أنفسها لانفسها و افتقارها لي موجدها لإمكانها افتقار المسببات على السواء و رآها عينا و كشفا عند كشف الغطاء عن بصره ناطقة بتسيح

خالقها وتعظيمه فإنه القائل وإن من شيء إلا يسبح بحمده تسبيح نطق يليق بذلك الشيء لا تسبيح حال ولهذا قال لا تفقهون تسبيحهم لاختلاف ما يسبحون به إلا لمن سمعه أنه كان حليماً حيث لم يؤاخذ ولم يعجل عقوبة من قال إنه تسبيح حال غفوراً ساتراً نطقهم عن أن تتعلق به الأسماع إلا لمن خرق الله له العادة فقد ورد أن الحصى سبج بحضور من حضر من الصحابة في كهف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال الحصى مسبحاً وما خرق اسم العادة إلا في إسماع السامعين ذلك بتعلقها بالمسموع وما قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم إلا في معرض الرد على من يقول أنه تسبيح حال فإن العالم كله قد تساوى في الدلالة فمن يقول بتسبيح الحال فقد أكذب الله في قوله تعالى لا تفقهون وأما قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يعني خير له ممن يعظم شعائر الله إذا جعلنا خير بمعنى أفعال من يميز بين تعظيم الشعائر وتعظيم حرمة الله فإن حرمة الله ذاتية فهو يقتضي التعظيم لذاته بخلاف الأسباب المعظمة فإن الناظر في الدليل ما هو الدليل له مطلوب لذاته فينتقل عنه ويفارقه إلى مدلوله فهذا العالم دليل على الله لأننا نعبّر منه إليه تعالى ولا ينبغي أن نتخذ الحق دليلاً على العالم فكنا نجوز منه إلى العالم وهذا لا يصح فما أعلى كلام النبوة حيث قال من عرف نفسه عرف ربه وقال تعالى أفلا ينظرون إلى كذا وعدد المخلوقات لتتخذ أدلة عليه لا ليوقف معها فهذا الفرق بين حرمة الله وشعائر الله فنقول ثاني مرة الله أكبر تعظيماً لحرمة الله لا بمعنى المفاضلة وذلك معروف في اللسان فمعناه الله الكبير لأفعل من فهو الكبير واضح الأسباب وأمرنا بتعظيمها ومن لا عظمة له ذاتية لنفسه فعظمته عرض في حكم الزوال فالكبير على الإطلاق من غير تقييد ولا مفاضلة هو الله فهذه التكبيرة الثانية المشروعة في الأذان وأنها لها تين صورتين فإن ريع التكبير فيكون نشية التكبيرة الواحدة على الحد الذي ذكرناه حساً وعقلاً أي كما كبره اللسان بلفظ المفاضلة كذلك كبيرة عقلاً كأنه يقول الله أكبر باللسان كما هو أكبر بالعقل أي هو أكبر بدليل الحسر ودليل العقل ثم يثنى التكبيرة الأخرى أيضاً حساً وعقلاً فيقول الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة حساً الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة عقلاً حرمة وشرعاً فهذا مشهد من ريع التكبير في الأذان الذي هو الإعلام بالإعلان ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله خفياً يسمع نفسه وهو بمنزلة من يتصور الدليل أولاً في نفسه ثم بعد ذلك يتلفظ به وينطق معلناً في مقابلة خصمه أو يعلم غيره مساق ذلك الدليل وذلك أن يشهد هذا المؤذن في هذه الشهادة أنه يرى الأسباب المحجوبة عن المعرفة بالله التي أعطيت قوة النطق وحجبت عن إدراك الأمر في نفسه بالجهل أو عن إدراك ما ينبغي لجلال الله من إضافة الكل إليه بحجاب الغفلة فيقول الجاهل أنا ربكم الأعلى أو المستخف وهو ضرب من الجهل أو يقول ما علمت لكم من إله غيري وقد يمكن أن يكون كاذباً عند نفسه عالماً بأنه كاذب لكنه فاستحف قومه فطاعوه ويقول أنا أنعمت على فلان أنا وليت فلاناً أنا علمت فلاناً لعلم الذي عنده والقرآن ولولاً أنا ما علم شيئاً مما علمه وسمع الله يقول أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وقال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وهي الأسباب التي وجدتم عندها ثم قال لمن يرى إنا وجدنا بالأسباب لا عندها فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون أنه أوجد الأسباب وأوجدكم عندها لا بها فيقول عند ذلك أشهد أن لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله فينفي ألوهية كل من ادعاها لنفسه من دون الله وأثبتها لمستحقها لو

ادعاها مع الله كالمشرك فشهد بذلك لله عقلا و شرعا وحسا ومعنى هذا كله مع نفسه كمتصور الدليل أولا ثم يرفع بها صوته لسمع غيره من متعلم ومدع وجاهل وغافل عن قوله تعالى الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَأَمْثَلَهُ مِثْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ فَقَطَعَ حَكْمَ لِأَسْبَابِ فَهَذَا مَعْنَى الشَّهَادَةِ وَتَثْنَيْهَا وَتَرْبِيعَهَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا تَشْهَدُ بِالتَّوْحِيدِ بِمَا أَعْطَاهُ الدَّلِيلُ شَهِدَ بِهِ عِلْمًا لِأَعْلَى طَرِيقِ الْقُرْبَةِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ عَقْلُهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ التَّلْفِظَ بِذَلِكَ وَأَنَّ النَّظْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ يَقْرُبُ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّمَا حَظَّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ نَفْسَهُ تَشْرَفُ بِصِفَةِ الْعِلْمِ عَلَى مَنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ وَأَنَّ التَّصْرِيحَ بِهِ وَبِكُلِّ دَلِيلٍ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى جِهَةِ تَعْلِيمٍ مِنْ لَا يَعْلَمُ وَإِرْدَاعِ الْمَعَانِدِ تَشْرِيفًا لِهَذَا النَّفْسِ عَلَى نَفْسٍ مِنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا حَكْمَ لِلْعَقْلِ فِي اتِّخَاذِ شَيْءٍ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ فَجَاءَ الرَّسُولُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَأَنْ يَنْظُرَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَخْفِيهِ فِي نَفْسِهِ وَيَسْرَهُ وَفِي التَّعْلِيمِ وَالْإِرْدَاعِ لِلغَيْرِ إِذَا أَعْلَنَ بِهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ فَيَكُونُ مَعَ كَوْنِهِ عِلْمًا بِعِبَادَةِ يَقُولُ الْعَالِمُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَدْنَى أَوْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَدِّنُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ عِلْمًا وَعِبَادَةً وَيَقُولُهَا الْعَامِي تَقْلِيدًا وَتَعْبُدًا وَالتَّثْنِيَةَ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ الرَّسَالِيَّةِ وَالتَّرْبِيعَ وَالْحَكْمَ فِيهَا عَلَى حَكْمِ شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ سِوَاءَ فِي الْمَرَاتِبِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سِوَاءَ فَإِنَّ ثَلَاثَ كَأَذَانَ الْبَصْرِيِّينَ الْأَرْبَعِ الْكَلِمَاتِ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فَهِيَ أَنْ يَقُولَهَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى عِلْمًا وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ تَعْلِيمًا لِأَنَّهُ مَعْلَنٌ وَفِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ عِبَادَةً فَهِيَ كِلْمَا عِلْمٌ وَتَعْلِيمٌ وَعِبَادَةٌ فَافْهَمُ مَا خَالَفَ الْبَصْرِيُّونَ الْكُوفِيِّينَ وَالْحِجَازِيِّينَ وَالْمَدِينِيِّينَ إِلَّا فِي هَذَا أَعْنَى التَّثْلِيثِ وَالنَّسْقِ وَكُلِّ سَنَةِ وَالْإِنْسَانَ مَخْبِرٌ يُؤَدِّنُ بِأَيِّ صِفَةٍ شَاءَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ مَذْهَبُنَا كَالرَّوَايَاتِ الْمُخْتَلَفَةِ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لَنَا فِي الْأَذَانِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ أَنْ يَقُولَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ مِثْنِي نَدْعُو بِالْوَاحِدَةِ نَفْسِي وَنَدْعُو بِالثَّانِيَةِ غَيْرِي وَمَعْنَاهُ أَقْبَلُوا عَلَى مَنَاجَاةِ رَبِّكُمْ فَطَهَّرُوا وَاتَّمُوا الْمَسَاجِدَ بِالْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ وَمَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَقُولُ لَهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ حِينَ يَتَنَهَّأُ طَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ وَاحْضَرُوا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكُمْ فَإِنَّكُمْ فِي بَيْتِهِ قَصْدْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِ مَنَاجَاةِهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ بِالْأَعْتَابِيِّينَ أَيْضًا وَالتَّفْسِيرِينَ فِي الْمَرَّتَيْنِ يَقُولُ لِلخَارِجِ وَالْكَائِنِ فِي الْمَسْجِدِ وَلِنَفْسِهِ وَغَيْرِهِ أَقْبَلُوا عَلَى مَا يَنْجِيكُمْ فَعَلَهُ مِنْ عَذَابِهِ بِنِعْمِهِ وَمَنْ حَجَّابَهُ بِتَجْلِيهِ وَرُؤْيَاهُ وَأَقْبَلُوا بِالثَّانِيَةِ مِنْ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ عَلَى مَا يَبْقِيكُمْ فِي نَعِيمِكُمْ وَلَذَّةِ مَشَاهِدَتِكُمْ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لِنَفْسِهِ وَغَيْرِهِ وَلَمَنْ هُوَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ كَالْحَاضِرِ فِي الْمَسْجِدِ وَمَنْ هُوَ خَارِجٌ فِي أَشْغَالِهِ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَيُّ اللَّهِ أَوْلَى بِالتَّكْبِيرِ مِنَ الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِقْبَالِ الَّذِي أَمْرُنَاكُمْ بِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَعَلَى الْفُوزِ وَالْبَقَاءِ فِي الْحَيَعَلَتَيْنِ وَإِنَّمَا لِمِ بَرِيعِ الثَّانِيِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ الْأَوَّلِ فَإِنَّ الثَّانِيِ أَعْنَى التَّكْبِيرِ وَالْحَيَعَلَتَيْنِ إِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ الْقُرْبَةَ وَالْعَقْلَ لَا يَسْتَقِلُّ بِأَدْرَاكِهَا فَهِيَ لِلشَّرْعِ خَاصَّةٌ فَلِهَذَا لَمْ يَبْرِيعِ الْحَيَعَلَتَيْنِ وَلَا التَّكْبِيرِ الثَّانِيِ وَثَنِي لِكَوْنِهِ خَاطِبَ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ وَالْكَائِنِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِ الْكَائِنِ ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَخَتَمَ الْأَذَانَ بِالتَّوْحِيدِ الْمَطْلُوقِ لَمَّا كَانَ الْأَذَانَ يَتَضَمَّنُ أُمُورًا كَثِيرَةً فِيهَا أَعْمَالٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فَرِمَا يَقَعُ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ أَنَّهُ مَا دَعِيَ إِلَى أَنْ يَفْعَلَهَا إِلَّا وَالْفِعْلُ لَهُ حَقِيقَةٌ وَالدَّاعِي أَيْضًا كَذَلِكَ فَيَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَضِيفَ الْفِعْلَ إِلَى نَفْسِهِ خَلْقًا كَمَا يَرَاهُ بَعْضُهُمْ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ مِنْ جَمَلَةِ الْأَدْلَةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ إِلَّا أَنْفَرَادَهُ بِالْخَلْقِ مِثْلَ قَوْلِهِ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فَهِيَ الْوَهْمِيَّةُ خَفِيَّةٌ فِي نَفْسِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَهُوَ الشَّرْكُ الْخَفِيُّ الْمَعْفُوعُ عَنْهُ فَخَتَمَ الْأَذَانَ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ غَيْرِ تَثْنِيَّةٍ وَلَا تَثْلِيثٍ وَلَا تَرْبِيعٍ وَهَذَا هُوَ

التوحيد المطلق الذي جاءت به الأنبياء من عند الله عن الله وهي أفضل كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبون من قبله فيتنبه السامعون كلهم أنه لا إله إلا الله فوحد لطلبه التوحيد على الإطلاق وما زاد على التوحيد في كل أذان مشروع من الأربعة مذاهب في ذلك و أما التثويب في أذان صلاة الصبح وهو قولهم الصلاة خير من النوم من الناس من يراه من الأذان المشروع فيعتبره ومن الناس من يراه من فعل عمر فلا يعتبره ولا يقول به وأما مذهبنا فإننا نقول به شرعا وإن كان من فعل عمر فإن الشارع قرره بقوله من سن سنة حسنة ولا شك أنها سنة حسنة ينبغي أن تعتبر شرعا وهي بهذا الاعتبار من الأذان المسنون إلا في مذهب من يقول إن المسنون هو الذي فعل في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعرفه وقرره أو يكون هو الذي سنه صلى الله عليه وسلم فيكون حاصله عند صاحب هذا القول أنه لا يسمى سنة إلا ما كان بهذه الصفة فما هو خلاف يعتبر ولا يقدر وأما من زاد حي على خير العمل فإن كان فعل في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى أن ذلك دعا به في غزوة الخندق إذ كان الناس يحفرون الخندق فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث فنأدى المناادي أهل الخندق حي على خير العمل فما أخطأ من جعلها في الأذان بل اقتدى إن صح هذا الخبر أو سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وما كرهها من كرهها إلا تعصبا فما أنصف القائل بها نعوذ بالله من غوائل النفوس

(فصل بل وصل في حكم الأذان)

فمن قائل إنه واجب ومن قائل إنه سنة مؤكدة والقائل بوجوبه منهم من يراه فرضا على الأعيان ومنهم من يراه فرض كفاية ومن قائل إن الأذان فرض على مساجد الجماعات وهو مذهب مالك وفي رواية عنه إنه سنة مؤكدة ولم يره على المنفرد لا فرض ولا سنة ومن قائل إنه هو واجب على الأعيان ومن قائل إنه واجب على الأعيان على الجماعات سفرا وحضرا ومن قائل سفرا لا غير ومن قائل إنه سنة للمنفرد والجماعة إلا أنه أكد في حق الجماعة واتفق الجميع على أنه سنة مؤكدة أو فرض على المصر وبه كان يقول شيخنا أبو عبد الله بن العاص الدلال بإشيلية سمعته من لفظه غير مرة وكان يقول إذا اجتمع أهل مصر على ترك الأذان أو ترك سنة وجب غزوهم واحتج بالحديث الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا قوما صبحهم فإن سمع نداء لم يغزو وإن لم يسمع نداء أغار الاعتبار في الباطن في ذلك حق كل نفس إن تدعون نفسها وغيرها إلى طاعة الله بعد وضع الشريعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث ولصاحبه إذا كتتما في سفر فأذنا وأقيما الحديث والإنسان مسافر مع الأنفاس منذ خلقه الله دنيا وآخرة لا يصح له أن يكون مقوما أبدا ولو أقام زائدا على نفس واحد لتعطل فعل الإله في حقه فالحق سبحانه في كل نفس في الخلق في شأن وهو أثره في كل عين موجودة بكيفية خاصة أشهدنا الله دقيقتها و جليلها فما أعز صاحبها عند الله فمن فاته مراعاة أنفاسه في الدنيا والآخرة لقد فاته خير كثير

(فصل بل وصل في وقت الأذان)

اتفق العلماء على أنه لا يؤذن للصلاة قبل دخول وقتها ما عدا الصبح فإن فيه خلافا فمن قائل بجواز ذلك أنه يؤذن لها قبل الفجر ومن قائل

بالمع وبه أقول فإن الأذان قبل الوقت إنما هو عندي ذكر بصورة الأذان ما هو الأذان على جهة الإعلام بدخول وقت الصلاة فقد كان بلال يؤذن بليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يمنعكم أذان بلال عن الأكل والشرب يعني في رمضان ولمن يريد الصوم فإنه يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى فكان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت فالمؤذن عندي لا يجب إلا بعد دخول الوقت ومن قائل لا بد للصبح من أذانين أذان قبل الوقت وأذان بعده وقال أبو محمد بن حزم لا بد للصبح من أذان بعد الوقت اعتبار الباطن في ذلك دعاء النفوس إلى الله من الله في نفس الأمر ودعاؤها من الأكوان بالنظر إلى الغافلين أو الجهلاء الذين هم تحت حكم الأسماء الإلهية أو التصريف الإلهي وهم لا يشعرون فلهذا قلنا في نفس الأمر فاعلم إن الوقت سلطانا لا يحكم فيه غيره فلا بد أن يتعين عند المحكوم عليه سلطان الوقت وهو الاسم الإلهي الخاص بذلك الوقت فلا يمكن أن يدعى لها بطريق الوجوب إلا بعد دخول الوقت فعند ذلك يكون ممن دعا إلى الله على بصيرة فإنه دعاء خاص في كل وقت بما يليق بذلك الوقت فإن دعا في غير وقته وقع الإنسان في الجهل فإنه يدعوه بما يخرج عن سلطان حكمه الذي يرتبه السامع في نفسه فلا بد من الدعاء له بعد دخول وقته حتى يتعين من هو صاحب الوقت من هذه الأسماء الإلهية انظر هل يصح منك الشكر قبل دخول حكم الاسم المنعم فإذا كان وقتك النعمة ودخل وقتها بوجودها عندك دعيت إلى شكر المنعم وإنما دخل الخلاف في الصبح لجهل السامع بمقصود الشارع بذلك الذكر فإنه دعاء لصاحب الوقت بخلاف سائر الصلوات فإن الليل لما كان محلا للنوم ونام الناس شرع النداء الآخر الذي هو الأول لإيقاظ النائمين فهو دعاء للانتباه والاستعداد لإيقاع صلاة الصبح في أول الوقت فهو نداء تحضيض وتحريض وجعل بصورة الأذان المشروع للصلاة أي من أجل الصلاة دعوناكم لتذكروها فتأهبوا لها فإذا دخل وقتها وجب الإعلام بدخول الوقت لجهل السامعين بدخول أول الوقت فإنه يخفى على أكثر الناس فإن أكثر الناس لا يعلمون فيعلمون بالأذان المشروع لدخول الوقت أن الوقت قد دخل وكذلك الحكم في الاعتبار الغافل عن حكم الاسم الإلهي فيه ينبهه الداعي من نومة الغفلة بأنه تحت حكم اسم إلهي يصرفه وأنه لا حول ولا قوة له إلا به فإذا اتبه من نوم غفلته وتذكر بعقله عرف عند ذلك أي اسم هو صاحب الوقت فاذعن له بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي في حق هذا الشخص قال تعالى وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ قُلْ إِنَّمَا نُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُنذِرُ الْكَافِرِينَ

إنما ذهبنا إلى أن الأذان قبل الصبح هو ذكر ونداء بصورة الأذان ما هو الأذان المشروع بالإعلام لدخول الوقت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بلالاً ينادي بليل ولم يقل يؤذن وكذا قال في ابن أم مكتوم ينادي لموضع الشبهة فإنه كان أعمى فكان لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت أي قاربت الصبح قال الراوي وكان بين نداء بلال ونداء ابن أم مكتوم قدر ما ينزل هذا ويصعد هذا فسماه نداء لهذا الاحتمال أعني أذان ابن أم مكتوم فإن الفصاحة في لسان العرب تطابق الألفاظ في سبق لما قال في بلال إنه ينادي بليل ويؤيد ما ذهبنا إليه حديث ابن عمر إن بلالاً أذن قبل طلوع الفجر فسماه ابن عمر أذاناً لما عرف من قرينة الحال فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع فينادي إلا إن العبد نام ليعرف الناس أن وقت الصلاة ما دخل فإن الأذان المشروع إنما هو لدخول وقت الصلاة فلما عرف من بلال أنه قصد الأذان وأن السامعين

ربما أوقعوا الصلاة في غير وقتها أمره أن يعرف الناس أنه قد غلط في أذانه ولهذا يكون من المؤذنين بالليل الدعاء والتذكير وتلاوة آيات من القرآن والمواظب وإنشاد الشعر المزهد في الدنيا المذكر الموت والدار الآخرة ليعلم الناس إذا سمعوا الأذان منهم أنهم يريدون بذلك ذكر الله كما تقدم وأنه لإيقاظ النائمين لادخول الوقت ويكون لدخول الوقت مؤذن خاص يعرف بصوته وكذا هو في الاعتبار لتنوع الأحوال على أهل الله لا بد لهم من علامات يفرقون بها بين الأحوال التي تعطيها الأسماء الإلهية فافهم

(فصول في الشروط في هذه العبادة)

قال بعض العلماء وهي ثمانية شروط وعددها فقال إن منها هل من شرط من أذن أن يكون هو الذي يقيم أم لا الثاني هل من شرط الأذان أن لا يتكلم المؤذن في أثنائه أم لا الثالث هل من شرطه أن يكون المؤذن على طهارة أم لا الرابع هل من شرطه أن توجه المؤذن إلى القبلة أم لا الخامس هل من شرطه أن يكون المؤذن قائما أم لا يكون السادس هل يكره الأذان للراكب أم ليس يكره السابع هل من شرطه البلوغ أم لا الثامن هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على الأذان أم يأخذ الأجر اختلف علماء الشريعة في هذه الشروط وأدلتهم ما بين قياس ومعارض أخبار بين صحيح وسقيم ومذهبنا أن الأذان يصح بوجودها وعدمها والعمل بها أولى إن اتفق ولا يمنع من ذلك مانع وأما الاعتبار في ذلك في الشروط كلها التي ذكرناها فاعلم إن الداعي قد يكون الاسم الإلهي الذي يدعوه الحق إلى الحق وهو عين الداعي الذي يقوم به بين يدي الحق في أي شيء دعا إليه من الأحوال وقد يكون غيره من الأسماء فلا يشترط من إذن فهو يقيم فإن فيه حرجا الداعي إلى الحق قد يتكلم في أثناء دعائه إلى الحق لحال يطلبه بذلك لا يجوز له التأخر عنه إما لأدب إلهي أو لفرض تعين عليه وقد لا يتكلم ما لم يقدر في فهم السامع ما يخرج عن أن يكون داعيا له وهذا اعتبار الشرط الثاني الداعي قد يدعو بحاله وهو طهارته وهو أفضل وقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير بكل وجه كما قال الحسن ابن أبي الحسن البصري وكان من أهل طريق الله العلية منهم لم يعظ أحد أحدا حتى يعظ نفسه ما وعظ أحد أحدا أبدا ولفاعل المنكر أن ينهى عن المنكر وإن لم يفعل اجتمع عليه إيمان فاعلم ذلك وهذا هو اعتبار الشرط الثالث الداعي إن قصد بدعائه وجه الله فهو أولى وإن قصد بذلك دنيا فلا يمنعه ذلك من الدعاء إلى الله والأول أفضل ويرجى للآخر أن ينتفع بدعوته سامع فيدعوه له فيسعد بدعائه فهذا بمنزلة استقبال القبلة بالأذان وهو الشرط الرابع الداعي إن كان قائما بحقوق ما يدعو إليه فهو أولى من قعوده عن ذلك في دعائه وهذا اعتبار الشرط الخامس الداعي هل يكون في دعائه حاضرا مع عبوديته وذلة أو يكون في حال نظره لعزة نفسه وتكبرها وعجبها وهو الذي يؤذن راكبا وحضوره مع ذلته أولى وهو اعتبار الشرط السادس الداعي هل ينبغي له أن يدعو قبل بلوغه إلى المعرفة بمن يدعو إليه كدعاء المقلد أو لا يدعو حتى يعرف من يدعو إليه وهو اشتراط البلوغ في الأذان وهذا اعتبار الشرط السابع الداعي إلى الله هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على دعائه فهو عندنا أفضل إنه لا يأخذ وإن أخذ جاز له ذلك فإن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الأجرة فإنه ما من نبي دعا قومه إلا قيل له قل ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله فأثبت الأجرة على دعائه وسألها من الله لا من

المدعو حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل منا في الأجر على تبليغ الدعاء إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وهو حب أهل البيت وقرابته صلى الله عليه وسلم وأن يكرموا من أجله كانوا ما كانوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحق ما أخذتم عليه كتاب الله في حديث الذي رقى اللديع بفاتحة الكتاب واستراح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوا فيها بسهم يعني في الغنم التي أخذوها أجزا على ذلك فالإنسان الداعي بوعظه و تذكيره عباد الله إن أخذ أجزا فله ذلك فإنه في عمل يقتضي الأجر بشهادة كل رسول وإن ترك أخذه من الناس وسأله من الله فله ذلك وسبب ترك الرسل لذلك وسؤالهم من الله الأجر كون الله هو الذي استعملهم في التبليغ فكان الأجر عليه تعالى لا على المدعو وإنما أخذ الراقي الأجر من اللديع لأن اللديع استعمله في ذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا لي بسهم لأن الرسول عليه السلام هو الذي أفاد الراقي ما رقى به ذلك اللديع وينظر إلى قريب من هذا حديث بريرة في قوله هو لها صدقة ولنا هدية لأنها بلغت محلها وهذا هو الشرط الثامن واعلم أن هذا الأجر أجزا تفضل إلهي عينه السيد لعبده فإن العبد لا ينبغي له استحقاق الأجر على سيده فيما يستعمله فيه فإنه ملكه وعين ماله ولكن تفضل سيده عليه بأن عين له على عمله أجزا وسره خلقه على الصورة فإن عبيدنا إخواننا فافهم وأما العلماء بالله عز وجل فأجزهم مشاهدة سيدهم إذا رجعوا إليه من التبليغ الذي أمرهم به فإنهم حزنوا لمفارقة ذلك المشهد الأقدس ومشاهدة الأكوان فوعدهم بأنهم إذا رجعوا إليه كان لهم المزيد في المشاهدة فأخبروا الناس أن أجرهم على الله

(فصل بل وصل فيمن يقول مثل ما يقول من يسمع الأذان)

و اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن قائل إنه يقول مثل ما يقول المؤذن كلمة بكلمة إلى آخر النداء ومن قائل إنه يقول مثل ما يقول المؤذن إلا إذا جاء بالحيلتين فإن السامع يقول لا حول ولا قوة إلا بالله وبالقول الأول أقول فإنه أولى إلا أن ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحوقلة في ذلك فأنا أقول به ولا أشرط أن يمشي السامع مع المؤذن في كل كلمة ولكن إن شاء قال مثل ما يقول المؤذن في أثر كل كلمة وإن شاء إذا فرغ يقول مثله وذلك في المؤذن الذي يؤذن للاعلام في المنارة أو على باب المسجد أو في نفس المسجد ابتداء عند دخول الوقت من قبل أن يعلم من في المسجد إن وقت الصلاة دخل فهذا هو المؤذن الذي شرع له الأذان وأما المؤذنون في المسجد بين الجماعة الذين يسمعون الأذان فهم ذاكرون الله بصورة الأذان فلا يجب على السامع أن يقول مثله فإن ذلك عندنا بمنزلة السامع يقول مثل ما قال المؤذن ولم يشرع لنا ولا أمرنا أن نقول مثل ما يقول السامع إذا قال ما يقول المؤذن اعتبار ذلك في الباطن قال تعالى فيما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَالْمُؤَذِّنُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِلَا شَكِّ ثُمَّ قَالَ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَهُوَ غَيْرُ النَّبِيِّ يَدْعُو بِمَثَلِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّامِعِ لِلْمُؤَذِّنِ الَّذِي أَمْرُهُ الشَّارِعُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَنْقُصُ كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يَدْعُو بِشَرْعِهِ الْمَنْتَلَقُ بِهِ حَاكِيًا لَا يَزِيدُ عَلَى دَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنِّي كَلِمَةً فَوَعَاهَا فَأَدَاهَا كَمَا سَمِعَهَا فَرُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا أَعْنِي فِي هَذَا الْخَبْرِ فِي ثِقَلِهِ عَلَى

المعنى والصحيح عندي إن ذلك لا يجوز جملة واحدة إلا أن بين الناقل أنه نقل على المعنى فإن الناقل على المعنى إنما ينقل إلينا فهمه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعبدنا الله بفهم غيرنا إلا بشرط في الأخبار بالاتفاق وفي القرآن بخلاف في حق الأعجمي الذي لا يفهم اللسان العربي فإن هذا الناقل على المعنى ربما لو نقل إلينا عين لفظه صلى الله عليه وسلم ربما فهمنا مثل ما فهم أو أكثر أو أقل أو نقيض ما فهم فالأولى نقل الحديث كما نقل القرآن فالداعي إلى الله لا يزيد على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار بالأمور المغيبة إلا إن أطلع الله على شيء من الغيب مما علمه الله فله أن يدعو به مما لا يكون مزبلا لما قرره الشرع بالتواتر عندنا أي على طريق فيفيد العلم لا بد من هذا فعلى هذا الحد يكون الاعتبار في القول مثل ما يقول المؤذن حتى لو قال السامع سبحان الله عند قول المؤذن الله أكبر لم يمثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يمثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمثل أمر الله فإن الله يقول وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَقَالَ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ وَإِنْ كَانَ قَالَ هَذَا السَّمْعَ خَيْرًا وَكَذَلِكَ لَوْ قَالَ اللَّهُ الْكَبِيرَ لَمْ يَقُلْ مِثْلَهُ إِلَّا إِنْ قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ الْكَبِيرُ وَفِيهِ خِلَافٌ فِي حَقِّ الْمُؤَذِّنِ بِهَذَا اللَّفْظِ فَمَنْ أَجَازَ ذَلِكَ أَوْجَبَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ فَلَوْ قَالَ السَّمْعُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ الْأَذَانُ الْمَشْرُوعَ الْمَنْصُوعَ عَلَيْهِ الْمُنْقُولَ بِالتَّوَاتُرِ وَبَيْنَ قَوْلِ الْإِنْسَانِ اللَّهُ الْكَبِيرُ وَقَوْلِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ فَرَقَانِ عَظِيمٍ فَاذَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَنْقُلَ الْأَخْبَارُ إِلَّا كَمَا تَلْفِظُهَا قَائِلُهَا إِلَّا فِي مَوَاضِعِ الضَّرُورَةِ وَذَلِكَ فِي التَّرْجُمَةِ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ اللَّسَانِ فَأَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْقُلَ الْمَسْطُورَ وَيَقْرَأَ لَفْظَهُ كَمَا وَرَدَ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتْرَجَمُ عَنْهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْخِلَافِ وَيَكُونُ فِي التَّرْجُمَةِ مَفْسُورًا تَالِيًا وَأَمَّا فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ فَلَهُ أَنْ يَتْرَجَمَ عَلَى الْمَعْنَى بِأَقْرَبِ لَفْظٍ يَكُونُ بِحَكْمِ الْمَطَابَقَةِ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا كَانَ فِي الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ

(فصل بل وصل في الإقامة)

للإقامة حكم وصفة أما حكمها فاختلف الناس فيها فقوم قالوا إنها سنة مؤكدة في حق الأعيان والجماعات أكثر من الأذان وقوم قالوا هي فرض وهو مذهب بعض أهل الظاهر فإن أرادوا أنها فرض من فروض الصلاة تبطل الصلاة بسقوطها وإن لم يقولوا ذلك صححت الصلاة ويكون عاصيا بتركها على أي رأيت لبعضهم إن الصلاة تبطل بتركها ومن قائل إنه من تركها عمدا بطلت صلاته وهو مذهب ابن كنانة اعتبار ذلك في الحكم الإقامة لأجل الله فرض لا بد منه والإقامة لما أمرنا الله أن أقيم له فنحن فيه بحسب قرائن الأحوال فإذا أعطت قرينة الحال إن ذلك الأمر على الوجوب أوجبناها مثل قوله أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومثل قوله أقيموا الصلاة ومثل قوله أقيموا الوزن بالقسط فهذا هو حد الواجب فإن رجحت الوزن في القضاء فهو أفضل فإنك قد امتثلت أمر الله فإنه ما رجح الميزان حتى اتصف بالإقامة التي هي حد الواجب ثم رجح والذي يخسر الميزان ما بلغ بالوزن حد الإقامة حتى يحصل الواجب مثل ما فعل المرجح فما حمدنا المرجح لإلحصول إقامة الوزن لا للترجيح ثم أثبتنا عليه ثناء آخر بالترجيح فالمرجح محمود من وجهين فاعلم وحمده من جهة الإقامة أعلى لأنه الحمد الوجوبي فحمد الترجيح نافلة إلا فيمن يحمل الأمر في ذلك على الوجوب وهو قوله صلى الله عليه وسلم في القاضي ما عليه إذا وزنت فارجح فأمره

بالرجحان وأكد في ذلك قولاً وفعلاً وإذا لم يكن الأمر على الوجوب لقربينة حال كانت الإقامة بحسب ذلك فهذا اعتبار حكم الإقامة بوجه ينفع في دين الله من وقف على هذا الكتاب وعمل بما قررناه فيه فإنه ما قررنا فيه أمراً غير مشروع لله الحمد وإن كنا لم نتعرض لذكر الأدلة مخافة التّطويل فما خرجنا بحمد الله عن الكتاب والسنة فيه كما قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة (وأما صفة الإقامة) فعند قوم التكبير الذي في أولها مثنى وما بقي فيها فرد والتكبير الذي بعد الإقامة مثنى وعند قوم مثل ذلك إلا الإقامة فإنها مثنى وقوم خيروا بين التثنية والإفراد وقوم قالوا بالتثنية في الكل وتربيع والتكبير الأول مع الاتفاق في توحيد التهليل الآخر الاعتبار أما من ثنى أي من زاد على الواحدة فللمراتب التي ذكرناها في الأذان على السواء ولم نعدل لاعتبار آخر لأنها جاءت في ظاهر الشريعة بلفظ الأذان لا بلفظ آخر إلا الإقامة فانفردت بها الإقامة عن الأذان وهي قوله قد قامت الصلاة فهو إخبار عن ماضٍ والصلاة مستقبله فهي بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة أو كان في الطريق يأتي إليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها وإن كانت ما وقعت منه فجاء بلفظ الماضي لتحقيق الحصول فإذا حصلت بالفعل فله أجر الحصول بالفعل وأجر الحصول الذي يحصل لمن مات في هذه المواطن قبل أن يدخل في الصلاة وقد ورد في الخبر أن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة فهذا جاء بلفظ الماضي وهو الحاصل في قوله قد قامت الصلاة وإقامة الصلاة تمام نشأتها وكما لها أي هي لكم قائمة النشأة كاملة الهيئة على حسب ما شرعت فإذا دخلتم فيها وأجرتم الأجر الثاني فقد يكون مثل الأول في إقامة نشأتها وقد لا يكون فإن المصلي قد يأتي بها خداجاً غير كاملة فتكتب له خداجاً من حيث فعله بخلاف ما تكتب له قبل الفعل فانظر ما أعظم فضل الله على عباده وسبب ذلك قول الله تعالى قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَإِنَّهُ لَوْ آثَبَهُ عَلَيْهَا قَبْلَ وَقُوعِهِ بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِهِ فِيهَا مِنْ إِخْدَاجِهَا رَبَّمَا قَالَ الْعَبْدُ لَوْ أَحْيَيْتَنِي حَتَّى أُوْدِيَهَا لَأَقَمْتَ نَشَأَتَهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوَجْهِ فَأَعْطَى اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ سَبْحَانَهُ عَبْدَهُ ذَلِكَ الثَّوَابَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَدَاءِ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةَ عَلَى ذَلِكَ

(فصل بل وصل في القبلة)

اتفق المسلمون على إن التوجه إلى القبلة أعني الكعبة شرط من شروط صحة الصلاة لولا إن الإجماع سبقني في هذه المسألة لم أقل به إنه شرط فإن قوله تعالى فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ نَزَلَتْ بعده وهي آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الإجماع على هذا وعلى قوله تعالى فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ محكما في الحائر الذي جهل القبلة فيصلح حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف وإن ظهر له بعد ذلك أنه صلى لغير القبلة لم يعد بخلاف في ذلك بخلاف من لم يجد سيلاً إلى الطهارة فإنه قد وقع الخلاف فيه هل يصلى أم لا ثم إنه لا خلاف إن الإنسان إذا عين البيت إن الفرض عليه هو استقبال عينه وأما إذا لم ير البيت فاختلف علماؤنا في موضعين من هذه المسألة الموضوع الواحد هل الفرض هو العين أو الجهة والموضع الثاني هل فرضه الإصابة أو الاجتهاد أعني إصابة العين أو الجهة عند من أوجب العين فمن قائل إن الفرض هو العين ومن قائل إن

الفرض هو الجهة وبالجهة أقول لا بالعين فإن في ذلك حرجا والله يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج وأعني بالجهة إذا غابت الكعبة عن الأبصار والصف الطويل قد صحت صلاتهم مع القطع بأن الكل منهم ما استقبلوا العين هذا معقول الاعتبار التحديد في القبلة إخراج العبد عن اختياره فإن أصله وأصل كل ما سوى الله الاضطرار والإجبار حتى اختيار العبد هو مجبور في اختياره ومع أن الله فاعل مختار فإن ذلك من أجل قوله ويختار وقوله ولو شئنا ولا يفعل إلا ما سبق به علمه وتبدل العلم محال يقول تعالى ما يُبدلُ القولُ لديَّ وما أنا بظلامٍ للعبيد وقال فلله الحجة البالغة وما رأيت أحدا تفتن لهذا القول الإلهي فإن معناه في غاية البيان ولشدة وضوحه خفي وقد نبهنا عليه في هذا الكتاب وبيناه فإنه سر القدر من وقف على هذه المسألة لم يعترض على الله في كل ما يقضيه ويجريه على عباده وفيهم ومنهم ولهذا قال لا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألون فلو كنت عاقلا تفهم عن الله كفتك هذه الآية في المقصود ثم نرجع إلى اعتبار ما كنا بصدده فنقول إن الصلاة دخول على الحق وجاء في الخبر الصحيح أن الصلاة نور والإنسان ذو بصر في باطنه كما هو في ظاهره فلا بد له من الكشف في صلاته فمن جملة ما يكشفه في صلاته كونه مجبورا في اختياره الذي ينسبه إليه فشرع له في هذا الموطن وفي العبادات كلها التحديد في الأشياء حتى يكون في تصرفاته بحكم الاضطرار وهو أصل يشمل كل موجود ولا أحاشي موجودا من موجود لمن كان ذا بصر حديد وألقى السمع وهو شهيد حتى في حكم المباح هو فيه غير مختار لأنه من المحال أن يحكم عليه بحكم غير الإباحة من وجوب أو نذوب أو حظرا وكرهه فهذا شرع له استقبال البيت إذا أبصره حين صلاته واستقبال جهته إذا غاب عنه وفرضه في اجتهاده بالغيبه إصابة الاجتهاد لا إصابة العين وذلك لو كان فرضه إصابة العين فإن العبد مأمور بأن يستقبل ربه بقلبه في صلاته بل في جميع حركاته وسكناته لا يرى إلا الله وقد علمنا إن ذات الحق وعينه يستحيل على المخلوق معرفتها فمن المحال استقبال عين ذاته بقلبه أي من المحال أن يعلم العاقل ربه من حيث عينه وإنما يعلمه من حيث جهة الممكن في افتقاره إليه وتميزه عنه بأنه لا يتصف بصفات المحدثات على الوجه الذي يتصف به المحدث الممكن لأنه ليس كمثل شيء فلا يعرفه إلا بالسلوب وهذا سبب قولنا بالجهة لا بالعين والإصابة إصابة الاجتهاد لا إصابة العين ولهذا كان الاجتهاد مأجورا على كل حال ولا سيما والاجتهاد في مذهبنا في الأصول كما هو في فروع الأحكام لافرق وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاجتهاد إنه مصيب ومخطئ فمعناه عندنا في هذه المسألة وأمثاله أن الاجتهاد في الإصابة ما هي إصابة العين أو إصابة الجهة أن المصيب من قال إصابة الجهة والمخطئ من قال إصابة العين فإن إصابة الجهة في غير الغيم المتراكم ليلا أو نهارا في البراري لا يقع إلا بحكم الاتفاق فأحرى إصابة العين لا بحكم العلم وما تعبدنا الله بالإرصاد ولا بالهندسة المنبئة على الإرصاد المستنبط منها أطوال البلاد وعروضها فإنا بكل وجه إذا أخذنا نفوسنا بها على غير يقين فتبين إن الفرض على المكلف الاجتهاد لا الإصابة فلا إعادة على من صلى ولم يصب الجهة إذا تبين له ذلك بعد ما صلى كذلك الاعتبار في الباطن إذا وفي الناظر النظر حقه أصاب العجز عن الإدراك فاعتقده وما ثم إلا العجز فالحق عند اعتقاد كل معتقد بعد اجتهاده يقول تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانهم كما هو عند ظن عبده به إلا أن المراتب تتفاضل والله أوسع وأجل وأعظم

أن ينحصر في صفة تضبطه فيكون عند واحد من عباده ولا يكون عند الآخر بأبي الاتساع الإلهي ذلك فإن الله يقول وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَفَإِنَّمَا تُوَلُّوا قِبْلَتَهُ وَجْهَ اللَّهِ وَوَجْهَ كُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ لَوْ كَانَ عِنْدَ وَاحِدٍ أَوْ مَعَ وَاحِدٍ وَلَا يَكُونُ عِنْدَ آخَرَ وَلَا مَعَهُ كَانَ الَّذِي لَيْسَ هُوَ عِنْدَهُ وَلَا مَعَهُ يَعْبُدُ وَهَمَّهُ لَا رَبَّهَ وَاللَّهُ يَقُولُ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهَهُ أَيَّ حِكْمٍ وَمَنْ أَجَلَهُ عِبَدَتِ الْإِلَهَةَ فَلَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودَ بِعِبَادَةِ كُلِّ عَابِدٍ إِلَّا اللَّهُ فَمَا عَبَدَ شَيْءٌ لِعَيْنِهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّمَا أَخْطَأَ الْمُشْرِكُ حَيْثُ نَصَبَ لِنَفْسِهِ عِبَادَةَ بِطَرِيقٍ خَاصٍ لَمْ يَشْرَعْ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ فَشَقِي لَذَلِكَ فَإِنَّهُمْ قَالُوا فِي الشُّرَكَاءِ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ فاعترفوا به وما يتصور في العالم من أدنى من له مسكة من عقل التعطيل على الإطلاق وإنما معتقد التعطيل إنما هو يعطل صفة ما اعتقدها المثبت فمن استقبل عين البيت إن كان يبصره أو الجهة إن غاب عنه بوجهه و استقبل ربه في قبلته كما شرع له في قلبه وحسه في خياله إن ضعف عن تعليق العلم به من حيث ما يقتضيه جلاله فإن المصلي وإن واجه الحق في قبلته كما ورد في النص فإنه كما قال من ورائهم مُحِيطٌ فَهُوَ السَّابِقُ وَالْهَادِي فَهُوَ سَبْحَانَهُ الَّذِي نَوَاصِي الْكُلِّ يَبْدُو الْهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالَّذِي يَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدَّ إِلَيْهِ رُجُوعَ الْأُمَمِ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(فصل بل وصل في الصلاة في داخل البيت)

فمن قائل بمنع الصلاة في داخل الكعبة على الإطلاق ومن قائل بإجازة ذلك على الإطلاق ومن العلماء من فرق في ذلك بين النفل والفرض وكل له مستند في ذلك يستند إليه اعتبار ذلك في الباطن وبعد تقرير الحكم في الظاهر الذي شرع لنا وتعبدنا به ولمنع من الاعتبار بعد هذا التقرير فنقول هذه حالة من كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله لكن في حال إجماله كل جارية فيما خلقت له هكذا قيد الصادق في خبره وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلبٌ ولما كانت هذه الحالة الواردة من الشارع في الخبر الصحيح عنه وتأييد الكشف بذلك الخبر عند السامع حالة النوافل وتيجتها لهذا تنقل في الكعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلها كما ورد وكان يصلي الفريضة خارج البيت كما كان يتنقل على الراحلة حيث توجهت به فأينما تَوَلَّوْا قِبْلَتَهُ وَجْهَ اللَّهِ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْأَمْرَ فِي نَفْسِهِ قَدْ يَكُونُ كَمَا نَرَاهُ وَنَشْهَدُهُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي أُعْطِيَ مَشَاهِدَةَ هَذَا الْمَقَامِ فَهُوَ يَرَاهُ سَمِعَ غَيْرَهُ كَمَا يَرَاهُ سَمِعَ نَفْسَهُ فَالْكَرَامَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لِهَذَا الشَّخْصِ إِنَّمَا هِيَ الْكَشْفُ وَالْإِطْلَاقُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْحَقُّ سَمِعَهُ ثُمَّ كَانَ إِلَّا أَنْ يَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْعَوَارِضِ الطَّارِئَةِ وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَعَزِّ الْمَسَائِلِ الْإِلَهِيَّةِ فَمَنْ اسْتَصْحَبَ هَذَا الْحُكْمَ فِي الظَّاهِرِ أَجَازَ الصَّلَاةَ كُلَّهَا فَرَضَهَا وَنَفَلَهَا دَاخِلَ الْكَعْبَةِ فَإِنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ لَا يَمْكِنُهُ الْخُرُوجُ عَنِ قَبْضَةِ الْحَقِّ فَهُوَ مُوجِدُهُمْ بِلِ وَجُودِهِمْ وَمِنْهُ اسْتَقْدَاوُ الْوُجُودِ وَلَيْسَ الْوُجُودُ خِلَافَ الْحَقِّ وَلَا خَارِجًا عَنْهُ يَعْطِيهِمْ مِنْهُ هَذَا مَحَالٌ بَلْ هُوَ الْوُجُودُ وَبِهِ ظَهَرَتِ الْأَعْيَانُ يَقُولُ الْقَائِلُ بِمُحْضَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْتَجِزًا وَهُوَ يَسْمَعُ

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعِجِبُهُ ذَلِكَ وَيَصَدِّقُهُ فِي قَوْلِهِ فَتَحْنُ بِهِ سَبْحَانَهُ وَلَهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى ذَوَاتِنَا وَ

إمكاننا فقد خرجنا عنه وإمكاننا يطلبنا بالنظر والافتقار إليه فإنه الموجد أعياننا بوجوده من وجوده وهو اعتبار قوله وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فتفسيره من كل جهة خرجت مصليا فاستقبل المسجد الحرام وفي الإشارة من حيث خرجت إلى الوجود أي من زمان خروجك من العدم إلى الوجود وفي الاعتبار يقول بأي وجه خرجت من الحق إلى إمكانك ومشاهدة ذاتك فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يقول فارجع بالنظر والاستقبال مفتقرا مضطرا إلى ما منه خرجت فإنه لا أين لك غيره فانظر فيه تجده محيطا بك مع كونه مستقبلك فقد جمع بين الإطلاق والقييد فأنت تظن إنك خرجت عنه وما استقبلت إلا هو وهو من ورائك محيط وحيثما كنتم من الأسماء الإلهية والأحوال فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ذَوَاتِكُمْ شَطْرَهُ أي لا تعرضوا عنه ووجه الشيء عينه وذاته فإن الإعراض عن الحق وقوع في العدم وهو الشر الخالص كما إن الوجود هو الخير الخالص والحق هو الوجود والخلق هو العدم قال لبيد الأكل شيء ما خلا الله باطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القول إنه أصدق بيت قالته العرب ولا شك أن الباطل عبارة عن العدم وأما حكم هذه الآية في الظاهر إن صلاة الفرض تجوز داخل الكعبة إذ لم يرد نهي في ذلك ولا منع وقد ورد وثبت حيثما أدركت الصلاة فصل إلا الأماكن التي خصصها الدليل الشرعي من ذلك لا لأعيانها وإنما ذلك لوصف قام بها فيخرج بنصه ذلك القدر لذلك الوصف وقوله وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ أَي وَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْكَعْبَةِ أَوْ مِنْ غَيْرِهَا وَأَرَدْتَ الصَّلَاةَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَهَا أَي لَا تَسْتَقْبِلْ بِوَجْهِكَ فِي صَلَاتِكَ جِهَةً أُخْرَى لَا تَكُونُ الْكَعْبَةُ فِيهَا قِبْلَتِكَ فِيهَا مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهَا وَكَذَلِكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْهَا مَا قِبْلَتِكَ إِلَّا مَا يُوَاجِهُكَ مِنْهَا سِوَاءَ أَبْصَرْتَهَا أَوْ غَابَتْ عَنْ بَصْرِكَ وَلَيْسَ فِي وَسْعِكَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ ذَاتَهَا كُلَّهَا بِذَاتِهَا لِكِبْرِهَا وَصَغُرَ ذَاتُكَ جَرْمًا فَالصَّلَاةُ فِي دَاخِلِهَا كَالصَّلَاةِ خَارِجًا عَنْهَا وَلَا فَرْقَ فَقَدْ اسْتَقْبَلْتَ مِنْهَا وَأَنْتَ فِي دَاخِلِهَا مَا اسْتَقْبَلْتَ وَلَا تَعْرُضُ بِالْوَهْمِ لِمَا اسْتَدْبَرْتَ مِنْهَا إِذَا كُنْتَ فِيهَا فَإِنَّ اسْتِدْبَارَ فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ مَا وَرَدَ وَإِنَّمَا وَرَدَ اسْتِقْبَالَ مَا نَحْنُ مَعَ الْمَكْلُفِ إِلَّا بِحَسَبِ مَا نَطُقُ بِهِ مِنَ الْحُكْمِ فَلَا يَقْتَضِي عِنْدَنَا الْأَمْرَ بِالشَّيْءِ النَّهْيِ عَنْ ضِدِّهِ فَإِنَّهُ مَا تَعْرُضُ فِي النَّطْقِ لِذَلِكَ فَإِذَا تَعْرُضُ وَنَطُقُ بِهِ قِبْلَتَهُ فَإِذَا لَمْ تَعْمَلْ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ فَقَدْ عَصَيْتَهُ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيًا عَنْ ضِدِّهِ لَكَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ خَطِيئَتَيْنِ أَوْ خَطَايَا كَثِيرَةً بِقَدْرِ مَا لِذَلِكَ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنَ الْأَضْدَادِ وَهَذَا لَا قَاتِلَ بِهِ فَإِنَّمَا يُوَاجِهُ الْإِنْسَانَ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ بِفَعْلِهِ أَوْ فَعْلِ مَا أَمَرَ بِتَرْكِهِ لَا غَيْرَ فَهُوَ ذُو زُرٍّ وَوَاحِدٍ وَسَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلَهَا وَقَدْ أَخَذْتَ الْمَسْأَلَةَ حَقًّا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَقًّا وَخَلَقًا شَرَعًا وَاعْتِبَارًا وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(فصل بل وصل في ستر العورة)

اتفق العلماء على إن ستر العورة فرض بلا خلاف وعلى الإطلاق أعني في الصلاة وفي غيرها وسأذكر حدها في الرجل والمرأة اعتبار ذلك في الباطن وجب على كل عاقل ستر السر الإلهي الذي إذا كشفه أدى كشفه من ليس بعالم ولا عاقل إلى عدم احترام الجنب الإلهي الأعز الأحمى فإن حقيقة العورة الميل ولهذا قال من قال إِنَّ بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ أَي مَائِلَةٌ تَرِيدُ السَّقُوطَ لَمَّا اسْتَنْفَرُوا فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عِنْدَ بَغْيِهِ بِقَوْلِهِ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا يَعْنِي بِهَذَا الْقَوْلِ مِمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ وَمِنَ الْأَعْوَرِ فَإِنَّ نَظْرَهُ مَالٌ إِلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَرِ الْعَالَمُ عَنِ الْجَاهِلِ

أسرار الحق في مثل قوله ما يَكُونُ من يَجْوى ثَلَاثَةَ إِلاَّ هُوَ رُبُّهُمْ وقوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ وقوله كنت سمعه وبصره ولسانه فإن الجاهل إذا سمع ذلك أداه إلى فهم محذور من حلول أو تحديد فينبغي أن يستر ما تعطف الحق به على قلوب العلماء وما عز وجل سبحانه وتقدس بخطابه مما يقتضيه جلاله من الغني على الإطلاق عن العالمين إلى قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم جعلت فلم تطعمني مرضت فلم تعدني ظمئت فلم تستقي فليستر علم هذا عن الجاهل ولا يزيد على ما فسره به فائله سبحانه شيئاً كما ستره الحق بقوله أما أن فلانا مرض فلو عدته وجدتي عنده وهذا أشكل من الأول لكنه أعطى في هذا التفسير للعلماء بالله علماً آخر به تعالى لم يكن عندهم وذلك أنه في الأول جعل نفسه سبحانه عين المريض والجائع وفي تفسيره تعالى جعل نفسه عائد المريض بكونه عنده فإن من عاد مريضاً فهو عنده وأين هذا من جعله نفسه عين المريض وكل قول من ذلك حق ولكل حق حقيقة وأما الستر الذي في ذلك للعامي أن يقال له في قوله لوجدتني عنده إن حال المريض أبداً الافتقار والاضطرار إلى من بيده الشفاء وليس إلا الله فالغالب عليه ذكر الله مع الأناة في دفع ما نزل به بخلاف الأصحاء وهو سبحانه قد قال أنا جليس من ذكرني وهذا وجه صحيح ويقع العامي به ويبقى العالم بما يعلمه من ذلك على علمه فهذا هو سر الميل الإلهي عن نظر العامي

(فصل بل وصل في ستر العورة في الصلاة)

اختلف العلماء هل هي شرط في صحة الصلاة أم لا فمن قائل إن ستر العورة من سنن الصلاة ومن قائل إنها من فروض الصلاة وأما اعتبار ذلك في النفس فقد أعلمناك ما مفهوم العورة آنفاً وفي هذه المسألة لما ثبت أن المصلي يناجي ربه وأن الصلاة قد قسمها الله نصفين بينه وبين عبده فمن غلب أن الحق هو المصلي بأفعال عبده أعني الأفعال الظاهرة من العبد في الصلاة كما ثبت أن الله قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع والعبد هو القائل بلاشك وقال فاجره حتى يسمع كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم هو التالي بلاشك قال إن ستر العورة من فروض الصلاة أي مثل هذا لا يظهر في العامة يريد معناه وسره الذي يعرفه العالم بل يؤمن به العامي كما جاء وما يَعْمَلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ومن رأى أن لا مرتبة في هذه المسألة بين العالم والعامي وأنه ما فيها إلا ما ورد النص به ولو أدى عند السامع إلى ما أداه إذا لم يخرج عن مقتضى اللسان في ذلك وإن تفاضلت درجاتهم كان ستر العورة عنده من سنن الصلاة لا من فروضها والله يقول الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(فصل بل وصل في حد العورة)

فمن قائل إن العورة في الرجال هي السوءتان ومن قائل هي من الرجال من السرة إلى الركبة وهي عندنا السوءتان فقط الاعتبار في ذلك في النفس ما يذم ويكره ويحبت من الإنسان هو العورة على الحقيقة والسوءتان محل لما ذكرناه فهو بمنزلة الحرام وما عدا السوءتين مما يجاوزهما من السرة علواً ومن الركبة سفلاً هو بمنزلة الشبهات فينبغي أن يتقى فإن الراع حول الحمى يوشك أن يقع فيه

(فصل بل وصل في حد العورة من المرأة)

فمن قاتل إنها كلها عورة ما خلا الوجه والكفين ومن قاتل بذلك وزاد أن قدميها ليستا بعورة ومن قاتل إنها كلها عورة وأما مذهبنا فليست العورة في المرأة أيضا إلا السوء تين كما قال تعالى وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ فسوى بين آدم وحواء في ستر السواتين وهما العورتان وإن أمرت المرأة بالستر فهو مذهبنا لكن لا من كونها عورة وإنما ذلك حكم مشروع ورد بالستر ولا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة اعتبار ذلك في النفس المرأة هي النفس والخواطر النفسية كلها عورة فمن استثنى الوجه والكفين والقدمين فلأن الوجه محل العلم لأن المسألة إذا لم تعرف وجهها فما علمتها وإذا استتر عنك وجه الشيء فما علمته وأنت مأمور بالعلم بالشيء فأنت مأمور بالكشف عن وجهه ما أنت مأمور بالعلم به فلا يستر الوجه من كونه عورة فإنه ليس بعورة وأما البدان وهما الكفان بهما محل الجود والعطاء وأنت مأمور بالسؤال فلا بد للمعطي أن يمد يده بما يعطي فلا يستر كفه فإنه المالك للنعمة التي تطلبها منه فلا بد أن تتناولها إذا جاد عليك بها والجود والكرم مأمور بهما شرعا وقد ورد أن اليد العليا خير من اليد السفلى فعمد السائل والمعطي فلا بد للمعطي أن يتناول وللسائل أن يتناول وأما القدمان فلا يجب سترهما وأنهما ليستا بعورة لأنهما الحاملتان للبدن كله ونقلته من مكان إلى مكان ومن كان حكمه التصريف فيعذر ستره واحتجابه فلا بد أن يظهر ويبرز ضرورة فيبعد إن يكون عورة تستر

(فصل بل وصل في اللباس في الصلاة)

اتفق العلماء على أنه يجزي الرجل من اللباس في الصلاة الثوب الواحد اعتبره في النفس الموحد في الصلاة هو الذي لا يرى نفسه فيها بل يرى أن الحق يقيمه ويقعده وهو كالميت بين يدي الغاسل فهذا معنى الثوب الواحد

(فصل بل وصل)

في الرجل يصلي مكشوف الظهر والبطن فذهب قوم إلى جواز صلاته وذهب قوم إلى أنه لا تجوز صلاته اعتبار النفس في ذلك الظاهر والباطن وهو عمل القلب في الصلاة وعمل الجوارح فالرجل المصلي إذا انكشف له ظاهر أمره في صلاته وباطنه لم ير نفسه مصليا وإنما رأى نفسه يصلي بها فهذا بمنزلة من قال بإبطال صلاته فإن صاحب هذا الكشف على هذا النظر بطلت إضافة الصلاة إليه مع وقوع الصلاة منه ومن حصل له هذا الكشف وقال لا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا وبهذا القدر من الفعل يسمى مصليا قال بجواز صلاته

(فصل بل وصل فيما يجزي المرأة من اللباس في الصلاة)

اتفق الجمهور على الدرع والخمار فإن صلت مكشوفة فمن قاتل تعيد في الوقت وبعده ومن قاتل تعيد في الوقت وأما المرأة المملوكة فمن قاتل إنها تصلي مكشوفة الرأس والقدمين ومن قاتل بوجوب تغطية رأسها ومن قاتل باستحباب تغطية رأسها اعتبار النفس في ذلك لا فرق بين المملوكة والحرّة فإن الكل ملك لله فلا حرية عن الله فإذا أضيفت الحرية إلى الحلق فهو خروجهم عن رق الغير لا عن رق الحق أي ليس لمخلوق

على قلوبهم سبيل ولا حكم فهذا معنى الحرية في الطريق وقد تقدم الكلام في الثوب الواحد وبقي الاعتبار في تغطية الرأس هنا واعلم أن المرأة لما كانت في الاعتبار النفس والرأس من الرئاسة والنفس تحب الظهور في العالم برئاستها لحجابها عن رياسة سيدها عليها وطلب شفوفها على أمثالها ولهذا قيل آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة أمرت النفس أن تغطي رأسها أي تستر رياستها فإنها في الصلاة بين يدي ربها ولا شك أن الرئيس بين يدي الملك في محل الافتقار فإذا خرج إلى من هو دونه أظهر رياسته عليه فلماذا أمرت النفس المملوكة إن تغطي رأسها في الصلاة

(فصل بل وصل في لباس المحرم في الصلاة)

فمن قائل بجواز صلاته وهو مذهبنا وإن كنت أكره له ذلك ومن قائل لا تجوز ومن قائل باستحباب الإعادة في الوقت وهو عندنا عاص بلباس ما لا يحل له وإن جازت صلاته فإنه عندنا من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً اعتبار النفس في ذلك ما في كل موطن برزق الإنسان العصمة في أحواله والتوفيق في جميع أمورهم فهو فيما يوفق فيه موفق وفيما يخذل فيه مخذول في الوقت الواحد كالذاكر لله بقلبه ولسانه وهو يضرب يده في تلك الحالة من يأثم بضربه ومن حرم عليه ضربه فلا يقدح ذلك في ذكره كما لا يرفع ذلك الذكر إثمه أو حكم إنه أتى حراماً فإن الذكر لا يخلله ولهذا عندنا تصح الصلاة في الدار المغصوبة فهو مأثوم من وجه مأجور من وجه

(فصل بل وصل في الطهارة من النجاسة في الصلاة)

فمن قائل إنها من فروض الصلاة وأنها لا تصح إلا بإزالتها ومن قائل إنها سنة وقد مضى الكلام فيها في الطهارة ومن قائل إن إزالة النجاسة فرض على الإطلاق ومن هذا مذهبنا لا يلزم منه أن يقول إن إزالتها شرط في صحة الصلاة بل يكون مصلياً صحيح الصلاة وعاصياً من حمله النجاسة في الصلاة اعتبار ذلك في النفس النجاسة عند من يرى إزالتها فرضاً تقتضي البعد عن الله والصلاة تقتضي بالقرب للمناجاة فمن غلب القرب على البعد أزال حكمها ومن غلب البعد على القرب لم تصح عنده الصلاة والأولى أن يقال إن العبد متنوع الأحوال وإنه بكله لله وإنه بما كان منه لله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فصلاته مقولة سواء صلى بالنجاسة أو لم يصل والأولى إزالتها بلا خلاف قل ذلك أو أكثر ومنزلها أن الإنسان لا يحضر مع الله في كل حال لما جبل عليه من الغفلة والضيق فاعلم ذلك وباللهم التوفيق

(فصل بل وصل في المواضع التي يصلى فيها)

فمن الناس من ذهب إلى إجازة الصلاة في كل موضع لا تكون فيه نجاسة ومنهم من استثنى من ذلك سبعة مواضع المنزل والمجزرة والمقبرة وقارة الطريق والحمام ومعادن الإبل وفوق ظهر الكعبة ومنهم من استثنى من ذلك المقبرة والحمام ومنهم من استثنى المقبرة فقط ومنهم من كره الصلاة في هذه المواضع المنهي عنها وإن لم يبطلها اعتبار النفس في ذلك قوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ والمصلي يتأجج ربه وقوله الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وقول عائشة رضي الله عنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما علمت من أحواله إنه كان صلى الله

عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وليس للأماكن أثر في حجاب القلب عن ربه إلا لأصحاب الأحوال وإنما الأثر في ذلك للغفلة أو للجهل في العموم أو للحال في أصحاب الأحوال وأما ذكر هذه الأماكن المنهي عنها فإنها كلها تناقض الطهارة وقد تقدم الكلام في الطهارة من النجس و اعتباره وما بقي من هذه السبعة إلا الصلاة فوق ظهر البيت وذلك أنك مأمور بالاستقبال إليه في الصلاة وأنت في هذه الحالة لافيه ولا مستقبله فلم تصل الصلاة المشروعة فإن شطر المسجد الحرام لا يواجهك ومن أجاز ذلك حمل في الاعتبار الوجه على الذات ولا شك أنك بذاتك شطر المسجد الحرام فإنك على ظهره والأرض كلها مسجد

(فصل بل وصل في البيع والكنايس)

اختلف الناس في البيع والكنايس أعني في الصلاة فيها فكرهما قوم وأجازها قوم وفرق قوم بين أن تكون فيها صور أم لا تكون اعتبار النفس في ذلك هل يناجي الحق شخصان من مرتبة واحدة ذلك عندنا لا يصبح للتوسع الإلهي قال تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ تَفْسِيرُ أَوْ إِشَارَةٌ فَإِنْ صَلَيْتُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ فَمَنْ شَرَعْنَا لَا مِنْ شَرَعِهِمْ فَافْهَمُوا وَاللَّهُ الْمَلِيحُ

(فصل بل وصل في الصلاة على الطنافس وغير ذلك مما يقعد عليه)

اتفق العلماء على الصلاة على الأرض واختلفوا في الصلاة على الطنفسة وغير ذلك مما يقعد عليه على الأرض فالجمهور على إباحة السجود على الحصيرو ما يشبهه مما تنبت الأرض والكراهة في السجود على غير ذلك الاعتبار في النفس في ذلك لما قال الحق تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فأنبتك في الصلاة وما نفاك وله الوصف الأعلى الأتزه ولك الوصف الأدنى فكل نزول منك إلى أرض عبوديتك أو لوازمها فإنه قاذح فيما أمرت بتعميمه فإنه سماك عبدا في الصلاة والعبودية هي الذلة وقال تعالى في وصف الأرض إنه جعلها لنا ذلولا فتمشي في مناكبها فهي تحت أقدامنا وهذا غاية الذلة من يكون يطؤها الذليل ولما كانت بهذه المنزلة من الذلة أمرنا أن نضع عليها أشرف ما عندنا في ظاهرنا وهو الوجه وإن نمرغه في التراب فعل ذلك جبر الانكسار الأرض بوطء الذليل عليها الذي هو العبد فاجتمع بالسجود وجه العبد ووجه الأرض فأنجبر كسرها فإن الله عند المنكسرة قلوبهم فكان العبد في ذلك المقام بتلك الحالة أقرب إلى الله سبحانه من سائر أحوال الصلاة لأنه سعى في حق الغير لا في حق نفسه وهو جبر انكسار الأرض من ذلتها تحت وطء الذليل لها فتنبه لما أشرت إليك فإن الشرع ما ترك شيئا إلا وقد أشار إليه إيماء علمه من جهله من جهله ولهذا لم يعلم أسرار هذه الأمور إلا أهل الكشف والوجود فإن جميع العالم يخاطبونهم ويعرفونهم بحقائقهم ولقد أخبرني أبو العباس الحريري بمصر سنة ثلاث و ستمائة عن أبي عبد الله القرياقى أنه كان يمشي معه في سوقة وردان وكان قد اشترى قصرية صغيرة لابن صغير كان عنده ليبول فيها فضمهم منزل والقصرية عنده جديدة ومعهم رجال صالحون فأرادوا أكل شيء فطلبوا إداما يأتمون به فانفق رأيهم على أن يشتروا قطارة السكر فقالوا هذه القصرية ما مسها قدر وهي جديدة على حالها فملئوها قطارة وقعدوا يأكلون إلى أن فرغوا وانصرف الناس ومشى صاحب القصرية بها مع أبي العباس قال أبو

العباس فوالله لقد سمعت بإذني هذه وسمع معي الشيخ أبو عبد الله القرياقى القصرية وهي تقول بعد أن أكل في أولياء الله أكون وعاء للقدر والله لا كان ذلك وانتفضت من يده وسقطت على الأرض فكسرت قال أبو العباس فأخذنا من كلامها حال فلما قال لي ذلك قلت له إنكم غبتم عن وجه موعظة القصرية إياكم ليس الأمر كما زعمتم وكم من قصرية أكل فيها من هو خير منكم وبعد ذلك استعملت في القدر وإنما قالت لكم يا إخواني لا ينبغي لكم بعد أن جعل الله قلوبكم أوعية لمعرفة وتجليه أن تجعلوها وعاء للاغيار وما نهاكم الله أن تكون قلوبكم وعاء له ثم تكسرت أي هكذا فكونوا مع الله فقال لي ما جعلنا بالناس ما نهتنا عليه

(فصل بل وصل في اشتمال الصلاة على أقوال وأفعال)

أما الشروط المشترطة في الصلاة فمنها أقوال ومنها أفعال أما الأفعال فجميع الأفعال المباحة التي ليست أفعال الصلاة إلا قتل الحية والعقرب في الصلاة فإنهم اختلفوا في ذلك وانفقوا على أن الفعل الخفيف لا يبطل الصلاة الاعتبار في النفس في ذلك عقرب الهوى وحية الشهوة تخظر للمناجى ربه فهل يقتلها أو يصرفها في مصرفها الذي عين لهما الشارع لما علم العارف أن قتلها محال فيهوي ما عند الله بهواه ويشتهي دوام مناجاته بشهوته فيرى بأن لا يقتلها من هذا مذهبه ويرى قتلها من يرى أنها قد حالاً بينه وبين مناجاته ربه وأما الأقوال فإنها أيضاً التي ليست من أقوال الصلاة فلم تختلف العلماء في أنها تفسد الصلاة عمداً إلا أن العلماء اختلفوا من ذلك في موضعين الواحد إذا تكلم ساهياً والموضع الآخر إذا تكلم عامداً لإصلاح الصلاة ومن قائل وهو قول شاذ إن من تكلم في الصلاة عامداً الأحياء نفس أو أمر كبير إنه يبني على ما مضى من صلاته ولا يفسدها ذلك وهو مذهب الأوزاعي ومن قائل إن الكلام عمداً لإصلاح الصلاة لا يفسدها ومن قائل إن الكلام يفسدها كيف كان إلا مع النسيان ومن قائل إن الكلام يفسدها مع النسيان ومع غير النسيان الاعتبار المصلي يناجى ربه فإذا ناجى غيره من أجله ما زال من مناجاة ربه وإذا ناجى غيره لا من أجل ربه فقد خرج عن صلاته والنسيان في مناجاة الحق غير معتبر إلا من غلب من أصحابنا على المناجى مشاهدة الحجاب فإن الله لا يناجى عبده إلا من وراء حجاب كما قال تعالى وَمَا كَانَ لِنَبِّئِكَ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَقْرَبَ الْحِجَابِ الصُّورَةُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُ هَذَا أَقْرَبَ الْحِجَابِ فَإِنَّهُ مَا هُوَ الصُّورَةُ وَلَا غَيْرَهَا فَمَنْ شَغَلَتْهُ الصُّورَةُ عَنْ نِسْبَةِ مَا هُوَ الصُّورَةُ أَوْ شَغَلَتْهُ مَا هُوَ الصُّورَةُ عَنْ نِسْبَةِ مَا هُوَ الصُّورَةُ فَهُوَ النَّاسِي فِي الْحَالَتَيْنِ فَيَكُونُ حُكْمُهُ فِي الْإِعْتِبَارِ كَحُكْمِهِ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الْخِلَافِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَافْهَمْ

(فصل بل وصل في النية في الصلاة)

فمن قائل إنها شرط في صحة الصلاة بل قد اتفق العلماء عليها إلا من شذ اعتبار النفس في ذلك قد يقصد العبد مناجاة ربه وقد يأتيه الأمر بغتة فإن موسى لم يقبس ناراً فكلمه ربه ولم يكن له قصد في ذلك والأصل في العبادات كلها أنها من الله ابتداءً لا مقصودة للمكلفين إلا ما شذ من ذلك كآية الحجاب وغيرها في حق عمر بن الخطاب وإنما يمنع القصد في الباطن المعتبر لأن الحقيقة تعطي أن ما ثم شيء خارج عن

الحق أو تخلى الحق عنه حتى يقصده في أمر يكون فيه بل هو في نسبة الكل إليه نسبة واحدة فيلبي أين أقصد وهو معي حيث كنت و على أي حال كنت فما بقي القصد جهة القربة إلى الله وإنما متعلق القصد حال مخصوص مع الله قصدته عن حال مخصوص مع الله خرجت منه به إليه والأحوال مختلفة فمن راعى اختلاف الأحوال قال بوجود النية وعلى هذا النحو تنوعت الشرائع وجاءت ومن راعى الحضور ولم ينظر إلى الأحوال كان صاحب حال فلم يعرف النية فإنه في العين قال تعالى في حق من هذا حاله من باب الإشارة لا التفسير فإين تذهبون ومثله

إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى أَنْتَهَى الْجُزء السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل بل وصل في نية الإمام والمأموم)

اختلف علماء الشريعة في نية الإمام والمأموم هل من شرط نية المأموم أن توافق نية الإمام في الصلاة أعني في تعيين الصلاة وفي الوجوب فمن قائل إنه يجب ومن قائل إنه لا يجب ولكل قائل حجة ليس هذا موضعها اعتبار النفس في ذلك الصحيح إنه لا يجب لأنه أمر غيبي ولا يكون الائتمام إلا بما يتعلق به الحس من سماع أو مشاهدة ولهذا فصل الشارع ما أجمله في الائتمام فذكر الأفعال المدركة بالحس بأي حس أدركها وما ذكر النية فإنها من عمل القلب فإنه تكليف ما لا يوصل إلى معرفته ومن علم إن الاتساع الإلهي يحيل أن يكرر الحق التجلي لشخص أو يتجلى لشخصين في صورة واحدة علم أن نية المأموم لا ترتبط بنية الإمام إلا في الصلاة من كونها ذات أفعال ولكل امرئ ما نواه فإن القصد بالتجلي الامتنان من المتجلي على المتجلي له والقصد من المتجلي له العلم والالتذاذ بذلك التجلي

(فصل بل وصل في حكم الأحوال في الصلاة)

اعلم أن الصلاة تشتمل على أقوال وأفعال ويكون حكمها بحسب الأحوال فإن جميع العبادات تتبني على الأحوال وهي المعبرة للشارع فيكون الحكم يتوجه على المكلف من جهة الحال التي يكون عليها والأسماء تابعة للأحوال ولهذا يراعيها الشارع في الحكم على المكلف قيل للمالك بن أنس ما تقول في خنزير الماء فأفتى بتحريمه فقيل له ليس هو من سمك البحر فقال رضي الله عنه أتم سميتوه خنزيرا ما زادهم على ذلك كذلك الخمر المحرم شربها إذا تخللت زال عنها اسم الخمر لزوال الحال الذي أوجب له اسم الخمر فسمي خلال الحال آخر طراً عليه والجوهر عين الجوهر فانقل الحكم من التحريم إلى الحل والظاهر والباطن في هذا على السواء في الحكم فإن الاعتبار إنما هو من الشرع لمن عقل عنه

(فصل بل وصل في التكبير في الصلاة)

اختلف علماء الشريعة في التكبير في الصلاة على ثلاثة مذاهب فمن ذهب إلى أنه كله واجب في الصلاة ومن ذهب إلى أنه كله ليس بواجب نقيض الأول ومن ذهب إلى أنه ليس بواجب إلا تكبيرة الإحرام فقط اعتبار النفس في ذلك تكبير الله واجب على كل حال ولكن من شرطه

مشاهدة الإنسان نفسه فإن لم يشاهد إلا الله ولم ير لغير الله عينا فلا يجب التكبير لأنه ما ثم على من فإن الله لا يجب عليه شيء وأن التكبير لا يعقل إلا بوجود الأعيان أو تقدير وجود الأعيان ثم إن القائلين لا مشهود لهم إلا الله شاهدا ومشهودا وشهادة وأعم من هذه الحالة في الفناء ما يكون فإن شاهده من حيث أسماءه الإلهية الحسنی أوجب التكبير من حيث نسبها أي من نسب بعضها لبعض فإن الاسم الحي له مهمنية على جميع الأسماء والاسم العالم أعم في التعلق من الاسم المرید والقادر فالتكبير لا بد منه فإن حقائق الأسماء تطلبه لتفاضلها وإن نظر في الأسماء الإلهية من حيث ما تجتمع فيه وهو المسمى بها فإنها موضوعة من المتكلم للدلالة على عين المسمى وإن كان لها حقائق في نفوسها مما يكون متعلقة التنزيه أو الأعيان لم ير التكبير ومن فرق بين الصلاة وغيرها من العبادات رأى وجوب تكبيرة الإحرام فقط ينبه بها نفسه أنها ممنوعة محجور عليها التصرف فيما يخرجها عن هذه العبادة المختصة المسماة صلاة وقد انحصرت المذاهب في الاعتبار والحمد لله

(فصل بل وصل في لفظ التكبير في الصلاة)

اختلف علماء الشريعة في صفة لفظ التكبير في الصلاة فمن قائل لا يجزئ إلا لفظة الله أكبر ومن قائل يجزئ بغير الصيغة ولكن فيه لا بد من حروف التكبير وهي الكاف والباء والراء ومن قائل يجوز التكبير على المعنى كالأجل والأعظم ومذهبنا في ذلك أن اتباع السنة أولى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلوا كما رأيتموني أصلي وما نقل إلينا قط إلا هذا اللفظ الله أكبر تواتر ذلك عندنا الاعتبار في ذلك ما عين الشرع لفظا في عبادة نطقية دون غيره من الألفاظ مما في معناه إلا وقد أراد ما يمتاز به ذلك اللفظ من طريق المعنى عند العلماء بالله عما يقع فيه الاشتراك فالأولى بنا مراعاة الاقتداء ومراعاة المعنى الذي يقع به الامتياز علمنا ذلك المعنى أو جهلناه فإن علمناه فوجب أن لا تعدل عنه وإن لم نعلمه فنأتي به على علم الذي شرعه فيه ولا نتحكم بسياق لفظ آخر والله قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فقال له قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا والعالم إذا كان حكيما لا يعدل إلى أمر دون غيره مما يقارب معناه إلا للخصوص وصف فيعتبر ذلك ولا يعدل عنه فعلا كان أو قولا فإنه لا بد لمن يعدل عنه أن يحرم فائدة ذلك الاختصاص ويتصف بالمخالفة بلا شك

(فصل بل وصل في التوجيه في الصلاة)

فمن قائل بوجوبه ومن قائل بعدم وجوبه وصورته أن يقول بعد التكبير وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ الحديث ومن قائل له أن يسبح وإن لم يقل هذا اللفظ بعينه ومن قائل يجمع بينهما بين التسبيح والتوجيه وأما الذي أذهب إليه فهو التوجيه في صلاة الليل في التهجد لاني الفرائض وأما في الفرائض فينبغي أن يقول بين التكبير والقراءة في نفسه لا يسمع غيره إذا كبر اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم تقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالثلج والماء والبرد هذا هو الذي اختاره وبه وردت السنة ومذهبنا الوقوف عندها والعمل بها وإن لم نوجب ذلك إذ لم يوجبه الله ولكن الاتباع أولى الاعتبار في ذلك عند

أهل الله التوجيه في حال من حال إلى حال من الله بالله إلى الله مع الله في الله لله على الله من الله ابتداء بالله إعانة وتأييد إلى الله غاية وانتهاء مع الله صحبة ومراقبة في الله رغبة لله قرينة من أجله على الله توكلا واعتمادا ثم يعتبر الفاظ ما ورد في التوجيه وكذلك تعتبر ما ذكرناه من الدعاء بين التكبير والقراءة والماء الحياة فإنه جعل من الماء كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ أي بما تحيي به قلبي بذكرك وجوارحي بطاعتك حتى لا تصرف إلا فيها فإنها شاهد مصدق يوم القيامة لمن تشهد عليه أو له كما ورد في القرآن العزيز من شهادة الجوارح واعتبر البرد من برد اليقين كبرد الأنامل الوارد في الخبر الصحيح فحصل به من العلم على يقين فيرد به ما يجده العبد المصطفى من حرارة الشوق إلى المراتب العلى عند المسيح الأعلى من العلم بالله والثلج من ثلج القلب الذي هو سروره بما أكرمه الله به من تجليه وشهوده

(فصل بل وصل في سكتات المصلي في الصلاة)

وهي بعد ما يكبر تكبيرة الإحرام وقبل الشروع في القراءة هذه السكتة الأولى وأما السكتة الثانية فعند الفراغ من قراءة الفاتحة وأما السكتة الثالثة فبعد الفراغ من القراءة وقبل الركوع سوى السكتات التي هي الوقوف على كل آية ليراد إليه نفسه أو ليتدبر فيما قرأ وهذه السكتة الثالثة إنما هي لمن قرأ قرآنا سوى الفاتحة بعد الفاتحة فإن اكتفى بالفاتحة فما هما إلا سكتتان فاعلم اعتبار أهل الله في ذلك من الناس من أنكر سكتات الإمام ومنهم من استحبهها ولا شك أن السكتات هي السنة فأما اعتبارها فالله يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصنين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه فالمصلي يتأهب لمناجاة ربه ويجعله نصب عينيه في قبلته وكذلك هو الأمر في نفسه لكن من غير تحديد ولا تشبيه بل كما يليق بجلاله فإن المصلي يواجه ربه في قبلته كذا ورد عن الصادق صلى الله عليه وسلم والمناجاة مفاعلة والمفاعلة فعل فاعلين في بعض المواطن هذا منها فإذا قال العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فالله عند هذا القول من العبد سمع فينبغي للعبد إذا فرغ من الآية أن يلقي السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ فيسكت حتى يرى ما يقول له الحق جل جلاله في ذلك أدبا مع الحق لا ينبغي له أن يداخله في الكلام فإن ذلك من الأدب في المحاورات والحق أحق أن يتأدب معه فيقول الله حمدني عبدي فمن عبيد الله من يسمع ذلك القول بسمعه فإن لم تسمعه بسمعك فأسمعه إيمانا به فإنه أخبر بذلك وهكذا يقول لك في كل آية بحسب ما تقتضيه تلك الآية فمن الأدب الإصغاء لما يقوله القائل لك من ناجيته فإذا داخلته في كلامه أي في حال ما يكلمك فقد أسأت الأدب هذا عام في كل متكلم مع من يكلمه فالأمر بين سامع ومتكلم لتحصيل الفائدة واعلم أنه من لأدب له لا تتخذة الملوك جليسا ولا سميرا ولا أنيسا

(فصل بل وصل في البسملة في افتتاح القراءة في الصلاة)

اختلف علماء الشريعة في قراءة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في افتتاح القراءة في الصلاة فمن قائل بالمنع سرا وجها لا في أم القرآن ولا في غيرها من السور وذلك في المكتوبة وأجازها في النافلة ومن قائل تقرأ مع أم القرآن في كل ركعة سرا ومن قائل يقرأ بها ولا بد في الجهر جها وفي السر سرا والذي أقول به أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند افتتاح قراءة القرآن في صلاة وفي غيرها فرض للأمر الإلهي الوارد في قوله

تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وقراءة البسملة في القراءة في الصلاة فرضاً كانت الصلاة أو فلا في الفاتحة والسورة أولى من تركها فإن الفرض على المصلي أن يقرأ ما تيسر من القرآن وقد عين الله الذي أراد من القرآن في الصلاة وهو الذي تيسر فقد عرف بعد ما نكر وذلك هو الفاتحة فإن تيسر له قراءة البسملة قرأها وإن لم تيسر قراءتها في الفاتحة وغيرها فلا حرج وأما الفاتحة فلا بد منها في الصلاة وإن لم يقرأ الفاتحة فما هي الصلاة التي قسمها الحق بينه وبين عبده والبسملة عندنا آية من القرآن حيثما وردت من القرآن وهي آية إلا في سورة النمل في كتاب سليمان فإنها جزء من آية ما هي آية كاملة والله أعلم الاعتبار عند أهل الله في ذلك فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَقَدْ وَرَدَ إِذَا اسْتَطَعَمَ الْإِمَامُ مِنْ خَلْفِهِ فليطعمه فسماه طعاماً مناسب الأكل فهذا آيتنا بآيات الأكل في الاعتبار ومن قرأ القرآن معتقداً أنه كلام الله فقد سمي الله متكلماً وإن كان هذا الاسم ما ورد فافهم فهمنا الله وإياك مواقع خطابه

(فصل بل وصل القراءة في الصلاة وما يقرأ به من القرآن فيها)

من الناس من أوجب القراءة في الصلاة وعليه الأكثر ومن الناس من لم يوجب القراءة ومن الناس من أوجبها في بعض الصلاة ولم يوجبها في بعض والذي أذهب إليه وجوب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة وإن تركها لم تجزه صلاته ثم اختلفوا أيضاً فيما يقرأ به من القرآن في الصلاة فمنهم من أوجب قراءة أم القرآن في الصلاة إن حفظها وبه أقول وما عداها من القرآن ما فيه توقيت ومن هؤلاء من أوجبها في كل ركعة ومنهم من أوجبها في أكثر الصلاة ومنهم من أوجبها في نصف الصلاة ومنهم من أوجبها في ركعة من الصلاة ومنهم من أوجب قراءة القرآن أي آية اتفقت ومن هؤلاء من حد ثلاث آيات من قصار الآي وآية واحدة من طوال الآي كآية الدين وهذا في الركعتين الأولين وأما في الركعتين الأخيرين فاستحب قوم التسييح دون القراءة وانفق الجمهور وهم الأكثرون على استحباب القراءة في الصلاة كلها وبه أقول اعتبار أهل الله في ذلك المصلي يناجي ربه والمناجاة كلام القرآن وكلام الله والعباد قاصرون يعرفون من نفسه ما ينبغي أن يكلم به ربه في وقت مناجاته التي دعاه إليها في صلاته فعلمه ربه كيف يناجيه وبما ذا يناجيه به لما قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين ثم قال يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فهذا إخبار من الحق يتضمن تعليم العبد ما يناجيه به فيقول الله حمدي عبدي الحديث فما ذكر في حق المصلي إذا ناجاه أن يناجيه بغير كلامه ثم إنه تعالى عين له من كلامه أم القرآن إذ كان لا ينبغي أن يناجي إلا بكلامه وبالجامع من كلامه ولأم هي الجامعة وهي أم القرآن وبعد أن علمنا كيف يناجيه سبحانه وبما ذا يناجيه فالعالم العاقل الأديب مع الله إذا دخل في الصلاة أن لا يناجيه إلا بقراءة أم القرآن فكان هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عن ربه تعالى مفسراً ما تيسر من القرآن وإذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجهاً خاصاً مما يكون تفسيراً لذلك الجملة كان الواجب عند الأدباء من العلماء أن لا يتعدوا في تفسير ذلك الجملة ما فسره به قائله وهو الله تعالى وأن يقفوا عنده وشرع المناجاة بالكلام الإلهي في حال القيام في الصلاة خاصة دون غيره من الأحوال لوجود

صفة القيومية من كون العبد قائما في الصلاة والله قائم على كل نفس بما كَسَبَتْ و هنا علم كبير في قيام العبد بكلام الرب وما له حديث إلا مع ربه بكلام ربه ما دام قائما فلن يترجم و عمن يترجم ومن هو المترجم وما تكسب النفس التي هو قائم عليها ومن هو العبد حتى يقول السيد جل جلاله يقول العبد كذا فيقول الله كذا لولا العناية الإلهية و التفضل الرباني فإن قيل قد فهمنا ما أشرت به من صفة القيام و الرفع من الركوع قيام و لا قراءة فيه قلنا الرفع من الركوع إنما شرع للفصل بينه و بين السجود فلا يسجد إلا من قيام فلو سجد من ركوع لكان خضوعا من خضوع و لا يصح خضوع من خضوع لأنه عين الخروج عما يوصف بالدخول فيه فإن التواضع لا يكون إلا من رفعة فإن المهين النفس إذا ظهر منه التواضع فيما يرى فليس بتواضع وإنما ذلك مهانة نفس فيكون لا خضوع مثل عدم العدم هو عين الوجود فلهذا فصل بين السجودتين برفع ليفصل بين السجودتين حتى تتميز كل واحدة منهما بالفاصل الذي فصل بينهما فيعلم إن ثم أمرا آخر وإن اشتركتا في الصورة مثل قوله و أتوا به مُسْتَشَابِهًا كما لا نشك في حقيقة كلمة لا إله إلا الله من حيث ما هي لا إله إلا الله و قد ظهرت بالصورة في ستة و ثلاثين موضعا من القرآن و يعلم صاحب الذوق أن حكمها يختلف في الطعم باختلاف الموضع الذي ظهرت فيه فإن كنت تفهم كشابه ركعات الصلاة في الصورة و لكل ركعة طعم و مذاق ما هو للأخرى كانت ما كانت و لا شك إذا فصل بين المثاليين بالنقيض تميزا و من الآداب مع الملوك إذا حيوا حيوا بالانحناء و هو الركوع أو بوضع الوجه على الأرض و هو السجود تعظيما لهم و إذا توجهوا أو أتى عليهم قام المشئى أو المكلم لهم بين أيديهم لا يكلمهم جالسا و لا في غير حال من أحوال القيام هذا هو الأدب المعروف من هودون الملك مع الملك فكيف بمن هو عبد له لا يقبل الحرية و أما القرآن فلما كان المعقول في اللسان المعروف من إطلاق هذا اللفظ الجامع و الصلاة حالة يجتمع العبد فيها على سيده كما هي حالة أيضا جامعة بين الله و بين عبده حيث قسمها الله بينه و بين عبده في الصلاة و وقعت المناسبة بين القرآن و بين الصلاة فلم ينبغ أن يقرأ فيها بغير القرآن و لما كان القيام يشبه الألف من الحروف الرقمية و هو أصل الحروف اللفظية و عنه ظهرت جميع الحروف بانقطاعه في مخارجها من الصدر إلى الشفتين فهو الجامع لأعيان الحروف و أعيان الحروف مراتبه و منازلها في خروجه و سفره من القلب الذي هو عالم الغيب إلى الشهادة كان القيام جامعا لأنواع الهيئات و أصولها من ركوع و سجود و جلوس و إن كان الجلوس له من وجه شبه بالقيام لأنه نصف قيام فكانت قراءة القرآن من كونها جمعا في القيام أولى فإن القيام هو الحركة المستقيمة و الاستقامة هي المطلوبة من الله أن يوفق لها العبد فالعبد يقول اهدنا الصراط المستقيم لكون الله تعالى قال له فاستقم كما أمرت فتعين بما ذكرناه في مجموعه و وجوب قراءة القرآن في الصلاة في ركعة إذ كانت أقل ما ينطلق عليه اسم صلاة شرعا و هي الوتر و قد أوتر رسول الله صلى الله عليه و سلم بواحدة أو ترجيحها على غيرها من آي القرآن و إذا كان المتعين على المصلي في القيام قراءة القرآن إما بالوجوب و إما بالأولوية فلنبين في ذلك صورة قراءة العلماء بالله لها في مناجاتهم في الصلاة (وصل في وصف هذه الحال) اعلم أن المصلي لما كان ثانيا كما قرناه في الاشتقاق و أن كونه ثانيا ليس بأمر حقيقي وإنما كان ذلك بالإضافة إلى شهادة التوحيد في الإيمان فتلك ثنية الإيمان أي ظهوره في موطنين في موطن الشهادة و موطن الصلاة كما تثلثه مع الزكاة فما زاد و لهذا ذكر الله الزيادة

في الايمان فقال فزادتهم ايمانا وهو عين واحدة والكثرة إنما هي في ظهوره في المواطن كالواحد المظهر للاعداد المكثرت لها وهو في نفسه لا يتكرر ألا تراه إذا خلعت مرتبة عنه لم يبق لتلك المرتبة حكم ولا عين وفي معنى هذا يقول الله فيمن قال نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ . . . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا فنفى عنهم الايمان كله إذ نفوه من مرتبة واحدة فهم أولى باسم الكفر الذي هو الستر فإن الكافر الأصلي هو الذي استتر عنه الحق وهذا عرف الايمان وستره فإنه قال نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ فهو أولى باسم الكفر من الذي لم يعرفه ولما لم تكن أولية الحق تقبل الثاني قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فذكر نفسه وذكر العبد وما ذكر الأولية هنا لاله ولا لعبده بل ذكر البين له بالضمير ولعبده بالصريح وهو الحد الذي ينبغي أن يتميز به العبد من ربه إلا أنه تعالى قدم نفسه في البينية فقال بيني ثم آخر عن هذا التقدم بينية عبده فقال وبين عبدي فأضافه إليه تعالى ليعرفه أنه عبد له لالهواه فإنه القائل أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ فكان عنده عبدا لهواه وهو في نفس الأمر عبد ربه سبحانه فالعبد ما له إرادة مع سيده بل هو بحكم ما يراد به فالحق سبحانه هو الواجب الوجود لذاته والعبد هو الذي منه استفاد الوجود فإن أصله العدم فالحق يعطيه التقدم في هذه المرتبة إذ البينية لا تعقل إلا بين أمرين والأمران هنا الرب والعبد ثم إن الحق جعل في مقابلة تقديم نفسه من قوله بيني تقديم العبد في القول على قول الحق فقال سبحانه يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فقدم قول العبد ثم قال فيقول الله فجاء بقوله بعد قول العبد وذلك ليستين لنا أن له الأمر من قبل في قوله بيني فقدم ومن بعد في قوله فيقول الله فهو الأول الآخر فأثبت للعبد الأولية في القول ليعلم أن الأولية الإلهية في قوله بيني لا تقتضي قبول الثاني فهذا الذي قد تحيل أنه ثان قد رجع أولا في القول في المناجاة فعرفناك إن المقصود التعريف بالمراتب لا التركيب المولد فإنه لم يلد سبحانه في قوله وبين عبدي ولم يولد في قوله فيقول الله حمدني عبدي ولو أن العقل يدركه حقيقة بنظره ودليله و يعرف ذاته لكان مولدا عن عقله بنظره فلم يولد سبحانه للعقول كما لم يولد في الوجود ولم يلد بإيجاده الخلق لأن وجود الخلق لا مناسبة بينه وبين وجود الحق والمناسبة تعقل بين الوالد والولد إذ كل مقدمة لا تنتج غير مناسبها ولا مناسبة بين الله وبين خلقه إلا افتقار الخلق إليه في إيجادهم وهو الغني عن العالمين فكما ثبت أن أولية الحق لا تقبل الثاني كذلك أولية العبد في القول لا يكون الحق ثانيا لها إذ ليست بأولية عدد إذ كان الذي في مقابلة العبد هو الحق فإنه الذي يتاجيه وما تعرض لذكر الغير فمن كان في صلواته يشهد الغير معرى عن شهود الحق فيه أو شهوده في الحق أو شهود صدوره عن الحق وهو قول أبي بكر الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فما هو بمصل من ليست حالته ما ذكرناه من أنواع المشاهدة وإذا لم يكن مصليا لم يكن مناجيا والحق لا يناجي بالألفاظ في هذه الحالة وإنما يناجي بالحضور معه فيكون القائل الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إذا لم يكن حاضرا مع الله لسان العبد لا عينه وحقيقته فيقول الحق عند ذلك حمدني لسان عبدي لا عبدي المفروضة عليه مناجاتي وإذا حضر القائل في قوله يقول الله حمدني عبدي جبر له ما مضى بفضل الله فإن العبد إذا حضر تضمن حضوره حضور اللسان وسائر الجوارح لأن العين تجمعهم وإذا لم يحضر عينه لم تقم عنه جارحة من جوارحه ولا عن غير نفسها ولما تقدم نداء الحق عبده في الإقامة حي على الصلاة لهذا ابتداء العبد بتكبيرة الإحرام فإن بقي على إحرامه إلى آخر صلواته وصدق في أنه أحرم ووفى وفي الله له فإنه

قال لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وقال أَوْفُوا بَعْدِي أَوْفِ بَعْدَكُمْ فَإِنَّهُ لَا مَكْرَهَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَفِ الْعَبْدُ فِي صَلَاتِهِ بِأَحْرَامِهِ وَأَحْضَرَ أَهْلَهُ أَوْ دَكَانَهُ وَمَا كَانَ مِنْ أَعْرَاضِهِ مَعَهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ يَفْعَلُ مَعَهُ مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ فِيهِ فَقَالَ الْعَبْدُ اقْتِدَاءً فِي تَكْثِيرَةِ الْإِحْرَامِ اللَّهُ أَكْبَرُ لَمَّا خَصَّصَ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ سَمَّاها صَلَاةَ اللَّهِ أَكْبَرَ أَنْ يَقْتَدِيَ رَبِّي حَالَ مِنَ الْأَحْوَالِ بَلْ هُوَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَا بَلْ هُوَ كُلُّ الْأَحْوَالِ بَلْ الْأَحْوَالُ كُلُّهَا بِيَدِهِ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ حَالَ مِنَ الْأَحْوَالِ فَكَبَّرَهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْحُكْمِ الْوَهْمِ لَا الْحُكْمَ الْعَقْلَ فَإِنَّ لِلْوَهْمِ حُكْمًا فِي الْإِنْسَانِ كَمَا لِلْعَقْلِ حُكْمًا فِيهِ وَجَعَلَهَا تَكْثِيرَةَ إِحْرَامِ أَيْ تَكْثِيرَةَ مَنْعٍ يَقُولُ تَكْثِيرًا لَا يَشَارِكُهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْكِبْرِيَاءِ كَوْنٌ مِنَ الْأَكْوَانِ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي أَخْبَرْنَا بِهَا كَيْفَ يَشَارِكُهُ مِنْ هُوَ عَيْنُهُ إِذْ قَالَ لَهُ إِنَّهُ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ فَالْشَيْءُ لَا يَشَارِكُ نَفْسَهُ فَإِنَّهُ مَا تَمَّ إِلَّا وَاحِدٌ فَهُوَ الْمَكْبُورُ وَالْكَبِيرُ وَهُوَ الْكِبْرِيَاءُ لَيْسَ غَيْرُهُ تَعَالَى وَيَتَنَزَّهُ وَيُقَدِّسُ أَنْ يَكُونَ مَتَكَبِّرًا كِبْرِيَاءً مَا هُوَ عَيْنُهُ إِذَا قَامَ الْعَارِفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَلَمْ يَرَفِ فِي وَقُوفِهِ وَلَا فِي تَكْثِيرِهِ غَيْرَ رَبِّهِ وَأَصْغَى إِلَى نِدَاءِ رَبِّهِ إِذَا قَالَ لَهُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْإِقَامَةِ أَيْ أَقْبَلَ عَلَى مَنَاجَاتِي وَقَدْ قَالَ لَهُ وَثِيَابُكَ فَطَهَّرَ فَإِنَّ الْمَصْلِيَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَخْلَعُ عَلَى الْحَقِّ حُلَّ الثَّنَاءِ يَطْلُبُ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ فِيهَا فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرُدُّ عَلَيْهِ عَمَلَهُ كَمَا يَقُولُ الشَّخْصُ عِنْدَنَا لِأَهْلِ الدِّينِ أَلْبَسْ لِي هَذَا الثَّوْبَ عَلَى طَرِيقِ الْبَرَكَةِ ثُمَّ يَخْلَعُهُ الْإِبْسَ عَلَيْهِ يَقُولُ الْحَقُّ لَمَّا ذَكَرْنَا ثَنَى عَلَى عَبْدِي أَيْ خَلَعَ عَلَى حُلِّ الثَّنَاءِ وَالْحَقُّ سَبَّحَانَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِ عَبْدِهِ كَمَا أَخْبَرْنَا أَنَّهُ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ سَمِعَ اللَّهُ لَنْ حَمْدِهِ فَانظُرْ مَا أَشْرَفَ مِنْ تَبَةِ الْمَصْلِيَّ كَيْفَ وَصَفَهُ الْحَقُّ بِأَنَّهُ يَخْلَعُ حُلَّ الثَّنَاءِ عَلَى سَيِّدِهِ وَأَيْنَ الْمَصْلِيَّ الَّذِي تَكُونُ هَذِهِ حَالَتُهُ هِيَهَاتَ بَلِ النَّاسِ اسْتَبَاؤُوا أَلْسِنَتَهُمْ لِسُوءِ أَدْبَعِهِمْ وَعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِمَنْ دَعَاهُمْ وَبِمَا دَعَاؤُهُ مِنْ طَلَبِ الثَّنَاءِ فَلَمْ يَجِبُوا إِلَّا بِظَوَاهِرِهِمْ وَرَاحُوا بِقُلُوبِهِمْ إِلَى أَعْرَاضِهِمْ فَهَمَّ الْمَصْلُونُ السَّاهُونَ فِي صَلَاتِهِمْ لَا عَنْ صَلَاتِهِمْ لِلْحَالَةِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْإِجَابَةِ لِنَدَائِهِمْ لِكُونِهِمْ أَقَامُوا ظَوَاهِرَهُمْ نَوَابًا عَنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْ الْقِبْلَةِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ فَلَمَّا دَعَاهُمْ الْحَقُّ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ وَجَاءَ الْعَالَمُ بِاللَّهِ وَكَبَّرَ تَكْثِيرَةَ الْإِحْرَامِ كَمَا ذَكَرْنَا وَلَمْ يَرَفِ نَفْسَهُ أَهْلًا لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ إِلَّا بَعْدَ تَجْدِيدِ طَهَارَةِ قَوْلِهِ وَثِيَابُكَ فَطَهَّرَ وَالثَّوْبَ فِي الْإِعْتِبَارِ الْقَلْبَ قَالَ الْعَرَبِيُّ فَسَلِي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلُ وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ وَثِيَابُكَ فَطَهَّرَ إِنَّهُ أَمْرٌ بِتَقْصِيرِ ثِيَابِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى

تَقْصِيرُكَ الثَّوْبَ حَقًّا أَنْتَى وَأَبْقَى وَأَتَقَى

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَبْدَ فَرَضَ عَلَيْهِ رُؤْيَا تَقْصِيرِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ فَإِنَّهُ يَقْصُرُ بِذَاتِهِ عَمَّا يَجِبُ لَجَلَالِ رَبِّهِ مِنَ التَّعْظِيمِ فَهُوَ تَنْبِيهُ إِلَهِي عَلَى أَنْ يَطْهَرَ الْعَبْدَ قَلْبَهُ إِذْ كَانَ ثَوْبَ رَبِّهِ الَّذِي وَسَعَهُ فِي قَوْلِهِ وَسَعَنِي قَلْبَ عَبْدِي فَمِثْلُ هَذَا الثَّوْبِ هُوَ الْمَأْمُورُ بِتَطْهِيرِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ثُمَّ إِنْ الْعَارِفُ رَأَى أَنَّ طَهْرَ قَلْبِهِ لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ إِذَا طَهَّرَهُ بِنَفْسِهِ لَا بِرَبِّهِ زَادَهُ دَنَسًا إِلَى دَنَسِهِ كَمَنْ يَزِيلُ النِّجَاسَةَ مِنْ ثَوْبِهِ بِبَوْلِهِ لِكُونِهِ مَائِعًا وَأَنَّ التَّطْهِيرَ الْمَطْلُوبَ هُنَا إِنَّمَا هُوَ الْبَرَاءَةُ مِنْ نَفْسِهِ وَرَدُّ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَهَذَا لَا يَصِحُّ لَهُ عِنْدَنَا أَنْ يَنَاجِيَهُ فِي الصَّلَاةِ بِغَيْرِ كَلَامِهِ لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ أَنْ يَكُونَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ وَكَذَا وَرَدَّ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا يَصِحُّ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ الْحَدِيثُ ثُمَّ أَيْدِ هَذَا الْقَوْلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا اجْعَلُوا فِي رُكُوعِكُمْ وَمَا نَزَلَتْ سَبِّحْ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْمَى قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا اجْعَلُوهَا فِي سَجُودِكُمْ فَعَمِنَا الْقُرْآنُ فِي أَحْوَالِنَا مِنْ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ فَمَا ذَكَرَهُ الْمُصَلِّي فِي شَيْءٍ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ لَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرَفْنَا أَنَّهُ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ وَإِنْ لَمْ نَسْمَعْ كُلَّ كَلَامٍ إلهِي قِرَاءًا مَعَ عَلْمِنَا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ فَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَمَا كُلُّ كَلَامِ اللَّهِ قِرْآنٌ فَالْكَلِمَةُ كَلَامُهُ فَلَانَجَاهِي فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِكَلَامِهِ كَذَلِكَ التَّطَهِيرُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ فيقول العارف في صلواته بين تكبيرة الإحرام وقراءة فاتحة الكتاب امتثالاً لهذا الأمر اللهم باعد بيني وبين خطاياي وهي النجاسات المتعلقة بثوبه كما باعدت بين المشرق والمغرب والسبب في ذلك أن العبد العالم إذا دعاه الحق إلى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه فإذا أشهده خطاياهم في موطن القرب وهي في ذاتها في كل البعد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد عما طلب الحق منه من القرب فدعا الله قبل الشروع في المناجاة أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياهم أن تظهر له في قلبه في هذا الموطن الذي هو موطن القربة ولذلك قال بعضهم في حد التوبة أن تنسى ذنبك فإن ذكر الجفاء في موطن الصفا جفا وما رأيت فيمن رأيت أحداً تحقق بهذا المقام ذوقاً إلا بعض الملوك في مقامه مع الخلق فلا يريد أن يظهر له شيء من خطاياهم بتخيل أو تذكر كما باعدت بين المشرق والمغرب وفي هذا التشبيه علم عزيز غزير ولكنه أراد هنا البعدين الضدين إذ كان الضدان لا يجتمعان والعلم الذي نبهنا عليه مبطنون في هذين الضدين إذ يجتمعان في حكم ما كالبياض والسواد يجتمعان في اللون كالحديث وغير الحديث في الوصف بالوجوب فالمشرق وإن بعد عن المغرب حساً فإنه يشاهد كل واحد صاحبه على التقابل وهو بعد حسياً بالموضعين وبعد معنوي بالشروق والغروب فإن الغروب يصاد الشروق ومحل الشروق الذي هو المشرق بعيد جداً من محل الغروب الذي هو المغرب ولم يقل كما باعدت بين السواد والبياض فإن اللونية تجمع بينهما فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أحقه وأدقه وتأدب مع الله حيث طلب البعد من خطاياهم وما طلب إسقاطها عنه حتى لا يكون في ذلك الموطن في حظ نفسه يسعى ويطلب فيكون بمنزلة من وجه الملك فيه ليدخل عليه فلما دخل عليه طلب منه ابتداء ما يصلح لنفسه فهذا سيئ الأدب وإنما ينبغي له أن يطلب من الحق ما يليق مما تطلبه تلك الحالة من التأهب لمناجاة سيده فطلب البعد من الخطايا ما طلب الإسقاط (وصل فيه ومنه) ثم قال اللهم تقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وذلك لما قال له عز وجل وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ فجاء في دعائه بلفظ الثوب أعلاماً للحق لقوله حتى تعلم وهذا غاية الأدب حيث يترك علمه لإيمانه أي ما دعوتك إلا بما أمرتني به أن أفعله من تطهير الثوب لمناجاتك فلتكن أنت يا رب المتولي لذلك التطهير فإنه لا حول لي ولا قوة إلا بك وكل وصف لا يليق بك فلهذا خطية من تخطيت وهو أن يتجاوز العبد حده فيخطو في غير محله ويجول في غير ميدانه فهو كما مشي في الأرض المغصوبة فإذا خطأ العبد في غير ما أمره به سيده سمي مخطئاً وخطئاً وسميت تلك الفعلية والحركة خطيئة فالعبد عبد والرب رب (وصل بقية الدعاء) ثم يقول اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد أي تول أنت سبحانك غسل خطاياي فأضاف الغسل إليه يقول فإنك قد شرعت لي أن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله وشرعت لي أن أقول إذا قلت يَاكَ نَعْبُدُ أقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أي على عبادتك فإن لم تولني بقوتك ومعونتك فيما أمرتني به من تطهير ذاتي لمناجاتك فكيف

أناجيك في حالة جعلتها دنسا وأنت القائل وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فَغَسَلَ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ أَي أَحْيَى قَلْبِي بِأَنْ تَبْدَلَ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهَذِهِ الْحَيَاةُ هُنَا عَلَيَّ هَذَا الْحَالُ بِوُرُودِ الْمَاءِ عَلَيَّ النَّجَاسَةَ وَالذَّنْسَ تَطْهِيرُ أَي مَا كَانَ دَنَسًا صَارَ نَقِيًّا وَمَا كَانَ نَجْسًا صَارَ طَاهِرًا فَإِنَّ دَنَسَهُ وَنَجَاسَتَهُ لَمْ تَكُنْ لِدَانَتِهِ وَإِنَّمَا كَانَ بِحُكْمِ شَرْعِي أَنْفَرِدَ بِهِ هَذَا الْمَوْطِنُ فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِالْمَاءِ لُورُودِ الْمَاءِ عَلَيْهِ كَانَ لِلْاجْتِمَاعِ حُكْمٌ آخَرَ سُمِّيَ بِهِ نَقَاءٌ وَطَهَارَةٌ فَعَادَ الْقَبِيحُ حَسَنًا وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً فَمَثَلُ هَذَا الْفِعْلِ هُوَ الْمَطْلُوبُ لِإِزَالَةِ الْعَيْنِ بِلِإِزَالَةِ الْحُكْمِ فَإِنَّ الْعَيْنَ مَوْجُودَةٌ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَاءِ وَقَوْلُهُ وَالثَّلْجُ يُقَالُ فِي الرَّجُلِ إِذَا سَرَّ قَلْبُهُ بِأَمْرٍ مَا ثَلَجَ فُؤَادَ الرَّجُلِ أَي هَوِيَ فِي أَمْرٍ يَسُرُّهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ مِثْلَ هَذَا الْغَسْلِ سَرَّ قَلْبِي حَيْثُ تَطْهَرُ لَمَّا يَرْضِيكَ بِمَا يَرْضِيكَ فَيَنْقَلِبُ غَمَّهُ سُرُورًا وَقَوْلُهُ وَالْبَرْدُ هُوَ مَا يَنْطَفِي مِنْ جَمْرَةٍ الْإِحْتِرَاقِ الَّذِي قَامَ بِالْقَلْبِ مِنْ كَوْنِهِ حِينَ دَعَا رَبَّهُ لِمَنَاجَاتِهِ عَلَيَّ حَالَةً لَا يَصِلِحُ أَنْ يَقِفَ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فَيُحِبُّ مَا يَطْفِي تِلْكَ النَّارَ فَجَاءَ بِلَفْظِ الْبَرْدِ مِنَ الْبَرْدِ فِي رِوَايَةِ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ فَهُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَذَا رَوَيْنَاهُ عَنْهُمْ قَالَ شَاعِرُهُمْ

وعطل قلوصي في الركاب فإنها ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

يقول إن من الناس من كان في نفسه من حياتي حرقة و نار حسدا و عداوة إذا رأوا قلوصي معطلة عرفوا بموتي فبرد عنهم ما كانوا يجدونه بحياتي من النار و أبكت أوليائي الذين كانوا يحبون حياتي فانتقلت صفات هؤلاء إلى هؤلاء و هؤلاء إلى هؤلاء كما انتقل ذل الأولياء و تعبهم و نصبهم و مكابدهم و كدهم في الدنيا في طاعة ربهم إلى الأشقياء من الجبابرة في النار و انتقل سرور الجبابرة و راحة أهل الثروة في الدنيا إلى أهل السعادة أهل الجنة في الآخرة فالذي ذكر هذا الشاعر في شعره هي حالة كل موجود إذ كل موجود لا بد له من عدو و ولي قال تعالى لا تَخِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ فَجَعَلَهُمْ أَعْدَاءَ لَهُ كَمَا قَالَ فِي جَزَائِهِ إِيَاهُمْ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَإِذَا كَانَ لِلَّهِ أَعْدَاءٌ فَكَيْفَ بِأَجْنَاسِ الْعَالَمِ وَكَذَلِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ أَوْلِيَاءٌ وَلِكُلِّ مَوْجُودٍ فَالْعَالَمُ بِاللَّهِ الْمَشْغُولُ بِهِ مِنْ يَقُولُ مَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا فِيغْنِي الْكُلَّ فِي جَنَابِ الْحَقِّ وَهُوَ الْأَوْلَى وَهُوَ الْوَلِيُّ حَقًّا إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ سَارِيَةً حَقًّا وَخَلْقًا فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ كَمَا هُوَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ عِيْدُهُ أَعْدَاؤُهُ فَكَيْفَ حَالُ عِيْدِهِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ بِمَا فِيهِمْ مِنَ التَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ فَإِذَا سَأَلَ الْعَارِفُ مِنَ اللَّهِ هَذَا التَّطْهِيرَ بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ عِنْدَ ذَلِكَ يَشْرَعُ فِي التَّوْجِيهِ (وَصَلَّ مَتَمًّا لِأَكْمَلِ صَلَاةٍ فِي التَّوْجِيهِ) وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا لِأَنَّ الْعَالَمَ بِاللَّهِ يَعْمَدُ إِلَى أَكْمَلِ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ فِي حَالَاتِهَا مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِطَرِيقِ الْوَجُوبِ وَلَكِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ أَوْلَى بِصُورَةِ الْكَمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ لِأَنَّهُمْ يَنَاجُونَ مِنْ لَهُ الْكَمَالُ الْحَقِيقُ بِمَا يَجِبُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَوْجِبَتْهُ مَعْرِفَتُهُمْ وَشُهُودُهُمْ ابْتِدَاءَ التَّوْجِيهِ فَيَقُولُ الْعَبْدُ وَجْهَتُ وَجْهِي فَأَضَافَ الْعَبْدُ الْوَجْهَ إِلَى نَفْسِهِ عَنِ الشَّرْعِ رَبَّهُ لَهْ فِيهِ أَدْبَا مَعَ اللَّهِ بِحُضُورِهِ مَعَ الْحَقِّ فِي أَنَّهُ لِسَانُهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ وَدَعَا إِلَى هَذِهِ الْإِضَافَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي فَأَثَبْتَهُ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ مُضَافٌ إِلَى سَيِّدِهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْأَدِيبَ الْعَارِفَ هُوَ وَجْهَ سَيِّدِهِ إِذْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُضَافَ إِلَى الْعَبْدِ شَيْءٌ فَهُوَ الْمَضَافُ وَلَا يُضَافُ إِلَيْهِ إِذَا أَضَافَ السَّيِّدُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ فَهُوَ عَلَى جِهَةِ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْرِيفِ مِثْلُ قَوْلِهِ وَالْحُكْمُ وَمِثْلُ ذَلِكَ وَأَضَافَ فِعْلَ التَّوْجِيهِ إِلَى نَفْسِهِ لَعَلَّمَهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَضَافَ الْعَمَلَ إِلَى الْعَبْدِ فَقَالَ يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالتَّوَلُّوعُ

من الأعمال فالعالم لا يزال أبداً يجري مع الحق على مقاصده كما قال خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ فَعَرَفَهُ بِالْمَوَاطِنِ وَكَيْفَ يَكُونُ فِيهَا وَلَوْ تَرَكَهُ مَعَ نَفْسِهِ لَعَادَ إِلَى الْعَدَمِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ الْوُجُودَ وَلَوَازِمَهُ وَظَهَرَ فِيهِ سَبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ بِمَا أَظْهَرَ مِنَ الْأَفْعَالِ بِهِ وَجَعَلَ لِلْعَبْدِ أَوْلَا مَعْلُومًا وَجُودِيًا وَآخِرًا مَعْلُومًا فِي الْوُجُودِ مَعْقُولًا فِي التَّقْدِيرِ وَظَاهِرًا مَا ظَهَرَ مِنْهُ لَهُ وَبَاطِنًا بِمَا خَفِيَ عَنْهُ مِنْهُ فَلَمَّا حَدَهُ بِهَذِهِ الْحُدُودِ وَعَرَاهُ عَنْهَا وَقَالَ لَهُ مَا أَنْتَ هُوَ الْبَاطِنُ وَالْبَاطِنُ فَأَبْقَى الْعَبْدَ فِي حَالٍ وَجُودِهِ عَلَى إِمْكَانِهِ مَا يَبْرَحُ مِنْهُ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَبْرَحَ وَأَضَافَ الْأَفْعَالِ إِلَيْهِ لِحُصُولِ الطَّمَأِينَةِ بِأَنَّ الدَّعْوَى لَا تَصِحُّ فِيهَا فَإِنَّهُ قَالَ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وَقَالَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فَلِهَذَا أَضَافَ الْعَالَمَ التَّوْجِيهَ إِلَى نَفْسِهِ وَوَجْهَ الشَّيْءِ ذَاتِهِ وَحَقِيقَتَهُ أَي نَصَبَتْ ذَاتِي قَائِمَةً كَمَا أَمَرْتَنِي ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ قَوْلُهُ فَفَتَقْنَا هُمَا أَي الَّذِي مِيزَ ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي وَغَيْبِي مِنْ شَهَادَتِي وَفَصَلَ بَيْنَ الْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ فِي ذَاتِي كَمَا فَصَلَ السَّمَاوَاتِ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ بِمَا جَعَلَ فِي كُلِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى سَمَاوَاتِي وَقَوْلُهُ وَالْأَرْضَ فَفَصَلَ بَيْنَ جَوَارِحِي فَجَعَلَ لِلْعَيْنِ حِكْمًا وَلِلذَّنِّ حِكْمًا وَلِلسَّائِرِ الْجَوَارِحِ حِكْمًا حِكْمًا وَهُوَ قَوْلُهُ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا وَهُوَ مَا يَتَغَذَّى بِهِ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَعْطِيهِ الْحَوَاسِ بِمَا يَرْكَبُهُ الْفِكْرُ مِنْ ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْمَعْرِفَةِ بِهِ فَهَذَا وَمَا يَنَاسِبُهُ يَنْظُرُ الْعَالَمُ فِي اللَّهِ بِالتَّوْجِيهِ بِقَوْلِهِ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ مَجْرُوعٌ وَسِعَ لَوْ شَرَعْنَا فِيهَا يَحْصُلُ لِلْعَارِفِ فِي نَفْسِهِ الَّذِي يُوْجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَا وَسِعَهُ كِتَابٌ وَلَكَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ تَعْيِيرِ سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ حَقِيقًا أَي مَائِلًا وَالْحَنْفُ الْمَيْلُ يَقُولُ مَا تَائِلًا إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ مِنْ إِمْكَانِي إِلَى وَجُوبِ وَجُودِي بِرَبِّي فَيَصِحُّ لِي التَّنْزَهُ عَنِ الْعَدَمِ فَأَبْقَى فِي الْخَيْرِ الْخِصْصَ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ حَقِيقًا ثُمَّ قَالَ وَمَا أَنَا فِي هَذَا الْمَيْلِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ يَقُولُ مَا مَلَّتْ بِأَمْرِي كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي وَإِنَّمَا الْحَقُّ عِلْمَنِي كَيْفَ أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَبِمَا ذَا أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَمِمَّا ذَا أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَعَلَى أَيْةِ حَالَةٍ أَكُونُ فِي التَّوْجِيهِ إِلَيْهِ هَذَا كُلَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَعْرِفَهُ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ فِي التَّوْجِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَمَا هُمْ أَهْلُ تَوْجِيهِ وَإِنْ أَتَوْا بِهَذَا اللَّفْظِ فَتَفَنَّى عَنِ نَفْسِهِ الشَّرْكَ وَالْعَبْدَ وَإِنْ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى نَفْسِهِ فَمَا هُوَ شَرِيكَ فِي الْفِعْلِ وَإِنَّمَا هُوَ مَنْفَرِدٌ بِمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَنْفَرِدًا مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَيَكُونُ الْحَقُّ مَنْفَرِدًا بِمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ بِهِ مَنْفَرِدًا مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ فَالْعَبْدُ لَا يَشَارِكُهُ سَيِّدُهُ فِي عِبَادَتِهِ فَإِنَّ السَّيِّدَ لَا يَكُونُ عَبْدًا وَالْعَبْدُ لَا يَكُونُ سَيِّدًا لِمَنْ هُوَ لَهُ عَبْدٌ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ عَبْدٌ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُوتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي فَأَضَافَ الْكُلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَإِنَّهُ مَا ظَهَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَظْهَرَ إِلَّا بِوُجُوبِ الْعَبْدِ إِذْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الْحَقِّ إِضَافَةُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ حَكْمِ الْإِبْجَادِ فَتَضَافُ إِلَى الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ إِبْجَادِ أَعْيَانِهَا كَمَا تَضَافُ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ كَوْنِهِ مَحَلًّا لظُهُورِ أَعْيَانِهَا فِيهِ فَهُوَ الْمُصَلِّي كَمَا إِنْ الْحَرَكُ هُوَ الْمُتَحَرِّكُ مَا هُوَ الْحَرَكُ فَهُوَ الْمُتَحَرِّكُ حَقِيقَةً وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ هُوَ الْمُتَحَرِّكُ كَمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمُتَحَرِّكُ هُوَ الْحَرَكُ لِنَفْسِهِ لِكَوْنِهِ نَرَاهُ سَاكِنًا فَاعْلَمْ ذَلِكَ حَتَّى تَعْرِفَ مَا تَضِيفُهُ إِلَى نَفْسِكَ مِمَّا لَا يَصِحُّ أَنْ تَضِيفَهُ إِلَى رَبِّكَ عَقْلًا وَتَضِيفَ إِلَى رَبِّكَ مَا لَا يَصِحُّ أَنْ تَضِيفَهُ إِلَى نَفْسِكَ شَرْعًا وَسُكُوتِي هُنَا مَعْنَاهُ عِبَادَتِي أَي إِنْ صَلَاتِي وَعِبَادَتِي يَقُولُ ذَلَّتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي أَي وَحَالَةَ حَيَاتِي وَحَالَةَ مَوْتِي ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَي لِلَّهِ أَي إِبْجَادِ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ لَا لِي أَي ظُهُورِ ذَلِكَ فِي مَنْ أَجَلَ اللَّهُ لَمْ مِنْ أَجَلٍ مَا يَعُودُ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَمَا خَلَقْتُ

الْحِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فَيَجْعَلُ الْعِلَّةَ تَرْجِعَ إِلَى جَنَابِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَمْ يَكُنِ الْقَصْدُ الْأَوَّلَ الْخَيْرَ لَنَا وَإِنَّمَا كَانَ الْإِثَارُ فِي ذَلِكَ لَجَنَابِ الْحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ الْإِثَارُ فَكَانَ تَعْلِيمًا لَنَا مِنَ الْحَقِّ وَتَنْبِيهًا وَهُوَ قَوْلُ رَابِعَةٍ أَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَالْعَالَمُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ اللَّهُ وَغَيْرِ الْعَالَمِ يَعْبُدُهُ لِمَا يَرْجُوهُ مِنَ اللَّهِ مِنْ حِظْوِظِ نَفْسِهِ فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ فَهَذَا شَرَحَ لَنَا أَنْ نَقُولَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَيُّ سَيِّدِ الْعَالَمِينَ وَمَالِكِهِمْ وَمَصْلِحِهِمْ لِمَا شَرَعَ لَهُمْ وَبَيْنَ حَتَّى لَا يَتْرَكَهُمْ فِي حَيْرَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الْاِمْتِنَانِ عَلَى عَبْدِهِ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى أَيُّ حَائِرًا فَبَيْنَ لَكَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ فَطَرِيقَ الْهُدَى هُنَا هُوَ مَعْرِفَةُ مَا خَلَقَكَ مِنْ أَجَلِهِ حَتَّى تَكُونَ عِبَادَتِكَ عَلَى ذَلِكَ فَتَكُونَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكَ ثُمَّ قَالَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتْ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ أَيُّ لَا إِلَهَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَقْصُودٌ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَنِي مِنْ أَجْلِهَا أَيُّ لَا أَشْرَكَ فِيهَا نَفْسِي بِمَا يَخْطُرُ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْحُضُورِ مَعَ الثَّوَابِ فِي حَالِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ وَكُفْرًا مِنْ لَمِيقَلْ بِهِ وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ غَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَذْوَابِ بَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ الْأَكْبَرِ مِنْهُمْ وَرَدَّ عَلَى الْعَدْوِيَّةِ فِيمَا قَالَتْهُ وَلَا يَعْتَبَرُ عِنْدَنَا مَا يَخَالِفُنَا فِيهِ عُلَمَاءُ الرُّسُومِ إِلَّا فِي نَقْلِ الْأَحْكَامِ الْمَشْرُوعَةِ فَإِنَّ فِيهَا يَتَسَاوَى الْجَمِيعُ وَيَعْتَبَرُ فِيهَا الْمَخَالَفُ بِالْقَدْحِ فِي الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ أَوْ فِي الْمَفْهُومِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَأَمَّا فِي غَيْرِ هَذَا فَلَا يَعْتَبَرُ إِلَّا مَخَالَفَةُ الْجِنْسِ وَهَذَا سَارٍ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِ خَاصٍ وَقَوْلُهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتْ يَعُودُ عَلَى الْجُمْلَةِ كَلِمَاتٍ وَعَلَى كُلِّ جُزْءٍ جُزْءٍ مِنْهَا بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِذَلِكَ الْجُزْءِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهِ مَفْصَلًا إِذْ قَدْ حَصَلَ التَّنْبِيهُ عَلَى مَا فِيهِ لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ثُمَّ قَالَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيُّ مِنَ الْمُتَقَادِمِينَ لَا وَأَمْرُهُ فِي قَوْلِهِ وَبِذَلِكَ أَمْرَتْ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا دَعَا إِلَى الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ إِلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا الْمَلُوكُ فَخَصَّ هَذَا الْأَسْمَ فِي التَّوْجِيهِ دُونَ غَيْرِهِ وَهَذَا شَرَحَ التَّكْوِينِ فِي الصَّلَاةِ فِي حَالِ الْوُقُوفِ لِأَنَّهُ مَوْطِنُ وَقُوفِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ ثُمَّ يَقُولُ بِالْوَصْفِ الْأَخْصِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَمِيقَلْ لَا مَلِكَ إِلَّا أَنْتَ أَدْبَا مَعَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثَبَتَ الْمَلُوكَ فِي الْأَرْضِ فِي قَوْلِهِ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَنَفَى أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ إِلَهٌ سِوَاهُ لَا بِالْحَقِيقَةِ وَلَا بِحُكْمِ الْجَعْلِ فَقَالَ الْعَبْدُ فِي التَّوْجِيهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَوْ قَالَ لَا مَلِكَ إِلَّا أَنْتَ لَكَانَ نَافِيًا لِمَا أَثَبَتَهُ الْحَقُّ وَمَا أَثَبَتَهُ الْحَقُّ لَا يَلْحَقُهُ الْاِئْتِنَاءُ كَمَا أَنَّهُ إِذَا نَفَى شَيْئًا لَا يَمِيقَلْ إِبْثَابُهُ أَصْلًا فَإِنَّ كَانَ لَفْظُ هَذَا التَّوْجِيهِ نَقْلًا عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ فَهُوَ تَصْدِيقٌ لِمَا أَثَبَتَهُ وَنَفَاهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ لَفْظِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِنْ مَقَامِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ حَيْثُ لَمْ يَنْفِ مَا أَثَبَتَهُ اللَّهُ وَإِنْ كَانَ لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثَبَتَ الْمَلُوكَ فَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَقِيبَ قَوْلِهِ أَنْتَ الْمَلِكُ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ عَدَمُ الْمُنَاسَبَةِ فَلَمَّا كَانَتْ الْأُلُوهِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الْمَلِكَ وَلَا يَتَضَمَّنُ الْمَلِكُ الْأُلُوهِيَّةَ أَتَى بِلَفْظٍ يَدُلُّ مَعْنَاهُ عَلَى وَجُودِ الْمَلِكِ الَّذِي سَمَاهُ وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ لَفْظُ فَالِإِلَهَ مَلِكٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَلِكٍ إِلَهًا ثُمَّ يَقُولُ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ فَتَقَدَّمَ رَبُّهُ وَأَخَّرَ نَفْسَهُ وَأَضَافَهَا إِلَى رَبِّهِ بِحَرْفِ الْخُطَابِ لِأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَانْظُرْ مَا فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْأَدَبِ يَقُولُ لَهُ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ الَّذِي قَسَمْتَ الصَّلَاةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَمَنْ حَيْثُ هَذِهِ الْعِبَادَةُ الْخَاصَّةُ وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَهِيَ حَالَةٌ مَنَاجَاةٌ لَا حَالَةٌ أُخْرَى فَإِنَّ أَحْوَالَ الْعَبْدِ تَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ مَا يَدْعُوهُ السَّيِّدُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا فِي كُلِّ حَالَةٍ ثُمَّ يَقُولُ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ يَقُولُ فِي هَذَا الْكَلَامِ لَمَّا قَالَ قَبْلَ التَّوْجِيهِ ذَلِكَ الدُّعَاءُ الَّذِي قَدَّمَ مِنْهُ بَعْدَ التَّكْوِينِ مِنْ سَوَالِهِ

البعد بينه وبين خطاياها يقول ظلمت نفسي بما اكتسبت من الخطايا و اعترفت بين يديك بها قبل مناجاتك فاغفر لي ذنوبي أي فاستر ذنوبي من
 أجلي إنه لا يقدر على سترها إلا أنت فلا تراني فتأتيني فأكون بها مذنباً ولا أراها فتحلولي فأتيها فأكون بها مذنباً وهو قوله باعد بيني وبين
 خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب يقول إذا سترتها عني بهذا البعد لم نشهدا حتى أكون متفرغاً لقبول ما دعوتني إليه فإنك إن
 أشهدتني ذنوبي ولم تسترها عني منعتني الحياء والدهش عند رؤيتها إن أعقل ما تريده مني مما دعوتني إليه فلم يذكر أيضاً إسقاطها عني حتى
 لا يكون يسعي في حظ نفسه وإن المطلوب سترها في تلك الحال ولهذا العالم بالله مع توبته لا يزال متى ذكر ذنبه أثرت في نفسه وحشة المخافة
 وإن لم يواخذ به فإن الحال تعطي ذلك ثم يقول واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت هو بمنزلة قوله في الدعاء اغسل خطاياي
 بالماء والثلج والبرد أي وفقني لاستعمال مكارم الأخلاق في هذا الوطن مما يستحق أن أعاملك بها من الأدب في مناجاتك والأخذ عندك و
 الفهم لما تورده علي في كلامك وفهم ما أنا جيك به أنا من كلامك هذا كله من أحسن الأخلاق وفي أفعالي بهيئات وقوفي بين يديك ظاهراً و
 باطناً كما شرعت لي فلا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت أي أنت الموفق لهذه لا قوة لي على إتيان ذلك ولا تعيينه إلا بقوتك وتعرفتك إذ
 هذا مما لا يدرك بالاجتهاد بل بما تشرعه وتبينه لما كان قدرك مجهولاً وما ينبغي لجلالك غير معلوم ولا تقيس معاملتنا معك بمعاملة العبيد مع
 الملوك فإنك قلت ليس كمثلك شيء فالأدب الذي يخلصنا في معاملتك ما نعلمه إلا منك ثم قال واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا
 أنت ابتداء بالتعليم فتعرفني ما لا ينبغي أن يعامل به جلالك وثانية أيضاً بالاستعمال في ترك ما لا يحسن بقدرك إذ بيدك الأمر كله فقد تعلم
 العبد ولا تستعمله فيما علمته فاصرف عني سيئ الأخلاق بالعلم والاستعمال ثم يقول ليك وسعديك أي إجابة لك ومساعدة لما دعوتني
 إليه بقولك على لسان حاجب الباب حي على الصلاة أنا قد جئت مجيباً دعائك ليك ومساعدة لما تريده مني على نفسي بالقبول ثم يقول
 والخير كله بيدك لما كان هو الخير المحض فإنه الوجود الخالص المحض الذي لم يكن عن عدم ولا إمكان عدم ولا شبهة عدم كان الخير كله
 بيديه ثم يقول والشر ليس إليك يقول ولا يضاف الشر إليك والشر المحض هو عدم أي لا يضاف إليك عدم الخير ولا ينبغي لجلالك وأتى
 بالألف واللام لشمول أنواع الشر أي الشر المطلق والشر المقيد بالصور الخاصة هذا كله ليس إليك أي ما سميت به شر أو هو شر لا ينبغي أن
 يضاف إليك أداً وحققة وأقوى ما يفتح به المخالف في هذه المسألة قوله تعالى كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وقوله وَمَن يُضِلِّ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ فَاعلم إن مطلق الضلالة الخيرة والجهل بالأمر وبطريق الحق المستقيم فقوله فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ أي من عرفه بطريق الضلالة
 فإنه يضل فيها ومن عرفه بطريق الهداية فإنه يهدي فيها مثل قوله في الهداية لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَسُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وما
 قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فالعقل السليم يهدي به عند ما يسمع مثل هذا من الحق ولذا قال وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِنْ
 لَا تُبْصِرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ وقوله ومن أتاني يسعي أتيت هرولة وأمثال هذه فإن العقل السليم يحار في مثل هذه الأخبار و
 يتيه فهذا معنى يضل أي يحير العقول بمثل هذه الخطابات الصادرة من الله على السنة الرسل الصادقة المجهولة الكيفية ولا يتمكن للعقل أن

يهتدي إلى ما قصده الحق بذلك مما لا يليق بالمفهوم ثم يرى العقل أنه سبحانه ما خاطبنا إلا لفهم عنه والمفهوم من هذه الأمور يستحيل عليه سبحانه من كل وجه يفهمه العبد بضرب من التشبيه المحدث أما من طريق المعنى المحدث أو من طريق الحس ولا يتمكن للعقل أن لا يقبل هذا الخطاب فيحار فثم حيرة يخرج عنها العبد و يتمكن له الخروج منها بالعناية الإلهية و ثم حيرة لا يتمكن له الخروج عنها بمجرد ما أعطى الله للعقل من أقسام القوة التي أيدته الله بها فيحار الدال في المدلول لعزّة الدليل ثم يجيء الشرع بعد هذا في أمور قد حكم العقل بدليله على إحالتها فثبت الشرع ألفاظا تدل على وجوب ما أحاله فيقبل ذلك إيمانا ولا يدري ما هو فهذا هو الحائر المسمى ضالا وقد روى أنه قال زدني فيك تحيرا أي أنزل إلي نزولا يحمله العقل من جميع وجوهه ليعرف عجزه عن إدراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت وأما الشقاء والسعادة المعبر بهما عن الأمور التي تتألم بها النفوس وتنعم فذلك مطلب عام للنفوس من حيث الحس والحسوس وهذا الذي نحن بصدده أمر آخر يرجع إلى معرفة الحقائق ثم يقول أنا بك وإليك أي بك ابتداء لا بنفسي وهو قولنا إن الإنسان موجود بغيره وقوله وإليك أي وإليك يرجع عين وجودي فما أنا هوانت هو فإنه ما استقدت منك إلا الوجود وأنت عين الوجود وأنا على أصل ذاتي من العدم ما تغير على حكم ولا حال في إمكاني لا أبح ثم يقول تباركت أي البركة والزيادة لك لا لي يقول أنت الوجود لك ثم كسوتيه ولم أكن فكانت البركة والزيادة في الوجود حيث ظهر بنسبتين فظهر بي وهو وجودك ونسب إليك وهو عينك ثم يقول وتعاليت أي فإنك تعاليت أن نظهر بغيرك فلا يكون الوجود المنسوب إليك غير هويتك هذا معنى قوله تباركت وتعاليت ثم يقول أستغفرك وأتوب إليك يقول أطلب التستر منك في اتصافي بالوجود لئلا أغيب عن حقيقتي فادعى الوجود وهو ليس أنا بل هوانت وما أنا أنت فأنا أنا على ما أنا عليه لذاتي وأنت أنت على ما أنت عليه لذاتك ومني فكك الظهور في بما وصفتي به من الوجود وما لي ظهور فيك بما أنا عليه في حقيقتي من الإمكان ثم يقول وأتوب إليك أي وأرجع إليك من حيث ما وصفت به من الوجود إذ كنت أنت هو عين الوجود والموصوف به أنا فرجوعه إليك هو قولي وأتوب إليك وفرغ ما يقوله العبد من الدعاء والتوجيه بين التكبير والقراءة فلنشرع إن شاء الله تعالى في قراءة الفاتحة بلسان العلماء بالله في حال الصلاة لا في حال غيره

(وصل في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة)

اعلم أن العالم بالله إذا فرغ من الذي ذكرناه بشرع في القراءة على حد ما أمره الله به عند قراءة القرآن من التعوذ لكونه قارئاً لا لكونه مصلياً ولما علمت أن الله يقول عند قراءة العبد القرآن كذا جواباً على حكم الآية التي يقرأها فينبغي للإنسان إذا قرأ الآية أن يستحضر في نفسه ما تعطيه تلك الآية على قدر فهمه فإن الجواب يكون مطابقاً لما استحضرت من معاني تلك الآية ولهذا ورد في الجواب أدنى مراتب العامة مجملاً إذا العامي والعجمي الذي لا علم له بمعنى ما يقرأ يكون قول الله له ما ورد في الخبر فإن فصلت في الاستحضر فصل الله لك الجواب فلا يفوتك هذا القدر في القراءة فإن به تميز مراتب العلماء بالله والناس في صلاتهم فإذا فرغ الإنسان من التوجيه فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نص القرآن وقد ورد في السنة الصحيحة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فالعارف إذا تعوذ ينظر في الحال الذي أوجب له التعوذ وينظر في حقيقة ما يتعوذ به وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوذ بحسب ذلك فمن غلب عليه في حاله إن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده وأن كل ما يستعاذ به بيد سيده وأنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيده بسيدته وهو قوله صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك وهذه استعاذة التوحيد فيستعيز به من الاتحاد قال تعالى ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ وقال كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكَبِّرٍ جَبَّارٍ وقال الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلا كان أو صفة هذه قضية كلية والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها ورد في الخبر أعوذ برضاك من سخطك أي بما يرضيك مما يسخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبه فهذا الله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله وبمعا فاتك من عقوبتك فهذا في حظ نفسه وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر فنظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغ ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم وأن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه فإن ذلك عائد عليه ومن نظر في قوله إِلَّا لِيَعْبُدُونِ قال ما يلزمي من حق ربي إلا ما نبغته قوتي فأنا لأعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي فشرح الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين ومن رأى أن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود قال أعوذ بك منك وهي المرتبة الثالثة وثبت في هذه المرتبة عين العبد فالقارئ للقرآن إذا تعوذ عند قراءة القرآن علمه المكلف وهو الله تعالى كيف يستعيز بمن يستعيز ومن يستعيز فقال له فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فأعطاه الاسم الجامع وذكر له القرآن وما خص آية من آية لذلك لم يخص اسما من اسم بل أتى بالاسم الله فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية فيذكره في استعاذته وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله أي اسم كان في عينه بالذكر في استعاذته ولما كان قارئ القرآن جليس الله من كون القرآن ذكرا والذاكر جليس الله ثم زاد أنه في الصلاة حال مناجاة الله فهو أيضا في حال قرب على قرب كقوله على نور كان الأولى أن يستعيز هنا بالله وتكون استعاذته من الشيطان لأنه البعيد يقال بر شطون إذا كانت بعيدة القعر والبعد يقابل القرب فتكون استعاذته في حال قربه مما بعده عن تلك الحالة فلم يكن أولى من اسم الشيطان ثم نعت بالرجيم وهو فعيل فأما بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم يعني بالشهب وهي الأنوار المحرقة قال تعالى وَجَعَلْنَاهَا عَيْنِي الْكَوَاكِبِ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَالصَّلَاةُ نور و رجمه الله بالأنوار فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان من العبد قال تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ بسبب ما وصفت به من الإحرام وإن كان بمعنى الفاعل فهو لما يرحم به قلب العبد من الخواطر المذمومة واللمات السيئة والوسوسة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي من الليل وكبر تكبيرة الإحرام قال الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وسبحان الله بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عباس همزه ما يوسوسه في الصلاة ونفثه الشعر ونفخه الذي يليه من الشبه في الصلاة يعني السهو ولهذا قال النبي صلى الله عليه و

سلم إن سجود السهو ترغيم للشيطان فوجب على المصلي أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه و لما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته و الوسوسة لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به فجاء بالاسم الله الجامع لمعاني الأسماء إذ كان في قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع فهكذا ينبغي للمصلي أن يكون حاله في استعاذته إن وفقه الله ثم يقول بعد الاستعاذة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإذا قالها يقول الله يذكرني عبدي فينبغي على هذا أن يكون العامل في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إذ ذكر فتعلق الباء بهذا الفعل إن صح هذا الخبر وإن لم يصح فيكون الفعل اقرأ بسم الله فإنه ظاهر في اقرأ باسم ربك هذا يتكلفه لغوهم إن المصادر لا تعمل عمل الأفعال إلا إذا تقدمت و أما إذا تأخرت فتضعف عن العمل وهذا عندنا غير مرضي في التعليل لأنه تحكم من النحوي فإن العرب لا تعقل ولا تعلل فيكون تعلق البسملة عندي بقوله الحمد لله بأسمائه فإن الله لا يحمده إلا بأسمائه غير ذلك لا يكون ولا ينبغي أن تكلف في القرآن محذوفاً إلا للضرورة و ما هنا ضرورة فإن صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك و تعالى إن العبد إذا قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في مناجاته في الصلاة يقول الله يذكرني عبدي فلا نزاع هكذا روى هذا الخبر عبد الله بن زياد بن سمعان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاث غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين و لعبدي ما سأل يقول عبدي إذا افتتح الصلاة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيذكرني عبدي يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قال الله حمدني عبدي و سيأتي الحديث مفصلاً في كل كلمة إن شاء الله تعالى كما ذكرت ألفاظ التوجيه إلى آخر الفاتحة و ذكره سلم هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة و لم يذكر البسملة فيه فإذا قال العالم بالله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ علق الباء بما في الحمد من معنى الفعل كما قلنا يقول لا يشي على الله إلا بأسمائه الحسنی فذكر من ذلك ثلاثة أسماء الاسم الله لكونه جامعاً غير مشتق فينعت و لا ينعت به فإنه للأسماء كالذات للصفات فذكره أولاً من حيث إنه دليل على الذات كالأسماء الأعلام كلها في اللسان وإن لم يقو قوة الإعلام لأنه وصف للمرتبة كاسم السلطان فلما لم يدل إلا على الذات المجردة على الإطلاق من حيث ما هي لنفسها من غير نسب لم يتوهم في هذا الاسم اشتقاق و لهذا سميت بالبسملة و هو الاسم مع الله أي قولك بسم الله خاصة مثل العبدلة و هو قولك عبد الله و كذلك الحوقلة و هو الحول و القوة مع الله ثم قال إن العبد قال بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من الأسماء المركبة كمثل بعلبك و رام هرمز فسماه به من حيث ما هو اسم له لا من حيث المرحومين و لا من حيث تعلق الرحمة بهم بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله فإنه ليس لغير الله ذكر في البسملة أصلاً و مهما ورد اسم إلهي لا يتقدمه كون يطلب الاسم و لا يتأخر كون يطلبه الاسم في الآية فإن ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالة على الذات المسماة به لا من حيث الصفة المعقولة منه و لا من حيث الاشتقاق الذي يطلبه الكون بخلاف الاسم الإلهي إذا ورد في أثر كون أو في أثره كون أو بين كونين فإنه إذا ورد الكون في أثره فذلك الكون نتيجته و به يتعلق وإياه يطلب فإنه صادر عنه إذا تدبرته و وجدته

مثل قوله الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَإِذَا تَقَدَّمَ الْكَوْنُ وجاء الاسم الإلهي في أثره فإنه الأوَّلُ وَالْآخِرُ كان على العكس من الأوَّل مثل اتَّقُوا اللَّهَ وَقوله وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ فَأظهر التقوى ما يتقى منه وهو الاسم الله وفي الأوَّل أظهر الاسم الإلهي عين الإنسان وكذلك وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ أظهر التعليم الاسم الإلهي وهو الله فإذا وقع الكون بين اسمين إلهيين كان الكون للأوَّل بحكم النتيجة و للآخر بحكم المقدمة مثل وقوع العالمين بين الاسم الرب والرحمن في قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ومثل قوله وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وقوع وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ بين اسمين تقدمه الاسم الله وتأخر عنه الاسم الله بمعنيين مختلفين فأثر فيه الاسم الأوَّل طلب التعليم وقبل التعليم بالاسم الثاني وكذلك إذا وقع الاسم الإلهي بين اسم إلهي يتقدمه وبين كون يتأخر عنه مثل الاسم الرب بين الله والعالمين في قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ في آخر الزمر أو بين كون يتقدمه واسم إلهي يتأخر عنه مثل قوله الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ملك ف الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تقدمه كلمة الْعَالَمِينَ وتأخر عنه ملك (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ فأظهر عين الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لافتقارهم إلى الرحمتين الرحمة العامة والخاصة والواجبة والامتنانية و طلب الرحمن الرحيم ملك (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ ليظهر من كونه ملكا سلطان الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإن الرحمة من جانب الملك هي رحمة عزة وامتنان مع استغناء بخلاف رحمة غير الملك كرحمة الأم بولدها للشفقة الطبيعية فتدفع الأم بالرحمة على ولدها ما تجده من الألم بسببه في نفسها فنفسها سعت واحتجبت عن علم ذلك بولدها فالمنة لولدها عليها بالسببية لالهة و وقعت الرحمة بالولد تبعا بخلاف رحمة الملك فإنها عن عز وغنى عن هذا المرحوم الخاص من رعاياه وكذلك إذا وقع الاسم الإلهي بين اسمين إلهيين مثل قوله هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ فوقع الاسم الخالق بين الاسم الله و الاسم البارئ وكذلك الاسم البارئ بين الْخَالِقِ وَالْمُصَوِّرِ وهذا كثير فالخالق صفة لله و موصوف للبارئ فعلى هذا الأسلوب تجري تلاوة العارفين في الكتابين في القرآن و كتاب العالم بأسره فإنه كتاب مسطور ورقه المنشور الذي هو فيه الوجود وكذلك تجري أذكارهم وهكذا في الأكوان إذا وقع كون بين كونين يكون للأوَّل ابنا وللتاني بعده أبا في الذي يفهم من ذلك كان ما كان فلهذا قال الله في قول العبدِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ذكرني عبدي وما قيد هذا الذكر بشيء لاختلاف أحوال الذاكرين أعني البواعث لذكرهم فذاكر تبعته الرغبة وذاكر تبعته الرهبة وذاكر تبعته التعظيم والإجلال فأجاب الحق على أدنى مراتب العالم وهو الذي يتلو بلسانه ولا يفهم بقلبه لأنه لم يتدبر ما قاله إذا كان التالي عالما باللسان ولا ما ذكره فإن تدبر تلاوته أو ذكره كانت إجابة الحق له بحسب ما حصل في نفسه من العلم بما تلاه فتدبر ما نصصناه لك ثم قال قال الله تعالى فإذا قال العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ في الصلاة يقول الله حمدني عبدي فيقول العارف الحمد لله أي عواقب الشاء ترجع إلى الله ومعنى عواقب الشاء أي كل شئ يثنى به على كون من الأكوان دون الله فعاقبته ترجع إلى الله بطريقين الطريق الواحدة الشاء على الكون إنما هو بما يكون عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة التي توجب الشاء عليه أو بما يكون منه من الآثار المحمودة التي هي نتائج عن الصفات المحمودة القائمة به وعلى أي وجه كان فإن ذلك الشاء راجع إلى الله إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفات والآثار لذلك الكون فرجعت عاقبة الشاء إلى الله والطريق الأخرى أن ينظر العارف فيرى إن وجود الممكنات المستفاد إنما هو عين ظهور الحق فيها فهو متعلق الشاء لا الأكوان ثم إنه

ينظر في موضع اللام من قوله لله فيرى إن الحامد عين المحمود لا غيره فهو الحامد المحمود وينفي الحمد عن الكون من كونه حامدا ونفي كون الكون محمودا فالكون من وجه محمود لا حامد ومن وجه لا حامد ولا محمود فأما كونه غير حامد فقد بيناه فإن الحمد فعل والأفعال لله وأما كونه غير محمود فإنما يحمد المحمود بما هو له لا لغيره والكون لا شيء له فما هو محمود أصلا كما ورد في مثل هذا المتشعب بما لا يملك كلابس ثوبي زور فيحضر العارف في قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ جميع ما ذكرناه وما يعطيه الاسم الرب من الثبات والإصلاح والتربية والملك والسيادة هذه الخمسة يطلبها الاسم الرب ويحضر ما يعطيه العالم من الدلالة عليه تعالى فلا يكون جواب الله في قوله حمدني عبدي إلا من حمده بأدنى المراتب لأنه لكرمه يعتبر الأضعف الذي لم يجعل الله له حظا في العلم به تعالى رحمة به لعلمه أن العالم يعلم من سؤاله أو قراءته ما حضر معه في تلك القراءة من المعاني فيجيبه الله على ما وقع له ويدخل في إجمال ما خاطب به عبده العامي القليل العلم أو الأعجمي الذي لا علم له بمدلول ما يقرأه فافهم والله الملمهم ثم قال عن الله يقول العبد الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ يقول الله أننى على عبدي يعني بصفة الرحمة لاشتقاق هذين الاسمين منها ولم يقل في ما ذا لعموم رحمته ولأن العامي ما يعرف من رحمة الله به إلا إذا أعطاه ما يلائمه في غرضه وإن ضره أو ما يلائم طبعه ولو كان فيه شقاؤه والعارف ليس كذلك فإن الرحمة الإلهية قد تأتي إلى العبد في الصورة المكروهة كشرب الدواء الكريهية الطعم والرائحة للمريض والشفاء فيه مبطلون فإذا قال العارف الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ أحضر في نفسه مدلول هذا القول من حيث ما هو الحق موصوفا به ومن حيث ما يطلبه المرحوم لعلمه بذلك كله ويحضر في قلبه أيضا عموم رحمته الواحدة المقسمة على خلقه في الدار الدنيا إنسهم وجنهم ومطيعهم وعاصيهم وكافرهم ومؤمنهم وقد شملت الجميع ورأى أن هذه الرحمة الواحدة لولم تعط حقيقتها من الله أن يرزق بها عباده من جماد ونبات وحيوان وإنس وجان ولم يحجبها عن كافر ومؤمن ومطيع وعاصي عرف أن ذاتها من كونها رحمة تقتضي ذلك ثم جاء الوحي من أثر هذه الرحمة الواحدة بأن هذه الرحمة الواحدة السارية في العالم التي اقتضت حقيقتها أن تجعل الأم تعطف على ولدها في جميع الحيوان وهي واحدة من مائة رحمة وقد ادخر سبحانه لعباده في الدار الآخرة تسعا وتسعين رحمة فإذا كان يوم القيامة ونفذ في العالم حكمه وقضاؤه وقدره بهذه الرحمة الواحدة وفرغ الحساب ونزل الناس منازلهم من الدارين أضاف سبحانه هذه الرحمة إلى التسع والتسعين رحمة فكانت مائة فأرسلها على عباده مطلقة في الدارين فسرت الرحمة فوسعت كل شيء فمنهم من وسعته بحكم الوجوب ومنهم من وسعته بحكم الامتنان فوسعت كل شيء في موطنه وفي عين شيبته فتتعم الخرور بالزمهرير والمقورور بالسعير ولوجاء لكل واحد من هذين حال الاعتدال لتعذب فإذا اطلع أهل الجنان على أهل النار زادهم نعيما إلى نعيمهم فوزهم ولو اطلع أهل النار على أهل الجنان لتعذبوا بالاعتدال لما هم فيه من الانحراف ولهذا قابلهم بالنقيض من عموم المائة رحمة وقد كان الحكم في الدنيا بالرحمة الدنيا ما قد علمتم وهي الآن أعني في الآخرة من جملة المائة فما ظنك وكفى فبمثل هذا النظر يقول العارف في الصلاة الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ومن هنا يعرف ما يجيبه الحق به من هذا نظره ثم قال الله يقول العبد ملك (مالك) يَوْمَ الدِّينِ يقول الله محمدني عبدي وفي رواية فوض إلى عبدي هذا جواب عام ورد عام كما قررنا ما المراد به فإذا قال

العارف ملك (مالك) يَوْمَ الدِّينِ لم يقتصر على الدار الآخرة بيوم الدين ورأى أن الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ لا يفرقان ملك (مالك) يَوْمَ الدِّينِ فإنه صفة لهما فيكون الجزاء دنيا وآخرة وكذلك ظهر بما شرع من إقامة الحدود وظهور الفساد في البرِّ والبَحْرِ بما كَسَبَتِ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وهذا هو عين الجزاء فيوم الدنيا أيضا يوم الجزاء والله ملك يوم الدين فيرى العارف أن الكفارات سارية في الدنيا وأن الإنسان في الدار الدنيا لا يسلم من أمر يضيق به صدره ويؤلمه حسا وعقلا حتى قرصة البرغوث والعثرة فالآلام محدودة موقته ورحمة الله تعالى غير موقته فإنها وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَمَنْهَا ما تنال وتحكم من طريق الامتنان وهو أصل الأخذ لها الامتنان ومنها ما يؤخذ من طريق الوجوب الإلهي في قوله كَبَّرْتُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةِ وقوله فَسَأَكْتُمِبُهَا فالناس يأخذونها جزاء وبعض المخلوقات من المكلفين تناولها امتنانا حيث كانوا فافهم فكل ألم في الدنيا والآخرة فإنه مكفر لأمر قد وقعت محدودة موقته وهو جزاء لمن يتألم به من صغير وكبير بشرط تعقل التألم لا بطريق الإحساس بالتألم دون تعقله وهذا المدرك لا يدركه إلا من كشف له فالرضيع لا يتعقل التألم مع الإحساس به إلا أن أباه وأمه وأمثالهما من محبيه وغير محبيه يتألم ويتعقل التألم لما يرى في الرضيع من الأمراض النازلة به فيكون ذلك كفارة لمتعقل الأم فإن زاد ذلك العاقل الترحم به كان مع التكفير عنه مأجورا إذ في كل كبد رطبة أجر وكل كبد فإنها رطبة لأنها بيت الدم والدم حار رطب طبع الحياة وأما الصغير إذا تعقل التألم وطلب النفور عن الأسباب الموجبة للألم واجتنبها فإن له كفارة فيها لما صدر منه مما آلم به غيره من حيوان أو شخص آخر من جنسه أو إباية عما تدعو إليه أمه أو أبوه أو سائل يسأله أمرا ما فأبى عليه فتألم السائل حيث لم يقض حاجته هذا الصغير فإذا تألم الصغير كان ذلك الأم القائم به جزاء مكفرا لما آلم به ذلك السائل بإبايته عما التمس منه في سؤاله أو كان قد آذى حيوانا من ضرب كلب بجحر أو قتل برغوث وقملة أو وطء نملة برجله فقتلها أو كل ما جرى منه بقصد وغير قصد وسر هذا الأمر عجيب سار في الموجودات حتى الإنسان يتألم بوجود الغيم ويضيق صدره به فإنه كفارة لأمر أتاها قد نسيها أو يعلمها فهذا كله يراه أهل الكشف محققا في قوله ملك (مالك) يَوْمَ الدِّينِ فيقول الله فوض إلى عبدي أو مجدني عبدي أو كلاهما إلا أن التمجيد راجع إلى جناب الحق من حيث ما تقتضيه ذاته ومن حيث ما تقتضي نسبة العالم إليه والتفويض من حيث ما تقتضي نسبة العالم إليه لا غير فإنه وكيل لهم بالوكالة المفوضة ففي حق قوم يقول مجدني عبدي وفي المقصد وفي حق قوم يقول فوض إلى عبدي وفي المقصد أيضا فإن العبد قد يجمع بين المقصدين فيجمع الله له في الرد بين التمجيد والتفويض فهذا النصف كله مخلص لجناب الله ليس للعبد فيه اشتراك ثم قال الله يقول العبد إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ يقول الله هذه بيني وبين عبدي وعبدي ما سألت فهذه الآية تتضمن سائلا ومسئولا مخاطبا وهو الكاف من إِيَّاكَ فيهما وَتَعْبُدُ وَتَسْتَعِينُ هما للعبد فإنه العابد والمستعين فإذا قال العبد إِيَّاكَ وحد الحق مجرف الخطاب فجعله مواجها لا على جهة التحديد ولكن امتثالا لقول الشارع لمثل ذلك السائل في معرض التعليم حين سأله عن الإحسان فقال له صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فلا بد أن تواجهه مجرف الخطاب وهو الكاف أو حرف التاء المنصوبة في المذكر المخفوضة في المؤنث فإني قد أنث الخطاب من حيث الذات وهذا مشهد خيالي فهو برزخي وجاءت هذه

الآية برزخية وقع فيها الاشتراك بين الحق وبين عبده وما مضى من الفاتحة مخلص لله وما بقي منها مخلص للعبد وهذه التي نحن فيها مشتركة وإنما وحده ولم يجمعه لأن المعبود واحد وجمع نفسه بنون الجمع في العبادة والعون المطلوب لأن العابدين من العبد كثيرون وكل واحد من العابدين يطلب العون والمقصود بالعبادات واحد فعلى العين عبادة وعلى السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب فهذا قال تَعْبُدُ وَتَسْعِينُ بالنون وإن العالم نظر إلى تفاصيل عالمه وإن الصلاة قد عم حكمها جميع حالاته ظاهرا وباطنا لم ينفرد بذلك جزء عن آخر فإنه يقف بكله ويركع بكله ويجلس بكله فجميع عالمه قد اجتمع على عبادة ربه وطلب المعونة منه على عبادته فجاء بنون الجماعة في نعبد ونستعين فترجم اللسان عن الجماعة كما يتكلم الواحد عن الوفد بحضورهم بين يدي الملك فعلم العبد من الحق لما أنزل عليه هذه الآية بإفراده نفسه أن لا يعبد إلا إياه ولما قيد العبد بالنون أنه يريد منه أن يعبد بكله ظاهرا وباطنا من قوى وجوارح ويستعين على ذلك الحد ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه كان كاذبا في قراءة ته إذا قال إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْعِينُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَيَرَاهُ مُتَلَفِتًا فِي صَلَاتِهِ أَوْ مَشْغُولًا بِخَاطِرِهِ فِي دِكَاغِهِ أَوْ تَجَارَتِهِ وَهُوَ مَعَ هَذَا يَقُولُ تَعْبُدُ وَيَكْذِبُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ فِي كِتَابِكَ بِجَمْعِيَّتِكَ عَلَى عِبَادَتِي أَمْ تَلْتَفِتُ بِبَصْرِكَ إِلَى غَيْرِ قِبْلَتِكَ أَمْ تَصْغُرُ بِسَمْعِكَ إِلَى حَدِيثِ الْحَاضِرِينَ أَمْ تَعْقِلُ بِقَلْبِكَ مَا تَحْدُثُوا بِهِ فَأَيْنَ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ تَعْبُدُ بِنُونَ الْجَمْعِ فَيَحْضُرُ الْعَارِفُ هَذَا كُلَّهُ فِي خَاطِرِهِ فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَقُولَ فِي مَنَاجَاتِهِ فِي صَلَاتِهِ إِيَّاكَ تَعْبُدُ لِئَلَّا يَقَالَ لَهُ كَذَبْتَ فَلَا بَدَّ أَنْ يَجْتَمِعَ مِنْ هَذِهِ حَالَتُهُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ حَتَّى يَقُولَ لَهُ الْحَقُّ صَدَقْتَ إِذَا تَلَا فِي جَمْعِيَّتِكَ عَلِيٍّ فِي عِبَادَتِكَ إِيَّايَ وَطَلَبَ مَعُونَتِي رَوَيْنَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى مَا حَدَّثَنَا بِهِ شَيْخُنَا الْمُقْرِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ صَافٍ اللَّخْمِيُّ عَنْ بَعْضِ الْمُعَلِّمِينَ مِنَ الصَّالِحِينَ أَنَّ شَخْصًا صَغِيرًا كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَرَأَاهُ مُصْفِرَ الْوَلْوَنِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ يَقُومُ اللَّيْلَ بِالْقُرْآنِ كُلَّهُ فَقَالَ لَهُ يَا وَلَدِي أَخْبَرْتُ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ فَقَالَ هُوَ مَا قِيلَ لَكَ فَقَالَ يَا وَلَدِي إِذَا كَانَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَأَحْضُرَنِي فِي قِبْلَتِكَ وَاقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِكَ وَلَا تَغْفَلَ عَنِّي فَقَالَ الشَّابُّ نَعَمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ هَلْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ قَالَ نَعَمْ يَا أَسْتَاذَ قَالَ وَهَلْ خَمَمْتَ الْقُرْآنَ الْبَارِحَةَ قَالَ لَا مَا قَدَرْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ نِصْفِ الْقُرْآنِ قَالَ يَا وَلَدِي هَذَا حَسَنٌ إِذَا كَانَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَاجْعَلْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَامَكَ الَّذِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقْرَأْ عَلَيْهِ وَاحْذَرْ فَإِنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَزَلْ فِي تَلَاوتِكَ فَقَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَا أَسْتَاذَ كَذَلِكَ أَفْعَلُ فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَهُ الْأَسْتَاذَ عَنْ لَيْلَتِهِ فَقَالَ يَا أَسْتَاذَ مَا قَدَرْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ رُبْعِ الْقُرْآنِ فَقَالَ يَا وَلَدِي اتْلُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَاعْرِفْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنْ تَلَّوهُ فَقَالَ نَعَمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا أَسْتَاذَ مَا قَدَرْتُ طَوْلَ لَيْلَتِي عَلَى أَكْثَرِ مِنْ جُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مَا يَقَارِبُهُ فَقَالَ يَا وَلَدِي إِذَا كَانَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَلْتَكُنْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ بَيْنَ يَدَيْ جِبْرِيلَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحْذَرْ وَاعْرِفْ قَدْرَ مَنْ تَقْرَأُ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا أَسْتَاذَ مَا قَدَرْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ كَذَا وَذَكَرَ آيَاتٍ قَلِيلَةً مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ يَا وَلَدِي إِذَا كَانَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ تَبَّ إِلَى اللَّهِ وَتَأَهَّبْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَصْلِيَّ يَنَاجِي رَبَّهُ وَإِنَّكَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ تَتَلَوُ عَلَيْهِ كَلَامَهُ فَانْظُرْ حَظَّكَ مِنَ الْقُرْآنِ وَحِظَّهُ وَتَدَبَّرْ مَا تَقْرَأُ فَلَيْسَ الْمُرَادُ جَمْعُ الْحُرُوفِ وَ

لا تأليفها ولا حكاية الأقوال وإنما المراد بالقراءة التدبير لمعاني ما تتلوه فلا تكن جاهلا فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب فلم يجيء إليه فبعث من يسأل عن شأنه فقيل له إنه أصبح مريضا يعاد فجاء إليه الأستاذ فلما أبصره الشاب بكى وقال يا أستاذ جزاك الله عني خيرا ما عرفت أنني كاذب إلا البارحة لما قمت في مصلاي وأحضرت الحق تعالى وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه فلما استفتحت الفاتحة ووصلت إلى قوله إِيَّاكَ تَعْبُدُ نظرت إلى نفسي فلم أرها تصدق في قولها فاستحييت أن أقول بين يديه إِيَّاكَ تَعْبُدُ وهو يعلم أنني أكذب في مقالتي فإني رأيت نفسي لاهية بخواطرها عن عبادته فبقيت أردد القراءة من أول الفاتحة إلى قوله ملك (مَالِكِ) يَوْمَ الدِّينِ ولا أقدر أن أقول إِيَّاكَ تَعْبُدُ إنه ما خلصت لي فبقيت أستحيي أن أكذب بين يديه تعالى فيمقتني فما ركعت حتى طلع الفجر وقد رضت كبدي وما أنا إلا راحل إليه على حالة لا أرضاها من نفسي فما انقضت الثالثة حتى مات الشاب فلما دفن أتى الأستاذ إلى قبره فسأله عن حاله فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول له يا أستاذ

أنا حي عند حي لم يحاسبني بشي

قال فرجع الأستاذ إلى بيته ولزم فراشه مريضا مما أثر فيه حال الفتى فلحق به فقرأ إِيَّاكَ تَعْبُدُ على قراءة الشاب فقد قرأ ثم قال الله يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سألت فإذا قال العارف اهدنا أحضر الاسم الإلهي الهادي وسأله أن يهديه الصراط المستقيم أن يبينه له ويوفقه إلى المشي عليه وهو صراط التوحيدين توحيد الذات وتوحيد المرتبة وهي الألوهية بلوازما من الأحكام المشروعة التي هي حق الإسلام في قوله صلى الله عليه وسلم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله فيحضر في نفسه الصراط المستقيم الذي هو عليه الرب من حيث ما يقود الماشي عليه إلى سعاده أخبر الله تعالى عن هود أنه قال إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنَّ الْعَارِفَ إِذَا مَشَى عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ الَّذِي عَلَيْهِ الرَّبُّ تَعَالَى عَلَى شُهُودٍ مِنْهُ كَانَ الْحَقُّ أَمَامَهُ وَكَانَ الْعَبْدُ تَابِعًا لِلْحَقِّ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ مُجْبُورًا وَكَيْفَ لَا يَكُونُ تَابِعًا مُجْبُورًا وَنَاصِيَتَهُ بِيَدِ رَبِّهِ يَجْرَهُ إِلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ مَنْ دَابَّةٌ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَدَخَلَ فِي حَكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعُ مَا دَبَّ عَلَوْا وَسَفَلُوا دَخُولَ ذَلَّةٍ وَعِبُودِيَّةٍ وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مَكَاشِفٍ يَرَى الْيَدَ فِي النَّاصِيَةِ أَوْ مُؤَمِّنٍ فَكُلُّ دَابَّةٍ دَخَلَتْ عَمُومًا مَا عَدَا الْإِنْسَانَ وَالْجَنِّ فَإِنَّهُ مَا دَخَلَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ إِلَّا الصَّالِحُونَ مِنْهُمْ خَاصَّةً وَلَوْ دَخَلَ جَمِيعُ الثَّقَلَيْنِ لَكَانَ جَمِيعُهُمْ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ مِنْ كَوْنِهِ رَبًّا يَقُولُ تَعَالَى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَقَالَ فِي حَقِّ الثَّقَلَيْنِ خَاصَّةً عَلَى طَرِيقِ الْوَعِيدِ وَالتَّخْوِيفِ حَيْثُ لَمْ يَجْعَلُوا نَوَاصِيَهُمْ بِيَدِهِ وَهُوَ أَنْ يَتْرَكُوا إِرَادَتَهُمْ لِإِرَادَتِهِ فِيمَا أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ سَنَفَعُ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَانِ وَلِذَا قَالَ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ يَرِيدُ الَّذِينَ وَفَقَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ الْعَالَمُونَ كُلُّهُمْ أَجْمَعِينَ وَالصَّالِحُونَ مِنَ الْإِنْسَانِ مِثْلَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ الْجَانِ كَذَلِكَ فَلَمْ يَجْعَلِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمَ إِلَّا مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نَبِيٍّ وَصَدِيقٍ وَشَهِيدٍ وَصَالِحٍ وَكُلُّ دَابَّةٍ هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا إِذَا حَضَرَ الْعَارِفُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ جَعَلَ نَاصِيَتَهُ بِيَدِ رَبِّهِ فِي غَيْبِ هَوِيَّتِهِ وَمَنْ شَدَّ شَدًّا إِلَى النَّارِ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَشَى اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ أَيْ إِلَّا مَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا دَعَاهُمْ بِقَوْلِهِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ فَلَمْ يَجِيبُوا وَلَا الضَّالِّينَ فَاسْتَبْتِي بِالْعَطْفِ مِنْ حَارِهِمْ أَحْسَنَ حَالًا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ أَنَّهُ رَبُّهُ وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي أَوْهِيئِهِ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا كَانَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَحْضَرَ الْعَبْدَ مِثْلَ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ تَلَاوَتِهِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ آمِينَ وَقَالَ بَاطِنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ رُوحُهُ الْمَشَارِكُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي نَشَأَتِهِمْ وَطَهَارَتِهِمْ آمِينَ أَيْ أَمْنَا بِالْخَيْرِ لَمَّا كَانَ وَالتَّالِي الدَّاعِي اللِّسَانَ ثُمَّ يَصْغِي إِلَى قَلْبِهِ فَيَسْمَعُ تَلَاوَةَ رُوحِهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مُطَابِقَةً لِتَلَاوَةِ لِسَانِهِ فَيَقُولُ اللِّسَانُ مُؤْمِنًا عَلَى دَعَائِهِ أَيْ دَعَاءِ رُوحِهِ بِالتَّلَاوَةِ مِنْ قَوْلِهِ أَهْدِنَا فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ فِي الصِّفَةِ مُوَافِقَةً طَهَارَةً وَتَقْدِيسَ ذَوَاتِ كِرَامٍ بِرَرَةٍ أَجَابَهُ الْحَقُّ عَقِيبَ قَوْلِهِ آمِينَ بِاللِّسَانِ فَإِنْ ارْتَقَى يَكُونُ الْحَقُّ لِسَانَهُ إِلَى تَلَاوَةِ الْحَقِّ كَلَامَهُ فَإِذَا قَالَ آمِينَ قَالَتِ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ آمِينَ وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ تَخْلُقِ هَذَا الْعَبْدِ بِهَا آمِينَ فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينَ أَسْمَاءِ أَسْمَاءِ خَالِقِهِ كَانَ حَقًّا كَلَهُ فَهَذَا قَدْ أَبْنَتَ لَكَ أَسْلُوبَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ فَاجْرِ عَلَيْهَا عَلَى قَدْرِ اتِّسَاعِ بَاعِكَ وَسُرْعَةِ حَرَكَتِكَ وَأَنْتَ أَبْصُرُ مَا مِثْلًا إِلَّا مِنْ لَهْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَمِنَا الصَّافُونَ وَالْمُسَبِّحُونَ

(فصل بل وصل في قراءة القرآن في الركوع)

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ فَمَنْ قَاتَلَ بِالْمَنْعِ وَمَنْ قَاتَلَ بِالْحَوَازِ وَالَّذِي انْتَفَقُوا عَلَيْهِ التَّسْبِيحُ فِي الرُّكُوعِ وَاخْتَلَفُوا هَلْ فِيهِ قَوْلٌ مَحْدُودٌ أَمْ لَا فَمَنْ قَاتَلَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ وَمَنْ قَاتَلَ بِالْحَدِّ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ ثَلَاثًا وَفِي السُّجُودِ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى ثَلَاثًا وَالْقَاتِلُ بِهَذَا مِنْهُمْ مَنْ يَرَى وَجُوبَهُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ تَبْطَلُ بِتَرْكِهِ وَأَدْنَاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَقُولُ بِوَجُوبِهِ وَهُمْ عَامَّةُ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ قَاتَلَ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَقُولَهَا خَمْسًا حَتَّى يَدْرِكَ مِنْ وَرَاءِهِ أَنْ يَقُولَهَا ثَلَاثًا فَأَقُولُ فِي بَابِ الْأَسْرَارِ لَمَّا كَانَ الْمُصَلِّي فِي وَقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فِي الصَّلَاةِ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْقِيَوْمِ ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى حَالَةِ الرُّكُوعِ الَّذِي هُوَ الْخُضُوعُ وَكَذَلِكَ السُّجُودُ لَمْ تَنْبَغِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ لِلَّهِ فَشَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا فَهِمَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْعَلُوهَا فِي سُّجُودِكُمْ فَاقْتَرَنَ بِهِمَا أَمْرُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ سَبِّحْ فَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا بِمَكَانِهَا مِنَ الصَّلَاةِ يَقُولُ نَزَّهُوا عِظْمَةَ رَبِّكُمْ عَنِ الْخُضُوعِ فَإِنَّ الْخُضُوعَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ لَا لِلَّهِ فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَقُومَ بِهِ صِفَةُ الْخُضُوعِ وَأَضَافَهُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الرَّبِّ لِأَنَّهُ يَسْتَدْعِي الْمَرْبُوبَ وَهُوَ مِنَ الْأَمْهَاتِ الثَّلَاثِ وَهُوَ اسْمٌ كَثِيرُ الدُّورِ وَالظُّهُورِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ بَاقِي الْأَسْمَاءِ فَإِنَّ الْأَمْهَاتِ الْأَسْمَاءَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ وَالرَّبُّ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَسْمَ لَمَّا تَعَلَّقَ التَّسْبِيحُ بِهِ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ مُطْلَقًا مِنْ حَيْثُ مَا يَسْتَحِقُّ لِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا تَعَلَّقَ بِهِ مُضَافًا إِلَى نَفْسِ الْمَسْبُوحِ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَإِنَّمَا تَعَلَّقَ بِهِ مُضَافًا فِي حَقِّ كُلِّ مَسْبُوحٍ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِهِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ يَتَفَاضَلُ فَيَعْتَقِدُ فِيهِ شَخْصٌ خِلَافَ مَا يَعْتَقِدُ فِيهِ غَيْرُهُ فَكُلُّ شَخْصٍ يَسْبُحُ رَبَّهُ الَّذِي اعْتَقَدَهُ رَبًّا وَكَمِ شَخْصٌ مَا يَعْتَقِدُ فِي الرَّبِّ مَا يَعْتَقِدُهُ غَيْرُهُ وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْتَقِدَ الْآخَرَ فِيمَا نَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ مِمَّا يَسْتَحِيلُ عِنْدَ هَذَا أَنْ تَكُونَ لَهُ تِلْكَ الصِّفَةُ وَيَكْفُرُ مِنْ أَجْلِهَا فَلَوْ سَبَّحَهُ مُطْلَقًا بِاعْتِقَادِ كُلِّ مَعْتَقِدٍ لَسَبَّحَ هَذَا الشَّخْصَ مِنْ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْزُهُ فَهَذَا أَضَافَهُ كُلِّ مَسْبُوحٍ لَمَّا يَتَضَمَّنُ اعْتِقَادَهُ وَحِظَ الْعَارِفُ أَنْ يَسْبُحَهُ بِلِسَانِ كُلِّ مَسْبُوحٍ وَيَنْظُرُ فِي عِظْمَةِ اللَّهِ وَ

تنزيها عن قيام الخضوع بها وعلوه عن السجود فإن العبد في سجوده يطلب أصل نشأة هيكله وهو الماء والتراب ويطلب بقيامه أصل روحه فإن الله يقول فيهم وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وصارت حالة الركوع برزخا متوسطا بين القيام والسجود بمنزلة الوجود المستفاد للممكن برزخا بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن لنفسه فالممكن عدم لنفسه فإن العدم لا يستفاد فإنه ما ثم من يفيدته والواجب الوجود وجوده لنفسه وظهرت حالة برزخية وهي وجود العبد بمنزلة الركوع فلا يقال في هذا الوجود المستفاد هو عين الممكن ولا هو غير الممكن ولا يقال فيه هو عين الحق ولا هو غير الحق فله نسبتان يعرفهما العارف فيخطر للعارف في حال الركوع الحال البرزخي الفاصل بين الأمرين وهو المعنى المعقول الذي به يتميز الرب من العبد وهو أيضا المعنى المعقول الذي به يتصف العبد بأوصاف الرب ويتصف الرب بأوصاف المربوب لا بالصفات فإنه وصف لا صفة وإنما قلنا وصف لا صفة فإن الصفة يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف والوصف قد يكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة فافهم

(فصل بل وصل في الدعاء في الركوع)

اختلفوا في الدعاء في الركوع بعد اتفاقهم على جواز الثناء على الله فيه ووجوبه في مذهب من يراه شرطا في صحة الصلاة فمنهم من كره الدعاء في الركوع ومنهم من أجاز به أقول واختلفوا في الدعاء في الصلاة فمنهم من قال لا يجوز أن يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن ومنهم من أجاز ذلك فأقول لما كانت الصلاة معناها الدعاء صح أن يكون الدعاء جزءا من أجزائها ويكون من باب تسمية الكل باسم الجزء وأما من يكره الدعاء في الركوع فإن الحالة البرزخية لها وجهان وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق فمن كان مشهده من الركوع الوجه الذي يطلب الحق كره الدعاء في الركوع ولم يجرمه لأن صفة القيومية قد يتصف بها الكون قال تعالى الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ ومن رجح الوجه الذي يطلب الخلق من الركوع قال يجوز الدعاء في الركوع وبه جاءت السنة وهو مذهب البخاري رحمه الله وكذلك من رجح أن لا يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن فإنه نظر إلى أن الله تعالى قد شرع الأدعية في القرآن فالعدول عنها إلى ألفاظ من كلام الناس من مخالفة النفس التي جبلت عليها حتى لا توافق ربها وهو الأدب الصحيح فإني كما لم أناجيه في الصلاة إلا بكلامه كذلك لا ندعوه إلا بما أنزل علينا وشرعه لنا في القرآن أو في السنة مما شرع أن يقال في الصلاة ومن أطلق الدعاء في الصلاة بأي نوع كان غلب على قلبه إنه ما ثم إلا الله ولا متكلم إلا الله إما بفعل يفعله كما ورد أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يعني في الصلاة أو أمر آخر

(فصل بل وصل في التشهد في الصلاة)

اختلف العلماء في وجوب التشهد في الصلاة والمختار منه فمن قائل بوجوبه ومن قائل لا يجب فأقول لما كان التشهد على الحقيقة معناه الاستحضار فإنه تفعل من الشهود وهو الحضور والإنسان مأمور بالحضور في صلاته فلا بد من التشهد وهو الأولى والأوجه ولما كان الشاهد مخاطبا بالعلم بما يشهد به بخلاف الحاكم لم يصح الحضور ولا الاستحضار من غير علم المتشهد بمن يريد شهوده فلا يحضر معه من

الحق إلا قدر ما يعلمه منه و ما خوطب بأكثر من ذلك و اختلفت مقالات الناس في الإله و إذا اختلفت المقالات فلا بد للعاقل إذا انفرد في علمه بربه أن يكون على مقالة من هذه المقالات التي أتجها النظر و هي مختلفة فالسليم العقل من يترك ما أعطاه نظره في الله و نظر غيره من أصحاب المقالات بالنظر الفكري و يرجع إلى ما قالته الأنبياء عليهم السلام و ما نطق به القرآن فيعتقده و يحضر معه في صلاته و في حركاته و سكناته فهو أولى به من أن يحضر مع الله تعالى بفكره و قد يطرأ لبعض الناس في هذا غلط و ذلك أنه يرى أن الإنسان ما يثبت عنده الشرع إلا حتى يثبت عنده بالعقل وجود الإله و توحيده و إمكان بعثة الرسل و تشريع الشرائع فيرجح بهذا أن يحضر مع الحق في صلاته بهذا العلم و ليس الأمر كذلك فإنه و إن كان نظره هو الصحيح في إثبات وجود الحق و توحيده و إمكان التشريع و تصديق الشارع بالدلالات التي أتى بها فيعلم إن الشارع قد وصف لنا نفسه بأمر لو وقفنا مع العقل دونه ما قبلناها ثم إننا رأينا أن تلك الأوصاف التي جاءت من الشارع في حق الله و معرفته تطلبها أفعال العبادات و هي أقرب مناسبة إليها من المعرفة التي تعطىها الأدلة النظرية التي تستقل بها فرأينا أن نحضر مع الحق في تشهدنا و صلاتنا بالمعرفة الإلهية التي استفدناها من الشارع في القرآن و السنة المتواترة أولى من الحضور معه بمقالات العقول ثم ننظر فيما ورد من التشهد في الصلاة حتى نجري على ذلك الأسلوب كما فعلنا في التوجيه و القراءة و ما يقال في الركوع و السجود انتهى الجزء الثامن و الثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فنقول من ذلك (تشهد عمر رضي الله عنه) و هو التحيات لله الزاكيات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته السلام علينا و على عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبد الله و رسوله أخذت به طائفة (و أما تشهد عبد الله بن مسعود) و هو التحيات لله و الصلوات و الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته السلام علينا و على عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أخذ به الأكثر من الناس لثبوت نقله (و أما تشهد ابن عباس) و هو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته سلام علينا و على عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله أخذت به طائفة و كلها أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فالعارف إذا تشهد بهذا التشهد فيما أن يكون في حال قبض و هيبة و جلال عن اسم إلهي و إما أن يكون في حال أنس و جمال و بسط عن اسم إلهي و إما أن يكون في حال مراقبة و حضور لموازنة ذاته بما كلفته من العبادات في الصلاة فيعمر كل قوة من قوى نفسه في صلاته و كل جارحة من جوارح جسمه في صلاته بما يليق بها مما طلبه الحق منه من إلهيات أن يكون عليها في صلاته بالنظر إلى كل جارحة و قوة فيعمرها سواء كان في حال هيبة أو أنس و هو أكمل الأحوال فانحصر الأمر في ثلاثة مقامات مقام جلال و مقام جمال و مقام كمال فيشهد بلسان الكمال و هو الأول للسالك فيقول التحيات لله أي تحيات كل محي و محي بها في جميع العالم و النسب الإلهية كلها لله أي من أجل الله الاسم الجامع الذي يجمع حقائقها و ذلك لأن كل تحية في العالم إنما هي مرتبطة بحقيقة

إلهية كانت ما كانت فمتى ما لم يجمع الإنسان بنيته وقلبه كما جمع بلفظة التحيات بقوته من الحقائق الإلهية كلها إلا الحقيقة الواحدة المشروعة له في تحيته من حيث ما هو مقيد بها من جهة شرعه خاصة لم يستبر لنفسه في كمال صلواته وقوله الزايات لله يقول التحيات المطهرات الناميات أي التي ينمي خيرها على قائلها من الحقائق الإلهية التي أوجدت تلك التحيات بحسب ما تعطيه أسماءها ثم يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بالألف واللام التي للجنس لا التي للعهد فيكون سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مثل تحياته للمشمول والعموم أي بكل سلام وهذا يؤذن بأن العبد قد انتقل من مشاهدة ربه من حيث الإطلاق أو أمر ما من الأمور التي كان فيها في سجوده إلى مشاهدة الحق في النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه بالحضور سلم عليه مخاطبا مواجهة بالنبوة لم يسلم عليه بالرسالة فإن النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لأمة الذي هو منه رسول فعم وعرف ما ينبغي أن يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحضور وأيه به من غير حرف نداء يؤذن بعبد لما هو عليه من حال قربه ولهذا جاء بحرف الخطاب ثم عطف بعد السلام عليه بالرحمة الإلهية لشمولها الامتنان والوجوب فأضافها إلى الله لما رزقه صلى الله عليه وسلم من السلامة من كل ما يشنؤه في مقامه ذلك وعطف بالبركات المضافة إلى الهوية والبركات هي الزيادة وقد أمر أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا فكان هذا المصلي في هذه التحيات يقول له سلام عليك ورحمته تقتضي الزيادات عندك من العلم بالله الذي هو أشرف الحالات عند الله كما جاء بالزايات في التحيات فتناسب بين الزكاة والبركة ولهذا جعل الله تعالى البركة في الزكاة التي هي الصدقات لا ارتباطها بها لأن الصدقة إخراج ما كان في اليد وهي الزكاة ولا تبقى في الوجود خلاه فيعوضه الله ويملا يديه من الخير العلمي وغيره من الثواب المحسوس في دار الكرامة ما لا يقدر قدره في مقابلة ما أخرجه ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فسلم على نفسه بشمول السلام وأجناسه كما سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ وَالدُّخُولُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الصَّلَاةِ كَالْبُيُوتِ فِي الدَّارِ الْجَامِعَةِ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ فَجَعَلَكَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِهِ إِلَىٰ نَفْسِكَ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ زَوَائِدِ الْخَيْرِ الطَّيِّبَةِ فَإِنَّهَا حَصَلَتْ لَهُ ذَوْقًا فَاسْتَطَاعَهَا كَمَا أَنَّهَا طَيِّبَةُ الْأَعْرَافِ بِسِيرَانِهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ وَجَاءَ بِنُونَ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ السَّلَامُ عَلَيْنَا يُؤْذَنُ أَنَّهُ مَبْلَغُ سَلَامِهِ لِكُلِّ جُزْءٍ فِيهِ مِمَّا هُوَ مُخَاطَبٌ بِعِبَادَةِ خَاصَّةٍ وَإِنَّمَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ لِكُونِهِ جَاءَ قَادِمًا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ لِعِيَّتِهِ عَنْ نَفْسِهِ حِينَ دَعَاهُ الْحَقُّ إِلَىٰ مَنَاجَاتِهِ فَكَبَّرَ تَكْبِيرًا كَبِيرًا فَحَرَّمَ الْإِحْرَامَ فَفَتَعْتَهُ هَذِهِ الْحَالَةُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ دَعَاهُ إِلَيْهِ فَهَذَا سَلَّمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِنُونَ الْجَمَاعَةِ وَذَلِكَ إِذَا كَانَ هَذَا الْعَبْدُ قَدْ دَخَلَ إِلَىٰ بَيْتِ قَلْبِهِ وَنَزَّ الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ حَالًا فِيهِ وَإِنْ وَسَعَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ لَمَّا يَفْتَضِيهِ جَلَالُ اللَّهِ مِنْ عَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَرَأَىٰ بَيْتَ قَلْبِهِ خَالِيًا مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ وَ الْحَقُّ لَا يَسَلِّمُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ هُوَ السَّلَامُ وَقَدْ نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فِي التَّشْهَدِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ وَلَمْ يَرِ فِيهِ أَحَدًا أَوْ نَزَّ الْحَقُّ أَنْ يَحْوِي عَلَيْهِ بَيْتَ قَلْبِهِ فَمَا بَقِيَ لَهُ أَنْ يَشْهَدَ سِوَى عَالَمِهِ الْمَكْلُفِ وَ لَيْسَ سِوَى نَفْسِهِ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ إِذَا دَخَلَ بَيْتًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ

فيكون العبد هنا مترجماً عن الحق في سلامه لأنه قال تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً كَمَا جَاءَ فِي سَمْعِ اللَّهِ لِمَنْ حَمَدَهُ فَكَذَلِكَ يَقُولُهَا فِي الصَّلَاةِ نِيَابَةً عَنِ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ لِأَنَّهُ مَا تَمَّ مِنْ حَدَثٍ لَهُ حَالٌ دَخُولٌ أَوْ خُرُوجٌ فَيَكُونُ السَّلَامُ مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ تَجَلَّى خَاصًّا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمَقَامِ فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ عَطَفَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ لَفْظِ السَّلَامِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَشَمِلَ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لِيَصِيبَ سَلَامَهُ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ لِلَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَنْوِي مِنَ الصَّالِحِينَ مَا هُوَ الْمَعْبُودُ فِي الْعَرَفِ مَا تَمَّ إِلَّا صَالِحٌ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فَكُلُّ شَيْءٍ يَنْزِعُهُ رَبُّهُ فَهُوَ إِذْنٌ صَالِحٌ هَذَا مِنْ عِلْمِ الْإِيمَانِ وَالْكَشْفِ فَانُوبِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ اسْتَعْمَلُوا فِيمَا صَلَّحُوا لَهُ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَشْهَدُونَ وَهَذَا لَمْ يَذْكُرْ لَفْظَةَ السَّلَامِ فِي هَذَا الْعَطْفِ وَكَتَفَى بِالْوَاوِ تَنْبِيْهَا فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ السَّلَامَ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ الْوَجُوبِ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْوَجُوبِ فَسَرَّ حَتَّى لَا يَتَمَيَّزُ الْمُسْتَحِقُّ مِنْ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ رَحْمَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَلَمْ يَعْطِفِ السَّلَامَ الَّذِي سَلَّمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ عَلَى السَّلَامِ الَّذِي سَلَّمَ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ جَعَلَهُ مَبْتَدَأً فَإِنَّ النَّبِيَّةَ أَعْنَى نَبْوَةِ التَّشْرِيعِ طَوْرًا آخَرَ مَتَمِّيزٍ عَنِ طَوْرِ الْإِتْبَاعِ فَإِنَّهُ لَوْ عَطَفَ عَلَيْهِ لَفْظَ السَّلَامِ عَلَى نَفْسِهِ لَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ النَّبِيَّةِ الْوَاوِ الَّذِي يُعْطَى الْإِشْتِرَاكُ وَبَابُ النَّبِيَّةِ قَدْ سَدَّ كَمَا سَدَّ بَابُ الرِّسَالَةِ وَأَعْنَى نَبْوَةِ التَّشْرِيعِ وَمَا بَقِيَ بِأَيْدِينَا إِلَّا الْوَرَاثَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ الرِّسَالَةَ وَالنَّبِيَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ فَعَيْنٌ بِهَذَا أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّسَالِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَحَصَلَ لَهُ الْأَوْلِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّعِينِ وَحَصَلَ لَهُ الْآخِرِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَعْلَى التَّعِينِ فَدَخَلَ بِالسَّلَامِ الثَّانِي مَجْرَفَ الْعَطْفِ فِي عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ بِلَا شَكٍّ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَهُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لَنَا فَاثْبِتْنَا بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا فِي طَوْرِنَا مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَقَفْ عَلَى رِوَايَةِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَشْهَدِ الَّذِي كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَشَهَّدُ بِهِ بِلِسَانِهِ فِي تَشْهَدِهِ فِي الصَّلَاةِ فِي قَوْلِنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ هَلْ كَانَ يَقُولُهُ بِهَذَا اللَّفْظِ أَوْ يَقُولُهُ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ مِثْلَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا أَوْ لَا يَقُولُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَيَكْتَفِي بِقَوْلِنَا السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنْ كَانَ قَالِ مِثْلَ مَا عَلَّمْنَا أَنْ نَقُولَ مِنْ ذَلِكَ فَلَهُ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ وَهُوَ نَائِبٌ مُتَرَجِّمٌ عَنْهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ كَمَا جَاءَ فِي سَمْعِ اللَّهِ لِمَنْ حَمَدَهُ وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنْ يَقُومَ فِي دَعَائِهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي مَقَامٍ غَيْرِ مَقَامِ النَّبِيَّةِ ثُمَّ يَخَاطَبُ نَفْسَهُ مِنْ حَيْثُ الْمَقَامِ الَّذِي أَقِيمَ فِيهِ نَفْسُهُ أَيْضًا مِنْ كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَبِحَضْرِهِ مِنْ أَجْلِ كَافِ الْخُطَابِ فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِهِ لِلْمَقَامِ الَّذِي أَحْضَرَهُ فِيهِ أَيُّ أَحْضَرَهُ نَفْسَهُ فِيهِ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فَعَلِ الْأَجْنَبِيُّ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَأَمَّا مَعْنَى الشَّهَادَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ التَّشْهَدِ وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُنَا إِنَّمَا هُوَ تَوْحِيدٌ مَا يَفْتَضِيهِ عَمَلُ الصَّلَاةِ عَمُومًا وَمَا يَفْتَضِيهِ حَالُ كُلِّ مَصْلُوفٍ فِي صَلَاتِهِ خُصُوصًا فَإِنَّ أَحْوَالَ الْمَصْلُوفِينَ تَخْتَلِفُ فِي الصَّلَاةِ بِلَا شَكٍّ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مِنْ وَجْهِ الْأَحْكَامِ وَمِنْ وَجْهِ الْمَقَامَاتِ وَمِنْ وَجْهِ الْأَذْوَاقِ فَمِنْ وَجْهِ الْأَحْكَامِ فَإِنَّ صَلَاةَ الْحَنْفِيِّ تَخَالَفَ صَلَاةَ الْمَالِكِيِّ وَ

الشافعي في بعض الأحكام ومن وجوه المقامات فإن صلاة المتوكل تخالف صلاة الزاهد ومن وجوه الأذواق فإن صلاة الراضي تخالف صلاة الشكور وصلاة الصاحي تخالف صلاة السكران في الطريق الذوقي فإن الصحو والسكر هو من علوم الأذواق ثم عطف الشهادة بالعبودية لله والرسالة على شهادة التوحيد ليعلم أنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فإنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى وما عليه إلا البلاغ والإبلاغ لا يكون إلا حال مبلغ من مبلغ عنه إلى مبلغ إليه وهو العطف بواو الاشتراك يؤذن بالتقرب الإلهي من السيد بما فيه من العبودية لله والتقرب من المرسل بما فيه من ذكر الرسالة المضافة إلى الهوية التي هي غيب لمن أرسلوا إليهم وللرسول من حيث إن الروح الأمين جاء بها إليه من عند ربه فهو أقرب سندا منا إلى المرسل و تلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروح بربه لا بنفسه كما يتلقى العارفون ما يأتيهم من ربهم على السنة العالم وحرركاتهم برهيم لا بأنفسهم فإنه من يرى ربه في نفسه يراه في غيره بلا شك كما يقول أهل الله في حال المتوكل من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره وإنما قلنا تلقاها بربه لا بنفسه إذ لو تلقى الملتقي أمر ربه ووحيه بنفسه دون ربه لاحترق في موضعه من سطوات أنوار الروح الأمين ألا تراه مع القوة الإلهية التي أيده الله بها كيف جاء إلى بيت خديجة ترجف بواو ربه يقول زملوني زملوني زملوني دثروني لاضطراب مفاصله وتخلل النور الروحاني مسالك ذاته فكان يسمع لها قضيض فبدأ في الشهادة حين عطفها باسمه محمدا لما جمع فيه من الخامد أي بها استحق العطف بحرف التشريك ثم قال عبد الله فذكره بعبودية الاختصاص ليعلم بحريته عن كل ما سوى الله وخلص عبوديته لله ليس فيه شقص لكون من الأكوان ثم عطف بالرسالة على العبودية وعلى الله بالهوية فزاده في العبودية اختصاصين وهما النبوة والرسالة وذكر الرسالة دون النبوة لتضمنها إياها فلو ذكر النبوة وحدها كان يبقى علينا ذكر اختصاصه بالرسالة فيحتاج إلى ذكرها حتى نعلم بخصوص أوصافه ونفرق بينه وبين من ليس له منزلة الرسالة من عباد الله النبيين فهذا تشهد لسان الكمال (التشهد بلسان الجمال) وأما تشهد لسان الجمال فهو تشهد عبد الله بن مسعود الذي ذكرناه وهو على هذا الحد إلا ما اختص به فما أذكره وهو أن يقول صاحب هذا المقام بلسانه والصلوات والطيبات فأتمى بالصلوات لعموم ما تدل عليه في الرحمات والدعاء وأنواعه من الأحوال وكلها صلاة هو الذي يصلي عليكم وملائكته وعطف عليها الطيبات من باب عطف النعوت فهي نعت معطوف للصلوات وعليها ليطيب بها نفسا واختص أيضا في هذا التشهد بإضافة العبودية إلى الهوية لا إلى الله وهو مقام شريف في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أنه صلى الله عليه وسلم في حال نظره في ربه من حيث ما تستحقه ذاته التي لا يحاط بها علما بل لا تعرف أصلا بالصفة الثبوتية وليست سوى واحدة لا يصح أن تكون اثنتين لأن الفصل المقوم في حق ذاته يستحيل فلا مناسبة بين الله وبين خلقه فإنه من ليس كمياله شيء كيف يصح أن يشبه شيئا أو يشبهه شيء وهذا بخلاف اللسان الأول فإن الإضافة بالعبودية كانت إلى الله لا إلى الهوية وهو أن ينظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن ويليق وهو دون ما تشهد به ابن مسعود (التشهد بلسان الجلال) أما التشهد بلسان الجلال فزاد على ما احتوى عليه التشهدان أن نعت التحيات بالمباركات أي التحيات التي يكون معها البركات وأسقط الزاكيات وكذلك أسقطها ابن مسعود فإنهما راعيا الاشتراك في الزيادة وراعى

عمر ما في الزكاة من التقديس مع وجود الزيادة التي تشترك فيها مع البركة فأكفى بالزكايات لذلك وأنكر الزاكيات في التشهد جماعة من علماء الرسوم ممن لا علم له بعلوم الأذواق ومواقع اختلاف خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأت في هذا اللسان في نعت التحيات بحرف عطف وقال فيه سلام بالتنكير وهو تشهد ابن عباس وذلك أنه راعى خصوص حال كل مصل فإن أسماء الله مثل الممكنات لانهائية لها وكل ممكن له خصوص وصف فله من الله اسم خاص به من ذلك الاسم خص بالوصف الذي يتميز به عن كل ممكن وهذا من أشرف علوم أهل الله وهو مذكور في قوله في دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك وأما أسماء الإحصاء فتسعة وتسعون مائة إلا واحد ولم يصح في تعيينها على الجملة نص ولا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هي هذه فما جاء ابن عباس بتنكير السلام إلا يأخذ كل مصل من الاسم الذي يلقي إليه ويناجي الحق فيه وهو المسلم على نبي الله منا صلى الله عليه وسلم وعلينا وعلى عباد الله الصالحين وكذلك اختص بعدم تكرار لفظ الشهادة فتركها فلم يشهد له بعبودية ولا رسالة بشهادة مستأنفة بل شهادته بالتوحيد أغنت وأكفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك وذلك مثل قوله تعالى شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ لم يعطف بذكر الشهادة تشريفا لهم وإن كان قد فصلهم عن شهادته لنفسه بذكره لا إله إلا هو وأسقط هنا لفظ العبودية لتضمن الرسالة إياها

(فصل بل وصل في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد في الصلاة)

اختلفوا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد فمن قائل إنها فرض وبه أقول ومن قائل إنها ليست بفرض وكذلك اختلفوا في التعوذ من الأربع المأمور بها في التشهد وهو أن يتعوذ من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة الحيا والممات فمن قائل بوجوبها ومن قائل بمنع وجوبها ووجوبها أقول ولولم يأمر بالتعوذ منها لكان الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أولى إذ كان التعوذ منها من فعله لقوله تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ وقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي فكيف وقد انضاف إلى فعله أمره أمته بذلك فالصلاة على النبي في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لمحمد صلى الله عليه وسلم بظهر الغيب وقد ورد في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه من دعا بظهر الغيب قال له الملك ولك بمثله وفي رواية ولك بمثليه فشرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بها الله في قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا يعوّد هذا الخير من الملك على المصلي عليه من أمته صلى الله عليه وسلم وأمر بالسلام عليه بقوله وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فأكد به المصدر فقد يحتمل أن يريد بذلك السلام المذكور في التشهد ويحتمل أن يريد به السلام من الصلاة أي إذا فرغتم من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا من صلاتكم تسليما وبهذا الاحتمال تعلق من رأى وجوبها في الصلاة وأما الاستعاذة من عذاب القبر فإن القبر أول منزل من منازل الآخرة فيسأل الله أن لا يتلقاه في أول قدم يضعه في الآخرة في قبره عذاب ربه وأما الاستعاذة من عذاب جهنم فإنها الاستعاذة من البعد فإن جهنم معناها البعيدة القعر والمصلي في حال القرية وهو

قريب من الانفصال من هذه الحالة المقربة فاستعاذ بالله أن لا يكون انفصاله إلى حال تبعده من الله بل إلى قرب من حالة دينية أخرى وأما الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال فلما يظهره في دعواه الألوهية وما يخيله من الأمور الحارقة للعادة من إحياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت الروايات بنقله وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه وهي مسألة في غاية الإشكال لأنها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قروره وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود ويجمع لنا بين الطرفين المعقول والمشهود وأما فتنة الحيا والممات ففتنة الحيا فتنة الدجال وكل ما يفتن الإنسان عن دينه الذي فيه سعاده وأما الممات فممنها ما يكون في حال النزح والسياق من رؤية الشياطين الذين يتصورون له على صورة ما سلف من آبائه وأقاربه وإخوانه فيقولون له مت نصرانيا أو يهوديا أو مجوسيا أو معطلا ليجولوا بينه وبين الإسلام ومنها ما يكون في حال سؤاله في القبر وهي حين يقول الملك له ما تقول في هذا الرجل ويشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا لم ير الميت تعظيم الملك للرسول صلى الله عليه وسلم لأن المراد الفتنة ليميز الصادق الأيمان من الكافر والمراتب فأما المؤمن يقول هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فأما وصدقنا وأما المنافق أو المرتاب وهو الذي يشك في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أنها من عند الله ويجعل ذلك من القوي الروحانية وغيرها ثم يرى عدم تعظيم الملك للرسول بهذا السؤال وهو قولهم ما تقول في هذا الرجل ولم يقولوا ما تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول المرتاب لو كان لهذا القدر الذي كان يدعيه في رسالته لم يكن هذا الملك يكفي عنه بمثل هذه الكناية فيقول عند ذلك لأدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثل ما قالوه فيشقى بذلك شقاء عظيما لم يكن يتخيله فهذا من فتنة الممات والقبر فاعلم ذلك وقد فرغ التشهد على التقريب الاختصار

(فصل بل وصل في التسليم من الصلاة)

اختلفوا في التسليم من الصلاة فمنهم من قال بوجوبه وبه أقول ومنهم من قال ليس بواجب التسليم من الصلاة واختلف القائلون بوجوبه فمن قائل الواجب من ذلك على المنفرد والإمام تسليمة واحدة ومنهم من قال اثنين ومن قائل إن الإمام يسلم واحدة والمأموم يسلم اثنين وقد قيل عن صاحب هذا القول إن المأموم يسلم ثلاثا الواحدة للتحليل والثانية للإمام والثالثة لمن هو عن يمينه والذي يقتضيه النظر إذا لم يكن هناك نص يوقف عنده لافي التوقيت ولا في التحجير أن يزداد على الثالثة تسليمة رابعة للمأموم إن كان على يساره أحد وللإمام تسليمتان أو ثلاثة من أجل التحليل إن كان الناس عن يمينه ويساره فإن لم يكن عن يساره أحد فيسلم اثنين واحدة للتحليل والثانية لمن هو عن يمينه والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يسلم تسليمتين وما في الحديث ما يقتضي أن الخروج من الصلاة يكون بعد التسليم واعلم أن السلام لا يصح من المصلي إلا أن يكون المصلي في حال صلواته مناجيا ربه غائبا عن كل ما سوى الله من الأكوان والحاضرين معه فإذا أراد الخروج من الصلاة والانتقال من تلك الحالة إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة سلم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلواته عند ربه فإن

كان المصلي لم يزل مع الأكوام والجماعة إن كان في جماعة فكيف يسلم عليهم من هذه حالته فإنه ما برح عندهم فهلا استحيى هذا المصلي حيث يرى سلامه من صلاته إنه كان عند الله في تلك الحالة فسلام العارف من الصلاة لانتقاله من حال إلى حال فيسلم تسليمين تسليمته على من ينتقل عنه وتسليمته على من قدم عليه إلا أن يكون عند الله في صلاته فلا يسلم على من انتقل عنه لأن الله هو السلام فلا يسلم عليه

(فصل بل وصل فيما يقول الذي يرفع رأسه من الركوع وفي الركوع)

يقول العارف الجامع لأكمل الصلوات إذا رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده نيابة عن ربه سبحانه و مترجما عنه فإنه من كلام ربه تبارك وتعالى ثم يسكت ثم يقول يرد على نفسه بلسانه اللهم ربنا ولك الحمد وذلك أنه ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فلهذا يستحب للمنفرد أن يسكت سكتة يفصل بها بين قوله سمع الله لمن حمده وبين قوله اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد كما أنه يقول في حال ركوعه بعد قوله فيه سبحانه ربي العظيم ومجده ثلاث مرات إن كان منفردا أو مأموما وإن كان إماما فإنه يقوله خمس مرات ليدرك المأموم أنه يقوله ثلاثا ثم يقول بعد هذا التسبيح اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصي اعلم أن العبد إذا ركع فقد أعلمتك أنه في حال برزخي بين القيام والسجود فيقول العارف بعد تسبيحه ربه بالتعظيم كما أوردناه يقول اللهم لك ركعت أي من أجل عزك وعلوك في كبرياتك خضعت تعظيما لك يقول لقيوميتك التي لا تنبغي إلا لك فإني لما قمت بين يديك لم أقم إلا امتثالاً لأمرك حيث قلت وقوموا لله فقامت وأنا أخضع في ركوعي من خاطر ربما خطر لي في حال قيامي إني قمت لنفسي فاعترف بين يديك بركوعي إني لك ركعت وبك آمنت يقول بسببك أي بتأييدك صدقت لا بجولي ولا بقوتي أي لا حول لي ولا قوة إلا بك إذ كانت القلوب بيدك التي هي محل الإيمان ولك أسلمت أي من أجلك كان انقيادي ولولاك ما تغيرت أحوالي معك في عباداتي فإنك الذي شرعت لي ذلك على لسان رسولك فعلا وقولا صلى الله عليه وسلم فصلى وذكر ثم أمرنا فقال صلوا كما رأيتموني أصلي وأنت القائل وما ينطق عن الهوى فعلمنا أنه مأموماً بأن يأمرنا بذلك أمرك لا أمره فإنك القائل من يطع الرسول فقد أطاع الله ثم يقول خشع لك سمعي فيما كلمتني به في حال مناجاتي إياك بكلامك ثم يقول وبصري بواو التشريك وما ثم إلا الخشوع فكانه يقول وخشع لك بصري حياء منك لعلمي بأنك تراني في حال ركوعي بين يديك فإنك في قبلي كما أخبرني رسولك صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أجعلك مشهوداً في صلاتي كأنني أراك بيا ربي وإن مثلت في نفسي إني أراك فما أقدر أن أنكر علمي أنك تراني وما سبب الحياء مني إلا علمي بأنك تراني لا بأني أراك فإنه لا يعزب عنك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض يا من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ويقول ومخي وعظمي وعصي فإنك جعلت في كل ما ذكرت قوة يكون بها قوام نشأتي وثبات هيكلتي لتحصل نفسي بهذه القوي لبقاء هذه الصورة المكلفة ما أمرتها به أن تحصله من

المعرفة بك فرمما خطر لمخي وعظمي وعصبي الموصوفين بالحشوع لك لما كانت أسبابا لما ذكرناه فيد ركها لذلك عجب وزهو فوجب على كل واحدة من هؤلاء أن يخشع لك بتبريه من الحول والقوة في السببية بأنك أنت الذي تحفظ على قوام نشأتي لتحصيل معارفها فإذا رفع العارف رأسه من الركوع يقول نيابة عن ربه سمع نفسه خطاب ربه سمع الله لمن حمده في قوله في حال ركوعه سبحان ربي العظيم وكل حمد وثناء حمده به وأثنى عليه به من أول شروعه في صلاته ثم يرد بربه على ربه بحضور نفسه من كونها بره بتأييده إياها في حوطها وقوتها فيقول اللهم ربنا فيحذف حرف النداء لأن المصلي في حال قرب والنداء يؤذن بالبعد وأبقى المنادي وهو لبقاء نفسه في جواب ربه فيقول لك الحمد أي الثناء التام بما هو لك ومنك فلا حامد ولا محمود إلا أنت ولك عواقب كل من في العالم وكل منى عليه وهو قوله ملء السموات و ملء الأرض و ملء ما بينهما و ملء ما شئت من شيء بعد يقول كل جزء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما وما في الإمكان من الممكنات مما توجد به ويبقى في العدم عينا ثابتة كل جزء منه معلوم بحكم الوجود والتقدير له ثناء خاص عليك من حيث عينه وإفراده وجمعه بغيره في قليل الجمع وكثيره أحمدك بلسانه و بلسان كل حامد من حمدك لنفسك و حمد من سواك لك فيكون لهذا الحامد بهذه الألسنة جميع ما يستدعيه من التجلي الإلهي ومن الأجور المحسوسة لأجل طبيعته وتركيبه فإنه حمده لسانا وقلبا ظاهرا وباطنا وقوله أحق ما قال العبد أي أوجب ما يقوله عبد مثلي ولي أمثال لسيد مثلك ولا مثل لك وكلنا لك عبد يقول أنوب عن أمثالي وهم جميع الممكنات موجودها و معدومها ممن يقول بك في علمه عن حضور ومن يقول بنفسه عن غيبة فأنوب عنهم في حمدك لمعرفتي بك التي منحتني وجهلهم بما ينبغي للجلالك لا مانع لما أعطيت من الاستعداد لقبول تجل مخصوص وعلوم مخصوصة ولا معطي لما منعت وإذ لم تعط استعدادا عاما فما ثم سيد غيرك يعطي ما لم تعطه أنت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من كان له حظ في الدنيا من سلطان وجاه و مال وتحكم بغيرك في علمه لا في نفس الأمر لم ينفعه ذلك عندك في الآخرة عند كشف الغطاء

(فصل بل وصل في السجود في الصلاة)

فإذا سجد وسبح بربه الأعلى ومجده كما تقدم يقول في سجوده بعد تسيحه اللهم لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه و شق سمعه وبصره قبارك الله أحسن الخالقين اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وأممي نورا و خلفي نورا و فوقي نورا و تحتي نورا واجعل لي نورا واجعلني نورا يقول العارف سجد وجهي أي حقيقتي فإن وجه الشيء حقيقته للذي خلقه أي قدره من اسمه المدبر وأوجده من اسمه القادر البارئ المصور و شق سمعه بما أسمعته في كُنْ وأخذ الميثاق ثم التكليف وبصره بما أدركه ليعتبر في المبصرات فإن ذلك في حق هذه النشأة وأمثالها كما فطر السموات والأرض وفتحها بعد رتقها ليميزا فيظهر المؤثر والمؤثر فيه لوجود التكوين قبارك الله أحسن الخالقين إثباتا للأعيان ليصح قوله لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ثم دعا بالنور في كل عضو نور السموات والأرض الذي مثله بالمصباح في الزجاجه مقام الصفا في المشكاة مقام الستر من الأهواء فلم تصبه مقالات القائلين فيه

بأفكارهم الموقد بالزيت المضيء بالمقاربة وهو حكم الإمداد من الشجرة وهي الممد لا شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً في مقام الاعتدال لا تميل عن عرض إلى شرق فيحاط بها علما ولا إلى غرب فلا تعلم رتبها نُورٌ عَلَى نُورٍ وجود على وجود وجود عيني على وجود مقنن ثم دعا بجعل النور في كل عضو والنفور هو النور وكل عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوة التي ركبها فيه وفضله عليها ولما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أن يجعل الله فيه علما وهدى منفرد الظلمة دعوى كل مدع من عالمه هذا ربط هذا الدعاء وآخر ما قال اجعلني نورا يقول اجعلني أنت فإنه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمَا هُنَاكَ قَالَ الْحَقُّ تَعَالَى كَتَّ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَرَجُلَهُ وَيَدَهُ وَلسانَهُ عِنْدَ مَا يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ وَيَتَكَلَّمُ وَيَبْطِشُ وَيَسْعَى يَقُولُ اجْعَلْنِي نُورًا يَهْتَدِي بِهِ كُلُّ مَنْ رَأَى فِي ظُلُمَاتِ بَرِّ ظَاهِرِهِ وَبِحَرِّ نَفْسِهِ وَبِاطْنِهِ فَأَعْطَاهُ الْقُرْآنَ وَأَعْطَانَا الْفَهْمَ فِيهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُنْحَةَ مِنْ أَعْلَى الْمُنْحِ فِي رَتْبَةِ هِيَ أَسْنَى الْمُرَاتِبِ وَمَعْنَاهُ غَيْبِيٌّ عَنِّي وَكُنْتُ أَنْتَ بِوَجُودِي فِيْرِي بَصْرِي كُلُّ شَيْءٍ بِكَ وَيَسْمَعُ سَمْعِي كُلُّ مَسْمُوعٍ بِكَ فَإِنَّ نُورَ كُلِّ عَضْوٍ إِدْرَاكُهُ وَهَكَذَا جَمِيعُ مَا فَصَلَهُ وَلَكِنْ بِنُورٍ يَقَعُ بِهِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَنْوَارِ وَلِذَلِكَ نَكَرَهُ فِي كُلِّ عَضْوٍ وَفِي نَفْسِهِ وَذَاتِهِ فَيَتَمَيَّزُ نُورُ الشَّمَالِ مِنْ نُورِ الْيَمِينِ وَنُورُ الْفَوْقِ مِنْ نُورِ التَّحْتِ وَكَذَلِكَ أَنْوَارُ الْقَوِيِّ وَالْجَوَارِحِ ثُمَّ أَقْمِنِي بَعْدَ هَذَا فِي عَيْنِ الْجَمْعِ وَالْوَجُودِ فَتَتَّحِدُ الْأَنْوَارُ بِأَحَدِيَةِ الْعَيْنِ فَإِنَّ لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ فَبِجْعَلِكُ إِيَّايَ نُورًا وَإِنْ كُنْتُ هُنَاكَ فَبِجْعَلِكُ فِي نُورًا أَهْتَدِي بِهِ فِي ظُلُمَاتِ كُونِي

(فصل بل وصل فيما يقول المصلي بين السجدة تين في الصلاة من الدعاء)

يقول المصلي إذا جلس بين السجدة تين في الصلاة اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني واجبرني واهدني وعافني واعف عني يقول العارف استرني واستر من أجلي استرني من المخالفات حتى لا تعرف مكاني فقصدني نفسك عني إذ قد قلت إن سبحاتك محرقة أعيان كل موصوف بالوجود وإن كان وجودك ولكن كما أثر في الممكن صفة الوجود ولم يكن بالوجود موصوفا كذلك أثر نسبه إلى الممكن إن قيل فيه بوجود وإن كان مقيدا بالحدوث حادث ولكن الحضرة الإلهية موصوفة بالغيرة على وجودها من أجل دعوى هذا المدعي فلو لم تصدر منه الدعوى لما تسلط عليه فلا بد إذا ارتفعت الحجب أن تحرق سبحات ما أدركه البصر من الخلق يعني الطبيعي فإن عالم الأمر أنوار قلما يحترق بل يندرج في النور الأعظم فإن عالم الأمر ما عنده دعوى فيحترق عالم الخلق فيصير رمادا فما ألحقه بالعدم فبقي رمادا لا عودي له فاذن ما أعدمت سوى الدعوى بإحالة العين التي أعطى استعدادها الدعوى إلى عين ما لها دعوى وقوله وارحمني برحمة الوجوب التي لا تحصل إلا بعد رحمة الامتنان بما أعطيتني من التوفيق لتحصيل رحمة الوجوب حتى أكون كل شيء وسعته رحمتك فيطلب العارف رحمة الامتنان في عين الوجوب بالتوفيق للعمل الصالح الموجب لرحمة الاختصاص فيريد أخذها من عين المنة التي يطلبها إبليس وأشياعه من الجن والإنس مع وصف هذا العارف بالعصمة والحفظ عن المخالفة والخذلان الموجب للحرمان ثم يقول وارزقني يعني من غذاء المعارف الذي يحيا به قلبي كما رزقتني من غذاء الجسم بما أبقيت به جسدي الطبيعي وهيكلتي ثم يقول واجبرني الجبر لا يكون إلا بعد كسر وهو المهيض في اللسان والمهيض هو المكسور بعد جبر وهو كسر العارفين فإن العبد مكسور في الأصل بإمكانه فجبره إنما هو بأن ألحقه بالوجوب ولكن بغيره فلما

أوجده بهذا الجبر كسرتة المعرفة بنفسه و بره فردته إلى إمكانه فهذا كسر بعد جبر و الجبر لا يكون إلا عن كسر فلماذا قلنا هو المهيض في اللسان كما أيضا يقول و اجبرني يعني أوقفني على جبري في اختياري فإن العبد مجبور في اختياره و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين يقول الله أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلي ثم يقول و اهدني بين لي ما تنقي و وفقني للبيان في الترجمة عنك لعبادتك بما تهني من جوامع الكلم ليصح و رثي من رسولك صلى الله عليه و سلم فإنه قال صلى الله عليه و سلم أعطيت شيئا لم يعطهن نبي قبلي و ذكر منها فقال و أوتيت جوامع الكلم ثم يقول و عافني من أمراض القلوب التي هي أغراضها لا من أمراض الجسوم فإنك في غاية القرب عند من أمرضت جسمه فإنك قلت لي في الخبر الصحيح الذي بلغه إلى رسولك صلى الله عليه و سلم عنك أنك قلت مرضت فلم تعدني فأقول لك و كيف تمرض و أنت رب العالمين فقال صلى الله عليه و سلم إنك تقول مجيبا لي إن عبدي فلانا مرض فعدته أما أنك لوعدته لوجدتني عنده و من أنت عنده سبحانك فما شقي و ما أمرضت عبدك إلا لتعوده و تكون عنده فمن أراد أن يجدك فليعد المرضى سبحانك تسيحا لا ينبغي إلا لك ثم يقول و اعف عني يقول كثر خيرك لي و قلل بلاءك عني أي قلل ما ينبغي أن يقلل و كثر ما ينبغي أن يكثر و ليس إلا عفوك عن خطيئتي التي طلبت منك أن تسترني عنها حتى لا تصيبي فتصف بها و العفو من الأضداد يطلق بإزاء الكثرة و القلة فتب عني يا رب فإني لا أستطيع التحرك إلى ما أمرتني بعمله لزمانتي مع إرادة التحرك

(فصل بل وصل في القنوت في الصلاة)

اختلفوا في القنوت فمن قائل إنه مستحب في صلاة الصبح و من قائل إنه سنة و من قائل إنه لا يجوز القنوت في صلاة الصبح وإنما موضعه الوتر و من قائل يقنت في كل صلاة و من قائل لا قنوت إلا في رمضان و من قائل لا قنوت إلا في النصف الآخر من رمضان و من قائل في النصف الأول من رمضان و هو دعاء يدعو به المصلي و منهم من يراه قبل الركوع و منهم من يراه بعد الركوع و من الناس من لا يرى القنوت إلا في حال الشدة و به أقول و هو مستحب عندي و قد روى في صفة قنوت الوتر دعاء خاص و قد روى في قنوت الصبح دعاء خاص لم يثبت فليدع من يرى القنوت بأي شيء شاء بحسب حاله غير أنه يجتنب السب و اللعنة في القنوت و ليدع بحجز الدنيا و الآخرة و ما يزلف عند الله مثل ما ثبت في قنوت الوتر من قوله صلى الله عليه و سلم اللهم اهدني فيمن هديت و عافني فيمن عافيت و تولني فيمن توليت و بارك لي فيما أعطيت و قني شر ما قضيت إنك تقضي و لا يقضى عليك و أنه لا يذل من واليت و لا يضل من هديت تباركت و تعاليت فهذا تعليم من النبي صلى الله عليه و سلم كيف ندعو الله في قنوتنا و في كل دعاء فالعارف ينظر فيما علم إن يدعو به أو بما يشبهه فهو يطلب من الله أن يهديه فيمن هداه فإن وقف مع صفة اللفظ فهو يطلب في المستقبل أن يكون في الماضين و المستقبل لا يكون في الماضي إلا أن يجمعهما وجه فينظر العارف فيجد أن الجامع بين الماضي و المستقبل إنما هو العدم إذ كان الوجود لا يصبح إلا للحال و الوجود لا يكون إلا لله فإن وجود الحال وجود ذاتي لا يصح فيه العدم و له الدوام و بهذا وصفه أهل العربية فقالوا في تقسيم الأفعال إن فعل الحال يسمى الدائم و هو موجود بين طرفي عدم لا يمكن فيهما وجود

أصلاً وهو الماضي والمستقبل وهو عين العبد فهو الموصوف بالعدم فقيدته بالماضي وهو العدم والمستقبل وهو عدم فاهدني للمستقبل وهديت للماضي والعدم لا يقع فيه تمييز فلماذا شرع له أن يقول اهدني فيمن هديت وأمثاله فإذا حصلت الهداية وهي عين وجود الحال والحال ظرف محقق ولهذا جاء بقي فقال فيمن والعدم لا يكون ظرفاً لأن المعدوم لا شيء والعدم عبارة عن لا شيء ولا شيء لا يكون ظرفاً لغير شيء فالمفهوم من قوله اهدني فيمن هديت وأمثاله بقوة ما تعطيه في أي إذا كسوتني وجود الهداية والتولي وما وقع السؤال فيه فليكن في الحال الذي له الدوام فلا يوصف بالماضي فيلحق بالعدم ولا بالمستقبل ولا يكون له وجود والحق منزّه عن التقييد في أفعاله بالزمان والعبد الذي هو المخلوق في الماضي موصوف بليس وفي المستقبل موصوف بليس وفي حال اتصافه بالوجود من حيث ذاته موصوف بليس فكما إن ليس له حقيقة لا ينفك عنها بل هي عينه كذلك أس الذي هو الوجود هو للحق سبحانه حقيقة لا يوصف بتقيضه بل الوجود عينه وإن سلب عن نفسه الفعل وأضافه إلى السبب فإن ذلك غير مؤثر في وجوده للحق لما تحققنا من أن العبد عدم والعدم لا ينسب إليه شيء وفي ذلك قلنا

بتحقيقي فقل لي ما أقول	تقول بهم وتعنبهم وما ذا
أقول بهم فقل لي ما تقول	أقول بهم وهل علموا بأني
بأني قائل و هو المقول	إذا عبد تحقق إذ يقول
فقل بي ما تقول وما تقول	أأعتب مثله والعدل نعتي

يقول الله على لسان فرعون أنا ربكم الأعلى وهو سبحانه الأعلى حقيقة فإن الله هو ربنا الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى العبرة في ذلك للعالم فإن الله وصف العلماء بالخشية فقال إنما يخشى الله من عباده العلماء فيعتبر العالم كما أخبر الله من أين أخذ فرعون وهذه صفة الحق ظهرت بلسان فرعون فعلم أنه ما قالها نيابة عن الحق كما يقول المصلي سمع الله لمن حمده فلما غاب عن النيابة في ذلك القول طلبت الصفة موصوفها فرجعت إلى الحق جل جلاله وبقي فرعون معرى عنها على أنه ما لبسها قط عند نفسه فإن الله قد طبع على كل قلب مكبر جبار أن يدخله كبرياء إذ لا ينبغي ذلك الوصف إلا لمن لا يتقيد فهو الأعلى عن التقييد فكان الجزاء لفرعون لغيبته عن هذا المقام أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى أي أوقفه على تقييده أنه ليس له هذا الوصف فالأولى للماضي وهي كلمة ما علمت لكم من إله غيري والآخرة للمستقبل وهي كلمة أنا ربكم الأعلى وهما عندنا إن الله أخذه نكال الآخرة والأولى في الأولى فاطلع بما أعلمه الله في أخذه ذلك عن الإطلاق الذي ادعاه بالتقييد الذي هو النكال فإن النكال في اللسان هو التقييد ولما رأينا الله قد عبر بالنكال عرفنا إن التقيض هو الذي سلبه وهو الإطلاق ففي موطن يقول سبحانه ادعوني وفي موطن يعرفنا بأنه قد قضى القضية وما يبدل القول لديه وما سبق العلم به فهو كائن ولا ينبغي حذر من قدر وفي ذلك قلت بيتين فيهما رمز حسن وهما

وإن أنا لم أدعو يقول ألا تدعو إذا قلت يا الله قال لما تدعو
وخصص بالراحات من لاله سمع فقد فاز باللذات من كان أخرسا

فينبغي للعبد إذا قرأ القرآن أو تكلم بما تكلم به أو كلمه غيره أو سمع من سمع بأي لسان كان يتكلم فإنه ليس في العالم صمت أصلا فإن الصمت
عدم والكلام على الدوام إذ فائدة الكلام الإفهام بالمقاصد للسامعين والأحوال مفهومة وهي الكلام ولا يخلو موجود أن يكون على حال ما
فحاله هو عين كلامه لأنه المفهم الذي ينظر إليه ما هو عليه في وقته فلا لسان أفصح من لسان الأحوال وقرائن الأحوال تفيد العلوم التي تجيء
بطريق العبارات والعبارات من جملة الأحوال عندنا فانطلق في الاصطلاح اسم الكلام على العبارات والعبارات باللفظ عندهم الوجود كله
كلمات الله لا تنفذ أبدا فافهم ما ينبغي للعبد أن يعرف من ذلك إذا سمع كلاما أو تكلم هو أن يفرق ما بين ما هو العبد فيه نائب عن الله وما هو
الله فيه مترجم عن العبد ويميز ذلك بالصفة فإن الصفة تطلب موصوفها فإنه لا يقبلها إلا من هي له فإذا تضمنت الكلام صفة لا تنبغي إلا للعبد
فالعبد صاحبها وإن وصف الحق بها نفسه وإذا تضمنت الكلام صفة لا تنبغي إلا لله فالله صاحبها وإن وصف العبد بها نفسه فهكذا تعتبر
الكلام كله ممن وقع سواء كان بالعبارات أو بالأحوال فهذا معنى قوله إن في ذلك لعبرة لمن يخشى وهو العالم وقوله في ذا إشارة إلى ما تقدم في
القصة والذي تقدم في القصة قوله أنا ربكم الأعلى وأخذ الله له نكال الآخرة والأولى أي هذه الدعوى أوجبت هذا الأخذ وإن الصفة
طلبت موصوفها وهو الله وبقي فرعون عربا عنها فلم يكن له من يحميه عن الأخذ يقول الله عن نفسه جعت فلم تطعمني نيابة عن عبد جاع
فلم تطعمه فطلبت الصفة موصوفها وهو العبد فهكذا فهم العارفون الحقائق

(فصول بل وصول في أفعال الصلاة)

(فصل بل وصل في رفع الأيدي في الصلاة)

اختلف العلماء في رفع الأيدي في الصلاة أعني في حكمها وفي المواضع التي يرفعها فيها وفي حد الرفع فيها إلى أين ينتهي بها فأما الحكم فمن قائل
إن رفع اليدين سنة في الصلاة ومن قائل إنه فرض وهؤلاء انقسموا أقساما فمنهم من أوجب ذلك في تكبيرة الإحرام فقط ومنهم من أوجب
ذلك في الاستفتاح وعند الانحطاط إلى الركوع وعند الرفع من الركوع ومنهم من أوجب ذلك في هذين الموضعين وعند السجود وأما
المواضع التي ترفع فيها الأيدي في الصلاة فمن قائل عند تكبيرة الإحرام فقط ومن قائل عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من
الركوع ومن قائل يرفعها عند السجود وعند الرفع من السجود وهو حديث وائل بن حجر ومن قائل إذا قام من الركعتين وهو رواية مالك بن
الحويرث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما أنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا مبشرة فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند
تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع وأما الحد الذي ترفع إليه اليدين فمن قائل إلى المنكبين ومن قائل إلى الأذنين ومن قائل إلى
الصدر ولكل قائل حديث مروي أثبتها إلى المنكبين وحديث الأذنين أثبت من حديث الصدر والذي أذهب إليه في هذه المسألة أن

الأحاديث المروية في ذلك إنما هي في حكاية فعله صلى الله عليه وسلم ما روى أنه أمر بذلك وقد قال صلوا كما رأيتموني أصلي ومعلوم أن الصلاة تحوي على فرائض وسنن فلا يفهم من هذا الحديث أن أفعال الصلاة فرض جميعها لمعارضة الإجماع لهذا المفهوم فلنصلها ونرفع أيدينا في علم الشارع من غير تعيين فرض أو سنة كما أحرم علي بن أبي طالب بإحرام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يعلم بما أحرم وأقره على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنكر عليه فنرفع أيدينا في الصلاة على حكم الشرع فيها فنقبلها على ذلك الحكم وأما الحد فمذهبي فيه أنه بفعله يقتضي التخيير فإن الأحاديث وردت بمحدود مختلفة فعليه فآية حالة فعل المصلي أجزأته فرضاً كان أو سنة والأولى الرفع إلى الأذنين ولكن ينبغي أن يكون رفعهما على الصدر إلى حد والمنكبين إلى الأذنين فيجمع بين الثلاثة الأحوال وكذلك المواضع تعهما كلها عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع وعند السجود وعند الرفع من السجود وعند القيام من الركعتين فإن ذلك لا يضره فإنه قد ورد وما ورد أن ذلك يبطل الصلاة فما ورد ما يعارض ذلك وغاية المفهوم من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب أنه كان عليه السلام يرفع يديه عند الإحرام مرة واحدة لا يزيد عليها أي أنه رفع مرة واحدة لم يصنع ذلك مرتين عند الإحرام ويحتمل أن يريدوا بقولهما لا يزيد عليها أي لا يرفعها مرة أخرى في باقي الصلاة فما هونص وقد ثبتت الزيادة برفعه عند الركوع وعند الرفع منه وغير ذلك والزيادة من العدل الثقة مقبولة فالأولى رفعهما في جميع المواضع التي جاءت الرواية بالرفع فيها وأما اعتبار العارف في ذلك فإن رفع الأيدي يؤذن بأن الذي حصل فيها قد سقط عند رفعها فكان الحق يقول له معلماً إذا وقفت بين يدي فقرف فقيراً محتاجاً لا تملك شيئاً وكل شيء ملكك إياه فارم به وقف صفر اليدين واجعله خلف ظهرك فإنني في قبلك ولهذا يستقبل بكفيه قبلته قائمة ليعلم أنه صفر اليدين مما كان فيها ثم إنه إذا حطهما رجعت بطون الأكتف تنظر إلى خلف وهو موضع ما رمته من يدها ثم إن الله يعطيه في كل حال من الأحوال أحوال الصلاة ما يقتضيه جزاء ذلك الفعل فإذا ملكه تركه وأعلم الحق برفعه يديه أنه قد تركه في الموضع الذي ينبغي له أن يتركه وقد توجه طالباً فقيراً صفر اليدين إلى الوهب الإلهي فيعطيه أيضاً فيرفع يديه وهي خالية هكذا في جميع المواضع التي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع فيها يديه وقد يرفعها من باب الحول والقوة إذ كانت محل القدرة الأيدي فيرفع يديه إلى الله معترفاً أن الاقتدار لك لالي وأن يدي خالية من الاقتدار فمن رفعها إلى الصدر اعتبر كون الحق في قبلته ومن رفعها إلى الأذنين اعتبر كون الحق فوقه من قوله وهو القاهر فوق عباده في كل خفض ورفع يفعل ذلك يقول بذلك الرفع من يديه أن لا حول لي ولا قوة في كل خفض ورفع وأن القوة لك لا إله إلا أنت انتهى الجزء التاسع والثلاثون

(فصل بل وصل في الركوع وفي الاعتدال من الركوع)

اختلف العلماء في الركوع وفي الاعتدال من الركوع فمن قائل إنه غير واجب ومن قائل بوجوبه (الاعتبار) في ذلك الخضوع واجب في كل حال إلى الله تعالى باطنا وظاهراً فإذا انفق أن يقوم العبد في موطن يكون الأولى فيه ظهور عزة الأيمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته فيظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع ففي ذلك الموطن لا يكون الخضوع واجبا بل ربما الأولى إظهار صفة ما

يقتضيه ذلك الموطن قال تعالى فيما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ هذا موطن يجب أن تكون المعاملة فيه كما ذكر وقال في الموطن الآخر يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ فهو من باب إظهار عزة الايمان بعز المؤمن وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة وقد تراءى الجمعان من يأخذ هذا السيف بحقه فأخذه أبو دجاجة فمشى به بين الصفيين خيلاء مظهر الإعجاب والتبخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن فإذا علمت إن للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها تكن حكيما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي علمه فروض الصلاة اركع حتى تطمئن راکعا و ارفع حتى تطمئن واقفا فالواجب اعتقاد كونه فرضا

(فصل بل وصل في هيئة الجلوس)

فمن قائل يفضي بأليته إلى الأرض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى والرجل والمرأة في ذلك على السواء وقال آخرون ينصب الرجل اليمنى ويقعد على اليسرى و فرق آخرون بين الجلسة الوسطى والآخره فقال في الوسطى ينصب اليمنى ويقعد على اليسرى وقال في الجلسة الآخره يفضي بأليته إلى الأرض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى وكل قائل له مستند إلى حديث فما فعل من ذلك أجزاءه (الاعتبار في ذلك) الجلوس في الصلاة جلوس العبد بين يدي السيد وليس له أن يجلس إلا أن يأمره سيده وقد أمر المصلي بالجلوس في الصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد فأحسن الحالات في الجلوس في الصلاة هو الجلوس الذي يكون فيه أقرب إلى الوقوف بين يدي سيده هذا إذا كان حال العارف حال ما ينبغي أن يكون عليه العبد من حيث ما هو عبد وإن كان العارف في محل النظر في أصل معرفته بنفسه ليعرف ربه فالأولى في جلوسه أن يفضي بأليته إلى الأرض في آخر جلوسه ولا بد فإنه أقرب إلى النظر في ذاته بخلاف الجلسة الوسطى فإن جلوسه فيها عارض عرض له من الحق أجلسه أي رده في النظر إلى نفسه لمعرفة يريد تحصيلها فيكون كالمستوفز لأنه مدعو إلى الوقوف وهي الركعة الثالثة والطمأنينة في الركوع والسجود وأحوال الانتقالات كلها في أحوال الصلاة المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلى له فيها لأنه إذا أسرع بأدنى ما ينطلق عليه اسم راعع يفوته علم كبير لا يناله إلا من ثبت فلهذا أمر بالطمأنينة في هذه المواطن فإن العجلة من الشيطان إلا في خمس وهي مذكورة في بابها فالمسارعة إلى الخيرات مشروع بعد الثبات والاطمئنان في الخير الذي أنت فيه فلا مناقضة بين الطمأنينة والمسارعة

(فصل بل وصل في الجلسة الوسطى والآخره)

اختلف العلماء في الجلسة الوسطى والآخره فقال في الوسطى إنها سنة وليست بفرض وشد قوم فقالوا إنها فرض والأصل الذي أعتد عليه في أفعال الصلاة كلها أن لا تحمل أفعاله صلى الله عليه وسلم على الوجوب حتى يدل الدليل على ذلك وأما الجلسة الآخره فبمعكس الوسطى والأكثرين إنها فرض وشد قوم فقالوا إنها ليست بفرض ومن قائل إن الجلستين سنة وهو أضعف الأقوال وبقي الجلوس في وتر من

الصلاة يذكر بعد هذا إن شاء الله في فصله (الاعتبار في ذلك) أما الجلسة الوسطى فإنها كما قلنا عارض عرض لأجل القيام بعدها إلى الركعة الثالثة والعارض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا سجد من سها عنه و فرق بينه وبين الركن إذا فإنه ولم يقترن بالجلسة الوسطى أمر فيحمل على الوجوب وإنما هو أمر عارض عرض للمصلي في مناجاته من التجليات البرزخيات دعاه أن يسلم عليه لما شرع فيه من التحيات فلما رأى أن ذلك المقام يدعو إلى التحية تعين عليه إن يجلس له كما يفرض عليه في الجلسة الآخرة التي هي فرض والحكمة في ذلك المشهودة إن أصل الصلاة يقتضي الشفعية للقسم المذكورة فيها بين الله وبين العبد فأقلها ركعتان إلا الوتر فإن له خصوص وصف أذكره في الوتر إذا جاء إن شاء الله ولما ثبت عين الشفع بوجود الركعتين فتميز الرب من العبد فقد حصل المقصود فلا بد من الجلوس كما يكون في صلاة الصبح وفي الصلاة الليلية مثنى مثنى وفي صلاة السفر وقول الراوي في أول فرض الصلاة إنها فرضت ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر وأقرت في السفر على الأصل فلما عرض لهذا الشفع في الصلاة الثلاثية والرابعة إن الشيعيين إذا تألفوا صح على كل واحد منهما اسم الشيعيين ومن الناس من قال كانا شيئاً واحداً وقد تألف بوجود الركعتين الأولين نسبة شيعية الصلاة للعبد ونفي نسبة شيعية الصلاة للرب فإنه قال عن نفسه إنه يصلي علينا فكانت الركعتان في الرابعة لهذا ولما أراد أن يفصل بين الشيعيين الأولين والأخرين لتمييزا فصل بينهما بالجلسة وهذا هو العارض الذي عرض له حتى جلس فإن فاته سجد له ولم يأت به كما يأتي بالركن إذا فاته وأما وقوع الجلوس بعد الثنتين في المغرب فلأمر آخر خلاف هذا وما هي بجلسة وسطى لأنه ليس بعدها ركعتان فهي في الثلاثين وفي الرابعة في النصف وذلك أن ابنه بأن الشيعيين إذا تألفوا كانا شيئاً واحداً فذلك الواحد هو عين الركعة الثالثة من المغرب يشير بأن هاتين الركعتين المقسمتين بين عبد و رب هي في المعنى واحدة لأن المعنى الواحد يتضمن الثاني من جميع وجوهه وليس الآخر كذلك لأن الآخر يتضمن من وجهه ولا يتضمنه من وجهه فمن الوجه الذي يتضمنه ظهرت للرباعية ركعتان بعد الجلسة الوسطى الركعة الواحدة للواحد لتضمنه معنى الآخر والأخرى للآخر لتضمنه معنى الأول ويبقى الوجه الواحد الذي لأخ له بمنزلة الوتر الذي زادنا الله إلى صلاتنا وهو ركعة واحدة لا ثاني لها وهو الوجه الذي ينفرد به الحق عنا من حيث ذاته و صورة ذلك في المعارف أن العبد يطلب الواجب الوجود لنفسه لأنه ممكن فلا بد له من مرجح فالعبد يتضمن الرب بوجوده بلا شك فركعة المغرب أكتفى بها لأنها تتضمن الثانية ووجود الواجب لنفسه له وجه لتضمن الممكن وهو وجه كونه إلهاً قادراً مريداً فقد تكون ركعة المغرب إلهية من هذا الوجه وله سبحانه وجه أيضاً إلى نفسه لا يتضمن وجود الممكن جملة واحدة وهو الغني الذي له على الإطلاق فهو بالنظر إليه سبحانه لا يلزم من النظر فيه من حكم ذاته وجود العالم ولا بد إلا أن ننظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن فتظهر النسب عند ذلك وكونه قادراً فيطلب المقدور ومريداً فيطلب المراد فالوتر المفروض المراد له هو الوجه الذي للحق من حيث ما لا يطلب الأكوان ولا تطلبه الأكوان إذا لم ننظر في ذاتها قال الله عز وجل فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَالْعَالَمُونَ هُنَا هُوَ الدَّلَالَاتُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الدَّلَالَاتِ عَلَيْهِ فَرَفَعَ إِنْ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَالَمِ نِسْبَةٌ وَوَجْهٌ يَرْبِطُهُ بِالْعَالَمِ مِنْ حَيْثُ ذَلِكَ الْوَجْهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَهُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ

أهل النظر وجه الدليل يقول الحق ما ثم دليل علي فيكون له وجه يربطني به فأكون مقيدا به وأنا الغني العزيز الذي لا تقيدني الوجوه ولا تدل على أدلة المحدثات فدليل الحق على الحق وجود الحق في عين وجود الممكن للممكن من حيث ما هو وجوده وجود عين الحق لا من حيث إنه موجود عن الحق أو مفقود إلى الحق فإن الممكن لا يفقده إلا الأمر ممكن يعني أنه يمكن أن يحصل له ويمكن أن لا يحصل والافتقار إلى الممكن من الممكن محال والافتقار إلى الواجب بنفسه من الممكن في غير ممكن محال فلا افتقار لممكن ولا لواجب أصلا فالواجب الوجود غني على الإطلاق والممكن ليس بفقير لممكن على الإطلاق ولا لغير ممكن فإن تحصيل ما ليس بممكن لممكن محال فالحق لا يحصل منه في العبد شيء ولا للعبد منه شيء فالظاهر من الممكنات وأعيانها وجود الحق والممكنات باقية على أصلها من الإمكان لا تبرح أبدا فمعنى الاستفادة هي دلالة الحق بوجوده عليها لا دلالتها عليه فإنها لا تدل عليه أبدا فالناظر في هذه المسألة يتوهم أن الكون دليل على الله لكونه ينظر في نفسه فيستدل وما علم إن كونه ينظر راجع إلى حكم كونه متصفا بالوجود فالوجود هو الناظر وهو الحق فلو لم تصف ذاته بالوجود فيما ذا كان ينظر فما نظر إلا الحق في الحق فانتج له الحق نفسه فقال عرفتم الله بالله وهو مذهب الجماعة إذا ضربت الواحد في الواحد كان الخارج واحدا فافهم

(فصل بل وصل في التكيف في الصلاة)

اختلف العلماء في وضع إحدى اليدين على الأخرى في الصلاة فكرها قوم في الفرض وأجازها في النفل ورأى قوم أنها من سنن الصلاة وهذا الفعل مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى في صفة صلاته أيضا أنه لم يفعل ذلك وقد ثبت أيضا أن الناس كانوا يؤمرون بذلك (اعتبار ذلك عند أهل الله) تختلف أحوال المصلي بين يدي ربه عز وجل في قيامه بحسب اختلاف ما ينجيه به فإن اقتضى ما ينجيه به التكيف تكيف وإن اقتضى السدل وهو إرسال اليدين أرسلهما كما أنه إذا اقتضت الآية الاستغفار استغفر وإذا اقتضت الدعاء سأل وإذا اقتضت تعظيم الجناح العالي عظم وإذا اقتضت السرور سر وإذا اقتضت الخشوع خشع فهو بحسب ما ينجيه به فلذلك ما ينبغي أن يقيد المصلي في مناجاته بصفة خاصة ولهذا قال بالتحخير في هذه المسألة من قال وكل هذه الهيئات جائزة وحسنة

(فصل بل وصل في الانتهاء من وتر صلاته)

ذهبت طائفة أن المصلي إذا كان في وتر من صلاته أن لا ينهض حتى يستوي قاعدا واختار آخرون أن لا يقعد وإن انتهض من سجوده نفسه (اعتبار أهل الله في ذلك) المصلي بحسب ما يدعو الحق إليه فإن دعاه وهو في حال سجوده إلى القعود قعد ثم ينهض وإن دعاه إلى النهوض نهض فهو بحسب ما يلقي إليه في نفسه وقد تقدم الكلام في الجلوس في الصلاة قبل هذا فلتجرب على ذلك الاعتبار وأما الجلوس بين السجدين فهو ليجمع في سجوده بين السجود عن قيام والسجود عن قعود فمن السجود عن الجلوس يقف منه على أسرار نزول الحق من العرش الذي استوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن إلى السماء الدنيا فيكون العبد في حال جلوسه بين السجدين ينجي الرحمن من حيث إنه استوى على

العرش وفي سجوده من جلوسه يناجي الحق بالاسم الرب من حيث نزوله إلى عبادته في الثلث الباقي من الليل فيتجلى له من هذه الأحوال ما يكون له به مزيد علوم مما تعطيه ما تتضمنه هذه الأحوال من الذكر والدعاء والهيئات كل على حسب شربه

(فصل بل وصل فيما يضع في الأرض إذا هوى إلى السجود)

اختلف الناس فيما يضع المصلي في الأرض إذا هوى إلى السجود هل يضع يديه قبل ركبته أم لا فذهب طائفة إلى وضع اليدين قبل الركبتين وذهب قوم إلى وضع الركبتين قبل اليدين (اعتبار أهل الله في ذلك) اليدين محل الاقتدار والركبتان محل الاعتماد فمن اعتمد على ربه مع الاقتدار الذي يجده من نفسه كالحلم مع القدرة قال بوضع الركبتين قبل اليدين ومن رأى أن اليدين محل العطاء والكرم ورأى قوله تعالى فَكَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَاكُمُ صَدَقَةَ قَدَمِ الْيَدَيْنِ عَلَى الْرُكْبَتَيْنِ ثُمَّ إِنْ أَعْطِيَ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِي حَالَتَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْطِيَ وَهُوَ صَاحِبُ شَيْءٍ يَخْشَى الْفَقْرَ وَيَأْمَلُ الْحَيَاةَ وَإِمَّا أَنْ يُعْطِيَ وَهُوَ مِنَ الثَّقَةِ بِاللَّهِ وَالاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ بِحَيْثُ أَنْ لَا يَخْطُرُ لَهُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ بِاللَّهِ لَعَلَّمَهُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِ فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَتُهُ قَدَمَ رُكْبَتَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ وَمَنْ كَانَتْ حَرَكَاتُهُ الشَّحَّ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ خَشْيَ الْفَقْرِ وَبَذَلَ الْمُجْهَدُ مِنْ نَفْسِهِ فِي الْعَطَاءِ قَدَمَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَالسَّاجِدُ أَيْ حَالَ قَدَمِ مِنْ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ فَإِنَّ الْأُخْرَى تَحْصُلُ لَهُ فِي سَجُودِهِ وَلَا يَدْفَعُ فَمَنْ اعْتَمَدَ وَتَوَكَّلَ حَصَلَ لَهُ صِفَةُ الْجُودِ وَالْإِيثَارِ وَجَمِيعَ مَرَاتِبِ الْكِرَامِ وَالْعَطَاءِ وَمَنْ أَعْطَى اللَّهُ عَنْ جِبْنٍ وَفَرَعَ أَمْرَهُ ذَلِكَ الْعَطَاءُ بِهَذِهِ الْحَالِ التَّوَكُّلِ وَالاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ وَالَّذِي رَجَحَ الشَّارِعُ تَقْدِيمَ الْيَدَيْنِ

(فصل بل وصل في السجود على سبعة أعظم)

اتفق العلماء رضي الله عنهم على أنه من سجد على الوجه واليدين والركبتين وأطراف القدمين فقد تم سجوده واختلفوا إذا سجد على وجهه ونقصه عضو من تلك الأعضاء هل تبطل صلاته أم لا فمن قائل تبطل ومن قائل لا تبطل ولم يختلفوا أن من سجد على جبهته وأنفه فقد سجد على وجهه واختلفوا فيمن سجد على جبهته دون أنفه أو على أنفه دون جبهته فمن قائل إن من سجد على جبهته دون أنفه جاز وإن سجد على أنفه دون جبهته لم يجز ومن قائل إنه يجوز أن يسجد على أنفه دون جبهته وعلى جبهته دون أنفه ومن قائل إنه لا يجوز إلا أن يسجد عليهما معا (والاعتبار في ذلك) السبع الصفات ترجع إليها جميع الأسماء الإلهية وتتضمنها وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر فلو نقص منها صفة أو نسبة على الاختلاف الذي بينا في كونها نسبا أو صفات فقد بطل الجميع أي لم يصح كون الحق لها وهذا اعتبار الذي لا يميز الصلاة إلا بالسجود على السبعة الأعضاء فإنها للحضرة الإلهية بمنزلة الأعضاء لهذا الساجد الذي يقول إن الوجه لا بد منه بالاتفاق كالحياة من هذه الصفات التي هي شرط في وجود ما بقي من الصفات السبع أو النسب على الاختلاف الذي بينا فمن عالم يقول إن السمع والبصر راجعان إلى العلم وإن العلم يعني عنهما وإنهما للعلم مرتبتان عينهما المسموع والمبصر فهما من العلم تعلق خاص قال بجواز الصلاة إذا نقص عضو ما هذه الأعضاء مع سجود الوجه كالحياة ولما كانت الحياة تقتضي الشرف والعزة لنفسها

على سائر الصفات والأسماء لكون هذه الصفات في وجودها مشروطة بوجود الحياة وكانت العزة والحياة مرتبطتين كالشيء الواحد مثل ارتباط الجبهة والأنف في كونهما عظما واحدا وإن كانت الصورة مختلفة فن قال إن المقصود الوجه وأدنى ما ينطلق عليه اسم الوجه يقع به الاجتزاء أجاز السجود على الأنف دون الجبهة وعلى الجبهة دون الأنف كالذي يرى أن الذات هي المطلوبة الجامعة ومن نظر إلى صورة الأنف وصورة الجبهة ونظر إلى الأولى باسم الوجه فغلب الجبهة وإن الأنف وإن كان مع الجبهة عظما واحدا لم يجز السجود على الأنف دون الجبهة لأنه ليس بعظم خالص بل هو للعضلية أقرب منه إلى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة المعتبرة في السجود كذلك الحياة هي المعتبرة في الصفات وإن العزة وإن كانت لها بالإحاطة فإن العلم له الإحاطة أيضا فاشتركا فلم ير للعزة أثرا في هذا الأمر ومن قال لا بد أن يكون وجه الحق منبع الحمى عزيزا لا يغالب قال بالسجود على الجبهة والأنف معا ولما كان الأنف في الحس محل التنفس والتنفس هو الحياة الحيوانية كانت نسبته إلى الحياة أقرب النسب وبوجود هذه السبعة ثم نظام العالم وكان مأوها مربوبا ولم يبق في الإمكان حقيقة إمكانية تطلب أمرا زائدا على هذه السبعة فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ليس في الوجود أكمل من الحق وكماله في الوهته بهذه الصفات المنسوبة إليه سبحانه فلوانعدمت صفة واحدة من هذه الصفة أو نسبة لم تصح المرتبة التي أوجدت العالم ولم يكن للعالم وجود وقد وجد فالمرتبة موجودة فالكمال حاصل والارتباط معقول ولو ارتفع السبب لارتفع المسبب ولو زال المسبب من العقل لم يجد السبب من يظهر فيه أثره فيزول كونه سببا وكونه سببا إنما هو لذاته فيعدم السبب لانعدام المسبب من كونه سببا لا غير لا من حيث العين المنسوب إليها السببية فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ من ذاته وكلامنا إنما هو من كونه لها فكلامنا في المرتبة لا في العين كما تتكلم في السلطان من كونه سلطانا لا من كونه إنسانا ولا فائدة في الكلام إلا في حقائق المراتب لأن بها يعقل التفاضل بين الأعيان يقول أبو طالب المكي رحمه الله إن الأفلاك تدور بأنفاس العالم وإذا أعطى الأمر ما في قوته بحيث لا يبقى عنده شيء يعطيه هلك من كونه معطيا والمعتبر في بقاء العالم إنما هو عين جوهره الذي أظهرت كونه صورة ما فالصور لا يلزم من انعدام شيء منها انعدام العالم من حيث جوهريته إلا أن لا تكون الصورة أصلا فيعدم العالم من حيث جوهره لانعدام جميع الصور يتعلق بهذا الباب مسائل من الإلهيات كثيرة

(فصل بل وصل في الإقعاء)

أريد أن أعطي أصلا في هذه المسألة يسرى في جميع مسائل الشرع فنقول إن الشارع إذا أتى بلفظ ما فإنه يحمل ذلك اللفظ على ما هو المفهوم منه بالمصطلح عليه في لغة العرب إلى أن يخص الشارع ذلك اللفظ بوصف خاص يخرج به ذلك الوصف عن مفهوم اللسان المصطلح عليه فإذا عين الشارع ما أراد به ذلك اللفظ صار ذلك الوصف بذلك اللفظ أصلا فتمى ورد اللفظ به من الشارع فإنه يحمل على المفهوم منه في الشرع حتى يدل دليل آخر من الشرع أو من قرائن الأحوال أنه يريد بذلك اللفظ المفهوم منه في اللغة أو أمرا آخر بعينه أيضا هذا مطرد في جميع ما يتلفظ به الشارع ومثاله لفظه الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وأمثال هذا ثم نرجع إلى ما نحن بسبيله فأقول إن الإقعاء المفهوم

منه في اللغة إقعاء الكلب والقرود وصفته أن يجلس الرجل على أليته يفضي بهما إلى الأرض في الصلاة ناصبا فخذيه فهذه صفة الإقعاء إقعاء الكلب والسبع ولا خلاف اذكر بين العلماء أن هذه الهيئة ليست من صفات الصلاة وقد ورد النهي عن الإقعاء في الصلاة فنحن نحمله على الإقعاء المعروف في اللسان فإن خصه الشرع بهيئة مخصوصة تخرجه عن المفهوم منه في اللسان منطوق بها وقفنا عندها ونعلم أن تلك الهيئة هي التي نهى عنها فقالت طائفة إن الإقعاء المنهي عنه هو أن يجعل أليته على عقبه بين السجدين وأن يجلس على صدور قدميه وروى عن ابن عمر أنه كان يفعل ذلك لأنه كان يشسكي قدميه والثابت عن ابن عمر أن قعود الرجل على صدور قدميه ليس من سنة الصلاة وكان ابن عباس يقول الإقعاء على القدمين في السجود على هذه الصفة هي سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم (الاعتبار في ذلك) هيئة الإقعاء هيئة المستوفز المحتفز وهكذا ينبغي أن يكون العبد مع الله في أحواله ولهذا قال ابن عباس الإقعاء سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فإن العبد ينبغي أن يكون على هيئة الاحتزاز من أجل ورود أوامر سيده عليه لا يغفل مراقبا لها حتى إذا وردت عليه وجدته مهتيا لقبول ما جاءه به فسارع إلى امتثالها وهذه الحالة أثنى على من هذه صفة بقوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فيهم قال ومنهم سابق بالخيرات وكل من يطلب المسارعة في الأمور يكون حاله اليقظة والحضور والانتباه والاستيفاز والاحتزاز فاعلم ذلك فيخرج النهي عن الإقعاء في الصلاة أن لا يفعل من حيث التشبه بالكلاب والسباع في ذلك ولا يفعل ذلك من حيث إنه مشروع على الهيئة المعقولة المنقولة في الموطن المنقولة إلينا فإنه من صفة الإقعاء اللغوي أن تكون يدها في الأرض كما يقعى الكلب وليس هذا في الهيئة المشروعة في الإقعاء فلماذا قد ذكرنا من أفعال الصلاة وأقوالها ما يجري مجرى الأصول لما يتفرع منها

(فصل بل وصل في ذكر الأحوال في الصلاة)

وبعد أن ذكرنا أكثر الأقوال والأفعال في الصلاة فلننتقل إلى الأحوال مثل صلاة الجماعة وحكمها وشروط الإمامة ومن أولى بالتقديم أحكام الإمام الخاصة به ومقام الإمام من المأموم وأحكامهم الخاصة بهم وما يتبع المأموم فيه الإمام مما ليس يتبعه فيه وصفة الاتباع وما يحمله الإمام عن المأموم والأشياء التي بها إذا فسدت صلاة الإمام تعدت إلى المأموم على حسب ما فصلته الأئمة من علماء الشريعة واختلاف العلماء في ذلك ونذكر اعتبارات ذلك كله عند العلماء بالله بحسب ما يقتضيه الطريق إلى الله في أعمال القلوب والأسرار فإن هذا الطريق عند أصحاب الذوق ما هو طريق نقل فلندكر أولا قبل ذكر هذه الأحوال حديثين مما يتعلق بأقوال الصلاة وأفعالها التي في الفصل قبل هذا فهما كالحاتمة له وإنما جعلتهما في فصل الأحوال لحاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحديث الواحد في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة للرجل الذي سأله أن يعلمه كيف يصلي والحديث الثاني في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما أما الحديث الأول فهو حديث البخاري عن أبي هريرة وذكر حديث الرجل الذي دخل المسجد وصلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فإنك لم تصل فقال الرجل علمني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وله في طريق أخرى ثم ارفع حتى تستوي قائماً يعني من السجدة الثانية وقال علي بن عبد العزيز عن رفاعه بن رافع في هذا الحديث إن الرجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأدري ما عبت علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله ويغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم يكبر الله ويمجده ويمجده ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر ثم يكبر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه ويقم صلبه ثم يكبر فيسجد ويمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعداً على مقعدته ويقم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك خروجه النسائي وهذا أبين وقال النسائي في طريق آخر عن رفاعه أيضاً فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منها شيئاً انتقص من صلاتك ولم تذهب كلها وقال في أوله إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد فأقم ثم كبر قال أبو عمر بن عبد البر هذا حديث ثابت الحديث الثاني وأما الحديث الثاني فهو الذي خرجه أبو داود في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو قتادة قال أبو حميد أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فلم فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعاً ولا أقدمنا له صحبة قال بلى قالوا فأعرض قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً ثم يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا ينصب رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه ويقول سمع الله لمن حمده ثم يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه معتدلاً ثم يقول الله أكبر ثم يهوى إلى الأرض فيحاذي يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجله إذا سجد ويسجد ثم يقول الله أكبر ثم يرفع ويثني رجله اليسرى ويقعد عليها حتى يرجع كل عضو إلى موضعه ثم يصنع في الأخرى مثل ذلك ثم إذا قام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك في بقية صلاته حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخر رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الأيسر قالوا صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه وقال في الرفع من الركوع اعتدل حتى يرجع كل عظم في موضعه معتدلاً وكذلك بين السجدين وزاد في آخره ثم سلم وقال هذا حديث حسن صحيح وهذا ابتداء فصول الأحوال إن شاء الله نذكرها فصلاً فصلاً

(فصول الأحوال)

(فصل بل وصل في ذكر ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة و اختلفوا في صلاة الجماعة هل هي واجبة على من سمع النداء أم ليست

بواجبة)

فمن قائل إنها سنة و من قائل إنها فرض على الكفاية و من قائل إنها فرض متعين على كل مكلف (الاعتبار في ذلك) لما شرع الله للمصلي أن يقول **إِيَّاكَ تَعْبُدُ** بنون الجمع دل على أنه مطلوب بكل جزء منه بالصلاة معا في حال واحد و لهذا سميت التكبيرة الأولى تكبيرة الإحرام أي يحرم على العبد في صلاته أن يتصرف بعضو من أعضائه فيما ليس من الصلاة و كل ما أبيض له من الفعل فيها فهو من الصلاة و لكن لا من صلاة كل مصل إلا المصل عرض له في صلاته من ذلك شيء ففعله و هي أمور منصوصة عليها و كل فعل يجوز أن يفعل في الصلاة فهو صلاة لأن الشارع عينها فلا تبطل الصلاة بفعل شيء منها فحضور جماعة العبد مع الله تعالى في الصلاة واجب بلا شك فعلى كل عضو من أعضائه في الصلاة صلاة و أقل ما ينطلق عليه اسم الجماعة اثنان يقول الله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين و وصف نفسه بأنه يصلي علينا و قد أدخل نفسه مع العبد في الصلاة و كل يصلي مع ربه بلا شك فهو في جماعة بلا شك و يكون الحق إماما و العبد مأموما لأنه هو الذي يقيمه و يقوده و يكون العبد إماما في المناجاة فإن الله جعل ابتداء القول إليه فما ثم مصل فذا فإن غاب عن الحضور مع الله في هذه الصلاة فقد انفرد في هذه العبادة بنفسه دون ربه و هذا هو الفذ في الاعتبار و هو على هذا و إن كان في جماعة من عالمه فهو في حكم الفذ و الفذ الآخر أن يفرد الصلاة للرب لغلبة مشاهدته إياه و فنائه عن نفسه فلا يشهد نفسه مصليا مع شهود وقوع الصلاة منه بره فهذا أيضا يلحق بصلاة الفذ فإذا كوشف العبد على كل جزء منه في صلاته أنه مسبح بحمد ربه في صلاته و كل جزء فإن عن نفسه بشهوده فهو من حيث ما هو مجموع في جماعة فله أجر الجماعة و له أجر الفذ بكل جزء منه بالغما ما بلغت أجزاؤه فإن شئت قلت إنه صلى فذا و إن شئت قلت إنه صلى في جماعة و الحق الإمام ثم إن من العارفين من يقيمه الحق في مقام الإمامة و يكون الحق مأموما و ذلك مثل قوله صلى الله عليه و سلم إن الله لا يمل حتى تملاوا فهو يجري معك ما دمت تجري معه و هو قوله تعالى من هذا الباب **فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ** و قوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاءخير منهم فهذا معنى الإمام و المأموم فهو سبحانه قدمك في هذا الموضوع و أمثاله و مثل **أَجِيبْ دُعَاةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا** و مثل إمامته بك **فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي** في دعائه إياهم ثم يدعونه اقتداء بدعائه فيجيبهم بإجابتهم إياه فانظر ما أكرم هذا الرب مع الغني المطلق الذي وصف به نفسه كيف ربط نفسه بعبده في جميع ما أمره به من العبادة ذلك هو الفضل المبين

(فصل بل وصل فيمن صلى وحده ثم أدرك الجماعة أو صلى في جماعة ثم إنه أدرك جماعة أخرى)

اعلم أنه من صلى ثم أتى المسجد فلا يجلو من أحد وجهين إما أن صلى منفردا أو في جماعة فإن كان صلى منفردا يعيد معهم كل الصلوات إلا المغرب فقط و قالت طائفة يعيد إلا المغرب و العصر و قالت طائفة إلا المغرب و الصبح و من قائل إلا الصبح و العصر و قالت طائفة يعيد الصلوات كلها و أما إذا صلى في جماعة فهل يعيد في جماعة أخرى فمن قائل لا يعيد و من قائل لا يعيد و أما مذهبتنا في مثل هذه المسألة أن

الجماعة فرض إذا قدر عليها فإن لم يقدر عليها فيصلي منفردا فإن أدرك الجماعة ولو كان صلى في جماعة فإنه يصلي مع الجماعة إذا أدركها
إجابة لندائه في الإقامة حي على الصلاة وهي له نافلة في الحالتين وله أجر الجماعة إذا لم يقدر عليها

(وصل في اعتبار ذلك في النفس)

لما عين الشارع المناجاة للصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه وجعلت قرعة عيني في الصلاة أعلما بأنه من أهل
مشاهدة الحق فيها على وجه أتم من مشاهدة الاتباع في قوله في الإحسان أن تعبد الله كأنه تراه وما خص عبادة من عبادة والله يقول إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَهُمْ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَرْضِيهِ وَلَا حَالَ أَشْرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ لَجْمَعِهَا بَيْنَ الشُّهُودِ وَالْمُنَاجَاةِ وَقَالَ وَ
يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ وَالطَّهَارَةَ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ وَالْحُبَّ يَتَمَنَّى وَيَشْتَهِي أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي مَشَاهِدَةٍ مَحْبُوبَةٍ عَلَى الدَّوَامِ وَمُنَاجَاةٍ فَكَيْفَ إِذَا دَعَا
الحبيب إلى ذلك بقوله حي على الصلاة قد قامت الصلاة فبالضرورة يبادر ويسابق إلى ما دعاه ليلتذ بشهوده ومناجاةه فيرى من هذا حاله
إعادة الصلوات في الجماعة متى أقيمت ودعي إليها وإن كان قد صلى منفردا أو في جماعة وقد بينا معنى الفذ والجماعة في الفصل الذي
قبل هذا وأما من ذهب إلى أنه لا يعيد الصلاة فهم العارفون كما إن الذين يرون الإعادة هم المحبون وذلك أن العارفين علموا إن الإعادة محال و
أن التجلي الذي كان له في صلاته غير التجلي الذي يكون له في الصلاة الأخرى إلى ما لا يتناهى فلما استحال عنده التكرار والإعادة للتوسع
الإلهي لم تصح عنده الإعادة فالحب يصلي معيدا وهو لا يعلم والعارف يصلي لا على جهة الإعادة وهو يعرف فالعلم أشرف المقامات و
الحب أشرف الأحوال والجامع بين المقامين المحبة والمعرفة يقول بالإعادة للتجلي وبدعم الإعادة للمتجلي له فله الأولوية في كل صلاة فرضا
كانت أو نفلا وأما من لا يرى إعادة المغرب فإن المغرب وترية العبد والوتر الليلي وترية الحق فإن وتر الليل ركعة واحدة والأحدية له تعالى و
جل وترية المغرب ثلاث ركعات فجمع بين الشفع والوتر وهو أول الأفراد وإن الله وتر يحب الوتر فلا يرى العبد ربه من حيث شفيعته وإنما
يراه من حيث وترية الفردية والله وترية الفردية في كونه لها وترية الأحدية من كونه ذاتا وإذا رأى العبد ربه من حيث وترية الإلهية الفردية من
تلك الوترية الإلهية الفردية يرى وترية الذات الأحدية لا من جهة وترية العبد الفردية فلم ير الله إلا بالله فلو أعاد المغرب لصارت وترية العبد
شفعا فلم يكن يرى ربه وترا أبدا فقال بترك الإعادة للمغرب دون غيرها من الصلوات ومن قال بإعادة المغرب قال يعيدها بوترية الفردانية
الإلهية لا بوترية فتبقى وترية على فرديتها لا تصير شفعا بإعادة صلاة المغرب فإن الحق متميز عن الخلق بلا شك من كل وجه وأما من لم ير
إعادة الصبح فإن الصبح الأول عين الفرض وكذلك العصر والصبح الثاني والعصر الثاني هما نافلة والإنسان في أداء الفرض عبد محض
عبودية اضطرار وهو في النقل عبد اختيار وعبودية الاضطرار أشرف في حقه من عبودية الاختيار لأن له في عبودية الاختيار الامتنان
بالاسترقاق قال تعالى يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ولما شبه الحق
رؤية العباد إياه برويتهم الشمس صار للشمس عندهم مزيد رتبة ولا سيما للمحبين لكون الحبيب ضرب برويتها المثل في رؤيته في التشبيه

فهم إذا رآوها كأنهم يرون الله لأن رؤيتهم إياها تذكرهم ما وعدهم الله به من رؤيته فيريدون أن لا تطلع الشمس عليهم إلا وهم موصوفون بعبودية الاضطراب ولا تغرب عليهم الشمس إلا وهم أيضا في عبودية الاضطراب كما يريدون رؤية الله في حال الاضطراب والعبودية المحضة فإن لذتها أتم وأحلى كما إن رؤيتها أعم وأجلبي وتكون الشمس في غروبها وطلوعها تقول لربها تركناهم عبيد اضطراب وأتيناهم وهم عبيد اضطراب كما تقول الملائكة الذين يعرجون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيسألهم الحق جل جلاله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون فلا تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا معهم ولا تأتيهم الملائكة الأخر إلا عند شروعاتهم في الصلاة سواء قاموا إليها في أول الوقت أو في آخره كل إنسان لا تنصرف عنه ملائكة إلا كما قلنا ولهذا عند أهل الإيمان وأهل الكشف إن المصلي إذا أراد أن يكبر تكبيرة الإحرام في صلاة الصبح والعصر يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته لأنهم في ذلك الوقت تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا فيهم وترد عليهم الملائكة الذين يأتون إليهم وهم عند إتيانهم يسلمون على العبد وعند انصرافهم يسلمون أيضا والله قد أمرنا بقوله وَإِذَا حُيِّمُ بِحَيْثُ فَحْيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوا فوجب على كل مؤمن عند حق إيمانه وحقيقته أن يرد في ذلك الوقت السلام عليهم وإلا فهو طعن في إيمانه إن حضر مع هذا الخبر ونذكره في ذلك الوقت وأما صاحب الكشف فهو على علم عين والمؤمن على بصيرة ومن استثنى العصر دون الصبح رأى أنه لا يستقبل الغيب إلا بعبودية الاضطراب لأن الغيب الأصل وهو هوية الحق ولا يفارق الغيب الهوية قال والصبح خروج من الغيب إلى الشهادة فلا أبالي بالشهادة على أية حالة كنت من العبودية من اضطراب واختيار لأن الفرض الوقوف في العبودية وأن الشهادة محل الدعوى لأنه محل الحركة والمعاش ورؤية الأغيار وحجابيات الأفعال ومن استثنى الصبح دون العصر قال أريد أن استقبل الاسم الظاهر بعبودية الاضطراب ولا أبالي باستقبال الليل بأي عبودية استقبلته بعبودية الاضطراب ولا بعبودية الاختيار ولهذا تنقل بعد العصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تنقل بعد الصبح فقط وذلك أن هذا الذي مذهبه التنقل بعد العصر إن شاء يقول الليل له الغيب وله الاسم الباطن وله من القوة بحيث إنه يجعلني مضطرا شئت أم أبيت وليس النهار كذلك فإن استقبلته بعبودية الاختيار فهو يحكم على سلطانه ويردني مضطرا فكل طائفة راعت أمرا ما في الاعتبار في الصلوات التي لا ترى إعادتها إذا صلتها وقد تقدم معرفة المنفرد والجماعة

(فصل بل وصل فيمن أولى بالإمامة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب فقال طائفة أفقههم لا أقرؤهم فهذه مسألة خلاف بين أصحاب هذا القول وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني سألت القائلين بهذا المذهب هل بلغكم هذا الحديث فاعترفوا فقالوا رويناه وعلمناه وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول ولا حجة للقائلين بخلاف ما قاله ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذا الحديث فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ففرق بين الفقيه والقارئ وأعطى الإمامة للقارئ ما لم يتساويا في القراءة فإن تساويا لم يكن أحدهما أولى

بالإمامة من الآخر فوجب تقديم العالم الأعم بالسننة وهو الأفقه ثم قال عليه السلام فإن كانوا في العلم بالسننة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاما ولا يؤم الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه وهو حديث متفق على صحته وبه قال أبو حنيفة وهو الصحيح الذي يعول عليه وأما تأويل المخالف للنص بأن الأقران في ذلك الزمان الأفقه فقد رد هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بالسننة واعلم أن كلام الله لا ينبغي أن يقدم عليه شيء أصلا بوجه من الوجوه فإن الخاص إن تقدمه من هو دونه فليس بخاص وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته وهم الذين يقرءون حروفه من عجم وعرب وقد صحت لهم الأهلية الإلهية والخصوصية فإذا انضاف إلى ذلك المعرفة بمعانيه فهو فضل في الأهلية والخصوصية لا من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه فإن انضاف إلى ذلك إلى حفظه والعلم بمعانيه العمل به فنور على نور على نور فالفاروق مالك البستان والعالم كالعارف بأنواع فواكه البستان وتطعيمه ومنافع فواكهه والعامل كالأكل من البستان فمن حفظ القرآن وعلمه وعمل به كان كصاحب البستان علم ما في بستانه وما يصلحه وما يفسده وأكل منه ومثل العالم العامل الذي لا يحفظ القرآن كمثل العالم بأنواع الفواكه وتطعيماتها وغراستها والأكل الفاكهة من بستان غيره ومثل العامل كمثل الأكل من بستان غيره فصاحب البستان أفضل الجماعة الذين لا بستان لهم فإن الباقي يفتقرون إليه (وصل) في اعتبار ذلك الأحق بالإمامة من كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه وسائر قواه فإن كانوا في هذه الحالة سواء فأعلمهم بما تستحقه الربوبية فإن كانوا في العلم بذلك سواء فاعرفهم بالعبودية ولوازمها وليس وراء معرفة العبودية حال يرتضى يقوم مقامه أو يكون فوقه لأنهم لذلك خلقوا قال تعالى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ والإمامة على الحقيقة إنما هي لله الحق تعالى جل جلاله وأصحاب هذه الأحوال إنما هم نوابه وخلفاؤه ولهذا وصفهم بصفاته بل جعل عينه عين صفاتهم فهو الإمام لا هم قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ وَقَالَ تَعَالَى مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَقَالَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ أَيُّ أَصْحَابِ الْأَمْرِ وَأَصْحَابِ الْأَمْرِ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَقِفُ لِأَمْرِهِمْ شَيْءٌ لَأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يَأْمُرُونَ كَمَا بِهِ يَسْمَعُونَ كَمَا بِهِ يَبْصُرُونَ فَإِذَا قَالُوا الشَّيْءَ كُنْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَأَنَّهُمْ بِهِ يَتَكَلَّمُونَ فَهَذَا مَعْنَى وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فِي الْأَعْتَابِ وَهَذَا كَانَتْ طَاعَةَ السُّلْطَانِ وَاجِبَةً فَإِنَّ السُّلْطَانَ بِمَنْزِلَةِ أَمْرِ اللَّهِ الْمَشْرُوعِ مِنْ أَطَاعِهِ نَجَا وَمَنْ عَصَاهُ هَلَكَ

(فصل بل وصل في إمامة الصبي غير البالغ)

إذا كان قارئا اختلفوا في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارئا فأجاز ذلك قوم مطلقا ومنع من ذلك قوم مطلقا وأجازوه قوم في النفل دون الفريضة اعتبار الأمر في ذلك يقال صبا فلان إلى كذا إذا مال إليه لما كان الصبي يميل إلى حكم الطبيعة ونيل أغراضه سمي صبيا أي ماثلا إلى شهواته وهو غير البالغ حد العقل الذي يوجب التكليف وكانت الطبيعة في الرتبة دون العقل فلم يصح لها التقدم ولأن مال إليها وإن كان ماثلا إليها بحق فإن لها مقام التأخر فلا بد أن يتأخر والمتأخر لا يكون إماما مقدما فإنه تقيض حكم ما هو فيه فمن راعى هذا الاعتبار لم يجز إمامة الصبي وإن كان قارئا ومن راعى كونه حاملا للقرآن جعل الإمامة للقرآن للصبي وكانت إمامة الصبي في حكم التبعية لأجل القرآن

فأجاز إمامة الصبي قال تعالى وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا يعني حكم الإمامة وقالوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِيَّيَ عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَهُوَ مَقَامُ الْإِمَامَةِ مَعَ تَسْمِيَتِهِ صَبِيًّا وَمَنْ جَعَلَ عِبُودِيَةَ الصَّبِيِّ عِبُودِيَةً اخْتِيَارًا لِسُقُوطِ التَّكْلِيفِ عَنْهُ وَرَأَى أَنْ النَّافِلَةَ عِبَادَةً اخْتِيَارًا أَجَازَ صَلَاةَ الصَّبِيِّ إِمَامًا فِي النَّفْلِ دُونَ الْفَرْضِ لِلْمُنَاسَبَةِ فِي الْاِخْتِيَارِ

(فصل بل وصل في إمامة الفاسق)

فردها قوم بإطلاق وأجازها قوم بإطلاق و فرق قوم بين الفاسق المقطوع بفسقه وبين المظنون فسقه فلم يجزوا الإمامة للمقطوع بفسقه وأن المصلي وراءه يعيدوا واستحبوا الإعادة لمن صلى خلف المظنون فسقه في الوقت و فرقا أيضا بين من يكون فسقه بتأويل وبين من يكون بغير تأويل فأجازوا الصلاة خلف المتأول ولم يجزوها لغير المتأول وبالإجازة على الإطلاق أقول فإن المؤمن ليس بفاسق أصلا إذ لا يقاوم الايمان شيء مع وجوده في محل العاصي (الاعتبار في ذلك) الفاسق من خرج عن أصله الحقيقي وهو كونه عبدا لأنه لهذا خلق فإنه لا بد أن يكون عبدا لله أو عبدا لهواه فما برح من الرق فلم يبق خروجه إلا عن الإضافة التي أمر أن ينضاف إليها فتجاوز إمامته لأن الموفق من عباد الله يأتم بهذا الفاسق فإنه يراه قائما بعبوديته في حق هواه الذي فيه شقاؤه فيتعلم منه استيفاء حق العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبدا له فيقول أنا أولى بهذه الصفة في حق الله من هذا العبد في حق هواه فلما رأينا أولياء الله يأتمون به وينفعهم ذلك عند الله ويكون هذا الاقتداء سببا في نجاتهم صحت إمامته وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكان من الفساق بلا خلاف والمتأولين بخلاف فكل من آمن بالله وقال بتوحيد الله في ألوهته فالله أجل أن يسمى هذا فاسقا حقيقة مطلقا وإن سمي لغة لخروجه عن أمر معين وإن قل والمعاصي لا تؤثر في الإمامة ما دام لا يسمى كافرا وأما الفسق المظنون فبعيد من المؤمن إساءة الظن بحيث أن يعتقد فسوق زيد بالظن لا يقع في ذلك مؤمن مرضي الايمان عند الله وهذا كله في الأحوال الظاهرة وأما الباطنة فذلك إلى الله أو من أعلمه الله ثم يرتقي العارف بالنظر في الفسوق مما يذمه الشرع إلى ما تعطيه اللغة ولكن في الاعتبار لا في الحكم الظاهر وهو إذا خرج الإنسان عن إنسانيته بخروجه عن حكم طبيعته عليه إلى عالم تقديسه من الأرواح العلافل تصح له إمامة هنالك أم لا فمن أصحابنا من قال تصح إمامته بالعالم الأعلى على الإطلاق وهو مذهبنا ومن أصحابنا من قال لا يؤم إذا خرج عن حكم طبيعته إلا بالأرواح المفارقة للأجسام الطبيعية من الجن والإنس وسبب اختلافهم أن كل صاحب كشف أخبر عما رأى في كشفه في ذلك الوقت والمكاشف قد يطلع وقتا على الأمر من جميع جهاته وقد يطلع على بعض وجوهه ويستتر الله عنه ما شاء من وجوه ذلك الأمر فيحكم المكاشف على الكل فيكون صحيح الكشف مخطنا في تعميم الحكم ثم يرى أنه من حيث روحه من جملة الأرواح الملكية فيقول وإن خرجت عن طبيعتي فلم أخرج عن ملكيتي لما في من عالم الأمر فيطلب النفوذ والخروج أيضا عن روحه كما خرج عن طبيعته فيخرج بسر الراباني فتقوم له الأسماء الإلهية فيؤم بها نحو خالقه وهو يقدمها فكل اسم له حقيقة وهذا العبد مجموع تلك الحقائق كلها فتصح له الإمامة في ذلك الموطن مع خروجه عن طبيعته وروحه وما من موطن يخرج عنه إلا ويلحقه فيه ذم من طائفة لأن تلك

الطائفة ترى في هذا العبد أنه متعبد بمجموعه وهو الصحيح فتسميه فاسقا ولكن يعذر فإن السلوك يعطي التحليل حتى ينتهي فإذا انتهى يتركب طورا بعد طور كما يتحلل حتى يكمل فيزول عنه اسم الفسوق في كل عالم فهذا اعتبار إمامة الفاسق

(فصل بل وصل في إمامة المرأة)

فمن الناس من أجاز إمامة المرأة على الإطلاق بالرجال والنساء وبه أقول ومنهم من منع إمامتها على الإطلاق ومنهم من أجاز إمامتها بالنساء دون الرجال (الاعتبار في ذلك) شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض النساء بالكمال كما شهد لبعض الرجال وإن كانوا أكثر من النساء في الكمال وهو النبوة والنبوة إمامة فصحت إمامة المرأة والأصل إجازة إمامتها فمن ادعى منع ذلك من غير دليل فلا يسمع له ولا نص للمانع في ذلك وحبته في منع ذلك يدخل معه فيها ويشرك فتسقط الحججة فيبقى الأصل بإجازة إمامتها اعلم أن الإنسان عالم في نفسه كبير من جهة المعنى وإن كان صغير الحجم ولهذا يقول إِيَّاكَ نُعْبُدُ بنون الجمع وجعل جوارحه وقواه الظاهرة والباطنة متقادما لما يحكم فيها المقدمون عليها وهو العقل والنفس والهوى وكل واحد منهم قد يؤم بالجماعة في وقت ما فالطاعات كلها المقربة للعقل والمباحات للنفس والمخالفات للهوى وقد قيل للعقل إذا سئمت النفس من اتباعك في الأمور المقربة واقتدائها بك في وقت إمامتك وتقدمت هي في المباحات وأمت بك فاتبعها وصل خلفها حافظا لها لتلايخدها الهوى فإن الهوى يتبعها في ذلك الحال عسى يوقع بها في محذور ففي مثل هذا الموطن تجوز إمامة النفس وهي إمامة المرأة وإمامة العقل بمنزلة إمامة الرجل المسلم البالغ العالم الولد الحلال وإمامة الهوى بمنزلة إمامة المنافق والكافر والفاسق وإمامة النفس بمنزلة إمامة المرأة

(فصل بل وصل في إمامة ولد الزنا)

اختلفوا في إمامة ولد الزنا فمن مجيز إمامته ومن مانع من ذلك (الاعتبار في ذلك) ولد الزنا هو العلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة فالإنسان وإن طلب العلم لغير الله فحصوله أولى من الجهل فإنه إذا حصل قد يرزق صاحبه التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه فتجوز إمامة ولد الزنا وهو الاقتداء بقوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة ليقال فأصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة

(فصل بل وصل في إمامة الأعرابي)

اختلفوا في إمامة الأعرابي فمن مجيز إمامته ومن مانع من ذلك (الاعتبار في ذلك) الجاهل بما ينبغي للإمام أن يعلمه لا يصلح للإمامة لأن الإمام يقتدى به وهو لا يعلم ولا يتعلم فلا تجوز إمامة من هذه صفته لأنه لا يعلم ما يجب عليه مما لا يجب للمقتدي به ضال وليس هو بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فإن الإمام إذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة نافلة كانت أو فريضة لأنها تشمل على فرض وسنن فأركانها فروض كلها وسننها كذلك في النافلة والفريضة فما فعل المتنفل الذي هو الإمام في صلاته إلا ما تفرض عليه أن يفعله

من أركان صلاته من ركوع وسجود وغير ذلك وكذلك سننها والمفترض مقته به في هذه الأفعال التي هي فرض عليهما فعلها فما اقتدى
الذي نوى الفرض خلف المنقل إلا بما هو فرض على المنقل فاعلم ذلك

(فصل بل وصل في إمامة الأعمى)

فمن يجيز إمامة الأعمى ومن مانع إمامته والله أعلم (اعتبار ذلك) الأعمى هو الحائر الذي هو في محل النظر لم يترجح عنده شيء وليس
بواقف فيكون شاكا والأصل حكم الفطرة التي ولد عليها فهو مؤمن في حال نظره وحيرته ما لم يقف أو يرجح فتجاوز إمامته بأصل الفطرة
لاستنابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة يصلي بالناس وهو أعمى

(فصل بل وصل في إمامة المفضل)

اختلف العلماء في إمامة المفضل فمنهم من أجازها ومنهم من منع من ذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن
عوف بلا خلاف وقضى ما فاتته وقال أحسنتم (اعتبار ذلك) الفاضل يصلي خلف المفضل ليرقى همته ويرغبه في طلب الأنفس و
الأعلى سياسة وحسن تربية فإنه داع إلى الله تعالى على بصيرة إن الله يفتح للكبير بصدق توجه الصغير فالصغير مفيد الكبير وإمامه من
حيث لا يشعر وكم من مرید صادق وقعت له واقعة وهو معتنى به فعرضها على الشيخ وقد كان الشيخ ما عنده معنى تلك الواقعة وقد
استقرغت همة المرید وقطعت إن واقعة لا يعرف حل أشكالها إلا هذا الشيخ ففتح الله على ذلك الشيخ فيها بهمة ذلك المرید وصدق فيه
عناية من الله بالمرید وينتفع الشيخ تبعاً وإن كان الشيخ أعلى منه في المقام ولكن ليس من شرط كل مقام إذا دخله الإنسان ذوقاً أن يحيط
بجميع ما يتضمنه من جهة التفصيل فإننا نعلم قطعاً أنا نجتمع مع الأنبياء عليهم السلام في مقامات وبيننا وبينهم في العلم بأسرارها بون بعيد
يكون عندهم ما ليس عندنا وإن شملهم المقام فهذه إمامة المفضل فافهم ولا تغالط نفسك فتقول أنا شيخ هذا فأنا أعلم منه بما تطلبه التربية و
قد لا تكون أعلم منه بما تنتجه وقد رأينا ذلك معاينة في حق أشخاص والحمد لله انتهى الجزء الأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل بل وصل في حكم الإمام إذا فرغ من قراءة الفاتحة هل يقول آمين أم لا يقولها)

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل يؤمن ومن قائل لا يؤمن (وصل في الاعتبار في ذلك) إن جعل الإنسان نفسه أجنبية عنه فإنه يخاطبها
مخاطبة الأجنبي يقول الله تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا نُؤَسِّسُ بِهِ نَفْسَهُ وَهَذَا يَجِدُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ ذَوْقًا تَقْتَضِيهِ نَشَأَتُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِلْإِنْسَانِ الْمَكْلَفِ إِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَضَافَ النَّفْسَ إِلَيْهِ وَالشَّيْءَ لَا يُضَافُ إِلَى ذَاتِهِ فَجَعَلَ النَّفْسَ غَيْرَ الْإِنْسَانِ وَ
أَوْجَبَ لَهَا عَلَيْهِ حَقًّا تَطْلُبُهُ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ هُوَ التَّالِي فَلَا لِنَفْسِهِ عِنْدَ فِرَاقِ الْفَاتِحَةِ آمِينَ وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ التَّالِيَةً فَلَا بَدَأَنْ يَقُولُ هُوَ آمِينَ وَالْإِنْسَانُ
وَاحِدَ الْعَيْنِ كَثِيرَ الْقُوَى وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَبَادِرُنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ فِي الْقَائِلِ نَفْسُهُ فَمَنْ كَانَ هَذَا مَشْهَدَهُ قَالَ يُؤْمِنُ بِالْإِمَامِ وَالْمَنْفَرِدِ

ومن رأى أن الإمام عين واحدة أو يرى أنه قال بربه في قوله بي يسمع وبي يبصر وبي يتكلم وقد كان الشيخ أبو مدين بجاية يقول ما رأيت شيئاً إلا رأيت الباء عليه مكتوبة يشير إلى هذا المقام وهي تسمى باء الإضافة مثل قوله أيضاً فمن كان مشهده هذا يقول لا يؤمن بالإمام والتأمين أولى بكل وجه فإن المكلف مأمور إذا دعا أن يبدأ بنفسه وقوله آمين دعاء يقول اللهم آمنا بالخير وبما قصدناك فيه والإنسان بحكم حاله ومشهده وفي الحديث الثابت إذا آمن الإمام فأمنوا والحديث الآخر إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين

(فصل بل وصل متي يكبر الإمام)

فمن قائل بعد تمام الإقامة واستواء الصفوف ومن قائل قبل أن يتم الإقامة ومن قائل بعد قول المؤذن قد قامت الصلاة وبالتخيير أقول في ذلك (الاعتبار) الإقامة للقيام بين يدي الله تعالى فإنه يقول حي على الصلاة واستواء الصفوف مثل صفوف الملائكة عند الله تعالى الذين أقسم بهم في قوله وَالصَّافَّاتِ صَفًّا وهي إشارة إلى إقامة العدل فإن الإنسان بروحه ملك مدبر لما ولاة الله عليه من هذه النشأة الذي أشار إليه بالبلد الأمين لكونه أما جامعة مثل مكة التي هي أم القرى والفاخرة أم الكتاب فلا بد من فروض الأحكام لإقامة العدل في العبادات التي خوطب بها جماعة الجوارح فاجتماعهم على ذلك واجب ظاهراً وباطناً فمن رأى مثل هذا يكبر بعد الإقامة واستواء الصفوف كأنه يقول الله أكبر من أن يتقيد تكبيره بمثل هذه الصفة لإحاطته إطلاقاً بكل حال ووجه فإنه أعطى كل شيء خلقه فإنه على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ فلما كلف عباده بالمشي على صراط خاص عينه لهم كان من عدل إليه سعد ومن عدل عنه شقي ومن راعى المسارعة إلى الخيرات والسباق إلى المناجاة كبر عند سماعه حي على الصلاة في الإقامة إلا أن يكون هو المقيم فلا يتمكن له حتى يفرغ من لا إله إلا الله وحينئذ يكبر وإنما قلنا يبادر بالتكبير الإقامة وهو قول المؤذن قد قامت الصلاة ليصدق المؤذن في قوله قد قامت الصلاة لأنه جاء بلفظ الفعل الماضي فيبني صلاته على قاعدة صدق فيفوز في الثواب مَعْدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ فِي جَنَّتٍ وَهَرَّ أَي فِي سِتُورٍ مِنْ عِلْمٍ جَارِيَةٍ وَاسِعَةٍ كَمَا قُلْتِ هَذَا جَاءَ غَيْرِهِ لِأَنَّ النَّهْرَ جَارٍ عَلَى الدَّوَامِ بِالْأَمْثَالِ وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ تَكْبِيرُ الْإِحْرَامِ كَمَا جَبَّ الذَّنْبُ مِنْ إِقَامَةِ النَّشْأَةِ فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ قَدَ قَامَتِ الصَّلَاةُ قَبْلَ تَكْبِيرِ الْإِمَامِ لَمْ يَصْدُقْ وَتَجُوزُ فِي الْكَلَامِ وَعِلْمُ الْأَذْوَاقِ وَالْأَسْرَارِ لَا يَحْمِلُ التَّجُوزَ فِي الْكَلَامِ فَإِنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْكَشْفِ يَعْمَلُ وَرُوحَ الْإِنْسَانِ مَا هُوَ بِيَدِهِ فَلَوْ قَبِضَ الْإِمَامُ وَقَدْ قَالَ الْمُؤَذِّنُ قَدَ قَامَتِ الصَّلَاةُ وَلَمْ يَكْبِرِ الْإِمَامُ لَعَلِمْنَا أَنَّهُ قَبِضَ مَكْذُوبًا وَلَا يَنْفَعُهُ هُنَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَنَحْنُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ بِحُكْمِ الصَّلَاةِ الْمُنْتَظَرَةِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ وَلَا نَشْكُ أَنَّ الْعَارِفِينَ فِي حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ فِي صَلَاةٍ وَمَنَاجَاةٍ وَلَكِنْ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الصَّلَاةِ الْمَشْرُوعِ لَنَا إِقَامَةَ نَشْأَتِهَا مِنْ تَكْبِيرِ الْإِحْرَامِ إِلَى التَّسْلِيمِ وَمَا بَيْنَهُمَا تَرْتِيبُ أَعْضَاءِ نَشْأَتِهَا حَتَّى تَقُومَ خَلْقًا سَوِيًّا يَشْهَدُهَا بِبَصَرِهِ مِنْ أَنْشَأَتِهَا وَلَا سِيَمَا مِنْ أَنْشَأَتِهَا بِرَبِّهَا فَإِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَلِ النَّشْآتِ لَيْسَ لِلنَّفْسِ فِيهَا حِظٌّ فَهَذِهِ صَلَاةٌ إِلَهِيَّةٌ لَا كَوْنِيَّةٌ وَمَنْ جَعَلَ الْإِقَامَةَ مِنَ الْمُؤَذِّنِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِ إِقَامَةِ نَشْأَةِ الصَّلَاةِ كَبَرَ بَعْدَ الْإِقَامَةِ وَتَكُونُ الصَّلَاةُ مَشْرُوكَةً فِي نَشْأَتِهَا إِلَّا فِي حَقِّ الْمُقِيمِ بِنَفْسِهِ لَا بِالْمُؤَذِّنِ فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ فِي أَوَّلِ إِثْنَاءِ صُورَةِ الصَّلَاةِ عِنْدَهُ مِنَ الْإِقَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُقِيمُ الَّذِي هُوَ

المؤذن والإمام يتصرفان برهبهما على قدم فئتهما عن أنفسهما فقد تكون نشأة الصلاة نشأة إلهية ولكن لا تقوى في الصورة قوة الواحد لأن مزاج كل واحد من الشخصين يفارق الآخر والحق ما يتجلى إلا بحسب القابل اعلم أن العبد يقيم سره بين يدي ربه في كل حال فهو مصل في كل حال ففي أي وقت كبر من هذه الأوقات التي وقع فيها الخلاف بين علماء الرسوم فقد أصاب فإن الصلاة قد قامت فإن الله قرر حكم المجتهد شرعا منه كلفنا به ويخرج قوله حي على الصلاة في الإقامة خطبا للجوارح لتصرفها في غير تلك الأفعال الخاصة بهذه الحالة وخطبا للروح بل للكُل بالخروج من حال هو فيه إلى حال أخرى أي أقبل عليها وإن كنت في صلاة فتكون من الذين هم على صلاتهم دائمون وعلى صلواتهم يُحافظون

(فصل بل وصل في الفتح على الإمام)

اختلف العلماء في الفتح على الإمام فمن قائل بالفتح عليه ومن قائل لا يفتح عليه ويركع حيث أرتج عليه ومن قائل لا يفتح عليه إلا إذا استطعم ومن قائل لا يفتح عليه إلا في الفاتحة وصاحب هذا القول يقول من فتح عليه في السورة فقد بطلت صلاة الفاتح (وصل الاعتبار) من قال بالخاطر الأول قال لا يفتح على الإمام وكذلك من قال بالوقت ومن قال بمراعاة الأنفاس وأما من قال بما سبقت به السابقة في أول الشروع وراعى ذلك الخاطر وجعل الحكم له فإن نوى عند ما شرع قراءة سورة أو آيات معلومات ثم ارتج عليه فله أن يتم ما نوى فيستطعم المأموم فيطعم المأموم ويفتح عليه إذا ارتج عليه وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي حين ارتج عليه يقول له لم لم تفتح علي لأن أبا كان حافظا للقرآن فراعى القصد الأول بالقراءة فأراد تمامه والإرتاج على العبد في الصلاة من أدل دليل على وجود عين العبد وأعني بوجود عينه ثبوته لأن ذلك ليس من صفات الحق فإن صلى بره فينبغي للمصلي أن يكون مع الحق بحسب الوقت فلا ينظر إلى ماض ولا إلى مستقبل فلا يستفتح ولا يفتح عليه ولكن يركع حيث انتهى به ربه من كلامه فذلك الذي تيسر له من القرآن قال تعالى فَأَقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وقد فعل فلا ينبغي أن يكون لمخلوق في الصلاة أثر ينسب إليه وهو مذهب علي بن أبي طالب والجواز مذهب ابن عمر

(فصل بل وصل في موضع الإمام)

اختلف العلماء في موضع الإمام فمن قائل بأنه يجوز أن يكون أرفع من موضع المأمومين ومن قائل بالمنع من ذلك وقوم استحسبوا من ذلك اليسير ومذهبا أي شيء كان من ذلك جاز وارتفاع موضع الإمام أولى لأجل الاقتداء به على التعيين (وصل الاعتبار في ذلك) المناسبات في الأمور أولى من عدم المناسبات ومرتبة الإمامة أعلى من مرتبة المأموم فينبغي أن يكون في تلك المرتبة الأفضل والأعلى وينبغي أن يكون في موضعه أرفع لأنه في مقام الاقتداء به فلا بد أن يكون له الشرف على المأموم فإنه موضع للمأموم ولهذا سمي إماما فله حالتان وحالتان فالحالتان الأوليان أن يكون إماما مأموما معا في حال واحدة فيقتدي بأضعف المأمومين في صلاته فهو مأموم ويقدي به المأموم في ركوعه وسجوده وجميع أفعاله فهو إمام والحالتان الأخريان حالة يسمى بها مصليا فهو مع ربه في هذه الحالة وهو إمام لغيره فله حالة أخرى فمن راعى

كونه مصليا منع أن يكون له شغوف على المصلين وإن كثروا فإنهم أئمة بعضهم لبعض من الإمام إلى آخر الصفوف ومن راعى كونه إماما كان أولى أن يكون موضعه أرفع من المأموم فهو بحسب مشهده

(فصل بل وصل في نية الإمام الإمامة)

اختلف العلماء هل يجب للإمام أن ينوي الإمامة أم لا فمن قائل بوجوبها ومن قائل بأنها لا تجب وبه أقول وإن نوى فهو أولى (وصل الاعتبار) ينبغي للمصلي أن يكون له شغل بربه لا بغير ربه فإن الصلاة قسمها الله بينه وبين المصلي فليس له أن ينوي الإمامة ومن رأى أن قوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين من غير نظر إلى التفصيل الوارد بعد هذا القول في قراءة أم القرآن أدخل حكم رعاية المأموم في هذا القول أي المصلي إذا كان إماما أو مأموما فإن الصلاة مقسومة بيني وبين عبدي نصفين فينوي التوجه إلي وينوي التوجه إلى القبلة وينوي القرية بهذه العبادة إلي وينوي الإمامة بالمؤمنين وينوي المأموم بهذه العبادة القرية إلي وينوي الإلتزام بالإمام وكل مصلي بحسب ما يقع له ويشهده الحق في مناجاته

(فصل بل وصل في مقام المأموم من الإمام)

لا يخلو المأموم إما أن يكون واحدا أو اثنين أو أكثر من اثنين ولا يخلو ما أن يكون رجلا أو رجلين أو امرأة أو صبيا فأما المأموم إذا كان رجلا بالغا واحدا فإنه يقيمه عن يمينه فإن كان صبيا أقامه عن يمينه مثل الرجل وقيل عن يساره ليمتاز حكم الصبي من حكم الرجل فإن كان رجلين أقام أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وإن شاء أقامهما خلفه وإن كان رجلا وصبيا فحكمهما مثل حكم الرجلين فإن كان امرأة كانت خلف الإمام إذا انفردت فإن كان معها رجل واحد فالرجل عن يمين الإمام والمرأة خلفه وإن كان أكثر من واحد مع وجود المرأة أقام الرجال خلفه والمرأة أو النساء خلف الرجال (وصل الاعتبار) ورد في الأخبار الندب إلى التخلق بأخلاق الله قال عليه السلام ما كان الله لينهاكم عن الربا يأخذ منكم وما من وصف وصف الحق به نفسه إلا وقد ندبنا إلى الاتصاف به وهذا معنى التخلق والافتداء والانتظام وهذه الإمامة عينها فالإمام على الحقيقة هو الله تعالى والمأموم المخلوقون فلا يخلو الإمام أن ينظر نفسه واحدا من حيث أحديته وهو ما يختص به ويتميز عن كل من سواه مع الحق أو ينظر نفسه مع الحق من حيث شفيعيته أو ينظر مع الحق من حيث فرديته وهو الثلاثة أعني ثالث اثنين أو ينظر نفسه من حيث إنه لم يكمل كما كمل غيره أو ينظر نفسه مع الحق من كونه مانئلا إلى طبيعته وهو الصبي من صبا إذا مال أو ينظر نفسه مع الحق من كونه مانئلا إلى طبيعته لا من حيث عقله فيكون بمنزلة المرأة فلا يخلو من أن يستحضر عقله مع طبيعته والحق تعالى في هذه الأحوال كلها إمام فاليمين للقوة وكلتا يديه يمين للقرية وإسقاط الحول والقوة والخلف للافتداء والاتباع فانظر أيها المصلي بأي حال حضرت في صلاتك مما ذكرناه فقم به في المقام الذي يبناه من الإمام تكن قد أتيت بالصلاة المشروعة ولكن مشهودك الحق وإمامك من حيث ما وصفه الشارع لا من حيث ما دل عليه دليل العقل حتى تكون ذا دين في عقلك وعقدك عملك وإن لم تفعل انتقص من عبادتك على قدر

ما أدخلت فيها من عقلك من حيث فكرك ونظرك

(فصل بل وصل في الصفوف وصل فيمن صلى خلف الصف وحده)

أجمع العلماء على إن الصف الأول مرغّب فيه وكذلك التراص و تسوية الصف إلا من شذ في ذلك فقال من قدر على الصف الأول ولم يصل فيه بطلت صلاته وكذلك التراص و تسوية الصفوف إذا لم يوجد بطلت الصلاة و لما ثبت الأمر بذلك حمله بعض الناس على الندب و حمله بعض على الوجوب وهو الذي ذكرناه من أنه تبطل الصلاة بعدم هذه الصفة و الذي أقول به إن الصلاة صحيحة و هم عصاة أما الصف الأول فورد الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في المسابقة إليه ثم إنه قال فيه ثم لم يجدوا إلا أن يستهوا عليه لاستهوا عليه يريد الاقتراع و أما التسوية فإنهم دعوا إلى حال واحدة مع الحق و هي الصلاة فساوى في هذه الدعوة بين عباده فلنكن صفتهم فيها إذا أقبلوا إلى ما دعاهم إليه تسوية الصفوف لأن الداعي ما دعا الجماعة إلا ليناجيهم من حيث إنهم جماعة على السواء لا يخص واحد دون آخر فيجب أن يكونوا على السواء و الاعتدال في الصف لا يتأخر واحد من الصف و لا يتقدم بشيء منه يؤدي إلى اعوجاجه فإنهم يناجون من هذه الحيشة و ينبغي أن تكون الصور الباطنة و الهمة من المصلين متساوية في نسبة التوجه إلى الله تعالى و الإخلاص له في تلك العبادة التي دعاهم إليها من حيث ما هم مصلون و إن الله لما اصطفى منهم واحدا سماه إماما ليناجيه عن الجماعة بما يجب أن يهبه للجماعة و جعله كالترجمان بين يديه و بين أيديهم مقبلا على ربهم فيجب على الجماعة السكوت و الإنصات و الانتظار لما يرد عليهم من سيدهم بوساطة ذلك الإمام و لهذا جاء في حديث جابر أن قراءة الإمام كافية عن الجماعة فإنه الذي قدمه الحق للمناجاة فلما كان الإمام هو المقصود في النيابة عن الجماعة و أمر الشرع أن يأتي به في كل ما يفعله مما شرع له فعله و يجب عليهم الإنصات و الاقتداء بكل ما يفعله الإمام في صلاته و أما التراص في الصف فهو أن لا يكون بين الإنسان و بين الذي يليه خلل من أول الصف إلى آخره و سبب ذلك أن الشياطين تسد ذلك الخلل بأنفسها و هم في محل القرية من الله تعالى فينبغي أن يكونوا في القرب بعضهم من بعض بحيث أن لا يبقى بينهم خلل يؤدي إلى بعد كل واحد من صاحبه فتكون المعاملة فيما بينهم من أجل الخلل تقيض ما دعوا إليه من صفة القرية فيتخلل تلك الخلل و الفرج البعداء من الله لمناسبة البعد الذي بين الرجلين في الصف في الصلاة فينقصهم من رحمة القرب الذي للمصلي في الصف بقدر الخلل و بمرتبة ذلك الشيطان من البعد عن الله فإذا أزلت المناكب بعضها ببعض انسدت الخلل و لم تجد صفة البعد عن الله محلا تقوم به لأن الشيطان الذي هو محل البعد عن الله ليس هناك وإنما تفرح الشياطين بخلل الصف و تدخل فيه لما ترى من شمول الرحمة التي يعطي الله للمصلين فتراحمهم في تلك الفرج لينا لهم من تلك الرحمة شيء بحكم المجاورة من عين المنة لمعرفتهم بأنهم البعداء عن الله و ما هم هؤلاء الشياطين الذين يوسوسون في الصلاة فإن أولئك محلهم القلوب فهم على أبواب القلوب مع الملائكة تلقى إلى النفس و تنكت في القلب ما يشغله عما دعي إليه و من جملة ما تلقى إليه أن لا يسد الخلل الذي بينه و بين صاحبه لوجهين الوجه الواحد ليصف بالمخالفة فيؤديه إلى البعد عن الله فإن الشيطان إنما كان بعده عن الله لمخالفته لأمر الله و الوجه الثاني في حق أصحابهم من

الشياطين ليتخللوا ذلك الخلل فتصيبهم رحمة المصلين فيناجي الإمام ربه ويناجيه ولهذا شرع كتابة الجمع في مناجاة الصلاة وأن لا يخص الإمام نفسه في الدعاء دونهم فإنه لسان الجماعة فالمكاشف يشهد هذا كله ويأخذ عن الله مما يعطيه بوساطة هذا الإمام ما يأتي به الله وسواء كان ذلك الإمام قد وفي حق ما دعي إليه من الحضور مع الله أم لا فيلتفاه كل من هذه صفته من الله فيسعد الإمام بمثل هذا المأموم وأما غير المكاشف وغير الحاضر في الصلاة بقلبه إذا اجتمع هو والإمام في عدم الحضور كان الإمام من الأئمة المصلين فإن حضر الجماعة مع الله ما عدا الإمام كان الإمام ضالا وحده وإن سعد فبمن خلفه وإن حضر الإمام وحده ولم تحضر قلوب الجماعة في تلك الصلاة شفيع الإمام في الجماعة كلها فإنه العين المقصودة من الجماعة فقد حصل المقصود ولهذا ينبغي أن يختار للإمامة أهل الدين والخير والمشتغلين بالله وإن كانوا قليلين من العلم فهم أولى بالإمامة من العلماء الغافلين لأن المراد من المصلي الحضور مع الله فلا يحتاج من العلم المصلي من حيث ما هو مصل إلا أن يعرف أنه بين يدي ربه يناجيه بما يسر الله له من تلاوة كتابه لا غير ذلك فلا يبالي بما نقصه من العلم في حال صلاته حتى إن المصلي لو أحضر في مناجاته مبايعة ومسائل طلاق ونكاح لم يكن بينه وبين الغافل عن صلاته فرق وإنما يكون مع الله من حيث ما هو بين يديه في عبادة خاصة دعاه إليها يحرم عليه فيها في باطنه ما حرم عليه في ظاهره فكما لا ينبغي أن يلتفت بوجهه التفاتا يخرج عن القبلة كذلك لا ينظر بقلبه إلى غير من يناجيه وهو الله وكما لا يشتغل بلسانه بسوى كلام ربه أو ذكره الذي شرع له لا يصح فيها شيء من كلام الناس كذلك يحرم عليه في باطنه كلامه النفسي مع من يشار به أو يبايعه أو يتحدث معه في باطنه في نفس صلاته من أهل وولد وإخوان وسلطان سواء فلماذا لا يشترط في الإمام كثرة العلم وإنما الغرض ما يليق بهذه الحالة فإن اتفق أن يكون من هذه حالته من الدين والمراقبة والحياء من الله كثير العلم راسخا سيدا كان الأولى بالتقدم فإنه الأفضل ممن ليس له ذلك فالصفوف إنما شرعت في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله يوم القيامة في ذلك الموطن المهول والشفعاء من الأنبياء والمؤمنين والملائكة بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف فكيف شخص يكون هنا مأموما من أهل الصفوف يكون غدا إماما أمام الصفوف ويكون إمامه الذي كان في الدنيا يصلي به مأموما غدا فيا لها من حسرة و صفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله كما قال تعالى وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَهُوَ الْإِمَامُ النَّائِبُ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَأَمْرًا الْحَقُّ أَنْ نَصَفَ فِي الصَّلَاةِ كَمَا تَصَفُّ الْمَلَائِكَةُ يَتَرَاوَنَ فِي الصَّفِّ وَإِنْ كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ لَا يَلْزَمُ مِنْ خَلَلِ صَفِّهَا لَوْ اتَّفَقَ أَنْ يَدْخُلَهَا خَلَلٌ أَعْنَى مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ دَخُولَ الشَّيَاطِينِ لِأَنَّ السَّمَاءَ لَيْسَتْ بِمَجْلٍ لِلشَّيَاطِينِ وَلَا بِمَكَانٍ وَإِنَّمَا يَتَرَاوَنَ لِتَنَاسُبِ الْأَنْوَارِ حَتَّى يَتَّصِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَتَنْزِلُ مُتَّصِلَةً إِلَى صَفُوفِ الْمَصَلِّينَ فَتَعْمَهُمْ تِلْكَ الْأَنْوَارُ فَإِنْ كَانَ فِي صَفِّ الْمَصَلِّينَ خَلَلٌ دَخَلَتْ فِيهِ الشَّيَاطِينُ أَحْرَقَتْهُمْ تِلْكَ الْأَنْوَارُ وَكَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي الْكُتَيْبِ فِي الزُّورِ الْعَامِ يَصْفُونَ كَمَا يَصْفُونَ فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ دَخَلَ خَلَلٌ فِي صَفِّهِ هُنَا وَكَانَ قَادِرًا عَلَى سَدِّهِ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ حَرَّمَ هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ بَرَكَةَ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَدِّهِ عَمَّتْ الْبَرَكَةُ هُنَاكَ وَكُلُّ مَصَلٍّ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَإِنَّهُ يَنْضَمُّ إِلَى أَحَدِهِمَا ثُمَّ يَجْذِبُ الْآخَرَ إِلَيْهِ فَإِنْ انْجَذِبَ إِلَيْهِ كَانَ وَإِلَّا كَانَ الْإِثْمُ عَلَى ذَلِكَ وَيَكُونُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَنْضَمُّ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي يَلِي جَانِبَ الْإِمَامِ وَلَا بَدَّ فَإِنْ كَانَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ نَقْصٌ

وهو يراه وهو قادر على الوصول إليه ولا يمشي إلى الصف الأول حتى يتمه أعني يسد الخلل الذي فيه لم ينفعه تراصه في الصف الذي هو فيه جملة واحدة فإنه ما تعين عليه إلا الأول فاعلم

(فصل بل وصل في المصلي خلف الصف وحده)

اختلف الناس فيه فمن قائل بصحة صلاته ومن قائل بأنها لا تصح والذي أذهب إليه في حكم من هذه حالته فإنه لا يخلو إما أن يجد سبيلاً إلى الدخول في الصف أو لا يجد فإن لم يجد فليشر إلى رجل من أهل الصف أن يخلج إليه فإن لم يخلج إليه لجهله بما له في ذلك عند الله من الأجر فإن صلاة هذا الرجل صحيحة فإنه قد اتقى الله ما استطاع ولا يستطيع في هذه الحالة أكثر من هذا فإن قدر على شيء مما ذكرناه ولم يفعل فصلاته فاسدة فإن النبي عليه السلام أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد وهو حديث وابصة بن معبد (اعتبار ذلك في النفس) القربات إلى الله لا تعلم إلا من عند الله ليس للعقل فيها حكم بوجه من الوجوه فإذا شرع الشارع القربات فهي على حد ما شرع وما منع من ذلك أن يكون قرينة فليس للعقل أن يجعلها قرينة ثم نرجع إلى مسألتنا فلا يخلو هذا المصلي وحده خلف الصف مع القدرة على ما قلناه إما أن يكون من أهل الاجتهاد ويكون حكمه بإجازة ذلك الفعل وصحة صلاته عن اجتهاد أو لا يكون عن اجتهاد فإن كان عن اجتهاد فالصلاة صحيحة وإن لم يكن عن اجتهاد وكان مقلد المجتهد في ذلك بعد سؤاله إياه فصلاته صحيحة وإن فعل ذلك لا عن اجتهاد ولا عن سؤال فصلاته فاسدة وهكذا في جميع القربات المشروعة كما صحت صلاة الإمام بين يدي الجماعة في غير صف صحت صلاة من هو خلف الصف وحده فإن لطيفة الإنسان واحدة العين ولا تصف صفوف الجوارح عند الصلاة ولا ينبغي أن يكون أمامها فإنها لا تقبل الجهة فما صلت إلا وحدها وظاهر الإنسان جماعة فهو في نفسه صف وحده فإن كل جزء منه مكلف بالعبادة والصلاة ولا ينفصل بعضه عن بعضه فهو صف وحده فإن اشتغل ببعض جوارحه فيما ليس من الصلاة كان له ذلك الاشتغال في صف ذاته كالخلل الداخل في الصف فبطريق الاعتبار ما صلى الإنسان من حيث جملة إلا في صف ومن حيث لطيفته وحده فإنها لا تقبل الصفوف لعدم التحيز وهذا على مذهب من يقول إنها غير متحيزة وأما من قال بتحيزها التحقت بجملة ذات المصلي فما صلى من هو في صف ومن هو في غير صف إلا في صف من ذاته وبهذا أجاز من أجاز الصلاة خلف الصف وحده وقد بينا مذهبنا في ذلك بطريقة تعضدها أصول الشرع

(فصل بل وصل في الرجل أو المكلف يريد الصلاة فيسمع الإقامة هل يسرع في المشي إلى المسجد مخافة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا)

فمن قائل لا يجوز الإسراع بل يأتي وعليه السكينة والوقار وبه أقول ومن قائل يجوز الإسراع حرصاً على الخير وأكره له ذلك (وصل اعتبار ذلك) المسارعة إلى الخيرات مشروعة والسكينة مشروعة والوقار والجمع بينهما أن تكون المسارعة بالتأهب المعتاد قبل دخول وقتها فيأتيها بسكينة ووقار فيجمع بين المسارعة والسكينة وإنما أمر العبد بالمسارعة إلى الخيرات لتصرفه في المباحات لا غير فمن كانت حالته أن لا يتصرف في مباح فهو في خير على كل حال ولذلك ورد ما يدل على الحالين معا فليل سارعوا إلى مغفرة من ربكم وهي العبادة هنا من

سارع إليها فقد سارع إلى المغفرة وقال في الحالة الأخرى أُولَئِكَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ فجعل المسارعة فيها وفي الأولى إليها فإنها ما هي نائبة عنه وهنا وجه أيضا وذلك أن المغفرة لا تصح إلا بعد حصول فعل الخير الموجب لها فنحن نسارع في الخيرات إلى المغفرة فكان المسارع فيه غير المسارع إليه فالعبد إذا كان تصرفه في غير المباح فلا بد أن يكون في مندوب أو واجب فإن كان في مندوب واستشعر بحصول وقت واجب سارع إليه في مندوبة بإقامة أسبابه التي لا يصح ذلك الواجب إلا بها ومعنى المسارعة هنا المبادرة إلى الأفعال التي هي شرط في صحة ذلك الواجب فمن رأى الجماعة واجبة ومن قال بإتمام الصف وجوبه وهو في خير فإنه أت إلى الصلاة مثلا فيسمع الإقامة فأمره الشارع أن يأتي إليه وعليه وقار وسكينة وسبب ذلك أن الحق لا يتقيد بالأحوال وأن الآتي إلى الصلاة في صلاة ما دام يأتي إليها أو ينتظرها فنفس الإسراع المشروع قد حصل وأما الإسراع بالحركة فإنه يقتضي سوء الأدب وتقييد الحق ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي دب وهو راع حتى دخل الصف وهو أبو بكر زائدك الله حرصا ولا تعد يعني إلى إسراع الحركة وما قال له زادك الله إسراعا فإن الحرص أوجب له الإسراع فنبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إن الحرص على الخير هو المطلوب وهو الإسراع المطلوب لله من العبد لا حركة الاقدام فإن ذلك يؤذن بتحديد الله والله مع العبد حيث كان وقد وقع لك التقريط أولا بتأخره فهناك كان ينبغي لك الإسراع بالتأهب كما حكى عن بعضهم أنه ما دخل عليه منذ أربعين سنة وقت صلاة إلا وهو في المسجد وحكي عن آخر أنه بقي كذا سنة ما فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام وقوله بوقار يشير أن العبد ينبغي له أن يعامل الله في نفسه بما يستحقه من الجلال والهيبة والحياء فإن هذه الأحوال تؤثر ثقلا في الجوارح وتثبت الموازنة حركته مع الله أن يقع منه كما أمره الله بخضوع وخشوع وهو السكينة المطلوبة كما قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه يعني لسرى ذلك في جوارحه فإن السرعة بالإقدام لا تكون إلا بمن همته متعلقة بالجهة التي يسارع إليها من أجل الله لا بالله وينبغي للعبد أن تكون همته متعلقة بالله فيكون المشهود له الحق تعالى ومن كان بهذه المثابة كانت حالته الهيبة والسكون فلا تسمع إلا همسا قال تعالى وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا هذا مع الاسم الرحمن فكيف بمن لا يعرف أي اسم إلهي يمشي إليه أو يمشي به فمن كان حاله في الوقت ما يمشي إليه ويقصده أجاز الإسراع ومن كان حاله مشاهدة من يقصد به قال لا يجوز فإنه تضييع للوقت والشارع إنما يراعي وارد الوقت ووقت الآتي إلى الصلاة مشاهدة المقصود بها فشرع له السكينة والوقار في الإتيان دون سرعة الأقدام إعظاما لحرمة الوقت واستيفاء لحقه

(فصل بل وصل)

متى ينبغي للمأموم أن يقوم إلى الصلاة إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة فمن قائل في أول الإقامة ومن قائل عند قوله حي على الصلاة ومن قائل عند قوله حي على الفلاح ومن قائل حتى يرى الإمام وهو الأولى عندي ومن قائل لا توقيت في ذلك وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوموا حتى تروني فإن صح هذا الحديث وجب العمل به ولا يعدل عنه وأما مذهبنا في ذلك إن لم يصح هذا الحديث المسارعة في

أول الإقامة ثم إن عندنا ولو صح الحديث فإن هذا الحديث عندي إذا صح فحكم النبي عليه السلام في هذه المسألة في الانتظار إليه ولا تقوم حتى نراه كما أمر ما هو كحالنا اليوم فإن زمان وجود النبي كان الأمر جائزاً أن ينسخ وأن يتجدد حكم آخر فكان ينبغي أن لا يقوموا لقول المؤذن حتى يروا النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة فيعلمون عند ذلك أنه ما حدث أمر برفع حكم ما دعوا إليه بخلاف اليوم فإن حكم القيام إلى الصلاة باق فيقوم إذا سمع المؤذن يقيم مسارعاً وإن اتفق أن يغلط المؤذن بأن يسمع حساً فيتحيل أنه الإمام فيقيم والإمام ما خرج فما على من قام بأس في ذلك بل له أجر الإسراع إلى الخير ويرجع إلى مكانه إلى أن يخرج الإمام فإنه على يقين من بقاء حكم الصلاة (الاعتبار) المقيم للصلاة هو حاجب الحق الذي يدعو الخلق إلى الدخول على الله بهذه الحالة والصفة التي دعاهم وشرع لهم أن يدخلوا عليه فيها فيسارعون في القيام بأدب وسكون كما ذكرنا وحضور لما يستقبلونه واستحضار لما ينادونه به من قراءة وذكر وتكبير وتسييح ودعاء معين عينه لهم لا يتعدونه في تلك الحالة فإذا فرغوا منها بالسلام دعوا بما شاءوا ولكن مما يرضى الله لا يدعون على مسلم ولا بتقطيعه
رحم

(فصل بل وصل)

فيمن أحرم خلف الصف خوفاً أن يفوته الركوع مع الإمام ثم دب وهو راعٍ حتى دخل في الصف فمن الناس من كرهه ومنهم من أجازه ومنهم من فرق بين المنفرد والجماعة في ذلك فكرهه للمنفرد وأجازه للجماعة (وصل الاعتبار) الركوع هو الخضوع لله تعالى والمبادرة إليه أولى غير إن مشيه راعها حتى يدخل في الصف هو الذي ينبغي أن يكون متعلق الكراهة أو الجواز فمن رأى سد الخلل واجبا أو الصلاة خلف الصف لا تجزئ مشي على حاله حتى يدخل في الصف فإن الشارع ما أبطل صلاة أبي بكر بذلك ودعا له ونهاه أن لا يعود فعلم أنه نهى كراهة فإن قالوا قضية في عين قلنا ونهيه أن لا يعود قضية في عين لأنه المخاطب أن لا يعود ولبيته غيره عن ذلك ولكن بقرينة الحال علمنا إن المراد بذلك المصلي كان من كان أن يكون في حال صلته على حد ما أمر به فكل ما هو من تمام الصلاة جاز العمل إلى تحصيله في الصلاة ويتعلق بهذا مسائل على هذه القاعدة

(فصل بل وصل)

فيما يتبع فيه المأموم الإمام لا خلاف بين العلماء في وجوب اتباعه فيما نص الشارع عليه من أقوال وأفعال واختلفوا في قوله سمع الله لمن حمده فمن الناس من قال بأنه لا يجب عليه أن يقوفاً مع الإمام ومنهم من أجاز له أن يقوفاً والأول أولى عندي للحديث الوارد (وصل الاعتبار) لما أنزل الإمام نائبا عن الحق في حق من يقتدى به صح له أن يقول سمع الله لمن حمده فهو ترجمان عن الحق للمأمومين يعرفهم بأن الله يقول ذلك حين حمدوه في تلاوتهم وتسييحهم في ركوعهم فهو مخبر عن استخلفه ولو أقام الله الإمام مقامه في الحال لقال سمعت لمن حمدني فأثبت بقوله سمع الله لمن حمده عين العبد واعلم أنه ما عبده إلا من كونه لها لا من حيث ذاته خلافاً لقول رابعة العدوية فإن قيل فما تصنع في مثل قوله قد سمع

اللَّهِ قَوْلَ الَّذِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَقُلْ سَمِعْتُ يَرِيدُ مَا ذَكَرْنَا وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ قَوْلَهُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ مِثْلَ هَذَا وَلَا سِيَمَا وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ قُلْنَا أَمَا الْآيَةُ فَقَدْ تَكُونُ تَعْرِيفًا مِنْ جِبْرِيلَ الرُّوحِ الْأَمِينِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِثْلَ هَذَا أَيْ قُلْ لَهُ يَا جِبْرِيلُ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ كَمَا قِيلَ لِحَمْدِ قُلِّ إِيْمَا أَنَا بَشَرٌ وَهُوَ بَشَرٌ فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَكُونُ بَشَرًا وَهَكَذَا جَمِيعُ مَا فِي كَلَامِ اللَّهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّ أَضْفَقَهُ وَلَا بَدَّ إِلَى الْحَقِّ فَلْيَكُنِ الْكَلَامُ لِلَّهِ مِنْ مَرْتَبَةٍ خَاصَّةٍ إِخْبَارًا عَنْ مَرْتَبَةٍ أُخْرَى خَاصَّةٍ إِنْ شِئْتَ عَبْرَتِ عَنْهَا بِالذَّاتِ وَإِنْ شِئْتَ عَبْرَتِ عَنْهَا بِاسْمِ إِلَهِي فَيَقُولُ الْحَقُّ مِنْ كَوْنِهِ مِنْكُمْ يَا مُحَمَّدٌ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ فَيُرِيدُ بِاللَّهِ هُنَا الْأَسْمَ السَّمِيعَ أَوَّ الْعَلِيمَ عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ يَرَى أَنْ سَمِعَهُ عِلْمُهُ وَالْأَوَّلُ عَلَى مَنْ يَرَى أَنْ سَمِعَهُ حَقِيقَةُ أُخْرَى لَا يُقَالُ هِيَ هُوَ وَلَا هِيَ غَيْرُهُ وَعَلَى الَّذِي قِيلَ الْأَوَّلُ مَنْ يَرَى أَنْ سَمِعَهُ ذَاتَهُ وَهَكَذَا سَائِرُ مَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ فَلِلْمَأْمُومِ أَنْ يَقُولَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ كُلِّهِ وَإِنْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْإِمَامِ فَمَا وَرَدَ الْمَنْعُ مِنْهُ فِي حَقِّ الْمَأْمُومِ وَلَا فِي حَقِّ الْمَنْفَرِدِ وَلَا سِيَمَا وَالْإِنْسَانُ إِمَامٌ جَمَاعَةٌ ذَاتَهُ وَمَا مِنْ جِزءٍ فِيهِ إِلَّا وَهُوَ حَامِدٌ لِلَّهِ فَيَعْرِفُ لِسَانَهُ سَائِرَ ذَاتِهِ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ لِمَنْ حَمَدَهُ وَلَا سِيَمَا مِنْ كَشْفِ لَهُ عَنْ تَسْيِيحِ كُلِّ شَيْءٍ بِحَمْدِهِ

(الفصل الآخر في الائتمام)

الائتمام لا يصح إلا مع العلم من المأموم فيما يأتى به من أفعال الإمام ظاهرا و باطنا و العامة بل أكثر الناس لا يعلمون من الإمام إلا الحركات الظاهرة من قيام و ركوع و رفع و سجود و جلوس و تكبير و تسليم و النية غيب من عمل القلب لا يطلع عليها المأموم فما كلفه الله أن يأتى به فيما لا يعلمه منه ولهذا قال عليه السلام إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبروا وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد وما تعرض للنية ولا لما غاب عن علم المأموم فذكر الأفعال الظاهرة التي يتعلق بإدراكها الحس ولا سيما وقد ثبت أن الصلاة الواحدة لا تقام في اليوم مرتين وأن أحد الصلاتين من المصلي وحده ثم يدرك الجماعة فيصلّي معها أنها له نافذة فقد خالف الإمام في النية بالنص ثم إن للمأموم بهذا الحديث أن يقول سمع الله لمن حمده ثم يقول ربنا ولك الحمد للائتمام بإمامة فإنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صلاته وهو إمام سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد

(الفصل الآخر في الائتمام بصلاة القاعد)

اتفق العلماء من أصحاب المذاهب وغيرهم أنه ليس للصحيح أن يصلي قاعدا فرضا إذا كان منفردا أو إماما و اختلفوا في المأموم إذا كان صحيحا فصلى خلف إمام مريض يصلي ذلك الإمام المريض قاعدا على ثلاثة أقوال فمن قائل إنه يصلي خلفه قاعدا و به أقول و من قائل إنهم يصلون خلفه قياما و من قائل لا تجوز إمامته إذا صلى قاعدا و أما إن صلوا خلفه قياما أو قعودا بطلت صلاتهم وقد ذكر بعض رواة مالك عن مالك قال لا يؤم الناس أحد قاعدا فإن أمهم قاعدا بطلت صلاتهم و صلاته فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحد بعدي

قاعدا وهذا الحديث ضعيف جدا لأن في طريقه جابر بن يزيد الجعفي وليس بحجة ومع ضعفه فالحديث مرسل والصحيح الثابت إمامة القاعد (وصل الاعتبار في ذلك) الإمام على الحقيقة من نواصي الخلق بيده فلا يخلو المصلي المأموم أن يرى الإمام نائبا عن الحق كما جعله صلى الله عليه وسلم أو يراه مأموما مثله فإن رآه إماما فله الائتمام به على أي حال كان وإن رآه مأموما مثله جعل الحق إمامه وصلى قاعدا لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك فإن هذا هو إمامه شرعا ومن جعل الحق في قلبه وواجهه غاب عنه إمامه بلاشك وقد اختلفت حالة الإمام بالمرض من حال المأموم والمأموم إذا كان مريضا صلى خلف القائم للعدو وقد مضى اعتبار النية في الإمام والمأموم وقد أمر الإمام أن يقتدي بصلاة المريض في التخفيف به ولا يشق عليه وكل واحد منهما قد أمر بالاعتداء بالآخر وعين الشارع فيما ذا فلا ينبغي العدول عما عينه الشارع من ذلك لمن أراد اتباع السنة والوقوف عند حكم الله ورسوله وإذا كان الإمام على الحقيقة هو الله وهو سبحانه لا يغفل عن حالات عبده في حركاته وسكناته ولا يشغله عن مراقبته شيء فإنه قال عن نفسه وكان الله على كل شيء رقيباً فينبغي للمأموم الذي هو العبد أن يقتدي به في المراقبة والحضور فلا يغفل عن سيده في صلاته ولا يشغله شيء عن مراقبته في صلاته حتى يصح له أن يكون مؤتما به في مثل هذا الوصف من المراقبة وعدم الغفلة فاعلم ذلك

(فصل بل وصل في وقت تكبيرة الإحرام للمأموم)

أقوال الفقهاء في فمن قائل يكبر بعد فراغ الإمام من تكبيرة الإحرام استحسانا وإن كبر معه أجزاءه ومن قائل لا يجزئه أن يكبر معه وبالأول أقول أن يكبر بعد الفراغ لا يجزئه غير ذلك ومن قائل لا يجزئه أن يكبر قبل الإمام ومن قائل إن كبر قبل الإمام أجزاءه ومن قائل إن كبر مع تكبير الإمام و فرغ بفراغ الإمام أجزاءه وإن فرغ المأموم من تكبيره قبل فراغ الإمام لم يجزه الإحرام للمأموم إما أن يعتبر فيه كونه مصليا فقط فيجزئ قبل الإمام معه وبعده وإن اعتبر كونه مصليا ومأموما لم يجزه أن يكبر قبل الإمام فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ولا تكبروا حتى يكبر فنهى فإن علم أنه نهى كراهة أجزاءه قبل الإمام ومعه وإن علم أنه نهى تحريم لم يجزه (وصل الاعتبار في ذلك) ورد في الخبر أن العبد يقول في حال من الأحوال الله أكبر فيقول الله أنا أكبر يقول العبد لا الله إلا أنت يقول لا إله إلا أنا يقول العبد لا إله إلا الله له الملك وله الحمد يقول الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد يصدق عبده ومن هنا كان اسمه المؤمن وأمثاله فإذا كان الحق لا يقول شيئا من ذلك حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع فليس للمأموم أن يسبق إمامه بشيء من أفعال الصلاة ولا من أقوالها حتى في قراءة الفاتحة ليس له أن يشرع فيها إذا جهر بها حتى يفرغ منها أو يتبع سكات الإمام فيها فيقرأ ما فرغ الإمام منها في سكتة الإمام وفي صلاة السر يقرأها بحسب ما يغلب على ظنه إلا في الصلاة بعد الجلسة الوسطى فإنه يقرأها ابتداء

(فصل بل وصل فيمن رفع رأسه قبل الإمام)

فمن قائل إنه أساء ويرجع وصحت صلاته ومن قائل صلاته تبطل (وصل الاعتبار) الإمام الحق والقيومية صفته فلا يجوز للمأموم أن يرفع

قبل إمامه وأن صلاته تبطل فإنه في حال لا يصح فيها أن يكون مأموماً مثله ولا للحق فإن قيومية الحق به في رفعه من الركوع تسبق قيوميته إذ كل ما يقام فيه العبد إنما هو عن صفة إلهية ظلها هو الذي يظهر في العبد والظل تبع بلاشك والعبد ظل لقول السلطان ظل الله في الأرض وإنما ورد هذا في الرفع لأن طلب العلوب للعلو له سبحانه بالاستحقاق وإنما الذي ينبغي للمأموم الاقتداء بالإمام في كل خفض ورفع فأما الخفض فرمما تطلب النفس فيه للتخيل الفاسد الذي يطراً من الجاهل فاعلم إن الحق وصف نفسه بالنزول فيسبق المأموم بخفضه نزول الحق إليه قبل نزوله وهو به إلى السجود فلا ينحط إلى السجود حتى يسبقه إمامه فإنه إن لم يكن يجد الحق في سجوده فلن ينزل هذا العبد المصلي وينحط بفعله ذلك فلا ينحط إلا لئله الذي وصف نفسه بالنزول من علوه إلى عبده فيقول العبد يا رب هذه صفتي فأنا أحق بها وإنما ضرورة الدعوى رفعتني عن مقام الخطاط لكونك أخبرت أنك خلقتني على الصورة فشمخت نفسي على من نزل عن هذه الدرجة التي خصصتني بها ثم مننت علي بأن نزلت إلي فمن كان هذا مشهده ومشر به اقتدى بالإمام في جميع الأحوال والأحكام

(فصل بل وصل فيما يحمله الإمام عن المأموم)

اتفق علماءنا على أنه لا يحمل الإمام عن المأموم شيئاً من فرائض الصلاة ما عدا القراءة فإنهم اختلفوا في ذلك فمن قائل إن المأموم يقرأ مع الإمام فيما أسر به ولا يقرأ معه فيما جهر به ومن قائل لا يقرأ معه أصلاً ومن قائل يقرأ معه فيما أسر أم الكتاب وغيرها وفيما جهر أم الكتاب فقط وبه أقول وبعضهم فرق في الجهر بين من يسمع قراءة الإمام وبين من لا يسمع فأوجب على المأموم القراءة وإذا لم يسمع ونهاه عنها إذا سمع والذي أذهب إليه بعد وجوب قراءة الفاتحة على كل مصل من إمام وغير إمام أنه إن قرأ في نفسه كان أفضل إلا أن يكون بحيث يسمع الإمام فالإنصات والاستماع لقراءة الإمام واجب لأمر الله الوارد في قوله وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا وما خص حال صلاة من غيرها والقرآن مقطوع به عند الجميع وإذا لم يسمع إن لم يقرأ المأموم أعني غير الفاتحة أجزاءه صلاته إلا فاتحة الكتاب كما قلنا فإنه لا بد منها لكل مصل فإن الله قسم الصلاة بينه وبين عبده وما ذكر إلا الفاتحة لا غير فمن لم يقرأها فما صلى الصلاة المشروعة التي قسمها الله بينه وبين عبده ولكن يتبع المأموم بقراءة الفاتحة سككات الإمام فيجمع بين الآية والخبر وإن لم يسكت الإمام ويكره له ذلك فليقرأها المأموم في نفسه بحيث أن لا يسمعه الإمام آية آية حتى يفرغ منها ولا يجهر على الإمام بقراءته (وصل الاعتبار في ذلك) لما احتوت الصلاة على أركان وهي فروض الأعيان لم تجز فيها نفس عن نفس شيئاً وكل ما ليس بفرض ويجبره سجود السهو فإن الإمام يحمله عن المأموم ومعناه أن المأموم إذا نقصه أو زاد لم يسجد لسهوه وذلك أن الفروض حقوق الله فحق الله أحق بالقضاء وما عدا الفروض وإن كانت حقاً من حيث ما هي مشروعاً وهي على قسمين منها ما جعل لها بدل وهو سجود السهو وهي الأفعال التي للشرع بها اعتناء من حيث ما فيها من الإنعام الذي يقرب من إنعام الفرائض بالشبه ولهذا جعل لها بدل ومنها ما هي حقوق للعبد مما رغب فيها فإن شاء عمل بها وإن شاء تركها وما جعل لها بدل فإن عمل بها كان له ثواب وإن لم يفعلها لم يكن عليه حرج ولم يحصل له ذلك الثواب الذي يحصل من فعلها كرفع الأيدي في كل خفض ورفع عمداً فإن كان

في نفسه الرفع أو من مذهبه لما اقتضاه دليله فلم يفعل نسيانا وسهوا فإنه يسجد لسهوه لا لرفع اليدين فإن السجود ما شرعه الله إلا للسهو هنا لا للسهو عنه بدليل أنه لو تركه عمداً أو عن اجتهاد لم يسجد له بخلاف ما جعل له بدل وليس بفرض فإن الصلاة تبطل بتركه عمداً أو بفعل ما لم يشرع له فعله عمداً و فرق بين الجلسة الوسطى وبين جلسة الاستراحة والجلسة التي بين السجدين في كل ركعة والجلسة الأخيرة وحكم ذلك كله مختلف واعتباره في العماء وفي العرش وفي السماء الدنيا وفي الأرض عند جلوس العبد في مجلسه فالعماء للجلوس بين السجدين و العرش للجلسة الأخيرة والسماء للجلسة الوسطى ومع جلوس في الأرض حيث كنت من مجالسي لجلوس الاستراحة وأما من جلس في وتر من صلاته فما حكمه حكم جلسة الوسطى فإنه لم يشرع له تركها و جلسة الاستراحة شرع له فعلها فلو تعمد جلوس الاستراحة فقد تعمد ما شرع له ولم تبطل صلاته وإن جلس في وتر من صلاته ناسيا وهو يريد القيام سجد لسهوه لا لجلوسه وله أجر الجلوس وأجر ما سها عنه لسجود السهو الذي هو ترغيم للشيطان وله أجر من أنكى في عدو الله وفي عدوه فإن الله يقول وَلَا يَطُوعُنَّ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَبِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ وَالشَّيْطَانُ مِنَ الْكُفَّارِ لِقَوْلِ اللَّهِ فِيهِ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَسَيَأْتِي مَا يَلِيقُ بِهِذَا كُلِّهِ فِي السَّهْوِ مِنْ هَذَا

الباب إن شاء الله تعالى

(فصل بل وصل في ارتباط صلاة المأموم بصلاة الإمام في الصحة والبطلان)

اختلف العلماء هل صحة انعقاد صلاة المأموم مرتبطة وبه أقول وإن اقتدى به فيما أمر أن يقتدي به فيه بصحة صلاة الإمام أولاً فمن الناس من رأى أنها مرتبطة ومنهم من لم ير أنها مرتبطة ولهذا اختلفوا في الإمام إذا صلى وهو جنب و علموا بذلك بعد الصلاة فمن يرى الارتباط قال صلاتهم فاسدة ومن لم ير الارتباط قال صلاتهم صحيحة وهو الذي أذهب إليه و فرق قوم بين أن يكون الإمام عالماً بجنابته أو ناسياً فقالوا إن كان عالماً فسدت صلاتهم وإن كان ناسياً لم تفسد صلاتهم (وصل الاعتبار في ذلك) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِيَّاهُ شَيْئًا وَمَا فِي وَسْعِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِ غَيْرِهِ وَلَا يَحِيطُ عِلْمًا بِأَحْوَالِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَصْلٍ إِنَّمَا هُوَ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ مَعَ اللَّهِ وَلِهَذَا مَا أَمَرَهُ الشَّرْعُ فِي الْإِتِّمَامِ بِإِمَامَةٍ إِلَّا فِيمَا يَشَاهِدُهُ مِنَ الْإِمَامِ مِنْ رَفْعٍ وَخَفْضٍ فَإِنْ كُوشِفَ بِجَالِ الْإِمَامِ كَانَ حُكْمُهُ بِحَسَبِ كَشْفِهِ فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ مِنْ وَقْتِ عِلْمِهِ وَصَحَّ لَهُ مَا مَضَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَهُ قَبْلَ عِلْمِهِ وَلَا اعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ لِنَسْيَانِ الْإِمَامِ أَوْ عَمْدِهِ فَإِنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُ مِنْ وَقْتِ عِلْمِهِ فِي غَيْرِ صَلَاةٍ شَرَعًا وَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْتَبِطَ أَعْيُنِي أَنْ يَقْتَدِيَ إِلَّا بِالْمَصْلِيِّ فَإِنَّ كَانَ الْإِمَامُ نَاسِيًا لَجَنَابَتِهِ أَوْ حَدَثَهُ فَهُوَ مَصْلٌ شَرَعًا وَ صَلَاةُ الْمَأْمُومِ صَحِيحَةٌ شَرَعًا وَ ائْتِمَامُهُ بِنِهَايَةِ مَصْلٍ شَرَعًا وَإِنْ عَلِمَ الْمَأْمُومُ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ فَإِنَّ تَمَكَّنَ لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَعْلَمَهُ بِحَدَثِهِ فِي نَفْسِ صَلَاتِهِ أَعْلَمَهُ بِحَيْثُ أَنْ لَا تَبْطُلَ صَلَاةُ الْمَأْمُومِ بِذَلِكَ الْإِعْلَامِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ صَلَاةُ لِنَفْسِهِ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَعْلَمَهُ بِحَدَثِهِ سِوَا فَرَغِ الْإِمَامِ أَوْ لَمْ يَفْرغْ فَإِنَّ تَذَكُّرَ الْإِمَامِ أَوْ قَلْدَهُ تَطَهَّرَ وَإِنْ لَمْ يَتَذَكَّرْ وَلَمْ يَقْلُدْهُ فَهُوَ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ وَمَذْهَبُهُ فِي ذَلِكَ وَ صَلَاةُ الْمَأْمُومِ صَحِيحَةٌ اَتَّهَى الْجُزْءَ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ بِانْتِهَاءِ السَّفَرِ السَّادِسَ مِنْ هَذِهِ النُّسْخَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصول الجمعة)

(فصل بل وصل في الخلاف في وجوبها)

اختلف العلماء في وجوب الجمعة فمن قائل إنها من فروض الأعيان ومن قائل إنها من فروض الكفاية ومن قائل إنها سنة (وصل في الاعتبار) ليس لهذه الصلاة قدم في توحيد الذات ولا نتيجة في حال العالم بها العامل لكن لها العلم بأحدية الكثرة وكذلك من يرى أن الذات اقتضت لنفسها وجود العالم فلا ينتج هذا العلم ما يرد من الله على قلب العبد ولا في تجليه في هذه الصلاة وذلك أنها مبنية في وجودها وحققتها على الزائد على الواحد فهي من حضرة الأسماء الإلهية فإن وقوعها لا يصح من المنفرد بخلاف الصلوات كلها فإنها تصح من المنفرد وكل صلاة ما عدا الجمعة تعطي ما تعطي الجمعة من حيث ما هي صلاة من تكبيرة الإحرام إلى التسليم منها وتعطي ما لا تعطيه الجمعة من العلم بأحدية الحق التي لها الغني على الإطلاق ومن العلم برجوع النسب أو الصفات إلى عين وحدة فاعلم ذلك

(وصل في فصل فيمن تجب عليه الجمعة)

اتفق العلماء على أنها تجب على من تجب عليه الصلوات المفروضة ثم زادوا أربعة شروط اثنان متفق عليهما واثنان مختلف فيهما فالمتفق عليهما الذكورة والصحة وأنها لا تجب على المرأة والمريض والاثنان المختلف فيهما المسافر والعبد فمن قائل إن الجمعة تجب على المسافر وبه أقول وتجب على العبد فللعبد أن يتأهب فإن منعه سيده فيكون السيد من الذين يصدون عن سبيل الله ومن قائل إنه لا تجب عليهما وقد ورد خبر متكلم فيه إن الجمعة واجبة إلا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وفي رواية أخرى إلا خمسة وذكر المسافر (وصل في اعتبار ذلك) لما كان من شرطها ما زاد على الواحد وأنها لا تصح بوجود الواحد فاعلم إن العقل قد علم إن لله أحدية ذاتية لا نسبة بينها وبين طلب الممكنات وقد ذكرناها والعقل يعلمها فمن المحال أن يعقل العقل وجود العالم من هذه الأحدية فوجب عليه بصلاة الجمعة أن يرجع إلى النظر فيما يطلبه الممكن من وجود من له هذه الأحدية فنظر فيه من كونه إلها يطلب المألوه فهذه معرفة أخرى لا تصح إلا بالجماعة وهو تركيب الأدلة وترتيبها فوجب صلاة الجمعة على العقل الموصوف به العاقل ولما كانت المرأة ناقصة عقل ودين فالعقل الذي نقص منها هو عقل هذه الأحدية الذاتية فوجب الجمعة على الرجل وهو الجمع بين العلم بتلك لاحدية وبين العلم بكونه إلها ونقص عقل المرأة عن علم تلك الأحدية فلم يجب عليها أن تجمع بينها وبين العلم بالله من كونه إلها وأما العبد الذي يسقط عنه وجوب الجمعة عند من يقول به وهو العبد المستحضر لجبر الله له في اختياره فإن الحقيقة تعطي أن العبد مجبور في اختياره فلما لم يتمكن له أن يجمع بين الحرية والعبودية لم تجب عليه الجمعة وكل من ذكرناه ونذكر أنه لا تجب عليه الجمعة أنه إذا حضرها صلاحها كذلك إذا حضرت مواطن الاعتبار المانعة للمذكورين من الوجوب أنها لا تجب عليه فإن فنى عنها مجال يخالفها وجبت الجمعة أي وجب عليه علم ما لم يكن يجب عليه علمه كمرئيم وآسية اللتين

حصل لهما درجة الكمال فتعين عليهما علم الأحدية الذاتية و علم الأحدية الإلهية التي هي أحدية الكثرة و أما المريض و هو الذي لا يقول بالأسباب و لا يعلم حكمتها فلم يحصل له مقام الصحة حيث فإنه من العلم بالله قدر ما تعطيه حكم لأسباب و من لم يعط حاله هذا العلم و يقدح في تجرده و يخاف عليه لم يجب عليه أن يجمع بين لعلم بحكم الأسباب و بين العلم بتجريد التوحيد عنها و أما المسافر فإن حاله يقتضي أن لا تجب عليه الجمعة فاته ما بين ابتداء الغاية و انتهاء الغاية فهو بين من و إلى فلا تعطي حالته أن يجمع بين من و إلى التي تطلبها لا من التي هي في إلى إلى إلى أخرى فإن إلى تلك غابت فيها من و لولا إلى الأخرى ما عرفت أن في نفس إلى الأولى من فما نهاية إلا و لها بداية و لا ينعكس فلا تجب عليه الجمعة من حيث ما هو عين من الأولى و الذي نقول بوجوبها عليه إنما هو مع من التي تتضمنها إلى الأولى و إلى الثانية و الثالثة و كذا إلى ما لا نهاية له فلولو المنازل في الطريق و المقامات ما عقل لمن غاية فإلى تطلب من و من لا تطلب إلى و أما الصبي فهو المائل إلى طبيعته لا يعرف غيرها و لا يصبح كونه صبياً إلا بهذه الصفة فمن الحال أن يرفع رأسه إلى معرفة حقيقته التي يصبح له بالعلم بها الجمعة فهذا اعتبرنا أن الصبي لا تجب عليه الجمعة

(وصل في فصل شروط الجمعة)

اتفق العلماء على أنها شروط الصلاة المفروضة المتقدمة و قد ذكرناها ما عدا الوقت و الأذان فإنهم اختلفوا في ذلك و كذلك اختلفوا في الشروط المختصة بها و سأذكرها

(وصل في فصل الوقت)

فمن قائل إن وقتها وقت الزوال يعني وقت صلاة الظهر و من قائل إن وقتها قبل الزوال و أنا أقول بالتخير بين الوقتين (وصل الاعتبار في ذلك) قال تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ثُمَّ قَالَ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا فَأَمَرْنَا بالنظر إليه و النظر إليه معرفته و لكن من حيث إنه مد الظل و هو إظهاره و وجود عينك فما نظرت إليه من حيث أحدية ذاته في هذا المقام و إنما نظرت إليه من حيث أحدية فعله في إيجادك في الدلالة و هو صلاة الجمعة فإنها لا تجوز للمنفرد فإن من شرطها ما زاد على الواحد فمن راعى هذه المعرفة الإلهية قال بصلاتها قبل الزوال لأنه مأمور بالنظر إلى ربه في هذه الحال و المصلي يناجي ربه و يواجهه في قبلته و الضمير في عليه يطلبه أقرب مذكور و هو الظل و يطلبه الاسم الرب و إعادته على الرب أوجه فإنه بالشمس ضرب الله المثل في رؤيته يوم القيامة فقال على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهرة أي وقت الظهر و أراد عند الاستواء بقبض الظل في الشخص في ذلك الوقت لعموم النور ذات الرائي و هو حال فناءه عن رؤية نفسه في مشاهدة ربه ثم قال ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا و هو عند الاستواء ثم عاد إلى مده بدلوك الشمس و هو بعد الزوال فعرفه بعد المشاهدة كما عرفه الأول قبل المشاهدة و الحال الحال قال إن وقت صلاة الجمعة بعد الزوال لأنه في هذا الوقت ثبتت له المعرفة بربه من حيث مده الظل و هنا تكون إعادة الضمير من عليه على الرب أوجه فإنه عند الطلوع يعاين مد الظل فينظر ما السبب في مدة فيرى ذاته حائلة بين

الظل والشمس فينظر إلى الشمس فيعرف من مده ظله ما للشمس في ذلك من الأثر فكان الظل على الشمس دليلاً في النظر وكان الشمس على مد الظل دليلاً في الأثر ومن لم يتنبه لهذه المعرفة إلا وهو في حد الاستواء ثم بعد ذلك بدلوك الشمس عاين امتداد الظل من ذاته قليلاً قليلاً جعل الشمس على مد الظل دليلاً فكان دلوها نظير مد الظل وكان الظل كذات الشمس فيكون الدلوك من الشمس بمنزلة المد من الظل فالمؤثر في المد إنما هو دلوك الشمس والمظهر للظل إنما هو عين الشمس بوجودك فقيام وجودك في هذه المسألة مقام الألوهة لذات الحق لكونه ما أوجد العالم من كونه ذاتاً وإنما أوجده من كونه لها فانظروا ولي مقام ذاتك من حيث وجودك ترما أشرف نسبتة فوجودك وجود الحق إذ الله ما خلق شيئاً إلا بالحق وبميل الشمس عنك يمتد ظلك فهي معرفة تنزيه جعل ذلك دليلاً لتعقده فإن الشمس تبعد عنك وكلما بعدت عنك نهيتك أنك لست مثله ولا هو مثلك إلا أن يحجبك عن رؤيتها فهو التنزيه المطلق الذي ينبغي لذات الحق كما أنه في طلوعها وطلبها إياك بالإتقاء إلى الاستواء تشمر ظلك شيئاً بعد شيء لنعلمك أن بظهورها في علوها تحوكت وتفنيك إلى أن لا تبقي منك شيئاً من الظل خارجاً عنك وهو نفي الآثار بسببك ولهذا لم تشرع الصلاة عند الاستواء لبقاء الظل فلننظر في الصلاة الذي يصلي أو إلى من تواجه في صلاتك والشمس على رأسك ولذا قال في أهل المدينة وما كان على خطها شرقاً يعني في التوجه إلى القبلة في الصلاة ولا تغربوا أي راقبوا الشمس من حيث ما هي شارقة فإنها تطلع فتفنيكم عنكم فلا يبقى لكم مقام ولا أثر قال تعالى يا أهل يثرب لا مقام لكم فنبه على ذلك هو المقام الأشرف بخلاف الدلوك فإن الدلوك يمكن أن ينظر الإنسان فيه إلى امتداد ظله ويمكن أن ينظر إلى تنزيه الحق في ميلة عنه بخلاف الشروق في الدلالة فقال صلى الله عليه وسلم شرقوا ولا تغربوا أي خذوا معرفتكم بالله من هذا الدليل فإنه أرفع للاحتمال من الغروب وبعد أن تبين هذا فمن صلى قبل الزوال الجمعة أصاب ومن صلاها بعد الزوال أصاب والذي أذهب إليه أن صلاتها قبل الزوال أولى لأنه وقت لم يشرع فيه فرض فينبغي أن يتوجه إلى الحق سبحانه بالفرضية في جميع الأوقات فكانت صلاتها قبل الزوال أولى وإن كان قد يتفق أن يكون ذلك وقت أداء فرض صلاة في حق الناسي والنائم إذا تذكروا ولكن بحكم التبعية يكون ذلك فإن المعبر إنما هو التذكر أو اليقظة في أي وقت كان بخلاف صلاة الجمعة إذا جعلناها قبل الزوال فتعين لها الوقت كما تعينت أوقات الصلوات المفروضات وإن الله قد أشار إلى نعيم مشاهدته ومصاحبه من غير تخصيص ولا تقييد فقال بكل شيء محيط وقال وهو معكم أين ما كنتم فاعلم ذلك

(وصل في فصل في الأذان للجمعة)

قال تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ومن وقت النداء يكون الثواب من البدنة إلى البيضة وهو حين يشرع الخطيب في خطبته ومن جاء من وقت طلوع الشمس إلى وقت النداء فله من الأجر بحسب بكوره وهي مسألة خلاف فالبدنة من وقت تعيين السعي فأما الأذان فإن جمهور العلماء اتفقوا على إن وقته هو إذا جلس الإمام على المنبر واختلفوا هل يؤذن بين يدي الإمام مؤذن واحد فقط أو أكثر من واحد فمن قائل لا يؤذن بين يدي الإمام إلا واحد فقط وهو الذي يحرم به البيع والشراء وقال آخرون بل يؤذن اثنان فقط وقال آخرون

يؤذن ثلاثة ولكل قائل حجة واستناد إلى أثر والذي أذهب إليه في هذه المسألة أن الأذان لصلاة الجمعة كالأذان للصلوات المفروضة كلها وقد تقدم الكلام على الأذان في الصلوات قبل هذا إلا أنه لا يجوز أن يؤذن اثنان ولا جماعة معا بل واحد بعد واحد فإن ذلك خلاف السنة (وصل الاعتبار في ذلك) الأذان الإعلام وهو دعاء الحق عباده لمعرفته من حيث ما هو إله الناس وربنا ورب آبائنا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فذكره بالإضافة وما قال ذلك مطلقا فإن الحق سبحانه لا يعين لفظا ولا يقيد أمرا إلا وقد أراد من عباده أن ينظروا فيه من حيث ما خصه وأفرده لتلك الحالة أو عينه بتلك العبارة ومتى لم ينظر الناظر في هذه الأمور بهذه العين فقد غاب عن الصواب المطلوب ولما كانت الجمعة لا تصح إلا بالجماعة علمنا إن الأذان الذي هو الإعلام بالإعلان للإتيان والسعي إلى هذا التجلي الخاص لا بد أن يعطي ما لا يعطي المنفرد وقد بينا ذلك وما يبقى إلا اختلاف مقامات الناظرين في ذلك بين مؤذن واحد واثنين وثلاثة ولا توقيت عندنا في ذلك إلا أنه لا بد من أذان والواحد أدناه فإن زاد جاز ولكن واحد بعد واحد فأما الأذان الواحد فيراه من يرى صلاة الجمعة من حيث ما هي صلاة فقط ومن يرى الاثنين فيرى كونها صلاة في جماعة فلا تجزى للمنفرد ومن رأى الثلاثة في الأذان لها فلكونها صلاة في جماعة ليوم خاص وحالة مخصوصة لا تكون في سائر الأيام بخلاف الصلوات المفروضة في كل يوم فمن اعتبر هذه الأحوال الثلاثة قال بثلاثة مؤذنين فيقول الأول حي على الصلاة ويقول الثاني حي على الصلاة في الجمعة ويقول الثالث حي على الصلاة في الجمعة في هذا اليوم فاعلم كل مؤذن بمجاله لم يعلم بها الآخر واعتبر العلماء ذلك ولو انفرد واحد جاز

(وصل في فصل الشروط المختصة بيوم الجمعة في الوجوب والصحة)

فمن جملة شروطها الجماعة واختلفوا في مقدار الجماعة فمن قائل واحد مع الإمام وبه أقول حضرا وسفرا عندي ومن قائل اثنان سوى الإمام ومن قائل ثلاثة دون الإمام ومن قائل أربعون ومن قائل ثلاثون ومن قائل اثنا عشر ومنهم من لا يشترط عددا ولكن رأى أنه يجوز بما دون الأربعين ولا يجوز بالثلاثة والأربع وهذا الشرط من شروط الوجوب والصحة أي به تجب الجمعة وتصح (وصل الاعتبار في ذلك) أما الواحد مع الإمام فهو حظ من يعرف أحدية الحق من أحدية نفسه فيتحذ أحدية نفسه على أحدية ربه دليل قال الشاعر

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وآية كل شيء عنده أحديته إذ كان كل موجود لا بد أن يمتاز عن غيره بأحدية لا تكون لغيره وتلك الأحدية هي على الحقيقة حقيقة آيته وهويته فيعلم من ذلك أن ربه على خصوص وصف في هويته لا يمكن أن يكون ذلك لسواه وأما من قال اثنان فهو الذي يعرف توحيده من النظر في شفيعته فيرى كل ما سوى الحق لا يصح له الانفراد بنفسه وإنه مقتدر إلى غيره فهو مركب من عينه ومن اتصافه بالوجود المستفاد الذي لم يكن له من حيث عينه وأما من قال بالثلاثة وهو أول الأفراد فهو الذي يرى أن المقدمتين لا تنتج إلا برابط فهي أربعة في الصورة وثلاثة في المعنى فيرى أنه ما عرف الحق إلا من معرفته بالثلاثة فاستدل بالفرد على الواحد وهو أقرب في النسبة من الاستدلال بالشفيع على الأحدية و

أما من قال بالأربعين فاعتبر الميقات الموسوي الذي أنتج له معرفة كلام الحق من حيث ما قد علمتم من قصته المذكورة في القرآن وكذلك أيضا من حصلت له معرفة ربه من إخلاصه أربعين صباحا وهي الخلوة المعروفة في طريق القوم فإنهم يتخذونها لتحصيل معرفة الله بما يحصل لهم فيها من الإخلاص مع الله من المشوب وأما من قال بالثلاثين فنظر إلى الميقات الأول الموسوي وعلم إن ذلك هو حد المعرفة إلا أنه طرأ أمر أخل به فزاد عشرا جبرا لذلك الخلل فهو بالمعنى ثلاثون فمن سلم ميقاته من ذلك الخلل فإن مطلوبه من العلم بالله يحصل بالثلاثين قال تعالى وَاعْدُوا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَمِنْ هَذَا الْحَدِّ لَمَّا جَرَى مِنْ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَ مَا جَرَى أَدَاهُ ذَلِكَ إِلَى الْانْفِرَادِ مَعَ اللَّهِ وَهَجَرَهُمْ فَإِلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا لَعَلَّهُ أَنْ الْمَقْصُودَ بِحَصْلِ بِهَذَا التَّوْقِيتِ فَلَمَّا فَرَّغَ الشَّهْرَ نَاجَاهُ الْحَقُّ بِآيَةِ التَّخْيِيرِ فَخَيْرَ نِسَاءِهِ فَإِنَّهُ كَانَ الْمَطْلُوبُ بِذَلِكَ التَّوْقِيتِ مَا فَتَحَ لَهُ بِهِ فَإِنَّ الْحَقَّ يَجْرِي مَعَ الْعَبْدِ فِي فَتْحِهِ عَلَى حَسَبِ قَصْدِهِ وَالسَّبَبُ الَّذِي أَدَاهُ إِلَى الْانْفِرَادِ بِهِ فَمَنْ أَدَاهُ إِلَى الْانْفِرَادِ بِهِ إِطْلَاقًا لَأَمْرٍ إِلَيْهِ فَكَانَتْ تَتِيحُهُ فِي خَلْوَتِهِ مَطْلَقَةً فَيَرَى سِرِّيَانَهُ فِي الْإِلَهِيَّةِ سِرِّيَانِ الْوُجُودِ الْإِلَهِيِّ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَهُوَ أَمُّ الْكَشْفِ الْكَيَانِيِّ وَأَعْلَاهُ مِنْ هُنَا شَرَعُ التَّخْلُقِ بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ نِسْبَةً بَيْنَ الْمُمْكِنِ وَالْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِنَفْسِهِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِالْإِثْنَيْ عَشَرَ فَاعْتَبَرَ نِهَاجَةَ الْإِنْسَانِ وَرَتَبَتَهُ الْعُلُوبِيَّةَ وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ وَاعْتَبَرَ أَيْضًا أَسْمَاءَ الْأَعْدَادِ الْبَسَائِطِ دُونَ الْمُرَكَّبَاتِ وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى تِسْعَةٍ وَالْعَقْدُ ثَلَاثَةٌ وَهِيَ الْعَشْرُ وَالْمُتُونَ وَالْآلَافُ فَهَذِهِ اثْنَا عَشَرَ وَبَعْدَ هَذَا مَا ثُمَّ عَدَدٌ إِلَّا مُرَكَّبٌ فِي هَذِهِ الْأَصُولِ فَهِيَ جَمْعِيَّةُ الْبَسَائِطِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَشْتَرِطْ عَدَدًا وَقَالَ بِدُونَ الْأَرْبَعِينَ وَفَوْقَ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ عَشْرُ الْأَرْبَعِينَ فَإِنَّ الْأَرْبَعِينَ قَامَتْ مِنْ ضَرْبِ الْأَرْبَعَةِ فِي الْعَشْرَةِ فَهِيَ عَشْرُ الْأَرْبَعِينَ فَكَمَا أَنَّهُ نَزَلَ عَنِ الْأَرْبَعِينَ ارْتَفَعَ عَنِ الْأَرْبَعَةِ وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَهَا فَيَقُولُ لَا تَصِحُّ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ إِلَّا بِالزَّائِدِ عَلَى الْأَرْبَعَةِ وَأَقْلَ ذَلِكَ الْخَمْسَةُ وَهِيَ الْمُرْتَبَةُ مِنَ الْفَرْدِيَّةِ وَالْمُرْتَبَةُ الْأُولَى هِيَ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ لِلْعَبْدِ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَجْتَمِعُ عَنْهَا مَعْرِفَةُ الْحَقِّ فَيَمُنُّ قَالَ تَجُوزُ الْجَمْعَةُ بِالْثَلَاثَةِ وَيَرَى صَاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ أَعْنِي الَّذِي يَقُولُ بِالزَّائِدِ عَلَى الْأَرْبَعَةِ إِنْ الْفَرْدِيَّةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ لِلْحَقِّ وَهُوَ مَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ مِنَ الْعِلْمِ بِفَرْدِيَّةِ الثَّلَاثِيَّةِ فَكَانَ الْحَاصِلُ فَرْدِيَّةَ الْحَقِّ لِأَحْدِيَّتِهِ لِأَنَّ أَحْدِيَّتَهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَنْتَجِهَا شَيْءٌ بِخِلَافِ الْفَرْدِيَّةِ وَلَمَّا كَانَ أَوَّلُ الْأَفْرَادِ لِلْعَبْدِ مِنْ أَجْلِ الدَّلَالَةِ فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِنَفْسِ الْعَبْدِ مَقْدَمَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَالدَّلِيلُ يَنَاسِبُ الْمَدْلُولَ بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ فَلَا يَنْتَجِ الْفَرْدُ إِلَّا الْفَرْدُ فَأَوْلُ فَرْدٍ يَلْقَاهُ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ فَرْدِيَّةَ الْخَمْسَةِ فَجَعَلَهَا لِلْحَقِّ أَيْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِي الرُّتْبَةِ الْخَامِسَةِ فَمَا زَادَ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى مِنَ الْأَفْرَادِ فَقَدْ بَانَ لَكَ فِي الْإِعْتِبَارِ مَنَازِلُ التَّوْقِيتِ فَيَمَّا تَقُومُ بِهِ صَلَاةُ الْجَمْعَةِ مِنْ اِخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ

(وصل في فصل الشرط الثاني وهو الاستيطان)

اتفق كل من قال من العلماء إن الجمعة لا تجب على المسافر على الاستيطان واختلّفوا فاشتراط بعضهم المصّر والسلطان ولم يشترطه بعضهم لكن اشتراط الاستيطان في قرية أو ما في معناها (وصل الاعتبار في ذلك) أهل طريق الله على نوعين منهم من يتغير عليه الحال مع الأنفاس على علم منهم بذلك في قلوبهم وهم الأكابر من أهل الله فهم مسافرون على الدوام فمن الحال عليهم الاستيطان وهم في ذلك على نظرين فمن

كان نظره ثبوته في مقام مراعاة الأنفاس وذوق تغييرها وتنوعات التجليات دائما مع كل نفس كني عن ثبوته في هذه الحال بالاستيطان وهو في الحقيقة مقيم لا مقيم من وجهين مختلفين فإن لا مقام مقام جعل استيطان من شرط صحة صلاة الجمعة ووجوبها وإن كان مسافرا في استيطانه كسفر صاحب السفينة كما قال بعضهم في سير الإنسان في عمره

فسيرك يا هذا كسير سفينة يقوم جلوس والقلاع يطير

ومن كان من رجال الله دون هذه المرتبة وأقامهم الحق في مقام واحد فيما يرونه في نفوسهم وإن كان محالا في نفس الأمر وهم في لبس من خلق جديد فهم بهذا الاعتبار من أهل الاستيطان فيقيمون الجمعة ويرون أن ذلك من شروط الصحة والوجوب ومن كان نظره في انتقاله في الأحوال والمشاهد ويرى أن الإقامة محال على حال واحد ذوقا وأن سفره مثل سفر صاحب السفينة فيما يظهر له والأمر في نفسه بخلاف ذلك لم يشترط الاستيطان وقال بصحة الجمعة ووجوبها بمجرد العدد لا بالاستيطان

(وصل في فصل جمعيتين في مصر واحد اختلف علماؤنا هل يقام جمعتان في مصر واحد أم لا يقام)

فمن قائل بجواز ذلك ومن قائل بأنه لا يجوز وبالجملة أقول إلا إن فيه ما لا يبالغ الصدر به والأولى أن لا وكذلك اشترط بعضهم المصر ولم يشترطه بعضهم وبعدم هذا الشرط أقول وكذلك اشترط بعضهم أن يكون المسجد ذا سقف ولم يره بعضهم ولم يأت في شيء من هذه الأمور كلها نص من كتاب ولا سنة فإذا صححت الجماعة وجبت الجمعة لا غير (وصل الاعتبار في ذلك) المصر الواحد ذات الإنسان في الاعتبار فإنه مدينة في نفسه بل هو جميع العالم وذات الإنسان تنقسم إلى قسمين إلى لطيف وإلى كئيف فإن اتفق أن يختلف التجلي على الإنسان فيتجلى له في الاسم الظاهر حسا أو تمثلا وفي الاسم الباطن معنى وتنزلها فإنه مأمور في هذه الحال بقبول التجلين قيل لأبي سعيد الخزاز بم عرفت الله قال بجمعهم الضدين ثم تلا هو الأوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فجاز عنده إقامة جمعيتين في مصر واحد وأكثر من جمعيتين فقد يشهد الحق في كل اسم عنده من أسمائه ولكل اسم منه عالم ليس للاسم الآخر فيقام في ذات الإنسان جمعيات كثيرة لاختلاف عوامله في نفسه ولكل اسم حكم وسلطنة في عالمه وجماعته والمصر واحد فهذا قد حصل له المصر والسلطان والإقامة والسفر في حال واحد وعين واحدة وهو مسمى الإنسان وهو عالم صغير الجرم كبير المعنى ومن كان نظره في مثل هذه التجليات المتنوعة في الأسماء الإلهية والأعيان الكونية وأن الحق هو الأول من عين ما هو آخر من عين ما هو ظاهر من عين ما هو باطن إلى سائر الأسماء كانت ما كانت لا تنساع الأمر في نفسه بتنوع معاني هذه الأسماء الإلهية والأعيان الكونية وأنها وإن تعددت بالنسب فهي عين واحدة وجودا منع أن يقام جمعتان في المصر الواحد وكل عارف من أهل الله يعمل بحسب وقته ونظره ولهذا قال ابن الصوفي ابن وقته

(وصل في فصل الخطبة)

اختلف علماء الشريعة في خطبة يوم الجمعة هل هي شرط في صحة الصلاة وركن من أركانها أم لا فذهب الأكثرون إلى أنها شرط وركن و

قال قوم إنها ليست بفرض وبه أقول وفي النفس من ذلك شيء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا على خلافه بل نقل بالتواتر إنه لم يزل يحضب فيها والوجوب حكم وتركه حكم ولا ينبغي لنا أن نشرع وجوبها ولا غير وجوبها فإن ذلك شرع لم يأذن به الله فمذهبنا المحقق التوقيف في الحكم عليها مع العمل بها ولا بد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يصلها مخضبة كما لم يزل يصلي العيدين مخضبة مع اجتماعنا على إن صلاة العيدين ليست من الفروض ولا خطبتها وما جاء عيد قط إلا وصلى ص صلاة العيد وخطب (وصل الاعتبار في ذلك) الخطبة شرعت للموعظة والخطيب داعي الحق وحاجب بابه ونائبه في قلب العبد يرده إلى الله ليتأهب للمناجاة ولذلك قدمها في صلاة الجمعة حتى جعلتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيما روى عنها إن الخطبة في صلاة الجمعة بدل من الركعتين فإن صلاة الجمعة ركعتان كصلاة المسافر فسنتها قبل الصلاة لما ذكرناه من قصد التأهب للمناجاة كما سن النافلة من أجل الفريضة ابتداء لأجل الذكرى والتأهب فإن عناية الشرع إنما هي بما فرض فسن النافلة ابتداء في جميع الصلوات المفروضة ألا تراه حين فرض عليه قيام الليل كان يفتحه بركعتين خفيفتين قبل الشروع في قيام الليل كل ذلك ليتنبه القلب لمناجاة من دعاه إليه بما افترض عليه ومشاهدته ومراقبته فإن الفريضة هي المطلوبة منه وهو المطلوب بها فمن رأى أن الانتباه أصل في الطريق كالهروي وغيره قال بوجوب الخطبة كالوضوء للصلاة منبه ومن رأى أن المقصود هو الصلاة وأن الإقامة فيها هو عين الانتباه لمن كان خفيف النوم جعل الخطبة سنة راتبة ينبغي أن تفعل وإن لم ينص عليها ولكن ثابر عليها فهكذا الانتباه قبل المناجاة للمناجاة أولى من أن يكون الانتباه في عين المناجاة فرما أثرت في مناجاة نومته المقدمة قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ هُنَا بِالذِّكْرِ الْخُطْبَةَ فَإِنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْإِنْصَاتِ فِي حَالِ الْخُطْبَةِ لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ أَلَا تَرَى مَا قِيلَ فِي حَقِّ الْمُؤَذِّنِينَ إِنَّهُمْ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا وَالْعُنُقُ مَجْرَى النَّفْسِ وَامْتِدَادُهُ لِلْإِسْمَاعِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِهِ كَتَبِي عَنْهُ بِطَوْلِ الْعُنُقِ وَلَمَّا أَشْهَدَنِي الْحَقَّ الْأَذَانَ بِنَفْسِي رَأَيْتُ لِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْخَبْرِ الْمُقِيدِ بِالْحَسِّ مَدَّ الْبَصَرَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ فَالْمُؤَذِّنُونَ أَفْضَلُ جَمَاعَةٍ دَعَتْ إِلَى اللَّهِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْلَا رَفَقَ الرَّسُولُ ص بَأَمْرِهِ لِأَذْنٍ فَإِنَّهُ لَوْ أَذِنَ وَتَحَلَّفَ عَنْ إِجَابَتِهِ مِنْ سَمْعِهِ إِذَا قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ كَانَ عَاصِيًا فَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفًا رَحِيمًا وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ يَرِيدُ هُنَا بِالسَّعْيِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ الْخُطْبَةَ لِأَنَّ الصَّلَاةَ بِذَاتِهَا تُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْمَخَالَفَةِ وَالْمُنْكَرِ وَهُوَ مَا تَمَكَّرَهُ الْقُلُوبُ وَلَذِكْرُ اللَّهِ فِيهَا أَكْبَرُ مَا فِيهَا يَعْنِي الْقَوْلَ فِيهَا أَشْرَفُ أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَعْمَالٍ وَأَقْوَالٍ وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ تَأَوَّلَ ذِكْرَ اللَّهِ الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ هُوَ الْخُطْبَةُ

(وصل في فصل اختلاف القائلين بوجوب الخطبة في الجزري منها ما حده)

فمنهم من قال أدنى ما ينطلق عليه اسم خطبة شرعية ومن قائل لا بد من خطبتين ومن قائل أقل ما ينطلق عليه اسم خطبة تلغة في لسان العرب والقائل بالخطبتين يرى أنه لا بد أن يجلس الخطيب بينهما يعني بين الخطبتين ويكون في كل واحدة منهما قائما يحمد الله في أولها ويصلي على النبي ص ويوصي بتقوى الله ويقرأ شيئاً من القرآن في الأولى ويدعو في الثانية (وصل الاعتبار في ذلك) اعتبار درجات المنبر المقامات و

الترقي فيها الترقي في مقامات السلوك إلى الله تعالى حتى يكون الداعي على بصيرة كما يعاين ببصره الخطيب الجماعة ببصره وإن كان أعمى فهو بمنزلة الداعي على غير بصيرة وهو المقلد وأما الخطبة فالخطبة الأولى يذكر فيها ما يليق بالله من الثناء والتحريض على الأمور المقربة من الله بالدلائل من كتاب الله والخطبة الثانية بما يعطيه الدعاء والاتجاه من الذلة والافتقار والسؤال والتضرع في التوفيق والهداية لما ذكره وأمر به في الخطبة وقيامه في حال خطبته أما في الأولى فبحكم النيابة عن الحق فيما نذر به وأوعد ووعد فهو قيام حق بدعوة صدق وأما القيام في الثانية فقيام عبد بين يدي سيد كريم يسأل منه الإعانة فيما قال الله على لسانه في الخطبة الأولى من الوصايا وأما الجلسة بين الخطبتين ليفصل بين المقام الذي تقتضيه النيابة عن الحق تعالى فيما وعظ به عباده على لسان هذا الخطيب وبين المقام الذي يقتضيه مقام السؤال والرغبة في الهداية إلى الصراط المستقيم ولما لم يرد نص من الشارع بإيجاب الخطبة ولا بما يقال فيها إلا مجرد فعله لم يصح عندنا أن نقول يخطب شرعا ولا لغة إلا إنا ننظر ما فعل فنفعل مثله على طريق التأسى لا على طريق الوجوب ويقبله الله على ما يعلمه من ذلك قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازي من الله تعالى فيما فرض جزءا فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذي وقع فيه الاتباع ونجازي فيما سن ولم يفرضه جزءا فرض واحد وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذي لم يوجبه فإن حوى ذلك الفعل على فرائض جوزنا جزءا الفريضة بما فيه من الفرائض كنافلة الصلاة ونافلة الحج فإنها عبادة تحوي على أركان و سنن و نوافل صدقة التطوع ما فيها شيء من الفرائض فنجازي في كل عمل بحسب ما يقتضيه ذلك العمل مما وعد الله للعامل به من الخير ولا بد من فرضية الاتباع فاعلم ذلك فالعارف يحمل درجات المنبر على الترقي في الأسماء الإلهية بالتخلق وفيها درج عال كالقادر والعالم ودرج دونه كالمقتدر وحتى نعلم وكان لمنبر رسول الله ص ثلاث أدرج وكذلك الأسماء على ثلاث مراتب لكل درج مرتبة فأسماء تدل على الذات لا تدل على أمر آخر وأسماء تدل على صفات تنزيهه وأسماء تدل على صفات أفعال وما ثم مرتبة رابعة وكل هذه الأسماء قد ظهرت في العالم فأسماء الذات يتعلق بها ولا يتخلق وأسماء صفات التنزيه يقدر بها جناب الحق تعالى ويتخلق بها العبد بحسب ما تعطيه مما يليق به فكما إن العبد يقدر جلال الله أن تقوم به صفات الحدوث كذلك يقدر العبد بهذه الأسماء في التخلق بها نفسه أن تقوم به صفات القدم والغني المطلق وأسماء صفات الأفعال يوحد العبد بها ربه فلا يشرك في فعله تعالى أحدا من خلقه وما في الحضرة الإلهية سوى ما ذكرناه ولا في الإنسان سوى ما ذكرناه ولا في الإمكان سوى ما ذكرناه فالعبد لا يكون ربا لمن هو عبد له والرب لا يكون عبدا تعالى الله فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لكماله في الدلالة عليه واستيعابه ما نسب الحق إلى نفسه وإلى العالم فإن قلت فقول رسول الله ص في دعائه بالأسماء الإلهية حين قال أو استأثرت به في علم غيبك فلعله يدل على أمر آخر قلنا لا بد أن يدل ذلك الاسم إما على الله وإما على ما سوى الله وإما على الله وعلى ما سوى الله بوجهين واعتبارين وما ثم قسم ثالث وكل هذه الأقسام قد حصلت في هذه الأسماء التي بأيدينا من جهة معانيها فإن الذي يدل من ذلك الاسم الذي لم نعرفه على الله إما أن يدل على صفة تنزيهه وقد وجدت عندنا وإما على

صفة فعل وقد وجدت وإما على صفة يعقل معناها في المحدثات كالفرح والتعجب فغاية الأمر أن يكون العالم في الدلالة كما إن في الإمكان مثل هذا العالم مما لا يتناهى فقد انحصر الأمر فيما قد وجد من العالم من جهة الحقائق فاعلم ذلك
(وصل في فصل الإنصات يوم الجمعة عند الخطبة)

اختلف الناس في الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب على ثلاثة أقوال فمن قائل إن الإنصات واجب على كل حال وإنه حكم لازم من أحكام الخطبة ومن قائل إن الكلام جائز في حال الخطبة إلا حين قراءة القرآن فيها ومن قائل بالتفريق في ذلك بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها فإن سمع أنصت وإن لم يسمع جاز له أن يسبح أو يتكلم في مسألة من العلم والجمهور على أنه إن تكلم لم تفسد صلاته وروى عن ابن وهب أنه قال من لغا فضلاته ظهر أربع وأما القائلون بوجوب الإنصات وهم الجمهور فانقسموا ثلاثة أقسام قسم أجازوا التشميت ورد السلام في وقت الخطبة وبه قال الأوزاعي والثوري ومنهم من لم يجز رد السلام ولا التشميت وبعضهم فرق فقال برد السلام ولا يشمت (وصل الاعتبار في ذلك) إنما شرع الوعظ والتذكير للإصغاء إلى ما يقول الواعظ والمذكر وهو الخطيب الداعي إلى الله والإنصات له في حال كلامه ليرى ما يجري الله على لسان عبده فالخطيب نائب الحق فكان الحق هو المكلم عباده فوجب الإنصات والإصغاء إلا فيما أمر به مثل رد السلام وتشميت العاطس إذا حمد الله فمن رأى أن الحق هو المتكلم وجب عليه الإنصات ولكن مع السماع ولا سيما عند قراءة القرآن في الخطبة فإن لم يسمع فينبغي له في تلك الحال أن يكون مشغولاً بما هو الخطيب به مشغول من ذكر الله والثناء عليه ووعظ نفسه وزجره إياها وتقديره نعم الله على نفسه وقراءة القرآن ولكن كل ما وقع من هذا كله فليكن كما قال وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا فهكذا يكون ذكره ولا يسمع الخطبة لبعده عن الخطيب أو لصمم قام بسمعه فالإنسان واعظ نفسه

(وصل في فصل من جاء يوم الجمعة والإمام يخطب هل يركع أم لا)

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يركع وبه أقول ومن قائل لا يركع (وصل الاعتبار في ذلك) الركوع الخضوع لله وهو واجب أبداً على العالم كله ما دام ذكر الله لم يغفل وكل ما سوى الجن والإنس فهو ذاك لله مسبح بحمده فإن ذكر الله الذكر منا ولم يخشع قلبه ولا خضع عند ذكره إياه فلم يحترم الجناح الإلهي ولم يأت بما ينبغي له من التعظيم وأول ما يمتقته جوارحه وجميع أجزائه بدنه ومعلوم قطعاً إن الآتي إلى الجمعة سيحضر بدخول المسجد ورؤية الخطيب وقصده الصلاة إنه ذاك لله وقد أمره الله على لسان الترجمان رسول الله ص الذي قال تعالى في حق من أطاعه من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وقد أمر بتحية المسجد قبل أن يجلس وما ورد نهي برفع هذا الأمر غير أنه إذا ركع لا يجهر بتكبير ولا بقراءة بل يسر ذلك جهد الطاقة ولا يسره ولا يزيد على التحية شيئاً ولا سيما إن كان بحيث يسمع الإمام والداخل والإمام يخطب قد أبيع له أن يسلم وما خطأه أحد في ذلك ولم يؤمر الداخل بالسلام وإنما الأمر تعلق يرد السلام لا ابتداء السلام فالركوع عند دخول السلام أولى أن يجوز له لورود الأمر بالصلاة للدخول قبل أن يجلس والصلاة خير موضع ولكن لا يزيد على الركعتين شيئاً فإن قدر أن لا يقعد

فلاركع عليه فإن أراد الجلوس ركع ولا بد فإنه إذا أنصف الإنسان ما ثم ما يعارض الركع إذا دخل المسجد

(وصل في فصل ما يقرأ به الإمام في صلاة الجمعة)

اختلف الناس في ذلك فمن قائل إن صلاة الجمعة كسائر الصلوات لا يعين فيها قراءة سورة بعينها بل يقرأ بما تيسر ومن الناس من اقتصر على ما قرأ به رسول الله ص فيها غالباً مما قد ثبتت به الرواية عنه وهي صورة الجمعة في الركعة الأولى والمنافقين في الثانية وقد قرأ سورة الغاشية بدلا من المنافقين وقد قرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية بالغاشية والذي أقول به أن لا توقيت والاتباع أولى (وصل الاعتبار في ذلك) المناجى هو الله والمناجى اسم فاعل هو العبد والقرآن كلام الله وكل كلامه طيب والفاحة لا بد منها والسورة منزل من المنازل من مائة وثلاثة عشر منزلاً عند الله والقرآن قد ثبت في الأخبار تفاضل سورة وآية بعضه على بعض في حق القارئ بالنسبة لما لنا فيه من الأجر وقد ورد أن آية الكرسي سيده آي القرآن لأنه ليس في القرآن آية يذكر الله فيها بين مضمرة وظاهرة في ستة عشر موضعاً منها الآية الكرسي هذا في الآيات وجاء في السور أن سورة يس تعدل قراءتها قراءة القرآن عشر مرات وقراءة تبارك الذي بيده الملك تجادل عن قارها في قبره وسورة إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن وكذلك إذا جاء نصر الله وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ولكل واحدة من التي ذكرناها في المفاضلة معنى معقول وأن الزهراوين البقرة وآل عمران يأتیان يوم القيامة ولهما عيتان ولسانان وشفقتان يشهدان لمن قرأهما بحق والأخبار النبوية في ذلك كثير وأما ما نعلمه من طريق الكشف فلا يتمكن لي أن أذكره إلا أن سورة ص منبع الأنوار عاينت ذلك مشاهدة فإياها الإمام في صلاة الجمعة إن قصدت المناسبة فاقراً فيها سورة الجمعة وما ثبت أنه قرأ به رسول الله ص فالله يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقرأ بسبح اسم ربك الأعلى تنزه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الأفعال من حيث إنه قال لنا عن نفسه أنه يصلي علينا فنسبجه عن التحيل الذي يتخيله الوهم من الإنسان من قوله يصلي بسبح اسم ربك الأعلى وإذا جاء المنافقون وهل أتاك حديث الغاشية مناسباً لما تضمنه الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في صلاة الجمعة تناسب ما ذكره الإمام في الخطبة فيجمع بين الاقتداء والتناسب

(وصل في فصل الغسل يوم الجمعة)

غسل الجمعة واجب على كل محتلم عندنا وهو لليوم وإن اغتسل فيه للصلاة فهو أفضل أما الغسل يوم الجمعة فالجماعة على أنه سنة وقوم قالوا إنه فرض وبه أقول والقائلون بوجوبه منهم من قال إنه واجب لليوم وهو قولنا وإن اغتسل قبل الصلاة للصلاة فهو أفضل ومنهم من قال إنه واجب قبل صلاة الجمعة (وصل الاعتبار في ذلك) الطهارة العامة لباطن الإنسان الذي هو قلبه بالحياة الباطنة للمعرفة بالله التي فيها وبها حياة القلوب من حيث ما تعطىها صلاة الجمعة من جهة أنه سبحانه واضح لهذه العبادة الخاصة بهذه الصورة فإنه من أعظم الهداية التي هدى الله إليها هذه الأمة خاصة فإنه اليوم الذي اختلفوا فيه فهدى الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه وذلك أن الله اصطفى من كل جنس نوعاً ومن

كل نوع شخصاً واختاره عناية منه بذلك المختار أو عناية بالغير بسببه وقد يختار من الجنس النوعين والثلاثة وقد يختار من النوع الشخصين والثلاثة والأكثر فاختار من النوع الإنساني المؤمن واختار من المؤمنين الأولياء واختار من الأولياء الأنبياء واختار من الأنبياء الرسل وفضل الرسل بعضهم على بعض ولولا ورود النهي من الرسول ص في قوله لا تفضلوا بين الأنبياء لعينت من هو أفضل الرسل لكن أعلمنا الله أنه فضل بعضهم على بعض فمن وجد نصاً متواتراً فليقف عنده أو كشفاً محققاً عنده ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح فليحكم به إن تعلق حكمه بأفعال الدنيا وإن كان حكمه في الآخرة فلا يجعله في عقده على التعيين وليقل إن كان هذا عن الرسول في نفس الأمر كما وصل إلينا فإننا مؤمن به وبكل ما هو من عند رسول الله ص وعن الله مما علمت ومما لم أعلم فإنه لا ينبغي أن يجعل في العقائد إلا ما يقطع به إن كان من النقل فما ثبت بالتواتر وإن كان من العقل فما ثبت بالدليل العقلي ما لم يقدر فيه نص متواتر فإن قدح فيه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما اعتقد النص وترك الدليل والسبب في ذلك أن الإيمان بالأمر الواردة على لسان الشرع لا يلزم منها أن يكون الأمر الوارده في نفسه على ما يعطيه الإيمان فيعلم العاقل أن الله قد أراد من المكلف أن يؤمن بما جاء به هذا النص المتواتر الذي أفاده التواتر أن النبي ص قاله وإن خالف دليل العقل فيبقى على علمه من حيث ما هو علم ويعلم أن الله لم يرد به بوجود هذا النص أن يعلق الإيمان بذلك المعلوم لأنه يزول عن علمه ويؤمن بهذا النص على مراد الله به فإن أعلمه الحق في كشفه ما هو المراد بذلك النص القادح في معلومه آمن به في موضعه الذي عينه الحق له بالنظر إلى من هو المخصوص بذلك الخطاب ومثل هذا الكشف يجرم علينا إظهاره في العامة لما يؤدي إليه من التشويش فلنشكر الله على ما منحه فهذه مقدمة نافلة في الطريق ولما اختص الله من الشهور شهر رمضان وسماه باسمه تعالى فإن من أسماء الله رمضان كذلك اختص الله من أيام الأسبوع يوم العروبة وهو يوم الجمعة وعرف الأمم أن لله يوماً اختصه من هذه السبعة الأيام وشرفه على سائر أيام الأسبوع ولهذا يغلط من يفضل بينه وبين يوم عرفة ويوم عاشوراء فإن فضل ذلك يرجع إلى مجموع أيام السنة لا إلى أيام الأسبوع ولهذا قد يكون يوم عرفة يوم الجمعة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبداً يوم السبت ولا غيره ففضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء لأمر عرضت إذا وجدت في أي يوم كان من أيام الأسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الأحوال العوارض فتدخل مفاضلة عرفة وعاشوراء في المفاضلة بين الأسباب العارضة الموجبة للفضل في ذلك النوع كما إن رمضان إنما فضله على سائر الشهور في الشهور القمرية لا في الشهور الشمسية فإن أفضل الشهور الشمسية يوم تكون الشمس في برج شرفها وقد يأتي شهر رمضان في كل شهور السنة الشمسية فيشرف ذلك الشهر الشمسي على سائر شهور الشمس بكون رمضان كان فيه وكونه فيه أمر عرض له في سيره فلا يفاضل يوم الجمعة بيوم عرفة ولا غيره ولهذا شرع الغسل فيه لليوم لأنفس الصلاة فإن اتفق أن يغتسل في ذلك اليوم لصلاة الجمعة فلا خلاف بيننا أنه أفضل بلا شك وأرفع للخلاف الواقع بين العلماء فلما ذكر الله شرف هذا اليوم للأمم ولم يعينه وكلمهم الله في العلم به لاجتهادهم فاختلّفوا فيه فقالت النصارى أفضل الأيام والله أعلم هو يوم الأحد لأنه يوم الشمس وهو أول يوم خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما فما ابتدأ فيه الخلق إلا لشرفه

على سائر الأيام فاتخذته عيداً وقالت هذا هو اليوم الذي أراد الله ولم يقل لهم نبيهم في ذلك شيئاً ولا علم لنا هل أعلم الله نبيهم بذلك أم لا فإنه ما ورد بذلك خبر وقالت اليهود بل ذلك يوم السبت فإن الله فرغ من الخلق في يوم العروبة واستراح يوم السبت واستلقى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال أنا الملك قال الله تعالى في مقابلة هذا الكلام وأمثاله وما قد رُوِيَ اللهُ حَقَّ قَدْرَهُ وتزعم اليهود أن هذا مما نزل في التوراة فلانصدقهم في ذلك ولا تكذبهم فقالت اليهود يوم السبت هو اليوم الذي أراد الله بأنه أفضل أيام الأسبوع فاختلفت اليهود والنصارى وجاءت هذه الأمة فجاء جبريل إلى محمد ص بيوم الجمعة في صورة امرأة مجلوة فيها نكته فقال له هذا يوم الجمعة وهذه النكته ساعة فيه لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي إلا غفر الله له فقول النبي ص فهذا ما اختلف فيه أهل الكتاب هو هذا التعريف الإلهي بالمرأة وأضاف الهداية إلى الله وسبب فضله أنه اليوم الذي خلق الله فيه هذه النشأة الإنسانية التي خلق المخلوقات من يوم الأحد إلى يوم الخميس من أجلها فلا بد أن يكون أفضل الأوقات وكان خلقه في تلك الساعة التي ظهرت نكته في المرأة ولما ظهرت نكته في المرأة دل ضرب المثل أنها لا تنتقل كما لا تنتقل تلك النكته التي في المرأة فهي ساعة معينة في علم الله فإن راعينا ضرب ذلك المثل في الحس ولا بد قلنا إن الساعة لا تنتقل كما لا تنتقل في الحس وإن راعينا ضرب المثل بها في الخيال ولا نخرجها بالحمل إلى الحس قلنا تنتقل الساعة في اليوم فإن حكم الخيال للانتقال في الصورة لأنه ليس هو بحسوس فينضبط وإنما هو معنى في صورة جسدية خيالية تشبه صورة حسية وكما إن المعنى الواحد ينتقل في صور ألفاظ كثيرة ولغات مختلفة في زمان واحد أشبه الخيال فتنتقل الساعة في يوم الجمعة وكلا الأمرين سائغ في ذلك ولا يعرف ذلك إلا بإعلام الله وهذه الساعة في يوم الجمعة كليلة القدر في السنة سواء قال تعالى في هذا اليوم أعني في شأنه كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه هذه الآية نزلت في الاختلاف في هذا اليوم فغسل يوم الجمعة من هذا الاختلاف حتى يكون على يقين في طهارته بما كشف الله عن بصيرته وهو علم الساعة التي في هذا اليوم فإن اليوم كان مبهما ثم إن الله عرفنا به على لسان رسوله وبقي الإبهام في الساعة التي فيه فمن علمها في كل جمعة إن كانت تنتقل أو علمها في وقتها المعين إن كانت لا تنتقل فقد صح غسله يوم الجمعة من هذا الجهل الذي كان فيه بها ولهذا ينبغي أن يكون الغسل لليوم فإنه أعم

(وصل في فصل وجوب الجمعة على من خارج المصر)

اختلف الناس في وجوب الجمعة على من خارج المصر فمن قائل لا تجب الجمعة على من خارج المصر ومن قائل أنها تجب على من هو خارج المصر واختلفوا في قدر المسافة فمنهم من قال مسيرة يوم وهو قول شاذ ومنهم من قال ثلاثة أميال ومنهم من قال إن يكون على مسافة يسمع منها النداء غالبا والذي أقول به إذا كان الإنسان على مسافة بحيث إنه إذا سمع النداء يقوم للطهارة فيستطهر ثم يخرج إلى المسجد ويمشي بالسكينة والوقار فإذا وصل وأدرك الصلاة وجبت عليه الجمعة فإن علم أنه لا يلحق الصلاة فلا تجب عليه لأنه ليس بمأمور بالسعي إليها إلا

بعد النداء وأما قبل النداء فلا (وصل الاعتبار في ذلك) الخارج عن الموطن الذي تعطيه معرفة الحق من حيث ما هو أمر بها من دليل من عرف نفسه عرف ربه وهو الارتباط بالمعرفتين فلا يخلو أن يكون خروجه إلى معرفة ربه من حيث ما هو واجب الوجود أو يكون خارجا إلى حضرة الخيرة والوقوف أو الكثرة فإن كان خارجا إلى حكم معرفة كونه واجب الوجود لنفسه لا تجب عليه الجمعة وإن كان خروجه إلى ما سوى هذا وجبت عليه الجمعة بلا شك

(وصل في فصل الساعات التي وردت في فضل الرواح إلى الجمعة)

فمن قائل هي الساعات المعروفة من أول النهار ومن قائل هي أجزاء ساعة واحدة قبل الزوال وبعده والذي أقول به إنها أجزاء من وقت النداء الأول إلى أن يتدبى الإمام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الأجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع (وصل الاعتبار في ذلك) السعي سعيان سعى مندوب إليه وهو من أول النهار إلى وقت النداء وسعى واجب وهو من وقت النداء إلى أن يدرك الإمام رآكها من الركعة الثانية والأجر الموقت للساعي إلى أول الخطبة وما بعد ذلك فاجر غير موقت لأنه لم يرد في ذلك شرع فأما الأجر الموقت فهو من بدنة إلى بيضة وبينهما بقرة وهي تلي البدنة ويلبها كبش وتلي الكبش دجاجة والبيضة تأتي بعد الدجاجة آخرا وليس بعدها أجر موقت ولما كانت البيضة من الدجاجة وفيها تتكون الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبض لهذا قرن البيضة مع الحيوان في توقيت القرية وقصد من الحيوانات في التمثيل ما يؤكل لحمه دائما غالبا مما لا خلاف في أكله وبه تعظم قوة الحياة في الشخص المتغذي فكان المتقرب به تقرب بجياته والتقريب بالنفس إلى الله أسنى القربات ألا ترى الشهداء في سبيل الله لما تقربوا بأنفسهم إلى الله في قتال أعداء الله كانت لهم الحياة الدائمة والرزق الدائم والفرح بما أعطاهم الله فلا يقال في الشهداء أموات لنهي الله عن ذلك لأن الله أخذ بأبصار الخلق عن إدراك حياتهم كما أخذ بأبصارهم عن إدراك الملائكة والجن مع معرفتنا أنهم معنا حضور ولا نعتقد أيضا في الشهداء أنهم أموات بقوله وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ وَخَيْرٌ اللَّهُ صَدَقَ فثبتت لهم الحياة لما قصدوا القرية إلى الله بنفوسهم (حكى عن بعض شباب الصالحين) أنه كان بمنى يوم النحر وكان فقيرا متجردا لا يقدر على شيء من الدنيا فنظر إلى الناس يتقربون إلى الله بنحر بدنهم وبالبقرة والغنم وما قدروا عليه من الحيوان فقال الشاب إلهي إن الناس قد تقربوا إليك في هذا اليوم بما وصلت أيديهم إليه مما أنعمت به عليهم وما لعبدك المسكين شيء يتقرب به إليك في هذا اليوم سوى نفسه فأقبلها فما فرغ من كلامه حتى فارق الدنيا فقبضه الله قبض الشهداء سبيل الله ولنا بيت من قصيدة في هذا المعنى

وأهدى من القربان نفسا معيبة وهل رىء خلق بالعيوب تقربا

وفي مثل هذا يقول بعضهم وقد رأى بمنى مثل ما رآه هذا الشاب من الحاج فأشد

تهدي الأضحى وأهدى مهجتي ودمي

(وصل في فصل البيع وقت النداء للصلاة من يوم الجمعة)

اختلفوا في البيع في وقت النداء فمن قائل يفسخ ومن قائل لا يفسخ قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ فَأَمَرَ بِتَرْكِ الْبَيْعِ فِي هَذَا الْوَقْتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَقَالَ عَنِ الْجِهَادِ إِنَّهُ جِهَادُ النَّفْسِ وَهُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ وَقَالَ تَعَالَىٰ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَا تَكْفُرُوا مِنْهُمْ إِنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَلِي الْإِنْسَانَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَجِهَادُ النَّفْسِ أَكْبَرُ مِنْ جِهَادِ الْعَدُوِّ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْرُجُ إِلَىٰ جِهَادِ الْعَدُوِّ إِلَّا بَعْدَ جِهَادِهِ لِنَفْسِهِ وَجِهَادُ الْعَدُوِّ قَدْ يَقَعُ مِنَ الْعَبْدِ لِلرِّبَاةِ وَالسَّمْعَةِ وَالْحَمِيَةِ وَجِهَادُ النَّفْسِ أَمْرٌ بَاطِنٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ كَالصَّوْمِ فِي الْأَعْمَالِ وَأَحَقُّ بِبَيْعِ النَّفْسِ مِنَ اللَّهِ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَيَتْرَكَ جَمِيعَ أَغْرَاضِهِ وَمُرَادَاتِهِ وَيَأْتِي إِلَىٰ مِثْلِ هَذَا السُّوقِ فَيَبِيعُ مِنَ اللَّهِ نَفْسَهُ وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْعِ لَا يَفْسَخُ هَذَا مَذْهَبٌ مِنْ يَقُولُ بَعْدَ الْفَسْخِ وَمَنْ يَقُولُ بِالْفَسْخِ اعْتِبَارَهُ هُوَ أَنْ يَقُولَ جَمِيعُ أَعْمَالِ الْعِبَادَاتِ أَضَافَهَا إِلَىٰ الْعِبَادَاتِ إِلَّا عِبَادَتَيْنِ الْعِبَادَةَ الْوَاحِدَةَ الصَّوْمِ فَأَضَافَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا صِفَةُ صَمْدَانِيَّةٍ سَلْبِيَّةٍ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ لَا مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ لَهَا وَكُلُّ مَا عَدَا ذَلِكَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ مَتَعَدٌّ بِالْغَدَاءِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ مِمَّا يَكُونُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بَقَاءً ذَلِكَ الْمَتَعَدِّي وَالْعِبَادَةُ الثَّانِيَةُ الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ قَالَ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي بِنِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا يَمْلِكُهُ الْعَبْدُ فَإِنَّهُ أَضَافَ نِصْفَ الصَّلَاةِ إِلَىٰ نَفْسِهِ تَعَالَىٰ وَأَضَافَ نِصْفُهَا إِلَىٰ عَبْدِهِ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ عَبْدُهُ فَهُوَ مَالِكٌ لِمَا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَهُوَ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ مَا أَضَافَهُ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ غَيْرَ مَمْلُوكٍ فَقَالَ بِفَسْخِ الْبَيْعِ وَمَعْنَىٰ فَسْخِ الْبَيْعِ أَنَّهُ لَا يُضَيَّفُ إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَا هُوَ مُضَافٌ إِلَيْهِ فَإِنْ فِي ذَلِكَ مَنَازَعَةُ الْحَقِّ حَيْثُ أَضَافَ أَمْرًا إِلَيْكَ فَرددته أنت عليه وهذا سوء أدب فأبي مصل رد على الله هذا النصف الثاني الذي أضافه إلى العبد وملكه إياه في حال الصلاة فهو بيع مفسوخ ولهذا قال تعالى في هذا الحال وَذَرُوا الْبَيْعَ يَقُولُ مَرَادِي مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يَكُونَ نِصْفُ الصَّلَاةِ لَكُمْ فَالْمَوْفُوقُ هُوَ الَّذِي يَتَأَدَّبُ مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ

(وصل بل فصل في آداب الجمعة)

اعلم أن آداب الجمعة ثلاثة وهو الطيب والسواك والزينة وهو اللباس الحسن ولا خلاف فيه بين أحد من العلماء (وصل الاعتبار في ذلك) أما الطيب فهو علم الأنفاس الرحمانية وهو كل ما يرد من الحق مما تطيب به المعاملة بين الله وبين عبده في الحال والقول والفعل وأما السواك فهو كل شيء يتطهر به لسان القلب من الذكر القرآني وهو أتم الطهارة وكل ما يرضي الله فإنه تنبعث من هذه أوصافه روائح طيبة إلهية يشمها أهل الروائح من المكاشفين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في السواك إنه مطهرة للفهم ومرضاة للرب وإن السواك يرفع الحجب بين الله وبين عبده فيشاهده فإنه يتضمن صفتين عظيمتين الطهور ورضي الله وقد أشار إلى هذا المعنى الخبر في قوله صلى الله عليه وسلم صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك وفي سواك إشارة للمصلين برهبهم لأنفسهم وقد ورد أن الله سبعين حجبا فناسب بين ما ذكرته لك وبين هذه الأخبار تبصر عجائب وأما اللباس الحسن فهو التقوى قال تعالى وَلباسُ التقوى ذلك خير أي هو خير لباس وقال خُذُوا زِينَتَكُمْ

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَلَا تَقْوَىٰ أَقْوَىٰ مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَصْلِيَّ مَنَاجٍ مُّشَاهِدٍ وَهَذَا قَالَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَقَالَ لِعَبْدِهِ قُلْ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَقَدِ أَقَامَ الصَّبْرَ وَالصَّلَاةَ مَقَامَ نَفْسِهِ فِي الْمَعُونَةِ فَكُلُّ مَصْلٍ يَتَحَدَّثُ فِي صَلَاتِهِ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ فَمَا هُوَ الْمَصْلِيُّ الَّذِي يَنَاجِي رَبَّهُ وَلَا يَشَاهِدُهُ فَإِنَّ حَالَ الْمَنَاجَاةِ وَالشُّهُودِ لَا يَجْرَأُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ يَقْرُبُ مِنْ عِبْدٍ تَكُونُ حَالَتُهُ هَذِهِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَهَذَا الْمَصْلِيُّ قَلِيلٌ فَهُوَ مَصْلٌ بِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ مِنْ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ غَيْرِ مَصْلٍ بِبَاطِنِهِ الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ وَلَكِنْ نَرْجُو فِي هَذَا الْمَوْطِنِ أَنْ يَشْفَعَ ظَاهِرُهُ فِي بَاطِنِهِ كَمَا يَشْفَعُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بَاطِنُهُ فِي ظَاهِرِهِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي الْبَاطِنِ حُضُورٌ تَثَبَّتْ بِهِ وَنَظَرٌ عِنَهَا وَإِلَّا فَمَا تَكُونُ وَلَا يَظْهَرُ لَهَا وَجُودٌ فَذَلِكَ الْقَدْرُ مِنَ الْحُضُورِ الْمَرْعَى شَرْعًا هُوَ مِنَ الْبَاطِنِ فَيَتَأَيَّدُ مَعَ الْفِعْلِ الظَّاهِرِ فَيَقْوِي عَلَى مَا يَقَعُ لِلْمَصْلِيِّ مِنَ الْوَسُوسَةِ فِي الصَّلَاةِ فَلَا يَكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي نَقْصِ نَشْأَةِ الصَّلَاةِ عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَمَا كَانَ الْبَاسُ الْحَسَنُ مِنَ الزِينَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ زِينَةً يَلْبَسُهَا الْعَبْدُ فِي مَنَاجَاةِ رَبِّهِ مِنْ زِينَتِهِ بِالْعِبُودِيَّةِ وَالزِينَةُ الْأُخْرَى الزِينَةُ بِرَبِّهِ فِي قَوْلِهِ كُنْتُ سَمِعُهُ وَبَصْرُهُ وَيَدُهُ وَرِجْلُهُ وَلِسَانُهُ فَأَثَبْتُ الْعَبْدَ بِالضَّمِيرِ وَزِينَتُهُ بِهِ تَعَالَى فِي عِبَادَاتِهِ كَلَّمَا انْتَهَى الْجُزْءُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

(وصول بل فصول صلاة السفر والجمع والقصر)

السفر يؤثر في الصلاة القصر بانفراق وفي الجمع باختلاف أما القصر فإن العلماء انفقوا على جواز قصر الصلاة للمسافر إلا عائشة فإنها قالت لا يجوز القصر إلا للخائف لقوله عز وجل إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُقَاتِلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا قَصَرَ لِأَنَّهُ كَانَ خَافًا وَاخْتَلَفُوا مِنْ ذَلِكَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ أَنَا أَذْكَرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (وصل الاعتبار في ذلك) قد بينا لك في هذا الباب أن السفر حال لازم لكل ما سوى الله في الحقائق الإلهية بل لكل من يتصف بالوجود وهو سفر الأَكْبَرِ مِنَ الرِّجَالِ تَخَلُّقًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى يَسْأَلُهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ وَحَدِيثُ النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ فِي الثَّلَاثِ الْبَاقِي مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ الْإِدْلَاجُ عِنْدَ الْعَرَبِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ فَسَفَرُ الْأَكْبَرِ مِنَ الرِّجَالِ بِالْعِلْمِ وَالتَّحْقُوقِ وَسَفَرُ فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ بِالتَّخَلُّقِ وَهُوَ سَفَرُ حَالِهِ نَازِلٌ عَنِ الْحَالِ الْأَوَّلِ وَسَفَرُ ثَالِثٌ فِي الْأَكْوَانِ بِالْإِعْتِبَارِ وَهُوَ حَالُ دُونَ الْحَالَيْنِ وَسَفَرٌ جَامِعٌ لِهَذِهِ الْأَسْفَارِ كُلِّهَا فِي أَحْوَالِهَا وَهُوَ أَعْظَمُ أَسْفَارِ الْكُونِ وَالْأَوَّلُ أَعْظَمُ الْأَسْفَارِ وَأَجْلُهَا فَإِذَا دَعَا الْحَقُّ الْمَسَافِرَ لِلصَّلَاةِ قَصَرَ عَنِ صَلَاةِ الْمَقِيمِ لِمَوْضِعِ الْفَرْقِ فَكَمَا تَمَيَّزَ الْمَقِيمُ مِنَ الْمَسَافِرِ وَحَالُ الْإِقَامَةِ مِنْ حَالِ السَّفَرِ تَمَيَّزَ حُكْمُ صَلَاةِ الْمَقِيمِ مِنْ حُكْمِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِ وَأَمَّا قَوْلُ عَائِشَةَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ فِي الْخَوْفِ فَإِنَّ الْعَبْدَ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ بِمِرَاقِبَةِ الْحَقِّ فِي حُكْمِهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ النَّفْسِ بِمَا شَرَعَ لَهُ تَعَالَى فِيهِ خَاصَّةً وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَقْدِرُ عَلَى مِرَاعَاةِ هَذَا الْمَقَامِ مَعَ الْحَقِّ فَلَا يَزَالُ فِي خَوْفٍ دَائِمًا فَالْعَارِفُ إِذَا حَصَلَ فِيهِ وَخَافَ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْهِ مَنَاجَاةَ الْحَقِّ فِي الْأَنْفَاسِ اقْتَصَرَ مِنَ الْمَنَاجَاةِ عَلَى مَا يَخْتَصُّ بِذَلِكَ النَّفْسِ فَكَانَ الْخَوْفُ سَبَبًا لِلْقَصْرِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ وَسَيَأْتِي تَحْقِيقَ مَا أَوْمَأْنَا إِلَيْهِ فِيمَا بَعْدَ وَمَا قُلْنَا إِنْ الْعُلَمَاءُ اخْتَلَفُوا مِنْ ذَلِكَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ تَعَيَّنَ عَلَيْنَا إِنْ نَذَرْنَا وَأَعْتَبَرْنَا بِهَا مَوْضِعًا مَوْضِعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا فِي عِبَادَاتِ هَذَا الْكِتَابِ

(وصل في فصل الموضوع الأول من الخمسة)

وهو حكم القصر اختلف علما الشريعة في ذلك على أربعة أقوال فمن قائل إن القصر للمسافر فرض متعين وبه أقول ومن قائل إن القصر والإتمام كليهما فرض مخير له كالحيار في واجب الكفارة ومن قائل إن القصر سنة ومن قائل إن القصر رخصة والإتمام أفضل (وصل الاعتبار في ذلك) من رأى أن التمكين في التلويح إقامة قال الإتمام أفضل ومن راعى التلويح مع الأنفاس سواء كان مشعورا به أو غير مشعور به قال إن القصر فرض متعين ومن راعى التلويح والتمكين خيره في القصر والإتمام بحسب صاحب الوقت وحاكمه فإن كان صاحب الوقت التلويح بالحال والتمكين بالعلم قصر وإن كان صاحب الوقت التمكين بالحال والتلويح بالعلم أتم ومن لم يراع التلويح ولا التمكين وكان بحكم الطريق لا بحكم السالك فيه قال إن القصر سنة

(وصل في فصل الموضوع الثاني من الخمسة المواضع)

وهي المسافة التي يجوز فيها القصر اختلف العلماء في ذلك فمن قائل في أربعة برد ومن قائل مسافة ثلاثة أيام ومن قائل في كل سفر قريبا كان أو بعيدا وبه أقول فإنني أعتبر فيها مسمى السفر باللسان (وصل الاعتبار) في ذلك البريد اثنا عشر ميلا وما كانت المسافة تطلب المقدار بذاتها والعدد يلزم المقادير وكانت مراتب العدد اثنتي عشرة مرتبة لا يزداد عليها ولا ينقص وهي واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف هذه بسائط الأعداد وما زاد عليها فمركب منها فإذا مشى الإنسان في طريق الله في الأربعة الأركان التي قامت منها نشأته وهي أخلاطه يقطع كل ركن بهذه الاثني عشرة وأما الأكابر فيقطعونها في الأربعة الأسماء الإلهية التي هي أمهات الأسماء كلها وعلينا توقف وجود العالم وهو الحي العالم المرشد القادر لا غير وبهذه الأسماء يثبت كونه لها فإذا نظر العبد في هذه الأربعة مع الأربعة التي له كانت ثمانية ونظر إلى نفسه وعقله فكانت العشرة ونظر إلى توحيد ذاته وتوحيد الوهيمه كانت اثنتي عشرة وتم البريد فنظر هذا أيضا في أربع المراتب وهو قوله **الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** حقا وخلقا وصرف في كل حال من هذه الأحوال الاثني عشر تثبت بذلك أربعة برد فيقصر لها الصلاة وأما الثلاثة الأيام فيوم كما قال أبو يزيد حين سئل عن الزهد فقال هو هين ما كنت زاهدا سوى ثلاثة أيام اليوم الواحد زهدت في الدنيا واليوم الثاني زهدت في الآخرة واليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله ومن كانت هذه حاله قصر صلاته فإنه قد سافر أكمل الأسفار بلا خلاف وأما القصر في مسافة ينطلق عليها اسم سفر ولا بد في اللسان ولا يراعى البعد ولا القرب فهو الذي يراعى عالمه المكلفين فمن سافر منهم قصر فإذا سافر الإنسان ببصره للاعتبار قصر وإن سافر بسمعه أيضا قصر وإن سافر بفكره في المعقولات قصر و صورة قصره قصور نظره على ما يعطيه حاله في وقته فإن أعطاه الكل كان بحسبه وإن أعطاه البعض كان بحسبه وهذا هو مذهب الجماعة وعليه عولوا

(وصل في فصل الموضوع الثالث من الخمسة المواضع)

وهو اختلافهم في نوع السفر الذي تقصر فيه الصلاة فمن قائل إن ذلك مقصور على سفر الطاعات والأفعال المقررة إلى الله من قائل بهذا و بالسفر المباح أي ذلك كان ومن قائل بكل سفر مما يسمى سفرا قرينة كان أو مباحا أو معصية وبه أقول (وصل الاعتبار في ذلك) قال تعالى وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هذا في الأعيان وقال في الأحوال وقال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وقال الْإِلَهِيُّ اللَّهُ تَصِيرُ الْأُمُورُ وقال ما من دَائَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا فهذه الآيات كلها وأمثالها تدل على سفر الإنسان إلى الله فيقصر فإن الله هو الغاية لكل مسافر سواء سافر منه أو من كون نفسه أو كون من الأكوان وفيه أو في أسماء ربه والحق سبحانه غاية الطريق قصدت الطرق أو لم تقصد فما هو غاية قصد السالك فإن السالك مقيد القصد ولا بد والله لا يتقيد إلا بالإطلاق فإن الإطلاق تقييد فلهذا أمرنا بالتقصير في كل ما ينطلق عليه اسم سفر قرينة كان أو مباحا أو معصية ومن راعى أو كان مشهده قوله تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ وقوله وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ لِمْ يَرِ التَّقْصِيرُ إِلَّا فِي سَفَرِ الطَّاعَةِ أَوْ فِي سَفَرِ الْمَبَاحِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ قَرِينَةٌ إِلَى اللَّهِ سَعَادِيَّةٌ وَالْمَذْهَبَ الْأَوَّلَ أَوْلَى فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَمْ يَثْبُتْ كَوْنُهَا مَعْصِيَةً عِنْدَ هَذَا الْمَسَافِرِ فِيهَا إِلَّا بِكَوْنِهِ مُؤْمِنًا أَوْ عَلَى مَذْهَبِ خَاصٍ بِالْمُؤْمِنِ بِهَا أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ فَهُوَ مَنْ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهُوَ مَسَافِرٌ فَلَا يَمْنَعِي نَرَاعِي حَكْمَ الْمَعْصِيَةِ فَتَقُولُ بِأَنَّهُ لَا يَقْصُرُ بِكَوْنِهِ سَافِرٌ فِي غَيْرِ مَا يَرْضَى اللَّهُ وَغَابَ صَاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ عَنِ حَكْمِ الْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ مِنْ هَذَا الْمَسَافِرِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِأَنَّهَا مَعْصِيَةٌ فَهُوَ فِي طَاعَةِ فَإِنَّهُ قَدْ أَرْضَى الرَّبَّ سَبْحَانَهُ مِنْ كَوْنِهِ مُؤْمِنًا بِأَنَّهَا مَعْصِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي حَكْمِهِ أَقْوَمُ مِنَ الْفِعْلِ الْمَعِينِ الْمَسْمُومِ مَعْصِيَةً فَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَحْكُمَ لَهُ بِجَوَازِ الْقَصْرِ وَهُوَ مَسَافِرٌ بِإِيمَانِهِ بِهَا فِي طَاعَةِ أَيْضًا وَالْحَسَنَةُ بَعْشَرُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدٌ إِنْ يُكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ كَيْفَ إِنْ كَانُوا مَائَتِينَ وَالْمَعْصِيَةُ فِي عَشْرِينَ وَالْآيَاتُ الَّتِي أَحْتَجُّ بِهَا مِنْ تَعْيِينِ الصَّرَاطِ وَالْحُجَّةِ إِنَّمَا ذَلِكَ فِيمَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَمَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَمَا هُوَ مَخَاطَبٌ بِتَمَامٍ وَلَا يَقْصُرُ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَ مَخَاطِبًا بِالْجُمْلَةِ فَمَذْهَبُنَا أَوْلَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ

(وصل في فصل الموضوع الرابع من الخمسة المواضع)

وهو الموضوع الذي منه يبدأ المسافر بالقصر قال بعض العلماء لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية ولا يتم حتى يدخل أول بيوتها ومن قائل لا يقصر إذا كانت قرية جامعة حتى يكون منها بنحو ثلاثة أميال (وصل الاعتبار في ذلك) الإنسان جسم وروح فما دام روح الإنسان مستوطنًا في جسمه وعالم حسه يجري بحكم طبيعته فهو مقيم غير مسافر فيتم صلاته فإذا سافر الروح عن جسمه وتركه وراء مجال فناء فقد غاب عنه في أول قدم وإذا غاب عنه فسنته القصر في الصلاة ومعنى القصر هنا ما يختص به الروح من حكم الصلاة من كونه روحًا لا من كونه مدبر الجسم فإنه في هذه الحال غائب عن جسمه فلا يبقى عليه من حكم الصلاة إلا ما يختص به ومن راعى كون جسميته ذات ثلاث شعب وهو ما يحويه من الطول والعرض والعمق وهو سار في كل مسمى بالجسم إلا في مذهب المتكلمين فإن الجسم عندهم طول بلا عرض يعني أقل جسم وفي مذهب غيرهم ثمانية جواهر هي أقل الأجسام فإنه جمع بين الطول من كونه جوهريًا والعرض من كونه أربعة جواهر وهو

السطح والعمق من كونه ثمانية جواهر وهو سطحان وأربعة خطوط وسواء كان عند هذا الروح جسمه الخاص به أو انتقل عن جسمه في غيبته المدبر له إلى جسم آخر طبيعي يشاهده فما زال من حكم الجسمية فلا يقصر حتى يغيب عنها بالكلية ويتجرد عن مشاهدة الجسمية ويبقى روحا فحينئذ يتبدى بصلاته الخاصة به وهو القصر فهذا اعتبار صاحب الثلاثة الأيام والقرية الجامعة وهي الجسمية الشاملة لجسمه ولجسم غيره فإن من أصحابنا من يقول إنه من انتقل في غيبته من صورة حسه إلى صورة محسوسه فلا يسمى غائبا كانت تلك الصورة ما كانت روحانية أو أسمائية أو معنوية أو جسمية مهما تجلت له في الصور الجسمية فهو مقيم في الجسم فوجب عليه الإتمام في الصلاة التي يدخلها القصر والإتمام وهي الرابعة فإن الثنائية وهي الصبح لا يدخلها القصر فإن الركعة الواحدة لوحداية الحق والركعة الثانية لوحداية العبد فلا بد من وصل ومصلى له فلا قصر في صلاة الصبح وأما الثلاثية وهي المغرب فإن الركعتين اللتين يجهر فيهما شفعية الإنسان وكونهما يجهر فيما بالقراءة لأنهما نصبتا دليلا على الحق والدليل لا يكون إلا علانية ظاهرا معلوما ودليل بغير مدلول لا يصح فكانت الركعة الثالثة لوجود المدلول وهو الحق وكانت القراءة فيها سرا لكونه غيبا فلا سبيل إلى القصر في المغرب فإنه دليل على العبد وشفعيته وعلى الحق وأحديته فلم يبق القصر إلا في الرابعة لوجود الشفيعتين فيها فألحقت بالصبح لحكم الأحادية في جناب الحق وجناب العبد وهو قول من قال

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فما قال اثنان ولا قال شيئا فاعتبر أحادية كل شيء من كونه شيئا ومن كونه آية على أحادية الحق حتى لا يعرف الواحد إلا بالواحد ولهذا كان يقول الحسن بن هانئ شاعر وقته وددت أن هذا البيت الواحد لي يجمع شعري ثم عمل في معناه وما جاء مثله ولا أعطى من حسن مساق المعنى ما أعطاه هذا البيت وخرج عن علمي في هذا الوقت ما عمله الحسن ولو كان في حفظي في هذا الوقت لسقته في هذا الموضوع حتى يعرف فضل هذا البيت وأنه في الكلام المعجز وما أظن وقع لقائله وهو أبو العتاهية إلا بحكم الاتفاق

(وصل في فصل الموضوع الخامس من الخمسة المواضع)

وهو اختلافهم في الزمان الذي يجوز للمسافر إذا أقام فيه في بلد أن يقصر حكى أبو عمر بن عبد البر في هذه المسألة أحد عشر قولاً ما حضرني في هذا الوقت فلينظرها في كنبه من أراد أن يقف عليها فلنذكر منها ما تيسر على ذكرني فمن قائل إذا أزمع المسافر على إقامة أربعة أيام أتم وقال غيره خمسة عشر يوماً وقال غيره عشرين يوماً وقال غيره إذا أزمع على أكثر من أربعة أيام والأولى عندي في هذه المسألة أن ينظر في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة إلى أن رجع إلى المدينة فإنه كان يقصر في تلك المدة (وصل في الاعتبار في ذلك) إذا قام السالك في المقام بنية الإقامة فيه أتم من نفسين إلى عشرين نفساً فإن يوم العارف نفسه المكمل الإلهي وإن كان في كل نفس يطلب الترقى فيمسكه الله فيه فلا يعطيه حكمه ما مشى به في أنفاسه ولم يشعر بها إلا أن نيته الرحلة في كل نفس فهو يقصر دائماً عمره كله فهو بمنزلة من يتعرض للفتح فلا يفتح له ويجمع له إلى أن يموت فيرى عند موته ما أخفي له فيه من قرّة أعين فيعلم عند ذلك أنه كان مسافراً ولم يشعر لكونه ما

فتح له في حياته الأولى ولا شاهد ما شاهد غيره من السائرين إلى الله

(وصل في فصول الجمع بين الصلاتين)

اتفق العلماء كلهم على الجمع بين الظهر والعصر في أول الظهر يوم عرفة بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب إلى وقت العشاء بالمزدلفة و اختلفوا فيما عدا هذين المكانين فذهب أكثر الناس إلى الجمع بينهما في المواضع التي يجوز الجمع والأحوال ومنع بعضهم ذلك بإطلاق فيما عدا موضع الاتفاق وأما الذي أذهب إليه فإن الأوقات قد ثبتت بلا خلاف فلا نخرج صلاة عن وقتها إلا بنص غير محتمل إذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بأمر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة من العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل وتكلم فيه مع احتماله أو صحيح لكنه ليس بنص وأما إن أخر صلاة الظهر إلى الوقت المشترك فجمع على هذا الحد وكذلك في المغرب مع العشاء فقد صلى كل صلاة في وقتها وهو الصحيح الذي يعول عليه فإن الحديث الثابت الذي هو نص هو حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفره إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يصلها مع العصر فهو محتمل كما ذكرناه وإذا ارتحل بعد أن تزيغ الشمس صلى الظهر وحده ثم ركب ولم يكن يقدم العصر إليها لأنه ليس وقتها باتفاق فيقوي بهذا احتمال التأخير أنه صلى الظهر في آخر وقتها وأوقع بعضها في الوقت المشترك وهو الذي يصلح لإيقاع الصلاتين معا إلا أنه لا يتسع فيصلي من الظهر ثلاث ركعات فيه أو ما نقص عن ذلك ويصلي من العصر فيه بقدر ما أبقى من الوقت المشترك وهذا هو الأولى والأحوط (وصل الاعتبار في ذلك) الجمع في المعرفة بلا خلاف في توحيد الله في الوهته وهو أن لا إله إلا هو ولا يعرف هذا إلا بعد معرفة المألوه فهو الجمع بين المعرفتين بالاتفاق وهذا هو جمع عرفة وأما جمع المزدلفة فهو موضع القرية وهو موضع جمع فحكم اسم الموضوع على من حل فيه بالجمع ألا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكبره إلا باذنه فجعل الحكم والإمامة لصاحب المنزل وهذا المنزل يسمى جمعا فالإمامة له والحكم فجمع فيه بين الصلاتين لما تعطيه حقيقته بالاتفاق أيضا وجمع النبي صلى الله عليه وسلم في هاتين بين التقدم والتأخر ولا واسطة بينهما في هذا الموضوع حتى تكمل مراتب الأشياء لأجل أهل القياس فإن الله قد علم من عباده أنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذون القياس أصلا فيما لا يجدون فيه نصا من كتاب ولا سنة ولا إجماع فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمع في هذا اليوم بتقديم صلاة العصر وتأخير صلاة المغرب ليقبس مثبوت القياس التأخير لهذا التأخير والتقديم ولهذا التقديم وقد قرر الشارع حكم المجتهد أنه حكم مشروع فإثبات المجتهد القياس أصلا في الشرع بما أعطاه دليله ونظيره واجتهاده حكم شرعي لا ينبغي يرد عليه من ليس القياس من مذهبه وإن كان لا يقول به فإن الشارع قد قرره حكما في حق من أعطاه اجتهاده ذلك فمن تعرض للرد عليه فقد تعرض للرد على حكم قد أثبت الشارع وكذلك صاحب القياس إن رد على حكم الظاهري في استمسائه بالظاهر الذي أعطاه اجتهاده فقد رد أيضا حكما قرره الشارع فليزوم كل مجتهد ما أذاه إليه اجتهاده ولا يتعرض إلى تحطئة من خالفه فإن ذلك سوء أدب مع الشارع ولا ينبغي لعلماء الشريعة أن يسيئوا الأدب مع الشرع فيما قرره

(وصل في فصل صورة الجمع)

اختلف القائلون في صورة الجمع في السفر فمنهم من رأى أن تؤخر الصلاة الأولى وتصلي مع الثانية ومنهم من رأى أن تقدم الأخرى إلى الأولى إن شاء وأن يؤخر الأولى إلى الآخرة إن شاء فمن راعى تأخير الأولى فاعتباره المعرفة بالله فإن كان ولا شيء معه وإن العالم متأخر عن وجود الحق بالوجود فإن وجوده مستفاد من وجود الحق فلما أردنا المعرفة به من كونه إلهًا للعالم أخرناه في المعرفة إلى وقت معرفتنا بنا فلما عرفنا أنفسنا عرفنا ربنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فصلينا الأولى في وقت الثانية ومن راعى الوجود في الاعتبار قدم الآخرة إلى الأولى وجعل وجود عين العبد هو وجود الحق فالحق العالم بالله فعلمه من الله وعلم الله بالله ومن راعى الأمرين معا في الاعتبار قدم إن شاء وأخر إن شاء ولكل طريقة طائفة والكمال منا من عرف كل طريقة وكل طائفة وكان فيها خارجا عنها وهم الأكابر من الرجال (فصل) ومن الفصول المبيحة للجمع السفر بالاتفاق من القائلين به واختلفوا في الجمع في الحضر وفي شروط السفر المبيح له فمنهم من جعل السفر نفسه مبيحا للجمع أي سفر كان وبأي صفة كان ومنهم من اشترط فيه ضربا من السير ونوعا من أنواع السفر في الحديث إذا عجل به السير فجعل العلة في الجمع التعجيل وأما النوع فقد تقدم من سفر القرية والمباح والمعصية (وصل في الاعتبار في ذلك) لا يصح الجمع بين الصلاتين إلا فيما ذكرناه في عرفة وجمع وأما السفر على الحقيقة وهو سفر الأنفاس فلا يصح فيه الجمع إذا كان الجمع عبارة عن إخراج إحدى الصلاتين عن وقتها وما قال به في طريقنا بالاعتبار إلا من لا معرفة له بالذوق في ذلك ولو جعل صاحب هذا القول بالله من حركاته الظاهرة ونظره وسمعه وجوارحه لراها في كل زمان تتغير وما عنده خبر لغفلته عن نفسه ولهذا قال الله لنا وفي أنفسكم أفلا تبصرون

(وصل في فصل الجمع في الحضر لغير عذر)

قال ابن عباس في جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين من غير عذر إنه أراد أن لا يخرج أمته وهو موافق لقول الله عز وجل ما (جعل) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وقوله عليه السلام دين الله يسر وقال به جماعة من أهل الظاهر وقال ما عداهم لا يجوز الجمع لغير عذر مبيح للجمع (وصل الاعتبار في ذلك) الجمع لأهل الحجاب رفق بهم في التكليف وجائز لهم لرفع الحرج فإن الحرج في العبادة هو تضعيف التكليف فإن العمل في نفسه كلفة فإذا انضافت إليه المشقة كان تكليفا على تكليف وأما أهل المشاهدة فلا جمع عندهم إلا بجمع وعرفة وما عدا دينك فلا

(وصل في فصل الجمع في الحضر بعد المطر)

فأجازه بعضهم ليلا كان أو نهارا ومنعهم بعضهم في النهار وأجازه في الليل وأجازه بعضهم في الطين دون المطر في الليل والذي أذهب إليه أن المصلي إذا كان مذهبه أن الصلاة لا تصح إلا في الجماعة وما عنده جماعة إلا في المسجد فإنه يجمع بين الصلاتين ليلا ونهارا إذا كان في جماعة

وإن كان مذهبه جواز صلاة الفذ مع وجود الجماعة فلا يجوز له الجمع لأن كان في المسجد وجمع الإمام على أي مذهب كان ذلك الإمام إذا كان الإمام مجتهد لا مقلدا إلا أن اليوم تقليد ذلك المجتهد في جميع نواز له كما هم عليه عامة الفقهاء في عصرنا هذا (وصل الاعتبار في ذلك) الجمع للمقيم جائز فإنه محبوب عن شهود سفره فإنه مسافر من حيث لا يشعر في كل نفس باختلاف الأحوال والخواطر وحديث النفس والحركات الظاهرة والباطنة فإذا انضاف إلى ذلك عذر المطر وهو العلم المنزل فهو علم ظاهر الشريعة الذي جاء بالجمع جاز له الجمع لما دل عليه هذا العلم المشروع فينبغي أن لا يعدل عنه فمن راعى الحرج أضاف الطين إليه وأجاز ذلك في صلاة الليل ومن لم يراع الحرج أجاز ذلك ليلا ونهارا ولم يجزه في الطين

(وصل في فصل الجمع في الحضر للمريض)

فمنهم من أباح له الجمع ومنهم من منع وبالأول أقول لحديث ابن عباس الصحيح وقد تقدم ذكره (وصل الاعتبار في ذلك) الكسل مرض النفس فلا يجوز الجمع لمن كان مرضه الكسل وما في معناه فإن كان مرضه استيلاء الأحوال عليه بحيث إنه يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه جاز له الجمع فإن الحال مرض والمقال صحة فالجهلاء من أهل طريقنا يقولون بشرف الحال على العلم لجهلهم بالحال ما هو فالأحوال يستعيز منها الأكابر من الرجال في هذه الدار وهي من أعظم الحجب ولهذا جعلت الطائفة الأحوال مواهب والمقامات مكاسب والدينا عند الأكابر دار كسب لدار حال فإن الكسب يعليك درجة والحال يخسر صاحبه وقته فلا يرتقي به بل هو من بعض نتائج مقامه استعجله في الدنيا ولهذا كانت الأحوال مواهب ولو كانت مكاسب لوقع بها الترقى فشرف الحال في الآخرة لا في الدنيا وشرف العلم والمقام في الدنيا والآخرة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة من العلم فقال له وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ولم يأمره بطلب الزيادة من الحال فلو عرف هذا القائل شرف العلم وكان عنده منه ذوق صحيح لوافق الحق تعالى في الذي شرف العلماء به ولما كان مطرودا من هذه الصفة التي وصف الحق بها نفسه والخواص من ملائكته وعباده ولم يبلغ تلك الدرجة أخذ يحامي عن نفسه بأن جعل الحال أشرف من العلم وهو بحمد الله عرى عن العلم والحال وأما أصحاب الأحوال الإلهية الصحيحة رضي الله عنهم فهم عالمون بشرف العلم على الحال ومطلوبهم العلم فإن الحال يحول بينهم وبين ما خلقوا له فيتبرءون منه ومما يدل على ذلك أن أصحاب الحال وإن سر به فتراه عند الموت يتبرأ منه ويزول عنه ويتمنى أنه لم يكن صاحب حال فالحال ليس بأمر مقرب إلى الله والدنيا محل أسباب التقريب والآخرة محل القربة فيجعل كل صفة تحكم في موضعها فالحال حكمه في الآخرة والعلم حكمه في الدنيا والآخرة وفي كل موطن لأن شرفه هو الأتم

(وصل في فصول صلاة الخوف)

أجمع الناس على إن صلاة الخوف جائزة واختلفوا في صورتها بحسب اختلاف الروايات الواردة فيها من صلواته صلى الله عليه وسلم إياها إلا أبا يوسف فإنه شذ عن الجماعة فقال لا تجوز صلاة الخوف على صورة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام واحد إلا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك خاص به وإنما تصلي صلاة الخوف بإمامين كل إمام يصلي ركعتين بطائفة ما دامت تحرس الأخرى والذي أذهب إليه أن الإمام مخير في الصور التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأي صورة صلاتها أجزأته صلاته وصحت صلاة الجماعة إلا الرواية التي فيها الانتظار بالسلام فإن عندي فيها نظر الكون الإمام يصير فيها تبعا تابعا وقد نصبه الله متبوعا وسبب توقفي في ذلك دون جزم من طريق المعنى فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الإمام أن يصلي بصلاة المريض وأضعف الجماعة والتأويل الذي يحتمله اقتداء أبي بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الطحاوي أن أبا بكر كان هو الإمام في صلاته بالناس وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي فكان الناس يقتدون بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معنى الاقتداء هنا أنه كان يخفف لأجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا التأويل ليس بعيد فقد يكون الإمام في هذه الحالة إماما مؤتمنا ولفظ الإمامة وردت الرواية عن الصحاب لهذا لم يترجح عندي نظر في رواية الانتظار والاختلاف في صور صلاة الخوف معلوم مسطور في كتب الحديث (وصل الاعتبار في ذلك) الحق يكون مع العبد بحسب حال العبد أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأني شيء كان حال العبد كان الحق معه بحسبه يعامله به قال الله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ إِنْ ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَإِنْ ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي مَلَأَ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مَلَأَ فَالْعَبْدُ يَنْزِلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَنْزِلَةَ إِمَامٍ وَالحَالَةُ الأُخْرَى أَنْ يَكُونَ حَالُ الْعَبْدِ مَعَ اللَّهِ عَلَى صُورَةٍ مَا يَكُونُ حَالُ الْحَقِّ مَعَ الْعَبْدِ مِثْلَ قَوْلِهِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فَاهْلُ طَرِيقِ اللَّهِ عَلَى مَا تَقْضِي بِهِ الْحَقَائِقُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنْ حُبَّ الْعَبْدِ لَوْلَا مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ أَوْلَا مَا رَزَقَهُ حُبَّتِهِ وَلَا وَفَقَهُ إِلَيْهَا وَلَا اسْتَعْمَلَهُ فِيهَا وَهَكَذَا جَمِيعٌ مَا يَكُونُ فِيهِ الْعَبْدُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُقْرَبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَذَا الْمَقَامُ يَحْذَرُ أَهْلُ اللَّهِ مِنَ الْغَفْلَةِ فِيهِ فَلهَذَا شَبَهْنَا بِصَلَاةِ الْخَوْفِ

(وصل في فصل صلاة الخائف عند المسابقة)

فمن الناس من قال لا يصلي ومن الناس من قال يصلي بعينيه إيماء والذي أذهب إليه أنه مأمور في ذلك الوقت بالصلاة على قدر ما يمكنه أن يفعلها منها وذلك أن كل حال ما عدا حال المسابقة فهو استعداد للجهاد والقتال ما هو عين الجهاد ولا عين القتال فإذا وقعت المسابقة ذلك هو عين الجهاد والقتال الذي أمر الله عباده بالثبات فيه والاستعانة بالصبر والصلاة فقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ ثُمَّ تَوَعَّدَ مَنْ لَمْ يَثْبُتْ فَقَالَ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ إِلَّا مُسْحَقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُنْحَرِبًا إِلَى قِيَّةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ يَعْنِي إِنْ قَتَلَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَبَسَّ الْمَصِيرُ وَقَالَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَهُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْفِرَارِ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَالصَّلَاةُ فَأَمْرُهُ بِالصَّلَاةِ وَأَنَّهَا مِنَ الْمَأْمُورِ الْمَعِينَةِ لَهُ عَلَى خِذْلَانِ الْعَدُوِّ وَفَجَعَلَهَا مِنْ أَعْمَالِ الْجِهَادِ فَوَجِبَتِ الصَّلَاةُ وَالْفِرَارُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكِبَائِرِ فَأَمْرُهُ بِالصَّبْرِ وَهُوَ الثَّبَاتُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَالصَّلَاةُ فَوَجِبَتِ عَلَيْهِ كَمَا وَجِبَ الصَّبْرُ فَيُصَلِّيهَا عَلَى قَدْرِ الْإِمْكَانِ فَاللَّهُ يَقُولُ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَقَالَ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوتر على الراحلة يومئذ إيماء مع الأمان فأحرى إيقاع الفرض مع الخوف ووجود

الأمن والبشرى أنها من أسباب النصر فيصلي على قدر استطاعته في ذلك الوقت وعلى تلك الحال بحيث أن لا يترك القتال ولا يتوانى فيه
فذلك استطاعة الوقت فإن المكلف بحكم وقته وسواء كان على طهارة أو على غير طهارة والمخالف لهذا ما حقق النظر في أمر الله ولا ما
أراد الله برفع الحرج عن المكلف في دين الله في قوله تعالى ما (جَعَلَ) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وبعد هذا فإني أقول لا يخلو هذا المكلف إذا
كان في هذا الوطن على هذه الحال إما أن يكون مجتهداً أو مقلداً فإن كان من أهل الاجتهاد فلا كلام فإنه يعمل بحسب ما يقتضيه دليله ويحرم
عليه مخالفة دليله وإن كان مقلداً فالأولى به عندنا إن يقلد من قال بجواز الصلاة في حال المسابقة وعلى غير طهارة فيها فإن القرآن يعضده و
لا حجة للمقلد في التخلف عن تقليد من يقول بالصلاة فإنه أبرأ لذمته وأولى في حقه ويكون ممن ذكر الله على كل أحيانه اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وما خصت حالاً من
حال وصل الاعتبار في ذلك حال المسابقة هو حال العبد مع الشيطان في وسواسه وحين توسوس إليه نفسه والله في تلك الحالة أقرب إليه من
حَبْلِ الوَرِيدِ فهو مع قربته في حرب عظيم فإذا نظر العبد في هذه الحال إلى هذا القرب الإلهي منه فإنه يصلي ولا بد من هذه حالته ولو قطع
الصلاة كلها في محاربه فإنه إنما يجاربه بالله فإنه يؤدي الأركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي هو فيه من الحضور مع الله في باطنه في
صلاته كما يؤدي الجاهد الصلاة حال المسابقة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي يستطيعه من الإيماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه
في ظاهره فإن وسوسة الشيطان في ذلك الوقت لم تخرجه عما كلفه الله من أداء ما افترضه عليه وطهارته في وقت الوسوسة عين محاربه
كإسباغ الوضوء على المكاره وإن أخطره الشيطان إذا رأى عزمه في الجهاد في الله أن يقاتل ليقال له رغبة منه وحرصان يحبط عمل هذا
العبد وكان قد أخلص النية أولاً عند شروعه في القتال أنه يقاتل ذاباً عن دين الله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى و
الكافر هنا هو المشرك من جهة الشريك خاصة وإنما قلنا هذا لأن أهل الله يعرفون ما أشرت به إليهم في هذا القول فلا يبالي بهذا الخاطر فإن
الأصل الذي بنى عليه صحيح والأساس قوي وهو النية في أول الشروع فإن عرض الشيطان له بترك ذلك العمل الذي قد شرع فيه على
صحة ووسوس إليه أنه فاسد بما خطر له من الرياء فيرد عليه بقوله تعالى ولا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ فتدفع بهذه الآية الشبهة التي ألقاها إليك من ترك
العمل

(وصل في فصل صلاة المريض)

أجمع العلماء على إن المريض إذا بقي عليه عقل التكليف أنه مخاطب بأداء الصلاة وأنه يسقط عنه منها ما لا يستطيعه من قيام وركوع و
سجود واختلّفوا فيمن استطاع أن يصلي جالساً وفي حياة الجلوس وفي حياة الذي لا يقدر على الجلوس ولا على القيام فأما المصلي جالساً
فقال قوم هو الذي لا يستطيع القيام أصلاً وقال قوم هو الذي يشق عليه القيام من المرض وأما صفة الجلوس فقال قوم يجلس متربعا في الجلوس
الذي هو بدل من القيام وكره ابن مسعود الجلوس متربعا وأما الذي لا يقدر على القيام ولا على الجلوس فقوم قالوا يصلي مضطجعا وقوم قالوا

يصلي كيف تيسر له و قوم قالوا يصلي و رجلاه إلى القبلة و قوم قالوا يصلي على جنب من لا يستطيع الجلوس فإن لم يستطع على جنب صلى مستلقيا و رجلاه إلى القبلة و الذي أذهب إليه و أقول به إن الله قد رفع عن المسلم المكلف الحرج في دين الله و أمره أن يتقي الله ما استطاع فليصل المريض على قدر استطاعته و كما تيسر له و رفع الحرج عنه الذي يضربه في الزيادة من مرضه و لا يترك الصلاة أصلا و لو سقط عن استطاعته الإتيان بجميع الأركان و جميع الشروط المصححة لصلاة الصحيح فإن خطاب الشارع إنما يكلفه على حاله الذي يقدر عليه فإن الله ما كلف نفسا إلا وُسْعَهَا و ما آتاها و خفف عنها أكثر من هذا بقوله تعالى سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا متصلا بقوله تعالى لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا فكَأَنَّهُ يَقُولُ و إن أعطاه و فعلته بمشقة هي عسر في حق المكلف فكان اليسر قوله ما (جَعَلَ) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فما أشد رفقه بعباده (وصل الاعتبار في ذلك) الأمراض ثلاثة أنواع بدنية و نفسية و عقلية لا رابع لها فالبدنية هي التي كما بصددها و هي التي يعرفها علماء الرسوم و الأمراض النفسية الهموم المشتملة على أداء حق لله و وجب عليها و الأمراض العقلية الشبه المضلة القادحة في الأدلة و في الإيمان تحول بين العقل من العاقل و بين صحة الإيمان فأما الأمراض النفسية مع وجود الإيمان فإن الإيمان في هذا المؤمن للنفس بمنزلة وجود العقل للمريض المرض البدني فيؤدي صلاته في مناجاة ربه و مشاهدته كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهز الجيش في الصلاة فإن المؤمن الصادق ما له حديث إلا مع ربه و لا يناجي أحدا من عباد الله دون أن يرى في ذلك مناجاة ربه بحسب ما يليق فصاحب مرض النفس المؤمن يناجي ربه من حيث إيمانه في عين همومه فيكون شغله منه فيه به فلا يبرح في همه و إيمانه بالله يقول له همك هو الله و نظرك فيه إنما هو بالله فإن الله هو الوجود و الموجود و هو المعبود في كل معبود و في كل شيء و هو وجود كل شيء و هو المقصود من كل شيء و هو المترجم عنه كل شيء و هو الظاهر عند ظهور كل شيء و هو الباطن عند فقد كل شيء شيا و هو الأول من كل شيء و هو الآخر من كل شيء فلا نفوت المؤمن عبادة الله في كل وجه و على كل حال فإن الأمراض النفسية لا تقدر في الإيمان و أما الأمراض العقلية فهي القادحة في الإيمان و الإيمان له تعلقان تعلق بوجود الحق و تعلق بتوحيد الحق و أما الإيمان بأحدية الحق من حيث ذاته فذلك من مدارك النظر العقلي عند أهل النظر و عندنا من وجه أفكارنا و أما من جهة الذكر و الكشف فلا و كذلك توحيد الحق يدرك بالإيمان و يدرك بالنظر و لم تتعرض شريعة لأحدية الذات بطريق التنصيص عليها و إن كانت ترد جملة فهذا لا تدخل في سلك الإيمان فإن كان المرض العقلي قد حال بينك و بين صحة الإيمان بوجود الحق فقد حال بينك و بين العلم الضروري فإن العلم بوجود الصانع عند ظهور الصنعة للناظر ضروري و إن لم يعلم حقيقة الصانع و لا ماهيته و لا ما يجب أن يكون عليه و يجوز و يستحيل إلا بعد نظر فكري و إخبار إلهي نبوي فهذا مرض لا طب فيه و من فقد العلم الضروري كان بمنزلة المريض الذي قد استقرغ المرض نفسه بحيث لا يعلم أنه مريض و لا ما هو فيه فيرتفع عنه خطاب الشرع لأنه لا عقل له و أما إذا كان معه الإيمان أو العلم الضروري بوجود الحق الخالق نفى المرض المزبل لصحة التوحيد بأن يقدر فيكون مؤمنا أو ينظر و يستدل فيكون عالما فإن حصل عن نظر و استدلال فمرضه إن لا يقبل من الشارع ما جاء به من صفات الحق القادحة في أحدية الذات مع

صحة توحيد الإله عقلا و شرعا صلى و أقام عبادته مع هذا المرض فإنه نافعه إذ عقله فيه من المرض بحيث أن لا يستطيع إلا هذا القدر الذي ذكرناه من توحيد الله تعالى فإن المؤمن الصحيح الإيمان هو الذي يعبد الله الذي وصفه الشارع و المؤمن المريض في إيمانه هو الذي يعبد الله الذي دل عليه العقل لا غير و قد نبهتكم على أمر يتضمن عذر كل من اعتذر و إذا صح التوحيد فهو المطلوب من كل موجود فكيف إذا انضاف إلى ذلك أداء العبادات المشروعة في الحركات الخارجة و الداخلة

(وصل في فصل الأسباب التي تفسد الصلاة و تقتضي الإعادة)

فاتفقوا على أنه كل من أحل بشرط من شروط صحة الصلاة عمدا أو نسيانا و جبت عليه الإعادة كاستقبال القبلة و الطهارة بذلك أقول إلا أنني أزيد في العمد من غير عذر (الاعتبار) شروط السعادة التوحيد أعني عدم الخلود في النار و شروط النجاة من كل مقام مهلك من مقام الآخرة ما لا تصح النجاة منه إلا بوجوده من غير نظر إلى الرحمة التي وسعت كل فإن قلب العارف أوسع من رحمة الله و إن كان وجوده من رحمة الله فإن رحمة الله يستحيل أن تسع الله فإن الله لا يتصف بأنه مرحوم و قلب العارف بالله يسع الحق كما قال و سعني قلب عبدي المؤمن فرحمة الله وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و قلب العبد العارف يسع الحق و الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و يسع كل شيء فهو الواسع المطلق و العلة في ذلك كون الوجود وجود الحق فتنبه يا غافل عن درك هذه المعائل

(وصل في فصل الحدث الذي يقطع الصلاة هل يقتضي الإعادة أم يبني على ما مضى من صلاته)

فذهب الأكترون إلى أنه لا يبني لا في الحدث و لا في غيره مما يقطع الصلاة إلا في الرعاف فقط و منهم من قال و لا في الرعاف أيضا و من قائل يبني في الأحداث كلها و الذي أقول به إن كل حدث يقطع الصلاة فلا يخلو إما أن يكون من الأحداث التي تنتقض معه الطهارة أو يكون من الأحداث التي تقطع الصلاة و لا تنتقض به الطهارة فإن كان مما يؤثر في الطهارة فإنه لا يبني و إن لم يؤثر فإنه يبني و لكن بشرط أن لا يزيد على ما لا بد من فعله في إزالة ذلك السبب القاطع للصلاة فإن زاد لم يبن و أعاد (وصل الاعتبار في ذلك) القاطع للمناجاة و الحائل بينك و بين المشاهدة هل يؤثر في الدار الآخرة عند الرؤية بحيث أن يكون كالفراق بين الحلبتين أو لا يؤثر و لا تتصل الرؤية و المشاهدة فإن كان القاطع حدثا و هو ما يؤثر في الإيمان فإنه لا يكون ثمرة لما تقدم له قبل هذا الحدث من المناجاة المشروعة فهو بمنزلة الذي لا يبني و إن كان القاطع رؤية سبب و استناد إليه فإنه يجني ثمرة ما تقدم له من المناجاة قبل طرؤه هذا القاطع السببي و هو بمنزلة الذي يبني بلا شك

(وصل في فصل المصلي)

إلى ستره أو إلى غير ستره فيمر بين يديه شيء هل يقطع الصلاة عليه أو لا يقطع فمن قائل لا يقطع الصلاة شيء و من قائل يقطعها المرأة و الكلب و الحمار إذا مر بين يديه أو بينه و بين سترته و الذي أقول به إن المار مأثوم و أن المصلي مأثور بأن يحول بينه و بين المرور و يدفعه ما استطاع فإن لم يفعل و لم يدفعه فالمصلي مأثوم و الصلاة صحيحة بكل وجه و الحد الذي يلزمه دفعه عنه هو حد موضع جبهته في سجوده من الأرض

فإذا حال بينه وبين موضع سجوده فذلك المأمور بأن يدفعه ويقائله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعه ولا قتاله والإثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى بين يديه عند العرب إذ لم يجد الشارع في ذلك شيئاً (الاعتبار في ذلك) الحق قبلة العبد فمن مر بين الله وبين عبده بنفسه لا بربه فوباله يحور عليه وللمصلي الذي هو المناجي أن ينهيه ويرده عن رؤية نفسه في ذلك فإنه مأمور بالنصيحة لله ولرسوله ولعامّة المسلمين ولأئمتهم ولكافة الناس أجمعين فإن تعين عليه موضع النصيحة ولم ينصح كأنثماً والمناجي على حاله صحيح المناجاة على كل حال وإن كان مأثوماً فإن كان المار خاطراً يخطر له في حال صلاته بينه وبين ربه فإن كان في صلاة صحيحة بقلبه فمن المحال أن يمر به خلاف ما هو به بحسب الآية التي يكون فيها أو الذكر أو أما غير ذلك فلا يجد منفذاً وأما إن كان ساهياً عن نفسه ومرت الخواطر فلا يخلو في أول العقد والاستحضار إن كان حاضراً مع ربه فلا يبالي بما يخطر له وصلاته صحيحة فإنه حاضر مع نفسه إنه مناج ربه فإن كان ممن يناجي ربه في كل شيء في حال صلاته كعمر بن الخطاب أو يرى أن كل شيء صادر عن الحق في حال مناجاته بينه وبين ربه كأبي بكر فصلاته في باطنه صحيحاً ذلك الصادر لا يخلو من أن يكون ذا إرادة أو لا يكون فإن لم يكن فلا شيء عليه وإن كان ذا إرادة فلا يخلو ما أن يكون مجبوراً في مروره بين يديه في عين اختياره عنده أو لا يكون إلا مختاراً فالمختار يآثم والمجبور ليس يآثم

(وصل في فصل النفخ في الصلاة)

فقوم كرهوه وقوم أوجبوا منه الإعادة وقوم فرقوا بين أن يسمع أو لا يسمع فاعلم إن راجع ذلك إلى أنه كلام أو ليس بكلام وهو غير حسن بلا خلاف (وصل الاعتبار في ذلك) عيسى عليه السلام حاضر مع ربه في كل حال ولم يقطع نفخه الروح في الطائر حضوره مع ربه ونفخه وقع بإذنه وكيف يؤذن له فيما يحجبه عن حضوره مع ربه وهو مطلوب هو وكل مخلوق أن لا يزال الحق بين أعينهم وفي سرائرهم كما لا يزال بعينه وهو المراقبة في الطرفين فمن اعتبر النفخ بدلاً من كنه جعله كلاماً ومن اعتبره لا بمعنى كنه وإنما اعتبره سبباً لم يجعله كلاماً ويجعل قوله بإذني معمولاً لقوله فيكون طيراً طائراً لا لقوله فننْفُخُ فيها

(وصل في فصل الضحك في الصلاة)

اتفقوا على أنه يقطع الصلاة واخلتفوا في التبسم فمن قائل هو بمنزلة الضحك فقال يقطع الصلاة ومن قائل لا يلحق بالضحك فلا يقطع الصلاة (وصل الاعتبار في ذلك) الضحك للمناجي يقدح في الهيبة والأدب وغير الأديب لا يناجي فإن تبسم لا يخلو ما أن يتبسم من أجل ضحك ربه في نازلة تقع كمثل عجوز موسى عليه السلام وقصة هناد فمن الأدب أن يتبسم العبد في مثل هذه النوازل لضحك الحق وأما إن كان في نازلة تعطي التبسم لنفسه فتبسم فإنه سبب الأذى فلا يصلح للحضور وبحال بينه وبين الحضور فيستأنف التوبة والعمل فهو بمنزلة من يقول إن التبسم يقطع الصلاة

(وصل في فصل صلاة الحاقن)

فمن قائل تبطل صلاته ويعيد و من قائل بالكراهة والذي أذهب إليه أن النهي لا يدل على فساد المنهي وإنما يدل على تأثيم فاعله فقط فتكون صلاة الحاقن جائزة وهو مأثوم كالمصلي في الدار المغصوبة (وصل الاعتبار في ذلك) الخبيث السريرة في حال الصلاة المفكر في سوء يفعله أو يوقعه بأحد إذا فرغ من صلاته مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا عن ذلك ما لم يعمل أو يتكلم به (وصل في فصل المصلي يرد السلام على من يسلم عليه)

فرخصت فيه طائفة وبه أقول فإنه ذكر الله وهو من الأذكار المشروعة في التشهد في الصلاة فله أصل يرجع إليه والدعاء في الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قول المصلي اغفر لي ولو الذي ومنع ذلك قوم بالقول وأجازوه بالإشارة ومنعه آخرون على الإطلاق وأجاز قوم أن يرد في نفسه وقال قوم يرد إذا فرغ من الصلاة (وصل الاعتبار في ذلك) قال تعالى وَإِذَا حُيِّمُ بِحَجَّتِهِ فَبِأَنفِئَةٍ فَجَاءَ بِالْفَاءِ فَلَا يَجُوزُ التَّأخِيرُ وَلَمْ يَخْصُ صَلَاةً مِنْ غَيْرِهَا فَكُلُّ ذِكْرٍ لِلَّهِ مَشْرُوعٌ بِدَعَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ مَعِينٌ كَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَرَدِّ السَّلَامِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ التَّلْفِظُ بِهِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا فَكَيْفَ وَالْوَجُوبُ مَقْرُونٌ بِرَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللَّهُ أَنْتَهَى الْجُزْءُ الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُونَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل فصل القضاء)

اتفق المسلمون على وجوبه على الناسي والنائم و اختلفوا في العامد والمغمى عليه والذي أذهب إليه أن الناسي والنائم وجب على كل واحد منهما أداء الصلاة التي نام عنها أو نسيها فإن أراد الفقهاء بالقضاء وجوب الصلاة عليه كما يريدون بالأداء فيه أقول وإن أرادوا به الفرقان بين من أداها في الوقت المعلوم المخاطب به اليقظان الذي يعصي العامد لتركها فيه وبين أداها في وقت تذكر الناسي ويقظة النائم بالقضاء فلا بأس وإن أرادوا بالقضاء خلاف ما ذكرناه وإنه غير مؤد للصلاة وإنه صلاها في غير وقتها على خلاف صورة ما ذكرناه فلا أقول به فإن الناسي والنائم غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه وما ذلك وقتها في حقهما فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ولولا إن الشارع جعل للناسي والنائم وقتا عند الذكرى واليقظة لسقطت تلك الصلاة عنهما مع خروج الوقت المعلوم لها عند المتيقظين الذاكرين كما تسقط عن المغمى عليه (وصل الاعتبار في ذلك) الناسي هو العارف بأنه ما في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله وأنه عين الوجود فيلزم صاحب هذا المقام من المعرفة بالله من الأدب مع الله ما تقتضيه هذه المعرفة وهو معلوم مذكور في هذا الكتاب وفي علم طريق الله فإذا نسي هذا العارف هذه المعرفة وأساء الأدب مع الله الذي تعطيه هذه المعرفة لم يؤاخذ به بل إن كان له ذكر مقرر في حق من ليست له هذه المعرفة فهو عند الله بحسب ما ذكره وقرره في حق ذلك إن خيرا فخييرا وإن شر فشر فإن الناسي قد يكون سبب نسيانه استغراغه في شغل محرم أو في شغل مباح أو في شغل مندوب فيكون مأجورا في نسيانه من حيث ذلك المندوب لا من حيث النسيان ويكون مأثوما من حيث ذلك المحرم ويكون معرئ عن الأجر والوزر من حيث ذلك المباح فإذا تذكر هذا الناسي معرفته عاملها بما يقتضيه أدبها وتعين عليه فيما مضى من

أحكامها و آدابها في حال نسيانه في حركاته و سككاته أن يحضرها في نفسه على الحد الذي يقتضيه معرفته فيها فإذا أحضرها أحضر في نفسه ما ينبغي لها من الآداب فذلك وقتها فإن لم يفعل آخذه الله بما كان فيها في حال نسيانه من سوء الأدب بسبب عدم استحضارها في وقت الذكرى فإن الله يقول **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدِكْرِي** و أما اعتبار النائم العارف هذه المعرفة فهو الذي حجبته النظر في طبيعته و ما لها من الحكم فيه من غير نظر إلى مكوناتها و هو ضرب خاص من النسيان لأنه تارك للعمل أو غير موجود منه العمل المطلوب في تلك الحالة فإن كان نظره الذي هو نومه في حكم طبيعته من حيث ما تقتضيه حقيقتها لذاتها غير ذاكر و لا مشاهد لموجد عينها لم يؤاخذ به الله بما نقصه من الأدب الذي يطلب به الحاضر مع معرفته فمتى استيقظ هذا النائم أحضر الحق في نفسه موجد العين تلك الطبيعة مع تقرير حكمها التابع لوجود عينها كالأحوال فيتأدب بالحضور الذي يليق بتلك المسألة مع الله فيكون بمنزلة من لم ينم في ذلك الاستحضار فإن لم يفعل عوقب من كونه لم يستحضره لا من كونه كان قد نام عنها فإن كانت الأسباب الموجبة لنومه أمورا كان حظه فيها على حكم وجه الشرع لها فيتعلق الإثم به من حيث ذلك السبب و حكم الشرع لا من حكم نومه أو يتعلق به الأجران كان حكم الشرع فيه الأجر من حيث ذلك السبب لا من حيث نومه سواء فهكذا ينبغي أن يكون نوم العارفين و نسيانهم في هذا الاعتبار في المعرفة بالله فإن خطاب الشرع إذا تعلق بالظاهر كان اعتباره في الباطن و إذا تعلق خطاب الشرع بالباطن كان اعتباره في الظاهر فالعالم لا يزال ناظرا إلى الشارع بمن علق الحكم فيما جاء به في هذه المسألة الخاصة هل بالظاهر مثل الحركات أو بالباطن مثل النية و الحسد و الغل و تمني الخير للمؤمنين و الظن الحسن و الظن القبيح فحيث ما علق الشارع خطاب اللسان الظاهر به كان الاعتبار في مقابله أو في مقابل الحكم كالظن الحسن يقابله الظن القبيح و يقابله الفعل الحسن في الظاهر هذه مقابلة الموطن كفعل الخير مع الذمي من كونه مقرا بره غير عارف بما ينبغي له

(وصل في فصل العائد و المعنى عليه)

اختلف العلماء فيه فمن قائل إن العائد يجب عليه القضاء و من قائل لا يجب عليه القضاء و به أقول و ما اختلف فيه أحد أنه آثم و أما المعنى عليه فمن قائل لا قضاء عليه و به أقول و من قائل بوجوب القضاء و هو الأحسن عندي فإنه إن لم تكذب له في نفس الأمر فريضة كتبت له نافلة فهو الأحوط فالقائلون بوجوب القضاء منهم من اشترط القضاء في عدد معلوم فقالوا يقضى في الخمس فما دونها (وصل الاعتبار في ذلك) أما العائد في ترك ما أمره الله به فلا قضاء عليه فإنه من أضله الله على علم فينبغي أن يسلم إسلاما جديدا فإنه مجاهر و هذا لا يمكن أن يقع من أخذ علمه بالله عن ذوق و كشف وإنما يقع هذا من أخذ علمه بالله عن دليل و نظر فيقول الحركات و السككات كلها بيد الله فما جعل في نفسي أداء ما أمرني بأدائه يقول و على الحقيقة فهو الأمر و السامع و المخاطب فهو على بصيرة و المخاطب تشقيه و تحول بينه و بين سعادته فتضره في الآخرة و إن التذنب في الدنيا و لا يضر الله شيء و هذه مجاهرة بحق لا تنفع فلو كان عن ذوق و كشف منعه هيبه الجلال و عظيم المقام و سلطان الحال الذوقي أن يكون مثل هذا و يترك أداء حق الله على صحو فهو بمنزلة من يسب السلطان لعدم نظره إليه فإذا فاجأه

حكمت الهيبة على قلبه فسارع إلى أمره فمثل هذا العلم لا ينفعه فإنه عن دليل كأعمى يمشي بعضا لا عن بصيرة كمن يقتدي ببصره في طريقة وأما اعتبار المغمى عليه فهو صاحب الحال الذي أفناه الجلال أو هيمه الجمال فلا يعقل فيكون الحق متوليه في تلك الغيبة في حسه بما شاء أن يجربه عليه وقد أقمت أنا في هذه الحالة مدة ولم أحل بشيء من حركات الصلاة الظاهرة بالجماعة على أتم ما يمكن إماما ولا علم لي بشيء من هذا كله فلما أفقت ورددت إلى حسي في عالم الشهادة أعلمني الحاضرون أنه ما فاتني شيء مما توجه علي من التكليف كما توجه على العاقل الذاكرو من أهل طريقنا من لا تكون له هذه الحالة وهي حالة شريفة حيث لم يجز عليه لسان ذنب (و حكي) عن الشبلي أنه كان يأخذه الوله ويرد في أوقات الصلوات فإذا فرغ من الصلاة أخذته الوله فقال الجنيد حين قيل له عنه الحمد لله الذي لم يجز عليه لسان ذنب فقد يمكن أن يكون الشبلي في ذلك الوقت يصلي به وهو غير عالم بذلك وحكم الناس الحاضرون عليه بأنه مردود لما رأوه من أدائه الصلاة مثل ما انفق لنا فقالوا بصورة الظاهر منه وهو في نفس الأمر لا علم له ومنهم من يرد وليس كلامنا إلا فيمن أخذ عن نفسه في وقت أداء فرض عليه في الظاهر وأما في غير ذلك الوقت فما هي مسألتنا وأما الذين اشتروا الخمس فما دونها لأن كل صلاة من الخمس أصل مغايرة للأخرى في الوقت وبعض الصفات فإذا انقضت الخمس كان ما بعد الخمس بصفة كل واحدة منهن فاعتبرهن لكونهن أصولا وما قصر هذا الفقيه في مثل هذا فإنها حكمة بالغة لمن عرف الحقائق من هذا الطريق ومن عرف أن الحقيقة تقتضي أن لا تكرر لم يقل بذلك وهو الأصل الأول والعارف بحسب ما يفتح عليه في وقته

(وصل في فصل صفة القضاء)

القضاء نوعان قضاء لجملة الصلاة وقضاء لبعضها أما قضاء الجملة فله صفة وشرط ووقت فأما الصفة فهي بعينها صفة الأداء فيما في نفس الصلاة من الأعراض فإن اختلفت الأحوال مثل أن يذكر صلاة نسيها في حال سفره في حال حضره وبالعكس فهذا معنى اختلاف الأحوال فمن قائل يقضي مثل الذي عليه ولا يراعى وقت الذكر ومن قائل يقضي أربعا أبدا سفريه كانت أو حضرية ومن قائل يقضي أبدا فرض الحال أعني وقت الذكر فإن كان في سفر والذي نسيها حضرية قضاها سفريه وبالعكس وبه أقول فإن ذلك وقتها عندنا (وصل الاعتبار في ذلك) من رأى أن الحال له حكم في المقام قال بقولنا ومن رأى أن الحال لا حكم لها لأن الدنيا ليست بقوة للحال عمل بحكم المقام فادى مثل ما عليه ومن رأى أن المقام الذي هو فيه الأصل الذي يعتمد عليه ولا حكم لمقام آخر مع تداخل المقامات بعضها على بعض كالوعر والزهد بجمعها الترك والتسليم والتفويض والتوكيل يجمع ذلك كله عدم الاعتراض في المقدور والرضي بحكم الله في وارد الوقت فيعمل بالأتم الأعم وهو الذي يقضي أربعا أبدا والشارع إنما يعتبر الأحوال وعليها توجه الأحكام والذوات محال للأحوال تبعا فزيد المختار الميتة عليه حرام وإذا تصف زيد المختار بالاضطرار فالميتة له حلال وهو زيد بعينه وإنما اختلفت الأحوال فاختلفت الأحكام فلماذا يقضي الحضريه سفريه إذا كان حاله السفر في وقت الذكر ويقضي السفريه حضريه إذا كان حاله الحضر في وقت الذكر (وصل في الشرط) و

أما شرطه الذي اختلف فيه فهو الترتيب و اختلفوا في وجوب ترتيب القضاء في المنسيات من الصلاة مع الصلاة الحاضرة في وقت الذكر و ترتيب المنسيات بعضها مع بعض إذا كانت أكثر من واحدة فذهب قوم إلى أن الترتيب واجب فيها في الخمس صلوات فما دونها وأنه يبدأ بالمنسيات و إن فات وقت الحاضرة حتى لو ذكرها و هو في نفس الصلاة الحاضرة فسدت عليه الصلاة التي هو فيها مع الذكرى و قال بعضهم بمثل هذا القول إلا أنهم رأوا وجوب الترتيب مع اتساع وقت الحاضرة و اتفق هؤلاء على سقوط وجوب الترتيب مع النسيان و قال آخر لا يجب الترتيب ولكن إن كان في وقت الحاضرة اتساع فالترتيب حسن (وصل الاعتبار في هذا الشرط) الحكم عند المحققين للوقت لاغيره و ذكر المنسي له الوقت فالحكم له و لا اتساع للوقت عندنا فإنه زمن فرد و إنما الاتساع في بعض الأوقات المشروعة للاحكام و اتساع الأوقات عند العارفين إنما هو مثلا من كونها صلاة أو هيئة مخصوصة في عبادة فتلك الهيئة و ذلك الاسم يصحبها دائما في وقتها و في تكرار تلك الصور في أوقات متعددة فمن هنالك يقولون باتساع الوقت و هو أوقات و من لم يكن من العارفين صاحب نفس قال باتساع الوقت و هم أهل الشرب و الري و الأول أعرف بالحقائق و أكشف لدقائق الأمور فإن التجليات و الأحوال تختلف مع الأنفاس و ما يعلم ذلك إلا القليل من العلماء بالله من أهل الله فإن الحس و الطبع يجلبان العقل عما تعطيه مرتبه من النظر في دقائق الأمور و لطائفها و بساطتها (وصل تنبيهه) هذه المسألة ما ثم أصل يرجع إليه فيها فإن أوقات الصلوات المنسيات مختلفة و لا يكون الترتيب في القضاء إلا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتا للصلاتين معا و هذا يتصور في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون له أصل يرجع إليه في نظره

(وصل في فصل)

القضاء الثاني الذي هو قضاء بعض الصلاة فلهذا الفوات سببان الواحد النسيان و الثاني ما يفوت المأموم من صلاة الإمام (اعتبار السببين) أما النسيان فيعلم ما يقتضيه المقام الذي هو فيه مما ينبغي أن يعامله به فينسى بعض الوجوه مما يقدر فيما ينتج من المنازل و الكرامات و السبب الثاني هو أن يكون للإمام الذي هو الشرع المتبع فيه قول و حكم فما وصل إليه فإذا أخذ في تحصيل المقام و أكمله على حد ما علمه رأى نقصا في نتيجته فطلب علم السبب فوجد نفسه قد ترك منه ما ينبغي له أن يستعمله و لم يكن له علم بذلك فعثر على حديث نبوي أو آية من كتاب الله تعالى فاته العمل بذلك فعمل على ذلك فصح له نتائج المقام فهذا بمنزلة ما فاته من صلاة الإمام كأبي يزيد البسطامي أوحشه السراج ليلة و كان حاله الورع فقال لأصحابه إنني أجد في السراج وحشة فقالوا يا سيدنا استعرنا قارورة من البقال لنسوق فيها الدهن مرة واحدة فسقناه فيها مرتين فقال عرفوا البقال و أرضوه ففعلوا و زالت الوحشة و كان رضي الله عنه في حال كان وقته التجريد و عدم الادخار فقال يوما لأصحابه فقدت قلبي فاطلبوا البيت فوجدوا فيه معلاق عنب فقال رجع بيتنا بيت البقالين فتصدقوا به فوجد قلبه و اتفق لشيخنا أبي مدين و كان وقته التجريد و عدم الادخار فنسي في جيبه دينارا و كان كثيرا ما يرتب منقطعاً في جبل الكواكب و كانت هناك غزالة تأتي إليه فقدر عليه فيكون ذلك قوته فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة و هو محتاج إلى الطعام فمد يده على عادته إليها ليشرب

من لبثها فنفرت عنه وما زالت تنطحه بقرونها وكلما مديده إليها نفرت منه ففكر في سبب ذلك فتذكر الدينار فأخرجه من جيبه ورمى به في موضع فقده ولا يجده فجاءت إليه الغزاة وأنست به ودرت عليه

(وصل في فصل المأموم يفوته بعض الصلاة مع الإمام)

إذا دخل الإنسان والإمام قد هوى إلى الركوع فقال قوم إذا أدرك الإمام ولم يرفع رأسه من الركوع وركع معه فهو مدرك للركعة وليس عليه قضاؤها وهؤلاء اختلفوا في شرط هذا الداخل هل من شرط هذا الداخل أن يكبر تكبيرتين تكبيرة للإحرام وتكبيرة للركوع أو تجزيه تكبيرة الركوع وإن كانت تجزيه فهل من شرطها أن ينوي بها تكبيرة الإحرام أم ليس ذلك من شرطها فقال بعضهم تكفيه تكبيرة واحدة إذا نوى بها تكبيرة الإحرام وقال قوم لا بد من تكبيرتين وقال قوم تجزيه تكبيرة واحدة وإن لم ينو بها تكبيرة الافتتاح وأما القول الثاني فذهب قوم إلى أنه إذا رفع الإمام فقد فاتته الركعة ما لم يدركه قائما قاله أبو هريرة وقول ثالث وهو إذا انتهى الداخل إلى الصف الأخير وقد رفع الإمام رأسه ولم يرفع بعضهم فأدرك ذلك أنه يجزيه لأن بعضهم أئمة لبعض والذي أذهب إليه في ذلك أنه من راعى الركعة المغوية قال من أدركه في حال الانحناء ومن راعى الركعة الشرعية وهي القيام والانحناء والسجود قال إنه لم يدركه إذا لم يدركه قائما في حال تكبيره ودخوله في الصلاة أعني هذا الداخل ومراعاة الركعة الشرعية أولى غير أن الشرع أيضا قد سمي الانحناء ركوعا كما هو في اللغة في قوله صلى الله عليه وسلم حين نزلت فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قال اجعلوها في ركوعكم يريد وقت الانحناء وبالجملة فهي مسألة فيها نظر وكل ناظر بحسب ما أعطاه دليله الذي أداه إليه اجتهاده ومذهبه في هذه المسألة ما كملته على ما هو عندي لما فيه من الطول وما نعبد الله الناس بنظري فهو حكم يخضني أعطانيه دليلي (وصل الاعتبار في ذلك) إمام العلماء بالله هو الحق سبحانه فإذا نزل إليهم في الطافه الخفية بأوصاف البشرية من الفرح بهم والضحك لهم والتبشش لقدمهم عليه يريدون مناجاته في بيته يا عبدي يا عبدي إن شردت عني دعوتك إلي بالحال وهو عبارة عن دخول وقت الصلاة بالقول وهو عبارة عن الأذان يا عبدي وإن عصيتي سترت عليك بأن سترتك عن أعين من وليته إقامة حدودي فيك وفي أمثالك فلم أؤاخذك وتحببت إليك بالنعم وجررت على خطيئتك ذيل الكرم فمحا آثارها كرمي ودعتك إلي بالقدوم على نعمي فإن رجعت إلى قبلتك على ما كان منك من يفعل معك ذلك مع غناه عنك وفقرك إليه غيري فهذا من الحق بمنزلة الركوع من العبد فإذا فات المصلي أن يدرك من الحق مثل هذا كما فاتته أن يسمع قول الحق في صلواته حمدني عبدي وأثنى على عبدي ومجدي عبدي وفوض إلى عبدي بسمعه لا بإيمانه وتلقى العبد لمولاه وتحبب إليه وعرف أنه ما نزل إليه سبحانه هذا النزول إلا لسر خفي أبطنه فيه فينزهه العبد عن كل ما نزل فيه إليه بأن يقول سبحانه ليس كمثلك شيء ولهذا أمر العبد بالتنزيه في الركوع ليقابل بذلك نزول الحق إليه بمثل ما ذكرناه من كونه سبحانه يصلي علينا فينزلنا في صلواته علينا على ثلاث مراتب المرتبة الواحدة أن يجعلنا في صلواته علينا كالوطاء الذي نصلي عليه والثانية أن يصلي علينا صلواتنا على الجنائز والثالثة كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولكل نوع طائفة معينة لها حال معين فإنه سبحانه قد ذكر أنه يصلي علينا فقال هو

الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ كَمَا قَالَ فِجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلَائِكَتِهِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ فَقَالَ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِصَلَاتِنَا عَلَيْهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرَهُ بِالْجِزَاءِ فَقَالَ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ فَمَا أَعْجَبَ الْقُرْآنَ لِمَنْ تَدْبُرُ آيَاتِهِ وَتَذَكَّرُ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ كَالْجِنَازَةِ مِمَّا لَا حَرَكَتَ لَهُ وَلَا دَعْوَى وَهُوَ فِي قِبَلَةِ رَبِّهِ فَإِنْ وَافَقَ رُكُوعَ الْعَبْدِ نَزُولَ الْحَقِّ إِلَيْهِ بِمَثَلِ قَوْلِهِ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَقَدْ أَدْرَكَ الرُّكْعَةَ وَمَنْ لَمْ يِقَابِلْ نَزُولَ الْحَقِّ بِرُكُوعِهِ عِنْدَ هَذَا النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ بِالْإِسْمِ الْكَرِيمِ إِلَيْهِ فَمَا أَدْرَكَ الرُّكْعَةَ لِعُيُوبَةٍ كَانَتْ أَوْ شَرْعِيَةً فَإِنْ اعْتَبَرَهُ فِي إِدْرَاكِهَا قَائِمًا قَبْلَ أَنْ يَرْكَعُ يَعْنِي قَبْلَ أَنْ يَنْحَنِيَ فَهُوَ قِيَامُهُ بِمَصَالِحِ عِبَادَتِهِ وَنَظَرُهُ لَهُمْ فِي قِيَامِهِ بِهِمْ فَإِنَّهُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ بَعَيْنِ الرَّحْمَةِ فَيُرْزَقُهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ وَكَافِرُونَ وَقُلْ عَنِ الْأَدْبَاءِ مَا شِئْتُ وَيَدْعُوهُمْ وَهُمْ عَنْهُ مَعْرُضُونَ وَعَلَى هَوَاهُمْ الَّذِي اتَّخَذُوهُ لَهَا مَقْبُولُونَ وَكَذَلِكَ فِي السُّجُودِ فِي مَذْهَبِ مَنْ يَرَى الرُّكْعَةَ الْمَعْتَبَرَةَ لِلشَّرْعِ أَنَّهَا الْقِيَامُ مِنْ قِيَامِهِ وَالْإِنْخِنَاءُ مِنْ حَوَاهِجِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ بِاسْمِهِ الْخَنَّانِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ وَالسُّجُودَ الْإِلَهِيَّ وَهُوَ أَكْبَرُ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي أَنْزَلَ الْحَقَّ فِيهِ نَفْسَهُ مَنزِلَةً عَبْدُهُ وَهُوَ قَوْلُهُ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعْدُنِي وَجَعْتُ فَلَمْ تَطْعَمْنِي وَظَمْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي وَأَكْثَرَ مِنْ هَذَا النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ فَلَا يَكُونُ ثُمَّ يَفْسِرُ ذَلِكَ بِأَنْ فُلَانًا مَرِضٌ وَفُلَانًا جَائِعٌ وَفُلَانًا ظَمْئِي فَأَنْزَلَ نَفْسَهُ مَنَازِلَهُمْ فِي أَحْوَالِهِمْ وَأَضَافَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فِي كِتَابَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْحَقِّ فِي صَلَاتِهِ فَقَدْ أَدْرَكَ الرُّكْعَةَ الْإِلَهِيَّةَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْحَقَّ إِمَامُهُ فَيَقَابِلُهُ الْعَبْدُ بِمَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْإِنْعَامَ الْإِلَهِيَّ مِنَ الشُّكْرِ بِالثَّنَاءِ وَأَوْصَافِ السُّلْبِ وَالتَّزْيِينِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالْعُلُوِّ وَالْعِظْمَةِ وَالْجَبْرُوتِ فَهَذِهِ هِيَ الرُّكْعَةُ الْمَشْرُوعَةُ وَالْخِلَافُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يُؤْوِلُ إِلَى اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَخْذِ بِبَعْضِ دَلَالَةِ الْأَسْمَاءِ أَوْ بِكُلِّهَا فَقَدْ يَسْمَى بَعْضُ الرُّكْعَةِ رُكْعَةً كَمَا يَسْمَى كُلُّهَا بِجَمِيعِ أَجْزَائِهَا رُكْعَةً كَمَا يَقَالُ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَسْلِ الذِّكْرِ فَمَنْ غَسَلَ رَأْسَ ذِكْرِهِ أَجْزَاءَهُ فَإِنَّهُ يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ الذِّكْرِ فَيَقَالُ فِي اللِّسَانِ فَيَمِنْ غَسَلَ رَأْسَ ذِكْرِهِ إِنَّهُ غَسَلَ ذِكْرَهُ وَإِنْ لَمْ يَمِيعَهُ كَغَسَلَ اسْمَ الْيَدِ

(وصل في فصل مما يتعلق بهذا الباب)

إذا سها المأموم عن اتباع الإمام في الركوع حتى يسجد فقال قوم إذا فاتته إدراك الركوع معه فقد فاتته الركعة ووجب عليه فضاؤها وقال قوم يعتد بالركعة إذا أمكنه أن يتم من الركوع قبل أن يقوم الإمام إلى الركعة الثانية وقال قوم يتبعه ويتعبد بالركعة ما لم يرفع الإمام رأسه من الانحناء من الركعة الثانية وهذه الأقوال المختلفة تنبني عندي على مفهومهم من قوله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه الحديث فهل من شرط المأموم أن يقارن فعله فعل الإمام أو ليس من شرطه وهل هذا شرط في جميع أجزاء الركعة المشروعة الثلاثة وهو القيام والانحناء والسجود أم إنهما هو شرط في بعضها وإذا كان الإمام في فعل جزء من أجزاء الركعة والمأموم في جزء آخر وقد قال لا تختلفوا عليه فهو اختلاف عليه وهذا الحديث إذا حققه الإنسان مع أحاديث أخر معلومة في هذه المسألة عينها فإنه يبدو له أن كل قول في هذه المسألة مما حكيناه له متعلق بجميع أقوالهم مشروعة وإن اختلفت فالحمد لله الذي جعل في الأمر سعة (وصل الاعتبار في ذلك) سهو العبد عن اتباع الحق فيما أمره به ونهاه عنه أو فيما ينبغي أن يتأدب به معه في مقابلة إنعامه وإحسانه شكرا مؤثرا في إبطال ما فاتته من علم ما كان

يحصل له من تجليه في ذلك القدر الذي فاته و اختلف أصحابنا في هذه المسألة على ما نذكره فقال قوم إذا فاتتكم نظرة واحدة من الحق في وقتك وقد كتبت تشهده قبل ذلك مستصحباً من وقت معرفتك به الذوقية وكان ما فاتك منه في نظرة وقتك أكثر مما نلتها مما تقدم إلى وقتك وأنا أذكر ما السبب في ذلك وهو أن كل نظرة تكون من العبد إلى الحق في تجليه له تتضمن معرفة كل نظرة ولذتها مما تقدمتها وتزيد على ذلك بما تعطيه حقيقة نظرة الوقت فقد فاته خير كثير فعليه قضاء ما فات ليحصل له هذا العلم و وقع لهم في هذا غلط كبير من حيث لا يشعرون وذلك أن المصلي إذا فاته مع الإمام ما فاته فما أدرك فهي أول صلاته ويتم على ما هي الصلاة المشروعة وما عندنا قاض إلا إذا كان القضاء بمعنى الأداء فهو صحيح وأما غلط أصحابنا فإن الذي تقدم هذه النظرة الوقتية من نظرات التجلي فهي هنا بحكم التبعية لهذه النظرة وكل نظرة في وقتها في عين سلطانها وأين تصرف الشيء في ملكه من تصرفه في ملك غيره فافهم ثم نرجع ونقول وقال قوم من أصحابنا بأن هذا التجلي الذي هو فيه يتضمن ما فاته وما ناله فيعتمد بما أدركه فإنه يناله فيه والذي أذهب إليه هو ما ذكرناه من أن أدرك الأمر بحكمه يتضمن ما هو مثل إدراكه بحكم التصريح ومشاهدة العين فإن الواحد الذي هو سلطان الوقت هو إدراك تفصيلي عيني له ذوق خاص والآخر المضمن إدراك إجمالي غير عيني فله ذوق آخر متميز عن ذوقه في وقته أين الرؤية لصاحب الورث الموسوي منا وإن كان من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم من الرؤية الحمديّة من الحمدي الخالص مع كونها تتضمن الرؤية الموسوية لكنها هنا تبع وفي زمان سلطانها شيء آخر فتفاضل الورثة في الميراث بحكم طبقاتهم فمن الورثة من يحوز المال كله والوارث النصف والربع والثلث والسدس إلى غير ذلك فالجامع بين إدراكين كل إدراك في مقامه لا يساوي ولا يماثل المدرك لأحدهما دون الآخر من الطرفين فإن الذائق العسل على حدة ثم بذوقه في شراب التفاح مثلاً فقد أدركه ذوقاً في الحالين ولكن يجد فرقاً بين الذوقين بلاشك وأين حكمه عسلاً من حكمه شراباً أو شراباً تفاح

(وصل في فصل إتيان المأموم بما فاته من الصلاة مع الإمام هل هو قضاء أو أداء على اصطلاح الفقهاء)

فإن قلت فهل إتيان المأموم بما فاته من الصلاة مع الإمام قضاء أو في الظاهر قلنا في الجواب إن الشرع المقرر فيه ثلاث مذاهب مذهب أن يأتي به بعد سلام الإمام فهو قضاء وأن ما أدرك مع الإمام ليس هو أول صلاته ومذهب آخر أن الذي يأتي به بعد سلام الإمام فهو أداء وأن ما أدركه مع الإمام هو أول صلاته وبه أقول ومذهب ثالث فرق بين الأقوال والأفعال فقال يقضي في الأقوال يعني في القراءة ويكون مؤدياً في الأفعال فمن أدرك ركعة من صلاة المغرب على المذهب الأول أعني مذهب القضاء قام إذا سلم الإمام إلى ركعتين يقرأ فيهما بأم القرآن وسورة ولا يجلس بينهما وعلى المذهب الثاني يقوم إلى ركعة واحدة يقرأ فيها بأم القرآن وسورة يجهر فيها ويجلس ثم يقوم إلى ركعة يقرأ فيها بأم القرآن سراً فقط وعلى المذهب الثالث يقوم إلى ركعة يقرأ فيها بأم القرآن وسورة ثم يجلس ثم يقوم إلى ركعة ثانية يقرأ فيها بأم القرآن وسورة وهذه المذاهب الثلاثة قد وردت في الحديث ورد في الخبر فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا والإتمام يقتضي أن يكون ما أدركه هو أول صلاته وفي رواية فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا والقضاء يوجب أن يكون ما أدرك فهو آخر صلاته ومن استعمل الحديثين أعني

الروايتين وجمع بين القضاء والأداء فقال يقضي في الأقوال ويكون مؤدياً في الأفعال كما بيناه قبل (وصل اعتبار هذا الفصل) من اعتبر الحكم للاسم الإلهي الذي هو سلطان الوقت وصاحبه فلا يخلو أن كان هو عين ذلك الاسم الذي له حكم تلك الصلاة كلها من أولها إلى آخرها في حق الإمام والمأموم فإنه مؤد بلا شك فإن ذلك الاسم لا ينفصل عن حكم وقته بسلام الإمام بل حتى يسلم وينفصل كل من كان في حكم الإمام فإن تلك الحالة من ذلك الاسم تستصحب لهذا الذي فاتته ما فاتته ولو أدركه في آخر جلوس في صلاته ومن اعتبر الحكم للاسم الذي يعطي الركوع وهو غير الاسم الذي يعطي القيام والقراءة وكل حركة في الصلاة لها اسم إلهي مخصوص وإن شاركه اسم آخر أو أسماء أخر إلهية قال القضاء ومن اعتبر حكم الاشتراك بين الأسماء في الصلاة وأن لكل اسم فيها نصيباً قال يؤدي في كذا ويقضي في كذا أي يأخذ من تجلّى الاسم الفلاني ما يعطيه من المعارف ومن الاسم الآخر ما يعطيه من العلوم وبالذوق في ذلك تمييز الأشياء عند العارفين والسّماء ذات الرّجّع والأرض ذات الصدّع إته لَقَوْلُ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ وَلَيْسَ جَهْلٌ بِالْأُمُورِ كَمَنْ دَرِي فَالِقَ سَمْعَكَ وَأَحْضَرَ بِكَ عَسَى أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ التَّحْصِيلِ فَتَكُونَ مِنَ الْمَفْلُحِينَ

(وصل في فصل حكم سجود السهو)

اختلفوا في سجود السهو هل هو فرض أو سنة فمن قائل إنه سنة ومن قائل إنه فرض لكن ليس هو من شرط صحة الصلاة وفرق مالك بين سجود السهو في الأفعال وبين السجود للسهو في الأقوال وبين الزيادة والنقصان فقال سجود السهو الذي يكون للأفعال الناقصة واجب وهو عنده من شروط الصلاة (وصل في اعتبار هذا الفصل) لما كان السهو سببه الشك أو النسيان والمطلوب اليقين فلا يعبد الله إلا من كان على بينة من ربه أزكاهما وأعد لها وأقواها الايمان الذي يجده المؤمن بربه في نفسه مما لا يقدر على دفعه ودونه في القوة والطهارة ما هو مبناه على الأدلة النظرية فإن انضاف إلى المؤمن أو إلى صاحب النظر الكشف كان أقوى من كل واحد من الاثنين على انفراد بلا شك وهذا لا يدخله سهو في صلاته وصاحب النظر وحده هو الذي يدخله السهو وكذلك المؤمن المتزلزل فسجود السهو عليه فرض واجب وهو أنه يرجع في النظر إلى نفسه وقره وإمكانه وعجزه ليستدل بذلك على معبوده وغناه وجوب وجوده ونفوذ اقتداره فإن في ذلك العلم ترغيماً للشيطان الذي ألقى إليه الشك في علمه أو عبادته ولما كانت الصلاة مناجاة الحق وشهوده وقد قيل له اعبد الله كأنك تراه وقيل له إن الله في قبلة المصلي فإذا توجه في صلاته وقيد الحق بجهة الاستقبال كما قيل له إلا أنه أخلاه عن الإحاطة به ومثله كالشخص القائم ينظر إليه و يناجيه في قبلته فقد سها عما يجب للاله من الإحاطة به والإطلاق عن التقييد وهو الذي أيضا سماه الشرع بقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَيَنْبَغِي لِمَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ أَنْ يَسْجُدَ لَسَهْوِهِ وَهُوَ أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَالتَّخِيلَ وَالتَّصْوِيرَ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ السَّجُودُ وَيَقُولُ سَبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا وَاحِدَةً لِحَسَبِهِ وَالثَّانِيَةِ لِحَيَالِهِ وَالثَّلَاثَةَ لِعَقْلِهِ فَيَنْزِعُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَدْرَكَاً لِحَسَبِهِ فَيَتَّقِيهِ بِهِ أَوْ لِقَيْدِ خِيَالِهِ أَوْ بِقَيْدِ عَقْلِهِ فَذَلِكَ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ

(وصل في فصل في مواضع سجود السهو)

فمن قائل إن موضعه أبدأ قبل السلام ومن قائل بعد السلام أبدأ ومن قائل إن كان النقصان فقبل السلام وإن كان لزيادة فبعد السلام ومن قائل يسجد قبل السلام في المواضع التي يسجد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام ويسجد بعد السلام في المواضع التي يسجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام فما كان من سجود في غير تلك المواضع فإنه يسجد قبل السلام ومن قائل لا يسجد للسهو إلا في المواضع الخمسة التي يسجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وأما غير ذلك فإن كان فرضاً أتى به وإن كان ندباً لم يكن عليه شيء والذي أقول به واذهب إليه أن المواضع التي يسجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها فما يسجد فيها فما يسجد له قبل السلام وما يسجد له بعد السلام يسجد له بعد السلام وأما غير ذلك مما سها فيه المصلي فهو مخير إن شاء سجد لذلك قبل السلام وإن شاء سجد له بعد السلام (وصل اعتبار هذا الفصل) قال الله تعالى لِّلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَعْذُ فَإِنْ قَدِمَ نَظَرَهُ اللَّهُ عَلَى نَظَرِهِ لِنَفْسِهِ فِيمَا سَهَا فِيهِ كَانَ كَمَنْ سَجَدَ قَبْلَ السَّلَامِ وَهُوَ مَقَامُ الصَّدِيقِ مَا رَأَيْتَ شَيْئاً إِلَّا رَأَيْتَ اللَّهَ قَبْلَهُ وَإِنْ قَدِمَ نَظَرَهُ فِي نَفْسِهِ عَلَى نَظَرِهِ فِي رَبِّهِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ كَانَ كَمَنْ سَجَدَ بَعْدَ السَّلَامِ وَهُوَ مَقَامٌ مَنْ قَالَ مَا رَأَيْتَ شَيْئاً إِلَّا رَأَيْتَ اللَّهَ بَعْدَهُ وَهُوَ مَقَامُ أَصْحَابِ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ أَيْ مَا رَأَيْتَ شَيْئاً إِلَّا وَكَانَ لِي دَلِيلًا عَلَى اللَّهِ فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي الْأَدَلَّةِ دَائِماً وَأَمَّا الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ فَهُوَ لِلْعَقْلِ مَا نَقَصَهُ مِنْ حَيْثُ فَكَّرَهُ مِنْ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ مِمَّا لَا يَسْتَقِلُّ بِدَرْكِهِ مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ الشَّارِعُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى إِنْ ذَلِكَ الْوَصْفُ يَسْتَحِقُّه جَلَالُ اللَّهِ بَلْ كَانَ يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ مَعْنَى وَإِطْلَاقاً وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَمَا يَحْكُمُ بِهِ الْخِيَالُ عَلَى رَبِّهِ مِنَ التَّقْيِيدِ وَالتَّحْدِيدِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِهِ فِيمَا قَيْدَهُ بِهِ وَحَدَدَهُ فَهَذَا سَهْوُ الزِّيَادَةِ وَذَلِكَ سَهْوُ النَّقْصَانِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ دَلِيلُ الْعَقْلِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ هُوَ دَلِيلُ السَّمْعِ فَجَمَعَ مَعْتَقِدٌ هَذَا بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ السَّمْعِيِّ وَالْعَقْلِيِّ وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي سَجَدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ خَمْسَةٌ شَكَّ فِي سَجْدِ ١ وَقَامَ مِنْ اثْنَتَيْنِ وَلَمْ يَجْلِسْ فِي سَجْدِ ٢ وَسَلَّمَ مِنْ اثْنَتَيْنِ فِي سَجْدِ ٣ وَسَلَّمَ مِنْ ثَلَاثٍ فِي سَجْدِ ٤ وَصَلَّى خَمْسًا سَاهِيًا فِي سَجْدِ ٥ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي سَجُودِهِ هَلْ سَجَدَ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ أَوْ لِسَهْوِهِ فَمَنْ قَاتَلَ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالَّذِي أَقُولُ بِهِ أَنَّهُ سَجَدَ لَهَا السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِسَهْوِهِ وَالثَّانِيَةَ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ فَكَانَ لِلنَّقْصِ إِيْمَانًا وَكَانَ لِلزِّيَادَةِ خَيْرًا نُورٌ عَلَى نُورٍ

(وصل في فصل الأفعال والأقوال التي يسجد لها القائلون بسجود السهو)

اتفق العلماء على إن السجود يكون عن سنن الصلاة دون الفرائض ودون الرغائب فالرغائب لا شيء عندهم فيها إذا سها عنها المصلي في الصلاة ما لم تكن أكثر من رغبة واحدة مثل ما يرى مالك أنه لا يجب سجود من نسيان تكبيرة واحدة ويجب بأكثر من واحدة وأما الفرائض فلا يجوز عنها إلا الإتيان بها وجبرها إذا كان السهو عنها مما لا يوجب إعادة الصلاة بأسرها وأما سجود السهو للزيادة فإنه يقع عند الزيادة في الفرائض والسنن جميعاً فهذه الجملة لا خلاف بينهم فيها وكل ما يقول فيه علماء الشريعة مستحب فذلك هو المرغوب فيه وما عداه فهو سنة أو فرض والسنة والرغبة عندهم من باب الندب ويختلف عندهم بالأقل والأكثر في تأكيد الأمر بها وذلك بحسب قرائن أحوال تلك العبادة

حتى إن بعضهم يرى في بعض السنن ما إذا تركت عمدا إن كانت فعلا أو فعلت عمدا إن كانت تركا أن حكمها في الإثم حكم الواجب مثل لو ترك الإنسان الوتر أو الفجر دائما كان أنما فأما الجلسة الوسطى فاتفقوا على سجود السهو لتركها واختلفوا في الجلسة الوسطى هل هي فرض أو سنة واختلفوا هل يرجع الإمام إذا سبج به إليها أو ليس يرجع وإن رجع متى يرجع فقال الأكثر يرجع ما لم يستوقائما وقال قوم يرجع ما لم تعتقد الركعة التي قام إليها وقال قوم يرجع إن فارق الأرض قيد شبر وإذا رجع عند الذين لا يرون رجوعه فالأكثر على إن صلاته جائزة و قال قوم تبطل (وصل الاعتبار في هذا الفصل) فروض العبادات الحضور مع الحق عند الشروع فيها و سنن العبادات حضور المكلف فيها من حيث ما هو مكلف والراغب فيها حضور فناءه فيها بتولي الحق أحكامها في جميع أفعالها فمن سها عن الفرائض لم تصح العبادة ولم تجبر إلا بها لا بسجود السهو وقد بينت لك ما معنى اعتبار سجود السهو ومن سها عن السنن سجد لها سجود السهو ومن سها عن الرغائب فهو مخير إن شاء سجد وإن شاء لم يسجد وأما الجلسة الوسطى فقد تكلمنا في اعتبارها في فصل واحد مع السجدة الآخرة فيما تقدم فأما سجود السهو لها فإن السجدة الأولى لسهوه والأخرى للنقص والجلوس لجبر عينها فأشبهت الفرائض التي تجبر بعينها لا بسجود السهو (وصل في فصل صفة سجود السهو)

فقال قوم إذا كانت بعد السلام فيشهد فيها ويسلم منها وقال قوم إذا كانت قبل السلام يشهد لها فقط وإن السلام من الصلاة هو سلام منها وقال قوم ممن يرى القبلة للنقصان والبعدية للزيادة إنه لا يشهد للتي قبل السلام وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من سجود السهو بعد السلام ولم يثبت التشهد في السهو وإن كان قد روى (وصل الاعتبار في هذا الفصل) أما قبل السلام فالسلام من الصلاة والتشهد يغني عن تكراره مثل الطواف والسعي أعني طواف القدوم للقارن فإن العمرة تطلب طوافا وسعيا والحج يطلب مثل ذلك وفي مذهب من يرى أنه يجزئ من ذلك طواف واحد وسعي واحد ومن لا يرى ذلك ويرى أن الواجب عليه طوافان وسعيان يرى التشهد والسلام ولكن صاحب هذا المذهب لا يصح أن يقول بالفرق بين الزيادة والنقصان كما إن صاحب المذهب الأول لا يصح أن يقول بالسجود بعد السلام إنما وقع الترغيم للشيطان في ذلك لكونه شرع للسهو السجود دون غيره من أفعال الصلوات لكونه أمر بالسجود فلم يسجد والسهو أغلبه إنما يقع من الشيطان فلا يجبر إلا بصفة لا يتمكن للشيطان أن يدنو من العبد إذا كان موصوفا بها فشرع له السجود لسهوه فإنه ثبت في الخبر أن الإنسان إذا سجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار فالإنسان في حال سجوده محفوظ من الشيطان أن يقربه ولو اقترب منه الشيطان في سجود سهوه لسها في سجود سهوه في حال سجوده وكان يتسلسل الأمر ولهذا لم يرد شرع فيمن سها في سجود سهوه ولو وقع فليس من الشيطان وإذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيمًا له إلا إذا كان السهو من فعله فالسهو لا يلزم أن يكون ولا بد من فعل الشيطان وإنما سببه غيبوبة المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو وأسباب الغيبة عن عقل المصلي نفسه في أي جزء هو من صلاته كثيرة فمنها شيطانية ومنها غلب مشاهدته عليه تقتضيها آية من كتاب الله في توحيد أو

حكم من أحكام الدين أو جنة أو نار أو ما يستلزم إحداهما فإذا كانت من الشيطان كان سجود السهولة ترغيماً على ترغيم من كونه سجوداً ومن كونه ما أثر وسواسه فيه بما جبر عليه سجوده لسهوه ولهذا يستحب لكل مصل أن يسجد بعد كل صلاة يسجد تي السهو إذ كان الإنسان لا يخلو أن يغيب لحظة في نفس صلاته عن كونه مصلياً فما زاد فيكون في ذلك ترغيم للشيطان وهو مذهب الترمذي الحكيم و رأيت جماعة الزيدية تقول به في حق المأمومين و رأيتهم يفعلون ذلك واستحسبته منهم وإن اختلفت المقاصد فهو ترغيم للشيطان على كل حال قال ابن المنذر في هذه المسألة اختلف العلماء فيها على ستة أقوال فمن قائل لا تشهد فيها ولا تسليم وبه قال أنس والحسن وعطاء ومن قائل فيها تشهد وتسلم وبالتولين أقول غير أنني أقول إن تشهد والتسلم فيها ولا بد إلا أنه إذا كان السجود قبل السلام أكتفى بتشهد الصلاة والسلام منها عن تشهد السهو والسلام منه كالتقارن وإذا كان بعد السلام تشهد وسلم ومن قائل فيها تشهد دون تسليم وهو قول الحكم وحماد والنخعي ومن قائل فيها تسليم وليس فيها تشهد وهو قول ابن سيرين ومن قائل إن شاء تشهد وسلم وإن شاء لم يفعل قاله عطاء ومن قائل إن سجد قبل السلام لم يشهد وإن سجد بعد السلام تشهد وهو قول ابن حنبل قال ابن المنذر قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كبر فيها أربع تكبيرات وأنه سلم وفي ثبوت التشهد نظر انتهى الجزء الرابع والأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل سجود السهول من هو)

اتفق العلماء على إن سجود السهو إنما هو للإمام وللمنفرد واختلفوا في المأموم يسهوه هل عليه سجود أم لا فالجماعة إنه لا سجود عليه و يحمل عنه الإمام وقال مكحول يسجد المأموم لسهوه وبه أقول فإنه ما رأينا أن الشارع فرق بين الإمام والمأموم حين ذكر سجود السهو وإنما ذكر المصلي خاصة ولم ينص حالاً من حال (الاعتبار في هذا الفصل) وَلَا تَرَرُ وَازِرَةٌ وَزُرُّ أُخْرَى وَلَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ فَإِذَا مَجِثَتْ عَنْ كَشْفِ هَذَا الْمَعْنَى عَلِمْتَ أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَحْمِلُ سَهْوَ الْمَأْمُومِ وَأَنَّ مَكْحُولًا كَحَلِّ عَيْنِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِكَحَلِّ الْإِصَابَةِ فَانْجَلَى عَيْنَ بَصِيرَتِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

(وصل في فصل)

المأموم يفوته بعض الصلاة وعلى الإمام سجود سهو متى يسجد المأموم اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يسجد مع الإمام ثم يقوم لقضاء ما عليه وسواء سجد الإمام قبل السلام أو بعده ومن قائل يقضي ثم يسجد ومن قائل إذا سجدهما قبل التسليم سجدهما معه وإذا سجد بعد التسليم سجدهما بعد أن يقضي ومن قائل يسجد مع الإمام ثم يسجد مع الإمام ثانية بعد القضاء والذي أقول به لا يخلو المأموم أن يعلم ما سهى فيه الإمام أو لا يعلم فإن لم يعلم فلا يخلو الإمام إما أن يسجد مع الإمام قبل السلام فيسجد مع الإمام قام لقضاء ما عليه وإن سجدهما الإمام بعد السلام فلا يتبعه يقوم لقضاء ما عليه ولا يسجد عليه لسهو الإمام وإن سجد هذا المأموم بعد القضاء فهو

أحوط بل استحباب لكل مصل أن يسجدهما بعد القضاء كل صلاة يصلحها دائما منفردا أو خلف إمام بعد السلام وإن علم المأموم بسهولة الإمام فلا يخلو إما أن يكون سهوه فيما فات هذا المأموم أو فيما أدرك معه من الصلاة فإن كان فيما فاتته فلا يتبعه في سجوده ولو سجد قبل السلام وإن كان يعلم أن سهو الإمام فيما أدرك معه من الصلاة فإن سجد قبل السلام اتبعه وإن سجد بعد السلام يقضي ما فاتته ثم يسجد إلا أن يكون سهو الإمام فيما سهى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أدركه معه هذا الداخل فإنه يتبع الإمام في سجوده قبل السلام وبعده وحينئذ يقوم لقضاء ما عليه (وصل الاعتبار في هذا الفصل) يلزم الانتماء بالإمام ما دام يسمى إماما فإذا زال عنه اسم الإمام لم يلزم اتباعه وإمامة الرسول لا ترتفع فالاتباع لازم ومحبة الله لمن اتبعه لازمة بلا شك يقول الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقيل له قل فاتبعوني يُحِبُّكُمْ اللهُ وإذا أحب الله عبده كان جميع قواه وجوارحه وهولا يتصرف إلا بقواه وجوارحه فلا يتصرف إلا بالله فيكون محفوظا التصرف في حركاته وسكناته ثم تعلم أنه من جهة انصافه بها تكليف المكلف فقد زال عنه إما بالكلية وإما بالتعليق عند جميع الفقهاء وعندنا ليس كذلك لأنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع ممن غلب عليه الحال أو الجنون أو النسيان أو النوم أو الذي لم يبلغ حد الحلم فلم يخرج أحد من هؤلاء عن حكم الشرع فإنه قد شرع لكل صاحب حال وصفة حكما إما بالإحاطة أو غير ذلك من أحكام الشرع لأنه لا يخلو عن حكم مشروع لصاحب تلك الحال فما ثم إلا مكلف فما ارتفع التكليف فإن هؤلاء الذين تقول فيهم الفقهاء قد ارتفع عنهم خطاب الشرع لم يرتفع فإن الشرع قد أباح له التصرف فيما يقتضيه طبعه كالحیوان ولا حرج عليه في ذلك فكيف يقال زال عنه حكم الشرع والشرع قد حكم له بالإباحة كما حكم للعاقل البالغ بالإباحة فيما أباح له فإن الحكم في الأشياء للشرع لا للعقل والشرع هو حكم الله في الأشياء وما ثم شيء خرج عن حكم الله فيه بأمر ما هذا نظر أهل الله لأنهم لا يزالون في كل نفس حاضرين مع الله وأحكام الشرع وإن تعلقت بالأعيان فإنها مبنية على الأحوال فما خوطبت عين بأمر ما إلا للحال هي عليه لأجل ذلك الحال خوطب بما خوطب به لا لعينه فإن العين لا تزال باقية والأحوال تتغير فيتغير حكم الشرع على العين لتغير الحال فحال الطفولة والإغماء والجنون وغلبة الحال والفناء والسكر والمرض للشرع فيها أحكام كما لحال الرجولة والإفاقة والصحة والبقاء والصحو وعدم غلبة الحال للشرع فيها أحكام فحكم الشرع سار في جميع الأحوال لمن عقل سريان الحق في وجود الأعيان

(وصل في فصل التسييح والتصفيق من المأمومين لسهو الإمام)

فقال قوم التسييح للرجال والنساء وقال آخرون التسييح للرجال والتصفيق للنساء وبه أقول وإليه أذهب للخبر الوارد فيه (وصل الاعتبار في هذا) من اعتبر الإنسانية الحق النساء بالرجال كما ألحقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجال في الكمال ومن اعتبر الذكورة والأنوثة وقول الله تعالى وَلِلرِّجَالِ عَلَيَّهِنَّ دَرَجَةٌ و غلب الفاعل على المنفعل فرق بين الرجال والنساء فجعل التسييح للرجال والتصفيق للنساء فإن كلام المرأة يثير الشهوة بالطبع ولا سيما إن كان في كلامها خضوع وانكسار وفي خيال السامع أنها أنثى وفي قلبه مرض والله قد

نهاهن عن الخضوع في القول فقال فلا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ففي هذه الآية إباحة كلام النساء الرجال على وصف خاص ولا شك أن المصلي في حال مناجاة ربه فإذا سبحت المرأة به حيف عليه الميل الطبيعي الخيالي إليها فهو مع التصفيق لا يؤمن عليه فكيف مع الكلام فالعارف هنا مع ما يعتبره مع الحق في مناجاته فأما إن يناجيه بعقله وإما بنفسه وطبعه وهو مجسب قوته فإن كان صحيحا قويا فلا يبالي بما وقعت المناجاة فيستوي عنده الرجال والنساء وأن يعرف نفسه أن فيها بقية من ذاتها وعندها مرض فرق بين عقله وطبعه حتى يتخلص هكذا هو نظر أهل الله في نفوسهم

(وصل في فصل سجود السهو لموضع الشك)

اختلف العلماء فيمن شك في صلاته فلم يدركه صلى واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا فمن العلماء من قال يبني على اليقين وهو الأقل ولا يجزيه التحري ويسجد ومنهم من قال إن كان أول أمره فسدت صلاته وإن تكرر ذلك منه تحرى وعمل على غلبة الظن ثم يسجد سجدتين بعد السلام وقال قوم إنه ليس عليه إذا شك لا رجوع إلى يقين ولا تحر وإنما عليه السجود فقط إذا شك والذي أذهب إليه في هذه المسألة هذا القول الأخير وإن كان البنيان على اليقين أحوط وصل في اعتبار هذا الفصل الخاطر الأول إذا عرفه الإنسان اعتمد عليه والشك هو التردد بين أمرين أو أمور من غير ترجيح وغلبة الظن الميل بالترجيح لأحد المشكوكين من غير قطع وليس له رجوع إلى يقين ولا إلى غلبة ظن فإن الحكم لصاحب الوقت وهو الشك وكما يلزم الحذور فيما نقص من فعل العبادة كذلك يلزم في الزيادة فإنه شرع لم يأذن به الله والسجود إنما حوطب به الشاك فلو إن الذي يبني على يقين يزول عنه الشك كان حكمه حكم من لم يشك وأما في الزيادة في تلك العبادة فالذي شرع ذلك العمل هو الذي شرع السجود للشك فما حوطب بالسجود من يقين ولا من غلب على ظنه فمن شك في دليل عقله في معرفة ربه وفي دليل سمعه المعارض دليل عقله في معرفة ربه فلم يثق بأحد الدليلين لأنه لم يترجح عنده أحد الدليلين فإنه لا يقدر أن يرفع عن نفسه صدق الخبر المتواتر الذي عارضه دليل عقله في علمه بما ينبغي لجلال الله من التنزيه في دليل عقله ولم يقدر أن يدفع عن نفسه لإيمانه ما وصف الحق نفسه بما ينبغي له عند هذا المؤمن لورود النص المتواتر به فلو لا أنه ابتغى له ما ورد به الخبر النبوي الذي يوجب القطع وتعارض الدليلان ولم يجد وجها للترجيح ولا للجمع فهذا هو الشاك فليسجد سجدتي السهو إذ سهى عن العمل بالإيمان من غير نظر في الدليلين ويفرغ الخلل ويخليه وهو القلب ويخليه بصدق التوجه وهو السجود لهذا الموصوف بالتقيضين والسجود محل القرية من الله ومحل بعد الشيطان منه فإنه يعتزل من العبد في حال سجوده وهو في حال سجوده صاحب شبهة فلا بد بعمله على الإيمان أن يتدح لمن هذه الصفة صفتة في قلبه علم بالله لم يكن عنده يرفع عنه الشك بأن يعطيه ذلك العلم إما الجمع بين الدليلين وإما الترجيح بالعمور على فساد ما يناقض الإيمان من أحد الدليلين ويعثر على الشبهة التي أوجبت التعارض قال الله تعالى وانتقوا هنا بسجدتي السهو ويعلمكم الله هنا الجمع بين الدليلين المتعارضين أو الترجيح أو إبطال أحد الدليلين

(وصل في فصل)

ما هو من الصلاة فرض على الأعيان وما ليست بفرض على الأعيان اعلم أن من الصلاة ما هي فرض على الأعيان وهي ما تكلمنا فيها فيما مضى من هذا الباب ومنها ما ليست بفرض على الأعيان فأما التي ليست بفرض على الأعيان فمنها ما هي سنة ومنها ما هي فرض على الكفاية ومنها ما هي نفل والذي أذهب إليه أنه ما ثم فرض إلا الصلوات الخمس وما عداها ينبغي أن يسمى صلاة تطوع كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر الوارد في حديث الأعرابي نظر عندي إذ قال الأعرابي يا رسول الله هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم لا إلا أن تطوع بصلاة فتلزمك لزوم الفرائض فإن قوله هل على غيرها يعني من عند الله الزمناها ابتداءً والصلاة إذا تطوعت بها مثل النذر الزمك الله الإتيان بها بالزامك نفسك إياها ثم إن هذه صلاة التطوع للشرع فيها أحوال مختلفة أدى ذلك الاختلاف إلى أن يجعل لها أسماء مختلفة لتعرف بها وجملتها فيما أحسب عشرة الوتر وركعتا الفجر والنفل وتحية المسجد وقيام رمضان والكسوف والاستسقاء والعيان وسجود القرآن عند من يجعله صلاة فإذا فرغنا من هذه العشرة واعتباراتها سقتنا صلاة الجنائز وصلاة الاستخارة وغير ذلك مما يسمى في الشرع صلاة وإن لم يكن فيها ركوع ولا سجود ولا إحرام ولا تسليم كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمور بها شرعاً منزلاً وحكمة ذلك (وصل الاعتبار) الصلاة تقتضي العبودية ولما انقسمت الصلاة إلى قسمين كما قدمنا إلى ما هو فرض أعيان وإلى ما ليس بفرض انقسمت العبودية إلى قسمين عبودية اضطرار وبها أصلي فرائض الأعيان وعبودية اختيار وبها نصلي ما عدا فرض الأعيان وسماها الحق تعالى نوافل وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم تطوعاً قال تعالى وَمَنْ اللَّيْلِ فَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ يَقُولُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مَا لِأَحَدٍ نَافِلَةٌ مَقْطُوعٌ بِهَا إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهَا لَا تَصِحُّ النَّوَافِلُ إِلَّا مَنْ كَمَلَتْ فَرَائِضُهُ وَمَنْ نَقَصَتْ فَرَائِضُهُ عَنِ الْكَمَالِ كَمَلَتْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ فَإِنْ زَادَ التَّطَوُّعَ حِينَئِذٍ يَصِحُّ اسْمُ النَّافِلَةِ وَمَا شَهِدَ اللَّهُ بِهَا لِأَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَمْرًا وَمَنْ اللَّيْلِ فَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَبْرِ الصَّحِيحِ عَنْهُ وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ فَسُمِّيَ مَا زَادَ عَلَى الْفَرَائِضِ نَوَافِلٌ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ فِي تَعْلِيمِ مَا بَنَى عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَذَكَرَ الْفَرَائِضَ فَقَالَ هَلْ عَلَى غَيْرِهَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا إِلَّا أَنْ تَطَوُّعَ فَسُمِّيَ مَا زَادَ عَلَى الْفَرَائِضِ تَطَوُّعًا فَالْفَرْضُ عِبُودِيَّةٌ اضْطِرَّارٌ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ تَتَحَقَّقُ بِفِعْلِهِ أَوْ بِتَرْكِهِ وَمَا عَدَاهُ فِعْبُودِيَّةٌ اخْتِيَارٌ لَكِنَّهُ مَخْتَارٌ فِي الدُّخُولِ فِيهَا ابْتِدَاءً فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا عِنْدَنَا لَزِمَتْهُ أَحْكَامُ عِبُودِيَّةِ الْاضْطِرَّارِ وَلَا بَدَّ وَلَا يَسَّرَ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حُكْمِهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَهَذَا لَمَّا قَالَ لَهُ هَلْ عَلَى غَيْرِهَا قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَعْنِي أَنَّهُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ ابْتِدَاءً مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَطَوُّعَ إِلَّا أَنْ تَشْرَعَ أَنْتَ فِي أَمْثَالِهَا مِمَّا رَغِبْتَ الْحَقَّ فِيهِ فَإِنْ تَطَوُّعْتَ وَدَخَلْتَ فِيهَا وَجِبَ عَلَيْكَ الْوَفَاءُ بِهَا كَمَا وَجِبَ فِي فُرُوضِ الْأَعْيَانِ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ لَا إِلَّا أَنْ تَطَوُّعَ فَيَجِبُ عَلَيْكَ مَا أَوْجَبْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَفِي هَذَا الْبَابِ دَخَلَ النَّذْرُ وَأَمْثَالُهُ قَالَ تَعَالَى وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ فَالْوَتْرُ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَرُكْعَتَا الْفَجْرِ لِلشُّكْرِ لِقِيَامِ اللَّيْلِ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ وَلِلنَّائِمِ عَلَى قِيَامِهِ إِلَى آدَاءِ فَرْضِ الصُّبْحِ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ لِلسَّلَامِ عَلَى الْمَلِكِ فِي

بيته وقيام رمضان لكون رمضان اسما من أسماء الله فوجب القيام لذكر الملك قال يوم يقوم الناس لرب العالمين والكسوف للتجلي الذي يعطي الخشوع سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال ما تجلئ الله لشيء إلا خشع له وهو ما يظهر لعين الرائي من التغيير في الشمس أو القمر وإن لم يتغيرا في أنفسهما فأبدى الحق لعين الرائي ما في نفس الشمس والقمر في ذلك الزمان من الخشوع لله في صورة ذهاب النور بالحجاب النفسي الطبيعي في كسوف القمر وبالحجاب العلمي في كسوف الشمس والاستسقاء طلب الرحمة والعيادة تكرار التجلي وسجود القرآن الخضوع عند كلام الله ولهذا أمر بالإنصات والاستماع والصلاة على الميت العبد يتخذ الله وكيلانأبا عنه فيما ملكه إياه شكرا على ما أولاه حين حرم من قيل له وَأَقْبُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْهُمْ قَالَ تَعَالَى وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا اللَّهَ وَكِيْلًا صَارُوا أَمْوَاتًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهَذَا أَعْطَاهُمْ صِفَةَ التَّقْدِيسِ وَهِيَ الطَّهَارَةُ فَأَمْرًا بِغَسْلِ الْمَيِّتِ لِجَمْعِ بَيْنِ الطَّهَارَتَيْنِ فَإِنَّهُ فِي قَبْلَةِ الْمَصْلِيِّ عَلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَهُوَ يَنْجِي اللَّهَ فِيهِ لَهُ فَإِنَّ الْمَصْلِيَّ عَلَى طَهَارَةٍ وَالْحَقُّ هُوَ الْقُدُّوسُ وَصَارَ الْمَيِّتُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمَصْلِيِّ عَلَيْهِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا وَطَهَارَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا يَشْعُرُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْكَشْفِ فَأَمْرُ أَهْلِ الشَّرْعِيَّةِ فِي ظَاهِرِ الْحُكْمِ أَنْ يَغْسِلَ الْمَيِّتَ حَتَّى يَتَيَقَّنَ مِنْ لَاقِئِهِ لَهْ طَهَارَتِهِ وَسَيِّئَاتِي اعْتِبَارَهُ فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَصَلَاةُ الْاسْتِخَارَةِ وَهِيَ تَعْيِينُ مَا اخْتَارَ اللَّهُ هَذَا الْعَبْدَ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ لِيَكُونَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فَهُدَى فَانْدَى صَلَاةُ الْاسْتِخَارَةِ وَسَيِّئَاتِي فِي بَابِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَنْذَكَرَ مَا شَرَطْنَاهُ فَصَلَاةً فَصَلَاةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِيَعْرِفَ النَّاسُ مَقَاصِدَ الْعَارِفِينَ فِي عِبَادَاتِهِمُ الَّتِي امْتَارُوا بِهَا عَنِ الْعَامَةِ مَعَ مَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْرِ الْعَامِ لِجَمِيعِ الْمُكَلْفِينَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِرَبِّ غَيْرِهِ

(وصل في فصل صلاة الوتر)

خرج أبو داود عن أبي أيوب الأنصاري أنه صلى الله عليه وسلم قال الوتر حق على كل مسلم فمن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل وخرج أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بسبع وتسع وخمس والحديث العام بوتره صلى الله عليه وسلم ما أخرجه عن عبد الله بن قيس قال قلت لعائشة بكم كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وبثمان وثلاث وعشر وثلاث ولم يكن يوتر بأكثر من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخرج النسائي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل واختلف الناس في الوتر هل هو واجب أو سنة فمن قائل إنه واجب والواجب عند صاحب هذا القول بين الفرض والسنة ومن قائل إنه سنة مؤكدة وقد تقدم الكلام في حكمه وبقي الكلام في صفته ووقته والقنوت فيه وصلاته على الراحلة فلنذكر أولا من أحاديث الأمر به ما تيسر لمتبين الناظر فيها الوجوب وعدم الوجوب فمن ذلك ما أخرجه أبو داود عن خارجة بن حذافة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله عز وجل قد أمركم بصلاة وهي خير لكم من حمر النعم فاجعلها لكم فيما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر فهذا يدخل فيه الوتر وغير الوتر وهذا الحديث هو من رواية عبد الله بن

راشد عن عبد الله بن أبي مرة ولم يسمع منه وليس له إلا هذا الحديث وكلاهما ليس ممن يحتج به ولا يكاد ورواه عبد الله بن أبي مرة عن خارجة ولا يعرف له سماع من خارجة ولما ذكر الترمذي هذا الحديث بهذا الإسناد قال فيه حديث غريب وخرجه الدارقطني من حديث النضر بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وفيه إن الله قد أمدكم بصلاة وهي الوتر والنضر ضعيف عند الجميع ضعفه البخاري وابن حنبل وأبو حاتم وأبوزرعة والنسائي وقال فيه ابن معين لا تحل الرواية عنه وقد ضعفه غير هؤلاء وقد روى أيضا من طريق العزمي والعزمي متروك وروى من طريق حجاج بن أرطاة وهو ضعيف ورواه أبو جعفر الطحاوي من حديث نعيم بن حماد وهو ضعيف وأما حديث البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الوتر واجب على كل مسلم ففي إسناده جابر الجعفي وأبو معشر المدني وغيرهما وكلهم ضعفاء وأما حديث أبي داود في ذلك فهو عن عبيد الله بن عبد الله العنكي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا وعبيد الله هذا وثقه يحيى بن معين وقال فيه أبو حاتم صالح الحديث وأما حديث أبي أحمد بن عدي من حديث أبي حباب حديث ثلاث علي فريضة وعليكم تطوع فذكر منهن الوتر وأبو حباب كان يدلس في الحديث وحديث البزار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أمرت بركعتي الفجر والوتر وليس عليكم في إسناده جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف وخرجه الدارقطني من حديث عبد الله بن محرز من رواية أنس وابن محرز متروك وذكر أبو داود من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر وقد تقدم اعتبار حكمه فيما تقدم في فصل عدد الصلوات المفروضات على الأعيان وغير المفروضات على الأعيان وهو الفصل الذي يليه هذا الفصل

(وصل في فصل صفة الوتر)

فمنهم من استحَب أن يوتر بثلاث يفصل بينهما بسلام ومنهم من لا يفصل بينهما بسلام ومنهم من يوتر بواحدة ومنهم من يوتر بخمس لا يجلس إلا في آخرها وقد أوتر بسبع وتسع وإحدى عشرة وبثلاث عشرة وهو أكثر ما روى في ذلك في وتره صلى الله عليه وسلم قد بينا لك في الاعتبار قبل هذا في كون المغرب وتر صلاة النهار فأمر بوتر صلاة الليل لتصح الشفعية في العبادة إذا العبادة تناقض التوحيد فإنها تطلب عبادا ومعبودا والعابد لا يكون المعبود فإن الشيء لا يذلل لنفسه ولهذا قسم الصلاة بين العبد والرب بنصفين فلما جعل المغرب وتر صلاة النهار والصلاة عبادة غارت الأحذية إذ سمعت الوترية تصحب العبادة فشرعت وتر صلاة الليل لتشفع وتر صلاة النهار فتأخذ بوتر الليل نازها من وتر صلاة النهار ولهذا يسمى الذحل وترا وهو طلب الثأر فإن أوتر بثلاث فهو من قوله فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ومن أوتر بواحدة فهو مثل قوله لا قود إلا مجديدة فمن فصل في الثلاث بسلام راعى لا قود إلا مجديدة وراعى حكم الأحذية ومن لم يفصل راعى أحذية الإله فمن أوتر بواحدة فوتره أحدي ومن أوتر بثلاث فهو توحيد الألوهة ومن أوتر بخمس فهو توحيد القلب ومن أوتر

بسبع فهو توحيد الصفات ومن أوتر بتسع فقد جمع في كل ثلاث توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال ومن أوتر بإحدى عشرة فهو توحيد المؤمن ومن أوتر بثلاث عشرة فهو توحيد الرسول وليس وراء الرسالة مرمى فإنها الغاية وما بعدها إلا الرجوع إلى النبوة لأن عين العبد ظاهر هناك بلا شك ومن السنة أن يتقدم الوتر شفع والسبب في ذلك أن الوتر لا يؤمر بالوتر فإنه لو أمر به لكان أمرا بالشفع وإنما المأمور بالوتر من ثبت له الشفعية فيقال له أوترها فإن الوتر هو المطلوب من العبد فما أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلا عن شفع قال تعالى وَالشُّعْرُ وَالْوُتْرُ وقد قدمنا إن الشفعية حقيقة العبد إذ الوترية لا تنبغي إلا لله من حيث ذاته وتوحيد مرتبته أي مرتبة الإله لا تنبغي إلا لله من غير مشاركة والعبودية عبوديتان عبودية اضطرار ويظهر ذلك في أداء الفرائض وعبودية ذلك في النوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتر قط إلا عن شفع نافلة غير أن قوله إن صلاة المغرب وتر صلاة النهار وشرع الوتر لوترية صلاة الليل وصلاة النهار منها فرض ونقل وعلمنا أن النعل قد لا يصله واحد من الناس كضمام بن ثعلبة السعدي فقد أوتر له صلاة المغرب الصلوات المفروضة في النهار فقد يكون الوتر يوتر له صلاة العشاء الآخرة إذا أوتر بواحدة أو بأكثر من واحدة ما لم يجلس فإن النفل لا يقوى قوة الفرض فإن الفرض بقوته أوتر صلاة النهار وإن كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات يجلس فيها من ركعتين ويقوم إلى الثالثة وقد ورد النهي عن أن يتشبه في وتر الليل بصلاة المغرب لتلايق اللبس بين الفرائض والنوافل فمن أوتر بثلاث أو بخمس أو بسبع وأراد أن يوتر الفرض فلا يجلس إلا في آخر صلاته حتى لا يشتبه بالصلاة المفروضة فإذا لم يجلس قامت في القوة مقام وترية المغرب وإن كان فيه جلوس لقوة الفرضية فيقوى الوتر إذا كان أكثر من ركعة إذا لم يجلس بقوة الأحذية

(وصل في فصل وقت الوتر)

فمن وقته متفق عليه وهو من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر ومنه مختلف فيه على خمسة أقوال فمن قائل يجوز بعد الفجر ومن قائل يجوز ما لم تصل الصبح ومن قائل يصلي بعد الصبح ومن قائل يصلي وإن طلعت الشمس ومن قائل يصلي من الليلة القابلة هذه الأقوال حكاه أبو بكر بن إبراهيم بن المنذر في كتاب الأشراف في الخلاف والذي أقول إنه يجوز بعد طلوع الشمس وهو قول أبي ثور والأوزاعي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل المغرب وتر صلاة النهار مع كونه لا يصلي إلا بعد غروب الشمس فكذلك صلاة الوتر وإن تركها الإنسان من الليل فإنه تارك للسنة فإن صلاها بعد طلوع الشمس فإنها توتر له صلاة الليل وإن وقعت بالنهار كما أوترت صلاة المغرب صلاة النهار وإن كانت وقعت بالليل (وصل الاعتبار) الوتر لا يقيد بالأوقات وإن ظهر في الأوقات إذ لو قيد لم يصح له الانفراد فإن القيد ضد الإطلاق لا سيما وقد بينا لك فيما ذكرناه في هذا الكتاب وفي كتاب الزمان إن الوقت أمر عدمي لا وجود له والوتر أمر محقق وجودي وكيف يقيد الأمر الوجودي بالأمر العدمي حتى يؤثر فيه هذا التأثير ونسبة التأثير إلى الأمر الوجودي أحق وأولى عند كل عاقل وإذا لم يقيد الوقت الوتر فليوتر متى شاء ومثابته على إيقاعه قبل الفجر أولى فإنه السنة والاتباع في العبادات أولى وإنما هذا الكلام الذي أوردناه هو

على ما تعطيه الحقائق في الاعتبارات فافهم كما أنه إذا اعتبرنا في الوتر الذحل مما وقع من وتر صلاة المغرب من كونها عبادة فطلب الثأر لا يتقيد بالوقت وإنما أمره مهمما ظفر بمن يطلبه أخذ ثأره منه من غير تقييد بوقت فعلى كل وجه من الاعتبارات لا يتقيد بالوقت

(وصل في فصل القنوت في الوتر)

قد تقدم الكلام في شرح ألفاظ قنوت الوتر في فصل القنوت من هذا الباب واختلف الناس فيه فمن قائل يقنت في الوتر ومن قائل بالمنع ومن قائل بالجواز في نصف رمضان الأول ومن قائل في نصف رمضان الآخر ومن قائل بجوازه في رمضان كله وعندني أن كل ذلك جائز فمن فعل من ذلك ما فعل فله حجة ليس هذا موضعها (وصل في الاعتبار) الوتر لما لم يصح إلا أن يكون عن شفع إما مفروض أو مسنون لم يقو قوة توحيد الأحدية الذاتية التي لا تكون نتيجة عن شفع ولا تتولد في نفس العارف عن نظر مثل من عرف نفسه عرف ربه فهذه معرفة الوترية لا معرفة الأحدية الذاتية والقنوت دعاء ونضوع وابتهاال وهو ما يحمله الوتر من أثر الشفع المقدم عليه الذي هو هذه المعرفة الوترية نتيجة عنه فتعين الدعاء من الوتر ولهذا دعا الحق عباده وقال فَلَيْسَ سَجِيئًا لِي وقال وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ وقال وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ فوصف نفسه بالدعاء وهو الوتر سبحانه فاقضى الوتر القنوت فإذا أوتر العبد ينبغي له أن يقنت ولا سيما في رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فتأكد الدعاء في وتر رمضان أكثر من غيره من الشهور فاعلم

(وصل في فصل صلاة الوتر على الراحلة)

فمنهم من منع من ذلك لكونه يراه واجبا فيلحقه بالفرض قياسا وموضع الاتفاق بين الأئمة أن الفرض لا يجوز على الراحلة وأكثر الناس على إجازة صلاة الوتر على الراحلة لثبوت الأثر في ذلك وبه أقول (وصل في الاعتبار في هذا الفصل) الصلاة المقسومة بين الله وبين العبد ليست في الأفعال وإنما هي في قراءة المصلي فاتحة الكتاب وما في معناها من أقوال الإنسان في الصلاة عند أهل الله فيجوز الوتر على الراحلة وهو مصل ومن راعى تنزيه الحق جل جلاله في كل فعل في الصلاة واعتباره فيما يناسب الحق من ذلك قال لا يجوز الوتر على الراحلة لأن من شروط صحة الصلاة ما يسقط في مشي الراحلة إذا توجهت لغير القبلة فإن اعترض بوتر النبي صلى الله عليه وسلم على الراحلة حيث توجهت فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كله وجه بلا قفا فإنه قال صلى الله عليه وسلم إني أراكم من خلف ظهري فأثبت الرؤيا لحاله ومقامه فثبتت الوجهية له وذكر الخلف والظهر لبشريته فإنهم ما يرون رؤيته ويرون خلفه وظهره ولما ورثته صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وكانت لي هذه كنت أصلي بالناس بالمسجد الأزهر بمدينة فاس فإذا دخلت الخراب أرجع بذاتي كلها عينا واحدا فأرى من جميع جهاتي كما أرى قبلي لا يخفى على الداخل ولا الخارج ولا واحد من الجماعة حتى أنه ربما يسهو من أدرك معي ركعة من الصلاة فإذا سلمت ورددت وجهي إلى الجماعة أدعوا أرى ذلك الرجل يجبر ما فاته فيخل بركعة فأقول له فاتك كذا وكذا فيتم صلاته ويتذكر فلا يعرف الأشياء ولا هذه الأحوال إلا من ذاقها ومن كانت هذه حاله فحيث كانت القبلة فهو مواجهها هكذا ذقته بنفسه فلا ينبغي أن يصلي على

الراحلة إلا صاحب هذا الحال و رأيت مقالة لبعض أهل الظاهر أنه لا يجوز الوتر إلا على الراحلة فقط لا على غير الراحلة من حمار و بغل و فرس و لا على الراحلة إلا الوتر فقط فما أوتر رسول الله صلى الله عليه و سلم قط على راحلته حيث توجهت إلا و القبلة في وجهه كما قررناه و من كان له مثل هذه الحال يثبت له في صلاته و جميع تصرفاته قوله تعالى فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ وَ وجه الله للمصلي إنما هو في قبلته فدل إن من حاله هذا الوصف و يرى القبلة بعين منه تكون في الجهة التي تليها فهو متصل للقبلة

(وصل في فصل من نام على و وتر ثم قام فبدا له أن يصلي من الليل)

فمن قائل يصلي ركعة تشفع له و تره ثم يصلي ما شاء ثم يوتر و من قائل لا يشفع و تره فإن الوتر لا ينقلب شفعا بهذه الركعة التي يشفع بها و التنفل بركعة واحدة غير الوتر غير مشروعة فهو شرع لم يأذن به الله و الوتر مختلف فيه بين سنة مؤكدة و وجوب و أين النفل من السنن المؤكدة أو الصلاة الواجبة و الحكم هنا للشرع و قد قال صلى الله عليه و سلم لا وتران في ليلة و من راعى المعنى المعقول قال إن هذه الركعة الواحدة تشفع تلك الركعة الوترية و اتباع الشرع أولى في ذلك بلا شك (اعتبار هذا الفصل) الوتر لا يتكرر فإن الحضرة الإلهية لا تقتضي التكرار لما هي عليه من الاتساع و الله واسع عليم و لما كان العلم صفة إحاطته قرن معه السعة و اشتق له اسما منها كما اشتق من العلم فاعلم ذلك فلا وتران في ليلة فأحدية الحق لا تشفعها أحدية كل مخلوق فإنه لكل شيء أحدية لا بد من ذلك و بأحديته عرف كل شيء أحدية خالقه و هي الآيات التي لله في كل شيء الدالة على أحديته و هو الذي أشار إليه القائل بقوله و هو أبو العتاهية و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد و لا يكون لشيء أحديتان فلا يشفع و تره من قام يصلي ممن نام على و تر و من راعى أحدية الألوهة و أضافها إلى أحدية الذات الموصوفة بالألوهة فإن أحدية المرتبة لا تعقل إلا مع أحدية صاحب المرتبة قال من قام من الليل يريد الصلاة و كان قد نام على و تر يضيف إلى تلك الركعة التي نام عليها و هي التي أوتر بها ركعة عند قيامه يشفعها به ثم يصلي بعد تلك الركعة ما يشاء مثنى مثنى فإذا خشي الصبح أوتر بواحدة فكل قائل من العلماء له اعتبار خاص يسوغ له فيما ذهب إليه من ذلك

(وصل في فصل ركعتي الفجر)

ركعتا الفجر قبل صلاة فرض الصبح بمنزلة الركعتين قبل صلاة فرض المغرب فإن الصحابة في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم كانوا إذا سمعوا أذان المغرب تبادروا إلى صلاة هاتين الركعتين قبل خروج النبي صلى الله عليه و سلم بحديث عبد الله بن مغفل ذكره مسلم في صحيحة و كان يخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و يراهم و لا ينكر عليهم و قد قال صلى الله عليه و سلم بين كل أذانين صلاة يريد الأذان و الإقامة فإنها أذان بلا شك و لا يحافظ على الركعتين قبل المغرب إلا من استبرأ لدينه إلا أن تعجله الإقامة فإنه إذا كانت الإقامة فلا صلاة إلا التي أقيم لها و هي سنة متروكة مغفول عنها و ما رأيت في زماننا من يحافظ عليها من الفقهاء إلا صاحبنا زين الدين يوسف بن إبراهيم الشافعي الكردى و فقه الله لذلك و في هاتين الركعتين قبل صلاة المغرب من الأجر ما لا يعلمه إلا الله فإن لله بين كل أذان و إقامة تجل خاص و

اطلاع فمن ناجاه في ذلك الوقت اختص بأمر عظيم وهو كما قلنا في الخبر المروي الذي صححه الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بين كل أذانين صلاة يريد الأذان والإقامة فسمها أذاناً لأنها إعلام بالقيام إلى الصلاة وحضور الإمام كما يقال في الشمس والقمر القمران في لسان العرب وكذلك العمران في أبي بكر وعمر وهي صلاة الأولياء الأوابين وكان الصدر الأول شديد المحافظة عليهما وسبب ذلك التوفيق الإلهي أن النفل عبودية اختيار وفرض عبودية اضطرار فيحتاج في عبودية الاضطرار إلى حضور تام بمعرفة ما ينبغي للسيد المعبود من الآداب والجلال والتنزيه فتقوم عبودية الاختيار لها كالرياضة للنفس وكالعزلة بين يدي الحلوة فإن دخول العبد للفرض من النفل ما يكون مثل دخوله من الفعل المباح لأنه لا بد أن يبقى للداخل في خاطره مما تقدم له قبل دخوله أثر فلهذا حافظ عليهما من حافظ وركعتا الفجر كذلك فإن النافلة قبل الفريضة صدقة من الشخص على نفسه يقول الله إذا نجيت الرسول فقد موتا بين يدي تجواكم صدقة فما ظنك بمناجاة الحق تعالى أكد وأوجب وحكم ركعتي الفجر سنة بالاتفاق فإن النبي صلى الله عليه وسلم قضاها بعد طلوع الشمس حين نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس فصلاهما ثم صلى الصبح وما هي عندنا قضاء وأنه صلاها في وقتها كما صلى الصبح في وقتها فإن ذلك وقت صلاة النائم والناسي فلا يقال قضاها على اصطلاح الفقهاء

(وصل في فصل القراءة في ركعتي الفجر)

استحب بعضهم أن يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فقط وقال بعض العلماء لا بأس أن يضيف إلى أم القرآن سورة قصيرة وقال بعضهم ليس في القراءة في ركعتي الفجر توقيت يستحب والذي أذهب إليه أن يوجز فيهما ويخفف في كمال بلا توقيت والفاصلة لا بد منها فإنها عين الصلاة في الصلاة ومن لم يقرأ بها في صلاته فما صلى وقد وردت السنة بتحسينهما وإن زاحمك الوقت (وصل في اعتبار هذا الفصل) سبب التخفيف فيها من السنة للخبر الوارد أن مقدار الزمان في محاسبة الله عباده يوم القيامة بأجمعهم كركعتي الفجر فكان يخففهما رحمة بأمته وهي بالجملة صلاة فحكمتها حكم الصلاة وما عدا الفرائض وإن كانت عبودية اختيار فإن في ركعتي الفجر شبهة عبودية اضطرار لما تضمنته صلاة النفل من الفرائض فالعبد في النافلة وما عدا الفرائض من الصلوات بمنزلة عبد قد عتق منه شقص أو بمنزلة المكاتب أو بمنزلة المدبر فإن في هؤلاء من روائح الحرية ما ليست للعبد الذي ما له هذه الحالات فالسنن من النوافل حال العبودية فيها حال المكاتب والمدبر والنافلة التي ليست بسنة أي ليست من فعله صلى الله عليه وسلم دائماً ولا من نطقه بتعيينه بمنزلة عبد عتق منه شقص فهو حر من حيث إنه عتق منه ما عتق وهو عبد من حيث ما بقي منه دون عتق ما بقي فهذه حالة في العبودية بين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار كالسنن بين الفرائض والنوافل سواء فأما من رأى في القراءة فيها الفاتحة فقط فإلها الكافية فإن بها يصح أنه صلى وأما من زاد السورة بعد الفاتحة فليعلم المنزلة التي حصلت له من هذه الخاصة لأن السورة بالسنة هي المنزلة قال النابغة في ممدوحه

ترى كل ملك دونها يتذبذب ألم تر أن الله أعطاك سورة

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب بأنك شمس والملوك كواكب

و سور القرآن منازلها وكما أنه لكل سورة آيات كذلك لكل منزلة لأحد عند الله دلالات وأوضحها المعرفة بالله فالتأييد في الإفصاح عنها و هذه الدلالة سيدة الدلالات كآية الكرسي سيدة آي القرآن فهو قرآن من حيث ما اجتمع العبد والرب في الصلاة وهو فرقان من حيث ما تميز به العبد من الرب مما اخص به في القراءة من الصلاة والعبد في الفاتحة قد أبان الحق بمنزله فيها وأنه لا صلاة له إلا بها فإنه تعرفه بمنزله من ربه وأنها منزلة مقسمة بين عبد ورب كما ثبت فينبغي للعبد أن يقرأ سورة بعد الفاتحة من غير أن تتقدمه روية فيما يقرأ من السور أو الآيات من سورة واحدة أو من سور فإن تقدم الرواية في تعيين ما يقرأ بعد الفاتحة يقدر في علم من يريد الوقوف على وجه الحق في منزلته عند الله فهو الخاطر الأول فإذا فرغ المصلي من قراءة فاتحة الكتاب قرأ ما تيسر له من القرآن وما يجري الله على لسانه منه من غير أن يختار آية معينة أو يتردد فينظر آية سورة يقيمه الله فيها أو أي آية من سورة أو سور يجري الله على لسانه إن لم يكمل السورة بالقراءة فيعلم بذلك العالم الحاضر المراقب منزلته من الله في ذلك الوقت التي حصلت له من قراءة فاتحة الكتاب من قسمه الذي له منها ومن قسم ربه جزءا لما كان منه من الشاء على ربه والسؤال بالسورة التي يقرأها فإن أتمها فالمنزلة له بكاملها بلا شك وإن اقتصر منها على ما اقتصر فحظه منها أي من تلك المنزلة بحسب ما اقتصر عليه منها والسنة إتمام السورة في الخبر الصحيح يقال لقارئ القرآن يوم القيامة اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ فاختر لنفسك أيها الإنسان واصح إلي بلح البرهان

(وصل في فصل صفة القراءة فيهما)

فمن العلماء من استحب الأسرار ومنهم من استحب الجهر ومنهم من خير والذي أذهب إليه إذ لم يرد في ذلك نص نوقف عنده أن يسمع بالقراءة نفسه من جهة سمعه بحيث أن لا يسمع غيره قراءته وهي حالة بين الجهر والأسرار مناسبة لوقتها فإن وقتها وقت برزخي بين الليل والنهار ما هو ليل فيجهر ولا هو نهار فيسر ولولا إن النص في قراءة فرض الصبح ورد بالجهر لكان الحكم فيها كذلك نعم صلاة المغرب جمعت بين الجهر لما فيها من الليل وبين الأسرار لما فيها من النهار فأشبهت في الوقت النائم فإن النائم في موطن برزخي فيكون النائم يرى في نومه صيحات وزعقات وأمور إعظاما والذي إلى جانبه لا يعلم بما هو فيه هذا النائم فمعاملة الوقت بهذه الصفة من القراءة أولى للمناسبة و ليفرق بمثل هذه الصفة في القراءة بينها وبين قراءة صلاة الصبح لتمييز من الفريضة ومن الحكمة تميز المراتب و ارتفاع اللبس في الأشياء ومع هذا فالذي عندي إنه مخير والذي يقول بالجهر يلحقها بصلاة الليل لأن الليل ما لم تطلع الشمس في العرف لا في الشرع والذي يسرها يجعل طلوع الفجر من النهار المشروع للصائم الإمساك فيه ولم يعتبر ذلك في المغرب و سماه ليلا لقوله ثم أتَمَّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وللشرع أن يعتبر المعنى الواحد باعتبارين في وقتين أو من وجهين له ذلك وقد قيل في تفسير قوله وفار التَّنُورُ يريد ضوء الفجر وهو المعلوم من لسان العرب فإذا فار التنور وظهر انبغى للعبد أن يكون في صلاة ركعتي الفجر كما قال تعالى وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا و طلوع الفجر تجل

رحماني للمعاش كطلوع الليل للسكون يقول تعالى وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكُمْ الِئْتِ وَالتَّهَا رَسَسُكُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ لَمَا يَتَضَمَّنُهُ النَّهَارُ غَالِبًا مِنْ الْحَرَكَاتِ فِي الْمَعَاشِ وَقَوَامِ النُّفُوسِ وَمَصَالِحِ الْخَلْقِ وَتَنْفِيزِ الْأَمْرِ وَإِظْهَارِ الصَّنَاعِ وَإِقَامَةِ الْمَصْنُوعَاتِ فِي نَشْأَتِهَا وَتَحْسِينِ هِيَئَتِهَا فَهُوَ تَجَلُّهُ إِلَهِي رَحْمَانِي بِهَذَا الْعَالَمِ فَلِهَذَا اسْتَحْبَبْنَا الْأَسْرَارَ بِحَيْثُ أَنْ يَسْمَعَ نَفْسَهُ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا أَيْ صَوْتًا خَفِيًّا خَشِيعًا اللَّهُ تَعَالَى وَخُضُوعًا وَادْبَاعًا مَعَ الْحَقِّ وَإِنَّمَا شَرَعَ الْجَهْرَ فِي الصَّبْحِ عِنْدَ هَذَا التَّجَلِّيِ لِأَنَّهُ مَا مُمَرُّ أَمْرٍ فَرَضَ وَاجِبٌ بِالْكَلَامِ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ أَمْرِ إِلَهِي يَعْصِي بِتَرْكِهِ إِذَا قَصَدَهُ عَلَى حَسَبِ مَا شَرَعَ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ هَذَا الْفَرَضِ عِنْدَ هَذَا التَّجَلِّيِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا فُورِدَ الْأَذْنَ فَتَعِينُ الْجَهْرَ وَالنَّافِلَةَ لَيْسَتْ لَهَا هَذِهِ الْمُرْتَبَةُ فِي هَذَا التَّجَلِّيِ فَلَا تَسْمَعُ فِي النَّافِلَةِ إِلَّا هَمْسًا فَحَصَلَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَخْتَارِ وَاللَّهُ الْهَادِي

(وصل في فصل)

من جاء إلى المسجد ولم يركع ركعتي الفجر فوجد الصلاة تقام أو وجد الإمام يصلي فمن الناس من جوز ركوعهما في المسجد والإمام يصلي ومن الناس من قال لا يركعهما أصلا في هذا الحال وبه أقول ومن الناس من قال لا يخلو إما أن يكون خارج المسجد أو داخل المسجد فإن كان قد دخل المسجد فلا يركعهما وإن كان لم يدخل بعد فاختلف أصحاب هذا القول في الذي يكون خارج المسجد وقد سمع الإقامة أو قد رأى الإمام يصلي والناس يصلون فمنهم من قال إن لم يخف أن يفوته الإمام بتلك الركعة فلا يركعهما وإن خاف فلا يركعهما ويدخل مع الإمام في الصلاة ويقضيها بعد طلوع الشمس وقال المخالف يركعهما من هو خارج المسجد ما غلب على ظنه أنه مدرك ركعة واحدة مع الإمام من صلاة الصبح (وصل الاعتبار في هذا الفصل) يبطل التيمم مع وجود الماء والقدرة على استعماله ولا شك أنه كل ما زاد على الفرض فهو نافلة سواء وكذا لو يركع فإن الفرض أكد منه بلا شك والوقت للفرض بالإقامة الحاصلة فتأخرت النافلة إذ لا تتحقق الزيادة على الشيء إلا بعد حصول الشيء فإن الزيادة تؤذن بوجود مزاد عليه متقدم في الوجود وهو الفرض وهو الأصل في التكليف وكذلك هو في نفس الأمر فإن الفرض هو المشروع الذي يأثم تاركه والنفل إنما يكون بعد ثبوته فإن كونه زائدا يبطل فإنه لما يكون زائدا وما ثبت أمر قبله يزيد عليه هذا فيصح عليه اسم الزائد ومراعاة الأصول أولى فالدخول مع الإمام في الصلاة أو عند سماع الإقامة أولى من صلاة ركعتي الفجر وقد غلط في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الكراهة لمن فعل ذلك وقال لمن صلاهما وصلاة الصبح تقام أوصلي الصبح أربعا يكرر عليه كارها منه ذلك الفعل وهذا هو عين الدليل على جوازها مع الكراهة فإنه صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يقطعها ولأن يخرج عنها فلو فعل محظورا ما أبقاه عليه فثبت أنه عمل مشروع لا يبطله من شرع فيه فإن الله يقول وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ وَلَكِنْ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ بَعْدَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الشَّرْعَ يَكْرَهُهُ وَإِنَّمَا يَكْرَهُهُ الشَّرْعُ فِيهِ

(وصل بل فصل في وقت قضاء ركعتي الفجر)

فمن قائل يقضيها بعد صلاة الصبح وبه أقول وقال قوم يقضيها بعد طلوع الشمس وأصحاب هذا القول اختلفوا فمنهم من جعل لها هذا الوقت غير متسع ومنهم من وسع فقال يقضيها من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال ولا يقضيها بعد الزوال والقائلون بالقضاء منهم من استحج ذلك ومنهم من خير (وصل الاعتبار في هذا الفصل) كل حق لله واجب أو مرغّب فيه إذا فات وقته لم يقيده وقت فإن الشرح ما قيده فليؤده قاضيا متى شاء ما لم يمت إلا أن يكون عن نسيان فهو مؤدّ وذلك وقته ولا يكون قاضيا قط في نوم ولا نسيان

(وصل في فصل الاضطجاع بعد ركعتي الفجر)

فذهب قوم إلى وجوبها وبه أقول للأمر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب قوم إلى أنها سنة وذهب قوم أنه مستحب ولم يره قوم ولا شك ولا خفاء على كل من عرف شرع الله من المحدثين لا من الفقهاء الذين يقلدون أهل الاجتهاد كفقهاء زماننا ولا علم لهم بالقرآن وبالسنّة وإن حفظوا القرآن ورأوا فيه ما يخالف مذهب شيخهم لم يلتفتوا إليه ولا عملوا به ولا قرءوا على جهة اقتباس العلم واعتمدوا على مذهب إمامهم المخالف لهذه الآية والخبر ولا عذر لهم عند الله في ذلك فأول من يتبرأ منهم يوم القيامة إمامهم فإنهم لا يقدر أن يشبّوا عنه أنه قال للناس قلدوني واتبعوني فإن ذلك من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم فإن قالوا فالله أمرنا باتباعهم فقال فسئلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وقد سألناهم فأفتونا قلنا لهم إنما نسألهم لينقلوا إلينا حكم الله في الأمور لا رأيهم فإنه قال أهل الذكر وهم أهل القرآن فإن الذكر هو القرآن فإذا وجدنا الحكم عند قراءة القرآن مخالفا لفتواه تعين علينا الأخذ بكتاب الله أو بالحديث وتركنا قول ذلك الإمام إلا أن ينقل إلينا ذلك الإمام الآية أو الخبر فيكون عملنا بالآية أو الخبر لا بقوله فحينئذ ليس لنا أن نعارضه بآية أخرى ولا خبر لعدم معرفتنا باللسان وبما يقتضيه الحكم فإن كان لنا علم بذلك فنحن وإياهم سواء وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضطجع بعد ركعتي الفجر وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة الأمر بالاضطجاع لكل من ركع ركعتي الفجر فالذي أذهب إليه أن تارك الاضطجاع عاص وإن الوجوب يتعلق به فليضطجع ولا بد ولو قضاه متى قضاه وإن كانت الفاء تعطي التعقيب فإن بعض المتأخرين من المجتهدين الحفاظ من أهل الظاهر قال إن صلاة الصبح لا تصح لمن ركع ركعتي الفجر ولم يضطجع فإن لم يركع ركعتي الفجر صححت صلاة الصبح عنده (وصل الاعتبار في هذا الفصل) الاضطجاع بعد ركعتي الفجر وقبل صلاة الصبح لأن الكراهة قد تعلقت بالمكلف فإنه لا يصلي بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر ثم يصلي الصبح فقد أشبهت الفريضة فجاء الاضطجاع بينها وبين صلاة الصبح لتمييز السنة من الفرض وليقوم إلى الفرض من اضطجاع حتى يعلم أنه قد انفصل عن ركعتي الفجر فإنه لو قام إلى الصبح بعد ركعتي الفجر لالتبست بالرباعية من الصلوات ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن صلاها والمؤذن يقيم أ تصلي الصبح أربعا فيستحب أن يفصل بينهما وبين الصبح بأمر يعرف الحاضر أنه قد انفصل عن صلاة الفجر فشرع النبي صلى الله عليه وسلم الاضطجاع فعلا وأمرنا ففعل وأمر فلاحجة للمخالف عن التخلف عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولا عن الاقتداء به والله يقول لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَانظُرْ مَنْزِلَةً مِنْ لَمِيقَتِهِ فِي تَقِيضِهَا

(وصل في فصل النافلة)

هل تثنى أو تربع أو تثلث فما زاد فمن قائل تثنى ولا بد أن يسلم في كل ركعتين ليلاً أو نهاراً ومن قائل بالتخير إن شاء تثنى وثلاث وربع و
سدس وثمان وما شاء ومن قائل بالتفريق بين صلاة النهار فقال يربع إن شاء وصلاة الليل مثني مثني والذي أقول به في غير الوتر هو مخير بين
أن يسلم من اثنتين وهو أولى ولا سيما في صلاة الليل ويربع في صلاة النهار إن شاء ولا سيما في الأربع قبل الظهر وإن شاء سدس وثمان وما
شاء من ذلك وأما التثليث والتحميس والتسبيح من النوافل فذلك في صلاة الوتر فإنه ما جاء شرعاً بإفراد ركعة في غير الوتر ولكن هو مخير
إن شاء لم يسلم ويجلس في كل ركعتين إلى الثالثة والخامسة والسابعة وإن لم يجلس إلا في آخرها من الشفع ثم يقوم إلى الواحد وإن شاء لم
يجلس إلا في آخر الركعة الوترية ويؤخر السلام في الأحوال كلها إلى الركعة الوترية (وصل الاعتبار في هذا الفصل) لما كان الشروع فيها مبنيًا
على الاختيار كان الاختيار أيضاً في القدر من ذلك من غير توقيت فإنه ما ورد من الشرع في ذلك منع ولا أمر بالاعتصار على ما وقع في ذلك
من فعله صلى الله عليه وسلم واتباع السنة أولى وأحق وإن جوزنا ذلك لمن وقع منه فخرج الاتباع والاقتداء على الابتداء وإن كان خيراً
فإن الفضل في الاتباع والاتباع أليق بالعبد وأحق بمرتبة من أن يتدع من نفسه فإن في الابتداع والتسنيح ضرباً من السيادة والتقدم ولولا إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض له أن يسن ما سن وكان يقول صلى الله عليه وسلم اتركوني ما ترككم وكره المسائل وعابها وما
فرض على غيره أن يسن ولو شغل الإنسان نفسه باستعمال السنن والفرائض لاستغراق أوقاته ولم يتسع له أن يسن هيئات حجاب الإنسان
برئاسته عن سياسته والذي اعتمد عليه من السنن المنطوق بها والثابتة من فعله صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتي الفجر وأربع ركعات في
أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتين قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب و
ثلاث عشرة ركعة بالليل منها الوتر وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو خير على خير نورٍ على نورٍ وإن صلى ست
ركعات بعد الظهر ليجمع بين فعله وبين ما حض عليه وهي الأربع كان أولى وللناس في هذا مذاهب وما ذكرت إلا ما اخترته مما جاء به
النص أو الفعل والحديث العام الصلاة خير موضوع والاستكثار من الخير حسن ولكن الذي ذكرناه من حسنه وطول فيه في أفعال ذلك و
تدبير قراءتها وأدكارها أخذ من الزمان بقدر الذي يكثُر الركوع بالتخفيف والذي ذهبنا إليه أولى وعليه أدركت شيوخنا من أهل الله وقد
ورد في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يقوم من الليل فيصلي ركعتين فيأحسنهن ويا طولهن وكان ركوعه قريباً من قيامه ورفع
من الركوع قريباً من ركوعه وسجوده كذلك فكانت صلاته قريباً من السواء والأصل الركوع فتكون أفعال الصلوات في الخفض والرفع من
نسبة الركوع فيها في حال الوقت من الطول والقصر ومن السنة الركعة الأولى أطول من الثانية وكل ما زاد قصر عن التي قبلها وكذلك في
الفرائض فاعلم ذلك انتهى الجزء الخامس والأربعون

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وصل في فصل قيام شهر رمضان)

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه فهو مرغّب فيه وهو المسمى التراويح والأشفاغ لأنّ صلواته منى منى واختلفوا في عدد ركعاتها التي يقوم بها الناس في رمضان ما المختار منها إذ لا نص في ذلك فاختار بعضهم عشرين ركعة سوى الوتر واستحسن بعضهم ستاً وثلاثين ركعة والوتر ثلاث ركعات وهو الأمر القديم الذي كان عليه الصدر الأول والذي أقول به في ذلك أن لا توقيت فيه فإن كان ولا بد من الاقتداء فالإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فإنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما زاد على ثلاث عشرة ركعة بالوتر شيئاً لا في رمضان ولا في غيره إلا أنه كان يطولن ويحسنه فهذا هو الذي اختاره ليجمع بين قيام رمضان والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (وصل الاعتبار في هذا الفصل) رمضان اسم من أسماء الله تعالى فالقيام في هذا الشهر من أجل هذا الاسم لأنه إذا ورد وجب القيام له قال تعالى يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ورمضان اسمه سبحانه فيقوم العارف إجلالاً لهذا الاسم الذي اختص به هذا الشهر الكريم هذا يحضر العارف في قيامه ثم إن لهذا الشهر من نعوت الحق حكماً ليس لغيره وهو فرض الصوم على عباد الله وهو صفة صمدانية يتنزه الإنسان فيها عن الطعام والشراب والنكاح والغيبة وهذه كلها نعوت إلهية يتصف بها العبد في حال صومه فإذا جاء الليل قام العبد بين يدي الحق بصفاته التي كان عليها في نهاره وفرض له القيام في وقت الفطر ليعلم أنه عبد فقير متغذ ليس له ذلك التنزه حقيقة وإنما هو أمر عرض له ينبيهه على التخلق بأوصاف الله من التنزيه عن حكم الطبيعة ولهذا أخبرنا تعالى في الحديث المروي عنه إن الصوم له وكل عمل ابن آدم لا ينال به أجره إلا الصوم فإنه من أخلصه عن الشهوات والنكاح لي لا لك يا عبدي لأني القائم بنفسي لا أفقر في وجودي إلى حافظ يحفظه علي وأنت تفقر في وجودك لحافظ يحفظه عليك وهو أنا فجعلت لك الغذاء وأفقرتك إليه لينبهك أنني أنا الحافظ عليك وجودك ليصح عندك افتقارك ومع هذا الافتقار طغيت وتكبرت وتعاضمت في نفسك وقلت لمن هو مثلك أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري وأنا وأنا وما استحييت في ذلك من فضيحتك بجوعك وعطشك وبولك وخرائك وتأملك بالحر والبرد والآلام العارضة يا ابن آدم رهصت ثلاث رهصات الفقر والمرض والموت ومع ذلك إنك واثب فقيام رمضان قيام في الله فمن كان الحق ظرفاً له فإن الله بكل شيء محيط فهذا معنى الظرفية فليس له خروج عنه فأحاطه بك في رمضان إحاطة تشريف وتنزيه حيث شرع لك فرضاً في عبوديتك الاضطرارية للاتصاف بما ينبغي له لا لك وهو التنزه عن الغذاء وملابسة النساء طول النهار وهو النصف من عمر وجودك ثم تستقبل الليل فتخرج من ربوبيتك المنزهة عن الغذاء والنكاح إلى عبوديتك بالفطر والكل رمضان فأنت في رمضان كما أنت في الصلاة من قوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي كذلك رمضان قسمه بينه وبين عبده بنصفين نصف له وهو قوله الصوم لي وهو زمان النهار والنصف للعبد وهو الليل زمان فطره وقد قال

في الصلاة إنها نور وقال في الصوم إنه ضياء والضياء هو النور قال تعالى هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَقَالَ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَشَرَعَ الْقِيَامَ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ وَرَغِبَ فِيهِ لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ فِي الْقِسْمَةِ وَالنُّورَ لِيَكُونَ لَيْلَهُ بِصَلَاتِهِ مِثْلَ نَهَارِهِ بِصَوْمِهِ فَبِالْنَّهَارِ يَتَّحِدُ بِهِ وَبِاللَّيْلِ يَتَّوَحَّدُ لَهُ كَمَا قُلْنَا

إذا صحت عزائمنا ففي الأسرار تتحد

والعزيمة النية والنية شرط في الصوم من الليل فنحن في الصوم مع الحق كما قالت بلقيس في عرشها كأنه هو وهو كان هو وإنما جهلها أدخل كاف التشبيه كذلك جهل الإنسان يقول أنا الصائم وكيف ينبغي للمتغذي أن يكون صائماً هيئات قال الله الصوم لي لالك فأزال عنه دعوى الصوم كما أزال عن بلقيس تشبيه العرش بعرشها فعلمت بعد ذلك أنه هو لا غيره فهذا معنى قولنا إذا صحت عزائمنا ففي الأسرار تتحد فإن قلت الصائم هو الإنسان صدقت وإن قلت الصوم لله لا للإنسان صدقت ولا معنى للاتحاد إلا صحة النسبة لكل واحد من المتحدين

مع تميز كل واحد عن الآخر في عين الاتحاد فهو هو وما هو هو كما قلنا في بعض ما نظمناه في هذا المعنى في حال غلب علي

ويا أنا هو أنت هو فيا هو قل أنت أنا فمن أنا ومن هو هو لست أنا ولست هو
أبصارنا به له لو كان هو ما نظرت ولا هو ما هو هو لا وأنا ما هو أنا
كما له به له فمن لنا بنا لنا أنا وهو هو هو هو ما في الوجود غيرنا

ولما رأينا فيما رويناه أن الله أنزل لقاءه منزلة فطر الصائم فقال للصائم فرحان فرحة عند فطره لأنه غذاء طبيعته وهو الغذاء الحجابي إذ المغذي هو الله تعالى وفرحة عند لقاء ربه وهو غذاؤه الحقيقي الذي به بقاءه فجعل هاتين الفرحتين للصائم في الحجاب وفي رفع الحجاب فنظمنا في شرف الرغيف إذ هو الغذاء المعتاد عندنا وله الشكل الكرمي وهو أفضل الأشكال فخصصنا الرغيف بالذكر دون غيره من الأمور التي يكون بها الغذاء فقلنا فيما سخر الله في حقه من العالم وطلب الهمم كلها جهته لتصل إليه فإن كل حيوان يطلب غذاءه بلا شك بل كل موجود حتى ما لا يقال فقلنا

فذاك السير في طلب الرغيف إذا عاينت ذا سير حيث
على اسميه المهيم واللطيف لأن الله صيره حجابا
وأرواح اللطائف والكثيف به وله تجارات الذراري
وتكوين المعادن في الكهوف و تسخير العناصر والبرايا
بموج البحر والريح العسيف و تسير المثقفة الجواري
بها الأنعام بالسير العنيف و قطع مهامه فيح تباري

عليه للوضيع و للشريف	فمن شرف الرغيف يمين ربي
عن إذن الواحد البر الرءوف	يضج الخلق إن عدمه وقتا
دم الكفار و البر العفيف	له صلوا و صاموا و استباحوا
له يسعى القوي مع الضعيف	له تسعى الطيور مع المواشي
و للسبب الثقيل أو الخفيف	فمن ساع له من غير شك
به عدد التفكير كالحروف	هو المعنى و نحن إذا نظرنا
فيا شوقي لذا الجود الظريف	هو الجود الذي ما فيه شك
جلي بالتليد و بالطريف	فديتك من رغيف فيه سر
لقد غبتم عن المعنى الطريف	فقل للمنكرين صحيح قولي
لرؤيته على رغم الأنوف	أ ليس الله صيره عديلا

فالصفة التي يقوم بها المصلي في صلاته في رمضان أشرف الصفات لشرف الاسم لشرف الزمان فأقام الحق قيامه بالليل مقام صيامه بالنهار إلا في الفرضية رحمة بعبده و تحفيفا و لهذا امتنع رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يقومه بأصحابه لئلا يفترض عليهم فلا يطيقونه ولو فرض عليهم لم يثابروا عليه هذه المثابرة و لا استعدوا له هذا الاستعداد ثم الذين ثابروا عليه في العامة يؤدونه أشأم أداء و أقصه لا يذكرون الله فيه إلا قليلا لا يتمون ركوعه و لا سجوده و لا يرتلون قراءته و ما سنه من سنة أعني من الاجتماع على قارئ واحد على ما هم الناس اليوم عليه من المميزين من الخطباء و الفقهاء و أئمة المساجد و في مثل صلاتهم فيه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم للرجل ارجع فصل فإنك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون قيامه المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من الطمأنينة و الخشوع و الوقار و تدبر ما يتلى و إلا تركه أولى و القيام فيه أول الليل كما قام رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه في الليلتين أو الثلاثة منه أولى و يكون في المسجد أولى منه في البيت بخلاف سائر النوافل و إنما تركه رسول الله صلى الله عليه و سلم و دخل بيته و صلى فيه رحمة بأمته أن يفترض عليهم فيعجزوا عنه أن ينكاسلوا و هو كما قال تعالى و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين و قال بالمؤمنين رؤف رحيم و الصلاة فيه منى منى كما ورد في الخبر في صلاة الليل أنها منى منى

(وصل في فصل صلاة الكسوف)

وإنها سنة بالاتفاق و إنها في جماعة و اختلفوا في صفتها و القراءة فيها و الأوقات التي تجوز فيها و هل من شرطها الخطبة أم لا و هل كسوف القمر في ذلك مثل كسوف الشمس الخلاف في صفتها و ردت فيها روايات مختلفة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين ثابت و غير

ثابت وما من رواية إلا وبها قائل فأبي شخص صلاحها على أي رواية كانت جاز له ذلك فإنه مخير في عشر ركعات في ركعتين وبين ثمان ركعات في ركعتين وبين ست ركعات في ركعتين وبين أربع ركعات في ركعتين وإن شاء صلى ركعتين ركعتين على العادة في النوافل حتى تنجلي الشمس وإن شاء دعا الله تعالى بتضرع وخشوع حتى تنجلي فإذا انجلت صلى ركعتين شكرا لله تعالى وانصرف والعمل على هذه الرواية أحب إلي لما فيها من احترام الجناح الإلهي والرحمة بالأمة المصلين لها فإنهم لاستيلاء الغفلات والبطالة عليهم لا يفون بشروط ما تستحقه الصلاة من الحضور والآداب فرمما يمقت المصلي ولا يشعر أو تثقل عليه تلك العبارة فيتبرم منها فلذلك جعلنا رواية الدعاء من غير صلاة أولى فإنه في حقهم أحوط وكان العلاء بن زياد يصلي لها فإذا رفع رأسه من الركوع نظر إليها فإن كانت انجلت سجد وإن لم تكن انجلت مضى في قيامه إلى أن يركع ثانيا فإذا رفع رأسه من الركوع نظر إلى الشمس فإن انجلت سجد وإلا مضى في قيامه حتى يركع هكذا حتى تنجلي (وصل الاعتبار) الكسوف آية من آيات الله يُخَوِّفُ الله به عباده فإذا وقع فالسنة أن يفرغ الناس إلى الصلاة كسائر الآيات المخوفات مثل الزلازل وشدة الظلمة واشتداد الريح على غير المعتاد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال إذا تجلّى الله لشيء خشع له كل شيء والحديث غير ثابت من طريق الرواية صحيح المعنى وعندنا إن التجلي لا زال دائما وإنما جهل الناس به أداهم إلى أن يقولوا أو يقال لهم مثل هذا عدم علمهم فخرق العادة إنما هو في أن يعلم خاصة كما كان خرق العادة في إسماع السامعين تسبيح الحصى وما زال الحصى مسجحا ولا شك أن النفوس ما تنبعث وتهتز إلا للآيات الخارقة للعادة والآيات الإلهية منها معتاد وغير معتاد والقرآن قد ورد في الآيات المعتادة كثير في قوله وَمِنْ آيَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ وَيَذْكُرْ أَمْوَارًا مَعَادَةً ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَلَكِنْ لَا تَرْفَعُ الْعَامَّةُ بِهَا رَأْسًا لَجْرِي الْعَادَةِ وَاسْتِيَاءِ الْغَفْلَةِ وَعَدَمِ الْحُضُورِ وَسَبَبِ كَسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَعْرُوفِ وَالَّذِي لَا يَعْرِفُ كَوْنَهُ عَنِ تَجَلِّيِ إلهي إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَارِفِ صَاحِبِ كَشْفٍ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْكُسُوفَ آيَةً عَلَى مَا يَرِيدُ أَنْ يُحَدِّثَهُ مِنَ الْكُؤَانِ فِي الْعَالَمِ الْعَنْصَرِيِّ وَفِي الْعَالَمِ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ الْكُسُوفُ وَفِي الزَّمَانِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكْسِفُ لَيْلًا فَلَا تُرَى لَهُ عِنْدَنَا وَيَكُونُ الْحَدِيثُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْبَرَجِ الَّذِي يَقَعُ الْكُسُوفُ فِيهِ وَهُوَ عِلْمٌ قِطْعِيٌّ أَعْنِي عِلْمَ وَقُوعِ الْكُسُوفِ لَا عِلْمَ مَا يَحْدُثُ اللهُ فِيهِ أَوْ عِنْدَهُ وَيَكُونُ الْكُسُوفُ فِي مَكَانٍ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَفِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ يَبْتَدِئُ فِي مَكَانٍ وَفِي مَكَانٍ آخَرَ مَا ابْتَدَأَ بِلَهُوَ عَلَى حَالِهِ وَهَذَا كُلُّهُ يَعْرِفُهُ الْعُلَمَاءُ بِهِ فَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى حَرَكَاتٍ مَعْلُومَةٍ مَعْدُودَةٍ عِنْدَ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ وَسَبَبِ كَسُوفِ الشَّمْسِ مِنَ الْقَمَرِ إِذَا كَانَ فِي مَسَامَتِهَا فَعَلَى قَدْرِ مَا يَسَامَتُهَا مِنْهُ يَغِيبُ مِنْهَا عَنْ أَبْصَارِنَا فَذَلِكَ الظلُّ الَّذِي نَرَاهُ فِي الشَّمْسِ هُوَ مِنْ جَرَمِ الْقَمَرِ وَقَدْ يَجْجِبُهَا كُلُّهَا فَيُظْلِمُ الْجَوْفِيقَ الْأَبْصَارِ عَلَى جَرَمِ الْقَمَرِ فَتَتَحِيلُ الْعَامَّةُ أَنَّ ذَلِكَ المرئي هُوَ ذَاتُ الشَّمْسِ وَالشَّمْسُ نِيرَةٌ فِي ذَاتِهَا عَلَى عَادَتِهَا إِلَى أَنْ يَشَاءَ اللهُ تَكْوِيرَهَا وَلِذَلِكَ يَعْرِفُ زَمَانَ كُسُوفِهَا وَمَقْدَارَهُ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِتَسْيِيرِ الْكُؤَاكِبِ وَلَا يَكُونُ أَبَدًا إِلَّا فِي آخِرِ الشَّهْرِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّ الْقَمَرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَكُونُ فِي الْحَاقِّ وَالْإِحْتِرَاقِ تَحْتَ الشَّعَاعِ فَإِنَّ أُعْطِيَ الْحِسَابَ مَا يُوَدِّي إِلَى الْمَسَامَةِ عِنْدَنَا وَقَعِ الْكُسُوفُ بِلا شَكِّ وَكَذَلِكَ كُسُوفُ الْقَمَرِ إِنَّمَا هُوَ أَنْ يَحُولَ ظِلُّ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَعَلَى قَدْرِ مَا يَحُولُ بَيْنَهُمَا يَكُونُ الْكُسُوفُ

في ذلك الموضوع ولهذا يعرف والخطأ فيه قليل جدا ولو لم يكن الأمر على هذا ما علم فإن الأمور العوارض لا تعلم إلا بإعلام الله على لسان من شاء من عباده وعندنا هي عوارض لا في نفس ما رتب الله في ذلك عند ما أوحى في كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا والأمور الجارية على أصولها ثابتة لا تنخرم يعلمها العلوم بتلك الأصول وهي معتادة موضوعة لله تعالى واضعها ما هي عقلية ولا رسب ذلك طبيعي ولهذا يجوز خرق العادة فيها وهكذا كل موضوع إلى أن يحرم الله ذلك الأصل فلله المشيئة في ذلك وله الأمر من قَبْلُ ومن بَعْدُ ولذلك لا يقال في حكم المنجم إنه علم لأن الأصول التي يبني عليها إنما هي عن وضع إلهي وترتيب عالم حكيم استمرت به العادة ما ذاك لذواتها وما كان بالوضع قد يمكن زواله فإن الواضع له قد يضعه إلى أجل مخصوص معين ما عندنا علم به فما من زمان تقدره إلا ويجوز تغيير ما وضع فيه من الأمور فإن لم يكن فيإرادة الواضع لا بنفسه وما كان بهذه المثابة لا يكون القائل بوقوعه على علم قطعي ولو وقع فإنه لا يعرف ما في نفس الواضع إلا بجهتين إما أن يكون هو المعرف بما في نفسه وهو الصادق وأما بعد ظهور الشيء فيعلم أنه لولا ما كان في نفس الواضع ما وقع والواضع هو الله تعالى وجل فالعالم المؤمن يقول في مثل هذا إن أبقى الله الترتيب على حاله وسيره في المنازل على قدره ولم يخرق العادة فيه فلا بد أن يقع هذا الأمر الذي ذكرناه فلماذا ينفي العلم عن المنجم وكل ما هو مثله من حظ الرسل وغيره فضوء القمر لما كان مستفادا من الشمس أشبه النفس في الأخذ عن الله نور الايمان والكشف وإذا كملت النفس وضح لها التجلي على التقابل وهي ليلة البدر ربما التفتت إلى طبيعتها فظهرت فيها ظلمة طبيعتها فحالت تلك الظلمة بينها وبين نورها العقلي الإيماني الإلهي كما حال ظل الأرض بين القمر الذي هو بمنزلة النفس وبين نور الشمس فعلى قدر ما نظرت إلى طبيعتها انجسبت عن نور الايمان الإلهي فذلك كسوفها فهذا كسوف القمر وأما كسوف الشمس فهو كسوف العقل فإن الله خلقه ليعقل عن الله ما يأخذ عنه فحالت النفس التي هي بمنزلة القمر بينه وبين الحق تعالى من حيث ما يأخذ عنه من اسمه النور سبحانه من كون نسبة إلى الأرض من قوله وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَقوله وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ فَيُرِيدُ الْعَقْلُ أَنْ يأخذ عن الحق من علم ما يوجد في الأرض فتحول النفس بينه وبين علم ما يوجد في الأرض بشهواتها حتى لا ينظر إليه سبحانه فيما يحدثه فيها والأرض عبارة عن عالم الجسم فيحجب العقل لحجاب النفس الحيوانية الشهوانية فذلك بمنزلة كسوف الشمس فلا تدركها أبصار الناظرين ممن هو في تلك الموازنة ويفوت العقل من العلم بالله بقدر ما انجسبت عنه من عالم الأجسام فلماذا شرع الله التوجه إلى مناجاته المعبر عن ذلك بصلاة الكسوف وشرع الدعاء لرفع ذلك الحجاب فإن الحجاب جهل وبعد في الحال الذي ينبغي له الكمال ولهذا لم يكن الكسوف إلا عند الكمال في النيرين في القمر ليلة بدره وهو كماله في الأخذ من الوجه الذي يلينا وكسوف الشمس في ثمانية وعشرين يوما من سير القمر في جميع منازل الفلك فلما وصل إلى نهايته وأراد أن يقابل الشمس من الوجه الآخر حتى يأخذ عنها على الكمال في عالم الأرواح مثل أخذه في الرابع عشر في عالم الأجسام النازل ليفيض من نوره على أبصار الناظرين إنعاما منه فاشتغلت الشمس بإعطائها النور للقمر في عالم الأرواح العالم العلوي إسعافا لطلبته وإكراما لقدمه عليها في حضرتهما كان الكسوف لهذا الإسعاف ولهذا لا يكون للكسوفات حكم في الأرض إلا

في الأماكن التي يظهر فيها الكسوف وأما الأماكن التي لا يظهر فيها الكسوف فلا حكم يظهر فيها له ولا أثر أي ما يفعل الله عند ذلك شيئاً في العالم من الكوائن التي يفعلها عند ظهور الكسوف إذ لا فاعل إلا الله فإن الأمور بتقدير العزيز العليم صنعة حكيم حتى إن الشمس إذا أعطى الحساب أنها تكسف ليلاً لم يكن لذلك الكسوف حكم في ظاهر الأرض التي لم يظهر الكسوف فيها وكذلك كسوف القمر في الحكم فكذلك ظاهر الإنسان وباطنه فقد يقع الكسوف في الأعمال أي في العلم الذي يطلب العمل بالأحكام المشروعة وقد يقع في العلوم التي تتعلق بالباطن ولا حكم لها في الظاهر فتؤثر في موضع تعلقها إما في علم العمل وإما في العلم الذي لا يطلب العمل بحسب ما يقع فيعين على من تكون حالته مثل هذه أن يتضرع إلى الله فإن أخطأ المجتهد فهو بمنزلة الكسوف الذي يكون في غيبة المكسوف فلا وزر عليه وهو مأجور وإن ظهر له النص وتركه لرأيه أو لقياسه الجلي في زعمه فلا عذر له عند الله وهو مأثوم وهو الكسوف الظاهر الذي يكون له الأثر المقرر عند علماء الأحكام بسير الكواكب وأكثر ما يكون هذا في الفقهاء المقلدين الذين قالوا لهم لا تقلدونا واتبعوا الحديث إذا وصل إليكم المعارض لما حكمنا به فإن الحديث مذهبنا وإن كنا لا نحكم بشيء إلا بدليل يظهر لنا في نظرنا إنه دليل وما يلزمنا غير ذلك لكن ما يلزمكم اتباعنا ولكن يلزمكم سؤالنا وفي كل وقت في النازلة الواحدة قد يتغير الحكم عند المجتهد ولهذا كان يقول ما لك إذا سئل في نازلة هل وقعت فإن قيل لا يقول لا أفتى وإن قيل نعم أفتى في ذلك الوقت بما أعطاه دليله فأبت المقددة من الفقهاء في زماننا أن توفي حقيقة تقليدها لإمامها باتباعها الحديث الذي أمرها به إمامها وقلده في الحكم مع وجود المعارض فعصت الله في قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وعصت الرسول في قوله فأتبعوني فإنه ما قالها إلا عن أمر ربه سبحانه وعصت إمامها في قوله خذوا بالحديث إذا بلغكم واضربوا بكلامي الخاطئ فهؤلاء في كسوف دائم مسرمد عليهم إلى يوم القيامة فلا هم مع الله ولا مع رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مع إمامهم فهم في براءة من الله ورسوله وإمامهم فلا حجة لهم عند الله فانظروا مع من يحشر هؤلاء فالصلاة المشروعة في الكسوف إنما هي لمناجاة الحق في رفع ظلمة النفس وظلمة الطبع كما يقول أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وهم أهل الأنوار غير المغضوب عليهم مثل أهل ظلمة الطبع ولا الضالين مثل أهل ظلمة النفس فالله يحول بيننا وبين ما يكسف عقولنا ونفوسنا ويجعلنا أنواراً كلنا لنا ولمن يقتدي بنا أنه المليء بذلك والقادر عليه وأما اعتبار عدد الركعات في الركعتين فاعلم إن الركعتين ظاهر الإنسان وباطنه أو عقله وطبعه أو معناه وحرفه أو غيبه وشهادته وأما العشرة فهو تنزيهه في الركعتين خالقه تعالى وجل عن القبل والبعد والكل والبعض والفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام فيرجع هذا التنزيه من الله عليه فإنه عمل من أعماله فتكون له برجوع هذا العمل عليه هذه الأحكام كلها فلا قبل له فإنه لم يكن إلا الله والله لا يتصف بالقلبية ولا بعد له فإنه باق بإبقاء الله فلا يبعد ولا كل له فإنه لا يتجزأ ولا يتحير من حيث لطيفته ومن لا كل له من ذاته فلا بعض له ومن لا يتصف بهذه الصفات فلا جهات له فلا جهات للإنسان إلا من حيث صورة جسمه ونشأته فإن نشأته الجسدية بها ظهرت الجهات الستة فهو عين الجهات ما هو في جهة من نفسه وأما اعتبار الثمانية في اثنتين فالثمانية الذات والصفات فتغيب الذات الكونية و صفاتها في الذات

الأحدية وتندرج أنوار صفاتها في صفاتها وهو قوله تعالى كنت سمعه وبصره وذكر جوارحه فلا تقع عين إلا عليه ظاهرا وباطنا من عرف نفسه عرف ربه فهكذا هو الأمر في الباطن وأما في الظاهر فما تقع العين إلا على العبد والحق مدرج في هذا الحق بضم الحاء الكياني ما هو كاندراج العرض في الحل ولا كما لمظروف في الظرف وأما اعتبار الست في اثنتين فهو قوله فأينما نُؤلوا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ وقوله إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ وأما اعتبار الأربعة في الثنتين فهو قوله ثُمَّ لَأَنبَتَهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وعلى كل طريق يأتي إليه منها ملك مقدس يده السيف صلما فإن كان المؤتمني إليه من العارفين لم يكن له ملك يحفظه بل هو أكسير وقفه من أي ناحية جاءه قبل منه وقلب جسده ذهبا إبريزا فيعود الآتي من الخاسرين

(وصل في فصل في القراءة فيها)

اختلف العلماء في القراءة فيها أعني في السر والجهر بها فمن قائل يقرأ فيها سرا ومن قائل يقرأ فيها جهرا (اعتبار هذا الفصل) إن كان كسوفه نفسيا أسري في مناجاته وذكر الله في نفسه وإن كان كسوفه في عقله جهري في قراءته وهو مجتهد عن الأدلة الواضحة وفيها الظاهرة الدلالة القربة المأخذ التي يشركه فيها العقلاء من حيث ما هم أهل فكر ونظر واستدلال والآخرون أهل كشف وتجل ينتجه الهمم إلى الرياضات وهي تهذيب الأخلاق والخلوات والمجاهدات وتطويل المناجاة والتضرع إلى الله تعالى فيها مشروع وهو اعتبار طول القراءة في صلاة الكسوف فإنه روى أنه كان يقوم فيها بقدر سورة البقرة والقيام الثاني ربما يكون على النصف والقيام الثالث على النصف من الثاني وهكذا في القيام الرابع والخامس وسبب ذلك أن عالم الأرواح ما يتعبهم القيام ولا يدركهم ملل لأن النشأة نورية خارجة عن حكم الأركان وأما نشأة تقوم من العناصر تتول إلى الاستحالات العبدية والقربة فيعبر عن ذلك بالنصب والتعب وكلما نزل فيها من معدن إلى نبات إلى حيوان إلى إنسان كان التعب أقوى في آخر الدرجات وهو الإنسان والنصب أعم فإنه سريع التغير فإن له الوهم ولا شك أن الأوهام تلعب بالعقول كتلاعب الأفعال بالأسماء

(وصل في فصل الوقت الذي تصلي فيه)

اختلف العلماء في الوقت الذي تصلي فيه صلاة الكسوف فمن قائل تصلي في جميع الأوقات المنهي عن الصلاة فيها وغير المنهي ومن قائل لا تصلي في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها ومن قائل تصلي في الوقت الذي تصلي فيه النافلة ومن قائل تصلي من الضحى إلى الزوال لا غير (وصل الاعتبار) كما لا يتعين للكسوف وقت لا يتعين للصلاة له لأن الصلاة تابعة للأحوال وقد ثبت الأمر بالصلاة لها وما خص وقتا من وقت وهي صلاة مأمور بها بخلاف النافلة فإنها غير مأمور بها فإن حملنا الصلاة على الدعاء دعونا في الوقت المنهي عن الصلاة فيه وصلينا في غيره من الأوقات وبه أقول

(وصل في فصل الخطبة فيها)

اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن قائل إن الخطبة من شرطها ومن قائل ليس في صلاة الكسوف خطبة والذي أذهب إليه أنه يستحب للإمام أن يخاطب بالناس ليذكرهم ويحذرهم فإن الكسوف من الآيات التي يُحَوِّفُ اللهُ به عِبَادَهُ (وصل الاعتبار في هذا الفصل) الخطبة موعظة وذكرى والآية منبهة وذكرى والكسوف آية تخويف فوُجِدَ المناسبة فترجح جانب من يقول باشتراط الخطبة وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ذكر الناس بعد الفراغ من الصلاة

(وصل في فصل كسوف القمر)

فمن قائل يصلي لكسوف القمر في جماعة كصلاة كسوف الشمس ومن قائل لا يصلي له في جماعة واستحب صاحب هذا القول أن يصلي له أفذاذ ركعتين ركعتين كسائر النوافل والذي أذهب إليه الصلاة في الجماعة أولى إن قدر عليها (اعتبار هذا الفصل) لما كان كسوف الشمس سببه القمر كان كسوف القمر كالعقوبة له لكسوفه الشمس فتضمن كسوف القمر آيتين فكانت الصلاة له في الجماعة أولى فإن شفاعت الجماعة لها حرمة أكثر من حرمة الواحد فالجمع لها ينبغي أن يكون أكد من الجمع بكسوف الشمس وكسوف القمر نفسي كما قدمنا والنفس أبدا هي المزاخمة للربوبية بخلاف العقل فكان ذنبها أعظم وحالها أخطر فاجتماع الشفعاء عند الشفاعة أولى من إتيانهم أفذاذا ومن اعتبر في الكسوفات الخشوع كما ورد في الحديث الذي تقدم كان منها على الخشوع للمصلي فإن الله يقول قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وقال وَإِنَّهَا بَعِي الصَّلَاةِ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ وَخَشوع كل خاشع على قدر علمه بربه وعلمه بربه على قدر تجليه له

(وصل في فصل صلاة الاستسقاء)

فمن قائل بصلاة الاستسقاء ومن قائل لا صلاة فيه والحجة لمن قال بالصلاة إنه من لم يذكر شيئا فليس بحجة على من ذكر وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم خرج بالناس يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة وحول رداءه ورفع يديه واستسقى واستقبل القبلة والعلماء مجمعون على إن الخروج إلى الاستسقاء والبروز عن المصر والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في نزول المطر سنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في الصلاة في الاستسقاء كما ذكرنا والذي أقول به إن الصلاة ليست من شرط صحة الاستسقاء والقائلون بأن الصلاة من سنته يقولون أيضا إن الخطبة من سنته وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه وخطب واختلف القائلون بالخطبة هل هي قبل الصلاة أو بعدها فانفق القائلون بالصلاة أن قراءتها جهر واختلفوا هل يكبر فيها مثل تكبير العيدين أو مثل تكبير سائر الصلوات ومن السنة في الاستسقاء استقبال القبلة واقفا والدعاء ورفع اليدين وتحويل الرداء باتفاق واختلفوا في كيفية تحويل الرداء فقال قوم يجعل الأعلى أسفل والأسفل أعلى وقال قوم يجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين والذي أقول به أن يجمع بين الثلاث الكيفيات الأعلى أسفل واليمين على الشمال والباطن ظاهرا واختلفوا متى يحول ثوبه فقال قوم عند الفراغ من الخطبة وقال قوم إذا مضى صدر من الخطبة والذي أذهب إليه أن وقت التحويل وقت الدعاء فإنه سؤال بالحال في تحويل الحالة واختلفوا في وقت الخروج إليه فقيل في وقت صلاة العيدين وقيل عند الزوال

روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستسقاء حين بدا حاجب الشمس (وصل الاعتبار) في جميع ما ذكرناه اعتبار الاستسقاء الاستسقاء طلب السقيا وقد يكون طالب السقيا لنفسه أو لغيره أو لهما مجسب ما تعطيه قرائن الأحوال فأما أهل الله المختصون به الذين شغلهم به عنهم وعرفهم بأنهم إن قاموا فهم معه وهو معهم وإن رحلهم رحلوا به إليه فلا يزالون في أي منزل أنزلهم إذ كان الحق مشهودهم في كل حال فإن عاشوا في الدنيا فيه عيشهم وإن انقلبوا إلى الأخرى فإليه انقلابهم فلا أثر لفقد الأسباب عندهم ولا لوجودها فهؤلاء لا يستسقون في حق نفوسهم إذ علموا إن الحياة تلزمهم لأنها أشد افتقارا إليهم منهم إليها وفائدة الاستسقاء إبقاء الحياة الدنيا فاستسقاء العلماء بالله في الزيادة من العلم بالله كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين أمره وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا هذا الدعاء هو عين الاستسقاء فإذا استسقى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في إنزال المطر والعلماء بالله لم يستسقوه في حق نفوسهم وإنما استسقوه في حق غيرهم ممن لا يعرف الله معرفتهم تخلقا بصفته تعالى حيث يقول كما ورد في الحديث الصحيح قال الله تعالى استسقيتك عبدي فلم تستقني قال وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك فلان فلم تسقه فهذا الرب قد استسقى عبده في حق عبده لا في حق نفسه فإنه يتعالى عن الحاجات كذلك استسقاء النبي والعلماء بالله إنما يقع منهم لحق الغير فهم السنة أولئك المحجوبين بالحياة الدنيا عن لزوم الحياة لهم حيث كانوا تخلقا بالاستسقاء الإلهي إذا الفقير الحق من لا يقوم به حاجة معينة فتملكه لعلمه بأنه عين الحاجة فلا تقيده حاجة فإن حاجة العالم إلى الله مطلقة من غير تقييد كما إن غناه سبحانه عن العالم مطلق من غير تقييد من حيث ذاته فهم يقابلون ذاتا بذات وينسبون إلى كل ذات ما تعطى حقيقتها وما أحسن ما شرع في الأذان والإقامة في قوله حي على الصلاة ولم يقل إلى الصلاة فيقيد بالغاية ومن كان معك فلا يكون غايتك ولا تقل حي كلمة إقبال ولا يطلب الإقبال إلا من معرض وكل معرض فاقدر قلنا نعم لما كان العبد متحققا بالله كان هو الناظر والمنظور والشاهد والمشهود وغاب عين العبد ولم يبق إلا الرب وأراد الحق سبحانه أن يشهد العبد عين عبوديته ليعرفه بما أنعم عليه به مما لم يعط ذلك لغيره من العبيد ولا يعرف ذلك حتى يرد لنفسه ومشاهدة عينه مقارنة لمشاهدة ربه ولم يجعل ذلك في شيء من عباداته إلا في الصلاة فقال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فلا بد للمصلي من أجل قسمه من الصلاة أن يقوم فيه إذ لا يليق ذلك لقسم الذي للعبد من الصلاة أن يكون لله فقال له حي على الصلاة أي أقبل على الصلاة من أجل القسم الذي يخصك منها فأعرضه إنما كان عن نفسه لا عن ربه لأن العلم بالله أعطاه ذلك فقال له أقبل على صلاتك لتشهديني وتشهد نفسك فتعرف ما لي وما لك فتتصف بالحكمة وفصل الخطاب وترى ما أنت فيه فلم يأت بالي فإنها أداة تؤذن بالفقد والأمر في نفسه ليس كذلك فإذا كان الحق يستسقى عبده فالعبد أولى وإذا كان الحق ينوب عن عبده في استسقاء عبده يستسقى عبده فالعبد أولى أن يستسقى ربه ليستسقى عبده وهو أولى بالنيابة عن مثله من الحق عنه إذ ليس كمثل شيء فمن الأدب مع الله الاستسقاء في حق الغير فإن أصحاب الأحوال محجوبون بالحال عن العلم الصحيح فصاحب الحال إذا لم يكن محفوظا عليه أدبه لم يؤاخذ بسوء الأدب إذ كان لسانه لسان الحال وصاحب العلم مؤاخذ بأدنى شيء لأنه ظاهر في العالم بصورة الحق وكم بين من يظهر في وجوده ربه و

بين من يظهر بحاله شتان بين المقامين ويا بعد ما بين المنزلتين شاهد العلم عدل وشاهد الحال فقير إلى من يزيه في حاله ولا يزيه إلا صاحب العلم ولما كان العلم بهذه العزة شرعت التزكية في حكم الشرع بغلبة الظن فيقول أحسبه كذا وأظنه كذا لأنه لا يعلم كل أحد ما منزلة ذلك المزكى عند الله فلا يزيه على الله أحدا وإذا افتقر صاحب الحال إلى التزكية بغلبة الظن فهو إلى العالم صاحب العلم أفقر وأفقر فإنه مع من يزيه كلاهما محتاجان إلى صاحب العلم منجل يظهر نفسه والحال ملتبس يحتاج إلى دليل يقويه لضعفه أن يلحق بدرجة الكمال فصاحب الحال يطلب العلم وصاحب العلم لا يطلب الحال أي عاقل يكون من يطلب الخروج من الوضع إلى اللبس فإذا فهمت ما قررناه تعين عليك الاستسقاء فاشرع فيه (وصل اعتبار البروز إلى الاستسقاء) الاستسقاء له حالان الحال الواحدة أن يكون الإمام في حال أداء واجب فيطلب منه الاستسقاء فيستسقي على حاله تلك من غير تغيير ولا خروج عنها ولا صلاة ولا تغيير هيئة بل يدعو الله ويتضرع في ذلك فحال هذا بمنزلة من يكون حاضرا مع الله فيما أوجب الله عليه فيتعرض له في خاطره ما يؤديه إلى السؤال في أمر لا يؤثر السؤال فيه في ذلك الواجب الذي هو بصدده بل ربما هو مشروع فيه كمسألتنا ألا ترى أن الشارع قد شرع للمصلي أن يقول في جلوسه بين السجدين اللهم اغفر لي وارحمي وارزقي واجبرني فشرع له في الصلاة طلب الرزق والاستسقاء طلب الرزق فليس لمن هذه حاله أن يبرز إلى خارج المصر ولا يغير هيأته فإنه في أحسن الحالات وعلى أحسن الهيئات لأن أفضل الأمور أداء الواجبات دخل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من باب المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب على المنبر خطبة الجمعة فشكا إليه الجذب فطلب منه أن يستسقي الله فاستسقى له ربه كما هو على منبره وفي نفس خطبته ما تغير عن حاله ولا أخر ذلك إلى وقت آخر وأما الحالة الأخرى فهو أن لا يكون العبد في حال أداء واجب فيعرض له ما يؤديه إلى أن يطلب من ربه ابتداء في حق نفسه أو غيره مما يحتاج أن يتأهب له أهبة جديدة على هيئة مخصوصة فيتأهب لذلك الأمر ويؤدي بين يديه أمرا واجبا ليكون بحكم عبودية الاضطرار فإن المضطر تجاب دعوته بلا شك كذلك العبد إذا لم يكن في حال أداء واجب وأراد الاستسقاء برز إلى المصلي وجمع الناس وصلى ركعتين فالشروع في تلك الصلاة عبودية اختيار وأداء ما فيها من قيام وركوع وسجود وجلوس عبودية اضطرار فإنه يجب عليه في الصلاة النافلة بحكم الشروع الركوع والسجود كل ما هو فرض في الصلاة فإذا دعا عقيب عبودية الاضطرار فممن أن يستجاب له ويدخل في الهيئة الخاصة من رفع اليد وتحويل الرداء واستقبال القبلة والتضرع إلى الله والابتهاج في حق المحتاجين إلى ذلك كائنا من كان ولما ذكرناه وقع الخلاف في البروز إلى الاستسقاء وقد برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خارج المدينة فاستسقى بصلاة وخطبة (واعتماد البروز من المصر إلى خارجه) خروج الإنسان من الركون إلى الأسباب إلى مقام التجريد والفضاء حتى لا يكون بينه وبين السماء الذي هو قبلة الدعاء حجاب سقف ولا غيره وهو خروج من عالم ظاهره مع عالم باطنه في حال الاقتدار إلى ربه بنية التخلق بربه في ذلك أو بنية الرحمة بالغير أو بنفسه أو بمجموع ذلك كله (وصل الاعتبار في الوقت الذي يبرز) إن برز من ابتداء طلوع حاجب الشمس إلى الزوال وذلك عند ما يتجلى الحق لقلب العبد التجلي المشبه

بالشمس لشدة الوضوح ورفع اللبس وكشف المراتب والمنازل على ما هي عليه حتى يعلم ويرى أين يضع قدمه لئلا يهوى أو يخطئ الطريق أو تؤذيه هوام أفكار رديئة و وساوس شيطانية فإن الشمس تجلو كل ظلمة و تكشف كل كربة فإن لطلوعها شرع أهل الأسباب في طلب المعاش والمستسقي طالب عيش بلا شك فما دام الحق يطلب العبد لنفسه لما ينقبض من الظل من طلوع الشمس إلى الزوال ليكون طلبه للأشياء من الله بره لا بنفسه لذلك نبهه على ذلك بقبض الظل إلى حد الزوال فإذا قضيت حاجته التي سأل فيها فمن شأن صاحب هذا الحال إذا حصلت له حاجته أنه يؤديها إلى المحتاج وقد انقبض ظله فأخذ الحق في الاحتجاب عن عبده ليبقى مع نفسه فيما أعطاه في سؤاله مما تحتاج إليه نفسه فيشاهده نفسه شيئاً فشيئاً كما يمتد الظل ويظهر بدلوك الشمس إلى حين الغروب فإذا احتجب عنه بقي مع نفسه متفرغاً إليها بما حصله وهو المعبر عنه بالعشاء فينضم إلى وكره و يجمع أهله على مائدة بما اكتسبه في يومه فلماذا كان البروز إلى المصلي من طلوع الشمس فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما برز إلى الاستسقاء خرج حين بدا حاجب الشمس فاعتبرناه على ذلك الحد للمناسبة والمطابقة (وصل اعتبار الصلاة في الاستسقاء) لما شرع الله في الصلاة الدعاء بقوله أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ والاستسقاء دعاء مخصوص فأراد الحق أن يكون ذلك الدعاء في مناجاة مخصوصة يدعو فيها بتحصيل قسمه المعنوي من الهداية إلى الصراط المستقيم صراط النبيين الذين هداهم الله تهما بطلب الأول الذي فيه السعادة المخصوصة بأهل الله ثم بعد ذلك يستسقون في طلب ما يعم الجميع من الرزق المحسوس الذي يشترك جميع الحيوانات وجميع الناس من طائع وعاص وسعيد وشقي فيه فابتدأ بالصلاة ليقرع باب التجلي واستجابة الدعاء فيما يزلف عند الله فيأتي طلب الرزق عقيب ذلك ضمنا ليرزق الكافر بعناية المؤمن والعاصي بعناية الطائع فلماذا شرعت الصلاة في الاستسقاء فعبودية الاختيار قبل عبودية الاضطرار تأهب واستحضر وتزين محل وتهوؤ وعبودية الاختيار عقيب عبودية الاضطرار شكر وفرح وبشرى بحصول عبودية الاضطرار فالأولى بمنزلة النافلة قبل الفرض والثانية بمنزلة النافلة بعد أداء الفرض لما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر تنفل حتى تورمت قدماه ففسل في ذلك فقال أفلا أكون عبداً شكوراً وعبادة الشكر عبادة مغفول عنها ولهذا قال تعالى وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وما بأيدي الناس من عبادة الشكر على النعماء إلا قولهم الحمد لله والشكر لله لفظ ما فيه كلفة وأهل الله يريدون على مثل هذا اللفظ العمل بالأبدان والتوجه بالهمم قال اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ولم يقل قولوا والأمة الحمدية أولى بهذه الصفة من كل أمة إذ كانت خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (وصل اعتبار التكبير فيها) من شبهها بصلاة العيد الأول عبد فطر فهو خروج من حال صيام والصيام يناسب الجذب فإن الصائم يعطش كما تعطش الأرض في حال الجذب وعيد الأضحى هو عند زمان الحج وأيام عشر الحج أيام ترك زينة ولهذا شرع للمحرم ترك الزينة وشرع لمن أراد أن يضحى إذا أهل هلال ذي الحجة أن لا يقص ظفراً ولا يأخذ من شعره ولما لم يكن زينة الأرض إلا بالأزهار والأزهار لا تكون إلا بالأمطار وهذه الأحوال تقتضي عدم الزينة فأشبهت الأرض الجدة التي لا زينة لها لعدم الزهر لعدم المطر فأشبهت صلاة الاستسقاء صلاة العيدين فيكبر فيها كما يكبر في العيدين وسيأتي اعتبار عدد التكبير في صلاة

العيدين ومن حمل صلاة الاستسقاء على سائر أكثر السنن والنوافل وصلوات الفرائض لم يزد على التكبير المعلوم شيئاً وهو أولى فإن حالة الاستسقاء حالة واحدة ما هي مختلفة الأنواع فإن المقصود إنزال المطر فلا يزيد على تكبيرة الإحرام شيئاً لأنه ما ثم حالة تطلب تكبيرة أخرى زائدة على تكبيرة الإحرام فيحرم على المصلي في الاستسقاء في تكبيرة الإحرام جميع ما تلتذ به النفوس من الشهوات ويفتقر إلى ربه في تلك الحالة كما حرم على الأرض الجذبة الماء الذي به حياتها وزينتها ونسبتها يناسب حال العبد بالإحرام حال الأرض فيما حرمت من الخصب (وصل اعتبار الخطبة) في الاستسقاء الخطبة ثناء على الله بما هو أهله ليعطي ما هو أهله فيثني عليه ثناء آخر بما يكون منه وهو الشكر على ما أنعم والمصلي مثن على الله بما هو أهله وعلى ما يكون منه وهو القسم الواحد الذي لله من الصلاة فالخطبة ينبغي أن تكون في الاستسقاء ومن رأى أن الصلاة ثناء على الله يقول حصل المقصود فأغنى عن الخطبة وتضاعف الثناء على الله أولى من الاقتصار على حال واحدة فإن الخطبة تتضمن الثناء والذكرى فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْعُ الْمُؤْمِنِينَ وَالِاسْتِسْقَاءُ طَلَبُ مَنْفَعَةٍ بِلَا شَكِّ (وصل اعتبار متى يخطب) التشبه بالنسبة لكونها سنة أولى من التشبه بالفريضة وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تشبه صلاة الوتر بصلاة المغرب فيكره لمن أوتر بثلاث أن يأتي بها على صورة صلاة المغرب فتشبهه الاستسقاء بالعيدين أولى فيخطب لها بعد الصلاة إلا أن يرد نص صريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم خطب لها قبل الصلاة فيكون النص فيها فلا تقاس على سنة ولا على فريضة بل تكون هي أصلاً في نفسها يقيس عليها من يجيز القياس في دين الله وإذا كان العيد يخطب فيه بعد الصلاة مع المراد بالخطبة تذكير الناس وتعليمهم وهم لا يقيمون بل يتصرف أكثرهم بتمام الصلاة فالخطبة في الاستسقاء بعد الصلاة أولى لأنهم لا ينصرفون حتى يستسقي الإمام بهم فإنهم للاستسقاء خرجوا والخطبة إنما تكون بعد الصلاة وبعد الدعاء بالاستسقاء فلا ينصرف الناس فيحصل المقصود من الخطبة ألا ترى إلى عبد بن الملك مروان كيف اختطب في العيد قبل الصلاة فقيل له في المجلس في ذلك معيراً عليه فعله وإن النبي صلى الله عليه وسلم ما اختطب في العيدين إلا بعد الصلاة فقال عبد الملك قد ترك ما هنالك يريد أن الناس قد تركوا الجلوس للخطبة وكانت الصحابة لا ينصرفون من صلاة العيد حتى يخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع السنة أولى ولو لم يبق إلا الإمام وحده لأنه لا يلزمه أكثر من الاقتداء ولا يعلل كذلك الإنسان إذا فرغ من مناجاة ربه في صلواته يثني على الله في نفسه فيما ينصرف إليه وذلك حتى لا يبرح مع الله في عموم أحواله فإذا فعل ذلك كان بمنزلة الخطبة بعد الصلاة فلا يزال في شغله مع الله في كل حال والله الموفق لا رب غيره (وصل اعتبار في القراءة جهراً) يجهر المصلي بالقراءة في الاستسقاء ليسمع من وراءه ليحول بينهم وبين وساوسهم بما يسمعون من القرآن لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ وَيَشْغَلُوا نَفْسَهُمْ عَنْ وَسَاوِسِهَا بِالْتَفَكْرِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَلِيَتَأَبَّوْا مِنْ حَيْثُ سَمِعُوهُ فَقَدْ يَكُونُ حَسَنَ اسْتِمَاعِهِمْ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لِنَزُولِ الْمَطَرِ لِكُونِهِمْ أَدْوَاءً وَاجِبَةً بِامْتِنَانِهِمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَالْمَطَرُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهُمْ مَا أَخْرَجَهُمْ إِلَّا طَلَبْتَهُمْ إِيَّاهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ وَعَدَ بِهِ مَنْ اسْتَمَعَ الْقُرْآنَ فَإِنْ أَعْمَلُ التَّرَجِّي مِنْ اللَّهِ حَكْمَهَا حَكْمُ الْوَاجِبِ وَإِنَّ الْإِمَامَ ذَاكَ رُبَّ مَا فِي مَلَأُ وَهُوَ الْجَمَاعَةُ فِي صَلَاتِهِ جَهْرًا وَدَعَائِهِ فَيَذْكُرُهُ اللَّهُ فِي مَلَأْخِرِ مَنْهُمْ

فقد يكون في ذلك الملا من يسأل الله تعالى في قضاء حاجة ما توجه إليه فيها هذا الإمام وجماعته فيمطرون بدعاء ذلك الملك فإن الملائكة تقول ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فقدمت الرحمة على العلم لموضع حاجة العباد إليها وأدبا مع الله فإن الله قدمها في العطاء على العلم فقال آتيناها رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما وقد ورد أن الله يقول لعبده ادعني بلسان لم تعصني به وهو لسان أمثالي من العصاة فكيف بلسان الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون فالجهر بالقراءة فيها أولى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فيها أعني في صلاة الاستسقاء (وصل اعتبار تحويل الرداء) إشارة إلى تحويل الحال الذي أخرجهم من الجذب إلى الخصب ومن حال شظف العيش إلى رغدته فإن ذلك من الفال الحسن كما تحول أهل هذا المصر في خروجهم إلى الاستسقاء من حال البطر والأشر وكفران النعم إلى حال التوبة والافتقار وإظهار الفاقة والمسكنة فطلبوا التحويل بالتحويل ولسان الأفعال أفصح من لسان الأقوال فإنهم القائلون بذلك الفعل أي ربنا إنا هدنا إليك ورجعنا عما كنا عليه من مخالفتك فإن التعم بالنعم وما كنا فيه من الخصب على جهة البطر أوجب لنا الجذب والقطط ونرجو بكرمك إن توجب لنا الافتقار والذلة والمسكنة والخشوع والخصب فإن الشيء لا يقابل إلا بضده حتى ينتجه فإن قلت فقله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم قلنا الشاكر في حال شكره هو عين فقره إلى ما ليس عنده وهو الزيادة التي تزداد له على النعمة التي يكون فيها وهي نعمة باطنة وهي توبته التي أعطاها الله في باطنه وظاهره وهي نعمة توجب الشكر والشكر يطلب المزيد فتعمه النعمة ظاهرا بنزول المطر وباطنا بالحمد على ما أنعم الله به عليهم

منه علي لهذا يطلب الشكرا	شكر لنعمة ربي نعمة أخرى
من الإله بها إرساله تترى	فقير إليه و ما عندي سوى نعم
منه علي فنلت الزهو والفترا	هو الغني و فقري منة ظهرت
على الوجود فلا أدري ولا أدري	بالفقر فخري وبالفاقات سلطنتي

ألا ترى التاجر رب المال الغزير والخير الكثير الذي لو قسم ما له عليه وعلى أهله وأولاده وأتباعه طول أعماهم لكفاهم وفضل عنهم ومع هذا يخاطر بما له ونفسه في ركوب البحار والسبل المخوفة في طلب زيادة درهم فما أخرجته عن أهله وهون عليه مفارقة وطنه وولده ودعته وأحوجه إلى ركوب هذه الأخطار لإفقره وتوهمه تحصيل هذا الدرهم الزائد على ما عنده وربما تلفت نفسه وماله بغرق أو قطاع طريق أو أسر المحقق عنده الحاصل في أمر متوهم يمكن أن يحصل ويمكن أن لا يحصل فإذا أراد من هذه حالته من التجار وتخرجه فاقته ولا بد له من السفر فليحول نيته إلى نية أخرى فينظر إلى الجهة التي يقصدها في سفره ويعلم أن الله قد سخر عباده في قضاء حوائج بعضهم لبعض فيقول إن البلد الفلاني يحتاجون إلى كذا وكذا ويذكر السلع التي يطلبها أهل ذلك البلد يا رب فإن قعدت أنا وغيري ولم أحمل إليهم هذا الذي يحتاجون إليه كفناهم التعب ومفارقة الأولاد بالوصول إلينا لتحصيل ما يحتاجون إليه فنحن نؤثر تعبنا على تعبهم ونحمل إليهم ما يحتاجون

إليه ويكون ما يكسبه من زيادة الدرهم تبعاً لهذه النية هكذا يكون متجر الموقنين الصادقين الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والصدّيقين والشهداء فانظر ما أحسن هذه النسبة بهذا التنبؤ فإن النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام جاءوا من عند الله إلى عباده بما يحتاجون إليه فيه سعادتهم فأجروا على ذلك الأجر التام وهذا حال التاجر لمن عقل يقول تعالى هَلْ أَذْكَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ مع حصول المشقة في ذلك من مفارقة الأهل في دخوله في الإيمان دونهم ومفارقة الوطن بالهجرة إلى دار الإسلام فانظر ما أعجب كلام النبوة وهذا كله من تحويل الحالات لهذا يحول رداءه من يستسقي ومن لم يوفق إلى هذا النظر الذي له فيه الأجر التام والمعرفة الصحيحة أخرجه ما يخرج الناس اليوم وهو الفقر الذي قام به لطلب تلك الزيادة الموهمة التي يمكن أن تحصل ويمكن أن لا تحصل مع كثرة المال الذي يقع له به الغني لو استغنى فلما لم يكن عنده غنى في نفسه بما عنده وقام به الخوف على ماله والفقر إلى الزيادة خاطر بنفسه وماله وعمي عن علمه بأن المسافر وماله على قلة فأزعجه هذا الفقر الموهوم وحال بينه وبين أهله وولده وأحبابه وهو على غاية من السرور والفرح بذلك السفر لتوهمه حصول الأرباح فحال الشاكر وفقره إلى طلب الزيادة أولى فإن الزيادة محققة والريح هناك متوهم فإن الله صادق في إخباره ثم إن الشاكر الذي له هذه الزيادة المحققة بشكوه هوني أهله لا يفارق وطنه ولا أهله ولا ولده ولا يغري بنفسه ولا يركب الأخطار ولا يتعب بدنه ولو تصدق بماله كله فهو كالتاجر باع بنسيئة فهو له مدخر يجده يوم فقره وحاجته عند الله فإن رزقه الذي تقوم به نشأته وأرزاق عياله لا بد منها يأتي بها الله كما قال لقمان يا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تَكُ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ فهذا تاجر باع بنسيئة إلى أجل وأجله زمان القيامة فهو حلول الأجل فهذا يا أخي حكمة تحويل الرداء (وصل اعتبار كيفية تحويله) وهو على ثلاث مراتب يجمعها كلها العالم إذا أراد أن يخرج من الخلاف الذي بين علماء الشريعة وهو أن يرد ظاهره باطنه وباطنه ظاهره وأعله أسفله وأسفله أعلاه والذي على يمينه على يساره والذي على يساره على يمينه وكل ذلك تأكيد في الإشارة إلى تحويل الحالة التي هم عليها فأما اعتبار ظاهر الرداء وباطنه فهو تأثير أعمال ظاهره في باطنه أعني في قلبه بما تنتج له هذه الأعمال وأعمال باطنه أيضاً المحمودة تظهر بالفعل على ظاهره مثل نيته أن يتصدق فيتصدق أو ينوي فعل خيراً ما فيفعله فما كان في باطنه قد ظهر بالفعل على ظاهره من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ومن عمل عملاً صالحاً أثر له في نفسه وقلبه المحبة والطلب إلى الشروع في عمل آخر ولا سيما إن أنتج له ذلك العمل في الدنيا علماً في نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يكن يعلم وقال تعالى إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَأما تحويل أعلى الرداء وأسفله فهو إلحاق العالم الأعلى بالأسفل في التسخير وإلحاق العالم الأسفل بالأعلى في الطهارة والتقديس فينزل الأعلى رحمة بالأسفل ويرفع الأسفل عناية إلى رتبة الأعلى في النسبة إلى الله تعالى والافتقار إليه وإن الله كما توجه إلى أعلى الموجودات قدراً وهو القلم الإلهي والعقل الأول بما أعطاه من العلم والسعادة كذلك توجه إلى أدنى الموجودات قدراً وأشقاهاهم وأخسهم منزلة عند الله على حد واحد فإن الله من حيث ذاته ما فيه مفاضلة

لأنه لا يتصف بالكل فيتحقق فيه البعض و ما من جوهر فرد من العالم كله أعلاه وأسفله إلا وهو مرتبط بحقيقة إلهية ولا تفاضل في ذلك الجانب الأعز الأحمى فهو مستو على عرشه الأعلى ولو دليت مجبل لبط على الله اجتمع أربعة من الأملاك على الكعبة واحد نازل من السماء وآخر عرج من الأرض السفلي والثالث جاء من ناحية المشرق والرابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد منهم صاحبه من أين جئت فكلهم قالوا من عند الله وروينا عن بعض شيوخنا حديثاً يرفعه أو يبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله في السماء كما هو في الأرض وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أتم فساوى بين العالمين في الطلب ومعلوم ما بينهما من التفاوت في العرف واتفق لي في هذا المشهد ذوقاً وذلك أنني حملت في يدي شيئاً محمراً بحيث يراه الناس ما كان يقتضيه منصبى في الدنيا وهو ذو رائحة خبيثة من هذا السمك المالح فتخيل أصحابي أنني حملته مجاهدة لنفسى لعلو منصبى عندهم عن حمل مثل ذلك وقالوا لشيخي ما قصر فلان في مجاهدته فقال حتى نسأله بأي نية حملته فسألني الشيخ بحضور الجماعة وذكر لي ما ذكره فقلت لهم أخطأتم في التأويل علي والله ما نويت شيئاً من ذلك ولكي رأيت الله على علوقه ما نزه نفسه عن خلق مثل هذا فأنزعه نفسي عن حمله فشكرني الشيخ وتعجب الأصحاب وهو من هذا الباب بل والله في حملي إياه شر في فإنه نظير القدرة في إيجاد عينه ولا فرق عند العارفين بين العالي والدون المعاد هذا خلوف فمن الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وأين إدراك الشم من الرائحتين فلا تنظروا في الأشياء المتفاضلة إلا بارتابها بالحقائق الإلهية وإذا كان هذا نظركم فإنكم لا تحقرون شيئاً من العالم فلا تقس الله ولا تحمله على نفسك وخذ الأشياء على ما تعطيها الحقائق وأما تحويل ما هو على اليمين إلى الشمال وبالعكس فاعتباره إن صفات السعداء في الدعاء الخشوع والذلة وهم أهل اليمين في الدنيا فتتحول هذه الصفة على أهل الشمال في الدار الآخرة فكان السعداء أخذوها منهم في الدنيا قال تعالى في حق السعداء الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وقال خَاشِعِينَ لِلَّهِ وقال أعني في عكس الصفة عليهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار وقال في حق الأشقياء في الدار الآخرة خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يُنظَرُونَ مِنْ طَرَفِ حَفِيٍّ وقال وَجُوهٌ يُؤْمِنُ خَاشِعَةً عَامِلَةً نَاصِبَةً تُصَلِّي نَارًا حَامِيَةً وتحويل آخر وهو أن يتصف العبد السعيد في الآخرة بما يتصف به العبد الشقي في الدنيا في الثروة والملك والسلطان فينتقل إليه المؤمن في الآخرة ويتحول إليه ويتحول عنه الكافر في الآخرة فيظهر المؤمن في الآخرة بنعيم الكافر الشقي في الدنيا ويظهر الكافر المنعم في الدنيا في الآخرة بصفة الشقاء والبؤس الذي كان فيه المؤمن في الدنيا فهذا اعتبار اليمين والشمال في تحويل الرداء (وصل في اعتبار وقت التحويل وهو في الاستسقاء في أول الخطبة أو بعد مضي صدر الخطبة) فاعلم أن اعتبار التحويل في أول الخطبة هو أن يكون الإنسان في حال نظره لربه بره فينظر في أول الخطبة لربه بنفسه وهو قوله في أول الصلاة حمدني عبدي فلو كان حال المصلي في وقت الحمد حال فناء بمشاهدة ربه أنه تعالى حمد نفسه على لسان عبده لم يصدق من جميع الوجوه حمدني عبدي وهو الصادق سبحانه في قوله حمدني عبدي فلا بد أن يكون العبد يشاهد نفسه في حمده ربه وهو صدق ومن قال بعد مضي صدر من الخطبة فهو إذا قال العبد إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فكان في أول الخطبة يثني على ربه بره بمجال فناء علمي ومشهد سنني بره

عن نفسه فإنه بكلامه حمده فلما أوقع الخطاب كان ثناؤه بنفسه على ربه فيحول عن حالته تلك في هذا الوقت فهذا اعتبار تعيين التحويل في أول الخطبة أو بعد مضي صدر الخطبة (وصل اعتبار استقبال القبلة) من كان وجهها كله يستقبل ربه بذاته كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه فكان وجهها كله فينبغي للمستسقي ربه أن يقبل على ربه بجميع ذاته فإنه ما فيه جزء محسوس أو معنوي ظاهر أو باطن إلا وهو فقير محتاج إلى رحمة الله به في استجلاب نعمه أو بقاء النعم عليه ولهذا يجب الله المضطر في الدعاء فإن المضطر هو الذي دعا ربه عن ظهر فقر إليه وما منع الناس الإجابة من الله في دعائهم إياه إلا كونهم يدعونه عن ظهر غنى لانفتاحهم إلى الأسباب وهم لا يشعرون وينتج عدم الإخلاص والمضطر المضمون له الإجابة مخلص مخلص ما عنده التفات إلى غير من توجه إليه أخبرني الرشيد الفرغاني رحمه الله عن فخر الدين شيخه ابن خطيب الري عالم زمانه أن السلطان حبسه وعزم على قتله وما له شفيع عنده مقبول قال فطمعت أن أجمع همي على الله في أمري أن يخلصني من يد السلطان لما انقطعت بي الأسباب وحصل اليأس من كل ما سوى الله فما تخلص لي ذلك لما يرد علي من الشبه النظرية في إثبات الله الذي ربطت معتدي به إلى أن جمعت همتي وكليتي على الإله الذي تعتقه العامة ورميت من نفسي نظري وأدلتني ولم أجد في نفسي شبهة تقدر عندي فيه وأخلصت إليه التوجه بكلي ودعوته في التخلص فما أصبح إلا وقد أفرج الله عني وأخرجني من السجن فهذا اعتبار استقبال القبلة فإن ذلك إشارة إلى القبول (وصل اعتبار الوقوف عند الدعاء) القيام في الاستسقاء عند الدعاء مناسب لقيام الحق بعباده فيما يحتاجون إليه فإنه طلب للرزق بانزال المطر الذي تركن نفوسهم إليه ويستبشرون بقول الله الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ وَالنَّفُوسُ كُلُّهَا فِي مَقَامِ الْأَثْوَةِ لِمَنْ عَقَلَ فَإِنْ كُلُّ مَنْفَعَلٍ فَرْتَبَهُ رَتْبَةَ الْأَثْوَى وَمَا تَمَّ إِلَّا مَنْفَعَلٌ وَالْفِعْلُ مَقْسَمٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَالْمَنْفَعَلِ فَمَنْ الْفَاعِلُ الْاِقْتِدَارُ وَمَنْ الْمَنْفَعَلُ الْقَبُولُ لِلاِقْتِدَارِ فِيهِ وَهَذَا سَرِيضٌ أَلْفٌ إِذَا دَعَا فَيَسْتَجِيبُوا لِي فَالَّذِي يجعل الله الرزق على يديه قائم على من يرزق بسببه فشرح القيام في الدعاء في الاستسقاء كأنه يقول بحال قيامه بين يدي ربه أرزقنا ما نقوم به على عيالنا بما تنزله من الغيث علينا فإنه السبب في وجود ما به قوام أنفسنا إنا على كل شيء قدير (وصل اعتبار الدعاء في هذا الباب) الدعاء مخ العبادة وبالمخ تكون القوة للأعضاء كذلك الدعاء مخ العبادة به تقوى عبادة العابدين فإنه روح العبادة إن الذين يستكبرون عن عبادتي العبادة هنا عين الدعاء سيدخلون جهنم داخرين وهو البعد عن الله فإن جهنم سميت به لبعد فعرها (وصل اعتبار رفع الأيدي عند الدعاء) على الكيفيتين الأيدي محل القبض والعطاء فيها ما أخذ وبها ما أعطى فلها القبض بما تأخذ والبسط بما تعطي فيرفع العبد يديه مبسوطتين ليحسب الله فيهما ما سأله من نعمه فإن رفعها وجعل بطونها إلى الأرض فرفعها تشهد العلو والرفعة ليدي ربي تعالى التي هي اليد العليا ويده مبسوطتان ينفق كيف يشاء ويجعل الداعي بطون يديه إلى الأرض في الاستسقاء أي أنزل علينا مما بيدك من الخير والبركة ما تسد به فقرنا وفاقتنا التي علقها بالأسباب فأوحدها إليك وفرغها بما تنزله من الغيث من أجلها فهذا وأشباهه اعتبار صلاة الاستسقاء وأحوال أهله وكون صلاتها ركعتين هو قول الله وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً الرَّكْعَةُ الْوَاحِدَةُ لِلنَّعْمَةِ الظاهرة يسد بها

الحلل الظاهر والركعة الثانية للنعمة الباطنة يسأل فيها ما يكون فيه غذاء الأرواح والقلوب من العلوم والمعارف والتجلي واليد النعمة انتهى
الجزء السادس والأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل ركعتي تحية المسجد)

اختلف علماء الشريعة في الركعتين لدخول المسجد فمن قائل إنها سنة و من قائل بوجوبهما والذي أذهب إليه وأقول به إن هاتين الركعتين لا تجب على من دخل المسجد إلا إن أراد القعود في المسجد فإن وقف ولا يجلس أو عبر فيه ولم يقعد فهو مخير عندي إن شاء ركعهما وإن شاء لم يركعهما ولا حرج عليه ويأثم بتركهما إن قعد ولم يركعهما إلا أن يدخل في الوقت المنهي عن الصلاة فيه أو يكون على غير طهارة (وصل في اعتبار هذا الفصل) لا يخلو هذا الداخل في المسجد أن يدخل في زمان إباحة النافلة أو في زمان النهي عن صلاة النافلة فإن دخل في زمان النهي فلا يركع فإنه ربما يتخيل بعض الناس أن الأمر بتحية المسجد يعارض حديث النهي عن الصلاة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها فاعلم إن النهي لا يعارض به الأمر الثابت عند الفقهاء إلا عندنا فإن لنا في ذلك نظرا وهو أن النهي إذا ثبت والأمر إذا ثبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا نهانا عن أمر بامتنال ذلك النهي مطلقا من غير تخصيص وأن تجتنب كل منهي عنه يدخل تحت حكم ذلك النهي وقال في الأمر الثابت صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وإذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم فقد أمرنا بالصلاة عند دخول المسجد ونهانا عن الصلاة في أوقات معينة فقد حصلنا بالنهي الثابت في حكم من لا يستطيع إتيان ما أمر به في هذه الحال لوجود النهي فانتفت الاستطاعة شرعا كما تنتفي عقلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فافعلوا منه ما استطعتم الاستطاعة المشروعة ولا المعقولة فوجب العموم في ذلك فيقول إن النهي المطلق منعي من الإتيان بجميع ما يحويه هذا الأمر الوارد من الأزمنة فلا أستطيع إتيان هذه الصلاة في هذا الوقت المخصص بالنهي شرعا فاعلم ذلك المسجد بيت الله والكرسي تجليه لمن أراد أن يناجيه فمن دخل عليه في بيته وجب عليه إن يجيبه بما أمره أن يجيبه فعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجى بيت ربنا فإنه يقول في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال يقول عبد الله بن عمر لو كنت مسبحا أتممت يعني متفلا وسبحة الضحى صلاة الضحى إذا دخلنا المسجد نسلم على الحاضرين فيه من الملا الأعلى بقولنا السلام عليكم إن كان هنالك من البشر أحد من كان من صبي أو امرأة أو رجل فإذا لم يكن أحد ممن يسمى إنسانا فلا يخلو هذا الداخل إما أن يكون ممن كشف الله عن بصره غطاء الحجاب المعتاد فيدرك من فيه من الأرواح العاقلين من جن وملك فيسلم عليهم كما يسلم على من وجد فيه من البشر وإن لم يكن من أهل الكشف لمن فيه فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينوي كل صالح لله من جميع عبادته من كل ما سوى الله فيصيب ذلك السلام كل عبد صالح لله في السماء والأرض ولا يقل السلام على الله فإن الله هو السلام ولا يركع ركعتين بين يدي ربه عز وجل وليجعل الحق تعالى في قلبه وتكون تلك الصلاة بما فيها من

الركوع والسجود مثل التحية التي تحيا بها ملوك الأعاجم إذا دخل عليهم أو ظهروا لرعاياهم وقد مضى اعتبار وأحوال الركوع والقيام والجلوس والسجود فهاتان الركعتان سجود تحية فإن كان دخوله في غير وقت صلاة أعني دخل في الأوقات المنهي عن إيقاع الصلاة فيها فعند ما يدخل المسجد يقوم بين يدي ربه عز وجل خاضعا ذليلا مراقبا ممثلا أمر سيده في نهيهِ عن الصلاة في ذلك الوقت كما نهاه أن يقول في تحياته في الصلاة السلام على الله فإن رسم له سيده تعالى بالوقوف في بيته فليركع ركعتين شكر الله تعالى على ذلك حيث أمره سيده بالوقوف عنده في بيته فهاتان الركعتان في ذلك الوقت ركعتا شكر ومن ركع قبل الجلوس وما في بيته أن يجلس وهو وقت صلاة فتانك الركعتان تحية لله لدخوله عليه في بيته ومن راعى من أهل الله من العارفين دخوله على الحق في بيته ولم يخطر له خاطر التقييد بالأوقات كان ركوعه ركوع تحية لدخوله ومن كان حاله الحضور مع الله على الدوام ومناجاته في كل حال فليست بتحية مطلقا ولكنها ركعتا شكرا لله تعالى حيث جعله من المتقين بدخوله المسجد حيث قال المسجد بيت كل تقي فأضافه إلى المتقين من عبادته وقد كان مضافا إلى الله

(وصل في فصل سجود التلاوة)

اختلف علماء الشريعة في سجود التلاوة هل هو واجب أو سنة فمن الناس من قال إنه واجب ومن الناس من قال إنه سنة وليس بواجب (وصل الاعتبار في هذا الفصل) لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الثابت عنه إن الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين ولم يذكر في المقسوم إلا تلاوة الفاتحة ولم يتعرض للهيئات من قيام أو ركوع أو سجود أو جلوس فلما لم يذكر إلا التلاوة ومن القرآن فاتحة الكتاب من العبد لله تعالى ما فيها من تلاوة فاتحة الكتاب وهذا الحديث دليلنا على وجوب قراءة الفاتحة على المصلي فسمينا التالي مصليا أو مناجيا لله تعالى بما يخص الله من الصفات وبما يخص العبد منها كاشفا محققا في جميع القرآن المسمى كلام الله فثم آية تخص جناب الحق فهي لله خاصة و ثم آية تخص جناب العبد فهي له مخصوصة و ثم آية تقع فيها الاشتراك فهي بين الله وبين عبده والعمل في ذلك كالعمل في الفاتحة المنصوص عليها فجاء في الذي يتلوه من كلامه تعالى مواضع ينبغي السجود فيها فعين لنا الشارع ما نسجد فيه مما لا نسجد فيه فاشترط فيها من اشترط الطهارة والوقت للسجود والقبلة وسيأتي فصل ذلك كله فنسجد فيما سجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك فيما ترك وإن كان اللفظ بالأمر يقتضي السجود ولكن لا نسجد لكون الشارع ما شرع السجود إلا في مواضع مخصوصة معينة عينها لنا الشارع فعلا و قولاً لا تتعدى ولا يزداد عليها والخلاف في عددها معلوم والسجود المشروعة في غير التلاوة مذكور كسجود الإنسان عند رؤية الآيات وكسجود الشكر وغير ذلك فلنذكر عدد عزائم السجود الوارد في القرآن ونجمع المختلف فيه إلى المجمع عليه

(وصل في ذكر سجود القرآن العزيز)

اعلم أن سجودات القرآن العزيز من إحدى عشرة سجدة إلى خمس عشرة سجدة فمنها ما ورد بصيغة الخبر ومنها ما ورد بصيغة الأمر السجدة الأولى من ذلك في سورة الأعراف في خاتمتها أما الأعراف فهو سور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة وظاهره من

قَبْلَهُ الْعَذَابُ وَهُوَ مَا يَلِي النَّارَ مِنْهُ وَعَلِيهِ رَجَالٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ فَلَمْ تَرَجِحْ فِي الْوِزْنِ كِفَّةً عَلَى كِفَّةٍ فَلَمْ تَنْقَلْ مَوَازِينَهُمْ وَلَا خَفَتْ فَإِنَّهُ مَا وَضَعَ اللَّهُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي مِيزَانِهِ تَلْفِظَةً بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهُ مَا تَمَّ سَيِّئَةٌ تَعَادَلَهَا إِلَّا الشَّرْكَ وَكَمَا لَا يَجْتَمِعُ الشَّرْكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي قَلْبِ شَخْصٍ وَاحِدٍ كَذَلِكَ لَا يَدْخُلُ فِي الْمِيزَانِ إِلَّا لِصَاحِبِ السَّجَلَاتِ لِسَبَبِ آخِرٍ نَذَرَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِ الْقِيَامَةِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَأَمَّا خَاتِمَةُ هَذِهِ السُّورَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا وَهَذِهِ الْآيَةُ رَوَيْنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ وَخَتَمُ هَذِهِ السُّورَةِ بِذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ وَسُجُودِهِمْ لِلَّهِ فَوَصَفَهُمْ فَقَالَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ وَهُمْ الْمُقْرَبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ يَقُولُ يَذَلُّونَ وَيَخْضَعُونَ لَهُ وَيَسْبِجُونَ أَيُّ بِنَزْهِونَهُ عَنِ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا يَلِيقُ بِهِ وَهِيَ الَّتِي تَقْرَبُوا بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الذَّلِيلِ وَالْخُضُوعِ وَصَدَقَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِمْ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِمَا أَخْبَرَهُ عَنْ نَفْسِهِمْ وَلَهُ يَسْجُدُونَ وَصَفَهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمُ الْكِتَابُ وَالْحُكْمُ وَالتَّنْبُؤَةُ قَالَ لَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ وَهُمْ بَشَرٌ مِثْلَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا يَعْبُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَأَيُّ هَدَى أَعْظَمَ مِمَّا هَدَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدَ هَذَا التَّالِي فِي هَذِهِ السُّجُودَةِ اقْتِدَاءً بِسُجُودِ الْمَلَائِكَةِ وَبِهِدَاهُمْ فَمَنْ سَجَدَ فِيهَا وَأُحْصِيَ لَهُ نَفْحَةٌ مِمَّا حَصَلَ لِلْمَلَائِكَةِ فِي سُجُودِهَا مِنْ حَيْثُ مَلَائِكَتُهُ الْخَاصَّةُ بِهِ فَمَا سَجَدَهَا وَهَكَذَا فِي كُلِّ سُجُودَةٍ تَرَدُّ وَرَأَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أَنَّ مَوْطِنَ الْقِيَامَةِ قَدْ سَجَدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَا طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ فَتَحَّ بَابَ الشَّفَاعَةِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَهَيْبَةً وَإِجْلَالًا وَسَمِعَ اللَّهُ يَقُولُ يَوْمَ يَكْتَسِفُ عَنْ سَاقِ بَأْمَرِ الْآخِرَةِ تَقُولُ الْعَرَبُ كَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا وَهُوَ إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ وَاشْتَدَّ الْحَرْبُ وَعَظُمَ الْخُطْبُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَوْطِنُ سُجُودِ فَلَمَّا دَعُوا إِلَى السُّجُودِ هُنَاكَ سَجَدَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ فَرَجَحَتْ كِفَّةَ حَسَنَاتِهِمْ بِهَذِهِ السُّجُودَةِ وَثَقَلَتْ فَسَعَدُوا لِأَنَّهَا سُجُودَةٌ مُشْرُوعَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ عَنْ أَمْرِ إِلَهِي فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ (وَصَلَّ السُّجُودَةَ الثَّانِيَةَ) وَهِيَ سُجُودَةُ الظَّلَالِ بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ مَعَ سُجُودِ عَامٍ وَهَذِهِ سُجُودَةُ سُورَةِ الرَّعْدِ وَهِيَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ وَظِلَالُ الأرواحِ أَجْسَادُهَا فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَهُمْ الأَعْلُونَ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَهُمْ الأَسْفَلُونَ عَالِمُ الأَجْسَادِ الَّذِينَ قَامُوا بِالنَّشْأَةِ الْعَنْصَرِيَّةِ طَوْعًا لِلأرواحِ مِنْ حَيْثُ عِلْمُهُمْ وَمَقَامُهُمْ وَالأَجْسَامِ مِنْ حَيْثُ ذَوَاتُهُمْ وَأَعْيَانُهُمْ كَرَاهَا فِي الأرواحِ مِنْ حَيْثُ ذَوَاتُهُمْ وَفِي الأَجْسَامِ مِنْ حَيْثُ رِيَاسَتِهِمْ وَتَقَدُّمُهُمْ عَلَى أبنَاءِ جِنْسِهِمْ وَهَذَا سُجُودٌ إِخْبَارٌ فَتَعَيَّنَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَصْدُقَ اللَّهُ فِي خَبْرِهِ عَمَّنْ ذَكَرَ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ بِجَسَدِهِ وَمِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بِعَقْلِهِ فَهُوَ الْمَلِكُ الْبَشَرِيُّ وَالبَشَرُ الْمَلِكِيُّ فَيَسْجُدُ طَائِعًا لِرَبِّهِ وَكَرْهًا مِنْ تَقْيِيدِهِ بِجَهَةِ خَاصَّةٍ لَا يَتَّقِيهَا عِلْمُهُ وَإِنْ كَانَ سَاجِدًا فِي نَفْسِ الأَمْرِ سَاجِدًا ذَاتِيًا وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ فَيُوقِعُهَا عِبَادَةً فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْجَى لَهُ وَذَكَرَ الْغَدْوَ وَالْأَصَالَ لِإِمْتِدَادِ الظَّلَالِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ فَجَعَلَ امْتِدَادَهَا سُجُودًا فَهِيَ فِي الْغَدْوِ وَتَقْلُصُ رَجُوعًا إِلَى أَصْلِهَا الَّذِي مِنْهُ انْبَعَثَتْ وَخُوفًا عَلَى نَفْسِهَا مِنَ الْإِحْتِرَاقِ فَكَأَنَّهَا تَقْتَصِرُ عَلَى ذَاتِهَا وَفِي الأَصَالِ تَمْتَدُّ وَتَطُولُ بِالزِّيَادَاتِ مِنْ إِظْهَارِ نَعْمِ اللَّهِ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيْهَا وَالْغَدْوِ وَ

الأصل من الأوقات المنهي عن الصلاة فيها فأخرج حكم السجود في هذه الأوقات عن حكم النافلة وجعل حكمه حكم الفرائض أو المقضي من النوافل فتعين على التالي في هذه الآية السجود فيجازي من باب من صدق ربه تعالى في خبره فسجدة الأعراف سجدة اقتداء بهدى الملائكة وهذه سجدة تصديق بتحقيق (وصل السجدة الثالثة) سجود العالم الأعلى والأدنى في مقام الذلة والخوف سجود هذه السجدة عند قوله وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ فذكر الملائكة والظلال وسجدوا في الأعراف سجود اختيار لما يقتضيه جلال الله وهنا أثنى الله عز وجل عليهم بأنهم يفعلون ما يُؤْمَرُونَ فسجدوا شكرا لله لما أثنى الله عز وجل عليهم بما وفقهم إليه من امتثال أوامره فسجدها العبد رغبة في أن يكون ممن أثنى الله عليه بما أثنى على ملائكته فهي للعبد سجود ذلة وخضوع فإنه يقول يتقيًا ظلاله الضمير في ظلاله يعود على الشيء المخلوق وقد قلنا إن الأجساد ظلال الأرواح فلا تتحرك إلا بتحريك الأرواح إياها تحريكًا ذاتيًا ثم قال عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ أَي أذلاء فهو سجود ذلة وخضوع فمن سجد هذه السجدة ولم يشاهد سجود ظله في اليمين إذا وقع له التجلي في الشمال ولا شاهد سجود ظله في الشمال إذا وقع له التجلي في اليمين ولم يحصل له التأثير في عالم الكون خاصة فإن الآثار في حضرة العين سهلة الوجود وما تظهر الرجال أصحاب القوة واليمين إلا في تأثيرهم في الكون فهذا من خصوص سجود هذه السجدة (وصل السجدة الرابعة) سجود العلماء بما أودع الله في كلامهم من علوم الأسرار والأذواق وهو سجود تسليم وبكاء وخشوع وبالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا يقول وبالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ لِحُكْمِهِمْ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ لَذَاتِهِ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ خُطَابًا لِمَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَمَا بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ وَتَبَشِّرْ قَوْمًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَنَذِيرًا مُعَلِّمًا مِمَّنْ تَبَشِّرُهُ وَبِمَا تَبَشِّرُ وَقُرْآنًا وَكَلَامًا جَامِعًا لِأُمُورٍ شَتَّى فَرَقْنَاهُ أَي فَصَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ فِي سُورٍ مَنْزِلَاتٍ لِتَقْرَأَهُ أَي تَجْمَعُهُ وَتَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ تَوْدَةً مَرْتَلًا وَنَزَّلْنَاهُ عَمَّا يَجِبُ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ إِلَى مَخَاطَبَةٍ مِنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ آمَنُوا بِهِ صَدَقُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا أَوْ تَرُدُّوهُ وَلَا تَصَدَّقُوا بِهِ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أعطوا العلامات التي تعطي اليقين والطمأنينة في الأشياء من قبله ممن تقدمه من أمثاله إذا يُبْلَى تَتَبَعَ آيَاتِهِ بَعْضُهَا بَعْضًا بِالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْآيَةِ وَالْآيَةِ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا يَقْعُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَطَاطِينِ أَذْلَاءِ وَالسُّجُودِ التَّطَاطُؤِ أَسْجِدِ الْبَعِيرِ إِذَا طَاطَأَ لِيَرْكَبَهُ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا أَي وَعَدَهُ صَدَقَ وَكَلَامُهُ حَقٌّ إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَاقْعَا كَمَا وَعَدَ الْوَعْدَ يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْوَعْدُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةٌ فَالْوَعْدُ فِي الْخَيْرِ مِنَ اللَّهِ لَا بَدَّ مِنْهُ وَالْوَعْدُ قَدْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ فَإِنَّهُ مِنْ صِفَةِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا يَمْدَحُ بِهِ الْأَعْرَابُ سَادَتَهَا وَكِبْرَاءَهَا يَقُولُ شَاعِرُهُمْ

وَإِنِّي إِذَا وَعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتَهُ لِمُخْلِفِ إِبْعَادِي وَمَنْجَزِ مَوْعِدِي

وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُمْ مِمَّا لَا يُسْتَدْرَكُونَهُ وَلَوْ عَفِيَ عَنْهُ فَالْكَتَابَةُ عَلَى الْخَوْفِ مَا تَقَوْمُ فِي الصِّفَا كَالْكَتَابَةِ عَلَى غَيْرِ الْخَوْفِ

يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا أَي ذَلَّةً وَخُشُوعًا لَا يَكُونُ أَبَدًا مِنَ الْخَاشِعِ إِلَّا عَن تَجَلٍّ وَلَا بَدَ إِذَا عَلِيَ الظَّاهِرُ وَإِمَا عَلَى الْبَاطِنِ أَوْ عَلَيْهِمَا مَعَا فَهَذِهِ السَّجْدَةُ سَجْدَةٌ زِيَادَةٌ فِي الْخُشُوعِ وَالْخُشُوعُ كَمَا قُلْنَا لَا يَكُونُ إِلَّا عَن تَجَلٍّ إِلَهِي فزِيَادَةُ الْخُشُوعِ دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَةِ التَّجَلِّي فَهَذَا يُسَمَّى سَجْدَةَ التَّجَلِّي فَافْهَم (وَصَلَّ السَّجْدَةَ الْخَامِسَةَ) وَهِيَ سَجْدَةُ الْإِنْعَامِ الْعَالَمِ الرَّحْمَانِيِّ عَنِ الدَّلَالَاتِ وَهِيَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ عِنْدَ قَوْلِهِ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا وَهِيَ سَجْدَةُ النَّبِيِّينَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ فَهَذَا بَكَاءٌ فَرَحٌ وَسُرُورٌ وَأَيَاتٌ قَبُولٌ وَرِضَى فَإِنَّ اللَّهَ قَرَنَ هَذَا السَّجْدَةَ بِآيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَةَ لَا تَقْتَضِي الْقَهْرَ وَالْعِظْمَةَ وَإِنَّمَا تَقْتَضِي اللَّطْفَ وَالْعَطْفَ الْإِلَهِي فَدَمَعَتْ عَيُونُهُمْ فَرَحًا بِمَا بَشَّرَهُمُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فَالصُّورَةُ صُورَةُ بَكَاءٍ لِحُرْبَانِ الدَّمْعِ وَالِدَمْعُ دَمْعٌ فَرِحَ لَدَمْعٍ تَرَجَّ وَكَمَدَ وَحَزَنَ لِأَنَّ مَقَامَ الْاسْمِ الرَّحْمَنِ لَا يَقْتَضِيهِ وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي قَوْلِهِ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ فَرِحَ أَبُو يَزِيدَ وَطَارَ الدَّمُ مِنْ عَيْنَيْهِ حَتَّى ضَرَبَ الْمَنْبَرُ وَقَالَ يَا عَجَبًا كَيْفَ يَحْشُرُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ جَلِيسُهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِنِي وَالْمُتَّقِي ذَاكَ لِلَّهِ ذَكَرَ حَذَرَ فَلَمَّا حَشَرَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَهُوَ مَقَامُ الْأَمَانِ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْحَذَرِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَاسْتَبَشَّرَ وَكَانَ دَمْعُ أَبِي يَزِيدَ دَمْعُ فَرِحَ كَيْفَ حَشَرَ مِنْهُ إِلَيْهِ حِينَ حَشَرَ غَيْرَهُ إِلَى الْحِجَابِ وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي قَوْلِهِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَيَقْرَنَ الْعَذَابَ بِالْاسْمِ الرَّحْمَنِ وَلَا يَقْتَضِيهِ هُنَا فِي الظَّاهِرِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ أَشَارَ لَهُ إِلَى الْاسْمِ الَّذِي هُوَ أَبُوهُ مَعَهُ فِي الْحَالِ فَإِنَّهُ مَعَ الرَّحْمَنِ بِلَا شَكٍّ لِحُصُولِ الْعَافِيَةِ وَالْخَيْرِ وَالرِّزْقِ وَالصَّحَّةِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَعَلَيْهِ وَالْمَعْنَى الْآخَرُ فِي مَسَاقِ هَذَا الْاسْمِ مَعَ الْعَذَابِ مِثْلَ رَحْمَةِ الطَّيِّبِ بِصَاحِبِ الْأَكْلَةِ فَهُوَ يَعِزُّهُ فِي الْوَقْتِ بِقَطْعِ الْعَضْوِ الَّذِي فِيهِ الْأَكْلَةُ رَحْمَةً بِهِ حَتَّى يَجِيءَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ نَصَبَ الْحُدُودَ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ لَهُمْ طَهَارَةً إِلَى الْآخَرِ وَهَكَذَا فِي كُلِّ دَارَانِ نَظَرْتَ بَعِينَ التَّحْقِيقِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ فَمَنْ سَجَدَ هَذِهِ السَّجْدَةَ وَلَمْ يَرِ النَّعِيمَ فِي الْعَذَابِ فَمَا سَجَدَهَا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ

و لَكِي أَرِيدُكَ لِلْعِقَابِ أَرِيدُكَ لَا أَرِيدُكَ لِلثَّوَابِ

سَوَى مَلْذُوزٍ وَجَدِي بِالْعَذَابِ وَكُلِّ مَا رَبِّي قَدْ نَلْتُ مِنْهَا

وَأَمَّا رَابِعَةُ الْعَدْوِيَّةُ فَضَرْبُ رَأْسِهَا رُكْنَ جِدَارِ فَادِمَاهُ قَفِيلٌ مَا تَحْسِبِينَ بِالْأَمِّ فَقَالَتْ شَغْلِي بِمُؤَافَقَةٍ مُرَادَهُ فِيمَا جَرَى شَغْلِي عَنِ الْإِحْسَاسِ بِمَا تَرَوْنَ مِنْ شَاهِدِ الْحَالَةِ (وَصَلَّ السَّجْدَةَ السَّادِسَةَ) وَهِيَ سَجْدَةُ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ سَجْدَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْحَيَوَانَ وَبَعْضُ الْبَشَرِ وَعِمَارُ الْأَفْلَاقِ وَالْأَرْكَانِ سَجْدَةُ مَشَاهِدَةٍ وَاعْتَبَارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَذَكَرَ سَبْحَانَهُ كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَّا النَّاسَ فَإِنَّهُ قَالَ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ مَشِيئَتِهِ فَيَبَادِرُ الْعَبْدَ بِالسَّجْدَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِيَكُونَ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي يَسْجُدُ لِلَّهِ لَا مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فَإِذَا رَأَى هَذَا الْعَبْدَ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَفَّقَهُ لِلْسَّجْدَةِ وَلَمْ يَجَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّجْدَةِ عِلْمٌ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْعِنَايَةِ الَّذِينَ التَّحَقُّوا بِمَنْ لَمْ يَبْعَثْ سَجْدَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ فِي غُرُوبِهَا وَالْقَمَرُ فِي مُحَاقِهِ وَالنُّجُومُ فِي مَوَاقِعِهَا وَالْجِبَالُ فِي إِسْكَانِهَا وَالشَّجَرُ فِي إِقَامَتِهَا عَلَى سَوَاقِهَا وَالدَّوَابُّ فِي تَسْخِيرِهَا وَبَعْضُ النَّاسِ مَنْ لَهُ الشَّهَادَةُ فَمَنْ سَجَدَ هَذِهِ السَّجْدَةَ مِنْ أَهْلِ

الله ولم يشهد كل عالم فيه من ذكر ويشهد سجود بعضه من كله ومن بقي منه ولم يسجد فما سجدها (وصل السجدة السابعة) وهي سجدة الفلاح والايان عن خضوع وذلة وافتقار وهي في آخر الحج في قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فهذا سجود الفلاح وهو البقاء والفوز والنجاة فكان فعل الخير بمبادرته للسجود عند ما سمع هذه الآية تتلى سببا لإيمانه إذ كان الله قد آية بالمؤمنين في هذه الآية وأمرهم بالركوع والسجود له فالتحق بالملائكة في كونهم يُفعلون ما يُؤمرون فسجد العبد فأفصح وهي سجدة خلاف فمن سجد هذه السجدة ولم يعرف نسبة البقاء الإلهي والإبقاء ولم يفرق بين من هو باق ببقائه ومن هو باق بإبقائه و فاز فامتاز بعلامته من انحاز و نجا عند ما التجأ وقال بالتثبت في بعض الأمور وفي بعضها بالنجا فما سجده هذه السجدة (وصل السجدة الثامنة) وهو سجدة النفور والإنكار عند أهل الاعتراف قال تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فسجدها المؤمن عند ما يتلو ليمتاز بها عن الكافر المنكر لاسمه الرحمن فهذه تسمى سجدة الامتياز والله يقول وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَيُّ الْيَوْمِ أُولَئِكَ الْمُجْرِمُونَ فيقع الامتياز بين المنكرين للاسم الرحمن وبين العارفين به يوم القيامة بالسجود الذي كان منهم عند التلاوة وزادهم هذا الاسم نفورا لجهلهم به ولهذا قالوا وَمَا الرَّحْمَنُ عَلَى طَرِيقِ اسْتِقْهَامٍ فهذا سجود إتمام لا سجود قهر فإن الكفار أخطأوا حيث رأوا أن الرحمن يناقض التكليف ورأوا أن الأمر بالسجود تكليف فلا ينبغي أن يكون السجود لمن هو هذا الاسم الرحمن لما فيه من المبالغة في الرحمة فلو ذكره بالاسم الذي يقتضي القهر ربما سارع الكافر إلى السجود خوفا كما صدر من الجبار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤساء الجاهلية حيث قال له يا محمد اتل علي مما جئت به حتى أسمع فتلا عليه حم السجدة فلما وصل إلى قوله تعالى فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ وهما من العرب و حديثهما مشهور عندهم بالحجاز فلما سمع هذه الآية ارتعدت فرائضه واصفر لونه و شرط من شدة ما سمع ومعرفة بذلك وقال هذا كلام جبار فما زادهم نفورا إلا اقتران التكليف بالاسم الرحمن فإن الرحمن من عصاه عفا عنه وتجاوز فلا يكلفه ابتداء فلو علم هذا الجاهل أن أمره تعالى بالسجود للرحمن لا يناقض التكليف وإنما يناقض المؤاخذة ويزيد في الجزاء الحسنى لبادر إلى ذلك كما بادر المؤمن فمن سجد هذه السجدة ولم يفرق بين العلم والخبرة وهو علم الأذواق ومنه قوله تعالى وَلَتَبْلُوَنَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ (وصل السجدة التاسعة) وهي سجدة السر الخفي عن النبي اليقين وموضع السجود من هذه السورة مختلف فيه فليل عند قوله تُعْلِنُونَ وقيل عند قوله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فهذا هو سجود توحيد العظمة إن سجد في العظيم وإن سجد في قوله أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ يقول إن الشمس التي يسجدون لها وإن اعتقدوا أنها تعلم ما يعلنون فالسجود لمن يعلم ما يخفون وما يعلنون أولى ثم إنهم يسجدون للشمس لكونها تخرج لهم بجزارتها ما خبأت الأرض من النبات فقال الله لهم ينبغي لكم أن تسجدوا للذي يخرج الخبء في السموات وهو إخراج ما ظهر من الكواكب بعد أفولها وخبئها ثم يظهرها طالعة من ذلك الخبء وفي الأرض ما يخرج من نباتها فالشمس ليس لها ذلك بل بظهورها يكون

خبء ما في السموات من الكواكب فالله أولى بأن يسجد له من سجودكم للمشمس فإن حكمها عند الله كحكم الكواكب في الأفول والطلوع فطلوعها من الخبء الذي يجزجه الله في السماء مثل سائر الكواكب فهذا سجود الرجحان فإن الدليل هنا في جناب الله أرجح منه في الدلالة على الوهة الشمس حين اتخذتموها إلها لما ذكرناه فمن سجد هذه السجدة ولم يقف على لغات البهائم ولا علم منطلق الطير ولم ينكح جميع الكواكب وحروف النطق بحيث يلتذ بها التذاذ بالكواكب (وصل السجدة العاشرة) وهي سجدة التذكر والذكر بتسيح وتواضع عن دلالات منصوبة بسجود عقل واستبصار وهذه سجدة الم تنزيل التي إلى جانب سورة لقمان الحكيم إِمَّا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ إِنَّ حُرْفَ تَحْقِيقٍ وَتَكْبِيرٍ يَقُولُ إِنَّ الَّذِي يَصْدُقُ بِآيَاتِنَا أَنَّهَا آيَاتُ نَصْبِنَ لَهَا دَلَالَاتٍ عَلَى وَجُودِنَا وَصَدَقَ إِسْرَائِيلُ مَا هِيَ عَنْ هَمِّ النَّفُوسِ عِنْدَ جَمْعِيَّتِهَا هُمُ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا وَالتَّذَكُّرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ عِلْمٍ غَفَلَ عَنْهُ أَوْ نَسِيَانٍ مِنْ عَاقِلٍ إِمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ يَقُولُ إِنَّهَا مَدْرَكَةٌ بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ إِنَّهَا دَلَالَاتٌ عَلَى مَا نَصَبْنَاهَا عَلَيْهِ فَإِذَا ذُكِرُوا بِهَا وَقَعُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ أَيْ حَرَّصُوا عَلَى مَعْرِفَةِ ذَوَاتِهِمْ فَزَهَرُوا رَبَّهُمْ بِمَا نَزَهَ بِهِ نَفْسَهُ عَلَى السَّنَةِ رَسَلَهُ لَمْ يَعْطِهِمُ الْعِلْمَ الْأَنْفَعَةَ عَنْ ذَلِكَ فَمَنْ سَجَدَ هَذِهِ السَّجْدَةَ لَمْ يَقِفْ عَلَى مَدَارِكِ عَقْلِهِ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ مَا يَعْطِيهِ نَظْرُهُ وَبَيْنَ مَا يَعْطِيهِ إِيمَانُهُ فَيَنْزِعُهُ بِرَبِّهِ إِيمَانًا لَا عَقْلًا وَيَأْخُذُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْحُلِّ الَّذِي جَاءَ بِهَا وَإِنَّ الْعَاقِلَ يَعْرِفُ الرِّجَالَ بِالْحَقِّ وَغَيْرَ الْعَاقِلَ يَعْرِفُ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ أَغْلَاظِ النَّظَرِ فَإِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي يَنْدَرُجُ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَقْصِدُ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ إِضْرَاحٌ أَمْ هُوَ فِي الْحَقِّ الْمَطْلُوبِ يَقْبَلُهُ الْجَاهِلُ مِنَ الرَّسُولِ إِذَا جَاءَ بِهِ وَيَحْمِلُهُ وَيُرَدُّهُ مِنَ الْوَارِثِ وَالْوَلِيِّ إِذَا جَاءَ بِهِ فَلَوْ قَبِلَ الْعِلْمَ لَذَاتِ الْعِلْمِ لَكَانَ مَنْ تَذَكَّرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي حَقِّ مَا أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخَاطَبُ بِهِ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ مِنَ النَّاسِ فَهُوَ فِي حَقِّ طَائِفَةٍ بِلَاغٍ يَسْمَعُونَ حُرُوفَهُ إِيمَانًا بِهَا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ ذَلِكَ وَطَائِفَةٌ تَلَاهُ عَلَيْهَا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ أَيْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ الْآتِيَّ بِهَا لَمْ يَأْتِ بِهَا مِنْ نَفْسِهِ بَلْ هِيَ مِنْ عِنْدِ مَرْسَلِهِ سَبْحَانَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أَرْبَابَ الْعُقُولِ مَا كَانُوا قَدْ عِلْمُوهُ قَبْلَ أَيْ مَا جَاءُوا بِمَا تَحْمِلُهُ الْأَدْلَةُ الْغَامِضُ إِدْرَاكُهَا فَإِنَّهَا لَبِ الدَّلَالَاتِ وَهُمْ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالْجَمْعِ وَالْوُجُودِ فَمَنْ لَمْ يَحْصُلْ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي سَجُودِهِ هَذِهِ السَّجْدَةَ فَمَا سَجَدَ (وصل السجدة الحادية عشرة) وهي لنا سجدة شكر في حضرة الأنوار ولصاحبها سجدة توبة لا من حوبة وليست من عزائم السجود وهذه سجدة سورة صلى الله عليه وسلم في قوله وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَسَجَدْنَا تَوْبَةً وَشَكَرًا مَعًا وَالظَّنُّ عَلَى بَابِهِ يَقُولُ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا اخْتَبَرْنَاهُ فَإِنَّ الْفِتْنَةَ فِي اللِّسَانِ الْاِخْتِبَارُ يَقُولُ الْعَرَبُ فَتَنَتِ الْفِضَّةَ عَلَى النَّارِ أَيْ اخْتَبَرْتَهَا فَطَلَبَ طَلْبًا مُؤَكَّدًا السُّتْرَ مِنْ رَبِّهِ فَإِنَّ الاسْتِفْعَالَ يُؤَدِّنُ بِالتَّأَكُّدِ وَوَقَعَ خَاضِعًا وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ فِيمَا طَلَبَ عَنْهُ لِاحْوَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَسْتَتِرُ بِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ لَهُ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَلَئِمَّ بِكَ فِي قُوَّتِهِ التَّحَكُّمُ بِهِ فِيمَا يَرِيدُهُ مَا نَهَى عَنْهُ فَقَضَيْنَا حَاجَتَهُ فِيمَا رَجَعَ إِلَيْنَا فِيهِ وَسْتَرْنَاهُ عَنِ الْأَعْيَارِ فِي حَضْرَتِنَا فَجَهَلُ قَدْرَهُ مَعَ تَصَرُّحِنَا بِخِلَافَتِهِ عِنَّا فِي الْحُكْمِ فِي عِبَادِي وَالتَّحَكُّمُ وَالتَّصْرِيفُ ثُمَّ قَالَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى مِمَّا هُوَ لَنَا لَا يَرْجِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْأَكْوَانِ وَالْأَعْيَارِ شَيْءٌ وَحُسْنُ مَآبٍ وَخَاتِمَةٌ حَسَنَةٌ أَيْ

مشهود لأن الحسنة والحسنى من الإحسان وهو مقام الشهود الذي يعطي الحقائق على ما هي عليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الإحسان لجبريل عليه السلام بما أشرنا إليه فمن سجد هذا السجود وهو سجود الإجابة وفي السجود فيها خلاف فإذا سجدها الإنسان ولم يجد فيها ما وجد داود عليه السلام من التقرب الإلهي وعلم خاتمة أمره وبما ذا يختم له ونهاية مقامه ومنزلة عند ربه في الدار الآخرة هذا إذا سجدها سجود داود وإذا سجدها سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد الزيادة في جميع أحواله في كل حال بما يليق به من علم وعمل في كل دار بما يليق بتلك الدار فإن الزيادات في الدار بحسب ما وضعت لها فالدار دار تكليف وعمل والآخرة دار جزاء والدار أيضا دار جزاء لمن عقل عن الله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر زاد في عبادته ربه فقام حتى تورمت قدماه شكرا لله على ذلك وهذا جزاء العبد على المغفرة فهي دار جزاء فيوم الدين هو يوم الدنيا والآخرة فوضع الحدود جزاء و جازى أهل الشقاء بما عملوه من مكارم الأخلاق في الدنيا ما أنعم به عليهم من النعم حتى انقلبوا إلى الآخرة وقد جنوا ثم خيرهم في الدنيا فلم تكن الدنيا أيضا دار جزاء ما كان هذا فمن لم يدرك في سجوده أمثال هذه العلوم فلم يسجد

(وصل السجدة الثانية عشرة)

وهي سجدة الاجتهاد وبذل المجهود فيما ينبغي لجلال الله من التعظيم والالتدابير وهي في حم السجدة وفي موضع سجودها خلاف فقيل عند قوله **إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** فمن سجد هنا جعلها سجدة شرط ومن سجدها عند قوله **لَا يَسْأَلُونَكَ** كانت عنده سجدة نشاط ومجبة لما كانت حاجة الخلق إلى الليل **لِيَسْكُنُوا فِيهِ** ويتخذوه لباسا يحول بينهم وبين أعين الناظرين وإلى النهار ليستسببوا فيه في تحصيل أوقاتهم ورأوا أن الشمس يكون النهار بطولها ويكون الليل بغروبها نسبوا وجود الليل والنهار إليها فعبدوها وهم الشمسية رأينا منهم خلقا كثيرا ببلاد يونان ونزلت عند واحد من علمائهم فسأله لم أشركتم مع الله في عبادته عبادة الشمس فقال لي ما عبدنا الشمس لكونها إله حاشى لله بل الله إله واحد وإنما نظر علماءنا فيما لهذا النير الأعظم من المنافع في العالم ثم عدد ما ربط الله به من المنافع فعرفنا أنه لو لم يكن له عناية من الله به ما ولاة على هذه الأمور فطلبنا القرية إليه بالتعظيم ليكون لنا أحسن وساطة عند الله في تخليصنا والشمس عندنا عبد فقير إلى الله تعالى إلا إن الله به عناية هذا قوله لي ونحن على مائدته نأكل ضيافته يقول الله تعالى في هذه السجدة **وَمِنْ آيَاتِهِ الضمير يعود على الله الليل والنهار وإن حدث عن الشمس فما هو من آياتها بل هو من آياتي ثم قال **وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** وأخبرهم أن الله محي آية الليل وهو القمر فلا يظهر لنوره حكم في البصر إلا بالليل ونوره معارفه فإنه انعكاس نور الشمس فإنه لها كالمراة فانور الذي يعطيك القمر إنما هو للشمس وهو موصل لا غير لأنه محو وجعل آية النهار **مُبْصِرَةً** يعني نورها ظاهرا للبصر وجعلنا ذلك الطلوع والغروب لمن يكون حسابه بالشمس ليعلم فصول سنته ومن يكون حسابه بالقمر عدد السنين والحساب يقول الله في الأهل **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ** فقال لهم إذا كانت عبادتكم للشمس والقمر لهذه العلة فأنا خالق هذه الآيات دلالات علي وأسجدوا لله الذي خلقهن فجميع الليل والنهار والشمس والقمر في الضمير وغلب هنا التأنيث**

على التذكير لأن الليل والنهار والشمس والقمر منفعلون لفاعلون فهو تشبيه واضح لمن عقل وجمعهم جمع من يعقل من المؤنث ينبه بذلك أيضا على نقص الدرجة التي تنبغي للذكورية ولم يقل خلقهم حتى لا يعظم قدرهم بتغليب التذكير عليهم فإن العرب تغلب المذكر على المؤنث في كلامها تقول زيد والفواطم خرجوا ولا تقول خرجن فالله الذي خلقهن أولى بأن تعبدوه منهن لأن مرتبة الفاعل فوق مرتبة المنفعل فالحق أولى وأحق أن يعبد ممن له النقص من طريقتين من كونه مخلوقا ومن كونه مؤنثا وقال إن الذين عند ربك يعني العلماء بالله من الملائكة الذين هم دون مقعر فلك القمر يسبحون له بالليل والنهار وهم أعلم بالله منكم فلو كان ما اتخذتموه من هؤلاء آلهة لكانت الملائكة أولى بالسجود لمن منكم لعلمكم أنهم أعلم فهم يسجدون لله من غير سامة ولا فتور (وصل السجدة الثالث عشرة) وهي سجدة الطرب والهوى تنبيه الغافلين عن الله وهي سجدة خاتمة سورة النجم وفي السجود فيها خلاف واقترب بسجودها الأمر الإلهي والذلة والمسكنة لأن السامدين اللاهون فيقول لهم وإن كنتم أهل غناء فتغنوا بالقرآن فهو أولى بكم فاسجدوا لله واعبدوا وقد ورد في الخبر ما أذن الله لنبي كاذنه لنبي يتعنى بالقرآن يقول ما استمع كاستماعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فجعل التغني به من السنة وهي لغة حميرية يقولون اسمد لنا أي غن لنا في وقت حصا دهم لينشطوا للعمل وكانت العرب إذا سمعت القرآن غنت حتى لا تسمع القرآن وكانوا يقولون ما أخبر الله عنهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون كما يفعله اليوم من لم يوفقه الله من العلماء إذا سمعوا كلام أهل الله بما يمنحهم الله من الأسرار يقولون هذا هذيان وفسار وأما المتعالمون فيقولون هذا كفر ولو سألوا عن معنى ما سمعوا ما عرفوا فقال الله أفمن هذا الحديث يعني من القرآن فيما وعظهم به منهم وتوعدهم ووعدهم تعجبون تكثرون العجب كيف جاء به مثل هذا وما أنزل على عظمائكم كما قالوا لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وتضحكون أي تهزءون منه إذا أتى به وهؤلاء هم الذين ذكرنا من جهلهم أنهم لا يعرفون الحق إلا بالرجال وأنتم سامدون يقول لأهون فلا تفعلوا ولا تتكبروا واخضعوا لله الذي هذا كلامه بلغتكم وتذللوا لمنزله فإن في القرآن ما يبكي من الوعيد وما يضحك ويتعجب فيه من الفرح بتساع رحمة الله ولطفه بعباده ولا تبكون وفي القرآن من الوعيد والمخاوف ما يبكي بدل الدموع دما لمن دبر آياته وأنتم سامدون وفي القرآن هذا كله فما لكم عنه معرضون وموطن الدنيا موطن حذر ولا سيما والموت فيكم راح وعاد مع الأنفاس ولا تتفكروا إلى أين تصبرون وإلى أين تسافرون وأين تحطون ما هي الدنيا موطن أمان والعالم الحكيم هو الذي يعامل كل موطن بما يستحقه (وصل السجدة الرابع عشرة) وهي سجدة الجمع والوجود فمن سجد سجدة النجم ولم ينتج له في علم النعمات والألحان المطربة الفلكية ورأى أن أصوات كل مصوت مزامير من مزامير الحق في العالم ويشهد داود عليه السلام في هذا الكشف ويرى الأصوات والحروف ناطقة بكل معنى عجيب يهز الجبال الراسيات طربا ويضحك التكلبي سرورا وفرحا فما سجدها وهذه السجدة الأخرى في سورة إذا السماء انشقت وفيها خلاف وسجدها أبو هرير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسجد فيها عند قوله وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون فهذا سجود الجمع لأنه سجود عند القرآن والجمع يؤذن بالكثرة وقد تكون الكثرة بالأمثال وغيرها وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون فهذا سجود الجمع لأنه سجود عند القرآن والجمع يؤذن بالكثرة وقد تكون الكثرة بالأمثال وغيرها

الأحدية وإن كانت لله تعالى فالمقطع به أحدية الألوهية أي لا إله إلا الله وأحدية الكثرة من حيث أسمائه الحسنى وأما الحق فلا يقال فيه من حيث ما هو عليه في نفسه كل ولا بعض ويقال في الواحد منا رأيت زيدا نفسه عينه كله لاحتمال أنك قد ترى وجهه دون سائر جسده فأعطى التأكيد بالكل رؤية جميعه فلو لا وجود الكثرة فيه ما قلت كله يقول فإذا سمع القرآن الذي هو جامع صفات الله من التنزيه والتقديس كيف لا يتذكر السامع جمعيته فيسجد لمن له جميع صفات التنزيه فمن سجد في هذه السورة ولم يقف على علم الموالد وما تجننه الحاملات في بطونها من أنواع الحوامل من العالم كالأرض والسحاب والنساء وجميع الأناثي وما تحمله الكتب في حروفها من المعاني فإنها من جملة الحاملات ولم يقف فيها على رجوعه من أين جاء ويرى صورة حاله عيانا حالا وعاقبة بحيث أن يحلف على ما رآه لقطع به فما سجد (وصل السجدة الخامسة عشرة) وهي سجدة العقل الأول سجود تعليم عن شهود ورجوع إلى الله وهذه سجدة سورة العلق عند قوله وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ فهي سجدة طلب القرب من الله تعالى وجاءت بعد كلمة ردع وزجر وهو قوله كلما جاء به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر يقول له ربه اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ لما تعصم مما دعاك إليه فتأمن غائلة ذلك انتهى الجزء السابع والأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل وقت سجود التلاوة)

منع قوم السجود في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها وأجاز قوم السجود بعد صلاة العصر وبعد صلاة الصبح ما لم تدن الشمس إلى الغروب أو الطلوع والذي أقول به بالسجود في كل وقت لأن متعلق النهي الصلاة وليس السجود من الصلاة شرعا إلا في الصلاة كما إن له أن يقرأ الفاتحة في كل وقت وإن كانت قراءتها في الصلاة من الصلاة اعتبار هذا الفصل السجود قرينة تعريف وتنزيه بما يستحقه الإله من العلو والرفعة عن صفات المحدثات ومثل هذا لا يتقيد بوقت دون وقت بل نسبة تعظيمه وإجلاله إلى الأوقات على السواء كما أن للعبد أن يناجي ربه بتلاوته كتابه العزيز في كل وقت وهو محمود في ذلك مأجور عند الله عز وجل

(وصل في فصل من يتوجه عليه حكم السجود)

أجمعوا على أنه يتوجه على القارئ في صلاة كان أو غير صلاة السجود واختلفوا في السامع فمن قائل عليه السجود ومن قائل عليه السجود بشرطين أحدهما أن يسجد القارئ والآخر أن يكون قعد ليسمع القرآن وأن يكون القارئ ممن يصلح أن يكون إماما للسامع وقيل عن بعضهم يسجد السامع لسجود القارئ وإن كان القارئ لا يصلح للإمامة إذا جلس إليه ليسمع والذي أذهب إليه أنه لا يسجد عليهما وإن كرهنما لهما ذلك الاعتبار يجب السجود على القلب وإذا سجد لا يرفع أبدا بخلاف سجود الوجه اتفق لسهل بن عبد الله في أول دخوله إلى هذا الطريق أنه رأى قلبه قد سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع فبقي حائرا فما زال يسأل شيخ الطريق عن واقعه فما وجد أحدا يعرف واقعه فإنهم أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوق محقق فقيل له إن في عبادان شيخا معتبرا لو رحلت إليه ربما وجدت عنده علم ما تسأل عنه فرحل

إلى عبادان من أجل واقعة فلما دخل عليه سلم وقال يا أيها الشيخ أيسجد القلب فقال له الشيخ إلى الأبد فوجد شفاه فلزم خدمته ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة القلبية إذا حصلت للإنسان حالة مشاهدة عين فقل كمل وكرمت معرفته وعصمته فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظاً كما تسمى في حق النبي والرسول عصمة ليقع الفرق بين الولي والنبي أبا منهم مع الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام ليختصوا باسم العصمة ومع هذا فإنني أبين الفرق بينهما وذلك أن الأنبياء لهم العصمة من الشيطان ظاهراً وباطناً وهم محفوظون من الله في جميع حركاتهم وذلك لأنهم قد نصبهم الله للناس ولهم المناجاة الإلهية فالأنبياء المرسلون معصومون من المباح أن يفعلوا من أجل نفوسهم لأنهم يشرعون بأفعالهم وأقوالهم فإذا فعلوا مباحاً أو أتوا للتشريع ليقدمي بهم ويعرفون الاتباع عن الحكم الإلهي فيه فهو واجب عليهم ليعتدوا بالناس ما أنزل إليهم يقول الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ولورثة من هذا التبليغ حظ وافر والولي محفوظ من الأمر الذي يقصد الشيطان عند إلقائه في قلب الولي ما شاء الله أن يلقي إليه فيقلب عينه بصرفه إلى الوجه الذي يرضى الله فيحصل بذلك على منزلة عظيمة عند الله ولو لا حرص إبليس على المعصية ما عاد إلى هذا الولي مرة أخرى فإنه يرى ما جاء به ليعبد بذلك من الله يزيد قرباً وسعادة والأنبياء معصومون أن يلقي الشيطان إليهم فهذا الفرق بين العصمة والحفظ وإنما جعلوا الحفظ للولي أيضاً أداً مع النبي فإن الشيطان ما له سبيل على قلوب بعض الأولياء من أجل العلم الذي أعطاه التجلي الإلهي لقلوبهم يقول تعالى وحفظاً من كل شيطانٍ مردٍ وهو أعظم الشياطين فإنه لا يلقي إلى أحد إلا ما يليق بمقامه فيأتي إلى الولي فما يلقي إليه إلا فعل الطاعات وينوعه فيها ويخرجه من طاعة إلى طاعة أعلى فلا يرى الولي فيها أثراً لهُوى نفسي فيبادر إلى فعلها ويقنع الشيطان المارد منه بهذا الأخذ عنه على جهالة فلو كان على بينة من ربه في ذلك لكان أولى فالشيطان لا يقدر أن يقدح في علم التجلي الإلهي بوجه من الوجوه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق شيطانه أعني قرينه الموكل إن الله أعانه عليه فأسلم أي اتقاد إليه فلا يأمره إلا بخير بخلاف من كان عنده العلم بالله عن نظر فكري واستدلال فإن الشيطان يلقي إليه الشبهة في أدلته ليحيره ويرده إلى محل النظر ليموت على جهل بره أو شك أو حيرة أو وقفة والولي الحاصل عنده العلم عن التجلي هو على بصيرة محفوظ من كل شبهة فإن الشيطان أعني شيطان الإنس والجن ليس له على قلب صاحب علم التجلي الإلهي سبيل في ربه وهذا لا يكون لأحد من الأولياء إلا لمن سجد قلبه فإن الشيطان لا يعتزل عن الإنسان إلا في حال سجوده في الظاهر والباطن فإن لم يسجد قلب الولي فليس بمحفوظ وهذه مسألة دقيقة عظيمة في طرق أهل الله ما تحصل للأفراد يعز وجودهم وهم الذين هم على بينة من ربهم والبيئة تجليه تعالى ويتلو تلك البيئة شاهد من العبد معدل وهو سجود القلب فإذا اجتمعت البيئة الربانية والشاهد التالي عصم القلب وحفظ ودعا صاحبه الخلق إلى الله على بصيرة وعلى هذا المقام من طرق القوم أسباب حار فيها القوم مثل قول أبي يزيد دعوت الخلق إلى الله كذا وكذا سنة ثم رجعت إليه فوجدتهم قد سبقوني وقيل له في هذا المقام أيعصي العارف فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً وهذا غاية في الأدب حيث لم يقل نعم ولا لا وهذا من كمال حاله وعمله

وأدبه رضي الله عنه وعن أمثاله

(وصل في فصل صفة السجود)

فمن قائل يكبر إذا خفض وإذا رفع ومن قائل لا يكبر إلا إذا كانت السجدة في الصلاة حينئذ يكبر لها في الخفض والرفع والذي أذهب إليه التكبير وإن كان لم ينقل ولا خلافه (وصل في اعتبار هذا الفصل) تكبير الحق عن السجود محمود على أي حال كان فإنه تنزيه وينبغي للعبد أن يعطي اللسان حظه من هذا السجود وليس إلا التلفظ بالتكبير كما سجد سائر أعضائه كل عضو بحقيقته

(وصل في فصل الطهارة للسجود)

فمن قائل لا يسجد إلا على طهارة ومن قائل يسجد وإن لم يكن طاهرا وبه أقول وعلى طهارة أولى وأفضل فإن النبي صلى الله عليه وسلم يتم لرد السلام وقال إني كرهت إن أذكر الله إلا على طهر أو قال على طهارة (الاعتبار في هذا الفصل) طهارة القلب شرط في صحة السجود لله عز وجل من كونه ساجدا وطهارة الجوارح في وقت السجود معقولة من طريق المعنى فإنها في وقت السجود غير متصرفة في أمر آخر بخلاف القلب ولهذا إذا سجد قلب العبد لم يرفع أبدا والجوارح في حال السجود في غير الصلاة متصرفة في عبادة لم يشترط في فعلها استعمال ماء ولا تراب وإن كان على طهارة فهو أولى وأفضل وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يسجد للتلاوة على غير طهارة

(وصل في فصل السجود للقبلة)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في السجود للتلاوة للقبلة فمن قائل يسجد في التلاوة لأي وجهة كان وجهه والأولى استقبال القبلة ومن قائل لا بد من استقبال القبلة والذي أقول به بالسجود لأي وجه كان فإن الله يقول فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِّمْ لَهُ فَالْجَبَّارُ السَّعِيدُ (الأنعام: 102) (وصل في اعتبار ذلك) الله جل جلاله عن التقيد فهو قبلة القلوب فأينما تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ حَقِيقَةٌ مَنْزُهَةٌ بِالْإِخْلَافِ بَيْنَ أَهْلِ اللَّهِ فَإِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ لِلَّهِ فَقَدْ سَجَدَ لِلْقِبْلَةِ الْمَعْتَبَرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ لَا تَقِيدُهُ الْجِهَاتُ وَلَا تَحْصِرُهُ الْأَيْنَاتُ وَهُوَ بِالْعَيْنِ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَيْسَ ذَلِكَ لِسِوَاهُ وَلَا يُوصَفُ بِهِ مَوْجُودٌ إِلَّا إِيَّاهُ فَإِنَّ جَمْعَ السَّاجِدِينَ بَيْنَ الْقِبْلَتَيْنِ كَمَا جَمَعَ فِي خَلْقِهِ بَيْنَ النَّشَاتَيْنِ بِالْيَدَيْنِ فَيَقِيدُ مَنْ يَقْبَلُ التَّقِيدَ وَيَطْلُقُ مَنْ يَقْبَلُ الْإِطْلَاقَ فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ كَمَا إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

(وصل في فصل صلاة العيدين حكما واعتبارا)

بما يبدو علي من الوجود	صلاة العيد تكرر الشهود
لنا مني به في كل عيد	إذا جلى لنا ما كان منه
مين به علي بلا مزيد	فعيدي من وجودي يوم جود
عن القرب المقيد بالوريد	أكبره بسبع ثم خمس

لذاك اليوم من لبس جديد	واطلب منه ما تعطيه ذاتي
لميزت المراد من المرید	و لو أني أقول بعين كوني
بجال في هبوط أو صعود	ولكن عنه أعني حين أكثي
و يحجيني بلذات المزيد	أناجيه به في كل حال
فتغنيني المطالع عن وجودي	وأرفع ستره عن عين ذاتي
يجد ماء تيمم بالصعيد	بماء حياته طهيري و من لم
إلي بلا شهود في شهود	وعين تيممي ردي بذاتي

صلاة العيدين سنة بلا أذان ولا إقامة هما يوما سرور عيد الفطر لفرحته بفضله فيعجل بالصلاة للقاء ربه فإن المصلي يناجي ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فأراد أن يعجل بحصول الفرحتين فشرعت صلاة عيد الفطر وحرم عليه صوم ذلك اليوم ليكون في فطره مأجورا أجر الفرائض في عبودية الاضطرار لتكون المثوبة عظيمة القدر وفي صلاة عيد الأضحى مثل ذلك لصيامه يوم عرفة في حق من صامه فإنه صوم مرغوب فيه في غير عرفة وحرم عليه صوم يوم الأضحى ليؤجر أجر الواجبات فإنها من أعظم الأجور ولما كان يوم زينة وشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبالع شرع في حق من ليس بحاج في ذلك اليوم أن يستفتح يومه بالصلاة بمناجاة ربه لتحفظه سائر يومه فإن الصلاة في ذلك اليوم في أول النهار كالنية في الصلاة فكما إن النية تحفظ عليه هذه العبادة وإن صحبته الغفلة في أثناء صلاته فالنية تجبر له ذلك فإنها تعلق عند وجودها بكامل الصلاة فحكما سار في الصلاة وإن غفل المصلي كذلك الصلاة في يوم العيد تقوم مقام النية واليوم يقوم مقام الصلاة فما كان في ذلك اليوم من الإنسان من لهو ولعب وفعل مباح فهو في حفظ صلاته إلى آخر يومه ولهذا سميت صلاة العيد أي تعود إليه في كل فعل يفعله من المباحات بالأجر الذي يكون للمصلي حال صلاته وإن غفل لصحة نيته ولهذا حرم عليه الصوم فيه تشبها بتكبيرة الإحرام وليقابل به نية الصوم في حال وجوب الصوم فيكون في فطره صاحب فريضة كما كان في صومه في رمضان صاحب فريضة فجميع ما يفعله من المباحات في ذلك اليوم مثل سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله من الفرائض في ذلك اليوم والواجبات من جميع العبادات بمنزلة الأركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين حاله في أفعاله كلها حال المصلي فلها قلنا سميت صلاة العيد بخلاف ما يقول من ليس من طريقنا ولا شرب شربنا من أنه سمي بذلك لأنه يعود في كل سنة فهذه الصلوات الخمس تعود في كل يوم ولا تسمى صلاة عيد وإن كان لا يلزم هذا ولكن هو قول في الجملة يقال فإن قيل لا يرتباطه يوم العيد بالزينة قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة فإن الله يقول خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَمَّا عَادَ الْفَطْرُ عِبَادَةَ مَفْرُوضَةٍ سَمِيَ عِيدًا وَعَادَ مَا

(فصول ما أجمع عليه أكثر العلماء)

الغسل مستحسن في هذا اليوم للخروج إلى الصلاة بلا خلاف أعني في استحسانه والسنة ترك الأذان والإقامة إلا ما أحدثه معاوية على ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في أصح الأقاويل عنه في ذلك والسنة تقدم الصلاة على الخطبة في هذا اليوم إلا ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه وبه أخذ عبد الملك بن مروان رحمه الله نظرا واجتهادا ومبني على ما فهم من الشارع من المقصود بالخطبة ما هو وأجمعوا أن لا توقيت في القراءة في صلاة العيدين مع استحباب قراءة سبج اسم ربك الأعلى في الأولى وفي الثانية الغاشية وكذلك سورة ق في الأولى وسورة القمر في الثانية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (الاعتبار في هذا الفصل) الغسل وهو الطهارة العامة والطهارة تنظيف فليلبس أحسن لباسه ظاهرا وهو الريش وباطنا وهو لباس التَّقْوَى والمراد بالتقوى هنا ما بقي به الإنسان كشف عورته أو ألم الحر والبرد وهو خير لباس من الريش ولما توفرت الدواعي على الخروج في هذا اليوم إلى المصلي من الصغير والكبير وما شرع من الذكر المستصحب للخارجين سقط حكم الأذان والإقامة لأنهما للاعلام لينبه الغافلين والتهيؤ هنا حاصل لحضور القلب مع الله يعني عن إعلام الملك بلمته التي هي بمنزلة الأذان والإقامة للاسماح والذي أحدث معاوية مراعاة للنادر وهو تنبيه الغافل فإنه ليس ببعيد أن يغفل عن الصلاة بما يراه من اللعب بالفرج فيه وكانت النفوس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفرة على رؤيته صلى الله عليه وسلم وفرحتها في مشاهدته وهو الإمام فلم يكن يشغلهم عن التطلع إليه شاغل في ذلك اليوم فلم يشرع أذانا ولا إقامة وأما تقديم الصلاة على الخطبة فإن العبد في الصلاة مناجاة ربه وفي الخطبة مبلغ للناس ما أنزل إليه من التذكير في مناجاته فكان الأولى تقديم الصلاة على الخطبة وهي السنة فلما رأى عثمان بن عفان إن الناس يفترون إذا فرغوا من الصلاة ويتركون الجلوس إلى استماع الخطبة قدم الخطبة مراعاة لهذه الحالة على الصلاة تشبها بصلاة الجمعة فإنه فهم من الشارع في الخطبة إسماع الحاضرين فإذا افترقوا لم تحصل الخطبة لما شرعت له فقد مها ليكون لهم أجر الاستماع ولو فهم عثمان رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم خلاف هذا ما فعله واجتهد ولم يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ما يمنع منه ولقرائن الأحوال أثري الأحكام عند من ثبتت عنده القرينة وتختلف قرائن الأحوال باختلاف الناظر فيها ولا سيما وقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي وقال في الحج خذوا عني مناسككم فلوراعى صلى الله عليه وسلم صلاة العيد مع الخطبة مراعاة للحج ومراعاة الصلاة لنتلق فيها كما نطق في مثل هذا وكذلك ما أحدثه معاوية كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره خال المؤمنين فالظن بهم جميل رضي الله عن جميعهم ولا سبيل إلى تجريحهم وإن تكلم بعضهم في بعض فلهم ذلك وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم فإنهم أهل علم واجتهاد وحديث عهد بنبوته وهم مأجورون في كل ما صدر منهم عن اجتهاد سواء أخطئوا أم أصابوا وأما التوقيت في القراءة فما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كلام وإن كان قد قرأ بسورة معلومة في بعض أعياده مما نقل إلينا في أخبار الأحاد وقد ثبت في القرآن المتواتر أن

لا توقيت في القراءة في الصلاة بقوله فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا يَكْفِي اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا وهو ما يتذكره في وقت الصلاة والقرآن كله طيب و تاليه مناج ربه بكلامه فإن قرأ بتلك السورة فقد جمع بين ما تيسر والعمل بفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب والتأسي به مشروع لنا وليس بفرض ولا سنة

(وصل في فصل التكبير في صلاة العيدين)

فقال قوم يكبر بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة في الركعة الأولى سبع تكبيرات وقيل بتكبيرة الإحرام ويكبر في الثانية بعد تكبيرة القيام إلى الركعة الثانية خمس تكبيرات وقال آخرون يكبر في الأولى قبل القراءة وبعد تكبيرة الإحرام ثلاث تكبيرات ويكبر في الركعة الثانية بعد القراءة ثلاث تكبيرات ثم يكبر للركوع وحكى أبو بكر بن إبراهيم بن المنذر في التكبير اثني عشر قولاً (وصل في اعتبار هذا الفصل) زيادة التكبير في صلاة العيدين على التكبير المعلوم في الصلوات تؤذن بأمر زائد يعطيه اسم العيد فإنه من العادة فيعيد التكبير لأنها صلاة عيد فيعيد كبرياء الحق تعالى قبل القراءة لتكون المناجاة عن تعظيم مقرر مؤكد لأن التكرار تأكيد للتثبيت في نفس المؤكد من أجله مراعاة لاسم العيد إذ كان للأسماء حكم ومرتبة عظمى فإن بها شرف آدم على الملائكة فاسم العيد أعطى إعادة التكبير لأن الحكم له في هذا الموطن وبعد القراءة في مذهب من يراه لأجل الركوع في صلاة العيد وسبب ذلك أن العيد لما كان يوم فرح وزينة وسرور واستولت فيه النفوس على طلب حظوظها من النعيم وأيدها الشرع في ذلك بتحريم الصوم فيه وشرع لهم اللعب في هذا اليوم والزينة وفي هذا اليوم لعبت الأحابشة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ينظر إليهم وعائشة رضي الله عنها خلفه صلى الله عليه وسلم وفي هذا اليوم دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغننا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين دخل أن يغير عليهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فإنه يوم عيد فلما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع الله فضاعف التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب عباده ما ينبغي للحق من الكبرياء والعظمة لئلا تشغلهم حظوظ النفوس عن مراعاة حقه تعالى بما يكون عليهم من أداء الفرائض في أثناء النهار أعني صلاة الظهر والعصر وباقي الصلوات قال الله تعالى وَ لَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ يعني في الحكم فمن رآه ثلاث تكبيرات فلعوالمه الثلاثة لكل عالم تكبيرة في كل ركعة ومن رآه سبعا فاعتبر صفاته فكبر لكل صفة تكبيرة فإن العبد موصوف بالصفات السبعة التي وصف الحق بها نفسه فكبره أن تكون نسبة هذه الصفات إليه سبحانه كسببتها إلى العبد فقال الله أكبر يعني من ذلك في كل صفة والمكبر خمسا فيها فنظرة في الذات والأربع الصفات التي يحتاج إليها العالم من الله أن يكون موصوفا بها وبها ثبت كونه إلها فيكبره بالواحدة لذاته ب ليس كميته شيء ويكبره بالأربع لهذه الصفات الأربع خاصة على حد ما كبره في السبع من عدم الشبه في المناسبة فاعلم ذلك وأما رفع الأيدي فيها فإشارة إلى أنه ما بأيدينا شيء مما ينسب إلينا من ذلك وأما من لم يرفع يديه فيها فاكفى برفعها في تكبيرة الإحرام ورأى أن الصلاة أقرت بالسكينة فلم يرفع إذ كانت الحركة تشوش غالبا ليتفرغ بالذكر بالتكبير خاصة و

لا يعلق خاطره بيديه ليرفعهما فينتسم خاطره فكل عارف راعى أمرا ما فعمل بحسب ما أحضره الحق فيه
(وصل في فصل في التنفل قبل صلاة العيد وبعدها)

فمن قائل لا يتنفل قبلها ولا بعدها ومن قائل بالعكس ومن قائل لا يتنفل قبلها ويتنفل بعدها والذي أقول به إن الموضع الذي يخرج إليه لصلاة العيد لا يخلو إما أن يكون مسجدا في الحكم كسائر المساجد فيكون حكم الآتي إليه حكم من جاء إلى مسجد فمن يرى تحية المسجد فلينتفل كما أمر في ركعتي دخول المسجد وإن كان فضاء غير مسجد موضوع فهو مخير إن شاء تنفل وإن شاء لم يتنفل (وصل الاعتبار في هذا الفصل) المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الفرض والندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الأيام فلا يتنفل فيه سوى صلاة العيد خاصة الفرائض إذا جاءت أوقاتها فإن حركة الإنسان في ذلك اليوم في أمور مقربة مندوب إليها وفي فرض ومن كان في أمر مندوب إليه مربوط بوقت فينبغي أن يكون له الحكم من حيث إن الوقت لذلك المندوب المعين فهو أولى به فلا يتنفل وقد ندب إلى اللعب والفرح والزينة في ذلك اليوم فلا يدخل مع ذلك مندوبا آخر يعارضه فإذا زال زمانه حينئذ له أن يبادر إلى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا إليه في هذا اليوم مباحا فيما عداه من الأيام وهذا هو فعل الحكيم العادل في القضايا فإن لنفسك عليك حقا واللعب والهوى والطرب في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن ظالما نفسك فتكون كمن يقوم الليل ولا ينام فإن تفتنت فقد نهتكت

(وصل في فصول الصلاة على الجنائز)

الصلاة على الميت شفاعة من المصلي عليه عند ربه ولا تكون الشفاعة إلا لمن ارتضى الحق أن يشفع فيه ولم يرتض سبحانه من عباده إلا العصاة من أهل التوحيد سواء كان ذلك عن دليل أو إيمان ولهذا شرع تلقين الميت ليكون الشفيع على علم بتوحيد من يشفع فيه وآخر شافع حيث كان الاسم الرءوف يشفع عند الاسم الجبار المنتقم في نجاته من عنده علم التوحيد مع وصول الدعوة إليه وتوقفه في القبول فإن الموحد الذي لم تصل إليه الدعوة لا يدخل النار فلا تكون الشفاعة إلا في العصاة الذين بلغتهم الدعوة فمنهم من آمن ومنهم من توقف إيمانه بهذا الشخص من أجل ما جاء به لأنه استند إلى عظيم لا ينبغي أن يفترى عليه فاحتاج إلى دليل يقطع به على صدق دعواه فيما يبلغه أنه من عند الله فلماذا توقف إذ لم يرزقه الله العلم الضروري ابتداء بصدق دعوى هذا الرسول قال تعالى وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا يعنى نبعته بالآيات البينات على صدق دعواه وكذا أخبر الله تعالى أنه أيد الرسل بالبينات ليعذر الإنسان من نفسه والإيمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فإذا انضاف إلى نور العلم فهو نور على نور فلنشعر في حال الميت الذي يصلي عليه وما يجب له وما يجب من أجله علينا من تجهيزه على الصفات التي أمرنا الشارع بها فمن ذلك التلقين التلقين عند الموت إذا احتضر فإن الهول شديد والمقام عظيم وهو وقت الفتنة التي هي فتنة الحيا بما يكشفه المحتضر عند كشف الغطاء عن بصره فيعاني ما لا يعاينه الحاضر ويتمثل له من سلف من معارفه على الصور التي يعرفهم فيها وهم الشياطين تمثل إليه على صورهم بأحسن زي وأحسن صورة ويعرفونه أنهم ما وصلوا إلى ما هم فيه من الحسن إلا

بكونهم ما تواتر مشركين بالله فينبغي للحاضرين عنده في ذلك الوقت من المؤمنين أن يلقنوه شهادة التوحيد ويعرفوه بصورة هذه الفتنه لينتبه بذلك فيموت مسلما موحدا مؤمنا فإنه عند ما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرك بها لسانه أو يظهر نورها من قلبه بتذكره إياها فإن ملائكة الرحمة تتولاه وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي تحضره الحالة الثانية من التلقين وكذلك ينبغي أن يلقن إذا أنزل في قبره وستر بالتراب من أجل سؤال القبر فإن الملكين منظرهما فظيع وسؤالهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام ما فيه تعظيم ولا تبجيل في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن يقول له ما تقول في هذا الرجل وهذه هي فتنة الممات المستعاذ منها وأما استعاذة الأنبياء عليهم السلام منها فإنهم مسئولون عن أمر الله عليهم وهو جبريل عليه السلام كما نسأل نحن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز في التشهد في الصلاة من فتنة الحيا والممات لعلمه بأن الأنبياء نفعن في الممات كما يفتن المؤمنون فأمر المؤمنين بالاستعاذة من ذلك في الصلاة فإن الإنسان في الصلاة في مقام قرينة من الله بمناجاته فيسأله على الكشف (وصل) ومما يستحب من الشروط المخاطب بها أهل الميت أن يستقبلوا به القبلة عند الاحتضار فإن كان على ففاه فيستقبل القبلة برجليه وإن كان على جنبه فيستقبل القبلة بوجهه (وصل) ومما يستحب تعجيل دفنه والإسراع به إلى قبره فإن كان سعيدا أسرعتم به إلى خيره وإن كان شقيا فشر تضعونه عن رقابكم فيراعي الميت في السعادة ويراعى الحي الذي هو حامله بوضع الشر عنه فهذا الإسراع من أجل الميت وهذا الإسراع من أجل حامله وإنما ورد التفسير من الشرع في الإسراع بهذا ليعلم أن الله ما كلف عباده إلا من أجل الخير لا ليناووا بذلك شرا فاعتبر في حق الشقي حامله فقال أسرعوا بالجنائز فإنه شر تضعونه عن رقابكم واعتبر في حمل السعيد الميت فقال أسرعوا به فإنه خير تقدمونه إليه فما أطف حكم الشارع وقد ورد أن العجلة من الشيطان إلا في ثلاث منها تجهيز الميت ومن تجهيزه الإسراع به إلى دفنه فيقول الميت وهو على نعشه حين يحمل إذا كان سعيدا قدموني قدموني وإذا كان شقيا يقول إلى أين تذهبون بي يسمع ذلك منه كل دابة إلا الثقلين (وصل) ومما يتعلق بالحي من الميت أيضا غسله وهو كالأطهار للصلاة وفعله مخاطب به الحي واختلف الناس فيه أعني في حكمه فمن قائل إنه فرض على الكفاية ومن قائل إنه سنة على الكفاية فمن قال بوجوبه فللأمر الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم اغسلنها ثلاثا أو خمسا وقوله في الحرم اغسلوه فهذا أمر في الصيغة بلا شك فإذا اقترنت معه قرينة حال تخرجه مخرج التعليم لصفة الغسل جعلته سنة ومن رأى أنه يتضمن الأمر والصفة قال بالوجوب (واعتبار) الميت الجاهل والموت الجهل فيجب على العالم تعليم الجاهل لأن من جهل الجاهل أنه لا يعلم أن السؤال يجب عليه فيما لا يعلمه فيتعين على العالم أن يعلمه أن من لا يدرى حكم الشرع في حرركاته أن يسأل أهل الذكر متى لم يفعل فقد عصى ويعلمه ما يتعين عليه تعليمه إياه فتلك طهارته وهذا هو غسل الميت في الاعتبار مختصر

(فصل في الأموات الذين يجب غسلهم)

فأما الأموات الذين يجب غسلهم فاتفقوا على غسل الميت والمقتول الذي لم يقتل في معترك حرب الكفار واختلفوا في الشهيد المقتول في حرب

الكفار وفي غسل المشرك وفي غسل من ينطلق عليه اسم شهيد وفيمن قتله مشرك في غير المعترك فمن قائل يغسل كل هؤلاء ومن قائل لا يغسلون فمن راعى أن الغسل عبادة يعود ما فيها من الثواب على المغسول قال لا يغسل المشرك ومن رأى أن غسل الميت تنظيف قال يغسل المشرك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بغسل عمه أبي طالب وهو مشرك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلى أحد أن يدفنوا في ثيابهم ولا يغسلون فمن رأى أن الشهيد لا يغسل لمطلق الشهادة قال لا يغسل من نص النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهيد ومن رأى وفهم من النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة حال إن الشهيد الذي لا يغسل هو المقتول في المعترك في حرب الكفار قال يغسل ما عداه (وصل اعتبار هذا الفصل) المقتول في سبيل الله في معترك حرب الكفار حي يرزق وإنما أمرنا بغسل الميت وهذا الشهيد الخاص لا يقال فيه إنه ميت ولا يحسب أنه ميت بل هو حي بالخبر الإلهي الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكن الله أخذ بأبصارنا عن إدراك الحياة القائمة به كما أخذ بأبصارنا عن إدراك أشياء كثيرة كما أخذ أيضا بأسماعنا عن إدراك تسيح النبات والحيوان والجماد وكل شيء قال الله تعالى وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ وَقَالَ تَعَالَى وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ بِحَيَاتِهِمْ كَمَا يُحْيِي الْمَيِّتَ عِنْدَ السُّؤَالِ وَنَحْنُ نَرَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ وَنَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ يَسْأَلُ وَ لَا يَسْأَلُ إِلَّا مَنْ يَعْقِلُ وَ لَا يَعْقِلُ إِلَّا مَنْ هُوَ مَوْصُوفٌ بِالْحَيَاةِ فَنَهَيْنَا أَنْ نَقُولَ فِيهِمْ أَمْوَاتٌ وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا نَشْعُرُ وَمَا وَرَدَ مِثْلَ هَذَا فِي مَنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ مَيِّتٌ وَإِنْ كَانَ شَهِيدًا أَوْ هُوَ حَيٌّ مِثْلَهُ وَمَا أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ الشَّهِيدَ هُوَ الْحَاضِرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ لِهَذَا قَالَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَإِنَّمَا يَغْسِلُ الْمَيِّتَ وَيَطْهَرُ لِيَحْضُرَ عِنْدَ رَبِّهِ طَاهِرًا فَيَلْقَاهُ فِي الْبَرَزِخِ بَعْدَ الْمَوْتِ عَلَى طَهَارَةٍ مَشْرُوعَةٍ وَ هَذَا الشَّهِيدُ حَاضِرٌ عِنْدَ رَبِّهِ بِمَجْرَدِ الشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَغْسِلُ وَ هُوَ عِنْدَ رَبِّهِ (وصل في اعتبار غسل المشرك) وهو القاتل بالأسباب بالركون إليها والاعتماد عليها والاعتقاد بأن الله يفعل الأشياء بها لا عندها وذلك لعدم علمه لضعف نفسه واضطراب إيمانه كما يضطرب في صدق وعده تبارك وتعالى في الرزق مع قسمه سبحانه عليه لعباده فقال فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلُ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ فهذا ضرب من الشرك الصريح لا الخفي لغلبة الطبع عليه في مألوف العادة قال بعضهم موجبا لمن اضطرب إيمانه

و ترضى بصراف وإن كان مشركا ضيمنا ولا ترضى بربك ضامنا

فيجب على العلماء بالله طهارة قلب هذا الميت وغسله باليقين والطمأنينة حتى ينتظف قلبه فيجب غسل المشرك ومن رأى أن مثل هذا الشرك لا يقدر في الإيمان بالرزق ويقول إنما اضطرب بالطبع لكون الحق ما عين الوقت ولا المقدر منه فاعلم إن الله بحكمته قد ربط المسببات بالأسباب وأن ذلك الاضطراب ما هو عن تهمة من المؤمن في حق الله وأنه ربما لا يرزقه وإنما ذلك الاضطراب اضطراب البشرية والإحساس بألم الفقد وعدم الصبر فإن الله قد أعلمه أنه يرزقه ولا بد سواء كان كافرا أو مؤمنا لكونه حيوانا فقال تعالى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَلَكِنْ مَا قَالَ لَهُ مَتَى وَلَا مِنْ أَيْنَ فَمَا عَيْنَ الزَّمَانِ وَلَا السَّبَبِ بَلْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَمَا

يدري عند فقد السبب المعتاد لحصول الرزق عند وجوده هل فرغ وجاء أجله أم لا فيكون فرغه واضطرابه من الموت فإن الموت فرغ إما للمؤمن فلما قدم من إساءة وإما للعارفين فللحياء من الله عند القدوم عليه والكافر لفقد المألوفات فالصورة في الخوف واحدة والأسباب مختلفة

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والدااء واحد

وإن كان لم يفرغ رزقه في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق كما قدمنا بانقطاع السبب فيخاف من طول المدة وأم الجوع المتوقع والحاجة الداعية له إلى الوقوف فيه لمن لا يسهل عليه الوقوف بين يديه في ذلك لعزة نفسه عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجوع ويقول إنه بسس الضجيج فإنه بلاء من الله يحتاج من قام به إلى صبر ولا علم له هل يرزقه الله الصبر عند ذلك أم لا فإن القليل من عباد الله من يرزقه الله الصبر عند البلاء ولهذا شرع التطلب لسكون النفس وخور الطبيعة بالاستناد إلى سبب حصول الصحة المتوهمة وهو اختلاف الطيب إليه قال تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وهذه كلها أسباب بلاء يبلي الله به عباده حتى يعلم الصابرين منهم كما أخبر وهو العالم بالصابر منهم وغير الصابر ثم قال وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ نَعْت لَنَا الصَّابِرِينَ لِنَسْلِكَ طَرِيقَهُمْ وَتَصِفُ بِصِفَاتِهِمْ عِنْدَ حُلُولِ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ الَّتِي ابْتَلَى اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ فَقَالَ فِي نَعْتِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ يريد في رفعها عنهم ثم أخبر بما يكون منه لمن هذه صفته فقال أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَشْكُرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَحْمَةً بِأَزْتِمَائِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ الذين بانته لهم الأمور على ما هو الأمر عليه فمن رأى هذا قال لا يغسل المشرك أي هذا المشرك لأن إيمانه بتوحيد الله صحيح فلا يظهر من حيث إنه مؤمن بل ظهر وغسل فمن كونه ضعيف اليقين في الاعتماد على مراد الله فيما قطعه من الأسباب في حقه

(وصل في ذكر من يغسل ويغسل)

اتفق العلماء رضي الله عنهم إن الرجل يغسل الرجل والمرأة تغسل المرأة لاختلاف بينهم في ذلك إذا ماتت (الاعتبار) الكمال في المرتبة يرى منه الكمال أيضا فيها مع ما هم فيه من التفاضل فيها قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مَعِاجِزُهُمْ فِي الرِّسَالَةِ وَالْكَامِلُ وَقَالَ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ مَعِاجِزُهُمْ فِي دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ فَإِذَا رَأَى الْكَامِلُ مِنَ الْكَامِلِ أَمْرًا يَجِبُ عَلَيْهِ تَطْهِيرُهُ مِنْهُ طَهْرُهُ مِنْهُ وَلِزِمَ الْكَامِلُ الْآخَرَ اتِّبَاعَهُ فِي ذَلِكَ لَا يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ مُوسَى كَلِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا نَشْكُ فِي كَمَالِهِمَا لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا لَمَا وَسَعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي وَسَبَبَ ذَلِكَ مَعِاجِزُهُ الْكَامِلُ أَنْ الْحَكْمَ لِصَاحِبِ الْوَقْتِ وَهُوَ الْحَكْمُ النَّاسِخُ وَهُوَ الْحَيُّ وَالْحَكْمُ الْمَنْسُوخُ هُوَ الْمَيِّتُ فَلِلْوَقْتِ سَطْرَانُ وَلَوْ كَانَ صَاحِبُهُ يَنْتَقِضُ عَنْ دَرَجَةِ الْكَامِلِ فَلَهُ السَّلْطَانُ عَلَى الْكَامِلِ فَكَيْفَ وَهُوَ كَامِلٌ فَالنَّسْخُ لَهُ كَالْمَوْتِ فَيَنْبَغُ عَنْهُ فِي تَطْهِيرِهِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَطَهَّرَ نَفْسَهُ كَمَا إِنْ الْكَامِلُ لَوْ كَشَفَ لَهُ عَمَّا نَقَصَهُ لَعَمَلٌ فِي تَحْصِيلِهِ وَكَذَلِكَ حَكْمٌ مِنْ نَقْصٍ عَنْ دَرَجَةِ

الكمال في الطريق فينبغي للمريد أن يغسل المريد إذا طرأ منه ما يوجب غسله وينبغي للآخر أن يقبل منه فإنهم أهل إنصاف مطلبهم واحد و هو الحق فإننا مأمورون بذلك فإن ذلك موت في حقه والله يقول في هؤلاء وَتَوَاصُوا بِالحَقِّ وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ وَأمرنا بالتعاون على البرِّ والتَّقْوَى ونهانا عن التعاون على الأثمِّ وَالْعُدْوَانِ فإن صاحب الشهوة الغالبة عليه في الطبع و صاحب الشبهة الغالبة عليه في العقل محجوبان عن حكمهما فيها لأن صاحب الشبهة يتخيل أنها دليل في نفس الأمر و صاحب الشهوة يتخيل أنها في الله في نفس الأمر فيتعين على العالم بهذا وإن كان ليس محله الكمال ويكونان هذان أكمل منه أو لهما الكمال إلا أنه يعلم تلك المسألة فيجب عليه أن يطهره من تلك الشبهة لا تصاف صاحبها بالموت فيها لأنه لا علم له بها وكذلك صاحب الشهوة فإن كانت تلك الشبهة في معترك حرب النظر الفكري والاجتهاد في طلب الأدلة فغلبته كان قتيلا بها ولها في نفس الأمر في سبيل الله من يد مشرك فإنه ما قصد إلا الخير فهو في سبيل الله فإن الشبهة تشارك الدليل في الصورة فهو حي غير متصف بالموت فلا يجب غسله على الحي العالم بكون ما هو فيه إنه شبهة فليس للمجتهد أن يحكم على المجتهد فإن الشرع قرر حكمهما كمن يرى أن صفات الحق تعلق ذاته بما يجب لتلك النسب من الحكم و يرى آخران صفات الحق أعيان زائدة على ذات الحق وقد اجتمعا في كون الحق حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلمًا هذا في العقائد وذلك عن نظر واجتهاد فهو قتل ميت عند النافي صاحب شبهة وهو حي عند نفسه وعند ربه صاحب دليل وإن أخطأ فلا يجب غسله وكذلك في الظنيات ليس للشافعي مثلا إذا كان حاكما أن يرد شهادة الحنفي إذا كان عدلا مع اعتقاد تحليل النبيذ ويحده عليه إن شره الحنفي لكونه حاكما يرى تحريمه لدليله فيجب عليه إقامة الحد و كالحنفي إذا كان حاكما وقد رأى شافعيًا تزوج بابنته المخلوقة من ماء الزنا منه ويشهد عنده فلا يرد شهادته إذا كان عدلا و يفرق بينه وبين زوجته التي هي ابنته لصلبه المخلوقة من ماء الزنا لكونه حاكما ذا سلطان فإنه صاحب الوقت فهذا بمنزلة الشهيد لا يغسل وإن كما تشهد حسا أن روحه فارقت بدنه كسائر القتلى والحكم لله ليس لغيره وقد قرر حكم المجتهد فليس لنا إزالة حكم اجتهاده فإن ذلك إزالة حكم الله في حقه أصل هذا الباب في قبول الكامل ما يشير به الأنقص في المسألة التي هو أعلم بها منه حديث تأبير النخل قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتم أعلم بمصالح دنياكم ورجع إلى قوله وكذلك رجوعه صلى الله عليه وسلم إلى قولهم بدر في نزوله على الماء (وصل في فصل المرأة تموت عند الرجال والرجل يموت عند النساء وليس بزوجين)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في الرجل يموت عند النساء والمرأة تموت عند الرجال وليس بزوجين على ثلاثة أقوال فمن قائل يغسل كل واحد منهما صاحبه ومن قائل يتيممه ولا يغسله ومن قائل لا يغسل واحد منهما صاحبه ولا يتيممه والذي أقول به يغسل كل واحد منهما صاحبه خلف ثوب يكون على الميت إن كان من ذوي المحارم أو ستر مضروب بين الميت وبين غاسله و صورة غسله يصب الماء عليه من غير مد يد إلى عضو من أعضاء الميت إلا إن كان من ذوي المحارم فيجتنب مد اليد إلى الفرجين ويكتفي بصب الماء عليهما بالخال لا بد من ذلك هذا الذي أذهب إليه في مثل هذه المسألة (الاعتبار في هذا الفصل) الموت في الاعتبار في هذا الطريق شبهة تطرأ على هذا الشخص في

نظرة طرو الموت على الحي أو شهوة طبيعية تحكم عليه و تعمية فيأتها بشبهة عنده هي أنه يرى ربه في الأشياء فهو ميت عند الجماعة بلا خلاف كاملا كان أو ناقصا عن درجة الكمال فقد قال الله في الكامل وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى أَي خاف و هو قد أكل بالتأويل وظن أنه مصيب غير منتهك للحرمة في نفس الأمر و كان متعلق النهي القرب لا الأكل فيقوي التأويل و قال في الكامل الذين لَا يَعْبُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَعْمَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ لَمَّا أَلْجَأَتْهُمْ الْغِيْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي نَفَقَتْهُمْ بِقَوْلِهِمْ أَتَجْعَلُ فِيهَا قَوْلًا لِيَبْلُغَ إِلَى أَبِي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَأَمَّا غير الكامل فرتبه معروفة و الناقص قد يكون مريدا بين يدي الكامل داخل تحت حكمه و طاعته شبيه الزوجين و هو كواحد من الأمة مع نبيه المبعوث إليه فهذا العارف الكامل مع تلميذه فقد يموت الكامل في مسألة ما لا يعلمها و يعلمها المرید فيشهدها الشيخ من التلميذ مثل ما تقدم في الحديثين قبل هذا فهكذا حال التلامذة مع الشيخ فإن الشيخ ما تقدموا عليهم إلا في أمور معينة هي مطلوبة للاتباع فإن كان المرید مرید الغير ذلك الشيخ و أعني بالمرید التلميذ و الرجل من الناس لغير ذلك النبي في الزمان الذي قبل زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم فإن كانت المسألة التي جهلها هذا الناقص مما تخصص بالطريق العام من حيث ما هو طريق إلى الله فإن لغير شيخه أن يطهره منها بما تين له فيها و له أن يقبل منه إن أراد الفلاح و وفي الطريق حقه و إن كانت المسألة التي جهلها غير عامة و تكون خاصة بالنظر إلى مقام ذلك الشيخ و إن كان نقصا عند هذا الشيخ الآخر فليس له أن يرد ذلك المرید عن تلك المسألة كما أنه ليس مجتهد أن يرد مجتهدا آخر إلى حكم ما أعطاه دليله و لا لمقلد مجتهد أن يرد مقلدا مجتهدا آخر عن مسألته التي قد فيها إمامه إذ قال له هذا حكم الله فإن كانت المسألة عامة مثل أن يقدر في التوحيد أو في النبوات فله تطهيره منها سواء كان ذلك المرید تحت حكمه أو لم يكن و صورة غسله و طهارته التي يلزمه هو أن يعرفه وجه الحق في المسألة و لا يبالي أخذ بها أو لم يأخذ كغسل الميت فإن كان محل القبول الغسل انتفع به و إن لم يكن محلا و لا أهلا لقبول الغسل و أريد بالحل الأهلية و إن غسل فهو كغسل المشترك إن لم ينتفع به و قد أدى الحي ما عليه فإن الداعي إلى الله ما يجب عليه إلا البلاغ كما قال ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ مَا يَلْزَمُهُ خَلْقُ الْقَبُولِ وَ الْهَدَايَةِ فِي نَفْسِ السَّمَاعِ فَمَنْ عَلِمَ عَدَمَ الْقَبُولِ قَالَ لَا يَغْسِلُ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَ إِنْ كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ فِي الْعَقَائِدِ قَالَ بِالْغَسْلِ وَ إِنْ كَانَتْ فِي فُرُوعِ الْأَحْكَامِ قَالَ بِالتَّمِيمِ فَإِنْ مَوْضِعُ التَّمِيمِ مِنَ الشَّخْصِينَ لَيْسَ بِعَوْرَةٍ فَإِنَّ الْوَجْهَ وَ الْكَيْفِيَّةَ مِنَ الْمَرْأَةِ مَا هُمَا عَوْرَةٌ فَلَهُ أَنْ يَمْسَمَهَا وَ تَمِيمَهَا إِذَا مَاتَ كَذَلِكَ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ الْعَامُّ لَا يَتَوَقَّفُ سَمَاعَ الْمُرِيدِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفَتْوَى بَلْ يَأْخُذُهُ الْمُرِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْخٍ وَ الشَّيْخُ مِنْ كُلِّ مُرِيدٍ لِأَنَّ الْحُكْمَ لَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا بَلْ هُوَ لِلَّهِ بِمَجَالَاتِ الْمُبَاحَاتِ وَ الْمُنْدُوبَاتِ فِي الرِّيَاضَاتِ وَ الْجَاهِدَاتِ فَلَيْسَ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حُكْمِ شَيْخِهِ فِي ذَلِكَ

(وصل في فصل غسل من مات من ذوي المحارم)

اختلف قول بعض الأئمة في ذوي المحارم فقول إن الرجل يغسل المرأة و المرأة تغسل الرجل و قول لا يغسل أحد منهما صاحبه و قول تغسل المرأة الرجل و لا يغسل الرجل المرأة و قد تقدم في الفصل قبل هذا مذهبا في هذا (وصل في الاعتبار) ذوو المحارم أهل الشرع كلهم فالرجل منهم الكامل هو الذي أحكم العلم و العمل فجمع بين الظاهر و الباطن و الناقص منهم هم الفقهاء الذين يعلمون و لا يعلمون و يقولون بالظاهر و لا

يعرفون الباطن كما قال تعالى يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ فإذا وقع ذو محرم في شبهة أو شهوة من الكمال أو النقص فإن كانت في العقائد فيغسل كل واحد منهما صاحبه أي يعرفه بوجه الصحة في ذلك سواء كان العالم بها ناقصاً أو كاملاً وإن كانت في الأحكام لا يغسل كل واحد منهما صاحبه فإنه حكم مقرر في الشرع وسواء كان كاملاً أو ناقصاً ومن رأى أن المرأة تغسل الرجل وهو غسل الناقص الكامل فللناقص أن يطهر الكامل إذا تحقق أن الكامل وقع في شبهة ولا بد مثل الفقيه يرى العارف قد زل بارتكاب محرم شرعاً بلا خلاف فله أن ينكر عليه والعارف أعلم بما فعل فإن كان كما علمه الفقيه تعين عليه قبول ذلك التطهير بتوبة منه ورجوع عنه وإن كان في باطن الأمر على صحة وأن الفقيه أفتى بالصورة ولم يعلم باطن الأمر فقد وفي الفقيه ما يجب عليه فيغسل الناقص الكامل لا يغسل الكامل الناقص في مثل هذه المسألة وهو أن يكشف الكامل ببراءة شخص مما ينسب إليه مما يوجب الحد وقد حكم الحاكم الناقص بإقامة الحد عليه فليس للكامل أن يرد حكم الفقيه في تلك المسألة لعلمه ببراءة الحدود فليس للكامل في مثل هذا أن يرد على الناقص كذلك ليس للرجل أن يغسل المرأة إذا ماتت لأنها عورة قال صلى الله عليه وسلم في المرأة التي لاعنت زوجها وكذبت وعرف ذلك وقد حكم الله بالملاعنة وفي نفس الأمر صدق الرجل وكذبت المرأة فقال صلى الله عليه وسلم لكان لي ولها شأن فترك كشفه وعلمه لظاهر الحكم

(وصل في فصل غسل المرأة زوجها وغسله إياها)

أجمعوا على غسل المرأة زوجها واختلفوا في غسله إياها فقال قوم يغسلها ومنع قوم من ذلك (الاعتبار في هذا الفصل) مرید الشيخ إذا رأى الشيخ قد فعل ما لا يقتضيه الطريق عند الشيخ فللمريد أن ينبه الشيخ على ذلك لموضع احتمال أن يكون غافلاً وليس له أن يسكت عنه وليس للشيخ إذا رأى المرید قد وقعت منه طاعة بالنظر إلى مذهبه وهي معصية بالنظر إلى مذهب الشيخ وحكم الشرع بصحتها بالنظر إلى من وقعت منه فإنها وقعت عن اجتهاد فليس للكامل وهو الشيخ وإن عرف أن ذلك الاجتهاد أو المقلد له قد أخطأ في اجتهاده أن يرد عليه فلا يغسل الرجل زوجته إذا ماتت ومن ذهب إلى أنه يغسلها قال باعتبارها يعين على الشيخ أن يعرف المرید الذي هو الناقص أن ذلك الأمر قد أخطأ فيه الاجتهاد هذا حد غسله فإن كان المرید هو المقلد للمجتهد لزمه أن يرجع إلى كلام شيخه وإن كان المرید هو المجتهد فيحرم عليه الرجوع إلى كلام الشيخ في تلك المسألة إلا إن قام له كلام الشيخ مقام المعارض في الدلالة فحينئذ يكون كلام الشيخ أقوى من دليل المجتهد فيلزم المجتهد أن يرجع إلى كلام شيخه وهو من اجتهاده أعني رجوعه لرجحان ذلك الدليل الذي هو تصديقه الشيخ على الدليل الذي كان عنده لاحتمال كذب الراوي أو تحيل الغلط منه في قياسه لما أثر في نفسه من صدق الشيخ في ذلك

(وصل في فصل المطلقة في الغسل)

أجمعوا على إن المطلقة المبتوتة لا تغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فقالوا تغسل وقالوا لا تغسل (الاعتبار) المرید يخرج عن حكم شيخه بالكيفية فليس له أن يقدح في شيخه ولو قدح لم يقبل منه فإنه في حال تهمة لا رتداده وهو ناقص فكيف يطهر الكامل وهو في حال نقصه فإن

كان تخلف المريد عن شيخه حياء منه لزلة وقع فيها أو فترة حصلت له فهو مثل الطلاق الرجعي فإن حكم الحرمة في نفس المريد للشيخ ما زالت وإن تخلف عنه أو هجره الشيخ تأديبا له لقي بعض الشيوخ تلميذا له كان قد زل فاستحيا أن يجتمع بالشيخ فتركه فلما لقيه استحيى و أخذ التلميذ طريقا غير طريق الشيخ فلحقه الشيخ ومسكه وقال له يا ولدي لا تصحب من يريد أن يراك معصوما في مثل هذا الوقت يحتاج إلى الشيخ فأزال ما كان أصابه من الخجل و رجع إلى خدمته فإذا كان المريد بمنزلة صاحبة الطلاق الرجعي فما خرجت عن حكمه كان اعتباره كما ذكرناه فيما تقدم في الموضوع الذي يغسل فيه الناقص الكامل

(وصل في فصل حكم الغاسل)

قال قوم يجب الغسل على من غسل ميتا وقال قوم لا يجب على من غسل ميتا غسل (الاعتبار) العالم إذا علم غيره و طهره من الجهل بما حصل له من العلم فلا يخلو إما أن علمه بربه أي وهو حاضر مع الله إن الله هو المعلم مثل قوله الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ فلا غسل عليه فإن الله هو الغاسل لذلك الجاهل من جهله بما علمه الله على لسان هذا الشيخ وإن كان الغاسل علمه بنفسه و غاب في حال تعليمه عن شهود ربه أنه معلمه على لسانه في ذلك الوقت و جب عليه الغسل من تلك الغفلة التي حالت بينه وبين الحضور مع ربه في ذلك التعليم

(وصل في فصل صفات الغسل)

فمن ذلك هل ينزع عن الميت قميصه عند الغسل أم لا فمن قائل تنزع ثيابه و تستر عورته و قال بعضهم يغسل في قميصه (الاعتبار) صاحب الشبهة أو الشهوة الغالبة الطبيعية وإن كانت مباحة إذا اتصف صاحبها بالموت تشبيها فإن الغاسل له إن كان قادرا على أن يظهر له الحق من نفس شبهته و شهوته فهو كمن غسل الميت في قميصه و لم ينزعه عنه و إن لم يقدر على تطهيره إلا بإزالة تلك الشبهة لقصوره كان كمن نزع ثياب الميت و حينئذ غسله

(وصل في فصل وضوء الميت في غسله)

فذهب قوم إلى أن الميت يوضأ و ذهب قوم إلى أنه لا يوضأ و قال قوم إن وضوءه فحسن (الاعتبار) الوضوء في الغسل طهر خاص في طهر عام إذا كانت المسألة تطلب بعض عالم الشخص كرتة تقع من جوارحه فإنه يغسل تلك الجوارح الخاصة بما تستحقه من الطهارة كالعين والأذن و اليد و الرجل و اللسان و الايمان هو الغسل العام فيجمع بين طهارة الجوارح على الخصوص و بين الايمان لا بد من ذلك فإن الغسل غير مختلف فيه و الوضوء مختلف فيه و الجمع بين عبادتين إذا وجد السبيل إليهما أولى من الانفراد بالأعم منهما

(فصل في التوقيت في الغسل)

فمن العلماء من أوجبه و منهم من لم يوجبه فاعلم ذلك (الاعتبار) بأي شيء وقع التطهير من هذه الشبهة كان من غير تعيين و لا توقيت ما تقع به و من قال بوجوب التوقيت قال نحن مأمورون بالتخلق بأخلاق الله و الله يقول و كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ و هو التوقيت و ما نُتْرَلُ إِلَّا بِقَدَرٍ

مَعْلُومٍ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ زَادَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي الْوُضُوءِ أَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَى وَظَلَمَ وَجَعَلَهُ مَوْقَاتًا مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَى ثَلَاثٍ وَكَرِهَ الْإِسْرَافَ فِي الْمَاءِ فِي الْغَسْلِ وَالْوُضُوءِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ بِالصَّبَاعِ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمَدِّ

(وصل منه)

والذين أوجبوا التوقيت فيه اختلفوا فمنهم من أوجب الوتر أي وتر كان ومنهم من أوجب الثلاثة فقط ومنهم من حد أقل الوتر في ذلك ولم يحد الأكثر فقال لا ينقص من الثلاث ومنهم من حد الأكثر فقال لا يتجاوز السبعة ومنهم من استحب الوتر ولم يحد فيه حدا (الاعتبار) أما الوتر في الغسل فواجب لأنه عبادة ومن شرطها الحضور مع الله فيها وهو الوتر فينبغي أن يكون الغسل وتر الحكم الحال وهو من واحد إلى سبعة فإن زاد فهو إسراف إذا وقعت به الطهارة فوترته في الغسل بحسب ما يخطر له في حال الغسل وهي سبع صفات أمهات فيها وقع الكلام بين أهل النظر في الإلهيات وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والعبد قد وصف بهذه الصفات كلها وقد ورد أن الحق قال في المقرب بالناظر إن الله يكون سمعه وبصره وغير ذلك فقد تبدلت نسبة هذه الصفات المخلوقة للعبد بالحق فبالله يسمع وبه يبصر وبه يعلم وبه يقدر وبه يكون حيا وبه يريد وبه يتكلم فقد غسل صفاته بربه فكان طاهرا مقدسا بصفاته فهذا توقيت غسل الميت من واحد إلى سبعة بحسب ما ينقص ويزيد وقد عم هذا جميع ما وقع من الخلاف في شفعه ووتره وقليله وكثيره وحده وترك حده ففكر فيه واغسل الميت منك بمثل هذا الغسل والكامل مع الناقص كالعاقل المؤمن مع العاقل وحده أو مع المؤمن

(وصل في فصل ما يخرج من الحدث من بطن الميت بعد غسله)

الحدث يخرج من بطن الميت بعد غسله فمنهم من يقال يعاد ومنهم من قال لا يعاد الغسل والذي قال بأنه يعاد اختلفوا في العدد إلى سبع و أجمعوا على أنه لا يزداد على السبع (الاعتبار) الشبهة تطراً بعد حصول الطهارة لسرعة زوالها من خياله لضعف تصوره فيعاد عليه التعليم سبع مرات فإن استنكحه ذلك كان كمن استنكحه سلس البول وخروج الريح لا يعاد عليه التعليم فإنه غير قابل للثبوت وإنما اجتمعنا على السبع لأنه غاية الكمال في العلم الإلهي بكونه إلهاً ولهذا ربط الله الحكمة في وجود الآثار في العالم العنصري عن سير السبعة الدراري في الاثني عشر برجا فجعل السائر سبعة فعملنا أنه غاية كمال الوجود وجعل كمال السير في اثني عشر لأنه غاية مراتب العدد من واحد إلى تسعة ثم العشرات ثم المئون ثم الآلاف فهذه اثنا عشر وفيها يقع التركيب إلى ما لا يتناهى من غير زيادة كذلك سير السبعة في الاثني عشر برجا ذلك تقدير العزيز العليم (وصل) اختلفوا في عصر بطن الميت قبل أن يغسل فمنهم من رأى ذلك ومنهم من لم يره (الاعتبار) العصر اختيار الكبير الصغير في حاله هل عنده شبهة فيما هو فيه يخاف عليه منها أن تقدح في طهارته إذا طهره الكبير أم لا حتى يدعوه على بصيرة منه إنه صاحب شبهة يتوقى ظهورها في وقت آخر فيحفظ المربي نفسه في أول الوقت قبل أن ينشب فيقع التعب ويعظم انتهى الجزء الثامن والأربعون بانتهاء السفر السابع يتلوه في الجزء التاسع والأربعين وصل في الأكلان وهو كاللباس للمصلي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل في الأثخان)

الكفن للميت كاللباس للمصلي وهو ما يصلي عليه لافيه كالصلاة على الحصير والثوب الحائل بينك وبين الأرض لأنه في موضع سجودك لو سجدت فأشبه ما يصلي عليه فأما المرأة فترتيب تكفينها أن تغطي الغاسلة أولاً والحقو وهو الإزرة التي تشد على وسط الإنسان ثم الدرع وهو القميص الكامل ثم الحمار وهو الذي تغطي به رأسها ثم الملحفة ثم تدرج بعد في ثوب آخر يعم الجميع فهذه خمسة أبواب هكذا على الترتيب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلى الثقفية حين غسلت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثوبا بعد ثوب يناولها إياه ويأمرها بأن تفعل به ما ذكرناه على ذلك الترتيب هذا هو السنة في تكفين المرأة وأما الرجل فما لنا نص في صفة تكفينه إلا أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أبواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة بحضور من حضر من علماء الصحابة ولم يبلغنا أن أحدا منهم ولا ممن بلغه أنكر ذلك ولا تنازعوا فيه ولكن في قول الراوي ليس فيها قميص ولا عمامة احتمال ظاهر والنص في الثلاثة الأثواب من الراوي بلا شك إلا أن الوتر مستحب في الأثخان فمن الناس من رأى أن الرجل يكفن في ثلاثة أبواب والمرأة في خمسة أبواب أخذنا بما ذكرناه ومنهم من يرى أقل ما يكفن فيه الرجل ثوبان والسنة ثلاثة أبواب وأقل ما تكفن فيه المرأة ثلاثة أبواب والسنة خمسة أبواب ومن الناس من لم ير في ذلك حدا ولكن يستحب الوتر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي مات محرما يكفن في ثوبين (وصل في اعتبار هذا الفصل) المقصود من التكفين أن يوارى الميت عن الأبصار ولهذا لما كفن مصعب بن عمير يوم أحد في الثوب الواحد الذي كان عليه وكان نمره قصيرة لا تعمه بالستر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطي بها رأسه ويلقي على رجليه من الإذخر حتى يستر عن الأبصار ولما خلق الإنسان من تراب كان من له حضور مع الله من أهل الله إذا شاهدوا التراب تذكروا ما خلفوا منه فينظروا في قوله تعالى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى يعني يوم البعث والمصلي يناجي ربه فإذا وقف المصلي في المناجاة وليس بينه وبين الأرض حائل وكانت الأرض مشهودة لبصره ذكرته بنشأته وبما خلق منه وبإهانتة وذلته فإن الأرض قد جعلها الله ذلولا مبالغة في الذلة بهذه البنية قال الشاعر

ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا زادا فإنك عاقر

فجاء ببنية فعول للمبالغة في الكرم ولا أذل من يطؤه الأذلاء ونحن نطأها وجميع الخلاق ونحن عبيد أي أذلاء فرما شغل المصلي النظر في نفسه وما خلق منه عن مناجاة ربه بما يقرأ من كلامه فيغيب عما يقول للحق وما يقول له الحق وهو سوء أدب من التالي فكان الحائل أولى لما نهى المصلي أن يستقبل رجلا مثله في قبلته أو يصمد إلى سترته صمدا وليجعلها على حاجبه الأيمن أو الأيسر هذا كله حتى لا يقوم له مقام الوثن غيرة إلهية فإنهم كانوا يصورونه على صورة الإنسان فأمر بستره الميت لأن الميت بين يدي المصلي والمصلي يناجي الحق في قبلته شفيعا

في هذا الميت وسيأتي اعتباره في الصلاة على الميت إن شاء الله تعالى

(وصل في فضل المشي مع الجنائز)

المشي مع الجنائز كالسعي إلى الصلاة فقال بعضهم من السنة المشي أمامها وقال آخرون المشي خلفها أفضل والذي أذهب إليه أن يمشي راجلا خلفها قبل الصلاة عليها فيجعلها أمامه كما يجعلها في الصلاة وبعد الصلاة يمشي أمامها خدمة لها بين يديها إلى منزلها وهو القبر ظنا بالله جميلا إن الله قبل الشفاعة فيها عند الصلاة عليها وأن القبر لها روضة من رياض الجنة فإن الله قد ندب إلى حسن ظن عبده به فقال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وروى أن الله سئل من أحب إليك عيسى أم يحيى عليهما السلام فقال الله تعالى للسائل أحسنهما ظنا بي يعني عيسى فإن الخوف كان الغالب على يحيى والأولى أن لا يركب أدبا مع الملائكة لا غير فإن الملائكة تمشي مع الجنائز ما لم يصحبها صراخ فإن صحبها صراخ تركتها الملائكة فعند ذلك أنت مخير بين الركوب والمشي فإن الميت على نعشه كالشخص في الحفة محمول قال صاحبنا أبو المتوكل وقد رأينا نعشا يحمل وعليه الميت فأشار إليه وقال

ما زال يحملنا وتحمله الورى عجباً له من حامل محمولا

وصل الاعتبار فيه المشي أمام الجنائز لأن الماشي شفيع لها عند الله فيتقدم ليخلو بالله في شأنها فإن الشفيع لا يدرى هل تقبل شفاعته فيها أم لا حتى إذا وصلت إلى قبرها وصلت مغفورا لها بكرم الله في قبول سؤال الشافع وإن كانت من المغفورين لها قبل ذلك كان الماشي أمامها من المعرفين بقدمها لمن تقدم عليه في منزلها الذي هو قبرها فهو كالحاجب بين يديها تعظيما لها يشهد ذلك كله أهل الكشف وأما الماشي خلفها فإنه يراعي تقديمها بين يديه كما يجعلها بين يديه في الصلاة عليها ليحيط بالنظر إليها فيها فإن الموت فرع وإن الملك معها وإن النبي صلى الله عليه وسلم قام عند ما رأى جنازة يهودي فقيل له إنها جنازة يهودي فقال أليس معها الملك وقال مرة أخرى إن الموت فرع وقال مرة أخرى أليست نفسا ولكل قول وجه أرجى الأقوال أليست نفسا لمن عقل فكان قيامه مع الملك وفي هذا الحديث قيام المفضل للمفضل عندنا وعند من يرى أن الملائكة أفضل من البشر على الإطلاق وهكذا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها وأما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا أليست نفسا في حق يهودي فإنه أرجى ما يتمسك به أهل الله إذا لم يكونوا من أهل الكشف وكانت بصائرهم منورة بالإيمان في شرف النفس الناطقة وإن صاحبها إن شقي بدخول النار فهو كمن يشقى هنا بأمراض النفس من هلاك ما له وخراب منزله وفقد ما يعز عليه ألما روحانيا لألما حسيا فإن ذلك حظ الروح الحيواني وهذا كله غير مؤثر في شرفها فإنها منفوخة من الروح المضاف إلى الله بطريق التشريف فالأصل شريف ولما كانت من العالم الأشرف قام لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونها نفسا فقيامه لعينها وهذا إعلام بتساوي النفوس في أصلها وروى القشيري في رسالته عن بعض الصالحين أنه قال من رأى نفسه خيرا من نفس فرعون فما عرف فذمه وأخبر أنه ليس له أن يرى ذلك وهذه مسألة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لكل نفس وإن عمرت النفوس الدارين ولا بد

من عمارة الدارين كما ورد وإن الله سيعامل النفوس بما يقتضيه شرفها بسر لا يعلمه إلا أهل الله فإنه من الأسرار المخصوصة بهم فكما إن الحد يجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذاتهم إن شاء الله تعالى قال تعالى في الذين شقوا إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ولم يقل عذابا غير مجذوذ كما قال في السعداء فإنه قال يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ و لم يخص شخصا من شخص بل الظاهر أنه يريد من خالف أمره وعصاه مطلقا لا من أطاعه ما غرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ فنبه الغافل عن صفة الحق التي هي كرمه فإنه من كرمه أو جده ولهذا قال له الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ يقول له بكرمه أو جده لي يقول له العبد يا رب كرمك غرني فقد يقولها لبعض الناس هنا في خاطره وفي تدبره عند التلاوة فيكون سبب توبته وقد يقولها في حشره وقد يقولها له وهو في جهنم فتكون سببا في نعيمه حيث كان فإنه ما يقولها له إلا في الوقت الذي قد شاء أن يعامله بصفة الكرم والجود فإن رحمته سبقت غضبه ورحمة الله وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ مَنَّةً وَاسْتِحْقَاقًا وبالأصل فكل ذلك منة منه سبحانه فإنه الذي كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ للمتقي والممتقي بمنته سبحانه اتقاه وجعله محلا للعمل الصالح

(وصل في فصل صفة الصلاة على الجنائز)

فمنها عدد التكبير واختلف الصدر الأول في ذلك من ثلاث إلى سبع وما بينهما لاختلاف الآثار ورد حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكبر على الجنائز أربعة وخمسا وستا وسبعا وثمانية وقد ورد أنه كبر ثلاثا ولما مات النجاشي وصلى عليه صلى الله عليه وسلم كبر عليه أربعة وثبت على أربع إلى أن توفاه الله تعالى (وصل الاعتبار في هذا الفصل) أكثر عدد الفرائض أربع ولا ركوع في صلاة الجنائز بل هي قيام كلها وكل وقوف فيها للقراءة له تكبير فكبر أربعة على أتم عدد ركعات الصلاة المفروضة فالتكبير الأولى للإحرام يحرم فيها أن لا يسأل في المغفرة لهذا الميت إلا الله تعالى والتكبير الثانية يكبر الله تعالى من كونه حيا لا يموت إذا كانت كل نفس ذائقة الموت وكل شيء هالكٌ إِلَّا وَجْهَهُ وَالتكبير الثالثة لكرمه ورحمته في قبول الشفاعة في حق من يشفع فيه أو يسأل فيه مثل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لما مات وقد كان عرفنا أنه من سأل الله له الوسيلة حلت له الشفاعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع فيه من صلى عليه وإنما يسأل له الوسيلة من الله لتحضيضه أمته على ذلك والتكبير الرابعة تكبير شكر لحسن ظن المصلي بربه في أنه قبل من المصلي سؤاله فيمن صلى عليه فإنه سبحانه ما شرع الصلاة على الميت إلا وقد تحققنا أنه يقبل سؤال المصلي في المصلي عليه فإنه إذن من الله تعالى في السؤال فيه فهو لا يأذن وفي نفسه أنه لا يقبل سؤال السائل قال تعالى في الشفاعة يوم القيامة وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَقَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَقَالَ وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَقَدْ أَذِنَ لَنَا أَنْ نَشْفَعَ فِي هَذَا الْمَيِّتِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَدْ تَحَقَّقْنَا الْإِجَابَةَ بِالشُّكْرِ ثُمَّ يَسْلَمُ بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الشُّكْرِ بِسَلَامٍ انْصِرَافٍ عَنِ الْمَيِّتِ أَيْ لَقِيتُ مِنْ رَبِّكَ السَّلَامَ وَهَذَا شَرَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْفُوا عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِي الْمَوْتَى فَإِنَّ الْمَصْلِيَّ قَدْ قَالَ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّ الْمَيِّتَ قَدْ سَلِمَ مِنْهُ فَإِنْ ذَكَرَهُ بِمَسَاءَةٍ بَعْدَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ مِنْهُ مِنْ ذِكْرِهِ بِسُوءٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَكْرَهُهُ الْمَيِّتُ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ لِلْحَيِّ فَإِنَّ الْحَيَّ يَذْكُرُهُ بِهِ وَلَا يَنْتَهِي عَنْ فِعْلٍ مِثْلِهِ فَيُؤَدِّيهِ

ذلك إلى أن يكون قليل الحياء من ربه

(وصل في فصل رفع الأيدي عند التكبير في الصلاة على الجنائز والتكليف)

وأما رفع الأيدي عند كل تكبيرة والتكليف فإنه مختلف فيهما ولا شك أن رفع اليدين يؤذن بالافتقار في كل حال من أحوال التكبير يقول ما بأيدينا شيء هذه قد رفعناها إليك في كل حال ليس فيها شيء ولا تملك شيئاً وأما التكليف فإنه شافع والشافع سائل والسؤال حال ذلة وافتقار فيما يسأل فيه سواء كان ذلك السؤال في حق نفسه أو في حق غيره فإن السائل في حق الغير هو نائب في سؤاله عن ذلك الغير فلا بد أن يقف موقف الذلة والحاجة لما هو مفقر إليه فيه والتكليف صفة الأذلاء وصفته وضع اليد على الأخرى بالقبض على ظهر الكف والرسغ والساعد فيشبهه أخذ العهد في الجمع بين اليدين يد المعاهد والمعاهد أي أخذت علينا العهد في أن ندعوك وأخذنا عليك العهد بكرمك في أن تجيبنا فقلت وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ولم يقل دعاني في حق نفسه ولا في حق غيره ثم أذنت لنا في الدعاء للميت والشفاعة عندك فيه فلم يبق إلا الإجابة فهي متحققة عند المؤمن ولهذا جعلنا التكبيرة الأخيرة شكراً والسلام سلام انصراف وتعريف بما يلقي الميت من السلام والسلامة عند الله ومنا من الرحمة والكف عند ذكر مساوية

(وصل في فصل القراءة في صلاة الجنائز)

فمن قائل ما في صلاة الجنائز قراءة إنما هو الدعاء وقال بعضهم إنما يحمد الله ويشي عليه بعد التكبيرة الأولى ثم يكبر الثانية فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع للميت ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال آخريقرأ بعد التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ثم يفعل في سائر التكبيرات مثل ما تقدم أنفاً وبه أقول وذلك أنه إذ لا بد من التمجيد والثناء فبكلام الله أولى وقد انطلق عليها اسم صلاة فالعدل عن الفاتحة ليس بحسن وبه قال الشافعي وأحمد وداود (وصل الاعتبار في هذا الفصل) قال أبو يزيد البسطامي اطلعت على الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات قال بعض شيوخنا رأى أبو يزيد عالم نفسه هذه الصفة تكون لمن لا معرفة له بربه ولا يعرف إليه وتكون لأكمل الناس معرفة بالله فالعارف المكمل يرى نفسه ميتاً بين يدي ربه عز وجل إذ كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه يصلي عليه قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فَأِذَا كَانَ الْحَقُّ هُوَ الْمُصَلِّي فَيَكُونُ كَلَامَهُ الْقُرْآنَ وَالْعَارِفُونَ لَا بَدَ لَهُمْ مِنْ قِرَاءَةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ يَقْرَأُهَا الْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِمْ وَيُصَلِّي عَلَيْهِمْ فَيُثْنِي عَلَى نَفْسِهِ بِكَلَامِهِ ثُمَّ يَكْبِرُ نَفْسَهُ عَنْ هَذَا الْإِتِّصَالِ فِي ثَنَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ عَلَى جَنَازَةِ عَبْدِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكُونُ الرَّحْمَنُ فِي قَبْلَتِهِ وَهُوَ الْمَسْئُولُ وَيَكُونُ الْمُصَلِّي هُوَ الْحَيُّ الْقِيَوْمُ ثُمَّ يَصَلِّي بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُبَلِّغِ عَنْهُ قَالَ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ فَلَئِمَّا يَكُنْ مِنْ شَرَفِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ لِإِجْمَاعِ الضَّمِيرِ فِي يَصَلُّونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ لِكِفَايَتِهِمْ وَمَا احْتِجَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ وَنَصَبِ الْمَلَائِكَةِ بِالْعَطْفِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ أَنَّ الضَّمِيرَ جَامِعٌ لِلْمَذْكُورِينَ قَبْلَ ثُمَّ يَكْبِرُ نَفْسَهُ عَلَى لِسَانِ هَذَا الْمُصَلِّي مِنَ الْعَارِفِينَ عَنِ التَّوَهُمِ الَّذِي يُعْطِيهِ هَذَا التَّنَزُّلُ الْإِلَهِيُّ فِي تَفَاضُلِ النَّسَبِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ حَيْثُ مَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَمِنْ حَيْثُ مَا يَتَمَيَّزُونَ

به في مراتب التفضيل فرما يؤدي ذلك التوهم أن الحقائق الإلهية يفضل بعضها على بعض بتفاضل العباد إذ كل عبد في كل حالة مرتبط بحقيقة إلهية والحقائق الإلهية نسب تعالى عن التفاضل فهذا كبر الثالثة ثم شرع بعد القراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء للميت من قوله وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَالْمِيتِ فِي حَكْمِ الْجَمَادَاتِ فِي الظاهر لذهاب الروح الحساس فكان حكمه حكم الجماد وقال تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُصَادِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فوصفه بالخشية وعين وصفه بالخشية عين وصفه بالعلم بما أنزل عليه قال تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فالمعنى الذي أوجب له عدم الخشية إنما هو ارتباط الروح بالجسد فحدث من المجموع ترك الخشية لتعشق كل واحد منهما بصاحبه فلما فرق بينهما رجع كل واحد منهما إلى ربه بذاته فعلم ما كان قبل قد جهله بتركيبه فصحبته الخشية لعلمه فأول ما يدعى به للميت في الصلاة عليه ويثني على الله به في الصلاة عليه القرآن فإن الميت في مقام الخشية من جهة روحه ومن جهة جسمه فإذا عرف العارف فلا يتكلم ولا ينطق إلا بالقرآن فإن الإنسان ينبغي له أن يكون في جميع أحواله كالمصلي على الجنائز فلا يزال يشهد ذاته جنازة بين يدي ربه وهو يصلي على الدوام في جميع الحالات على نفسه بكلام ربه دائماً فالمصلي داع أبداً والمصلي عليه ميت أو نائم أبداً فمن نام بنفسه فهو ميت ومن مات بربه فهو نائم نومة العروس والحق يتوب عنه ولنا في هذا المعنى

عما دعاك ومنتبه لكن قلبك نائم و أنت تدعى فانتبه يا نائما كم ذا الرقاد
يريدك مهما مت به في عالم الكون الذي بما دعا لو نمت به كان الإله يقوم عنك
سيرك إن زادك مشتبته فانظر لنفسك قبل

اللهم أبدله دارا خيرا من داره يعني النشأة الأخرى فيقول الله قد فعلت فإن نشأة الدنيا هي داره وهي دار ممتنة كثيرة العلل والأمراض التهدم تختلف عليها الأهواء والأمطار ويخربها مرور الليل والنهار والنشأة الآخرة التي بدلها وهي داره كما قد وصفها الشارع من كونهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون نزهها عن القدارات وأن تكون محلا تقبل الخراب أو تؤثر فيها الأهواء ثم يقول وأهلا خيرا من أهله فيقول قد فعلت فإن أهله في الدنيا كانوا أهل بغي وحسد وتدابر وتقاطع وغل وشحناء قال تعالى في الأهل الذي ينقلب إليه الميت وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ثم يقول وزوجا خيرا من زوجه وكيف لا يكون خيرا وهن قاصرات الطرف مقصورات في الخيام ولا تشاهد في نظرها أحسن منه ولا يشاهد أحسن منها قد زينت له وزين لها وطيبت له وطيب لها كما قال تعالى في الجنة وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ أي طيبها من أجلهم فلا يستنشقون منها إلا كل طيب ولا ينظرون منها إلا كل حسن فدعاهم في الصلاة على الميت مقبول لأنه دعاء بظهر الغيب وما من خير يدعون به في حق الميت إلا والمالك يقول لهذا المصلي على جهة الخبر ولك بمثله ولك بمثليه نيابة عن الميت ومكافاة له للمصلي على صلواته عليه خير صدق وقول حق فقد تحقق حصول الخير للمصلي والمصلي عليه فإنه ثبت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم إن الإنسان المؤمن إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك بمثله ولك بمثليه إخباراً عن الله تعالى من هذا الملك لهذا الداعي وخبر الملك صدق لا يدخله من فعلى الحقيقة إنما صلى على نفسه وما أحسنها من رقدة بين ربه عز وجل وبين المصلي عليه فإن كان المصلى عليه عارفاً بره محبوباً عنده حب من يكون الحق سمعه وبصره ولسانه فليس المصلي سوى ربه وليستقبل في الصلاة الرب عز وجل فيكون الميت في رقده بين ربه وره فما أعلاها من رقدة ليتها إلى الأبد فنسأل الله تعالى لنا ولإخواننا إذا جاء أجلنا أن يكون المصلي علينا عبداً يكون الحق سمعه وبصره ولسانه لنا ولإخواننا وأولادنا وآبائنا وأهلينا ومعارفنا وجميع المسلمين من الجن والإنس آمين بعزته وكرمه ولما كان حال الموت حال لقاء الميت ربه واجتماعه به لجمعه ما تفرق في سائر الكتب والصحف المنزلة واختص من القرآن الفاتحة لكونها مقسمة بالخبر الإلهي بين الله وبين عبده وقد سماها الشرع صلاة وقال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين وخص الفاتحة بالذكر دون غيرها من سور القرآن فتعنت قراءتها بكل وجه في الصلاة على الميت لكونها تتضمن ثناء ودعاء ولا بد لكل شافع أن يثني على المشفوع عنده بما يليق بالشفاعة وأي ثناء أعظم من الرحمن الرحيم والمدح محمود لذاته وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء أحب إلى الله تعالى من أن يمدح والله تعالى قد وصف عباده المؤمنين بالحامدين وذم ولعن من ذم جناب الله ونسب إليه ما لا يليق به من الفقر والبخل إذ قالت اليهود يدُ الله مغلولة كُنتَ بذلك عن البخل فأكد بهم الله بقوله بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ فعم الكرم يديه لا تئأسوا من رَوْحِ اللَّهِ فهذه عندنا من أرجى آية تقرأ علينا فتعين على الشافع أن يمدح ربه بلا شك فإنه أمكن لقبول الشفاعة مع الأذن فيها فما ثم مانع من القبول ورد في الخبر الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان غداً يوم القيامة وأراد أن يشفع بحمد الله أولاً بين يدي الشفاعة بمحامد لا يعلمها الآن يقتضيه ذلك الموطن مجاله فإن الثناء على المشفوع عنده إنما يكون بحسب جنابيات المشفوع فيهم فيقدم بين يدي شفاعته من الثناء على الله بحسب ما ينبغي له لذلك الموطن من مكارم الأخلاق وموطن القيامة ما شوهد الآن ولا وقع فلهاذا قال لأعلمها الآن

(وصل في فصل التسليم من الصلاة على الجنائز)

اختلف الناس فيه هل هو تسليمية واحدة أو اثنتان فالأكثر على أنه تسليمية واحدة وقالت طائفة يسلم تسليمين وكذلك اختلفوا هل يجهر فيها بالسلام أو لا يجهر والذي أذهب إليه وأقول به إن حكم السلام من صلاة الجنائز في الإمام والمأموم حكم السلام من الصلاة سواء ولو كان وحده (الاعتبار) لما كان الشافع بين يدي المشفوع عنده وأقام المشفوع فيه بينه وبين ربه ليعين المشفوع فيه كما يحضر الشفيع نازلة من يشفع من أجلها بالذكر عند من يشفع عنده فأقام حضور الجاني بين يديه مقام النازلة التي كان يحضرها بالذكر لو لم يحضر الجاني فهو في حال غيبة عن كل من دون ربه بتوجهه إليه فإذا فرغ من شفاعته رجع إلى الحاضرين عنده من بشر وملك وجان مؤمن فسلم عليهم كما يفعل في الصلاة سواء وهي بشرى من الله في حق الميت كأنه يقول لهم ما ثم إلا السلامة له ولكم وإن الله قد قبل الشفاعة بما قرناه من الأذن فيها و

كل من قال إن الميت إذا كان من أهل الصلاة عليه وصلى عليه لا تقبل الشفاعة فما عنده خبر جملة واحدة لا والله بل ذلك الميت سعيد بلا شك ولو كانت ذنوبه عدد الرمل والحصى والتراب أما المختصة بالله من ذلك فمغفورة وأما ما يختص بمظالم العباد فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد حين ولهذا ينبغي للمصلي على الميت إذا شفع في صلواته عند الله أن لا يختص جناية بعينها و ليعم في ذكره كل ما ينطلق عليه به أنه مسيء إساءة تحول بينه وبين سعادته وليسأل الله التجاوز عن سيئاته مطلقاً وأن يعترف عن الميت بجميع السيئات وإن لم يحضر المصلي التعميم في ذلك فإن الله إن شاء عمه بالتجاوز وإن شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله له في التخليص من العذاب لا في دخول الجنة لأنه ما ثم دار ثالثة إنما هي جنة أو نار وذلك أنه إن سأل في دخول الجنة لا غير فإن الله يقبل سؤاله فيه ولكن قد يرى في الطريق أهوالاً عظيماً فلهاذا ينبغي أن تكون شفاعته المصلي في إن ينجي الله من صلى عليه مما يحول بينه وبين العافية واستصحابها له فإن ذلك أنفع في حق الميت وإذا فعل هكذا صح التعريف بالسلام من الصلاة أي قد لقي السلامة من كل ما يكرهه

(وصل في فصل تعين الموضع الذي يقوم الإمام فيه المصلي من الجنائز)

واختلفوا أين يقوم الإمام من الجنائز فقالت طائفة يقوم في وسطها ذكراً أو أنثى وقال قوم يقوم من الذكر عند رأسه ومن الأنثى عند وسطها ومنهم من قال يقوم منهما عند صدرهما وقال قوم يقوم منهما حيث شاء ولا حد في ذلك وبه أقول (وصل الاعتبار في ذلك) للخيال والوهم سلطان ومقصود المصلي إنما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في حق هذا الميت وإحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه فإن التردد في ذلك يفصم خاطر عن المقصود ولا سيما إن كانت الجنائز أنثى فيتوهم الإمام إذا وقف عند وسطها أن يسترها عن خلفه فلم يسترها عن نفسه ويقدم ذلك التوهم في حضوره في حقها مع الله فإن الحق إنما يستقبله على الحقيقة من الإنسان قلبه فإذا كان قلب المصلي بهذه المثابة من التفرقة واستحضار ما لا ينبغي بالتوهم فقد أساء الأدب في الشفاعة ومن هذه حاله فليس بشفيح وكان هذا المصلي أولى باسم الميت من الميت لسوء أدبه مع الله ومع الموت ومع الميت فلا يحضر المصلي أين يقوم من الجنائز وليس تقرباً في الله الذي دعاه إلى الشفاعة فيها عنده وكم من مصل على جنازة والجنائز تشفع فيه جعلنا الله من الشافعين هنا وهناك الإنسان مكلف من رأسه إلى رجليه وما بينهما فإنه مأمور بأن لا ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه شرعاً وبجميع ما يختص برأسه من التكليف ومأمور بأن لا يسعى بأقدامه إلى ما لا يحل له السعي إليه وفيه ومنه وما بينهما مما كلفه الله أن يحفظه في تصرفه من يد وبطن وفرج وقلب فلو تمكن للمصلي أن يعم الميت بذاته كلها لفعل فليقم منها حيث ألهه الله والقيام عند قلبه وصدره أولى فإنه كان المستخدم لجميع الأعضاء بالخير والشر فذلك المحل هو أولى أن يقوم المصلي الشافع عنده بلا شك ويجعله بينه وبين الله ويعينه فإنه إذا غفر له غفر لسائر جسده فإن جميع الأعضاء تبع للقلب في كل شيء دنيا وآخرة ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إن في الجسد بضعة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسدت سائر

الجسد ألا وهي القلب كذلك إذا قبلت الشفاعة فيها قبلت في سائر الجوارح أراد الشرع بالقلب هنا المضغة التي يحوي عليها الصدر ولا يريد بالقلب لطيفته وعقله وفي هذا التنبيه هنا سر لمن فهم وعلم لا يحصل إلا بالكشف يقول تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَقَالَ وَ لَيْتَ ذَكَرُوا أَلْوَابًا كَمَا قَالَ أَيْضًا وَلَكِنْ نَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وَ فِي بَابِ الْإِشَارَةِ عَنِ الْحَقِّ فَيُرِيدُ بِالصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ إِذَا أَرَادَ الْمَضْغَةَ مَا يَطْرَأُ فِي الْبَدَنِ مِنَ الْمَرَضِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَوْتِ فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي هُوَ هَذِهِ الْمَضْغَةُ هُوَ مَحَلُّ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمِنْهُ يَنْتَشِرُ الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ فِي جَمِيعِ مَا يَحْسُ مِنَ الْجَسَدِ وَمَا يَنْمِي وَهُوَ الْبَخَارُ الْخَارِجُ مِنَ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ الَّذِي يَعْطِيهِ الدَّمُ الَّذِي أَعْطَاهُ الْكَبِدُ فَإِذَا كَانَ الدَّمُ صَالِحًا كَانَ الْبَخَارُ مِثْلَهُ فَصَلِحَ الْجَسَدُ وَبِالْعَكْسِ فَهُوَ تَنْبِيهُ مِنَ الشَّارِعِ لَنَا بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْجِسْمِ الطَّبِيعِيِّ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي هُوَ آلَةٌ لِلطَّبِيقَةِ الْإِنْسَانِ الْمَكْتَفَى فِي إِظْهَارِ مَا كَفَّهُ الشَّارِعُ إِظْهَارَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْجَوَارِحِ فَإِذَا لَمْ يَتَحَفَّظِ الْإِنْسَانُ فِي غِذَائِهِ وَلَمْ يَنْظُرْ فِي صَالِحِ مَزَاجِهِ وَرُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ الْمُدَبِّرِ لَطَبِيعَةِ بَدَنِهِ اعْتَلَّتِ الْقُوَى وَضَعُفَتْ وَفَسَدَ الْخِيَالُ وَالتَّصَوُّرُ مِنَ الْأَشْجَرَةِ الْفَاسِدَةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الْقَلْبِ وَضَعُفَ الْفِكْرُ وَقَلَّ الْحِفْظُ وَتَعَطَّلَ الْعَقْلُ بِفَسَادِ الْأَلَاتِ الَّتِي بِهَا يَدْرِكُ الْأُمُورَ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا هُوَ بِوِزْعَتِهِ وَرِعَايَاهُ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ أَيْضًا إِنْ صَلِحَ فَاعْتَبِرِ الشَّارِعَ الْأَصْلَ الْمَفْسُدَ إِذَا فَسَدَ لِهَذِهِ الْأَلَاتِ وَالْمُصْلِحَ لِهَذِهِ الْأَلَاتِ إِذَا صَلِحَ إِذْ لَا طَاقَةَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى مَا كَفَّهُ رَبُّهُ إِلَّا بِصَالِحِ هَذِهِ الْأَلَاتِ وَاسْتِقَامَتِهَا وَسَلَامَتِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَفْسُودَةِ لَهَا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ فَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّذِي أُوتِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ أَرَادَ بِالْقَلْبِ الْعَقْلَ هُنَا مَا جَمَعَ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا جَمَعَ بِإِرَادَتِهِ الْقَلْبَ الَّذِي يَحْوِي عَلَيْهِ الصَّدْرُ وَلِهَذَا جَاءَ بِاسْمِ الْمَضْغَةِ وَبِالْبُضْغَةِ لِرَفْعِ الشُّكِّ حَتَّى لَا يَتَخِيلَ خِلَافَ ذَلِكَ وَلَا يَحْمِلُهُ السَّمْعُ عَلَى الْعَقْلِ وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ وَلَكِنْ نَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ فَإِذَا فَسَدَتْ وَعَمِيَتْ عَنِ إِدْرَاكِهَا يَنْبَغِي فَإِنَّ فَسَادَ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ فِيمَا يَعْطِيهِ الْبَصْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فَسَادِ الْبَصْرِ وَفَسَادَ الْبَصْرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فَسَادِ مَحَلِّهِ وَفَسَادَ مَحَلِّهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فَسَادِ رُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ الَّذِي مَحَلُّهُ الْقَلْبَ فَقِيَامِ الْمُصَلِّيِ عِنْدَ صَدْرِ الْجَنَازَةِ عِنْدَ الصَّلَاةِ عَلَيْهَا أَوْلَى وَأَحَقُّ لِأَجْلِ قَلْبِهِ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ فِي صَالِحِهِ وَفَسَادِهِ

(وصل في فصل ترتيب الجنائز عند الصلاة)

واختلفوا في ترتيب جنائز إذا اجتمع الرجال والنساء عند الصلاة عليهن فقال قوم يجعل الرجال مما يلي الإمام والنساء مما يلي القبلة وقال قوم فيه بالعكس وقال قوم يصلي على الرجال على حدة مفردين وعلى النساء على حدة مفردين والذي أقول به إن كان في الجنائز ذكران جعل أحدهما مما يلي الإمام والآخر مما يلي القبلة ويجعل النساء فيما بينهما وإن لم يكن إلا رجل واحد جعل مما يلي الإمام وإن جعل مما يلي القبلة فهو أولى وكل هذا ما لم يرد حد مشروع يوقف عنده وقد بحثنا أن نجد في ذلك حدا للشرع فلم نجد وقد ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يجعلون الرجال مما يلي القبلة والنساء مما يلي الإمام فإذا سألوها عن ذلك قالوا هي السنة وهو أولى عندي ومثل هذا إذا وقع يدخل في المسند عندهم والتوقيف في الحكم أولى ولهذا احتاط من فرق في الصلاة بين الرجال والنساء والذي يترجح عندي تقديم الرجال مما يلي القبلة فإن

النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن قتلي أحد كان يقدم الأفضل مما يلي القبلة ويدفن الجماعة في قبر واحد فكان تقديم الأفضل مما يلي القبلة أولى لأنه إلى الله أقرب شرعا والله أعلم (الاعتبار) النساء محل التكوين فهن إلى المكون أقرب فهم أولى بالقبلة من الرجال وإن وقع التكوين في الرجال مرة واحدة ولم يكن سوى تكوين حواء من آدم فالحكم للغالب ولا سيما وقد جعل في مقابلة تكوين حواء من آدم تكوين عيسى في مريم من غير فحل وبقي الغالب في الإناث إنهن محل التكوين فهن أولى بالقبلة ليكون كل مولود يولد على الفطرة فإنه إذا ولد خرج إلينا وهو حديث عهد بربه كما جاء بربه كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيث إنه حديث عهد بربه فكان الرجال أولى بأن يكونوا مما يلي الإمام والاعتبار الآخران الرجل الميت إذا كان مما يلي الإمام كان سترة للإمام عن المرأة فإن المرأة عورة ومجاورة الميت لها أولى لعدم الشهوة من مجاورة الحي فالنساء أولى بالتقدم مما يلي القبلة من الرجال وكان الحق أولى بإمائه وسترهن عن الإمام أو المصلي عليهن فإن كان الإمام عارفا بحيث أن يعلم من نفسه أن الحق سمعه وبصره فلا يبالي أيقدم النساء إليه أو الرجال وتقدم النساء أولى مما يلي من هو بهذه الصفة والرجال مما يلي القبلة فإنه أقوى في الاعتبار لأن أكثر الأكوان الطبيعية إنما كونها الحق عند الأسباب فتقديم النساء مما يلي الإمام الذي يكون بهذه المثابة أولى فإنه اعتبار محقق فإن الإمام الموصوف بهذه الصفة آله والحق غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفي هذه المسألة من الأسرار البديعة العجيبة ما لو وقف عليها العقلاء لتعجبوا وحاروا وعلموا حكمة الله في الأشياء وما معنى حجاب النور والظلمة وما ذا يجد هذا الحجاب والحق لا يقبل الحد ولا يحتجب عنه شيء ولا يحجبه شيء إذ لو حجبه شيء لحكم عليه ذلك الحجاب بالحد ولا يصح أن يقبل الحجاب فلا يصح أن يكون العبد محجوبا عن الله ولكن يكون محجوبا عن نسبة خاصة قال تعالى في الفجار إِيَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئذٍ لَمَحْجُوبُونَ فأضاف الرب إليهم وهي النسبة التي يرجونها منه لم يجدوها لأنهم طلبوها من غير جهة ما تكون فيه فكانوا كمن يقصد الشرق بنيتة وهو يمشي إلى الغرب بحسبه ويتخيل أن حركته إلى جهة قصده وهو قوله تعالى وَبَدَأَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ فَإِنَّمَا اسْتَغْنَوْا مِنْ نَوْمِ غَفْلَتِهِمْ وَوَصَلُوا إِلَى مَنْزَلٍ وَحَطَّوْا عَنْ رِحَالِهِمْ طَلَبُوا مَا قَصَدُوهُ فَقِيلَ لَهُمْ مِنْ أَوَّلِ قَدَمٍ فَارْقَمُوهُ فَمَا زِدْتُمْ مِنْهُ إِلَّا بَعْدًا فَيَقُولُونَ يَا لَيْسَ أَمْرُنَا بِدُونِ اللَّهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ فَهَذَا وَصَفُوا بِالْحِجَابِ عَنْ رَبِّهِمُ الَّذِي قَصَدُوهُ بِالتَّوَجُّهِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي شَرَعَ لَهُمْ فَإِذَا عَلِمْتَ مَا اعْتَبَرْنَا فَتَلْتَرِبُ الْجَنَائِزُ عَلَى قَدَرِ مَقَامِكَ وَلَا تَحْكُمُ فَالْحُكْمُ لَيْسَ لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ لِلشَّارِعِ فَإِنِ وَقَفْتَ مِنَ الشَّارِعِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ مِنْ طَرِيقِ الْكَشْفِ عَلَى حَكْمٍ صَحِيحٍ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ فَاعْمَلْ بِهِ وَلَا تَعْدَاهُ وَقِفْ عِنْدَهُ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّلَاةُ

(وصل في فصل من فاته التكبير على الجنائز)

اختلفوا في الذي يفوته بعض التكبير على الجنائز في مواضع منها هل يدخل بتكبير أم لا ومنها هل يقضي ما فاته أم لا وإن قضى فهل يدعو بين التكبيرات أو لا فمن قائل يكبر أول دخوله ومن قائل ينتظر حتى يكبر الإمام وحينئذ يكبر وأما قضاء ما فاته فمن قائل يقضي ما فاته من التكبير والدعاء ومن قائل يقضي ما فاته من التكبير نسقا من غير دعاء والذي أذهب إليه أن الذي يدرك مع الإمام من التكبير هو أول له ثم

يتم صلاته بتكبيراتها والدعاء (الاعتبار) التكبير تعظيم الحق فليسارع إليه ولا ينتظر الإمام ويقضي ما فاته من التكبير نسقا من غير دعاء فإن الله تعالى يقول من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين والمدعوله هنا الميت فيعطي الميت بالذكر من المصلي أفضل مما يعطيه لو دعا له والمقصود بالدعاء للميت إنما هو النفع والنفع الأعظم قد حصل بالذكر

(وصل في فصل الصلاة على القبر لمن فاتته الصلاة على الجنازة)

فقال قوم لا يصلي على القبر وقال قوم لا يصلي على القبر إلا وليها فقط إذا فاتته الصلاة عليها وكان قد صلى عليها غير وليها وقال قوم يصلي على القبر من فاتته الصلاة على الجنازة واتفق القائلون بإجازة الصلاة على القبر أن من شرط ذلك حدوث الدفن واختلف هؤلاء في المدة في ذلك فأكثرها شهر وبالصلاة على القبر أقول من غير مدة (وصل الاعتبار في هذا الفصل) لا يصلي على الميت حتى يوارى عن الأبصار في ذلك فإذ كانه فلا فرق أن يوارى بأكفانه أو يوارى بقبره وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على الميت بعد ما دفن في قبره فالاعتبار أن الجسم خلق من التراب وعاد إلى أصله فلا فرق بينه في حال انفصاله وبروزه على وجه الأرض أو حصوله تحت التراب فهو منها فإن كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به إلى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وإن كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الأرض أو تحت الأرض فإن الشارع ما فرق فكل واحد من الإنسان قد رجع إلى أصله فالتحق الروح منه بالأرواح والتحق العنصري منه بالعنصر

(فصول من يصلي عليه ومن أولى بالتقديم)

فمن ذلك الصلاة على من هو من أهل لا إله إلا الله فمن قائل يصلي عليهم مطلقا ولو كانوا من أهل الكباثر والأهواء والبدع وكره بعضهم الصلاة على أهل البدع والأول أقول ولم يجز آخرون الصلاة على أهل الكباثر ولا على أهل البغي والبدع ولو علم هذا القائل إن المصلي على الجنازة شفيق وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خبأت دعوتي شفاعة لأهل الكباثر من أمتي (وصل اعتبار هذا الفصل) قال صلى الله عليه وسلم صلوا على من قال لا إله إلا الله ولم يفصل ولا خصص وعم بقوله من وهي نكرة تعم فالمفهوم من هذا الكلام الصلاة على أهل التوحيد سواء كان توحيدهم عن نظر أو عن إيمان أعني عن تقليد للرسول أو عن نظر وإيمان معا ومعنى الإيمان أن يقولها على جهة القرية المشروعة من حيث ما هي مشروعة وهذا لا سبيل إلى الوصول إلى معرفته من القائل لها إلا بوحى أو كشف فإنه غيب وما كلف الله نفساً إلاً وسُعها ولهذا ربطه بالقول ومن لا يتصور منه القول أو لم يسمع أنه قالها كالصبي الرضيع فإن الرضيع يلحق بأبيه في الحكم فيصل على من لم تسمع منه يلحق بالدار والدار دار الإسلام وهو بين المسلمين ولم يعرف منه دين أصلا للإسلام ولا غيره وكان مجهولا فإنه يحكم له بالدار فيصل على عليه فإذا كانت عناية الدار تلحقه بالحقق إسلامه فما ظنك بعناية الله وهذا من عناية الله وأهل لا إله إلا الله بكل وجه وعلى كل حال لا يقبلهم الخلود في النار إلا من أشرك أو سن الشرك فإنهم لا يخرجون من النار أبداً فالأهواء والبدع وكل كبيرة لا تقدر في لا إله

إلا الله لا تعتبر مؤثرة في أهل لا إله إلا الله فإن التوحيد لا يقاومه شيء مع وجوده في نفس العبد ولو لا النص الوارد في المشرك و فيمن سن الشرك لعمت الشفاعة كل من أقر بالوجود وإن لم يوحد فإن المشرك له ضرب من التوحيد أعني توحيد المرتبة الإلهية العظمى فإن المشرك جعل الشريك شفيعا عند الله يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قالوا ما عبدُهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فوحد هذا المشرك الله في عظمته ليست للشريك عنده هذه الرتبة إذ لو كانت له ما اتخذ شفيعا والشفيع لا يكون حاكما فلهم رائحة من التوحيد وبهذه الرائحة من التوحيد وإن لم يخرجوا من النار لا يبعد أن يجعل الله لهم فيها نوعا من النعيم في الأسباب المقرونة بها الآلام وأدنى ما يكون من تعيمهم أن يجعل المقرور في الحرور و تقيضه الذي هو الحرور في الزمهير حتى يجد كل واحد منهما بعض لذة كما كانت لهم هنا بعض رائحة من التوحيد فيخلقهم الله على مزاج يقبلون به نعيم هذه الأسباب المعتادة بوجود الأمل عندها في المزاج الذي لا يلائمه ذلك وما ذلك على الله بعزيز فإنه الفعال لما يريد وما ورد نص يحول بيننا وبين ما ذكرناه من الحكم فبقي الإمكان على أصله في هذه المسألة وفي الشريعة ما يعضده من قوله وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وقوله رحمتي سبقت غضبي

(وصل في فصل من قتله الإمام حدا)

فمن الناس من لم ير أن يصلي عليه الإمام ومنهم من رأى أنه يصلي عليه الإمام وبه أقول (اعتبار هذا الفصل) الغاسل غير ممنوع من الصلاة على من غسله والإمام هنا غاسل فإن القتل هنا للمقتول طهور معنوي مكفر وقد ورد في ذلك الخبر فللإمام أن يصلي عليه لتحقق طهوره والعجب من صاحب هذا المذهب الذي يمنع من صلاة الإمام عليه وهو عنده لومات من عليه هذا الحد صلى عليه الإمام مع تحققه بأنه مشغول الذمة بهذا الحد الواجب عليه وأنه غير طاهر النفس فإن أمره إلى الله إن شاء آخذه به وإن شاء عفا عنه وبهذا وردت الأخبار فالأولى أن يصلي عليه الإمام إذا قتله حدا كالغاسل سواء فإنه لا معنى لإقامة الحدود على المؤمنين في الدنيا إلا إزالتها عنهم في الآخرة بخلاف من قتل سياسة أو كفرا لا حدا

(وصل في فصل من قتل نفسه هل يصلي عليه أم لا يصلي عليه)

فقيل يصلي عليه ومن قائل لا يصلي عليه وبالأول أقول (وصل اعتبار هذا الفصل) لما أذن الله عز وجل في الشفاعة بالصلاة على الميت علمنا أنه عز وجل قد ارتضى ذلك وأن السؤال فيه مقبول وأخبر أن الذي يقتل نفسه في النار خالدًا محمداً فيها أبداً وأن الجنة عليه حرام وما ورد نهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل ذلك على من قتل نفسه ولم يصل عليه فيجب على المؤمنين الصلاة على من قتل نفسه لهذا الاحتمال فيقبل الله شفاعة المصلي عليه فيه ولا سيما والأخبار الصحاح والأصول تقضي بخروجه من النار ويخرج الخبر الوارد بتأييد الخلود مخرج الزجر والحكمة المشار إليها في هذه المسألة في قول الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة ففيه إشارة حقيقة فالإشارة يسأرون وسأيقوا ومن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا والموت سبب لقاء الله فكان الإنسان في حياته يسافر ويقطع المنازل

بأنفاسه إلى لقاء ربه وقد جعل له حداً مخصوصاً فاستعجل اللقاء فبادر إليه قبل وصوله إلى ذلك الحد وهو السبب الذي لا تعمل له في لقاءه فإن كان عن شوق للقاء الحق فإنه يلقاه برفع الحجب ابتداءً فإنه قال حرمت عليه الجنة والجنة السترا أي منعت عنه أن يستر عني فإنه بادرني بنفسه ولم يقل ذلك على التفصيل فحمله على وجه الخبر للمؤمن لما يعضده من الأصول أولى وأما قوله عليه السلام فيمن قتل نفسه مجديدة و بسم وبالتردي من الجبل فلم يقل في الحديث من المؤمنين ولا من غيرهم فتطرق الاحتمال وإذا دخل الاحتمال رجعنا إلى الأصول فربنا إن الايمان قوى السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأيد إلى غير نهاية في النار فنعلم قطعاً إن الشارع أخبر بذلك عن المشركين في تعيين ما يعذبون به أبداً فقال من قتل نفسه مجديدة منهم فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً أي هذا الصنف من العذاب هو حكمه في النار وكذلك من شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحسأه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً أي هذا النوع من العذاب يعذب به هذا الكافر وقد ورد من قتل نفسه بشيء عذب به وأما المؤمن فحاشى الايمان بتوحيد الله أن يقاومه شيء فتعين إن ذلك النص في المشرك وإن لم يخص الشارع في هذا الخبر صنفاً بعينه فإن الأدلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها إلى بعض ليقوي بعضها بعضاً لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً كذلك الايمان بكذا يشد للإيمان بكذا فيقوي بعضه بعضاً فإن أهل الجنة إنما يرون ربهم رؤية نعيم بعد دخولهم الجنة كما ورد في الخبر في الزيارة إذا أخذ الناس أماكهم في الجنة فيدعون إلى الرؤية فيمكن إن الله قد خص هذا الذي بادره بنفسه فقتل نفسه أن يكون قوله حرمت عليه الجنة قبل لقائي فيتقدم للقائل نفسه لقاء الله رؤية نعيم وحينئذ يدخل الجنة فإن القاتل نفسه يرى أن الله أرحم به مما هو فيه من الحال الموجبة له إلى هذه المبادرة فلولا ما توهم الراحة عند الله من العذاب الذي هو فيه لما بادر إليه والله يقول أنا عند ظن عبدي بي فيلظن بي خيراً والقائل نفسه إذا كان مؤمناً فظنه بره حسن فظنه بره الحسن هو الذي جعله أن يقتل نفسه وهذا هو الأليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الإلهي إذ لا نص بالتصريح على خلاف هذا التأويل وإن ظهر فيه بعد فلبعد الناظر في نظره من الأصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فإذا استحضرها ووزن عرف ما قلناه وفي الأخبار الصحاح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فلم يبق إلا ما ذكرناه ولم يقل الله في هذا الخبر إلا أنه حرم عليه الجنة خاصة فإن قلنا ولا بد بالعقوبة فتكون الجنة محرمة عليه أن يدخلها دون عقاب مثل أهل الكبائر فيكون نصاً في القاتل نفسه وغيره من أهل الكبائر في حكم المشيئة فإن صاحب السجلات لا يدخل النار مع أنه من أهل الكبائر إذ ليس معه سوى قول لا إله إلا الله في طول إسلامه مدة حياته في الدنيا فغايته أن يتحقق إنفاذ الوعيد في القاتل نفسه قبل دخول الجنة وإنه لا يغفر له والله أكرم أن ينسب إليه نفاذاً لوعيد بل ينسب إليه المشيئة وترجيح الكرم كما وصف بعض الأعراب مع كونه من أهل الأغراض نفسه

وإني إذا أوعدتُه أو وعدتُه لمخلف إيعادي ومنجز موعدِي

ولذا ما ورد في الشرع نص في الإيعاد وورد في الوعد فلا تحسبن الله مخلفاً وعدّه فالإيعاد في الشر خاصة والوعد يكون في الخير والشر

(وصل في فصل حكم الشهيد المقتول في المعركة)

فمن قاتل لا يصلى عليه ولا يغسل ومن قاتل يصلى عليه ولا يغسل (الاعتبار) الحياة المنسوبة إلى الشهيد في المعركة من رأى أن الله أخذ بأبصارنا عن إدراك حياة الشهيد وأنه لحي يرزق كحياة زيد وعمر وفي نفس الأمر وهذا ليس ببعيد فإن الحي بهذه المثابة لا يصلى عليه و من رأى أن الصلاة إنما هي الدعاء له بكونه انقطع عمله في الدنيا وإن كان حيا عند ربه لكنه غير عامل قال يصلى عليه أي يدعى له مثل ما يدعى للميت لانقطاعه عن العمل المقرب له إلى الدرجات التي لا تحصل إلا بالعمل من العامل نفسه أو ممن ينوب عنه في عمله كمن يصوم عن وليه إذا مات أو ينج عنه إذا مات أو لم يستطع فتقوم الصلاة على الشهيد من المصلي مقام العمل منه لو كان في حال لم ينقطع العمل منه

(وصل في فصل حكم الصلاة على الطفل)

فمن قاتل لا يصلى عليه حتى يستهل صارخا ومن قاتل يصلى عليه إذا كمل أربعة أشهر لوجود الروح عند هذه المدة (الاعتبار) أمرنا الله بالصلاة على الميت في السنة ولم يقل الميت عن حياة متقدمة فنحن إذا رأينا صورة الجنين ولو كان أصغر من البعوضة بحيث تكون أعضاؤه مصورة حتى يعلم أنه إنسان وإن كان قبل نفخ الروح فيه فإنه ينطلق بالشرع على تلك الصورة أنها ميتة قال تعالى وَكُنْتُمْ أََمْْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ فَأُطْلِقُ عَلَيْنَا اسْمَ الْمَوْتِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فَالْمُصَلِّي عَلَى الْجَنِينِ إِذَا خَرَجَ عَيْنَهُ بِالطَّرْحِ وَشَاهَدَنَاهُ صُورَةَ وَإِنْ لَمْ يَنْفَخْ فِيهِ رُوحٌ لِلصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ وَتَحَقَّقَ اسْمَ الْمَوْتِ فَلَا مَانِعَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِهِ وَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَا يَصَلَّى عَلَى مَيْتٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقْدَمَ عَلَيْهِ مَا تَعْرُضُ لِدَلِّكَ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَقْعِ الْأَمْرُ إِلَّا فِيمَنْ تَقَدَّمَتْ لَهُ حَيَاةٌ وَمَا يَدُلُّ عَدَمَ النَّقْلِ عَلَى رَفْعِ الْحُكْمِ بِلِ الْمَفْهُومِ مِنَ الشَّرْعِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيْتِ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيسٍ إِلَّا مَا خَصَّصَهُ الشَّارِعُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْكَاْفِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَصِّ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لِلطُّفْلِ فِيهِ مَدْخُلٌ بَلْ قَدْ ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الطُّفْلَ يَصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يَرِثُ وَلَا يُوْرَثُ حَتَّى يَسْتَهْلَ صَارِخًا فَقَدْ حَكَّمَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَمَا حَكَّمَ بِالْمِيرَاثِ مِثْلَ مَا حَكَّمَ عَلَى مَنْ مَاتَ عَنْ حَيَاةٍ فَهَذَا الْخَبْرُ يَقْوِي مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ وَجُودِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ أَنَّ مَوْتَهُ عَنْ حَيَاةٍ وَلَا عَنْ غَيْرِ حَيَاةٍ وَحَدِيثُ الْمَغْيِرَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الطُّفْلَ يَصَلَّى عَلَيْهِ وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الطُّفْلَ لَا يَصَلَّى عَلَيْهِ أَصْلًا وَاحْتِجَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصَلِّ عَلَى ابْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ فَيَعَارِضُ هَذَا الْقَاتِلَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى ابْنِ إِبْرَاهِيمَ وَيَقْوِي هَذَا الْحَدِيثَ حَدِيثُ الْمَغْيِرَةِ وَجَابِرِ

(وصل في فصل حكم الأطفال من أهل الحرب إذا ماتوا)

فقيل حكمهم حكم آبائهم لا يصلى عليهم ومن قاتل حكمهم حكم من سباهم من المسلمين والذي أقول به إنه متى قدر المسلم على الصلاة على من مات من الأطفال الصغار الذين لم يحصل منهم التمييز ولا العقل إنه يصلى عليهم فإنهم على فطرة الإسلام (الاعتبار) الطفل مأخوذ

من الطفل وهو ما ينزل من السماء من الندى غدوة وعشية وهو أضعف ما ينزل من السماء من الماء فالطفل من الكبار كالرش والوبل و
السكب وغير ذلك من أنواع نزول المطر ولما كان بهذا الضعف والضعيف مرحوم أبداً والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه
ولا معنى لترك الصلاة عليه

(وصل في فصل من أولى بالتقديم في الصلاة على الميت)

واختلفوا فيمن أولى بالتقديم في الصلاة على الميت فقيل وليه وقيل الوالي وبه أقول فإنه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز
ولم ينقل عنه قط إنه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي و
الحاقه في هذه المسألة بصلاة الجمعة وصلاة الجماعة أولى من الحاقه بالوالي في مواراته ودفنه (الاعتبار) الوالي له إطلاق الحكم في العموم و
الخصوص فهو أقوى من له الحكم في بعض الأمور فهو أولى بالصلاة على الميت وبمناجاة الحق والشفاعة في الميت فإنه نائب الله ونظر الحق إلى
من استخلفه أعظم من نظره فيمن لم يجعل له ذلك المنصب العام في الخلافة وكلامه أقبل عنده فإنه فوض إليه الحكم فيما ولاه عليه والوالي
على الحقيقة هو الله تعالى فمن ثبت له هذا الاسم بالوجه الأعم فالأعم فهو أولى بالصلاة على الميت والوالي من له حكم الوقت من الأسماء
الإلهية فيشفع عند من ولاه من الأسماء في الميت من هو أعم تعلقاً منه وهو الرحمن فإن رحمته وسعت كل شيء

(وصل في فصل وقت الصلاة على الجنائز)

فقال قوم لا يصلى عليها في الوقت المنهي عن الصلاة فيه وقال قوم لا يصلى في الغروب والطلوع وقال قوم يصلى عليها بعد صلاة الصبح ما لم
يكن الأسفار وبعد صلاة العصر ما لم يكن الأصفرار وقال قوم يصلى عليها في كل وقت وبه أقول غير أنه لا يقبر في ثلاث ساعات الميت وإن
أجزنا الصلاة عليه فيها لورود النص أن لا يقبر فيها موتانا وهي الطلوع والغروب والاستواء (الاعتبار في هذا الفصل) الصلاة مناجاة و
سؤال على حضور ومشاهدة فلا تقيد بوقت ما لم يقيد بالشرع وما قيد صلاة الجنائز فإنها ما فيها سجود وأما الاستواء فإنه وقت
تسعير النار والقبر أول منزل من منازل الآخرة ولم نقل الموت فإن الموت حالاً لا منزل والقبر منزل فإن دفن في ذلك الوقت يشاهد الميت
تسعير النار فرمما أدركه رعب والله رفيق بالمؤمن فلم يبح لنا أن نقبر في ذلك الوقت موتانا رحمة بهم وأما الطلوع والغروب فإنهما ساعات
يسجد فيهما الكفار فجهنم تتقدم لأخذهم لصنيعهم ذلك فإذا قبر الميت في ذلك الوقت ربما أبصر مبادرة النار لاخذ هذه الطوائف
فيدركه رعب لإقبالها حتى يظن أنها تريد كمن يكون ماشياً في طريق وخلفه من عليه طلب فيرى أمامه شخصاً يقصد طلب من يأتي
خلفه يفرق منه لفظاعة منظره فرمما يتخيل هذا الشخص أنه المقصود لذلك المقبل فلا يأمن من يأتي حتى يجاوزه فيعلم أنه طالب غيره فإن
الكافر إذا سجد لغير الله بادرته جهنم لأخذه غير أن يسجد لغير الله فإذا رفع رأسه من السجدة نكصت على عقبها عن أمر الله تعالى لعل
هذا الساجد لا يعود إلى مثلها ويتوب فإنه في دار قبول التوبة فلماذا لم يتم إقبالها إليه فالإنسان ما دام حياً إذا كان كافراً يرجع له الإسلام وإذا

كان مسلماً يخاف عليه الكفرة فإنها ما هي دار طمأنينة لمخلوق ما لم يبشر ومع البشري يرتفع الخوف لصدق المخبر ويبقى الحكم للحياة و الخشوع فخوف المبشر واصفراره للحياة خاصة للخوف

(وصل في فصل في الصلاة على الجنائز في المسجد)

فأجازها بعضهم وكرهها بعضهم وأما إذا كانت الجنائز خارج المسجد والمصلي في المسجد ففي هذه الصلاة خلاف أيضاً وأما الصلاة على الجنائز في المقابر ففيه خلاف والجواز أقول في ذلك كله (وصل الاعتبار في هذا الفصل) المصلي على الجنائز شفيع فحيث ما كان يشفع فإن الحق يقول وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فَنُحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مَعَ الْجَنَائِزِ حَيْثُ كَانَتْ وَمَعِيَ حَيْثُ كُنْتُمْ فَلَا يَتَّقِدُ بِالْمَكَانِ فَالصَّلَاةُ عَلَى الْجَنَائِزِ جَائِزَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ وَلَا مَوْضِعٍ أَقْدَرُ مِنْ مَوْضِعِ فِرْعَوْنَ فَإِنَّ الْمَشْرُكَ نَجَسٌ وَمَعَ هَذَا فَجَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ اللَّهُ لَهَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى وَكُنْتُ أَقُولُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَائِزِ حَيْثُ كَانَتْ فِي مَسْجِدٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ يَنْهَى عَنْ دُخُولِ الْجَنَائِزِ الْمَسْجِدَ وَعَنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهَا فَانْتَهَيْتُ فَمَا صَلَّيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى جَنَائِزٍ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكُونُنِي

(وصل في فصل في شرط الصلاة على الجنائز)

فقال الأئمة الطهارة شرط فيها كالتبليغ سواء واختلفوا في التيمم لها لمن خاف فواتها فقال قوم يتيمم لها وقال قوم لا يتيمم لها ولا يصلى عليها بتيمم والذي أقول به أن الطهارة لا تشترط ولكن أكره التوجه إلى الله وذكره على غير طهارة شرعية (وصل في اعتبار هذا الفصل) قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وهكذا ينبغي أن يكون الأمر فإن الله في كل حال مع العبد ولا يسمي المؤمن انتهى الجزء التاسع والأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل في صلاة الاستخارة)

ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أن يصلي لها ركعتين ويوقع الدعاء عقيب الركعتين اللتين يصليهما من أجلها بعد السلام منهما وأستحب له أن يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ أَوْ سُورَةَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ويدعو بالدعاء المروي في ذلك عقيب السلام يفعل ذلك في كل حاجة مهمة يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع في حاجته فإن كان له فيها خيرة عند الله يسر له أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة وإن تعذر شيء من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها يسر فلا يضايقه القدر ويعلم أنه لو كان له فيها خيرة عند الله ما تعذرت أسبابها فيعلم إن الله قد اختار له تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبة تركها وينبغي

لأهل الله أن يصلوا صلاة الاستخارة في وقت معين يعنونه من ليل أو نهار في كل يوم فإذا قالوا الدعاء يعد السلام من الركعتين يقولون في الموضع الذي أمر أن يسمى حاجته كما سنذكره يقول اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرّك فيه في حقي وفي حق غيري وجميع ما يتحرّك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني خير لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وأجله من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر فيسره لي وأقدره ورحنى به وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرّك فيه في حقي وفي حق غيري وجميع ما يتحرّك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وأجله كما سيأتي في الدعاء بعد هذا إن شاء الله فإنه إذا فعل ذلك ما يتحرّك بجرّك ولا يتحرّك في حقه بجرّك إلا كان له فيها خير محقق فعلاً أو تركاً جربت هذا دائماً يفعل هذا في كل يوم في وقت بعينه يلزمه لا يغيره وصوره دعا الاستخارة اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر وتسمى حاجتك خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وأجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر وتذكر حاجتك شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وأجله فاصرفه عني واصرفني عنه وأقدر على الخير حيث كان ثم أرضني به فالعارف إذا استخار ربه في حاجة معينة كانت أو مبهمة فيحضر في قلبه عند قوله اللهم أي يا الله أقصد فأدخل هنا الإرادة لأن القصد الإرادة فحذف الهمزة وأكفى بالهاء من اللهم لقرّبها في المخرج والمجاورة وليدك بذلك على عظيم الوصلة فإن شرح اللهم أي يا الله أمنا بالخير أي أقصدنا و قوله إني آية الشيء حقيقته كناية عن نفسه وقوله أستخيرك بعلمك يقول أي يا الله أقصد حقي بما اختاره علمك مما لي فيه خير فإنك تعلم ما يصلح لي من الخير ولا أعلم هذا الذي توجهت في طلبه وتقدر على إيجاده ولا أقدر على ذلك فإن كان لي في فعله وظهور عينه خير فقد علمته فاقدره لي أي افعله لي وإن كان الخير لي في تركه وعدم ظهور عينه فاصرفه عني لكوني استحضرت في خاطري وتخيلته فقد حصل ضرب من الوجود وهو تصوّره في خيالي فلا تجعله حاكماً علي بظهور عينه فهذا معنى قوله فاصرفه عني ثم قال واصرفني عنه أي حل بيني وبينه واجعل بيني وبينه الحجاب الذي بين الوجود والعدم حتى لا أستحضره ولا يحضرني عينا وتخيلاً وقوله واستقدرك بقدرتك لأن القدرة صفة الإيجاد وهي أخص تعلقاً من العلم فيصرف بالعلم ويوجد بالقدرة ولا يصرف بها فقدم العلم على القدرة لأنه قد يكون له الخيرة في ترك ما طلب فعله ووجوده فكانه يقول وإن كان في تحصيل ما طلبت تحصيله خير لي فإني أستقدرك بقدرتك أي أقدرني على تحصيله وإن كان ممن يقول بنسبة الفعل للعبد كالمعتزلة وتكون الإضافة في قوله بقدرتك أي بالقدرة التي تخلقها في عبادك وإن كان ممن لا يقول بنسبة الفعل إلى العبد فقوله بقدرتك يعني قدرة الحق التي هي صفته المنسوبة إليه بحكم الصفة لا بحكم الخلق وقوله فإنك تقدر ولا أقدر يتجه هذا قول من الطائفتين أي فإنك تقدر أن تخلق لي القدرة على فعله إن كان قد علمت إن لي فيه خيراً وقد يريد الإخبار عن حقيقة نفي القدرة عن العبد فيقول فإنك تقدر على إيجاده وتحصيل ما طلبته ولا أقدر أي ما لي قدرة أحصله بها لعلمه أن القدرة الحادثة ما لها التكوين ولا

تعدى محلها وقوله وأرضني به أي اجعل الفرح والسرور عندي بحصوله أو بعدم حصوله من أجل ما اخترته لي في سابق علمك وأقدر لي الخير حيث كان وأنت أعلم بالأماكن والزمان والأحوال التي لي الخير فيها من غيرها فإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ أي ما غاب عنا من ذلك تعلمه أنت ولا أعلمه أنا ثم لتعلم إن العلم بالأمر لا يتضمن شهوده فدل إن نسبة رؤيتك الأشياء غير نسبة علمك بها فالنسبة العلمية تعلق بالشهادة والغيب فكل مشهود معلوم ما شهد منه وما كل معلوم مشهود وما ورد في الشرع قط إن الله يشهد الغيوب وإنما ورد يعلم الغيوب ولهذا وصف نفسه بالرؤية فقال أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ وَوصف نفسه بالبصر وبالعلم ففرق بين النسب وميز بعضها عن بعض ليعلم ما بينها ولما لم يتصور أن يكون في حق الله غيب علمنا إن الغيب أمر إضافي لما غاب عنا فكأنه يقول من يقول وأنت علام الغيوب أي ما غاب عنا وكذلك عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عنا وما نشهده ويشهده وما يلزم من شهود الشيء العلم بجدده وحقيقته ويلزم من العلم بالشيء العلم بجدده وحقيقته عدما كان أو وجودا وإلما علمته والأشياء كلها مشهودة للحق في حال عدمها ولولم تكن كذلك لما خصص بعضها بالإيجاد عن بعض إذ عدم الحض الذي ليس فيه أعيان ثابتة لا يقع فيه تمييز شهود بخلاف عدم الممكنات فكون العلم ميز الأشياء بعضها عن بعض وفصل بعضها عن بعض هو المعبر عنه بشهوده إياها وتعيينه لها أي هي بعينه يراها وإن كانت موصوفة بالعدم فما هي معدومة لله الحق من حيث علمه بها كما إن تصور الإنسان المخترع للأشياء صورة ما يريد اختراعها في نفسه ثم يبرزها فيظهر عينها لها فاتصفت بالوجود العيني وكانت في حال عدمها موصوفة بالوجود في الوجود الذهني في حقنا والوجود العلمي في حق الله فظهور الأشياء من وجود إلى وجود من وجود علم إلى وجود عين والحال الذي هو عدم الحض ما فيه أعيان تمييز فهذا معنى بعض ما يتضمنه دعاء الاستخارة وأما قوله ويسره لي يريد الأسباب التي هي علامات ودلائل على تحصيل المطلوب

(فصول جوامع فيما يتعلق بالصلاة وبها خاتمة الباب)

(وصل في إقامة الصلاة)

إقامة الصلاة ظهور نشأتها على أتم خلقها وخلقها يختلف باختلاف من تنسب إليه فإذا نسبت الصلاة إلى الله فلها نشأة تخالف نشأة نسبتها إلى غير الله من ملك وبشر وغيرهما من المخلوقين فالحق ينشأ نشأة تامة ولهذا قال وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لتمام خلقها إذا كانت الصلاة المنسوبة إليه في قوله هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ رحمته بعباده وسيأتي ذكر ذلك ونسبة الصلاة إلى الملك أيضا يخرجها وقيمها تامة النشأة أي صلاة أظهرها فما يظهرها إلا تامة فلا تكون صلاة الملك إلا تامة النشأة والخلق وكذلك كل صلاة منسوبة إلى جماد ونبات وحيوان ما عدا الإنس والجن فإن صلاتهما إذا أنشأها قد تكون مخلقة أي تامة الخلقة وغير مخلقة أي غير تامة الخلق فلنذكر أولا صلاة الحق فنقول (وصل) قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ عَمُومًا وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ خُصُوصًا بِمَجْزُوعِ صَلَاةٍ فَإِنَّ الضمير في قوله يُصَلُّونَ يجمع الحق والملائكة ولا يتمكن للملائكة أن تلحق صلاة الله على عبده فإنها لا تعدى مرتبتها فيكون الحق ينزل في

هذه الصلاة إلى صلاة الملائكة لأجل الضمير الجامع فتكون صلاة الله على النبي من مقام صلاة الملائكة على النبي بخلاف قوله هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فإنه هنا ما جاء بالملائكة إلا بعد ما ذكرنا وفصل بنا بين صلاته وبين الملائكة بقوله عَلَيْكُمْ ثم قال لِيُخْرِجَكُمْ فَأفرد الخروج إليه وما جاء بضمير جامع يجمع بين الله وبين الملائكة في الصلاة على المؤمنين كما فعل في قوله يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ فتميز النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البشر بمرتبة لم يعطها أحد سواه أي ما ذكر لنا ذلك فعننا كلنا والنبي صلى الله عليه وسلم من جملتنا بقوله هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وأفرد نفسه في ذلك ثم قال وَمَلَائِكَتُهُ فَأفرد الملائكة بالصلاة على العباد وفيهم النبي فلجميع الخلق توحيد الصلاة من الله وتوحيد الصلاة من الملائكة وخص النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيما أخبرنا به بأن جمع له بصلاة جامعة اشترك فيها الله وملائكته فقال إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ومعلوم أن الصلاة في الجمعية ما هي الصلاة التي في حال الأفراد فإن الحالتين متميزتان ففاض النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة ثم أمرنا أن نصلي عليه صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الصلاة الجامعة وهو أن نصلي عليه إذا كان الحق لساننا كما ورد في الخبر فحينئذ تصح الصلاة التي أمرنا بها وبهذه المثابة كانت صلاة الملائكة في هذا المقام الذي جمع بينهم وبين الله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن في تلك الصلاة كان نطقهم فثبت شرفه صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في هذه المرتبة فإنه شرف محقق الوجود بالتعريف وإن ساواه أحد ممن لم نعرف به فذلك شرف إمكاني فتعين فضله بالتعيين على من لم يتعين وإن كان قد صلى عليه مثل هذا في نفس الأمر ولم نخبر فثبت له الفضل بكل حال فلما قال تعالى بعد قوله هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ بعد قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا و لم يقل بما ذا هل بالوجود والتوحيد فحملة على الوجود الذي هو أعم أولى لأنه أعم في الرحمة فقال لهم اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا أَي في كل حال وَسَبِّحُوهُ أَي صلوا له فسأل ابن عمر لو كنت مسبحا أتممت يريد مصليا تماما غير قصر ولهذا قال بُكْرَةً وَأَصِيلًا يعني صلاة الغداة والعشي وكذلك قال فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ فجمع الصلوات الخمس في هذه الآية وَلَهُ الْحَمْدُ أَي الثناء انطلق في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فأما تقدير الكلام فلما قال هذا وأمرنا بالذكر والصلاة قال هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فأخبر أنه يصلي علينا فالمفهوم من هذا أمران الأمر الواحد أنه يصلي علينا فينبغي لنا أن نذكره بالمدح والثناء ونصلي له بُكْرَةً وَأَصِيلًا فإن في ذلك غذاء العقول والأرواح كما إن غذاء الجسم في هذه الأوقات في قوله لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ورزق كل مخلوق بحسب ما تطلبه حقيقته فالأرواح غذاؤها في التسييح فقبل لها سبحانه أي صل له في هذه الأوقات واذكره على كل حال فقيد التسييح وما قيد الذكر بوقت فعلنا إن التسييح ذكر خاص مربوط بهذه الأوقات والأمر الآخر إنكم إذا صليتم وذكتم الله فإنه يصلي عليكم فصلاتنا وذكركم له سبحانه بين صلاتين من الله تعالى صلى علينا فصلينا له فصلى علينا فمن صلاته الأولى علينا صلينا له ومن صلاته الثانية علينا كانت السعادة لنا بأن جنينا ثمرة صلاتنا لموذكرنا ثم قال وَمَلَائِكَتُهُ أَيضا تصلي عليكم بما قد شرع لها من ذلك وهو قوله رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ

يَوْمَئِذٍ يَعْنِي الْقِيَامَةَ وَالْمَعْصُومِينَ مِنْ وَقُوعِ السَّيِّئَاتِ مِنْهُمْ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَهَذَا كَلِمَةُ الْمَلَائِكَةِ فَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْنَا كَهَاتِنَا عَلَى الْجَنَازَةِ سِوَا مَنْ عَقَلَ ثُمَّ قَالَ لِيُخْرِجِكُمْ بِلَامِ السَّبَبِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ابْتِدَاءً مِنْهُ وَمِنَّةً وَبَدْعَاءً الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَهَذَا قَالَ وَمَلَائِكُهُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّ السَّيِّئَاتِ ظُلُمَاتٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرِجُهُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْمَخَالَفَةِ إِلَى نُورِ الْمَوَافَقَةِ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَمِنْ ظُلُمَاتِ الشُّرْكِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْحِجَابِ إِلَى نُورِ التَّجَلِّيِّ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الشَّقَاءِ وَالتَّعَبِ إِلَى نُورِ السَّعَادَةِ وَالرَّاحَةِ ثُمَّ قَالَ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَيُّ بِالْمُصَدِّقِينَ رَحِيمًا أَيُّ رَحِيمًا لَمَّا صَدَقُوا بِهِ مِنْ وَجُودِهِ الَّذِي هُوَ أَعْمُ مِنَ التَّصَدِيقِ بِالتَّوْحِيدِ ثُمَّ يَنْدَرُجُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالْوُجُودِ الْإِلَهِيِّ كُلِّ مَا يَجِبُ بِهِ الْإِيمَانُ عَلَى طَبَقَاتِهِ ثُمَّ قَالَ تَجِيهِمْ يَوْمَ يَقْبُوهُ سَلَامٌ أَيُّ إِذَا وَقَعَ الْإِقْتِصَابُ بِشَرِّ السَّلَامَةِ أَنَّهُ لَا يَشْقَى بَعْدَ الْإِقْتِصَابِ أَبَدًا فَلِلَّذِينَ رَجَلُوا بِقَلْبِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْرُونَ بِالسَّلَامِ وَثَمَّ مِنْ يَلْقَاهُ إِذَا مَاتَ وَثَمَّ مِنْ يَلْقَاهُ عِنْدَ الْبَعْثِ وَثَمَّ مِنْ يَلْقَاهُ فِي تَفَاصِيلِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثْرَتِهَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْقَاهُ بَعْدَ دُخُولِ النَّارِ وَبَعْدَ عَذَابِهَا فِيهَا وَمَتَى وَقَعَ الْإِقْتِصَابُ حَيَاةً بِاللَّهِ بِالسَّلَامِ فَلَا يَشْقَى بَعْدَ ذَلِكَ الْإِقْتِصَابِ فَهَذَا جَعَلَ السَّلَامَ عِنْدَ الْإِقْتِصَابِ وَلَمْ يَبْعَثْ وَقْتًا مَخْصُوصًا لِتَفَاوُتِ الطَّبَقَاتِ فِي لِقَائِهِ فَأَخْرَجَ لِقَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِوُجُودِهِ خَاصَّةً فَإِنَّهُ قَالَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَقِيدْ فَلَا تَقِيدُ وَقَوْلُهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا كُلُّ أَجْرٍ عَلَى قَدْرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَقْلَهُمْ أَجْرًا الْمُؤْمِنِينَ بِوُجُودِ اللَّهِ إِلَهًا إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ فِي الْإِيمَانِ فَصَلَاةُ اللَّهِ رَحْمَتُهُ بِخَلْقِهِ وَلِذَا قَالَ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَقَالَ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَالْعَرْشُ مَا حَوَى مَلَكُهُ كُلَّهُ وَمَا وَجَدَ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ وَعَرْشُهُ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ وَالنَّارُ وَمِنْ فِيهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالرَّحْمَةُ سَارِيَةٌ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ فَصَلَاةُ الْحَقِّ كَائِنَةً عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ وَالخَلْقِ صُورًا خَيَالِيَّةً مَحْرُومَةً مِنَ الْحَقِّ وَالنَّاطِقِ عَنْهُمْ الْحَقِّ فَهَمَّ مَصْرُفُونَ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْقُدْرَةِ وَهُمْ مَحْوُوفُونَ فِي عَيْنِ ثُبُوتِهِمْ وَعَدَمِ فِي حَالِ وَجُودِهِمْ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّامِتُونَ النَّاطِقُونَ وَالْمَيْتُونَ الْأَحْيَاءُ كَحَيَاةِ الشُّهَدَاءِ فَالْعَقْلُ يَشْهَدُ مَا لَا يَشْهَدُ الْبَصَرُ فَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ الْإِلَهِيَّةِ عَمُومًا بِرَحْمَتِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ فِيهَا مَخْلُوقَةٌ قَالَ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَالرَّحْمَةَ شَيْءٍ وَخَلَقَهَا تَعَمِيمًا وَكَذَلِكَ صَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ تَامَةً الْخَالِقَةُ فَإِنَّهَا دَعَتْ لِلَّذِينَ تَابُوا كَمَا ذَكَرْنَا أَيْضًا وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ فَعَمَّتْ فَمَا تَبَقِيَ أَمْرًا إِلَّا دَخَلَ فِي صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ طَائِعٍ وَعَاصٍ عَلَى أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي (وَصَلِّ) وَأَمَّا صَلَاةُ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فَإِقَامَةُ الْبَشَرِ لَهَا أَنْ تَنْسَبَ إِلَيْهِمْ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ كَمَا نَسَبَتْ إِلَى الْحَقِّ وَبِمَعْنَى الدَّعَاءِ وَالرَّحْمَةِ كَمَا نَسَبَتْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَبِمَعْنَى الدَّعَاءِ وَالرَّحْمَةِ وَإِتْمَامِ التَّكْبِيرِ وَالْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْجُلُوسِ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ فَمَنْ أَمَّ رُكُوعًا وَسُجُودًا وَمَا شَرَعَ فِيهَا وَإِنْ كَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِمَّا تَسْتَحِقُّهُ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ وَالْإِتْمَامُ فَقَدْ أَكْمَلَ خَلْقَهَا وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ كَانَتْ لَهُ بِجَسْبِ مَا انْتَقَصَ مِنْهَا وَاللَّهُ لَا يَقْبَلُهَا نَاقِصَةً فَيَضْمُ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ إِلَى بَعْضٍ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مِائَةٌ صَلَاةٍ وَفِيهَا نَقْصٌ كَمَلَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَدْخَلَتْ عَلَى الْحَقِّ كَامِلَةً فَتَصِيرُ الْمِائَةُ صَلَاةً مِثْلًا ثَلَاثِينَ أَوْ خَمْسِينَ أَوْ عَشْرَةَ أَوْ زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ أَوْ نَاقِصًا عَنْهُ هَكَذَا هِيَ صَلَاةُ الثَّقَلَيْنِ (وَصَلِّ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ أَيْ كُلِّ هَوْلَاءٍ قَدْ عَلِمَ صَلَاتُهُ الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ صَلَاتُهُ أَيُّ صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِنَفْسِ وَجُودِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِ فِي ذَلِكَ وَ

قوله وَتَسْبِيحُهُ الضمير يعود في تسبيحه على كل أي ما يسبح ربه به وهو صلاته له فوصف الحق نفسه بالصلاة وما وصف نفسه بالتسبيح فعم بهذه الآية العالم الأعلى والأسفل وما بينهما (وصل) من غيرة الله أن تكون لمخلوق على مخلوق منة لتكون المنة لله ما خلق مخلوقا إلا وجعل لمخلوق عليه يدا بوجه ما فإن أراد الفخر لمخلوق على مخلوق بما كان منه إليه نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر إليه فالعارفون مثل الأنبياء والرسل والكمل من العلماء بالله لا يختر لهم ذلك لمعرفةهم بحقائق الأمور وما ربط الله به العالم وما يستحقه جلاله مما ينبغي أن يفرد به ولا يشارك فيه فنصب الأسباب وأوقف الأمور بعضها على بعض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِ عِنْدَمَا ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاهُمْ بِهِ قَالَ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا لَقَلَّمْ وَجَدْنَاكَ طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ وَضَعِينَا فَنَصَرْنَاكَ الْحَدِيثُ فَذَكَرَ مَا كَانَ مِنْهُمْ فِي حَقِّهِ وَكَانَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى نَصْرِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَلَكِنْ فَعَلَ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ لَمَّا جَبَلَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ فَقَالَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ فَمَنْ هَذَا يُفَخِّرُ وَيَدُّ مِنْهُ يَتَعَرَّضُ فِيهَا عِلَّةٌ وَمَرَضٌ لَكِنْ عَصَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ فِي مَقَابَلَةِ هَذِهِ الْعِلَّةِ دَوَاءً كَمَا هِيَ أَيْضًا دَوَاءً لَمَّا هُوَ لَهَا دَوَاءً فَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ إِنْ افْتَخَرْنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ عَلَى طَرِيقِ الْمُنَّةِ وَجَدْنَاهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْنَا حِينَ أَمَرَ بِذَلِكَ وَإِنْ تَصَوَّرَ فِي الْجَوَازِ الْعَقْلِيُّ أَنَّ يَمْتَنَ بِصَلَاتِهِ عَلَيْنَا مَنَعْتَهُ مِنْ ذَلِكَ صَلَاتِنَا عَلَيْهِ أَنْ يَذَكَرَ هَذَا مَعَ كَوْنِهِ السَّيِّدِ الْأَعْظَمِ وَلَكِنْ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ سُبْحَانَهُ الْمُنَّةَ عَلَى خَلْقِهِ لِيَكُونَ هُوَ سُبْحَانَهُ الْمُنْعَمُ الْمَمْتَنُ عَلَى عِبَادِهِ بِجَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ وَمَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي حَقِّ اللَّهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ فَاجْعَلْ بِالكَ لَمَّا نَهَيْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَبِمَرَاتِبِ مَا سِوَى اللَّهِ إِنْ كُنْتَ فَطِنًا (وصل) اعلم أن الله قد ربط إقامة الصلاة بأزمان وهي الأوقات المفروض فيها إقامة الصلوات المفروضات فقال تعالى فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا وَرَبَطَهَا بِأَمَاكِنَ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ قَالَ تَعَالَى فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعُ أَيُّ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ حَتَّى تَتَمَيَّزَ الْبُيُوتَ الْمُنَسَّوبَةَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْبُيُوتِ الْمُنَسَّوبَةَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ وَيَذَكَرُ فِيهَا اسْمُهُ بِالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالتَّلَاوَةِ وَالتَّذَكُّرِ وَالْمَوْعِظَةِ يُسَبِّحُ يَقُولُ يَصَلِّي لَهْ فِيهَا أَيُّ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ وَلَمْ يَذَكَرِ النِّسَاءَ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَضَمَّنُ الْمَرْأَةَ فَإِنْ حَوَّاهُ جِزَاءً مِنْ آدَمَ فَانْكَرْتُمْ بِذِكْرِ الرَّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ تَشْرِيفًا لِلرِّجَالِ وَتَنْبِيْهُهَا عَلَى لِحَاقِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ فَسَمِيَ النِّسَاءَ هُنَا رِجَالًا فَإِنَّ دَرَجَةَ الْكَمَالِ لَمْ تَحْجُرْ عَلَيْهِمْ بَلْ يَكْمَلْنَ كَمَا تَكْمَلُ الرِّجَالُ وَتَبَيَّنَ فِي الْخَبَرِ كَمَالُ مَرْيَمَ وَأَسِيَّةِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ فَقَالَ لَا تُلْهِمِهِمْ تِجَارَةً أَيْ لَا تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ فَالتِّجَارَةُ أَنْ يَبِيعَ وَيَشْتَرِيَ مَعًا وَالتَّبِيعُ أَنْ يَبِيعَ فَقَطْ فَمَدَّحَهُمُ بِالتِّجَارَةِ وَهُوَ التَّبِيعُ وَالتَّبِيعُ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِالتِّجَارَةِ فِيهِ قَالَ تَعَالَى هَلْ أَذْكَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَقَالَ فِي التَّبِيعِ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَهُوَ الثَّمَنُ وَجَعَلَهَا الثَّمَنَ لِلْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي الْخَصْمِينَ مِنَ الظَّالِمِ وَالْمُظْلَمِ إِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُظْلَمَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ فَيَنْظُرُ إِلَى عُلِيِّنَ فَيَرَى مَا يَبْهَرُهُ حَسَنَهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَأَيِّ نَبِيِّ هَذَا لَأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ قَالَ وَمَنْ يَمْلِكُ ثُمَّ هَذَا قَالَ أَنْتَ بَعْفُوكَ عَنْ أَخِيكَ هَذَا فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَيَقُولُ خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ وَمَا أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث تلافاً تقوا الله وأصلحوا

ذات بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَصْلِحُ بَيْنَ عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْمُؤْمِنُ مَدْرُوحٌ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّجَارَةِ وَالْبَيْعِ فِيمَا مَلَكَ بَيْعَهُ وَ مَا صَرَحَ اللَّهُ فِيهِ بِأَنَّهُ يَشْتَرِي خَاصَّةً فَإِنَّ التَّجَارَةَ مَعَاوِضَةٌ وَقَبْضُ ثَمَنِ الْبَيْعِ بَيْعٌ مَا يَمْلِكُهُ وَالشِّرَاءُ شُرَاءٌ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ وَ مَا وَصَفَ بِالشِّرَاءِ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَنْ أَشْهَدَهُمُ اللَّهُ عَنِ جَنَابَةِ فَقَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ وَقَالَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا وَالسَّبَبُ فِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ مَا وَصَفَهُ اللَّهُ بِالشِّرَاءِ فَإِنَّهُ خَلَقَهُ اللَّهُ وَ مَلَكَهُ جَمِيعٌ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ الَّذِي هُوَ مَسْكَنُهُ وَ مَحَلُّهُ فَقَالَ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَجَمِيعٌ مَا فِي الْأَرْضِ مَلَكَهُ فَمَا بَقِيَ لَهُ مَا يَشْتَرِيهِ وَ حَجَرَ عَلَيْهِ الضَّلَالََةَ وَ هِيَ صِفَةٌ عَدَمِيَّةٌ فَإِنَّهَا عَيْنُ الْبَاطِنِ وَ هُوَ عَدَمٌ وَ لَمْ يَأْمُرْنَا اللَّهُ بِتَبَاعِهِ فَإِنَّهُ مِنَ الْعَدَمِ خَرَجْنَا إِلَى الْوُجُودِ فَلَا نَطْلُبُ مَا خَرَجْنَا مِنْهُ هَذَا تَحْقِيقُهُ لِأَنَّهُ خَلَقْنَا لِعَبْدِهِ فَإِذَا اشْتَرَيْنَا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَقَدْ اخْتَرْنَا الْعَدَمَ عَلَى الْوُجُودِ وَ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي خَلَقْنَا لَهُ فَلَمْ يَصِفِ الْمُؤْمِنَ بِالشِّرَاءِ وَ مِمَّا مَلَكَهُ اللَّهُ مَا هُوَ مَبَاحٌ لَهُ وَ مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ إِنْ لَا يَخْرُجُهُ وَ لَا يَبِيعُهُ وَ هِيَ الْوَاجِبَاتُ وَ الْفَرَائِضُ فَيَبِيعُ صِنْفَ الْمَبَاحَاتِ بِالْوَاجِبَاتِ فَلِهَذَا شَرَعَ لَهُ الْبَيْعُ فِيمَا أُبِيحَ لَهُ بَيْعُهُ فَالْمُؤْمِنُ الْكَيْسُ الْفَطْنُ يَنْظُرُ الْوَقْتَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ بِحَكْمِ الْإِبَاحَةِ يَقُولُ مَا لِي رِبْحٌ فِي هَذَا الْمَلِكِ وَ الدُّنْيَا دَارُ تِجَارَةٍ فَلَنْبِعَ هَذَا الْمَبَاحَ بِوَاجِبٍ فَهُوَ أَوْلَى بِي وَ لَا تَخْسِرُ وَقْتِي فَيَكُونُ فِي فَرْجَةٍ مَعَ إِخْوَانِهِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَحِبُّ أَنْ أُبِيعَ هَذَا الْمَبَاحَ بِوَاجِبٍ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ إِلَيْكَ فَيَبِيعُ الْفَرْجَةَ بِالْإِعْتِبَارِ فِيمَا يُعْطِيهِ ذَلِكَ الْمَكَانُ مِنَ الْحَسَنِ وَ الْجَمَالِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَفَكِّرُ فِي حَسَنِ خَلْقِ اللَّهِ وَ كَمَالِهِ وَ جَمَالِهِ فَتَكُونُ فَرْجَتُهُ أُمَّمٌ وَ أَفْرَحُ لِقَلْبِهِ وَ لَيْسَ مِنَ الْمَبَاحِ فِي شَيْءٍ فَإِنَّهُ قَدْ بَاعَهُ بِهَذَا الْوَاجِبِ فَاعْتَبَرَ الْحَقَّ جَانِبَ الْبَيْعِ وَ لَمْ يَعْتَبِرْ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ جَانِبَ الْإِبْتِيعِ فَكَانَ الْمُؤْمِنُ مَلِكٌ حَلَّةُ الْإِبَاحَةِ وَ حَلَّةُ الْوُجُوبِ فَخَلَعَ عَنْ نَفْسِهِ حَلَّةَ الْإِبَاحَةِ وَ لَيْسَ حَلَّةُ الْوُجُوبِ وَ كِلَاهُمَا لَهُ فَسُمِّيَ خَلَعَهُ لَهَا بَيْعًا وَ مَا سُمِّيَ لِبَاسِهِ لِلْوُجُوبِ شِرَاءً فَإِنَّهَا مَلَكَهُ وَ رَحَلَهُ وَ مَتَاعَهُ وَ الْإِنْسَانَ لَا يَشْتَرِي مَا يَمْلِكُهُ وَ لَمَّا حَجَرَ اللَّهُ الضَّلَالََةَ عَلَى خَلْقِهِ وَ رَجَحَ مِنْ رَجْحِ مَنْهُمْ الضَّلَالََةَ عَلَى الْهُدَى اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَمْلِكُونَهَا بِالْهُدَى الَّذِي مَلَكَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ فِي ذَلِكَ الشِّرَاءِ لِأَنَّ اللَّهَ مَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ الشِّرَاءَ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ قَوْلِهِ وَ لَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَيْ لَا يَلْبِغُهُمْ شَيْءٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ حِينَ سَمِعُوا الْمُؤَذِّنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ حَاجِبُ الْبَابِ فَقَالَ لَمْ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ أَيْ أَقْبَلُوا عَلَى مَنَاجَاةِ رَبِّكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ فِي صَدْرِ بَيْتِهِ وَ هِيَ الْقِبْلَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فِي قِبْلَةِ الْعَبْدِ فَبَادِرَ أَهْلَ اللَّهِ مِنْ بَيْعِهِمْ وَ تِجَارَتِهِمُ الْمَعْلُومَةَ فِي الدُّنْيَا إِلَى هَذَا الذِّكْرِ عِنْدَ مَا سَمِعُوهُ فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ أَيْ أَمَمُوا نَشَأَتِهَا حِينَ أَنْشَأَهَا بِحَسَنِ الْإِتْمَامِ بِأَمَامِهِمْ وَ حَسَنِ الرُّكُوعِ وَ السُّجُودِ وَ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مَا فِيهَا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ بِسَبَبِ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ فَإِنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْهِ التَّصَرُّفَ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ مَا دَامَ فِي الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الْإِحْرَامُ نَهَاها عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ فَانْتَهَى فَصَحَّ لَهُ أَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِأَمْرِ اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ وَ أُجْرٌ مِنْ انْتِهَى عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي نَفْسِ الصَّلَاةِ وَ إِنْ كَانَ لَمْ يَبْنُ ذَلِكَ وَ انْظُرْ مَا أَشْرَفَ الصَّلَاةَ كَيْفَ أَعْطَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْعَجِيبَةَ وَ هِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَصَرَّفَ فِي وَاجِبٍ فَإِنَّ لَهُ ثَوَابًا مِنْ تَصَرُّفٍ فِي وَاجِبٍ وَ يَتَضَمَّنُ شُغْلَهُ بِذَلِكَ الْوَاجِبِ عَدَمَ التَّفَرُّغِ لَمَّا نَهَى عَنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ فَيَكُونُ لَهُ ثَوَابٌ مِنْ نَوَى أَنْ لَا يَفْعَلَ فَحْشَاءً وَ لَا مَنْكَرًا فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ تَارِكُونَ مَا لَهُمْ هَذَا النَّظَرُ لِعَدَمِ الْحُضُورِ بِاسْتِحْضَارِ الْأُولَى وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ

الأمر كذلك لما أعطى فائدة في قوله إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالصَّلَاةُ فعل العبد فهو بصلاته ممن ينهى عن الفحشاء والمنكر فيكون له بالصلوة أجر ممن ينهى عن الفحشاء والمنكر وهو لم يتكلم فله أجر عبادتين أجر الصلاة وهي عبادة وأجر النهي عن الفحشاء وهو عبادة وقليل من أصحابنا من يجعل ذهنه في عبادته إلى أمثال هذه المراقبات في التعريف الإلهي على لسان الشارع في الكتاب والسنة ثم قال وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ يعني فيها فهو أكبر من جملة أفعالها فإنها تشتمل على أقوال وأفعال فقال ولذكر الله في الصلاة أكبر أحوال الصلاة وما كل أقوال الصلاة ذكر فإن فيها الدعاء وقد فرق الحق بين الذكر والدعاء فقال من شغله ذكرى عن مسألتي وهي الدعاء فما هو الذكر هنا الذكر الخارج عن الصلاة حتى ترجحه على الصلاة إنما هو الذكر الذي في الصلاة فهذا من ربط الصلاة بالمكان والحال ومن أحوال إقامة الصلاة فيمن أمر غيره بالبر ونسي نفسه توبيخ الله من هذه صفة وجعله إياه بمنزلة من لا عقل له فقال أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ والبر من جملة أحوال الصلاة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقرت الصلاة بالبر والسكينة ثم أمر من هذه صفة أن يستعين بالصبر والصلاة يعني بالصبر على الصلاة فقدم حبس النفس عليها فإن الله يقول وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا فأنث يريد الصلاة وأما قوله وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ فَإِنَّكُمْ تَجِدُونَ فِيهِ قَوْلَهُ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ في أثر قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ وهذه حالة من أمر بالبر غيره ونسي نفسه أَفَلَا تَعْقِلُونَ يقول أما لكم عقول تنظرون بها قبيح ما أنتم عليه ثم ذكر الخشوع للصلاة فقال وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ فَإِنَّ الْخَاشِعِينَ اللَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ تَجَلَّى وَالصَّلَاةُ مَنَاجَاةٌ فَلَا بَدَّ مِنْ تَجَلَّى إِنْ رَأَيْتَهُ خَاشِعًا وَإِنْ لَمْ يَخْشَعْ فِي صَلَاتِهِ فَمَا صَلَّى فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعَلَ التَّجَلَّى الْإِلَهِي سَبَبًا لَوْجُودِ الْخُشُوعِ فِي الْقَلْبِ وَلَا سِيمَا فِي الصَّلَاةِ وَالتَّجَلَّى لِأَكْثَرِ النَّاسِ إِمَّا بِالْحُضُورِ وَهُوَ لِأَفْرَادٍ وَإِمَّا بِالِاسْتِحْضَارِ الْخَيَالِيِّ وَهُوَ الْغَالِبُ فِي عَمُومِ الْخَوَاصِّ فَإِنَّ اللَّهَ فِي قِبَلَةِ الْمُصَلِّيِ وَأَمَّا خُشُوعُ الْأَكْبَرِ الَّذِينَ تَحَقَّقُوا بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى فَخُشُوعُهُمْ عَنِ التَّجَلَّى الْحَقِيقِيِّ فَهَمَّ فِي صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَإِنْ أَكَلُوا وَشَرَبُوا وَنَكَحُوا وَتَجَرَّوْا فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا كَانُوا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِالصَّلَاةِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا فَإِنَّ الْمُصَلِّيَّ يَنَاجِي رَبَّهُ إِذَا حَصَلَ الْعَبْدُ فِي مَحَلِّ الْمَنَاجَاةِ مَعَ رَبِّهِ دَائِمًا اسْتَلْزَمَهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ فَلَا يَتِمَكَّنُ لَهُ أَنْ يَأْمُرَ أَحَدًا بِبِرٍّ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مِنْهُ بَلْ يَتَدَيُّ بِنَفْسِهِ وَالْبِرُّ هُوَ الْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَحْتَاجًا لِلْقَمَةِ يَأْكُلُهَا وَيَرَى غَيْرَهُ مَحْتَاجًا إِلَيْهَا وَالْحَاجَةُ عَلَى السَّوَاءِ فَيُعْطِي غَيْرَهُ وَيَنْسَى نَفْسَهُ وَقَدْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أِبْدَأْ بِنَفْسِكَ وَشَرَعَ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى فِي الدُّعَاءِ إِذَا دَعَا اللَّهُ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ أَحَقُّ وَغَدَاءُ الْأَرْوَاحِ الطَّاعَاتِ فَهِيَ مَحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا وَمِنْ جَمَلَةِ طَاعَاتِهَا الْأَمْرُ بِالطَّاعَاتِ فَيَقُومُ هَذَا الْعَاقِلُ الْقَلِيلُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ فَيَأْمُرُ غَيْرَهُ بِالْبِرِّ وَهُوَ عَلَى الْفُجُورِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ فَلَا يَأْمُرُهَا بِذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَغْذِي غَيْرَهُ وَيَتْرِكُ نَفْسَهُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ الْغَدَاءِ وَنَفْسُهُ أَوْجِبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْغَيْرِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا أَبْنَاهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (وصل) وذلك أن جميع الخيرات صدقة على النفوس أي خير كان حسا ومعنى فينبغي للمؤمن أن يتصرف في ذلك بشرع ربه لا بهواه فإنه عبد مأمور تحت أمر سيده فإن تعدى شرع ربه في ذلك لم يبق له تصرف إلا هو نفسه فسقط عن تلك الدرجة العلية إلى ما هو دونها عند العامة من المؤمنين وأما عند

العارفين فهو عاص فإذا خرج الإنسان بصدفته فأول محتاج يلقاه نفسه قبل كل نفسه محتاجة وهو إنما أخرج الصدقة للمحتاجين فإن تعدى أول محتاج فذلك لهواه لا لله فإن الله قال له ابدأ بنفسك وهي أول من يلقاه من أهل الحاجة وقد شرع له في الإحسان أن يبدأ بالجار الأقرب فالأقرب فإن رجح إلا بعد في الجيران على الأقرب مع التساوي في الحاجة فقد اتبع هواه وما وقف عند حد ربه وهذا سار في جميع أفعال البر وسبب ذلك الغفلة عن الله تعالى فأمر بالصفة التي تحضره مع الله وهي الصلاة (وصل) ومن تأثير الصلاة بالحال قول الله للمؤمنين فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ فَأمرهم بالذكر والشكر أمرهم أن يستعينوا على ذلك بالصبر والصلاة وأخبرهم إن الله مع الصَّابِرِينَ عَلَيْهَا وَعَلَى كُلِّ مَشَقَّةٍ تَرْضِي اللَّهُ مِمَّا كَلَّفَ عِبَادَهُ بِهَا لِأَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْمَشْرُوطَةِ بِالْمَشَقَّاتِ وَالْمَكَارِهِ وَالشَّدَائِدِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْحَسِيَّةِ وَجَعَلَ الصَّبْرَ هُنَا لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَالتَّطَابُقِ فِي قَوْلِهِ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ وَالشُّكْرَ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْمَشْرُوطَةِ بِالنِّعْمَاءِ وَالْحُبَّةِ لَيْسَ لِلْبَلَاءِ فِي الشُّكْرِ دَخُولٌ وَلَا لِلصَّبْرِ فِي النِّعْمِ دَخُولٌ كَمَا يَرَاهُ مِنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِمَجْتَابِ الْأُمُورِ فَالصَّلَاةُ هُنَا وَالصَّبْرُ عَلَيْهَا وَهُوَ الدَّوَامُ وَالثَّبَاتُ وَحَسْبُ النَّفْسِ عَلَيْهَا مَوْثِرَةٌ فِي الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ فَالصَّبْرُ هُنَا هُوَ قَوْلُهُ وَأَمْرًا هَلَكًا بِالصَّلَاةِ وَاصْطِطِيرَ عَلَيْهَا فَلِذَلِكَ ذَكَرَ الصَّبْرَ مَعَ الصَّلَاةِ فَكَمَا يُوَثِّرُ الصَّبْرَ عَلَى الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ فِي الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ كَذَلِكَ يُوَثِّرُ فِي الصَّلَاةِ سِوَاهُ وَتُوَثِّرُ الصَّلَاةُ مِنْ حَيْثُ الصَّبْرُ عَلَيْهَا فِي الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ وَمِنْ حَيْثُ هِيَ صَلَاةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ مَنَاجَاةً بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ فَإِذَا نَاجَى الْعَبْدُ رَبَّهُ فَأَوْلَى مَا يَنَاجِيهِ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ كَلَامَهُ الَّذِي شَرَعَ لَهُ أَنْ يَنَاجِيَهُ بِهِ وَهُوَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي أَحْوَالِ الصَّلَاةِ مِنْ قِيَامٍ وَهُوَ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ وَمَا تَيْسَّرَ مَعَهَا مِنْ كَلَامِهِ وَمِنْ رُكُوعٍ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فِي رُكُوعِهِ فَهُوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ فِي صَلَاتِهِ بِكَلَامِهِ الْمُنْزَلِ وَكَذَلِكَ فِي سُجُودِهِ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ فَأَمَرْنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَالْفَاتِحَةَ تَجْمَعُ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ وَهِيَ الَّتِي يَقْرَأُهَا الْمُصَلِّي فِي قِيَامِهِ فَالشُّكْرُ فِيهَا قَوْلُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهُوَ عَيْنُ الذِّكْرِ بِالشُّكْرِ إِلَى كُلِّ ذِكْرٍ فِيهَا وَفِي سَائِرِ الصَّلَاةِ فَذَكَرَ اللَّهُ فِي حَالِ الصَّلَاةِ وَشُكْرَهُ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَشُكْرِهِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ خَيْرَ مَوْضِعٍ الْعِبَادَاتِ وَقَدْ أَثَرَتْ هَذِهِ الصَّلَاةُ فِي الذِّكْرِ هَذَا الْفَضْلُ وَهُوَ يَعُودُ عَلَى الذَّاكِرِ وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَشْكُرَهُ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ أَنْ يَكُونَ مُصَلِّيًا وَذَاكَرًا بِكُلِّ ذِكْرٍ نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ يَخْتَرِعُهُ لَمْ يَخْتَرِعْهُ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمُنَاسِبَةُ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ فِي ذِكْرِهِ لِلْعَبْدِ وَبَيْنَ ذِكْرِ الْعَبْدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ هُنَا مَا ذَكَرَهُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا نَوَاهُ وَإِنْ صَادَفَهُ بِاللَّفْظِ وَلَكِنْ هُوَ غَيْرُ مَقْصُودٍ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الذِّكْرَ بِالْقُرْآنِ جَاءَ فِي الصَّلَاةِ فَالتَّحَقُّقُ بِالذِّكْرِ الْوَاجِبَةِ وَالذِّكْرُ الْوَاجِبَةُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ فَإِنَّ الْعَبْدَ مَأْمُورٌ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ وَلِهَذَا أُوجِبَهَا مِنْ أَوْجِبَهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِالتَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ بِمَا نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ

قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم واجعلوها في سجودكم فأمر والمصلي ما أمر أن يسبح الله ثلاثة فما زاد في ركوعه بما أمر به وفي سجوده ثلاثة فما زاد بما أمر به وذلك أدناه وأمره محمول على الوجوب ولهذا رأى بعض العلماء وهو إسحاق بن إبراهيم بن راهويه أن ذلك واجب وأنه من لم يسبح ثلاث مرات في ركوعه وسجوده لم تجز صلاته وقال الله تعالى استعينوا على ذكركم وشكركم بالصبر والصلاة فلو لا ما علم الحق أن الصلاة معينة للعبد لما أمره بها فأنزلها منزلة نفسه فإن الله قال للعبد قل وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ يعني في عبادتك فجعل للعبد أن يستعين بربه وأمره أن يستعين في ذكره وشكوه بالصلاة فأنزل الصلاة منزلة نفسه وفي معونة العبد على ذكره وشكوه وناهيك يا ولي الله من حالة وصفة وحركات وفعل أنزله الحق في أعظم الأشياء وهو ذكر الله منزلة نفسه فكأنه من دخل في الصلاة فقد التبس بالحق والحق هو النور ولهذا قال الصلاة نور فأنزلها منزلة نفسه قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرّة عيني في الصلاة وقرّة عيني ما تسره عند الرؤية والمشاهدة فالمصلي متلبس في صلاته بالحق مشاهد له مناخ فجمعت الصلاة بين هذه الثلاثة الأحوال وكذلك قوله في هذه الآية وأشكروا لي يقال شكرته وشكرت له فشكرته نص في أنه المشكور عينه وقوله وشكرت له فيه وجهان الوجه الواحد أن يكون مثل شكرته والوجه الثاني أن يكون الشكر من أجله فإذا كان الشكر من أجله يقول له سبحانه اشكر من أولئك نعمة من عبادي من أجلي ليكون شكره للسبب عين شكره لله فإنه شكره عن أمره وجعل المنعم هنا نائباً عن ربه وطاعة النائب طاعة من استخلفه من يطع الرسول فقد أطاع الله فلماذا قال سبحانه وأشكروا لي ولم يقل وأشكروني ليعم الحالتين وقال في الوجهين اسعيتوا في ذلك بالصبر والصلاة كما أمر بالمعونة فيما يجب الشكر وهو الإحسان بالإتمام فقال وتعاونوا على البر وهو الإحسان بالتقوى أي اجعلوا ذلك وقاية وهي مناسبة للصلاة فإن الصلاة وقاية عن الفحشاء والمنكر ما دام العبد متلبساً بها فإن الله سمي نفسه بالواقى والصلاة واقية والعبد متلبس بصلاته وهي وقاية ما ذكرناه والله هو الواقى فانظر ما أشرف حال الصلاة لمن نظر واستبصر فالسعيد من ثابر عليها وحافظ وداوم ومن شرفها أن الله ما علق الوعيد إلا بمن سها عنها لا فيها فقال قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ولم يقل في صلاتهم فإن العبد في صلاته بين مناخ ومشاهد فقد يسهو عن مناجاته لاستغراقه في مشاهدته وقد يسهو عن مشاهدته لاستغراقه في مناجاته مما يناجيه به من كلامه ولما كان كلامه سبحانه مخبراً عما يجب له من صفات التنزيه والثناء ومخبراً عما يتعلق بالأكوان من أحكام وقصص وحكايات ووعود ووعيد جال الخاطر في الأكوان لدلالة الكلام عليها وهو ما مور بالتدبير في التلاوة فرمما استرسل في ذلك الكون لمشاهدته إياه فيه فيخرج من كون ذلك الكون المذكور في القرآن إلى عينه خاصة لا من كونه المذكوراً لله على الحد الذي أخبر به عنه فيسمى مثل هذا إذا أثر شكاً له في صلاته فلا يدري ما مضى من صلاته فشرع إن يسجد سجدتي سهو يرغم بهما الشيطان ويجبر بهما النقصان ويشفع بهما الرجحان فتضاعف صلاته فيضاعف الأجر وذلك في النفل والفرض سواء وما توعده الله بمكروه من سها في صلاته فمن تنبه لما ذكرناه وأومأنا إليه يعلم فضل الله ورحمته بعباده والناس عن مثل هذا غافلون فلا يعرف شرف العبادات إلا عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ولا برهان جعلنا الله

وإياكم ممن صبر و صلى وسبق و ما صلى بمنه و يمنه

(وصل في اختلاف الصلاة)

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يختلف حكمها باختلاف أحوال المصلي إذا كان المصلي مخلوقا والمصلي له وتختلف باختلاف المصلي عليه إذا كان المصلي هو الله تعالى فأما الأول فمعلوم إن الإنسان محل التغيير و اختلاف الأحوال عليه فتختلف صلته لاختلاف أحواله و قد تقدم من اختلاف أحوال المصلين ما قد ذكرناه في هذا الباب مثل صلاة المريض و صلاة الخائف و أن اختلافها باختلاف حال المصلي من أجله مثل صلاة الكسوف و صلاة الاستسقاء و أما اختلافها باختلاف المصلي عليه فمثل صلاة الحق على عباده قال تعالى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ فَسَأَلَ الْمُؤْمِنُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم أي مثل صلواتك على إبراهيم و على آل إبراهيم فهذا يدل على اختلاف الصلاة الإلهية لاختلاف أحوال المصلي عليهم و مقاماتهم عند الله و يظهر من هذا الحديث فضل إبراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلب أن يصلي عليه مثل الصلاة على إبراهيم فاعلم إن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن و جاء الإعلام في تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا الصلاة عليه بزيادة الصلاة على آل فما طلب صلى الله عليه وسلم الصلاة من الله عليه مثل صلته على إبراهيم من حيث أعيانها فإن العناية الإلهية برسول الله صلى الله عليه وسلم أتم إذ قد خص بأمر لم يخص بها نبي قبله لا إبراهيم ولا غيره و ذلك من صلته تعالى عليه فكيف يطلب الصلاة من الله عليه مثل صلته على إبراهيم من حيث عينه وإنما المراد من ذلك ما أئنه إن شاء الله و ذلك أن الصلاة على الشخص قد تصلي عليه من حيث عينه و من حيث ما يضاف إليه غيره فكان الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره هي الصلاة من حيث المجموع إذ للمجموع حكم ليس للواحد إذا انفرد و اعلم أن آل الرجل في لغة العرب هم خاصته الأقربون إليه و خاصة الأنبياء و آلمهم هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون و قد علمنا إن إبراهيم كان من آله أنبياء و رسل الله و مرتبة النبوة و الرسالة قد ارتفعت في الشاهد في الدنيا فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته نبي يشرع الله له خلاف شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسول و ما منع المرتبة ولا حجرها من حيث لا تشريع ولا سيما و قد قال صلى الله عليه وسلم فيمن حفظ القرآن إن النبوة أدرجت بين جنبيه أو كما قال صلى الله عليه وسلم و قال في المبشرات إنها جزء من أجزاء النبوة فوصف بعض أمته بأنهم قد حصل لهم المقام و إن لم يكونوا على شرع يخالف شرعه و قد علمنا بما قال لنا صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكما مقسطا عدلا فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و لاننشك قطعاً أنه رسول الله و نبيه و هو ينزل فله عليه السلام مرتبة النبوة بلا شك عند الله و ما له مرتبة التشريع عند نزوله فعلمنا بقوله صلى الله عليه وسلم إنه لا نبي بعدي و لا رسول و أن النبوة قد انقطعت و الرسالة إنما يريد بهما التشريع فلما كانت النبوة

أشرف مرتبة وأكملها ينتهي إليها من اصطفاها الله من عباده علمنا إن التشريع في النبوة أمر عارض بكون عيسى عليه السلام ينزل فينا حكما من غير تشريع وهو نبي بلا شك فخفيت مرتبة النبوة في الخلق باقطلاع التشريع ومعلوم أن آل إبراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده مثل إسحاق ويعقوب ويوسف ومن اتسل منهم من الأنبياء والرسل بالشرائع الظاهرة الدالة على إن لهم مرتبة النبوة عند الله أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحق أمته وهم آله العلماء الصالحون منهم بمرتبة النبوة عند الله وإن لم يشعروا ولكن أبقى لهم من شرعه ضربا من التشريع فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد أي صل عليه من حيث ما له آل كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أي من حيث إنك أعطيت آل إبراهيم النبوة تشريفا لإبراهيم فظهرت نبوتهم بالتشريع وقد قضيت إن لا شرع بعدي فصل علي وعلى آلي بأن تجعل لهم مرتبة النبوة عندك وإن لم يشعروا فكان من كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ألحق آله بالأنبياء في المرتبة وزاد على إبراهيم بأن شرعه لا ينسخ وبعض شرع إبراهيم ومن بعده نسخت الشرائع بعضها بعضا وما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه على هذه الصورة إلا بوحى من الله وبما أراه الله وأن الدعوة في ذلك مجابة فقطعنا أن في هذه الأمة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله لا في التشريع ولهذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكد بقوله فلا رسول بعدي ولاني فأكد بالرسالة من أجل التشريع فأكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعل آله شهداء على أمة الأنبياء كما جعل الأنبياء شهداء على أمتهم ثم إنه خص هذه الأمة أعني علماءها بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم وتعبدهم به وتعبد من قلدتهم به كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم ولم يكن مثل هذا لأمة نبي ما لم يكن نبي بوحى منزل فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم كما قال لنبية صلى الله عليه وسلم لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَالْجَهْدُ مَا حَكَمَ إِلَّا بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فِي اجْتِهَادِهِ فَهَذِهِ نَفَحَاتٌ مِنْ نَفَحَاتِ التَّشْرِيعِ مَا هُوَ عَيْنُ التَّشْرِيعِ فَلَاكُلِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّةِ الْعُلَمَاءِ مَرْتَبَةَ النَّبِيِّ عِنْدَ اللَّهِ تَظْهَرُ فِي الْآخِرَةِ وَمَا لَهَا حَكْمٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا هَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْاجْتِهَادِ الْمَشْرُوعِ لَهُمْ فَلَمْ يَجْتَهِدُوا فِي الدُّنْيَا الْأَحْكَامَ إِلَّا بِأَمْرِ مَشْرُوعٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْاجْتِهَادِ لَهُمْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ كَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْأَلِّ فَلَا تَخِيلُ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ أَهْلُ بَيْتِهِ خَاصَّةً لَيْسَ هَذَا عِنْدَ الْعَرَبِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ يَرِيدُ خَاصَّةً فَإِنَّ الْآلَ لَا يُضَافُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا لِلْكَبِيرِ الْقَدْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلِهَذَا قِيلَ لَنَا قَوْلُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ أَيَّ مِنْ حَيْثُ مَا ذَكَرْنَاهُ لَا مِنْ حَيْثُ أَعْيَانُهُمَا خَاصَّةً دُونَ الْجَمْعِ فِيهِ صَلَاةٌ مِنْ حَيْثُ الْجَمْعُ وَذَكَرْنَاهُ لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ بِالزَّمَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ عِنْدَ اللَّهِ كَيْفَ تَحْمِلُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ كَالصَّلَاةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ حَيْثُ أَعْيَانُهُمَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ هِيَ عَنْ وَاقِعَةِ إلهِيَةِ مِنْ وَقَاعَتِنَا فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ عُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَأَنْبِيَاءِ سَائِرِ الْأُمَمِ وَفِي رَوَايَةِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنْ كَانَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ لَيْسَ بِالْقَائِمِ وَلَكِنْ أوردناه تَأْنِيسًا

للسامعين أن علماء هذه الأمة قد التحقت بالأنبياء في الرتبة وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم في قوم يوم القيامة تنصب لهم منابر يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء ويعني بالشهداء هنا الرسل فإنهم شهداء على أممهم فلا يريد بهؤلاء الجماعة من ذكرناهم وغبطهم إياهم فيما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف في ذلك الموطن والأنبياء والرسل وعلماء هذه الأمة الصالحون الوارثون درجات الأنبياء خائفون وجلون على أممهم وأولئك لم يكن لهم أمم ولا أتباع وهم آمنون على أنفسهم مثل الأنبياء على أنفسهم آمنون وما لهم أمم ولا أتباع ويخافون عليهم فارتفع الخوف عنهم في ذلك اليوم في حق نفوسهم وفي حق غيرهم كما قال تعالى لا يحزُّهُمْ الفزعُ الأكبرُ يعني على نفوسهم وغيرهم من الأنبياء والعلماء ولكن الأنبياء والعلماء يخافون على أممهم وأتباعهم ففي مثل هذا تغبطهم في ذلك الموقف فإذا دخلوا الجنة وأخذوا منازلهم تبينت المراتب وتعينت المنازل وظهر عليهم لأولي الأبواب فهذه مسألة عظيمة الخطر جليلة القدر لم نر أحداً ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما وقع لنا في هذه الواقعة إلا أن كان وما وصل إلينا فإن لله في عباده أخفيا لا يعرفهم سواه والله يقولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فقد تبين لك أن صلاة الحق على عباده باختلاف أحوالهم فالله يجعلنا من أجلهم عنده قدرا ولا يحول بيننا وبين عبادتنا وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي اللهم صل على محمد بأن تجعل آله من أمته كما صليت على إبراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلا في المرتبة عندك وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم بما أعطيتهم من التشريع والوحي فأعطاهم الحديث فمنهم محدثون وشرع لهم الاجتهاد وقرره حكما شرعيا فأشبهت الأنبياء في ذلك فحقق ما أومأنا إليه في هذه المسألة تر الحق حقا انتهى

الجزء الخمسون

(باب الزكاة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السبعون في أسرار الزكاة)

النص في هذي و تلك على السواء	أخت الصلاة هي الزكاة فلا تقس
حملت على التقسيم عرش الاستوا	قامت على الثمين نشأتها لذا
شرعا و هو حكم من استوى	ولذاك تقسم في ثمانية من الأصناف
و على مقامهم العلى قد احتوى	جاء الكتاب بذكرهم و صفاتهم
و تقدست بصلاة من أخذ اللوا	فزكت بها أموالهم و ذواتهم
في جنسه و له العلو على السوي	ذاك النبي محمد خير الورى
يشكو القطيعة و الصباة و الجوى	نال المحبة من عنايته فما

قال الله تعالى آمرا عباده وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا والقرض هنا صدقة التطوع فورود ولذا سماها الله صدقة أي هي أمر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق أي صلب شديد قوي أي تجرد النفس لإخراج هذا المال لله شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب (وصل مؤيد) قال تعالى في حق ثعلبة بن حاطب وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ و ما أخبر الله تعالى عنه أنه قال إن شاء الله فلو قال إن شاء الله لفعل ثم قال تعالى في حقه فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ و ذلك أن الله لما فرض الزكاة جاء مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه زكاة غنمه فقال هذه أخية الجزية و امتنع فأخبر الله فيه بما قال فَاعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ فلما بلغه ما أنزل الله فيه جاء بركاته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه و لم يقبل صدقته إلى أن مات صلى الله عليه وسلم و سبب امتناعه صلى الله عليه وسلم من قبول صدقته أن الله أخبر عنه أنه يلقاه منافقا و الصدقة إذا أخذها النبي منه صلى الله عليه وسلم طهره بها و زكاه و صلى عليه كما أمره الله و أخبر الله أن صلواته سكن للمتصدق يسكن إليها و هذه صفات كلها تناقض النفاق و ما يجده المنافق عند الله فلم يتمكن لهذه الشروط أن يأخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة لما جاءه بها بعد قوله ما قال و امتنع أيضا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذها منه أبو بكر و عمر لما جاء بها إليهما في زمان خلافتها فلما ولي عثمان بن عفان الخلافة جاءه بها فأخذها منه متأولا لأنها حق الأصناف الذين أوجب الله لهم هذا القدر في عين هذا المال و هذا الفعل من عثمان من جملة ما انتقد عليه و ينبغي أن لا ينتقد على المجتهد حكم ما أداه إليه اجتهاده فإن الشرع قد قرر حكم المجتهد و رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى أحدا من أمرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته و قد ورد الأمر الإلهي بإيتاء الزكاة و حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا قد يفارق حكم غيره فإنه قد يختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر لا تكون لغيره لخصوص وصف إما تقتضيه النبوة مطلقا أو نبوته صلى الله عليه وسلم فإن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم في أخذ الصدقة نَطَّهْرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا و ما قال ينظرون و لا يتزكون بها فقد يكون هذا من خصوص وصفه و هو رءوف رحيم بأمته فلو لا ما علم أن أخذه يطهره و يزكاه بها و قد أخبره الله أن ثعلبة بن حاطب يلقاه منافقا فامتنع أدبا مع الله فمن شاء وقف لوقوفه صلى الله عليه وسلم كأبي بكر و عمر و من شاء لم يقف كعثمان لأمر الله بها العام و ما لم يلزم غير النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهر و يزكي مؤدي الزكاة بها و الخليفة فيها إنما هو وكيل من عينت له هذه الزكاة أعني الأصناف الذين يستحقونها إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى أحدا و لا أمره فيما توقف فيه و اجتنبه فساغ الاجتهاد و راعى كل مجتهد الدليل الذي أداه إليه اجتهاده فمن خطأ مجتهدا فما وفاه حقه و إن المخطئ و المصيب منهم واحد لا بعينه (وصل) اعلم أن الله تعالى لما قال الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ كان ذلك قبل فرض الزكاة التي فرض الله على عباده في أموالهم فلما فرض الله الزكاة على عباده المؤمنين طهر الله بها أموالهم و زال بأدائها اسم البخل من مؤديها فإنه قال فيمن أنزلت الزكاة من أجله فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فوصفهم بعدم قبول حكم الله فأطلق عليهم صفة البخل لمنعهم ما أوجب الله عليهم في أموالهم ثم فسر العذاب الأليم بما هو الحال عليه فقال تعالى يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ السَّائِلَ إِذَا رَأَى صَاحِبَ الْمَالِ مُقْبِلًا إِلَيْهِ انْقَبَضَتْ أَسَارِيرَ جَيْبِيهِ لَعَلَّمَهُ أَنَّهُ يُسْأَلُهُ مِنْ مَالِهِ فَتُكْوَى جِبْهَتَهُ فَإِنَّ السَّائِلَ يَعْرِفُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ إِنَّ الْمَسْئُولَ يَتَعَاظَلُ عَنِ السَّائِلِ وَيُعْطِيهِ جَانِبَهُ كَأَنَّهُ مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ مِنْهُ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَهُ فَإِذَا عَلِمَ مِنَ السَّائِلِ أَنَّهُ يَقْصِدُهُ وَلَا يَبْدَأُ عَطَاةَ ظَهْرِهِ وَانصرفت فأخبر الله أنه تكوى بها ظهورهم فهذا حكم مانعي الزكاة أعني زكاة الذهب والفضة وأما زكاة الغنم والبقر والإبل فأمر آخر كما ورد في النص أنه يطرح لها بقاع قرقر فتنتطحه بقرونها وتطأه بأظلافها وتعضه بأفواها فلماذا خص الجبابة والجنوب والظهور بالذكر في الكافي والله أعلم بما أراد فأَنْزَلَ اللَّهُ الزَّكَاةَ كَمَا قَلْنَا طَهْرًا لِلْأَمْوَالِ وَإِنَّمَا اشْتَدَّتْ عَلَى الْغَافِلِينَ الْجَهْلَاءُ لَكُونَهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّ الَّذِي عَيْنَ لِهَوْلَاءِ الْأَصْنَافِ مَلِكٌ لَهُمْ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَمَا عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى ذِمَّةٌ هِيَ لَهُمْ وَإِنَّهُ فِي أَمْوَالِهِمْ لَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَلَا يَتَعَيَّنُ لَهُمْ إِلَّا بِالْإِخْرَاجِ فَإِذَا مَيَّزُوهُ حِينَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَالِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ فِي مَالِهِمْ مَدْرَجًا هَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ مَا بَأَيْدِيهِمْ هُوَ مَالُهُمْ وَمَلِكٌ لَهُمْ فَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ لِقَوْمٍ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا يُؤَدُّونَهُ وَمَا لَهُ سَبَبٌ ظَاهِرٌ تَرَكْنَ النَّفْسَ إِلَيْهِ لَا مِنْ دِينٍ وَلَا مِنْ بَيْعٍ إِلَّا مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ادْخَالِ ذَلِكَ لَهُ ثَوَابًا إِلَى الْآخِرَةِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّفْسِ لِلْمَشَارَكَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ هَذَا مِنْهُمْ فِي جِبَلَةِ نَفْسِهِمْ أَخْرَجَ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الْأَمْوَالِ مِنْ أَيْدِيهِمْ بَلْ أَخْرَجَ جَمِيعَ الْأَمْوَالِ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَقَالَ تَعَالَى وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ أَيُّ هَذَا الْمَالِ مَا لَكُمْ مِنْهُ إِلَّا مَا تَتَفَقَّحُونَ مِنْهُ وَهُوَ التَّصَرُّفُ فِيهِ كَصُورَةِ الْوَكَالَةِ وَالْمَالُ لِلَّهِ وَمَا تَبْخُلُونَ بِهِ فَإِنَّكُمْ تَبْخُلُونَ بِمَا لَا تَمْلِكُونَ لَكُمْ فِيهِ خُلَفَاءٌ وَعَلَى مَا بَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ أَمْنَاءٌ فَنَبِيهِمْ بِأَنْهُمْ مُسْتَخْلَفُونَ فِيهِ وَذَلِكَ لِتَسْهِيلِ الصَّدَقَاتِ رَحْمَةً بِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ كَمَا أَمَرْنَاكُمْ أَنْ تَنْفَقُوا مِمَّا أَنْتُمْ مُسْتَخْلَفُونَ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ أَمَرْنَا رَسُولَنَا وَنَوَابِنَا فِيكُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَنَا بَأَيْدِيكُمْ مَقْدَارًا مَعْلُومًا سَمِينًا زَكَاةً يَعُودُ خَيْرًا عَلَيْكُمْ فَمَا تَصَرَّفُوا نَوَابِنَا فِيهَا هُوَ لَكُمْ مَلِكٌ وَإِنَّمَا تَصَرَّفُوا فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ مُسْتَخْلَفُونَ كَمَا أَيْضًا أَعْجَبْنَا لَكُمْ التَّصَرُّفَ فِيهِ فَلَمَّا ذَا يَصْعَبُ عَلَيْكُمْ فَالْمُؤْمِنُ لَا مَالَ لَهُ وَهُوَ الْمَالُ كُلُّهُ عَاجِلًا وَآجِلًا فَقَدْ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ الزَّكَاةَ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ صَدَقَةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى النَّفْسِ فَإِذَا أَخْرَجَ الْإِنْسَانَ الصَّدَقَةَ تَضَاعَفَ لَهُ الْأَجْرُ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ الْمَشَقَّةِ وَأَجْرَ الْإِخْرَاجِ وَإِنْ أَخْرَجَهَا عَنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ فَهَذَا فَوْقَ تَضَاعَفِ الْأَجْرِ بِمَا لَا يُقَاسُ وَلَا يُحَدُّ كَمَا وَرَدَ فِي الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ مَلْحَقٌ بِالْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ وَالَّذِي يَتَتَعَّعَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يَضَاعَفُ لَهُ الْأَجْرُ لِلْمَشَقَّةِ الَّتِي يَنَالُهَا فِي تَحْصِيلِهِ وَدَرَسِهِ فَلَهُ أَجْرُ الْمَشَقَّةِ وَأَجْرُ التَّلَاوَةِ وَالزَّكَاةُ بِمَعْنَى التَّطَهِيرِ وَالتَّقْدِيسِ فَلَمَّا أزالَ اللَّهُ عَنْ مَعْطِيهَا مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الْبَخْلِ وَالشَّحِّ عَلَيْهِ فَلَا حَكْمَ لِلْبَخْلِ وَالشَّحِّ فِيهِ وَبِمَا فِي الزَّكَاةِ مِنَ النَّمُوِّ وَالْبَرَكَةِ سَمِيَتْ زَكَاةً لِأَنَّ اللَّهَ يَرْبِيهَا كَمَا قَالَ وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ فَتَزَكُوا فَاخْتَصَّتْ بِهَذَا الْاسْمِ لَوْجُودِ مَعْنَاهُ فِيهَا فَفِي الزَّكَاةِ الْبَرَكَةُ فِي الْمَالِ وَطَهَارَةُ النَّفْسِ وَالصَّلَابَةُ فِي دِينِ اللَّهِ وَمَنْ أُوتِيَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَمَّا قَوْلُهُ فِيهَا إِنْ تَقَرَّضَهُ قَرْضًا حَسَنًا فَالْحَسَنُ فِي الْعَمَلِ أَنْ تَشْهَدَ اللَّهُ فِيهِ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَبِهَذَا فَسَّرَ الْإِحْسَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَهُ عَنْهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ إِنْ تَعَلَّمَ أَنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ وَإِنْ مَلَكَ إِيَّاهُ بِتَمْلِيكِ اللَّهِ وَبَعْدَ التَّمْلِيكِ نَزَلَ إِلَيْكَ

في الطافه إلى باب المقارضة يقول لك لا يغيب عنك طلبي منك القرض في هذا المال من أن تعرف أن هذا المال هو عين مالي ما هولك فكما لا يعز عليك ولا يصعب إذا رأيت أحدا يتصرف في ماله كيف شاء كذلك لا يعز عليك ولا يصعب ما أطلبه منك مما جعلتك مستخلفا فيه لعلمك بأني ما طلبت منك إلا ما أمنتك عليه لأعطيه من أشياء من عبادي فإن هذا القدر من الزكاة ما أعطيته قط لك بل أمنتك عليه و الأمين لا يصعب عليه أداء الأمانة إلى أهلها فإذا جاءك المصدق الذي هو رسول رب الأمانة ووكيلها أد إليه أمانته عن طيب نفس فهذا هو القرض الحسن فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إذا رأيته علمت أن المال ماله والعبد عبده والتصرف له ولا مكره له وتعلم أن هذه الأشياء إذا عملتها لا يعود على الله منها نفع وإذا أنت لم تعملها لا يتضرر بذلك وإن الكل يعود عليك فالزم الأحسن إليك تكن محسنا إلى نفسك وإذا كنت محسنا كنت متقيا أذى شح نفسك فجمع لك هذا الفعل الإحسان والتقوى فيكون الله معك فإن الله مع الذين اتقوا و الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ومن المتقين من يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ بِأداء زكاته ومن المحسنين من يعبدني كأنه يراني ويشهدني ومن شهوده إياي علمه أنني ما كلفته التصرف إلا فيما هولي وتعود منفعة عليه منه وفضلا مع الثناء الحسن له على ذلك وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (وصل إيضاح) واعلم أن الله فرض الزكاة في الأموال أي اقتطعها منها وقال لرب المال هذا القدر الذي عينته بالفرض من المال ما هولك بل أنت أمين عليه فالزكاة لا يملكها رب المال ثم إن الله تعالى أنزل نفوسنا منا منزلة الأموال منا في الحكم فجعل فيها الزكاة كما جعلها في الأموال فكما أمرنا بزكاة الأموال قال لنا في النفوس قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا كَمَا أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى مَالَهُ كَمَا أَحَقَّهَا بِالْأَمْوَالِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فجعل الشراء والبيع في النفوس والأموال وفي هذه الآية مسألة فقهية كذلك جعل الزكاة في الأموال والنفوس فزكاة الأموال معلومة كما سنذكرها في هذا الباب على التفصيل إن شاء الله وزكاة النفوس بوجه أبيض لك إن شاء الله أيضا على الأصل الذي ذكرناه أن الزكاة حق الله في المال والنفس ما هو حق لرب المال والنفس فنظرنا في النفس ما هو لها فلا تكليف عليها فيه بزكاة وما هو حق الله تلك الزكاة فيعطيه الله من هذه النفس لتكون من المفلحين بقوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فإذا نظرنا إلى عين النفس من حيث عينها قلنا ممكنة لذاتها لا زكاة عليها في ذلك فإن الله لا حق له في الإمكان يتعالى الله علوا كبيرا فإنه تعالى واجب الوجود لذاته غير ممكن بوجه من الوجوه ووجدنا هذه النفس قد اتصفت بالوجود قلنا هذا الوجود الذي اتصفت به النفس هل اتصفت به لذاتها أم لا فرأينا إن وجودها ما هو عين ذاتها ولا اتصفت به لذاتها فنظرنا لمن هو فوجدناه لله كما وجدنا القدر المعين في مال زيد المسمى زكاة ليس هو بمال لزيد وإنما هو أمانة عنده كذلك الوجود الذي اتصفت به النفس ما هو لها وإنما هو لله الذي أوجدها فالوجود لله لا لها ووجود الله لا وجودها فقلنا لهذه النفس هذا الوجود الذي أنت متصفة به ما هولك وإنما هو لله خلعه عليك فأخرجه لله وأضفه إلى صاحبه وأبق أنت على إمكانك لا تبرح فيه فإنه لا يتصلك شيء مما هولك وأنت إذا فعلت هذا كان لك من الثواب عند الله ثواب العلماء بالله ونلت منزلة لا يقدر قد رها إلا الله وهو الفلاح الذي هو البقاء فيبقى الله هذا الوجود لك لا يأخذه منك أبدا فهذا معنى قوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا أي قد أبقاها موجودة من زكائها

وجود فوز من الشر أي من علم إن وجوده لله أبقي الله عليه هذه الخلة يتزين بها متعماً دائماً وهو بقاء خاص بقاء الله فإن الخائب الذي دساها هو أيضاً باق ولكن بإبقاء الله لا ببقاء الله فإن المشرك الذي هو من أهل النار ما يرى تخليص وجوده لله تعالى من أجل الشريك وكذلك المعطل وإنما قلنا ذلك لتلايخيل من لا علم له أن المشرك والمعطل قد أبقي الله الوجود عليهما فينا أن إبقاء الوجود على المفلحين ليس على وجه إبقائه على أهل النار ولهذا وصف الله أهل النار بأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون بخلاف صفة أهل السعادة فإنهم في الحياة الدائمة وكم بين من هو باق ببقاء الله وموجود بوجود الله وبين من هو باق بإبقاء الله وموجود بالإيجاد لا بالوجود وبهذا فاز العارفون لأنهم عرفوا من هو المستحق لنعته الوجود وهو الذي استفادوه من الحق فهذا معنى قوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا فوجبت الزكاة في النفوس كما وجبت في الأموال ووقع فيها البيع والشراء كما وقع في الأموال وسيرد طرف من هذا الفصل عند ذكرنا في هذا الباب في الرقيق وما حكمه ولما ذالم تلحق النفس بالرقيق فتسقط فيه الزكاة وإن كان الرقيق يلحق بالأموال من جهة ما كما سنذكره إن شاء الله في داخل هذا الباب كما سأذكر أيضاً فيما تجب فيه الزكاة من الإنسان بعدد ما تجب فيه من أصناف المال في فصله إن شاء الله من هذا الباب (وصل) وأما قوله تعالى فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى أَي أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ زَكَاةَ نَفْسٍ مِنْ أَضَافٍ نَفْسِهِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ قَالَ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ فَأَضَافَهَا إِلَيْكُمْ أَي إِذَا رَأَيْتُمْ أَنَّ أَنْفُسَكُمْ لَكُمْ لَالِي وَالزَّكَاةُ إِنَّمَا هِيَ حَقِّي وَأَنْتُمْ أَمْنَاءُ عَلَيْهَا فَإِذَا دَعَيْتُمْ فِيهَا فَمَزَعُمُونَ أَنْكُمْ أَعْطَيْتُمُونِي مَا هُوَ لَكُمْ وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ مَا لَيْسَ لِي وَالْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنَ الْعَطَاءِ فَلَا يَزْكِي نَفْسَهُ فَإِنِّي مَا طَلَبْتُ إِلَّا مَا هُوَ لِي لَكُمْ حَتَّى تَلْقَوْنِي فَيُنْكَشِفُ الْغَطَاءَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَتَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هَلْ كَانَتْ نَفْسُكُمْ الَّتِي أَوْجِبَتْ الزَّكَاةَ فِيهَا لِي أَوْ لَكُمْ حَيْثُ لَا يَنْفَعُكُمْ عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ وَهَذَا قَالَ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ فَأَضَافَ النَّفْسَ إِلَيْكُمْ وَهِيَ لَهُ أَلَّا تَرَى عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ أَضَافَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِ مَا هِيَ لَهُ وَأَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ مِنْ وَجْهِ مَا هِيَ لِلَّهِ فَقَالَ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ فَأَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ أَي نَفْسِي هُوَ نَفْسُكَ وَمَلِكُكَ فَإِنَّكَ اشْتَرَيْتَهَا وَمَا هِيَ فِي مَلِكِي فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا جَعَلْتَ فِيهَا وَأَضَافَ نَفْسَهُ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ عَيْنُهَا هِيَ لَهُ وَمِنْ حَيْثُ وَجُودُهَا هِيَ لِلَّهِ لِأَنَّهَا تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي مِنْ حَيْثُ عَيْنُهَا وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ وَجُودُهَا وَهُوَ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ لَكَ وَالنَّفْسُ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً اخْتَلَفَتْ الْإِضَافَاتُ لِاخْتِلَافِ النَّسَبِ فَلَا بَعَارِضَ قَوْلِهِ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا فَإِنَّ أَنْفُسَكُمْ هُنَا يَعْنِي أَمْثَالَكُمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا زَكَاةَ عَلَى اللَّهِ أَحَدًا وَسِيرِدَ الْكَلَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ فِي وَجُوبِ الزَّكَاةِ وَعَلَى مَنْ تَجِبُ وَفِيمَا تَجِبُ فِيهِ وَفِي كَمْ تَجِبُ وَمَنْ كَمْ تَجِبُ وَمَتَى تَجِبُ وَمَتَى لَا تَجِبُ وَلِمَنْ تَجِبُ وَكَمْ يَجِبُ لَهُ مَنْ تَجِبُ لَهُ بِاعْتِبَارَاتِ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي الْبَاطِنِ بَعْدَ أَنْ تَقْرُرَهَا فِي الظَّاهِرِ بِلِسَانِ الْحَكَمِ الْمَشْرُوعِ كَمَا فَعَلْنَا فِي الصَّلَاةِ لِنَجْمَعَ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ لِكَمَالِ النِّشْأَةِ فَإِنَّهُ مَا يَظْهَرُ فِي الْعَالَمِ صُورَةٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ بِأَيِّ سَبَبٍ ظَهَرَتْ مِنْ أَشْكَالٍ وَغَيْرِهَا إِلَّا وَلِتِلْكَ الْعَيْنُ الْحَادِثَةَ فِي الْحَسَنِ رُوحَ تَصَحُّبِ تِلْكَ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ الَّذِي ظَهَرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَوْجِدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِتِلْكَ الصُّورَةِ بِنِيَابَةِ كَوْنٍ مِنْ أَكْوَانِهِ مِنْ مَلِكٍ أَوْ جِنٍّ أَوْ إِنْسٍ أَوْ حَيْوَانٍ أَوْ نَبَاتٍ أَوْ جَمَادٍ وَهَذِهِ هِيَ الْأَسْبَابُ كُلُّهَا لَوْجُودِ تِلْكَ الصُّورَةِ فِي الْحَسَنِ فَلَمَّا

علمنا أن الله قد ربط بكل صورة حسية روحا معنويا بتوجه إلهي عن حكم اسم رباني لهذا اعتبرنا خطاب الشارع في الباطن على حكم ما هو في الظاهر قد ما يقدم لأن الظاهر منه هو صورته الحسية والروح الإلهي المعنوي في تلك الصورة هو الذي نسميه الاعتبار في الباطن من عبرت الوادي إذا جزته وهو قوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ وَقَالَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ أَي جُوزُوا مِمَّا رَأَيْتُمُوهُ مِنَ الصُّورِ بِأَبْصَارِكُمْ إِلَى مَا تَعْطِيهِ تِلْكَ الصُّورُ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَرْوَاحِ فِي بَوَاطِنِكُمْ فَتَدْرِكُونَهَا بِبَصَائِرِكُمْ وَأَمْرٌ وَحَثٌ عَلَى الْإِعْتِبَارِ وَهَذَا بَابُ أَغْفَلَهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا سِيَّمَا أَهْلَ الْجُودِ عَلَى الظَّاهِرِ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِعْتِبَارِ إِلَّا التَّعَجُّبُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ عَقُولِهِمْ وَعَقُولِ الصَّبِيَّانِ وَالصِّغَارِ فَهَؤُلَاءِ مَا عَبَرُوا قَطُّ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا الْإِصَابَةَ فِي النُّطْقِ وَالْإِخْبَارِ عَمَّا أَشْهَدْنَاهُ وَعَلِمْنَاهُ مِنَ الْحَقِّ عِلْمَ كَشْفٍ وَشَهُودٍ وَذَوْقٍ فَإِنَّ الْعِبَارَةَ عَنْ ذَلِكَ فَتَحَ مِنْ اللَّهِ تَأْتِي بِحُكْمِ الْمَطَابَقَةِ وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُعْبِرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ تَفْسُدُ عِبَارَتُهُ صِحَّةَ مَا فِي نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَعْنَى الزَّكَاةِ التُّطَهِيرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا كَانَتْ لَهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَةِ الْأَسْمُ الْقُدُوسُ وَهُوَ الظَّاهِرُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَةِ وَمَا لَمْ يَكُنِ الْمَالُ الَّذِي يُخْرَجُ فِي الصَّدَقَةِ مِنْ جَمَلَةِ مَالِ الْمُخَاطَبِ بِالزَّكَاةِ وَكَانَ بِيَدِهِ أَمَانَةٌ لِأَصْحَابِهِ لَمْ يَسْتَحِقْهُ غَيْرُ صَاحِبِهِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَ هَذَا الْآخِرِ وَلَكِنَّهُ هُوَ عِنْدَهُ بِطَرِيقِ الْأَمَانَةِ إِلَى أَنْ يُؤَدِيَهُ إِلَى أَهْلِهِ كَذَلِكَ فِي زَكَاةِ النَّفُوسِ فَإِنَّ النَّفُوسَ لَهَا صِفَاتٌ تَسْتَحِقُّهَا وَهِيَ كُلُّ صِفَةٍ يَسْتَحِقُّهَا الْمُمْكِنُ وَقَدْ يُوصَفُ الْإِنْسَانُ بِصِفَاتٍ لَا يَسْتَحِقُّهَا الْمُمْكِنُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مُمْكِنٌ وَلَكِنْ يَسْتَحِقُّ تِلْكَ الصِّفَاتِ اللَّهُ إِذَا وَصَفَ بِهَا لِيُمَيِّزَهَا عَنْ صِفَاتِهِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا كَمَا إِنَّ الْحَقَّ سَبَّحَانَهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِمَا هُوَ حَقٌّ لِلْمُمْكِنِ تَنْزِلًا مِنْهُ سَبَّحَانَهُ وَرَحْمَةً بِعِبَادِهِ فَزَكَاةُ نَفْسِكَ إِخْرَاجُ حَقِّ اللَّهِ مِنْهَا فَهُوَ تَطْهِيرُهَا بِذَلِكَ الْإِخْرَاجِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ بِحَقِّ لَهَا فَتَأْخُذُ مَالَكَ مِنْهُ وَتَعْطِي مَالَهُ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى بَلِّغْ لِلَّهِ الْأَمْرَ جَمِيعًا وَهُوَ الصَّحِيحُ فَإِنَّ نِسْبَتَنَا مِنْهُ نِسْبَةُ الصِّفَاتِ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ مِنْهُ فَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ اللَّهُ بِاللَّهِ إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِلَّا مَا هُوَ مِنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَهِيَ إِشَارَةٌ بَدِيعَةٌ فَإِنَّهَا كَلِمَةٌ تَقْتَضِي غَايَةَ الْوَصْلَةِ حَتَّى لَا يُقَالَ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ وَتَقْتَضِي غَايَةَ الْبَعْدِ حَتَّى لَا يُقَالَ إِنَّهُ هُوَ إِذْ مَا هُوَ مِنْكَ فَلَا يُضَافُ إِلَيْكَ فَإِنَّ الشَّيْءَ لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ لِعَدَمِ الْمَغَايِرَةِ فَهَذَا غَايَةَ الْوَصْلَةِ وَمَا يُضَافُ إِلَيْكَ مَا هُوَ مِنْكَ فَهَذَا غَايَةَ الْبَعْدِ لِأَنَّهُ قَدْ أَوْقَعَ الْمَغَايِرَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَهَذِهِ الْإِضَافَةُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَيْدُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَكِحْيَاةُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ مِنْ ذَاتِ الْإِنْسَانِ كَوْنَهُ حَيَوَانًا وَتَضَافُ الْحَيَوَانِيَّةُ إِلَيْهِ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ عَيْنِ ذَاتِهِ وَمَا لَا تَصِحُّ ذَاتُهُ إِلَّا بِهَا فَتَمَثَّلُ هَذِهِ الْإِصَابَةُ تَعْقِلُ مَا أَوْمَأْنَا إِلَيْهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمُمْكِنَاتِ إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِنَفْسِهِ فَإِنَّ الْإِمْكَانَ لِلْمُمْكِنِ وَاجِبٌ لِنَفْسِهِ فَلَا يَزَالُ انْسِحَابُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّهَا عَيْنُهُ وَهِيَ تَضَافُ إِلَيْهِ وَقَدْ يُضَافُ إِلَيْهِ مَا هُوَ عَيْنُهُ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَي مَا تَوْصَفُ أَنْتَ بِهِ وَيُوصَفُ الْحَقُّ بِهِ هُوَ اللَّهُ كُلُّهُ فَمَا لَكَ لَا تَقْتَضِيهِمْ مَا لَكَ بِمَا فِي قَوْلِهِ أَعْطَيْتَنِي مَا لَكَ فَهُوَ نَفْيٌ مِنْ بَابِ الْإِشَارَةِ وَاسْمٌ مِنْ بَابِ الدَّلَالَةِ أَي الَّذِي لَكَ وَأَصْلِيَّتُهُ مِنْ اسْمِ الْمَالِيَةِ وَلِهَذَا قَالَ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ أَي الْمَالِ الَّذِي فِي أَمْوَالِهِمْ مِمَّا لَيْسَ لَهُمْ بَلْ هُوَ صَدَقَةٌ مَنِي عَلَى مَنْ ذَكَرْتَهُمْ فِي كِتَابِي يَقُولُ اللَّهُ أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْنَا زَكَاةً أَوْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِنَا فَجَعَلَ أَمْوَالَهُمْ ظَرْفًا لِلصَّدَقَةِ وَالظَرْفُ مَا هُوَ عَيْنٌ

المظروف فمال الصدقة ما هو عين مالك بل مالك ظرف له فما طلب الحق منك ما هو لك فالزكاة في النفوس أكد منها في الأموال ولهذا قدمها الله في الشراء فقال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ثم قال وَأَمْوَالَهُمْ فَأَلْعَبَدَ يَنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَسِيرِدَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا نَقَفَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (وصل في وجوب الزكاة) الزكاة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع فلا خلاف في ذلك أجمع كل ما سوى الله على إن وجود ما سوى الله إنما هو بالله فردوا وجودهم إليه سبحانه لهذا الإجماع ولا خلاف في ذلك بين كل ما سوى الله فهذا اعتبار الإجماع في زكاة الوجود فردنا ما هو لله إلى الله فلا موجود ولا موجود إلا الله أما الكتاب فكل شيء هالك إلا وجهه وليس الوجه إلا الوجود وهو ظهور الذوات والأعيان وأما السنة فلا حول ولا قوة إلا بالله فهذا اعتبار وجوب الزكاة العقلي والشرعي (وصل في ذكر من تجب عليه الزكاة) اتفق العلماء على أنها واجبة على كل مسلم حر بالغ عاقل مالك للنصاب ملكا تاما هذا محل الاتفاق واختلفا في وجوبها على اليتيم والمجنون والعبد وأهل الذمة والناقص الملك مثل الذي عليه الدين أو له الدين ومثل المال الحبس الأصل (وصل) اعتبار ما اتفقوا عليه المسلم هو المنقاد إلى ما يراه منه وقد ذكرنا أن كل ما سوى الله قد انقاد في رد وجوده إلى الله وإنه ما استفاد الوجود إلا من الله ولا بقاء له في الوجود إلا بالله وأما الحرية فمثل ذلك فإنه من كان بهذه المثابة فهو حر أي لا ملك عليه في وجوده لأحد من خلق الله جل جلاله وأما البلوغ فاعتباره إدراكه للتمييز بين ما يستحقه ربه عز وجل وما لا يستحقه وإذا عرف مثل هذا فقد بلغ الحد الذي يجب عليه فيه رد الأمور كلها إلى الله تعالى علوا كبيرا وهي الزكاة الواجبة عليه وأما العقل فهو أن يعقل عن الله ما يريد الله منه في خطابه إياه في نفسه بما يلهمه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ومن قيد وجوده بوجود خالقه فقد عقل نفسه إذ العقل مأخوذ من عقال الدابة وعلى الحقيقة عقال الدابة مأخوذ من العقل فإن العقل متقدم على عقال الدابة فإنه لو لا ما عقل إن هذا الجبل إذا شددت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا وأما قولهم المالك للنصاب ملكا تاما فملكه للنصاب هو عين وجوده لما ذكرناه من الإسلام والحرية والبلوغ والعقل وأما قولهم ملكا تاما إذ التام هو الذي لا نقص فيه والنقص صفة عدمية قال فهو عدم فالتام هو الوجود فهو قول الإمام أبي حامد وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ كان إبداعه عين وجوده ليس غير ذلك أي ليس في الإمكان أبدع من وجوده فإنه ممكن لنفسه وما استفاد إلا الوجود فلا أبدع في الإمكان من الوجود وقد حصل فإنه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود فهذا معنى اعتبار قولهم ملكا تاما وأما اعتبار ما اختلفوا فيه فمن ذلك الصغار فقال قوم تجب الزكاة في أموالهم وقال قوم ليس في مال اليتيم صدقة و فرق قوم بين ما تخرجه الأرض وبين ما لا تخرجه فقالوا عليه الزكاة فيما تخرجه الأرض وليس عليه زكاة فيما عدا ذلك من المشية والناض والعروض و فرق آخرون بين الناض وغيره فقالوا عليه الزكاة إلا في الناض خاصة اعتبار ما ذكرنا اليتيم من لأب له بالحياة وهو غير بالغ أي لم يبلغ الحلم بالسن أو الإنبات أو رؤية الماء قال تعالى لَمْ يَلِدْ وَقَالَ سُبحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَكَدَّ فليس الحق باب لأحد من خلق الله ولا أحد من خلقه يكون له ولدا سبحانه وتعالى فمن اعتبر التكليف في عين المال قال بوجوبها ومن اعتبر التكليف في المالك قال لا يجب عليه لأنه غير مكلف كذلك من اعتبر وجوده لله قال لا تجب الزكاة فإنه ما ثم من يقبلها لو

وجبت فإنه ما ثم إلا الله ومن اعتبر إضافة الوجود إلى عين الممكن وقد كان لا يوصف بالوجود قال بوجوب الزكاة ولا بد إذ لا بد للاضافة من تأثير معقول ولهذا تقسم الموجودات إلى قسمين إلى قديم وإلى حادث فوجود الممكن وجود حادث أي حدث له هذا الوصف ولم يتعرض للوجود في هذا التقسيم هل هو حادث أو قديم لأنه لا يدل حدوث الشيء عندنا على أنه لم يكن له وجود قبل حدوثه عندنا وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدثٌ وهو كلام الله القديم ولكن حدث عندهم كما تقول حدث عندنا اليوم ضيف فإنه لا يدل ذلك على أنه لم يكن له وجود قبل ذلك فمن راعى أن الوجود الحادث غير حق للموصوف به وأنه حق لغير الممكن قال بوجوب الزكاة على اليتيم لأنه حق للواجب الوجود فيما اتصف به هذا الممكن كما يراعي من يرى وجوبها على اليتيم في ماله أنها حق للفقراء في عين هذا المال فيخرجها منه من يملك التصرف في ذلك المال وهو الولي ومن راعى أن الزكاة عبادة لم يوجب الزكاة لأن اليتيم ما بلغ حد التكليف وقد أشرنا إلى ذلك ولنا

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف

هذا في البالغ والصغير غير مكلف وهو اليتيم وهكذا سائر العبادات على هذا النحو فإن الشيء لا يعبد نفسه وإذا تحقق عارف مثل هذا وتبين أنه ما ثم إلا الله خاف من الزل الذي يقع فيه من لا معرفة له ممن ذمه الشارع من القائلين بإسقاط الأعمال نفوذ بالله من الخذلان فنظر العارف عند ذلك إلى الأسماء الإلهية وتوقف أحكام بعضها على بعض وتفاضلها في العلاقات كما قد ذكرناه في غير ما موضع فيوجب العبادات من ذلك الباب وبذلك النظر ليظهر ذلك الفعل في ذلك الحبل من ذلك الاسم الإلهي القائم به إذا خاطبه اسم إلهي ممن له حكم الحال والوقت فتعين على هذا الاسم الإلهي الآخر إن تحرك هذا الحبل لما طلب منه فسمى ذلك عبادة وهو أقصى ما يمكن الوصول إليه في باب إثبات التكليف في عين التوحيد حتى يكون الأمر المأمور والمتكلم السامع وأما اعتبار من فرق بين ما تخرجه الأرض وبين ما لا تخرجه الأرض فاعتباره ما بطهره من الموصوف بالوجود الذي هو الممكن من الأشياء على يديه مما هو سبب ظهورها فإن أضاف وجود ذلك إلى ما أضاف إليه وجوده قال لا زكاة وإن لم يصف واعتبر ظهورها منه قال بالواجب وأما من فرق بين الناض وما سواه فالناض لما كان له صفة الكمال أو التشبه بالكمال ونزل ما سوى الناض عن درجة الكمال أو التشبه بالكمال واتصف بالنقص أوجب الزكاة في الناقص ليظهره من النقص ولم يوجه في الكمال فإن الكمال لا يصح أن يكون في غيره إذ لا كمال إلا في الوحدة ومن ذلك أهل الذمة والأكثر على أنه لا زكاة على ذمي إلا طائفة روت تضعيف الزكاة على نصارى بنى تغلب وهو أن يؤخذ منهم ما يؤخذ من المسلمين في كل شيء وقال به جماعة ورووه من فعل عمر بهم وكأنهم رأوا أن مثل هذا توقيف وإن كانت الأصول تعارضه والذي أذهب إليه أنه لا يجوز أخذ الزكاة من كافر وإن كانت واجبة عليه مع جميع الواجبات إلا أنه لا يقبل منه شيء مما كلف به إلا بعد حصول الإيمان به فإن كان من أهل الكتاب ففيه عندنا نظر فإن أخذ الجزية منهم قد يكون تقريرا من الشارع لهم دينهم الذي هم عليه فهو مشروع لهم فيجب عليهم إقامة دينهم فإن كان فيه أداء زكاة وجاءوا بها قبلت

منهم والله أعلم وليس لنا طلب الزكاة من المشرك وإن جاء بها قبلناها يقول الله تعالى **وَيُلِّمُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْهَوُا عَنْهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** والكافر هنا المشرك ليس الموحد (وصل) الاعتبار قال الله تعالى **لَا يَرْفُقُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً إِلَّا اللَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالذِّمَّةُ الْعَهْدُ وَالْعَقْدُ فَإِنْ كَانَ عَهْدًا مَشْرُوعًا فَالْوَفَاءُ بِهِ زَكَاتُهُ فَالزَّكَاةُ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فَإِنْ عَلَيْهِمُ الْوَفَاءُ بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنْ أَسْقَطَ عَنْهُمْ الزَّكَاةَ أَيْ أَنْ الذَّمِّي إِذَا عَقَدَ سَاوِي بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي الْعَقْدِ وَمَنْ سَاوَى بَيْنَ اثْنَيْنِ جَعَلَهُمَا مِثْلَيْنِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَلَا يَقْبَلُ تَوْحِيدَ مُشْرِكٍ فَإِنَّ الْمَشْرُوكَ مَقْرَبٌ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي عِظَمَتِهِ لِقَوْلِهِ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** فهذا توحيد بلا شك ومع هذا منع الشرع من قبوله واعلم أن الدليل يصاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير فلا توحيد فمن جعل الدليل على التوحيد نفس التوحيد لم يكن هنالك من تجب عليه زكاة فلا زكاة على الذمي والزكاة طهارة فلا بد من الايمان فإن الايمان طهارة الباطن وليس الايمان المعبر عندنا إلا أن يقال الشيء لقول المخبر على ما أخبر به أو يفعل ما يفعل لقول المخبر لا يعين الدليل العقلي وعلم الشرك من أصعب ما ينظر فيه لسريان التوحيد في الأشياء إذ الفعل لا يصح فيه اشتراك البتة فكل من له مرتبة خاصة به لا سبيل له أن يشرك فيها وما ثم إلا من له مرتبة خاصة لكن الشرك المعبر في الشرع موجود وبه تقع المؤاخذة (وصل متمم) اعلم أن الكفار مخاطبون بأصل الشريعة وهو الايمان بجميع ما جاء به الرسول من عند الله من الأخبار وأصول الأحكام وفروعها وهو قوله صلى الله عليه وسلم **تَوَمَّنَا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ وَهُوَ الْعَمَلُ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَاهُ الْخَطَابُ مِنْ فِعْلٍ وَتَرْكٍ** فالإيمان بصدقة التطوع أنها تطوع واجب وهو من أصول الشريعة وإخراج صدقة التطوع فرع ولا فرق بينها وبين الصدقة الواجبة في الايمان بها وفي إخراجها وإن لم يتساويا في الأجر فإن ذلك لا يقدح في الأصل فإن افتراق من وجه فقد اجتمع من الوجه الأقوى فالإيمان أصل والعمل فرع لهذا الأصل بلا شك ولهذا إلا يخلص للمؤمن معصية أصلا من غير أن يخاطبها طاعة فالمخلط هو المؤمن العاصي فإن المؤمن إذا عصى في أمر ما فهو مؤمن بأن ذلك معصية والايان واجب فقد أتى واجبا فالمؤمن مأجور في عين عصيانه والايان أقوى ولا زكاة على أهل الذمة بمعنى أنها لا تجزى عنهم إذا أخرجوها مع كونها واجبة عليهم كسائر جميع فروع الشريعة لعدم الشرط المصحح لها وهو الايمان بجميع ما جاءت به الشريعة لا بها ولا ببعض ما جاء به الشرع فلوا آمن بالزكاة وحدها أو بشيء من الفرائض أنها فرائض أو بشيء من النوافل أنها نافلة ولو ترك الايمان بأمر واحد من فرض أو نقل لم يقبل منه إيمانه إلا أن يؤمن بالجميع ومع هذا فليس لنا أن نسأل ذميا زكاة فإن أتى بها من نفسه فليس لنا ردها لأنه جاء بها إلينا من غير مسألة فيأخذها السلطان منه لبيت مال المسلمين لا يأخذها زكاة ولا يردها فإن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما العبد فالناس فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا زكاة في ماله أصلا لأنه لا يملكه ملكا تاما إذ للسيد انتزاعه ولا يملكه السيد ملكا تاما أيضا لأن يد العبد هي المتصرف فيه إذن فلا زكاة في مال العبد وذهبت طائفة إلى أن زكاة مال العبد على سيده لأن له انتزاعه منه وقالت طائفة على العبد في ماله الزكاة لأن اليد على المال توجب الزكاة فيه لمكان تصرفها فيه تشبيها بتصرف الحر قال شيخنا وجمهور من قال لا زكاة في مال العبد على أن لا زكاة في مال المكاتب حتى يعق

وقال أبو ثور في مال المكاتب الزكاة والذي أقول به أنه لا يخلو الأمر إما أن يرى أن الزكاة حق في المال ولا يراعي المالك فيجب على السلطان أخذها من كل مال بشرطه من النصاب وحلول الحول على من هو في يده ومن رأى أن وجوب الزكاة على أرباب المال جاء ما ذكرناه من المذاهب في ذلك فالأولى كل ناظر في المال هو المخاطب بإخراج الزكاة منه اعتبار ذلك العبد وما يملكه لسيده فبأي شيء أمره سيده وجبت عليه طاعته والزكاة حق أوجبها الله في عين المال لأصناف المذكورين وهو بأيدي المؤمنين فإنه لا يخلو مال عن مالك أي عن يد عليه لها التصرف فيه فالزكاة أمانة بيد من هو المال بيده لهؤلاء الأصناف وما هو مال للحر ولا للعبد فوجب أدائه لأصحابه ممن هو عنده وله التصرف فيه حرا كان أو عبدا من المؤمنين والكل عبيد الله فلا زكاة على العبد لأنه مؤد أمانة والزكاة عليه بمعنى إيصال هذا الحق إلى أهله فإن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وتطهيره المال الذي فيه الزكاة بالزكاة أعني بإخراجها منه والزكاة على السيد لأنه يملكه من باب ما أوجب الحق لخلقته على نفسه مثل قوله كَبَّ رُبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ وَقَوْلُهُ فَسَأَكْتُبُهَا وَقَوْلُهُ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ فكل من رأى أصلا ما ذكرناه ذهب في مال العبد مذهب (وصل) ومن ذلك المالكون الذين عليهم الديون التي تستغرق أموالهم وتستغرق ما تجب فيه الزكاة من أموالهم وبأيديهم أموال تجب الزكاة فيها فمن قائل لا زكاة في مال حبا كان أو غيره حتى يخرج منه الدين فإن بقي منه ما تجب فيه الزكاة زكى وإفلا وقالت طائفة الذين لا يمنع زكاة الحبوب ويمنع ما سواها وقالت طائفة الذين يمنع زكاة الناض فقط إلا أن تكون له عروض فيها وفاء له من دينه فإنه لا يمنع وقال قوم الذين لا يمنع زكاة أصلا الاعتبار في ذلك الزكاة عبادة فهي حق الله وحق الله أحق أن يقضى بذا ورد النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله قد جعل الزكاة حقا لمن ذكر من الأصناف في القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ والدين حق مترتب مقدم فالدين أحق بالقضاء من الزكاة (وصل) ومن ذلك المال الذي هو في ذمة الغير وليس هو بيد المالك وهو الدين فمن قائل لا زكاة فيه وإن قبض حتى يمر عليه حول وهو في يد القابض وبه أقول ومن قائل إذا قبضه زكاه لما مضى من السنين وقال بعضهم يزكيه لحول واحد وإن قام عند المديان سنين إذا كان أصله عن عوض فإن كان على غير عوض مثل الميراث فإنه يستقبل به الحول (اعتبار الباطن في ذلك) لا مالك إلا الله ومن ملكه الله إذا كان ما ملكه بيده بحيث يمكنه التصرف فيه فحينئذ تجب عليه الزكاة بشرطها ولا مراعاة لما مر من الزمان فإن الإنسان ابن وقته ما هو لما مضى من زمانه ولا لما يستقبله وإن كان له أن ينوي في المستقبل ويتمنى في الماضي ولكن في زمان الحال هذا كله فهو من الوقت لا من الماضي ولا من المستقبل فلا مراعاة لما مر على ذلك المال من الزمان حين كان بيد المديان فإنه على الفتح مع الله تعالى دائما الذي بيده المال هو الله فالزكاة واجبة فيه لما مر عليه من السنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبي عن أبيك وأمر صلى الله عليه وسلم ولي الميت بما على الميت من صيام رمضان وما هو إلا إيصال ثمرة العمل لمن حج عنه أو صام عنه مما هو واجب عليه إلا أن فرط فله حكم آخر ومع هذا فمن حج عنه أو عمل عنه عمل ما فهو صدقة من عمل هذا العمل على المعمول عنه ميتا كان المعمول عنه أو غير ميت غير أن الحي لا يسقط عنه الواجب عليه إلا إذا لم يستطع فعله

فإن فعله وليه عنه كان له أجر من أدى ما وجب عليه وليس ذلك إلا في الحج بما ذكرناه والثواب ما هو له بقابض إلا إن كان المعمول عنه ميتا فإنه أخراوي فإن كان حيا فالقابض عنه الوكيل وهو الله فإذا قبضه أعطاه في الآخرة لمن عمل له هنا في الدنيا (وصل من اعتبار هذا الباب) ومن اعتبار الشخص يتمنى أن لو كان له مال لعمل به برا فيكتب الله له أجر من عمل فإن نيته خير من عمله ويكتب له على أوفى حظ وهو في ذمة الغير ليس بيده منه شيء فإذا حصل له ما تمناه من المال أو مما تمناه مما يتمكن له به الوصول إلى عمل ذلك البر وجب عليه أن يعمل ذلك البر الذي نواه فإن لم يفعل لم يكتب له أجر ما نواه فلو مات قبل اكتساب ما تمنى كتب له أجر ما نواه قال تعالى **أَتَمَّا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةً** أي هما اختبار لإقامة الحججة في صدق الدعوى أو كذبها (وصل) ومن هذا الباب اختلافهم في زكاة الثمار المحبسة الأصول فمن قائل فيها الزكاة ومن قائل لا زكاة فيها و فرق قوم بين أن تكون محبسة على المساكين فلا يكون فيها زكاة وبين أن تقوم على قوم بأعيانهم فتجب فيها الزكاة و بوجوب الزكاة أقول كانت على من كانت بتعيين أو بغير تعين فإن كانت بتعيين قوم وجب عليهم إخراج الزكاة وإن كانت بغير تعيين وجب على السلطان أخذ الزكاة منها بحكم الوكالة اعتبار الباطن في ذلك الثمر هو عمل الإنسان المكلف والعمل قد يكون مخلصا لله كالصلاة والصيام وأمثالهما وقد يكون فيه حق للغير كالزكاة إلا أنه مشروع مثل أن يعمل الإنسان عملا فيقول هذا لله ولوجهكم فهو لوجهكم أو مالي إلا الله و أنت قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال هذا الله ولوجهكم ليس لله منه شيء ثم شرع لمن هذا قوله أن يقول هذا لله ثم لفلان ولا يدخل واو التشريك فهذا العمل فيه لله وهو نظير الزكاة في المال المحبس الأصل وفيه للخلق وهو قوله ثم لفلان بجرف ثم لا بجرف الواو وهو ما يبقى بيد الموقوف عليه من هذا الثمر الزائد على الزكاة فهذا اعتبار من يرى فيه الزكاة ومن يرى أنه لا زكاة فيه أي لاحق لله فيها فاعتباره قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو لوجهكم ليس لله منه شيء أي لاحق فيه لله ومن رأى أن الزكاة حق الفقراء رأى في اعتباره أن زكاة الثمر المحبس الأصل وهو العمل من هذا العبد الذي هو محبس على سيده لا يعتق أبدا يقول إن العمل هو لله بحكم الوقفية وللحور العين وأمثالهم من ذلك العمل نصيب وهو المعبر عنه بالزكاة كما قال بعضهم في حق المجاهدين

والحور منهن مشرفات	أبواب عدن مفتحات
و بادروا أيها الغزاة	فاستبقوا أيما استباق
فيها حسان منعمات	فين أيديكمو جنان
مهورنا الصبر و الثبات	يقنن و الخيل سابقات

فالصبر و الثبات من عمل الجهاد بمنزلة الزكاة من الثمر و كونه محبس الأصل هو قوله تعالى **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** فما خلقهم إلا لعبادته فهم موقوفون عليه ثم جعل في أعمالهم التي هي بمنزلة الثمر من الشجر نصيبا لله وهو الإخلاص في العمل وهو من العمل وحق لصاحب العمل وهو ما يحصل له من الثواب عليه وهو بمنزلة الزكاة التي يطلبها الثواب فهذا اعتبار زكاة الثمر المحبس الأصل باختلافهم والله

الهادي (وصل) ومن هذا الباب على من تجب زكاة ما تخرجه الأرض المستأجرة فقال قوم من العلماء إن الزكاة على صاحب الزرع وقال قوم إن الزكاة إنما تجب على رب الأرض وليس على المستأجر شيء وبالقول الأول أقول إن الزكاة على صاحب الزرع (وصل) الاعتبار في ذلك الإمام والمؤذن والمجاهد والعامل على الصدقة وكل من يأخذ على عمله أجرًا من يستأجره على ذلك والأرض المستأجرة هي نفس المكلف وما تخرجه هو ما يظهر عن هذه النفس من العمل والزرع الحق تعالى يقول تعالى أَلَمْ تَرَ عَوْنَهُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ وَرَبُّ الْأَرْضِ هُوَ الشَّارِعُ وَهُوَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَوْنِهِ شَارِعًا كَمَا هُوَ فِي الزَّرْعِ مِنْ كَوْنِهِ مَوْفِقًا قَالَ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنْ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَبْذُرُ حَبَّ الْهُدَى وَالتَّوْفِيقَ فِي أَرْضِ النَّفْسِ فَتَخْرُجُ أَرْضُ النَّفْسِ بِمَجْسَبِ مَا زَرَعَ فِيهَا وَفِيهَا يَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ مَا يَكُونُ حَقُّ اللَّهِ فِيهِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِيهِ حَقُّ الْإِنْسَانِ فَمَا هُوَ اللَّهُ فَهُوَ الْمَعْبُورُ عَنْهُ بِالزَّكَاةِ وَمَا بَقِيَ فَهُوَ الْإِنْسَانُ وَالْإِجَارَةُ مَشْرُوعَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْهُ نَفْسَنَا ثُمَّ أَجْرْنَا إِيَّاهَا بِالْعَشْرِ فَقَالَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فَالْحَسَنَةُ مَنْهَا هِيَ الْعَشْرُ الَّذِي نَعْطِيهِ سُبْحَانَهُ مِمَّا زَرَعَهُ فِي أَرْضِي نَفْسَنَا مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَنْبَتَ هَذَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَهُوَ سُبْحَانَهُ رَبُّ الْأَرْضِ وَهُوَ الزَّارِعُ وَهُوَ الْمُؤَجَّرُ وَهُوَ الْمُسْتَأْجِرُ وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَهُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ كَمَا قَالَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَلَكِنْ بُوْجُوهُ وَنَسَبُ مَخْتَلَفَةٌ فَهُوَ الْمُعْطَى وَالْأَخْذُ لِإِلَهٍ إِلَّا هُوَ وَلَا فَاعِلٌ سِوَاهُ فَيُوجِبُ مِنْ كَوْنِهِ كَذَا وَيَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِهِ كَذَا قَالَ تَعَالَى كَبُرَ عَلَيْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَيُّ أَوْجِبُ وَفَرَضُ لِيُوجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ مُوجِبٌ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ الْمَوْجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مَنَّةٌ مِنْهُ وَفَضْلًا عَلَيْنَا فَحَقَائِقُ أَسْمَائِهِ بِهَا تَعْرِفُ إِلَيْنَا وَعَلَى حَقَائِقِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ أُثْبِتَ الشَّرَائِعَ الْإِلَهِيَّةَ كُلِّهَا قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا وَقَسَمَ فَقَالَ فِي نَسَقِ هَذَا الْكَلَامِ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَهُوَ مَا يَسُوءُكَ فَانْتِ مَحَلُّ أَثَرِ السُّوءِ فَمَنْ حَيْثُ هُوَ فَعَلَّ لَا يَتَصَفَّ بِالسُّوءِ هُوَ لِاسْمِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي أَوْجَدَهُ فَإِنَّهُ يَحْسَنُ مِنْهُ إِيجَادًا مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ فَلَا يَكُونُ سُوءًا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ سُوءٌ أَوْ مِنْ سِوَاهُ وَهُوَ نَفْسُ الْإِنْسَانِ إِذْ لَا يَجِدُ الْأَمْرَ إِلَّا مَنْ يَوْجِدُ فِيهِ فَفِيهِ يَظْهَرُ حِكْمُهُ لَا مَنْ يَوْجِدُ فَإِنَّهُ لَا حَكْمَ لَهُ فِي فَاعِلِهِ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَإِنْ كَانَتْ الْحَسَنَةُ كَذَلِكَ فَذَلِكَ يَحْسَنُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهَا أَيْضًا تَحْسَنُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ الْمَوْجِدِ لَهَا فَأُضِيفَتِ الْحَسَنَةُ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ الْمَوْجِدُ لَهَا ابْتِدَاءً وَإِنْ كَانَتْ بَعْدَ الْإِيجَادِ تَحْسَنُ أَيْضًا فِيكَ وَلَكِنْ لَا تَسْمَى حَسَنَةً إِلَّا مَنْ كَوْنُهَا مَشْرُوعَةٌ وَلَا تَكُونُ مَشْرُوعَةً إِلَّا مَنْ قَبْلَ اللَّهِ فَلَا تَضَافُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَهَذَا قَلْنَا فِي السَّيِّئَةِ إِنَّهَا مِنْ قَبْلِ الْحَقِّ حَسَنَةٌ لِأَنَّهُ بَيْنَهَا لِتَجْتَنِبَ فَتَسُوءُ مَنْ قَامَتْ بِهِ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْعَاقِبَةِ فَقَدْ يَكُونُ التَّرْكُ سَيِّئَةً وَلَيْسَ بِفِعْلٍ وَقَدْ يَكُونُ الْفِعْلُ سَيِّئَةً وَكَذَلِكَ الْحَسَنَةُ قَدْ تَكُونُ فِعْلًا وَتَرَكَهَا وَالتَّوْفِيقُ الْإِلَهِيُّ هُوَ الْمُؤَثِّرُ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ تَرَكَ لَهُ وَمِنْ حَيْثُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِعْلًا وَمِنْ حَقِّ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ تَرَكَ وَفِعْلًا إِلَّا وَهُوَ فِيهِ حَقٌّ يَقُومُ بِهِ الْحَاكِمُ نِيَابَةً عَنِ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ مَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ حَقُّ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهِ لَا حَقَّ لِمَخْلُوقٍ فِيهِ كَالصَّلَاةِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَإِنْ كَانَ مَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ حَقَّ لِمَخْلُوقٍ كَضَرْبٍ أَوْ شَتْمٍ أَوْ غَضَبٍ مَا لَفِيهِ حَقُّ اللَّهِ وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَفِيهِ حَقُّ لِمَخْلُوقٍ وَالحَقُّ الَّذِي فِيهِ اللَّهُ هُوَ عَيْنُ الزَّكَاةِ الَّذِي فِي جَمِيعِ أَعْمَالِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَالحَاكِمُ نَائِبُهُ فِيهَا

استخلفه فيه فإن شاء قبضه وإن شاء تركه على ما يعطيه الحال والمصلحة ولا حرج عليه في ذلك وهو المسمى تعزيراً فيما لا حد فيه فتقطع يد السارق ولا بد وإن أخذ المال من يده وعاد إلى صاحبه فالحاكم مخير إن شاء عزره بذلك القدر الذي فيه لله من الحق المشروع وإن شاء لم يعزره ويترك ذلك لله حتى يتولاه في الآخرة بلا واسطة (وصل) ومن هذا الباب أرض الخراج إذا انتقلت إلى المسلمين وهي الأرض التي كانت بيد أهل الذمة هل فيها عشر مع الخراج أم لا فمن قائل إن فيها العشر أعني الزكاة ومن قائل ليس فيها عشر فاعلم أن الزكاة إما أن تكون حق الأرض أو حق الحب فإن كانت حق الأرض لم تجب الزكاة لأنه لا يجتمع فيها حقان وهو العشر والخراج وإن كانت حق الحب كان الخراج حق الأرض والعشر حق الحب والخلاف في بيع أرض الخراج معلوم عند العلماء (وصل) الاعتبار في ذلك الأعمال البدنية بمنزلة الزرع والبدن بمنزلة الأرض والهوى حاكم على الأرض فإذا انتقلت هذه الأرض إلى حكم الشرع الذي هو العمل بما يقتضيه الإسلام فخراج الأرض هو ما لله عليه من الحقوق من حيث إن جعلها ذات إدراكات وهو علم مستقل بإدراكه العقل فله في هذه الأرض الخراج إذ شكر المنعم محمود وهو المنعم بها سبحانه فإذا حصلت هذه الأرض في يد المسلم أعني الشرع وانتقلت إليه فالمسلمون على قسمين عارف وغير عارف فالعارف إذا زرع الأعمال الصالحة في هذه الأرض رأى أن الزكاة حق العمل لا حق الأرض فأوجب الزكاة في العمل وهو أن يرد الأعمال إلى عاملها وهو الحق سبحانه وغير العارف يرى أن العمل للقوى البدنية وقد وجب عليها الخراج فلا تجب عنده الزكاة حتى لا يجتمع عليها حقان فإنه لا يرى العمل إلا لنفسه فإنه غير عارف ولم يكلف الله نفساً إلا ما آتاها وقال ذلك مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وأما قولنا في هذه المسألة فإنه يجتمع في الأرض حقان ولا يبعد ذلك لأن الأرض من كونها بيد من هي بيده يمنع غيره من التصرف فيها إلا بإذنه فعليه حق فيها يسمى الخراج ومن حيث إنه زرعها فاختلف حال الأرض بكونها قد زرعت من كونها لم تزرع فوجب فيها حق آخر من كونها ذات زرع فوجب العشر فيها من كونها مزدرعة ووجب الخراج فيها من كونها بيده وحكمه عليها وكذلك نأخذ في الاعتبار (وصل) وأما أرض العشر إذا انتقلت إلى الذمي فزرعها فمن قائل ليس فيها شيء أعني لا خراج ولا عشر وقال النعمان إذا اشتري الذمي أرض عشر تحولت أرض خراج فكأنه رأى أن العشر حق أرض المسلمين والخراج حق أرض الذميين ومن يرى هذا فينبغي إن أرض الذمي إذا انتقلت إلى المسلم أن تعود أرض عشر (اعتبار ذلك) للعقل حكم في النفس من حيث ذاته ونظيره وللشرع حكم في النفس فإذا سلب العقل النفس من يد الشرع بشبهة اشتراها بها فهل يقبل الله منه كل عمل حمد صورته الشرع ولكن كان عمله من جهة العقل لا من جهة الشرع فمننا من قال يقبل ويجازى عليه في الدنيا إن لم يكن موحداً وكان مشركاً فإن كان موحداً قبل منه وجوزي عليه جزاء غير المؤمن فإن المؤمن له في عمله يوم القيامة جزاءان جزاء من حيث إنه مؤمن عامل بشريعة وجزاء من حيث إن ذلك العمل من مكارم الأخلاق وأنه خير وقد قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم وكان قد فعل في الجاهلية خيراً أسلمت على ما أسلفت من خير فجازاه الله بما كان منه من خير في زمان جاهليته فإن الخير يطلب الجزاء لنفسه فإذا اقترن به الإيمان تضاعف الجزاء لزيادة هذه الصفة فإن لها حقاً آخر فحكم الشرع العشر و

حكم العقل الخراج (وصل) إذا أخرج الزكاة فضاغت فقال قوم تجزى عنه وقال قوم هو لها ضامن حتى يضعها موضعها و قوم فرقوا بين أن يخرجها بعد أن أمكنه إخراجها و بين أن يخرجها أول زمان الوجوب و الإمكان فقال بعضهم إن أخرجها بعد أيام من الإمكان و الوجوب ضمن و إن أخرجها في أول الوجوب و لم يقع منه تفريط لم يضمن و قال قوم إن فرط ضمن و به أقول و إن لم يفرط زكى ما بقي و قال قوم بل يعد الذهاب من الجمع و يبقى المساكين و رب المال شريكين في الباقي بقدر حظهما من حظ رب المال مثل الشريكين يذهب بعض المال المشترك بينهما و يبقيان شريكين على تلك النسبة في الباقي فالحاصل في المسألة خمسة أقوال قوله إنه لا يضمن بإطلاق و قول إنه يضمن و قول إن فرط ضمن و إن لم يفرط لم يضمن و قول إن فرط ضمن و إن لم يفرط زكى ما بقي و القول الخامس يكونان شريكين في الباقي و أما إذا ذهب بعض المال بعد الوجوب و قيل تمكن إخراج الزكاة فقيل يزكي ما بقي و قال قوم حال المساكين و حال رب المال حال الشريكين يضع بعض مالهما و أما إذا وجبت الزكاة و تمكن الإخراج فلم يخرج حتى ذهب بعض المال فإنه ضامن بانفاق و الله أعلم إلا في الماشية عند من يرى أن وجوبها إنما يتم بشرط خروج الساعي مع الحول و هو مذهب مالك (وصل الاعتبار في ذلك) قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تمتحوا الحكمة غير أهلها فتظلموها و لا تمتنعوها أهلها فتظلموهم و إنفاق الحكمة عين زكاتها و لها أهل كما للزكاة أهل فإذا أعطيت الحكمة غير أهلها و أنت تظن أنه أهلها فقد ضاعت كما ضاع هذا المال بعد إخراجها و لم يصل إلى صاحبه فهو ضامن لمن ضاع لأنه فرط حيث لم تثبت في معرفة من ضاعت عنده هذه الحكمة فوجب عليه أن يخرجها مرة أخرى لمن هو أهلها حتى تقع في موضعها و أما حكم الشريكين في ذلك كما تقرر فإن حامل الحكمة إذا جعلها في غير أهلها على الظن فهو أيضا مضيع لها و الذي أعطيت له ليس بأهل لها فضاغت عنده فيضيع بعض حقها فيستدرك معطي الحكمة غير أهلها ما فاته بأن ينظر في حال من ضاعت عنده الحكمة فيخاطبه بالقدر الذي يليق به ليستدرجه حتى يصير أهلها و يضيع من حق الآخر على قدر ما تقصه من فهم الحكمة الأولى التي ضاعت عنده و الحال فيما بقي من وجوه الخلاف في الاعتبار على هذا الأسلوب سواء فمن قال بعموم قوله صلى الله عليه و سلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار فسأله من ليس بأهل الحكمة فضاغت الحكمة قال لا يضمن على الإطلاق و من أخذ بقوله صلى الله عليه و سلم لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها قال يضمن على الإطلاق و ضمانها أنه يعطيه من الوجوه فيما سأله ما يليق به و إن لم يصح ذلك في نفس الأمر كالأينية فيمن لا يتصف بالتحيز و من أعرض عن الجواب الأول إلى جواب في المسألة يقتضيه حال السائل و الوقت قال يزكي ما بقي و يكون حكم ما مضى و ضاع كحكم مال ضاع قبل الحول و من قال يتعين عليه النظر في حال السائل فلما لم يفعل فقد فرط فإن فعل و غلط لشبهة قامت له تخيل أنه من أهل الحكمة فلم يفرط فهو بمنزلة من قال إن فرط ضمن و إن لم يفرط لم يضمن و القول الخامس قد تقدم في الشريك و لا يخلو العالم أن يعتقد فيما عنده من العلم الذي يحتاج الخلق إليه أن يكون عنده لهم كالأمانة فحكمه في ذلك حكم الأمين أو يعتقد فيه أنه دين عليه لهم فحكمه حكم الغريم و الحكم في الأمانة و الدين و الضياع معلوم فيمشي عليه الاعتبار بتلك الوجوه و الله أعلم

(وصل إذا مات بعد وجوب الزكاة عليه)

قال قوم تخرج من رأس ماله وقال قوم إن أوصى بها أخرجت من الثلث وإلا فلا شيء عليه ومن هؤلاء من قال يبدأ بها إن ضاق الثلث و منهم من قال لا يبدأ بها (وصل) الاعتبار في ذلك الرجل من أهل طريق الله يعطي العلم بالله وقد قلنا إن زكاة العلم تعليمه فجاء مرید صادق متعطش فسأله عن مسألة من علم ما هو عالم به فهذا أوان وجوب تعليمه إياه ما سأله عنه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فلم يعلمه ما سأله فيه من العلم فإن الله يسلب العالم تلك المسألة فيبقى جاهلا بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها فذلك موته بعد وجوب الزكاة فإن الجهل موت قال أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَاحْيِنَاهُ أَوْ يَكُونُ الْعَالَمُ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْلِيمُ مَنْ هُوَ أَهْلُ فَعَلِمَ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ فَذَلِكَ مَوْتُهُ حَيْثُ جَهْلُ الْأَهْلِيَّةِ مَنْ هُوَ لِلْحِكْمَةِ أَهْلٌ وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ أَهْلِهَا فِي الْأَوَّلِ قَدْ يَمْنَحُ الْمُرِيدَ الصَّادِقَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ وَلَكِنْ عَنِ مَشَاهِدَةِ هَذَا الْعَالَمِ بَأَنِ سَمِعَهُ يَعْلَمُهَا غَيْرَهُ أَوْ يَعْلَمُهَا مَنْ قَدْ عَلِمَهُ ذَلِكَ الْعَالَمُ قَبْلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ فِي مِيزَانِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَهَلَهَا فَهَذَا مَعْنَى يَجْزِي عَنْهُ وَيَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ فَإِنْ اعْتَدَرَ ذَلِكَ الْعَالَمَ لِلْمُرِيدِ وَاعْتَرَفَ بِعَقُوبَتِهِ وَذَنْبِهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُرِيدِ بِهَا فَاعْتَرَفَهُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَوْصَى بِهَا وَأَمَّا إِخْرَاجُهَا مِنَ التَّلْثِ فَإِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ مَالِهِ سِوَى التَّلْثِ لِأَنَّهَا وَجِبَتْ فِيمَا يَمْلِكُ وَكَذَلِكَ هَذَا الْعَالَمُ لَا يَمْلِكُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْإِعْتِدَارَ وَالتَّلْثَانِ الْآخِرَانِ لَا يَمْلِكُهُمَا وَهُوَ الْمُنْتَفِلُ مِنْهُ لِيُفِي التَّعْلِيمَ بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَسَبَهَا بِالْجَمَلَةِ فَيَنْبَغِي لِمَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ أَنْ يَجِدَ تَوْبَةً مِمَّا وَقَعَ فِيهِ وَيَسْتَغْفِرَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ (وصل في خلافهم في المال يباع بعد وجوب الصدقة فيه) فقال قوم يأخذ المصدق الزكاة من المال نفسه ويرجع المشتري بقيمته على البائع وقال قوم البيع مفسوخ وقال قوم المشتري بالخيار من إنفاذ البيع ورده والعشر مأخوذ من الثمرة أو من الحب الذي وجبت فيه الزكاة وقال مالك الزكاة على البائع وبه أقول (وصل الاعتبار في ذلك) قال تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا يَعْنِي النَّفْسَ لِأَنَّهُ قَدْ صَيَّرَهَا مَا لَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ وَالْعَبْدُ مَا مَوْرُ بَزَكَاةِ نَفْسِهِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ فَبَاعَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ وَجُوبِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا آمَنَ وَجِبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ نَفْسِهِ فَبَاعَهَا مِنَ اللَّهِ بَعْدَ وَجُوبِ الزَّكَاةِ فَلَا تَحِلُّو الزَّكَاةَ إِذَا أَنْ تَكُونَ فِي عَيْنِ الْمَالِ أَوْ تَكُونَ فِي ذِمَّةِ الْمَكْلُفِ فَإِنْ كَانَتْ فِي ذِمَّةِ الْمَكْلُفِ وَجِبَتْ عَلَى الْبَائِعِ وَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِ الْمَالِ وَجِبَتْ تَزْكِيَّتُهَا عَلَى مَنْ يَدُهُ الْمَالُ فِي عَيْنِ ذَلِكَ الْمَالِ فَيَخْرُجُهَا الْمَشْتَرِي مِنَ الْمَالِ وَيَرْجِعُ بِالْقِيَمَةِ عَلَى الْبَائِعِ وَإِذَا كَانَ وَجُوبُهَا عَلَى الْبَائِعِ فَلِلْبَائِعِ أَنْ يَزْكِيَ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ كَالشَّيْخِ الْمُرْشِدِ يَمْلِكُ نَفْسَ تَلَامِيذِهِ فَيَزْكِي مِنْهَا بِقَدْرِ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ مِنَ الزَّكَاةِ قَبْلَ بَيْعِهَا مِنَ اللَّهِ إِذْ قَدْ كَانَتْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ فِي نَفْسِهِ فَتَقُومُ لَهُ زَكَاةُ نَفْسِهِ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمُرِيدِينَ مَقَامَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَنْ يَقُولُ بِفَسْخِ الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ فِي بَيْعِهِ حَتَّى يَزْكِيهَا وَحِينَئِذٍ يَبِيعُهَا مِنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مَنْ يَقُولُ الْمَشْتَرِي بِالْخِيَارِ مِنْ إِنْفَازِ الْبَيْعِ وَرَدِّهِ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ قَبْلَهَا وَزَكَاهَا وَإِنْ شَاءَ رَدَّهَا عَلَى الْبَائِعِ حَتَّى يَزْكِيهَا (وصل) و من هذا الباب اختلافهم في زكاة المال الموهوب واعتباره أن الموهوب له بالخيار إن شاء قبل الهبة وقد عرف ما فيها من الحق فأوصل الحق منها إلى مستحقه ومسك ما بقي وإن شاء رد قدر ما يجب فيها من الزكاة على البائع حتى يؤديها والموهوب له هو الحق هنا والذين لهم

الزكاة من هذه النفس ما تطلب منهم الجنة ومن فيها هل هو حق لهم من نفس المؤمن انتهى الجزء الحادي والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في حكم من منع الزكاة) ولم يجحد وجوبها ذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن حكمه حكم المرتد فقاتلهم وسي ذريتهم وخالفه في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأطلق من استرق منهم ويقول عمر قال الجمهور وذهبت طائفة إلى تكفير من منع فريضة من الفرائض وإن لم يجحد وجوبها (وصل الاعتبار في ذلك) اعلم أن في نفس المؤمن حظ الجنان ومن فيه منها الزكاة والله ما بقي وهو الذي يصح فيه البيع وإلى هذا ذهب جماعة المحققين من أهل طريق الله لتعدد أصناف من تجب لهم الزكاة من أنفسهم عليهم فالجنة فيها أصناف يطلبون من نفس المؤمن ما يستحقونه وهي الزكاة فالقصر يطلبه بالسكنى والزوجات يطلبن بما احتجن إليه منه فالثمانية الأعضاء المكلفة من الإنسان كما يجب فيها الزكاة على الإنسان كذلك لها نسبة في أن تأخذ الزكاة من جهة أخرى فيقوم ما في الجنان مقام من يقسم عليهم ما يليق به فمن منع الزكاة من نفسه عن أحد هؤلاء الأصناف وهو مقر بها أنها واجبة عليه فهو ظالم غير كافر إلا في الصلاة خاصة فإن تاركها كافر فإن الشرع سماه كافرا بمجرد الترك وما أدري ما أراد وإنما مانع الزكاة فهو ظالم حيث مسك حق الغير الذي يجب لهم وسأذكر بعد هذا إن شاء الله ما تجب فيه الزكاة وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(وصل في ذكر ما تجب فيه الزكاة)

اتفق العلماء على إن الزكاة تجب في ثمانية أشياء محصورة في المولدات من معدن ونبات وحيوان فالمعدن الذهب والفضة والنبات الحنطة والشعير والتمر والحيوان الإبل والبقر والغنم هذا هو المتفق عليه وهو الصحيح عندنا وأما الزيب ففيه خلاف (الاعتبار في ذلك) الزكاة تجب من الإنسان في ثمانية أعضاء البصر والسمع واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب ففي كل عضو وعلى كل عضو من هذه الأعضاء صدقة واجبة يطلب الله بها العبد في الدار الآخرة وأما صدقة التطوع فعلى كل عرق في الإنسان صدقة كما قال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامي من الإنسان صدقة والسلامي عروق ظهر الكف وقيل العروق فكل تسيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكذلك التحميد والتكبير فالزكاة التي في هذه الأعضاء هي حق الله تعالى الذي أوجبها على الإنسان من هذه الأعضاء الثمانية كما أوجبها في هذه الثمانية من الذهب والورق وسائر ما ذكرنا مما تجب فيه الزكاة بالاتفاق فتعين على المؤمن أداء حق الله تعالى في كل عضو فزكاة البصر ما يجب لله تعالى فيه من الحق كالغض عن الحرامات والنظر فيما يؤدي النظر إليه من القربة عند الله كالنظر في المصحف وفي وجه العالم وفي وجه من يسر بنظره إليه من أهل وولد وأمثالهم وكان النظر إلى الكعبة إذا كنت لها مجاورا فإنه قد ورد أن لناظر إلى الكعبة عشرين رحمة في كل يوم وللطائف بها ستين رحمة وعلى هذا النحو تنظر في جميع الأعضاء المكلفة في الإنسان من تصرفها فيما ينبغي وكفها عما لا ينبغي (بيان وإيضاح) واعلم أن هذه الأصناف قد أحاطت بمولدات الأركان كما قلنا وهي المعدن والنبات والحيوان وما ثم رابع ففرض الله

الزكاة في أنواع مخصوصة من كل جنس من المولدات لطهارة الجنس فتطهر النوع بلا شك من الدعوى التي حصلت فيه من الإنسان بالملك فإن الأصل فيه الطهارة من حيث إنه ملك لله مطلقاً وذلك أن الأصل الذي ظهرت عنه الأشياء من أسمائه القدوس وهو الطاهر لذاته من دنس المحدثات فلما ظهرت الأشياء في أعيانها وحصلت فيها دعاوى المالك بالملكية طراً عليها من نسبة الملك إلى غير منشئها ما أزالها عن الطهارة الأصلية التي كانت لها من إضافتها إلى منشئها قبل أن يخلقها هذا الدنس العرضي بملك الغير لها وكفى بالحدث حدثاً وهذه الأجناس لا تصرف لها في أنفسها فأوجب الله على مالكتها فيها الزكاة وجعل ذلك طهارتها فعين الله فيها نصيباً يرجع إلى الله عن أمر الله لينسبها إلى مالكتها الأصلي فتكسب الطهارة فإن الزكاة إنما جعلها الله طهارة الأموال وكذلك في الاعتبار فإن هذه الأعضاء المكلفة هي طاهرة بحكم الأصل فإنها على الفطرة الأولى ولا تزول عنها تلك الطهارة والعدالة ألا تراها تستشهد يوم القيامة وتقبل شهادتها لزكاتها الأصلية وعدالتها فإن الأصل في الأشياء العدالة لأنها عن أصل طاهر والجرحة طارئة قال تعالى **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** وقال **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ** وقال تعالى **وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْنَا** وعَلَيْنَا وَقَالَ تَعَالَى **وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ** **أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ** فهذا كله إعلام من الله لنا أن كل جزء فينا شاهد عدل زكى مرضي وذلك بشرى خير لنا **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** صور فالخير فيها فإن الأمر إذا كان بهذه المثابة يرجى أن يكون المال إلى خير وإن دخل النار فإن الله أجل وأعظم وأعدل من أن يعذب مكرها مقهوراً وقد قال **إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** وقد ثبت حكم المكروه في الشرع وعلم حد المكروه الذي اتفق عليه والمكروه الذي اختلف وهذه الجوارح من المكروهين المتفق عليهم أنهم مكروهون فتشهد هذه الأعضاء بلا شك على النفس المدبرة لها السلطانة عليها والنفس هي المطلوبة عند الله عن حدوده والمسئولة عنها وهي مرتبطة بالحواس والقوى لانفكاكها عن هذه الأدوات الجسمية الطبيعية العادلة الزكية المرضية المسموع قولها ولا عذاب للنفس إلا بوساطة تعذيب هذه الجسوم وهي التي تحس بالآلام المحسوسة لسريان الروح الحيواني فيها وعذاب النفس بالهموم والغموم وغلبة الأهوام والأفكار الرديئة وما ترى في رعيئها مما تحس به من الآلام ويطرأ عليها من التغييرات كل صنف بما يليق به من العذاب وقد أخبر بما آله الإيمانها إلى السعادة لكون المقهور غير مؤاخذ بما جبر عليه وما عذبت الجوارح بالآلم إلا لإحساسها أيضاً باللذة فيما نالته من حيث حيوانيتها فافهم فصورتها صورة من أكره على الزنا وفيه خلاف والنفس غير مؤاخذة بالهم ما لم تعمل ما همت به بالجوارح والنفس الحيوانية مساعدة بذاتها مع كونها من وجه مجبورة فلا عمل للنفس إلا بهذه الأدوات ولا حركة في عمل للدوات إلا بالأغراض النفسية فكما كان العمل بالجموع وقع العذاب بالجموع ثم تنضي عدالة الأدوات في آخر الأمر إلى سعادة المؤمنين فيرتفع العذاب الحسي ثم يقضي حكم الشرع الذي رفع عن النفس ما همت به فيرتفع أيضاً العذاب المعنوي عن المؤمن فلا يبقى عذاب معنوي ولا حسي على أحد من أهل الإيمان وبقدر قصر الزمان في الدار الدنيا بذلك العمل لوجود اللذة فيه وأيام النعيم قصار تكون مدة العذاب على النفس الناطقة والحيوانية الدراكة مع قصر الزمان المطابق لزمان العمل فإن أنفاس الهموم طوال فما أطول الليل على

أصحاب الآلام وما أقصره بعينه على أصحاب اللذات والتعيم فزمان الشدة طويل على صاحبه وزمان الرخاء قصير (إفصاح) واعلم أن للزكاة نصاباً وحولاً أي مقداراً في العين والزمان كذلك الاعتبار في زكاة الأعضاء لها مقدار في العين والزمان فالنصاب بلوغ العين إلى النظرة الثانية فإنها المقصودة والإصغاء إلى السماع الثاني وكذلك الثواني في جميع الأعضاء لأجل القصد والمقدار الزماني يصحبه فلنذكر ما يليق بهذا الباب مسألة مسألة على قدر ما يلقي الله عز وجل في الخاطر من ذلك والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم

(وصل في زكاة الحلبي)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في زكاة الحلبي فمن قائل لا زكاة فيه ومن قائل فيه الزكاة (الاعتبار في ذلك) الحلبي ما يتخذ للزينة والزينة مأمور بها قال الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده وأضافها إليه ما أضافها إلى الدنيا ولا إلى الشيطان والزكاة حق له وما كان مضافاً إليه لا يكون فيه حق له لأنه كله له فلا زكاة في زينة الله ومن اتخذ زينة الحياة الدنيا وسلب عنه زينة الله أوجب فيه الزكاة وهو أن يجعل الله نصيباً فيه يحبي به ما أضاف منه إلى نفسه ويزكو ويتقدس كما شرع الله للإنسان أن يستعين بالله ويطلب العون منه في أفعاله التي كلفه سبحانه أن يعملها وهو العامل سبحانه لا هم فكذلك ينبغي أن يجعل الزكاة في زينة الحياة الدنيا وإن كانت زينة الله التي أخرج لعباده فأوجبوا الزكاة في تلك الزينة كما أوجبها من أوجبها في الحلبي

(وصل في زكاة الخيل)

اختلفوا في الخيل فالجمهور على أنه لا زكاة في الخيل وقال قوم إذا كانت سائمة وقصد بها النسل ففيها الزكاة أعني إذا كانت ذكرنا وإناثا (وصل الاعتبار في ذلك) هذا النوع من الحيوان وأمثاله من جملة زينة الله قال تعالى وَالْخَيْلَ وَالْبغالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَّبُوهَا وَزِينَةً وَهي من زينة الله التي أخرج لعباده ثم إنه من الحيوان الذي له الكر والفر فهو أنفع حيوان يجاهد عليه في سبيل الله فالأغلب فيه أنه لله وما كان لله فما فيه حق لله لأنه كله لله النفس مركبها البدن فإذا كان البدن في مزاجه وتركيب طباعته بحيث أن يساعد النفس المؤمنة الطاهرة على ما تريد منه من الإقبال على طاعة الله والفرار عن مخالفة الله كان لله وما كان لله فلا حق فيه لله لأنه كله لله وإذا كان البدن يساعد وقتاً ولا يساعد وقتاً آخر لخلل فيه كان رد النفس بالفهر فيما لا يساعد فيه من طاعة الله زكاة فيه كمن يريد الصلاة ويجد كسلاً في أعضائه وتكسراً فيتشبث عنها مع كونه يشتهيها فأداء الزكاة في ذلك الوقت أن يقيمها ولا يتركها مع كسلها وهي في ذلك الوقت سائمة من السائمة اعتبار متخذة للنسل لأن فيها ذكراً وإناثاً أي خواطر عقل وخواطر نفس (وصل) في سائمة الإبل والبقر والغنم وغير السائمة فإن قوماً أوجبوا الزكاة فيها كلها سائمة وغير سائمة وذهب الأكترون إلى أن لا زكاة في غير السائمة من هذه الثلاثة الأنواع (اعتبار هذا الوصل) السائمة الأفعال المباحة كلها وغير السائمة ما عدا المباح فمن قال الزكاة في السائمة قال إن المباح لما كانت الغفلة تصحبه أوجبوا أن يحضر الإنسان عند فعله المباح أنه مباح بإباحة الشارع ولو لم يبح فعله ما فعله فهذا القدر من النظر هو زكاته وأما غير السائمة فلا زكاة فيها لأنها كلها أفعال مقيدة بالوجوب أو

الندب أو الحظر أو الكراهة فكلها لا تخيير على الإطلاق للعبد فيها فكلها لله تعالى وما كان لله لا زكاة فيه فإن الزكاة حق لله في هذا كله و الحق بعض أصحابنا المندوب والمكروه بالمباح فجعل فيه الزكاة كاللمباح سواء وقالت طائفة أخرى ما هو مثل المباح فإن فيه ما يشبه الواجب والمحذور وفيه ما يشبه المباح فإن كان وقته تغليب أحد النظيرين فيهما كان حكمه بحكم الوقت فيهما وهو أن يحضر له في وقت إلحاقهما بالمباح وفي وقت إلحاقهما بالواجب والمحذور والصورة في الشبه أن السائمة مملوكة وغير السائمة مملوكة فالجامع بينهما الملك ولكن ملك غير السائمة أثبت لشغل المالك بها وتعاهده إياها والسائمة ليست كذلك وإن كانت ملكا وكذلك المندوب والمكروه هو مخير في الفعل والترك فأشبه المباح وهو مأجور في الفعل فيهما والترك فأشبه الواجب والمحذور وهذا أسد مذاهب القوم عندنا ومن قال الزكاة في الكل قال إنما أوجب ذلك في الكل سائمة وغير سائمة لأن الأفعال الواقعة من العبد منسوبة للعبد نسبة إلهية وإن اقتضى الدليل خلافها فوجبت الزكاة في جميع الأفعال لما دخلها من النسبة إلى المخلوق وصورة الزكاة فيها استحضر أن جميع ما يقع منك بقضاء وقدر عن مشاهدة وحضور تام في كل فعل عند الشروع في الفعل وذلك القدر هو زمان الزكاة بمنزلة انقضاء الحول وقدر ذلك الفعل الذي يمكن الرد فيه إلى الله ذلك هو نصاب ذلك الفعل وهذا مذهب العلماء بالله إن الأفعال كلها لله بوجه وتضاف إلى العبد بوجه فلا يجنبهم وجه عن وجه كما لا يشغله شأن عن شأن

(وصل في زكاة الحبوب وأما ما اختلفوا فيه من النبات بعد اتفاهم على الأصناف الثلاثة)

فمنهم من لم ير الزكاة إلا في تلك الأصناف الثلاثة ومنهم من قال الزكاة في جميع المدخر المقات من النبات ومنهم من قال الزكاة في كل ما تخرجه الأرض ما عدا الحشيش والحطب والتصب (الاعتبار في كونه نباتا) فهذا النوع مختص بالقلب فإنه محل نبات الخواطر وفيه يظهر حكمها على الجوارح فكل خاطر نبت في القلب وظهر عينه على ظاهر أرض بدنه ففيه الزكاة لشهادة كل ناظر فيه إنه فعل من ظهر عليه فلا بد أن يركبه برده إلى الله ذلك هو زكاته وما لم يظهر فلا يخلو صاحبه لما نبت في قلبه ما نبت هل كان ممن رأى الله فيه أو قبله فإن كان من هذا الصنف فلا زكاة عليه فإنه لله ومن رأى الله بعده من أجله فتلك عين الزكاة قد أداها وإن لم ير الله بوجه وجبت عليه الزكاة عند العلماء بالله ولم تجب عليه الزكاة عند الفقهاء من أهل الطريق لأن الشارع لم يعتبر لهم حتى يقع الفعل فكان نباتا سقطت فيه الزكاة كما سقطت المؤاخاة عليه فإن كان النبات من الخواطر التي فيها قوت للنفس وجبت الزكاة لما فيها من حظ النفس فإن كان حظ النفس تبعا فلا زكاة فإن قوت هذا الذي هذه صفته فهو الله الذي به يقوم كل شيء قيل لسهل بن عبد الله ما القوت قال الله قيل له سألتك عن قوت الأشباح قال الله فلما ألحوا عليه قال ما لكم ولها دع الديار إلى مالكمها وبانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها

(وصل في النصاب بالاعتبار)

وأما النصاب في الأعضاء فهو أن تتجاوز في كل عضو من الأول إلى الثاني ولكن من الأول المعفو عنه لا من الأول المندوب فإن الأول المعفو

عنه لا زكاة فيه فإنه لله والثاني لك ففيه الزكاة ولا بد سواء كان في النظرة الأولى أو السماع الأول أو اللفظة الأولى أو البطشة الأولى أو السعي الأول أو الخاطر الأول والجامع كل حركة لعضو لا قصد له فيها فلا زكاة عليه فإذا كانت الثانية التالية لها فإنها لا تكون إلا نفسية عن قصد فوجبت الزكاة أي طهارتها و الزكاة فيها هي التوبة منها لا غير فلتتحقق بالحركة الأولى في الطهارة من أجل التوبة والتوبة زكاتها هذا حد النصاب فيما تجب فيه الزكاة من جميع ما تجب فيه الزكاة ولا حاجة لتعدادها في الحكم الظاهر المشروع في تلك الأصناف لأن المقصود الاعتبار وقد بان فاكفينا بذلك عن تفصيله وقد تقدم اعتبار وقت الزكاة وبقي لنا اعتبار من أخرج الزكاة قبل وقتها فإن قوما منعوا من ذلك وبه أقول وأجازه بعضهم (اعتباره) تطهير الحبل للخاطر قبل وقوعه بالاستعداد له مع علمه بما يخطر له من جهة الكشف الذي هو عليه فإن قطع بحضوره ولا بد لم يجزه فإنه راجع إلى الطهارة الأولى وإذا وقع فلا بد من طهارة لوقوعه بلا شك فلا يتعدى بالأمر أوقاتها فإن الحكم للوقت ومن أخرجها قبل الوقت فقد عطل حكم الوقت

(وصل في ذكر من تجب لهم الصدقة)

وهم الثمانية الذين ذكر الله في القرآن الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والرقاب والغارمون والمجاهدون وابن السبيل اعتبارهم الأعضاء المذكورة تخرج الزكاة من أفعالها وترد على أعيانها وهو المعبر عنه بثوابها ففي أفعال هذه الأعضاء الزكاة وعلى أعيانها تقسم الزكاة فمن زكى نظره بنفسه أعطى الزكاة بصره فعاد يبصر بربه بعد ما كان يبصر بنفسه وكذلك من زكى سمعه بنفسه أعطى الزكاة سمعه فصار يسمع بربه وهو قوله كنت سمعه وبصره وكذلك يتكلم ويبطش ويسعى كل ذلك بربه ويتقلب في أموره كلها بربه (وصل في تعيين الأصناف الثمانية الذين تقسم الزكاة عليهم اعتبارا فمنهم الفقراء قال الله تعالى إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ يَقُولُ فَرَضَهَا اللَّهُ لَهُؤَلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُعْطِيَ إِلَى سِوَاهُمْ وَفِي إِعْطَائِهَا لِصِنْفٍ وَاحِدٍ خِلَافَ الَّذِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ وَجَدَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ قَسَمْتَ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةَ بِحَسَبِ مَا يَوْجَدُ مِنْهُمْ لَكِنِ عَلَى الْأَصْنَافِ لَا عَلَى الْأَشْخَاصِ وَلَوْ لَمْ يَوْجَدْ مِنْ صِنْفٍ مِنْهُمْ إِلَّا شَخْصٌ وَاحِدٌ دَفَعَ إِلَيْهِ قَسَمَ ذَلِكَ الصِّنْفِ وَإِنْ وَجَدَ مِنْ الصِّنْفِ أَكْثَرَ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ قَسَمَ عَلَى الْمَوْجُودِينَ مِنْهُ مَا تَعَيَّنَ لِذَلِكَ الصِّنْفِ قُلُوبَ الْأَشْخَاصِ أَوْ كَثُرُوا وَكَذَلِكَ الْعَامِلُ عَلَيْهَا قَسَمَهُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ بِحَسَبِ مَا يَوْجَدُ مِنَ الْأَصْنَافِ فَإِنْ وَجَدَ الْكُلَّ فَالْكَُلُ صِنْفٌ ثَمَنُ الصَّدَقَةِ إِلَى سَبْعٍ وَسُدُسٍ وَخَمْسٍ وَرَبْعٍ وَثَلَاثٍ وَنِصْفٍ وَلِلْكَُلِّ ثَمَنٌ إِنَّا نَقْدَمُ مِنْ قَدَمِ اللَّهِ بِالذِّكْرِ فِي الْعَطَاءِ وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ هُنَا فِي تَعْيِينِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَ فِي حِجَّةٍ وَدَاعَهُ إِلَى السَّعِيِّ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أبدأ بما بدأ الله به وحدثني بحكاية في هذا بعض أشياخنا قال أراد رجل من أهل القيروان الحج فبقي يتردد هل يمشي في البحر أو في البر وما ترجح عنده واحد منهما فقال أسأل أول رجل اجتمع به فحيث ما قال لي سلكت ذلك الطريق قال فأول من لقيه يهودي فحار في أمره هل أسأله فعزم على سؤاله فشاوره فقال له يا مسلم أليس الله

يقول هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فقدم البر فقدم ما قدم الله وهذا هو الطريق نبدأ بما بدأ الله به وتقدم ما قدم الله فإنه من التزم ذلك رأى خيرا في حركاته (اعتبار الفقير) الذي يجب إعطاء الصدقة له لأنه يجب عليه أخذها عند أهل الطريق إلا عندنا فإنه واجب عليه أخذها إذا أعطيته ولا يسألها أصلا ولو تحقق بالعبودية أسنى مرتبة فيها وجاءته أخذها فإن الزكاة وإن كانت لهؤلاء الأصناف فإنها حق الله في هذه الأموال وللعبد أن يأكل من مال سيده فإنه حقه وإنما حرمت على أهل البيت تخصيصا لهذه الإضافة وسواء تحققوا بالعبودية أو لم يتحققوا فلو كان ذلك للتحقق بالعبودية ما حرمت إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه الأمر وليس كذلك فأهل الله أولى من تصرف في حقوق الله ثم نرجع فنقول الفقير عندنا الذي ليس وراءه مرتبة للفقر هو الذي يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء وإلى الآن فما رأيت أحدا تحقق بهذه الصفة يقول الله تعالى من باب الغيرة الإلهية يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ كفى عن نفسه في هذه الآية بكل ما يفتقر إليه والله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فما افتقر فقير إلا إلى الله عرف ذلك هذا الشخص أو لم يعرفه فإن الفقير الإلهي يرى الحق عين كل شيء وهو في عبوديته منغمس مغمور حين رأى الله تسمى له باسم كل شيء يفتقر إليه وما في الوجود شيء إلا ويفتقر إليه مفتقر ما من جميع الأشياء ولا يفتقر إليه شيء لوقوف هذا الفقير عند هذه الآية يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فتحقق بهذه الآية فأوجب الله له الطهارة والزكاة حيث تأدب مع الله وعلم ما أراد الله بهذه الآية فإنها من أعظم آية وردت في القرآن للعلماء بالله الذين فهموا عن الله فلم يظهر عليه صفة غنى بالله ولا بغير الله فيفتقر إليه من ذلك الوجه فصح له مطلق الفقر فكان الله غناه بما هو من الأغنياء بالله فإن الغني بالله من افتقر إليه الخلق وزها عليهم بغناه بربه فذلك لا يجب له أن يأخذ هذه الزكاة فما قدم الحق الفقراء بالذكر وفوقهم من هو أشد حاجة منهم لأمسكين ولا غيره فإن الفقير هو الذي انكسر فقار ظهره فلا يقدر على أن يقيم ظهره وصلبه فلا حظ له في القومية أبدا بل لا يزال مطاطع الرأس لانكساره فافهم هذه الإشارة والمسكين المسكين من السكون وهو ضد الحركة والموت سكون فإذا تحرك الميت فبتحريك غيره إياه لا بنفسه فالمسكين من يديره غيره فهذا فرض الله له أن يعطي الزكاة ولا يقال فيه إنه أخذ لها وهو لا يتصف بالحاجة ولا بعدم الحاجة ولهذا قلنا في الفقير إنه ما فوقه من هو أشد حاجة منه فإن المسكين هو عين المسلم المفوض أمره إلى الله عن غير اختيار منه بل الكشف أعطاه ذلك ولهذا ألحقناه بالميت فالمسكين كالأرض التي جعلها الله لنا ذلولا فمن ذل ذلة ذاتية تحت عز كل عزيز كان من كان ذلك المسكين لتحققه فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَأَنْ عِزَّتْ هِيَ الظاهرة في كل عزيز وهذه معرفة نبوية يقول تعالى أَمَّا مَنْ اسْتَعْجَلَ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقْ فعند المحققين ضمير له لله وإن كانت الآية جاءت عتبا ولكن في حق فهم العرب ونحن مع شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوقه ومرتبة فإن العارفين مناوهم هذا المقام حسنة من حسنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبالي بذلك العزيز فنقول إنه ممن أشقاه الله بعزه فإن هذا المسكين ما ذل إلا للصفة وهذه الصفة لا تكون إلا لله عنده حقيقة لم تندسها الاستعارة قط فهذا المسكين لم يرعينه إلا الله إذ كان لا يرى العزة إلا عزته تعالى لا بعينه ولا بقلبه ونظر إلى ذلة كل ما سواه تعالى بالعين التي ينبغي أن ينظر إليهم بها فتحيل المخلوق الموصوف عند نفسه بالعزة

أنه ذلك هذا المسكين لعزه وإنما كان ذلك للعز خاصة والعز ليس إلا لله فوفى المقام حقه فمثل هذا هو المسكين الذي يعين له إعطاء الصدقة والعاملين عليها العامل المرشد إلى معرفة هذه المعاني والمبين لحقائقها والمعلم والأساذ والبدال عليها وهو الجامع لها بعلمه من كل من تجب عليه فله منها على قدر عماله وليس الأمر في حقه منها إلا كما قدمناه والأولى بالمرشد أن يقول ما قالت الرسل **إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ** فقد يكون هذا القدر الذي لهم من الزكاة الإلهية فلهم أخذ زكاة الاعتبار لا زكاة المال فإن الصدقة الظاهرة على الأنبياء حرام لأنهم عبيد والعبد لا يأخذ الصدقة من حيث ما تنسب إلى الخلق فاعلم ذلك والمؤلفة قلوبهم فهم الذين تألفهم الإحسان على حب المحسن لأن القلوب تتقلب فتألفها هو أن تتقلب في جميع الأمور كما تعطي حقائقها ولكن لعين واحدة وهي عين الله فهذا تألفها عليه لا تملكها عيون متفرقة لتفرق الأمور التي تتقلب فيها فإن الجدول إذا كانت ترجع إلى عين واحدة فينبغي مراعاة تلك العين والتألف بها فإنه إن أخذته الغفلة عنها ومسكت تلك العين ماءها لم تنفعه الجدول بل يبست وذهب عينها وإذا راعى العين وتألف بها تبخرت جدولها واتسعت مذانها وفي الرقاب فهم الذين يطلبون الحرية من رق كل ما سوى الله فإن الأسباب قد استرقت رقاب العالم حتى لا يعرفوا سواها وأعلامهم في الرق الذين استرقتهم الأسماء الإلهية وليس أعلى من هذا الاستراق إلا استراق أحدية السبب الأول من كونه سببا لا من حيث ذاته ومع هذا فينبغي لهم أن لا تسترقتهم الأسماء لعلبة نظرهم إلى أحدية الذات من كونه ذاتا لا من كونها لها ففي مثل هذه الرقاب تخرج الزكاة والغارمين هم الذين **أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** عن أمره وهو قوله عز وجل **آمِرًا وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** عطف على أمرين وإحيين وهما قوله **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** وثلث بقوله **وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** فالقرض ثالث ثلاثة ولكن ما عين ما تقرضه كما لم يعين ما تركيه كما لم يعين صلاة بعينها فعمت كل صلاة أمرنا بإقامتها وكل زكاة وكل قرض إلا أنه نعت قرضاً بقوله **حَسَنًا** مع تأكيد بالمصدر وسبب ذلك أن الصلاة والزكاة العبد فيهما عبد اضطرار وفي القرض عبد اختيار فمن الناس من أقرض الله قرض اختيار وهو الذي لم يبلغه الأمر به وبلغه إن **تَقْرَضُوا اللَّهَ** أو قوله من **ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** يأخذ الزكاة الغارم الأول الذي أعطى على الوجوب الصدقة بحكم الوجوب أي أنها تجب له ويأخذها الثاني باختيار المصدق حيث ميزه دون غيره ولا سيما في مذهب من يرى في عدد هؤلاء الأصناف أنه حصر المصرف في هؤلاء المذكورين أي لا يجوز أن تعطي لغيرهم فإذا أعطيت لصنف منهم دون صنف فقد برئت الذمة وهي مسألة خلاف فهذا المقرض بآية من **ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ** وإن **تَقْرَضُوا** الله لا يأخذها بحكم الوجوب والمقرض بآية الأمر يأخذها بحكم الوجوب لأن المأمور أدى واجبا فجزاؤه واجب وكان **حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** فإن الإيمان واجب فمسألتهم للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون وهذه كلها واجبات فأوجب الجزاء بالرحمة لهم بلا شك وفي سبيل الله فيمكن إن يريد المجاهدين والإنفاق منها في الجهاد فإن العرف في سبيل الله عند الشرع هو الجهاد وهو الأظهر في هذه الآية مع أنه يمكن أن يريد بسبيل الله سبل الخير كلها المقربة إلى الله فأما هذا الصنف بحكم ما يقتضيه الطريق فسبيل الله ما يعطيه هذا الاسم الذي هو الله دون غيره من الأسماء الحسنى الإلهية فيخرجها فيما تطلبه مكارم الأخلاق من غير اعتبار صنف من أصناف المخلوقين كرزق الله

عباده بل ما تقتضيه المصلحة العامة لكل إنسان بل لكل حيوان ونبات حتى الشجرة يراها تموت عطشا فيكون عنده بما يشترى لها ما يسقيها به من مال الزكاة فيسقيها بذلك فإنه من سبيل الله ولا قاتل بهذا وإن أراد المجاهدين فاجاهدون معلومون بالعرف من هم والمجاهدون أنفسهم أيضا في سبيل الله فيعاونون بذلك على جهاد أنفسهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يريد جهاد النفوس ومخالفتها في أغراضها الصارفة عن طريق الله تعالى وابن السبيل وأبناء السبيل معلومون وهم في الاعتبار أبناء طريق الله لأن الألف واللام للتعريف فهما بدل من الإضافة ونصيب هؤلاء من الزكاة التي هي الطهارة الإلهية التي ذكرناها فيما قبل (وصل متمم) ثم لتعلم وفقك الله أن الأمور التي يتصرف فيها الإنسان حقوق الله كلها غير أن هذه الحقوق وإن كانت كثيرة فإنها بوجه ما منحصرة في قسمين قسم منهما حق الخلق لله وهو قوله صلى الله عليه وسلم إن لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولزورك عليك حقا والقسم الآخر حق الله لله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي وهذا الحق الذي لله هو زكاة الحقوق التي للخلق لله وهذه الحقوق بجملة في ثمانية أصناف العلم والعمل وهما بمنزلة الذهب والفضة ومن الحيوان الروح والنفس والجسم في مقابلة الغنم والبقر والإبل ومن النبات الحنطة والشعير والتمر وفي الاعتبار ما تنبته الأرواح والنفوس والجوارح من العلوم والحواطر والأعمال الغنم للروح والبقر للنفس والإبل للجسم وإنما جعلنا الغنم للأرواح لأن الله جعل الكبش قيمة روح نبي مكرم فقال وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ فعظمه وجعله فداء ولد إبراهيم نبي ابن نبي فليس في الحيوان بهذا الاعتبار أرفع درجة من الغنم وهي ضحايا هذه الأمة ألا تراها أيضا قد جعلت حق الله في الإبل وهو في كل خمس ذود شاة وجعلت مائة من الإبل فداء نفس ليس برسول ولاني فانظر أين مرتبة الغنم من مرتبة الإبل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصلاة في مراض الغنم والصلاة قربة إلى الله وأما كنها مساجد الله فمراض الغنم من مساجد الله فلها درجة القربة والإبل ليست لها هذه المرتبة وإن كانت أعظم خلقا ولهذا جعلناها للأجسام ألا ترى أنه من أسمائها البدنة والجسم يسمى البدن والبدن من عالم الطبيعة والطبيعة بينها وبين الله درجتان من العالم وهما النفس والعقل فهي في ثالث درجة من القربة فهي بعيدة عن القرب الإلهي ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في معادن الإبل وعلل ذلك بكونها شياطين والشيطنة البعد يقال ركية شطون إذا كانت بعيدة القعر والصلاة قرب من الله والبعد يناقض القرب فنهى عن الصلاة في معادن الإبل لما فيها من البعد وكذلك الجسم الطبيعي أين هو من درجة القربة التي للروح وهو العقل فإنه الموجود الأول وهو المنفوخ منه في قوله وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فهذا جعلنا الروح بمنزلة الكبش والجسم بمنزلة الإبل وأما كون البقر في مقابلة النفوس وهي دون الغنم في الرتبة وفوق الإبل كالنفس فوق الجسم ودون العقل الذي هو الروح الإلهي وذلك أن بنى إسرائيل لما قتلوا نفسا وتدافعوا فيها أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا الميت ببعضها فيحيا بإذن الله فلما حيي به نفس الميت عرفنا إن بينها وبين النفس نسبة فجعلناها للنفس ثم إن الروح الذي هو العقل يظهر عنه مما زرع الله فيه من العلوم والحكم والأسرار ما لا يعلمه إلا الله وهذه العلوم كلها منها ما يتعلق بالكون ومنها ما يتعلق بالله وهو بمنزلة الزكاة من الحنطة لأنها أرفع الحبوب وإن النفس يظهر

عنها مما زرع الله فيها من الخواطر والشهوات ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهذا نباتها وهو بمنزلة التمر وزكاة الله منها الخاطر الأول ومن الشهوات الشهوة التي تكون لأجل الله وإنما قرناها بالتمر لأن النخلة هي عممتنا فهي من العقل بمنزلة النخلة من آدم فإنها خلقت من بقية طينته وأما الجوارح فزرع الله فيها الأعمال كلها فأنبت الأعمال وحظ الزكاة منها الأعمال المشروعة التي يرى الله فيها فهذه ثمانية أصناف تجب فيها الزكاة فأما العلم الذي هو بمنزلة الذهب فيجب فيها ما يجب في الذهب وأما العمل الذي هو بمنزلة الفضة فيجب فيه ما يجب في الورق وأما الروح فيجب فيه ما يجب في الغنم وأما النفس فيجب فيها ما يجب في البقر وأما الجوارح فيجب فيها ما يجب في الإبل وأما ما ينتجه العقل من المعارف وينبته من الأسرار فيجب فيها ما يجب في الحنطة وأما ما تنتجه النفس من الشهوات والخواطر وتنبته من الواردات فيجب فيه ما يجب في التمر وأما ما تنتجه الجوارح من الأعمال وتنبته من صور الطاعات وغيرها فيجب فيه ما يجب في الشعير (وصل في اعتبار الأوقات بالأوقات) اعلم أن الأوقات في طريق الله للعلماء العاملين بمنزلة الأوقات لمصالح الأجسام الطبيعية وكما أن بعض الأوقات هو زكاة ذلك الصنف كذلك الوقت الإلهي هو زكاة الأوقات الكيانية فإن في الوقت أغذية الأرواح كما إن في الأوقات أغذية الأشباح الحيوانية والنباتية وغذاء الجوارح الأعمال والعلم والعمل معدنان بوجودهما تنال المقاصد الإلهية في الدنيا والآخرة كما إن بالذهب والفضة تنال جميع المقاصد من الأعراض والأغراض فلنئين ما يتعلق بهذا النوع وهذه الأنواع من حق الله الذي هو الزكاة (وصل في مقابلة وموازنة الأصناف الذين تجب لهم الزكاة بالأعضاء المكلفة من الإنسان) وهم الفقراء يوازنهم من الأعضاء الفرج ويوازن المساكين البطن ويوازن العاملين القلب ويوازن المؤلفقة قلوبهم بالسمع ويوازن الرقاب بالبصر ويوازن الغارمين باليد ويوازن المجاهدين باللسان ويوازن ابن السبيل بالرجل فإن اعتبرت هذه الموازنة بين هؤلاء الأصناف وبين هذه الأعضاء على ما ذكرناه تجد حكمة ما أشرنا إليه فالفقر في الفرج واضح وكذلك المسكنة في البطن ظاهر والعامل بالقلب صريح والمؤلفة قلوبهم بالسمع بين والرقاب بالبصر واقع والغارم باليد إفصاح والمجاهد باللسان صحيح وابن السبيل بالرجل أوضح من الكل

(وصل في معرفة المقدار كيلا ووزنا وعددًا)

خرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمس أواق صدقة يريد من الورق فجعل الوسق في الحبوب وهي النبات وهو مكيال معروف وهو ستون صاعا فالخمس الأوسق ثلاثمائة صاع وهو ما ينبته التخلق بالأسماء أعني الأخلاق الإلهية من الأخلاق في الإنسان لأننا قد روينا أن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة وكلها أخلاق يصرفها الإنسان مع المخلوقات ومع من ينبغي أن تصرف معه على حد أمر الله والزكاة منها هو الخلق الذي يصرفه مع الله فإنه أولى من يتخلق معه فإنه من الخلق أن يبلغ الإنسان بأخلاقه مرضاة العالم وإيثار جناب الله أولى وهو أن يتخلق مع كل صنف بالخلق الإلهي الذي صرفه الله معه فيكون موافقا للحق وقوله ولا فيما دون خمس ذود صدقة فهذا من عدد

الأعيان ولا ينعى بالعين إلا العمل لا العلم فإن مقدار العلم معنوي ومقدار العمل حسي ولا فيما دون خمس أواق صدقة والأوقية أربعون درهما والأربعون في الأوقية نظير الأربعين صباحا من أخلصها ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فإذا ظهرت من العبد في خمسة أحوال كما هي في الزكاة خمس أواق حال في ظاهره له أوقية وهو إخلاص ظاهر وحال في باطنه مثله وحال في حده مثله وحال في مطلقه مثله وحال في المجموع مثله فهذه خمسة أحوال مضروبة في أربعين يكون الخارج مائتين وهو حد النصاب فيها خمسة دراهم من كل أربعين درهما درهم وهو ما يتعلق بكل أربعين من التوحيد المناسب لذلك النوع ومقادير المعاني والأرواح أقدار من قوله وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ ومقادير المحسوسات من الأعمال أوزان والأوزان عرفت الأقدار

(وصل في توقيت ما سقى بالنضح وما لم يسق به)

ذكر البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقى بالنضح نصف العشر وما لم يسق بالنضح العشر (واعتباره) أعمال المراد أعمال المرید فالمرید مع نفسه لربه فيجب عليه نصف العشر وهو أن يزكي من عمله ما ظهرت فيه نفسه والمراد مع ربه لا مع نفسه فيجب عليه العشر وهو نفسه كله فإنه لا نفس له لرفع التعب عنه وكذلك اعتباره في العلم الموهوب والعلم المكتسب لم يخلص لله منه إلا نصفه والموهوب كله لله والكل عبارة عن قدر الزكاة لا غير وهو ما ينسب إلى الله من ذلك العلم أو العمل وما ينسب إلى العبد من حيث حضور العبد مع نفسه في ذلك العلم أو العمل

(وصل في إخراج الزكاة من غير جنس المزكى)

في كل خمس ذود من الإبل شاة (اعتباره) ألا الله الدين الخالص فزكاة الأعمال الإخلاص والإخلاص ليس بعمل لاقتقاره إلى الإخلاص وهو النية

(وصل في فصل الخليطين في الزكاة)

ذكر الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الخليطان ما اجتماعا على الحوض والراعي والفحل (وصل الاعتبار في ذلك) قوله تعالى وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ فَاَلْمَعُونَ فِي الشَّيْءِ اشترك فيه وهذا معنى الخليطين فالحوض كل عمل أو علم يؤدي إلى حياة القلوب فيستعينا عليه بحسب ما يحتاج كل واحد منهما من صاحبه فيه وهو في الإنسان القلب والجراحة خليطان فالجراحة تعين القلب بالعمل والقلب يعين الجراحة بالإخلاص فهما خليطان فيما شرعا فيه من عمل أو طلب علم وأما الراعي فهو المعنى الحافظ لذلك العمل وهو الحضور والاستحضار مثل الصلاة لا يمكن أن يصرف وجهه إلى غير القبلة ولا يمكن أن يقصد بتلك العبادة غير ربه وهذا هو الحفظ لتلك العبادة والقلب والحس خليطان فيه وأما الفحل فهو السبب الموجب لما ينتج ذلك العلم أو العمل عند الله من القبول والثواب فهما شريكان في الأجر فتأخذ النفس ما يليق بها مما يعطيه العلم ويأخذ الحس الذي للجسم ما يليق به من حسن الصورة في الدار الآخرة

المعنى الذي أنتج لهما هذا هو الفحل وهما فيه خليطان

(وصل فيما لا صدقة فيه من العمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في العوامل صدقة ولا في الجبهة صدقة خرج هذا الحديث الدارقطني عن علي رضي الله عنه و العوامل هي الإبل التي يعمل عليها والجبهة الخيل وقد تقدم كلام الزكاة في الخيل (وصل) الاعتبار في ذلك الهياكل عوامل الأرواح لأنها عليها تعمل ما كلفت من العمل وبها يقع العمل منها ولا زكاة على العامل في بدنه وإنما الزكاة على الروح العامل بها وزكاته قصده وتقواه وهو الإخلاص لله في ذلك العمل قال الله تعالى لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ

(وصل في فضل إخراج الزكاة من الجنس)

خرج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فقال خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الإبل والبقر من البقر (وصل الاعتبار في ذلك) زكاة الظاهر ما قيده به الشرع من الأعمال الواجبة التي لها شبهة في المندوب ففريضة الصلاة زكاة النوافل من الصلاة فإنها الواجبة أو صلاة يندرها الإنسان على نفسه أو أي عبادة كانت وكذلك في الباطن زكاة من جنسه وهو أن يكون الباعث له على العبادة خوف أو مع والزكاة في الباعث الباطن من ذلك أن تكون ما تستحقه الربوبية من أمثال أمرها ونهيها لا رغبة ولا رهبة الأوقاص

(وصل في ذكر ما لا يؤخذ في الصدقة)

ذكر أبو داود في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الغنم إلا أن يشاء المصدق (وصل الاعتبار في ذلك) الهرمة مثل قوله تعالى وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتْمًا وَقَالَ لِيَصِلْ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ وَهُوَ الْعَمَلُ بغير نية أو نية بغير عمل مع التمكن من العمل وارتفاع المانع وأما مشيئة المصدق في تيس الغنم فاعتباره أن لا يجحف على صاحب المال وهو الحضور في العمل من أوله إلى آخره فرما يقول لا يقبل العمل إلا هكذا ويكفي في العمل النية في أول الشروع ولا يكلف المكلف أكثر من هذا فإن استحضر المكلف النية في جميع العمل فله ذلك وهو مشكور عليه حيث أحسن في عمله وأتى بالأنفس في ذلك والجامع لهذا الباب اتقاء ما يشين العبادات مثل الانتفات في الصلاة والعبث فيها والتحدث في الصلاة في النفس بالخرمات والمكروهات وتخيّلها وأمثال هذا مما هو مثل الجعرور ولون الحبيق في زكاة التمر وأمثال ذلك من العيوب

(وصل في فضل زكاة الورق)

قد تقدم أن الورق هو العمل وأن الذهب هو العلم والزكاة في العمل الفرض منه والزكاة في العلم أيضا الفرض منه فإن نوافل الأعمال والعلوم كثيرة وهي التي زكاتها الفرائض لكون الزكاة واجبة وما كان من النوافل صدقة تطوع فهي حضور العبد في ذلك العمل من الشروع فيه إلى

آخره وزكاة أخرى أعني زكاة تطوع وهو أن يقصد بعمله ذلك تكملة الفرائض فإنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال الله أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم يعني الزكاة والصوم والحج وما بقي من الأعمال الواجبة عليه فأما إن يقصد بعمله تلك النافلة تكملة الفرائض أو تعظيم جناب الحق بدخوله في عبودية الاختيار لا يحمل على ذلك طمع في جنة ولا خوف من نار

(وصل في فصل زكاة الركاز)

خرج مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الركاز الخمس وهو ما يوجد من المال في الأرض من دفن الجاهلية أو الكفار (وصل الاعتبار في ذلك) ما هو مركز في طبيعة الإنسان هو الركاز وهو حب الرئاسة والتقدم على أبناء الجنس وجلب المنافع ودفع المضار والخمس فيه إذا وجد الرئاسة في قلبه فليقصد بها إعلاء كلمة الله على كلمة الذين كفروا كما هي في نفس الأمر فإن في نفس الأمر كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والكفر هنا هو الشرك لا غيره وكما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيلاء في الحرب في شأن أبي دجاجة حين أخذ السيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه فمشى به مصلاً خيلاء بين الصفين فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصورة قال هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الوطن وزكاتها ما ذكرناه من قصد إهانة الكفار والحط من قدرهم وإعلاء كلمة الله التي هي الإسلام وعدم المبالاة بالمشركين وكذلك جلب المنافع ودفع المضار فزكاة جلب المنافع أن يقصد بالمنفعة المعونة له على القيام بطاعة الله من نوم أو أكل أو شرب أو راحة أو ادخار مال وأمثال ذلك وأما دفع المضار أن لا يدفعها إلا من أجل أنها تحول بينه وبين ما يريد من إقامة طاعة الله ودينه وما يؤول إليه من السعادة في الآخرة فذلك خمس ركازها فإن قلت كيف يضر دينه فأعني به إن لم يدفع تلك المضرة عن نفسه وإلا حالت بينه وبين أداء فرض من فرائض الله أو حالت بينه وبين أسباب الخير فدفعها خمس ركازها ما في جبلتها من دفع مضار لا تؤدي إلى تعطيل فرض تعين عليه أداؤه أو مرغبه فيه وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الركاز فقال هو الذهب الذي يخلق الله في الأرض يوم خلق السموات والأرض يعني المعادن

(وصل في فصل من رزقه الله ما لا من غير تعمل فيه ولا كسب)

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في حصول مثل هذا المال لا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول وهو في يده وجه اعتبار ذلك ما يظهر على العبد من مكارم الأخلاق مما لا يأتيها على جهة القرية إلى الله فإنه ينتفع بذلك في الدار الآخرة ولا يلزمه أن ينوي بها القرية إلى الله ولا بد ولكن بلا خلاف إن نوى بذلك القرية فهو أولى وأفضل في حقه والحديث الوارد في ذلك ما ذكره أبو داود عن ضباعة بنت الزبير قالت ذهب المقداد لحاجته فإذا جرد يخرج من جحر دینارا ثم لم يزل يخرج دینارا دینارا حتى أخرج سبعة عشر دینارا ثم أخرج دینارا ثم أخرج خرقة حمراء فيها دینار فكانت تسعة عشر دینارا فذهب بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال له خذ صدقتها

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قربت الحجر قال لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيها

(وصل في فصل زكاة المدبر)

قال الراوي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة مما نعدده للبيع (وصل في الاعتبار فيه) إذا حدث الإنسان نفسه في نفسه بأن يعمل خيرا أو يأتي خلقا كريما من مكارم الأخلاق فلينبأ بما حدث به نفسه من ذلك القرية إلى الله

(وصل في فصل الصدقة قبل وقتها)

وقال به بعض الأئمة لحديث أبي داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن العباس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له وقال مرة فاذن له تكلم في هذا الحديث ولو صح ففي رخصة في قضية عين لا يقاس عليها (وصل في اعتبار ذلك) نية الصلاة الواجبة على المكلف لا تجب إلا عند الشروع فيها فإن نواها الإنسان قبل ذلك من حين شروعه في الوضوء ثم استصحاب النية إلى أن شرع في الصلاة جاز له ذلك وحصل على خير كثير ولكن لا تجزئه الصلاة المقيدة بالوقت قبل دخول الوقت إلا في مذهب من يرى الجمع بين الصلاتين في أول الوقت فلا يبعد أن يجوز تعجيل الصدقة والاسترواح في مثل هذا من قوله أولئك يسارعون في الحيرات وهم لها سابقون ومثاله أيضا في الاعتبار من جاز له النظر إلى المخطوبة فامتنع من ذلك حياء من الله وحذرا أن يزيد في النظر على قدر الحاجة فلم يفعل حتى عقد عليها وعندني في النظر إلى المخطوبة تقسيم وهو إن كانت المخطوبة من ذرية الأنصار ولم ينظر إليها قبل العقد فهو عاص وإن نظر إلى وجهها قبل العقد كان نظره قرينة إلى الله وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وأما غير الأنصارية فلا وإن نظر فهو أولى إذا خطب وأما ما ذكرناه من الجمع بين الصلاتين إذا ضم الثانية إلى الأولى فهو في الباطن أن يجذ في البسملة روح الفاتحة أو السورة التي يريد قراءتها فإن البسملة في كل سورة مفتاحها

(وصل في فصل زكاة الفطر)

اختلف العلماء في حكم زكاة الفطر فمن قائل إنها فرض ومن قائل إنها سنة ومن قائل إنها منسوخة بالزكاة (اعتبار الفطر) الحمد لله فاطر السماوات والأرض ولم يروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما والفطر الفتق ومنه كل مولود يولد على الفطرة وأول ما فتق الله إسماع المكونات في حال إيجادها وهي حالة تعلق القدرة بين العدم والوجود بقوله كن فتكونوا بأنفسهم عند هذا الخطاب امتثالا لأمر الله وتلك كلمة الحضرة وأول ما فتق إسماعهم به وهم في الوجود الأول قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ف قالوا بلى فهذا خصوص بالبشر والتكوين عموم وأول ما فتق به ألسنتهم بقولهم بلى وأول ما فتق معي الصائمين ما أكلوه يوم عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلي وأول ما فتق به معي أهل الجنة أكلهم زيادة كبد النون فينبغي للعبد في صدقة الفطر يوم العيد أن الصفة الصمدانية لا تنبغي إلا لله تعالى فإن الصوم لله لا للعبد وهذه الزكاة فرض على كل إنسان حر أو عبد صغير أو كبير ذكر أو أنثى أن يعرف ما تستحقه الربوبية من صفة الصمدانية ثم إنها لا تجزى عندنا إلا من التمر و

الشعير غير ذلك لا يجزي فيها وعند الجمهور من العلماء تجوز من المققات به وهي مسألة خلاف والقوت ما تقوم به هذه النشأة الطبيعية و قوت الأرواح ما تغذى به من علوم الكشف أو الايمان خاصة فإن بهذا القدر من العلم تقوم نشأة الأرواح الناطقة و زكاتها علم الكشف خاصة

(وصل في فصل وجوبها على الغني والفقير والحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير)

أوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل اثنين صغير أو كبير (اعتباره) متعلم وعالم وقوله حر أو عبد اعتباره من تحرر عن رق الأكوان فكان وقته شهوده كونه حرا عنها أو عبدا من كان وقته شهود العبودية من غير نظر إلى الأكوان وقوله ذكر أو أنثى اعتباره في الذكر العقل وفي الأنثى النفس ويعتبر فيهما أيضا في الذكر الناظر في العلم الإلهي وفي الأنثى الناظر في علم الطبيعة فنسب كل ناظر إلى مناسبه من جهة ما هو ناظر فيه وقوله غني أو فقير اعتباره غني بالله أو فقير إلى الله وقوله صاعا من تمر الصباح أربعة أمداد نشأته صاعه من أربعة أخلاط لكل ركن أو خلط مد لكمال نشأته روحا وعقلا وجسما ومرتبة ثم شهوده فيها الأربع النسب التي يصف بها ربه في إيجاد عينه و أصول كونه من حياة وعلم وإرادة وقدرة لكل صفة مد ليكون الجملة صاعا إذ بهذه النسب يصح كونه ربا وكونك مربوبا عبدا لله تعالى

(وصل في فصل إخراج زكاة الفطر عن كل من يمونه الإنسان)

ذكر الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون (وصل الاعتبار في ذلك) الأستاذ يقصد بالتلميذ في التربية ما لا يبلغه علم التلميذ حتى يحصل له ما قصد به الشيخ من الفائدة فذلك زكاة تعليمه فإن فضل ذلك المنوي يعود على التلميذ فكان التلميذ أعطاه الأستاذ لما يعود عليه من الفضل فقد يفتح على الأستاذ بصدق التلميذ فيما ليس عنده وينجر في هذه المسألة الولي بزكي مال اليتيم الذي في حجره وتحت نظره

(وصل في فصل إخراجها عن اليهودي والنصراني)

ذكره أبو الحسن الدارقطني رحمه الله في كتابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني إخراج زكاة الفطر عن اليهودي والنصراني (الاعتبار في ذلك) نية الخير في العمل فيمن ليس من جنسك يعود فضله عليك وأنا مؤمن بما هو اليهودي والنصراني به مؤمن مما هو حق في دينه وفي كتابه من حيث إيماني بكتابي قال تعالى وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَانْفِرَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ فَمَنْ هُنَاكَ يَخْرُجُهَا عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ آمُونِهِ أَيْضًا فَإِنَّ كِتَابِي يَتَضَمَّنُ كِتَابَهُ وَدِينِي يَتَضَمَّنُ دِينَهُ فَدِينَهُ وَكِتَابَهُ مِنْدَرَجٌ فِي كِتَابِي وَدِينِي النَّفْسُ إِذَا اشْرَكَتْ فِي الْعَمَلِ طَلَبَ حَظَّهَا فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ الَّذِينَ يَقُولَانِ إِنَّ عَزِيرًا ابْنَ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ وَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ عَنْهَا وَهِيَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ إِلَى جَنَازَةِ يَهُودِيَةٍ وَقَالَ أَلَيْسَتْ نَفْسًا فَهَذَا عِتَابُ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ عَنِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ هَذَا إِذَا عَتَبْتَ الْمَعْنَى فَإِذَا عَتَبْتَ اشْتِقَاقَ اللَّفْظِ مِنَ النَّصْرَةِ وَالْهَدْيِ فَالزَّكَاةُ عَنْهَا الْقَصْدُ بِهَا وَجِهَ اللَّهُ لِأَنَّ ذَلِكَ اتَّهَى الْجُزْءَ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل وقت إخراج زكاة الفطر)

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس إلى المصلي (الاعتبار في ذلك) المسارعة في إيصال الراحات إلى المفتقرين إليها وحينئذ يخرج إلى المصلي وهو قوله فَفَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً والمصلي يناجي ربه وهو خارج إلى المصلي فذلك خير له وأطهر

(وصل في فصل المتعدي في الصدقة)

قال الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المتعدي في الصدقة كما نعتها خرجها أبو داود (الاعتبار في ذلك) لنفسك عليك حق ولعينك عليك حق فإذا كلفتها فوق طاقتها أعلمتها فادى ذلك إلى تعطيل خير كثير فكنت بمنزلة المانع من الخير في عين ما ترده من الخير وأنت تعلم أن النفس إنما هي بهذه الجوارح فإذا تعطلت الآلات وضعفت عن العمل بمجملها الأول على الشدائد من العمل كت كالمانع عن العمل لنا في هذا المعنى

ما يفعل الصنع التحرير في شغل الآتة أذنت فيه بإفساد

والزيادة في الحد نقص من الحدود

(وصل في فصل زكاة العسل)

ذكر الترمذي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسل في كل عشرة أزقاق زق (الاعتبار في ذلك) العلم الذي يأخذه الولي من طريق الوحي مما يتعلق بالغير يجب عليه إذاعته لأهله فإنه من أجلهم أعطيه وإنما خصصناه بالوحي دون غيره من الصفات إذ صفات تحصيل العلم كثيرة لأنها شبهناه بالعسل وهو نتيجة وحي قال تعالى وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ فَزَكَاتِهِ تعليمه

(وصل في فصل الزكاة على الأحرار لا على العبيد)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في مال المكاتب زكاة حتى يعق ذكره الدارقطني من حديث جابر (الاعتبار في ذلك) كما لا يجوز للعبد أن يأخذ الصدقة قيل ولهذا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقة لتحققه بعبوديته فلم يخرج منه صلى الله عليه وسلم شيء في حركة ولا ساكون يكون به حرا بغفلة ولا غير غفلة جملة واحدة واجتنب آله عناية به في هذا الحكم فكذلك لا يجب في ماله زكاة حتى يكون حرا فإن العبد لا يملك مع سيده وعله الزكاة على الحر دعوى الملك والعبد لا دعوى له في شيء العبد عين قيمته وهو ثمنه الذي اشترى به فكما لا يتصور في ثمنه دعوى ولا إباية فيما يريده السيد من التصرف فيه كذلك العبد وكل عبد لم يكن نظره في ثمنه في معاملة سيده فلا تحقق له في عبوديته ولا معرفة له بنفسه هذا مذهب الطائفة بلا خلاف وإذا كان العبد مع سيده بهذه المثابة غاب العبد وظهر

السيد فإن أصل الظهور الدعوى ويكون السيد في هذه الحال يقوم عند الغير بصفة العبد تشريفا للعبد وهو قوله تعالى جعت فلم تطعمني و مرضت فلم تعدني وهما من صفة العبيد الجوع والمرض وكذا قال الله في الجواب مرض فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده فإله عند عبد هذه صفته والعبد إذا كانت هذه صفته كان عند ربه فافهم

(وصل في فصل أين تؤخذ الصدقات)

خرج أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدقة لا تؤخذ إلا في دورهم (اعتباره) دار الإنسان جسمه وأخذ الصدقات من الأرواح الإنسانية إنما هو في الدار الآخرة فلا بد من حشر الأجسام فإنه لا تؤخذ الصدقات ممن وجبت عليه إلا في داره وليس لأرواح الأناسي ديار إلا أجسامهم

(وصل في فصل أخذ الإمام شطر مال من لا يؤدي زكاة ماله بعد أخذ الزكاة منه)

ذكر أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث أخذ الزكاة ومن منعها فأنا آخذها و شطر ماله عزمة من عزمات ربنا الحديث (اعتباره) ما يملكه الإنسان من أعماله ينقسم قسمين قسم يختص بنفسه وقسم يختص بجوارحه والزكاة التي تجب عليه في عمله هو ما فرض الله عليه من أعماله مندوبها ومباحها فإذا لم يؤد زكاة ماله نظر الله في أعماله التي عملها في الوقت الذي وجب عليه فيه أداء فرض الله فإن كان من مكارم الأخلاق لم يجازه عليها بما يستحقه من الثواب ومسك ذلك الثواب عنه عن زكاة عمل وقته وإن كان من سفاسفها ضاعف عليه الوزر فإنه صاحب عمل مذموم في حال تركه لأداء ما وجب عليه فجمع بين أمرين مذمومين عمل وترك وإن كان في فعل مباح أخذ بترك الواجب خاصة وأما أخذ شطر عمله فهو الشطر الذي يتصور فيه الدعوى وهو العمل فإن التكليف ينقسم إلى عمل وترك فالترك لا دعوى فيه فيبقى العمل فيأخذه الحق منه بالحجة بأن الله هو الفاعل لذلك العمل فإذا كوشف بهذا لم يبق له على ما يطلب جزاء إذا الجزاء من كونه عاملا وقد تبين له أن العامل هو الله فيبقى في الحيرة إلى أن يمتن الله عليه إما بعد العقوبة أو قبل العقوبة فيغفر له فهذا شطر ماله الذي يؤخذ منه في الدار الآخرة حيث يتصور الحساب

(وصل في فصل رضي العامل على الصدقة)

ذكر الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس قال أتى رجل من بنى سليم فقال يا رسول الله إذا أدبت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إذا أدبتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها وإثمها على من بدلها وذكر أبو داود من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيأتكم ركب مبغضون فإذا جاءوكم فرحبوا بهم وخلوا بينهم وبين ما يتبعون فإن عدلوا فلا نفسهم وإن ظلموا فعليها وأرضوهم فإن تمام زكاتكم رضاهم وليدعوا لكم وفي حديثه أيضا عن بشير بن الحصاصية قال قلنا يا رسول الله إن أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكتم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا قال لا (وصل الاعتبار في ذلك)

المصدق هو الوقت و رضاه أن يوفي له بما يقتضيه حاله مما جاء به وإن جاء بشدة وقهر مثل ما يجد الإنسان من خاطر في عمل من الأعمال أي من أعمال الخير إلا أنه شاق ربما أدى إلى تلف فكان أبو مدين رضي الله عنه يقول فيه الدية على القاتل قال تعالى في المهاجر ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و صورة التعدي فيه إن الله قد جعل لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا فاعتدبت عليك في ذلك و هو قوله في المصطفين فمنهم ظالم لنفسه فالتعدي هو الوقت و هو الخاطر الذي يحظر بما خطر و هو المتعدي و هو العادل

(وصل في فصل المسارعة بالصدقة)

فإن مسلم بن الحجاج ذكر في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيتها لو جئنا بها بالأمس قبلتها و أما الآن فلا حاجة لي بها فلا يجد من يقبلها (وصل الاعتبار في ذلك) المسارعة بالتوبة و هي من الفرائض فإن أخرها إلى الاحتضار لم تقبل و هنا مسألة دقيقة القليل من أصحابنا من يعثر عليها و هي أن المراد قد يكون غير نائب فيكون له كشف من الله عناية به فيكون أول ما يكشف له أن الله هو خالق كل شيء فلا يرى لنفسه حركة ظاهرة و باطنة و لاعمالا و لانية و لا شيئا إلا الله ليس بيده من الأمر شيء فهل تتصور منه توبة في هذه الحال أم لا و هو يرى أنه مسلوب الأفعال و إن تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فإن شمس الحقيقة قد طلعت له هنا من مغرب قلبه بصحة علمه و هذا من أصعب الأحوال على قلب المراد المجذوب فإن قبول التوبة و قبول العمل إنما هو مع الحجاب حجاب إضافة العمل إليك و هنا ما خرج شيء عنه حتى يقبله بل هو في يديه و القبول لا يكون إلا من الغير فاعلم إن نسبة الناظر ما هي نسبة العامل فالناظر يقبل من العامل و العامل هو المتصرف في هذه الذات التي هي محل ظهور العمل أي عمل كان فتصور التوبة من صاحب هذا الكشف و يكون الله هو التواب هنا و هذا أقصى مشهده فليسارع إلى الطاعات على أي حال كان و لا يتوقف فإن الأنفاس ليست له و لا تكليف إلا هنا و يوم القيامة إذ يدعون إلى السجود سجود تمييز لا سجود ابتلاء فيتميز في دعاء الآخرة إلى السجود من سجد لله ممن سجد اتقاء و رياء و في الدنيا لم يميز باختلاط الصور

(وصل في فصل ما تتضمنه الصدقة من الأثر في النسب الإلهية وغيرها)

فمن ذلك قوله تعالى و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و خرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما من يوم يصبح فيه العباد إلا و ملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلقا فانظريا أخي كيف جعل هويته خلفا من نفقتك و إنك أحييت من تصدقت عليه فأحياك الله به حياة أبدية لأنه إن لم يكن الحق حيا تك فلا حياة فإن قلت لو كان ذلك النصب الباء و رفع اللام قلنا الهوية عين الذات و الهوية تخلف الشيء المتصدق به باسم الهي تكون به حياة ذلك المنفق و أسماؤه ليست غيره و لكن هكذا تقع العبارة عنها لما يعقل في ذلك من اختلاف النسب و كلامنا في هذه المعاني إنما هو مع أصحابنا الذين قد علموا ما تقول و نشير به إليهم على ما تقرر عندنا في الاصطلاح في ذلك فالأجنبي لا يقبل اعتراضه ألا ترى الملك يقول اللهم أعط منفقا خلفا مع أنه وعد

بالخلف ووعده صدق والإنفاق هنا من الهالك والإتلاف أي أتلف ما كان عنده عنه ولا إخلاء فاجعل مكانه ما يناسب أثره فيمن أتلف من أجله فله أجر من أحيا ألا ترى الآخر يقول اللهم أعط ممسكا تلتفا لأن الملائكة لسان خير فيقول هذا الملك اللهم أعط ممسكا ما أعطيت المنفق حتى يتلف ماله مثل صاحبه فكأنه يقول اللهم ارزق الممسك الإنفاق حتى ينفق فإن كنت لم تقدر في سابق علمك إن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فنصيب خيرا وأنت قد قلت وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا فَهَذَا قَدْ تَلَفَ مَالَهُ كَرَهَا فَأَعَدَ عَلَيْهِ ثَوَابًا مِمَّنْ وَجَدَ بِهِ رَاحَةً وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْهَا هَذَا الَّذِي رَزَى فِي مَالِهِ بِالتَّلْفِ فَهَذَا دَعَاءُ لَهُ بِالْخَيْرِ لَا مَا يَظُنُّهُ مِنْ لَا مَعْرِفَةٍ لَهُ بِمَرَاتِبِ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يَدْعُو بَشَرًا وَلَا سِيمًا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ بِوُجُودِهِ فَكَيْفَ بِتَوْحِيدِهِ فَكَيْفَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَا شَكَّ أَنَّ دَعَاءَ الْمَلِكِ مَجَابٌ لَوْجِهَيْنِ الْوَاحِدِ لَهَا رَتَهُ وَالثَّانِي إِنَّهُ دَعَاءٌ فِي حَقِّ الْغَيْرِ فَهُوَ دَعَاءٌ لِصَاحِبِ الْمَالِ بِلِسَانِ لَمْ يَعْصِهِ بِهِ وَهُوَ لِسَانُ الْمَلِكِ إِذْ هَذَا مَوْجُودٌ فِي لِسَانِ بَنِي آدَمَ مَعَ كَوْنِهِمْ عَصَاةَ الْأَسْنَةِ وَلَكِنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ادْعُنِي بِلسَانِ لَمْ تَعْصِنِي بِهِ فَقَالَ وَمَا هُوَ قَالَ دَعَاءُ أَخِيكَ لَكَ وَدَعَاؤُكَ لَهُ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مَا عَصَانِي بِلِسَانِ غَيْرِهِ الَّذِي دَعَانِي بِهِ فِي حَقِّهِ فَمَا دَعَانِي لَهُ إِلَّا بِلِسَانِ طَاهِرٍ وَأَضَافَ الدَّعَاءَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الدَّاعِيَ نَائِبٌ عَنِ الْمَدْعُولِ وَلسَانِ الدَّاعِي مَا عَصَى اللَّهُ بِهِ الْمَدْعُولُ وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا خَرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِي أَنْفَقْ أَنْفَقَ عَلَيْكَ فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ إِتْفَاقَكَ جَعَلَ الْحَقَّ يَنْفِقُ عَلَيْكَ فَهَذَا مِنْ أَثَرِ الصَّدَقَةِ فِي النِّسْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنْ مِئَةِ السُّوءِ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ فَهَذَا مِنْ أَثَرِ الصَّدَقَةِ الدَّفْعِ وَإِطْفَاءِ نَارِ الْغَضَبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَضَبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ فَإِنَّ الْغَضَبَ الَّذِي خَاطَبْنَا بِهِ مَعْلُومٌ بِالشَّكِّ وَلَكِنْ نَسَبْتَهُ إِلَى اللَّهِ مَجْهُولَةً لِأَنَّ الْغَضَبَ مَجْهُولٌ أَوْ يَحْمَلُ عَلَى مَا يَنْتَجِجُ فِي الْغَاضِبِ أَوْ يَحْمَلُ عَلَى مَعْنَى آخَرَ لَا نَعْلَمُهُ نَحْنُ إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَخَوَّطْنَا بِمَا لَا نَفْهَمُ فَلَا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِيْنَا وَلَا يَكُونُ مَوْعِظَةً فَإِنَّ الْمَقْصُودَ الْإِفْهَامَ بِمَا نَعْلَمُ وَلَكِنْ إِنَّمَا جَهَلْنَا النِّسْبَةَ خَاصَّةً لَجَهْلِنَا بِالْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ لَا بِالْمَنْسُوبِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَلَقَدْ جَرَى لِبَعْضِ شَيْوَحْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَوَازِنَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى أَنَّ السَّلْطَانَ رَفَعَ إِلَيْهِ فِي حَقِّهِ أُمُورٌ يَجِبُ قَتْلُهَا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ مَقِيدًا وَيُنَادِي فِي النَّاسِ أَنْ يَحْضُرُوا بِأَجْمَعِهِمْ حَتَّى يَسْأَلَهُمْ عَنْهُ وَكَانَ النَّاسُ فِيهِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي قَتْلِهِ وَالْقَوْلُ بِمَا يُوْجِبُ ذَلِكَ وَزَنْدَقْتَهُ فَمَرَّ الشَّيْخُ فِي طَرِيقِهِ بِرَجُلٍ يَبِيعُ خَبْزًا فَقَالَ لَهُ أَقْرَضْنِي نِصْفَ قَرْصَةٍ فَأَقْرَضَهُ فَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى شَخْصٍ عَابِرٍ ثُمَّ حَمَلَ وَأَجْلَسَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ الْأَعْظَمِ وَالْحَاكِمُ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ فِيهِ النَّاسُ بِمَا ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ يَقْتُلُهُ شَرًّا قَتْلَةً وَكَانَ الْحَاكِمُ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ فِيهِ فَقَالَ يَا أَهْلَ مَرَاكِشَ هَذَا فُلَانٌ مَا تَقُولُونَ فِيهِ فَتَنُوقُوا لِكُلِّ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ إِنَّهُ عَدْلٌ رَضِي فَتَعَجَّبَ الْحَاكِمُ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ لَا تَعِجِبْ فَمَا هِيَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ بَعِيدَةٌ أَيْ غَضَبُ أَعْظَمَ غَضَبِكَ أَوْ غَضَبُ اللَّهِ وَغَضَبُ النَّارِ قَالَ غَضَبُ اللَّهِ وَغَضَبُ النَّارِ قَالَ وَأَيُّ وَقَايَةِ أَعْظَمَ وَزَنَا وَقَدَرْنَا نِصْفَ قَرْصَةٍ أَوْ نِصْفَ تَمْرَةٍ قَالَ نِصْفَ قَرْصَةٍ قَالَ دَفَعْتَ غَضَبَكَ وَغَضَبَ هَذَا الْجَمْعِ بِنِصْفِ رَغِيفٍ لَمَّا سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَقَالَ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَطْفِئُ

غضب الرب و تدفع مية السوء وقد فعل الله ذلك دفع عني شركم و مية السوء بنصف رغيف مع حقار تكم و عظم صدقتي فإن صدقتي أعظم من شق تمره و غضبكم أقل من غضب النار و غضب الرب فتعجب الحاضرون من قوة إيمانه و أسوأ الموات أن يموت الإنسان على حالة تؤديه إلى الشقاء و لا يغضب الله إلا على شقي فانظر إلى أثر الصدقة كيف أثرت في الغضب الرباني و في أسوأ الموات و في سلطان جهنم فالمتصدق على نفسه عند الغضب ليس إلا بأن يملكها عند ذلك فإن ملكه إياها عند الغضب صدقة عليها من حيث لا يشعر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب فإن الغضب نار محرقة فهذا من صدقة الإنسان على نفسه ثم إن الله قد ذكر أنه لا يغفر لمشرك و مع هذا فإن الله يهون عليه بقدر ما أنفق و قد ذكر أبو داود عن عائشة قالت يا رسول الله أين عبد الله بن جدعان قال في النار قال فاشتد عليها فقال يا عائشة ما الذي اشتد عليك قالت كان يطعم الطعام و يصل الرحم قال أما أنه يهون عليه بما تقولين فيه إنه يخفف عنه بمجرد ما يذكر به من مكارم الأخلاق و قال البخاري في صحيحه إن النبي صلى الله عليه و سلم قال اتقوا النار و لو بشق تمره فمن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة و قد قال صلى الله عليه و سلم إن الكلمة الطيبة صدقة و كل تسيحة صدقة و كل تهليل صدقة و غير ذلك من الأذكار و الأفعال التي تقتضيها مكارم الأخلاق و لقد ذكر مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم دينار أنفقته في سبيل الله دينار أنفقته في ربة دينار تصدقت به على مسكين دينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك

(وصل في فصل من أنفق مما يحبه)

قال الله عز و جل لَنْ تَأْكُلُوا أَلْبَانَ الْبَرِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ و كان عبد الله بن عمر يشتري السكر و يتصدق به و يقول إنني أحبه عملا بهذه الآية و أحب ما للإنسان نفسه فإن أنفقته في سبيل الله نال بذلك ما في موازتها فإنه من استهلك شيئاً فعليه قيمته و الحق قد استهلك نفس هذا العبد فإنه أمرك بإتفاق ما تحب و ما لها قيمة عنده إلا الجنة و لهذا إذا لم نجد شيئاً وجدت الله فإنه لا يوجد إلا عند عدم الأشياء التي يركن إليها و نفس الإنسان هي عين الأشياء كلها و قد هلكت فقيمتها ما ذكرناه فانظر إلى فضل الصدقة ما أعلاه

(وصل في فصل الإعلان بالصدقة)

من الاسم الظاهر و الاستفتاح بها من الاسم الأول و التأسى بها من قوله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ و مسألة الإمام الناس لذوي الفاقة إذا وردوا عليه و ليس عنده في بيت المال ما يعطيهم هو القلب الخالي من العلم الذي تعدى منفعتة للغير من جوارحه و من يحسن الظن به فيسأل الأسماء الإلهية لتعطيهم من الأحوال و العلوم ما تستعين بها قواه الظاهرة و الباطنة على ما كلفها الله من الأعمال فإن الله أخبر الرسول صلى الله عليه و سلم أنه يصبح على كل سلامي كل يوم صدقة و جعل كل تسيحة صدقة و كل تهليل صدقة إلى غير ذلك و هذه أحوال تحتاج إلى نية و إخلاص و لا تكون النية إلا بعد معرفة من يخلص له و هو الله تعالى فلا بد للإمام أن يسأل ما يتصدق به على كل سلامي و عن كل سلامي و

القلب مسئول عن رعيته وهي جميع قواه الظاهرة والباطنة والحديث الجامع النبوي لما قرناه واعتبرناه ما خرجه مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة محتابي النمار متقلدين السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فاذا وأقام فصلى بهم ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خير بما تعملون تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره قال فجاء رجل بصرة من الأنصار تكاد كفه تعجز عنها بل عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام و ثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيئا ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئا

(وصل في فصل شكوى الجوارح إلى الله النفس والشيطان مما يليقان إليهن من السوء)

أهل الكشف يرون و يسمعون شكوى الجوارح إلى الله تعالى من النفس الخبيثة التي تدبر البدن و تصرف الجوارح في السوء مما يلقي إليها الشيطان و النفس من حيث هيكلها النوري تشكو النفس لنفس الحيوانية القابلة ما يلقي إليها الشيطان من السوء الذي تصرفه في القوي الظاهرة و الباطنة فإذا صدقوا في شكواهم آمنهم الله مما يخافون و رزقهم قبول ما يلقي إليهم الملك و استعملهم التوفيق بذلك الإلقاء في طاعة الله تعالى و طاعة رسوله حتى تورثه تلك الأعمال مشاهدة الحق تعالى و مناجاته على الكشف و الشهود بلا واسطة يخاطبهم خطاب تقرير على نعم و آلاء و العامة العمي من أهل الحروف و الرسوم لا يشعرون صم بكم عمي فهم لا يعقلون و لا يسمعون هذه الشكوى لقوة صممهم و طمس عيونهم فلو عملوا بما كلفوا لعلمهم الله مثل هذا العلم و يرويه مشاهدة عين كما يراه و يناله أهل الله تعالى و يقول الله تعالى في حق واحد منهم و علمناه من لدنا علما و اتقوا الله و يعلمكم الله و إن تمقوا الله يجعل لكم فرقانا و يجعل لكم نورا تمشون به و قد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ما ذكرناه في حديث يعم ما وقع في الدنيا و الإشارة به إلى ما ذكرنا و هو ما خرجه البخاري عن أخي جدنا عدي بن حاتم قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها و قد أنبت عنها قال فإن طالبت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني و بين نفسي فأين ذعار طي الذين قد سعروا البلاد و لئن طالبت بك حياة لتفتحن كوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز و لئن طالبت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه و ليلقين الله أحدكم يوم القيامة و ليس بينه و بينه ترجمان يترجم له فيقول له أم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول أم أعطاك ما لا و أفضل عليك

فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة الحديث أما قوله لا تخاف أحدا إلا الله فهو الخوف الأعظم فإنه هو المسلط وبِيدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فأين الأمان فهذا تشبيه إدبارنا فإن الشخص الذي يكون في مثل هذه الحال هو في أمان في دنياه وفي ماله وعلى نفسه ممن يؤذيه وهذا مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله هو الذي رزقه الأمان في تلك الحال فيخاف من الله مما في غيبه مما لا يعلمه ولا يعلم أوانه ولو كان هذا الخائف يخاف الله مطلقا لتعلق خوفه على دينه فإن سبيل الشيطان إلى قلبه ليست آمنة كما أمنت السبيل الظاهرة التي تمر فيها السفار من الناس وإذا خاف الله شغله خوفه عن ماله ونفسه ولو لم تكن السبيل آمنة لكان هذا الخائف في أمان فإنه لا يخطر له خاطر إلا في دينه الذي يخاف عليه أن يسلبه حتى أنه لو أصيب في طريقه بتلف مال أو نفس لوقع لصوص عليه ربما فرح بذلك واستبشر لما له فيه من الأجر الجزيل المدخر والكفارات وكان حكمه حكم تاجر باع بنسيئة بربح كثير فما أحسن تشبيه النبوة بقوله لا تخاف أحدا إلا الله فأين الأمان وهو صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك لعدي إلا في إن الأمان المعتاد حاصل في ذلك الوقت لما شك الرجل من قطع السبيل ولكن أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمان الخوف من الله لأولي الألباب والنهي ليعم الخطاب العامة بالأمان والخاصة بالخوف فهو تبيين أحوال خاصة الله أي كونوا على مثل هذه الحالة في أمنكم خائفين من الله تعالى وهذا من جوامع الكلم لمن نظر واستبصر

(وصل في فصل الصدقة على الأقرب فالأقرب ومراعاة الجوار في ذلك)

أقرب أهل الشخص إليه نفسه فإن الله يقول في قربه من عبده إنه أقرب إليه من حبل الوريد فكأنه يقول إنه أقرب إليه من نفسه فهي أولى بما يتصدق به من غيرها كما إن الله أولى بالقرض لأنه أقرب إليه من نفسه ولكل متصدق عليه صدقة تليق به من المخلوقين ثم جوارحه ثم الأقرب إليه بعد ذلك وهو الأهل ثم الولد ثم الخادم ثم الرحم والجار كما يتصدق على تلميذه و طالب الفائدة منه وإذا تحقق العارف بربه حتى كان كله نورا وكان الحق سمعه وبصره وجميع قواه كان حقا كله فمن كان أهل الله فإنه أهل هذا الشخص الذي هذه صفته بلا شك كما هم أهل القرآن أهل الله وخاصة كذلك من هم أهل الله وخاصة هم أهل هذا الذي ذكرناه فإنه حق كله كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا لما رأى الحق سمي نفسه نورا فإنه نائب الله في عبادته فالمتصدق على أهل الله هو المتصدق على أهله إذا كان المتصدق بهذه المثابة كمت يوما عند شيخنا أبي العباس العربي بإشيلية جالسا وأردنا أو أراد أحدا عطاء معروف فقال شخص من الجماعة للذي يريد أن يتصدق الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من فوره متصلا بكلام القائل إلى الله فيا بردها على الكبد والله ما سمعتها في تلك الحالة إلا من الله حتى خيل لي أنها كذا نزلت في القرآن مما تحققت بها وأشربها قلبي وكذا جميع من حضر فلا ينبغي أن يأكل نعم الله إلا أهل الله ولهم خلقت ويأكلها غيرهم بحكم التبعية فهم المقصودون بالنعم ومن عداهم كما قلنا إنما يأكلها تبعا بالمجموع ومن حيث التفصيل فما منه جوهر فرد ولا فيه عرض إلا وهو يسبح الله فهو من أهل الله فما من العالم من هو خارج عن هذه الأهلية العامة وما فاز الخاصة إلا بالاطلاع

على هذا كشفاً وهذه المسألة في طريق الله من أغمض المسائل إذ لبس المجموع سوى هذه الأجزاء فالأبعاض عين الكل فكل جزء وبعض طائع وليس الكل ولا المجموع بهذه الصفة لكنه طائع بطاعة أحدية الجمع وهي طاعة متميزة عن طاعة مفردات هذا المجموع وقد ورد في خبر في النفقة على الأهل المعلوم في الظاهر المقرر وفضلها ما يكون هذا اعتباره وهو ما خرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته في سبيل الله دينار أنفقته في رغبة دينار تصدقت به على مسكين دينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك

(وصل في فصل صلة أولي الأرحام وأن الرحم شجنة من الرحمن)

افهم رزقك الله الفهم عن الله لما كانت الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله يعني بمن هي شجنة منه ومن قطعها قطعها الله كانت الصدقة على أولي الأرحام صدقة وصلة بالرحمن وعلى غير الرحم صدقة تقع بيد الرحمن ما فيها صلة بالرحمن هذه الصورة الآدمية خليفة بمنزلة يعطي أن يكون الخليفة ظاهراً بصورة من استخلفه فمن تصدق على نفسه بما فيه حياتها كانت له صدقة وصلة بالله الذي الرحمن من نعوته فإن الله خلق آدم على صورته على خلافهم في الضمير قال الله تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فوصف الله بالرحمن وخرج الترمذي عن سلمة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة كلما قويت النسبة عظمت المنزلة هذا عند أصحابنا والأمر عندنا ليس كذلك فإنه كلما بعدت النسبة عظمت المنزلة ولنا في ذلك

رأيت ربي بعين ربي فقلت ربي فقال أنت

فيتخيل فيه بعض العارفين أن هذا البيت على النمط الأول وليس كذلك فضمير المتكلم من هذا البيت عين العبد بربه لا بنفسه فتدبر هذا النظم فإنه من أعجب المعارف الإلهية يحتوي على أسرار عظيمة وعلم كبير

(وصل في فصل تصدق الآخذ على المعطي يأخذ منه)

النفس تصدق على العقل بقبولها منه ما يلقي إليها إذ بعض النفوس لا تقبل والنفوس تتصور نفوس مريدتها وهم أيتام لا أم لهم لأن نفوسهم ماتت عنهم فليس لهم مدبر إلا هذه النفس التي لشيخهم فتصدق عليهم بما يلقي الله إليها من الروح الإلهي إذا كانت في مقام الحال المؤثر بالفعل فتجد نفس المريد أمورا لا يعطيها مقامه ولا حاله خارجة عن كسبه فيتخيل إن الله قد فتح عليه بلا واسطة وذلك الفتح إذا كان من حال نفس هذا الشخص الذي هو الشيخ فإن المريد يسم في حجب الشيخ وله على ذلك أجر عظيم عند الله فإنه ما من نبي إلا قال في إفادته وتبليغه لما قيل له قل ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله فهو تعليم يقتضي الأجر وهذا هو الأجر الذي لا يخرجك عن عبوديتك فأنت العبد في صورة الأجير ما هو أجر الأجير فإن الأجير من استوجر فهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده لكن العمل يقتضي الأجرة ولا يأخذها وإنما يأخذها العامل والعامل العبد فهو قابض الأجرة من الله فأشبهه الأجير في قبض الأجرة وفارقه بالاستيجار يؤيد ما ذكرناه ما خرج

مسلم في صحيحه عن بلال عن النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن صدقة المرأة على زوجها وعلی أیتام فی حجرها فقال أجران أجر القرابة وأجر الصدقة

(وصل في فصل معرفة من هما أبوا نفس الإنسان)

المدبرة لجسمة وقواه النفس الجزئية التي هي نفس الإنسان هي ولد جسمة الطبيعي فهو أمها والروح الإلهي أبوها ولهذا تقول في مناجاتها ربنا ورب آباتنا العلويات وأمها تنا السفليات فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي مَرِيَمَ أَحْصَنْتُ فَرْجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا فَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِدَهَا وَهِيَ أُمُّ الْجِسْمِ الْمَسْوِيِّ نَفَخَ فِيهِ مِنَ الرُّوحِ نَفْسًا فَالْجِسْمُ أُمُّ وَالْمَنْفُوحُ مِنْهُ أَبٌ غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْوَالِدَ كَالْيَتِيمِ الَّذِي لِأَبٍ لَهُ لِأَنَّ عَقْلَهُ لَمْ يَسْتَحْكَمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَكَأَنَّهُ لَا عَقْلَ لَهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الصَّغِيرِ الَّذِي لِأَبٍ لَهُ يَعْلَمُهُ وَيُؤَدِّبُهُ فَتَسْوِسُهُ نَفْسُهُ النَّبَاتِيَّةُ الَّتِي هِيَ جِسْمُهُ بِمَا خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاحِ الْمَزَاجِ فَتَكُونُ الْقُوَى الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالْإِعْتِدَالِ فَتَقِيدُ النَّفْسَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ صَدَقَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى وَلَدِهَا الْيَتِيمِ فَيَحْصِلُ لِهَذَا الشَّخْصِ مِنْ جِهَةِ جِسْمِهِ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ جِزَاءٌ لَمَّا تَصَدَّقَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ مَا لَا يَقْدِرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلْمَةَ أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بَتَارِكْتُهُمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِي بَنِي قَالَ نَعَمْ لَكَ فِيهِمْ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتَ عَلَيْهِمْ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ

(وصل في فصل المتصدق بالحكمة على من هو أهل لها)

وهي الصدقة على المحتاجين قال تعالى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَقَالَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ بَعْنِي السَّائِلِ عَنِ الْعِلْمِ الْإِنْسَانِ يَتَصَدَّقُ بِالْعِلْمِ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْحِكْمَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَدَّى بِهَا أَهْلُهَا وَيَحْتَسِبُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ عِنْدَ اللَّهِ أَيَّ لَا يَرَى لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ عِلْمُهُ وَلَا نَقْدًا مَا يَسْتَدْعِي بِذَلِكَ خِدْمَةً مِنْهُ فِي أَدَبٍ وَتَعْظِيمٍ وَتَسْخِيرٍ فِي مَقَابِلَةٍ مَا أَفْضَلَ عَلَيْهِ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَحْتَسِبْ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَقَدْ لَقِينَا أَشْيَاخًا عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ طَرِيقُنَا وَقَدْ نَبِهَ الشَّرْعُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ الرُّسُومِ وَعَالِمُهُ فَقَالَ إِنْ الْمُسْلِمُ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ بَعْنِي تَقَعُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ خَرَجَ هَذَا الْحَدِيثُ مُسْلِمًا عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(وصل في فصل العلم اللدني والمكتسب)

العلم علما موهوب ومكتسب فالعلم الموهوب لا ميزان له والعلم المكتسب هو ما حصل عن التقوى والعمل الصالح وتدخله الموازنة والتعيين فإن كل تقوى وعمل مخصوص له علم خاص لا يكون إلا له فشم من يتقي الله لله ومن يتقي الله للنار ومن يتقي الله للشيطان ومن يتقي الله لمن لا يتقي الله وكل تقوى لها عمل خاص وعلم خاص يحصل لمن له هذه التقوى فانفاق الرجل على نفسه الذي له به صدقة هو ما يغذيها به من هذه العلوم المكتسبة التي بها حياته الأبدية في الدنيا والآخرة وذلك أن كل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ولا معروف إلا الله فلا أهل إلا أهل الله فالنصاح نفسه من وقى عرضه فإنه من صدقاته على نفسه ووقاية العرض أن لا يجري عليه

من جانب الحق لسان ذم لا غير فيكون محمودا بلسان الشرع وبكل لسان إلهي من ملك وحيوان ونبات ومعدن وفلك وكل ما عدا الثقلين و بعض الثقلين وهل يتصور أن يقي عرضه من جميع الثقلين هذا لا يتصور لأن الأصل الذي هو الله لم يبق عرضه من السنة خلقه إلا أنه يمكن أن يرتفع عن العرض وإذا أمكن فقد وقى نفسه الذي هو عرضه أن يكون له أثر في نفسه لأنه وقى عرضه أن يقال فيه وهو معنى قوله وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلفه فإن أنفق ليتني مجدا في السنة الخلق فهو لما أنفق فإن أبتغي إعادة النشاء على الله من حيث إنه آل الله فإن أنفق في هذا الشأن ولا يرى أنه المنفق وأنفق في معصية إبليس ولا يرى العصمة والإنفاق إلا من يد الله فمثل هذا يستثنى في كل إنفاق إذا كان هذا حاله وذوقه فلا يجد الثواب على من يعود إلا على معطيه فيد الله منفقة ويد الرحمن آخذة منها

و يد الرحمن آخذة	فيد	الله	منفقة
و التي للعبد عاطلة	فالتى	للجود	خالية
و هي للاعيان واصلة	فصلت	آياته	عجبا
و هي في الأكوان جائلة	لو تراها	في	تقلبها
و هي بالبرهان ساكنة	قلت	أغراضي	تصرفها

ويؤيد ما ذكرناه ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به رجل عرضه فهو صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها إلا ما كان من نفقة في بيان أو معصية ذكر هذا الحديث أبو أحمد من حديث جابر قال عبد الحميد وهو الذي روى عنه أبو أحمد قلت لابن المنكدر ما وقى به الرجل عرضه يعني ما معناه قال يعطي الشاعر و ذا اللسان

(وصل في الفصل بين العبودية والحرية)

إضافة الإنسان بالعبودية إلى ربه أو إلى العبودية أفضل من إضافته بالحرية إلى الغير بأن يقال حر عن رق الأغيار فإن الحرية عن الله ما تصح فإذا كان الإنسان في مقام الحرية لم يكن مشهوده إلا أعيان الأغيار لأن بشهودهم تثبت الحرية عنهم وهو في هذه الحال غائب عن عبوديته و عبودته معا فمقام العبودية أشرف من مقام الحرية في حق الإنسان والعبودية أشرف من العبودية و قد أشار صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا في حديث ميمونة بنت الحارث لما أعتقت وليدة لها في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أعطيتها أخوالك لكان أعظم لأجرك فمقام العبودية رجح على ثواب الحرية كما رجح الفقر إلى الله على الغني بالله بعض أشياخنا حدثني عبد الله القلقاط بجزيرة طريف سنة تسعين وخمسائة وقد جرى بيننا الكلام على المفاضلة بين الغني والفقر أعني الغني الشاكر والفقر الصابر وهي مسألة طبولية وأنجرفني

ذلك حال الفقر والغنى فقال لي حضرت عند بعض المشايخ وحكاها لي عن أبي الربيع الكهيف الملقب بتمليذ أبي العباس بن العريف الصنهاجي قال لو أن رجلين كان عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة التي عنده أيهما أفضل فقال الحاضرون الذي تصدق بالتسعة فقال بما ذا فضلتموه فقالوا له لأنه تصدق بأكثر مما تصدق به صاحبه فقال حسن ولكن نقصكم روح المسألة وغاب عنكم قيل له وما هو قال فرضناهما على التساوي في المال فالذي تصدق بالأكثر كان دخوله إلى الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه إلى جانب الفقر وهذا لا ينكره من يعرف المقامات والأحوال فإن القوم ما وقفوا مع الأجور وإنما وقفوا مع الحقائق والأحوال وما يعطيه الكشف وبهذا فضلوا على علماء الرسوم ولو تصدق بالكل وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى فنقصه من الدرجة والذوق على قدر ما تمسك به ألا ترى ما قاله شيخنا أبو العباس السبتي رحمه الله في المختصر يوصي بالثلث فإن المختصر ما يملك من المال إلا الثلث فخرج عما يملك وما أبقى شيئاً وأجاز له الشارع أن يتصدق بالثلث كله الذي يملكه وهو محمود في ذلك شرعاً فلقى الله فقيراً على حكم الأصل كما خرج من عنده رجح إليه صفر الدين قال بعضهم في هذا المعنى

دليل على الحرص المركب في الحي إذا ولد المولود يقبض كفه
ألا فانظروني قد خرجت بلا شيء وبسطها عند الممات مواعظا

فكان أفضل ممن لم يتصدق بذلك الثلث الذي يملكه أو تصدق بأقل من الثلث وينوي بما يبقيه أنه صدقة على ورثته وفيه إشارة عجيبة
(وصل في فصل فضل من ترك صدقة بعد موته جارية في الناس من مال أو علم)

العارف بالله يمتحن وفي نفسه لو أطاق الكلام أفاد الناس علما بربهم وقد عقل لسانه فنقل عند تلميذ مسألة في العلم النافع من توحيد و غيره أفادها السامعين الحاضرين فإن ذلك العارف المختصر يجني ثمرتها والتلميذ يجني ثمرة نقله عند الله ويجازي الله بها الميت جزاء وجوب فإنها من سعيه يقول الله وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَفْضَلُ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ وَالتَّمْلِيذُ وَلَدٌ دِينِي بِلَا شَكِّ فَمَا هُوَ مِنْ سَعَى الْإِنْسَانِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ بِطَرِيقِ الْإِيجَابِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَمَّا مَا عَمِلَ عَنْهُ غَيْرَهُ بِحُكْمِ النِّيَابَةِ مِمَّا لَمْ يُؤْذَنَ فِيهِ الْمَيْتُ وَلَا أَوْصَى بِهِ وَلَا لَهُ فِيهِ تَعْمَلُ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ ذَلِكَ الْمَقَامَ إِذَا وَهَبَهُ إِيَّاهُ غَيْرَهُ فَيَأْخُذُهُ الْمَيْتُ لَا مِنْ طَرِيقِ الْوَجُوبِ الْإِلَهِيِّ لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَخْذُهُ وَلَا بَدْلَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مَا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَخُذْهُ وَمَا لَا فَلا تَتَّبِعْهُ نَفْسَكَ وَقَدْ وَرَدَتْ مِنْ ذَلِكَ رَائِحَةٌ فِي عِلْمِ الرُّسُومِ فِيمَا خَرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّيِ افْتَلَمْتُ نَفْسَهَا وَ لَمْ تَوْصُ وَأُظْهِرَ لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقَتْ أَفَلَمْ أَجْرَانِ تَصَدَّقَتْ عَنْهَا قَالَ نَعَمْ

(وصل في فصل ما تعطيه النشأة الآخرة)

قال الله تعالى كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ وَبَدَأْنَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ وَعَلَّمْنَا ذَلِكَ كَذَلِكَ لِيَعْبُدَنَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ

اعلم أن من ثواب الدار الآخرة ونسبة الإنسان إليه علم النشأة الآخرة ولم يبعد عليه أن يكون الشخص في أماكن مختلفة في الزمن الواحد و هذا أمر تحيله العقول ويشهد بصحته الكشف فهو محال عقلا وليس بمحال نسبة إلهية كل مصلى يناجي ربه والإنسان مخلوق من حيث حقيقته التي نشأ عليها في الدار الآخرة على الصورة العارف يكون مع كثير من الأسماء الإلهية في أحوال مختلفة مع أحدية العين من العارف و من المسمى و يراه كل إنسان بحسب عينه الذي يجب هذا الرجل أن يظهر إليه به فيكون زيد المصلي في حال صلاته يراه عمر و نائما و يراه خالد كاتبا و يراه محمد خائطا و يراه قاسم أكلا و العين واحدة و كل ذلك بالفعل مشهود لكل راء و كل راء في بلد غير بلد صاحبه كما يدخل في أي صورة شاء من صور سوق الجنة و ما سمعت عن أحد نبيه على هذا المقام إلا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في دخوله في حين واحد من جميع أبواب الجنة الثمانية و عن ذي النون المصري في مسائله المشهورة مثل الميت يراه وليه ميتا لا حراك به و يراه الآخر بعينه حيا يسأل في الآن الواحد أما حديث أبي بكر رضي الله عنه فذكره البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أي أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة و من كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد و من كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة و من كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام باب الريان فقال أبو بكر ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة و قال هل يدعي منها كلها أحدا يا رسول الله قال نعم و أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر و دعاء الله الناس إلى الدخول يوم القيامة دعاء واحد لدخول الجنان فيدخل الواحد من الباب الواحد و آخر من باين و ثلاثة و أعمهم دخولا من دخل من الأبواب الثمانية لأن أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو باب فلا تنكروه في الثواب في الآن الواحد و أنت تشهد في العمل من فعل و ترك كعناض بصره في حال استماع موعظة في حال تلاوة في حال صيام في حال تصدق في حال ورع في حال تحصيل فرج كل ذلك بنية قربة إلى الله تعالى و في كل باب منازل كالإيمان بالله بضع و سبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله و أدناها إمارة الأذى عن الطريق و لا أذى أعظم من أذى الشرك و لا طريق أعظم من طريق الإيمان فحتم بمثل ما به بدأ فلا إله إلا الله نفي ما سوى الله ممن يدعى أو يدعى فيه الألوهة و إمارة الأذى نفي الأذى عن الطريق فاجتمع آخر الدائرة بأولها و انعطف عليها و ما بين هذين بقية شعب الإيمان و لكل شعبة منزل في جنة الإيمان فمن علم ما قلناه يدخل من أبواب الجنة كلها في زمان واحد و النشأة الآخرة تعطي هذه الأمور كما أعطت النشأة الدنيا جمع شعب الإيمان في الإنسان في زمان واحد و لا يستحيل ذلك

(وصل في فصل إعطاء الطيب من الصدقات عن طيب نفس)

واعلم أن الطيب من الصدقات هو أن تصدق بما تملكه و لا تملك إلا ما يحل لك أن تملكه عن طيب نفس و أعلى ذلك أن تكون فيه مؤديا أمانة سماها الشارع صدقة بلسان الرسم فتكون يدك يد الله عند الإعطاء و لهذا قلنا أمانة فإن أمثال هذا لا ينتفع بها خالقها وإنما يستحقها من خلقت من أجله و هو المخلوق فهي عند الله من الله أمانة لهذا العبد يؤديها إليه إما منه إليه و إما على يد عبد آخر هذا أطيب الصدقات لأنها

على حد العلم الصحيح خرجت فإذا حصلت في يد المتصدق عليه أخذها الرحمن بيمينه فإن كان المعطي في نفس هذا العبد حين يعطيها هو الله المعطي فلنكن يده تعويد المتصدق عليه وهو السائل ولا بد فإن اليد العليا هي يد الله وهي المنفقة وإن شاهد هذا المعطي يد الرحمن أخذة منه حين يتناولها السائل فتبقى يده من حيث إن المعطي هو الله تعلق على يد الرحمن كما هي فإن الرحمن صفة الله و نعت من نعوته ولكن ما يأخذ منها عينها وإنما يناله منها تقوى المعطي في إعطائه وأكمل وجوهه ما ذكرناه فشهد المعطي أن الله هو المعطي وأن الرحمن هو الآخذ وأن الرحمة هي المعطي وهي الصدقة فإذا أخذها الرحمن في يده بيمينه جعل محلها هذا العبد فأعطاه الرحمن إياها فلا يتمكن إلا ذلك فإن الصدقة رحمة فلا يعطيها إلا الرحمن بحقيقته وتناولها الله من حيث ما هو موصوف بالرحمن الرحيم لا من حيث مطلق الاسم والصدقة تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل هكذا جاء الخبر فمثل هذه الصدقة إذا أكلها السائل أثرت له طاعة وهداية ونورا وعلما وهذا كله هو تربية الرحمن لها فإن جميع ما أعطته قوة هذه الصدقة في نفس السائل مما ذكرناه من طاعة وهداية ونور و علم يراه في الآخرة في ميزانه وفي ميزان من أعطاه وهو المتصدق نائب الله فيقال له هذه ثمرة صدقتك قد عادت بركتها عليك وعلى من تصدقت عليه فإن صدقتك على زيد هي عين صدقتك على نفسك فإن خيرها عليك يعود وأفضل الصدقات ما يتصدق به الإنسان على نفسه فيحضر هذا أيضا المتصدق على أكمل الوجوه في نفسه فمثل هذه الصدقة لا يقال لمعطيها يوم القيامة من أين تصدقت ولأن أعطيت فإنه بهذه المثابة فإن كان الآخذ مثله في هذه المرتبة تساويا في السعادة وفضل المتصدق بدرجة واحدة لا غير وإن لم يكن بهذه المثابة فتكون بحيث الصفة التي يقيمه الله فيها فإن كانت الصدقة صدقة تطوع فهي منة إلهية كونه فإن كانت زكاة فرض فهي منة إلهية فإن كانت نذرا فهي إلهية كونه قهريه فإن النذر يستخرج به من البخل وإن كانت هذه الأعطية هدية فما هو من هذا الباب فإن هذا الباب مخصوص بإعطاء ما هو صدقة لا غير فتكبر هذه الصدقة في يد الرحمن حسا ومعنى فالحس منها من حيث ما هي محسوسة فتجدها في الجنة حسية المشهد مرئية بالبصر والمعنى فيها من حيث ما قام به من الكسب الحلال والتقوى فيه والمسارعة بها وطيب النفس بها عند خروجها ومشاهدته ما ذكرناه من الشؤون الإلهية فيها فيجدها في الكتيب عند المشاهدة العامة ويجدها في كل زمان تمر عليه الموازين لزمان إخراجها وهو في الجنة فيخص من الله بمشهد في عين جنته لا يشهده إلا من هو بهذه المثابة خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمر فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله وكل من نزل في صدقته عن هذه الدرجة التي وصفناها كانت منزلته عند الله بمنتهى علمه وقصده فالصدقة لا تكون إلا من الاسم الغني الشديد ذي القوة المتين بطريق الامتنان غير طالب الشكر عليها فإن اقترن معها طلب الشكر فليست من الاسم الغني بل من الاسم المرید الحكيم العالم فإن خطر للمتصدق أن يقرض الله قرضاً حسناً بصدقته تلك مجيباً لأمر الله فهذا الباب أيضا يلحق بالصدقة لكونه مأمورا بالقرض وقد يكون القرض نفس الزكاة الواجبة فإن طلب عوضا زائدا ينتفع به على ما أقرض خرج عن حده قرضا و

كان صدقة غير موصوفة بالقرضية فإنه لم يعط القرض المشروع فإن الله لا ينهى عن الربا ويأخذه منا كذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه كل قرض جر نفعا فهو ربا وهو أن يخطر له هذا عند الإعطاء فلا يعطيه إلا لهذا وللمعطي الذي هو المقترض أن يحسن في الوفاء و يزيد فوق ذلك ما شاء من غير أن يكون شرطا في نفس القرض فإن الله قد وعد بتضاعف الأجر في القرض ولكن لا يقرضه العبد لأجل التضاعف بل لأجل الأمر والإحسان في الجزاء يوم القيامة لله تعالى على ذلك وهذا معنى قوله حسنا في وصف القرض فإن الله يعاملنا بما شرع لنا لا بغير ذلك ألا تراه قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق الذي بعثه به بين عباده وبينه فقال له قال رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَالْأَنْفِ وَاللَّامِ فِي الْحَقِّ لِلْحَقِّ الْمَعْهُودِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ وَعَلَى هَذَا تَجْرِي أحوال الخلق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله يوم القيامة فلينظر إلى حكم الشرائع الإلهية في الدنيا حدوك النعل بالنعل من غير زيادة ولا نقصان فكن على بصيرة من شرعك فإنه عين الحق الذي إليه مآلك ولا تغتر وكن على حذر وحسن الظن بربك واعرف مواقع خطابه في عباده من كتابه العزيز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

(وصل في فصل إخفاء الصدقة)

اعلم أن إخفاء الصدقة شرطي في نيل المقام العالي الذي خص الله به الأبدال السبعة وصورة إخفائها على وجوه منها أن لا يعلم بك من تصدقت عليه وتلطف في إيصال ذلك إليه بأي وجه كان فإن الوجوه كثيرة ومنها أن تعلمه كيف يأخذ وأنه يأخذ من الله لا منك حتى لا يرى لك فضلا عليه بما أعطيته فلا يظهر عليه بين يديك أثر ذلة أو مسكنة ويحصل له علم جليل بمن أعطاه فتغيب أنت عن عينه حين تعطيه فإنه قد قررت عنده أنه ما يأخذ سوى ما هو له فهذا من إخفاء الصدقة ومنها أن تخفي كونها صدقة فلا يعلم المتصدق عليه بين يدي المتصدق فإذا أخذها العامل الذي نصبه السلطان أخذها بعزة وقهر منك فإذا حصلت بيد السلطان الذي هو الوكيل من قبل الله عليها أعطاه لسلطان أربابها لثمانية وأخذها أربابها بعزة نفس لا بدلة فإنه حق لهم بيد هذا الوكيل فلا يعلم الآخذ في أعطيته من هورب ذلك المال على التعيين فلم يكن للغني رب المال على هذا الفقير منة ولا عزة ولا يعرف هل وصل إليه على التعيين عين ماله على التعيين فكان هذا أيضا من إخفاء الصدقة لأنه لم يعلم المتصدق عين من تصدق عليه ولا علم المتصدق عليه عين المتصدق وليس في الإخفاء أخفى من هذا فلم تعلم شماله ما أنفقته يمينه هذا هو عين ذلك وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلناه من إخفاء الصدقة في الإبانة عن المنازل السبعة التي هي لخصائص الحق المستظلين يوم القيامة بظل عرش الرحمن لأنهم من أهل الرحمن خرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

(وصل في فصل من عين له صاحب هذا المال الذي بيده قبل أن يتصدق به عليه)

إن من عباد الله من يكشف له فيما بيده من الرزق وهو ملك له إنه لفلان و لفلان ويرى أسماء أصحابه عليه ولكن على يده فإذا أعطى من هذه صفته صدقة هل تكتب له صدقة قلنا نعم تكتب له صدقة من حيث ما نسب الله الملك له وإن كوشف فلا يقدح فيه ذلك الكشف ألا ترى إلى المختصر قد زال عنه اسم الملك و حجر عليه التصرف فيه و ما أبيع له منه إلا الثلث و ما فوق ذلك فلا يسمع له فيه كلام لأنه تكلم فيما لا يملك و اعلم أن النفس قد جبلت على الشح قال تعالى وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا وَقَالَ وَمَنْ يُؤْتِ شَيْئًا فَنَفْسِهِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ مُمْكِنٌ وَكُلٌّ مُمْكِنٌ فَقَبِيرٌ بِالْأَصَالَةِ إِلَى مَرْجِحٍ يَرْجِحُ لَهُ وَجُودَهُ عَلَى عَدَمِهِ فَالْحَاجَةُ لَهُ ذَاتِيَّةٌ وَالْإِنْسَانُ مَا دَامَتْ حَيَاتُهُ مَرْتَبُطَةٌ بِجَسَدِهِ فَإِنْ حَاجَتْهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَقَرَهُ مَشْهُودٌ لَهُ وَبِهِ يَأْتِيهِ اللَّعِينُ فِي وَعْدِهِ فَقَالَ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ فَلَا يَغْلِبُ نَفْسَهُ وَلَا الشَّيْطَانُ إِلَّا الشَّدِيدُ بِالتَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ فَإِنَّهُ يَقَاتِلُ نَفْسَهُ وَالشَّيْطَانَ الْمُسَاعِدَ لَهَا عَلَيْهِ وَلِهَذَا سَمَّاهَا الشَّارِعَ صَدَقَةَ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ عَنْ شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ يُقَالُ رَمَحَ صَدَقَ أَي قَوِيَ شَدِيدٌ فَلَوْ لَمْ يَأْمَلِ الْبَقَاءَ وَتَيَقَّنَ بِالْفِرَاقِ هَانَ عَلَيْهِ إِعْطَاءُ الْمَالِ لِأَنَّهُ مَا خُوِذَ عَنْهُ بِالْقَهْرِ شَاءَ أَمْ أَبِي فَمَنْ طَمَعَ النَّفْسَ أَنْ تَجُودَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لَعَلَّ تَحْصُلَ بِذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَدْرٌ مَا فَارَقَتْهُ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ حِرْصِهَا فَلَمْ تَجِدْ مِثْلَ هَذِهِ النَّفْسِ عَنْ كَرَمٍ وَلَا وَفَاها اللهُ شَحْها ذكر مسلم في ذلك عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أما وأبيك لتنبأته أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا وكذا وقد كان لفلان فينبغي لمن لم يقه الله شح نفسه وقد وصل إلى هذا الحد وارتفع عنه في تعيينه لفلان طائفة من ماله أن يكون ذلك صدقة فليجعل في نفسه عند تعيينه أنه مؤد أمانة وأن ذلك وقتها فيحشر مع الأمناء المؤدين أمتهم لا مع المتصدقين ولا يخاطر الصدقة ببال إن أراد أن ينصح نفسه

(وصل في فضل ضرب الملك والتملك عند أهل الله)

العارف يقول الله له هذا ملكك فيقبله منه بالأدب والعلم في ذلك أنه ملك استحقاق لمن يستحقه ومن هو حق له و ملك أمانة لمن هو له بيده أمانة و ملك وجود لمن هو موجود عنه فالأشياء كلها ملك لله وجودي وهي للعبد بحسب الحال فما لا بد له في نفس الأمر من المنفعة به على النفس فهو ملك استحقاق له وهو من الطعام والشراب ما يتغذى به في حين التغذية به مما يتغذى لأمما يفضل عنه ويخرج من سبيله وغير ذلك ومن الثياب ما يقيه من حر الهواء وبرده وأما ما عدا هذا القدر فهو بيده ملك أمانة لمن يدفع به أيضا ما دفع هو به عن نفسه مما ذكرناه فلا يخلو العارف إما أن يكون ممن كشف أسماء أصحاب الأشياء مكتوبة عليها فيمسكها لهم حتى يدفعها إليهم في الوقت الذي قدره الحكيم وعينه فيفرق ما بين ما هو له فيسميه ملك استحقاق لأن اسمه عليه وهو يستحقه وبين ما هو لغيره فيسميه ملك أمانة لأن اسم صاحبه عليه والكل بلسان الشرع ملك له في الحكم الظاهر أو يكون هذا العارف ممن لم يكشف له ذلك فلا يعرف على التعيين ما هو رزقه من الذي هو عنده فإذا كوشف فيعمل بحسب كشفه فإن الحكم للعلم في ذلك وإن لم يكشف فالأولى به أن يخرج عن ماله كله صدقة لله و رزقه لا بد أن

يأتيه ثقة بما عند الله إن كان قد بقي له عند الله ما يستحقه وإن لم يبق له عند الله شيء فلا ينفعه إمساك ما هو ملك له شرعاً فإنه لا يستحقه كشفاً في نفس الأمر وهو تارك له وهو غير محمود هذه أحوال العارفين وقد يخرج صاحب الكشف عن ماله كله عن كشفه لأنه يرى عليه اسم الغير فلا يستحق منه شيئاً فيشبهه بالصورة من خرج عن ماله كله من غير كشف فإن لم يكن عنده ثقة بالله فيذمه الشرع إن خرج عن كل ماله ثم بعد ذلك يسأل الناس الصدقة فمثل هذا لا تقبل صدقته كما قد ورد في ذلك في حديث النسائي في الرجل الذي تصدق عليه بثوبين ثم جاء رجل آخر يطلب أن يتصدق عليه أيضاً وألقى هذا المتصدق عليه الأول أحد ثوبيه صدقة عليه فاتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال خذ ثوبك ولم يقبل صدقته فإذا علم من نفسه أنه لا يسأل ولا يتعرض فحينئذ له أن يخرج عن ماله كله ولكن بميزان الأفضلية إن كان عالماً إذا لم يكن له كشف فإن كان صاحب كشف عمل بحسب كشفه ولقد خرج أبو داود ما يناسب ما ذكرناه من حديث عمر بن الخطاب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي وقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسألك إلى شيء أبداً فينبغي للعالم بنفسه أن يعامل نفسه بما يعامله به الشرع الحاكم عليه ولا ينظر المرید لما يحظره في الوقت فيكون تحت حكم خاطره فيكون خطأه أكثر من إصابته وهنا يتميز العاقل العالم من الجاهل ولكن هذا كله لمن لا تكشف له من أهل الله وقد سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر لما أتاه بماله كله لمعرفته بحاله ومقامه وما قال له هلا أمسكت لأهلك شيئاً من مالك وأثنى على عمر بذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليه وقال لكعب بن مالك في هذا الحديث أمسك بعض مالك وكان كعب بن مالك قد انخلع من ماله كله صدقة لخاطر خطر له فلم يعامله رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاطره وعامله بما يقتضيه حاله فقال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك

(وصل في فصل ما ينظره العارف في فضل الله وعدله ومكر الله تعالى)

إن من مكر الله وعدله وفضله أن يبين للناس ما فيه مصلحتهم هذا من فضله وأما عدله ومكره هو أن يعاملهم بصفاتهم فالعارفون في مثل هذا المقام ينظرون في أحوال أنفسهم وفيما يؤتهم الله في بواطنهم وظواهرهم ويزنون ذلك بالميزان الذي وضعه الرحمن ليقيم الوزن بالقسط ولا يخسر الميزان فإن اعتدلت الكفتان فذلك العلم الصحيح وإن ترجحت كفة العطاء على كفة الحال فلينظر في الحال فإن كان مما يحمده الشرع فذلك إما جزء معجل وإما زيادة فضل وإن كان الحال مما يذمه لسان الشرع فذلك مكر من الله وإن كان الحال مما لا يذم ولا يحمده فذلك عدل من الله يؤول إما إلى فضل إن شكر الله وعمل بطاعته في المستأنف بتلك الأعطية أو يؤول إلى مكر خفي إن عمل فيه بمعصية الله فإن ألهم الاستغفار والتوبة أو أن ذلك مكر إلهي فلا يخلو إما أن يتدارك الأمر أو يبقى على حاله فإن بقي على حاله فهو مكر في مكر وإن تدارك الأمر فذلك من فضل الله وزال عنه حكم المكر في هذه الحال فمن مكر الله وفضله اليد العليا خير من اليد السفلى فإن الصدقة تقع

بيد الرحمن ففيه مكر وفضل فإنه قد ورد أنها تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل وقد ذكر البخاري عن حكيم بن حزام فيما نبهنا عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلي وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله فهذا الحديث يتضمن تفصيل ما ذكرناه من الأحوال وأعلى الغني باله والاستعفاف هنا القناعة بالقليل فإن العفو يرد في اللسان ويراد به القليل وهو من الأضداد والصدقة عن ظهر غنى هي الصدقة والدعاء عن ظهر فقر هو الدعاء الجلب بلا شك وأين الداعي عن ظهر فقر والمعطي عن ظهر غنى

(وصل في فصل حاجة النفس إلى العلم)

اعلم أن حاجة النفس إلى العلم أعظم من حاجة المزاج إلى القوت الذي يصلحه والعلم علما علم يحتاج منه مثل ما يحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد فيه والاقتصاد على قدر الحاجة وهو علم الأحكام الشرعية لا ينظر منها إلا قدر ما تمس الحاجة إليه في الوقت فإن تعلق حكمها إنما هو بالأفعال الواقعة في الدنيا فلا تأخذ منه إلا قدر عملك والعلم الآخر هو ما لا حد له يوقف عنده وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة فإن العلم بمواطن القيامة يؤدي العالم بها إلى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لأن الحق بنفسه هو المطالب في ذلك اليوم بارتفاع الحجب وهو يوم الفصل فينبغي للإنسان العاقل أن يكون على بصيرة من أمره معدا للجواب عن نفسه وعن غيره في المواطن التي يعلم أنه يطلب منه الجواب فيها ولهذا ألحقناه بالعلم بالله وينبغي لطالب العلم أن لا يسأل في المسؤل إلا الله لا عين المسؤل هكذا ينبغي أن يكون عليه السائل من الحضور مع الله فليستكثر هذا السائل من السؤال فإن الله هو المسؤل فإن لم يحضر له ذلك ولم يشاهد سوى الأستاذ ولا يرى العلم إلا منه ولا يردده ذلك العالم إلى الله بقوله الله أعلم ولا يقول له من العلم ما يرده إلى الله فيه فذلك الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره مسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وإنما أراد الله تعالى من عباده أن يرجعوا إليه في المسائل لا إلى أمثالهم إلا بقدر ما يتعلمون منهم كيف يسألون الله وهو حد التقوى المشروع فقال وآتقوا الله بما علمكم من أعلمته بطريق التقوى ويعلمكم الله فكان هو سبحانه المعلم وسواء كانت المسألة في العلم أو في غير العلم من أعراض الدنيا كما قال لموسى عليه السلام ربه عز وجل فيما أوحى إليه به أو كلمه به سلمي حتى الملح تلقيه في عجبتك وقال في باب الإشارة لا التفسير الرحمن علم القرآن في أي قلب يكون ويستقر وعلى أي قلب ينزل خلق الإنسان علمه البيان لتبين للناس ما نزل إليهم فأضاف التعليم إليه لا إلى غيره هذا كله من الغيرة الإلهية أن يسأل المخلوق غير خالقه ليربح عبادة من سؤال من ليس بأيديهم من الأمر شيء وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا وما خص صلى الله عليه وسلم مسألة من مسألة فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئا وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها وأراد من الناس أن يعملوا بما علمهم الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ويسألون الله في أعمالهم أن يزيدهم علما إلى علمهم منه فيتولى بنفسه تعليم عباده فإن الله غيور فلا يجب أن يسأل غيره وإن

سأل غيره بلسان الظاهر فيكون القلب حاضرا مع الله عند سؤاله إن الله هو المسئول الذي بيده ملكوت كل شيء بالمعنى فإن الاسم الظاهر من الله هو هذا الشخص فإنه من جملة الحروف المرقومة في رق الوجود المنشور فيأخذ هذا السائل جوابه من الله إما بقضاء الحاجة وإما بالدعاء ولهذا كان سؤال الرجل السلطان أولى من سؤال غير السلطان لأن وجود الحق أظهر فيه من غيره من السوقة والعامه ولهذا رفعت الكديه عن الذين يسألون الملوك فإنهم نواب الله وهم موضع حاجة الخلق وهم المأمورون أن لا ينهروا السائل يقول الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو النائب الأكبر وأما السائل فلا تنهر ولهذا يسأل الله تعالى يوم القيامة الثواب وهم الرعاة عن من استرعاهم عليه ويسأل الرعايا ما فعلوا فيهم ثم نرجع إلى مسائل الصدقة التي نحن في بابها فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل كدوح يكحج بها الرجل في وجهه فمن شاء أبقي على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان في أمر لا يجد منه بدا وهذا نص ما ذكرناه وهو حديث خرجه أبو داود عن سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك سؤال الصالحين العارفين أهل المراقبة أولى من سؤال السلاطين إلا أن تكون هذه الصفات في السلطان فإن أصحاب هذه الصفات أقرب نسبة إلى الله تعالى وقد رأينا بحمد الله من السلاطين من هو بهذه المثابة من الدين والورع والقيام للحق بالحق رحمهم الله وقد ورد في الخبر أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل يا رسول الله قال لا وإن كنت سائلا ولا بد فسل الصالحين فالعارفون إذا سألوا في أمر تعين لهم من مصالح دنياهم إنما يسألون الله بالله في العالم والعلماء بالله الذين استقرغهم شهود الله شغلهم ذكر الله عن المسألة من الله فهو لاء أصحاب أحوال فأعطاهم العلم به وهو أفضل ما أعطى السائلون فإذا علموه علم ذوق لم يذكره إلا له بهم وبه فأعطاهم بهذا الذكر أمرا جعلهم أن يتركوا الذكر له وبه فأعطاهم الرؤية إذ كانت الرؤية أرفع من المشاهدة وهي أفضل صدقة تصدق الله بها على المقربين من عباده

(وصل في فصل أخذ العلماء بالله من الله العلم الموهوب)

اعلم أن العلماء بالله لا يأخذون من العلوم إلا العلم الموهوب وهو العلم اللدني علم الحضر وأمثاله وهو العلم الذي لا تعمل لهم فيه بخاطر أصلا حتى لا يشوبه شيء من كدورات الكسب فإن التجلي الإلهي المجرد عن المواد الإمكانية من روح وجسم وعقل أتم من التجلي الإلهي في المواد الإمكانية وبعض التجليات في المواد الإمكانية أتم من بعض فإذا وقع للعالم بالله من تجل إلهي أشرف على تجل آخر لم يحصل له ثم حصل له بعد ذلك فأعطاهم من العلم به ما لم يكن عنده لم يقبله في العلم الموهوب وأحقه بالعلم المكتسب وكل علم حصل له عن دعاء فيه أو بدعاء مطلق فهو مكتسب وذلك لا يصلح إلا للرسول صلوات الله عليهم فإنهم في باب تشريع الاكتساب فإذا وقفوا مع نبوتهم لا مع رسالتهم كان حالهم مع الله حال ما ذكرناه من ترك طلب ما سواه والأشرف فهم مع الله واقفون وإليه ناظرون وبه ناظون في كل منطوق به ومنظور إليه وموقوف عنده وكما أنهم به ناظون هم به سامعون يذكرون عباده تعبدا ويطيعون عباده تعبدا ويجهدون ولا يفترقون عبادة لا تعرضا ولا طلبا إلا وفاء لما يقتضيه مقام من كلفهم من حيث ما هو مكلف لا من وجه آخر ومقام من كلف فهو يهيم من لدنه علما لم يكن مطلوبا لهم فيكون

مكتسبا ومن أسمائه سبحانه المؤمن وهو من نعوت العبد لا من أسماء العبد فإنه إذا كان اسما لم يعلل وإذا كان صفة ونعتا علل فهو لله اسم و للعبد صفة هذا هو الأدب مع الله وقد ورد في معنى ما أشرنا إليه حديث ذكره أبو عمر ابن عبد البر النمري عن خالد بن عدي الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاءه من أخيه معروف من غير أشرف ولا مسألة فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله إليه فجمع هذا الحديث بين الأمر بالقبول والنهي عن الرد فحصل فيه التكليف كله فإن التكليف ما هو سوى أمر ونهي ومما يؤيد صحة هذا الحديث ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي عمر بن الخطاب العطاء فيقول أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذوه وما لا فلا تتبعه نفسك فالأكابر لا يسألون أحدا شيئا إلا إذا كان الله مشهودهم في الأشياء ولا يردون شيئا أعطوه فإن الأدب مع الله أن لا ترد على الله ما أعطاك وفتنة العلم أعظم من فتنة المال فإن شرف المال شرف عارض لا يتعدى أفواه الناس ليس للنفس منه صفة و شرف العلم حلية تتحلّى بها النفس ففتنته أعظم ولا زوال له عن صاحبه في حال فقره وغناه ونائبه والمال يزول عن صاحبه بلص يأخذه أو حرق أو غرق أو هدم أو زلزلة أو جائحة سماوية أو فتنة أو سلطان والعلم منك في حصن حصين لا يوصل إليه أبدا يلزم الإنسان حيا و ميتا دنيا و آخرة وهولك على كل حال وإن كان عليك في وقت ما فهولك في آخر الأمر وإن أصابك الآفات من جهته فلا تكثرت فليس إلا لشرفه حيث لم تعمل به فما أصبت إلا من ترك العمل به لا منه فإذا نجوت أخذ بيدك إلى منزلته ومنزلته معلومه ومعلومه الحق فينزلك بالحق على قدر ذلك العلم فلا تكن من الجاهلين

(وصل في فصل إيجاب الله الزكاة في المولدات)

اعلم أن الله أوجب الزكاة في المولدات وهي ثلاثة معدن ونبات وحيوان فالمعدن ذهب وفضة والنبات حنطة وشعير وتمر والحيوان إبل و بقرة وغنم فعم جميع المولدات وأطلق عليها اسم المولدات لأنها تولدت عن أم وأب عن فلك وحركته الذي هو بمنزلة الجماع وهو الأب و الأركان الأم فكان المال محبوبا للإنسان حب الولد ألا ترى الله قرنه بالولد في الفتنة فقال إنما أموالكم وأولادكم فتنة فقدم المال على الولد في الذكر والله عنده أجر عظيم إذا رزأكم في شيء منهما فالزكاة وإن كانت طهارة الأموال وطهرت أربابها من صفة البخل فهي رزء في المال بلا شك فلصاحبها أجر المصاب وهو من أعظم الأجور والولد شجينة من الوالد كالرحم شجينة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله قال بعض الشعراء في الأولاد وهو من شعر الحماسة

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

فجعل الولد قطعة من الكبد وقال عيسى عليه السلام لأصحابه قلب كل إنسان حيث ما له فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فحث على الصدقة لما علم إن الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول أأمنتم من في السماء والصدقة تطفى غضب الرب فانظر ما

أعجب كلام النبوة وما أدقه وأحلاه فمن الحق الولد بالوالد ووصله به فله أجر من وصل الرحم فينبغي للإنسان أن يلحق ماله من حيث ما هو مولود مولود بأبيه الذي تولد عنه لأنه قطعة منه فللإنسان المتصدق في صدقة زكاته أجر المصيبة وأجر صلة الرحم إذا زكى ماله والصبر علي فقد المحبوب من أعظم الصبر ولا يصبر على ذلك إلا مؤمن أو عارف فإن الزاهد لا زكاة عليه لأنه ما ترك له شيئاً تجب فيه الزكاة لأن الزهد يقتضي ذلك والعارف ليس كذلك لأن العارف يعلم أن فيه من حيث ما هو مجموع العالم من يطلب المال فيوفيه حقه فتجب عليه الزكاة من ذلك الوجه وهو زاهد من وجه ولهذا رجحنا قول من يقول إن الزكاة واجبة في المال لا على المكلف وإنما هو مكلف في إخراجها من المال إذ المال لا يخرج بنفسه فجمع العارف بين الأجرين بخلاف الزاهد والعارفون هم الكمل من الرجال فلهم الزهد والادخار والتوكل والاكتمال ولهم المحبة في جميع العالم كله وإن تفاضلت وجوه المحبة فيجبون جميع ما يقع في العالم بحسب الله في إيجاد ذلك الواقع لا من جهة عين الواقع فاعلم ذلك فإن فيه دقيق مكر إلهي لا يشعر به إلا الأدياء العارفون فإن العارف يعلم أن فيه جزاء يطلب مناسبة من العالم فيوفي كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً وهكذا كل جزء فيك ولهذا يشهد عليك يوم القيامة إذا استشهده الحق عليك وانظر في حكمة السامري حيث علم ما قال عيسى عليه السلام من أن حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل بمرأى منهم من حل بهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لأموالهم فسارعوا إلى عبادته حين دعاهم إلى ذلك فالعارف من حيث سره الرباني مستخلف فيما بيده من المال فهو كالوصي على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شيء فلذلك قلنا إنه حق في المال فإن الصغير لا يجب عليه شيء وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتجارة في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة والعامي وإن كان مثل العارف في كونه جامعاً فإن العامي لا يعلم ذلك فأضيف المال إليه فليل له أموالكم فيخرج منها الزكاة فالعارف يخرجها إخراج الوصي والعامي يخرجها بحكم الملك وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وكلا الفريقين صادق في حاله وصاحب دليل إلهي فيما نسب إليه فلو لا المحبة ما فرضت الزكاة ليتأبوا ثواب من رزق في محبوه ولو لا المناسبة بين الحب والمحبوب لما كانت محبة ولا تصور وجودها ومن هنا تعلم حب العارف للمال من أي نسبة هو وحبه لله من أي نسبة هو ولا يقدر حبه في المال والدين في حبه لله وللآخرة فإن ما يحبه منه لأمر ما إلا ما يناسب ذلك الأمر في الإلهيات وفي العالم حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فصحت المناسبة ومن نعمه المعرفة به والعارف يطلبها منه فهي نسبة فقير إلى غني يطلب منه ما بيده له ليحصله فما طلب منه إلا ما حدث إذ معرفة المحدث بالتقديم معرفة حادثة فالمناسبة بينه وبين المعرفة الحدوث وهي بيد المعروف فيتعلق الحب بالمعروف لهذه المناسبة والمعرفة به لا تقتضي ولا تنهاى فالحب لا يقتضي وحصول مثل هذه المعرفة عن التجلي فالتجلي لا يقتضي فالمعرفة مال العارف وزكاة هذا المال التعليم وهي درجة إلهية قال تعالى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ فَهُوَ الْعَلِيمُ فَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ التَّعْلِيمَ دَرَجَةٌ إلهية وجعل أصناف الزكاة ثمانية لما فيها من صلاح العالم فهي فيما تقوم به الأبدان من الغذاء وقضاء الحاجات مطلقاً وفي هذين الأمرين صلاح العالم فهم حملة العرش الثمانية والعرش الذي هو الملك محمول لهم فمن تلك الحقيقة كانت

في ثمانية أصناف مجمع عليها وما عداها مما اختلف فيه فهو راجع إليها ولما كان العرش الملك وكان حملة هذا العرش الذي هو عبارة عنا كان هؤلاء الأصناف الثمانية حملته وكان هذا القدر من المال المعبر عنه بالزكاة كالأجرة لحملهم (وصل) إنما سمي المال مالا لأنه يميل بالنفوس إليه وإنما مالت النفوس إليه لما جعل الله عنده من قضاء الحاجات به وجبل الإنسان على الحاجة لأنه فقير بالذات فمال إليه بالطبع الذي لا ينفك عنه ولو كان الزهد في المال حقيقة لم يكن مالا وكان الزهد في الآخرة أتم مقاما من الزهد في الدنيا وليس الأمر كذلك وقد وعد الله بتضعيف الجزاء الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف فلو كان القليل حجابا لكان الكثير منه أعظم حجابا ألا ترى إلى موطن التجلي والكشف وهو الدار الآخرة وهي محل الرؤية والمشاهدة مع تناول الشهوات النفسية مطلقا من غير تحجير وكلمة كن من كل إنسان فيها حاكمة فلو كان مثل هذا حجابا لكان حجاب الآخرة أكثف وأعظم بما لا يتقارب فسبحان من جعل له في كل شيء بابا إذا فتح ذلك الباب وجد الله عنده وعين في كل شيء وجهها إلهيا إذا تجلى عرف ذلك الوجه من ذلك الشيء قال الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فإنه لا يراه إلا بعينه إذ كان الحق بصره في هذا للوطن فيرى نفسه قبل رؤية ذلك الشيء والإنسان هو المحل لذلك البصر فلهذا قال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله وسماها الله زكاة لما فيها من الربو والزيادة ولهذا تعطي قليلا وتجدها كثيرا فلو أعطيته لرفع الحجاب لكونه حجابا لكان الثواب حجابا كثيرة أعظم من هذا الحجاب فلم يكن بحمد الله ما أعطيته حجابا ولا ما وصلت إليه من ذلك حجابا فاعلم ذلك وانظر في تصرف العارف في الدنيا كيف هو ولا يحمل تصرفه على تصرفك وجهك وسوء تأويلك فترى الزهد عند ذلك أفضل منه هيئات هل يَسْوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ بل هي للعارف صفة كمالية سليمانيه هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إني كنت أوتيت الوهاب فما أيق هذا الاسم بهذا السؤال أتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله أو سأل ما يبعده من الله ثم انظر إلى أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من العفريت الذي فتك عليه فأراد أن يقبضه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى ينظر الناس إليه فتذكر دعوة أخيه سليمان فرده الله خاسئا فهذه حالة سليمانيه حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وما رده عنها الزهد فيها وإنما رده عن ذلك الأدب مع سليمان عليه السلام حيث طلب من ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمنا من هذه القصة أن قوله لا ينبغي أنه يريد لا ينبغي ظهوره في الشاهد للناس لأحد وإن حصل بالقوة لبعض الناس كمسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العفريت فعلمنا أنه أراد الظهور في ذلك لأعين الناس ثم إن الله أجاب سليمان عليه السلام إلى ما طلب منه بأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة أخيه سليمان حتى لا يمضي ما قام بخاطره من إظهار ذلك ثم إن الله تم هذه النعمة لسليمان عليه السلام بدار التكليف فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فرغ عنه الحرج في التصريف بالاسم المانع والمعطي فاخص بجنة معجلة في الحياة الدنيا وما حجبه هذا الملك عن ربه عز وجل فانظر إلى درجة العارف كيف جمع بين العينين وتحقق بالحقيقتين فأخرج الزكاة من المال الذي بيده إخراج الوصي من مال الحجور عليه بقوله وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَيَجْعَلَهُ مَالِكًا لِلْإِنْفَاقِ مِنْ حَقِيقَةِ إلهية فيه في مال هو ملك لحقيقة أخرى فيه هو وليها من

حيث الحقيقة الإلهية جعلنا الله من العارفين العلماء وبما أودع فيه من قوة أعين

(وصل في فصل قول المال أنواع العطاء)

اعلم أن المال يقبل أنواع العطاء وهو ثمانية أنواع لها ثمانية أسماء فنوع يسمى الإنعام ونوع يسمى الهبة ونوع يسمى الصدقة ونوع يسمى الكرم ونوع يسمى الهدية ونوع يسمى الجود ونوع يسمى السخاء ونوع يسمى الإيثار وهذه الأنواع كلها يعطى بها الإنسان ويعطى بسبعة منها الحق تعالى وهي ما عدا الإيثار فإن قال أجنبي فمن أي حقيقة إلهية ظهر الإيثار في الكون وهو لا يعطى على جهة الإيثار لأنه غني عن الحاجة و الإيثار إعطاء ما أنت محتاج إليه إما في الحال وإما بالمال وهو أن تعطي مع حصول التوهم في النفس أنك محتاج إليه فتعطيه مع هذا التوهم فيكون عطاؤك إيثارا وهذا في حق الحق محال فقد ظهر في الوجود أمر لا ترتبط به حقيقة إلهية فنقول قد قدمنا أن الغني المطلق إنما هو للحق من حيث ذاته معررى عن نسبة العالم إليه فإذا نسبت العالم إليه لم تعتبر الذات فلم تعتبر الغني وإنما اعتبرت كونها إلها فاعتبرت المرتبة فالذي ينبغي للمرتبة هو ما تسمت به من الأسماء وهي الصورة الإلهية لا الذات من حيث عينها بل من كونها إلها ثم إنه أعطاك الصورة التي هي الخلافة وسمائك بالأسماء كلها على طريق الحمدة فقد أعطاك ما هي المرتبة موقوفة نسبتها إليه وهي الأسماء الحسنى فإن قلت فإن المعطي لا يبقى عنده ما أعطاه قلنا هذا يرجع إلى حقيقة المعطي ما هو فإن كان محسوسا فإن المعطي يفقده بالإعطاء وإن كان معنى فإنه لا يفقده بالإعطاء ولهذا حددنا الإيثار بإعطاء ما أنت محتاج إليه ولم تعرض لفقد المعطي ولالبقاء فإن ذلك راجع إلى حقيقة الأمر الذي أعطيت ما هو فاعلم ذلك فمن هذه الحقيقة صدر الإيثار في العالم وما بعد هذا البيان بيان فالإنعام إعطاء ما هو نعمة في حق المعطي إياه مما يلائم مزاجه ويوافق غرضه والهبة الإعطاء لينعم خاصة والهدية الإعطاء لاستجلاب المحبة فإنها عن محبة ولهذا قال الشارع تهادوا تحابوا والصدقة إعطاء من شدة وقهر وإبابة فأما في الإنسان لكونه جبل على الشح ف من يوق شح نفسه وإذا مسه الخير منوعا فإذا أعطى بهذه المثابة لا يكون عطاؤه لا عن قهر منه لما جبلت النفس عليه وفي حق الحق هذه النسبة حقيقة ما ورد من التردد الإلهي في قبضه نسمة المؤمن ولا بد له من اللقاء يريد قبض روحه مع التردد لما سبق في العلم من ذلك فهو في حق الحق كأنه وفي حق العبد هو لا كأنه أدا إلهيا ودليل العقل يرمي مثل هذا القصوره وعدم معرفته بما يستحقه الإله المعبود والحق عرف بهذه الحقيقة التي هي عليها عبادة فقبلتها العقول السليمة من حكم أفكارها عليها بصفة القبول التي هي عليه حين ردتها العقول التي هي بحكم أفكارها وهذه هي المعرفة التي طلب منا الشارع أن نعرف بها ربنا ونصفه بها لا المعرفة التي أثبتناه بها فإن تلك مما يستقل العقل بإدراكها وهي بالنسبة إلى هذه المعرفة نازلة فإنها ثبتت بحكم العقل وهذه ثبتت بالأخبار الإلهي وهو بكل وجه أعلم بنفسه منا به والكرم العطاء بعد السؤال حقا وخالقا والجود العطاء قبل السؤال حقا لا خالقا فإذا نسب إلى الخلق فمن حيث إنه ما طلب منه الحق هذا الأمر الذي عينه الخلق على التعيين وإنما طلب الحق منه أن يتطوع بصدقة وما عين فإذا عين العبد ثوبا أو درهما أو دينارا أو ما كان من غير أن يسأل في ذلك فهو الجود خالقا وإنما قلنا لا خالقا في ذلك لأنه لا

يعطي على جهة القربة إلا بتعريف إلهي ولهذا قلنا حقًا لا خلقًا وإذا لم يعتبر الشرع في ذلك فالعطاء قبل السؤال لا على جهة القربة موجود في العالم بلا شك ولكن غرض الصوفي أن لا يتصرف إلا في أمر يكون قربة ولا بد فلا مندوحة له عن مراعاة حكم الشرع في ذلك والسخاء العطاء على قدر الحاجة من غير مزيد لمصلحة يراها المعطي إذ لو زاد على ذلك ربما كان فيها هلاك المعطي إياه قال تعالى وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ وَالْإِنثَارَ إِعْطَاءَ مَا أَنْتَ حَتَّاجٌ إِلَيْهِ فِي الْوَقْتِ أَوْ تَوْهَمُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَى وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَكُلَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعَطَاءِ فَإِنَّهُ الصَّدَقَةُ فِي حَقِّ الْعَبْدِ لِكَوْنِهِ مَجْبُولًا عَلَى الشَّحِّ وَالْبَخْلِ كَمَا إِنَّ الْآمِنَ فِي الْأَعْطِيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّمَانِيَةِ إِنَّمَا هُوَ الْوَهْبُ وَهُوَ الْإِعْطَاءُ لِيَنْعَمَ لِأَمْرِ آخِرٍ فَهُوَ الْوَهَابُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ عَطَائِهِ كَمَا هُوَ الْعَبْدُ مُتَّصِدِقٌ فِي جَمِيعِ أَعْطِيَاتِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَجْرَدٍ عَلَى الْغَرَضِ وَطَلَبِ الْعَوْضِ لِفَقْرِهِ الْذَاتِي فَمَا يَنْسَبُ إِلَى اللَّهِ بِحُكْمِ الْعَرَضِ يَنْسَبُ إِلَى الْمَخْلُوقِ بِالذَّاتِ وَمَا يَنْسَبُ إِلَى الْحَقِّ بِالذَّاتِ كَالْغَنَى يَنْسَبُ إِلَى الْمَخْلُوقِ بِالْعَرَضِ النَّسْبِيِّ الْإِضْطِافِي خَاصَّةً قَالَ تَعَالَى لَنَبِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً أَيَّ مَا يَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِهِمْ إِعْطَاؤُهَا وَهَذَا قَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ هَذِهِ أُخِيَّةُ الْجَزْيَةِ لَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ بَعْدَ مَا كَانَ عَاهِدَ اللَّهُ كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ الْآيَةَ فَلَمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِ قَالَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ وَقَوْلُهُ بَخِلُوا بِهِ هِيَ صِفَةُ النَّفْسِ الَّتِي جَبَلَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ إِذَا حَكَمَتْ عَلَى الْعَبْدِ اسْتَبَدَّ اللَّهُ بِغَيْرِهِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَهَكَذَا وَرَدَ وَإِنْ تَلَّوْا عَمَّا سَأَلْتُمُوهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ وَبِحَلَّتُمْ بِسَبْدِ قَوْمًا غَيْرِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ أَيَّ عَلَى صِفَتِكُمْ بَلْ يَعْطُونَ مَا يَسْأَلُونَ كَمَا قَالَ فَإِنَّ يَكْفُرُ بِهَا هَوْلًا فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ فَإِنَّ الْمَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَضِيقَ عَنْ وَجُودِ شَيْءٍ فَالْصَّدَقَةُ أَصْلُ كَوْنِي وَالْوَهْبُ أَصْلُ إلهِي وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ مِنْ جَبَلْتُمَا حَيْثُ لَمْ تَرُدَّ الْخَيْرَ إِلَّا لِنَفْسِكُمَا وَغَلَبَ عَلَيْهَا الطَّبْعُ فِي ذَلِكَ عَنْ مَوَافَقَةِ الْحَقِّ فِيمَا أَرَادَ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْكَوْنِ مِنْ جَعْلِ آدَمَ خَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ فَعَرَفَهُمْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَوَافِقُوهُ لِحُكْمِ الطَّبْعِ فِي الطَّمَعِ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ ثُمَّ تَسْتَرَّ حُكْمُ الطَّبْعِ لثَلَاثًا تَنْسَبُ إِلَى النَقْصِ مِنْ عَدَمِ مَوَافَقَةِ الْحَقِّ فَأَقَامَ لَهُمْ صُورَةَ الْغِيْرَةِ عَلَى جَنَابِ الْحَقِّ وَالْإِثَارَ لِعَظَمَتِهِ وَذَهَلُوا عَنْ تَعْظِيمِهِ إِذْ لَوْ وَقَفُوا مَعَهُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْعَظَمَةِ لَوَافِقُوهُ مَا وَافِقُوهُ وَإِنْ كَانُوا فَصَدَّوْا الْخَيْرَ فَقَالُوا أَكْجَعْلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ أَيَّ فَنَحْنُ أَوْلَى مِنْ هَذَا فَرَجَحُوا نَظَرَهُمْ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ لِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ إِيَّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَوَصَفَهُمْ بِنَفْيِ الْعِلْمِ الَّذِي عِلْمُ الْحَقِّ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ مِمَّا لَمْ يَعْلَمُوا وَآتَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَمَسَأَلْتُهُمْ جَمَعْتَ ذَلِكَ حَيْثُ أَتَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَدَلْتُمْ وَجَرَحْتُمْ غَيْرَهُمْ وَمَا رَدُّوا الْعِلْمَ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ فَهَذَا مِنْ مَجَلِّ الطَّبْعِ بِالْمَرْتَبَةِ وَهَذَا يُؤَيِّدُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَمَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ تَحْتَ حُكْمِ الطَّبِيعَةِ وَأَنَّ لَهَا أَثْرًا فِيهِمْ قَالَ تَعَالَى مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ وَالْخِصَامُ مِنْ حُكْمِهَا وَقَدْ وَرَدَ اخْتِصَامُ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةِ الْعَذَابِ فِي الشَّخْصِ الَّذِي مَاتَ بَيْنَ الْقَرِيْبَيْنِ فَوَصَفَهُمْ بِالْخِصَامِ وَلَوْلَا أَنَّ مَرْتَبَتَهَا دُونَ النَّفْسِ وَفَوْقَ الْهَبَاءِ لَسَرَى حُكْمُهَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَصْلِ هَذَا الشَّأْنِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى تَضَادِّ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ فَمِنْ هُنَاكَ ظَهَرَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فِي الْجَمِيعِ فَهَمَّ مَشَارِكُونَ لَنَا فِي حُكْمِ الطَّبِيعَةِ وَمِنْ حُكْمِهَا الْبَخْلُ وَالشَّحُّ فِيمَنْ تَرَكَبَ مِنْهَا وَهُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَنْعِ فِي

الأسماء وسببه فينا إن الفقر والحاجة ذاتي لنا ولكل ممكن ولهذا اقتقرت الممكنات إلى المرجح لإمكانها فالمكون عن الطبيعة شحيح بخيل بالذات كريم بالعرض فما فرض الله الزكاة وأوجبها وطهر بها النفوس من البخل والشح لإلهذا الأمر المحقق فالفرض منها أشد على النفس من صدقة التطوع للجبر الذي في الفرض والاختيار الذي في التطوع فإنه في الفرض عبد بحكم سيد وفي الاختيار لنفسه إن شاء وإن شاء

(وصل في فصل الادخار من شح النفس وبخلها)

اعلم أنه من شح النفس الادخار والشبهة لها إلى وقت الحاجة فإذا تعين المحتاج كان العطاء وعلى هذا أكثر بعض نفوس الصالحين وأما العامة فلا كلام لنا معهم وإنما تتكلم مع أهل الله على طبقاتهم والقليل من أهل الله من يطلب على أهل الحاجة حتى يوصل إليهم ما بيده فرضا كان أو تطوعا فالفرض من ذلك قد عين الله أصنافه ورتبه على نصاب وزمان معين والتطوع من ذلك لا يقف عند شيء فإن التطوع إعطاء ربوبية فلا يتقيد والفرض إعطاء عبودية فهو بحسب ما يرسم له سيده وإعطاء العبودية أفضل فإن الفرض أفضل من النفل وأين عبودية الاضطرار من عبودية الاختيار وهذا الصنف قليل في الصالحين وشبهتهم أنا لم نكف الطلب عليهم والمحتاج هو الطالب فإذا تعين لي بالحال أو بالسؤال أعطيته والذين هم فوق هذه الطبقة التي تعطي على حد الاستحقاق فهم أيضا أعلى من هؤلاء وهم الذين يعطون ما بأيديهم كرما إلهيا وتخلقا فيعطون المستحق وغير المستحق وهو عندنا من جهة الحقيقة الآخذ مستحق لأنه ما أخذ إلا بصفة فقر والحاجة لا غيرها سواء كانت الأعطية ما كانت من هدية أو وهب أو غير ذلك من أصناف العطايا كالتاجر الغني صاحب الآلاف بجوف القفار ويركب البحار ويقاسي الأخطار ويتغرب عن الأهل والولد ويعرض بنفسه وبماله للتلف في أسفاره وذلك لطلب درهم زائد على ما عنده فحكمت عليه صفة الفقر وأعمته عن مطالعة هذه الأحوال وهونت عليه الشدائد لأن سلطان هذه الصفة في العبد قوية فمن نظر هذا النظر الذي هو الحق فإنه يرى أن كل من أعطاه شيئا وأخذه منه ذلك الآخر فإنه مستحق لمعرفته بالصفة التي بها أخذها منه إلا أن يأخذها قضاء حاجة له لكونه يضرر بالرد عليه أو ليستمر مقامه بالأخذ فذلك يده يد حق كما ورد أن الصدقة تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل فيزيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله فهذا أخذ من غير خاطر حاجة في الوقت وغاب عن أصله الذي حركه للاخذ وهو أن ذلك تقتضيه حقيقة الممكن فهذا شخص قد استترت عنه حقيقته في الأخذ بهذا الأمر الغرضي فنحن نعرفه حين يجهل نفسه فما أعطى إلا غني عما أعطاه سواء كان لغرض أو عوض أو ما كان فإنه غني عما أعطى وما أخذ إلا مستحق أو محتاج لما أخذ لغرض أو عوض أو ما كان لأن الحاجة إلى تربية ما أخذ حاجة إذ لا يكون مربيا إلا بعد الأخذ فافهم فإنه دقيق غامض بسبب النسبة الإلهية في التربية للصدقة مع الغني المطلق الذي يستحقه والنسب الإلهية لا ينكرها إلا من ليس بمؤمن خالص فإن الله يقول وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا وَيَقُولُ جَعَلْتُ فَلَاحِظِي وَظَلَمْتُ فَلَمْ تَسْقِي وَبَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَمْ يَمْتَنِعْ جَلَّ وَتَعَالَى عَنْ نِسْبَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ تَنْبِيْهَا مِنْهُ لَنَا إِنَّهُ هُوَ الظَّاهِرُ فِي الْمَظَاهِرِ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادَاتِهَا وَالْيَدِ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفَقَةُ فَهِيَ خَيْرٌ بِكُلِّ وَجْهِ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى الَّتِي هِيَ الْآخِذَةُ فَالْمَعْطِيُّ بِحَقِّ وَالْآخِذُ بِحَقِّ لَيْسَا عَلَى السَّوَاءِ فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْإِنْفِاقِ

الاسم ولا في الحال فما من شيء إلا وله وجه ونسبة إلى الحق ووجه ونسبة إلى الخلق ولهذا جعله إنفاقا فقال وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فراعى عز وجل في هذا الخطاب أكابر العلماء لأنهم الذين لهم العطاء من حيث ما هو إنفاق لعلمهم بالنسبتين لأنه من النفق وهو حجر اليربوع ويسمى النافق له بابان إذا طلب من باب ليصاد خرج من الباب الآخر كالكلاب المحتمل إذا قيدت صاحبه بوجه أمكن أن يقول لك إنما أردت الوجه الآخر من محتملات اللفظ ولما كان العطاء له نسبة إلى الحق والغني ونسبة إلى الخلق والحاجة سماه الله إنفاقا فعلماء الخلق ينفقون بالوجهين فيرون الحق فيما يعطونه معطيا وأخذا ويشاهدون أيديهم هي التي يظهر فيها العطاء والأخذ ولا يجربهم هذا عن هذا فهو لا يرون إلا مستحقا فكل أخذ إنما أخذ بحكم الاستحقاق ولو لم يستحقه لاستحال القبول منه لما أعطيه كما يستحيل عليه الغني المطلق ولا يستحيل عليه الفقر المطلق ثم إن الذين ينتظرون مواقيت الحاجة ويدخرون كما ذكرنا للشبهة التي وقعت لهم فمنهم من يدخر على بصيرة ومنهم من يدخر لا عن بصيرة فلا نسلم لهم ادخارهم في ذلك لأنه لا عن بصيرة وليس من أهل الله فإن أهل الله هم أصحاب البصائر والذي عن بصيرة فلا يخلو إما أن يكون عن أمر إلهي يقف عند ويحكم عليه أولا عن أمر إلهي فإن كان عن أمر إلهي فهو عبد محض لا كلام لنا معه فإنه مأمور كما نظنه في عبد القادر الجيلي فإنه كان هذا مقامه والله أعلم لما كان عليه من التصرف في العالم وإن لم يكن عن أمر إلهي فأما أن يكون عن اطلاع أن هذا القدر المدخر لفلان لا يصل إليه إلا على يد هذا فيمسكه لهذا الكشف وهذا أيضا من وجوه عند القادر وأمثاله وإما أن يعرف أنه لفلان ولا بد ولكن لم يطالع على أنه على يده أو على يد غيره فإمسكه مثل هذا الشح في الطبيعة وفرح بالوجود ويحتج عن ذلك بكشفه من هو صاحبه وبهذا احتجنا على عبد العزيز بن أبي بكر المهدي في ادخاره فوقف ولم يجد جوابا فإنه ادخر لا عن بصيرة إن ذلك على يده ولا عن بصيرة إن ذلك المعين عنده صاحبه فافتضح بين أيدينا في الحال ومثل هذا ينبغي أن لا يدخر ولقد أنصف سيد الطائفة عاقل زمانه المنصف بحاله أبو السعود بن الشبل حيث قال نحن تركنا الحق يتصرف لنا فلم يزاحم الحضرة الإلهية فلو أمر وقف عند الأمر أو عين له وقف مع التعيين وفيه خلاف بين أهل الله فإنه من الرجال من عين لهم إن ذلك المدخر لا يصل إلى صاحبه إلا على يده في الزمان الفلاني المعين فمنهم من يمسكه لي ذلك الوقت ومنهم من يقول ما أنا حارس أنا أخرجه عن يدي إذ الحق تعالى ما أمرني بإمسكه فإذا وصل الوقت فار الحق يرد إلى يدي حتى أوصله إلى صاحبه وأكون ما بين الزمانين غير موصوف بالادخار لأنني خزنة الحق ما أنا خازنه إذ قد تفرغت إليه وفرغت نفسي له لقوله وسعني قلب عبدي فلا أحب أن يزاحمه في تلك السعة أمر ليس هو فاعلم لك فقد نهيتك على أمر عظيم في هذه المسألة فلا تصح الزكاة من عارف إلا إذا ادخر عن أمر إلهي أو كشف محقق معين إنه ما يسبق في العلم أن يكون لهذا الشيء خازن غيره فحينئذ يسلم له ذلك وما عدا هذا فإنما يزكي من حيث تزكي العامة انتهى الجزء الثالث والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فضل تقسيم الناس في الصدقات المعطى منهم والآخذ)

اعلم أن الناس على أربعة أقسام فيما يعطونه وفيما يأخذونه قسم يستعظم ما يعطي ويستحق ما يأخذ وقسم يستحق ما يعطي ويستعظم ما يأخذ وقسم يستحق ما يعطي وما يأخذ وقسم يستعظم ما يعطي وما يأخذ ولهذا منهم من ينتقي وهم الذين لا يرون وجه الحق في الأشياء ومنهم من لا ينتقي وهم الذين يرون وجه الحق في الأشياء وقد ينتقون لحاجة الوقت وقد لا ينتقون لاطلاعهم على فقرهم المطلق فمنهم ومنهم فإن مشاربهم مختلفة وكذلك مشاهدهم وأذواقهم بحسب أحوالهم فإن الحال للنفس الناطقة كالنزاج للنفس الحيوانية فإن النزاج حاكم على الجسم والحال حاكم على النفس ثم اعلم أن استعظام الصدقة مشروع قال تعالى فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ وَقَالَ وَ أَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرِيَ عَنِ الْبَدَنِ الَّتِي جَعَلَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ قَالَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ عَنِ الْبَدَنِ وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي شَرْحِ الْمُنْفِقِ الَّذِي الْإِنْفَاقُ مِنْهُ كَوْنُهُ لَهُ وَجْهَانِ فَكَذَلِكَ هُنَا فَتَلْنَا مِنْهَا لِحُومِهَا وَنَالَ الْحَقُّ مِنْهَا التَّقْوَى مِنْهَا فِيهَا وَمَنْ تَقَوَّنَا تَعْظِيمَهَا فَقَدْ يَكُونُ اسْتِعْظَامُ الصَّدَقَةِ مِنْ هَذَا الْبَابِ عِنْدَ بَعْضِ الْعَارِفِينَ فَهَذَا يَسْتَعْظِمُ مَا يَعْطِي إِنْ كَانَ مَعْطِيًا أَوْ مَا يَأْخُذُ إِنْ كَانَ آخِذًا وَقَدْ يَكُونُ مَشْهُدُهُ ذَوْقًا آخَرَ وَهُوَ أَوَّلُ مَشْهُدِ ذِقْنَاهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَهُوَ إِنِّي حَمَلْتُ يَوْمًا فِي يَدِي شَيْئًا مَحْقَرًا مُسْتَقْذِرًا فِي الْعَادَةِ عِنْدَ لِعَامَةٍ لَمْ يَكُنْ أَمْتَالًا يَحْمِلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ فِي النَّفْسِ مِنْ رِعْوَةِ الطَّبَعِ وَمَحَبَةِ التَّمْيِيزِ عَلَى مَنْ لَا يَلْحَظُ بَعِينَ التَّعْظِيمِ فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ مَقْبَلًا فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَا سَيِّدَنَا هَذَا فَلَانَ قَدْ أَقْبَلَ وَمَا قَصَرَ فِي الطَّرِيقِ لَقَدْ جَاهَدَ نَفْسَهُ يَرَاهُ يَحْمِلُ فِي وَسْطِ السُّوقِ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ كَذَا وَذَكَرُوا لَهُ مَا كَانَ بِيَدِي فَقَالَ الشَّيْخُ فَلَعَلَّهُ مَا حَمَلَهُ مَجَاهِدَةً لِنَفْسِهِ قَالُوا لَهُ فَمَا تَمَّ إِلَّا هَذَا قَالَ فَاسْأَلُوهُ إِذَا اجْتَمَعَ بِنَا فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهَا سَلِمَتْ عَلَى الشَّيْخِ فَقَالَ لِي بَعْدَ رَدِّ السَّلَامِ بِأَيِّ خَاطِرٍ حَمَلْتَ هَذَا فِي يَدِكَ وَهُوَ أَمْرٌ مَحْقَرٌ مُسْتَقْذِرٌ وَأَهْلٌ مِنْصَبِكُ مِنْ أَرْبَابِ الدُّنْيَا لَا يَحْمِلُونَ مِثْلَ هَذَا فِي يَدَيْهِمْ لِحَقَارَتِهِ وَاسْتِزْدَارِهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا سَيِّدَنَا حَاشَاكَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ مَا هُوَ نَظَرٌ مِثْلَكَ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى مَا اسْتَقْذَرَهُ وَلَا حَقَرَهُ لَمَّا عُلِقَ الْقَدْرَةُ بِإِجَادِهِ كَمَا عُلِقَتْهَا بِإِجَادِ الْعَرْشِ وَمَا تَعْظُمُونَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَكَيْفَ بِي وَأَنَا عَبْدٌ حَقِيرٌ ضَعِيفٌ اسْتَحْقَرُ وَأَسْتَقْذِرُ مَا هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَاقْبَلْنِي وَدَعَا لِي وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَيْنَ هَذَا لِخَاطِرٍ مِنْ حَمْلِ الْمَجَاهِدِ نَفْسَهُ فَقَدْ يَكُونُ اسْتِعْظَامُ الصَّدَقَةِ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي حَقِّ الْمَعْطِيِّ وَفِي حَقِّ الْآخِذِ فَلَا اسْتِعْظَامَ الْأَشْيَاءِ وَجُوهٌ مُخْتَلِفَةٌ يَعْتَبَرُهَا أَهْلُ اللَّهِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا جَاءَ تَاكَ مِنْ أَحَدٍ بِأَقْلَابِيَّةٍ مَسُوسَةٍ فَأَقْبَلْهَا فَإِنِّي الَّذِي جِئْتُ بِهَا إِلَيْكَ فَيَسْتَعْظِمُهَا الْمَعْطِيُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نَائِبٌ عَنِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي إِصْطَالِهَا وَيَسْتَعْظِمُهَا الْآخِذُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللَّهَ جَاءَ بِهَا إِلَيْهِ فَيَدُ الْمَعْطِيِّ هُنَا يَدُ الْحَقِّ عَنِ الشُّهُودِ أَوْ إِيمَانِ قَوِيٍّ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَأَضَافَ الْقَوْلَ إِلَيْهِ وَالْعَبْدُ هُوَ النَّاطِقُ بِذَلِكَ وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَبَرِ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصْرًا وَيَدًا وَمُؤِيدًا وَقَدْ يَكُونُ اسْتِعْظَامُهَا عِنْدَ أَهْلِ الْكَشْفِ لَمَّا يَرَى وَيَشَاهِدُ وَيَسْمَعُ مِنْ تَسْبِيحِ تِلْكَ الصَّدَقَةِ أَوْ الْهَدِيَّةِ أَوْ الْهَبَةِ أَوْ مَا كَانَتْ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمُهَا لِخَالِقِهَا بِاللِّسَانِ الَّذِي يَلِيقُ بِهَا وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فَتَعْظِمُ عِنْدَهُ لَمَّا عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِ الْحَقِّ وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ وَالْفُتُورِ دَائِمًا كَمَا تَعْظِمُ الْمُلُوكُ الصَّالِحِينَ وَإِنْ كَانُوا فَقَرَاءَ مَهَانِينَ عِبِيدًا كَانُوا أَوْ إِمَاءَ وَأَهْلُ بِلَاءٍ كَانُوا أَوْ مَعَاوِينَ وَتَبْرَكُونَ بِهِمْ

لاتسألهم إلى طاعة الله على ما يقال فكيف صاحب هذا المشهد الذي يعاين فمن كان هذا مشهده أيضا من معط وأخذ يستعظم خلق الله إذ هو كله بهذه المثابة وقد يقع التعظيم له أيضا من باب كونه فقيرا إلى ذلك الشيء محتاجا إليه من كون الحق تعالى جعله سببا لا يصل إلى حاجته إلا به سواء كان معطيا وأخذا إذا كان هذا مشهده وقد يستعظم ذلك أيضا من حيث قول الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الْإِلَهَ الَّذِي فَتَسْمَى اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ وَهَذَا مِنْهَا وَأَسْمَاءُ الْحَقِّ مَعْظَمَةٌ وَهَذَا مِنْ أَسْمَاءِهِ وَهُوَ دَقِيقَةٌ لَا يَنْقُطُنَ إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا مَنْ يَشَاهِدُ هَذَا الْمَشْهَدَ وَهُوَ مِنْ بَابِ الْغَيْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالنُّزُولِ الْإِلَهِيِّ الْعَامِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ مَعَ عَبْدٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَجَارَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَفِي السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْمَلَائِكَةِ وَذَلِكَ لِاعْتِقَادِهِمْ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ أَنَّهُ إِلَهٌ لَا لِكُونِهِ حَجْرًا وَلَا شَجَرَةً وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ وَإِنْ أَخْطَأُوا فِي النِّسْبَةِ فِي أَخْطَأُوا فِي الْمَعْبُودِ فَلِهَذَا قَالَ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فَكَانَ مِنْ قَضَائِهِ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا الْإِلَهَ وَحِينَئِذٍ عَبَدُوا مَا عَبَدُوا فَهَذَا مِنَ الْغَيْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ حَتَّى لَا يَعْبُدُ إِلَّا مَنْ لَهُ هَذِهِ لِصِفَةِ وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَقَدْ تَسْتَعْظِمُ الصَّدَقَةَ مِنْ هَذَا الْكُشْفِ وَأَمَّا اسْتِحْقَارُهَا عِنْدَ بَعْضِهِمْ فَلَمَشْهَدٍ آخَرَ لَيْسَ هَذَا فَإِنْ مَشَاهَدَ الْقَوْمَ وَأَحْوَالَهُمْ وَأَذْوَابَهُمْ وَمَشَارِبَهُمْ تَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِقُوَّتِهَا وَسُلْطَانِهَا وَهَلْ كُلُّ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْاسْتِعْظَامِ إِلَّا مِنْ بَابِ حَكْمِ الْأَحْوَالِ وَالْأَذْوَابِ وَالْمَشَاهِدِ عَلَى أَصْحَابِهَا فَمِنْهَا إِنْ يَشَاهِدُ إِمَّاكَ مَا تَعْطِيهِ مِنْ صَدَقَةٍ إِنْ كَانَ مَعْطِيًا أَوْ مَا يَأْخُذُ إِنْ كَانَ آخِذًا وَالْإِمَّاكَ لِلْمُمْكِنِ صِفَةُ ائْتِقَارِيَّةٍ وَذَلَّةٌ وَحَاجَةٌ وَحَقَارَةٌ فَيَسْتَحْقِرُ صَاحِبَ هَذَا الْمَشْهَدِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِ الْأَشْيَاءِ فِي الْعَادَةِ أَوْ غَيْرِ نَفْسٍ وَقَدْ يَكُونُ مَشُوبًا أَيْضًا فِي الْاسْتِحْقَارِ مِنْ يَعْطِيهِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ وَيَأْخُذُ بِيَدِ اللَّهِ رَأَيْتُ بَعْضَ أَهْلِ اللَّهِ فِيمَا أَحْسَبُ فَإِنِّي لَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا كَمَا أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَعَلَهُ وَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ سَأَلَ فَقِيرٌ شَخْصًا أَنْ يَعْطِيَهُ صَدَقَةَ اللَّهِ فَأَخْرَجَ الرَّجُلَ الْمَسْئُولَ صِرَةً فِيهَا قِطْعُ فِضَّةٍ بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ فَأَخَذَ يَفْتَشُ فِيهَا بِيَدِهِ وَذَلِكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ رَدَّ وَجْهَهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي تَعَلَّمْ عَلَى مَنْ يَبْحَثُ هَذَا الْمَتَّصِدِقَ قُلْتُ لَا قَالَ عَلَى قَدَرِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَعْطِيهِ مِنْ أَحَلِّ اللَّهِ فَإِذَا رَأَى قِطْعَةً كَبِيرَةً يَعْطِيهِهَا يَعْطِيهِهَا بِمَا تَسَاوَى عِنْدَ اللَّهِ هَذَا الْقَدْرَ إِلَى أَنْ يَعْطِيَهُ قِطْعَةً وَجَدَهَا فَأَعْطَاهَا السَّائِلَ فَقَالَ ذَلِكَ الصَّالِحُ هَذِهِ قِيمَتُكَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَكْلَ شَيْءٌ مُحْتَقَرٌ فِي جَنْبِ اللَّهِ لَكِنْ هُنَا كَرَمٌ إِلَهِي يَسْتَنْدُ إِلَى غَيْرَةِ إِلَهِيَّةٍ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنَادِي مَنْادٍ فِيهِمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ أَيْنَ مَا أَعْطَى لِعَبْدٍ لِيُؤْتِيَ بِالْأَمْوَالِ الْجَسَامِ وَالْعَقَارِ وَالْأَمْوَالِ ثُمَّ يُقَالُ أَيْنَ مَا أَعْطَى لِعَبْدٍ لِيُؤْتِيَ بِالْكَسْرِ الْيَابِسَةِ وَالْفُلُوسَ وَقِطْعَةَ الْفِضَّةِ الْخَفْرَةَ وَالْخَلِيعَ مِنَ الثِّيَابِ فَغَارَ الْحَقُّ لِذَلِكَ إِنْ يَعْطِيهِ لَوَجْهَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ بِيَدِهِ وَرَبَّاهَا حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٍ أَكْبَرَ مَا يَكُونُ فَيُظْهِرُهَا لَهُ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ وَيَحْقِرُ مَا أَعْطَى لِعَبْدٍ لِيُؤْتِيَ بِهَا مِثْلَ مَنْثُورٍ فَلَا يَدُ مِنَ الْاسْتِحْقَارِ لِمَنْ هَذَا الْمَشْهَدُ وَأَمْثَالُ هَذَا يَمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ وَقَدْ نَبَهْنَا عَلَى مَا فِيهِ كَفَايَةً مِنْ ذَلِكَ مِمَّا تَدْخُلُ فِيهِ الْأَرْبَعَةُ الْأَقْسَامِ الَّتِي قَسَمْنَا الْعَالَمَ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ هَذَا الْفَصْلِ

(وصل في فصل أحوال الناس في الجهر بالصدقة والكنمان)

من الناس من يراعي صدقة السر لأجل ثناء الحق على ذلك في الحديث الحسن الذي يتضمن قوله ما تدري شماله ما تنفق يمينه وما جاء في صدقة لسر واعتناء الله بذلك فيسر بها لعلم الله بما أنفق لا لغير ذلك من إخلاص وشبهه لأن القوم قد حفظهم الله عن الشرك الجلي والخفي فمن يخلصون وما ثم إلا الله لا رب غيره وذلك لمشاهدتهم الحق في الأعمال عاملا فيعلمون إن الحق تعالى ما ذكر باب السر في مثل هذا وفضله على الإعلان في حق من يرى هذا النظر إلا لعلم له في ذلك وإن لم يطلع عليه لأجل الإخلاص والجهر إذا الجهر والسر قد تساويا في حق هؤلاء في المعطي والآخذ ومن هذا الباب قوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في مالا ذكرته في مالا خير منهم الحديث و أما صاحب الإعلان بالصدقة فليس هذا مشهده ولا أمثاله وإنما الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شيء فكل حال عنده أعمال بلاشك ما يشهد غير هذا فيعلن بالصدقة كما يذكره في الملائق من ذكره في الملائق ذكره في نفسه فإن ذكر النفس متقدم بلاشك وما كل من ذكره في نفسه ذكره في ماله في حالة زائدة على الذكر النفسي لا مرتبة نفوت صاحب ذكر لنفس فإن ذكر النفس لا يطلع عليه في الحالتين فهو سر بكل وجه فصدقة الإعلان تؤذن بالاعتقاد الإلهي فعمن يخفيها أو يسرها وهو الظاهر في المظاهر الإمكانية وهذه كانت طريقة شيخنا أبي مدين وكان يقول قل الله ثم ذرهم أغير الله تدعون وقد يعلن بها للتأسي وراثة نبوية وأما ما يذكر عامة أهل هذا الطريق كأبي حامد والحاسبي وأمثالهما من العامة من الرياء وطلب الإخلاص فإنما ذلك خطاب الحق بلسان العموم ليعم بذلك ما هو لسان من لا يرى لا لله ونحن إنما نتكلم مع أهل الله في ذلك ولقد كان شيخنا يقول لأصحابه أعلنوا بالطاعة لله حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي والمخالفات وإظهار المنكرات ولا يستحيون من الله قال بعض السادة لأصحاب شيخ معتبر بما ذا كان يأمركم شيخكم قال كان يأمرنا بالاجتهاد في الأعمال ورؤية التقصير فيها فقال أمركم والله بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالأعمال وبرؤية مجربها ومنشئها فهذا من هذا الباب فقد نبهت على دقائق صدقة السر والإعلان في نفوس القوم مع الخلاف الذي بين علماء الرسوم في الصدقة المكتوبة وصدقة التطوع وهو مشهور لا يحتاج إلى ذكره لشهرته من أجل طلب الاختصار والاقتصاد وفي صدقة الإعلان ورد من سن سنة حسنة الحديث و أما الكامل من أهل الله فهو الذي يعطي بالحالتين ليجمع بين المقامين ويحصل النتيجة وينظر بالعينين ويسلك النجدين ويعطي باليدين فيعلن في وقت في الموضع الذي يرى أن الحق رجح فيه الإعلان ويسر بها في وقت الموضع الذي يرى أن الحق رجح فيه الأسرار وهذا هو الأولى بالكامل من أهل الله في طريق الله تعالى

(وصل في فصل صدقة التطوع)

صدقة التطوع عبودية اختيار مشوية بسيادة وإن لم تكن هكذا فما هي صدقة تطوع فإنه أوجبها على نفسه إيجاب الحق الرحمة على نفسه لمن تاب وأصلح من العاملين السوء بجهالة فهذه مثلها ربوية مشوية يحكم عليه بها فإن الله تعالى لا يجب عليه شيء بإيجاب غيره فهو الموجب على نفسه الذي أوجبه من حيث ما هو موجب فمن أعطى من هذا الوجوب من هذه المنزلة ثم نفرض أن هذه المرتبة الإلهية إذا فعلت مثل

هذا ونفرض لها ثوابا مناسباً على هذا الفعل فنعطيه بعينه لمن أعطى بهذا الوجوب من هذه المنزلة وهم أفراد من العارفين بصدقة التطوع فإن الحق من ذلك المقام يشبهه إذا كان هذا مشربه وهذه مسألة ذوقية مشهودة للقوم ولكن ما رأيت أحداً نبه عليها قبلي إلا إن كان وما وصل إلي فإنه لا بد لأهل الله المتحققين بهذا المقام من إدراك هذا ولكن قد لا يجربه الله على ألسنتهم أو تتعذر على بعضهم العبارة عن ذلك وقد ذكرناها في كتابنا هذا في غير هذا الموضوع بأبسط من هذا القول وأوضح من هذه العبارة وبهذا الاعتبار تعلقو صدقة التطوع على صدقة الفرض ابتداءً فإن هذا التطوع أيضاً قد يكون واجباً بإيجاب الله إذ أوجبه العبد على نفسه كالنذر فإن الله أوجبه بإيجاب العبد وغير النذر قد يلحق بهذا الباب قال الأعرابي في صحيح الحديث رسول الله في الزكاة هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع فيحتمل إن الله يوجب عليه ذلك إذا تطوع به فيلحقه بدرجة الفرض فيكون في الثواب على السواء مع زيادة أجر التطوع في ذلك فيعلو على الفرض الأصلي بهذا القدر والله يقول لا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ فَنَهَى وَ النَّهْيُ يعم العمل به بخلاف الأمر فالشروع في الشرع ملزم وهو الأظهر فسوى في النهي بين المفروض وغير المفروض وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم النافلة في الصلاة والصيام ولا يجوز عندنا ذلك في الفرائض وهي مسألة خلاف في قضاء الفرض الموقت وليس معنى التطوع في ذلك كله إلا أن العبد عبد بالأصالة ومحل لما يوجبه عليه سيده فهو بالذات قابل للوجوب والإيجاب عليه فالتطوع إنما هو الراجع إلى أصله والخروج عن الأصل إنما هو بحكم العرض فمن لزم الأصل دائماً فلا يرى إلا الوجوب دائماً لأنه مصرف مجبور في اختياره تشبيهاً بالأصل الذي أوجده فإنه قال ما يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ فَمَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ فَاتَّقَى الْإِمْكَانَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ فَمَا تَمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَوْ لَا يَكُونَ غَيْرَ هَذَا مَا فِي الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ وَمَنْ قَالَ فِي حَدِيثِ التَّرَدُّدِ وَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْ لِقَائِي أَيْ لَا بَدَلَ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَقَوْلُهُ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَقَوْلُهُ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ فُلَيْسَ فِي الْأَصْلِ إِلَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ فَلَيْسَ فِي الْكُونَ وَاقِعٌ إِلَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ مِنْ عِلْمِهِ مِنْ جِهَلِهِ مِنْ جِهَلِهِ هَذَا تَعْطِي الْحَقَائِقَ فَالْحُكْمُ لِلْوَاحِدِ وَالْإِمْكَانُ لَا عَيْنَ لَهُ بِكُلِّ وَجْهِ الْوَاحِدِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا حَقِيقَةٌ الْوَاحِدَةُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فَلَيْسَ لِلْكَثْرَةِ وَجْهٌ فِيهِ تَخْرُجُ عَنْهُ بِذَلِكَ الْوَجْهِ فَلَا يَخْرُجُ عَنْهُ إِلَّا الْوَاحِدُ فَإِنْ كَانَ فِي الْوَاحِدِ وَجْهٌ مَعَانٍ أَوْ نَسَبٍ مُخْتَلَفَةٍ فَالْكَثْرَةُ الظَّاهِرَةُ عَنْهُ لَا تَسْتَحِيلُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْكَثِيرَةِ فَاجْعَلْ بِالْكَثْرَةِ مِنَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّكَ مِنْ هُنَا تَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَمَنْ أَنْتَ وَهَلْ أَنْتَ وَاحِدٌ أَوْ كَثِيرٌ وَمِنْ أَيْ وَجْهِ يَقْبَلُ الْوَاحِدُ الْكَثْرَةَ وَيَقْبَلُ الْكَثِيرُ الْوَاحِدَةَ وَمَاذَا كَانَتْ الْحِكْمَةُ فِي الْكَثْرَةِ أَوْسَعُ مِنْهَا فِي الْوَاحِدِ وَالْوَاحِدُ هُوَ الْأَصْلُ فَبِمَاذَا خَرَجَ الْفَرْعُ عَنْ حُكْمِ الْأَصْلِ وَمَا تَمَّ مِنْ يَعْضُدُهُ وَهَلِ النَّسَبُ الَّتِي أَعْطَتْ الْكَثْرَةَ فِي الْأَصْلِ هَلْ تَرْجِعُ إِلَى الْأَصْلِ أَوْ تَعْطِيهَا أَحْكَامَ الْفَرْعِ وَلَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ أَعْيَانٌ وَجُودِيَّةٌ هَذَا كُلُّهُ يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَسُبْحَانَ الْوَاحِدِ الْمَوْحِدِ بِالْوَاحِدِ وَأَحَدِيَّةِ الْكَثْرَةِ فَإِنَّ لِلْكَثْرَةِ أَحَدِيَّةً تَحْضُمُهَا لَا بَدَلَ مِنْ ذَلِكَ بِهَا سَمِيَتْ تِلْكَ الْكَثْرَةُ الْمَعِينَةُ وَتَمَيَّزَتْ عَنْ غَيْرِهَا فَمَا وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ أَحَادًا أَوْ كَثِيرِينَ إِلَّا بِالْوَاحِدَةِ وَلَوْ اشْتَرَكَ فِيهَا اثْنَانِ مَا وَقَعَ التَّمْيِيزُ وَالتَّمْيِيزُ حَاصِلٌ فَالْوَاحِدَةُ لَا بَدَلَ مِنْهَا فِي الْوَاحِدِ وَالْمَجْمُوعُ فَمَا تَمَّ إِلَّا الْوَاحِدُ أَصْلًا وَفَرْعًا فَانظُرْ يَا أَخِي فِيمَا نَهَيْتُكَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَانظُرْ مَا تَعْطِيهِ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ وَمَا أَشْرَفَ هَذِهِ الْإِضَافَةُ

(وصل في استدراك تطهير الزكاة وصل في الزكاة من غير الجنس في المال المزكى)

فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خمس من الإبل شاة و صنف الشاة غير صنف الإبل فالأصل في هذه المسألة هل يطهر الشيء بنفسه أو يطهر بغيره فالأصل الصحيح أن الشيء لا يطهر إلا بنفسه هذا هو الحق الذي يرجع إليه وإن وقع الخلاف في الصورة فالمرعاة إنما هي في الأصل لما فرض الله الطهارة للعبادة بالماء والتراب وهما مخالفان في الصورة غير مخالفين في الأصل فالأصل إنه من الماء خلق كل شيء حي وقال في آدم خلقه من ترابٍ فما وقع الطهارة في الظاهر إلا بنفس ما خلق منه كالحوانية الجامعة للشاة والإبل والمالية للشاة والإبل وغير ذلك فلولا هذا الأمر الجامع ما صحت الطهارة فهذا صحت الزكاة في بعض الأموال غير الصنف الذي تجب فيه الزكاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تطهير الإنسان من الجهل من عرف نفسه عرف ربه فبعرفته صحت طهارته لمعرفته بره فالحق هو القدوس المطلق وتقديس العبد معرفته بنفسه فما طهر إلا بنفسه فتحقق هذا

(وصل في فصل النصاب)

النصاب المقدر وهو الذي يصح أن يقال فيه كم ويكون كيلا ووزنا وقد بين الشارع نصاب المكيل ونصاب الموزون (الاعتبار في هذا) المكيل المعقول لما ورد في الخبر النبوي من تقسيم العقل في الناس بالفقيز والقفيزين والأكثر والأقل فألحقه الشارع بالمكيل وإن كان معنى فهو صاحب الكشف لأتم الأعم الأجلى وقد عرفناك قبل إن الحضرات ثلاث عقلية وحسية وخيالية والخيالية هي التي تنزل المعاني إلى الصور المحسوسة أعني تجليها فيها إذ لا تعقلها إلا هكذا ومن هذه الحضرة قسم الشارع العقل كيلا تكون العقل أظهره له الحق في صورة المكيل أعني العقول لما أراد الله من ذلك وأما الموزون فالأعمال وهي أيضا معان عرضية تعرض للعامل فألحقها الله بالموزون فقال وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فإدخل العمل في الميزان فكان موزونا ولكن في هذه الحضرة المثالية التي لا تدرى المعاني إلا في صورة الحسوس حتى التحلي الإلهي في النوم فلا ترى الحق إلا صورة وقد ورد في ذلك من الأخبار ما يغني عن الاستقصاء في تحقيق ذلك وهو شيء يعلمه كل إنسان إذ كل إنسان له تخيل في اليقظة والنام ولهذا يعبر ما يدركه الخيال كما عبر الشارع عليه السلام من صورة اللبن إلى العلم ومن صورة القيد إلى الثبات في الدين فهذا معرفة النصاب بما هو نصاب لا بما هو نصاب في كذا فإن ذلك يرد في نصاب ما تخرج منه الزكاة و يندرج في هذا الباب معرفة ما له كمية واحدة وكميات كثيرة فإن لنا في ذلك مذهبا من أجل أن قطعة الفضة أو الذهب قد تكون غير مسكوكة فتكون جسما واحدا فإذا وزنت أعطى وزنها النصاب أو أزيد من ذلك فمن كونها جسما واحدا هل لذلك الجسم كمية واحدة أو كميات كثيرة أعني أزيد من واحد فاعلم إن الأعداد تعطي في الشيء كثيرة الكميات وقلتها والعدد كمية فإن كان العدد بسيطا غير مركب فليس له غير كمية واحدة وهو من الواحد إلى العشرة إلى عقد العشرات عقدا كالعشرين والثلاثين إلى المائة إلى المائتين إلى الألف إلى الألفين و انتهى الأمر فإذا كان الموزون أو المكيل ينطلق عليه وهو جسم واحد أحد هذه الألقاب العددية فإنه ذو حكم واحد فإن انطلق

عليه غير هذه الألقاب من الأعداد مثل أحد عشر أو مثل مائة وعشرين أو مثل ثلاثمائة و مثل ثلاثة آلاف أو ما تركب من العدد فكميته من العدد بحسب ما تركب أو يكون الموزون ليس جسما واحدا كالدرهم والدنانير فله أيضا كميات كثيرة فإن كان العدد مركبا والموزون مجموعا من أحاد كان العدد والموزون ذو كميات فإن كان أحدهما مركبا أو مجموعا والآخر ليس بمجموع أو ليس بمركب كان ما ليس بمركب ولا بمجموع ذو كمية واحدة وكان المركب والمجموع ذا كميات فاعلم ذلك وتحدث الكميات في الأجسام بحدوث الانقسام إذ الأجسام تقبل القسمة بلاشك ولكن هل يرد الانفصال بالقسمة على الاتصال أم لا فإن ورد على الاتصال كما يراه بعضهم فالجسم الواحد ذو كميات وإن لم يرد على الاتصال كما يراه بعضهم فليس له سوى كمية واحدة وهذا التفصيل الذي ذكرناه نحن من كميات الموزون وكميات العدد على هذا ما رأينا أحدا تعرض إليه وهو مما يحتاج إليه ولا بد ومن عرف هذه المسألة عرف هل يصح إثبات الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا يقبل القسمة ما لا يصح ثم تعلم إن من حكمة الشرع جمعه أصناف العدد فيما تجب فيه الزكاة وهي الفردية فجعلها في الحيوان فكان في ثلاثة أصناف والثلاثة لأول الأفراد وهي الإبل والبقر والغنم وجعل الشفعية في صنفين في المعدن وهو الذهب والفضة وفي الحبوب وهو الحنطة والشعير وجعل الأحادية في صنف واحد من الثمر وهو الثمر خاصة هذا بالاتفاق بلا خلاف وما عدا هذا مما يزكى فبخلاف غير مجمع عليه فمنه خلاف شاذ ومنه غير شاذ

(وصل في فصل زكاة الورق)

اتفقوا على أنه خمس أواق للخبر الصحيح والأوقية أربعون درهما هذا هو النصاب في الورق و زكاته خمسة دراهم وذلك ربع لعشر (وصل الاعتبار في ذلك) لكل صنف كمال ينتهي إليه فالكمال في الصنف المعدني حازه الذهب وسيأتي ذكره في زكاة الذهب والورق على النصف من درجة الكمال والمدة الزمانية لحصول الكمال المعدني ستة و ثلاثون ألف سنة والورق ثمان عشرة ألف سنة وهو نصف زمان الكمال وجميع المعادن تطلب درجة الكمال لتحصلها فطرأ في الطريق علل تحول بينهم وبين البلوغ إلى الغاية فالواصل منها إلى الغاية هو المسمى ذهباً وما نزل عن هذه الدرجة لمرض غلب عليه حدث له اسم آخر من فضة ونحاس وأسرب وقزدير وحديد وزئبق فيكون الذهب عن اتحاد أبويه بالنكاح والتسوية في تناسب واستيلاء حرارة المعدن في الكل على السواء ولم يعرض للأبوين من البرودة واليبوسة ما يؤثر في هذا الطالب درجة الكمال قبل تحكّم سلطان حرارة المعدن فإذا كان السالك بهذه المثابة بلغ الغاية فوجد عين لذهب فإن دخل عليه في سلوكه من البرودة فوق ما يحتاج إليه أمرضه وحال بينه وبين مطلوبه حدث له اسم الفضة فما نزلت عن الذهب إلا بدرجة واحد و الكمال في الأربعة وقد نقص هذا عن الكمال بدرجة واحدة من أربعة والأربعة أول عدد كامل ولهذا يتضمن العشرة فكان في الفضة ربع العشر لنقصان درجة واحدة عن الذهب بغلبة البرودة والبرودة أصل فأعلى والحرارة أصل فأعلى والرطوبة واليبوسة فرعان منفعلان فتبعت الرطوبة البرودة لكونها منفصلة عنها فلهاذا تكونت الفضة على النصف من زمان تكوين الذهب ولما كان المنفعل يدل على الفاعل و

يطلبه بذاته لهذا استغنى بذكر المنفعل عن ذكر ما انفعل عنه لتضمنه إياه فقال تعالى **وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ وَلَا مَذْكَرٌ وَلَا حَارٌّ وَلَا بَارِدٌ** وهذا من فصاحة القرآن وإعجازه حيث علم أن الذي أتى به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن اشتغل بالعلوم الطبيعية فيعرف هذا القدر فعلم قطعا إن ذلك ليس من جهته وأنه **تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** وأن القائل بهذا عالم وهو الله تعالى فعلم النبي صلى الله عليه وسلم كل شيء بتعليم الله إياه وإعلامه لا بفكره ونظره وبجته فلا يعرف مقدار النبوة إلا من أطلعه الله على مثل هذه الأمور فانظر ما أحكم علم الشرع في فرض الزكاة في هذه الأصناف على هذا الحد المعلوم في كل صنف صنف لمن نظر واستبصر

(وصل في فصل نصاب الذهب)

المتفق عليه في نصاب الذهب ما ذكره إن شاء الله فقالت طائفة تجب الزكاة في عشرين دينارا كما تجب في مائتي درهم ومن قائل ليس في الذهب شيء حتى يبلغ أربعين دينارا ففيه دينار واحد وهو ربع العشر أعني عشرها لأن عشر الأربعين أربعة وربع الأربعة واحد ومن قائل ليس في الذهب زكاة حتى يبلغ صرفه مائتي درهم أو قيمتها فإذا بلغ فيه ربع عشرة سواء بلغ عشرين دينارا أو أقل أو أكثر هذا فيما كان من ذلك دون الأربعين حينئذ يكون الاعتبار في الذهب ما ذكرناه فإذا بلغ الأربعين كان الاعتبار بها نفسها لا بالدرهم لا صرفا ولا قيمة (الاعتبار في ذلك) في كل أربعين دينارا دينارا وهو ربع العشر من ذلك قد ذكرنا أن الفضة لما حكم عليها وهي تطلب الكمال الذي ناله الذهب طبع واحد وهو البرودة من الأربع الطبائع فأخذت من الذهب طبعها واحدا أخرجته عن محل الاعتدال فلهذا أخذ من الأربعين التي هي نصاب الذهب دينارا واحد وهو ربع العشر لأنك إذا ضربت أربعة في عشرة كان الخارج أربعين فالأربعة عشر الأربعين والواحد ربع الأربعة فهو ربع عشرها وهو الواحد الذي أخذته الفضة وصارت به فضة في طلبها درجة الكمال فنقص من الذهب هذا القدر فكانت زكاته دينارا وهذا الدينار قد اجتمع مع الخمسة الدراهم في كونه ربع عشر ما أخذ منه فإن العشرين عشر المائتين وربع العشرين خمسة فكان في المائتين خمسة دراهم وهي ربع عشرها فمن حمل الذهب على الفضة وقال إن في عشرين دينارا كما في مائتي درهم أو من قال بالصرف والقيمة بمائتي درهم فأوجب الزكاة فيما هذا قيمته و صرفه من الذهب وهذا فيما دون الأربعين فإنه ما ورد نهي فيما دون الأربعين من الذهب كما ورد في الورق فإنه قال ليس فيما دون خمس أواق صدقة ولم يقل ليس فيما دون الأربعين فلهذا ساع الخلاف في الذهب ولم يسع في الورق واجتمعا في ربع العشر بكل وجه واعتبر العشر والربع منه لتضمن الأربعة العشرة فضربت فيها ولم تضرب في غيرها لأن الأربعة تتضمن عينها وما تحتها من العدد فيكون من المجموع عشرة ولهذا قيل في الأربعة أنه أول عدد كامل فإن الأربعة عينها وفيها الثلاثة فتكون سبعة وفيها الاثنان فتكون تسعة وفيها الواحد فتكون عشرة فمن ضرب الأربعة في العشرة كان كمن ضرب الأربعة في نفسها بما تحوي عليه فوجب الزكاة لنظرها لنفسها في ذلك ولم تنظر إلى برئها وموجدها فأخذ الحق منها نظرها إلى نفسها وسماه زكاة لها أي طهارة من الدعوى فبقيت لربها برئها فلم يعين له فيها حق يتميز لأنها كلها له لاذاتها

(وصل في فصل الأوقاص وهي ما زاد على النصاب مما يزكى)

أجمع العلماء على زكاة الأوقاص في المشية وعلى أنه لا أوقاص في الحبوب واختلفوا في أوقاص الذهب والورق وبترك الزكاة في أوقاص الذهب والورق فأقول فإن إلحاقهما بالحبوب أولى من إلحاقهما بالمشية فإن الحيوان مجاور للنبات والنبات مجاور للمعدن فإلحاقه في الحكم بالمجاور أحق فإن الجار أحق بصقبه (وصل في اعتبار هذا) الكمال لا يقبل النقص والزكاة تنقص من المال ولهذا لما كمل الحيوان بالإنسانية لم يكن فيه زكاة فإن الأشياء ما خلقت إلا لطلب الكمال فلا كمال إلا للإنسان وأكمل المعادن الذهب ولهذا لا يقبل النقص بالنار مثل ما يقبله سائر المعادن فإن قلت فالفضة قد نزلت عن درجة الكمال فهي ناقصة فوجبت الزكاة في أوقاصها قلنا قد أشركها الحق في الزكاة إذا بلغت النصاب في الذهب ولم يفعل ذلك في سائر المعادن فلو لا إن بينهما مناسبة قوية لما وقع الاشتراك في الحكم فليكن في الأوقاص كذلك فإن قلت إن الزكاة تنقص من المال ومن بلغ الكمال لا ينقص والذهب قد بلغ الكمال والزكاة فيه إذا بلغ النصاب وهو ذهب في النصاب وذهب في الأوقاص ما زال عنه حكم الكمال قلنا كذلك أقول هكذا كان ينبغي لو جربنا على هذا الأصل لكن عارضنا أصل آخر إلهي وهو التبدل والتحول في الصور عند التجلي الإلهي واختلاف النسب والاعتبارات على الجنب الإلهي والعين واحدة والنسب مختلفة فهي العاملة من كذا والقادرة والحالقة من كذا فالحق سبحانه ما فرض الزكاة في أعيان المزكى من كونها أعيانا بل من كونها على الخصوص أموالا في هذه الأعيان خاصة لا في كل ما ينطلق عليه اسم مال فاعتبرنا لما جاء الحكم بالزكاة فيهما إذا بلغا النصاب المالية وما اعتبرنا أعيانها واعتبرنا في الأوقاص أعيانها لا المالية فرفعنا الزكاة فيهما كما اعتبرنا في تحول التجليات الاعتقادات والمرتبة وما اعتبرنا الذات واعتبرنا في التنزيه الذات وما اعتبرنا المرتبة ولا الاعتقادات فلما كان أصل الوجود وهو الحق تعالى يقبل الاعتبارات سرت تلك الحقيقة في بعض الموجودات بل في الموجودات مطلقا فاعتبرنا فيها وجودها مختلفة تارة لأمر عقلية وتارة لأمر شرعية لا ترى الرقيق وهو إنسان وله الكمال إذا اعتبرنا فيه المالية أو اعتبارنا أيضا في المشتري له التجارة قومناه عليه بالقيمة وأنزلناه منزلة ما يزكى من المال فأخرجنا من قيمته الزكاة ألا ترى كمالية الحق لا تقبل وصفا من نعوت المحدثات فلما تجلت في حضرة التمثل للابصار المقيدة بالحس المشترك تبعت الأحكام هذا التجلي الخاص فقال تعالى جعت فلم تطعمني وطمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني ولما وقع النظر فيه من حيث رفع النسب قال ليس كمثله شيء وقال فإن الله غني عن العالمين فمن كان غنيا عن الدلالة عليه كان هو الدليل على نفسه لشدة وضوحه فإنه لا شيء أشد في الدلالة من الشيء على نفسه وقد نهتكم على إن الأحكام تتبع الاعتبارات والنسب وبعد أن وقع الحكم من الشارع في أمر ما بما حكم به عليها فلا بد لنا أن ننظر ما اعتبر فيه حتى حكم عليه بذلك الحكم وبهذا يفضل العالم على الجاهل فإذا تقرر هذا فاعلم إن البلوغ بالسن أو الإنبات أو الحلم للعقل هو كالنصاب في المال فكما إن النصاب إذا وجد في المال وجبت الزكاة فيه كذلك يجب التكليف على العاقل إذا بلغ ثم بعد أو ان البلوغ يستحكم عقله لمرور الأزمان عليه كما يزيد المال بالتجارة فتظهر الأوقاص فمن لم يجد في استحكام عقله إن الله هو الفاعل مطلقا وأن العبد لا أثر له في

الفعل وجبت عليه الزكاة في الأوقاص والزكاة حق الله في المال فنضيف إلى الله من أعماله ما ينبغي أن يضيف وهنا رجلان منهم من يضيف إلى الله ما يضيفه على جهة الحقيقة ويضيف إلى نفسه من أعماله ما يضيف على جهة الأدب كقوله فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَوَلَهُ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَكَوَلِ الْخَالِيلَ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَكَوَلَهُ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يضيف ذلك العمل كله إلى الإنسان عقلا وشرعا كالمعتزلي ويضيف إلى الله من ذلك خلق القدرة له في هذا العامل لا غير وأما من لا يرى الأفعال في استحكام عقله إلا من الله ولا أثر للعبد فيها لم ير الزكاة في الأوقاص لأنه ما ثم ما يرد إلى الله فإنه علم إن الكل لله كما قال شيبان الراعي لما سئل عن الزكاة فقال لابن حنبل وللشافعي وهما كانا السائلين على مذهبنا أو على مذهبكم إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئا وإن كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة من الغنم شاة فاعتبر شيبان أمرا ما فوجب الزكاة واعتبر أمرا آخر فلم يوجب الزكاة والمال هو المال بعينه

(وصل في فصل ضم الورق إلى الذهب)

فمن قائل نضم الدراهم إلى الدنانير فإذا كان من مجموعهما النصاب وجبت الزكاة ومن قائل لا يضم فضة إلى ذهب ولا ذهب إلى فضة وبه أقول (الاعتبار في ذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لعينك عليك حقا ولنفسك عليك حقا فكل ونم وإن كان الإنسان هو الجامع لعينه ونفسه الحيوانية ولكن جعل الله لكل واحد منهما حقا يخصه فحق العين هنا النوم وحق النفس النباتية التغذي وهو الأكل فلا يضم شيء إلى شيء فإن النوم ما يقوم مقام الأكل ولا الأكل يقوم مقام النوم فلا يضم شيء إلى شيء والذي يرى ضم الشيء إلى الشيء يرى ضم النوم إلى الأكل فإن الأكل سبب في حصول النوم لما يتولد منه من الأبخرة المرطبة التي يكون بها النوم فتنال العين حقها والنفس حقها فلا بأس بضم الذهب إلى الفضة لحصول الحق من ذلك المجموع

(وصل في فصل الشريكين)

فمن قائل إن الشريكين لا زكاة عليهما في مالهما حتى يكون لكل واحد منهما نصاب وبه أقول ومن قائل إن المال المشترك حكمه حكم مال رجل واحد (الاعتبار في ذلك) العمل من الإنسان إذا وقع فيه الاشتراك فليس فيه حق لله فلا زكاة فيه لأن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو الذي أشرك وقال صلى الله عليه وسلم من قال هذا لله ولوجوهكم فهو لوجوهكم ليس لله منه شيء والنصاب بالاشتراك غير معتبر فإن الشريكين في حكم الانفصال وإن كانا متصلين فإن الاتصال هو الدليل على وجود الانفصال إذ لو لا الفصل لم يكن الاتصال وإذا كان الحكم للانفصال ولم يبلغ أحدهما ما عنده النصاب في ماله لم تجب عليه الزكاة فإن الزكاة وإن كانت تطلب المال فما تطلبه إلا من المكلف بإخراجه ألا ترى المال الذي في بيت المال ما فيه زكاة لاشتراك الخلق فيه مع وجود النصاب فيه وحلول الحول إذا مسكه الإمام ولم يفرقه لمصلحة رآها في ذلك فلما اعتبر الخلق المشتركين فيه لم تبلغ حصة واحد منهم النصاب

ولم يتعين أيضا رب المال فإذا عينه الإمام ودفع إليه ما يبلغ النصاب فقد خرج من بيت المال وتعين مالكه فزال ذلك الحكم فإذا مضى عليه الحول أدى زكاته انتهى الجزء الرابع والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل زكاة الإبل)

الزكاة فيها بالاتفاق وقد رها ونصا بها مذكور في أحكام الشريعة (الاعتبار) حكم الشارع على الإبل إنها شياطين فأوجب فيها الزكاة لتظهر بذلك من هذه النسبة إذ الزكاة مطهرة رب المال من صفة البخل الشيطنة البعد يقال بر شطون إذا كانت بعيدة القعر وسمي الشيطان لبعده من رحمة الله لما أبى واستكبر وكان من الكافرين والأفعال والأعمال إذا لم تنسب إلى الله فقد أبعدت عن الله فوجبت الزكاة فيها وهو ما لله فيها من الحق يردها إليه سبحانه فإذا ردت إليه اكتسبت حلة الحسن فقيل أفعال الله كلها حسنة والزكاة واجبة على المعتزلي من حيث اعتقاده خلق أعمال العباد لهم والأشعري تجب عليه الزكاة لإضافة كسبه في العمل إلى نفسه وكان في كل خمس ذود شاة والخمس هو عين الزكاة من الورق وهو ربع العشر فصار حكم العدد الذي كان زكاة يزكى أيضا كمن يرى الزكاة في الأوقاص فيخرج من كل أربعة دنانير درهما ومن أربعين درهما درهما وكما أخرجت من الذهب درهما في الأوقاص وليس الورق من صنف الذهب كذلك الشاة تخرج في زكاة خمس من الإبل وليست من صنفها كذلك يؤخذ حق الله من الجارحة بالحرق بالنار والقطع في السرقة والنفس المكلفة هي السارقة وليست من جنس الجارحة وتظهرت من حكم السرقة بقطع اليد كما تظهر الخمس من الإبل بإخراج الشاة وليست من صنف المزكى وقد تقدم حكم الأوقاص فلا يحتاج إلى ذكره هنا

(وصل في صغار الإبل)

فمن قائل تجب فيها الزكاة ومن قائل لا تجب (الاعتبار) الصغير لا يجب عليه التكليف حتى يبلغ فلا زكاة في صغار الإبل والصغير يعلم الصلاة ويضرب عليها وهو ابن عشر سنين ولا يضرب إلا على واجب والبلوغ ما حصل فتجب الزكاة في صغار الإبل العقل إذا وجد من الصبي وإن لم يبلغ فمن اعتبر البلوغ أسقط التكليف ومن اعتبر استحكام العقل أوجب التكليف فيما نص الشرع عليه لأن الحكم في ذلك له قال تعالى الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَقَالَ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَقَالَ فِي الْمَهْدِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ فِي الْمَهْدِ وَغَيْرَهُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبِرًّا بِالْوَالدَتَيْنِ وَمَنْ بِهِ كُفُونَهُ بَرَأَهَا مِمَّا نَسَبَ إِلَيْهَا بِشَهَادَتِهِ وَأْتَى فِي كُلِّ مَا ادَّعَاهُ بِنَبِيَّةِ الْمَاضِي ليعرف السامع بمحصول ذلك كله عنده وهو صبي في المهد وقد ذكر أن الله تعالى أوصاه بالصلاة والزكاة ما دام في الحياة وأنه آتاه الكتاب والحكمة ولكن غاب عن أبصار الناس إدراك الكتاب الذي آتاه حتى ظهر في زمان آخر وأما الحكمة فظهر عينها في نفس نطقه بمثل هذه الكلمات وهو في المهد والإنسان صغير من حيث جسمه لعدم مرور الأزمان الكثيرة عليه في هذه الصورة وأصغر مدته زمان

تكوينه ثم لا تزال مدته تكبر إلى حين موته فكلمما كبر جسمه صغير عمره فلا ينفك من إضافة الكبر والصغر إليه فزيادته نقصه ونقصه زيادته فانظر ما أعجب هذا التدبير الإلهي

(وصل في فصل زكاة الغنم)

الاتفاق على الزكاة فيها بلا خلاف وبالله التوفيق (الاعتبار في هذا الوصل) قال تعالى في نفس الإنسان قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا وَأَنَّ اللَّهَ أَقَامَ الرَّأْسَ مِنَ الْغَنَمِ مَقَامَ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ فَهُوَ قِيَمَتُهُ فَاَنْظُرْ مَا أَكْمَلَ مَرْتَبَةَ الْغَنَمِ حَيْثُ كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهَا فِدَاءً نَبِيٍّ مَكْرَمٍ فَقَالَ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ فَعَظَّمَهُ اللَّهُ وَنَابَ مِنْهَا هَذَا النَّبِيُّ الْمَكْرَمُ وَقَامَ مَقَامَهُ فَوَجِبَتِ الزَّكَاةُ فِي الْغَنَمِ كَمَا أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ شَعْرًا

وَأَيْنَ ثَوَائِجِ الْكَبِشِ مِنْ نَوْسِ إِنْسَانٍ فِدَاءً نَبِيٍّ ذَبْحَ ذَبْحِ الْقَرِيبَانِ
بِنَا أَوْ بِهِ لَمْ أَدْرُ مِنْ أَيِّ مِيزَانٍ وَ عَظَّمَهُ اللَّهُ الْعَظِيمَ عِنَايَةً
وَقَدْ نَزَلَتْ عَنْ ذَبْحِ كَبِشِ الْقَرِيبَانِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْبَدْنَ أَعْظَمَ قِيَمَةً
شَخِصٍ كَيْشٍ عَنْ خَلِيقَةِ رَحْمَانٍ فَيَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ نَابَ بِذَاتِهِ

(وصل في فصل زكاة البقر)

والاتفاق أيضا من علماء الشريعة على الزكاة فيها (الاعتبار في ذلك) يقول الله سبحانه في نفس الإنسان قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا يَعْنِي النَّفْسَ وَمَا كَانَتْ الْمُنَاسِبَةَ بَيْنَ الْبَقْرِ وَالْإِنْسَانِ قُوَّةَ عَظِيمَةِ السُّلْطَانِ لِذَلِكَ حَيَّ بِهَا الْمَيْتَ لَمَّا ضُرِبَ بِبَعْضِ الْبَقْرِ فِجَاءً بِالضَّرْبِ إِشَارَةً إِلَى الصِّفَةِ الْقَهْرِيَّةِ لَمَّا شَمَخَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ أَنْ تَكُونَ سَبَبَ حَيَاتِهِ بَقْرَةً وَلَا سِيمَا وَقَدْ ذُبِحَتْ وَزَالَتْ حَيَاتُهَا فَحَيَّ بِحَيَاتِهَا هَذَا الْإِنْسَانُ الْمَضْرُوبُ بِبَعْضِهَا وَكَانَ قَدْ أَبَى لَمَّا عَرَضَتْ عَلَيْهِ فَضْرِبَ بِبَعْضِهَا فَحَيَّ بِصِفَةِ قَهْرِيَّةِ الْأَنْفَةِ الَّتِي جَبَلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا وَفَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَعْرِفَهُ أَنْ الْإِشْتِرَاكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيْوَانِ فِي الْحَيَوَانِيَّةِ مُحَقَّقٌ بِالْحُدُودِ وَالْحَقِيقَةِ وَهَذَا هُوَ كُلُّ حَيْوَانٍ جَسْمٌ مَتَعَدٍّ حَسَّاسٌ فَالْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيْوَانِ وَانْفَصَلَ كُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْحَيْوَانِ عَنْ غَيْرِهِ بِفَصْلِهِ الْمَقُومِ لِذَاتِهِ الَّذِي بِهِ سُمِّيَ هَذَا إِنْسَانًا وَهَذَا بَقْرًا وَهَذَا غَنَمًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ وَمَا أَبَى الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ فَصَلَهُ الْمَقُومُ وَتَحْيَلُ أَنْ حَيَوَانِيَّتَهُ مِثْلَ فَصْلِهِ الْمَقُومِ فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَا وَقَعَ أَنَّ الْحَيَوَانِيَّةَ فِي الْحَيْوَانِ كُلِّهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ فَأَفَادَهُ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ وَكَذَلِكَ ذَلِكَ الْمَيْتَ مَا حَيَّيَ إِلَى الْحَيَاةِ حَيَوَانِيَّةً لَا حَيَاةَ إِنْسَانِيَّةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نَاطِقٌ وَكَانَ كَلَامُ ذَلِكَ الْمَيْتِ مِثْلَ كَلَامِ الْبَقْرَةِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ قَالَتْ مَا خَلَقْتَ لِهَذَا إِنَّمَا خَلَقْتَ لِلْحَرْثِ وَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْخَبْرَ الَّذِي جَرَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ الصَّحَابَةُ تَعْجَبُ لِبَقْرَةٍ تَتَكَلَّمُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنْتُ بِهَذَا وَمَا رَأَوْنَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْجُلُودَ قَالَتْ أُنْطِقَنَا اللَّهُ الَّذِي أُنْطِقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهَذَا عِلْمٌ غَامِضٌ لَمْ يَكْشِفْهُ اللَّهُ عَنْ بَصِيرَتِهِ فَوَجِبَتِ الزَّكَاةُ فِي الْبَقْرِ كَمَا ظَهَرَتْ فِي النَّفْسِ ثُمَّ مَنَاسِبَةُ الْبَرَزَخِ بَيْنَ الْبَقْرِ وَالْإِنْسَانِ فَإِنَّ الْبَقْرَ بَيْنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ فِي الْحَيْوَانِ الْمَرْكِيِّ وَالْإِنْسَانِ بَيْنَ الْمَلِكِ وَالْحَيْوَانِ ثُمَّ الْبَقْرَةُ الَّتِي ظَهَرَ الْأَحْيَاءُ بِمَوْتِهَا وَالضَّرْبُ بِهَا بِرِزْخِيَّةٍ أَيْضًا فِي سِنِّهَا وَ

لونها فهي لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ بين ذلك فهذا مقام برزخي فهي لا بيضاء ولا سوداء بل صفراء والصفرة لون برزخي بين البياض والسواد فتحقق ما أوماننا إليه في هذا الاعتبار فإنه يحتوي على معان جلييلة وأسرار لا يعرفها إلا أهل النظر والإستبصار

(وصل في فضل الحبوب والتمر)

فقد عرفت أيضا ما تجب الزكاة فيه من ذلك بالاتفاق (الاعتبار في ذلك) النفس النباتية وهي التي تنمي بالغذاء فزكاتها في الإنسان بالصوم ولكن له شرط في طريق الله وهو أن الصائم إنما يمسك عن الأكل بالنهار فليأخذ ما كان يستحق أن يأكل بالنهار ويتصدق به ليخرج بذلك من البخل فإذا لم يفعل ذلك عندنا واستوفى في عشائه ما فاته بالنهار فما أمسك وبهذا ينفصل صوم خواص أهل الله عن صوم العامة وما تسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة بالعامة حتى يجدوا ما يتأسوا به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان مواصلا فليواصل حتى السحر مع أنه رغب في تعجيل الفطر وتأخير السحور قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وهذا الاعتبار فيما يزكى من الحبوب وباللغة التوفيق (وصل) وأما التمر فهو أيضا كما قلنا الزكاة فيه بالاتفاق وقد تقدم ذلك (وأما اعتبار التمر في الزكاة) فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل النخلة عمة لنا وشبهها بالمؤمن حين سأل الناس عنها ووقع الناس في شجر البوادي ووقع عند عبد الله بن عمر أنها النخلة أصاب ما أراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا الحديث يجتج على إباحة الحزورات التي تستعملها الناس فكما إن التمر تجب فيه الزكاة شرعا كذلك المؤمن لما شارك الحق في هذا الاسم تعين للحق فيه حق كما تعين في جميع الأسماء الحسنى يسمى ذلك الحق زكاة فيزكي المؤمن هذه النسبة إليه بالصدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وإعطاء الأمان منه لكل خائف من جهته فإذا صدق في ذلك كله صدقه الله تعالى لأنه لا يصدق سبحانه إلا الصادق ولا يصدقه تعالى إلا من اسمه المؤمن لا غير فصدق العبد رد لاسم الله المؤمن عليه كرد صورة الناظر في المرأة على الناظر ليصدق سبحانه فيما صدق فيه هذا العبد فهذا زكاته من نسبة الأيمان إليه فأعطى حق الله من إيمانه بما صدق فيه من أقواله وأفعاله وأحواله وتمت أصناف ما يزكى من الأموال المنفق عليها ويلحق بها ما اختلف فيه فإنه لا يخلو أن يكون ما اختلف فيه نباتا أو حيوانا أو معدنا وقد بينا ذلك في المتفق عليه فليحكم في المختلف فيه بذلك الحكم ويعتبر فيه ما يليق بذلك الصنف حتى لا يطول الكلام ومذهبنا في هذا الكتاب الاقتصار والاختصار جهد الطاقة فإن الكتاب كبير يحتوي على ما لا بد منه في طريق الله من الأمهات والأصول فإن الأبناء والفروع تكاد لا تنحصر بل لا تنحصر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(وصل في فصل الخرص)

الاتفاق على إجازة الخرص فيما يخرص من النخيل وغير ذلك وهو تقدير النصاب في ذلك حتى يقوم مقام الكيل (الاعتبار في ذلك) هو موضع خطر يحتاج إلى معرفة وتحقيق في المقادير وبصيرة حادة قال تعالى قتل الحراصون وهذه إشارة تلحق بالتفسير وإن لم نرد بها التفسير ولكن لتقارب المعنى والمكيل والموزون بمنزلة العلم والخرص بمنزلة غلبة الظن والأصل العلم ثم إنه إذا تعذر العلم حكمنا بغلبة الظن وذلك

لا يكون إلا في الأحكام الشرعية أعني في فروع الأحكام فإن الحاكم لا يحكم إلا بشهادة الشاهد وهو ليس قاطعاً فيما شهد به من ذلك و الأصل في الحكم المشروع غلبة الظن حتى في السعادة عند الله فإن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً فحسن الظن بالله إذا غلب على العبد أنتيج له السعادة كما إن سوء الظن بالله يرد به وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فما اختلف العلماء في حكم الحاكم بين الخصمين بغلبة الظن واختلفوا في حكمه بعلمه فكانت غلبة الظن في هذا النوع أصلاً متفقاً عليه يرجع إليه وكان العلم في ذلك مختلف فيه و الحق تعالى وإن لم يكن عنده إلا العلم فإنه يحكم بالشهود ولهذا جاء قال رب احكم بالحق أي بما شرعت لي وأرسلني به وفي هذا الطريق معرفة الله بالعقل بطريق الخرص ولهذا تقبل الشبهة القادحة في الأدلة ومعرفة الله من طريق الشرع المتواتر مقطوع بها لا تقدر فيها شبهة عند المؤمن أصلاً وإن جهلت النسبة فالعلم بالله من جهة الشرع وهو تعريف الحق عباده بما هو عليه فإنه أعلم بنفسه من عباده به فإن العلم به منه أن يعلم أنه جامع بين التنزيه والتشبيه وهذا في الأدلة النظرية غير سائغ أعني الجمع بين الضدين في المحكوم عليه ليس ذلك إلا هنا خاصة فلا يحكم عليه خلقه والعقل ونظره وفكره من خلقه فكلامه في موجدة بأنه ليس كذا أو هو كذا خرص بلا شك والخارص قد يصيب وقد يخطئ والعلم بالله من حيث القطع أولى من العلم به من حيث الخرص وإن كان الخرص لا بد منه في العلم بالله ابتداءً

(وصل في فصل ما أكل صاحب التمر والزرع من ثمره وزرعه قبل الحصاد والجداد)

فمن قائل يحسب ذلك عليه في النصاب ومن قائل لا يحسب عليه ويترك الخارص لرب المال ما أكل هو وأهله ويأكل (الاعتبار) ثمر الإنسان وزرعه أعماله وأعماله واجبة ومدوب إليها ومباحة خاصة وأما المكروه والمحظور فلا دخول لهما هنا ولا سيما المحظور خاصة في الزكاة وقد يدخل في الزكاة بوجه خاص في فعل المحظور وذلك أن المؤمن لا يتخلص له معصية أصلاً من غير أن تكون مشوبة بطاعة وهم الذين خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَالطَّاعَةُ الَّتِي تَشُوْبُ كُلَّ مَعْصِيَةٍ هِيَ الْإِيمَانُ بِهَا أَنَّهُا مَعْصِيَةٌ وَكَمَا هِيَ طَاعَةٌ فِي عَيْنِ مَعْصِيَةٍ فَهِيَ قَرِيبٌ فِي عَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِيمَانُ هُوَ زَكَاتُهَا فَيَطْهَرُ الْمُحْظُورُ بِالْإِيمَانِ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ فَإِذَا أُعْطِيَ هَذَا الْقَدْرَ فِي عَمَلِ الْمَعْصِيَةِ وَقَعَ التَّرْجِيحُ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ فِي الْقَبُولِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهُؤُلَاءِ مِنْهُمْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ أَمْ يُرْجَعُ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْقَبُولِ وَالْغُفْرَانِ وَتَبْدِيلِ السَّيِّئَاتِ فَهَذِهِ عِنَايَةُ الزَّكَاةِ أَثَرَتْ فِي الْحُظْرِ وَأَمَّا فِي أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ فَنَصَابُهَا الَّذِي تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ زَكَاتُهَا الْمَبَاحُ مِنْ عَامِلِهِ خَاصَّةً وَهُوَ الَّذِي يُخَصُّ النَّفْسُ فَإِنَّ الزَّكَاةَ وَإِنْ كَانَتْ حَقَّ اللَّهِ فَمَا هِيَ حَقَّ اللَّهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ شَرَعَهَا فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ عَيْنُ مَصَارِفِهَا بِذِكْرِ الْأَصْنَافِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَهَا فَتَصَدَّقُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْمَبَاحِ فِي الثَّمَانِيَةِ الْأَعْضَاءِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ فَتَلْكَ الزَّكَاةُ الَّتِي أُعْطَاهَا اللَّهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَذَلِكَ لِقَرْوِهِ وَمَسْكَنَتِهِ وَعَمَلِهِ وَتَأْلَفِهِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ وَاجْتِمَاعِهِ مِنْ حَيْثُ إِيمَانُهُ عَلَيْهَا وَفِكَالِكَ رَقَبَتِهِ مِنْ رِقِّ الْوَاجِبَاتِ فِي أَوْقَاتِ الْمَبَاحَاتِ وَإِنْ انْدَرَجَتْ فِيهَا أَعْنِي الْوَاجِبَاتِ لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ اعْتِقَادُ الْمَبَاحِ أَنَّهُ مَبَاحٌ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَمَنْ حَسَبَهُ عَلَيْهِ فِي النَّصَابِ فَلِكُونِهِ مِنْ جَمَلَةٍ مَا شَرَعَ لَهُ لِأَنَّ الْمَبَاحَ مُشْرُوعٌ كَالْوَاجِبِ فَلِهَذَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ تَصَرَّفٌ مِنْ أَيْبَحَ لَهُ لَا تَصَرَّفُ

الطبع ومن قال لا يحسب عليه فلكونه وإن كان مباحا إنما راعى سقوط التكليف في المباح لأن المكلف لا يكون مخيرا فإن التكليف مشقة و
التخيير لا مشقة فيه وإن تضمن الحيرة والتردد

(وصل في فصل وقت الزكاة)

فجمهور العلماء في الصدر الأول مجمعون على وجوب الزكاة في الذهب والفضة والماشية باشتراط الحول وما خاف في ذلك أحد من
الصدر الأول فيما نقل إلينا إلا ابن عباس ومعاوية لأنه لم يثبت عندهما في ذلك حديث صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعلم إن الحول فيه كمال الزمان فأشبهه كمال النصاب فكما وجبت بكمال النصاب وجبت بكمال الزمان ومعنى كمال الزمان تعميمه
للفصول الأربعة فيه ولهذا ينتظر بالعنين الحول الكامل حتى تمر عليه الفصول الأربعة فلا تتغير في حاله شيئا أي لا حكم لها في عنقه لعدم
استعداده لتأثيرها وكمال الإنسان إنما هو في عقله فإذا كمل في عقله فقد كمل حوله فوجب عليه إخراج الزكاة وهي أن يعلم ما لله عليه من
الحقوق فيجتهد في أداء ذلك ووقت الحبوب والتمر يوم حصاده وحده من غير اشتراط الحول إذ قد مر الحول على الأصل وهو ما للخريف و
الشتاء والربيع والصيف فيه من الأثر فكأنه ما خرج عن حكم الحول بهذا الاعتبار فمن العبادات ما هي مرتبطة بالحول كالحج والصيام وما
ذكرناه من صنف ما من أصناف المال المزكى ومن العبادة الواجبة ما لا يرتبط بالحول كالصلاة والعمرة ونوافل الخيرات ما عدا الحج فإن
واجبة وناقلة سواء في الحول

(وصل في فصل زكاة المعدن)

فمن العلماء من راعى فيه الحول مع النصاب تشبيها بالذهب والفضة ومنهم من راعى فيه النصاب دون الحول تشبيها بما تخرجه الأرض مما
تجب فيه الزكاة (وصل الاعتبار في هذا) المعدن الطبيعة التي تتكون عنها الأجسام ونفوس الأجسام الجزئية والطبيعية أربع حقائق بتأليفها
ظهر عالم الأجسام وفي العلم الإلهي أن العالم ظهر عن الله تعالى من كونه حيا عالما مريدا قادرا لا غير وكل اسم له حكم في العالم فدخل تحت
حيطة هذه الأربعة الأسماء الأمهات فمن راعى النصاب دون الحول اعتبر هذا فإنه فوق الزمان فإذا تكون عن الإنسان ما يتكون عن الطبيعة
فقد بلغ النصاب فوجبت الزكاة وهي إلحاق ذلك بالأربع الصفات الثابتة في العلم الإلهي الذي لا يصح التكوين إلا بها والطبيعة آلة لا إله ومن
اعتبر الحول مع النصاب فإنه إذا تكون عن الإنسان ما يتكون عن العناصر لا عن الطبيعة والعناصر لا يتكون عنها شيء إلا بمرور الأزمان
عليها وهي حركات الأفلاك التي فوقها فزكاتها مقيدة بالزمان وهي إعطاء حق الله تعالى من ذلك التكوين بإضافته إلى الوجه الخاص الإلهي
الذي له في كل ممكن من غير نظر إلى سببه وهذا هو عالم الخلق والأمر والأول هو عالم الأمر خاصة فاعلم ذلك

(وصل في فصل حول ربح المال)

فظائفة رأت أن حوله يعتبر فيه من يوم استفيد سواء كان الأصل نصابا أو لم يكن وبه أقول و طائفة قالت حول الربح هو حول الأصل أي إذا

كامل الأصل حولاً زكى الربح معه سواء كان الأصل نصاباً أو أقل من نصاب إذا بلغ الأصل مع ربحه نصاباً وانفرد بهذا مالك وأصحابه و فرقت طائفة بين أن يكون رأس المال الحائل عليه الحول نصاباً أو لا يكون فقالوا إن كان نصاباً زكى ربحه مع رأس المال وإن لم يكن نصاباً لم يرك (وصل الاعتبار في هذا) الأعمال هي المال و ربحها ما يكون عنها من الصور كالمصلي أو الذائر يخلق له من ذكره و صلواته ملك يستغفر له إلى يوم القيامة فالصور التي تلبس الأعمال هي أرباحها كمنع الزكاة يأتبه ماله الذي هو قدر الزكاة شجاعاً أقرع له زبيتان يطوق به ويقال له هذا كنزك والأعمال على قسمين عمل روحاني وهو عمل القلوب وعمل طبيعي وهو عمل الأجسام وهي الأعمال المحسوسة فما كان من عمل محسوس اعتبر فيه الحول وما كان من عمل معنوي لم يعتبر فيه الحول لأنه خارج عن حكم الزمان ولا بد من اعتبار النصاب في المعنى والحس وقد تقدم اعتبار النصاب وهو المقدار قبل هذا من هذا الباب وصورة الزكاة في ذلك الربح هو ما يعود منه على العامل من الخير من كونه موصوفاً بصفات الدين لإعطائهم الزكاة من فقير ومسكين وغير ذلك وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخلق من الأعمال من صور الأملاك أنه يستغفر له ذلك الملك إلى يوم القيامة ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بمكة في المنام وهو يقول ويشير إلى الكعبة يا ساكني هذا البيت لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت في أي وقت كان من ليل أو نهار أن يصلي في أي وقت شاء من ليل أو نهار فإن الله يخلق له من صلواته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة ومصدق بعض هذا الخبر ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى في أي وقت شاء من ليل أو نهار خرجة النسائي في سننه والله أعلم

(وصل في فصل حول الفوائد)

وهو ما يستفاد من المال من غير ربحه فقال بعض العلماء إن العلماء أجمعوا على إن المال إذا كان أقل من نصاب واستفيد إليه مال آخر من غير ربحه فكامل من مجموعهما نصاب إنه يستقبل به الحول من يوم كمل واختلفوا إذا استفاد مالا وعنده نصاب مال آخر قد حال عليه الحول فقال بعضهم يزكى المستفاد إن كان نصاباً لحوله ولا يضم إلى المال الذي وجبت فيه الزكاة وبه أقول وقال بعضهم الفوائد كلها تركي لحول الأصل إذا كان الأصل نصاباً وكذلك الربح عندهم (وصل اعتبار هذا الفصل) من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فقد استفاد من عمل غيره ما لم يكن من عمله فيكون ربحه وإنما هو عمل والحكم في ذلك في الاعتبار على ما هو في الحكم الظاهر كما فصلناه في المذاهب على اختلافها فيما اختلفوا فيه وإجماعها فيما أجمعوا عليه كما تقدم في الفصول قبله من الاعتبار في ذلك سواء

(وصل في فصل اعتبار حول نسل الغنم)

من العلماء من قال حول النسل هو حول الأمهات كانت الأمهات نصاباً أو لم تكن ومن قائل لا يكون حول النسل حول الأمهات إلا أن تكون الأمهات نصاباً (وصل الاعتبار في ذلك) **أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَأْتُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** وهذا في الذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان فهذه الذرية بمنزلة نوافل الخيرات والأمهات مثل فرائض الخيرات وكما يتقرب بالفرائض كذلك يتقرب بالنوافل وقد وردت

الأخبار بما تنتجه نوافل الخيرات من القرب الإلهي فجعل لها حكما في نفسها فهذا اعتبار من أفرد نسل الغنم بالحكم ومن ألحقها بالأمهات كما ذكرنا في المذهبين واعتباره أن نوافل الخيرات فرائض وكان حكمها حكم الفرائض فلهذا ضمن إليها فإن صلاة التطوع وهي النافلة التي لا تجب على الإنسان ولا يعصي بتركها إذا شرع فيها في صلاة نافلة أو صيام أو حج فإنه يلزمه ما فيها من الفرائض فالركوع والسجود والقيام في صلاة النافلة فريضة واجبة عليه لا تصح أن تكون صلاة إلا بهذه الأركان ولهذا قال الله أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه فيكمل فرض المفروض من فرض التطوع كان العمل ما كان فحق الله في نوافل الخيرات ما تحوي عليه من الفرائض وهو زكاتها وما في ذلك من الفضل يعود على عاملها ولهذا يكون الحق سمعه وبصره في التقرب بالنوافل

(وصل في فصل فوائد المشية)

قد تقدم اعتبار مثله في فوائد الناض فأغنى عن ذكره في هذا الفصل وإنما جئنا به لنبينه عليه

(وصل في فصل اعتبار حول الدين)

فيمن يرى الزكاة فيه فإن قوما قالوا يستقبل به الحول من اليوم الذي قبضه يعني الدين من غريمه والذين يقولون في الدين الزكاة اختلفوا فمن قائل يعتبر فيه من أول ما كان دينا وإن مضى عليه حول زكى زكاة حول وإن مرت عليه أحوال زكى لكل حول مر عليه زكاة فأنزله صاحب هذا المذهب منزلة المال الحاضر ومن قائل يزكيه لعام واحد خاصة وإن أقام أحوالا عند الذي عنده الدين فلا زكاة فيه إلا هذا القدر ولا أعرف له حجة في ذلك (الاعتبار في هذا) الحج عن الميت ومن لا يستطيع كما ورد في النص وصيام ولي الميت إذا مات وعليه صيام فرض رمضان فصار حقا لله فيه على الولي الذي يحج أو يصوم فذلك الحق هو قدر الزكاة الذي في الدين وتبرأ ذمة الذي عنده الدين كما إن الذي عنده الدين لا زكاة عليه فيما عنده لأنه ليس بمالك له ومن يرى أنه لا زكاة عليه فيه ما دام عند المدينون بري أنه ليس للإنسان إلا ما سعى وليس بيده مال يسعى فيه بخير بل خيره منه كونه وسع على المدينون بما أعطاه من المال فعين هذا الفعل قام فيه مقام الزكاة فأغنى عن أن يزكيه وأي خير أعظم ممن وسع على عباد الله وقد قرر العلماء أن المقصود بالزكاة إنما هو سد الخلة والذي يأخذ الدين لولا حاجته ما أخذه والذي يعطيه ذلك قد سد منه تلك الخلة فأشبه الزكاة من هذا الوجه فهذا اعتبار من لا يرى زكاة فيه حتى يقبضه ويستقبل به الحول من يوم قبضه وآية الديون على ما قلناه قوله تعالى وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَلَمَّا كَانَ فِي الْقَرْضِ لَذَلِكَ قَالَتِ الْيَهُودُ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ أَي من أجل فقره طلب القرض منا وغابوا عن الذي أراده الحق تعالى من ذلك من غاية وصلته بخلقه كما جاء في الصحيح جعلت فلم تطعمني وشبه ذلك والباب واحد وقد تقدم الكلام في القرض في أول الباب

(وصل في فصل حول العروض عند من أوجب الزكاة فيها)

وقد تقدم اعتبار الحول والذي أذهب إليه أنه لا زكاة فيها لعدم النص في ذلك وكأنه شرع زائد وهو القياس المرسل لا شرع مستنبط من

شرع ثابت والله أعلم فمن العلماء من اشترط مع العروض وجود الناض ومنهم من اعتبر فيه النصاب ومنهم من لم يعتبر ذلك وقال أكثر العلماء المدير وغير المدير حكمه واحد وأنه من اشترى عرضاً وحال عليه الحول قومه وزكاه وقال قوم بل يزكي ثمنه وبه أقول لاقيمته (وصل الاعتبار في هذا) العروض هو ما يعرض على الإنسان من أعمال البر مما لانية له في ذلك أو يكون من الأعمال التي لا نشترط فيها النية و له الثواب عليها كما قال صلى الله عليه وسلم أسلمت على ما أسلفت من خير أي لك ثوابه وإن لم يكن فعلك فيه عن شرع ثابت لكنه مكارم خلق فصادف الحق فجوزي عليه فلو لم يكن في ذلك العمل الذي عرض حق لله لنسبة تعطيه ما صح أن يثني عليه فذلك زكاته من حيث لا يشعر

(وصل في فصل تقدم الزكاة قبل الحول)

فمن العلماء من منع من ذلك وبالمنع أقول ظاهراً لا باطناً ومنهم من جوز ذلك (الاعتبار) اعتبار التجويز وَقَدِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَا نَقَدُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ وقوله صلى الله عليه وسلم فيمن أتى بالشهادة قبل أن يسألها فعظم ما فيها من الأجر على أجر من أتى بالشهادة بعد أن طولب بأدائها وأما اعتبار المنع فإن الحكم للوقت فلا ينبغي أن يفعل فيه ما لا يقتضيه وهنا دقائق من العلوم من علوم الأسماء الإلهية وهل يحكم اسم في وقت سلطنة اسم آخر مع بقاء حكم صاحب الوقت وهل يشتركان في الوقت الواحد فيكون الحكم لكل واحد من الأسماء حكم في وقته وهل حكم الوقت هو الحاكم على الاسم بأن جعله بحكم الاستعداد المحكوم فيه الذي أعطاه الوقت فما وقع حكم إلا في وقته إلى مثل هذا فأعلمه ويكفي هذا القدر من اعتبار باب الزكاة والحمد لله انتهى الجزء الخامس والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الحادي والسبعون في أسرار الصوم)

أنت بنا المشكو والشاكي	يا ضاحكا في صورة الباكي
و رفعة من غير إمساك	الصوم إمساك بلا رفعة
يثبت توحيدا بإشراك	وقد يكونان معا عند من
بلا حبالات و أشراك	صيدت عقول عن تصاريقها
بصارم للمشرع بتاك	صيدت عقول عن تصاريقها
و آمنت من غير إدراك	فسلمت ما رد برهانها
ما بين أملاك بأفلاك	جرى بها نجم الهدى ساجبا

كأنه لولاك لولاك لولاك
 بذا إله الخلق أولاك
 فإنه بالطبع غذاك
 ما حل مخلوق بمغناك
 شارعه فدبري ذاك
 عمله أو أين دعواك
 بذاك ربي قد تولاك
 و أصل معناه بمغناك
 عن صومك المشروع عراقك
 و أنت مجلاه فأياك
 تموت جوعا فاعلمي ذاك
 يظهر منك حين سواك
 و لم ينل ذلك إلاك
 و عينه المنعوت بالباكي
 بينكما فأين مجلاك
 به تعالى بك لباك
 سطر عنه وصفك الزاكي
 أدناك من وجهه و أقصاك
 من أجل ما يرضيك إياك
 يريد لا تتسى فينساك
 من قائل ليس بأفاك
 ما بين زهاد و نساك
 بعلم أضواء و أحلاك
 لولاك يا نفسي لما كتته
 صومي عن الكون و لا تفطري
 و انوى بذاك الصوم من حيث هو
 في الصوم معنى لو تدبرته
 لا مثل للصوم كذا قال لي
 لأنه ترك فأين الذي
 قد رجع الأمر إلى أصله
 و الصوم إن فكرت في حكمه
 ثم أتى من عنده مخبر
 فالصوم لله فلا تجهلي
 الصوم لله و أنت التي
 أنتك الرحمن من أجل من
 سبحان من سواك أهلا له
 فأنت كالأرض فراش له
 و صنعة الله ترى عينها
 لما دعوت الله من ذلة
 و القلم الأرفع في لوحه
 فأنت عين الكل لا عينه
 إياك أن ترضى بما ترضي
 كوني على أصلك في كل ما
 هذا هو العلم الذي جاءني
 أنزله عن أمر علامة
 و الحمد لله الذي خصني

كماها إلا بابواك و خصني بصورة لم يكن

اعلم أيديك أن الصوم هو الإمساك والرفعة يقال صام النهار إذا ارتفع قال إمرؤ القيس إذا صام النهار وهجرا أي ارتفع ولما ارتفع الصوم عن سائر العبادات كلها في الدرجة سمي صوما و رفعه سبحانه بنفي المثلية عنه في العبادات كما سنذكره وسلبه عن عباده مع تعبدهم به و أضافه إليه سبحانه وجعل جزاء من اتصف به بيده من أنانيته وأحقه بنفسه في نفي المثلية وهو في الحقيقة ترك لا عمل ونفي المثلية نعت سلبية فتقوت المناسبة بينه وبين الله قال تعالى في حق نفسه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فنفي أن يكون له مثل فهو سبحانه لا مثل له بالدلالة العقلية والشرعية وخرج النسائي عن أبي أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرني بأمر آخذه عنك قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له فنفي أن يماثله عبادة من العبادات التي شرع لعباده من عرف أنه وصف سلبية إذ هو ترك المفطرات علم قطعاً أنه لا مثل له إذ لا عين له تتصف بالوجود الذي يعقل ولهذا قال الله تعالى الصوم لي فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل واسم العمل إذا أطلق عليه فيه تجوز كإطلاق لفظة الموجود على الحق المعقول عندنا تجوزاً إذ من كان وجوده عين ذاته لا تشبهه نسبة الوجود إليه نسبة الوجود إلينا فإنه ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(إيراد حديث نبوي إلهي)

خرج مسلم في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسجن إن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه عز وجل فرح بصومه واعلم أنه لما نفى المثلية عن الصوم كما ثبت فيما تقدم من حديث النسائي والحق ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لقي الصائم ربه عز وجل بوصف ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فراه به فكان هو الرائي المرئي ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فرح بصومه ولم يقل فرح بلقاء ربه فإن الفرح لا يفرح بنفسه بل يفرح به ومن كان الحق بصره عند رؤيته ومشاهدته فما رأى نفسه إلا برؤيته ففرح الصائم لحوقه بدرجة نفي المماثلة وكان فرحه بالفطر في الدنيا من حيث إيصال حق النفس الحيوانية التي تطلب الغذاء لذاتها فلما رأى العارف افتقار نفسه الحيوانية النباتية إليه ورأى جوده بما أوصل إليها من الغذاء أداء لحقها الذي أوجبه الله عليه قام في هذا المقام بصفة حق فأعطى بيد الله كما يرى الحق عند لقائه بعين الله فلماذا فرح بفطره كما فرح بصومه عند لقاء ربه (بيان ما يتضمنه هذا الخبر) ولما كان العبد موصوفاً بأنه ذو صوم واستحق اسم الصائم بهذه الصفة ثم بعد إثبات الصوم له سلبه الحق عنه وأضافه إلى نفسه فقال إلا الصيام فإنه لي أي صفة الصمدانية وهي التنزيه عن الغذاء ليس إلا لي وإن وصفتك به فإنما وصفتك باعتبار تقييد ما من تقييد التنزيه لا بإطلاق التنزيه الذي ينبغي للجلالى فقلت وأنا أجزي به فكان الحق جزاء الصوم للصائم إذا انقلب إلى ربه ولقبه بوصف لا مثل له وهو الصوم إذ كان لا يرى من ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إلا من ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ كذا نص عليه أبو طالب المكي من سادات أهل الذوق من وجد في رحله فهو جزاؤه ما أوجب هذه الآية في هذه الحالة ثم قوله والصيام

جنة وهي الوقاية مثل قوله وَأَتَّقُوا اللَّهَ أَي اتَّخَذُوهُ وَقَايَةً وَكُونُوا لَهُ أَيْضًا وَقَايَةً فَأَقَامَ الصَّوْمَ مَقَامَهُ فِي الْوَقَايَةِ وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَالصَّوْمُ مِنَ الْعِبَادَاتِ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا يُقَالُ فِي الصَّوْمِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَإِنَّ الشَّيْءَ أَمْرٌ ثَبُوتِيٌّ أَوْ وَجُودِيٌّ وَالصَّوْمُ تَرْكٌ فَهُوَ مَعْقُولٌ عَدَمِيٌّ وَوَصَفَ سَلِيٌّ فَهُوَ لَا مِثْلَ لَهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ نِعْتِ الْحَقِّ فِي نَفْيِ الْمِثْلِيَّةِ وَبَيْنَ وَصْفِ الصَّوْمِ بِهَا ثُمَّ إِنَّ الشَّارِعَ نَهَى الصَّائِمَ وَالنَّهْيُ تَرْكٌ وَنِعْتٌ سَلِيٌّ فَقَالَ لَا يَرِفْثُ وَلَا يَسْخَبُ فَمَا أَمْرُهُ بِعَمَلٍ بَلْ نَهَاهُ أَنْ يَتَّصِفَ بِعَمَلٍ مَا وَالصَّوْمُ تَرْكٌ فَصَحَّتِ الْمُنَاسِبَةُ بَيْنَ الصَّوْمِ وَبَيْنَ مَا نَهَى عَنْهُ الصَّائِمُ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ سَابَهُ أَوْ قَاتَلَهُ إِنْ صَائِمٌ أَيْ تَارَكَ لِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي عَمَلْتَهُ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُقَاتِلُ وَالسَّابُّ فِي جَانِبِي فَزَهْ نَفْسَهُ عَنْ أَمْرٍ رَبَّهُ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ فَهُوَ مَخْبِرٌ أَنَّهُ تَارَكَ أَي لَيْسَ عِنْدَهُ صِفَةٌ سَبٌّ وَلَا قِتَالٌ لِمَنْ سَابَهُ وَقَاتَلَهُ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ يَقْسَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ وَهُوَ تَغْيِيرُ رَائِحَةِ فَمِ الصَّائِمِ الَّتِي لَا تَوْجِدُ إِلَّا مَعَ التَّنْفُسِ وَقَدْ تَنَفَسَ بِهَذَا الْكَلَامِ الطَّيِّبِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ إِنْ صَائِمٌ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ وَكُلُّ نَفْسٍ صَائِمٌ طَيِّبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِجَاءٌ بِالْأَسْمِ الْجَامِعِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ كُلِّهَا فِجَاءٌ بِاسْمٍ لَا مِثْلَ لَهُ إِذْ لَمْ يَتَسَمَّ أَحَدٌ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَّا اللَّهُ سَبْحَانَهُ فَتَنَاسَبَ كَوْنُ الصَّوْمِ لَا مِثْلَ لَهُ وَقَوْلُهُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكَ فَإِنَّ رِيحَ الْمَسْكَ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ يَدْرِكُهُ الشَّامُ وَبَلَدُهُ السَّلِيمُ الْمَزَاجُ الْمَعْتَدَلُ فَجَعَلَ الْخُلُوفَ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبَ مِنْهُ لِأَنَّ نِسْبَةَ إِدْرَاكِ الرِّوَائِحِ إِلَى اللَّهِ لَا تُشَبَّهُ إِدْرَاكِ الرِّوَائِحِ بِالْمَشَامِ فَهُوَ خُلُوفٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُ تَعَالَى هَذَا الْخُلُوفُ فَوْقَ طَيِّبِ الْمَسْكَ فِي الرِّائِحَةِ فَإِنَّهُ رُوحٌ مَوْصُوفٌ لَا مِثْلَ مَا وَصَفَ بِهِ فَلَا تُشَبَّهُ الرِّائِحَةُ فَإِنَّ رَائِحَةَ الصَّائِمِ عَنْ تَنَفُّسٍ وَرَائِحَةَ الْمَسْكَ لَا عَنْ تَنَفُّسٍ مِنَ الْمَسْكَ وَلَنَا وَاقِعَةٌ فِي مِثْلِ هَذَا كُنْتُ عِنْدَ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَبَابِ بِالْمِنَارَةِ بِمَجْرَمِ مَكَّةَ بِيَابِ الْحِزْرَةِ وَكَانَ يُؤَذِّنُ بِهَا وَكَانَ لَهُ طَعَامٌ يَتَأَذَى بِرَائِحَتِهِ كُلِّ مَنْ شَمَّهُ وَسَمِعْتُ فِي الْخَبْرِ النَّبَوِيِّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى بِمَا يَتَأَذَى مِنْهُ بِنُوحٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ أَنْ تَقْرُبَ الْمَسَاجِدَ بِرَائِحَةِ الثُّومِ وَالْبَصْلِ وَالْكَرَاثِ فَبِتْ وَأَنَا عَازِمٌ أَنْ أَقُولَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَنْ يَزِيلَ ذَلِكَ الطَّعَامَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِأَجْلِ الْمَلَائِكَةِ فَرَأَيْتُ الْحَقَّ تَعَالَى فِي النَّوْمِ فَقَالَ لِي عَزَّ وَجَلَّ لَا تَقُلْ لَهُ عَنِ الطَّعَامِ فَإِنَّ رَائِحَتَهُ عِنْدَنَا مَا هِيَ مِثْلُ مَا هِيَ عِنْدَكُمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ عَلَيَّ عَادَتُهُ إِلَيْنَا فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا جَرَى فَبَكَى وَسَجَدَ لِلَّهِ شُكْرًا ثُمَّ قَالَ لِي يَا سَيِّدِي وَمَعَ هَذَا فَالْأَدَبُ مَعَ الشَّرْعِ أَوْلَى فَازَالَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَمَّا كَانَتْ الرِّوَائِحُ الْكَرْبِيَّةُ الْخَبِيثَةُ تَنْفِرُ عَنْهَا الْأَمْزِجَةُ الطَّبِيعِيَّةُ السَّلِيمَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَامَلِكُ مَا يَحْسُونَهُ مِنَ التَّأَذِي لِعَدَمِ الْمُنَاسِبَةِ فَإِنَّ وَجْهَ الْحَقِّ فِي الرِّوَائِحِ الْخَبِيثَةِ لَا يَدْرِكُهُ إِلَّا اللَّهُ خَاصَّةً وَمِنْ فِيهِ مَزَاجُ الْقَبُولِ لَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَوْ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَهُ مَزَاجُ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ لَا مَلِكُ وَهَذَا قَالَ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ الصَّائِمَ أَيْضًا مِنْ كَوْنِهِ إِنْسَانًا سَلِيمًا مَزَاجِيكِرُهُ خُلُوفُ الصَّوْمِ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ وَهَلْ يَتَحَقَّقُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ السَّالِمِينَ الْمَزَاجِيكِرُ بِرَبِّهِ وَقَتًا مَا أَوْ فِي مَشْهَدٍ مَا يَفِدْرُكُ الرِّوَائِحُ الْخَبِيثَةَ طَبِيعَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا وَقَوْلِي عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ أَجْلِ أَنْ بَعْضَ الْأَمْزِجَةِ يَتَأَذَى بِرِيحِ الْمَسْكَ وَالْوَرْدُ وَلَا سِيَّمَا الْخُرُورُ الْمَزَاجِيكِرُ مَا يَتَأَذَى مِنْهُ فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ عِنْدَ صَاحِبِ ذَلِكَ الْمَزَاجِ فَهَذَا فَلَمَّا عَلِيَ الْإِطْلَاقُ إِذَا الْغَالِبُ عَلَى الْأَمْزِجَةِ طَبِيبُ الْمَسْكَ وَالْوَرْدُ وَأَمْثَالُهُ وَالْمَتَأَذِي مِنْ هَذِهِ الرِّوَائِحِ الطَّبِيعِيَّةِ مَزَاجٌ غَرِيبٌ أَيْ غَيْرُ مَعْتَادٍ وَلَا أُدْرِي هَلْ أُعْطِيَ اللَّهُ أَحَدًا إِدْرَاكِ تَسَاوِي الرِّوَائِحِ مَجِيثٌ أَنْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ خَبْثٌ رَائِحَةٌ أَمْ لَا هَذَا مَا ذُقْنَاهُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَلَا نَقْلُ إِلَيْنَا إِنْ أَحَدًا أُدْرِكُ ذَلِكَ بَلِ الْمَنْقُولُ عَنِ الْكَمَلِ مِنَ النَّاسِ وَ

عن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة وما انفرد بإدراك ذلك طيبا إلا الحق هذا هو المنقول ولا أدري أيضا شأن الحيوان من غير الإنسان في ذلك ما هولأني ما أقامني الحق في صورة حيوان غير إنسان كما أقامني في أوقات في صور ملائكة والله أعلم ثم إن الشرع قد نعت الصوم من طريق المعنى بالكمال الذي لا كمال فوقه حين أفرد له الحق بابا خاصا و سماه باسم خاص يطلب الكمال يقال له باب الريان منه يدخل الصائمون والري درجة الكمال في الشرب فإنه لا يقبل بعد الري الشارب شربا أصلا ومهما قبل فما ارتوى أرضا كان أو غير أرض من أرضين الحيوانات خرج مسلم من حديث سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد ولم يقل ذلك في شيء من منهي العبادات ولا مأمورها إلا في الصوم فيين بالريان أنهم حازوا صفة كمال في العمل إذ قد اتصفوا بما لا مثل له كما تقدم وما لا يماثل هو الكمال على الحقيقة والصائمون من العارفين هنا دخلوه وهناك يدخلون منه على علم من الخلاق أجمعين فلندكر إن شاء الله في هذا الباب أحكام الصوم المشروع وتوابعه ولواحقه وأنواعه واجبة ومدوية كما ذكرنا فيما تقدم من أخواته من زكاة وصلاة في العموم والخصوص على طبقاتهم في ذلك وله عندنا مراتب أولها الصوم العام المعروف الذي تعبدنا الله به وهو الصوم الظاهر في الشاهد على تمام شروطه فإذا فرغنا من الكلام على أحكام المسألة التي نوردنا في ذلك انتقلنا إلى الكلام بلسان الخواص و خلاصتهم على صوم النفس بما هي آمرة للجوارح وهو إمساكها عما حجر عليها في مسألة مسألة و ارتفاعها عن ذلك وعلى صوم القلب الموصوف بالسعة للنزول الإلهي حيث قال تعالى وسعني قلب عبدي فننكلم على صومه وهو إمساكه هذه السعة أن يعمرها أحد غير خالقه فإن عمرها أحد غير خالقه فقد أظفر في الزمان الذي يجب أن يكون فيه صائما إثارا لربه مسألة مسألة والكلام على جملة المفطرات في نوع كل صوم على الاختصار والتقريب فإنه باب يطول وسأورد في هذا الباب من الأخبار النبوية ما تقف عليه إن شاء الله تعالى

(وصل في فصل تقسيم الصوم)

اعلم أن الصوم المشروع منه واجب ومنه مندوب إليه والواجب على ثلاثة أنواع منه ما يجب بإيجاب الله تعالى إياه ابتداء وهو صوم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي في صيامه أو عدة من أيام أخرى في حق المسافر أفطر أو لم يفطر عندنا وعند غيرنا إن أفطر وفي حق المريض منه ما يجب لسبب موجب وهو صيام الكفارات ومنه ما يجب من الله بما أوجبه الإنسان على نفسه وهو غير مكروه وهو صوم النذر فإنه يستخرج به من البخيل وما ثم واجب غير ما ذكرنا وأما المندوب فمنه ما يتقيد بالزمان المرغب فيه كصوم الأيام البيض والاثنين والخميس وأشبه ذلك من الأيام والشهور ومنه ما يتقيد بالحال كصيام يوم وفطر يوم وهو أعدل الصوم وكالصيام في سبيل الله ومنه ما لا يتقيد بزمان وهو أن يصوم الإنسان متى شاء متطوعا بذلك

(وصل في فصل الصوم الواجب الذي هو شهر رمضان لمن شهدة)

فلنقدم في ذلك ذكر رمضان وبعده هذا نتكلم في أحكام صومه خرج مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين زاد النسائي في كتابه و نادى مناد في كل ليلة يا طالب الخير هلم و يا طالب الشر أمسك رواه النسائي عن عرفة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مجيء رمضان سببا في الشروع في الصوم فتح الله أبواب الجنة والجنة الستر فدخل الصوم في عمل مستور لا يعلمه منه إلا الله تعالى لأنه ترك و ليس بعمل وجودي فيظهر للبصر أو يعمل بالحوارح فهو مستور عن كل ما سوى الله لا يعلمه من الصائم إلا الله تعالى والصائم الذي سماه الشرع صائما لا الجائع و غلق الله أبواب النار فإذا غلقت أبواب النار عاد نفسها عليها فتضاعف حرها عليها و أكل بعضها بعضا كذلك الصائم في حكم طبيعته إذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات و وجد أم ذلك في باطنه و تضاعفت شهوته للطعام الذي يتوهم الراحة بتحصيله فتقوى نار شهوته بعلق باب تناول الأطعمة والأشربة و صفدت الشياطين وهي صفة البعد فكان الصائم قريبا من الله بالصفة الصمدانية فإنه في عبادة لا مثل لها تقرب بها من صفة ليس كمثله شيء و من كانت هذه صفته فقد صفدت الشياطين في حقه و قد ورد في الخبر أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش أي هذه الأسباب معينة له على ما يريد من الإنسان من التصرف في الفضول وهو ما زاد على التصرف المشروع ثم اعلم علمك الله من لدنه علما و جعل لك في كل أمر حكمة و حكما إن رمضان اسم من أسماء الله تعالى وهو الصمد ورد الخبر النبوي بذلك روى أحمد بن عدي الجرجاني من حديث نجیح أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى وإن كان في هذا الإسناد أبو معشر فإن علماء هذا الشأن قالوا فيه إنه مع ضعفه يكتب حديثه فاعتبروه رضي الله عنهم و لذلك قال الله تعالى شَهْرُ رَمَضَانَ و لم يقل رمضان و قال فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ و لم يقل رمضان فتقوى بهذا حديث أبي معشر مع قول العلماء فيه إنه يكتب حديثه مع ضعفه فزاد قوة في هذا الحديث بما أيدته القرآن من ذلك فما فرض الله الصوم الذي لا مثل له ابتداء إلا في شهر سماه سبحانه باسم من أسمائه في مثل له في الشهور لأنه ليس في أسماء شهور السنة من له اسم تسمى الله به إلا رمضان فجاء باسم خاص اختص به معين و ليس كذلك في إضافة رجب يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه إنه شهر الله المحرم فالكل شهور الله و ما نعتة هنا إلا بالمحرم وهو أحد الشهور الحرم ثم إن الله تعالى أنزل القرآن في هذا الشهر في أفضل ليلة تسمى ليلة القدر فأنزله فيه هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان من كونه رمضان و أما من كونه ليلة القدر فأنزله كتابا مبينا أي بينا أنه كتاب و بين كون الشيء كتابا و قرآنا و فرقانا مراتب متميزة يعلمها العالمون بالله فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال رمضان لقوله ليس كمثله شيء فلو قيل لكان مثالا في هذا الاسم فأضاف لفظ الشهر إليه حتى تتفي عنه المثلية في الشهور خاصة و يبقى ليس كمثله شيء على رتبته من كل وجه و قد فرض الله صومه و ندب إلى قيامه و هو يتضمن صوما و فطرا لأنه يتضمن ليلا و نهارا و اسم رمضان ينطلق عليه في حال الصوم و الإفطار حتى يتميز من رمضان الذي هو اسم الله

تعالى فإن الله تعالى له الصوم الذي لا يقبل الفطر ولنا الصوم الذي يقبل الفطر وينتهي إلى حد وهو إيدبار النهار وإقبال الليل وغروب الشمس فكان إطلاقه على الحق لا يشبه إطلاقه على الخلق وندب إلى القيام في ليلة لتجليه تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وإن كان التجلي لله في كل ليلة من السنة ولكن تجليه في رمضان في زمان فطر الصائمين ما هو مثل تجليه للمفطر من غير صوم لأن هذا وجود فطر عن ترك مشروع موصوف بأنه لا مثل له وذلك الآخر لا يسمى مفطرا بل يسمى آكلا إذا كان الفطر الشق فهذا الأكل للصائم شق أمعائه بالطعام والشراب بعد سدها بالصوم حيث قال سدوا مجاريه بالجوع والعطش وكان القيام بالليل لأن القيام بتيجة قوة في الحبل وسبب قوي الحبل الغذاء وكان بالليل لمناسبة الغيب فإن القوة عن الغذاء غيب غير محسوس إنتاج القوة عن الغذاء ولما شمل رمضان الصوم والفطر والقيام وعدم القيام لذلك ورد في الخبر لا يقولن أحدكم إني قمت رمضان كله وصمته قال الراوي فلا أدري أكره التزكية أو قال لا بد من نومة أو رقدة فجعل الاستثناء في قيام ليله لا في صوم نهاره خرج هذا الحديث أبو داود عن أبي بكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالفطر هنا هو الإيدبار والإقبال والغروب سواء أكل أو لم يأكل فصوم شهر رمضان واجب على كل إنسان مسلم بالغ عاقل صحيح مقيم غير مسافر وهو عين هذا الزمان المعلوم المشهور المعين من الشهور الاثني عشر شهرا الذي بين شعبان وشوال والمعين من هذا الزمان صوم الأيام دون الليالي و حد يوم الصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فهذا هو حد اليوم المشروع للصوم لا حد اليوم المعروف بالنهار فإن ذلك من طلوع الشمس إلى غروبها ولما اتصف من ليس كمثل شئ بالأول والآخر كذلك وصف الصوم الذي لا مثل له بأول وآخر فأوله الطلوع الفجري وآخره الغروب الشمسي فلم يجعل أوله يشبه آخره لأنه اعتبر في أوله ما لم يعتبر في آخريته مما هو موجود في آخريته موصوف فيه الصائم بالإفطار وفي أوليته موصوف فيه بالصوم ولا فرق بين الشفق في الغروب والطلوع من حين الغروب إلى حين مغيب الشفق أو من حين الانفجار إلى طلوع الشمس ولهذا عدل الشرع إلى لفظة الفجر لأن حكم انفجاره لوجود النهار حكم غروب الشمس لإقبال الليل وحصوله فكما علم بانفجار الصبح إقبال النهار وإن لم تطلع الشمس كذلك عرفنا بغروب الشمس إقبال الليل وإن لم يغرب الشفق فانظر ما أحكم وضع الشريعة في العالم فالجامع بين الأول والآخر في الصوم وجود العلامة على إقبال زمان الصوم و زمان الفطر وهو إيدبار النهار كما إن بالفجر إيدبار الليل فرمضان أعم من صيامه وسيأتي الكلام على الوصال في موضعه وهل صاحبه يسمى صائما أم لا وبعد أن ذكرنا تحديد يوم الصوم سواء كان في شهر رمضان أو في غيره فلننظر في تحديد الشهر فأقل مسمى الشهر تسعة وعشرون يوما وأكثره ثلاثون يوما هذا هو الشهر العربي القمري خاصة الذي كلفنا إن نعرفه وشهود العادين بالعلامة أيضا لكن أصحاب العلامة يجعلون شهرا تسعة وعشرين شهرا ثلاثين والشرع تعبدنا في ذلك برؤية الهلال في الغيم بأكبر المقدارين إلا في شعبان إذا غم علينا هلال رمضان فإن فيه خلافا بين أن تمد شعبان إلى أكثر المقدارين وهو الذي ذهبت إليه الجماعة وأما أن نرده إلى أقل المقدارين وهو تسعة وعشرون وهو مذهب الحنابلة ومن تابعهم ومن خالف من غير هؤلاء لم يعتبر أهل السنة خلافه فإنهم شرعوا ما لم يأذن به الله والذي أقول به أن يسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فإن كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه و

إن كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين وأما الشهور التي لا تعد بالقمر فلها مقادير مخصوصة أقل مقاديرها ثمانية وعشرون وهو المسمى بالرومية فبراير وأكثرها مقدارا ستة وثلاثون يوما وهو المسمى بالقبطية مسرى وهو آخر شهور سنة القبط ولا حاجة لنا بشهور الأعاجم فيما تعبدنا به من الصوم فأما انتهاء الثلاثين في ذلك فهو عدد المنازل والنازلين للذين لا يخسنان وهما الشمس المشبهة بالروح التي ظهرت به حياة الجسم للحس والقمر المشبهة بالنفس لوجود الزيادة والنقص والكمال الزيادي والنقصي والمنازل مقدار المساحة التي يقطعها ما ذكرناه دأبا فإن بالشهر ظهرت بسائط الأعداد ومركباتها بحرف العطف من أحد وعشرين إلى تسعة وعشرين وبغير حرف العطف من أحد عشر إلى تسعة عشر وحصر وجود الفردية في البسائط وهي الثلاثة وفي العقد وهي الثلاثون ثم تكرار الفرد لكمال التثليث الذي عنه يكون الإنتاج في ثلاثة مواضع وهي الثلاثة في البسائط والثلاثة عشر في العدد الذي هو مركب بغير حرف عطف والثلاثة والعشرون بحرف العطف وانحصرت الأقسام ولما رأينا أن الروح يوجد فتكون الحياة ولا يكون هناك نقص ولا زيادة فلا يكون للنفس عين موجودة لها حكم كموت الجنين في بطن أمه فقد نفخ الروح فيه أو عند ولادته لذلك كان الشهر قد يوجد من تسعة وعشرين يوما فإذا علمت هذا فقد علمت حكمة مقدار الشهر العربي وإذا عددناه بغير سير الهلال ونونا شهرا مطلقا في إيلاء أو نذر عملنا بالقدر الأقل في ذلك ولم نعمل بالأكثر فإننا قد حزنا بالأقل حد الشهر ففرغنا وإنما نعتبر القدر الأكثر في الموضع الذي شرعنا أن نعتبره وذلك في الغيم على مذهب أو يعطي ذلك رؤية الهلال لقوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

(وصل في فصل إذا غم علينا في رؤية الهلال)

اختلف العلماء إذا غم الهلال فقال الأكثرون تكمل العدة ثلاثين فإن كان الذي غم هلال أول الشهر عد الشهر الذي قبله ثلاثين وكان أول رمضان الحادي والثلاثين وإن كان الذي غم هلال آخر الشهر أعني شهر رمضان صام الناس ثلاثين يوما ومن قائل إن كان المغمى هلال أول الشهر صام اليوم الثاني وهو يوم الشك ومن قائل في ذلك يرجع إلى الحساب بتسيير القمر والشمس وهو مذهب ابن الشخير وبه أقول (وصل اعتبار هذا) تقدم حديث سبب الخلاف خرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فضرب يده فقال الشهر هكذا وهكذا ثم عقد إبهامه في الثالثة صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمي عليكم فاقدروا ثلاثين وقد ورد أيضا من حديث ابن عمر أنه قال صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام والشهر هكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين فهذا الحديث الثاني رفع الإشكال وحديث اقدروا من حملة على التضييق ابتداء بصوم رمضان من يوم الشك ومن حملة على التقدير حكم بالتسيير وبه أقول اعلم أنه لا ترفع الأصوات إلا بالرؤية وبه سمي هلالا فمتى ما طلع هلال المعرفة في أفق قلوب العارفين من الاسم الإلهي رمضان وجب الصوم ومتى طلع هلال المعرفة في أفق قلوب العارفين من الاسم الإلهي فاطر السموات والأرض وجب الفطر على الأرواح من قوله السموات وعلى الأجسام من قوله والأرض وطلع هنا أي ظهر فإنه غارب يتلو الشمس فإن غم

على العارف ولم يره من أجل الحجاب الحائل من عالم البرزخ فإن الغيم برزخي بين السماء والأرض فيقدر العارف لهُلال المعرفة في قلبه بحاله وذلك أن ينظر في هلال عقله بتسييره في منازل سلوكه حالاً بعد حال ومقاماً بعد مقام فإن كان مقامه يعطي الكشف وإن النداء قد جاء من خلف حجاب كما جاء وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب غير أن حجاب الطبيعة قام له في ذلك الوقت في أمر من أموره من شغل الخاطر بمال أو أهل وإن كان في الله فيعمل بحساب ذلك ويعامل اسم الله رمضان بما يليق به وإن لم يشهده فإن الحال اقتضى له ذلك وإن لم يعطه الحال لصحة الحساب أخرجكم ذلك الاسم الإلهي إلى وقته

(وصل في فصل اعتبار وقت الرؤية)

اتفقوا على أنه إذا روي من العشاء على إن الشهر من اليوم الثاني واختلفوا إذا روي في سائر أوقات النهار أعني أول ما يرى فأكثر العلماء على إن القمر في أول وقت روي من النهار أنه لليوم المستقبل كحكمه في موضع الانفراق ومن قائل إذا روي قبل الزوال فهو الليلة الماضية وإن روي بعد الزوال فهو الليلة الآتية وبه أقول (وصل في الاعتبار فيه) حكم الاسم الإلهي في أي حال ظهر من الأحوال فالحكم له في الحال بالتجلي وفي الاستقبال بالأثر حتى يأتي حكم اسم آخر يزيل حكم الأول وأما من يعتبر الرؤية قبل الزوال وبعده فاعلم إن الاستواء هو المسمى في الطريق موقف السواء وهو الموقف الذي لا يتميز فيه سيد من عبد ولا عبد من سيد فإن قلت فيه في تلك الحالة سيد صدقت وإن قلت فيه عبد صدقت لأن لك شاهد حال في كل قول يشهد لك بصدق ما تقول فقل ما شئت فيه تصدق وهو مثل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فكونه رمى حق وكونه لم يرم حق يقول تعالى كنت يده التي يبطش بها فإن قلت إن الرامي هو الله صدقت وإن قلت إن الرامي هو محمد صلى الله عليه وسلم صدقت هذا هو موقف السواء فإن كنت في موقف أبي بكر الصديق ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فتكون ممن رآه قبل الزوال فالحكم للماضي وأنت بالحال في أول الشهر وذلك اليوم هو أوله وإن كنت عثمانياً المشهد أو صاحب دليل ففكر فقول ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده وهو الذي رآه بعد الزوال فحكمه في المستقبل ووقته في الاستواء وقت وجه الدليل له نسبة إلى الدليل ونسبة إلى المدلول ثم يظهر الزوال وهو رجوع الظل من خط الاستواء إلى الميل العيني فإنه راجع إلى العشي وهو طلب الليل

(وصل في فصل اختلافهم في حصول العلم بالرؤية بطريق البصر)

اختلف العلماء في ذلك فكلمهم قالوا إن من أبصر هلال الصوم وحده أن عليه إن يصوم إلا ابن أبي رباح فإنه قال لا يصوم إلا برؤية غيره معه واختلفوا هل يفطر برؤيته وحده فمن قائل لا يفطر ومن قائل يفطر وبه أقول وكذلك يصوم لرؤيته وحده ولكن مع حصول العلم في الرؤيتين وأما حصول العلم بالرؤية من طريق الخبر فمن قائل لا يصام ولا يفطر إلا بشاهدين عدلين ومن قائل يصام بواحد ويفطر باثنين ومن قائل إن كانت السماء مغيمة أعني في موضع الهلال قبل واحد وإن كانت مصحية لم يقبل إلا الجم الغفير أو عدلان وكذلك في هلال الفطر فمن قائل اثنان و

من قائل واحد (وصل في الاعتبار في ذلك) فيما يراه أهل الله من التجلي في الأسماء الإلهية هل يقف مع رؤيته أو يتوقف حتى يقوم له شاهد من كتاب أو سنة قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهو الذي أردناه بالشاهد وهما الشاهدان العدلان وقال تعالى أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ صَاحِبُ الرَّؤْيَةِ وَيَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى الْخَبَرِ إِمَّا كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ وَهُوَ الشَّاهِدُ الْوَاحِدُ وَالشَّاهِدَانِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِنَّمَا احْتَجْنَا إِلَى الْعَمَلِ عَلَيْهِمَا دُونَ الْعُثُورِ عَلَى النُّقْلِ الَّذِي يَشْهَدُ لِصَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَعَدَّرُ إِلَّا بِمَجْرَقِ الْعَادَةِ وَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هُنَاكَ بَابَةَ الدَّلِيلِ أَوْ الْخَبَرَ وَقَدْ رَأَيْنَا هَذَا الْجَمَاعَةَ مِنْ أَصْحَابِنَا يَحْتَجُونَ عَلَى مَوَاجِدِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَمَا تَقَدَّمَ لَهُمْ بِهِ حِفْظٌ وَبِالسُّنَّةِ وَقَدْ رَوَيْنَا هَذَا عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ وَمَتَى لَمْ يَعْطِ ذَلِكَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ وَلَا بَرْدَ كَأَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا أَخْبَرُونَا عَنْ كِتَابِهِمْ بِأَمْرٍ لَا نَصَدِّقُ وَلَا نَكْذِبُ بِهَذَا أَمْرًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَرَكَهُ مَوْقُوفًا وَالَّذِي أَعْرَفَ مِنْ قَوْلِ الْجَنِيدِ لِعَلْمِي بِالطَّرِيقِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ مَا يَعْطِي لِصَاحِبِ الْخَلَوَاتِ وَالْمُجَاهِدَةِ وَالرِّيَاضَةِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ الشَّرْعِ بَلْ بِمَا تَقْتَضِيهِ النُّفُوسُ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ وَبَيْنَ مَا يَظْهَرُ لِلْعَامِلِينَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَشْرُوعَةِ بِالْخَلَوَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ فَيَشْهَدُ لَهُ سُلُوكُهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَشْرُوعَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِأَنَّ ذَلِكَ الظَّاهِرَ لَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ بِهِ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْجَنِيدِ عَلَّمْنَا هَذَا مَقِيدَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ مَشِيدَةٍ أَيْ هُوَ نَتِجَةُ عَنِ عَمَلٍ مَشْرُوعٍ إِلَهِي لِيَفْرُقَ بَيْنَهُمَا مَا يَظْهَرُ لِأَرْبَابِ الْعُقُولِ أَصْحَابِ النُّوَامِيسِ الْحِكْمِيَّةِ وَالْمَعْلُومِ وَاحِدٍ وَالطَّرِيقِ مُخْتَلَفٍ وَصَاحِبِ الذُّوقِ يَفْرُقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ

(وصل في فصل زمان الإمساك)

اتفقوا على إن آخره غيبوبة الشمس و اختلفوا في أوله فمن قائل الفجر الثاني وهو المستطير و من قائل هو الفجر الأحمر الذي يكون بعد الأبيض وهو قول حذيفة وابن مسعود وهو نظير الشفق الأحمر الذي يكون في أول الليل والذي أقول به هو تبينه للناظر إليه حينئذ يحرم الأكل وهذا هو نص القرآن حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَجْهَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْوَجْهِ الْأَسْوَدِ يَرِيدُ بِيَاضَ الصُّبْحِ وَسَوَادَ اللَّيْلِ (وصل في الاعتبار في هذا) غيبوبة الشمس هي انقضاء مدة حكم الاسم الإلهي رمضان في الصوم فإنه الذي شرع الصوم فانتهاه مدة حكمه في الصوم هو مغيب الشمس وإن كان اسم رمضان كما هو لم يزل عن ولايته فإن له حكما آخر فينا وهو القيام وتولي الحكم في الخل الذي كان موصوفا بالصيام الاسم الذي هو فاطر السموات والأرض ولكن بتولية اسم رمضان إياه فهو النائب عنه كما أنه في الصوم رفيع الدرجات وممسك السموات والأرض أَنْ تَزُولُوا وَأَنْ تَفْعَلَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَأَفْطَرَ الصَّائِمَ وَبَقِيَ حُكْمُهُ مُسْتَمِرًّا فِي الْقِيَامِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَحْرُمُ فِيهِ الْأَكْلَ الْإِلَهِيَّ رَمَضَانَ فَتَوَلَّى الْأَسْمَ الْمَسْكُ وَبَقِيَ الْأَسْمَ الْفَاطِرِ وَالْيَا عَلَى الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ وَالْمَرْضِعِ وَالْحَامِلِ وَذَلِكَ الْحَدُّ هُوَ الْفَجْرُ الْأَبْيَضُ الْمُسْتَطِيرُ وَهُوَ الْأَوَّلِيُّ مِنَ الْفَجْرِ الْأَحْمَرِ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِفَارِ التُّورِ إِنَّهُ الْفَجْرُ كَمَا إِنْ أَخَذَ بِالتَّوَاتُرِ أَوَّلَى مِنَ الْأَخْذِ بِالْخَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّحِيحِ وَالْقُرْآنِ مُتَوَاتِرٍ وَهُوَ الْقَائِلُ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَجْهَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْوَجْهِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ فَإِنَّ أَصْلَ الْأَلْوَانِ الْبَيَاضَ وَالسُّوَادَ وَمَا عَدَاهُمَا مِنَ الْأَلْوَانِ فَبَرَاخَ بَيْنَهُمَا تَوَلَّى مِنْ امْتِرَاجِ الْبَيَاضِ وَالسُّوَادِ فَتَظْهَرُ الْغَبْرَةُ وَالْحَمْرَةُ وَالْحَضْرَةُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْوَانِ فَمَا قَرَّبَ لِلْبَيَاضِ كَانَتْ كَمِيَّةُ الْبَيَاضِ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ كَمِيَّةِ السُّوَادِ

وكذلك في الطرف الآخر وجاءت السنة في حديث حذيفة بالحمره دون البياض فقال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع وهو محتمل والبياض المذكور في القرآن ليس بمحتمل فرجحنا الأبيض على الأحمر بوجهين قوين القرآن وعدم الاحتمال واعتبارهما حكم الايمان وهو الأبيض فإنه مخلص لله غير ممتزج والأحمر للنظر الاجتهادي وهو حكم العقل ونظر العقل ممتزج بالحس من طريق الخيال لأنه يأخذ عن الفكر عن الخيال عن الحس إما بما يعطيه وإما بما تعطيه القوة المصورة وهو قاطع مما يعطيه لأنه تدخل عليه الشبهة القادحة فلماذا أعطينا الشفق الأحمر لنظر المجتهد إذ الحمره لون حدث من امتزاج البياض والسواد وهو امتزاج خاص وأما اعتبار التين في قوله تعالى وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ وَ لا يتبين حتى يكون الطلوع وإليه أذهب في الحكم فلم يحرم الأكل مع حصول الطلوع في نفس الأمر لكن ما حصل البيان عند الناظر كذلك الحق وإن كان في نفس الأمر هو الظاهر في المظاهر الإمكانية لكن لم يتبين ذلك لكل أحد وكما عفا الشارع عن الأكل في أكله وأباح له الأكل مع تحقق طلوع الفجر في نفس الأمر لكن ما تبين له كذلك ما وقع من العبد الذي لا يعرف أن الحق هو الظاهر في المظاهر الإمكانية بأفعاله وأسمائه لا يؤاخذ بها من جهل ذلك حتى يتبين له الحق في ذلك فيكون على بصيرة في قوله إذا أحببته كنت سمعه وبصره فكان العبد مظهر الحق وقد ثبت أن الله قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده فنسب القول إليه واللسان للعبد الذي هو محل القول واللسان مظهرها مكاني و كما يحرم على المكلف الأكل عند تبين الفجر كذلك يحرم على صاحب الشهود أن يعتقد أن ثم في الوجود غير الله فاعلا بل ولا مشهودا إذ كان قد عم في الحديث القوي والجوارح وما ثم إلا هذان

(وصل في فصل ما يمسك عنه الصائم)

أجمعوا على أنه يجب على الصائم الإمساك عن المطعوم والمشروب والجماع وهذا القدر هو الذي ورد به نص الكتاب في قوله تعالى فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (وصل في الاعتبار في هذا) أما المطعوم فهو علم الذوق والشرب فالصائم على صفة لا مثل لها ومن اتصف بما لا مثل له فحكمه إن لا مثل له والذوق أول مبادي التجلي الإلهي فإذا دام فهو الشرب والذوق نسبة تحدث عند الذائق إذا طعم المذوق والصوم ترك والترك ما له صفة وجودية تحدث فإن الترك ليس بشيء وجودي يحدث لأنه نعت سلبي والطعم يضاده فلماذا حرم تناول المطعوم على الصائم لأنه ينزل حكم الصوم عنه وأما المشروب فهو تجل وسط والوسط محصور بين طرفين لمن هو وسط لهما والحصر يقضي بالتحديد في الحصور والصوم صفة إلهية والله لا يقتضي الحصر ولا يتصف به ولا بالحد ولا يتميز بذلك عندنا فيناقض المشروب الصوم فلماذا حرم على الصائم المشروب ثم إن المشروب لما كان تجليا أذن بوجود الغير المتجلي له والغير في الصائم لا عين له لأن الصوم لله ليس لنا وأنا المنعوت به فقد أنزلي الحق بهذه الصفة منزلته والشيء لا يتجلي لنفسه فالصائم لا يتناول المشروب ويحرم عليه ذلك وأما الجماع فهو لوجود اللذة بالشفعية فكل واحد من الزوجين صاحب لذة فيه فكل واحد مثل للآخر في الجماع ولهذا سمي جماعا لاجتماع الزوجين والصائم لا مثل له لا تصافه بصفة لا مثل لها فحرم الجماع على الصائم هذا موضع

الاجتماع على هذه الثلاثة التي تبطل الصوم ولا يكون الموصوف بها أو بأحدها صائماً

(وصل في فصل ما يدخل الجوف مما ليس بغذاء)

اختلفوا فيما يدخل الجوف مما ليس بغذاء كالخصي وغيره وفيما يدخل الجوف من غير منفذ الطعام والشراب كالحقنة وفيما يرد باطن الأعضاء ولا يرد الجوف مثل أن يرد الدماغ ولا يرد المعدة فمن قائل إن ذلك يفطر ومن قائل لا يفطر (وصل في فصل الاعتبار) مشاركة الحكماء أصحاب الأفكار أهل الله فيما يفتح لهم من علم الكشف بالخلوة والرياضة من طريق النظر وأهل الله تعالى بهما من طريق الإيمان واجتماعا في النتيجة فمن فرق من أصحابنا بينهما بالذوق وأن مدرك هذا غير مدرك هذا وإن اشتركا في الصورة قال لا يفطر ومن قال المدرك واحد والطريق مختلف فذلك اعتبار من قال يفطر وأما اعتبار باطن الأعضاء ما عدا الجوف فهو إن يكون الصائم في حضرة إلهية فأقيم في حضرة مثالية مثل قوله أعبد الله كأنك تراه فهل لمن خرج من عباد الله في ذوقه عن حكم التشبيه والتمثيل أن يؤثر فيه قول الشارع أعبد الله كأنك تراه فيترك علمه وذوقه وينزل إلى هذه المنزلة أدبا مع الشرع وحققة من الكشف فيكون قد أفطر أو لا ينزل ويقول أنا مجموع من حقائق مختلفة وفي ما بقيني على ما أنا عليه وفي ما تطلبه مشاهدة هذا التنزل وهو كوني متخيلاً أو ذا خيال فيعلم إن الحق قد طلب مني أن نشهده في هذه الحضرة من هذه الحقيقة ومن كل حقيقة في فيعين لهذا التجلي المثالي مني هذه الحقيقة التي تطلبه وتبقي على ما أنا عليه من حقيقة أن لا خيال ولا تخيل فهذا اعتبار من يرى أنه لا يفطر ما يرد باطن الأعضاء الخارجة عن المعدة

(وصل في فصل القبلية للصائم)

فمن علماء الشريعة من أجازها ومنهم من كرهها على الإطلاق ومنهم من كرهها للشباب وأجازها للشيخ (اعتبار هذا الفصل) هذه المسألة تقيض مسألة موسى عليه السلام فإنه طلب الرؤية بعد ما حصل له الكلام فالمشاهدة والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي وهو كان مقام شهاب الدين عمر السهروردي الذي مات ببغداد رحمه الله فإنه روى لي عنه من أثق بنقله من أصحابه أنه قال باجتماع الرؤية والكلام فمن هنا علمت إن مشهده برزخي لا بد من ذلك غير ذلك لا يكون والقبلية من الإقبال والقبول على الفهوانية من حضرة اللسن فإنه محل الكلام وكان الإقبال عليه أيضا بالكلام المسموع إذا كان في المشاهدة المثالية ومن كان فيها يتصور منه طلب الإقبال على الفهوانية فإذا كلمه لم يشهده وهذا المقام الموسى ذفته في الموضوع الذي ذاقه موسى عليه السلام غير أنني ذفته في بلة في الرمل على قدر الكف وذاقه موسى عليه السلام في حاجته وهي طلبه النار لأهله ففرحت حيث كان ماء وإنما قلنا إذا كلمه لم يشهده لأن النفس الطالبة تستفرغ لفهم الخطاب فتغيب عن المشاهدة فهو بمنزلة من يكره القبلية إذ الصائم صاحب المشاهدة لأن الصوم لا مثل له والمشاهدة لا مثل لها وأما من أجازها فقال التجلي مثالي فلا بأبالي فإن الذات من وراء ذلك التجلي والتجلي لا يصح إلا من مقام المتجلي له وأما لو كان التجلي في غير مقام المتجلي له لم يصح طلب غير ما هو فيه لأن مشاهدة الحق فناء ومع الفناء لا يتصور طلب فإن اللذة أقرب من طلب الكلام لنفس المشاهد ومع هذا فلا

يلتذ المشاهد في حال المشاهدة قال أبو العباس السيارى رحمه الله ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة وأما من كرهها للشباب فاعتباره المبتدي في الطريق أجازها للشيخ و اعتبره المنتهى فإن المنتهى لا يطلب الرجوع من المشاهدة إلى الكلام فيترك المشاهدة و يقبل على الفهوانية إذ لا تصح الفهوانية إلا مع الحجاب كما قال وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب و المنتهى يعرف ذلك فلا يفعله وأما المبتدي وهو الشباب فما عنده خبرة بالمقامات فإنه في مقام السلوك فلا يعرف منها إلا ما ذاقه و النهاية إنما تكون في المشاهدة وهو يسمع بها من الأكبر فيتخيل أنه لا يفقد المشاهدة مع الكلام و المبتدي في مشاهدة مثالية فيقال له ليس الأمر كما تزعم أن كلمك لم يشهدك و إن أشهدك لم يكلمك ولهذا لم يجوزها للشباب و أجازها للشيخ لأن الشيخ لا يطلب الفهوانية إلا إذا كان وارثاً للرسول في التبليغ عن الله فيجوز له الإقبال على الفهوانية لفهم الخطاب

(وصل في فصل الحجامة للصائم)

فمن قائل إنها تفطر و الإمساك عنها واجب و من قائل إنها لا تفطر ولكنها تكره للصائم و من قائل إنها غير مكروهة للصائم و لا تفطر (وصل في اعتبار هذا الفصل) الاسم الخبي يرد على الاسم رمضان في حال حكمه في الصائم في شهر رمضان أو على الاسم المسك الذي يُمسكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا أَوْ يُمَسَّكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِذْ كَانَتْ الْحَيَاةَ الطَّبِيعِيَّةَ فِي الْأَجْسَامِ بخار الدم الذي يتولد من طبخ الكبد الذي هو بيت الدم للجسد ثم يسرى في العروق سريان الماء في الطوارق لسقي البستان لحياة الشجر فإذا طمى يخاف أن ينعكس فعله في البدن فيخرج بالفصاد أو بالحجامة ليبقى منه قدر ما يكون به الحياة فهذا جعلنا الحكم للاسم الخبي أو المسك فإن بالحياة تبقى سماوات الأرواح و أرض الأجسام و به يكون حكم الخبي أقوى مما هو بنفسهما اسمان الهيان إخوان فإذا وردا على اسم الله رمضان في حكم الصائم أو على الاسم الإلهي الذي به أضاف الحق الصوم لنفسه في غير رمضان و وجدنا في المنزل الأقرب لهذا الحل الاسم الإلهي الضار و المميت استعانا بالاسم الإلهي النافع فصاروا ثلاثة أسماء إلهية يطلبون دوام هذه العين القائمة فحركوه لطلب الحجامة فلم يفطر الصائم و لم يكرهه فإن بوجودها ثبت حكم الاسم الإلهي رمضان لها و من قال تكروه و لا تفطر فوجه الكراهة في الاعتبار أن الصائم موصوف بترك الغذاء لأنه حرم عليه الأكل و الشرب و الغذاء سبب الحياة للصائم و قد أمر بتركه في حال صومه و إزالة الدم إنما هو في هذه الحال بالحجامة من أجل خوف الهلاك فقام مقام الغذاء لطلب الحياة و هو ممنوع من الغذاء فكره له ذلك و بهذا الاعتبار و بالذي قبله يكون الحكم فيمن قال إنها تفطر و الإمساك عنها واجب (وصل في فصل القيء و الاستقاء) فمن قائل فيمن ذرعه القيء إنه لا يفطر الصائم و هم الأكثرون و من قائل إنه يفطر و هو ربيعة و من تابعه و كذلك الاستقاء الجماعة على أنه مفطر إلا طأوس فإنه قال ليس بمفطر (وصل في اعتبار هذا الفصل) المعدة خزانة الأغذية التي عنها تكون الحياة الطبيعية و إبقاء الملك على النفس الناطقة الذي به يسمى ملكا و بوجوده تحصل فوائد العلوم الوهبية و الكسبية و النفس الناطقة تراعي الطبيعة و الطبيعة و إن كانت خادمة البدن فإنها تعرف قدر ما تراعيها النفس الناطقة التي هي في الملك

فإذا أبصرت الطبيعة إن في خزانة المعدة ما يؤدي إلى فساد هذا الجسم قالت للقوة الدافعة أخرجني الزائد المتلف بقاؤه في هذه الخزانة فأخذته الدافعة من الماسكة وفتحت له الباب وأخرجته وهذا هو الذي زرعه القيء فمن راعى كونه كان غذاء فخرج على الطريق الذي منه دخل عن قصد ويسمى لأجل مروره على ذلك الطريق إذا دخل مفطرا أفطر عنده بالخروج أيضا ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج ولم يراع الطريق وهما ضدان قال لا يفطر وهذا هو الذي زرعه القيء فإن كان للصائم في إخراجه تعمل وهو الاستقاء فإن راعى وجود المنفعة ودفع الضرر لبقاء هذه البنية فقام عنده مقام الغذاء والصائم ممنوع من استعمال الغذاء في حال صومه وكان إخراجه ليكون عنه في الجسم ما يكون للغذاء قال إنه مفطر ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج قال ليس بمفطر وهذا كله في الاعتبار الإلهي أحكام الأسماء الإلهية التي يطلبها استعداد هذا البدن لتأثيرها في كل وقت فإن الجسم لا يخلو من حكم اسم إلهي فيه فإن استعد المحل لطلب اسم إلهي غير الاسم الذي هو الحاكم فيه الآن زال الحكم ووليه الذي يطلبه للاستعداد ونظيره إذا خامر أهل بلد على سلطانهم فجاءوا بسطان غيره لم يكن للأول مساعد فيزول عن حكمه ويرجع الحكم الذي طلبه الاستعداد فالحكم أبدا إنما هو للاستعداد والاسم الإلهي المعد لا يبرح حكمه دائما لا يتعزل ولا يصح المخامرة من أهل البلد عليه فهو لا يفارق في حياة ولا موت ولا جمع ولا تفرقة ويساعده الاسم الإلهي الحفيظ والقوي وأخواتهما فاعلم ذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم خرجه البخاري عن ابن عباس وخرج أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زرعه القيء وهو صائم فليس عليه القضاء وإن استقاء فليقض رواة هذا الحديث كلهم ثقات (وصل في فصل النية) فمنهم من رأى النية شرطا في صحة الصيام وهو الجمهور ومنهم من قال لا يحتاج رمضان إلى نية إلا أن يكون الذي يدركه صوم رمضان مريضا أو مسافرا فيريد الصوم (وصل في الاعتبار فيه) النية القصد وشهر رمضان لا يأتي بحكم القصد من الإنسان الصائم فمن راعى أن الصوم لله لا للعبد قال بالنية في الصوم فإنه ما جاء شهر رمضان إلا بإرادة الحق من الاسم الإلهي رمضان والنية إرادة بلا شك ومن راعى أن الحكم للوارد وهو شهر رمضان فسواء نواه الصائم الإنساني أو لم ينوه فإن حكمه الصوم فليست النية شرطا في صحة صومه فإن لم يجب عليه وخيره مع كونه ورد كالمريض والمسافر صار حكمهما بين أمرين على التخيير فلا يمكن أن يعدل إلى أحد الأمرين إلا بقصد منه وهو النية

(وصل في فصل من هذا الفصل وهو تعيين النية المجزئة في ذلك)

فمن قائل لا بد في ذلك من تعيين صوم رمضان ولا يكفيه اعتقاد الصوم مطلقا ولا اعتقاد صوم معين غير صوم رمضان ومن قائل إن أطلق الصوم أجزاءه وكذلك إن نوى فيه غير صيام رمضان أجزاءه وانقلب إلى صيام رمضان إلا أن يكون مسافرا فإن للمسافر عنده أن ينوي صيام غير رمضان في رمضان ومن قائل إن كل صوم نوى في رمضان انقلب إلى رمضان للمسافر والحاضر في ذلك على السواء (وصل الاعتبار فيه) قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فالحكم للمدعو بالأسماء الإلهية للأسماء فإنها وإن تفرقت

معانيها وتميزت فإن لها دلالة على ذات معينة في الجملة وفي نفس الأمر وإن لم تعلم ولا يدركها حد فإنه لا يقدح ذلك في إدراكنا وعلمنا أن ثم ذاتا ينطلق عليها هذه الأسماء كذلك الصوم هو المطلوب سواء كان مندوبا أو واجبا على كثرة تقاسيم الوجوب فيه ومن راعى الاسم الإلهي رمضان فرق بينه وبين غيره فإن غيره هو من الاسم الممسك لا من اسم رمضان والأسماء الإلهية وإن دلت على ذات واحدة فإنها تتميز في أنفسها من طريقتين الواحد من اختلاف ألفاظها والثاني من اختلاف معانيها وإن تقاربت غاية القرب وتشابهت غاية الشبه وأسماء المقابلة في غاية البعد كالضار والنافع والمعز والمذل والحبي والميت والهادي والمضل فلا بد من مراعاة حكم ما تدل عليه من المعاني وبهذا يتميز العالم من الجاهل وما أتى الحق بها متعددة إلا للمراعاة ما تدل عليه من المعاني ومراعاة قصد الحق تعالى في ذلك أولى من غيره فلا بد من التعيين لحصول الفائدة المطلوبة بذلك اللفظ المعين دون غيره من تركيبات الألفاظ التي هي الكلمات الإلهية ومن اعتبر حال المكلف وهو الذي فرق بين المسافر والحاضر وله في التفرقة وجه صحيح لأن الحكم يتبع الأحوال فيراعي المضطر وغير المضطر والمريض وغير المريض وكذلك الأسماء تراعى أيضا فيراعى اسم الخمر إذا تخللت من اسم الخل فيتغير الحكم الإلهي في هذا الجسم المعين بتغير الأسماء كما تغيرت الأسماء في بعض الأشياء لتغير الأحوال إذ كان التغيير في ذلك الحكم اسم إلهي أوجب له تغيير الاسم فتغير الحكم

ما الحكم للأسماء في الأشياء	الحكم للمدعو بالأسماء
فيه كمثل الحكم للأتواء	لكن لها التحكيم في تصرفها
وقتا وفي الأشياء كالأنداء	في الزهر والأشجار في أمطارها
كتلاعب الأفعال بالأسماء	لعبت بها الأرواح في تصرفها

(وصل في فصل وقت النية للصوم)

فمن قائل لا يجزى الصيام إلا بنية قبل الفجر مطلقا في جميع أنواع الصوم ومن قائل تجزى النية بعد الفجر في صوم التطوع لا في الفروض ومن قائل تجزى النية بعد الفجر في الصيام المتعلق وجوبه بوقت معين والنافلة ولا تجزى في الواجب في الذمة (وصل الاعتبار في ذلك) الفجر علامة على طلوع الشمس فهو كالاسم الإلهي من حيث دلالة على المسمى به لا على المعنى الذي يتميز به عن غيره من الأسماء والقاصد للصوم قد يقصده اضطرارا واختيارا والإنسان في علمه بالله قد يكون صاحب نظر فكري أو صاحب شهود فمن كان علمه بالله عن نظري دليل فلا بد أن يطلب على الدليل الموصل إليه إلى المعرفة فهو بمنزلة من نوى قبل الفجر ومدة نظره في الدليل كالمدة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و المعرفة بالله على قسمين واجبة كمعرفة بتوحيده في الوهية ومعرفة غير واجبة كمعرفة بنسبة الأسماء إليه التي تدل على معان فإنه لا يجب عليه النظر في تلك المعاني هل هي زائدة عليه أم لا فمثل هذه المعرفة لا يبالي متى قصدها هل بعد حصول الدليل بتوحيد الإله أو قبله وأما الواجب في الذمة فكالمعرفة بالله من حيث ما نسب الشرع إليه في الكتاب والسنة فإنه قد تعين بالدليل النظري إن هذا شرعه وهذا كلامه

فوقع الايمان به فحصل في الذمة فلا بد من القصد إليه من غير نظر إلى الدليل النظري وهو الذي اعتبر فيه النية قبل الفجر لأنه عنده علم ضروري وهو المقدم على العلم النظري لأن العلم النظري لا يحصل إلا أن يكون الدليل ضروريا أو مولدا عن ضروري على قرب أو بعد وإن لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان وجودي

(وصل في فصل الطهارة من الجنابة للصائم)

فالجمهور على إن الطهارة من الجنابة ليست شرطا في صحة الصوم وأن الاحتلام بالنهار لا يفسد الصوم إلا بعضهم فإنه ذهب إلى أنه إذا تعمد ذلك أفسد صومه وهو قول ينقل عن النخعي وطاوس وعروة بن الزبير وقد روى عن أبي هريرة ذلك في المتعمد وغير المتعمد وكان يقول من أصبح جنبا في رمضان أفطر وكان يقول ما أنا قلته محمد صلى الله عليه وسلم قاله ورب الكعبة وقال بعض المالكيين إن الخائض إذا طهرت قبل الفجر فأخرت الغسل إن يومها يوم فطر (وصل الاعتبار في هذا) الجنابة الغربية والغربة بعد الحيض أذى والأذى يوجب البعد و أعني الأذى الخاص مثل قوله **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** أي أبعدهم واللجنة البعد وسببه وقوع الأذى منهم فهو بعيد من الاسم القدوس والصوم يوجب القرب من الله الذي **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** والصوم لا مثل له في العبادات فكما لا يجتمع القرب والبعد لا يجتمع الصوم والجنابة والأذى ومن راعى أن الجنابة حكم الطبيعة فكذلك الحيض وقال إن الصوم نسبة إلهية أثبت كل أمر في موضعه فقال بصحة الصوم للجنب وللطاهرة من الحيض قبل الفجر إذا أخرت الغسل فلم تنظف إلا بعد الفجر وهو الأول في الاعتبار لما تتطلبه الحكمة من إعطاء كل ذي حق حقه فإن الحكيم عز وجل يقول **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ** ثم هدى أي بين وأثنى الله بهذا القول لما حكاه عن موسى أنه قاله لفرعون ولم يجرحه تعالى في هذا القول كما جرح من قال **إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ** وَإِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ

(وصل في فصل صوم المسافر والمريض شهر رمضان)

فمن قائل إنهما إن صاماه وقع وأجزأهما ومن قائل إنه لا يجزيهما وأن الواجب عليهما عدة من أيام أخر والذي أذهب إليه أنهما إن صاماه فإن ذلك لا يجزيهما وأن الواجب عليهما أيام أخر غير أني أفرق بين المريض والمسافر إذا أوقعا الصوم في هذه الحالة في شهر رمضان فأما المريض فيكون الصوم له نقلا وهو عمل بر وليس بواجب عليه ولو أوجبه على نفسه فإنه لا يجب عليه وأما المسافر لا يكون صومه في السفر في شهر رمضان ولا في غيره عمل بر وإذا لم يكن عمل بر كان كمن لم يعمل شيئا وهو أدنى درجاته أو يكون على ضد البر وتقضيه وهو الفجور ولا أقول بذلك إلا أنني أنفي عنه إن يكون في عمل بر في ذلك الفعل في تلك الحال والله أعلم (الاعتبار) السالك هو المسافر في المقامات بالأسماء الإلهية فلا يحكم عليه الاسم الإلهي رمضان بالصوم الواجب ولا غير الواجب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر واسم رمضان يطلبه بتنفيذ الحكم فيه إلى انقضاء شهر سلطانه و السفر يحكم عليه بالانتقال الذي هو عدم الثبوت على الحال الواحدة فبطل حكم الاسم الإلهي رمضان في حق المسافر الصائم ومن قال إنه يجزيه جعل سفره في قطع أيام الشهر وجعل الحكم فيه الاسم

رمضان فجمع بين السفر والصوم وأما حكم انتقاله المسمى سفرا فإنه ينتقل من صوم إلى فطر ومن فطر إلى صوم وحكم رمضان لا يفارقه ولهذا شرع صيامه وقيامه ثم جواز الوصال فيه أيضا مع انتقاله من ليل إلى نهار ومن نهار إلى ليل وحكم رمضان منسحب عليه ولهذا أجزأ المسافر صوم رمضان وأما المريض فحكمه غير حكم المسافر في الاعتبار فإن العلماء أجمعوا على إن المريض إن صام رمضان في حال مرضه أجزأه والمسافر ليس كذلك عندهم فضعف استدلالهم بالآية فاعتباره إن المرض يضاد الصحة والمطلوب من الصوم صحته والصدان لا يجتمعان فلا يصح المرض والصوم واعتبرناه في شهر رمضان دون غيره لأنه واجب بإيجاب الله ابتداء فالذي أوجبه هو الذي رفعه عن المريض فلا يصح أن يرجع ما ليس بواجب من الله واجبا من الله في حال كونه ليس بواجب

(وصل في فصل من يقول إن صوم المسافر والمريض يجزيهما في شهر رمضان فهل الفطر لهما أفضل أم الصوم)

فمن قائل إن الصوم أفضل ومن قائل إن الفطر أفضل ومن قائل إنه على التخيير فليس أحدهما بأفضل من الآخر (الاعتبار) من اعتبار أن الصوم لا مثل له وأنه صفة للحق قال إنه أفضل ومن اعتبر أنه عبادة فهو صفة ذلة وافتقار فهو بالعبد أليق قال إن الفطر أفضل ولا سيما للسالك والمريض فإنهما محتاجان إلى القوة ومنبعا الفطر عادة فالفطر أفضل ومن اعتبر أن الصوم من الاسم الإلهي رمضان وأن الفطر من الاسم الإلهي الفاطر وقال لا تفاضل في الأسماء الإلهية بما هي أسماء للاله تعالى قال ليس أحد الاسمين بأفضل من الآخر لأن المفطر في حكم الفاطر والصائم في حكم الرفيع الدرجات وحكم المسك وحكم اسم رمضان وهذا مذهب المحققين رفع الشريف والأشرف والوضع والشريف الذي في مقابلته من العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله تعالى

(وصل في فصل هل الفطر الجائز للمسافر هل هو في سفر محدود أو غير محدود)

فمن قائل إنه يفطر في السفر الذي يقصر فيه الصلاة وذلك على حسب اختلافهم في هذه المسألة ومن قائل إنه يفطر في كل ما ينطلق عليه اسم سفر وبه أقول (الاعتبار في ذلك) المسافرون إلى الله وهو الاسم الجامع وهو الغاية المطلوبة والأسماء الإلهية في الطريق إليه كالمنازل للمسافرين ومنازل القمر المقدرة لسير القمر في الطريق إلى غاية مقصوده وأقل السفر الانتقال من اسم إلى اسم فإن وجد الله في أول قدم من سفره كان حكمه بحسب ذلك وقد انطلق عليه أنه مسافر وليس لأكثره عندنا نهاية ولا حد لقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فهذا اعتبار من قال يفطر فيما ينطلق عليه اسم سفر ومن قال بالتحديد في ذلك فاعتباره بحسب ما حدد فمن اعتبر الثلاثة في ذلك كان كمن قال الأحادية أو الواحد لا حكم له في العدد وإنما العدد من الاثنين فصاعدا والسفر هنا إلى الاسم الله ولا سفر إليه إلا به فأول ما يلقاه من كونه مسافرا إليه في الفردية وهي الثلاثة أول الأفراد فهذا هو السفر المحدود ثم يؤخذ الاعتبار في تحديد العلماء تفصيل الصلاة في باب الصلاة من هذا الكتاب وإنما قد ذكرناه في صلاة القصر من هذا الكتاب

(وصل في فصل المرض الذي يجوز فيه الفطر)

فمن قاتل المرض هو الذي يلحق من الصوم فيه مشقة و ضرر ومن قاتل إنه المرض الغالب ومن قاتل إنه أقل ما ينطلق عليه اسم مرض وبه أقول وهو مذهب ربيعة بن أبي عبد الرحمن (الاعتبار) المرید تلحقه المشقة وهو صاحب مكايدة و جهد و من أجل ذلك شرع لنا وَإِيَّاكَ نَسْعِينُ وقال تعالى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ فَيَعِينَهُ اللَّهُ بِمَا نَسَى عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ فهذا مرض يوجب الفطر وأما من اعتبر المرض بالميل وهو الذي ينطلق عليه اسم مرض وهو مذهب محمد بن عبد الجبار النفرى صاحب المواقف من رجال الله كذا أحسبه والإنسان لا يتخلو عن ميل بالضرورة فإنه بين حق وخلق وبين حق وحق من حيث الأسماء الإلهية وكل طرف يدعو إلى نفسه فلا بد له من الميل إما عنه أو إليه به أو بنفسه بحسب حاله ولا سيما أهل طريق الله فإنهم في مباحهم في حال ندب أو وجوب فلا يخلص لهم مباح أصلا فلا يوجد أحد من أهل الله تكون كنهًا ميزانه على الاعتدال والإنسان هو لسان الميزان فلا بد فيه من الميل إلى جانب داعي الحق وهذا هو اعتبار من يقول بالفطر فيما ينطلق عليه اسم مرض وأن الله عند المريض بالأخبار الإلهي الثابت ألا تراه يلجأ إليه ويكثر من ذكره على أي دين كان أو نحلة فإنه بالضرورة يميل إليه ويظهر لك ذلك بينا في طلب النجاة مما هو فيه فإن الإنسان بحكم الطبع يجري إذا مسه الضر إلى طلب من يزيله عنه وليس إلا الله قال تعالى وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ وَإِنْ جَهِلَ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا فَمَا جَهِلَ الْاضْطِرَارُ فَإِنَّهُ حَالَهُ ذَوْقًا وَنَحْنُ إِنَّمَا نَرَاعِي الْقَصْدَ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ وَأَمَّا مَنْ أَعْتَبَرَ الْمَرَضَ الْغَالِبَ فَهُوَ مَا يُضَافُ إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الْأَفْعَالِ فَإِنَّهُ مِيلٌ عَنِ الْحَقِّ فِي الْأَفْعَالِ إِذْ هِيَ لَهُ وَالْمُوَافِقُ وَالْمُخَالِفُ يَمِيلُ بِهَا إِلَى الْعَبْدِ سِوَاءَ مَا لَاقْتَدَارَ أَوْ خَلَقًا أَوْ كَسْبًا فَهَذَا مِيلٌ حَسْبِي شَرْعِي وَهُوَ قَوْلُهُمْ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ فَأُضَافُوا الْإِيمَانَ إِلَيْهِمْ بِإِجَادَا وَقَوْلُ اللَّهِ لَهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ تَقْرِيرُ الصَّحَّةِ مَا نَسَبُوهُ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ فَهَذَا هُوَ الشَّرْعِيُّ فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الْمَرَضِ وَأَنَّهُ الْمِيلُ الْغَالِبُ لِأَنَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ

(وصل في فصل متى يفطر الصائم ومتى يمسك)

فمن قاتل يفطر في يومه الذي خرج فيه مسافرا ومن قاتل لا يفطر يومه ذلك واستحب العلماء لمن علم أنه يدخل المدينة ذلك اليوم أن يدخلها صائما فإن دخلها مفطرا لم يوجبوا عليه كفارة (الاعتبار) إذا خرج السالك في سلوكه من حكم اسم إلهي كان له إلى حكم اسم آخر إلهي دعاه إليه ليوصله إليه حكم اسم آخر ليس هو الذي خرج عنه ولا هو الذي يصل إليه كان بحكم ذلك الاسم الذي يسلك به وهو معه أينما كان قال تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَإِنْ اقْتَضَى لَهُ ذَلِكَ الْأَسْمُ الصُّومَ كَانَ بِحُكْمِ صِفَةِ الصُّومِ وَإِنْ اقْتَضَى لَهُ الْفِطْرُ كَانَ بِحُكْمِ صِفَةِ الْفِطْرِ فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَحْصُلُ فِي يَوْمِهِ الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ بِفَتْحِ الْفَاءِ فِي حُكْمِ الْأَسْمِ الَّذِي دَعَاهُ إِلَيْهِ وَيُرِيدُ النُّزُولَ عَلَيْهِ كَانَ بِحُكْمِ صِفَةِ ذَلِكَ الْأَسْمِ مِنْ فِطْرٍ أَوْ صَوْمٍ لِأَعْيُنِ لَهُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأَحْوَالَ تَخْتَلِفُ وَلَا حَرْجَ عَلَيْهِ فِيمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

(وصل في فصل المسافر يدخل المدينة التي سافر إليها وقد ذهب بعض النهار)

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فقال بعضهم يتماذى على فطره وقال آخرون يكف عن الأكل وكذلك الحائض تطهر تكف عن الأكل (وصل الاعتبار في هذا الفصل) كان له مطلوب في سلوكه فوصل إليه هل يحجبه فرحه بما وصل إليه عن شكر من أوصله إليه فإن حجبه تغير الحكم عليه وراعى حكم الإمساك عنه وإن لم يحجبه ذلك اشتغل عند الوصول بمراعاة من أوصله فلم يخرج عن حكمه وتماذى على الصفة التي كان عليها في سلوكه عابداً لذلك الاسم عبادة شكر لا عبادة تكليف وكذلك الحائض وهو كذب النفس ترزق الصدق فتطهر عن الكذب الذي هو حيضها والحيض سبب فطرها فهل تتماذى على صفة الفطر بالكذب المشروع من إصلاح ذات البين والكذب في الحرب وكذب الرجل لزوجته أو تستلزم ما هو صدق في محمود وواجب و مندوب فإن الصدق المحذور كالغيبة والنميمة مثل الكذب المحذور يتعلق بهما الإثم والحجاب على السواء مثاله من يتحدث بما جرى له مع امرأته في الفراش فأخبر بصدق وهو من لكبائر وكذلك ما ذكرناه من الغيبة والنميمة انتهى الجزء السادس والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل هل يجوز للصائم بعض رمضان أن ينشئ سفراً ثم لا يصوم فيه)

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يجوز له ذلك وهو الجمهور ومن قائل لم يجز له الفطر روى هذا القول عن سويد بن غفلة وغيره (الاعتبار) لما كان عندنا وعند أهل الله كلهم إن كل اسم إلهي يتضمن جميع الأسماء ولهذا ينعت كل اسم إلهي بجميع الأسماء الإلهية لتضمنه معناها كلها ولأن كل اسم إلهي له دلالة على الذات كما له دلالة على المعنى الخاص به وإذا كان الأمر كما ذكرناه فأى اسم إلهي حكم عليك سلطانه قد يلوح لك في ذلك الحكم معنى اسم إلهي آخر يكون حكمه في ذلك الاسم أجلي منه وأوضح من الاسم الذي أنت به في وقته فتشئ سلوكاً إليه فمن قائل منا يبقى على تجلى الاسم الذي لاح له فيه ذلك المعنى ومنا من قال ينتقل إلى الاسم الذي لاح له معناه في التضمن فإنه أجلي وأتم فالرجل مخير إذا كان قويا على تصريف الأحوال فإن كان تحت تصريف الأحوال كان بحكم حال الاسم الذي يقضي عليه سلطانه

(وصل في فصل المغمى عليه والذي به جنون)

اتفق الفقهاء على وجوبه على المغمى عليه واختلفوا في الجنون فمنهم من أوجب القضاء عليه ومنهم من لم يوجب القضاء وبه أقول وكذلك عندي في المغمى عليه واختلفوا في كون الإغماء والجنون مفسداً للصوم فمن قائل إنه مفسد ومن قائل إنه غير مفسد وفرق قوم بين أن يكون أغمى عليه قبل الفجر أو بعد الفجر وقوم قالوا إن أغمى عليه بعد ما مضى أكثر النهار أجزاءه وإن أغمى عليه أول النهار قضى (الاعتبار) الإغماء حالة فناء والجنون حالة وله وكل واحد من أهل هذه الصفة ليس بمكلف فلا قضاء عليه على إن القضاء في أصله عندنا لا يتصور في الطريق فإن كل زمان له وارد يخصه فما ثم زمان يكون فيه حكم الزمان الذي مضى فما مضى من الزمان مضى بحاله وما نحن فيه فنحن

تحت سلطانه وما لم يأت فلا حكم له فينا فإن قالوا قد يكون من حكم الزمان الحالي الذي هو الآن قضاء ما كان له أدائه في الزمان الأول قلنا له فهو مؤد إذن إذ هذا زمان أداء ما سميته قضاء فإن أردت به هذا فمسلم في الطريق فأنت سميته قاضيا و زمان الحال ما عنده خبر لا بما مضى ولا بما يأتي فإنه موجود بين طرفي عدم فلا علم له بالماضي ولا بما جاء به ولا بما فات صاحبه منه وقد يشبه ما يأتي به زمان الحال ما أتى به زمان الماضي في الصورة لا في الحقيقة كما تشبه صلاة العصر في زمان الحال الوجودي صلاة الظهر التي كانت في الزمان الماضي في أحوالها كلها حتى كأنها هي ومعلوم أن حكم العصر ما هو حكم الظهر حتى لو رأينا شخصا محافظا على الصلوات في أوقاتها واتفق أنه نسي الظهر أو نام عنها حتى دخل وقت العصر فرأيناه يصلي أربعاً في ذلك الوقت صلاة الظهر ويغلب علينا إنه يصلي العصر للشبه الكثير الذي بينهما وليست هذه هذه

(وصل في فصل صفة القضاء لمن أفطر في رمضان)

فمن العلماء من أوجب التتابع في القضاء كما كان في الأداء ومنهم من لم يوجبوه وهؤلاء منهم من خير ومنهم من استحب والجماعة على ترك إيجابه (الاعتبار) إذا دخل الوقت في الواجب الموسع بالزمان طلب الاسم الأول من المكلف الأداء فإذا لم يفعل المكلف وأخر الفعل إلى آخر الوقت تلقاه الاسم الآخر فيكون المكلف في ذلك الفعل قاضيا بالنسبة إلى الاسم الأول وأنه لو فعله في أول دخول الوقت كان مؤديا من غير دخل ولا شبهة وكان مؤديا بالنسبة إلى الاسم الآخر فالصائم المسافر أو المريض إذا أفطر إنما الواجب عليه عدة من أيام أخر في غير رمضان فهو واجب موسع الوقت من ثاني يوم من شوال إلى آخر عمره أو إلى شعبان من تلك السنة فيتلقاه الاسم الأول ثاني يوم من شوال فإن صامه كان مؤديا من غير شبهة ولا دخل وإن أخره إلى غير ذلك الوقت كان مؤديا من وجه قاضيا من وجه والتتابع في ذلك في أول زمانه يكون مؤديا بلا شك وإن لم يتابع فيكون قاضيا فمن راعى قصر الأمل وجهل الأجل أوجب ومن راعى اتساع الزمان خير ومن راعى الاحتياط استحب وكل حال من هذه الأحوال له اسم إلهي لا يتعدى حكمه فيه فإن الكون في قبضة الأسماء الإلهية تصرفه بطريقتين بحسب حقائقها وبحسب استعدادات الأكوان لها لا بد من الأمرين لذي عينين فإن الأوصاف النفسية للأسماء و غير الأسماء لا تنقلب فافهم ذلك وتحققه تسعد إن شاء الله تعالى

(وصل في فصل من أخر قضاء رمضان حتى دخل عليه رمضان آخر)

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فقالت طائفة عليه القضاء والكفارة وقالت طائفة عليه القضاء ولا كفارة عليه و به أقول (الاعتبار) المقامات التي لها جهات كثيرة مختلفة قد يغفل السالك عن حكمها في جهة ما من جهات متعلقاتها كالورع فإن له حكما في جهات كثيرة منها في الطعام والشراب واللباس والأخذ والنظر والاستماع والسعي واللمس والشم فإن عمر بن الخطاب أتى بمسك من المغنم قبل أن تأخذه القسمة ليعرض عليه فمسك بأنفه لئلا ينال من رائحة شيئا دون المسلمين قبل أن تأخذه القسمة ورعا فسئل عن ذلك فقال إنما يتنفع من هذا

بريحة وكذلك الورع في النسب والأسماء فإذا فات السالك وجه من وجوه متعلقات مثل هذا المقام وانتقل إلى غيره من المقامات وقد بقيت عليه بقية من حكم هذا المقام الذي انتقل عنه فإذا تعين عليه استعماله في وقت آخر لحالة تطلبه بذلك من مطعم أو غيره يتذكر ما فاتته قبل ذلك منه فمننا من قال عليه الكفارة وكفارتها التوبة مما جرى منه في تفریطه والاستغفار ومنا من قال لا كفارة عليه فإنه لم يعتمد ولا قصد انتهاك الحرمه وإنما جعله في ذلك عذر من تأويل في المسألة أو غفلة والإنسان في هذا الطريق مؤاخذ بالغفلات عند بعضهم ولهذا أوجب الكفارة عليه من أوجبها ومن يرى أنه غير مؤاخذ بالغفلات لم يوجب عليه كفارة والقضاء مجمع عليه عند الجميع وصورته إنه إذا نال منه أحد أمراً حرم على المتناول تناوله منه عرضاً كان أو مالا أو أثراً بدنياً من جرح أو غيره وله أن يعفو عنه فيما يتناول ذلك منه فيعفو ويحسن ولا يؤاخذ بكل جريمة من الغير في حقه مما يعطي الورع المتعدي في ذلك أن لا يفعله فهذا هو صورة القضاء ثم إنه يستصحي جميع جهات متعلقات ذلك المقام جهده حتى لا يترك منه شيئاً فتدبر هذه المسألة فإنها من أنفع المسائل في طريق الله

(وصل في فصل من مات وعليه صوم)

فمن قائل يصوم عنه وليه ومن قائل لا يصوم أحد عن أحد واختلف أصحاب هذا القول فبعضهم قال يطعم عنه وليه وبعضهم قال لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به وقال قوم يصوم فإن لم يستطع أطعم وفرق قوم بين النذر والصيام المفروض فقالوا يصوم عنه وليه في النذر ولا يصوم في الصيام المفروض (الاعتبار) قال الله عز وجل وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وقال تعالى النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ فالمرید صاحب التربية يكون الشيخ قد أهله وخصه بذكر مخصوص لنيل حالة مخصوصة ومقام خاص فمات قبل تحصيله فمننا من يرى أن الشيخ لما كان وليه وقد حال الموت بينه وبين ذلك المقام الذي لو حصل له نال به المنزلة الإلهية التي يستحقها رب ذلك المقام فيشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المرید الذي مات فإذا استوفاه أحضر ذلك الميت إحضار من مثله في خياله بصورته التي كان عليها وألبس تلك الصورة الممثلة ذلك الأمر وسأل الله أن يبقى ذلك عليه فحصلت نفس ذلك الميت في ذلك المقام على أتم وجوهه منة من الله وفضلاً والله ذو الفضل العظيم وهذا مذهب شيخنا أبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي وما راضني أحد من مشايخي سواه فانتفعت به في الرياضة وانتفع بنا في مواجيدته فكان لي تلميذاً وأستاذاً وكتبت له مثل ذلك وكان الناس يتعجبون من ذلك ولا يعرف واحد منهم سبب ذلك وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة فإنه كان قد تقدم فتحي على رياضي وهو مقام خطر فأفاد الله علي بتحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ جزاه الله عني كل خير ومن أهل الله من يقول لا يقوم أحد عن أحد في العمل ولكن يطلبه له بهمة ودعائه والجماعة على ذلك وهذا الأول نادر الوقوع فهذا اعتبار من يقول لا يصوم أحد عن أحد واعتبار من يقول يصوم عنه وليه ومن قال لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به فهو أن يقول المرید عند الموت للشيخ اجعلني من همتك واجعل لي نصيباً من عملك عسى الله أن يعطيني ما كان في أملي وهذا إذا فعله المرید كان سوء أدب مع الشيخ حيث استخدمه في حق نفسه وتهمة منه للشيخ في نسيان حق المرید والأصل في ذلك أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يسأل ربه في حقه مرافقته في الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعني على نفسك بكثرة السجود فنبهه بهذا العمل على نفسه و سوء أدبه معه والطريق يقتضي أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مريره المختص بخدمته فإنه من قوة أهل هذا الطريق ومعرفة بالنفوس أنهم إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف منهم من آذاهم هنا في الدنيا فأول ما يشفعون يوم القيامة فيمن آذاهم قبل المؤاخذة وهذا نص أبي يزيد البسطامي وهو مذهبنا فإن الذين أحسنوا إليهم يكفيهم عين إحسانهم فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدموه من الخير في حق هذا الولي وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومن عفا وأصلح فأجره على الله وذلك للعافين عن الناس بل الولي لا ينسى من يعرف الشيخ وإن كان الشيخ لا يعرفه فيسأل الله تعالى أن يغفر ويعفو عن من سمع بذكره فسبه وذمه أو أثنى عليه خيرا وهذا ذمته من نفسي وأعطانيه ربي بحمد الله وعدني بالشفاعة يوم القيامة فيمن أدركه بصري من أعرف ومن لا أعرف وعين لي هذا المشهد حتى عاينته ذوقا صحيحا لأشك فيه وهذا مذهب شيخنا أيضا أبي إسحاق بن طريف وهو من أكبر من لقيته ولقد سمعت هذا الشيخ يوما وأنا عنده بمنزله بالجزيرة الخضراء سنة تسع وثمانين وخمسائة وقال لي يا أخي والله ما أرى الناس في حق الأولياء عن آخرهم ممن يعرفني قلت له كيف تقول يا أبا إسحاق فقال إن الناس الذين رأوني أو سمعوا بي إما أن يقولوا في حقي خيرا أو يقولوا ضد ذلك فمن قال في حقي خيرا وأثنى علي فما وصفني إلا بصفته فلو لا ما هو أهل ومحل لتلك الصفة ما وصفني بها فهذا عندي من أولياء الله تعالى ومن قال في شرا فهو عندي ولي أطلع الله على حاله فإنه صاحب فراسة وكشف ناظر بنور الله فهو عندي ولي فلا أرى يا أخي الأولياء لله وما قال لي هذا إلا من أجل كلام جرى بيني وبينه في حق إنسان من أهل سبته كان خلف هذا الشيخ بخلاف ما كان يلقاه به فهذا بلغ من حسن اعتقاده وكان من الشيخ الذين تحسب عليهم أنفاسهم ويعاقبون على غفلاتهم ومات في عقوبة غفلة ذكرناها في الدررة الفاخرة عند ذكرى إياه فيها وأما من فرق بين النذر والصوم المفروض فإن النذر أوجب الله عليه بإيجابه والصوم المفروض الذي هو رمضان أوجب الله عليه ابتداء من غير إيجاب العبد فلما كان للعبد في واجب النذر تعمل بإيجابه صام عنه وليه لأنه عن وجوب عبد فينوب عنه في ذلك عبد مثله حتى تبرأ ذمته والصوم المفروض ابتداء لم يكن للعبد فيه تعمل فالذي فرضه عليه هو الذي أماته فلو تركه صامه فكانت الدية على القاتل وقال تعالى فيمن خرج مهاجرا إلى الله (وَرَسُولِهِ) ثُمَّ يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فالذي فرق كان فقيه النفس سيد النظر علاما بالحقائق وهكذا حكمه في الاعتبار

(وصل في فصل المرضع والحامل إذا أفطرتا ما ذا عليهما)

فمن قاتل يطعمان ولا قضاء عليهما وبه أقول فإنه نص القرآن والآية عندي مخصصة غير منسوخة في حق الحامل والمرضع والشيخ والعجوز ومن قاتل تقضيان فقط ولا إطعام عليهما ومن قاتل تقضيان و تطعمان ومن قاتل الحامل تقضي ولا تطعم والمرضع تقضي وتطعم والإطعام مد عن كل يوم أو تحفن حفانا ويطعم كما كان أنس يصنعه (الاعتبار) الحامل الذي يملكه الحال والمرضع الساعي في حق الغير يتعين

عليهما حق من حقوق الله فمن رأى أن الدين قبل الوصية قدم حق الغير على حق الله لمسيس الحاجة فإنه حكم الوقت و من قدم حق الله على حق الغير و رأى قول النبي صلى الله عليه وسلم إن حق الله أحق بالقضاء و رأى أن الله قدم في القرآن الوصية على الدين في آية الموارث فقدم حق الله وإليه أذهب قال تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين و يرجع عندي حق الغرماء إذا لم يف ما بقي لهم من مال هذا الميت في بيت المال يؤديه عنه السلطان من الصدقات فإنهم من الثمانية الأصناف فلصاحب الدين أمر يرجع إليه في دينه و ليس للوصية ذلك فوجب تقديمها بلا شك عند المنصف و أما المرضع و إن كانت في حق الغير فحق الغير من حقوق الله حيث شرع الله أداءها و صاحب الحال ليس في حق من حقوق الله لأنه غير مكلف في وقت الحال و المرضع كالساعي في حق الغير فهو في حق الله فإنه في أمر مشروع له فقد وكلناك بعد هذا البيان و التفصيل إلى نفسك في النظر فيمن ينبغي له القضاء و الإطعام أو أحدهما ممن ذكرنا

(وصل في فصل الشيخ و العجوز)

أجمع العلماء على أنها إذا لم يقدر على الصوم أن يفطرا و اختلفوا إذا أفطر أهل يطعمان أو لا يطعمان فقال قوم يطعمان و قال قوم لا يطعمان و به أقول غير أنهم استحبوا لهم الإطعام و الذي أقول به إن الإطعام إنما شرع مع الطاقة على الصوم و أما من لا يطيقه فقد سقط عنه التكليف في ذلك و ليس في الشرع إطعام من هذه صفة من عدم القدرة عليه فإن الله ما كلف نفساً إلا و سَعَهَا و ما كلفها الإطعام فلو كلفها مع عدم القدرة لم تعدل عنه و قلنا به (الاعتبار) من كان مشهده أن لا قدرة له كما مثلنا أو يقول إن القدرة الحادثة ما لها أثر إيجاد في المقدور و كان مشهده أن الصوم لله فقد انتفى عنه الحكم بالصوم و الإطعام يقول الله و هُوَ يُطْعِمُ و لَا يُطْعَمُ و قال مصدقا لخليله الذي (هُوَ) يُطْعِمُنِي فَقرره و لم يردده و الإطعام إنما هو عوض عن واجب يقدر عليه و لا واجب فلا عوض فلا إطعام و هجير صاحب هذا المقام لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ و ليس له في إِيَّاكَ تَسْتَعِينُ مدخل و لا في نون نفع و ألف أفعل لكن له من هذه الأحرف الأربعة الزوائد حرف الناء المنقوطة من أعلى بضمير المخاطب و قد تكون الياء المنقوطة من أسفل يفعل بضمير الهوية فاعلم ذلك و بالله التوفيق

(وصل في فصل من جامع متعمدا في رمضان)

أجمعوا أن عليه القضاء و الكفارة و قيل لا يجب عليه إلا القضاء فقط لأن الكفارة في ذلك لم تكن عزيمة لقرائن الأحوال لأنه صلى الله عليه و سلم يأمره عند عدم العتق و الإطعام أن يصوم و لا بد إذ كان صحيحا و لو كان مريضا لقال له إذا وجدت الصحة فصم و قال قوم ليس عليه إلا الكفارة فقط ليس عليه قضاء و الذي أذهب إليه أنه لا قضاء عليه و استحب له أن يكفر إن قدر على ذلك و الله أعلم بحكمه في ذلك (الاعتبار) القدرتان تجتمعان على إيجاد ممكن من ممكن فيما ينسب من ذلك إلى العبد في الفعل عن كل من لا يصل عقله إلى معرفة ذلك إما بعقوبة من الرق مطلقا أو مقيدا فإن أعتقه من الرق مطلقا فهو أن يقيم نفسه في حال كون الحق عينه في قواه و جوارحه التي بها تميز عن غيره من الأنواع بالصورة و الحد و إذا كان في هذا الحال و كان هذا نعمة كان سيديا و زالت عبوديته مطلقا لأن العبودية هنا راحت إذ لا يكون

الشيء عبد نفسه فهو هو قال أبو يزيد في تحقق هذا المقام مشيراً تالياً لِنَبِيِّ أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُنِي هذا أوحى الله به لموسى وهو خطاب يعم الخلق أجمعين وأما إن كان العبد مقيداً فهو إن يعتق نفسه من رق الكون فيكون حراً عن الغير عبد الله فإن عبوديتنا لله يستحيل رفعها وعتقها لأنها صفة ذاتية له واستحال العتق منها في هذا الحال لا في الحال الأول وقد نبه على ذلك بقوله تعالى قل اللهم مالك الملك فسماه ملكاً ليصح له اسم المالك ولم يقل مالك العالم وقال أيضاً وهو من باب الإشارة والتحقيق قل أعوذ برب الناس ملك الناس فمن باب التحقيق لما سماهم الناس ولم يسمهم باسم يقتضي لهم أن يكونوا حقاً أضافه نفسه إليهم باسم الملك ومن باب الإشارة اسم فاعل من النسيان معرفا بالألف واللام لأنه نسي أن الحق سمعه وبصره وجميع قواه في حال كونه كله نورا وهو المقام الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه أن يقيم فيه أبداً فقال واجعلني نورا فإن الله من أسمائه النور بل هو النور للحديث الثابت نوراني أراه وقد صحفه بعض النقلة فقال نوراني أراه فحصل في هذا التصحيف معنى بديع وهو إذا جعل عبده نورا فيرى الحق فيه ومنه فعند ذلك يكون نورانيا لا غير فهو في ذاته نور وفي عبده نوراني فافهم ما قلنا فلما لم يتذكر الناسي هذه الحال وهو في نفسه عليها غافل عنها خاطبه الحق مذكراً له بها في القرآن الذي تعبه بتلاوته لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ما كانوا قد نسوه فهذا يدل على أنهم كانوا على علم متقدم في شئسية الثبوت وأخذ العهد وأما الإطعام في الكفارة فالطعام سبب في حفظ الحياة على متناولته فهو في الإطعام متخلق بالاسم الحبي لما أمات بما فعله عبادة لا مثل لها كان عليها فكان منعوتاً بالميت في فعلها لأنه تعمد ذلك فأمر بالإطعام ليظهر اسم المقابل الذي هو الحبي فافهم وأما صوم شهرين في كفارته فالشهر عبارة في الحمد بين عن استيقاظ سير القمر في المنازل المقدرة وذلك سير النفس في المنازل الإلهية فالشهر الواحد يسير فيها بنفسه ليثبت ربوبية خالقه عليه عند نفسه والشهر الآخر يسير فيه بربه فإنه رجله التي يسعى بها من باب أن الحق جميع قواه وجوارحه فإنه بقواه قطع هذه المنازل والحق عين قواه فقطعها بربه لا بنفسه وأما قول هذا الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمره بالصوم في الكفارة أي اتصف بصفة الحق فإن الصوم له فقال من الصوم أتى علي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحكك علامة على خفة الأمر ولما علم إن الحق أنطقه وما أراد ذلك الناطق وإن جهله ذلك الأعرابي فكأنه قال له في قوله كفر بالصوم أي كن حقاً فنطق إن يقول من الحق أتى علي فإني لما كنت حقاً زال التكليف عني فإن الحق لا يكلف فلما ذا تبقيني حقاً أنزلني إلى العبودية فأوجب على الكفارة التي هي الستراي لا تذكر أنك عصيتني بي ولهذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أعطيتها لأفقر مني ما بين لابتها أفقر مني فأضاف كمال الفقر إليه لأنه رجع إلى العبودية عن سيادته فعظم ذله وفقره فإن استصحاب الفقر لا أم في الفقير مثل أم من كان غنيا ثم افتقر فإن ألمه أشد والحسرة عنده أعظم فإن حكمه حكم من استؤسر وكان حراً فيجد ألم الاسترقاق لكونه حصل فيه عن حرية

من كان ملكاً فعاد ملكاً قد حاز هلكاً ومات فتكاً

والعبد الأصلي المؤثر القن لا يجذ ذلك فلهذا قال ما بين لابتها أفقر مني أنطقه الله بذلك من حيث لا يشعر حتى يكون مناسباً لما أنطقه به

أيضا في قوله من الصوم أتى علي فانظر حكمة الله في إجراء هذه الحقائق في عباده من حيث لا يشعرون فهو المتكلم على الحقيقة لاهم فهذا حكم الكفارة على من هذا فعله والحمد لله قد دخل في هذا جميع الأقوال التي ذكرنا في هذه المسألة إذا تدبرتها فلا حاجة للإطالة في ذلك فإنه كالتكرار وإن كان ذكرها يتضمن فوائد زائدة على ما ذكرنا لاختلاف النسب ولكن يكفي هذا في اعتبار هذه المسألة

(وصل في فصل من أكل أو شرب متعمدا)

فقال قوم عليه القضاء والكفارة التي أوجبها في الجماع وقال آخرون لا كفارة عليه والذي أقول به إنه لا قضاء عليه ولا كفارة فإنه لا يقضيه أبدا ولكن يكثر من صوم التطوع لتكامل له فريضته من تطوعه فإن الفرائض عندنا المقيدة بالأوقات إذا ذهب وقتها بتعمده من الواجبة عليه لا يقضيها أبدا مطلقا فليكثر من التطوع الذي يناسبها إلا الحج وإن كان مربوطا بوقت ولكنه مرة واحدة في العمر إلا من يقول بالاستطاعة ولكن متى حج كان مؤديا ويكون عاصيا في التأخير مع الاستطاعة (الاعتبار) الأكل والشرب تغذ له فأحياه الأكل والشرب عند هذا السبب لأن حياته مستفادة كما كان وجوده مستفادا ليميز الممكن الواجب بالغير عن الواجب بنفسه والصوم لله للعبد فلا قضاء عليه ولا كفارة ومن قال بالكفارة أوجب عليه ستر مقامه وحكمه فيها حكم الجماع في الاعتبار سواء ومن قال بالقضاء عليه يقول ما أوجب عليه القضاء إلا لكونه غيرا كما كان في أصل التكليف كما كان في صوم رمضان سواء فيقضيه برده إلى من الصوم له فإن الصوم للعبد الذي هو لله كمن سلف شيئا من غيره فقضاء ذلك الدين إنما هو رده إلى مستحقه مع ما عاد عليه من الانتفاع به والعبد إنما يصوم مستسلفا ذلك لأن الصمدانية ليست له والصوم صمدانية فهو لله لاله فاعلم ذلك

(وصل في فصل من جامع ناسيا لصومه)

فقيل لا قضاء عليه ولا كفارة وبه أقول وقيل عليه القضاء والكفارة (الاعتبار) هذا من باب الغيرة الإلهية لما اتصف العبد بما هو لله وإن كان مشروعا وهو الصوم أنساه الله أنه صائم فأقامه في مقام وحالة تفسد عليه صيامه تنبيه له أن هذه الحقيقة لا يتصف بها إلا الله غيرة إلهية أن يراجع فيما هو له بضرب من الاشتراك فلما لم يكن للعبد في ذلك قصد ولا انتهاك به حرمة المكلف سقط عنه القضاء والكفارة والجماع قد عرفت معناه فيمن جامع متعمدا ومن قال عليه القضاء دون الكفارة قال يشهد بالصمدية له دون نفسه في حال قيامها به فيكون موصوفا بها لا موصوفا بها مثل قوله وما رَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتِ فَنَفَى وَأُثْبِتَ ومن قال عليه القضاء والكفارة قال النسيان هو الترك والصوم ترك وترك الترك وجود نقيض الترك كما أن عدم الوجود ومن هذه حاله فلم يتم به الترك الذي هو الصوم فما امتثل ما كلف فلا فرق بينه وبين المتعمد فوجب عليه القضاء والكفارة والاعتبار قد تقدم في ذلك وأنه ليس في الحديث أن ذلك الأعرابي كان ذاكرة لصومه حين جامع أهله ولا غير ذاك ولا استفصله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان ذاكرة لصومه أو غير ذاك وقد اجتمعا في التعمد للجماع فوجب على الناسي كما وجب على الذاکر لصومه ولا سيما في الاعتبار فإن الطريق تقتضي المؤاخظة بالنسيان

لأنه طريق الحضور فالنسيان فيه غريب

(وصل في فصل هل الكفارة مرتبة كما هي في المظاهر أو على التخيير)

فإنه قال له أعتق ثم قال له صم ثم قال له أطعم فلا يدري أقصد عليه السلام الترتيب أم لا فقليل إنها على الترتيب أولها العتق فإن لم يجد فالصوم فإن لم يستطع فالإطعام وقيل هي على التخيير ومنهم من استحسب الإطعام أكثر من العتق ومن الصيام ويتصور هنا ترجيح بعض هذه الأقسام على بعض بحسب حال المكلف أو مقصود الشارع فمن رأى أنه يقصد التغليظ وإن الكفارة عقوبة فإن كان صاحب الواقعة غنيا أو ملكا خوطب بالصيام فإنه أشق عليه وأردع فإن المقصود بالحدود والعقوبات إنما هو الزجر وإن كان متوسط الحال في المال و يتضرر بالإخراج أكثر مما يشق عليه الصوم أمر بالعتق أو الإطعام وإن كان الصوم عليه أشق أمر بالصوم ومن رأى أن الذي ينبغي أن يقدم في ذلك ما يرفع الحرج فإنه تعالى يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج فيكلف من الكفارة ما هو أهون عليه وبه أقول في الفتيا وإن لم أعمل به في حق نفسي لو وقع مني إلا أن لا أستطيع فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وما آتاه الله سيئلا بعد عسر يسرا وكذلك فعل فإنه قال فإن مع العسر يسرا ثم إن مع العسر يسرا فأتى بعسر واحد ويسرين معه فلا يكون الحق يراعي اليسر في الدين ورفع الحرج ويفتي المفتي بخلاف ذلك فإن كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وإنما يقتضيه النظر الفكري فقد يصيب في ذلك وقد يخفى ولا سيما قد رأينا خفيف الحد في أشد الجنايات ضررا في العالم فلو أريد الزجر لكانت العقوبة أشد فيها وبعض الكبائر ما شرع فيها حدا ولا سيما و الشرع في بعض الحدود في الكبائر التي لا تقام إلا بطلب المخلوق وإن أسقط ذلك سقطت والضرر بإسقاط الحد في مثله أظهر كولي المقتول إذا عفا وليس للإمام أن يقتله وأمثال هذا من الخفة والإسقاط فيضعف قول من يقول وضعت الحدود للزجر ولو شرعنا تكلم في سبب وضع الحدود وإسقاطها في أماكن وتخفيفها في أماكن وتشديدها في أماكن أظهرنا في ذلك أسراراً عظيمة لأنها تختلف باختلاف الأحوال التي شرعت فيها والكلام فيها يطول وفيها إشكالات مثل السارق والقاتل وإتلاف النفس أشد من إتلاف المال وإن عفا ولي المقتول لا يقتل قاتله وإن عفا رب المال المسروق أو وجد عند السارق عين المال فرد على ربه ومع هذا فلا بد أن تقطع يده على كل حال وليس للحاكم أن يترك ذلك ومن هنا تعرف أن حق الله في الأشياء أعظم من حق المخلوق فيها بخلاف ما تعتقده الفقهاء قال صلى الله عليه وسلم حق الله أحق أن يقضى (الاعتبار) الترتيب في الكفارة أولى من التخيير فإن الحكمة تقتضي الترتيب والله حكيم والتخيير في بعض الأشياء أولى من الترتيب لما اقتضته الحكمة والعبد في الترتيب عبد اضطرار كعبودة الفرائض والعبد في التخيير عبد اختيار كعبودة النوافل وفيها راحة من عبودية الاضطرار وبين عبادة النوافل وعبادة الفرائض في التقرب الإلهي بون بعيد في علو المرتبة فإن الله جعل القرب في الفرائض أعظم من القرب في النوافل وإن ذلك أحب إليه ولهذا جعل في النوافل فرائض وأمرنا أن لا نبطل أعمالنا وإن كان العمل نافلة لمراعاة عبودية الاضطرار على عبودية الاختيار لأن ظهور سلطان الربوبية فيها أجلي ودالاتها عليها أعظم

(وصل في فصل الكفارة على المرأة إذا طاعت زوجها فيما أراد منها من الجماع)

فمن قاتل عليها الكفارة ومن قاتل لا كفارة عليها وبه أقول فإن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي ما ذكر المرأة ولا تعرض إليها ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي لنا أن نشرع ما لم يأذن به الله (الاعتبار) النفس قابلة للفجور والتقوى بذاتها فهي بحكم غيرها بالذات فلا تقدر تنفصل عن التحكم فيها فلا عقوبة عليها والهوى والعقل هما المتحكمان فيها فالعقل يدعوها إلى النجاة والهوى يدعوها إلى النار فمن رأى أنه لا حكم لها فيما دعيت إليه قال لا كفارة عليها ومن رأى أن التخيير لها في القبول وإن حكم كل واحد منهما ما ظهر له حكم الإقبوطا إذ كان لها المنع مما دعيت إليه والقبول فلما رجحت أثبت إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر فقبل عليها الكفارة

(وصل في فصل تكرار الكفارة لتكرار الإفطار)

فقبل إنه من وطئ ثم كفر ثم وطئ في يوم واحد إن عليه كفارة أخرى وقيل من وطئ مرارا في يوم واحد فليس عليه إلا كفارة واحدة واختلفوا أيضا فيمن وطئ في يوم من رمضان ولم يكفر حتى وطئ في يوم ثان فقال بعضهم عليه لكل يوم كفارة وقال بعضهم عليه كفارة واحدة ما لم يكفر عن الجماع الأول والذي أقول به إن عليه كفارة واحدة لأنها ما شرعت إلا مراعاة رمضان في حال الصوم لا مراعاة الصوم لأنه لو أفطر في صوم القضاء لم يكفر ولو كانت هذه الكفارة مثل كفارة الظهر لم يوجب عليه كفارة أخرى إذا كفر عن الجماع الأول فلما أوجبها بعد الوقوع لهذا جعلناها تلزمها إذا وقع الوطء بعد تكفير وطء قبله متعددا كان ذلك الأول أو واحدا (الاعتبار) الروح الواحد يدبر أجساما متعددة إذا كان له الاقتدار على ذلك ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطي ذلك وكان قضيب البان بمن له هذه القوة والذي النون المصري كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع وبصر وغير ذلك كما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما يقع منها كذلك الأجساد الكثيرة التي يدبرها روح واحد أي شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم من الفعل مثل ما يقع من الجسم الآخر فيكون ما يلزمه من المؤاخذة على فعل أحد الجسمين يلزمه على فعل الآخر وإن كان مثله وقسم المذاهب على هذا الحد فيما يلزم الروح الواحد من تكرار الفعل بتعدد الأجسام المماثل لتعدد الزمان في حق الجماع في رمضان فاعلم ذلك

(وصل في فصل هل يجب عليه الإطعام إذا أسير وكان معسرا في وقت الوجوب)

فمن قاتل لأشياء عليه وبه أقول ومن قاتل يكفر إذا أسير (الاعتبار) المسلموب الأفعال مشاهدة وكشفا معسرا لأشياء له فلا يلزمه شيء فإن حجب عن هذا الشهود وأثبت ذلك من طريق العلم بعد الشهود كمتخيل المحسوس بعد ما قد كان أدركه بالحس فإن الأحكام الشرعية تلزمه بلا شك ولا يتمتع الحكم في حقه بوجود العلم ويمتنع بوجود المشاهدة فإنه يشاهد الحق محركا له ومسكنا وكذلك إن كان مقامه أعلى من هذا وهو أن يكون الحق سمعه وبصره على الكشف والشهود فمننا من قال حكمه حكم صاحب العلم فإن الله قد أوجب على نفسه و لا يدخل بذلك تحت حد الواجب ومننا من ألحقه بمشاهدة الأفعال منه تعالى كما قدمناه فلا يلزمه الحكم كما لم يلزمه هناك فتارة ينطلق على

هذا العبد اسم الحق و تارة يتطلق عليه اسم العبد مع اختلاف هذه الأحوال و في كل واحد من هذه المراتب يلزمه الحكم من وجه و ينتهي عنه من وجه

(وصل في فصل من فعل في صومه ما هو مختلف فيه كالجمامة و الاستقاء و بلع الحصى و المسافر يفطر أول يوم يخرج عند من يرى أنه ليس له أن يفطر)

فكل من أوجب في هذه الأفعال و أشباهها الفطر اختلفوا فمن قائل منهم عليه القضاء و من قائل منهم عليه القضاء و الكفارة و هكذا كل مختلف فيه و الذي أذهب إليه مما ذكرناه أن الاستقاء فيه القضاء للخبر و قد تقدم اعتبار ما ذكرناه من هذه الأفعال فمن أفطر في يوم يجوز له الإفطار فيه كالمرأة تفطر قبل أن تحيض ثم تحيض في ذلك اليوم و المريض و المسافر يفطران قبل المرض و قبل السفر ثم يمرض في ذلك اليوم أو يسافر فمذهبنا عليه القضاء و لا كفارة و إنما أوجبنا عليه القضاء لأنها حاضت أو مرض أو سافر و أما حكمه في الإثم حكم من أفطر متعمدا حتى أنها لو لم تحض أو لم يمرض أو لم يسافر ما يقضي ذلك اليوم أبدا و ليكثر من صيام التطوع و مع هذا فأمرهم إلى الله لأنهم أفطروا في يوم يجوز لهم الفطر فيه عند الله و أما الظاهر فما قلناه (الاعتبار) في هذا الفعل رائحة من الكشف الذي للنفوس و استطلاع على الغيب من حيث لا يشعر و سببه أنها من عالم الغيب و إن كانت النشأة الجسمية أمها فإن الروح الإلهي أبوها فلها الاطلاع من خلف حجاب رقيق بحيث إنه لو دخل صاحب هذا الفعل طريق أهل الله سارع إليه الكشف لاستعداده و تأهله لذلك و مثل هذا لا يسمى اتفاقا إذا الأمر الاتفاقي عندنا لا يصح فإن الأمر كله لله و الله لا يحدث شيئا بالاتفاق و إنما يحدثه عن علم صحيح و إرادة و قضاء غيبي و قدر فلا بد من كون ما هو كائن في علمه و إنما بقي هل يتعلق بمن ظهر عليه مثل هذا الفعل الإلهي إثم أم لا فعندنا الإثم متعلق به و لو حصل له العلم الصحيح بأنه في يوم يجوز له الإفطار فيه و لم يتلبس بالسبب فإنه ما شرع له الفطر إلا مع التلبس بالحال الذي تسمى به حائضا أو مريضا أو مسافرا في اللسان الظاهر هذا مذهب المحققين من أهل الله و هو مذهبنا في مثل هذه المسألة و الحكم في صاحبها لله إن شاء عفا و إن شاء أخذ فضلا و عدلا إلا إن كان حاله ممن قد أعلم ما يقع منه من الجرائم مشاهدة و كشفا و من اطلعه على المقدر عليه اطلعه أنه غير مؤاخذ بذلك عند الله فإن لم يطلع فلا يبادر و لا يكن له عمل في ذلك ما لم يعلم علم الله فيه فإن علم أنه مؤاخذ و لا بد فيعلم إن الله قد راعى حكم الظاهر في العموم فيتها لقضاء الله النافذ فيه و هذا عندنا ليس بواقع أصلا و إن كان جائزا عقلا قيل للإبليس لم أبيت عن السجود قال يا رب لو أردت مني السجود لسجدت قال له متى علمت أنني لم أرد منك السجود بعد حصول الإباية و المخالفة أو قبل ذلك فقال يا رب بعد وقوع الإباية علمت فقال بذلك آخذتك و اعلم أن من عباد الله من يطلعهم الله على ما قدر عليهم من المعاصي فيسارعون إليها من شدة حياتهم من الله ليسارعوا بالتوبة و تبقي خلف ظهورهم و يستريحون من ظلمة شهودها فإذا تابوا رأوها عادت حسنة على قدر ما تكون و مثل هذا لا يقدح في منزلته عند الله فإن وقوع ذلك من مثل هؤلاء لم يكن انتهاكا للحرمة الإلهية و لكن بنفوذ القضاء و القدر فيهم و هو قوله لِيَعْرِكَ اللهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَسَبَقَتْ الْمَغْفِرَةُ وَقُوعَ الذَّنْبِ فَهَذِهِ الْآيَةُ قَدْ يَكُونُ لَهَا فِي حَقِّ الْمَعْصُومِ وَجْهٌ وَهُوَ أَنْ يَسْتَرَعََنِ الذَّنْبُ قَطْلِبَهُ الذَّنْبُ فَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ ذَنْبٌ أَصْلًا فَإِنَّهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ أَوْ يَسْتَرُ عَنْ الْعُقُوبَةِ فَلَا تَلْحَقُهُ فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ نَاطِرَةٌ إِلَى مَحَالِّ الذَّنْبِ فَيَسْتَرُ اللَّهُ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِمَغْفِرَتِهِ عَنْ إِيقَاعِ الْعُقُوبَةِ بِهِ وَالْمُؤَاخَذَةِ عَلَيْهِ وَالْأَوَّلُ أَمْ تَقَدَّمَتْ الْمَغْفِرَةُ مِنْ قَبْلِ وَقُوعِ الذَّنْبِ فَعَلَّا كَانَ أَوْ تَرَكَهَا فَلَا يَبْقَى إِلَّا حَسَنَةٌ يَشْهَدُهَا وَحَسَنَتُهَا وَمِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ لِمَا يَأْتِي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِلَّا مَا أُبِيحَ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى هَذَا الشَّخْصِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ فِي أَهْلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الشَّرْعِ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِلْعَبْدِ لِلْحَالَةِ خَاصَةً أَفْعَلُ مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ فَهَذَا هُوَ الْمُبَاحُ وَمِنْ أَمْرٍ مَبَاحًا لِمُؤَاخَذَةِ اللَّهِ بِهِ وَإِنْ كَانَ فِي الْعُمُومِ فِي الظَّاهِرِ مَعْصِيَةٌ فَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّرْعِ فِي حَقِّ هَذَا الشَّخْصِ مَعْصِيَةٌ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هِيَ مَعْصِيَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَهْلِ بَدْرٍ وَمَا يَدْرِيكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَاعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ أَفْعَلُوا مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ وَفِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ أَنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِي فَيَقُولُ اللَّهُ أَذْنَبَ عَبْدِي ذُنُوبًا فَعَلِمَ إِنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ إِلَى أَنْ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ أَوْ فِي الثَّلَاثَةِ أَفْعَلُ مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ فَأَبَاحَ لَهُ جَمِيعَ مَا كَانَ قَدْ حَجَرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أُبِيحَ لَهُ فَعَلَهُ فَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ لِسَانَ ذَنْبٍ وَإِنْ كُنَّا لَجَهْلُنَا بِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَهَذَا حُكْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ نَعْرِفَهُ فَلَا يَقْدِرُ ذَلِكَ فِي مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ فَمَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ مَا فَعَلَ إِلَّا مَا أُبِيحَ لَهُ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ فَإِنَّ الْحُكْمَ يَتَرْتَّبُ عَلَى الْأَحْوَالِ فَحَالَ أَهْلِ الْكُشْفِ عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ مَا هُوَ حَالٌ مِنْ سَتْرٍ عَنْهُ حَالُهُ فَمَنْ سَوَى بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَعَدَّى فِيمَا حَكَمَ بِهِ أَلَّا تَرَى الْمَضْطَرُ مَا حَرَمَتِ الْمَيْتَةَ عَلَيْهِ قَطُّ مَتَى وَجَدَ الْأَضْطَرَّارَ وَغَيْرَ الْمَضْطَرِّ مَا أَحَلَّتْ لَهُ الْمَيْتَةَ قَطُّ هَذَا ظَاهِرُ الشَّرْعِ فَأَحْكَامُ الشَّرَائِعِ عَلَى الْأَحْوَالِ وَنَحْنُ فِيمَا جَهْلُنَا حَالَهُ أَنْ نَحْسِنَ الظَّنَّ بِهِ مَا وَجَدْنَا ذَلِكَ سَبِيلًا

(وصل في فصل من أفطر متعمدا في قضاء رمضان)

فَأَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا كُفَّارَةَ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ أَذْهَبَ وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ قِضَاءُ يَوْمَيْنِ وَلصَّاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَجْهٌ دَقِيقٌ خَفِيَ آدَاهُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ وَهُوَ أَنَّهُ مَخِيرٌ فِي الْقَضَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَاخْتَارَ الْقَضَاءُ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَأَفْطَرَ وَلَوْ كَانَ مَتَنَفِلًا أَوْ جُنُبًا عَلَيْهِ بِالشَّرْعِ قِضَاءُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْوَاحِدُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ يَوْمَ رَمَضَانَ الَّذِي عَلَيْهِ فَمَا قَصَرَ فِي نَظَرِهِ صَاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ قِتَادَةُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ (الاعتبار) مَنْ كَانَ مَشْهَدَهُ الْإِسْمَ الْإِلَهِيَّ رَمَضَانَ فِي حَالِ الْقَضَاءِ كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الْأَدَاءِ وَحُكْمُ الْأَدَاءِ فَيَمْنُ أَفْطَرَ مَتَعَمِدًا فِي رَمَضَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ فَهُوَ بِحَسَبِ مَا هُوَ عِنْدَهُ فَيَجْرِي عَلَى ذَلِكَ الْأَسْلُوبِ فِيهِ وَفِي اعْتِبَارِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهَدَهُ الْإِسْمَ الْإِلَهِيَّ الَّذِي يَخْصُ شَهْرَهُ الَّذِي أَوْقَعَ فِيهِ الْقَضَاءُ لَا شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَا اسْمَ رَمَضَانَ بَلْ مَشْهَدَهُ الْإِسْمَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْإِمْسَاكِ فَلَا يَكْفُرُ وَلَكِنْ فَيَمْنُ كَانَ مَذْهَبُهُ أَنْ يَكْفُرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرٍ كَتَابَةٌ فَإِنَّهُ قَدْ سَمَّاها أُخْرًا فَمَا هِيَ أَيَّامُ رَمَضَانَ وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامُ صَوْمٍ عَلَى النُّكْرَةِ أَيَّامُ شَاءَ وَلَا يُسَمَّى يَوْمًا إِلَّا بِكَمَالِهِ فَإِذَا لَمْ يَكْمَلْ فِي حَقِّهِ فَلَيْسَ بِيَوْمِ صَوْمِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي لِلشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ رَمَضَانَ لِشَهْرِ رَمَضَانَ الرَّفِيعِ لِشَوَالِ الرَّحْمَنِ الَّذِي قَعْدَةُ الْمَرِيدِ الَّذِي حِجَّةُ الْحَرَمِ لِلْمَحْرَمِ الْمُخَلِّي لِصَفْرِ الْحَبِيبِيِّ لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمَعِيدِ لِرَبِيعِ الْآخِرِ الْمَسْكُ الْجَمَادِي الْأَوَّلِي الرَّبِّ

بمعنى الثابت لجمادى الآخرة العظيم لرجب الفاصل والحاكم لشعبان وما في معنى كل اسم من هذه الأسماء الإلهية
(وصل في فصل الصوم المندوب إليه)

وسأذكر من ذلك ما هو مرغّب فيه بالحال كالصوم في الجهاد وبالزمان كصوم الإثنين والخميس وعرفة وعاشوراء والعشر وشعبان وأمثال ذلك وما هو معين في نفسه من غير تقييده بيوم مخصوص من أيام الجمعة كعاشوراء وعرفة فمن كونه معين الشهر الحقناه بالزمان ومن كونه مجهولاً في أيام الجمعة لم نقيده بالزمان ومنه ما هو معين في الشهور كشهر شعبان ومنه ما هو مطلق في الأيام مقيد بالشهور كالأيام البيض وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ومنه ما هو مطلق كصوم أي يوم شاء ومنه ما هو مقيد بالتوقيت كصيام داود صيام يوم وفطر يوم وما يجري هذا الجرى وأما صوم يوم عرفة في عرفة فمختلف فيه وفي غير عرفة مرغّب فيه إلا أنه على كل حال يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وأما صوم الستة الأيام من شوال فمرغّب فيها والخلاف في وقتها من شوال وفي متابعتها وفيها خلاف شاذ وهو أن يوقع أول يوم منها في شوال وباقي الأيام في سائر أيام السنة

(وصل في فصل الصوم في سبيل الله)

خرج مسلم في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفاً فذكر صوم العبيد لا صوم الأحرار والعبيد بالحال قليل وبالاعتقاد جميعهم والصوم تشبيه إلهي ولهذا نفاه عن العبد بقوله تعالى الصوم لي وليس للعبيد من الصوم إلا الجوع فالتنزيه في الصوم لله والجوع للعبد فإذا أقيم العبد في التشبيه بالإله المعبر عنه بالخلق بالأسماء في صفة القهر والغلبة للمنازع الذي هو العدو ولهذا جعله في الجهاد أعني الصوم لأن السبيل هنا في الظاهر الجهاد عرفنا هذا بقرائن الأحوال لا مطلق اللفظ فإن أخذناه على مطلق اللفظ لا على العرف وهو نظر أهل الله في الأسماء يراعون ما قيد الله وما أطلقه فيتبع الكلام بحسب ما جاء فجاء بلفظ التنكير في السبيل ثم عرفه بالإضافة إلى الله تعالى والله هو الاسم الجامع لجميع حقائق الأسماء كلها وكلها لها بر مخصوص وسبيل إليها فأبى بر كان فيه العبد فهو في سبيل بر وهو سبيل الله فلماذا أتى بالاسم الجامع فعم كما تعم النكرة أي لا تعين وكذلك نكر يوماً وما عرفه ليوسع بذلك كله على عبيده في القرب إلى الله ثم نكر سبعين خريفاً فأتى بالتميز والتمييز لا يكون إلا نكرة ولم يعين زماناً فلم ندر هل سبعين خريفاً من زمان أيام العرب أو أيام ذي المعارج أو أيام منزلة من المنازل أو أيام واحد من الجوارح الحسنس والكس أو من أيام الحركة الكبرى أو من الأيام المعلومات عندنا فأبهم الأمر فساوى التنكير الذي في مساق الحديث وكذلك قوله وجهه أبهمه هل هو وجهه الذي هو ذاته أو وجهه المعهود في العرف وكذلك قوله من النار بالألف واللام هل أراد به النار المعروفة أو الدار التي فيها النار لأنه قد يكون على عمل يستحق دخول ذلك الدار ولا نصيبه النار وعلى الحقيقة فما منا إلا من يردها فإنها الطريق إلى الجنة ولو لم يكن في المعنى إلا كون الصراط عليها في الآخرة وفي الدنيا حفت بالمكاره وقد أقيمت على مدرجة التحقيق في النظر في كلام الله وفي كلام المترجم

عن الله من رسول مرسل أو ولي محدث

(وصل في فصل تختيار الحامل والمرضع في صوم رمضان مع الطاقة عليه بين الصوم والإفطار)

فأشبه المفروض من وجهه وهو إذا اختاره وقبل التخير كان حكمه في حقه حكم المباح المخير في فعله وتركه فأشبه التطوع وفعل المندوب إليه خير من تركه ولهذا قال فيه وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ كُنَّا فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَاءَ صَامَ وَمِنْ شَاءَ أَفْطَرَ وَافْتَدَى بِطَعَامِ مَسْكِينٍ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فَحَنُّ شَهْرٍ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ نَسْخًا وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ تَخْصِيصًا وَهُوَ مَذْهَبُنَا فَبَقِيَ حُكْمُ آيَةِ فِي الْحَامِلِ وَالْمَرْءِ إِذَا خَافَتْ عَلَى وَلَدِهَا وَسَمَاءُ اللَّهِ تَطَوُّعًا وَقَالَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فَفَكَرَ خَيْرًا فَدَخَلَ فِيهِ الْإِطْعَامُ وَالصَّوْمُ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ هُوَ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْءِ الْكَبِيرِ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أُثْبِتَ فِي الْحَبْلِ وَالْمَرْءِ وَقَالَ الدَّارِقُطِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا يَطْعَمُ كُلَّ يَوْمٍ مَسْكِينًا نِصْفَ صَاعٍ مِنْ حِنْطَةٍ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ إِذَا خَيْرَ الْعَبْدِ فَقَدْ حَيْرَهُ فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ الْعِبَادِيَّةُ فَلَا يَتَصَرَّفُ إِلَّا بِحُكْمِ الْأَضْطْرَّارِ وَالْجَبْرِ وَالتَّخْيِيرِ نَعْتِ السَّيِّدِ مَا هُوَ نَعْتُ الْعَبْدِ وَقَدْ أَقَامَ السَّيِّدُ عِبْدَهُ فِي التَّخْيِيرِ اخْتِبَارًا وَابْتِلَاءً لِيَرَى هَلْ يَقِفُ مَعَ عِبَادِيَّتِهِ أَوْ يَخْتَارُ فَيَجْرِي فِي الْأَشْيَاءِ مَجْرَى سَيِّدِهِ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مَجْبُورٌ فِي اخْتِيَارِهِ مَعَ كَوْنِ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ سَيِّدِهِ فَكَانَ لَا يَزُولُ عَنْ عِبَادِيَّتِهِ وَلَا يَتَشَبَّهُ بِرَبِّهِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ التَّخْيِيرَ فَمَنْ الْعَبِيدُ مِنْ حَارٍ وَلَا يَدْرِي مَا يَرْجَحُ وَمَنْ الْعَبِيدُ مَنْ قَالَ إِنَّ رَبِّي يَقُولُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرُ فَنَفَى فَأَنَا وَاقِفٌ مَعَ النَّفْيِ فَلَا أُخْرِجُ عَنْ عِبَادِيَّتِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ رَبِّي يَقُولُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ ذَوَاتِهِمْ بَلْ أَنَا أُنَجِّتُ لَهُمُ التَّصَرُّفَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ اخْتَرْتُ لَهُمْ ذَلِكَ وَعَيَّنْتُ لَهُمْ مَحَالَهَا وَمِنْ مَحَالِهَا مَا جَاءَ فِي هَذِهِ آيَةِ مِنَ التَّخْيِيرِ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ وَبَعْضُ الْكُفَّارَاتِ وَلَمَّا نَبِهَ عِبَادَهُ عَلَى أَنَّ الصَّوْمَ خَيْرٌ لَهُمْ إِذَا اخْتَارُوهُ أَبَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْأَفْضَلِيَّةِ لِيَرْجَحُوا الصَّوْمَ عَلَى الْفِطْرِ فَكَانَ هَذَا مِنْ رَفَقَةٍ سَبَّحَانَهُ بِهِمْ حَيْثُ أزال عَنْهُمْ الْحَيْرَةَ فِي التَّخْيِيرِ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ التَّرْجِيحِ وَمَعَ هَذَا فَالْإِبْتِلَاءُ لَهُ مَصْحَابٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فَعَلٌ مَا رَجَحَهُ لَهُ بَلْ أَبْقَى لَهُ الْإِخْتِيَارَ عَلَى بَابِهِ وَلِذَلِكَ لَا يَأْتُمُ بِالْإِفْطَارِ فَمَنْ صَامَهُ فَقَدْ أَدَّى وَاجِبًا فَإِنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِ فَعَلٌ أَحَدُهُمَا لَا عَلَى التَّعْيِينِ فَإِذَا عَيَّنَهُ الْمَكْلَفُ وَهُوَ الْعَبْدُ تَعَيَّنَتِ الْفَرِيضَةُ فِيهِ وَهُوَ فِي أَصْلِهِ مَخِيرٌ فِيهِ فَهُوَ يَشْبَهُ صَوْمَ التَّطَوُّعِ فَيَحْصُلُ لِلْعَبْدِ الَّذِي هَذَا حَالُهُ إِذَا صَامَهُ أَجْرُ الْفَرَضِ وَأَجْرُ التَّطَوُّعِ وَأَجْرُ الْمَشَقَّةِ فَهُوَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَأَكْثَرُ مِنَ الَّذِي يُوَدِّي الْوَاجِبَ غَيْرَ الْمَخِيرِ وَكَذَلِكَ الْأَجْرُ فِي الْكُفَّارَاتِ الْمَخِيرِ فِيهَا أَجْرُ الْوَاجِبِ وَأَجْرُ التَّطَوُّعِ وَهَذَا مِنْ كَرَمِ اللَّهِ فِي التَّكْلِيفِ اتَّهَى الْجُزْءَ السَّابِعَ وَالْخَمْسُونَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وصل في فصل تبييت الصيام في المفروض والمندوب إليه)

خرج النسائي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها إن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له يكتب له

الصيام من حين بيوت من أول الليل كان أو وسطه أو آخره فيتفاضل الصائمون في الأجر بحسب التيسير ويؤيد ذلك الوصال فكما يكتب له في إيصال يومه بالطرف الأول من ليله يكتب له في اتصال طرفه الآخر من ليله بيومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر وسيرد الكلام في الوصال والسحور في هذا الباب فإن في هذا الحديث أعني من كان مواصلاً إشعاراً بالترغيب في أكلة السحور فالليل أيضاً في الوصال محل للصوم ومحل للفطر فصوم الليل على التحخير كصوم التطوع في اليوم والصوم لله في الزمانين فإنه يتبع الصائم ففي أي وقت انطلق عليك اسم صائم فإن الصوم لله وهو بالليل أوجه لكونه أكثر نسبة إلى الغيب والحق سبحانه غيب لنا من حيث وعدنا برويته وهو من حيث أفعاله وآثاره مشهود لنا والحق على التحقيق غيب في شهود وكذلك الصوم غيب في شهود لأنه ترك والترك غير مرئي وكونه منوياً فهو مشهود فإذا نواه في أي وقت نواه من الليل فلا ينبغي له أن يأكل بعد النية حتى تصح النية مع الشروع فكل ما صام فيه من الليل كان بمنزلة صوم التطوع حتى يطلع الفجر فيكون الحكم عند ذلك لصوم الفرض فيجمع بين التطوع والفرض فيكون له أجرهما ولما كان الصوم لله وأراد أن يتقرب العبد بدخوله فيه واتصافه به إلى الله تعالى كان الأولى أن يبيته من أول الثلث إلى آخر من الثلث الأول أو الأوسط فإن الله يتجلى في ذلك الوقت في نزوله إلى السماء الدنيا فيتقرب العبد إليه بصفته وهو الصوم فإن الصوم لا يكون إلا لله إذا انصف به العبد وما لم ينصف به العبد لم يكن ثم صوم يكون لله فإنه في هذا الموطن كالقمرى لنزول الحق إليه وعليه ولما كان الصيام بهذه المثابة كما ذكرناه تولى الله جزاءه بأنانيته لم يجعل ذلك لغيره كما كان الصيام من العبد لله من غير واسطة كان الجزاء من الله للصائم من غير واسطة ومن يلقي سيده بما يستحقه كان إقبال السيد على من هذا فعلة أتم إقبال لأن السيد ظهر في هذا الموطن ظهور مستفيد فقابله بنفسه ولم يكمل كرامته لغيره فإن الله غنيتي عن العالمين

(وصل في فصل في وقت فطر الصائم)

خرج مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا فلان أنزل فاجدح لنا قال يا رسول الله إن عليك نهاراً قال أنزل فاجدح لنا قال فنزل فاجدح فأناه به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال إذا غابت الشمس من هاهنا وجاء الليل من هاهنا فقد أفطر الصائم فسواء أكل أو لم يأكل فإن الشرع أخبر أنه قد أفطر أي أن ذلك ليس بوقت للصوم وأنه بالغروب تولاه الاسم الفاطر وإتيان الليل ظهور سلطان الغيب لا ظهور ما في الغيب فجاء ليستمر ما كانت شمس الحقيقة كشفته غيرة لعدم احترام المكاشفين لما عاينوه من شعائر الله وحرمانه فإن البصر قد أدرك ما لو اعتبر في شيء منه ما وفي بما يجب عليه من التعظيم الإلهي له فلما قلت الحرمة منهم ستره الليل غيرة فدخل في غيب الليل غير أن الإنسان إذا دخل في الغيب وانصف به أدرك ما فيه من علوم الأنوار لا من علوم الأسرار وعلوم الأنوار هو كل علم يتعلق به منافع الأكوان كلها كما إن الليل إذا جاء ظهرت بمجيئه أنوار الكواكب والله جعلها لتهدي بها في ظلمات البر والبحر وهما علم الإحسان وعلم الحياة وعلوم الأسرار خفيت عن أبصار الناظرين وهي غيب الغيب

فصار الغيب على هذا فيه ما يدرك به وفيه ما لا يدرك ولما قال صلى الله عليه وسلم فقد أفطر الصائم فالأولى بالصائم أن يجعل الفطر عند الغروب بعد صلاة المغرب فإنه أولى لأن الله جعل المغرب وتر صلاة النهار فينبغي أن يؤديها بالصفة التي كان عليها بالنهار وهو الإمساك عن الطعام والشراب واستحب له إذا فرغ من الفريضة أن يشرع في الإفطار ولو على شربة ماء أو تمر قبل النافلة فإن فاعل ذلك لا يزال بخير خرج مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر فسمى الأكل أو الشرب فطرا مع أنه قال عنه إنه أفطر بمجيء الليل وغروب الشمس فجمع بالأكل بين فطرين ففطر بالفعل وفطر بالحكم فمن قال بالمنهوم يرى أنه إذا لم يفطر بالأكل زال عنه الخير الذي كان يأتيه بالأكل لو أكل معجلا فإنه إذا أخر لم يحصل على ذلك الخير الذي أعطاه التعجيل وكان محروما خاسرا في صفتته ثم إنه تفوته الفرحة التي للصائم عند فطره أي يفوته ذوقها وحلاوتها وهي لذة الخروج من الجبر إلى الاختيار ومن الجبر إلى السراح ومن الضيق إلى السعة وهو المقام الحمدي والبقاء في الحجر مقام يوسفى جاء الرسول ليوسف من العزيز بالخروج من السجن فقال يوسف ارجع إلى ربك فسئل ما بال النسوة فلم يخرج واختار الإقامة في السجن حتى يرجع إليه الرسول بالجواب وإن كان مطابقا لدخوله في السجن فإنه دخله عن محبة واستصحابه تلك الحالة وهو قوله رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَكَانَتْ مَحَبَّةَ إِضَافَةٍ لَمْ تَكُنْ مَحَبَّةَ حَقِيقَةٍ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ لَوْ كُنْتُ أَنَا لِأَجَبْتُ الدَّاعِيَ يَقُولُ سَارَعْتُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ السِّجْنِ لِأَنَّ مَقَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي السَّعَةَ فَإِنَّهُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَمَنْ كَانَ رَحْمَةً لَا يَحْتَمِلُ الضِّيقَ فَلِهَذَا قَلْنَا بِلَذَّةِ فِطْرِ الصَّائِمِ إِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدِي لَا يُوسُفِي وَإِنَّمَا قَلْنَا بِتَعْجِيلِ الصَّلَاةِ فِيْفِطْرِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ وَقَبْلَ التَّنْفُلِ فَإِنَّهُ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا قَدِمْنَا عَلَى الْفِطْرِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَإِنْ كَانَتْ لِلْعَبْدِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ وَالْفِطْرَ حَقُّ نَفْسِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِلشَّخْصِ الَّذِي مَاتَتْ أُمُّهُ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَهُ عَنْهَا فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دِينَ أَكْمَتَ تَقْضِيَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَحَقُّ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَقْضَى فَقَدِمَ حَقُّ اللَّهِ وَجَعَلَهُ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ مِنْ حَقِّ الْمَخْلُوقِ وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي عَطِيَّةٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ فَقَلْنَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدُهُمَا يُعْجِلُ الْإِفْطَارَ وَيُعْجِلُ الصَّلَاةَ وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْإِفْطَارَ وَيُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ قَالَتْ أَيُّهُمَا الَّذِي يُعْجِلُ الْإِفْطَارَ وَيُعْجِلُ الصَّلَاةَ قَالَ قَلْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَتْ كَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ أُسُوءَ بَيَاسَى بِهِ فَقَالَ تَعَالَى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءٌ حَسَنَةً فَكَانَ يَفْطِرُ بِأَنْ يَشُقَّ أَمْعَاءَهُ بِشَيْءٍ مِنْ رَطْبٍ أَوْ تَمْرٍ أَوْ حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلِيَ الْمَغْرَبَ وَبَعْدَ الصَّلَاةِ كَانَ يَأْكُلُ مَا قَدَرَهُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْطِرُ عَلَى رَطْبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلِيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَطْبَاتٍ فَعَلَى تَمْرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ فَقَدِمَ الرُّطْبَ لِأَنَّهُ أَحَدَثَ عَهْدَ بَرِّهِ مِنَ التَّمْرِ كَمَا فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَطْرَحِينَ نَزَلَ بَرَزَ بِنَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَحَسَرَ الثُّوبَ عَنْهُ حَتَّى أَصَابَهُ الْمَطَرُ فَسَأَلَ عَنْ فِعْلِهِ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدَ بَرِّهِ

(وصل في فصل صيام سر الشهر)

اعلم أنه صوم يوم ورد به الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وروناه من طريق أبي داود عن عبد الله بن العلاء عن المغيرة بن قرة قال قال معاوية في الناس يوم مسجل الذي على باب حمص فقال يا أيها الناس إنا قد رأينا الهلال يوم كذا وكذا وأنا متقدم بالصوم فمن أحب أن يفعل فليفعله قال فقام إليه مالك بن هبيرة السبلي فقال يا معاوية أشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء من رأيك قال فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صوموا الشهر وسره فاعلم إن السر ضد الشهرة وبها سمي الشهر شهرا لاشتهاره وتمييزه واعتناء المسلمين به وأصحاب تسيير الكواكب فرغب في الصوم في حال السر والإعلان واعلم أن سر الشهر هو الوقت الذي يكون فيه القمر في قبضة الشمس تحت شعاعها كذلك العبد إذا أقيم في مشهد من مشاهد القرب الذي تطلبه عيون الأكوان فيه فلا تبصره وذلك مقام الأخفاء الأبرياء الذين لم يميزوا في العامة في هذه الدار تحققا بصفة سيدهم حيث لم يجعل سيلا إلى رؤيته في هذه الدار لحصول دعاوى الكون في المرتبة الإلهية فقالوا ينبغي أن لا يظهر إلا بظهور مولانا وذلك في الآخرة حيث يقول لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ فلا يجرا أحد يدعيه فهناك تظهر هذه الطبقة أن لله أخفاء في عبادته وذنائب اكتنفهم في صونه فلما تشبهوا بسيدهم في هذه الصفة من الستور وعدم الظهور لزمهم صوم سر الشهر فإن الصوم صفة صمدانية فاتصفوا بصفة الحق في هذا التقريب كما اتصفوا به في الإعلان في صوم الواجب كشهر رمضان فإنه ظهر هناك باسمه رمضان وسمي به الشهر حجابا عنه تعالى والعامة تقول صمت رمضان والعارف يقول شهر رمضان معلنا فإن الله قال لهم فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ وَهُوَ إِعْلَانٌ رَمَضَانَ وَشَهْرُهُ فَلْيَصُمْهُ إِلَّا الْمَسَافِرُ فَإِنَّ الْمَسَافِرَ إِلَيْهِ يَسَافِرُ لِيَشْهَدَهُ فَمَا هُوَ فِي حَالِ شَهَادَةٍ فِي وَقْتِ سَفَرِهِ وَالْمَرِيضُ مِثْلُ عَنِ الْحَقِّ لِأَنَّ الْمَرِيضَ النَّفْسِيَّ يَمِيلُ النَّفْسَ إِلَى الْكُفْرِ فَلَمْ يَشْهَدْ الشَّهْرَ وَالْحَيْضُ كَذِبُ النَّفْسِ وَلِذَلِكَ هُوَ أَذَى فِي الْحَلِّ يَنَاقِي الطَّهَارَةَ الَّتِي تَوْجِبُ الْقُرْبَ وَهُوَ الصَّدَقُ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَذَبَ الْكُذْبَةَ تَبَاعَدَ مِنْهُ الْمَلِكُ ثَلَاثِينَ مِيلًا مِنْ نَتْنٍ مَا جَاءَ بِهِ فِجَاءَ بِالثَّلَاثِينَ الَّذِي هُوَ كَمَالُ عِدَّةِ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ الَّذِي اسْتَسْرَى فِي شِعَاعِ الشَّمْسِ فَكَانَتْ الْحَائِضُ بَعِيدَةً مِنْ شَهَادَةِ الشَّهْرِ لَمَّا ذَكَرْنَا هَذَا الْحَقَّ سَبْحَانَهُ لَا يَقْرُبُ عَبْدَهُ إِلَّا لِيَمْنَحَهُ وَيُعْطِيَهُ ثُمَّ يَبْرُزُهُ إِلَى النَّاسِ قَلِيلًا قَلِيلًا لئلا يبهرهم بهاء نور ما أعطاه لضعف عيون بصائرهم رحمة بالعامة فلا يزال يظهر لهم قليلا قليلا فلا يبدي لهم من العلم بالله الذي أعطاه في حال ذلك السرار إلا قدر ما يعلم أنه لا يذهلهم إلى أن تعاد عيون بصائرهم إلى أن يظهر لهم في صورة كمال الأعطية بالخلعة الإلهية وهو قوله من يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ فَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي كَانَ حَصَلَ لَهُ لَيْلَةُ السَّرَارِ فِي حَضْرَةِ الْغَيْبِ مِنْ وَجْهِ بَاطِنِهِ فَإِنَّ ضَوْءَ الْبَدْرِ كَانَ فِي السَّرَارِ مِنَ الشَّمْسِ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ فِي حِينَ الْمَسَامَةِ وَالظَّاهِرِ لَا نُورَ فِيهِ وَفِي لَيْلَةِ الْإِبْدَارِ يَنْعَكِسُ الْأَمْرُ فَيَكُونُ الظُّهُورُ بِالْأَسْمِ الظَّاهِرِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْحَقُّ مَعَ عَامَةِ عِبَادِهِ أَحْتَجِبَ عَنْهُمْ غَايَةَ الْحِجَابِ كَالسَّرَارِ فِي الْقَمَرِ فَلَمْ يَدْرِكُوهُ فَقَالَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ رَحْمَةً بِهِمْ فَلَمْ يَجِدُوا فِي أَذْهَانِهِمْ وَلَا فِي طَبَقَاتِ أَحْوَالِهِمْ مَا يَذْهَلُهُمْ فِجَاءَ سَرَا فِي رَحْمَةِ حِجَابِ هَذِهِ الْآيَةِ وَهَذَا غَايَةَ نَزُولِ الْحَقِّ إِلَى عِبَادِهِ فِي مَقَامِ الرَّحْمَةِ لَهُمْ ثُمَّ اسْتَدْرَجَهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمِثْلِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَقُلْ

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ وَقَوْلُهُ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى إِلَى أَنْ تَقُوتَ أَنْوَارَ بَصَائِرِهِمْ بِالْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْوَأُ بِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ تَجْلَى لَهُمْ فِي الْمَعْرِفَةِ التَّامَةِ النَّزِيهَةِ الَّتِي لَوْ تَجَلَى لَهُمْ فِيهَا فِي أَوَّلِ الْحَالِ لَهَلَكُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فَقَبِلُوهُ وَلَمْ يَنْفَرُوا مِنْهُ وَنَسُوا حَالَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَكَانَ بَقَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ يَقْطَعُ الْيَاسَ لِرَفْعِ الْمُنَاسِبَةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ لَا تَرَى أَهْلَ الْمَيْتِ تَنْقَطِعُ وَحِشْتُهُمْ مِنْ مَيْتِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَهُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَبْقَى لَهُمْ حُزْنٌ وَأَهْلُ الْغَائِبِ لَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْسُوا مِنْ لِقَائِهِ وَكُتِبَ وَأَخْبَارُهُ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَعَ الْآثَاتِ إِلَى وَقْتِ اللَّقَاءِ عِنْدَ قُدُومِهِ فَسَبَّحَانَ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّنَا نَعْقِلَ عَنْهُ فَلَمَثَلُ هَذَا وَقَعُ صِيَامُ سِرِّ الشَّهْرِ وَالشَّهْرُ مَثَلًا مُضِرٌّ وَالْمَنْ يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ فِي صِيَامِ سِرِّ الشَّهْرِ مَقَامَ جَمْعِيَةِ الْهَمَّةِ عَلَى اللَّهِ حَتَّى لَا يَرَى غَيْرَ اللَّهِ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي لِأَنَّهُ فِي تَجَلٍّ خَاصٍ بِهِ وَهَذَا أَضَافَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَبِّي وَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ وَلَا الرَّبَّ وَمَا يُؤَيِّدُ قَوْلَنَا إِنَّهُ يَرِيدُ بِصَوْمِ السِّرِّ مِنَ الشَّهْرِ الْجَمْعِيَةِ تَحْضِيضَهُ وَتَحْرِيزَهُ عَلَى صَوْمِ سِرِّ شَعْبَانَ وَأَنْ يَقْضِيَهُ مِنْ فَاتِهِ فَإِنَّ شَعْبَانَ مِنَ التَّقْرِيقِ وَهَذَا قِيلَ إِنَّهُ مَا سَمِيَ هَذَا الشَّهْرُ بِلَفْظِ شَعْبَانَ إِلَّا لِتَفْرِيقِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ فِيهِ وَكَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ فَالْشُّعُوبُ فِي الْأَعْجَمِ كَالْقَبَائِلِ فِي الْعَرَبِ أَيَّ فَرَقَكُمْ شُعُوبًا وَمِيزَ قَبِيلَةً مِنْ قَبِيلَةٍ وَسَمِيَتْ الْمُنِيَّةُ شُعُوبًا لِأَنَّهَا تَفْرُقُ بَيْنَ الْمَيْتِ وَأَهْلِهِ فَكَانَ صِيَامُ سِرِّ شَعْبَانَ أَكْثَرُ مِنْ صِيَامِ سِرِّ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّقْرِيقِ خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ هَلْ صَمْتٌ مِنْ سِرِّ هَذَا الشَّهْرِ شَيْئًا قَالَ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَفْطَرْتَ مِنْ رَمَضَانَ فَصُمْ يَوْمَيْنِ مَكَانَهُ وَفِي طَرِيقٍ أُخْرَى أَيْضًا الْمُسْلِمُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ هَلْ صَمْتٌ مِنْ سِرِّ شَعْبَانَ وَفِي هَذَا الْفَصْلِ عِلْمٌ وَأَسْرَارٌ إلهية يعرفها من تحقق بما نهينا عليه وأسعد الناس بذلك أهل الاعتبار من الذين يراعون تسيير الشمس والقمر لحفظ أوقات العبادات فإن معرفة منزلة القمر والشمس في ضرب المثل من أعظم الدلائل على العلم الإلهي الذي يختص بالكون والإمداد الرباني والحفظ لبقاء أعيان الكائنات وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أي حاضر فيما يلقي إليه المنخب فيمثله نصب عينيه فكانه يشاهده فإنه خبر صدق جاء به صادق أمين

يجبر عن كل ما يكون	جاء به صادق أمين
من كل صعب وما يهون	في كل كون بكل وجه
معنى وما تدرك العيون	مما تراه القلوب كشفا

جاء به من رب الدار يعلمه بما أودع فيها من كل شيء ملجج قال تعالى وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

(وصل في فصل في حكمة صوم أهل كل بلد برويتهم)

خرج مسلم في صحيحه عن كريب إن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على

رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال أنت رأيته فقلت نعم وراه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلانزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت أ ولا تكفني برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدنك وقواك بلدك وإقليمك و عالمك رعيك وأنت مخاطب بالتصرف فيهم بالقدر الذي حد لك الحق في شرعه وأنت الراعي المسؤول عنهم لا غيرك فإن الله ما كلف أحدا إلا بحاله ووسع ما كلف أحدا مجال أحد ف كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ و كلُّ نَفْسٍ بُجَادِلٌ عَن نَفْسِهَا و كلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ فإذا طلع هلال المعرفة في قلبك من الاسم الإلهي رمضان فقد دعاك في ذلك الطلوع إلى الانصاف بما هو له وهو الصوم فأمرك بتقييد جوارحك كلها الظاهرة و تقييد قواك الباطنة وأمرك بقيام ليلة و رغبتك فيه وهو المحافظة على غيبه وجعل لك فيه فطرا في أول الليل وأمرك بالتعجيل به و غداء في آخره وأمرك بتأخير ذلك إلى أن يكون في التأخير بمنزلة من قال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع وذلك لحكمة التحقق بالاسم الآخر في ليل رمضان كما كنت في يومه فإنك بين طرفي تحليل و تحريم فما خاطبك الحق إلا منك و لا خاطبك إلا بك و هكذا مع كل مكلف في العالم من ملك و جن و إنسان بل من كل مخلوق حال ذلك المخلوق ينزل الحكم عليه بصفة الكلام سواء ضم ذلك الكلام حروف هجاء أو لم تضمه هو عين الكلام الإلهي في العالم إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و لقد أنطقني سبحانه في ذلك بما أنا ذاكره من الآيات إن شاء الله تعالى

بغير حرف من الهجاء	ناداني الحق من سمائي
بكل حرف من الهجاء	ثم دعاني من أرض كوني
فلا تعرج على سوائي	و قال لي كله كلامي
فإنه غاية التناهي	و لا ترى أن ثم غيري

فلما علمت أنه لكل بلد رؤية و ما وقف حكم بلد على بلد علمت إن الأمر شديد و إن كل نفس مطلوبة من الحق في نفسها لا تجزى نفس عن نفس شيئا و إن قلب الإنسان في العبادة من وجه بذاته و من وجه بره ليس لغيره فيه مسأخ و لا دخول و أراني ذلك في واقعة فاستيقظت من منامي و أنا أحرك شفقتي بهذه الآيات التي ما سمعتها قبل هذا الإلاني و لا من غيري و هي هذه

و لم يكن ذاك من كلامي	قال لي الحق في منامي
وقتا أنا جيك في مقامي	وقتا أنا ديك في عبادي
في كنف الصون والذمام	و أنت في الحالتين عندي
و من زكاة إلى صيام	فمن صلاة إلى زكاة

و من حلال إلى حرام و من حرام إلى حلال
كمثل مقصورة الخيام وأنت في ذا وذاك مني

فلو علم الإنسان من أي مقام ناداه الحق تعالى بالصيام في قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّهُ الْمَخَاطَبُ فِي نَفْسِهِ وَحَدَهُ بِهَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ فَإِنَّهُ قَالَ يُصْبِحُ عَلَيَّ كُلِّ سَلَامِي مِنْكُمْ صَدَقَةٌ فَجَعَلَ التَّكْلِيفَ عَامًا فِي الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي عُرُوقِهِ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ جَوَارِحِهِ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلسانِهِ وَيَدِهِ وَبَطْنِهِ وَرِجْلِهِ وَفَرْجِهِ وَقَلْبِهِ الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ ظَاهِرِهِ وَإِنْ كُلُّ جَارِحَةٍ مَخَاطَبَةٌ بِصَوْمٍ يَخْضَعُهَا مِنْ إِمْسَاكِهَا فِيمَا حَجَرَ عَلَيْهَا وَمَنْعَتِ مِنَ التَّصْرِيفِ فِيهِ بِقَوْلِهِ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ نَادَاكَ مِنْ كَوْنِكَ مُؤْمِنًا مِنْ مَقَامِ الْحِكْمَةِ الْجَامِعَةِ لِتَقْفَ بِتَفْصِيلِ مَا يَخَاطَبُكَ بِهِ عَلَى الْعِلْمِ بِمَا أَرَادَهُ مِنْكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ فَقَالَ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ أَيُّ الْإِمْسَاكِ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَعْنِي الصَّوْمَ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ صَوْمٌ فَإِنْ كَانَ أَيْضًا يَعْنِي بِهِ صَوْمَ رَمَضَانَ بَعِينَهُ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ غَيْرَ أَنَّ الَّذِينَ قَبَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ زَادُوا فِيهِ إِلَى أَنْ بَلَغُوا بِهِ خَمْسِينَ يَوْمًا وَهُوَ مِمَّا غَيَّرُوهُ وَقَوْلُهُ كَمَا كُتِبَ أَيُّ فَرَضَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَهُمْ الَّذِينَ هُمْ لَكُمْ سَلَفٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ وَأَنْتُمْ لَمْ تَخْلَفْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيُّ تَتَّخَذُوا الصَّوْمَ وَقَايَةَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَنَّ الصَّوْمَ جَنَّةٌ وَالْجَنَّةُ الْوَقَايَةُ وَلَا يَتَّخَذُوهُ وَقَايَةَ إِلَّا إِذَا جَعَلُوهُ عِبَادَةً فَيَكُونُ الصَّوْمُ لِلْحَقِّ مِنْ وَجْهِ مَا فِيهِ مِنَ التَّنْزِيهِ وَيَكُونُ مِنْ وَجْهِ مَا هُوَ عِبَادَةٌ فِي حَقِّ الْعَبْدِ جَنَّةٌ وَقَايَةُ مِنْ دَعْوَى فِيمَا هُوَ اللَّهُ لَالَهُ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَا مِثْلَ لَهُ فَهُوَ لِمَنْ لَا مِثْلَ لَهُ فَالصَّوْمُ لِلَّهِ لَيْسَ لَكَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ مَعْدُودَاتِ الْعَامِلِ فِي الْأَيَّامِ كُتِبَ الْأَوَّلُ بِلَا شَكٍّ فَإِنَّهُ مَا عِنْدَنَا بِمَا كُتِبَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِنَا هَلْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ يَوْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَاشُورَاءُ أَوْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَيُّامٌ وَالَّذِي كُتِبَ عَلَيْنَا إِنَّمَا هُوَ شَهْرٌ وَالشَّهْرُ إِذَا تَسَعَتْ وَعِشْرُونَ يَوْمًا وَإِنَّمَا ثَلَاثُونَ يَوْمًا بِمَجْسَبِ مَا نَرَى الْهَلَالَ وَالْأَيَّامُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ لَا غَيْرَ فَطَابِقُ لَفْظِ الْقُرْآنِ مَا أَعْلَمْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِدَدِ أَيَّامِ الشَّهْرِ فَقَالَ الشَّهْرُ هَكَذَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ يَعْنِي عَشْرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ قَالَ وَهَكَذَا يَعْنِي عَشْرَةَ أَيَّامٍ وَهَكَذَا وَعَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّلَاثَةِ يَعْنِي تِسْعَةَ أَيَّامٍ وَفِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى لَمْ يَعْقِدِ الْإِبْهَامَ فَأَرَادَ أَيْضًا عَشْرَةَ أَيَّامٍ وَذَلِكَ لَمَّا قَالَ تَعَالَى أَيُّامًا مَعْدُودَاتٍ عِدَدِ الشَّارِعِ أَيَّامِ الشَّهْرِ بِالْعِشْرَاتِ حَتَّى يَصِحَّ ذِكْرُ الْأَيَّامِ مُوَافِقًا لِلَّهِ فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا لَكَانَ كَمَا قَالَ فِي الْإِبْلَاءِ لَعَائِشَةَ قَدْ يَكُونُ الشَّهْرُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَلَمْ يَقُلْ هَكَذَا وَهَكَذَا كَمَا قَالَ فِي عِدَدِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ أَرَادَ مُوَافَقَةَ الْحَقِّ تَعَالَى فِيمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ ثُمَّ قَالَ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ فَآتَى بِذِكْرِ الْأَيَّامِ أَيْضًا وَأَشَارَ إِلَى الْمَخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ مِنْكُمْ وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا مَرِيضًا يَعْنِي فِي حِسْبِ الْحَقِّ أَوْ عَلَى سَفَرٍ وَهُمْ أَهْلُ السَّلُوكِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ فِي الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ وَالسَّفَرِ مِنَ الْأَسْفَارِ وَهُوَ الظُّهُورُ لِأَنَّهُ سَمِيَ السَّفَرُ سَفَرًا لِأَنَّهُ يَسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فِيهِ فَاسْفَرَ لِمَنْ هُوَ الْمَقَامُ وَالْحَالُ فِي هَذَا السَّلُوكِ إِنْ الْعَمَلُ لَيْسَ لَهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِيهِ وَإِنَّمَا اللَّهُ هُوَ الْعَامِلُ بِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يَعْنِي فِي وَقْتِ الْحِجَابِ فَإِنَّهَا أَيُّامٌ أُخَرَ حَتَّى يَجِدَ التَّكْلِيفَ مَحَلًّا يَقْبَلُهُ بِالْوَجُوبِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ هَذَا الْبَابِ فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ ثُمَّ قَالَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَقُولُ مَنْ يُطِيقُ الصَّوْمَ

قد خيرانه بين الصوم والإطعام فانتقل من وجوب معين إلى وجوب غير معين عند المكلف وإن كان محصوراً وقد علم الله ما يفعل المكلف من ذلك فالحق بالتطوع فإن كل واحد منهما غير واجب بعينه فأى شيء اختار كان تطوعاً منه به إذ له أن يختار الآخر دونه ثم رجع الله له الصوم الذي هو له ليقوم به إذ صفة الصوم من حيث ما هي عبادة لا مثل له فإن قلت فالإطعام صفة أيضاً فإنه المطعم قلنا لو ذكر الإطعام دون الفدية لكان ولما قرن بالإطعام الفداء وأضافه إليه كان كان المكلف وجب عليه الصوم والله لا يجب عليه شيء في الأدب الوضعي الحقيقي إلا ما أوجبه على نفسه ومن حصل تحت حكم الوجوب فهو ما سور تحت سلطانه فتعين الفداء وكان الإطعام فراعى الله الصوم هناك فجعله خيراً له فإنه صفة ألا تراه يقول وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ من أسرار الهلاكِ إِنَّ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ قد تكون أن هنا بمعنى ما يقول ما كنتم تعلمون أن الصوم خير من الإطعام لولا ما أعلمتكم ويكون معناها أيضاً إن كنتم تعلمون الأفضل فيما خيرتكم فيه فقد أعلمتكم يعني مرتبة الصوم مرتبة الإطعام ثم قال شَهْرُ رَمَضَانَ يَقُولُ شَهْرُ هَذَا الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي هُوَ رَمَضَانَ فَأَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْمَاءِ رَمَضَانَ وَهُوَ اسْمٌ غَرِيبٌ نَادِرٌ الَّذِي أُتْرِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ يَقُولُ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِصَوْمِهِ عَلَى التَّعْيِينِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ هُدًى أَيْ بَيَاناً لِلنَّاسِ وَالْقُرْآنُ الْجَمْعُ فَهَذَا جَمْعُ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ فِي الصِّفَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ وَهِيَ الصُّومُ فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ تَنْزِيهِ فَهُوَ لِلَّهِ فَإِنَّهُ قَالَ الصُّومُ لِي وَمِنْ كَوْنِهِ عِبَادَةٌ فَهُوَ لَكَ هُدًى أَيْ بَيَاناً لِلنَّاسِ عَلَى قَدَرِ طَبَقَاتِهِمْ وَمَا رَزَقُوا مِنَ الْفَهْمِ عَنْهُ فَإِنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ شَرْباً فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ وَبَيِّنَاتٍ فَكُلِّ شَخْصٍ عَلَى بَيِّنَةٍ تَخْصُهُ بِقَدَرِ مَا فَهَمَ مِنْ خُطَابِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْهُدَى وَهُوَ التَّبَيُّانُ الْإِلَهِيُّ وَالْفُرْقَانُ فَإِنَّهُ جَمَعَكَ أَوْلاً مَعَهُ فِي الصُّومِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ فَرَّقَكَ لِتَمَيِّزِ عَنْهُ بِالْفُرْقَانِ فَأَنْتَ أَنْتَ وَهُوَ هُوَ فِي حُكْمِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ اسْتِعْمَالِكِ فِيهِمَا هُوَ لَهُ وَهُوَ الصُّومُ فَهُوَ لَهُ مِنْ بَابِ التَّنْزِيهِ وَهُوَ لَكَ عِبَادَةٌ لَا مِثْلَ لَهَا فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ يَقُولُ فليمسك نفسه في هذه الشهرة يعني ينزهها بالذلة والافتقار حتى تعظم فرحته عند الفطر ومن كان مريضاً ماثلاً والمرض الميل أو محبوساً فإن المريض في حبس الحق أو على سفر سلوك في الأسماء الإلهية عم ذوق أو مسافراً عنه إلى الأكوان فعدة من أيامٍ آخر . . . أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ لَا يَزَادُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ فِيمَا خَاطَبَكُمْ بِهِ مِنَ الرِّفْقِ فِي التَّكْلِيفِ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَهُوَ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ أَكَّدَ بِهَذَا الْقَوْلِ قَوْلَهُ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فَعَرَفَ الْيُسْرَ هُنَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ يُشِيرُ إِلَى الْيُسْرِ الْمَذْكُورِ الْمُنْكَرِ فِي سُورَةِ أَلَمْ نَشْرَحْ أَيْ ذَلِكَ الْيُسْرِ أَرَدْتَ بِكُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فِي عُسْرِ الْمَرِيضِ يَسِرُ الْإِفْطَارُ ثُمَّ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا عُسْرُ السَّفَرِ يُسْرًا يَسِرُ الْإِفْطَارُ أَيْضًا فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْمَرِيضِ أَوْ السَّفَرِ فَأَنْصَبْ نَفْسَكَ لِلْعِبَادَةِ وَهُوَ الصُّومُ يَقُولُ اقْضِهِ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ فِي الْمَعُونَةِ كَانَ شَيْخُنَا أَبُو مَدِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْأَكْوَانِ فَأَنْصَبْ قَلْبَكَ لِمَشَاهِدَةِ الرَّحْمَنِ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ فِي الدَّوَامِ وَإِذَا دَخَلْتَ فِي عِبَادَةٍ فَلَا تَحْدِثْ نَفْسَكَ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَلَا يَأْتِيهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ وَتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ بِرُؤْيَا الْهَلَالِ أَوْ بِتَمَامِ الثَّلَاثِينَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ تَشَهُدُوا لَهُ بِالْكَبْرِيَاءِ تَفَرِّدُوهُ بِهِ وَلَا تَنَازَعُوهُ فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ فَتَكْبِرُوهُ عَنْ صِفَةِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْإِعَادَةِ وَهُوَ هَوْنٌ عَلَيْهِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ وَاحْذَرِ مِنْ تَأْوِيلِكَ وَحَمَلِهِ عَلَيْكَ فَكَبِّرْهُ عَنِ هَذَا عَلَى مَا هَذَا كَمَا أَيْ وَفَقِّمْ لِمِثْلِ هَذَا وَبَيْنَ لَكُمْ مَا تَسْتَحِقُونَهُ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ تَعَالَى وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فَجَعَلَ ذَلِكَ نِعْمَةً يَجِبُ الشُّكْرُ

منا عليها لكوننا تقبل الزيادة و الشكر صفة إلهية فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ فَطَلِبْنَا بِهذه الصفة الزيادة لكونه شاكرا فإنه قَالَ لئنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ فنبهنا بما هو مضمون الشكر لنزيده في العمل وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي لكونك حاجب الباب فإتي قَرِيبٌ بما شاركناهم فيه من الشكر و الصوم الذي هولِي فأمرناهم بالصوم و عرفناهم أنه لنا ما هو لهم فمن تلبس به تلبس بما هو خاص لنا فكان من أهل الاختصاص مثل أهل القرآن هم أهل الله و خاصته أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ عَلَى بَصِيرَةٍ إِذَا دَعَانِ يَقُولُ كَمَا جَعَلْنَاكَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ جَعَلْنَا الدَّاعِيَ الَّذِي يَدْعُونَآ إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِّنْ إِجَابَتِنَا يَا هُمَا لِمَ يَمُرُّ بِكَ الْيَوْمَ مَا لَمْ يَمُرُّ بِكَ الْيَوْمَ مِن قَبْلُ لَمْ يَمُوتْ لَئِنَّكَ لَإِن مِّنْ أَجَلٍ لَّكَ يَوْمَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ أَنِ يُعْبُدُونَا فِدَعْوَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِي وَ فِي كِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ الَّتِي أَرْسَلْتُ رُسُلِي بِهَا إِلَيْهِمْ وَ أَكَّدَ ذَلِكَ بِالسِّينِ أَعْنِي الِاسْتِجَابَةَ لِمَا عَلَّمَ مِنْ إِبَاتِنَا وَ بَعْدَنَا عَنْ إِجَابَتِهِ لِي أَيْ مِّنْ أَجَلِي لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ رَجَاءَ تَحْصِيلِ مَا عِنْدِي فَتَكُونُونَ عِيدَ نِعْمَةٍ لَا عِيدِي وَ هُم عِيدِي طَوْعًا وَ كَرْهًا لَا انْفِكَآ لَهُمْ مِّنْ ذَلِكَ وَ لِيُؤْمِنُوا بِي يَصَدُقُوا بِإِجَابَتِي يَا هُم إِذَا دَعَوْنِي وَ لِيَكُنْ إِيمَانُهُمْ بِي لَا بِأَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهُمْ مِّنْ آمَنَ بِنَفْسِهِ لَا بِاللَّهِ لِمَ يَسْتَوْعِبُ إِيمَانَهُ مَا اسْتَحَقَّهُ فَإِذَا آمَنَ بِي وَ فِي الْأَمْرِ حَقَّهُ فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقِّهِ وَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَصَدَّقُ بِالْأَخْبَارِ كُلِّهَا وَ مَن آمَنَ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِمَا أَعْطَاهُ دَلِيلُهُ وَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ مَتَّفِقُ الدَّلَالَةِ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ تَشْبِيهِهِ وَ تَنْزِيهِهِ فَالَّذِي يُؤْمِنُ بِنَفْسِهِ يُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ يَكْفُرُ بِبَعْضٍ تَأْوِيلًا لَا رَدًّا فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيمَانَهُ بِعَقْلِهِ لَا بِي وَ مَن ادَّعَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِي مِنِّي فَمَا عَرَفْتِي وَ لَا آمَنَ بِي فَهُوَ عَبْدٌ يَكْذِبُنِي فِيمَا نَسَبْتُهُ إِلَى نَفْسِي بِجَسَنٍ عِبَارَةٍ فَإِذَا سَأَلَ يَقُولُ أَرَدْتُ التَّنْزِيهَ وَ هَذَا مِنْ حِيلِ النَّفُوسِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعِزَّةِ وَ طَلَبِ الْإِسْتِقْلَالِ وَ الْخُرُوجِ عَنِ الْإِتْبَاعِ لَعَلَّهُمْ يَرْتُدُّونَ أَيْ يَسْلُكُونَ طَرِيقَ الرُّشْدِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ اتَّخَذُوهُ سَبِيلًا فَيَمْشِي بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فَكَانَتْ إِجَابَةُ الْحَقِّ يَا هُم حِينَ دَعَا وَ نَهَاةَ طَرِيقِهِمْ إِلَى مَا فَرِحَتْ بِهِ نَفُوسُهُمْ مِنْ تَحْلِيلِ مَا كَانَ حَرْمًا عَلَيْهِمْ فِي حَالِ صَوْمِهِمْ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ إِلَى آخِرِهِ فَقَالَ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ أَي اللَّيْلَةَ الَّتِي انْتَهَى صَوْمُكُمْ إِلَيْهَا لَا اللَّيْلَةَ الَّتِي تَصْبِحُونَ فِيهَا صَائِمِينَ فَهِيَ صِفَةٌ تَصْحَبُكُمْ لِي لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ وَ لَوْ كَانَتْ إِضَافَةً لَيْلَةَ الصَّيَامِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ فِيهَا فَإِنَّكَ لَا تَصْبِحُ يَوْمَ الْعِيدِ صَائِمًا وَ لَوْ صَمِتَ فِيهِ لَكُنْتَ عَاصِيًا وَ لَا يَلِزِمُ هَذَا فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَإِنَّ الْأَكْلَ وَ أَمثاله كَانَ حَلَالًا قَبْلَ ذَلِكَ فَمَا زَالَ مُسْتَصْحَبَ الْحُكْمِ فَلِهَذَا جَعَلْنَاهُ لِلصَّوْمِ الْمَاضِي الرَّفْثُ يَعْنِي الْجَمَاعَ إِلَى نِسَائِكُمْ فَجَاءَ بِالنِّسَاءِ وَ لَمْ يَقُلْ الْأَزْوَاجَ وَ لَا غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي هَذَا الْأَسْمَ مَعْنَى مَا فِي النِّسَاءِ وَ هُوَ التَّأخِيرُ فَقَدْ كُنْ أَخْرَجْنَا عَنْ هَذَا الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ الْجَمَاعَ زَمَانَ الصَّوْمِ إِلَى اللَّيْلِ فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ زَالَ حُكْمُ التَّأخِيرِ بِالْإِحْلَالِ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ إِلَى مَا أَخْرَجْتُمْ عَنْهُ وَ أَخْرَجْنَا عَنْهُ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَن هُوَ مَحَلُّ الْوِطْءِ هُنَّ لِبَاسُكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسُ لَهْنِ أَيِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَكُمْ صَحِيحَةٌ مَا هِيَ مِثْلُ مَا تَلْبَسْتُمْ بِنَا فِي صَوْمِكُمْ حَيْثُ انْتَصَفْتُمْ بِصِفَةِ هِيَ لِي وَ هُوَ الصَّوْمُ فَلَسْتُمْ لِبَاسًا لِي فِي قَوْلِي وَ سَعْنِي قَلْبَ عَبْدِي وَ لَسْتُ لِبَاسًا لَكُمْ فِي قَوْلِي بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ فَإِنَّ اللَّبَاسَ يَحِيطُ بِالْمَلْبُوسِ بِهِ وَ يَسْتَرُهُ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ لِشَهَادَتِي عَلَيْكُمْ حِينَ قَبِلْتُمُ الْأَمَانَةَ لَمَّا عَرَضْتَهَا عَلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ فِي حَامِلِهَا إِنَّهُ كَانَ ظُلْمًا جَهْلًا جَهْلًا ظَلَمْنَا لِنَفْسِهِ بَأَن كَفَفْنَا مَا لَا يَدْرِي عِلْمَ اللَّهِ فِيهِ عِنْدَ حَمَلِهِ إِيَّاهَا جَهْلًا بِقَدْرِهَا وَ مَا يَتَعَلَّقُ مِنَ الدِّمِّ بِهِ إِذَا مَنَّ خَانَ فِيهَا وَ لَمَّا كَانَ الْجَهْلُ

أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا لَا يَدْرِي كَيْفَ يَضَعُ رِجْلَهُ وَلَا يَرَىٰ أَيْنَ يَضَعُ رِجْلَهُ قَالَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ لَمَّا حَجَرَ عَلَيْكُمْ فِيمَا حَجَرَهُ عَلَيْكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أَيُّ رَجَعِ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ أَيُّ بِالْقَلِيلِ الَّذِي أَبَاحَهُ لَكُمْ مِنْ زَمَانِ الْإِحْلَالِ الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَإِنَّمَا جَعَلَهُ قَلِيلًا لِبَقَاءِ التَّحْجِيرِ فِيهِ فِي الْمَبَاشَرَةِ لِلْمَعْتَكِفِ فِي الْمَسَاجِدِ بِإِخْلَافٍ وَفِي غَيْرِ الْمَسْجِدِ بِمُخْلَافٍ وَالْمَوَاصِلُ فَإِلَّا نَبَأْشِرُوهُنَّ وَهُوَ زَمَانُ الْفِطْرِ فِي رَمَضَانَ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَاطْلُبُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ حَتَّى تَعْلَمُوهُ فَتَعْمَلُوا بِهِ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا أَمْرًا بِإِعْطَاءِ مَا عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ حَقِّ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ إِقْبَالَ النَّهَارِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ إِدْبَارَ اللَّيْلِ مِنَ الْفَجْرِ الْإِنْفِجَارِ الضُّوئِ فِي الْأَفْقِ ثُمَّ أَنْمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تَبَأْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ فَأَبْقَى تَحْجِيرَ الْجَمَاعِ عَلَى مِنْ هَذِهِ حَالَتِهِ وَكَذَلِكَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ الَّذِي يَنْوِي الْوَصَالَ فِي صَوْمِهِ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَوَاصِلًا فَلْيُواصِلْ حَتَّى السَّحَرِ وَهُوَ إِخْتِلَاطُ الضُّوئِ وَالظُّلْمَةُ يَرِيدُ فِي وَقْتِ ظَهْرِ ذَنْبِ السَّرْحَانِ مَا بَيْنَ الْفَجْرِ وَالْمَسْتَطِيلِ وَالْمَسْتَطِيلِ وَوَأَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ وَرَأَى الْهَلَالَ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ الَّتِي أَمَرَ كُمْ أَنْ تَقْفُوا عِنْدَهَا فَلَا تَقْرُبُوهَا لِنَلَا تَشْرَفُوا عَلَى مَا وَّرَاءَهَا وَهَنَا عِلْمُ غَامِضٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ ذَوْقًا عِنَايَةِ إِلَهِيَّةٍ كَالْحَضَرِ وَغَيْرِهِ فَرَبَّمَا تَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ بُتُوْهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ أَيُّ دَلَالَتِهِ لِلنَّاسِ إِشَارَةً فَيَذْكَرُ بِهَا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ يَتَّخِذُونَ تِلْكَ الدَّلَائِلَ وَقَايَةَ مِنَ التَّقْلِيدِ وَالْجَهْلِ فَإِنَّ الْمَقْلَدَ مَا هُوَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَمَا هُوَ صَاحِبُ دَلَالَةٍ وَجَعَلَهُ بِمَعْنَى التَّرْجِيهِ لِأَنَّهُ مَا كُلُّ مَنْ رَزَقَ الدَّلِيلَ وَوَصَلَ إِلَى الْمَدْلُولِ وَحَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ وَفَقِيَ لِسْتِعْمَالِ مَا عِلْمُهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي غَابَتْهَا الْعَمَلُ

(وصل في فصل السحور)

خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْحَرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّحُورِ وَرَغِبَ فِيهِ بِمَا ذَكَرَ حَدِيثَ ثَانَ لِلسَّلْمِ وَخَرَجَ مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَصَلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السَّحُورِ حَدِيثُ ثَالِثٍ لِلنَّسَائِيِّ خَرَجَ لِلنَّسَائِيِّ عَنِ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى السَّحُورِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَالَ هَلُمُّوا إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ حَدِيثُ رَابِعٍ لِلنَّسَائِيِّ وَخَرَجَ النَّسَائِيُّ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ فَقَالَ إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا فَلَا تَدْعُوهَا حَدِيثُ خَامِسٍ لِلسَّلْمِ وَالبخاري خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْذَنَانِ بِلَالُ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ بِلَالُ يُوذِّنُ بَلِيلًا فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُوذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومِ قَالَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزَلَ هَذَا وَيُرْقَى هَذَا الْبَخَارِيُّ فَإِنَّهُ لَا يُوذِّنُ حَتَّى يَطَّلِعَ الْفَجْرَ يَعْنِي ابْنَ أُمِّ مَكْتُومِ خَرَجَهُ الْبَخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثُ سَادِسٍ لِابْنِ دَاوُدَ خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ النِّدَاءَ وَالإِنَاءَ عَلَى يَدِهِ فَلَا يَضَعُهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ حَدِيثُ سَابِعٍ لِلنَّسَائِيِّ خَرَجَ النَّسَائِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ ذَرٍّ قَالَ قَلْنَا لِحَدِيثَةِ أَبِي سَاعَةَ

تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع حديث ثامن لمسلم خرج مسلم عن أنس قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قلت كم كان قدر ما بينهما قال خمسين آية حديث تاسع لمسلم خرج مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا يياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحاكاه حماد بن عمار يعنى معترضا فهذه أحاديث السحور قد ذكرتها ليقف من سماع كلامي في السحور عليها حتى يعلم أنا ما خرجنا فيما نذهب إليه من الاعتبار عما أشار إليه صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً لأن سيد هذه الطائفة أبا القاسم الجنيد يقول علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة يقول رضي الله عنه وإن كنا أخذنا علمنا عن الله ما أخذناه من الكتب ولا من أفواه الرجال فما علمنا الله تعالى علماً به يخالف ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم من عند الله مما ذكرته من الأخبار ولا ما أنزله الله في كتاب بل هو عندنا كما أخبر الله عن عبده خضر أنه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً وهذا هو علم الوهب الإلهي الذي أنتجه التقوى والعمل على الكتاب والسنة الذي لو عمل أهل الكتاب بما أنزل إليهم وأقاموا التوراة والإنجيل . . . لا كُفُوا مِنْ فَوْقِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ أَعْنِي عِلْمَ الْوَهْبِ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ إشارة إلى علم الكسب وهو العلم الذي يناله أهل التقوى من هذه الأمة فإنه علم كسب إذ كان نتيجة عمل وهو التقوى فاعلم إن السحور مشتق من السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة يريد زمان أكلة السحور فله وجه إلى النهار وله وجه إلى الليل فيما له وجه إلى النهار سماه غداء فرجح فيه حكم النهار على حكم الليل كما عمل في الفطر فأمر بتعجيله فرجح فيه النهار أيضاً على الليل بوجود آثار الشمس فإن الأكل وقع فيه قبل زوال آثار النهار ودلالة فإن النهار قد أدر لأن حقيقة النهار من طلوع حاجب الشمس الأول إلى غروب حاجب الشمس الآخر فبمغيبه يغيب قرص الشمس وآثار النهار من أول الليل من مغيبه إلى مغيبه البياض وآثاره في آخر الليل من طلوع الفجر الأول إلى طلوع الشمس إلا أنه لا يمنع الأكل طلوع الفجر الأول شرعاً وفي الفجر الثاني خلاف وموضع الإجماع الأحمر وما كان قبل ذلك فليس بسحر وإنما هو ليل وبعده وإنما هو نهار وهكذا صفة الشبهة لها وجه إلى الحق ولها وجه إلى الباطل في الأمور العقلية وكذلك المشابهة له وجه إلى الحل وله وجه إلى الحرمة ولهذا سمي الفجر الأول الكذاب وما هو كذاب وإنما أضيف الكذب إليه لأنه ربما يتوهم صاحب السحور أن الأكل محرم عنده وليس كذلك فإن علمه ضرب الشمس أي طرح شعاعها على البحر فيأخذ الضوء في الاستطالة فإذا ارتفعت ذهب ذلك الضوء المنعكس من البحر إلى الأفق فجاءت الظلمة وقرب بروز الشمس إلينا فظهر ضوءها في الأفق كالأضواء الذي فتح جناحيه ولهذا سماه مستطيراً فلا يزال في زيادة إلى طلوع الشمس كذلك الحق والباطل فإمَّا الرَّبُّ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ أَي يَشْتَبُ وَهُوَ الْفَجْرُ الصَّادِقُ وَمَا بَيْنَهُمَا هُوَ السَّحْرُ كَمَا إِنْ مَا بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ يَظْهَرُ أَنَّ فِي الشَّبْهَةِ هُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ يَظْهَرُ بِهَا أَنَّهَا شَبْهَةٌ فَيَسْتَمِيزُ بِعِلْمِكَ بِهَا الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ كَمَا تَمِيزُ بِتَنَكُّاسِ الْفَجْرِ الْكُذَّابِ إِلَى الْأَرْضِ وَالظُّلْمَةُ الظَّاهِرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ إِنْ ذَلِكَ الْفَجْرُ الْأَوَّلُ لَا يَمْنَعُ مِنْ يَرِيدِ الصُّومِ مِنَ الْأَكْلِ وَهَذَا سَمَّاهُ الْعَرَبُ ذَنْبَ السَّرْحَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّبَاعِ أَحْبَثُ مِنْهُ وَلَا أَكْثَرُ مَحَالاً فَإِنَّهُ يَظْهَرُ الضَّعْفُ لِيَحْقُرَ فَيَغْفَلُ عَنْهُ فَيُنَالُ مَقْصُودَهُ مِنَ الْاِفْتِرَاسِ

فإن ذنبه يشبه ذنب الكلب فيتخيل من لا يعرفه أنه كلب فيأمن منه فهو شبيه المنافق فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت بأكلة السحور وقال أنها بركة أعطاكم الله إياها فأكد أمره بها بنهيه أن لا ندعها فكما صرح بالأمر بها صرح بالنهي عن تركها وأكد في وجوبها فأشبهت صلاة الوتر فإنها صلاة مأمور بها على طريق القرية المأمور بها فهي سنة مؤكدة وعند بعض علماء الشريعة واجبة وأكلة السحور أشد في التأكيد من الوتر في جنس الصلاة لما ورد في ذلك من التصريح بالنهي عن تركها وهو بمنزلة البحث عن الشبهة حتى يعرف بذلك الحق من الباطل فهذه هي البركة التي في أكلة السحور فإن البركة الزيادة فزادت على سائر الأكلات شمولها الأمر بها والنهي عن تركها وليس ذلك الحكم لغيرها من الأكلات ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم جعله فصلا بين منزلة أهل الكتاب ومنزلتنا فهي إما ممن اختصنا بها الحق على سائر الأمم من أهل الكتاب وإما ممن أمرنا بالمحافظة عليها حتى تتميز من أهل الكتاب حيث أنزلت عليهم كما أنزلت علينا ففرطوا في حقها كما فعلوا في أشياء كثيرة وكلا الوجهين سائغ وهذا يعم تعجيل الفطر وتأخير السحور فإن اعتبرنا أن أهل الكتاب هم القائمون بكتابهم علمنا إن الله اختصنا بفضل تعجيل الفطر وتأخير السحور عليهم وأنه ما أنزل ذلك عليهم فحرموا فضلها وإن اعتبرنا أن أهل الكتاب هم الذين أنزل عليهم كتاب من الله سواء عملوا به أو لم يعملوا تأكد عندنا إن الله إنما أكد في ذلك حتى تتميز عن أهل الكتاب إذ قد أمروا بذلك فأضاعوه بترك العمل فمن رأى أكلة السحور بضم الهمزة أكنفى باللقمة الواحدة ليقع الفرق بينه وبين أهل الكتاب وهو أقل ما يكون ومن فتح الهمزة أراد الغذاء ثم من التأكيد فيها محافظة النبي صلى الله عليه وسلم عليها وعلى تأخيرها ودعاؤه إليها فسنتها قولاً وفعلًا فقال هلموا إلى الغذاء المبارك كما قال حي على الصلاة ثم إنه صلى الله عليه وسلم من تأكيده في ذلك وتغليبه للأكل على تركه مع التحقق ببيان المانع وهو الفجر الصادق إنك إذا سمعت النداء به إذا كان في البلد من يعلم أنه لا ينادي إلا عند الطلوع الذي به تصح الصلاة كان أم مكثوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سمع المستحضر ذلك وجب عليه الترك فليل له إن سمعته والإناء في يدك وأنت تشرب فلا تقطع شريك من الماء مع هذا التحقق حتى تقضي حاجتك منه كما قال حذيفة هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع فجعل الحكم لحال الوقت وهو الوجود فكان الدفع أهون من الرفع لأن المدفوع معدوم والذي تريد رفعه موجود حاكم بالفعل وهو أنك آكل أو شارب فالحكم له حتى يرتفع بنفسه كذلك الاسم الحاكم في الوقت على العبد إذا طلبه اسم آخر لا حكم له عليه كان الأولى بالعبد أن لا ينفصل من هذا الاسم الإلهي حتى لا يبقى له حكم عليه يطالبه به فإذا فرغ من حكمه تلقى بالأدب ذلك الاسم الإلهي الذي يطلبه أيضا هكذا في الدنيا والآخرة كشخص حكم عليه اسم التواب عن فعل تقابلت فيه الأسماء الإلهية في حال الذنب فقال المنتقم أنا أولى به وقال الراحم والغفار أنا أولى به فتقابلت الأسماء في حال العاصي أي اسم إلهي يحكم عليه وفيه فوجدوا التواب فتقوى الاسم الراحم على المنتقم وقال هذا نائي في الخلل فإنه لولا ما رحمته ما تاب فدفع المنتقم عن طلبه وتسلمه الراحم وصار التواب يرجع به إلى ربه من طاعة إلى طاعة بعد ما كان يرجع به من معصية أو كفر إلى طاعة فهذا التائب ما يعزل لأن التوبة قد لا تكون من ذنب بل يرجع إلى الله في كل حال في كل طاعة فإن وجد في الخلل الاسم الخاذل وهو

حكمه في العبد في حال وقوع المخالفة منه فحينئذ يكون تقابل الأسماء المتقابلة أعظم وأشد فإن هذا الفعل يستدعيهما وكان الخاذل بينه و بين هذه الأسماء مواظبة من حيث لا يشعر بما فعله كل واحد منهما فيقول الراحم إن الخاذل دعاني فهو يساعديني على المنتقم ويقول المنتقم إنه دعاني فساغديني على الراحم فإذا أقبل لا يريا منه مساعدة لأحدهما فإن كان الخاذل إنكفرا جاء الاسم العدل الحكم ليحكم بين الاسمين المتقابلين الراحم وإخوانه والمنتقم وإخوانه فيقول إن الله أمرني أن أحكم بينكما وهو قوله فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا فيقول للطائفتين من الأسماء اربقوا هذا العبد إلى آخر نفس فإن فارق هذا الجسم وهو على كفره فليسلمه المنتقم وتأخر أنت عنه أيها الراحم وجماعتك فيقول الراحم سبقت الرحمة الغضب فأنا السابق فلا تأخر فيقول له العدل إنما يعتبر السابق في انتهاء المدى والمدى بعد ما انتهى فاترك المنتقم إلى أن يستوفي منه مقدار زمان المخالفة والخذلان فذلك انتهاء المدى فإذا انتهى فلك تجديد المطالبة فيحكم الله عند ذلك بما يشاء فإن بعثني حاكما حكمت بما يعطيه علمي وإن ولي المفضل أو المنتقم حكم أيضا بحسب ما أذن له فيه فينفصلون على هذا الحد وإن كان الخاذل في هذا الحل لم يعط كفرا وأعطى معصية ووقع هذا التقابل بين الأسماء فجاء الحكم العدل وكلم كل واحدة من الطائفتين وسمع دعواهما وأن كل واحد منهما يدعي الحق له فيطلبهم بالبينة فيقول المنتقم أي بينة أوضح من وقوع الفعل إما تراه سكران إن كان يشرب الخمر أو سارقا أو قاتلا أو ما كان من أمور التعدي فيقول الحكم هذه الأفعال وإن وقعت فهي موضع شبهة والحاكم لا يحكم إلا ببينة فإن وقوع الشرب للخمر لا يؤذن بأنه ارتكب محرما ربما غص بلقمة ربما هو مريض فما استعمل إلا ما يحل له استعماله ربما قتل هذا قاتل أبيه أو أحدا من هذا القاتل وليه واعتدى عليه بمثل ما اعتدى لا أعلم ذلك إلا بدليل فصورته صورة مخذول ولكن بهذه الشبهة فيقول خصمي يسلم لي أن هذا متعد حد الله في شربه الخمر أو قتله أو ما كان من أفعال المعاصي في ذلك الحال فيقول الراحم نعم صدق إلا أن لي في الحل سلطانا قويا يشد مني وهو معي على المنتقم قال له الحاكم ومن هو قال الاسم المؤمن قد نزل عنده في دار الأيمان وهو قلبه فله الأمان قال فادعه فجاء فقال أنت في هذا الحل عابر سبيل أو هو محلك وملكتك فيقول هو محلي وملكي وما عارضني في ملكي صاحب هذا الفعل الذي هو العاصي فجزاه الله خيرا عني يستعلمني في كل حال بما تعطيه حقيقتي وأنا محتاج إليه فيقول للمنتقم تأخر عنه حتى نشاور الاسم المرید الذي هو الحاجب الأقرب إلى الله فإن له المشيئة في هذا العبد وفي هذا الحكم فلا يزال الأمر متوقفا إلى انتهاء المدى وهو الأجل المسمى الذي هو الموت فإن مات على المخالفة تسلمه المرید وإن تاب عند الموت تأخر المنتقم عنه بالكيفية وتسلمه الراحم وأصحابه فانتهاى المدى في العاصي إنما هو إلى زمن الموت وفي الكافر كما قرناه فاعلم ذلك انتهى الجزء الثامن والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل صيام يوم الشك)

خرج الترمذي عن عمار بن ياسر قال من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم قال هذا حديث حسن صحيح جمهور العلماء

على النهي عن صيام يوم الشك على أنه من رمضان واختلفوا في تحريم صيامه تطوعاً فمنهم من كرهه ومنهم من أجازته وأما حديث عمار عندي فما هو نص ولأمر مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو يحتمل أن يكون عن نظر من عمار ويحتمل أن يكون عن خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم إن صامه على أنه من رمضان ثم جاء الثبوت أنه من رمضان أجزاءه (الاعتبار) لما كان الشك يتردد بين أمرين من غير ترجيح أشبه حال العبد إذا كان الحق سمعه وبصره فإن نظر الناظر إلى كون الحق سمعه قال إنه حق وإن نظر إلى إضافة السمع إلى العبد بالهاء من قوله سمعه قال إنه عبد وما ثم حالة ترجح أحد الناظرين على الآخر فيسقطان وإذا سقطا بقيا بحكم الأصل و الأصل هو وجود عبد و رب هذا هو الأصل النظري والشرعي من وجهه وأما أصل الأصل المراعي قبل هذا الأصل بل الذي هذا الأصل فرع عنه فهو وجود رب في عين عبد فهذا هو أصل الأصول الكشفي الشرعي من وجهه فاعمل بحسب ما يتقوى عندك في ذلك وما هو مشربك فقف عنده حتى يتبين لك وجه الحق في المسألة فتكون عند ذلك من أهل الكشف والوجود

(وصل في فصل حكم الإفطار في التطوع)

حكى بعضهم الإجماع على أنه ليس على من دخل في صيام تطوع فأفطر لعذر قضاء واختلفوا إذا قطعه لغير عذر عامدا فمن قائل عليه القضاء ومن قائل ليس عليه القضاء (الاعتبار) إذا دخل في فعل بعبودية الاختيار فقد أزم نفسه العبودية إذا رجع إلى أصله في ذلك الإلزام فحكمه حكم عبودية الاضطرار فيلزمه في التطوع ما يلزمه في الواجب ومن راعى كون الحق جعل هذا العبد مختاراً فقال لا يرفع حكم الحق عني في هذا الفعل فإنه يؤدي إلى منازعة الحق حيث يجعل الاختيار في موضع الاضطرار فيعامله معاملة الاختيار فإن شاء قضى اختياراً أيضاً وإن شاء لم يقض وفي هذه المسألة طول في الاعتبار يكفي هذا القدر منه في هذا الكتاب فإن التكليف يثبت عين العبد مضطراً كان أو مختاراً

(وصل في فصل المتطوع يفطر ناسياً)

اختلف العلماء فيه فطائفة قالت عليه القضاء وقالت طائفة أخرى لا قضاء عليه وبترك القضاء أقول للخبر الوارد فيه (الاعتبار) الناسي هو التارك لما اختار بعد ما اختار فإن كان عن هوى نفس فالقضاء عليه وإن كان عن شغل بمقام أو حال أو اسم إلهي فلا قضاء عليه والقضاء هنا الحكم عليه بحسب ما تطوع به

(وصل في فصل صوم يوم عاشوراء)

اختلفوا أي يوم هو من المحرم فقيل العاشر وهو الصحيح وبه أقول وقيل التاسع (الاعتبار) هنا حكم الاسم الأول والآخر فمن أقيم في مقام أحدية ذاته صام العاشر فإنه أول آحاد العقد ومن أقيم في مقام الاسم الآخر الإلهي صام اليوم التاسع فإنه آخر بسائط العدد ولما كان الصوم أعني صوم عاشوراء مرغبا فيه وكان فرضه قبل فرض رمضان على الاختلاف في فرضيته صح له مقام الوجوب وكان حكمه حكم

الواجب فمن صامه حصل له قرب الواجب وقرب المندوب إليه فكان لصاحبه مشهदान وتجليان يعرفهما من ذاقهما من حيث إنه صام يوم
عاشوراء

(وصل في فضل صوم يوم عاشوراء)

ذكر مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله
فقامت حركة يومه في القوة مقام قوى أيام السنة كلها إذا عومل كل يوم بما يليق به من عبادة الصوم فحمل بقوته عن الذي صامه جميع ما أجرم في
السنة التي قبله فلا يؤخذ بشيء مما اجترح فيها في رمضان وغيره من الأيام الفاضلة والليالي مع كون رمضان أفضل منه وكذا يوم عرفة وليلة
القدر ويوم الجمعة فمثله مثل الإمام إذا صلى بمن هو أفضل منه كان عوف حين صلى برسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع بفضله فإنه
يحمل سهو المأموم مع كونه أفضل فلا يستبعد أن يحمل صوم يوم عاشوراء جرائم الجرم في أيام السنة كلها ولو شاهدت الأمر أو كنت من أهل
الكشف عرفت صحة ما قلناه وما أراد الشارح والعارف إذا قال احتسب على الله فما يقولها عن حسن ظن بالله وإنما هي لفظة أدب
يستعملها مع الله مع أنه على علم من الله أنه يكفرها الله يقول الله عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا يَجْرِيهِ فِي عِبَادِهِ وَمَعَ هَذَا جَاءَ
بلفظ الترجي والمخلوق أولى بهذه الصفة فإنها له حقيقة لو لم يعلمه الله فإذا أعلمه الله بقي على الأصل أدبا مع الله تعالى ألا تراه صلى الله عليه
وسلم مع قطعه بأنه يموت فإن الله يقول له إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيئُونَ فَكَيْفَ اسْتَشْتَى لِمَا أَتَى الْبَقِيعَ وَقَفَّ عَلَى الْقُبُورِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ قَالَ وَإِنَّا لِنِ
شاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ فَاسْتَشْتَى فِي أَمْرٍ مَقْطُوعٍ بِهِ وَسِوَاءَ كَانَ الْاسْتِثْنَاءُ فِي الْمَوْتِ أَوْ فِي الْإِيمَانِ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَقْطُوعٌ لِهِمَا وَذَلِكَ أَدَبٌ إلهي فَإِنَّ
اللَّهَ قَالَ لَهُ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَلَمَّا أَتَى فِي قَوْلِهِ لَاحِقُونَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ اسْتَشْتَى امْتِنَالاً لِلَّهِ تَعَالَى

(وصل في فضل من صامه من غير تبييت)

ذكر البخاري عن سلمة بن الأكوع قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أسلم أن ينادي في الناس من كان أكل فليتم بقية يومه و
من لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء فجعل حكمه حكم من لم يبيت صوم من شك في أول يوم من رمضان فأكل ثم ثبت أنه من
رمضان فأمر بالإمساك والقضاء وهذا حديث صحيح وقال فليتم بقية يومه ولم يسمه صائما فيقوي هذا الحديث حديث القضاء الذي
ذكره أبو داود عن عبد الرحمن بن سلمة عن عمه إن أسلم أت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صمتم يومكم هكذا قالوا لا قال فأتوا بقية
يومكم واقضوه يعني يوم عاشوراء وإن كان هذا الحديث لم يلحقوه بالصحيح فراعى حرمة اليوم لما لله فيه من السر الذي يرفع فضله على
عباده وظهر هنا فضل الإمساك عن الطعام والشراب وإن لم يكن صائما وهو الجوع الذي تشير إليه الصوفية في كلامها وفيه أقول

تنازعتني على أجر الصيام

أجوع ولا أصوم فإن نفسي

بإيجاب الصيام وبالقيام

فلو فנית أجيرتها لقلنا

يكن في نفسه هدف لرامي فإن العبد عبد الله ما لم

ولما أمر بقضائه أكد تشبيهه بـرمضان لا بالنذر المعين إذا فات يومه فإنه لا يقضي وإن أمسك صاحبه بقية يومه إذا لم يبيت ولما أمرنا بصيامه و
حرض في ذلك وكان قد أمرنا بمخالفة أهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك فيما شرعوه لأنفسهم مما لم يأذن به الله وبدلوا وغيروا ولم يتميز
عندنا ما شرعوه لأنفسهم مما شرع لهم نبيهم فلذلك أمرنا بمخالفتهم إلا فيما قرره النبي صلى الله عليه وسلم لنا مما كان شرعا لهم فعلمناه على
القطع مثل رجم الشيب وإقامة الصلاة لمن تذكر بعد نسيانه فلما تعين علمنا به فإن الله تعالى يقول في الأنبياء أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتدوه وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وقال عليه الصلاة والسلام نحن أولى بموسى منكم فكفى بنحن عن نفسه وأمه فكنا
أولى بموسى من اليهود لأنهم لم يؤمنوا بكل ما أتى به موسى ولو آمنوا بكل ما أتى به موسى لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه ونحن
أمرنا بالإيمان به وبما أنزل عليه ثم أخبر الحق عنا بذلك وخبره صدق فاستحال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمن المؤمن منهم ببعض
ويكفر بعض فهذه عناية إلهية حيث أخبر بعصمتنا من ذلك فهي بشرى لنا قال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ومما جاء به موسى صوم يوم عاشوراء فأما به وصمناه عن أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرضا بخلاف عندنا كما صامه موسى فرضا ثم إن الله فرض علينا رمضان وخيرنا في صوم عاشوراء فنصومه من طريق
الألوية فنجمع بين أجر الفريضة فيه والتفيل درجة زائدة على المؤمنين من قوم موسى عليه السلام ولما أمرنا صلى الله عليه وسلم بمخالفة
اليهود أمرنا بأن نصوم يوما قبل عاشوراء وهو التاسع ويوما بعده وهو الحادي عشر فقال لنا صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء و
خالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما ولم يقل خالفوا موسى فإن الله قد عصمنا من مخالفة الأنبياء بل أسقط الله عنا بعض شرائعهم
كما أسقط عنا بعض ما شرع لنا ونحن مؤمنون بكل ناسخ ومنسوخ في كل شرع ولا يلزم من الإيمان وجود العمل إلا أن يكون العمل مأمورا به
فبهذا القدر نخالف اليهود ولهذا توهم علماءنا إن عاشوراء هو التاسع من الحرم لا غير وقد روينا في ذلك ما يؤيد ما قلناه من أنه اليوم
العاشر وهو أنا روينا من حديث أبي أحمد بن عدي الجرجاني الذي رواه من حديث ابن حبيبي عن داود بن علي عن أبيه عن جده أن النبي
عليه السلام قال لئن بقيت إلى قابل لأصومن يوما قبله ويوما بعده والحديث الثاني وهو ما رواه مسلم من حديث الحكم بن الأعرج قال
انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم يوم عاشوراء فقال إذا رأيت يا هذا هلال الحرم فاعدد ثمانا و
أصبح اليوم التاسع صائما قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم يعني لو عاش إلى العام القابل يؤيد ما قلناه ما رواه أيضا
مسلم عن ابن عباس قال حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود و
النصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في العالم المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما صام التاسع على أنه عاشوراء لو صامه وصام يوم عاشوراء بتحقيق يوم العاشر من الحرم فلا ينبغي أن

يقال التاسع هو عاشوراء مع وجود هذه الأخبار وقد ذكرنا حكمة يوم التاسع والعاشر في الاسم الأول والاسم الآخر في هذا الفصل وكذلك أيضا أقول في صيام اليوم الذي بعد عاشوراء حتى يعلم التناسب فيما أشرنا إليه من ذلك فنقول أيضا إنه ملحق بالاسم الأول كما عاشوراء في العاشر فإن العاشر أول العقد والحادي عشر أول تركيب الأعداد تركيب البسائط مع العقد فانظر حكمة الشارع في أمره بصوم يوم قبله ويوم بعده متصلا به حتى لا تقول اليهود إن صومه مقصود لنا فإنه يكره في الفرائض مثل هذا إلا أن يكون الإنسان على عمل يعمله فلا يبالي إلا إن وقع التحجير وقد نهينا أن تقدم رمضان بيوم أو يومين قصدا إلا أن يكون في صيام نصومه ثم من الحكمة أن حرم علينا صيام يوم الفطر حتى لا نصل صيام رمضان بصوم آخر تمييزا لحق الفرض من النفل خلاف اعتبار يوم الجمعة وسيأتي الكلام في صومه إن شاء الله تعالى في هذا الباب

(وصل في فضل صوم يوم عرفة)

ورد في الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عرفة أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده خروجه مسلم من حديث أبي قتادة فمن صام هذا اليوم فإنه أخذ بحظ وافر ما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمره كله في الحكم حكم الصائم يوم عرفة وخصه باسم عرفة لشرف لفظة المعرفة التي هي العلم لأن المعرفة في اللسان الذي بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم تعدى إلى مفعول واحد فلها الأحدية فهي اسم شريف سمي الله به العلم فكان المعرفة علم بالأحدية والعلم قد يكون تعلقه بالأحدية وغيرها بخلاف لفظ المعرفة فقد تميز اللفظان بما وضعاه له وقد ينوب العلم مناب المعرفة في اللسان بالعمل كذا ذكره النحاة واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ تَأْوِيلُهُ لا تعرفونهم فعدوا العلم إلى مفعول واحد للثبابة والمعرفة ما لها حكم إلا في الأحدية وذهلوا عما نعلمه نحن فإن العلم أيضا إنما طلب الأحدية ولهذا صح للمعرفة أن تكون من أسمائه لأن العمل هو الأصل فإنه صفة الحق ليست المعرفة صفة ولا له منها اسم عندنا في الشرع وإن جمعها والعلم حد واحد لكن المعرفة من أسماء العلم كما قلنا والعارف من أسماء العالم فينا بالأحدية وأما قولنا إن العلم إنما هو موضوع للأحدية مثل المعرفة ولهذا سمينا العلم معرفة لأننا قلنا علمت زيدا قائما فلم يكن مطلوبنا زيدا لنفسه ولا مطلوبنا القيام بعينه وإنما مطلوبنا نسبة قيام زيد وهو مطلوب واحد فإنها نسبة واحدة معينة وعلمتنا زيدا وحده بالمعرفة والقيام وحده بالمعرفة فنقول عرفت زيدا وعرفت القيام وهذا القدر غاب عن النحاة وتخيلوا أن تعلق العلم بنسبة القيام إلى زيد هو عين تعلقه بزيد والقيام وهذا غلط فإنه لو لم يكن زيد معلوما له والقيام أيضا معلوما له قبل ذلك لما صح أن ينسب ما لا يعلمه إلى ما لا يعلمه لأنه لا يدري هل تصح تلك النسبة أم لا وهذا النوع من العلم يسمى عند أصحاب ميزان المعاني التصور وهو معرفة المفردات والتصديق وهو معرفة المركبات وهو نسبة مفرد إلى مفرد بطريق الإخبار بالواحد عن الآخر وهو عند النحويين المبتدأ والخبر وعند غيرهم الموضوع والمحمول ثم نرجع إلى بابنا فنقول فعلمتنا شرف يوم عرفة من

حيث اسمه لما وضع له من تعلقه بالأحادية إنما الله إله واحد والأحادية أشرف صفة الواحد من جميع الصفات وهي سارية في كل موجود و لولا أنها سارية في كل موجود ما صح أن نعرف أحادية الحق سبحانه فما عرفه أحد إلا من نفسه ولا كان على أحديته دليل سوى أحديته من عرف نفسه عرف ربه هكذا قال صلى الله عليه وسلم وقال أبو العاتية

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والآية أحادية كل شيء وهي التي يمتاز بها عن غيره من أمثاله فالأحادية تسري في كل شيء من قديم وحادث ومعدوم وموجود ولا يشعر بسرئانها كل أحد لشدة وضوحها وبيانها كالحياة عند أرباب الكشف والايان فإنها سارية في كل شيء سواء ظهرت حياته كالحوان أو بطنت حياته كالنبات والجماد فالله حي بغير منازع وما من شيء مما سوى الله إلا وهو يسبح الله مجمده ولا يسبحه إلا من يعلمه ومن شرط العالم أن يكون حيا فلا بد أن يكون كل شيء حيا ولما كانت الأحادية للمعرفة والأحادية لله تعالى في ذاته رجحنا صوم يوم عرفة على فطره في غير عرفة فإن كنا في عرفة علمنا إن الصوم لله لنا فرجحنا فطره على صومه لشهود عرفة فافهم فالصوم لله حقيقة والأحادية له حقيقة فوقعت المناسبة بين الصوم ويوم عرفة فإن كل واحد لا مثل له فإن صومه يفعل فيما بعده وليس ذلك لغيره في حق كل أحد ويفعل فيما قبله لأنه زمني فيتقيد بالقبلية والبعدية والمقصود إن فعله عام كصفة الحق في إيجاد الممكنات عامة لا تختص بممكن دون ممكن وإن كان الأمر لله من قبل ومن بعد فجاء مبني غير مضاف لعدم تقيده عز وجل بالقبل والبعء فهذا الذي ليوم عرفة ليس لغيره من الأزمان فقد تميز على جنسه وإن كان ثم أعمال هي أقوى منه في العمل ولكن ليست زمانية أي ما هي لعين الزمان غاية عاشوراء أن يكفر السنة التي قبله فتعلقه بالواقع وعرفة تعلقه بالواقع وغير الواقع فعاشوراء رافع وعرفة رافع ودافع فجمع بين الرفع والدفع فناسب الحق فإن الحق يتعلق بالموجود حفظا والمعدوم إيجادا فكثرت المناسبة بين يوم عرفة وبين الأسماء الإلمية فترجح صومه في غير عرفة وإن كان له هذا الحكم في عرفة إلا إن فطره أعلى في عرفة من صومه لما قلنا وفي الحكم الظاهر للاتباع والافتداء قال في الاتباع فَاتَّبَعُونِي يُحِبُّكُمْ اللهُ وقال في الافتداء لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ وَأَفْطَرَ فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي عُرْفَةَ وَإِنَّمَا اِخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الرُّسُومِ فِي صَوْمِهِ فِي عُرْفَةَ لَافِي غَيْرِهَا لِمَطْنَةِ الْمَشَقَّةِ فِيهَا وَالضَّعْفُ عَنِ الدَّعَاءِ غَالِبًا وَالدَّعَاءُ فِي هَذَا الْيَوْمِ هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْحَاجِّ فَإِنَّ أَفْضَلَ الدَّعَاءِ دَعَاءُ يَوْمِ عُرْفَةَ كَالْمَسَافِرِ فِي رَمَضَانَ فِي فِطْرِهِ فَمَنْ الْعُلَمَاءُ مِنْ اخْتَارَ الْفِطْرَ فِيهِ لِلْحَاجِّ وَصِيَامَهُ لِغَيْرِ الْحَاجِّ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْأَثَرَيْنِ وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ الْخَبَرَ الْمُرَوِيَّ الصَّحِيحَ فِي صِيَامِهِ فَتَذَكَّرْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ بِعُرْفَةَ رَحْمَةً بِالنَّاسِ الَّذِينَ تَدْرِكُهُمُ الْمَشَقَّةُ فِي صِيَامِهِ كَذَا تَوَهَّمُ عُلَمَاءُ الرُّسُومِ وَالْأَمْرُ عَلَى مَا قَلْنَا فَإِنَّهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى صَوْمِهِ فِي نَفْسِهِ وَيَنْهَى أُمَّتَهُ عَنِ صِيَامِهِ بِعُرْفَةَ وَمِثْلَ هَذَا وَقَعَ فِي الشَّرْعِ كَنْكَاحِ الْهَبَةِ فَهُوَ لَهُ خَاصَّةٌ وَهُوَ حَرَامٌ عَلَى الْأُمَّةِ بِإِخْلَافٍ وَكَالْوَصَالِ وَإِنْ جَازَ فَعَلَى كِرَاهَةِ خُرُوجِ مُسْلِمٍ عَنِ أُمَّ الْفِطْرِ أَنْ النَّاسَ تَمَارَوْا عِنْدَهَا يَوْمَ عُرْفَةَ فِي صِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ صَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ بِصَائِمٍ فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ بِقَدْحِ لَبْنٍ وَهُوَ وَقَفَ عَلَى بَعِيرِهِ فَشَرِبَهُ قَالَ تَعَالَى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَالرَّحْمَةُ هُنَا عِنْدَنَا إِنْ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ الْفِطْرَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فِي عَرَفَةَ هِيَ السَّنَةُ وَعِنْدَ عُلَمَاءِ الرُّسُومِ طَلَبُ الرِّفْقِ وَالْحِجَّةُ لَنَا فِي قَوْلِهِ خَذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ فَمِنْهَا عَدَمُ الصَّوْمِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْأَمْرُ لَا يَتَوَقَّفُ فِي الْأَخْذِ بِهِ إِذَا وَرَدَ مَعْرَى عَمَّا يَخْرُجُهُ عَنِ الْأَخْذِ بِهِ وَ أَمَّا حَدِيثُ النَّبِيِّ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ فِي عَرَفَةَ فَنَفِي إِسْنَادِهِ مَهْدِي بِنِ حَرْبِ الْمَجْرِيِّ وَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ خَرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ وَأَمَّا حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبِ قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ عَقْبَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ فَكَأَنَّهُ يُشِيرُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى مَا قَلْنَا وَ يُشِيرُ إِلَى مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَارِفِ فَإِنَّ مَقَامَ الْمَعْرِفَةِ لَا يُعْطَى الصَّوْمُ إِذْ يَعْرِفُ الْعَارِفُ الصَّوْمَ لِمَنْ هُوَ فَكَانَ يَوْمَ عِيدِهِ يَوْمَ حَصُولِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَأَيَّامَ الْعِيدِ أَيَّامُ سُرُورٍ فَأَرَادَ أَنْ يَسْرِيَ السُّرُورَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي النَّفْسِ النَّاطِقَةِ بِتَرْكِ الصَّوْمِ وَفِي الْحَيَوَانِيَةِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَجَمَعَ بَيْنَ السُّرُورِ وَبَيْنَ مَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِتَحْرِيمِ الصَّوْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَلَكِنْ قَرَنَهُ بِالصَّوْمِ الْحَرَمِ وَهُوَ يَوْمُ النَّحْرِ وَبِالصَّوْمِ الْمَكْرُوهِ وَهُوَ صَوْمُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَأَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَحَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ فِيهِ فِي الظَّاهِرِ وَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلنَّبِيِّ عَنْ ذَلِكَ وَحَرَمْنَا صِيَامَ يَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى بِخَبْرٍ غَيْرِ هَذَا سَأَوْرَدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْخَبْرِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ لَمْ يُقَلِّ أَهْلُ الْإِيمَانِ دَلَّ عَلَى مِرَاعَاةِ الظَّاهِرِ هُنَا وَلِذَا قَلْنَا إِنَّهُ رَاعَى النَّفْسَ الْحَيَوَانِيَةَ الَّتِي سُرُورُهَا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي يَوْمِ عِيدِهَا فَاعْلَمْ ذَلِكَ

(وصل في فصل صيام الستة من شوال)

قد تقدم ذكر الخلاف في وقتها وفي هذا الخبر عندي نظر لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبت الهاء في العدد أعني في الستة فقال و أتبعه ستا من شوال وهو عربي و الأيام مذكرة و الصوم لا يكون إلا في اليوم و هو النهار فلا بد من إثبات الهاء فيه فهذا سبب كون الحديث منكر المتن مع صحة طريق الخبر فيترجح عندي أنه اعتبر في ذلك الوصال فوصل صوم النهار بصوم الليل و الليلة مقدمة على النهار لأن النهار مسلوخ منها أو تكون لغة شاذة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس كان فيه من هذه لغته و مع هذا فمن استطاع الوصال في هذه الأيام الستة فهو أولى عملا بظاهر لفظ الخبر و الوصال لم يقع النهي عنه نهي تحريم وإنما راعى الشفقة و الرحمة في ذلك بظاهر الناس لثلاث يتكلفوا الحرج و المشقة في ذلك و لو كان حراما و ما واصل بهم صلى الله عليه وسلم و قد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق و قال من يشاد هذا الدين يغلبه و خرج مسلم عن أنس بن مالك واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم فمن لم يقدر أن يواصلها كلها فليواصل حتى السحر في كل يوم فتدخل الليلة في الصوم كل ليلة و يكون حد السحر لفظها فحد الغروب للنهار في حق من لا يواصل في الصحيح أنه عليه السلام قال أيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر خرجه البخاري عن أبي سعيد و مما يؤيد قولنا إنه أراد الرحمة بالناس في ذلك ما خرجه مسلم أيضا عن عائشة قالت نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا إنك تواصل قال إني

لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فكشف صلى الله عليه وسلم مجال تلك الجماعة التي خاطبهم أنهم ليست لهم هذه الحال و أنه ما أراد بذلك أنه مختص به دون أمته فإنما قد وجدناه ذوقا من نفوسنا في وصالنا فبتنا في حال الوصال فأطعمنا ربنا وسقانا في مبيتنا ليلة وصالنا فأصبحنا أقوياء لا تشتهي طعاما و رائحة الطعام الذي أكلناه الذي أطعمناه ربنا يشم منا و يتعجبون الناس من حسن رائحته فسألونا من أين لك هذه الرائحة في هذا الذي طعمت فما رأينا مثلهما فمنهم من أخبرته بالحال و منهم من سكت عنه فلو كان هذا خصوصا برسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلناه فصح لنا الوصال و الفطر فجمع لنا بين الأجرين و الفرحتين و حكمة الوصال أن الحق قال الصوم له و أمرنا بما هو له و جعله عبادة لا مثل لها فإذا فرق بالفطر بين اليومين فما واصل فإذا لم يفطر تحقق الوصال فيشير بذلك إلى إيصال صوم العبد بالصوم المضاف إلى الحق ليبين له أن للعبد ضربا من التنزيه بالصوم كما إن للحق من الصوم التنزيه فهو إشعار حسن للعارفين و كذا هو في نفس الأمر فإن العبد له تنزيه يخصه و لا سيما إذا كان عمله تنزيه الحق فإن عمله يعود عليه و هو التنزيه فإن تنزيه الحق ما هو بتنزيه المنزه بل هو تعالى منزله الذات لنفسه ما نحن نزهناه فلذلك يعود تنزيهنا علينا حين حرمة غيرنا فمن قدر على الوصال في هذه الستة الأيام فهو أحق و أولى فإن وجد أحد نقلا عن العرب في اللسان حذف الهاء في عدد المذكر حمل الحديث على تلك اللغة و لقد روينا أن الله حين أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم و مَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا لم يعرف هذا اللحن الحاضر و لا عرفوا معناه فبينما هم كذلك إذا أتى أعرابي قد أقبل غريبا فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه و قال يا محمد إني رجل من كبار قومي بضم الكاف و تشديد الباء فعلم الحاضر أن هذه اللفظة نزلت يلحن ذلك العربي و أصحابه فعلموا معناها فما بعد أن يكون حذف الهاء جائزا في عدد المذكر في لغة بعض الأعراب و لو كان ذلك لم يقدح فيما ذهبنا إليه من الحقائق المشهودة لنا فيكون الشارع العالم يقصد الأمرين معا في هذه اللفظة في حق من هي لغته و في حق من ليست له بلغة و جعلها ستم و لم يجعلها أكثر و لا أقل و بين أن ذلك صوم الدهر لقول الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها على هذا أكثر العلماء بالله و هذا فيه حد مخصوص و هو أن يكون عدد رمضان ثلاثين يوما فإن نقص نزل عن هذه الدرجة و عندنا إنه يجبر بهذه الستة من صيام الدهر ما نقصه بالفطر في الأيام الحرم صومها و هي ستة أيام يوم الفطر و يوم النحر و ثلاثة أيام التشريق و يوم السادس عشر من شعبان يجبر بهذه الستة الأيام ما نقص بأيام تحريم الصوم فيها و الاعتبار الآخر و هو المعتمد عليه في صوم هذه الأيام من كونها ستة لا غير إن الله تعالى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ و كنا نحن المقصود بذلك الخلق فأظهر في هذه الستة الأيام من أجلنا ما أظهر من المخلوقات كما ورد في الخبر فكان سبحانه لنا في تلك الأيام فجعل لنا صوم هذه الستة الأيام في مقابلة تلك لأن نكون فيها متصفين بما هو له و هو الصوم كما اتصف هو بما هو لنا و هو الخلق و لهذا كان أحمد السبتي ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد يصوم ستة أيام من كل جمعة و يشتغل بالعبادة فيها فإذا كان يوم السبت احترف فيما يأكله بقية الأسبوع و بهذا سمي السبتي فلقبته بالطواف يوم جمعة بعد الصلاة و أنا أطوف فلم أعرفه غير أنني أنكرته و أنكرت حالته في الطواف فإني ما رأيته يزاحم و لا يزاحم و يخترق الرجلين و لا يفصل بينهما فقلت هذا روح تجسد بلا

شك فمسكته وسلمت عليه فرد علي السلام وما شيته ووقع بيني وبينه كلام ومفاوضة فكان منها إني قلت لم خصصت يوم السبت بعمل الحرفة فقال لأن الله سبحانه بدأ خلقنا يوم الأحد وانتهى الفراغ منه في يوم الجمعة فجعلت تلك الأيام لي عبادة لله تعالى لأشغل فيها بما فيه حظ لنفسي فإذا كان يوم السبت انفردت لحظ نفسي فاحترفت في طلب ما أتقوت به في تلك الأيام هكذا كل جمعة فإنه سبحانه نظر إلى ما خلق في يوم السبت فاستلقى ووضع إحدى يديه على الأخرى وقال أنا الملك لظهور الملك ولهذا سمي يوم السبت والسبت الراحة ولهذا أخبر تعالى أنه ما مسه من لغوب فيما خلقه واللغوب الإعياء فهي راحة لا عن إعياء كما هي في حقنا فتعجبت من فطنته وقصده فسألته من كان قطب الزمان في وقتك فقال أنا ثم ودعني وانصرف فلما جئت المكان الذي أقعد فيه للناس فقال لي رجل من أصحابي من المجاورين يقال له نبيل بن خزر بن خزون السبتي من أهل سبته إني رأيت رجلا غربيا لا تعرفه بمكة يكلمك ويحادثك في الطواف من كان ومن أين جاء فذكرت له قصته فتعجب الحاضرون من ذلك فهذا اعتبار الستة الأيام من الوجه الصحيح وإنما حذف الهاء الشارع إن صحت الرواية لاعتبار الليالي لأنها دلائل الغيب بخلاف النهار والغيب مما انفرد به الحق فلا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسولٍ وكذلك علم الحكمة في الأشياء لا يكون علماً إلا لأهل الله وأما أهل الفكر والقياس فإنهم يصادفون الحكمة بحكم الاتفاق فلا يكون علماً عندهم وعند أهل العلم بالله يعلمون أن ذلك هو المراد بذلك الأمر فيكون علماً لهم بذلك الاعتبار فيقصدونه لا بحكم الاتفاق فإن بعض الناس إذا رأى كرم أهل الله في مثل هذا يقولون باحتماله لا يقطعون به حملاً على نفوسهم ورتبهم في العلم وهو قول الله تعالى في حق من هذه حالته ذلك مَبْلَغُهُمْ من العِلْمِ فاعلم بذلك والله الموفق للصواب

(وصل في فصل غرر الشهر وهي الثلاثة الأيام في أوله)

خرج مسلم عن معاذة أنها سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت نعم فقلت لها من أي أيام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم اعلم أن كل شهر يرد على الإنسان إنما هو ضعيف ورد عليه من جانب الحق فوجب على الإنسان القيام بحقه المسمى ضيافة وهو الضعيف وحق الصيف ثلاثة أيام فلماذا شرع الشارع في الشرع المندوب إليه ثلاثة أيام من كل شهر و رغبتنا في أوله فقلنا نصوم ذلك في الثلاث الغرر منه لأن الشرع ورد بتعجيل الطعام للضعيف فقال العجلة من الشيطان إلا في ثلاث فذكر منها إطعام الضيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر خرجه النسائي عن ابن مسعود و الصيام صفة للحق واختصه من جميع الأعمال لنفسه وهو عمل محتص بهذه النشأة لا يكون ذلك للملك فلا يشهده سبحانه ملك مقرب في مشهد صومي ولا يتجلى له سبحانه في مشهد صومي أبداً فإنه من خصائص هذه النشأة وكانت هذه الضيافة ثلاثة أيام لكل شهر لأنه وارد من الحق وراجع إليه سبحانه حامداً له في تلقيه إياه أو ذا ماله بحسب ما يتلقاه العبد به فأحسن ما يتلقاه به ما هو صفة إلهية وهو الصوم والله تعالى ثلاثمائة خلق كذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم والثلاثة من الثلاثمائة عشر العشر فإن عشر الثلاثمائة ثلاثون وهو الشهر وعشر

الثلاثين ثلاثة فهي عشر العشر فهو قوله من جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فيقبل الحق تلك الثلاثة ثلاثين فيجازيه بالثلاثين ثلاثاً خلق فإنه قال عَشْرُ أَمْثَالِهَا فكانه صام الشهر كله فلذلك جوزي بالثلاثمائة إذ كانت الثلاثون قبلت عملاً لا جزءاً فإنها مثل الحسنه والحسنة عمل و المثلان هما اللذان يشتركان في صفات النفس فانظر في حكمة الشارع ما أطفها وأحسنها في ترغيبه إيانا في صوم ثلاثة أيام من كل شهر وما نبه عموم الخلق على عين الجزء فإن حصول الجزء إذا جاء فجأة من غير أن يعرف سببه ولا ينتظر كان الذي في نفس العامة والصيام خلق إلهي فكان جزاؤه من جنسه وهي الثلاثمائة خلق إلهي يتصف بها الصائم هذه الثلاثة الأيام كما اتصف بالصيام وهو وصف إلهي والعامي الذي لم يصم على هذا الحد يكون جزاؤه من كونه لم يأكل ولم يشرب فيقال له كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب قال تعالى كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ يعني أيام الصوم في زمان التكليف وأهل الله الذين يصومون هذه الثلاثة الأيام وأي صوم كان على استحضار ما ذكرناه من أنه يتلبس بوصف إلهي يكون جزاؤه من هذه صفته قوله من وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ولما لم تكن هذه الصفة عملاً للملك لم يحضر مع الصائم في حضرة لهذا التجلي فلا يعرف هذا المجلي ذوقاً ذاتياً والإنسان يشهده تعالى إذا كان من أهل العلم بالله الكامل في جميع ما يشهده فيه الملك كان الملك في أي مقام كان ومع هذا فلا يدل على إن الإنسان أعظم عند الله من الملك فالإنسان أكمل نشأةً والملك أكمل منزلةً كذا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد واقعة أبصرته صلى الله عليه وسلم فيه فسألته لكن الإنسان أجمع بالذوق من الملك لأجل جمعيته وبعض الناس يغلط في هذا المقام من أجل تشكل الروحاني في أي صورة شاء وما علم إن التكحل في العينين ليس كالكحل فالإنسان الكامل لا الإنسان الحيواني أكمل نشأةً للحقائق التي أنشئ عليها حقائق الأسماء الإلهية وحقائق العالم وهو الذي أنشأه الله على الصورة فهو بجمعيته حق كله فالخلق مجله إذ كان له الكمال فيراه بكل عين ويشهده في كل صورة ولا يدل هذا على أنه أفضل عند الله فإن هذا كان لجمعيته فلا يقال في الشيء إنه أفضل من نفسه وإنما تقع الفضيلة بين الغيرين ولا غير فإن الملك جزء من الإنسان والجزء من الكل وللكل من الجزء ما ليس للجزء من الكل والمثلان لا يتفاضلان فيما هما مثلان فيه فإن تفاضلًا فما هما مثلان ولنا في ذلك من قصيدة في واقعة عجيبة وقد نوديت مسموك الدار

فسبحانكم مجلى و سبحان سبحانا	مسكك في داري لإظهار صورتني
ولا أبصرت عيني كمثلك إنسانا	فما أبصرت عينك مثلي كاملا
نصبت على هذا من الشرع برهانا	فلم يبق في الإمكان أكمل منكمو
على كل وجه كان ذلك ما كانا	فأي كمال كان لم يك غيركم
و قررت هذا في الشرائع إيمانا	طهرت إلى خلقي بصورة آدم
إلى ناظري حقا وإن كان إنسانا	و سميته لما تجلى بصورتني

ليقبله عينا و إن كان أكوانا	فقل فيه ما تهواه إن شئت أنه
لكان وجود النقص في إذا كانا	فلو كان في الإمكان أكمل منكمو
و أكمل منها ما يكون فقد بأنا	لأنك مخصوص بصورة حضرتي
فزن ذاتكم إني وضعتك ميزانا	فمائل وجودي فالتقابل حاصل
و لا أحدا أوجدته منك ريانا	تجد علم ما قد قلت فيك مسطرا
و عاينت فيك الكون رمزا و تبيانا	ظهرت لنا مجلى فعاينت صورتني
و أعلنت قولي إذ تجليت إحسانا	و ساررتكم لما رأيت سراركم
فإن كنت لي عينا فلا تبده الآنا	و ما أنت ذاتي لا و لا أنا ذاتكم
و أرجنا من كان يخفيه كئمانا	فأخسرنا من كان يعلن سره
سيلقي غدا روحا لدي و ريجانا	فمن كان ذا كتم لسري و غيره
و أظهركم بالحال سرا و إعلانا	إذا كنت لي عينا أكون لكم يدا
و مهدته حبا لخيلك ميدانا	و صيرت قلبي للتجلي منصة
لدعواك فرسانا تجول و ركباننا	و أملائه من كل شهم غشمشم
من أسمائه الحسنى خيرا و محسانا	و جئتك بالأسماء يقدم جمعها
و أرسلتها عينا معيننا و طوفانا	و أنزلتها تبغي الفناء بفنائكم
ملابس أعياد ضروبا و ألوانا	وهبتك يا عبدي من أسماء ذاتكم
أنا أنت بل كن في الخليقة رحمانا	فإن كنت لي بي كنت أنت و لا نقل

فتحقق أيدك الله ما أشرنا إليه في صيام ما ذكرناه من الثلاثة الأيام من كل شهر فهي في حقنا على حد ما ذكرناه و تقبل هذه الثلاثة الأيام في حق العامة زكاة ذلك الشهر و في مجموع السنة زكاة تلك السنة و هي ستة و ثلاثون يوما فهي مثل العشر في زكاة الحبوب فإن العامة مع النفس التي تطلب الغذاء و هي النفس النباتية لا الحيوانية فإن الحيوان ما يطلب الغذاء من كونه حيا و إنما يطلبه من كونه نباتا فلا تخلط بين الحقائق و لهذا جوزوا من حيث امتنعوا في زمان الصوم من استعمال ما يتمون به و هو الغذاء و رحمهم الله تعالى بالسحور عوضا من أكل بالنيهار فما نقص الصائم من غذائه شيء إذا تسحر و رغب الله في أكلة السحور و سماه غذاء حتى لا يكون للنفس النباتية مقال يطلبه حق من الله فإن ترك العبد السحور تعين عليه من النفس طلب حقها و من الله الذي أمره بإيصال حقها إليها فإن المكلف مأمور أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه و

كما فرقنا بيننا وبين أهل الكتاب في أكلة السحور وكان الاعتبار في سحورنا غير ما تعتبره العامة لذلك كان صومنا يخالف صومهم من هذه الجهة فنحن مشاركون لهم فيما تطلبه النفس النباتية منا ومنهم وهم لا يشاركوننا فيما يختص بالنفس الناطقة التي هي العقل من إيصال الحق إلى مستحقه فإن لنفسك عليك حقا وهو أشد حقوق الأكوان بعد حق الله عليك لأن خصمك بين جنبيك وما من حق لكون من الأكوان على أحد إلا والله فيه حق على ذلك الكون فاحفظ نفسك فإذا كان غدا في موطن الجزاء والتجلي ظهر الفرق بين الفرق والتفاضل فكم بين نفس تحشر بنعوت إلهية وبين نفس محرومة من ذلك فتصرف قيمتها يوم القيامة إلى ما كانت صرفتها في الدنيا من الانكباب على ما تطلبه هذه النشأة الطبيعية من الاتساع فيما هو فوق الحاجة فلا فرق بينه وبين سائر الحيوانات وهذا هو الإنسان الحيوان وربما أكثر الحيوان إذا اكتفى ما له همة في المستقبل والإنسان ليس كذلك لا يزال مهموماً ومنهوماً في الحال والاستقبال فيجمع ولا يشبع لأنه خلق هلوياً إذا مسه الشر جزوياً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون وهم المتأخرون عن هذه الصفة التي جبلوا عليها فإن المصلي هو المتأخر عن السابق في الحلبة فهذا معنى قوله إلا المصلين هنا في الاعتبار وقد يكون تفسيراً للآية فإنه سائق ولكن حمله على الإشارة أعصم فنفس العامة التي هي بهذه المثابة محجوبة في الدنيا والآخرة ليرتفع عنهم الأمل كما ارتفع هنا وكذلك أهل الله فكما هم الخلق في الدنيا كذلك يكونون غداً يوم القيامة ولو لا حشر الأجسام في الآخرة لقامت بنفوس الزهاد والعارفين في الآخرة حسرة الفوت ولتعذبوا لو كان الاقتصار على الجنات المعنوية لا الحسية فخلق الله في الآخرة جنة حسية وجنة معنوية وأباح لهم في الجنة الحسية ما تشتهي أنفسهم ورفع عنهم ألم الحاجات فشهواتهم كالإرادة من الحق إذا تعلقت بالمراد تكون فما أكل أهل السعادة لدفع ألم الجوع ولا شربوا لدفع ألم العطش ولما اشتغلوا هنا بالله من حيث ما كلفهم فهم يجرون في الأمور بالميزان الذي حد لهم خائفين من أن يظنّفوا أو يخسروا الميزان جعل لهم سبحانه الاشتغال في الآخرة بالجنة الحسية لأجسامهم الطبيعية جزاء وفاقاً قال تعالى إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ وَالْعَارِفُونَ وَالْعَارِفُونَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الحسية على السواء ويفوز العارفون بما يزيدون عليهم بجنات المعاني فجنّتي الجنّين للعارفين دان فيأبى الآء ربك كما تكذبان ولا بشيء من آلتك ربنا نكذب فهذا الاشتغال منع العامة وعلماة الرسوم في الدنيا والآخرة وأهل الله معهم من حيث نفوسهم النباتية والحيوانية في هذا الشغل وهم مع الله من ذلك الوجه الآخر فكما أنه ما حجبهم في الدنيا ما هم عليه من الحاجة إلى الغذاء مع قوة سلطانه في الدنيا لدفع الأم الجوع والعطش والإحساس بأنواع الأشياء المؤلمة كذلك لا يحجبهم في الآخرة نعيم الجنان المحسوس عن الله في الاتصاف بأسمائه التي تليق بالدار الآخرة لأن لها أسماء إلهية لا يعلمها اليوم أحد أصلاً فإن الأسماء الإلهية إنما يظهرها مواطنها سيقول النبي صلى الله عليه وسلم فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن فإن المواطن يعين الأسماء فإنه عن آثارها ولكن هذا الذي نذكره من النعيم الذي لا حسرة فيه إنما يكون في الجنة لا في القيامة فإن يوم القيامة يوم التعان للكل فالسعيد يقول يا ويلتا ليتني زدت والشقي يقول يا حسرتي على ما فرطت ولهذا سمي يوم الحسرة لإظهاره مثل هذا لأنه من حسرت الثوب عني فظهر ما تحته أي أزالته

(وصل في فصل من جعل الثلاثة الأيام من كل شهر صوم أيام الثلاثة البيض)

خرج النسائي من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الشهر أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة فهذا ظهور حق في خلق وهو ظهور الشمس لا عينا في القمر ليالي إبداره وهي الليالي البيض وأيامها تسمى الأيام البيض لأن الليل من أوله إلى آخره لا يزال فيها منورا فجعل لياليها أياما لإزالة ظلمة الليل وطلوع الشمس بوساطة القمر مكتملا فجعلها شهادة وكانت غيبا يستتر فيها كل شيء فصار يظهر فيها كل ما كان مستورا بظلمة الليل فالنهار وإن كان ولد الليل فهو من أعدائه لأنه ينفره أبدا قال تعالى إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

يا حذرى من حذرى لو كان يغني حذرى

فالنهار ولد عاق لا يزال يطرد أباه ويهجمه ليلا ونهارا على قدر ما يقدر عليه فظهور الشمس في مرآة القمر ظهور حق في خلق لأن النور اسم من أسماء الله تعالى فظهر باسمه النور في ظهور القمر قال تعالى وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا فَهُوَ مَجْلَى لِنُورِ الشَّمْسِ وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا فَإِنَّ النُّورَ الْحَقَّ هُوَ سَبْحَانَهُ فَإِنَّهُ الْمَدُّ بِالنُّورِ لِكُلِّ مَنْوَرٍ وَالسِّرَاجُ نُورٌ مَمْدُودٌ بِالذَّهْنِ الَّذِي يُعْطِيهِ بَقَاءَ الْإِضَاءَةِ عَلَيْهِ وَهَذَا جَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا وَكَذَلِكَ جَعَلَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَاجًا مُنِيرًا لِأَنَّهُ يَمُدُّهُ بِنُورِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ فِي دَعَائِهِ إِلَى اللَّهِ عِبَادَهُ وَمِنْ شَرْطٍ مِنْ يَدْعِي الْإِجَابَةَ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَهُ بِأَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ حَرْفُ غَايَةٍ وَهُوَ اتِّهَاءُ الْمَطْلُوبِ فَتَضَمَّنَتْ حَرْفَ إِلَى أَنْ الْمَدْعُو لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَعْيٌ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى اللَّهِ فَإِنْ مَشَى فِي الظُّلْمَةِ فَإِنَّهُ لَا يَبْصُرُ مَوَاقِعَ الْهَلِكَةِ فِي الطَّرِيقِ فَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي دَعَاهُ إِلَيْهِ بِجَفْرَةٍ يَقَعُ فِيهَا وَبُرٌّ يَتَرَدَّى فِيهَا أَوْ شَجْرَةٌ أَوْ حَائِطٌ يَضْرِبُ فِي وَجْهِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنْ مَطْلُوبِهِ أَوْ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ يَضِلُّ عَنْهَا لِعَدَمِ التَّمْيِيزِ فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا كَالشَّبهِ الْمُضَلَّةَ لِلْإِنْسَانِ فِي نَظَرِهِ إِذَا أَرَادَ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ بِالْعِلْمِ مِنْ حَيْثُ عَقَلَهُ وَافْتَقَرَ إِلَى نُورٍ يَكْشِفُ بِهِ مَا يَصْدَهُ عَنْ مَطْلُوبِهِ وَيَجْرِمُهُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ لَمَّا دَعَاهُ فَجَعَلَ الْحَقَّ شَرْعَهُ سِرَاجًا مُنِيرًا يَتَّبِعُ لِمَا دَعَا بِالسِّرَاجِ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَى مَنْ دَعَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ أَيْ بِأَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا مِنْ عَقْلِكَ وَنَظْرِكَ وَسِرَاجًا مُنِيرًا أَيْ يَضْهِرُ بِهِ لِلْمَدْعُو مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْوَصُولِ فَيَحْتَنِبُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ كَمَا قَالَ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَجَعَلَ لَنَا سَهْمًا مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ صِفَةِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ فَهُوَ نُورٌ مَمْدُودٌ بِإِمْدَادِ إلهي لَا بِإِمْدَادِ عَقْلِي ثُمَّ إِنَّ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الدَّهْرُ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ فَأَمَّا بِنَزْوِيزَةِ الزَّمَانِ مِنْ حَيْثُ مَا سُمِّيَ دَهْرُ الْكُونَ الدَّهْرُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَصَارَ لَفْظُ الدَّهْرِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَشْتَرَكَةِ كَمَا نَزَّهَ الْحُرُوفُ أَعْنِي حُرُوفَ الْمَعْجَمِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا كَتَبَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَّمْنَاهَا فَقَالَ فَاجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ وَنَهَانَا أَنْ نَسَافِرَ بِالْمَصْحَفِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ وَمَا سَمِعَ السَّمْعَ إِلَّا أَصْوَاتًا وَحُرُوفًا فَلَمَّا جَعَلَهَا كَلَامَهُ أَوْجَبَ عَلَيْنَا تَنْزِيهَهَا وَتَقْدِيسَهَا وَتَعْظِيمَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْبَرًا لَنَا أَنَّ صِيَامَ الْأَيَّامِ الْبَيْضِ صِيَامَ الدَّهْرِ مِنْ بَابِ الْإِشَارَةِ مَا هُوَ صِيَامُكُمْ فَأَضَافَ الصُّومَ إِلَى الدَّهْرِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى الصُّومَ لِي وَمَا

جعله صيام الدهر وأنت الصائم في هذه الأيام كان الدهر كمثل الشمس في ظهورها في القمر وكان القمر كالإنسان الصائم وكان نور القمر كالصوم المضاف إلى الإنسان إذا كان هو محل وهو مجلى الدهر تعالى فهو صوم حق في صورة خلق كما قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فالقاتل الله والسماع متعلق بلفظ العبد فهو نطق إلهي في خلق فهو قول الله في هذه الحال لا قول العبد فالسمع على الحقيقة إنما تعلق بكلام الله على لسان العبد الذي هو مجرى الحروف المقطعة فينبغي لنا صح نفسه أن يصوم الغرر من أول كل شهر على نية ما ذكرناه لك من الاعتبار ويصوم الأيام البيض على هذا الاعتبار الآخر وهو صوم النياية عن الحق فلك جزء الحق لا الجزء الذي يليق بك وكل شيء له فما ثم من يقوم مقامه أن يكون جزء له وكذلك هذا الصائم بهذا الحضور فإنه في عبادة لا مثل لها بناية إلهية ومجلى اسم إلهي يقال له الدهر فله كل شيء كما كان الدهر ظرف كل شيء فلا جزء لهذا الصائم غير من تاب عنه إذا كان مجلاه ولهذا قال وأنا أجزى به معناه إنا جزاؤه بسبب كونه صائما بحق شهودي مشهود له ما هو للحق لا للعبد فقد عرفتك كيف تصوم الأيام البيض وما تحضره في نفسك عند ما تريد أن تشرع فيها وهي صفة كمال العبد في الأخذ عن الله كما كان القمر في هذه الأيام موصوفاً بالكمال في أخذه النور من الشمس من الاسم الظاهر للخلق فإن له أيضاً كما لا آخر في الوجه الآخر منه من الاسم الباطن ليلة السرار وهو مجلى في تلك الليلة من غير إمداد يرجع إلى الخلق بل هو في السرار بما يخصه من حيث ذاته خالص له وهو الذي أشرنا إليه في صوم سرر الشهر المأمور به شرعاً وقد تقدم فاجعل بالك لما فتحناه إلى عين فهمك عناية من الله بك من حيث لا تشعر ولا يحجبك عن هذا العلم الغريب الذي بيناه لك الرؤيا الشيطانية التي رؤيت في حق أبي حامد الغزالي فحكاها علماء الرسوم وذهلوا عن أمر الله تعالى سبحانه لنبيه في قوله وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا لم يقل عملاً ولا حالاً ولا شيئاً سوى العلم أتراه أمره بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد منه والصفة الناقصة عن درجة الكمال أتراه في قوله ضرب بيده يعني ضربة الحق إياه فعلمت في تلك الضربة علم الأولين والآخرين لا شيء لم يذكر العمل ولا الحال فحكى أصحاب الرسوم عن شخص سموه وهو أنه رأى أبا حامد الغزالي في النوم فقال له أو سأله عن حاله فقال له لو لا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير فتأولها علماء الرسوم على ما كان عليه أبو حامد من علم هذا الطريق وقصد إبليس بهذا التأويل الذي زين لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات هذا إذا لم يكن لإبليس مدخل في الرؤيا وكانت الرؤيا ملكية وإذا كانت الرؤيا من الله والرأي في غير موطن الحس والمرئي ميت فهو عند الحق لا في موطن الحس والعلم الذي كان يحرض عليه أبو حامد وأمثاله في أسرار العبادات وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموطن الذي الإنسان فيه بعد الموت بل تلك حضرته وذلك محله فلم يبق العلم الغريب على ذلك الموطن إلا العلم الذي كان يشتغل به في الدنيا من علم الطلاق والنكاح والمبايعات والمزارعة وعلوم الأحكام التي تتعلق بالدنيا ليس لها إلى الآخرة تعلق البتة لأنه بالموت يفارقها فهذه العلوم الغريبة عن موطن الآخرة وكالهندسة والهيئة وأمثال هذه العلوم التي لا منفعة لها إلا في الدار الدنيا وإن كان له الأجر فيها من حيث قصده ونيته فالخير الذي يرجع إليه من ذلك قصده ونيته لا عين العلم فإن العلم يتبع معلومه ومعلومه هذا كان حكمه في الدنيا لا في الآخرة فكانه يقول له في رؤياه لو اشتغلنا

زمان شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذي يليق به ويطلبه هذا الموضع لكننا على خير كثير ففاننا من خير هذا الموطن على قدر اشتغالنا بالعلم الذي كان تعلقه بالدار الدنيا فهذا تأويل رؤيا هذا الرائي لا ما ذكره ولو عقلوا لتفطنوا في قوله العلم الغريب فلو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخروي لما كان غريبا لأن ذلك موطنه والغربة إنما هي لفراق الوطن فثبت ما ذكرناه فيالك إن تحجب عن طلب هذه العلوم الإلهية والأخروية وخذ من علوم الشريعة على قدر ما تمس الحاجة إليه مما يفرض عليك طلبه خاصة وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا على الدوام دنيا وآخرة

(وصل في فصل صيام الإثنين والخميس)

خرج النسائي عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله إنك تصوم حتى تكاد لا تفطر وتفطر حتى تكاد لا تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتها قال أي يومين قلت يوم الإثنين ويوم الخميس قال ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين فأحب إن يعرض عملي وأنا صائم فاعلم إن أسماء الأيام الخمسة جاءت بأسماء العدد أولها الأحد وآخرها الخميس واختص السادس باسم العروبة وفي الإسلام باسم الجمعة والسابع يوم السبت فسميا بالحال لا باسم العدد كما أقسم بالخمسة الحنسن الجوارري وهي التي لها الإقبال والإدبار ولم يجعل معهن في هذا القسم الشمس والقمر وإن كانا من الجوارري ولكنهما ليسا من الحنسن كذلك الجمعة والسبت وإن كانا من الأيام لم يجعل اسمهما من أسماء العدد فلنذكر هنا ما يختص بالاثنين والخميس كما نذكر في صيام الجمعة والسبت والأحد ما يختص بهن أيضا في موضعه من هذا الباب فيوم الإثنين لآدم صلوات الله عليه ويوم الخميس لموسى صلى الله عليه وسلم فجمع بين آدم ومحمد صلى الله عليه وسلم الجمعية في الأسماء وجوامع الكلم فكما إن آدم علم الأسماء كلها كذلك محمد صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم والأسماء من الكلم فتلبس بيوم الإثنين الذي هو خاص بآدم لهذه المشاركة وأما موسى فجمع بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين الرفق وهو الذي تطلبه الرحمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الله رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وكان موسى في ليلة الإسراء لما اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن اجتمع من الأنبياء عليهم السلام لم يامرهم أحد من الأنبياء ولانبه على الرفق بأمته إلا موسى صلى الله عليه وسلم لما فرض الله علينا في تلك الليلة خمسين صلاة فما سأله أحد من الأنبياء لما رجع عليهم ما فرض الله على أمته إلا موسى عليه السلام فتهم بنا دون سائر الأنبياء عليهم السلام فلما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة قال له موسى عليه السلام راجع ربك في ذلك الحديث وفيه فما زلت أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى فرضها خمسة في العمل وجعل أجرها أجر خمسين فنقص من التكليف وأبقى الأجر على ما كان عليه في الأصل فلما جمع بينه وبين موسى في صفة الرفق بنا تلبس معه بيوم الخميس الذي هو لموسى عليه السلام وكان يتذكر بآدم في صوم الإثنين ما هو عليه من العلم ويتذكر بموسى في صوم الخميس الرحمة التي أرسل بها للعالمين وهما في حال لا يأكلان ولا يشربان فيه لأنهما قد فارقا الحياة الدنيا وما هما في عالم النشء الجسمي الذي يطلب الغذاء بل هما في برزخ لا غذاء

فيه بين النشأتين فأراد صلى الله عليه وسلم لما وقعت بينه وبينهما المشاركة فيما ذكرناه أن يتلبس في هذين اليومين اللذين يجتمع معهما فيهما بترك الطعام والشراب موافقة لهما ليتفرغ صلى الله عليه وسلم لتحصيل ما أداه إلى الاجتماع بهما في هذين اليومين وجعله صوما دون أن يعتبره اتساعا من الغذاء فحسب حتى يكون تركه ذلك عملا مشروعا فتلبس بصفة هي للحق وهو الصوم فصامهما ليعرض عمله على رب العالمين في ذينك اليومين وهو متلبس بصفة الحق إذ كان الصوم له ولما كان الصوم بالنسبة إلى العباد يدخله الفساد لما كان قابلا لذلك ويقبل الصلاح أيضا كان العرض على رب العالمين لأعلى اسم غيره والرب هو المصلح فيصلح ما دخل في هذا الصوم من الفساد إن كان دخله فساد من حيث لا يشعر ويتعلق هذا الحكم بالعلامة خاصة وهي الدلالة على الله تعالى ولذلك قال على رب العالمين من العلامة وفساد العلامة إنما هو من طرو الشبهة عليها في النظر العقلي وما ثم شبهة أعظم من نسبة الصوم لله دون سائر الأعمال ووصف العبد به فإذا حصل العرض الذي هو التجلي والكشف بأن للصائم ما لله من الصوم وما للعبد منه فزال الشبهة التي يقبلها العقل بالكشف الإلهي فهذا معنى مصلح العلامة و أما إذا اعتبرته بمربي العالمين أي مغذيتهم فغذاء الصائم في هذا العرض هو ما يفيد الحق في هذا الصوم من العلوم المختصة بهذين اليومين من علم الأسماء وعلم الاثنتي عشرة عينا التي في العلم بها العلم بكل ما سوى الله وهو علم الحياة التي يجيا بها كل شيء وهو العلم المتولد بين النبات والجماد من المولدات بصفة القهر فإن العيون الاثنتي عشرة إنما ظهرت بضرب العصا الحجر فانفجرت منه بذلك الضرب اثنتا عشرة عينا يريد علوم المشاهدة عن مجاهدة بسبب الضرب وعلوم ذوق لأن الماء من الأشياء التي تذاق ويختلف طعمها في الذوق فيعلم بذلك نسبة الحياة كيف اتصف بها المسمى جمادا حتى أخبر عنه الصادق أنه يسبح بحمد الله لأن الحق أضاف ذلك إلى الحجر بقوله منه ومن لاكشف له ولا إيمان لا يثبت للجماد حياة فكيف تسيحعا نعوذ بالله من الخذلان فيعلم بهذا الكشف نسبة الحياة أيضا إلى النبات لأن الضرب كان بالعصا وهي من عالم النبات وبضربه بها ظهر ما ظهر ومن لاكشف له لا يعلم أن النبات حي إلا من يصرف الحياة إلى النمو فيعلم في يوم الخميس إذا صام من أجل الإمداد روحانية موسى عليه السلام فيه علم الاثنتي عشرة عينا على الكشف والمشاهدة وهو علم ما يتعلق بمصالح العالم قد علم كل أناس مشربهم من تلك العيون فمن علمها علم حكم الاثنتي عشر برجا وعلم منتهى أسماء الأعداد وهي اثنا عشر وعلم الإنسان بما هو ولي الله تعالى

فانظر إلى شجر يقضي على حجر وانظر إلى ضارب من خلف أستار

وكان الحجاب عليه والستر موسى عليه السلام كما كان الحجاب للأعرابي على كلام الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبصوم يوم الإثنين يجمع بين خلق وحق في بساط مشاهدة وحضور لتحصيل علم الأسماء الإلهية وبصوم يوم الخميس يجمع حفظ نفسه وحفظ الأربع من جهاته التي يدخل عليه منها الشبه المضلة فإنها طرق الشيطان من قوله ثم لا تبينهم من بين أيديهم عن أمر وأسفرز ومن خلفهم عن أمر وأجلب عليهم وعن إيمانهم عن أمر وشاركهم وعن شمائلهم عن أمر وعدهم وهو بعينه في الوسط فإن به تميزت هذه الجهات الأربع وكان

المجموع في هذه الحضرة خمسة فاعتصم بصوم يوم الخميس لكون الخمسة من خصائصه وموسى صاحبه فيها وهو فظ غليظ يفرق الشيطان منه لفظاً طهه فيعتصم بالصائم يوم الخميس بهذا الحضور الذي ذكرناه من الشيطان الذي أرصد له على هذه الجهات ومن قبول نفسه لما يرد به هذا الشيطان لو ورد عليه وهو الشيء الخامس المساعد للشيطان فيما يرومه فيكون موسى حاجب هذه الأبواب فيبقى الصائم فيها مستريحاً آمناً وهو صاحب الصوم في ذلك اليوم ولم يقل ذلك في آدم في صوم الإثنين وجعلناه في الاعتبار جمع حق وخلق لتلايطراً عليه الخلل في صومه من حيث لا يشعر فإن آدم صاحب ذلك اليوم قبل من إبليس الإزال من حيث لا يشعر ومن لم يدفع عن نفسه فأحرى إن لا يقدر أن يدفع عن غيره فحمل الإثنين على حق وخلق للاشتراك في صفة الصوم ولم يعتبر آدم في هذا الموطن ونسبة الخمسة الخنس ليوم الخميس الذي هو لموسى لكونها لها الكبر والفر بما لها من الإقبال والإدبار في السير فلها الحكم والقوة بذلك على غيرها لقوة الخمسة التي جمعها فإن الخمسة من الأعداد تحفظ نفسها وتحفظ العشرين وما ثم عدد له هذه المرتبة ولا هذه القوة إلا هذه الخمسة ومن حفظ نفسه وغيره كان أقوى شبيهاً بما تطلبه العقول من التشبه بمن له هذه الصفة قال تعالى وَلَا يُؤدُّهُ حِفْظُهُمَا وَقَالَ رَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء التاسع والخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل صيام يوم الجمعة)

اختلف العلماء في صوم يوم الجمعة فمن قائل يكره صومه ومن قائل يكره صومه إلا أن يصام قبله أو بعده خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده وخرج البخاري عن جويرية بنت الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال أصمت أمس قالت لا قال تريدن أن تصومي غدا قالت لا قال فافطري اعلم أن يوم الجمعة هو آخر أيام الخلق وفيه خلق من خلقه الله على الصورة وهو آدم فيه ظهر كمال إتمام الخلق وغايته وبه ظهر أكمل المخلوقات وهو الإنسان وهو آخر المولدات فحفظ الله به الاسم الآخر على الحضرة الإلهية وحفظه الله بالاسم الآخر فهو الذي ينظر إليه من الأسماء الإلهية ولما جمع الله خلق الإنسان فيه بما أنشأه تعالى عليه من الجمع بين صورتين صورة الحق وصورة العالم سماه الله بلسان الشرع يوم الجمعة ولما زينه الله بزينة الأسماء الإلهية وحلاه بها وأقامه خليفة فيها بها فظهر بأحسن زينة إلهية في الكمال وخصه الله تعالى بأن جعله أوسع من رحمته تعالى فإن رحمته لا تسعه سبحانه ولا تعود عليه وإن محلها الذي لها الأثر فيه إنما هو المخلوقون ووسع القلب الحق سبحانه فهذا كان أوسع من رحمة الله وهذا من أعجب الأشياء أنه مخلوق من رحمة الله وهو أوسع منها ومن كان مجلى كمال الحق فلا زينة أعلى من زينة الله فأطلق الله عليه اسماً على السنة العرب في الجاهلية وهو لفظ العروبة أي هو يوم الحسن والزينة فظهر الحق في كماله في أكمل الخلق وهو آدم فلم يكن في الأيام أكمل من يوم الجمعة فإن فيه ظهرت حكمة الاقتدار لمخلوق الإنسان فيه الذي خلقه الله على صورته فلم يبق للاقتدار الإلهي

كمال يخلقه إذ لا أكمل من صورة الحق فلما كان أكمل الأيام وخلق فيه أكمل الموجودات وخصه الله بالساعة التي ليست لغيره من الأيام و الزمان كله ليس سوى هذه الأيام فلم تحصل هذه الساعة لشيء من الأزمان إلا ليوم الجمعة وهي جزء من أربع وعشرين جزء من اليوم وهي في النصف منه وهو المعبر عنه بالنهار فهي في ظاهر اليوم وفي باطن الإنسان لأن ظاهر الإنسان يقابل باطن اليوم و باطن الإنسان يقابل ظاهر اليوم ألا تراه أمر في رمضان بالقيام بالليل والقيام حكم ظاهر الإنسان فإن الظاهر منه هو المستريح بالنوم وجعل الله اليوم له سبباً أي راحة و الليل محل التجلي الإلهي والنزول الرباني واستقبال هذا النزول بالقيام الكوني واجب في الطريق أدباً إلهياً وهذا النزول في الليل يقوم مقام الساعة التي في نهار الجمعة لكن النزول في كل ليلة والساعة خاصة بيوم الجمعة فإنها ساعة الكمال والكمال لا يكون إلا واحداً في كل جنس إن كان ذلك الجنس ممن له استعداد الكمال كاستعداد الإنسان وما هو ثم مما قبله غير الإنسان فالإنسان كامل بربه لأجل الصورة ويوم الجمعة كامل بالإنسان لكونه خلق فيه وما خلق فيه إلا في الساعة المذكورة فيه فإنها أشرف ساعاته والحكم فيها للروح الذي في السماء السادسة و هي سماء العدل والاعتدال صفات وكمال الباطن فإن سلطان هذا اليوم هو الروح الذي في السماء الثالثة وله الاستعداد التام في يومه في الساعة الأولى منه والثامنة فهو الحاكم بنفسه تجلياً و سائر ساعاته يجري حكمه فيه بنوابه والعلم أكمل الصفات فخص الأكل بالأكل و الصوم لا مثل له في العبادات فأشبهه من لا مثل له في نفي المثلية ومن لا مثل له قد اتصف بصفتين متقابلتين من وجه واحد وهو الأوَّلُ وَالْآخِرُ و هو ما بينهما إذا كان هو الموصوف وكذلك هو بين الظاهر والباطن وهاتان الصفتان في المعنى واحدة وإنما كان الانقسام فيما ظهر عنها من الحكم فأطلق عليها اسم الظاهر لظهور الحكم عنها واسم الباطن لخباء سببه فهما نسبتان له فلما لم يكن بد من إثبات هذه الصفة النسبية التي هي معقول حكمها غير معقول حكم الموصوف لم يكن بد من إثباتها وكل حكم له أولية و آخريّة في المحكوم عليه فهو الأول والآخر من حيث المعنى واحد ومن ابتدائه وانتهائه طرفان فيما لا ينقسم ولما كان الأمر على ما قرناه كان من أراد أن يصوم الجمعة يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده ولا يفرد بالصوم لما ذكرناه من الشبه في صيام ذلك اليوم وقيام ليلته إذ كان ليس كمثله يوم فإنه خير يوم طلعت فيه الشمس فما أحكم علم الشرع في كونه حكم أن لا يفرد بالصوم ولا ليلته بالقيام تعظيماً لرتبته على سائر الأيام وهو اليوم الذي اختلفت فيه الأمم فهذا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فما بينه الله لأحد إلا الحمد صلى الله عليه وسلم لمناسبته الكمالية فإنه أكمل الأنبياء ونحن أكمل الأمم وسائر الأمم وأنبيائها ما أبان الحق لهم عنه لأنهم لم يكونوا من المستعدين له لكونهم دون درجة الكمال أنبياء وهم دون محمد صلى الله عليه وسلم و أمهم دوننا في كمالنا فالحمد لله الذي اصطفانا فنحن بحمد الله يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم عين الساعة التي فيها التي بها فضل يوم الجمعة على سائر الأيام كما فضلنا نحن بمحمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم والصوم لله من وجه التنزيه والصوم للإنسان عبادة وموضع الاشتراك الصوم فصوم يوم الجمعة بما هو منه لله وصوم اليوم المضاف إليه بما هو للعبد منه إذ بصيام العبد صح أن يكون الصوم لله وبصيام اليوم المضاف إلى يوم الجمعة صح صوم يوم الجمعة والله عليم حكيم

(وصل في فصل صيام يوم السبت)

خرج أبو داود عن عبد الله بن بشر عن أخيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا عود غيب أو لحاء شجر فليمضغه قال أبو داود هذا منسوخ قال أبو عيسى في هذا الحديث حديث حسن وخرج النسائي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم السبت والأحد أكثر ما يصوم ويقول إنهما يوما عيد للمشركون فأنا أحب أن أخالفهم واختلف العلماء في صوم يوم السبت فمن قائل بصومه ومن قائل لا يصام اعلم أن يوم السبت عندنا هو يوم الأبد الذي لا انقضاء ليومه فليله في جهنم فهي سوداء مظلمة ونهاره لأهل الجنان فالجنة مضيئة مشرقة والجوع مستمر دائم في أهل النار و ضده في أهل الجنان فهم يأكلون عن شهوة لا لدفع ألم جوع ولا عطش فمن كان مشهده القبض والخوف اللذين هما من نعوت جهنم قال يصومه لأن الصوم جنة فيقتي به هذا الأمر الذي أذهله وقد ورد في كتاب الترغيب لابن زنجويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من صام يوما ابتغاء وجه الله بعده الله من النار سبعين خريفا ومثل هذا ومن كان مشهده البسط والرجاء والجنة وعرف أن يوم السبت إنما سمي سببا لمعنى الراحة فيه وإن لم تكن الراحة عن تعب وهو يوم ما بين ابتداء الخلق الذي وقع في يوم الأحد وبين انتهاء الخلق الذي وقع في يوم الجمعة وتلك الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق وقال في يوم السبت وقد وضع إحدى الرجلين على الأخرى أنا الملك وأحكم العالم و قدر في الأرض أقواتها وأوحى في كل سماء أمرها ووضع الموازين وأحال الخلق بعضهم على بعض وجعل منهم المفيض والقابل وأكمل استعداداتهم على أتم الوجوه وفعل كما أخبر من أنه أعطى كل شيء خلقه وصف نفسه بالفراغ قال من هذا مشهده الحكمة تعطي الفطر في هذا اليوم فحجر صومه ولما في ذلك من التعب الذي يصاد الراحة فإن الصوم مشقة لأنه ضد ما جبل عليه الإنسان من التغذية وأما من صامه لمراعاة خلاف المشركين فمشهده أن مشهد المشرك الشريك الذي نصبه فلما ولي الشريك أمورهم في زعمهم بما ولو جعل لهم ذلك اليوم عيد الفرح بالولاية فأطعمهم فيه وسقاهم ولست أعني بالشريك الذي عبدوه واستندوا إليه وإنما أعني بالشريك صورته القائمة بنفسهم لا عينه فهو الذي أعطاهم السرور في هذا اليوم وجعله عيداً لهم وأما الذين جعلوه شريكاً لله فلا يخلو ذلك المجعل أن يرضى بهذا الحال أو لا يرضى فإن رضي كان بمثابة كفرعون وغيره وإن لم يرض وهرب إلى الله بما نسبوا إليه سعد هو في نفسه ولحق الشقاء بالناصبين له فمن صامه بهذا الشهود فهو صوم مقابلة ضد لبعده المناسبة بين المشرك والموحد فأراد أن يتصف أيضاً في حكمه في ذلك اليوم بصفة التقابل بالصوم الذي يقابل فطرهم ولذلك كان يصومه صلى الله عليه وسلم

(وصل في فصل صوم يوم الأحد)

فمن اعتبر ما ذكرناه من هذا الشهود فإنه يوم عيد للنصارى صامه لمخالفتهم ومن اعتبر فيه أنه أول يوم اعتنى الله فيه بخلق الخلق في أعيانهم صامه شكر الله تعالى فقابله بعبادة لا مثل لها فاختلف قصد العارفين في صومهم ومن العارفين من صامه لكونه الأحد خاصة والأحد

صفة تنزيه للحق والصوم صفة تنزيه ورتبة منيعة الحمى لما في الصوم من التحجير على الصائم عن الحظ النفسي من الإفطار والاستمتاع من الجماع والتنزيه عن المذاق فالصائم محجور عليه إن يغتاب أو يرفث أو يجهل أو يتصف بمذموم شرعا في تلك الحال فوقعت المناسبة بينه وبين الأحد في صفة التنزيه فصامه لذلك وكل له شرب معلوم فعامله بأشرف الصفات ولهذا كان للصوم من الطبيعة الحرارة واليبوسة لفقد الغذاء وهو ضد ما تطلبه الطبيعة فإنها تطلب لأجل الحياة الحرارة لا تمنعها وتطلب الرطوبة التي هي منفعة عن البرودة فقا بلها الصائم بالصد فقا بلها بالأصل ومنعله فإنه مأمور بمخالفة النفس والنفس طبيعة محضة منازعة للاله بذاتها لتوقف وجود عالم الأجسام كله عليها ولولاها لم يظهر لعالم الأجسام عين فزته و تاهت لذلك فقيل للروح المدبر لهذا الجسم العنصري المأمور بحفظ الاعتدال على هذا الجسد والنظر في مصالحه إذا رأيت النفس الطبيعية في هذا المقام من الزهو والخيلاء فامنعها عن الطعام والشراب والاستمتاع بالجماع بنية المخالفة لها ونية التنزيه عما تتخيله الطبيعة إنك مفتر إليها في ذلك وتعلم الطبيعة أنها محكوم عليها فتذلل تحت العبادة والافتقار لطلب الغذاء من هذا المدبر لهذا الهيكل فسمى مثل هذا التدبير صوما فإن منعها عن ذلك كله لصالح المزاج لا يسمى صوما وذلك الفعل للروح إنما هو من تدبير الطبيعة فسمى مثل هذا حمية لا صوما فإن نوى الروح بهذه الحمية ومساعدة الطبيعة فيما أمرته به صلاح مزاج هذا البدن لأجل عبادة الله وأن يقوم بجميع ما أمره الله به من العبادة في حركاته وسكناته التي لا تظهر منه إلا بصلاح المزاج أجر في تلك الحمية وإن لم تكن صوما فهذا قد أبت لك بعض أسرار صوم يوم الأحد

(وصل في فصل إن التجلي المثالي الرمضاني وغيره إذا كان فهو لوقته)

خرج مسلم في صحيحه عن أبي البخترى قال لقينا ابن عباس فقلنا إنا رأينا الهلال فقال بعض القوم هذا ابن ثلاث وقال بعض القوم هو ابن ليلتين فقال أي ليلة رأيتموه فقلنا ليلة كذا وكذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله مده للرؤية فهو ليلة رأيتموه قالت السادة من أهل الله الحكم للوقت والإنسان أو الصوفي ابن وقته لا يحكم عليه ماض ولا مستقبل غير أن الإنسان لا يعرف أنه ابن وقته مع حكم الوقت عليه والصوفي يعلم أنه بحكم وقته كذا هو في نفس الأمر فلماذا قلنا إن الصوفي ابن وقته لاطلاع على ذلك ولعلمه أنه فيما يحكم عليه به وفيه أثر النبوة وما كل إنسان يعلم ذلك مع أنه كذا في نفس الأمر فمتى ما ظهر للإنسان هذا الحكم واتصف على علم بأنه ابن وقته فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم هو الليلة رأيتموه فإننا نعلم قطعا إذا كان الهلال في الشعاع إنه متجل لنا ولكننا لا نراه كما نعلم قطعا إن الكواكب في السماء بالنهار متجلية لنا ولكننا لا نراها لضعف الإدراك البصري فلاننسب إليه فإذا رأيناه فإنه الوقت الذي نراه فيه لتعلمه فيحكم علينا بما يعطيه ذلك التجلي فإن كان رمضان أثر فينا نية الصوم وإن كان هلال فطر أثر فينا نية الفطر وإن لم يكن إلا هلال شهر من الشهور أثر فينا العلم بزوال حكم الشهر الذي انقضى وحكم الشهر الذي هذا هلاله وتختلف أحوال الناس فتمتاز الأوقات به لانقضاء الآجال في كل شيء من المبايعات والمدائبات والأكرية وأفعال الحج يقول الله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ كَمَا قَرَّرَاهُ

(وصل في فصل الشهادة في رؤيته)

فإن لم نره وأخبرنا به رجل واحد أو اثنان فهل ندخل تحت حكم الوقت و تقوم لنا الشهادة مقام الرؤية فأقول لا يخلو حكم هذا الهلال في ظهوره أن يظهر بحكم بوافق الغرض النفسي أو يخالفه فإن خالف قبلنا فيه شهادة الواحد ويكون الشاهد الآخر ما أمرنا به من مخالفة النفس فإن النفس بطبعها ما تريد هذا الحكم فينبغي لنا أن نعمل به في هلال الصوم و لما كان الفطر فيه غرض النفس طلبنا شاهداً آخر في الظاهر يشهد لنا حتى يكون فطرنا عبادة لأجل غرض النفس و ربما اشترطنا فيهما العدالة وإن مثل هذا الفطر الذي هو عيد الفطر عبادة و صومه حرام فإننا فيه أعني في رؤية هلال الفطر مستقبلاً لوجوب الفطر فيه و تحريم الصوم كما أنا في هلال رمضان مستقبلاً عبادة لوجوب الصوم و تحريم الفطر فلا فرق و مع هذا يحتاج إلى شاهدين في هلال الفطر جرياً على الأصل و لولا الخبر الوارد في هلال الصوم لأجريناه مجرى هلال الفطر وإن كان الأمر فيه على الاحتمال ولكن لنا ما ظهر فيحتاج في هلال الفطر إلى شاهدين ظاهرين و في هلال الصوم إلى شاهدين ظاهر و باطن فالباطن شاهد الأمر بمخالفة النفس يقول تعالى وَبَيَّهَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ وَالصَّوْمَ لَيْسَ لِلنَّفْسِ فِيهِ هَوَىٰ طَبِيعِي فَمَا صَمْنَا إِلَّا بِشَاهِدِينَ وَلَا أَفْطَرْنَا إِلَّا بِشَاهِدِينَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ حُكْمٌ وَجُودِي فَلَا بَدَ لِكُلِّ نَتِيجَةٍ مِنْ مَقْدَمَتَيْنِ وَهَذَا فِي هَذِهِ الْعِبَادَاتِ الشَّاهِدَانِ فَلَنَذَكُرُ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ لِنَفِيذِ الْوَاقِفِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ مَا حَذَّنَا حَتَّى لَا يَفْتَقِرَ إِلَى كِتَابٍ آخَرَ فَيَتَعَبُ فَأَقُولُ حَدِيثٌ وَارِدٌ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ رَبِيعِ بْنِ خِرَاشٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ فَقَدِمَ أَعْرَابِيَانِ فَشَهِدَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ لَأَهْلِ الْهَلَالِ أَمْسَ عَشِيَّةً فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْطَرُوا وَأَنْ يَغْدُوا إِلَى مَصَلَاهُمْ حَدِيثٌ آخَرٌ أَيْضًا مِنْ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ تَرَاءَى النَّاسُ الْهَلَالَ فَأَخْبَرَتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ حَدِيثٌ ثَالِثٌ عَنْ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَرْثِ أَنَّ أَمِيرَ مَكَّةَ خَطَبَ ثُمَّ قَالَ عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَسْكَ لِلرُّؤْيَةِ فَإِنْ لَمْ نَرَهُ وَشَهِدَ شَاهِدًا عَدَلَ نَسْكَنَا بِشَهَادَتِهِمَا ثُمَّ قَالَ إِنْ فِيكُمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنِّي وَشَهِدَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى رَجُلٍ قَالَ الْحُسَيْنِ فَقُلْتُ لِشَيْخٍ إِلَى جَنَابِي مِنْ هَذَا الَّذِي أَوْمَأَ إِلَيْهِ فَقَالَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَأَمِيرُ مَكَّةَ كَانَ الْحَارِثُ بْنُ حَاطِبِ الْجُمَحِيِّ حَدِيثٌ رَابِعٌ لِلدَّارِقُطِيِّ وَذَكَرَ الدَّارِقُطِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَازَ شَهَادَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى رُؤْيَةِ هَلَالِ رَمَضَانَ وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجِيزُ شَهَادَةَ الْإِفْطَارِ إِلَّا بِرَجُلَيْنِ وَهَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ

(وصل في فصل الصائم ينقضي أكثر نهاره في رؤية نفسه دون ربه)

لما كان الصوم حكماً أضافه الله إليه و عرى الصائم عنه مع كونه أمره بالصيام فانبغى للصائم أن يكون مدة صومه ناظرًا فيه إلى ربه حتى يصح كونه صائمًا لا يغفل عنه فإن الحق لا يضيفه إليه حتى يصح أنه صوم و لا يصح إلا بصيام العبد على الصورة التي شرع الله له فيه أن يأتي بها فإن

لم يصمه على حد ما شرع له فما هو صائمه وإذا لم يكن صائما فما ثم صوم يردّه الله إليه فإن الصائم قد يحسب أنه صائم وقد فعل في صومه فعلا وأوجب له ذلك الفعل أن يخرج عن صومه كالغيبية إذا وقعت منه وأمثالها فهو مفطر أي ليس بصائم وإن لم يأكل فإن كان لذلك الفعل كفارة وأتى بها فهو صائم فيحافظ الصائم على هذا فإن فيه إيثار الحق على نفسه فيجازه على قدر المؤثر به وهو الله تعالى فمن راعى ربه عز وجل راعاه الله تعالى فما يكون جزاؤه إلا هو من وجد في رحله فهو جزاؤه وقد وجد في رحله فإن الحق في قلب عبده المؤمن الحاضر معه لا بد من ذلك والصوم وجد عند الله فإنه له لما صح صوم الصائم طلب رحله فقيل له أخذه الله فكان الله جزاءه فقال الصوم لي وأنا أجزي به حديث مروى في فساد الصوم ذكر أبو أحمد بن عدي الجرجاني من حديث خراش بن عبد الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تأمل خلق امرأة حتى يستين له حجم عظامها من وراء ثيابها وهو صائم فقد أفطر خراش هذا مجهول لأنه كان يحدث من صحيفة كانت عنده وهذا الحديث منها والذي يرويه عنه ضعيف كذا ذكر شيخنا أبو محمد عبد الحق

(وصل في فصل حكم صوم السادس عشر من شهر شعبان)

صومه عندنا حرام وهو عندنا من أحد الأيام الستة التي يحرم صومها وهي هذا اليوم ويوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى وثلاثة أيام التشريق خرج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح لما كانت ليلة النصف من شعبان ليلة يكتب فيها ملك الموت من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقي خطأ أسود وعلى اسم السعيد خطأ أبيض به يعرف ملك الموت السعيد من الشقي فكان الموت لهذا الشخص مشهودا لأنه زمن الاطلاع على الآجال واستحضارها عند المؤمن الذي ما له هذا الاطلاع فإذا تلتها ليلة السادس عشر لم ينفك صاحب هذا الشهود أو المستحضر عن ملاحظة الموت فهو معدود بحاله في أبناء الآخرة وبالموت يسقط التكليف فما هو على حالة يبيت فيها الصوم لشهوده حالة الصفة التي تقطع الأعمال فبقي سكران من أثر هذه المشاهدة فمن بقيت عليه إلى دخول رمضان منع من صوم النصف ومن لم يتبق له منع من صوم السادس عشر خاصة من أجل أنه لم يبيت ليلا ولا ليلة السادس عشر ليلة نسخ الآجال وهي ليلة النصف وإنما خص بعض العلماء من أهل الظاهر السادس عشر أنه محل لتحريم الصوم فيه ما ذكره وهو أنه رحمه الله أورد حديثا صحيحا حدثناه جماعة أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي وأبو القاسم عبد الرحمن بن غالب القمري وأبو الوليد جابر بن أبي أيوب الحضرمي وأبو العباس ابن مقدم كل هؤلاء قالوا حدثنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيبي المقري قال حدثنا أبو محمد علي بن أحمد قال حدثنا عبد الله بن الربيع قال حدثنا عمر بن عبد الملك قال حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا أبو داود حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال قدم عباد بن كثير المدينة فمال إلى مسجد العلاء بن عبد الرحمن فأخذ بيده فأقامه فقال اللهم إن هذا يحدث عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا انتصف شعبان فلا تصوموا فقال العلاء اللهم إن أبي حدثني عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال أبو محمد

بن خرم هكذا رواه سفيان عن العلاء والعلاء ثقة روى عنه شعبة وسفيان الثوري ومالك وابن عيينة ومسعر بن كدام وأبو العميس وكلهم يحتج بحديثه فلا يضره غمز ابن معين له ولا يجوز أن يظن بأبي هريرة مخالفة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم والظن أكذب الحديث فمن ادعى هاهنا إجماعا فقد كذب قال أبو محمد وقد كره قوم الصوم بعد النصف من شعبان جملة إلا أن الصحيح المتين مقتضى لفظ هذا الخبر النهي عن الصيام بعد النصف من شعبان ولا يكون الصيام في أقل من يوم ولا يجوز أن يحمل على النهي صوم باقي الشهر إذ ليس ذلك بينا ولا يخلو شعبان أن يكون ثلاثين أو تسعا وعشرين فإذا كان ثلاثين فانتصافه بتمامه خمسة عشر يوما وإن كان تسعا وعشرين فانتصافه في نصف اليوم الخامس عشر ولم يمهله إلا عن الصيام بعد النصف فحصل من ذلك النهي عن صيام السادس عشر بلا شك انتهى كلام أبي محمد في كتاب الحلى ومنه نقلته وهو روايتي عن هؤلاء الجماعة الذين ذكروا في أول مساق حديث العلاء وغيرهم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه وهو الذي ذهب إلى أن صوم السادس عشر لا يجوز وعليه ما ذكرناه عنه

(وصل في فصل صيام أيام التشريق)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في صيام أيام التشريق فمن قائل بجواز صومها ومن قائل بجواز صوم المتمتع فيها ومن قائل بالكراهة ومن قائل بمنع الصوم مطلقا فيها أيام التشريق هي الثلاثة الأيام التي بعد يوم النحر وهي أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى ذكر مسلم في كتابه عن نبیة الهدلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وهذه صفة أهل الجنة فحيث وجدت هذه الصفة زال معها كل عمل في حال حكمها إلا العبادة فإنها حقيقة لا تزول عن الإنسان دنيا ولا آخرة والصوم ترك وعبادة فمن اعتبر العبادة فيه أجاز الصوم فيه ومن اعتبر ما رجع الشرع من أنها أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى ولم يقل ليالي أكل وشرب فهو خبر إلهي لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى فهو إعلام إلهي على جهة الخبر والخبر لا يدخله النسخ فأوجب الفطر فيها عبادة واجبة العمل فمن صام فيها فقد رجع نظره على خبر الله تعالى بما ينبغي أن يعمل فيها ومن نازع الله في شيء قال إنه له فقد عرض بنفسه للهلاك فإن الصوم له والفطر لك وما رخص في صومها المجتهد إلا لمن لم يجد الهدى كذا قال البخاري عن عائشة وابن عمر ثم جعل لك فيها ذكر لله وهو قوله تعالى فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فأمركم فيها بذكر الله فإن العرب كانت في هذه الأيام في الموسم تذكر أنسابها وأحسابها لاجتماع قبائل العرب في هذه الأيام تريد بذلك الفخر والسمعة فهذا معنى قوله كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أي اشتغلوا بالثناء على الله بما هو عليه على طريق الفخر إذ كنتم عبيده وفخر العبد بسيدته فإنه مضاف إليه وأكبر من ذلك من كونه منه كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته والعبد لا فخر له بأبيه بل فخره بسيدته وإن افتخر العبد بأبيه فإنما يقتخر به من حيث إن أباه كان مقربا عند سيده لأنه عبد مثله ممثلا لأمره واقفا عند حدوده ورسومه فإنه أيضا عبد الله فلماذا قال كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ فما نهاهم عن ذكر آبائهم ولكن رجع ذكرهم الله على ذكرهم آباءهم بقوله أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا وهو الموصي عباده بقوله أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ أَي كُونُوا أَنتم من إيتار ذكر الله

والفخر به من كونه سيدكم وأتم عميد له على ما كان عليه آباؤكم وذكر الله أكبر وأي عبادة كان فيها العبد وفيها ذكر الله فإن ذكر الله أكبر ما فيها من أفعال تلك العبادة وأقوالها قال تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ يَعْنِي الَّذِي فِيهَا أَكْبَرُ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهَا فَإِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ فِيهَا كَانَ جَلِيسَكَ فِي تِلْكَ الْعِبَادَاتِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ جَلِيسَ مَنْ ذَكَرَهُ وَإِذَا كَانَ جَلِيسَكَ فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ تَكُونَ ذَا بَصَرٍ إِلَهِي فَتَشْهَدُهُ أَوْ تَكُونَ غَيْرَ ذِي بَصَرٍ إِلَهِي فَتَشْهَدُهُ مِنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ أَنَّهُ يَرَاكَ فَتَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِثْلَ الْأَعْمَى يَعْلَمُ أَنَّهُ جَلِيسَ زَيْدٍ وَإِنْ كَانَ لَا يَرَاهُ فَهُوَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فَالرَّائِي لَهُ يَشْهَدُهُ مَحْرُوكًا لَهُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَالَّذِي لَا يَرَاهُ يَحْسُ بِأَنْ تَمُحَّرَكَ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ بِحَسَبِ الْإِيمَانِ لَا بِحَسَبِ الشُّهُودِ الْبَصَرِيِّ وَهُوَ قَوْلُهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ بِالذِّكْرِ يَعْلَمُ أَنَّهُ جَلِيسُهُ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى وَجَلِيسَ الْحَقِّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي خُلُوعٍ مَعَهُ ضَرُورَةٌ لَا يَتِمَّكِنُ أَنْ يَثْبُتَ مَعَ هَذَا الْعَبْدِ إِذَا جَالَسَهُ الْحَقُّ جَلِيسَ آخِرِ جَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي خَاطِرِهِ لِأَنَّهَا مَجَالِسَةٌ غَيْبٌ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ أَذْكَرُنِي فِي خُلُوعِكَ بِاللَّهِ قَالَ لَهُ إِذَا ذَكَرْتَكَ فَلَسْتُ فِي خُلُوعٍ مَعَ اللَّهِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَكَلِمُ اللَّهَ خَلْقَهُ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَالْحِجَابُ عَيْنَ الْكَلَامِ كَذَلِكَ لَا تَكَلِّمُهُ أَتَى وَلَا تَذْكَرُ عِنْدَهُ نَفْسَكَ وَلَا غَيْرَكَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَشَاهِدَةَ لِلْبَهْتِ وَالْحَرَسَ فَلَا بَدَّ لِلذَّاكِرِ وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ جَلِيسَهُ أَنْ يَكُونَ أَعْمَى وَلَا بَدَّ وَعَمَاءُ ذَكَرَهُ فَالْحَقُّ جَلِيسَ غَيْبٍ عِنْدَ كُلِّ ذَاكِرٍ فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ مَشَاهِدَةُ الْخِيَالِ فِي حَقِّ رَبِّهِ مِنْ قَوْلِهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَهُوَ اسْتِحْضَارٌ فِي خِيَالٍ فَمِثْلُ ذَلِكَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْكَلامِ فَإِنَّ الْجَلِيسَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِثْلَكَ لَا مِنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهَذَا كَانَ حَالِ الشَّهَابِ ابْنِ أَخِي النَّجِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مَا نَقَلَ إِلَى الثَّقَةِ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْكَلامِ أَيْ هَذَا الذَّوْقُ مِنْ ذَوْقِ الْحَقِّ أَبِي الْعَبَّاسِ السِّيَّارِيِّ مِنَ الرِّجَالِ الْمَذْكُورِينَ فِي رِسَالَةِ الْقَشِيرِيِّ حِينَ قَالَ مَا التَّذَاقُلُ بِمَشَاهِدَةٍ قَطُّ لِأَنَّ مَشَاهِدَةَ الْحَقِّ فَنَاءٌ وَلَيْسَ فِيهَا لَذَّةٌ أَيْ هَذَا الذَّوْقُ مِنْ ذَوْقِ الشَّهَابِ فَافْهَمْ فَإِنَّهُ مَوْضِعٌ غَلَطَ لِأَكْبَرِ الْحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ فَكَيْفَ بِنِ هُوَ دُونَهُمْ وَقَدْ أَخْبَرْنَا عَمَّنْ رَأَيْنَاهُ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ الْمُنْتَمِينَ إِلَى اللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ بِذَلِكَ أَعْنِي مِثْلَ قَوْلِ الشَّهَابِ فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عِلْمٍ تَامَ فَيَقُولُهُ عَلَى حَدِّ مَا رَسَمْنَاهُ وَإِنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَقُولُهُ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَقَائِقِ وَلَوْ قَالَهَا بِجُزْئِي كَتَبْتُ أَفَاضَهُ فِيهَا حَتَّى أَعْرِفَ بِأَيِّ لِسَانٍ يَقُولُ ذَلِكَ فَكُنْتُ أَنْسِبُهُ إِلَى مَا قَالَ عَلَى التَّعْيِينِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ عَلَى مَجْرَى التَّحْقِيقِ عَلِمْنَا أَنَّهُ فَوْقَ مَا يَقُولُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَحْتِ مَا يَقُولُ وَالَّذِينَ هُمْ تَحْتِ مَا يَقُولُونَ طَائِفَتَانِ طَائِفَةٌ فِي غَايَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ مِمَّا فِي وَسْعِ الْبَشَرِ أَنْ يَعْلَمُوهُ مِنَ اللَّهِ وَالطَّائِفَةُ الْآخَرَى فِي غَايَةِ الْبَعْدِ وَالْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ وَهُمْ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَرُونَ شَيْئًا فَوْقَ عِلْمِ الرُّسُومِ فَهُمْ يَشْبَهُونَ الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ فِي كَوْنِهِمْ تَحْتِ مَا يَقُولُونَ كَمَا أَنَّهُمْ شَارِكُوهُمْ فِي اسْمِ الْعِلْمِ وَانْفَصَلُوا عَنْهُمْ بِمَنْ أَغْنَى بِالْمَعْلُومِ أَيْ بِمَنْ تَعَلَّقَ عِلْمُهُمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَدْرَكَ أَهْلِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَإِنْ أَكَلُوا فِيهَا فَمَنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلِ وَشَرَبٍ وَذَكَرٍ وَإِنْ صَامُوا فِيهَا فَمَنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَيَّامُ ذِكْرِ اللَّهِ فَشَغَلَهُمُ الذِّكْرُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ فَامْتَنَاعُهُمْ عَنِ الْأَكْلِ امْتِنَاعٌ حَالٌ لَا امْتِنَاعٌ عِبَادَةٌ

(وصل في فصل صيام يوم الفطر والأضحى)

هذان اليومان محرم صومهما بحديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد أما حديث أبي سعيد الثابت فإنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول لا يصح صيام يومين يوم الفطر من رمضان ويوم النحر وبه يحتج من يرى صيام أيام التشريق لأن دليل الخطاب يقتضي أن ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيها وإلا كان تخصيصهما عبثاً وأما حديث أبي هريرة الثابت أيضاً في مسلم فهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الفطر هو يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحون هكذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره الترمذي عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه حديث حسن صحيح وسبب منع الصوم له في هذين اليومين لأن بالفطر والأضحى صح له التمييز بينه وبين ربه فعلم ما له وما لديه فحرم عليه التلبس بالصوم في هذين اليومين اللذين هما دليلان على العلم بالفارق والتمييز فلم يتمكن مع ذلك التلبس بالصوم فإن الصوم لله إذ كان صفة صمدانية منزهة من كانت صفة عن الطعام والشراب فلو تلبس بالصوم مع مشاهدة وجه هذا الدليل لم يكن صادقا في إخباره عن نفسه أنه في هذا المقام فكان فطره في هذين اليومين عبادة وتكليفا مشروعا ليجمع بين الحالتين فأعطاه الكشف العبادة من ذلك لما ذكرناه وأعطاه التكليف الشرعي الأجر في ذلك إذ عمل بحكمه لما نهاه صلى الله عليه وسلم عن صيامهما ولهذا قلنا في رؤية هلال الفطر إنه مستقبل عبادة كما علله بعض العلماء في هلال الصوم وغاب عن تحريم الصوم في هلال الفطر فأوجب في رؤيته شاهدين

(وصل في فصل من دعوي إلى طعام وهو صائم)

فمن قائل يجب الداعي ولا بد بالاتفاق واختلفوا هل يفطر أو يبقى على صومه فمن قائل إنه يعرف صاحب الدعوة أنه صائم ويدعوله وبه قال أبو هريرة ومن قائل إنه لا يأكل ويصلي الصلاة المشروعة غير المكتوبة ويدعو للداعي وبه يقول أنس ومن قائل هو تخير بين الفطر وتام الصوم ولكن إن أفطر قضاءه وبه يقول طلحة بن يحيى وغيره ومن قائل إن شاء أفطر ولا قضاء عليه وبه يقول شريك ومجاهد ومن قائل يفطر إن شاء ما لم ينتصف النهار وبه يقول جعفر بن الزبير ومن قائل بالتخير في القضاء إذا أفطر وبه تقول أم هانئ وسماك بن حرب اعلم وفقك الله توفيق العارفين أن الذي بشرع في الصوم ابتداء من نفسه من غير أن يعين الحق عليه ذلك اليوم الذي يصبح فيه صائما فإنه عقد عقدة مع الله على طريق القربة إليه تعالى من هذه العبادة الخاصة التي تلبس بها وشرع فيها والله يقول له ولا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ فإن كان في مقام السلوك فلا يعود نفسه تقض العهد مع الله تعالى فإن الله يقول وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَلَا سِيَمَا فِيمَا أَوْجَبْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ وعقدت عليه مع ربك وهو قوله لا إلا أن تطوع وإن كان من أهل العلم بالله الأكبر الذين حكموا أنفسهم وصحت لهم الخلافة على نفوسهم فهم لا يرون منكما ولا أمرا ولا داعيا في الوجود إلا الله على السنة العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهم في جميع نطق العالم كله حالا ومقالا بهذه الصفة فإن صحة مقام الشهود تحكم عليهم بذلك فإنهم لا ينكرون ما يعرفون وكما يقول المحجوب فلان تكلم يقول صاحب هذا المقام الحق تكلم على لسان هذا العبد بكذا وكذا أي شيء كان ثم إن المتكلم لا يخلو إما أن يكون في هذا المقام أيضا فيرى أنه ينطق بالحق لا بنفسه أو لا يكون في هذا المقام فللمدعو أن ينظر في حال الداعي فإن دعا بره أجاب دعوته وقال إني صائم ولم يأكل

ودعا لأهل البيت وصلى عندهم وإن شاء أكل إن عرف أن أكله مما يسر به الداعي فهو مخير لكماله وتحققه بالصفة فإن الكامل له التخيير في المشيئة أبداً فإن شاء وإن شاء ما لم يعزم فإن عزمته مثل قوله ما يُبدلُ القولُ لديّ ومثل قوله ولا بد له من لقائي وأمثال ذلك وإن دعاه هذا الداعي بنفسه فإنه لا يدعوا إلا مثله فإنه ما يدعوا إلا من يصح منه الأكل والشرب ولولا ما هذا شهوده ما دعاه فليس لهذا السامع أن يأكل و لستم صومه ولا بد فإن حق الله أحق بالقضاء وقد تعين عليه حق الله بما أدخل نفسه من هذا التلبس بالصوم فإن قالت له نفسه الأكلة ما دعاك إنما كانت الدعوة لي لالك فإجابتي لدعوته هو عين أكلتي فإنه يقول لها إنما كان لك ذلك لو لم تدخل نفسك ابتداء مع الحق في هذه العبادة من غير إن يلزمك بها فلما تلبست بها تعين عليك إتمامها فإن ذلك من حقت الذي أوجبه على نفسك وحقك عليك أولى من حق غيرك عليك وقد عرفك الحق بذلك على لسان نبيك فقال إن أفضل الصدقات ما تصدقت به على نفسك وقال في القاتل نفسه حرمت عليه الجنة وقال في القاتل غيره إذا مات ولم يقتص منه إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه فإن أظرت فرطت في حق نفسك وأديت حق غيرك وفي حق نفسك حق الله فتمنعها من الفطر وتشغلها بالصلاة عوضاً من ذلك يريد أنه يكون مناجياً لله تعالى الذي هو أشرف داع وأكمله وقد دعاه إلى الصلاة في هذه الحال فإنه قال له على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وإن كان صائماً فليصل فأمره بالصلاة في هذه الحال

(وصل في فصل صيام الدهر)

لا يصح إلا الدهر لا غير الدهر فإن صيام الدهر في حق الإنسان إنما هو أن يصوم السنة بكاملها ولا يصح له ذلك من أجل يوم الفطر والأضحى فإن الفطر فيهما واجب بالاتفاق فلماذا ما يصح فإن الدهر اسم الله والصوم له فما كان لله فما هو لك وإنما يكون لك ما لم يجبره عليك فإذا جبره وهو بالأصالة ليس لك فقد أخبرك أنه لا يحصل فإن فعلته عملت في غير معمل وطمعت في غير مطمع

(وصل في فصل صيام داود ومريم وعيسى عليهم السلام)

أفضل الصيام وأعدله صوم يوم في حق ربك وبينهما فطر يوم فهو أعظم مجاهدة على النفس وأعدل في الحكم ويحصل له في مثل هذا الصوم حال الصلاة كحالة الضوء من نور الشمس فإن الصلاة نور والصبر ضياء وهو الصوم والصلاة عبادة مقسومة بين رب و عبد وكذلك صوم داود عليه السلام صوم يوم وفطر يوم فتجمع ما بين ما هو لك وما هو لربك ولما رأى بعضهم أن حق الله أحق لم ير التساوي بين ما هو لله وما هو للعبد فصام يومين وأفطر يوماً وهذا كان صوم مريم عليها السلام فإنها رأت أن للرجال عليها درجة فقالت عسى اجعل هذا اليوم الثاني في الصوم في مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكامل كما شهد به للرجال ولما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد فقالت صوم اليومين مني بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام الرجال بذلك فساوت داود في الفضيلة في الصوم فهكذا من غلبت عليه نفسه فقد غلبت عليه ألوهيته فينبغي إن يعاملها بمثل ما عاملت به مريم نفسها في هذه الصورة حتى تلحق بعقلها وهذه إشارة حسنة لمن فهمها فإنه إذا كان الكمال لها لحوقها بالرجال فالأكمل لها لحوقها بربها

كعيسى بن مريم ولدها فإنه كان يصوم الدهر ولا يفطر ويقوم الليل فلا ينام وكان ظاهرا في العالم باسم الدهر في نهاره وباسم القيام الذي لا تأخذه سنة ولا نوم في ليله فادعى فيه الألوهية فقبل إن الله هو المسيح ابن مريم وما قيل ذلك في نبي قبله فإنه غاية ما قيل في العزيز إنه ابن الله ما قيل هو الله فانظر ما أثرت هذه الصفة من خلف حجاب الغيب في قلوب المحجوبين من أهل الكشف حتى قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فنسبهم إلى الكفر في ذلك إقامة عذر لهم فإنهم ما أشركوا بل قالوا هو الله والمشرک من يجعل مع الله إلهًا آخر فهذا كافر لا مشرک فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فوصفهم بالستر واتخذوا ناسوت عيسى مجلى ونبه عيسى على هذا المقام فيما أخبر الله تعالى تبيينًا لهم فيما قالوا فقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فقالوا كذلك نفعل فعبدوا الله فيه ثم قال لهم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة أي حرم الله عليه كفه الذي يستره والله قد وصفهم بالستر حيث وصفهم بالكفر في آية يعطي ظاهرها نفس ما يعطي ما هو عليه الأمر في ذلك والتأويل فيها يلحق بالذم فإن تفتنت لما ذكرناه وقعت في بحر عظيم لا ينجو من غرق فيه أبداً فإنه بحر الأبد فما أحكم كلام الله لمن نظر فيه واستبصر وكان من الله فيه على بصيرة

(وصل في فصل صوم المرأة التطوع وزوجها حاضر)

ذكر مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه الحديث الاتفاق على وجوب صوم رمضان ولهذا زاد أبو داود في هذا الحديث غير رمضان فاعلم إن المرأة هي النفس المؤمنة وبعلمها المتحكم فيها إنما هو إيمانها بالشرع لا الشرع ثم الشارع يشترع لإيمانها به ما شاء أن يشترع فلا تدخل في فعل ولا تشترع في عمل إلا بإذنه أي بحكمه وقليل من عباد الله من يفعل هذا فتلاحظ حكم الشرع في جميع أفعاله عند الشروع في الفعل فلو أنهم فعلوا ذلك كان خيرا لهم ولهذا يفوتهم خير كثير وعلم كبير

(وصل في فصل صوم المسافر)

ثبت في الصحيحين مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من البر أن تصوموا في السفر لفظة من في هذا الحديث من رواية البخاري فإن حديث مسلم ليس البر بغير من سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال لما فيه من المشقة والجهد لأهل الثروة واليسار فكيف حال الضعفاء فمن أسفر له عمله عن عامله صار عن صومه بمعزل وتركه للعامل فلا يدعيه مع أنه صائم وهذا هو الصوم الذي لا يشوبه رياء عنده فإنه ليس من البر أو ليس البر أن يدعي الإنسان فيما يعلم أنه ليس له أنه لو كان بربه متحققا وهذه إشارة فقفا عندها فقد طال الكلام في هذا الباب

(وصل في فصل في عدد أيام الوجوب في الصوم)

عدد أيام الوجوب في الصوم مائتا يوم وستة وعشرون يوما والنذر لا ينضب فتنحصره وغايته سنة ينقص منها ستة أيام أو ثلاثة أيام من أجل من يحرم صوم أيام التشريق أو يومين وهو موضع الاتفاق يوم الأضحى ويوم الفطر وأقل النذر في الصوم يوم واحد فإن نظرت إلى أقله قلت

سبعة وعشرون يوما ومائتان وما عدا هذا العدد فليس بواجب منها لمن جامع في رمضان والظهار وقتل الخطاء ستون ستون وستون و منها رمضان ثلاثون ومنها للفداء في الحج ثلاثة وللمنعم عشرة وللنذر واحد على الأقل ومنها ما هو واجب بخير وموسع ومعين بالزمان مضيق فاعلم أنه لو لم يكن بين الصوم وبين هذه الأفعال التي أوجبه أو الأفعال التي يكون عوضا عنها مناسبة ما صح أن يقوم مقامها وذلك من كل صوم يكون كفارة وهو قولنا الواجب المخير فمنه ما يحل به ما كان حرم عليه ومنه ما يسقط به حق الله عليه ومنه ما يسقط به حق الله وحق الغير عليه وقيل لي لما عرفت بهذه الأيام ووجوبها قد وكلناك إلى نفسك في استخراج هذه المناسبات وما أنت وحدك بل كل من عرف بها حتى علمها حجر عليه إن يعلم بها إذا علمها بأي طريق فهذا منيعني من إيضاح هذه المناسبات فالوقوف عند الأوامر الإلهية والإشارات الربانية على أهل هذه الطريق واجب

(وصل في فصل السواك للصائم)

ثبت في الحسان عن عامر بن ربيعة أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحصي تسوك وهو صائم فمن قائل به مطلقا في سائر اليوم وبه أقول ومن قائل بكرهيته له من بعد الظهر فمن راعى حكم الخلوف كرهه وهو ناقص النظر في ذلك فإنه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب فهو طاهر مطهر يرضي الرب وينظف الأسنان من القلح والصفرة التي تطلع عليها فإن البزار روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه ما لكم تدخلون علي قلحا استأكوا فذكر ما هو حظ البصر وما تعرض للشم والخلوف لا يزيله السواك فإنه تغير في المعدة يظهره التنفس فصاحب هذا النظر والذي يقول استنوق الجمل سواء وإذا كان الخلوف من الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك فيوم القيامة تغير رائحته برائحة المسك فما هو هناك خلوف وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق الصائم نهى عن التسوك في حال صومه أصلا ولا كراهة بل هو أمر مندوب إليه مرغوب فيه مطلقا من غير تقييد بزمان ولا حال وهو أقرب إلى الوجوب منه إلى الندب مما أكد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا الخبر جبر القلب الصائم لما ظهرت من فيه رائحة يتأذى منها جلسه إذا كان غير مؤمن وأما المتحلي بالإيمان حاشا من التأذي فإنه من الإيمان أن يعرف منزل الخلوف للصائم عند الله فهو يستحسن للغرض النفسي ما يستقبه السليم النظر فكيف حال المؤمن إذا أحس بما يرضي الرب يلهج به فرحا وعندنا بالذوق علامة إيمانه أن يدرك ذلك الخلوف مثل رائحة المسك هنا فإذا ورد مثل هذا الخبر في تشريف هذه الرائحة على أمثالها من الروائح باعتناء الله بها انجبر قلب الصائم و رغب في الزيادة من الصوم وعلم إن الملائكة و رجال الله لا يتأذون في مجالسته من خلوف فمه فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ورد ذلك في روائح الثوم وأمثاله لا في خلوف فم الصائم فإن تسوك الصائم كان أعلى منزلة ممن لم يتسوك في أي وقت كان فإنه في زيادة عمل يرضي الله وهو التسوك واعلم أن الخلوف ليس للإنسان وإنما هو أمر تقتضيه الطبيعة للتعفين الذي يكون فيما يبقى في المعدة من فضول الطعام ولم يحجبه بطعام جديد طيب الرائحة فيخرج النفس من القلب فيمر على المعدة فيخرج بما يمر عليه من طيب و خبيث حسا

كما يجده الملك معنى إذا كذب العبد الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من تن ما جاء به يجد ذلك النتن من الكاذب بالإدراك الشمي أهل الروائح فإن كان حاكما وهو من أهل هذا المقام وله هذه الحال وشهد عنده بالزور في حكومة تعين عليه أن لا يمضي الحكم للمشهود له وإن حكم له فإنه آثم عند الله وهذه مسألة عظيمة الفائدة لأهل الأذواق فإن الحاكم وإن لم يحكم بعلمه فلا يجوز له أن يخالف علمه أصلا وذلك في الأموال وأما في الأبخار فما يجب عليه إمضاء الحكم على المحكوم عليه لأمر آخر لا احتاج إلى بيانه ولما كان الصوم سبب الخلوف والصوم لله وجب على المؤمن أن يحتمل ما يجده من خلوف فم الصائم وراعى الله تعالى الواجد لذلك بأن أمر الصائم بتعجيل الفطر وتأخير السحور لإزالة الرائحة من أجل جلسائه وجعل له فرحة بالطبع بفطره (اعتبار آخر في المقابلة) أمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور لتكون المناجاة في هاتين الصلاتين بريح طيبة إذ كان زمن الصوم قد انقضى فخلوفه بعد انقضاء زمن الصوم ما هو خلوف الصائم فإن خلوف الصائم إنما هو في حال صومه ثم إن الله يقول في هذا الخبر الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طيب خلوف فم الصائم عند الله إنما ذلك في يوم القيامة إذا اتفق للصائم أن لا يزاله فإن أزاله بسواك أو بما لا يفطر الصائم كان أطهر وأطيب وانتقل من طيب إلى طيب وأرضى الله فإن الخلوف لا أثر له في الصوم وقد ورد أن الله أحق من تجمل له ومن التجمل استعمال ما يطيب الروائح ويزيل ما فيها من الخبث فإن الله جميل يحب الجمال وكل شيء فجعله بما يناسبه وما يقتضيه مما يتنعم به المدرك من طريق الإدراك عينه من سمع وبصر وشم وذوق ولمس بمسحوق ومبصر ومشوم ومطعم وملمس ثم إنه قد ورد صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك فمن باب الإشارة صلاتك بربك أفضل من صلاتك بنفسك فأشار إلى السوي والسبعون إشارة في اعتبار الغالب في عمر الإنسان فإن المسببات كثيرا ما يعتبرها الشرع في البسائط والمركبات وأما طريقة تفسير هذا الحديث فكونه جمع بين طهارتين الوضوء والسواك والمقصود بالوضوء هنا المضمضة وهي من فرائض الوضوء عندنا بالسنة والفم هو محل المناجاة فإن الصلاة محادثة مع الله نهارا ومسامرة ليلا واختصاص سرا أي مساررة وتبليغ جهر القائم والقاعد والرافد على جنب وإذا كنت من عالم الإشارة وصليت بسواك فلا تصل به إلا من اسمه السبوح القدوس فإن القدوس يعطي التسوك وإنما فرقنا في التعبير بين الإشارة والتحقيق لئلا يتخيل من لا معرفة له بما أخذ أهل الله أنهم يرمون بالظواهر فينسبونهم إلى الباطنية وحاشاهم من ذلك بل هم القائلون بالطرفين كان شيخنا أبو مدين يذم الطرفين على الانفراد ويقول إن الجامع بين الطرفين هو الكامل في السنة والمعرفة والاشترار وقع في تلفظه بسواك والكاف في السواك أصلية من نفس الكلمة وهي في الاستثناء مضافة ما هي أصلية ومن جعلها من باب التحقيق نظر إلى كون إضافة المخاطب أمرا واحدا فجعلها أصلية في الإضافة كالكلمة الواحدة واعتبر التركيب فيها اعتبار تركيب الحروف في الكلمة فلا يصح وجود إضافة مثل هذا الخطاب إلا بكاف الإضافة كما لا يصح اسم السواك بغير كاف فانظر ما أدق نظر أهل الله هذا لو كان ذلك عن فكر لقد كانوا يفضلون به غيرهم فكيف بمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى إن الله هو الرزاق والعلم رزق الأرواح ذو القوة المتين

(وصل في فصل من فطر صائما)

لما ورد الخبر الذي خرجه الترمذي عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء وقال فيه حديث صحيح فالصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه فلمن فطره أجر فطره لا أجر صومه فافهم وعلمنا من هذا الخبر أن الفطر من تمام الصوم وأنه من أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدي إليه ذلك العمل من الخير لا مشاركة توجب نقصا بل هو على التمام لكل واحد من الشريكين كما جاء في الحديث من سن سنة حسنة الحديث فاجعل الفطر من تمام الصوم وأنه جزء منه ومن تلبس بجزء من الشيء المتناسب الأجزاء حصل له خير ذلك الشيء وإن لم يحصل ولا اتصف بذلك الأمر كله كما اتصف به صاحبه كمن اتصف بجزء من أجزاء النبوة فله أجر من ثبتت له النبوة وفضلها من غير أن يتلبس بها كلها فليس بنبي ولهذا ورد أنه يأتي يوم القيامة ناس ليسوا بأنبياء يغطهم الأنبياء إذ كانت الأنبياء نالت هذه الفضيلة بما في النبوة من الأثقال والمشاق وهؤلاء بجزء منها قد اتصفوا أو أكثر من جزء وتلبسوا به وربما كان هذا الجزء منها ومما لا مشقة فيه ونالوا فضل من تلبس بها كلها كالفقير مع صاحب المال فيما يتمناه من فعل الخير إذا رأى صاحب المال أو العلم يفعل في ذلك ما لا يتمكن للفقير فعله فهما في الأجر سواء وما اشتركا إلا في النية وزاد عليه صاحب النية بسقوط الحساب والمسألة فيم أنفق ومم اكتسب فهؤلاء هم الذين يغطهم النبيون في ذلك المقام ولكن في القيامة في الموقف لا في الجنة وهو قوله تعالى لا يحزبُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ فَإِنَّ الرِّسْلَ تَخَافُ عَلَى أُمَّهَا لَا عَلَى أَنْفُسِهَا وَالْمُؤْمِنُونَ خَائِفُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِمَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَخَالَفَاتِ وَهَؤُلَاءِ مَا لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَخَافُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا ارْتَكَبُوا مَخَالَفَةَ تَوْجِبُ لَهُمُ الْخَوْفَ لَا يَحْزَبُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ يُعْطَى لِكُلِّ نَبِيٍّ أَجْرُ الْأُمَّةِ الَّتِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ سِوَاهُ آمَنُوا بِهِ أَوْ كَفَرُوا فَإِنَّ نِيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ يَبُودُ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا فَتَسَاوَى الْكُلُّ فِي أَجْرِ التَّمَنِّيِّ وَتَمَيِّزُ كُلِّ وَاحِدٍ عَنْ صَاحِبِهِ فِي الْمَوْقِفِ بِالْأَتْبَاعِ فَالْنَبِيُّ يَأْتِي وَمَعَهُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ وَأَقْلُ وَأَقْلُ حَتَّى يَأْتِيَ نَبِيٌّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانُ وَالرَّجُلُ يَأْتِي النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ وَالْكُلُّ فِي أَجْرِ التَّبْلِيغِ سِوَاهُ وَفِي الْأَمْنِيَّةِ فَمَنْ فَطَرَ صَائِمًا فَقَدْ اتَّصَفَ بِصِفَةِ إِلَهِيَّةٍ وَهِيَ اسْمُهُ الْفَاطِرُ فَإِنَّ اللَّهَ فَطَرَ الصَّائِمَ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ سِوَاهُ أَكَلَ أَوْ لَمْ يَأْكُلْ أَوْ شَرِبَ أَوْ لَمْ يَشْرَبْ فَهُوَ مَفْطَرٌ شَرَعًا وَأَخْرَجَهُ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنَ التَّبَسُّبِ بِالصَّوْمِ وَهَذَا فِطْرُهُ بِمَا أَطْعَمَهُ فَلَمَّا حَصَلَ فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَانَ مَخْلُوقًا بِمَا هُوَ اللَّهُ كَمَا كَانَ الصَّائِمُ مُتَلَبِّسًا فِي صَوْمِهِ بِمَا هُوَ اللَّهُ مِنَ التَّنْزِيهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالصَّاحِبَةِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَفْسُدٍ لِلصَّوْمِ

(وصل في فصل صوم الضيف)

لما خرج الترمذي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل على قوم فلا يصومون تطوعا إلا بإذنهم علمنا إن الصوفية أضياف الله فإنهم سافروا من حظوظ أنفسهم وجميع الأكوان إثارا للجناب الإلهي فنزلوا به فلا يعملون عملا إلا بإذن من نزلوا عليه وهو الله فلا يتصرفون ولا يسكنون ولا يتحركون إلا عن أمر إلهي ومن ليست له هذه الصفة فهو في الطريق يمشي يقطع مناهل نفسه حتى يصل إلى ربه

فحينئذ يصح أن يكون ضيفا وإذا أقام عنده ولا يرجع كان أهلا لأن أهل القرآن وهو الجمع به تعالى هم أهل الله وخاصته (حكاية) كان شيخنا أبو مدين بالمغرب قد ترك الحرفة وجلس مع الله على ما يفتح الله له وكان على طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس فإنه ما كان يرد شيئا يؤتى إليه به مثل الإمام عبد القادر الجيلي سواء غير أن عبد القادر كان أنهض في الظاهر لما يعطيه الشرف فقيل له يا أبا مدين لم لا تحترف أو لم لا تقول بالحرفة فقال أقول بها فقيل له فلم لا تحترف فقال الضيف عندكم إذا نزل بقوم وعزم على الإقامة كم توقيت زمان وجوب ضيافته عليهم قالوا ثلاثة أيام قال وبعد الثلاثة الأيام قالوا يحترف ولا يتعد عندهم حتى يخرجهم قال الشيخ الله أكبر أنصفونا نحن أضياف ربنا تبارك وتعالى نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد فتعينت الضيافة فإنه تعالى ما دل على كريم خلق لعبده إلا كان هو أولى بالانصاف به قالوا نعم قال وأيام ربنا كما قال كل يوم كَأَفِّ سَنَةٍ مِمَّا تُعَدُّونَ ضِيَاغَةَ بِحَسَبِ أَيَّامِهِ فَإِذَا أَقْمَنَّا عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَلْفِ سَنَةٍ وَانْقَضَتْ وَلَا نَحْتَرِفُ بِتَوَجُّهِ اعْتِرَاضِكُمْ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَمُوتُ وَتَقْضِي الدُّنْيَا وَيَبْقَى لَنَا فَضْلُهُ عَنْهُ تَعَالَى مِنْ ضِيَاغَتِنَا فَاسْتَحْسِنْ ذَلِكَ مِنْهُ الْمَعْتَرِضُ فَانظُرْ فِي هَذَا النَّفْسِ إِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ

(وصل في فصل استيعاب الأيام السبعة بالصيام)

لما ورد في الخبر الذي خرجه الترمذي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والأحد والإثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس علمنا أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يتلبس بعبادة الصوم في كل يوم من أيام الجمعة إما امتنانا منه على ذلك اليوم فإن الأيام تتخبر بعضها على بعض بما يوقع العبد المعترف فيها من الأعمال المقربة إلى الله من حيث إنها ظرف له فيريد العبد الصالح أن يجعل لكل يوم من أيام الجمعة وأيام الشهر وأيام السنة جميع ما يقدر عليه من أفعال البر حتى يحمد به كل يوم ويتجمل به عند الله ويشهد له فإذا لم يقدر في اليوم الواحد أن يجمع جميع الخيرات فيفعل فيه ما يقدر عليه فإذا عاد عليه من الجمعة الأخرى عمل فيه ما فاته فيه في الجمعة الأولى حتى يستوفي فيه جميع الخيرات التي يقدر عليها وهكذا في أيام الشهر وأيام السنة واعلم أن الشهور تتفاضل أيامها بحسب ما ينسب إليه كما تتفاضل ساعات النهار والليل بحسب ما ينسب إليه فيأخذ الليل من النهار من ساعته ويأخذ النهار من الليل والتوقيت من حيث حركة اليوم الذي يعم الليل والنهار كذلك أيام الشهور تعين بقطع الدارري في منازل الفلك الأقصى لافي الكواكب الثابتة التي تسمى في العرف منازل والقمر أيام معلومة في قطع الفلك وللكاتب أيام آخر وللزهرة كذلك وللشمس كذلك وللأحمر كذلك وللمشتري كذلك وللمقاتل كذلك فينبغي للعبد أن يراعي هذا كله في أعماله فإنه ما له من العمر بحيث أن يفي بذلك فإن أكبر هذه الشهور لا يكون أكبر من نحو ثلاثين سنة لا غير وأما شهور الكواكب الثابتة في قطعها في فلك البروج فلا يحتاج إليه لأن الأعمار تقصر عن ذلك لكن لها حكم في أهل جهنم كما أنه لحركات الدارري حكم على من هو في الدرك الأسفل من النار وهم المنافقون خاصة والباطنية ما لهم في الدرك الأسفل منزل وإن منزلهم الأعلى من جهنم والكفار لهم في كل موضع من جهنم منزل وأما أهل الجنان فالدائر عليهم فلك البروج ولا يقطع في شيء فلا تنتهي

حركته بالرصد لأن الرصد لا يأخذه وهو متمائل الأجزاء فلماذا كانت السعادة لانهائية لها فظهر بها الخلود الدائم في النعيم المقيم إلى ما لا يتناهى والنار ما حكمها حكم أهل النعيم فإن الدائر عليهم فلك المنازل والدراري وهذه الأفلاك تقطع في فلك متناهى المساحة فلماذا يرجى لهم أن لا يتسرد عليهم العذاب مع كون النار دار أم والعذاب حكم زائد على كونها دارا فإننا نعلم أن خزنتها في نعيم دائم ما هم فيها بمعذبين مع كونهم ما هم منها مُخْرَجِينَ لأنهم لها خلقوا وهي دائمة والساكين فيها دائم لكونه مخلوقا لها فتحقق ما ختمنا به هذا الصوم من سبق الرحمة وغلبتها صفة الغضب والله أجل وأعلى أن لا يكون له في كل منزل تجل وهو تعالى الخير المحض الذي لا شرفيه والوجود الذي لا عدم يقابله والوجود رحمة مطلقة في الكون والعذاب شيء يعرض لأمر تطرأ وتعرض فهو عرض لعارض والعوارض لا تتصف بالدوام ولو اتصفت ما كانت عوارض وما هو عارض قد لا يعرض فلماذا يضعف القول بتسرد العذاب فإن الرحمة شملت آدم بجملته وكان حاملا لكل بنية بالقوة فعمت الرحمة الجميع إذ لا تحجير ولا كان يستحق أن يسمى آدم مرحوما وفيه من لا يقبل الرحمة والحق يقول قَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى أَي رَجَعَ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَبَيْنَ لَهُ أَنَّهُ رَجَعَ عَلَيْهِ بِهَا فَعَمَّتَهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَاللَّهُ عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ

(وصل في فصل قيام رمضان)

ليس لاسم إلهي حكم في شهر رمضان إلا الاسم الإلهي رمضان و فاطر السموات والأرض في كل عبد سواء كان ممن يجب عليه صوم رمضان أم لا يجب عليه إلا عدة من أيام آخر وذلك في كل فعل عبادة يقيم فيها العبد فمن جملة أفعال البر فيه قيام ليلة لمناجاة رمضان تبارك وتعالى تارة على الكشف إذا كان مواصلا وتارة من خلف حجاب الاسم الفاطر فإن الأسماء الإلهية يجب بعضها بعضا وإن كان لكل واحد من الحاجب والمحجوب سلطنة الوقت فإن بعضها أولى بالحجابة من بعض وذلك سار في جميع أحوال الخلق ذكر أبو أحمد ابن عدي الجرجاني من حديث عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رمضان شد مئزره فلم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان وخرج أيضا مسلم عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر تعني العشر الآخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر وقيام الليل عبارة عن الصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي والناس في مناجاة الحق فيه على قسمين فمنهم من يناجيه بالاسم المسك وهو أيضا من حجاب الاسم رمضان ومنهم من يناجيه بالاسم الفاطر وهو أيضا من حجابته والناس على اختلاف في أحوالهم

لو لا مزاحمة الرحمن أعماله	ما زاحمته على التكوين إخواني
يقول كن وحصول الكون ليس لنا	وما له في وجود الكون من ثاني
يقول صم فإذا صمنا يقول لنا	هذا الصيام لنا فأين أعياننا
إن قلت لي لم أخاطبكم بما هولي	فلي شهود على التكليف آذاني

فالصوم لي ولكم في الشرع قسمان أسمعني ثم بعد السمع تسلبني
في الصوم ما هو في التحقيق من شأني إن كنت تسلبني عنه فشانكمو

والاسم الفاطر على هذا في ليل شهر رمضان أقوى حكما فينا من المسك فمن كان حاله في إمساكه يطعمه ربه ويسقيه في مبيته في حال كونه ليس بأكل ولا شارب في ظاهره فهو مفطر وإن كان صائما وقد ذقت هذا ومن هنا علمت إن قوله صلى الله عليه وسلم لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني إنه نفى أن تشبهه تلك الجماعة التي خاطبهم فلم يكن لهم هذه الحالة إذ لو أراد الأمة كلها ما ذقته وقد وجدته ذوقا والحمد لله وإن لم يكن ممن يطعمه ربه ويسقيه في حال وصال صومه فهو متطفل على من هذه صفة وهو كلابس ثوبي زور ولذلك يكره له الوصال إذا لم تكن له هذه الصفة حالاً يشهدا ذوقا في نفسه ويظهر أثرها عليه في يقظته والله يحب الصدق في موطنه كما يجب الكذب في موطنه وهذا ليس بموطن حب الكذب فإن الله يكرهه في هذا الموطن انتهى الجزء الستون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فإذا ناجى الله العبد في هذا الزمان الخاص بالحال الإلهي الخاص فينبغي أن يحضر معه الحضور التام الذي لا يلتفت معه إلى غيره بجمعيته فيناجيه في كل حركة منه وسكون حسا من حيث إنه هو الباطن ومعنى من حيث أنه هو الظاهر إذ كان الحس ظاهرا والمعنى باطنا فلا يقوم المعنى إلا بين يدي الظاهر فإنه لو قام بين يدي الباطن والمعنى باطن الحرف الذي هو المحسوس والحس كان قيام الشيء بين يدي نفسه و الشيء لا يقوم بين يدي نفسه لأنه قام للاستفادة والشيء لا يستفيد من نفسه نفسه ألا ترى نزول الحق للتعليم والتعريف لنا وهو العليم بكل شيء بما كان ويكون ومع هذا أنبأ عن حقيقة لا نرد تعليما لنا بما هو الأمر عليه وأن الحكم للأحوال فأنزل نفسه منزلة المستفيد وجعل المفيد له من خطابه فقال وَلَتَبْلُوَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ مع أنه هو العالم بما يكون منهم ولكن الحال يمنع من إقامة الحجة له سبحانه علينا وقال فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فلم يبق بالابتلاء لأحد حجة على الله فحسم بذلك الابتلاء احتمال قولهم لو حكم بعلمه فيهم أن يقولوا لو بلوتنا وجدتنا واقفين عند حدودك وهذا يسمى علم الخبرة وهو الاسم الخبير في قوله تعالى عَلِيمًا خَيْرًا فهداه راتحة إلهية في الاستفادة للشيء من غيره لا من نفسه فتحن أولى بهذه الصفة لذلك جعلنا ظاهر العبد يناجي الاسم الباطن وباطن العبد يناجي الاسم الظاهر ويقوم بين يديه قيام مستفيد فيه ما شاء أن يهبه فإذا رأيت المستفيد قد استفاد في قيامه خرق العوائد المدركة بالحس المسماة كرامات الأولياء في العموم وآيات الأنبياء الرسل عليهم السلام فذلك أعطية الاسم الظاهر وإذا رأيت قد استفاد علوما وحكما تحار العقول فيها أو تردّها أو تقبلها من حيث ما يدركها بالقوة المفكرة فذلك كله أعطية الاسم الباطن فاجعل بالك لما نهيتك عليه ونصحتك لتعلم من تناجي ولا تخاطب فيخاطب عليك فإن الله يقول وَلَلْبَسُنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلْسُونَ وقال وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ ثُمَّ نَفَى الْمَكْرَ عَنْهُمْ فَقَالَ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يعني المكر المضاف إلى عباده والمكر المضاف إليه سبحانه والله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصيحة

لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم خطابا عاما ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرة بمكة و بدمشق فقال لي أنصح عبادي في مبشرة أريتها فتعين على الأمر أكثر مما تعين علي غيري فالله يجعل ذلك لي من الله عناية وتشريفا لا ابتلاء وتمحيصا فمن قام بين يدي الله تعالى بهذه المعرفة فهو القائم وإن كان نائما فإنه ما نام إلا به ومن لم يقم بين يديه بهذه المعرفة فهو نائم وإن كان قائما فكن رقيبا عليه في قلبك فإنه الذي وسعه كما هو رقيب عليك فإنك لا تعلم مواقع آثاره فيك وفي غيرك إلا بالمراقبة واعلم أن القائم في شهر رمضان في قيامهم على خاطرين منهم القائم لرمضان ومنهم القائم لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والناس فيها على خلاف والقائم فيه لرمضان لا يتغير عليه الحال بزيادة ولا نقصان والقائم لليلة القدر يتغير عليه الحال بحسب مذهبه فيها واختلف الناس في ليلة القدر أعني في زمانها فمنهم من قال هي في السنة كلها تدور وبه أقول فإنني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان وأكثر ما رأيتها في شهر رمضان وفي العشر الآخر منه ورأيتها مرة في العشر الوسط من رمضان في غير ليلة وتر وفي الوتر منها فإنما على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه فمن قام من أجل ليلة القدر فقد قام لنفسه وإن كان قيامه لترغيب الحق في التماسها ومن قام لأجل الاسم الذي أقامه رمضان أو غيره فقيامه لله لا لنفسه وهو أتم والكل شرع فمن الناس عبيد ومنهم أجراء ولأجل الإجارة نزلت الكتب الإلهية بها بين الأجير والمستأجر فلو كانوا عبيدا ما كتب الحق كتابا لهم على نفسه فإن العبد لا يوقت على سيده إنما هو عامل في ملكه ومتناول ما يحتاج إليه فأولئك لهم أجرهم والعبيد لهم نورهم وهو سيدهم فإنه نور السماوات والأرض قال تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم يعني الأجزاء وهم الذين اشتري الحق منهم أنفسهم ونورهم وهم العبيد والإماء جعلنا الله وإياكم من أعلامهم مقاما وأحبهم إليه أنه الولي المحسان واعلم أن ليلة القدر إذا صادفها الإنسان هي خير له فيما ينعم الله به عليه من ألف شهر إن لو لم تكن إلا واحدة في ألف شهر فكيف وهي في كل اثني عشر شهرا في كل سنة هذا معنى غريب لم يطرق أسماؤكم إلا في هذا النص ثم يتضمن معنى آخر وهو أنها خير من ألف شهر من غير تحديد وإن كان الزائد على ألف شهر غير محدود فلا يدري حيث ينتهي فما جعلها الله أنها تقاوم ألف شهر بل جعلها خيرا من ذلك أي أفضل من ذلك من غير توقيت فإذا نالها العبد كان كمن عاش في عبادة ربه مخلصا أكثر من ألف شهر من غير توقيت كمن يتعدى العمر الطبيعي يقع في العمر المجهول وإن كان لا بد له من الموت ولكن لا يدري هل بعد تعدية العمر الطبيعي بنفس واحد وبآلاف من السنين فهكذا ليلة القدر إذا لم تكن محصورة كما قدمنا واعلم أن الشهر هنا بالاعتبار الحقيقي هو العبد الكامل إذا مشى القمر الذي جعله الله نورا فأعطاه اسما من أسمائه ليكون هو تعالى المراد لاجرم القمر فالقمر من حيث جرمه مظهر من مظاهر الحق في اسمه النور فيمشي في منازل عبده المحصورة في ثمانية وعشرين فإذا انتهى سمي شهرا على الحقيقة لأنه قد استوفى السير واستأنف سيرا آخر هكذا من طريق المعنى دائما أبدا فإن فعل الحق في الكائنات لا يتناهى فله الدوام بإبقاء الله تعالى كما إن العبد يمشي في منازل الأسماء الإلهية وهي تسعة وتسعون التاسع والتسعون منها الوسيلة وليست إلا لحمد صلى الله عليه وسلم والثمانية والتسعون لنا كالثمانية والعشرين من المنازل للقمر و

يسميه بعض الناس الإنسان المفرد والعشرين خمس المائة لأنها في الأصل مائة اسم لكن الواحد أخفاه للوترية فإن الله وتر يحب الوتر فالذي أخفاه وتر والذي أظهره وتر أيضا وإنما قلنا منبهين على منازل القمر ثمانيا وعشرين منزلة لأنها قامت من ضرب أربعة في سبعة ونشأة الإنسان قامت من أربعة أخلاط مضرورية في سبع صفات من حياة وعلم وإرادة وقدرة وكلام وسمع وبصر فكان من ضرب المجموع بعضه في بعضه الإنسان ولم يكن له ظهور إلا بالله من اسمه النور لأن النور له إظهار الأشياء وهو الظاهر بنفسه فحكمه في الأشياء حكم ذاتي كذلك الشهر ما ظهر إلا بسير القمر من حيث كونه نورا في المنازل قال تعالى وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ فَإِذَا انْتَهَى سِيرَهُ فَهُوَ الشَّهْرُ الْحَقُّ وَمَا عَدَاهُ مِمَّا سُمِّيَ شَهْرًا فَهُوَ مَجْسُوبٌ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ فَلَا مَنَافِرَةَ وَلِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَنزَلَةٍ مِنَ الْعَبْدِ يَنْزِلُهَا اسْمُ النُّورِ حُكْمٌ خَاصٌّ قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي نَعْتِ السَّالِكِ الدَّخْلِ وَالسَّالِكِ الْخَارِجِ أَيْضًا وَالْفَاصِلُ بَيْنَ السُّلُوكَيْنِ لَيْلَةُ الْإِبْدَارِ وَهِيَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةَ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الْحَقِّ وَلَيْلَةُ السَّرَارِ مِنْهُ وَالنُّورُ فِيهِ كَامِلٌ أَبَدًا فَإِنَّ لَهُ وَجْهَيْنِ وَالتَّجَلِّيَ لَهُ لَا يَزَالُ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ فَأَمَّا فِي الْوَجْهِ الْوَاحِدِ وَإِمَّا فِي الْوَجْهِينِ بزيادة ونقص في كل وجه فله الكمال من ذاته لا بد منه وله الزيادة والنقص من كونه له وجهان فكلما زاد من وجهه نقص من وجهه آخر وهو حكمة قدرها العزيز العليم

وَأَنْتَ لِسَانٌ فِيهِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ وَفِي كَهْفِي مِيزَانُنَا لَكَ عِبْرَةٌ
وَأَنْتَ لَمَّا فِيهَا تَمِيلُ وَتَسْفَلُ إِذَا رَجَحْتَ إِحْدَاهُمَا طَاشَ أُخْتَهَا

وجعل سبحانه إضافة الليل إلى القدر دون النهار لأن الليل شبيهه بالغيب والتقدير لا يكون إلا غيبا لأنه في نفس الإنسان والنهار يعطي الظهور فلو كان بالنهار لظهر الحكم في غير محله ومناسبة فإن الفعل في الظاهر لا يظهر إلا على صورة ما هو في النفس فخرج من غيب إلى شهادة بالنسبة إلى الله ومن عدم إلى وجود بالنسبة إلى الخلق فهي ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فينزل الأمر إليها عينا واحدة ثم يفرق فيها بحسب ما يعطيه من التفاصيل كما تقول في الكلام إنه واحد من كونه كلاما ثم يفرق في المتكلم به بحسب أحوال الذي يتكلم به إلى خبر واستخبار وتقدير وتهديد وأمر ونهي وغير ذلك من أقسام الكلام مع وحدانيته فهي ليلة مقادير الأشياء والمقادير ما تطلب سوانا فلماذا أمرنا بطلب ليلة القدر وهو قوله صلى الله عليه وسلم التمسوها لتستقبلوها كما يستقبل القادم إذا جاء من سفره والمسافر إذا جاء من سفره فلا بد له إذا كان له موجود من هدية لأهله الذين يستقبلونه فإذا استقبلوه واجتمعوا به دفع إليهم ما كان قد استعده به لهم فتلك المقادير فيهم وبذلك فليفرحوا فمنهم من تكون هديته لقاء ربه ومنهم من تكون هديته التوفيق الإلهي والاعتصام وكل على حسب ما أراد المقدر أن يهبه ويعطيه لا تحجير عليه في ذلك وعلامتها محو الأنوار بنورها وجعلها دائرة منتقلة في الشهور وفي أيام الأسبوع حتى يأخذ كل شهر من الشهور قسطه منها وكذلك كل يوم من أيام الأسبوع كما جعل رمضان يدور في الشهور الشمسية حتى يأخذ كل شهر من الشهور الشمسية فضيلة رمضان فيعمل فضل رمضان فصول السنة كلها فلو كان صومنا المفروض بالشهور الشمسية لما عم هذا التعميم وكذلك الحج سواء وكذلك

الزكاة فإن حولها ليس بعين إنما ابتداءه من وقت حصول المال عند المكلف فما من يوم في السنة إلا وهو رأس حول لصاحب مال فلا تنفك السنة إلا وأيامها كلها محل للزكاة وهي الطهارة والبركة فالناس كلهم في بركة زكاة كل يوم يعم كل من زكى فيه ومن لم يرك وإنما محى نور الشمس من جرم الشمس في صبيحة ليلتها أعلما بأن الليل زمان إتيانها والنهار زمان ظهور أحكامها فلماذا تستقبل ليلا تعظيما لها فمن فاته إدراكها ليلا فليرقب الشمس فإذا رأى العلامة دعا بما كان يدعو به في الليلة لو عرفها فإن محور الشمس لنورها كنور الكواكب مع ظهور الشمس لا يبقى لها نور في العين وبهذا يتقوى مذهب من يجعل الفجر حمرة الشفق لقوله تعالى هي حسي مطلع الفجر أي إلى مطلع الفجر فذلك القدر هو الذي يتميز به حد الليل من النهار الفجر الطالع ما هو ذلك الفجر في ليلة القدر من نور الشمس وإنما هو نور ليلة القدر ظهر في حجم الشمس كما إن نور القمر إنما هو نور الشمس ظهر في جرم القمر فلو كان نور القمر من ذاته لكان له شعاع كما هو للشمس ولما كان مستعارا من الشمس لم يكن له شعاع كذلك الشمس لها من نور ذاتها شعاع فإذا تحت ليلة القدر شعاع الشمس بقيت الشمس كالقمر لها ضوء في الموجودات بغير شعاع مع وجود الضوء فذلك الضوء نور ليلة القدر حتى تعلق قيد ربح أو أقل من ذلك فحينئذ يرجع إليها نورها فترى الشمس تطلع في صبيحتها صبيحة ليلة القدر كأنها طاس ليس لها شعاع من وجود الضوء مثل طلوع القمر لا شعاع له وإنما ذكرت لك ذلك لتعلم بأي نور تستنير في صبيحة ليلة القدر فتعلم إن الحكم في الأنوار كلها لمن نور السموات والأرض وأنزل الأنوار ما يفتقر إلى مادة وهو المصباح فإذا أنزل الحق نوره في التشبيه إلى مصباح وهو نور مفتقر إلى مادة تمده وهي الدهن فما هو أعلى منه من الأنوار أقرب إلى التشبيه وأعلى في التنزيه وإنما أعلما الحق بذلك وجاء بكاف الصفة في قوله كمشكاة إلى آخر الآية أعلما أنه نور كل نور بل هو كل نور وشرع لنا طلب هذه الصفة

فكان صلى الله عليه وسلم يقول واجعلني نورا

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم

(وصل في فصل التماسها مخافة الفتوت)

خرج الترمذي عن أبي ذر قال صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم بنا حتى بقي سبع من الشهر فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل ثم لم يقم بنا السادسة وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل فقلنا يا رسول الله لو نقلتنا بقية ليلتنا هذه فقال إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ثم لم يصل بنا حتى بقي ثلاث من الشهر وصلى بنا في الثالثة ودعا أهله ونساءه وقام بنا حتى تخوفنا أن يفوت الفلاح قيل وما الفلاح قال السحور وقال هذا حديث حسن صحيح انظر ما أعجب قول هذا الصاحب حيث سمي السحور فلاحا والفلاح البقاء ينبه أن الإنسان إنما هو في الصوم بالعرض فإنه لا بقاء له فإن الصوم لله ألا تراه يزول حكمه عن الصائمين بزوال الدنيا فهو في الآخرة يأكل ويشرب بما أسلف في أيام الصوم وهي الأيام الحالية يعني الماضية قال تعالى كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ أيام الصوم في الدنيا

الآخرة دار بقاء وأكلها دائمٌ وظلُّها والسحور أكلةُ غذاء فنبه إن الإنسان في بقاءه آكل لا صائم فهو متغذ بالذات صائم بالعرض فالغذاء باق فسماه فلاحاً أي بقاء وهو من السحر والسحر له وجهان كما ذكرنا وجد إلى الليل ووجه إلى النهار وهو الوقت الذي بين الفجرين كذلك الإنسان له البقاء الذي هو الفلاح وهو السحور في مقامه الذي هو فيه فله وجه إلى الواجب الوجود لنفسه ووجه إلى العدم لا ينفك عن ذلك في أي حالة كان من وجود أو عدم ولذلك سمي ممكنا ودخل في جملة الممكنات فهذه الصفة له باقية وإن ظهر بنعت إلهي في وقت فليس له فيه بقاء وإنما بقاءه فيما قلناه ولهذا قال الصاحب لما اتصف في ليلته بالقيام قال تخوفنا أن يفوتنا الفلاح وهو أن ينتضي زمان الليل وما عرفنا نفوسنا إذ في معرفتنا بها معرفة ربنا لكنهم ما فاتهم الفلاح بحمد الله بل أشهدهم الله نفوسهم بالغذاء ليشهدوا أن القيومية له ذاتية وقيومية العبد إنما هي بإمداد ما يتغذى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فجعل القيومية للغذاء وإن كان هو القائم بها فكأنه يقول وإن تلبسنا بالتماس هذه الليلة من الاسم الوتر تعالى فلم يغتنا ذلك الالتماس عن حظوظ نفوسنا التي بها بقاءنا وهو التغذي فإن التماسنا لها إنما هو لما ينالنا من خيرها في دار البقاء فما التمسناها بالعبادة إلا لخط نفسي نبقى به في الدار الآخرة والسحور رب الوقت في الحال وهو سبب في بقاء الحياة الدنيا للعمل الصالح فتخوفنا أن يفوتنا حكمه إذ كان ذلك الحكم عين طلبنا بالالتماس وإن اختلفت الدار ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الوتر من الليالي دون الشفع لأنه انفرد بها الليل دون النهار فإنه وتر من اليوم واليوم شفع فإن اليوم عبارة عن ليل ونهار ولكن في تلك السنة لو ورد النص فإنها قد تكون في الأشفاق إلا في تلك السنة لما ورد في الخبر من التماسها في الأوتار من العشر الآخر ولمعنى آخر أيضا وهو أن الطلب إذا كان في ليالي وتر الشهر كان الوتر حافظا لهذا العبد لما تعطيه هذه الليلة من البركات والخير وهو في وتر من الزمان المذكور له وترية الحق فيضيف ذلك الخير إلى الله لا إلى الليلة وإن كانت سببا في حصوله ولكن عين شهود الوتر يحفظه من نسبة الخير لغير الله مع ثبوت السبب عنده فلو كانت في ليلة شفع وهي سبب لم يكن لهذا العبد من يذكره تذكير حال في وقت التماسه إياها أو في شهوده إياها إذ اعثر عليها فكان محصلا للخير من يد غير أهله فيكون صاحب جهل وحجاب في أخذ ذلك الخير فما كان يقاوم ما حصل له فيها من الخير ما حصل له من الحرمان والجهل لحجابه عن معطي الخير فلماذا أيضا جعلت في أوتار الليالي فافهم وجعلت في العشر الآخر لأنها نور والنور شهادة وظهور فهو بمنزلة النهار إذ سمي النهار لاتساع النور فيه والنهار متأخر عن الليل لأنه مسلوخ منه والعشر الآخر متأخر عن العشر الأوسط والأول فكان ظهورها والتماسها في المناسب الأبعد وما رأيت أحدا رآها في العشر الأول ولا نقل إلينا وإنما تقع في العشر الوسط والآخر خرج مسلم عن أبي سعيد قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر وكذلك التجلي الإلهي ما ورد قط في خبر صحيح نبوي ولا سقيم إن الله يتجلى في الثلث الأول من الليل وقد ورد أنه يتجلى في الثلث الأوسط والآخر من الليل وليلة القدر إنما هي حكم تجل إلهي فكانت في الثلث الأوسط والآخر من الشهر ولم تكن في الثلث الأول فإن الأول أنت ولا بد فالأولية لك في معرفتك ربك وأنت وهو لا تجتمعان كما إن الدليل والمدلول لا يجتمعان فمن عرف نفسه

عرف ربه فقدمك فإنك الدليل فالأولية لك في المعرفة النظرية والكشفية فإن معرفة الكشف لا تكون إلا بعد رياضة ومجاهدة فلا بد من تقدمك نظرا وكشفا كما إن علمه بك إنما هو من علمه به فلو لم يتصف بأنه عالم بنفسه ما علمك فتفتن في علم الله بك من أين هو فإنها مسألة دقيقة جدا ذكرناها في كتابنا الموسوم بعقلة المستوفز وفي هذا الكتاب

(وصل في فصل في التماسها في الجماعة بالقيام في شهر رمضان)

خرج أبو داود عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال من هؤلاء فقيل هؤلاء ناس ليس معهم قرآن وأبي بن كعب يصلي بهم وهم يصلون بصلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصابوا ونعم ما صنعوا فالجمعية فيها أحق للمناسبة فإن قدرها أعظم من ألف شهر ليلته وأيامه فلها مقام هذا الجمع وأنزل الله فيها القرآن قرآنا أي مجموعا وأنزله بنون الجمع والعظمة فجمع في إنزاله فيها جميع الأسماء بقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وفيها تنزل الملائكة ما نزل فيها واحد والروح القائم فيهم مقام أبي في الجماعة التي يصلي بهم من كل أمر وكل يقتضي جميع الأمور التي يريد الحق تنفيذها في خلقه وحسب مطلع الفجر نهاية غاية فإنها تتضمن حرف إلى التي للغاية ولا تكون نهاية إلا عن ابتداء فكان جمعا فهذه الليلة ليلة جمع فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا ونعم ما صنعوا يغبطهم لما ذكرناه والباعث لالتماسها أمور تقتضيها وهي البواعث على التماسها وهو عظم قدرها وعظم من أنزلها وحقارة من التماسها عند نفسه بالتماسها فإنه شاهد بالتماس لهذا الخير العظيم القدر على نفسه بافتقار عظيم يقابله لأن العبد كلما أراد أن يتحقق بعبودية حقر قدره إلى أن يلحق نفسه بالعدم الذي هو أصله ولا أحقر من العدم فلا أحقر من نفس المخلوق فسمي أيضا ليلة القدر لمعرفة أهل الحضور فيها بأقدارهم أعني بحقارتها مع أن الخير الذي ينالونه شر كالمتمسكين في الإمكان والافتقار وأفقر الموجودات من افتقر إلى مفقر فلا أفقر من الإنسان فإنه لا أعرف بالله منه لجمعيته وعقله ومعرفته بنفسه

(وصل في فصل إلحاقها من قامها برسول الله صلى الله عليه وسلم في المغفرة)

قال الله تعالى يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم ليعفرك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وذكر مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر وفي مسلم فيوافقها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول يستر عنه ذنبه حتى لا ينجل وإن كان ممن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك كما ورد في الصحيح فيكون قد ستر عنه خطاب التحريم وأبج له شرعا فما تصرف إلا في مباح إن الله لا يأمر بالفحشاء فلولا عظم قدرها ما أحقها الله بصفة العلم الذي هو أشرف الصفات ولهذا أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه ومعنى قولي أحقها الله لما ورد في الصحيح أن العبد إذا أذنب ذنبا فعلم إن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب يقول الله له في الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك وما ثم سبب موجب لإباحة ما حرم عليه فعلة إلا العلم فلحق فضل ليلة القدر بمرتبة العلم فيما ذكرناه وقال صلى الله عليه وسلم من حرم خيرها فقد حرم ذكره النسائي وأي خير أعظم من رفع

(وصل في فصل الاعتكاف)

الاعتكاف الإقامة بمكان مخصوص وفي الشرع على عمل مخصوص بحال مخصوص على نية القرية إلى الله جل جلاله وهو مندوب إليه شرعا واجب بالنذر وفي الاعتبار الإقامة مع الله على ما ينبغي لله إثارة الجناب الله فإن أقام بالله فهو أتم من أن يقيم بنفسه فأما العمل الذي يخصه فمن قائل إنه الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن لا غير ذلك من أعمال البر والقرب ومن قائل جميع أعمال البر المختصة بالأخرة والذي أذهب إليه أن له أن يفعل جميع أفعال البر التي لا تخرجه عن الإقامة بالموضع الذي أقام فيه فإن خرج فليس بمعتكف ولا يثبت فيه عندى الاشتراط وقد ثبت عن عائشة أن السنة للمعتكف أن لا يشهد جنازة ولا يعود مريضا فاعلم إن الإقامة مع الله إذا كانت بالله فله التصرف في جميع أعمال البر المختصة بمكانه الذي اعتكف فيه والخارجة عنه التي يخرجها فعلها عن مكانه فإن الله يقول وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَإِذَا كُنْتُمْ

الإقامة بنفسك لله فقد عينت مكانا لها فلتلزمها به حتى يتجلى لك في غير ما ألزمتها به فافهم

(وصل في فصل المكان الذي يعتكف فيه)

فمن قائل لا يجوز الاعتكاف إلا في الثلاثة المساجد التي تشهد الرجال إليها ومن قائل الاعتكاف عام في كل مسجد ومن قائل لا اعتكاف إلا في مسجد تقام فيه الجمعة ومن قائل تعتكف المرأة في مسجد بيتها ومن قائل يجوز الاعتكاف حيث شاء إلا أنه إن اعتكف في غير مسجد جاز له مباشرة النساء وإن اعتكف في مسجد فليس له مباشرة النساء وبه أقول إلا أنني أزيد أنه إن نوى الاعتكاف في أيام تقام فيها الجمعة فلا يعتكف إلا في مكان يمكن له مع الإقامة فيه أن يقيم الجمعة سواء كان في المسجد أو في مكان قريب من المسجد يجوز له إقامة الجمعة فيه اعلم أن المساجد بيوت الله مضافة إليه فمن استلزم الإقامة فيها فلا ينبغي له أن يصرف وجهه لغير رب البيت فإنه سوء أدب فإنه لا فائدة للاختصاص بإضافتها إلى الله إلا أن لا يخالطها شيء من حظوظ الطبع ومن أقام مع الله في غير البيت الذي أضافه إلى نفسه جاز له مباشرة أهله إلا في حال صومه في اعتكافه إن كان صائما ومباشرة المرأة رجوع العقل من حال العقل عن الله إلى مشاهدة النفس سواء جعلها دليلا أو غير دليل فإن جعلها دليلا فالدليل والمدلول لا يجتمعان فلا تصح الإقامة مع الله وملابسة النفس وأعلى الرجوع إلى النفس وملابستها أن يلبسها دليل وأما إن لم يلبسها دليل فلم يبق إلا شهود الطبع فلا ينبغي للمعتكف أن يباشر النساء في مسجد كان أو في غير مسجد ومن كان مشهده سريان الحق في جميع الموجودات وأنه الظاهر في مظاهر الأعيان وأن باقتداره واستعداداتها كان الوجود في الأعيان رأى أن ذلك نكاح وأجاز مباشرة المعتكف المرأة إذا لم يكن في مسجد فإن هذا المشهد لا يصح فيه إن يكون للمسجد عين موجودة فإنه لا يرى في الأعيان من هذه حالته إلا الله فلا مسجد أي لا موضع تواضع ولا تطأطؤ فافهم

(وصل في فصل قضاء الاعتكاف)

ذكر مسلم عن أبي بن كعب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فساfer عاما فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين ليلة الإقامة مع الله على الدوام هو طريق أهل الله ولها الثناء العام ولذلك صاحبها الحمد لله على كل حال وهو ذكر الضراء وهو الذكر الأعم الأعم فإنه إذا حمده العبد على الضراء فكيف يكون مع السراء فإن السراء من جملة أحوال العبد وقد دخل تحت عموم قوله كل حال وهو الطرفان وما بينهما وحمد السراء مقيد فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في السراء الحمد لله المنعم المفضل فيقده وهذا هو حمد أيضا أعم من الأول وإن ظهر فيه التقييد ولكن لا يفتن له كل أحد فإن من نعم الله على عبده وإنعامه أن وفقه أن يقول عند الضراء الحمد لله على كل حال فهذا من اسمه المنعم المفضل عليه بهذا القول فإذا اتفق أن ينقل الله من له صفة الإقامة معه على كل حال إلى من يرى الله بعد كل شيء فتزيله هذه الحال عن الإقامة مع الله دائما فيكون بمنزلة المسافر الذي يناقض الاعتكاف فيجب عليه القضاء إذا رجع إلى حاله الأول وصورة قضائه الإقامة مع الله الثابت بالدليل الشرعي فإنها أيام آخر وهي العشر الوسط بين العشرين الآخر والأول كذلك هي النعوت التي جاءت بها الشريعة من صفات التشبيه بين الحس والعقل وهي حضرة الخيال ففي هذه الحضرة يقضي الاعتكاف وفي العشر الآخر المتصلة به يعتكف على عادته بصفات التنزيه عقلا وشرعا من ليس كمثله شيء

(وصل في فصل تعيين الوقت الذي يدخل فيه الذي يريد الاعتكاف إلى المكان الذي يقيم فيه)

خرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل في معتكفه اعلم أن المعتكف وهو المقيم مع الله على جهة القرية دائما لا يصح له ذلك إلا بوجه خاص وهو أن يشهده في كل شيء هذا هو الاعتكاف العام المطلق و ثم اعتكاف آخر مقيد يعتكف فيه العبد مع اسم ما إلهي يتجلى له ذلك الاسم بسلطانه فيدعوه إلى الإقامة معه و اعتبار مكان الاعتكاف في المعاني هو المكاةة وما ثم اسم إلهي إلا وهو بين اسمين إلهيين فإن الأمر الإلهي دوري ولهذا لا يتناهى أمر الله في الأشياء فإن الدائرة لا أول لها ولا آخر إلا بحكم الفرض ولهذا خرج العالم مستديرا على صورة الأمر الذي هو عليه في نفسه حتى في الأشكال فأول شكل قبل الجسم الكل الشكل المستدير وهو الفلك ولما كانت الأشياء الكائنة من الله عند حركات هذه الأفلاك بما قدره العزيز العليم أعطت الحكمة أن تكون على صورته في الشكل أو ما يقار بها فما من حيوان ولا شجرة ولا ورقة ولا حجر ولا جسم إلا وفيه ميل إلى الاستدارة ولا بد منها لكنها تدق في أشياء وتظهر بينة في أشياء واجعل بالك في كل ما خلق الله تعالى من جبل وشجر وجسم تر فيه انعطافا إلى الاستدارة ولذلك كان الشكل الكروي أفضل الأشكال ولما كان التجلي الأعظم العام يشبه طلوع الشمس ومع التجلي الشمس يكون الاعتكاف العام قيل للمعتكف بترجمان اسم ما إلهي ادخل في اعتكافك في وقت ظهور علامة التجلي الأعظم وهو طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح يقرب عليك الفتح ولا يقيدك هذا الاسم الإلهي الذي أقمت معه أو تريد الإقامة معه عن التجلي الأعظم الذي هو بمنزلة طلوع الشمس فتجمع في اعتكافك بين التقييد والإطلاق فإنه لو دخل المعتكف أول الليل بعدت عليه المسافة الزمانية وطال المدى

فرما نسي ما هو الأمر عليه فإن الإنسان مجبول على النسيان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته ووجد آدم فجحدت ذريته وهذا الحديث بشرى من النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة فإن آدم رحمه الله فرحمت ذريته كانوا حيثما كانوا جعل لهم رحمة تخصهم بأي دار أنزلهم الله تعالى فإن الأمر إضافي وإن الأصول تحكم على الفروع وهذا يدل على إن هذه النفوس الإنسانية نتيجة عن هذه الأجسام العنصرية ومولدة عنها فإنها ما ظهرت إلا بعد تسوية هذه الأجسام واعتدال أخلاطها فهي للنفوس المنفوخة فيها من الروح المضاف إليه تعالى كالأماكن التي تطرح الشمس شعاعاتها عليها فتختلف آثارها باختلاف القوالب أين ضوء نور الشمس في الأجسام الكثيفة منه في الأجسام الصقيلة فهذا تفاضلت النفوس لتفاضل الأمزجة فترى نفسا سريعة القبول للفضائل والعلوم ونفسا أخرى في الضد منها وبينهما متوسطات فهكذا هو الأمر إن فهمت قال تعالى فَإِذَا سَوَّيْتُهُ يُعْنِي جِسْمَ الْإِنْسَانِ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ولهذا قلنا إن النسيان في الإنسان أمر طبيعي يقتضيه المزاج كما إن التذكر أمر طبيعي أيضا في هذا المزاج الخاص وكذلك جميع القوي التي تنسب إلى الإنسان ألا تراه يقل فعل هذه القوي في أشخاص ويكثر في أشخاص فنبه الشارع بدخول المعتكف مكان اعتكافه بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس

(وصل في فصل إقامة المعتكف مع الله ما هي)

اعلم أن الإقامة مع الله إنما هو أمر معنوي لا أمر حسي فلا يقيم مع الله إلا بالقلب كما لا يتوجه في الصلاة إلى الله إلا بالقلب وكما تتوجه بوجهك إلى المسماة قبله وهي الكعبة كذلك يقيم بالحس مع أفعال البر وقد يكون من أفعال البر ملاحظة النفس ليؤدي إليها حقها المشروع لها فإن لنفسك عليك حقا وقد يؤثر نفسه على غيرها بإيصال الخير إليها وهو الذي شرعه الله لنا وما لنا طريق إلى الله إلا ما شرعه ولهذا يكلف الإنسان نفسه بعض مصالحها ليعود خير ذلك إليها كخروج المعتكف إلى حاجة الإنسان وإقباله على ما كان من نسائه وأهله ليصلح بعض شأنه في حال إقامته واعتكافه ذكر مسلم عن عائشة أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يدني إلى رأسه فارجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان وقال النسائي عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني وهو معتكف في المسجد فيسكني على باب حجرتي فاغسل رأسه وأنا في حجرتي وسائرته في المسجد وفي هذا دليل لمن يقول بالحكم للأغلب فإنه ما أخرجه كون رأسه في غير المسجد عن الاعتكاف لأن الأكثر منه في المسجد فراعى حكم الأكثر في الجرمية

(وصل في فصل ما يكون عليه المعتكف في نهاره)

ذكر أبو أحمد من حديث عبد الله بن بديل بن ورقاء المكبي عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن عمر أنه نذر أن يعتكف في المسجد الحرام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف وصم (اعتباره) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد الإقامة مع الله أن يقيم معه بصفة هي لله وهي الصوم ليكون مع الله بالله فلا يرى منه شيء إلا الله وهذه حالة أهل الله قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياء الله قال الذين إذا رأوا ذكر الله أي لتحققهم بالله يغيبون به عنهم وعن عيون الخلق فإذا رآهم الناس لم يروا غير الله فتذكرهم بالله رؤيتهم مثل

الآيات المذكورات وهذا هو المقام الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا فأجاب الله تعالى دعاءه فأخبرنا أنه بعثه إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فجعله نورا كما سأل فإن قوله لربه واجعلني نورا فأكون بذاتي عين الاسم الإلهي النور ومن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ولا ينطق عن الهوى فما هو هو وما بقي لمن يراه ما يرى إلا الله عرف ذلك الرائي أو لم يعرفه هكذا يشاهدونه أهل العلم بالله من المؤمنين الخلفاء يظهر في العالم والسوقة بصفات من استخلفها قالت بلقيس في عرشها كأنه هو وما كان إلا هو ولكن حجبتها بعد المسافة وحكم العادة وجهلها بقدر سليمان عليه السلام عند ربه فهذا حجبتها أن تقول هو هو فقالت كأنه هو وأي مسافة أبعد من ليس كميله شيء ممن مثله أشياء قال الكامل صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر مثلكم عن أمر الله قيل له قل فقال قل إنما أنا بشرٌ مثلكم وبهذا علمنا أنه عن أمر الله لأنه نقل الأمر لنا كما نقل المأمور وكان هذا القول دواء للمرض الذي قام بمن عبد عيسى عليه السلام من أمته فقالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وفاتهم علم كثير حيث قالوا ابن مريم وما شعروا ولهذا قال الله تعالى في إقامة الحجة على من هذه صفته قل سمؤهم فما يسمونهم إلا بما يعرفون به من الأسماء حتى يعقل عنهم ما يريدون فإذا سموهم تبين في نفس الاسم أنه ليس الذي طلب منهم الرسول المبعوث إليهم أن يعبدوه وإنما قلنا هو هو لما يعطيه الكشف الصحيح في الخصوص والايان الصريح في العموم كما ورد به الخبر النبوي الإلهي من أن الله إذا أحب عبده كان سمعه وبصره وذكر قواه وجوارحه والإنسان ليس غير هذه الأمور المذكورة الذي جعل الحق هويته عينها فإن كنت مؤمناً عرفت بمن أنت وإن كنت صاحب شهود صحيح عرفت من شاهدت وأكثر من هذا البيان النبوي عن الله ما يكون في قوة الإنسان حتى يكون المؤمن صاحب حال عيان فيعرف عند ذلك من هو عين هذه الأكوان والأعيان

(وصل في فصل زيارة المعتكف في معتكفه المقيم مع الله من حيث اسم ما تطلبه أسماء أخر إلهية في أعيان أكوان يظهر سلطانها فيها منازعة للاسم الذي هو مقيم معه)

ذكر البخاري عن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في معتكفه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها حتى إذا بلغت باب أم سلمة الحديث فهذا اسم إلهي حرك صفية لتزوره حتى يأخذ بوساطتها النبي صلى الله عليه وسلم من الإقامة مع الاسم الإلهي الذي أجاها فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا الاسم زمان حديثه معها ثم أخرجه من موضع جلوسه حين شيعها وهو نوع سفر لابل هو سفر بر الرجل بأمر أنه تعظيماً لحرمتها وقصدها فإن السفر انتقال ولم ينتقل إلا بحكم ذلك الاسم عليه من مكانه فإن المعتكف إذا انتقل إلى حاجة الإنسان من وضوء وما لا بد منه فإن ذلك كله من حكم الاسم الذي أقام معه في مدة اعتكافه وما من حركة يتحركها الإنسان في اعتكافه وغير اعتكافه إلا عن ورود اسم إلهي عليه هذا مفروغ منه عندنا في الحقائق الإلهية وأسماء الله لا تحصى كثرة وما من شأن المعتكف تشييع الزائر فما تحرك لذلك إلا لحكم الاسم الإلهي الذي حرك الزائر إليه فالعين لا تعرف إلا أنها زائرة لقضاء غرضها من نظر أو

حديث والعارف يشهد الأسماء الإلهية ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فالاسم الإلهي الذي حرك صفة من وراء حجاب صفة ومعه كان يتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله قام وشيع وكان مطلب ذلك الاسم إظهار سلطانه فيه وقد ظهر وقد بينا ذلك في مجارة الأسماء الإلهية في أول هذا الكتاب وفي عنقاء مغرب

(وصل في فصل اعتكاف المستحاضة في المسجد)

كذب النفس لعلة مشروعة ليس بحيض ولذلك تصلي المستحاضة ولا تصلي الحائض ورد عن عائشة على ما ذكره البخاري أنه اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة مستحاضة من أزواجه الحديث فمن وضع الأشياء في مواضعها فقد أعطاهما ما تستحقه عليه وهو حكيم وقته فإن الحكمة تعطي وضع كل شيء في موضعه والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ وما ثم شيء مطلق أصلاً لأنه لا يقتضيه الإمكان ولا تعطيه أيضاً الحقائق فإن الإطلاق تقييد فما من أمر إلا وله موطن يقبله وموطن يدفعه ولا يقبله لا بد من ذلك كالأغذية الطبيعية للجسم الطبيعي ما من شيء يتغذى به إلا وفيه مضرة ومنفعة يعرف ذلك العالم بالطبيعة من حيث ما هي مدبرة للبدن وهو المسمى طبيياً ويعرفه الطبيعي مجملاً والتفصيل للطبيب فما في العالم لسان حمد مطلق ولا لسان ذم مطلق والأصل الأسماء الإلهية المتقابلة فإن الله سمي لنا نفسه بها من كونه متكلماً كما نزه وشبهه ووجد وشرك ونطق عباده بالصفتين ثم قال سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هذا آخر الجزء الحادي والستين

(الباب الثاني والسبعون في الحج وأسراره)

من عهد والدنا المنعوت بالناسي	الحج فرض إلهي على الناس
وواجب الفرض أن نلقي على الرأس	فرض علينا ولكن لا تقوم به
عن كل حال بإعسار وإفلاس	فإن حرمت بإحرام تجردكم
من المنازل بالعمارة وبالكايسي	دعتك حالته في كل منزلة
بنعت عبد لدني و الياس	فيه الإجابة للرحمن من كذب
ومن صلاة وحكم الجود والبأس	فيه العبادات من صوم ومن صلة
إلا تردد رب الجن والناس	وفي الطواف معان ليس يشبهها
عند الطواف وأقراط وسواس	إني قتيل خلاخيل كلفت بها
رمى الجمار لخناس بوسواس	وفي المحصب شرع الفرد ناسبه
يوم الوقوف بإذلال وإبلاس	الله خصصه في بطن عرته

فما عليك بذاك الفرق من بأس	وكن مع الفرق في جمع بمزدلف
سعى لظلمته بضوء نبراس	من حج لله لا بالله كان كمن
فيما تفوه به للخلق أنفاسي	في يوم غيم شديد الحر فاعتبروا
ما بين عقل إلهي وإحساس	وكن إذا أنت دبرت الأمور به
إذا سعت كآسقف وشماس	واحذر شهودا ساف ثم نائلة
تدعى بها عند ذاك النحر بالقاسي	وفي مني فانحر القربان في صفة
مصونة بين حفاظ وحراس	وترية الذات لا شفيع يزلها
محفوفة بهار الروض والآس	عطرية النشر معسول مقبلها
وما يكون لذاك الكلم من آسي	مكلمة بالذي نالته من صفتي

اعلم أيديك الله أن الحج في اللسان تكرر القصد إلى المقصود والعمرة الزيارة ولما نسب الله تعالى البيت إليه بالإضافة في قوله لخليله إبراهيم عليه السلام أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وأخبرنا أنه أول بيت وضع للناس معبدا فقال إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت جعله نظيرا ومثالا لعرشه وجعل الطائفين به من البشر كالملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أي بالثناء على ربهم تبارك وتعالى وثناؤنا على الله في طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه بما لا يتقارب ولكن ما كل طائف يتنبه إلى هذا الثناء الذي زیده وذلك أن العلماء بالله إذا قالوا سبحان الله أو الحمد لله أو لا إله إلا الله إنما يقولونها بجمعيتهم للحضرتين والصورتين فيذكرونه بكل جزء ذاك الله في العالم وبذكر أسمائه إياه ثم إنهم ما يقصدون من هذه الكلمات إلا ما نزل منها في القرآن لا الذكر الذي يذكرونه فهم في هذا الثناء نواب عن الحق يشنون عليه بكلامه الذي أنزله عليهم وهم أهل الله بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم أهل القرآن وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته فهم ناثبون عنه في الثناء عليه فلم يشب ثناءهم استنباط نفسي ولا اختيار كوني ولا أحدثوا ثناء من عندهم فما سمع من ثنائهم إلا كلامه الذي أثنى به على نفسه فهو ثناء إلهي قدوس طاهر نزيه عن الشوب الكوني قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فأجره حتى يسمع كلام الله فأضاف الكلام إليه لا إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ولما جعل الله تعالى قلب عبده بيتا كريما وحرما عظيما وذكر أنه وسعه حين لم يسعه سماء ولا أرض علمنا قطعا إن قلب المؤمن أشرف من هذا البيت وجعل الخواطر التي تمر عليه كالطائفين ولما كان في الطائفين من يعرف حرمة البيت فيعامله في الطواف به بما يستحقه من التعظيم والإجلال ومن الطائفين من لا يعرف ذلك فيطوفون به بقلوب غافلة لاهية والسنة بغير ذكر الله ناطقة بل ربما يطوفون بفضول من القول وزور وكذلك الخواطر التي تمر على قلب المؤمن منها مذموم ومنها محمود وكما كتب الله طواف كل طائف للطائف به على

أي حالة كان و عفا عنه فيما كان منه كذلك الخواطر المذمومة عفا الله عنها ما لم يظهر حكمها على ظاهر الجوارح إلى الحس و كما إن في البيت يمين الله للمبايعة الإلهية ففي قلب العبد الحق سبحانه من غير تشبيه ولا تكيف كما يليق بجلاله سبحانه حيث وسعه و أين مرتبة اليمين منه على الانفراد منه سبحانه ففيه اليمين المسمى كلتا يديه فهو أعظم علما و أكثر إحاطة فإنه محل لجميع الصفات و ارتفاعه بالمكانة عند الله لما أودع الله فيه من المعرفة به ثم إن الله تعالى جعل لبيته أربعة أركان لسر إلهي وهي في الحقيقة ثلاثة أركان لأنه شكل مكعب الركن الواحد الذي يلي الحجر كالحجر في الصورة مكعب الشكل و لا جل ذلك سمي كعبة تشبيها بالكعب فإذا اعتبرت الثلاثة الأركان جعلتها في القلب محل الخاطر الإلهي و الركن الآخر ركن الخاطر الملكي و الركن الثالث ركن الخاطر النفسي فالإلهي ركن الحجر و الملكي الركن اليميني و النفسي المكعب الذي في الحجر لا غير و ليس للخاطر الشيطاني فيه محل و على هذا الشكل قلوب الأنبياء مثلثة الشكل على شكل الكعبة و لما أراد الله ما أراد من إظهار الركن الرابع جعله للخاطر الشيطاني و هو الركن العراقي فيبقى الركن الشامي للخاطر النفسي وإنما جعلنا الخاطر الشيطاني للركن العراقي لأن الشارع شرع أن يقال عنده أعود بالله من الشقاق و النفاق و سوء الأخلاق و بالذكر المشروع في كل ركن تعرف مراتب الأركان و على هذا الشكل المربع قلوب المؤمنين و ما عدا الرسل و الأنبياء المعصومين ليميز الله رسله و أنبياءه من سائر المؤمنين بالعصمة التي أعطاهم و ألبسهم إياها فليس لنبى إلا ثلاثة خواطر إلهي و ملكي و نفسي و قد يكون ذلك لبعض الأولياء الذين لهم جزء وافر من النبوة كسليمان الدنيلي لقيته و هو ممن له هذا الحال فأخبرني عن نفسه أن له بضعا و خمسين سنة ما خطر له خاطر قبيح و لأكثر الأولياء هذه الخواطر و زادوا بالخاطر الشيطاني العراقي فمنهم من ظهر عليه حكمه في الظاهر و هم عامة الخلق و منهم من يحظر له و لا يؤثر في ظاهره و هم المحفوظون من أوليائه و لما اعتبر الله الشكل الأول الذي للبيت جعل له الحجر على صورته و سماه حجرا لما حجر عليه أن ينال تلك المرتبة أحد من غير الأنبياء و المرسلين حكمة منه سبحانه فللأولياء الحفظ الإلهي و لهم العصمة أخبرني بعض الأولياء من أهل الله و هو عبد الله بن الأستاذ الموروري أن الشيخ عبد الرزاق أو غيره الشك مني بل غيره بلا شك فإني تذكرته رأى إبليس فقال له كيف حالك مع الشيخ أبي مدين عبد صالح إمام في التوحيد و التوكل كان ببجاية فقال إبليس ما شبهت نفسي فيما نلقي إليه في قلبه إلا كشخص بال في البحر المحيط فقيل له لم تبول فيه قال حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة فهل رأيتم أجهل من هذا الشخص كذلك أنا و قلب أبي مدين كلما أقيت فيه أمرا قلب عينه فأخبر أنه يلقى في قلوب الأولياء و هو الذي ذكرناه و ليس له على الأنبياء سبيل و ارتفاع البيت سبعة و عشرون ذراعا و ذراع التحجير الأعلى فهو ثمانية و عشرون ذراعا كل ذراع مقدار لأمر ما إلهي يعرفه أهل الكشف فهي هذه المقادير نظير منازل القلب التي تقطعها كواكب الايمان السيارة لإظهار حوادث تجري في النفس المضاهي لمنازل القمر و الكواكب السيارة لإظهار الحوادث في العالم العنصري سواء حرفا و معنى و اعلم أن الله تعالى قد أودع في الكعبة كنزا أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يخرج منه فينفقه ثم بدا له في ذلك لمصلحة رآها ثم أراد عمر بعده أن يخرج فامتنع اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم فهو فيه إلى الآن و أما أنا

فسبق لي منه لوح من ذهب جيء به إلي وأنا بتونس سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فيه شق غلظه أصعب عرضه شبر وطوله شبر أو أزيد مكتوب فيه بقلم لا أعرفه وذلك لسبب طراً بيبي وبين الله فسألت الله أن يردّه إلى موضعه أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أخرجته إلى الناس لثارت فتنة عمياء فتركته أيضا لهذه المصلحة فإنه صلى الله عليه وسلم ما تركه سدى وإنما تركه ليخرجه القائم بأمر الله في آخر الزمان الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وقد ورد خبر رويناه فيما ذكرناه من إخراجة علي يد هذا الخليفة وما أذكر الآن عن رويته ولا الجزء الذي رأيته فيه كذلك جعل الله في قلب العارف كنز العلم بالله فشهد الله بما شهد به الحق لنفسه من أنه لا إله إلا الله ونفى هذه المرتبة عن كل ما سواه فقال شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم فجعلها كزرا في قلوب العلماء بالله ولما كانت كزرا لذلك لا تدخل الميزان يوم القيامة وما يظهر لها عين إلا إن كان في الكتيب الأبيض يوم الزور ويظهر جسمها وهو النطق بها عناية لصاحب السجلات لا غير فذلك الواحد يوضع له في ميزانه التلغظ بها إذ لم يكن له خير غيرها فما يزن ظاهرها شيء فأين أتت من روحها ومعناها فهي كنز مدخر أبدا دنيا وآخرة وكل ما ظهر في الأكوان والأعيان من الخير فهو من أحكامها وحقها ثم إن الله جعل هذا البيت الذي هو محل ذكر اسم الله على أربعة أركان كذلك جعل الله القلب على أربع طبائع تحمله وعليها قامت نشأته كقيام البيت اليوم على أربعة أركان كقيام العرش على أربعة حملة اليوم كذا ورد في الخبر أنهم اليوم أربعة وغدا يكونون ثمانية فإن الآخرة فيها حكم الدنيا والآخرة فذلك تكون غدا ثمانية فيظهر في الآخرة حكم سلطان الأربعة الأخر وكذلك يكون القلب في الآخرة تحمله ثمانية الأربعة التي ذكرناها والأربعة الغيبية وهي العلم والقدرة والإرادة والكلام ليس غير ذلك فإن قلت فهي موجودة اليوم فلما ذا جعلتها في الآخرة قلنا وكذلك الثمانية من الحملة موجودون اليوم في أعيانهم لكن لا حكم لهم في الحمل الخاص إلا غدا كذلك هذه الصفات التي ذكرناها لا حكم ينفذ لهم في الدنيا دائما وإنما حكمهم في الآخرة للسعداء وحكم الأربعة الذين هم طبائع هذا البيت ظاهرة الحكم في الأجسام فإن قلت فما معنى قولك حكمهم قلت فإن العلم لا يشاهد العالم معلومه إلا في الآخرة والقدرة لا ينفذ حكمها إلا في الآخرة فلا يعجز السعيد عن تكوين شيء وإرادته غير قاصرة فما بهم بشيء يريد حضوره إلا حضر وكلامه نافذ فما يقول لشيء كن إلا ويكون فالعلم له عين في الآخرة وليس هذا حكم هذه الصفات في النشأة الدنيا مطلقة فاعلم ذلك فالإنسان في الآخرة نافذ الاقتدار فالله بيته قلب عبده المؤمن والبيت بيت اسمه تعالى والعرش مستوي الرحمن فأيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى فلا تجهر بصلاتك ولا تخافتها فإنه يعلم الجهر وما يخفى كما أنه يعلم السر وأخفى وأصفى وهو قوله وأتبع بين ذلك سبيلا فإنه أخفى من السري أي أظهر فإن الوسط الحائل بين الطرفين المعين للطرفين والمميز لهما هو أخفى منهما كالخط الفاصل بين الظل والشمس والبرزخ بين البحرين الأجاج والفرات والفاصل بين السواد والبياض في الجسم نعلم أن ثم فاصلا ولكن لا تدرکه العين ويشهد له العقل وإن كان لا يعقل ما هو أي لا يعقل ماهيته فيبين القلب والعرش في المنزلة ما بين الاسم الله والاسم الرحمن وإن كان أيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولكن ما أنكر أحد الله وأنكر الرحمن فقالوا وما الرحمن فكان مشهد الألوهة أعم

لإقرار الجميع بها فإنها تتضمن البلاء والعافية وهما موجودان في الكون فما أنكرهما أحد ومشهد الرحمانية لا يعرفه إلا المرحومون بالإيمان وما أنكره إلا المحرومون من حيث لا يشعرون أنهم محرومون لأن الرحمانية لا تتضمن سوى العافية والخير الحض بالله معروف بالحال والرحمن منكور بالحال فقيل لهم أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحُسنى فعرّفه أهل البلاء تقليد التعريف الله من وراء حجاب البلاء فافهم فقد نبهتكم لأمر إن سلكت عليها جلت لك في العلم الإلهي ما لا يقدر قدره إلا الله فإن العارف بقدر ما ذكرناه من العلم بالله الذوقى اليوم عزيز ولما كان الحج لهذا البيت تكرر القصد في زمان مخصوص كذلك القلب تقصده الأسماء الإلهية في حال مخصوص إذ كل اسم له حال خاص يطلبه فمهما ظهر ذلك الحال من العبد طلب الاسم الذي يخصه فيقصده ذلك الاسم فهذا تبحر الأسماء الإلهية بيت القلب وقد تبحر إليه من حيث إن القلب وسع الحق والأسماء تطلب مسماها فلا بد لها أن تقصد مسماها فتقصد البيت الذي ذكر أنه وسعه السعة التي يعلمها سبحانه وإنما تقصده لكونها كانت متوجهة نحو الأحوال التي تطلبها من الأكوان فإذا أنفذت حكمها في ذلك الكون المعين رجعت قاصدة تطلب مسماها فتطلب قلب المؤمن وتقصده فلما تكرر ذلك القصد منها سمي ذلك القصد المكرر حجا كما يتكرر القصد من الناس والجن والملائكة للكعبة في كل سنة للحج الواجب والنفل وفي غير زمان الحج وحاله يسمى زيارة لا حجا وهو العمرة والعمرة الزيارة وتسمى حجا أصغر لما فيها من الإحرام والطواف والسعي وأخذ الشعر أو منه والإحلال ولم تعم جميع المناسك فسميت حجا أصغر بالنظر إلى الحج الأكبر الذي يعم استيفاء جميع المناسك ولهذا يجزئ القارن بينهما طواف واحد وسعى واحد لمسمى الحج لها وهكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرانه في حجة وداعه التي

قال فيها خذوا عني مناسككم وهكذا الحكم في الآخرة في الزور العام هو بمنزلة الحج في الدنيا وحج العمرة هو بمنزلة الزور الذي يخص كل إنسان فعلى قدر اعتماره تكون زيارته لربه والزور الأعم في زمان خاص للزمان الخاص الذي للحج والزور الأخص الذي هو العمرة لا يختص بزمان دون زمان فحكمها أنفذ في الزمان من الحج الأكبر وحكم الحج الأكبر أنفذ في استيفاء المناسك من الحج الأصغر ليكون كل واحد منهما فاضلا مفضولا لينفرد الحق بالكمال الذي لا يقبل المفاضلة وما سوى الله ليس كذلك حتى الأسماء الإلهية وهم الأعلون يقبلون المفاضلة وقد بينا ذلك في غير موضع وكذلك المقامات والأحوال والموجودات كلها فالزيارة الخاصة التي هي العمرة مطلقة الزمان على قدر مخصوص وسأذكر إن شاء الله ما يختص بهذا الباب من الأفعال الظاهرة المشروعة في العموم والخصوص على السنة علماء الرسوم بالظواهر والنصوص وما يختص أيضا بها من الاعتبارات في أحوال الباطن بلسان التقريب والاختصار والإشارة والإيماء كما عملنا فما تقدم من العبادات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فلو شاء لهداكم أجمعين ولكن الله فعّال لما يريد

(وصل في فصل وجوب الحج)

لا خلاف في وجوبه بين علماء الإسلام قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا فوجب على كل مستطيع من الناس صغير

وكبير ذكر وأنتى حر وعبد مسلم وغير مسلم ولا يقع بالفعل إلا بشرطه معينة فإن الأيمان والإسلام واجب على كل إنسان والأحكام كلها الواجبة واجبة على كل إنسان ولكن يتوقف قبول فعلها أو فعلها من الإنسان على وجود الإسلام منه فلا يقبل تلبسه بشيء منها إلا بشرط وجود الإسلام عنده فإن لم يؤمن أخذ بالواجبين جميعاً يوم القيامة وجوب الشرط المصحح لقبول هذه العبادات ووجوب المشروط التي هي هذه العبادات وقرئ بكسر الحاء وهو الاسم وفتحها وهو المصدر فمن فتح وجب عليه أن يقصد البيت ليفعل ما أمره الله به أن يفعله عند الوصول إليه في المناسك التي عين الله له أن يفعلها ومن قرأ بالكسر وأراد الاسم فمعناه أن يراعي قصد البيت فيقصد ما يقصده البيت وبينهما بون بعيد فإن العبد بفتح الحاء يقصد البيت وبكسرهما يقصد قصد البيت فيقوم في الكسر مقام البيت ويقوم في الفتح مقام خادم البيت فيكون حال العبد في حجه بحسب ما يقيمه فيه الحق من الشهود والله المرشد والهادي لا رب غيره ولما كان قصد البيت قصداً حالياً لأنه يطلب بصورته الساكن فله على الناس أن يجعلوا قلوبهم كالبيت تطلب مجالها أن يكون الحق ساكنها كما قال اطلبوني في قلوب العارفين بي فهذا معنى الكسر فيه وهو الاستعداد بالصفة التي ذكر الله إن القلب يصلح له تعالى بها ومن فتح فوجب عليه أن يطلب قلبه ليرى فيه آثار ربه فيعمل بحسب ما يرى فيه من الآثار الإلهية وهذا حال غير ذلك فبالكسر يقصد الله وبالفتح يقصد القلب لما ذكرناه

(وصل في فصل شروط صحة الحج)

لا خلاف إن من شرط صحته الإسلام إذ لا يصح ممن ليس بمسلم الإسلام الانقياد إلى ما دعاك الحق إليه ظاهراً وباطناً على الصفة التي دعاك أن تكون عليها عند الإجابة فإن جئت بغير تلك الصفة التي قال لك تجيء بها فما أجبت دعاء الاسم الإلهي الذي دعاك ولا أنتقدت إليه وهنا علم دقيق وهل الدعوة كانت من الله على المجموع وهو عينك وعين الصفة والمقصود من هذا الدعاء عين الصفة وأنت بحكم التبع لكون هذا الوصف الخاص لا يقوم بنفسه فما تكون أنت المطلوب ولا بد لك من اسم يكون لك من تلك الصفة يناديك به أو تكون أنت المدعو من حيث عينك والصفة تبع ما هي المقصود في الدعاء لأنها لم يذكر لها عين في هذا الدعاء الخاص فمن راعى من العارفين العين لا عين الصفة لكونه تعالى قال **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ** وما قال على المسلمين ولا ذكر صفة زائدة على أعيانهم فأوجبها على الأعيان وجوباً إلهياً فإذا أتى بهذا الدعاء صاحب الاسم الذي هو الناس قيل فيه إنه قد أجاب إجابة ذاتية فيكون جزءاً إجابته تجلّى من دعاه ذاتاً بذات ومن اعتبر أنه ما دعاه من حيث ما هو ذات وإنما دعاه من حيث ما هو منكلم فما أجاب هذا المدعو إلا عين الصفة لا عين الذات قيل له وكذلك الجيب المدعو ما أجاب منه إلا عين صفته فإن ذات المدعو من صفات من دعاه وهذه الصفة يعبر عنها بذات المدعو لأن المدعو مجموع صفات ذاتية له بمجموعها يكون إنساناً وهو كونه حيواناً ناطقاً وليس عين هذا المجموع سوى عين ذاته ولهذا وقع الدعاء من الداعي بالاسم الجامع وهو الله فإن قيل لا يصح أن يكون حقيقة هذا الاسم الجامع وإنما يأتي والداعي به اسم خاص يخصصه حال المدعو ويعين الاسم الخاص به كالجائع يقول يا الله أطمعني فالله الذي دعاه يعم المعطي والمنع فتعذر الإجابة إذا قصد الداعي ما يدل عليه هذا الاسم وما قصد الداعي إلا

المطعم المعطي الرزاق ما قصد المانع فإن أطعمه الله فما أجابه إلا المطعم كذلك قوله **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** ليس المقصود بهذا الاسم عين ما يدل عليه فإن من مدلولاته أسماء إلهية تمنع من إجابة المكلف وأسماء تعطي إجابة المكلف فما دعاه من هذا الاسم إلا الاسم الذي يطلب إجابة المكلف المدعو ولهذا يعصي من لم يجب الدعاء بقرائن الأحوال ولو كان من حيث الاسم الله ما عصى ولا أطاع وتقابلت الأمور فلماذا لا يتصور أن يدعو أحد الله من حيث حقيقة هذا الاسم ولا يدعو هذا الاسم الله أحدا من حيث حقيقته وإنما يدعو ويدعى منه من حيث اسم خاص يتضمنه يعرف بالحال فاعلم إن الذات من الجانبين لا يصح أن تكون مطلوبة لأنها موجودة وإنما متعلق الطلب المعلوم لوجود فما يدعى إلا المعلوم لأن الدعاء طلب وطلب عين الإرادة والإرادة لا تتعلق إلا بالمعلوم قلنا وكذلك وقع فإنه ما ظهر من هذا المدعو إلا الإجابة وكانت معدومة مع كون ذات المدعو لما يدعى إليه موجودة فظهرت الإجابة من المدعو بعد أن لم تكن لأن الإجابة لا تكون إلا بعد دعاء داع وهذا المدعو المعلوم الثابت لا يصح وجوده من ذات المدعو وإنما يصح في ذات المدعو إذا كان المدعو من العالم فيفتقر إلى أن يقول له الداعي كن فحينئذ يكون المدعو إجابة لأمره في ذات هذا المتوجه عليه الخطاب فما إجابته ذات المدعو فيما يظهر وإنما وقعت الإجابة من الصفة التي ظهرت فيه فيخيل إن الذات التي ظهرت فيها ذات هذا المدعو هو المخاطب بالتكوين وليس كذلك وهكذا هو الوجود الإلهي والكوني في نفس الأمر وإن كان الظاهر يعطي غير هذا فما في الكون إلا مسلم لغة لأنه ما ثم إلا منقاد للأمر الإلهي لأنه ما ثم من قيل له كن فأبى بل يكون من غير تثبط ولا يصح إلا ذلك فإذا وقع الحج ممن وقع من الناس ما وقع إلا من مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير ولم يكن مشروعا من جانب الله له ذلك في حال الجاهلية وقبل بعثة الرسول فاعتبره له الله سبحانه لحكم الانقياد الأصلي الذي تعطيه حقيقة الممكن وهو الإسلام العام فمن اعتبر المجموع وجد ومن اعتبر عين الصفة وجد ومن اعتبر الذات وجد ولكل واحد شرب معلوم من علم خاص فإنه يدخل فيه هذا الإسلام الخاص المعروف في العرف الحاكم في الظاهر و الباطن معا فإن حكم في الظاهر لا في الباطن كالمناق الذي أسلم للتيمة حتى يعصم ظاهره في الدنيا فهذا ما فعل ما فعل من الأمور الخيرية التي دعى إليها لخيريتها فما له أجر والذي فعلها وهو مشرك لخيريتها نفعته بالخير المنوي فلا بد أن ينقاد الباطن والظاهر بالمجموع تحصل الفائدة مكتملة لأن الداعي دعاه بالاسم الجامع والمدعو هي من الاسم الجامع لصفة جامعة وهو الحج والحج لا يكون إلا بتكرار القصد فهو جمع في المعنى فما في الكون إلا مسلم فوجب الحج على كل مسلم فلماذا لم يتصور فيه خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الحقائق وعالم الحقائق أتم من عالم الرسم في هذه المسألة وأمثالها فإن حج الطفل الرضيع صح حجه ولا تلتفظ له بالإسلام ولا يعرف نية الحج ولومات عندنا قبل البلوغ كتب الله له تلك الحجة عن فريضته ولنا في ذلك خبر نبوي في الصبي قبل البلوغ والعبد للصبي الرضيع الإسلام العام الذي يشبهه الحقوق وقد اعتبره الشرع رفعت امرأة صبيا لها صبغيا فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال لها نعم ولك أجر فنسب الحج لمن لا قصد له فيه فلم يكن لذلك الرضيع قصد بوجه ما عرفه الشارع صاحب الكشف ما صح أن ينسب الحج إليه وكان ذلك كذبا كانت امرأة ترضع صبغيا لها فمر

مستطيع بالوجه الذي ذكرناه من الاستعداد لقبول ما يفعل به كما استعد الكبير الراكب لقبول ما تفعل به راحلته من سكون و حركة وينسب العمل إليه لا إلى الراحلة جريا على حكم الأصل الإلهي حيث تنسب الأفعال إلى العباد والأفعال أعني خلقها الله تعالى على الحقيقة وهم محال ظهورها

(وصل في فصل الاستطاعة)

فمن قاتل الزاد والراحلة ومن قاتل من استطاع المشي فلا تشترط الراحلة وكذلك الزاد ليس من شرطه إذا كان يمكنه الاكتساب في القافلة ولو بالسؤال هذا في المباشرة فالراحلة عين هذا الجسم لأنه مركب الروح الذي هو اللطيفة الإنسانية المنفوخة فيه فيما يصدر منه بوساطة هذا الجسم من أعمال صلاة وصدقة وحج وإمطة وتلفظ بذكر كل ذلك أعمال موصلة إلى الله عز وجل والسعادة الأبدية والجسم هو المباشر لها والروح بوساطته فلا بد من الراحلة أن تشترط في هذا العمل الخاص بهذه الصورة وأما الزاد فمن اعتبر فيه الزيادة وهو السبب الذي بوجوده يكون التغذي الذي تكون عنه القوة التي بها تحصل هذه الأفعال فبأي شيء حصلت تلك القوة سواء بذاتها أو عند هذا الزائد المسمى زادا لأن الله زاده في الحجاب ولهذا تعلقت به النفس في تحصيل القوة وسكنت عند وجوده واطمأنت وانحجبت عن الله به وهي مسرورة بوجود هذا الحجاب لما حصل لها من السكون به إذ كانت الحركة متعبة ظاهرا وباطنا وإذا فقد الزاد تشوش باطنه واضطرب طبعها ونفسا وتقلق عند فقد هذا السبب المسمى زاد أو زال عنه ذلك السكون والطمأنينة فكل ما يؤديه إلى السكون فهو زاد وهو حجاب أثبت الحق بالفعل وقرره الشرع بالحكم فيقوي أساسه فلماذا كان أثر الأسباب أقوى من التجرد عنها لأن التجرد عنها خلاف الحكمة والاعتماد عليها خلاف العلم فينبغي للإنسان أن يكون مثبتا لها فاعلا بها غير متعمد عليها وذلك هو القوي من الرجال ولكن لا يكون له مقام هذه القوة من الاعتماد أن تؤثر فيه الأسباب إلا بعد حصول الابتلاء بالتجريد عن الأسباب المعتادة وطرحها من ظاهره والاشتغال بها فإذا حصلت له هذه القوة الأولى حينئذ ينتقل إلى القوة الأخرى التي لا يؤثر فيها عمل الأسباب وأما قبل ذلك فغير مسلم للبعد القول به وهذا هو علم الذوق وحاله والعالم الذي يجد الاضطراب وعدم السكون فليس ذلك العلم هو المطلوب والمتكلم عليه فإنه غير معتبر بل إذا أمعنت النظر في تحقيقه وجدته ليس بعلم ولا اعتقاد فلماذا إلا أثر له ولا حكم في هذه القوة المطلوبة التي حصلت عن علم الذوق والحال وهذا هو مرض النفس وأما وجود الإحساس بالآلام الحسية من جوع وتعبد فذلك لا يقدر فإنه أمر يقتضيه الطبع ليس للنفس فيه تعمل وليس بألم نفسي

(وصل في الاستطاعة بالنيابة مع العجز عن المباشرة)

فمن قاتل بلزوم النيابة ومنهم من قال لا يلزم مع العجز عن المباشرة وقد ثبت شرعا عندنا الأمر بالحج عمن لا يستطيع لوليه أو بالإجارة عليه من ماله إن كان ذا مال وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله فاعلم إن النيابة صحيحة فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فتاب

منابه في ذلك القول وقال فَاجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ فَتَابَ اللَّهُ الرَّسُولَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْابِ الْحَقِّ لَوْ بَاشَرَ الْكَلَامَ مِنْهُ بِلا واسطة وقال في النيابة يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَقَالَ فِي الْعُمومِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ وَالاسْتِخْلَافُ نِيَابَةٌ فَإِنَّ الْمَالَ لِلَّهِ وَالتَّصَرُّفُ لَكَ فِيهِ عَلَى حَدِّ مَنْ اسْتَخْلَفَكَ فِيهِ فَهَذَا كُلُّهُ نِيَابَةُ الْعَبْدِ عَنِ اللَّهِ فِي الْأُمُورِ وَأَمَّا نِيَابَةُ الْحَقِّ عَنِ الْعَبْدِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا وَقَالَ أَمْرًا لِإِلَهِ الْإِلَهِ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكَيْلًا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخَاطَبُ رَبَّهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَالْوَكِيلَةُ نِيَابَةٌ عَنِ الْمُوَكَّلِ فِيمَا وَكَلَهُ فِيهِ إِنْ يَقُومُ مَقَامَهُ فَاتَّبَتْ لَكَ الشَّيْءَ وَسَالَكَ أَنْ تَسْتَنْبِيهِ فِيهِ بِحُكْمِ الْوَكِيلَةِ فَمَنْ كُلُّ وَجْهِ النِّيَابَةِ مَشْرُوعَةٌ وَهَلْ تَصَحُّ مِنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ أَمْ لَا فَمِنَّا مَنْ يَقُولُ إِنَّهَا تَصَحُّ مِنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ الْأَمْوَالَ مَا خَلَقْتَ إِلَّا لَنَا إِذْ لَا حَاجَةَ لِلَّهِ إِلَيْهَا فَهِيَ لَنَا حَقِيقَةٌ ثُمَّ وَكَلْنَا الْحَقَّ تَعَالَى أَنْ يَتَصَرَّفَ لَنَا فِيهَا لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَصْلَحَةِ فَتَصَرَّفَ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ الَّتِي تَقْتَضِي أَنْ تَعُودَ عَلَى الْمُوَكَّلِ مِنْهُ مَنفَعَةٌ فَأَتْلَفَ مَالَهُ هَذَا الْوَكِيلُ الْحَقَّ تَعَالَى بِغَرَقٍ أَوْ حَرَقٍ أَوْ خَسْفٍ أَوْ مَا شَاءَ تِجَارَةً لِيَكْسِبَهُ بِذَلِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا قِيلَ إِنَّهُ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ إِتْلَافٌ وَهِيَ تِجَارَةٌ بِعِيقِ بِنْسِيَّةٍ يَسْمَى مِثْلَ هَذَا تِجَارَةً رِزْءَ لَكِنْ رَجَحًا عَظِيمًا وَهَذَا عِلْمٌ يَعْرِفُهُ الْوَكِيلُ لَا الْمُوَكَّلَ وَهُوَ يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا لَهُ لِمَصْلَحَةٍ أُخْرَى يَقْتَضِيهَا عِلْمُهُ فِيهَا وَمِنَّا مَنْ وَكَلَّ اللَّهُ فَاسْتَخْلَفَهُ الْوَكِيلُ فِي التَّصَرُّفِ عَلَى حَدِّ مَا يَرِثُهُ الْوَكِيلُ لَعَلَّمَ الْوَكِيلَ بِالْمَصْلَحَةِ فَصَارَ الْمُوَكَّلُ وَكَيْلًا عَنِ وَكَيْلِهِ وَهُوَ الَّذِي لَا يَتَعَدَّى الْأَمْرَ الْمَشْرُوعَ فِي تَصَرُّفِهِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ الْمَالَ لَهُ فَالتَّصَرُّفُ فِيهِ بِحُكْمِ وَكَيْلِهِ وَهَذَا نَظَرٌ غَرِيبٌ وَمِنَّا مَنْ قَالَ لَا تَصَحُّ مِنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَالْأَمْوَالَ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا لَهُ تَعَالَى لِتَسْبِيحِهِ وَقَعَتِ الْمَنفَعَةُ لَنَا بِحُكْمِ التَّبَعِيَّةِ وَلِهَذَا قَالَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فَإِذَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِهَا لَا مِنْ أَجْلِهَا فَمَا لَنَا شَيْءٌ نُوَكِّلُهُ فِيهِ لَكِنْ نَحْنُ وَكَلَاؤُهُ فِي الْأَشْيَاءِ فَحَدِّ لَنَا حُدُودًا فَتَتَصَرَّفُ فِيهَا عَلَى مَا حَدِّ لَنَا فَإِنَّ زِدْنَا عَلَى مَا رَسَمْنَا أَوْ نَقَصْنَا عَاقِبَتَنَا فَلَوْ كَانَتْ الْأَمْوَالَ لَنَا لَكَانَ تَتَصَرَّفْنَا فِيهَا مُطْلَقًا وَمَا وَقَعَ الْأَمْرَ هَكَذَا بَلْ حَجَرَ عَلَيْنَا التَّصَرُّفَ فِيهَا فَمَا هِيَ وَكَالَةٌ مَفُوضَةٌ بِلِمْقِدَةٍ بِوَجْهِ مَخْصُوصَةٍ مِنْ رَبِّ الْمَالَ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ الْمُوَكَّلُ وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ فَالنِّيَابَةُ حَاصِلَةٌ إِمَّا مِنْهُ تَعَالَى وَإِمَّا مِنْهُ وَقَدْ ثَبَّتْ فِي أَيِّ طَرَفٍ كَانَ انْتَهَى الْجِزَاءُ الثَّانِي وَالسُّتُونُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَصَلِّ فِي فَصْلِ صِفَةِ النَّائِبِ فِي الْحَجِّ)

اختلف علماء الرسوم سواء كان المحجوج عنه حيا أو ميتا هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أم لا فمن قائل ليس من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه وإن كان قد حج عن نفسه فهو أفضل ومن قائل إن من شرطه أن يكون قد قضى فريضته وبه أقول أعلم أنه من رأى أن الإيثار يصح في هذا الطريق قال لا يشترط فيه إن يكون قد حج عن نفسه وألحق ذلك بالفتوة حيث نفع غيره وسعى في حقه قبل سعيه في حق نفسه فله ذلك ولا سيما إن رأى أن مثل هذا الفعل هو في حق نفسه لما لها في الإيثار من الأجر فما آثر إلا نفسه ومن رأى أن حق نفسه أوجب عليه من حق غيره وعامل نفسه معاملة الأجنبي وإنها الجار الأحق فهو بمنزلة من قال لا يبيع عن غيره حتى يكون قد حج عن نفسه و

هو الأولى في الاتباع وهو المرجوع إليه لأنه الحقيقة وذلك أنه إن سعى أولاً في حق نفسه فهو الأولى بلا خلاف وإن سعى في حق غيره فإن سعيه فيه إنما هو في حق نفسه فإنه الذي يجني ثمرة ذلك بالثناء عليه والثواب فيه فلنفسه سعى في الحالتين ولكن يسمى بسعيه في حق غيره مؤثر التركة فيما يظهر حق نفسه لحق غيره الواجب على ذلك الغير لا عليه فإنه في هذا أدى ما لا يجب عليه وجزاء الواجب أعلى من جزاء غير الواجب لاستيفاء عين العبودية في الواجب وفي الآخر رفعة وامتنان حالي على المتفتي عليه فهو قائم في حق الغير بصفة إلهية لأن لها الامتنان وهو في قيام حق نفسه من طريق الوجوب تقيمه صفة عبودية محضة وهو المطلوب الصحيح من العبد الذي يضيف الفعل المذموم والمكروه في الطبع والعادة والعرف إلى نفسه إثارة منه لجناب ربه حتى لا ينسب إليه ما جرى عليه لسان ذم كالذنب ولسان كراهة الطبع كالمرض وسائر العيوب غيرية على ذلك الجناب الإلهي وفداء له بنفسه وكذلك لو وقى عرض أخيه بعرضه كالمؤمن مع المؤمن ووقى ضرراً كبيراً من نبي ورسول بنفسه كان أعلى ممن لم يفعل ذلك وآثر نفسه وهذا يرجع إلى قدر من آثرته على نفسك فمن راعى الإيثار والفتوة عمم ومن راعى من آثرته قسم الأمر إلى ما ذكرناه فهو بحسب ما يقام فيه ويحظر له هذا كله ما لم يقع فيه إجارة فإن وقعت النيابة بإجارة فلها حكم آخر

(وصل في الرجل يؤاجر نفسه في الحج)

فكره قوم مع الجواز ومنعه قوم العمل يقتضي الأجرة لذاته وهي العوض في مقابلة ما أعطى من نفسه وما بقي إلا ممن تؤخذ فمنا من قال لا يأخذه من الله تعالى لأنه المستخدم لنا في ذلك العمل فالأجرة عليه ما من نبي ولا رسول إلا قد قال إذ قيل له قل فأمر فقال ما أسئلكم عليه من أجرٍ يعني في التبليغ إن أجرى إلا على الله فما خرجوا عن الأجرة والتبليغ عن الله من أفضل القرب إلى الله وإن الله استخدمه في التبليغ مع كونه عبداً فتعنت عليه الأجرة سبحانه بتعيينه عوضاً مما أعطاه من نفسه فيما استخدمه فيه وترك مباحة الذي هو له وتخييره ومن رأى أن العوض إنما يستحقه من وقعت له المنفعة في ذلك التبليغ طلب الأجرة من المتعلم لأن المنفعة هو حصلها فالعوض يطلب منه فموضع الإجماع ثبوت الإجارة لأن المانع لا يمنعها وإنما يمنعها الخلق من جانب الحق غيرية إن يعبد لأمره لا لعينه لما في ذلك من عدم تعظيم الجناب الإلهي وهذا موجود كثير مثل النهي أن يفرد يوم الجمعة بصيام لعينه وكذلك قيام ليلتها وكذلك من يستحسن فعل عبادة بموضع يستحسنه وليس هذا من شأن القوم فإنهم قد أدركوا حرمان ذلك ذوقاً وخسرانه مر رجل من القوم مع جماعة ممن سخر لهم الهواء وهم يسرون فيه فالتقت واحد منهم في طريقه فنظر إلى الأرض وإذا هم قد جازوا بقعة خضراء فيها عين خراة فاستحسن ذلك طبعاً فخطر له لور كح فيها ركعتين فسقط من بين الجماعة وما رجع بعد ذلك إلى تلك الحالة لأنه ما طلب العبادة لما يستحقه الحق وإنما كان الباعث لذلك الطلب الطبع في ذلك المكان لحسنه طبعاً فعوقب فمن رأى هذا قال لأجرة إلا من الله إذ العمل بذاته يطلب الأجرة ولا بد

(وصل في فصل حج العبد)

فمن قائل بوجوبه عليه ومن قائل لا يجب عليه حتى يعتق وبالأول أقول وإن منعه سيده مع القدرة على تركه لذلك كان السيد عندنا من الذين يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كان أحمد بن حنبل في حال سجنه أيام الخنة إذا سمع النداء للجمعة توضأ وخرج إلى باب السجن فإذا منعه السجن ورد له العذر بالمنع من أداء ما وجب عليه وهكذا العبد فإنه من جملة الناس المذكورين في الآية اعلم أن من استرقه الكون فلا يخلو إما أن استرقه بحكم مشروع كالسعي في حق الغير والسعي في شكر من أنعم عليه من المخلوقين نعمة استرقه بها فهذا عبد لا يجب عليه الحق فإنه في أداء واجب حق مشروع يطلبه به ذلك الزمان وهو عند الله عبد لغير الله عن أمر الله لأداء حق الله وإن كان استرقه غرض نفسي وهوى كيانني ليس للحق المشروع فيه راتحة وجب عليه إجابة الحق فيما دعاه الله من الحج إليه في ذلك الفعل فإذا نظر إلى وجه الحق في ذلك الغرض كان ذلك عمقه فوجب الحج عليه وإن غاب عنه ذلك لغفلة لم يجب عليه وكان عاصيا لمعرفته بأن الله خاطبه بالحج مطلقا وإن كان مشهده في ذلك الوقت أنه مظهر والمخاطب بالحج الظاهر فيه وليس عينه لم يوجب الحج عليه وهذا هو العبد المخلص لله وهذه عبودية لا عتق فيها لا ترى أن الشارع قد قال في الصبي يحج والعبد يحج قبل إن يعتق ثم يموت قبل العتق ويموت الصبي قبل البلوغ إن ذلك الحج يكتب له عن فريضته وذلك لأنه خرج بالموت عن رق الغير فعتق بالموت وحينئذ كتب له ذلك الحج بأداء واجب وإن كان فعله في غير زمان الوجوب على من يقول بذلك

(وصل في فصل هذه العبادة هل هي على الفور أو على التراخي والتوسعة)

فمن قائل على الفور ومن قائل على التراخي وبالفور أقول عند الاستطاعة الأسماء الإلهية على قسمين في الحكم في العالم من الأسماء من يتمادى حكمه ما شاء الله ويطول فإذا نسبته من أوله إلى آخره قلت بالتوسع والتراخي كالواجب الموسع بالزمان فكل واجب توقعه في الزمان الموسع فهو زمانه سواء أوقعت في أول الزمان أو في آخره أو فيما بينهما فإن الكل زمانه وأدبت واجبا فاستصحاب حكم الاسم الإلهي على المحكوم عليه موسع كالعلم في استصحابه للمعلومات وكالمشيئة وهكذا المكلف إن شاء فعل في أول وإن شاء فعل في آخر ولا يقال هنا وإن شاء لم يفعل لأن حقيقة فعل أثر وحقيقة لم يفعل استصحاب الأصل فلا أثر فلم يكن للمشيئة هنا حكم عياني ومن الأسماء من لا يتمادى حكمه كالموجد فهو بمنزلة من هو على الفور فإذا وقع لم يبق له حكم فيه فإنه تعالى إذا أراد شيئا أن يقول له كنُ على الفور من غير تراخ فإن الموجد ناظر إلى تعلق الإرادة بالكون فإذا رأى حكمها قد تعلق بالتعيين أوجد على الفور مثل الاستطاعة إذا حصلت تعين الحج

(وصل في فصل وجوب الحج على المرأة وهل من شرط وجوبه أن يسافر معها زوج أو ذو محرم أم لا)

فقيل ليس من شرط الوجوب ذلك وقيل من شرطه وجود الحرم ومطاعته النفس تريد الحج إلى الله وهو النظر في معرفة الله من طريق الشهود فهل يدخل المرید إلى ذلك بنفسه أو لا يدخل إلى ذلك إلا برشد والمرشد أحد شخصين إما عقل وافر وهو بمنزلة الزوج للمرأة وإما علم بالشرع وهو ذو الحرم فالجواب لا يخلو هذا الطالب أن يكون مرادا مجذوبا أو لا يكون فإن كان مجذوبا فالعناية الإلهية تصحبه فلا يحتاج

إلى مرشد من جنسه وهو نادر وإن لم يكن مجذوبا فإنه لا بد من الدخول على يد موقف إما عقل أو شرع فإن كان طالبا المعرفة الأولى فلا بد من العقل بالوجوب الشرعي وإن طلب المعرفة الثانية فلا بد من الشرع يأخذ بيده في ذلك فبالمعرفة الأولى يثبت الشرع عنده وبالمعرفة الثانية يثبت الحق عنده ويزيل عنه من أحكام المعرفة الأولى العقلية نصفها ويثبت له نصفها فالعقل مع الشرع في هذه المسألة كملك ولي في ملكه نائبا وأيده وقواه واحتجب الملك عن رعاياه وتحكم النائب واستفحل فلما قوى واستحكم وانصبت إليه قلوب الرعايا وأحبته وملكها بإحسانه تقوى على الملك وعزله وخلعه على غير علم من الرعايا فقال له الملك إذ خلعتني فلا تظهر للرعية أنك خلعتني فتنسب إلى قلة المروءة حيث وليتكم على علم منهم فجازيتني بالإساءة فرما يتطرق إليك الذم فلا تفعل وإني قد عهدت إلى الرعية عند ما وليتكم واستببتكم أن يسمعوكم ويطيعوا وجعلت لك النظر فيهم بما تراه وقلت لهم إن جميع ما يراه هذا النائب فاعملوا به سواء خالف نظري ورأيي أو وافقه فإنني قد علمت أنه ما يأمركم إلا بما فيه صلاحكم فقد مشيت لك مرادك في الملك فإنك تحتاج إلي في أوقات فإنهم لولا أنني أمرهم من حيث لا تشعر ما أطاعوك وردوا أمرك فليس لك مصلحة في إظهار خلعي وعزلي فإنهم إن صح عندهم عزلي لم يقبلوا منك وعزلك ولم يسمعوكم ولا أطاعوا فهذا مثل العقل الذي أعطى المعرفة الأولى وهو الملك والشرع مثله مثل النائب وما خاطب الشارع إلا ليسمع ولا يسمع منه إلا ذو عقل فبالعقل الذي ولاة به يسمع المكلف خطابه لأنه إذا زال العقل سقط التكليف ولم يبق للشرع عليه سلطان ولا حجة فأولو الألباب والنهي هم المخاطبون وهذا هو عين إمداد الملك للرعايا الذي أوصاه بحفظه عليهم فافهم فهذه المعرفة الثانية بالله الذي أعطاها النائب في العامة والملك الذي هو العقل لا يعرفها ولكن أمر بقبولها حتى لا ينسب إلى التقصير ولا يتحدث عنه أنه عزل ولذلك تأول من العقلاء من تأول ما جاءت به الشريعة مما يخالف نظر العقل وسلمه آخرون فلم يقولوا فيه بشيء فإنهم قالوا قد تقرر عندنا من الملك لما ولاة أن نسمع له ونطيع على كل حال فلانفسه رأى العقل في توليته الشرع واستنابته وهكذا وقعت صورة الحال لمن نظر واستبصر فهذا اعتبار المرأة في السفر إلى الحج وما فيه من الخلاف الذي تقدم في وجوب ذي الحرم أو سقوطه

(وصل في فصل وجوب العمرة)

فمن قائل بوجوبها ومن قائل إنها سنة ومن قائل إنها تطوع العمرة الزيارة للحق بعد معرفته بالأمور المشروعة فإذا أراد أن يناجيه فلا يتمكن له ذلك إلا بأن يزوره في بيته وهو كل موضع تصح فيه الصلاة فيميل إليه بالصلاة فيناجيه لأن الزيارة الميل ومنه الزور وزار فلان القوم إذا مال إليهم وكذلك إذا أراد أن يزوره مجلعه تلبس بالصوم وتحمل به ليدخل به عليه وإذا أراد أن يزوره بعبوديته تلبس بالحج فالزيارة لا بد منها والعمرة واجبة في أداء الفرائض سنة في الرغائب تطوع في النوافل غير المنطوق بها في الشرع فأبي جانب حكم عليك مما ذكرناه حكمت على العمرة به من وجوب أو سنة أو تطوع فافهم

(وصل في فصل في المواقيت المكانية للإحرام)

وهي أربعة بالاتفاق وخمسة باختلاف ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق وهو المختلف فيه أعني ذات عرق هل وقته رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عمر بن الخطاب وقيل العتيق وجعلوه أحوط من ذات عرق فكان سادسا بخلاف فأشبهه عدد المواقيت أعداد الصلوات فمن جعلها أربعة اعتبر أن المغرب وتر صلاة النهار فكأنه جيء بها لغيرها لانتفاسها كما في صلوات الفرض ومن اعتبر الفرضية في الجميع قال خمسة ومن اعتبر قوله عليه السلام إن الله زادكم صلاة إلى صلواتكم قال بوجود الوتر لأن كل فرض واجب فاجتمع الوتر مع الخمس الصلوات المفروضة بالقطع في الوجوب لا في الفرضية فارتفع عن درجة التطوع ومما يقوي وجوبه تشبيهه بصلاة المغرب فقال في الوتر إنه لصلاة الليل فيقوي لشبهه بالفرض في المغرب حيث جعل وتر الصلاة النهار وضعف المغرب عن باقي الصلوات المفروضة لكون الوتر الذي ليس بفرض بالاتفاق شبهه به فعين ما يقوى به الوتر هو الذي أضعف المغرب والصلاة نور والحج عبودية فارتبطا فإن الله قسم الصلاة بينه وبين العبد والمواقيت مكانية ومواقيت الفرائض الجماعة في المساجد

(وصل في فصل حكم هذه المواقيت)

فمن مر عليها وهو يريد الحج والعمرة وتعداها ولم يحرم منها فإن عليه دما وقال قوم لادم عليه والذين قالوا بالدم فيهم من قال إن رجوع إلى الميقات وأحرم سقط عنه الدم ومنهم من قال لا يسقط وإن رجع وقال قوم إن لم يرجع إلى الميقات فسد حجه إذا تعين الدم فلا يسقط عن تعين عليه لما تعين ذبح ولد إبراهيم الخليل على إبراهيم لم يسقط عنه الدم أصلا ففداه الله بذبح عظيم وهو الكبش حيث جعل بدل إفساد بنية نبي مكرم فحصل الدم لأنه وجب وبعد أن وجب فلا يرتفع فصارت صورة ولد إبراهيم صورة كبش كسوق الجنة يدخل في أي صورة شاء فذبحت صورة الكبش وليس ولد إبراهيم صورة الإنسان وهذا سبب العقيقة التي كل إنسان مرهون بعقيقته (حكاية شهدناها) قيل لبعض شيوخنا عن بنت من بنات الملوك ممن كان الناس ينتفعون بها وكان لها اعتقاد في هذا الشيخ فوجهت إليه ليدخل عليها فدخل عليها و الملك الذي هو زوجها عندها فقام إليه السلطان إجلالا ثم نظر إليها الشيخ وهي في النزع فقال الشيخ أدركوها قبل أن تقضي قال له الملك بما ذا قال بدينها اشتروها فجيء إليه بدينها كاملة فتوقف النزع والكرب الذي كانت فيه وفتحت عينها وسلمت على الشيخ فقال لها الشيخ لا بأس عليك ولكن ثم دقيقة بعد أن حل الموت لا يمكن أن يرجع خائبا فلا بد له من أثر ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه فلا ينصرف إلا بروح مقبوضة وأنت إذا عشت انتفع بك الناس وأنت عظيمة القدر فلانفديك إلا بعظيم ما عندي من هذا الموت ولي بنت هي أحب البنات إلى أنا أفديك بها ثم رد وجهه إلى ملك الموت وقال له لا بد من روح ترجع بها إلى ربك هذه بنتي تعلم محبتي فيها خذ روحها بدلا من هذه الروح فإني قد اشتريتها من الحق وباعني إياها وابنتي جعلك وحق لجيئك ثم قام وخرج إلى ابنته وقال لابنته وما بها بأس يا بنية هبيني نفسك فإنك لا تقومين للناس مقام زينب بنت أمير المؤمنين في المنفعة فقالت يا أبت أنا بحكمك قد وهبتك نفسي فقال للموت خذها فماتت من وقتها فهذه عين مسألة الخليل وولده صلى الله عليهما فهذه الموازاة الإلهية لا يعرفها إلا أهلها وعندنا إن الجعل لا بد منه ولا نلتزم

أخذ روح ولا بد فإننا قد رأينا مثل هذا من نفوسنا فاشتريناه وما أعطينا فيه روحا وإنما فعل ذلك الشيخ لحال طرأ عليه في نفسه أوجب عليه ما فعله من إعطاء ابنته لأن مشهده في ذلك الوقت كانت قصة إبراهيم عليه السلام فحكم عليه حال إبراهيم عليه السلام فإن فهمت ما قلناه سعدت قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا يَبْعِي الْجَنَّةَ فَلَوْلَاشْتَرَى أَمْوَالَهُمْ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا لَكَانَ لَهُمْ مَا يَصِلُونَ بِهِ إِلَى الْمُنْعَةِ بِبَقَاءِ الْحَيَاةِ لِبَقَاءِ الْفِدَاءِ الْحَاصِلِ بِالْمَالِ فَلَمَّا أَفْلَسَهُمْ أَعْدَمَهُمْ فَكَانَ مَشْهَدَ الشَّيْخِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَكَانَ مَشْهَدَنَا نَحْنُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَيْنَ الشِّرَاءِ لَا غَيْرَ وَهُوَ الْحَيُّ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ حَيٌّ وَلَا بَدَّ فَأَعْطَيْنَا الْعَوْضَ الَّذِي اشْتَرَيْنَا بِهِ حَيَاتِهِ فَبَقِيَ حَيًّا وَمَا ظَهَرَ لِلْمَوْتِ أَثَرٌ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ فَهَذِهِ آثَارُ الْأَحْوَالِ عَلَى قَدْرِ الشُّهُودِ وَهِيَ عُلُومُ الْأَذْوَابِ فِيهَا عَزِيزَةُ الْمَنَالِ فَمَا كُلُّ عَارِفٍ يَعْرِفُهَا وَهِيَ مُوَازِنٌ لَا تَحْطِي فَإِنَّمَا بِالْوَضْعِ الْإِلَهِيِّ نَزَلَتْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِخِلَافِ نَزُولِهَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا نَزَلَتْ تَعْرِيفًا وَعِنْدَ أَهْلِ الشُّهُودِ فِي الدُّنْيَا كَالْأَنْبِيَاءِ وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَزَلَتْ حَقِيقَةً بِيَدِ حَقٍّ فَلِذَلِكَ مَا جَارَ نَبِيٍّ فِي حُكْمٍ وَفَرَضَتْ لَهُ الْعَصْمَةَ فِي أَحْكَامِهِ وَكَذَلِكَ الْوَلِيُّ مَحْفُوظٌ فِي مِيزَانِهِ وَإِنْ كَانَتْ الْعَامَّةُ تَنْسِبُهُ إِلَى الْجُورِ فَلَيْسَ جُورًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا هُوَ جُورٌ بِالنَّظَرِ إِلَى مُوَازِينِهِمْ حَيْثُ لَمْ يُوَافِقْهَا وَكُلُّ حَقٍّ فَإِنَّهُ ثُمَّ مِيزَانٌ عَمُومٌ كَمِيزَانِ الْإِجْمَاعِ وَمِيزَانٌ خُصُوصٌ مِثْلُ هَذَا الْمِيزَانِ وَمِيزَانٌ مَجْتَهِدٌ فِي الْحُكْمِ وَلَكِنْ بَقِيَ أَيُّ مِيزَانٍ أَفْضَلَ فِي الْخُصُوصِ هَلْ هُوَ مِيزَانُ الْمَجْتَهِدِ أَوْ مِيزَانُ صَاحِبِ الْكَشْفِ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي إِحْرَامِ الرَّجُلِ مِنَ الْمِيقَاتِ أَوْ مِنْ مَنْزِلِهِ الْخَارِجِ عَنِ الْمِيقَاتِ فَمَنْ قَائِلٌ بِإِحْرَامِ مَنْزِلِهِ الْخَارِجِ عَنِ الْمِيقَاتِ أَفْضَلُ وَمَنْ قَائِلٌ بِإِحْرَامِ مَنْزِلِهِ الْخَارِجِ عَنِ الْمِيقَاتِ أَفْضَلُ وَلَكِنْ عَلَى مَنْ يَجِيزُ الْإِحْرَامَ قَبْلَ الْمِيقَاتِ فَمَنْ رَاعَى الْإِتِّبَاعَ فَضْلَ الْمِيقَاتِ وَمَنْ رَاعَى الْمَسَارِعَةَ إِلَى التَّلْبَسِ بِالْعِبَادَاتِ مَخَافَةَ الْفَوْتِ فَضْلَ الْإِحْرَامِ مِنَ الْمَنْزِلِ الَّذِي خَارِجَ الْمِيقَاتِ لَكِنْ الْجَمْعُ عَلَيْهِ الْمِيقَاتُ وَهُوَ تَقْيِيدٌ وَالْأَفْضَلُ التَّقْيِيدُ فِي الدِّينِ فَإِنَّ الْمَبَاحَ الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوقُ لَا أَجْرَ فِيهِ وَلَا وَزَرَ وَالْعِبَادَاتُ تَكْلِيفٌ وَالتَّكْلِيفُ تَقْيِيدٌ وَجَزَاءُ تَقْيِيدِ الْوَاجِبِ أَوْجِبُهُ مِنْ أَوْجِبُهُ أَعْلَى مِنَ الْجَزَاءِ فِي الْغَيْرِ الْمُقَيَّدِ لِأَنَّهُ قَدْ وَرَدَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ مَا تَقْرُبُ أَحَدٌ بِأَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ تَقْرِبِهِ بِمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ حَبًّا إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ وَهَذَا أَسْرَارُ الْإِلَهِيَّةِ لَا تَجْلِي إِلَّا لِأَهْلِ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ أَهْلِ السِّرِّ وَكَتَمْنَا اللَّهُ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهُمْ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ

(ووصل في فصل حكم من مر على ميقات وأمامه ميقات آخر وهو يريد الحج أو العمرة)

اختلف الناس فيمن يريد الحج أو العمرة فيمر على ميقات وأمامه ميقات آخر فلم يحرم في الأول وتعدى إلى الآخر كما روي في الخبرين فلم يحرم وتعدى إلى الجحفة فإنها في طريقه فقال قوم عليه دم وقال قوم ليس عليه شيء فمن راعى المسارعة إلى التلبس بالعبادة أعني بهذه العبادة الخاصة ورأى أن المسارعة إلى الخيرات سنة مؤكدة قال إن عليه دما في تعديها ومن رأى أن الأصل في الدين رفع الحج وقول الله تعالى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ فَرَادَةَ مَوَافَقَةَ الْحَقِّ فِيمَا أَرَادَهُ أَوْلَى وَكُلُّ عِبَادَةٍ فَآخِرٌ وَقَالَ لَا دَمَ عَلَيْهِ فَالْعَارِفُ إِذَا كَانَ مَشْهَدَهُ الْأَسْمَ الْأَوَّلَ الْمُقَيَّدَ بِالْآخِرِ الْأَوَّلِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي لَا يَتَّقِيهِ بِالْآخِرِ رَأَى أَنَّ التَّلْبَسَ بِالْعِبَادَةِ فِي الْآخِرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ تَعْدِيهِ وَلَا فُسْحَةَ فِيهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ فِيهِ صَاحِبُ فَرَضٍ مِنْ كُلِّ

وجه لا يسعه تركه و من رأى أن التلبس بهذه العبادة بحكم الاسم الأول أولى لكونه لا علم له بإتمامها فلا يدري هل يموت قبل أن يتلقاه الاسم الآخر فإن لم يحرم فارق موطن التكليف وهو لم يتلبس بعبادة الله اقتضاها له الموطن فحرم تجليها الإلهي فهو مجسب ما أشهده الحق وما خرج في هذا كله عن حكم اسم إلهي من الأسماء على شهود منه فإن قيل كيف يتعداه غير متلبس بهذه العبادة والميقات يقضى عليه بسلطانه وهو الاسم الأول قلنا لا حكم للأسماء في الأشياء إلا باستعدادات الأشياء للقبول وقبولها بحسب الحال التي تكون عليها في نفسها من ذاتها فإن الأسباب الخارجة الموجبة لأمر ما تضعف عن مقاومة الأسباب الداخلة التي في المكلف فرما يكون حال هذا المتعدي حال الختم فيطلبه بالتأخير فيعرف ذلك الاسم الأول فيضعف موطن ميقاته عن التأثير فيه لأنه ليس عين مشهده فيتعدى إلى الميقات الثاني لأن له الاسم الآخر ولا شك أن الآخر في الطريق يتضمن حكمه ما تقدمه مضافا إلى خصوصيته بخلاف الأول فالأول يدرج في الثاني وليس الثاني مدرجا في الأول ومن أصول القوم أن العارف لو جلس مع الله كذا وكذا سنة وفاته لحظة من الله في وقته كان الذي فإنه في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبل ذلك و سببه أن كل لحظة إلهية متأخرة تتضمن ما تقدمها من اللحظات وفيها خصوصيتها التي بها تميزت و بتلك الخصوصية صحت لها الكثرة على ما تقدمها فلهذا لم ير بالتعدي بأسا محمد صلى الله عليه وسلم آخر المرسلين فحصل جميع مقامات الرسل وزاد بخصوصيته بلا شك لأنه آخر النبيين وفي هذا إشارة لمن فهم فإن قيل إذا تلبس بالعبادة أولا و مر على الآخر وهو متلبس فقد حصل له ما في الآخر بمروره متلبسا بها قلنا هكذا هو إلا أنه لم يحصل له في الثاني الحكم الخاص بالثاني الذي هو الإنشاء منه وهو أوليته فيفوته أولية الإنشاء منه لهذه العبادة بالاسم الآخر فلهذا تعدى إليه قال السائل كذلك أيضا يفوته أولية الأول في الإنشاء قلنا إن كل أولية مضافة تحكم عليها حقيقة الأولية التي لا تضاف وهي المعبرة فما فاته ما يتحسر عليه إذ حقيقتها موجودة في أولية الآخر والآخر لا وجود له في الأول ومن نظر في الأسماء بهذه العين علم كيف يقبل تصريحها فيه ويعين لها من ذاته ما يليق بها على شهود منه وبينه وعلم صحيح وبهذا يميز لأنه في نفس الأمر كذا هو ما يتلقاه منه إلا ما يليق به ولكن لا علم لكل أحد بذلك وبهذا تتفاوت الناس ويرفع الله درجات بعضهم على بعض ويعلم أيضا كيف يصرفها في غيره إذا مكنته من نفسها أو مكنته منها حاله لأنه ليس في الحقيقة أن يقوم بك العلم ولا تكون عالما فهذا هو التمكين الحالي الذي تقتضيه ذاته ولا يصح غيره لأن المعاني توجب أحكامها لمن قامت به ولو لا ذلك ما صح وجود العالم عن الحق ألا ترى أن الحال لما لم يكن في استعداده قبول ما يقبله الممكن من الوجود لم يكن له وجود ولا يصح كالشريك لله تعالى في ألوهيته ولما كان الممكن في استعداده الذاتى قبول الإنجاد وجد فلا تغب عن حقائق الأمور فإنها تتداخل في حكم الناظر فيها لا في نفسها ومن غاب عن الحقائق هوى في مهاوي الجهالات ويفوته درجة العلم الذي أمر الله نبيه بطلب الزيادة منه فلا شيء أشرف من العلم ولم يأمر بطلب زيادة في غيره من الصفات لأنه الصفة العامة التي لها الإحاطة بكل صفة وموصوف

(وصل في فصل الأفاقي يمر على الميقات يريد مكة ولا يريد الحج ولا العمرة)

اختلف العلماء فيمن ليس من أهل مكة يريد مكة ولا يريد حيجا ولا عمرة و مر على ميقات من المواقيت هل يلزمه الإحرام أم لا إذا لم يكن ممن يكثّر التردد إلى مكة فقال قوم يلزمه الإحرام وقال قوم لا يلزمه الإحرام وبه أقول رجال الله على نوعين رجال يرون أنهم مسيرون ورجال يرون أنهم يسرون فمن رأى أنه مسير لزمه الإحرام على كل حال فإنه مسير على كل حال ومن رأى أنه يسير لا غير فهو بحكم ما بعثه على السير فإن كان بعثه باعث يقتضي الإحرام أحرم فإنه كمن أراد الحج أو العمرة أوهما معا وإن كان بعثه غير ذلك فهو بحسب باعثه كما قاله صلى الله عليه وسلم لمن أراد الحج والعمرة وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح أيضا إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فليس له أن يحرم وهو لم ينو حجا ولا عمرة وما عندنا شرع يوجب عليه أن ينوي الحج أو العمرة ولا بد ثم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ما أراد وما حجر ولا ذم فقال فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه

(وصل في فصل ميقات الزمان)

يقول الله تعالى الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ قَاتَلَ فِي أَيِّ شَوْالٍ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَبِهِ أَقُولُ وَمَنْ قَاتَلَ شَوْالٍ وَذُو الْقَعْدَةِ وَتَسَعٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَمَنْ قَاتَلَ فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ مِنْ السَّنَةِ وَكَذَلِكَ الْعُمْرَةُ فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ مِنْ السَّنَةِ وَكَرِهَهَا بَعْضُهُمْ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ النَّحْرِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَاخْتَلَفُوا فِي تَكَرُّرِهَا فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَحَبَّ عُمْرَةً فِي كُلِّ سَنَةٍ وَكَرِهَ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا كِرَاهَةَ فِي ذَلِكَ وَبِهِ أَقُولُ اعْلَمْ أَنَّ الْمِيقَاتِ الزَّمَانِيَّ إِنَّمَا عَيْنُهُ الْأَسْمُ الْإِلَهِيُّ الدَّهْرُ وَاعْلَمْ أَنَّ الزَّمَانَ مِنْهُ مَا هُوَ فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَهُوَ مَذْهَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمِنْهُ مَا هُوَ تَحْتَ الطَّبِيعَةِ فَلَهُ الْحُكْمُ الْعَامُّ فَالَّذِي لَهُ مِنَ الْحُكْمِ تَحْتَ الطَّبِيعَةِ فَحُكْمُ جِسْمَانِيَّ يَتَمَيَّزُ بِحَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ وَالزَّمَانَ فِي نَفْسِهِ مَعْقُولٌ وَالطَّرِيقُ إِلَى مَعْقُولِيَّةِ الْوَهْمِ فَهُوَ امْتِدَادُ مَوْهَمِ تَقْطَعُهُ حَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ كَالْخَلَاءِ امْتِدَادُ مَوْهَمِ لَا فِي جِسْمٍ فَحَاصِلُهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ عَدَمٌ لَا وَجُودٌ وَأَمَّا الزَّمَانُ الَّذِي فَوْقَ الطَّبِيعَةِ فَمُتَمَيِّزُهُ الْأَحْوَالُ وَتَعْيِينُهُ فِي أَمْرٍ وَجُودِيَّ يَلْقِيهِ إِلَى الْعَقْلِ الْأَسْمُ الدَّهْرُ وَتَصَحُّبُهُ لَفْظَةً مَتَى فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فَمَتَى يَصْحَبُ الزَّمَانَ الطَّبِيعِيَّ وَغَيْرَ الطَّبِيعِيَّ وَقَدْ وَقَعَ فِي الْأُمُورِ وَالتَّسَبُّبِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّزَمَانِيَّةِ نِسْبَةُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَهُمَا ظَرْفَانِ فِي الْمَكَانِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسُّودَاءِ أَيْنَ اللَّهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ فَذَكَرَ اعْتِقَادَهُمْ وَمَا جَرِحَ وَمَا صَوَّبَ وَلَا أَنْكَرَ وَلَا عَرَفَ وَمِثْلُ هَذَا فِي الشَّرْعِ كَثِيرٌ وَفِي الزَّمَانِ قَوْلُهُ سَتَنْفِرُ لَكُمْ آيَةُ الْقَلَانِ وَاللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ تَنْزِيهَا لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ أَيُّ أَنَّهَا مِنَ الْأَفْلاظِ الْمُشْتَرَكَةِ كَالْعَيْنِ وَالْمَشْتَرِي فَالدَّهْرُ الزَّمَانِيُّ مَظْهَرٌ لِلأَسْمِ الدَّهْرِ وَالأَسْمُ بِالْفِعْلِ هُوَ الظَّاهِرُ فِيهِ وَالفِعْلُ فِي الْكَوْنِ لِلظَّاهِرِ لَا لِلْمَظْهَرِ وَحُكْمُ الْمَظْهَرِ إِنَّمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ حَيْثُ سَمَاءٌ بِنَفْسِهِ وَهَذَا تَأْوِيلُهُ مِنْ تَأْوِيلِهِ فَقَالَ مَعْنَاهُ إِنَّهُ الْفَاعِلُ فِي الدَّهْرِ وَهَذَا خَطَأٌ بَيْنَ لَأَنَّهُ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْفِعْلِ مِنْ حَيْثُ نَسَبْتَهُ إِلَى الْفَاعِلِ وَنَسَبْتَهُ إِلَى الْمَفْعُولِ فَالْحَقُّ فَاعِلٌ وَالْمَفْعُولُ وَاقِعٌ فِي الدَّهْرِ وَالفِعْلُ حَالٌ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ وَلَمْ يَفْرُقْ هَذَا الْمَتَّوِّلُ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ فَهَلَّا سَلَّمَ عِلْمُ ذَلِكَ لِقَائِلِهِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا تَأْوِيلُهُ مِنْ لَا يَعْرِفُ

ما يستحقه جلال الله من التعظيم

(وصل في فصل الإحرام)

وهو أول التلبس بهذه العبادة (حكاية الشبلي في ذلك) قال صاحب الشبلي وهو صاحب الحكاية عن نفسه قال لي الشبلي عقدت الحج قال فقلت نعم فقال لي فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد فقلت لا فقال لي ما عقدت ثم قال لي نزع ثيابك قلت نعم فقال لي تجردت من كل شيء فقلت لا فقال لي ما نزعتم ثم قال لي تطهرت قلت نعم فقال لي زال عنك كل علة بطهرك قلت لا قال ما تطهرت ثم قال لي لبيت قلت نعم فقال لي وجدت جواب التلبية بتلييتك مثله قلت لا فقال ما لبيت ثم قال لي دخلت الحرم قلت نعم قال اعتقدت في دخولك الحرم ترك كل محرم قلت لا قال ما دخلت ثم قال لي أشرفت على مكة قلت نعم قال أشرف عليك حال من الحق لإشرافك على مكة قلت لا قال ما أشرفت على مكة ثم قال لي دخلت المسجد قلت نعم قال دخلت في قربه من حيث علمت قلت لا قال ما دخلت المسجد ثم قال لي رأيت الكعبة فقلت نعم فقال رأيت ما قصدت له فقلت لا قال ما رأيت الكعبة ثم قال لي رملت ثلاثا ومشيت أربعاً فقلت نعم فقال هربت من الدنيا هرباً علمت أنك قد فاصلتها وانقطعت عنها ووجدت بمشيك الأربعة أمناً مما هربت منه فزددت لله شكراً لذلك فقلت لا قال ما رملت ثم قال لي صافحت الحجر وقبلته قلت نعم فزعق زعقة وقال ويحك إنه قد قيل إن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ومن صافح الحق سبحانه وتعالى فهو في محل الإل من أظهر عليك أثر إلا من قلت لا قال ما صافحت ثم قال لي وقفت الوقفة بين يدي الله تعالى خلف المقام واصلت ركعتين قلت نعم قال وقفت على مكانتك من ربك فأريت قصدك قلت لا قال فما صليت ثم قال لي خرجت إلى الصفا فوقفت بها قلت نعم قال أيش عملت قلت كبرت سبعا وذكرت الحج وسألت الله القبول فقال لي كبرت بتكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان قلت لا قال ما كبرت ثم قال لي نزلت من الصفا قلت نعم قال زالت كل علة عنك حتى صفت قلت لا فقال ما صعدت ولا نزلت ثم قال لي هرولت قلت نعم قال ففررت إليه وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك قلت لا قال ما هرولت ثم قال لي وصلت إلى المروة قلت نعم قال رأيت السكينة على المروة فأخذتها أو نزلت عليك قلت لا قال ما وصلت إلى المروة ثم قال لي خرجت إلى منى قلت نعم قال تمنيت على الله غير الحال التي عصيته فيها قلت لا قال ما خرجت إلى منى ثم قال لي دخلت مسجد الحيف قلت نعم قال خفت الله في دخولك وخروجك ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه قلت لا قال ما دخلت مسجد الحيف ثم قال لي مضيت إلى عرفات قلت نعم قال وقفت بها قلت نعم قال عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها والحال التي تصير إليها وعرفت المعرف لك هذه الأحوال ورأيت المكان الذي إليه الإشارات فإنه هو الذي نفس الأنفاس في كل حال قلت لا قال ما وقفت بعرفات ثم قال لي نفرت إلى المزدلفة قلت نعم قال رأيت المشعر الحرام قلت نعم قال ذكرت الله ذكراً أنساك ذكر ما سواه فاشتغلت به قلت لا قال ما وقفت بالمزدلفة ثم قال لي دخلت منى قلت نعم قال ذبحت قلت نعم قال نفسك قلت لا قال ما ذبحت ثم قال لي رميت قلت نعم قال رميت

جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك قلت لا قال ما رميت ثم قال لي حلقت قلت نعم قال نقصت آمالك عنك قلت لا قال ما حلقت ثم قال لي زرت قلت نعم قال كوشفت بشيء من الحقائق أو رأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحجاج والعمار زوار الله وحق على المذور أن يكرم زواره قلت لا قال ما زرت ثم قال لي أحللت قلت نعم قال عزمت على أكل الحلال قلت لا قال ما أحللت ثم قال لي ودعت قلت نعم قال خرجت من نفسك وروحك بالكليّة قلت لا قال ما ودعت و عليك العود وانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرفتك وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك فاعلم أيّدك الله أني ما سقت هذه الحكاية إلا تنبيها وتذكرة وأعلاما أن طريق أهل الله على هذا مضى حالهم فيه والشبلي هكذا كان إدراكه في حجه فإنه ما سأل إلا عن ذوقه هل أدركه غيره أم لا وغيره قد يدرك هذا وقد يدرك ما هو أعلى منه وأدون منه فما منهم إلا من له مقام معلوم فما اخترعت في اعتباراتي في هذه العبادات طريقة لم أسبق إليها إلا أن الأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في ذلك ثم نرجع ونقول على نحو ما تقدم في الفصول ولنبتدئ أولا فيما يمنع المحرم أن يلبسه وهو القميص والعمامة والبرنس والخلف إلا أن لا يجد النعل والسرّاويل إلا أن لا يجد الإزار ولا ثوبا مسه زعفران ولا ورس وفيما ذكرناه متفق عليه ومختلف فيه وفي التفصيل تفسير إن شاء الله وحال الرجل في هذا يخالف حال المرأة فإن المرأة تلبس المخيط والخفاف والخمر وما للمرأة إحرام إلا في وجهها وكفيها وسبب هذا كله في هذه العبادة أنهم وقد الله دعاهم الحق إلى بيته وما دعاهم إليه سبحانه بمفارقة الأهل والوطن والعيش الترف وحلاهم بحلية الشعث والغبرة إلا ابتلاء ليريه من وقف مع عبوديته ممن لم يقف ولهذا أفعال الحج أكثرها تعبدات لا تعلل ولا يعرف لها معنى من طريق النظر لكن تنال ربما من طريق الكشف والإخبار الإلهي الوارد على قلوب الواردين العارفين من الوجه الخاص الذي لكل موجود من ربه فزينة الحاج تخالف زينة جميع العبادات فإنهم وفد الله الحاج منهم والمعتمر وأعني من انقرد بالحج ومن انقرد بالعمرة فهما وفدان فالقارن بينهما له خصوص وصف لأنه جامع لمرتبة الوفدين لأن وفود الله ثلاثة على ما

ذكره النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الله ثلاثة الغازي والحج والمعتمر انتهى الجزء الثاني والستون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

واعلم أيضا أن المرأة إنما خالفت الرجل في أكثر الأحكام في الحج لأنها جزء منه وإن اجتمعا في الإنسانية ولكن تميزا بأمر عارض عرض لهما وهو الذكورية للرجل والأنوثة للمرأة وخلفت منفصلة عنه ليحن إليها حنين من ظهرت سيادته بها فهو يحبها محبة من أعطاه درجة السيادة وهي تحن إليه وتبته حنين الجزء إلى الكل وهو حنين الوطن لأنه وطنها مع ما يضاف إلى ذلك من كون كل واحد موضعا لشهوته والتذاذه وقد تبلغ المرأة في الكمال درجة الرجال وقد ينزل الرجل في النقص إلى ما هو أقل من درجة النقص الذي للمرأة وقد يجتمعان في أحكام من العبادات ويفترقان غير أن الغالب فضل عقل الرجل على عقل المرأة لأنه عقل عن الله قبل عقل المرأة لأنه تقدمها في الوجود والأمر الإلهي لا

يتكرر فالمشهد الذي حصل للمتقدم لا سبيل أن يحصل للمتأخر لما قلنا من أنه تعالى لا يتجلى في صورة مرتين ولا لشخصين في صورة واحدة للتوسع الإلهي وهذه هي الدرجة التي يزيد بها الرجل على المرأة وأين الكل من الجزء وإن لحقه في الكمال ولكنه كمال خاص كما لحق بعض أعضاء الإنسان إذا قطع في الدية تلف الإنسان في كمالها وبعض الأعضاء على النصف من ذلك وأقل فما كل جزء يلحق بالكل في كل الدرجات فحرم المخيط على الرجل في الإحرام ولم يحرم على المرأة فإن الرجل وإن كان خلق من مركب فهو من البسائط أقرب فهو أقرب الأقرين والمرأة خلقت من مركب محقق فإنها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط أكثر من بعد الرجل والمخيط تركيب فقيل لها ابق على أصلك وقيل للرجل ارتفع عن تركيب فأمر بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذي لا يخيط فيه وإن كان مركبا فإنه ثوب منسوج ولكنه أقرب إلى الهباء منه من القميص والسراويل وكل مخيط والهباء بسيط فما قرب منه عومل بمعاملته وما بعد عنه تميز في الحكم عن القريب ثم إن الرجل وهو آدم خلق على صورته وخلقت حواء على صورة آدم وخلق البنون من امتزاج الأبوين لا من واحد منهما بل من المجموع حسا وهما فكان استعداد الأبناء أقوى من استعداد الأبوين لأن الابن جمع استعداد الاثنين فكامل الابن الكامل أعظم من كمال الأب ولهذا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال الأتم لكونه ابنا وكل ابن في النشأة له هذا الكمال غير أنهم في الكمال يتفاضلون لأجل الحركات العلوية والطوالع النورية والافتراوات السعادية فما كل ابن له هذا الكمال الثاني الزائد على نشأته فهذه دقيقة أخرى يعطيها الوجه الخاص الإلهي في التجلي للسبب الذي يكون عنه هذا الابن يعين ذلك الوجه اسم إلهي يكون في الكمال الإحاطي أكمل من غيره من الأسماء كالعالم فإنه أتم في الإحاطة من سائر الأسماء بما لا يتقارب فمن كان ذا أب وأم واسم إلهي إحاطي خاص رفيع الدرجات كان أكمل ممن كان ذا أب وأم واسم إلهي دونه في الإحاطة والدرجة ومن كان عن أم وأب متوهم مثالي أشبه جده لأمه إذ لأب له مثل عيسى عليه السلام فصفته صفة جده آدم في صدوره عن الأمر بذا ورد التعريف الإلهي فقال **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ** أي الاسم الإلهي الذي وجد عنه آدم وجد عنه عيسى **خَلَقَهُ** من تراب الضمير يعود على آدم فعيسى أخ لحواء وهو ابن بنتها ومن كان عن أب دون أم قصر عن درجة أبيه كحواء خلقت من القيصري فقصرت وعوجها استقامتها فأنحناؤها حنوها على أبنائها وعلى ما له من الخزان مثل انحناء الأضلاع على ما في الجوف من الأحشاء والأمعاء المخزنة فيه لصالح صاحبه فاعوجاجها عين استقامتها التي أرادت له ولهذا اعوجاج القوس عين استقامته فإن رمت أن تقيمه على الاستقامة الخطية المعلومة كسرتة فلم تبلغ أنت بالاستقامة التي تطلبها منه غرضك الذي تؤمله وهذا الجهلك بالاستقامة اللاتقة به فما في العالم إلا مستقيم عند العلماء بالله الواقفين على أسرار الله في خلقه فإنه قد بين لنا ذلك في قوله تعالى **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** وهو عين كمال ذلك الشيء فما نقصه شيء وسبب ذلك كوننا مخلوقين على من له الكمال المطلق فأشبهنا في التقييد بإطلاقه فإن الإطلاق تقييد بلا شك إذ به يميز عن المقيد فما يصدر عن الكامل شيء إلا وذلك على كماله اللاتق به فما في العالم ناقص أصلا ولولا الأعراض التي تولد الأمراض لتنزّه الإنسان في صورة العالم كما يتنزّه العالم ويتفرج فيه فإنه يستأن الحق والأسماء ملاكه بالاشتراك فكل اسم له

فيه حصة فهذا الذي تعطيه الحقائق فالكمال للأشياء وصف ذاتي والنقص أمر عرضي وله كمال في ذاته فافهم فما هلك امرؤ عرف قدره فقد بان لك شأن المرأة من شأن الرجل وأنها وإن افترقا من وجه فهما يجتمعان من وجه

(وصل في فصل اختلاف العلماء في المحرم إذا لم يجد غير السراويل هل له لباسها)

فمن قائل لا يجوز له لباسها فإن لبسها افتدى ومن قائل يلبسها إذا لم يجد إزارا اعلم أن الإزار والرداء لما لم يكونا محيطين لم يكونا مركبين وهذا وصف الحق نفسه بهما لعدم التركيب إذ كان كل مركب في حكم الانفصال وهذا سبب وجوب قول القائل بأن صفات المعاني الإلهية ليست بأعيان زائدة على الذات مخافة التركيب ونزع مشبوهها زائدة إلى أن يقولوا فيها لا هي هو ولا هي غيره لما في التركيب من النقص إذ لو فرض انفصال المتصل لصح ولم يكن محالا من وجه انفصاله وإنما يستحيل ذلك إذا استحال لاتصافه بالقدم الذي هو نفي الأولية والقديم لا شك أنه يستحيل أن ينعدم بالبرهان العقلي فإذا فرضنا عدم صفات المعاني التي بوجودها يكون كمال الموصوف ظهر نقص الموصوف وإن كان فرض محال لاستحالة عدم القديم والله يقول لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا وهذا بطريق فرض المحال والحق كامل الذات فاجعل بالك يقول تعالى الكبرياء رداي والعظمة إزاراي فهذا إحرام إلهي فإنه ذكر ثوبين ليسا بمحيطين فالحق سبحانه المحرم من الرجال بما وصف به نفسه ولم يفعل ذلك بالمرأة ولأیضا حجر ذلك عليها فإنها قد تكمل في ذلك كما يكمل الرجال فلو لبسته المرأة لكان أولى بها عندنا فالمحرم قد تلبس بصفة هي للحق معنوية وفي الخلق حسية هي في الحق كبرياء وعظمة وفي الخلق رداء وإزار كما تلبس الصائم بصفة هي للحق ولهذا جعل في قواعد الإسلام مجاورا له وإن كان في الحقيقة وجود العظمة والكبرياء إنما محلها ظاهر العبد لا قلبه فقد تكون العظمة والكبرياء حال الإنسان لا صفته ولو اتصف بها هلك جهلا وإذا كانتا حالاه في موطنهما نجا وسعد وشكر له ذلك فأول درجة هذه العبادة إن الحق المتلبس بها من عباده بره في التنزيه عن الاتصاف بالتركيب فلبس بالكمال في أول قدم فيها ولهذا لا يجوز نحن للمحرم أن يلبس شيئا من المخيط ولا يغطي رأسه إلا ضرورة من أذى يلحقه لا يندفع ذلك الأذى إلا بلباس ما حجر عليه وإما إن فعله لغير أذى فما تلبس بالعبادة ولا حج ولا يفدي إلا من لبس ذلك من أذى والأذى في الجنب الإلهي أن ينسب إلى التركيب لما فيه من النقص قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَلا يفدي نفسه بأنه يؤذي وجعل له هذا الأذى الاسم الصبور فلا أحد أصبر على أذى من الله لقد رته على الأخذ عليه فلا يؤاخذ ويمهل فالعبد إذا لم يقم الله في مقام شهود العظمة التي هي الإزار وأقيم في مقام الإدلال فانبسط على الحق وهذا موجود في الطريق وقد وردت به الأخبار النبوية في عجوز موسى وغيره لبس السراويل ستر للعورة التي هي محل السر الإلهي وستر للأذى لأنها محل خروج الأذى أيضا فتأكد سترهما بما يناسبهما وهو السراويل والسراويل أشد في السترة للعورة من الإزار والقميص وغيره لأن الميل عن الاستقامة عيب فينبغي ستر العيب ولهذا سميت عورة لميلها فإن لها درجة السر في الإيجاد الإلهي وأنزلها الحق منزلة القلم الإلهي كما أنزل المرأة منزلة اللوح لرقم هذا القلم فلما مالت عن هذه المرتبة العظمى والمكانة الزلفي إلى أن تكون محلا لوجود الروائح الكريهة الخارجة منهما من أذى الغائط و

البول وجعلت نفسها طريقا لما تخرجه القوة الدافعة من البدن سميت عورة وسترته لأنها ميل إلى عيب فالتحقت بعالم الغيب وانحجبت عن عالم الشهادة فبالسراويل لا تشهد ولا تشهد فالسراويل أستر في حقها ولكن رجح الحق الإزار لأنه خلق العبد للتشبه به لكونه خلقه على صورته

(وصل في فصل لباس الحرفم الحفنين)

فمن قائل وهو الأكثر إن الحرفم يلبس الحفنين إذا لم يجد النعلين وليقطعهما أسفل من الكعبين ومن قائل يلبسهما ولا يقطعهما وعلل عطاء قطعهما بأنه فساد والله لا يحب الفساد ومطلق حديث ابن عباس إن الحفنين لمن لم يجد النعلين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر قطعهما وبه قال أحمد وعطاء القدم صفة إلهية وصف الحق بها نفسه وليس كمثل شئ فمن راعى التنزيه وأدركته الغيرة على الحق في نزوله لما هو من وصف العبد المخلوق قال بلباس الحف غير المقطوع لأنه أعظم في السترو من راعى ظهور ما أظهره الحق لكون الحق أعرف بنفسه من عبده به ونزه نفسه في مقام آخر لم يرد أن يتحكم على الحق بعقله وقال الرجوع إليه أولى من الغيرة عليه فإن الحقيقة تعطي أن يغار له لاعليه شرعا وما شرع لباس الحفنين إلا لمن لا يجد النعلين والنعل واق غير ساتر فقال بقطع الحفنين وهو أولى

(وصل في فصل من لبسهما مقطوعتين مع وجود النعلين)

فمن قائل عليه الفدية ومن قائل لا فدية عليه لما اجتمع الحف مع النعل في الوقاية من أذى العالم الأسفل وزاد الحف الوقاية من أذى العالم الأعلى من حيث ما هما عالم لمشترك الدلالة والدلالة تقبل الشبه وهو الأذى الذي يتعلق بها ولهذا معرفة الله بطريق الخبر أعلى من المعرفة بالله من طريق النظر فإن طريق الخبر في معرفة الله إنما جاء بما ليست عليه ذاته تعالى في علم الناظر فالمعرفة بالأدلة العقلية سلبية والأدلة الخبرية ثبوتية وسلبية في ثبوتية وسلبية في ثبوت فلما كان أكشف لم يرجح جانب الستر فجعل النعل في الإحرام هو الأصل فإنه ما جاء اتخاذ النعل إلا للزينة والوقاية من الأذى الأرضي فإذا عدم عدل إلى الحف فإذا زال اسم الحف بالقطع ولم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا حف ولا نعل فهو مسكوت عنه كمن يمشي حافيا فإنه لا خلاف في صحة إحرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الأمر بالقطع فالتحق بالمنطوق عليه بكذا وهو حكم زائد صحيح يعطي ما لا يعطي الإطلاق فتعين الأخذ به فإنه ما قطعهما إلا ليلحقهما بدرجة النعل غير أن فيه ستر على الرجل ففارق النعل ولم يستر الساق ففارق الحف فهو لا حف ولا نعل وهو قريب من الحف و قريب من النعل وجعلناه وقاية في الأعلى لوجود المسح على أعلى الحف فلو لا اعتبار أذى في ذلك بوجه ما ما مسح أعلى الحف في الوضوء لأن إحداث الطهارة مؤذن بعلية وجودية يريد إزالتها بإحداث تلك الطهارة والطهارة التي هي غير حادثة ما لها هذا الحكم فإنه طاهر الأصل لا عن تطهير فالإنسان في هذه المسألة إذا كان عارفا بحسب ما يقام فيه وما يكون مشهده فإن أعطاه شهوده أن يلبس مع وجود النعلين حذرا من أثر العلو في ظاهر قدمه عصم بلباسه قدمه من ذلك الأثر وإن كان عنده قوة إلهية يدفع بها ذلك الأثر قبل أن ينزل به لبس النعلين ولم يجزله

لباس المقطوعين إذ كان الأصل في استعمال ذلك عدم التعلين فرجح الكشف والإعلان على الستر والأسرار في معرفة الله في الملأ الأعلى و هو علم التنزيه المشروع والمعقول فإن التنزيه له درجات في العقل ما دونه تنزيه بتشبيهه وأعله عند العقل تنزيه بغير تشبيهه ولا سبيل لمخلوق إليه إلا برد العلم فيه إلى الله تعالى والتنزيه بغير التشبيه وردت به الشريعة أيضا وما وجد في العقل فغاية النظر العقلي في تنزيه الحق مثلا عن الاستواء أنه انتقل عن شرح الاستواء الجسماني عن العرش المكاني بالتنزيه عنه إلى التشبيه بالاستواء السلطاني الحادث وهو الاستيلاء على المكان الإحاطي الأعظم أو على الملك فما زال في تنزيهه من التشبيه فانتقل من التشبيه بمحدث ما إلى التشبيه بمحدث آخر فوفاة في الرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه في قوله ليس كمثل شيء إلا تراهم استشهدوا في التنزيه العقلي في الاستواء بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

وإن استواء بشر على العراق من استواء الحق على العرش لقد خسر المبطلون أين هذا الروح من قوله ليس كمثل شيء فاستواء بشر من جملة الأشياء لقد صدق أبو سعيد الخزاز وأمثاله حيث قالوا لا يعرف الله إلا الله

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباة إلا من يعانها

(وصل في فصل اختلاف الناس في لباس الحرم المعصفر بعد اتفاهم على أنه لا يلبس المصبوغ بالورس ولا الزعفران)

فقال بعضهم لا بأس بلباس المعصفر فإنه ليس بطيب وقال قوم هو طيب ففيه الغدية إن لبسه الطيب للمحرم عندنا وأعني التطيب لا وجود الطيب عنده الذي يطيب به قبل عقد الإحرام واستصحابه غير جائز إلا إذا أراد الإحلال وقبل أن يحل فمن السنة أن يتطيب ولا أقول في الأول والثاني إن تطيبه عليه السلام كان لحرمه ولحله فإنه لم يرد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ورد من قول عائشة فطرق إليه الاحتمال بين أن يكون عن أمر فهمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فيما اقتضاه نظرها وفهما أو عن نص صريح منه لها في ذلك ورأيها قد نهى عن الطيب زمان مدة إقامة على الإحرام إلا إذا أراد الحل فالمعصفر وإن كان ليس طيبا حكمه حكم الطيب فإن لبس الرداء المعصفر قبل الإحرام عند الإحرام ولم يرد نص باجتنابه فله أن يبقى عليه أو يلبسه عند الإحلال وقبل الإحلال ولا يلبسه ابتداء في زمان بقاء الإحرام هذا هو الأظهر في هذه المسألة عندنا إلا أن يرد نص جلي في المعصفر في النهي عنه ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده الصفرة من الشيء المعصفر وهو الخالي والخالي وبه سمي صفر من الشهر في أول وضع هذا الاسم لخلو الأرض فيه عن النبات في ذلك الوقت الموافق لوضع هذا الاسم ولهذا جاز مع بعده لوجود الربيع الذي أزال كون الأرض خالية منه في الهلال الأول المسمى صفرا فإن خلى العبد عن نفسه في هذه العبادة فهو الذي جاز له لباس المعصفر وإن خلى عن ربه فيها لم يجز له لباس المعصفر ولهذا وجد الخلاف فيه

(وصل في فصل اختلافهم في جواز الطيب للمحرم عند الإحرام وقبل أن يحرم لما يبقى عليه من أثره بعد الإحرام)

فكره قوم وأجازهم قوم وبأجازته أقول بل هي السنة عندي بلا شك إما قبل الإحرام فجائز وإما إذا أحرم هل يغسل ذلك الطيب من أجل

بقاء الرائحة أم لا هذا هو محل الخلاف الصحيح بين العلماء رائحة الطيب يلتذ بها صاحب الطبع السليم ولا تستخبثها نفسه وهو الثناء على العبد بالنعوت الإلهية التي هي التخلق بالأسماء الحسنى لا بمطلق الأسماء وهو في هذه العبادة الأغلب عليه مقام العبودية لما فيها من التحجير ومن الأفعال التي يجهل حكمها النظر العقلي فكأنها مجرد عبادة فلا تقوم إلا بأوصاف العبادة فمن رأى هذا منع من التخلق بالأسماء في هذه الحالة وفي ابتداء الدخول فيها لأنه لا يدخل فيها باسم إلهي فلا ينطبق عند الإحرام خوفا من الرائحة الباقية مع الإحرام وهو بمنزلة حكم الخلق الإلهي في المتخلق إذا تخلق به ومن رأى أنه يجوز له ذلك كان مشهده إنه ما ثم خلق إلا وقد اتصف به الله تعالى من أوصاف العباد من الفرح والضحك والتعجب وغير ذلك بالتصريح كما بيناه وبغير التصريح مثل قوله وَأَقْرَبُوا اللَّهَ وَمِثْلَ قَوْلِهِ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَقَوْلِهِ وَمَكَّرَ اللَّهُ وَأَمْثَالُ هَذَا فَمَنْ كَانَ هَذَا مَشْهُدَهُ قَالَ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانَ الْعَبْدَ عَنْ نَعْتِ إلهي يَكُونُ عَلَيْهِ فَأَجَازَ لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا لَمْ يَحْدِثْ تَطْبِيقًا فِي زَمَانِ بَقَاءِ الْإِحْرَامِ إِلَى أَنْ يَرِيدَ التَّحْلِيلَ فَإِنَّهُ فِي زَمَانِ بَقَاءِ الْإِحْرَامِ تَحْتَ قَهْرِ اسْمِ الْعِبَادَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْدِثَ ثَنَاءً إلهيا فَيُزِيلُ عَنْهُ حَكْمَ مَا يَعْطِيهِ الْاسْمُ الْحَاكِمَ لِتِلْكَ الْعِبَادَةِ فَإِنَّهَا لَا تَتَصَوَّرُ عِبَادَةً إِلَّا بِحَكْمِ هَذَا الْاسْمِ فَإِذَا زَالَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مِنْ يَقِيمُهَا إِلَّا النَّائِبَ الَّذِي هُوَ الْفَدْيَةُ لِغَيْرِهِ وَأَمَّا حَكْمُ الطَّيِّبِ لِلْإِحْرَامِ وَالْإِحْلَالِ فَهُوَ لِسُلْطَانِ الْاسْمِ الْأَوَّلِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُ وَصَادِقٌ لَا يَكْذِبُ فَلَمْ يَكُنْ لغيره مِنَ الْأَسْمَاءِ هَذِهِ الْقُوَّةُ فَلَمْ يَقَاوِمَهُ مَنَازِعُ حَقِيقَتِهِ الْأَوَّلِيَّةِ فَلَا يَكُونُ وَسَطًا فَحَكْمُ فِي أَوْلِيَّةِ الْإِحْرَامِ وَفِي آخِرِيَّةِ الْإِحْرَامِ وَهُوَ الَّذِي فَهَمَّتْهُ عَائِشَةُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ طَيِّبَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَلِّهِ وَلِحَرَمِهِ قَبْلَ وَجُودِ الْإِحْرَامِ مِنْهُ وَالتَّحْلِيلُ لَمْ تَقُلْ طَيِّبَتْهُ لِآخِرِ إِحْرَامِهِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِضِيَ وَيَعْقِبَهُ الْإِحْلَالُ وَإِنَّمَا رَاعَتْ الْإِحْلَالَ فِي آخِرِ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَهُوَ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ وَكَذَلِكَ رَاعَتْ الْإِحْرَامَ الْمُسْتَقْبَلُ مَا غَسَلَ عَنْهُ طَيِّبًا (وصل في فصل مجامعة النساء)

أجمع المسلمون على أن الوطء يحرم على المحرم مطلقا وبه أقول غير أنه إذا وقع فعندنا فيه نظر في زمان وقوعه فإن وقع منه بعد الوقوف بعرفة أي بعد انقضاء زمان جواز الوقوف بعرفة من ليل أو نهار فالحج فاسد وليس بباطل لأنه مأثور بإتمام المناسك مع الفساد ويحج بعد ذلك وإن جامع قبل الوقوف بعرفة وبعد الإحرام فالحكم فيه عند العلماء كحكمه بعد الوقوف يفسد ولا بد من غير خلاف أعرفه ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وإن قلنا بقولهم واتبعناهم في ذلك فإن النظر يقتضي أن وقع قبل الوقوف أن يرفض ما مضى ويجدد الإحرام ويهدي وإن كان بعد الوقوف فلا لأنه لم يبق زمان للوقوف وهنا بقي زمان للإحرام لكن ما قال به أحد فجزينا على ما أجمع عليه العلماء مع أنني لا أقدر على صرف هذا الحكم عن خاطري ولا أعمل عليه ولا أفتى به ولا أجد دليلا وقد رفضت العمرة عائشة حين حاضت بعد التلبس بها وأحرمت بالحج فقد رفضت إحراما وفي أمر عائشة وشأنها عندي نظر هل أردفت على عمرتها أو هل رفضتها بالكلية فإن أراد بالرفض ترك الإحرام بالعمرة وأن وجود الحيض أثر في صحتها مع بقاء زمان الإحرام فالجامع مثله في الحكم وإن لم يرد بالرفض الخروج عن العمرة وإنما أراد إدخال الحج عليها فرفض أحذية العمرة لا اقترانها بالحج فهي على إحرامها في العمرة والحج مردف عليها والجامع في الحج في الطريق لا

شك أن الإنسان لما كان مصرفاً تحت حكم الأسماء الإلهية ومحلا لظهور آثار سلطانتها فيه ولكن يكون حكمها فيه بحسب ما يمكنها حال الإنسان أو زمانه أو مكانه والأحوال والأزمان تولى الأسماء الإلهية عليها وإن كان كل حال هي عليه أو دخول الإنسان في ظرفية زمان خاص أو ظرفية مكان ما هو إلا عن حكم اسم إلهي بذلك فقد يتوجه على الإنسان أحكام أسماء إلهية كثيرة في آن واحد ويقبل ذلك كله بحاله لأنه قد يكون في أحوال مختلفة يطلب كل حال حكم اسم خاص فلا يتوجه عليه إلا ذلك الاسم الذي يطلبه ذلك الحال الخاص ومع هذا كله فلا بد أن يكون الحاكم الأكبر اسماً ما له المضاء فيه والرجوع إليه مع هذه المشاركة ثم إني أبين لك مثلاً فيما ذكرناه وذلك إنا نرى الإنسان يجتنب ما حرم الله على عينه أن ينظر إليه على انتهاكه حرمة ما حرم على أذنه من الإصغاء إلى الغيبة في حال انتهاكه حرمة ما حرم عليه من جهة لسانه من كذب أو نميمة مع إعطاء صدقة فرض من زكاة أو نذبة متطوع بها من جهة ما أمرت به يده المنفقة وذلك كله في زمان واحد من شخص واحد الذي هو المخاطب من الإنسان المصرف جميع جوارحه القابل للأوامر الأسمائية في باطنه التي تحكم عليه وتمضي تصرف الجوارح بأمره لها فيما يراها تصرف فيه وهو واحد في نفسه ذو آلات متعددة فلولا تعدد هذه الآلات ما صح أن يحكم عليه إلا اسم واحد فوجود الكثرة التي سببها الآلات أوجبت له مع أحديته في نفسه قبول اختلاف أحكام الأسماء الإلهية عليه فيكون الإنسان منصوراً من وجه محذولاً في حين كونه منصوراً ولكن من وجه آخر والعين واحدة المصرفة المكلفة وهي النفس الناطقة ويكون عزيزاً بالمعز في حال كونه ذليلاً بالمذل لشخص ذي عزة له عنده مكانة فلقية فأعزّه فاعترز وفي تلك الحال عينها سلط عليه الاسم المذل شخصاً آخر لا يعرفه فأذله فذل من جهة هذا وعز من جهة هذا في الزمان الواحد وحكمتها في آن واحد والقابل لهذين الحكمين واحد العين فلهذا الذي مهدناه أمر المحرم إذا جامع أهله أن يمضي في مقام نسكه إلى أن يفرغ مع فساده ولا يعتد به وعليه القضاء من قابل على صورة مخصوصة شرعها له الشارع لأن صاحب الوقت الذي هو المحرم عليه أفعالا مخصوصة أوجبها هذه العبادة التي تلبس بها هو الحاكم الأكبر واتفق أن هذا المحرم التفت بالاسم الخاذل إلى امرأته فجامعها في حال إحرامه فلما لم يكن الوقت له شرعاً وكان لغيره لم يقوته فأفسد منه ما أفسد وبقي الحكم لصاحب الوقت فأمره أن يمضي في نسكه مع فساده وعاقبه بتلك الالتفاتة إلى الخاذل حيث أعانته عليه بنظره إلى امرأته واستحسانه لإيقاع ما حكم عليه به حاكم الوقت أن يعيد من قابل فلو بطل وأزال حكمه عنه في ذلك الوقت وقع الجماع بعد الإحرام وقبل الوقوف رفض ما كان واستقبل الحرج كما هو ولم يكن عليه إلا دم لا غير لما أبطل فلما لم يزل حكمه منه بذلك الفعل أمر بإتمام نسكه الذي نواه في عقده وهو مأجور فيما فعل من تلك العبادة مأزور فيما أفسد منها في إتيانه ما حرم عليه إتيانه كما قال تعالى فلا رفثَ وهو النكاح ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحجِّ خرج أبو داود في المراسيل قال ثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام أخبرني يزيد بن نعيم أو زيد بن نعيم شك أبو توبة أن رجلاً من جذام جامع امرأته وهما محرمان فسأل الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما اقضيا نسككما وأهديا هديا ثم ارجعا حتى إذا كنتما بالمكان الذي أصبتما فيه ما أصبتما ففترقا ولا يرمى منكما واحد صاحبه وعليكما حجة أخرى فتقبلان حتى إذا

كنتما بالمكان الذي أصبتما فيه ما أصبتما ففترقا ولا يرى أحد منكما صاحبه فأحرما وأتما نسككما وأهديا فهذا ترجمان الحق الذي هو الرسول قوى الاسم الإلهي الذي هو حاكم الوقت و صاحب الزمان فيما يريد من إتمام هذه العبادة مع ما طرأ فيها من الإخلال وذلك أن الاسم الحاكم لا يسمع المحكوم عليه خطابه إياه لأن الله أخذ بسمعه عنه فقال لمن فتق الله سمعه لسماع كلامه وهو المعبر عنه بالرسول بلغ لهذا المكلف عني أن يمضي في فعله حتى يتم وذكر له ما قال وبينه لهذا الشخص لأن الرسول ما يُنطقُ عَنِ الْهُوَى والمؤمن كثير بأخيه فقام الرسول مقام الحاجب المنفذ وأمر الملك صاحب الحكم هكذا هو في الحكم العام وأما في العالم الأخص فهو حكم نفس طبيعية على عقل إلهي رجع إليها من حيث علمه بأن لها وجهها خاصا إلى خالقها فغاب عن التثبت في ذلك فيما أوصل إليه ترجمان الحق الذي هو الرسول فوافق النفس ما حكم به عليها الطبع فيما أمرت به و لولا ذلك الوجه الخاص ما انخدع العقل و اتصف باللؤم الذي هو صفة الطبع بحكم الأصالة وفي مثل هذا قلنا

بحكم نفوس إن ذا لعظيم يعز علينا أن تكون عقولنا
على عقل شخص إنه للئيم إذا غلب الطبع اللئيم نجاره

فالعقول وإن كانت عالية الأوج فإن الحضيض يقابل أوجهه وهو موطن الطبع النفسي فهو ينظر إليها من أوجه فيراها في مقابلته على خط مستقيم لا اعوجاج فيه و ذلك الخط هو الذي يكون عليه العروج من الحضيض إلى الأوج إذا زكت النفس و عليه يكون نزول العقل إلى الحضيض من الأوج إذا خذل العقل وإنما خذله استقامة الخط فإنه على الاستقامة فطر ثم إنه رأى النفس زكت بعروجها عليه فهذا الذي خدع العقل من النفس فإنه لا حظ للعقل في الطبع و ساعده على النزول قول الترجمان رسول الله صلى الله عليه و سلم لو دليت مجبل لهبط على الله و العقل مجبول على طلب الزيادة من العلم بالله فأراد في نزوله إلى الطبع على ذلك الخط من وجه ليرى هل نسبة الحق إلى الحضيض نسبته إلى الأوج أم لا فيريد علما بالذوق بأنه على ذلك الحد أو ما هو عليه بل له نسبة أخرى فتحصل له الفائدة على كل حال فلهذا القصد أيضا أمر بإتمام نسكه و لم يبطل عمله و لا سيما و قد سمع أن أربعة أملاك التقوا ملك كان يأتي من المغرب و آخر مقبل من المشرق و آخر نازل من الفوق و آخر صاعد من التحت فسأل كل واحد صاحبه من أين جئت فكل قال من عند الله فلا بد للعقل مع شوقه لطلب الزيادة من العلم أن يتحرك ليحصل هذا العلم بالله ذوقا حاليا لا تقليد فيه و لا يتمكّن له ذلك و هو في أوجه إلا إن قنع بالتقليد فنزل على ذلك الخط لطلب هذه المعارف و في نزوله لا بد أن يرى موضع اجتماع الخطوط فيشاهد علوما كثيرة فهي زلة أوجبت علما فشفع ذلك العلم في صاحب هذه الزلة فجير له نقصه فلو لا زلة هذا المجمع في الحج ما عرفنا حكم الشرع فيه لو وقع هذا بعد موت المترجم صلى الله عليه و سلم فمن رحمة الله حصل تقرير هذا العلم لنكون على بصيرة من ربنا في عبادتنا

(وصل في فصل غسل المحرم بعد إحرامه)

اتفقوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة واختلّفوا في كراهية غسله من غير الجنابة فقالوا لا بأس بغسله وبه أقول وكره ذلك بعضهم لما كان الرأس محل القوي الإنسانية كلها وجمع القوي الروحانية اعتبر فيه الحكم دون غيره من الأعضاء لجمعيته وله من الأسماء الإلهية الله لأنه الاسم المنعوت الجامع فحفظه متعين على المكلف لأنه لو اختل من قواه قوة أدى ذلك الاختلال إما إلى فساد يمكن إصلاحه أو إلى فساد لا يمكن إصلاحه وإما إلى فساد يكون فيه تلفه فيزول عن إنسانيته ويرجع من جملة الحيوانات فيسقط عنه التكليف فتقطع المناسبة بينه وبين الله وأعني مناسبة التقريب خاصة لا مناسبة الافتقار لأن مناسبة الافتقار لا تزول عن الممكن أبداً لا في حال عدمه ولا في حال وجوده فإذا اغترب الإنسان عن موطن عبوديته فهي جنابته فيقال له ارجع إلى وطنك فلا قدم لك في الربوبية أصلاً من ذاتك فإذا أراد الحق أن يمنحك منها ما شاء نزل إليك ما أنت تصعد إليه لأنه يعلمك ويعلم محلك وأينك وأنت لا تعرفه فأين تطلبه فما خرجت عن عبوديتك إلا لجهلك ألا تراه سبحانه لما أراد أن يهبك من الربانية ما شاء نزل إليك بأمر سماه شرعاً بوساطة رسول ملكي فملكك أمورا وجعل لك الحكم فيها على حد ما رسم لك فمن كونك حاكماً فيها هو القدر الذي أعطاك من الربوبية وعلى قدر ما حد لك ومنعك من تجاوزه هو ما أبقى عليك من العبودية

و أنت في أنت مستعار	فأنت ملك و أنت عبد
فلا احتكام و لا افتقار	و لا وجود في غير عين
فلا اضطرار و لا اختيار	قد حار مثلي من حرت فيه
و لا فرار و لا قرار	و لا فناء و لا بقاء

فوجب الغسل من الجنابة بالاتفاق لأنك عبد بالاتفاق ولست ربا بالاتفاق وأما في غير الجنابة

وحفظها من أوجب الحكم	فحكمة الغسل لحفظ القوي
لأنها دلت على العلم	لا سيما و كونها واجبا
لذاتها كالكيف و الكم	بعينها و كل علم لها
بما لها من جودة الفهم	فضلها الله على خلقه

فمن راعى حفظ هذي القوي مما ينالها من الضرر لسد المسام وانعكاس الأبخرة المؤذية لها المؤثرة فيها قال بالغسل و من غلب الحرمة لصغر الزمان في ذلك و ندور الضرر ضعف عنده الموجب فكره ذلك ألا تراهم كيف أتفقوا في الجنابة لقوة الموجب وإن كان الغسل بالماء يزيد شعثا في تليد الرأس والله تعالى قد أمرنا بإلقاء التفث عنا لما ذكرناه من حفظ القوي وما في معناها لأن الطهارة والنظافة مقصودة للشارع لأنه القدوس وما له اسم يقابله فيكون له حكم ولما جهل علماء الرسوم حكمة هذه العبادة من حيث إنهم ليس لهم كشف إلهي من جانب

الحق جعلوا أكثر أفعالها تعبدًا ونعم ما فعلوه فإن هذا مذهبنا في جميع العبادات كلها مع عقلنا بعلل بعضها من جهة الشرع بحكم التعريف أو بحكم الاستنباط عند أصحاب القياس ومع هذا كله فلا نخرجها عن أنها تعبد من الله إذ كانت العلة غير مؤثرة في إيجاد الحكم مع وجود العلة وكونها مقصودة وهذا أقوى في تنزيه الجنب الإلهي إذا فهمت

(وصل في فصل غسل المحرم رأسه بالخطمي)

أما غسل المحرم رأسه بالخطمي فإنهم اتفقوا على منعه فإن غسل به قال بعضهم فيه الفداء وقال بعضهم إن غسل فلا شيء عليه وبه أقول من غير منع منه ولا من غيره إذ كل سبب موجب للنظافة ظاهرا وباطنا ينبغي استعماله في كل حال فإن الله جميل يحب الجمال وما ورد كتاب ولا سنة ولا إجماع على منع المحرم من غسل رأسه بشيء ولما أمر الله تعالى الإنسان أن يدخل في الإحرام فيصير حراما بعد ما كان حلالا وصفه بصفة العزة أن يصل إليه شيء من الأشياء التي كانت تصل إليه قبل أن يتصف بهذه المنفعة إذ الأشياء تطلب الإنسان لأنها خلقت من أجله فهي تطلبه بالتسخير الذي خلقها الله عليه والإنسان مخلوق على الصورة ومن حقيقة الصورة التي خلق عليها العزة أن تترك أو تنال بأكثر الوجوه مثل قوله تعالى لا تدركه الأبصار يعنى في الدنيا وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة مع ثبوت الرؤية في الآخرة فهذه عزة إضافية لأنه حجب ثم أباح فجعل لمن حصل الصورة بحلقه عزة وتحجيرا في عبادات من صوم وحج وصلاة أن يصل إليه بعض ما خلق من أجله فاعتز و امتنع عن بعض الأشياء ولم يمتنع عن أن يناله بعضها كما لم يمنع من خلق على صورته أن تناله التقوى منا والتقوى في المتقين من خلقه فقوى الشبهة في الشبه ليلحق الأدلة بالشبه إذ الكل منه وإليه بل الكل عينه فما حرمت عليه الأشياء على الحقيقة وإنما هو الحرام على الأشياء لأنه ما خلق إلا لربه والأشياء خلقت له فهي تطلبه كما أنه يطلب ربه فامتنع في وقت كامتناع ووصول في وقت كوصول إن فهمت فقد بينت لك مرتبك قال تعالى في حق الإنسان وسحر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وقال هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وقال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وفي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك فأبان سبحانه لك عن مرتبك لتعرف موطن ذلك من موطن عزتك وأنت ما اعتزرت ولا صرت حراما على الأشياء منك بل هو جعلك حراما على الأشياء إن تنالك فأمرك أن تحرم فدخلت في الإحرام فصرت حراما وما جعل ذلك لك عن أمره سبحانه إلا ليكون ذلك قرينة إليه ومزيد مكانة عنده تعالى وحتى لا تنسى عبوديتك التي خلقت عليها بكونه تعالى جعلك مأمورا في هذه المنفعة دواء لك نافعا يمنع من علة تطرأ عليك لعظيم مكاتك فلا بد أن يؤثر فيك خلقك على صورته عزة في نفسك فشرعها لك في طاعته بأمر أمرك فيه أن تكون حراما لا احتجار عليك بل احتجارا لك ألا ترى من خذله الله كيف اعتز على أمثاله بقوله أنا ربكم الأعلى هل جعله في ذلك إلا علمه بمرتبه لا علمه بنفسه فالإنسان عبد عينا ورتبه كما هو سيد عينا لا رتبة ولهذا إذا ادعى الرتبة قصم وحرم وإذا ادعى العين عصم ورحم والإنسان واحد في الحقيقة غير أنه ما بين معتنى به وغير معتنى به فهذا اعتبار هذا

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل في فصل دخول المحرم الحمام)

فمن الناس من كرهه ومن الناس من قال لا بأس به وبه أقول ليس في أحوال الدنيا من يدل على الآخرة بل على الله تعالى وعلى قدر الإنسان مثل الحمام يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل الحمام بالشام نعم البيت بيت الحمام ينعم البدن ويزيل الدرن ويذكر الآخرة ومن هذه آثاره في العبد لا يكره له استعماله فإنه نعم الصاحب وبه سمي لأن الحمام من الحميم والحميم الصاحب الشفيق قال تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم أي شفيق وسمي حميما لحرارته واستعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة فالحمام حار رطب طبع الحياة وبها ينعم البدن وبالماء يزول الدرن وتجريد الداخل فيه عن لباسه وبقائه عربانا لا شيء في يديه من جميع ما يملكه يذكر الآخرة والموت وقيام الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيئا فدخول الحمام أدل على الآخرة من الموت فإن الميت لا يتقلب إلى قبره حتى يكسى وداخل الحمام لا يدخل إليه حتى يعري والتجريد أدل ثم إنه من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تقني من الخطايا والذنوب كما ينقى الثوب من الدرن وتنقى البدن من الدرن والوسخ من أخص صفات الحمام ولأجله عمل واعتبار الحمام بأحوال الآخرة مجالته رحب عظيم الفائدة ما يعقله إلا العلماء بالله

(وصل في فصل تحريم صيد البر على المحرم)

اتفقوا على ذلك وهو اتفاق أهل الله أيضا في اعتباره ومعناه قال بعضهم الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فقال الزاهد إلى قوله وما عند الله خير وأبقى ومال العارف إلى قوله والله خير وأبقى فالخلق صيد للحق صادهم من نفوسهم برا أو مجرا وسأين ذلك إن شاء الله فاعلم إن الحق تعالى نصب حبالا لصيد النفوس الشاردة عما خلقت له من عبادته ثم خدعهم بالحب الذي جعل لهم في تلك الحبالا أو الطعوم أو ذوات الأرواح المشبهة لهم في الحياة جعلها مقيدة في الحبالا من حيث لا يشعرون الناظرون إليها فمن الصيد من أوقعه في الحبالا رؤية الجنس طمعا في اللحوق بهم ليرى ما هم فيه فصار في قبضة الصائد فقيده وهو كان المقصود لأنه مطلوب لعينه ومن الصيد من أوقعه الطمع في تحصيل الحب المبدور في الحبالا ثم إن الصائد له تصايفير يحكي بها أصوات الطير إذا سمعها الطائر نزل فوقع في الحبالا فهو بمنزلة من سمع نداء الحق فأجاب فهذا لم يصد بالإحسان والآخر أحسن إليه بالحب المبدور في الحبالا فأبصره فقاده الإحسان فرمى بنفسه عليه فصاده فلول الإحسان ما جاء إليه فمجيئه معلول والبر هو المحسن والإحسان والحق غيور فما أراد من هذه الطائفة الخاصة الذين جعلهم الله حراما ليكونوا له أن يجعلهم عبيد إحسان فيكونون للإحسان لاله ولهذا دعاهم شعنا غبرا مجردين من المخيط ملين لإجابته بالإهلال كما لحا الطائر لصوت الصائد فحرم عليهم لمكانتهم صيد البر الذي هو الإحسان ما داموا حراما حلالا في المكان الحلال

والحرام وسكانا في الحرام وإن كانوا حلالاً أو حراماً فحيث ما كانت الحرمة امتنع صيد الإحسان فإن الله من صفاته الغيرة فلم يرد أن يدعو هذه الطائفة المنعوتين بالإحرام من باب النعم والإحسان فيكونوا عبيد إحسان لا عبيد حقيقة فإنه استهزام بالجناب الإلهي فقال من صحبتك لغرض اقتضت صحبتته بانقضائه وصحبة العبد ربه ينبغي أن تكون ذاتية كما هي في نفس الأمر لأنه لا خروج للعبد عن قبضة سيده وإن أبق في زعمه فما خرج عن ملكه وهو جاهل بملك سيده لأنه حيث ما مشى في ملكه مشى في ملك سيده ولا ملكه فله ملك السموات والأرض فلهذا حرم على الحاج صيد البر وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبوا الله لما يعذوكم به من نعمه خطأ با منه لعبيد الإحسان حيث جهلوا مقاديرهم وما ينبغي لجلال الله من الاتقياد بالطاعة إليه ولم يحرم صيد البحر على الحرم ما دام محرماً لأن صيد البحر صيد ماء وهو عنصر الحياة الذي خلق الله منه كل شيء حي والمطلوب بإقامة هذه العبادة وغيرها إنما هو حياة القلوب كما قال أو من كان مَيِّئاً فَأَحْيَيْنَاهُ في معرض الثناء بذلك فإذا كان المقصود حياة القلوب والجوارح بهذه العبادة وبالعبادات كلها ظاهرها وباطنها فوفقت المناسبة بين ما طلب منه وبين الماء فلم يحرم صيده أن يتناوله ولهذا جاء بلفظ البحر لاتساعه فإنه يعم وكذلك هو الأمر في نفسه فإنه ما من شيء من خلقه إلا وهو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولا يسبح إلا حي فسرت الحياة في جميع الموجودات فاتسع حكمها فناسب البحر في الاتساع فلهذا أضافه إلى البحر ولم يقل إلى الماء لمراعاة السعة التي في البحر فصيد البحر حلال للحلال وللحرام

(وصل في فصل صيد البر إذا صاده الحلال هل يأكل منه الحرم أم لا)

فمن قائل يجوز له أكله على الإطلاق ومن قائل هو محرم عليه على الإطلاق ومن قائل إن لم يصد من أجله ولا من أجل قوم محرمين جاز أكله وإن صيد من أجل محرم فهو حرام على الحرم وأما مذهبنا في هذا فلم يفتدح لي فيه شيء ولا نرجح عندي فيه دليل إلا أنه يغلب على ظني الخبر الصحيح الوارد أنه إذا لم يكن للمحرم فيه عمل فله أكله وترجح أحد احتمالي لفظة الصيد المحرم في الآية لأن الصيد المذكور قد يراد به الفعل وقد يراد به المصيد ولا أدري أي ذلك أراد الحق تعالى أو أراد الأمرين جميعاً الفعل والمصيد فمن يرى أنه الفعل لا المصيد فيقول بجواز أكله على الإطلاق ولا معنى لقول من يقول إن صيد من أجله لأنني ما خوطبت بنية غيري فإن أمرت أنا الحلال أو أشرت إليه أو نهته أو أمأت إليه في ذلك أو أعنته بشيء فلي فيه عمل فيحرم على ذلك وأنا آثم فيه وهذا القول وإن كنت لم أره لغيري ولكن هو من محتملات القول الثالث وهو قوله إن لم يصد من أجله قد يريد بإشارته أو دلالاته وقد يريد أن الحلال نوى أن يصيد ما يأكله الحرم الحلال لا تحجير عليه في تصرفه فأشبه الحق في هذه الصفة فإن رفع التحجير تنزيهه عن التقييد فهي صفة إلهية وليس لأحد أن يتمتع بتقييده عن تصريف الحق له إذ كان تقييده من تصريفه فله قبول ما يصرفه فيه كما قبل تقييده لافرق فهذه عبودية محضة خالصة حيث رآها في الحلال من كونه غير محجور عليه ما حجر على الحرم أعني رأى الصفة الإلهية التي ليس من شأنها أن تقبل الاحتجار بل هو الفعال لما يريد كما أنه تعالى أشبهه المقيد المحرم في أمور أوجبها على نفسه لعباده في غير موضع كما قال **أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** فأدخل نفسه معنا وهذا من أصعب معارض آية قوله

تعالى فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ فإنه ليس بمحل لفعله و وفاؤه بالعهد لمن وفى بعهده لا بد منه لصدقه في خبره فقد فعل ما يريد وليس بمحل لتعلق إرادته لأنه موجود ولا ترجع إلى ذاته من فعله حال لم يكن عليها فهذا غاية الإشكال في العلم الإلهي وإن تساهل الناس في ذلك فإنما ذلك لجهلهم بمتعلق الإرادة والقول الثالث أقرب الأقوال إلى الصحة لأنه أقرب إلى الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب وهذا النظر الذي لنا في هذه المسألة ما هو قول رابع فإنما ما قطعنا بالحكم في ذلك لكن يغلب على ظني ترجيح القول الثالث على القولين وإن لم يكن بذلك الصريح

(وصل في فصل المحرم المضطر هل يأكل الميتة أو الصيد)

فمن قاتل يأكل الميتة والخنزير دون الصيد ومن قاتل يصيد ويأكل وعليه الجزاء وبالأول أقول فإن اضطر إلى الصيد صاد وعليه الجزاء لأنه متمدد فما خص الله مضطرا من غير مضطر كل مخلوق الاضطرار يصحبه دائما لأنه حقيقته ومع اضطراره فقد كلف فالذي ينبغي له أن يقف عند ما كلف فإن الاضطرار المطلق لا يرتفع عنه وإنما يرتفع عنه اضطرار خاص إلى كذا فجميع حركات الكون من جهة الحقيقة اضطرارية مجبور فيها وإن كان الاختيار في الكون موجودا نعرفه ولكن ثم علم آخر علمنا به أن المختار مجبور في اختياره بل تعطي الحقائق أن لا مختارا لنا رأينا الاختيار في المختار اضطراريا أي لا بد أن يكون مختارا فالاضطرار أصل ثابت لا يندفع بصحب الاختيار ولا يحكم على الاضطرار الاختيار فالوجود كله في الجبر الذاتي لأنه مجبور بإجبار من غير فإن الجبر للمجبور الذي لو لا جبره لكان مختارا مجبور في اختياره لهذا الجبور

والأصل مجبور فأين الخيار	فالحلق مجبور ولا سيما
في حالة الجبر وفي الاضطرار	فكل مخلوق على شكله
بما له من ذلة و اقتتار	تميز المخلوق عن أصله
ما بين جبر دائم و اختيار	فكن مع الحق بأوصافه

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(وصل في فصل نكاح المحرم)

فمن قاتل لا ينكح ولا ينكح فإن نكح فالنكاح باطل ومن قاتل لا بأس أن ينكح وينكح والذي أقول به إنه مكروه غير محرم والله أعلم بالإحرام عقد والنكاح عقد فاشتركا في النسبة فجاز الوطء للمحرم حرام والعقد سبب مبيح للوطء فحرم أو كره فإنه حمى والرائع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإنما اجتنبت الشبه خوفا من الوقوع في المحذور النكاح والعقد لا يصح إلا بين اثنين لا يصح من واحد فحرم أو كره لأننا مطلوبون بمعرفة الوحدة وإثبات الواحد والوحدانية وإلهمكم إله واحد فأعلم أنه لا إله إلا الله التجلي في الأحادية لا يصح لأن التجلي يطلب الاثنين ولا بد من التجلي فلا بد من الاثنين فعقد النكاح للمحرم جائز فالعارف على قدر ما يقام فيه من أحوال الشهود قيل للجنيدي وقد سئل

عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون إنائه فأثبت الاثنين فلا بد منك ومنه ولا بد من التمييز فلا بد من الواحد فإن قلت ما في الوجود إلا واحد صدقت وإن قلت ما في الوجود إلا اثنان صدقت وإن قلت ما في الإيجاد إلا اثنان صدقت فإنه عن ذات واحدة وإن قلت ما في الإيجاد إلا واحد صدقت لأنه يستحيل تعلق قدرتين بمقدور والتوحيد غيب والإثبات شهادة وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة فأثبت الاثنينية بالنسبة إلى العالم وبالنسبة إلى الله عالم بالشهادة لا غير إذ يستحيل أن يكون عنه شيء غيباً خلافاً لمن يجعل العلة في الرؤية الوجود

(وصل في فصل الحرمين وهم ثلاثة)

إما قارن وإما مفرد بحج أو مفرد بعمره وهو المتمتع فهذا الفصل يستدعي إيراد حجة الوداع وبعد إيرادها تذكر ما يتعلق بأفعال هذه العبادة من الأحكام على أسلوب ما مضى فنقول حدثنا غير واحد إجازة وسماعاً عن ابن صاعد العراوي عن عبد الغافر الفارسي عن الجلودي عن إبراهيم بن سفيان المروزي عن مسلم بن الحجاج القشيري عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة إن النبي صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلمسون أن يأتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلموا مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تصنع قال اغتسلي واستغفري بثوب وأحرمي فصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من ركب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبك اللهم لبك لبك لا شريك لك لبك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وأهل الناس بهذا الذي يهلون فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته قال جابر لسننا ندرى إلا الحج لسننا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ **وَآتَخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ** فجعل المقام بينه وبين البيت فكان أبي يقول ولا أعلم ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ أبدأ** بما بدأ الله فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي أسرع حتى إذا صعدت ما مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال لو إنني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقان بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله ألعامننا هذا أم لأبد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة

في الأخرى فقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبداً و قد علم علي من اليمين ببدن النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة ممن حل و لبست ثياباً صبيغاً و اكتحلته فأنكر ذلك عليها فقالت إني أمرت بهذا قال فكان علي يقول بالعراق فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشاً على فاطمة للذي صنعت مستقياً رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه فأخبرته أنني أنكرت ذلك عليها فقال صدقت صدقت ما ذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم إني أهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن معي الهدى فلا تحل قال فكان جماعة البدن الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس فأمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصوى فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس فقال إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع و دماء الجاهلية موضوع وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل و ربا الجاهلية موضوعة و أول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله و لكم عليهن إن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح و هن عليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف و قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله و أنتم أعني فما أنتم قائلون قالواشهد إنك قد بلغت و أديت و نصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ثم ينكبها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ثم أذن فأقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر و لم يصل بينهما شيئاً ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى إلى الصخرات و جعل جبل المشاة بين يديه و استقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس و ذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص و أرف أسامة خلفه و دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد شقق للقصوى الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله و يقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين و لم يسبح بينهما شيئاً ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله و كبره و هله و وحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل إن تطلع الشمس و أرف الفضل بن عباس و كان رجلاً حسن الشعر أبيض و سيماً فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجربن فطلق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله صلى

الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر حتى أتى بطن محسر فحرك ناقته قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرجك على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحرف فنحرت ثلاثا وستين بدنة ثم أعطى عليا فنحرت ما غير وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة بيضة فجعلت في قدر فطبخت فأكلها من لحمها وشربا من مرقها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبد المطلب وهم يستقون على زمزم فقال أترعوا يا بنى عبد المطلب فلو لا إن يغلبنكم الناس على سقائكم لترعت معكم فناولوه دلوفا فشرب منه انتهى حديث جابر ثم نرجع فنقول الفارن من قرن بين صفات الربوبية وصفات العبودية في عمل من الأعمال كالصوم أو من قرن بين العبد والحق في أمر بحكم الاشتراك فيه على التساوي بأن يكون لكل واحد من ذلك الأمر حظ مثل ما للآخر كالتقسام الصلاة بين الله وبين عبده فهذا أيضا قرآن وأما الأفراد فمثل قوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ومثل قوله قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ومثل قوله كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَقَوْلِهِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وما جاء من مثل هذا مما انفرد به عبد دون رب أو انفرد به رب دون عبد فمما انفرد به عبد دون رب قوله تعالى أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وقوله تعالى لأبي يزيد يا أبا يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار فهذا معنى القران والإفراد في الحج وسيأتي حكم ذلك في التفصيل إن شاء الله تعالى

(وصل في فصل المتمتع)

والمتمتعون على نوعين إما قارن وإما مفرد بعمرة واختلف علماء الإسلام في التمتع فمنهم من قال أن يهل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات من مسكنه خارج الحرم فأكمل أفعال العمرة كلها ثم يحل منها ثم ينشئ الحج في ذلك العام بعينه وفي تلك الأشهر من غير أن ينصرف إلى بلده وقال بعضهم وهو الأحسن هو متمتع وإن عاد إلى بلده حج أو لم يحج فإن عليه هدي التمتع المنصوص عليه في قوله تعالى فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فكان يقول عمرة في أشهر الحج متعة وقال بعضهم ولو اعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى أتى الحج وحج من عامه إنه متمتع وذهب ابن الزبير إلى أن المتمتع الذي ذكره الله هو المحصر بمرض أو عدو وذلك إذا خرج الرجل حاجا فحبسه عدو أو أمر تعذر به حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت ويطوف ويسعى ويحل ثم يتمتع وعليه بحجة إلى العام المقبل ثم يحج ويهدي وعلى ما قال ابن الزبير لا يكون التمتع المشهور إجماعا وقال أيضا إن المكّي إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى وانفق العلماء على إن من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو متمتع والذي أقول به إن قوله تعالى ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إنه يريد بذلك أي بهذه الإشارة بإجازة الصوم في أيام التشريق من أجل رجوعه إلى بلده لأن المكّي ليس بتمتع فإن العلماء اختلفوا في المكّي هل يقع منه التمتع أم لا يقع فمن قائل إنه يقع منه التمتع وانفقوا أنه ليس عليه دم وحجته الآية التي ذكرناها وهي محتملة وإن الدم يمكن أن يلزمه أو بدله وهو الصوم بعد انقضاء أيام التشريق فإنه من حاضري المسجد الحرام ثم ينبغي أن نذكر من أجل هذه الآية اختلافهم في حد حاضري المسجد الحرام

فقال بعضهم حاضرو المسجد الحرام أهل مكة وذي طوى وما كان مثل ذلك من مكة وقال بعضهم هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة وقال بعضهم من كان بينه وبين مكة ليلة وقال بعضهم من كان ساكن الحرم وقال بعضهم هم أهل مكة فقط والذي أقول به إنهم ساكنو الحرم بما رد الأعلام إلى البيت فإنه من لم يكن فيه فليس مجازر بلا شك فلو قال تعالى في حاضري المسجد الحرام كما تقول بما جاور الحرم لأن حاضري البلد ربضه الخارج عن سورة امتد في المساحة ما امتد وإنما علق سبحانه ما ذكره بحاضري المسجد الحرام وهم الساكنون فيه فمعنى التمتع تحلل الحرم بين النسكين العمرة والحج وهذا عندي ما يكون إلا لمن لم يسبق الهدى فإن ساق الهدى وأحرم قارنا فإنه متمتع من غير إحلال فإنه ليس له أن يحل حتى يبلغ الهدى محلّه وبعد أن ذكرنا حكم التمتع فلنرجع إلى ما وضعنا عليه كتابنا هذا في هذه العبادات فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل إن أشهر الحج حضرة إلهية انفردت بهذا الحكم فأبي عبد اتصف بصفة سيادة من تخلق إلهي ثم عاد إلى صفة حق عبودية ثم رجع إلى صفة سيادته في حضرة واحدة فذلك هو المتمتع فإن دخل في صفة عبودية بصفة ربانية في حال اتصافه بذلك فهو القارن وهو متمتع ومعنى التمتع أنه يلزمه حكم الهدى فإن كان له هدي وهو بهذه الحالة من الأفراد بالعمرة أو القران فذلك الهدى كافية ولا يلزمه هدي ولا يفسخ جملة واحدة وإن أفرد الحج ومعه هدي فلا يفسخ فإلى هنا بمعنى مع ولهذا يدخل القارن فيه لقوله فمن تمتع بالعمرة إلى الحج أي مع الحج فتم المفرد والقارن بالدلالة فإن العمرة الزيادة فإذا قصدت على التكرار وأقل التكرار مرة ثانية كانت الزيارة حجا فدخلت العمرة في الحج أي يجرم بها في الوقت الذي يجرم بالحج وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جعل للقارن طوفا واحدا وسعيا واحدا وهذا مقام الاتحاد وهو التباس عبد بصفة رب وإن كان المقصود العبد فهو التباس رب بصفة عبد فإذا حل المتمتع لأداء حق نفسه ثم ينشأ الحج فقد يكون تمتعه بصفة ربانية إن كان ممن جعله الله نورا أو كان الحق سمعه وبصره فلا يتصرف فيما يتصرف فيه إلا بصفة ربانية والصفات الإلهية على قسمين صفة إلهية تقتضي التنزيه كالكبير والعلي وصفة إلهية تقتضي التشبيه كالمكبر والمتعالي وما وصف الحق به نفسه مما يتصف به العبد فمن جعل ذلك نزولا من الحق إلينا جعل الأصل للعبد ومن جعل ذلك للحق صفة إلهية لا تعقل نسبتها إليه لجهلنا به كان العبد في اتصافه بها يوصف بصفة ربانية في حال عبوديته فيكون جميع صفات العبد التي يقول فيها لا تقتضي التنزيه هي صفات الحق تعالى لا غيرها غير أنها لما تلبس بها العبد انطلق عليها لسان استحقاق للعبد والأمر على خلاف ذلك وهذا هو الذي يرتضيه المحققون من أهل طريقنا على أنه ما رأينا أحدا نص عليه ولا حققه ولا أبداه مثل ما فعلنا نحن وهو قريب إلى الأفهام إذا وقع الإتيان وذلك أن العبد ما استنبطه ولا وصف الحق به ابتداء من نفسه وإنما الحق وصف بذلك نفسه على ما بلغت رسله وما كشفه لأوليائه ونحن ما كنا نعلم هذه الصفات إلا لنا لاله بحكم الدليل العقلي فلما جاءت الشرائع بذلك وقد كان هو ولم نكن نحن علمنا إن هذه الصفات هي له بحكم الأصل ثم سرى حكمها فينا منه فهي له حقيقة وهي لنا مستعارة إذ كان ولا نحن فالأمر فيها على ما مهدناه بين المأخذ قريب المتناول فلا يهولك ذلك إذ كان الحق به متكلمًا وأنت السامع فإن قيل لك في ذلك شيء فليكن جوابك للمعترض أن تقول له أنا

ما قلته هو قال ذلك عن نفسه فهو أعلم بما نسبه إلى نفسه ونحن مؤمنون به على حد علمه فيه وهذه أسلم العقائد فمن كشف له الحق تعالى صورة تلك النسبة كان على علم من الله تعالى بها ذوقاً وشراباً ولولا هذا الامتزاج ما صح أن يكون الإنسان والحيوان من نقطة أمشاج فأظهر الكل بالكل وضرب الكل في الكل فظهرنا به له ولنا فنحن به من وجهه وما هو بنا لأنه الظاهر ونحن على أصلنا وإن كنا أعطينا باستعدادنا في أعيننا أموراً لها سمي بما يظنه المحجوب أسماء لنا من عرش وكرسي وعقل ونفس وطبيعة وفلك وجسم وأرض وسماء وماء وهواء ونار وجماد ونبات وحيوان وإنسان وجان كل ذلك لعين واحدة ليس إلا فسبحان الأعلى المخصوص بالأسماء الحسنی والصفات العلی و قد علم من هو الأولى بصفة الآخرة والأولى ف هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم والإنسان ظلوم بما غصب من هذه الصفات من حيث جعلها لنفسه حقيقة جهول بمن هي له وبأنها غصب في يده فمن أراد أن يزول عنه وصف الظلم والجهالة فليرد الأمانة إلى أهلها والأمر المغصوب إلى صاحبه والأمر في ذلك هين جدا والعامة تظن أن ذلك صعب وليس كذلك

(وصل في فصل الفسخ)

وهو أن ينوي الحج وليس معه هدي فيحول النية إلى العمرة فيعتمر ويحل ثم ينشئ الحج فمن قائل بجوازه ومن قائل بوجوبه ومن قائل بأن ذلك لا يجوز وبالوجوب أقول العمرة حج أصغر فجاز تحويل النية إليها وكيف لا وقد تضمن فعلها الحج الأكبر فقام طواف الحج الأكبر وسعيه للقارن مقام ما للعمرة من الطواف والسعي وهما ركنان فاندرجت العمرة التي هي الحج الأصغر في الحج الأكبر وصاروا عينا واحدة فجاز الفسخ لعدم الهدى فإن الهدية من القادم للذي قدم عليه معادة فإذا لم يجيء بها كلف أن لا يدخل على من قصده بالنية الأولى حتى يتمتع ويهدي ولا بد ولكن لا يقدم هديه حتى ينشئ نية أخرى بالقصد على حسب ما نواه فإذا أحرم بالحج أي نوى قصد الكبير سبحانه لا المتكبر الذي هو بمنزلة العمرة التي هي حج أصغر قدم الهدى الذي أوجبه التمتع أما نسيكة على ما تسروا ما صوما لمن قصده بتلك الزيارة فهي الهدية له فإن الصوم له وهو الذي نزل عليه الحاج فلذلك كان الصوم هدية لأنه يستحقها بل هي أليق به من الهدى فإنه لا يناله من الهدى إلا التقوى خاصة من المهدي والصوم كله هو له فهو أعظم في الهدية وإنما جعله الله لمن لم يجد هدياً لأن الهدى ينال الحق منه التقوى وينال العبد منه ما يكون له به التغذي وقوام نشأته فراعى سبحانه منفعة العبد مع ما للحق فيه من نصيب التقوى مع الوجود فإذا لم يجد رفق به سبحانه فأوجب عليه الصوم إذ كان الصوم له ولم يوجب عليه غير ذلك لأنه ليس له من عمل العباد إلا الصوم فأقامه مقام الهدية بل هو أسنى وقنع منه بثلاثة أيام في الحج رفقاً به حتى يكون قد أتى إليه بشيء فيفرح القادم بتلك التقدمة التي قدمها لربه في هذا القدم فهذا من وجه رفق الله بعبده وأخر السبعة إذا رجع إلى أهله فهناك يأخذها منه فإنه في رجوعه أيضاً قادم عليه فإن الحق مع أهله أينما كانوا فإذا رجع إلى أهله وجد الحق معهم فصام هدية سبعة أيام فقبلها الحق منه في أهله أو حيثما ما كان فإن الله مع عباده أينما كانوا ومن رأى أن العين واحدة وإن اختلفت النسب لم ير أنه فسخ مع وجود الفسخ مثل قوله وما رميت إذ رميت فنفي وأثبت كذلك هذا وما فسخت إذ فسخت فمن كان

شهوده في نفسه الحج خاصة لم يجل له الأصغر والأكبر فلم يفسخ وبقي على نيته الأولى لقوله تعالى وَأَتَمُّوا الْحَجَّ فَهُوَ بِحَسَبِ مَشْهُدِهِ وَالْأَوَّلُ أَتَمُّ
وهو القائل بالفسخ والتعدي عن الفسخ فهو فاسخ لا فاسخ

(تفريع في التمتع)

اختلف علماء الإسلام فيمن أنشأ عمره في غير أشهر الحج ثم حج من عامه ذلك فمن قائل عمرته في الشهر الذي حل فيه فهذا متمتع عنده بلا
شك فإن حل في غير أشهر الحج عنده فليس بتمتع واشترط بعضهم أن يكون طوافه كله في أشهر الحج وقال بعضهم إن طاف ثلاثة أشواط في
رمضان وأربعة في شوال كان متمتعاً وقال بعضهم من أهل بعمره في غير أشهر الحج فسواء طاف في أشهر الحج أو لم يطف لأشياء عليه فإنه
ليس بتمتع اعلم أنه لما كانت أسماء الحلق منها ما يعطي الاشتراك ومنها ما لا يعطي الاشتراك والذي لا يعطي الاشتراك كالمعز والمذل والذي
يعطي الاشتراك كالعليم والخير فإذا كان العبد تحت حكم اسم ما من الأسماء الإلهية التي تعطي الاشتراك فهو بمنزلة من أحرم بالعمرة في غير
أشهر الحج وعملها في أشهر الحج فهل للاسم الأول فيه حكم إذا انتقل إلى الاسم الآخر فانظر إن كان أحدهما يتضمن الآخر في أمر ما كالخير
والعالم كان في عمله تحت حكم الآخر لأنه صاحب الوقت وأنت أخذه بأكثر مما أخذ منك الوقت الأول وإن كان مشهدك أول الإنشاء وأنه
المؤثر ولولاه لم يصب حكم هذا الآخر كالنية في الصلاة ثم لا يحضر في أثناء الصلاة فصحت الصلاة لحكم الأول وقوته فمن كان مشهده هذا
نفي أن يكون هذا متمتعاً فإنه بحكم الإنشاء لا بحكم الانتهاء فاعلم ذلك وأما أكثر شروط التمتع الذي يكون به المتمتع متمتعاً فهي عند
بعضهم خمسة منها أن يجمع بين العمرة والحج في سفر واحد الثاني أن يكون ذلك في عام واحد الثالث أن يفعل شيئاً من العمرة في أشهر الحج
الرابع أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة وإحلاله منها الخامس أن يكون وطنه غير مكة أما الجمع في سفر واحد وذلك أن يدعو اسمان فما
زاد أو اسم يتضمن اسمين فما زاد كما قدمنا فيجب في ذلك السفر الواحد إليهما بحسب ما دعوا إليه كالمغني إذا دعاه إليه فإنه يتضمن في
المدعو حكم الاسم المعز فإنه إذا استغنى اعترز والعزة لا تكون إلا من الاسم المعز وما اعترز هنا إلا بالاسم المغني لأنه أغناه فأورثه صفة
الغني العزة فلو لا إن المغني يتضمن الاسم المعز ما ظهرت العزة في هذا الغني بما استغنى به وأما العام الواحد فإنه كمال الزمان إذا العام فيه كمال
الزمان لحصره الفصول فكمال الزمان هو بظهور الأبد الذي به كمل الدهر فإن الأزل نفي الأولية والأبد نفي الآخرة فما بقي طرفان فليس إلا
دهر واحد إذ كان نسبة الأزل للحق نسبة الزمان للخلق في العامة بنسبة الزمان الماضي فينا فلماذا لا يعبر عن الفعل فيه إلا بالماضي فيقولون
كان ذلك في الأزل وفعل ذلك في الأزل وقد بينا حقيقة مدلول هذه اللفظة في كتابنا هذا وفي جزء لنا سميناه الأزل وأما كونه أن يكون شيء
من العمرة في أشهر الحج فهو أن يكون قصد الإنسان إلى ربه من حيث ما يقتضيه حق الله عليه وفيه وفاء بحق العبودية فللعمل وجه في هذا و
وجه في هذا وأما أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة والإحلال منها فهو بمنزلة الإخلاص في العبادة والخروج من حكم اسم الهي مقابل لاسم
إلهي لا يجتمعان كالضار والنافع والمعطي والمنع وأما الوطن أن يكون غير مكة فذلك بين فإن العبد موطنه العبودية ولا يستطيع الخروج من

موطنه إلا إذا دعاه الحق إليه فلو ضمنه معه موطن لما دعاه إليه

(وصل في فصل في القرآن)

فهو عندنا أن يهل بالعمرة والحج معا فإن أهل بالعمرة ثم بعد ذلك أهل بالحج فهذا مردف وهو قارن أيضا ولكن بحكم الاستدراك فمن جمع بين العمرة والحج في إحرام واحد فهو قران سواء قرن بالإشياء أو بعده بزمان ما لم يطف بالبيت وقيل ما لم يطف ويركع ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فإن ركع لزمه ومن قائل له ذلك بعد الركوع من الطواف وما بقي عليه شيء من عمل العمرة إلا إذا لم يبق عليه من أفعال العمرة إلا الحلاق فإنهم اتفقوا على أنه ليس بقارن وذلك كله عند بعضهم إن ساق الهدى وبه أقول فإن لم يسق معه هديا فاختلفوا في حجه وكذلك مفرد الحج سواء فمن قائل بطلان الحج ويجب عليه الفسخ ولا بد ومن قائل بجواز الفسخ لا بوجوبه ومن قائل بمنعه وإنه يتم حجه الذي نواه سواء ساق الهدى أم لم يسق والقارن الذي يلزمه هدي التمتع هو عند الجمهور من غير حاضري المسجد الحرام إلا ابن الماجشون فإن القارن عنده من أهل مكة عليه الهدى وأما الأفراد فهو ما تعرى من هذه الصفات وهو الإهلال بالحج فقط واختلف العلماء من الصحابة فيه إذا لم يكن له هدي وقد ذكرناه آنفا في هذا الفصل وأما الذين أجازوا الحج لمن لم يسق الهدى وفي أصل الإهلال بالحج وإن ساق الهدى أي أفضل فمن قائل الأفراد أفضل ومن قائل القران ومن قائل التمتع اعلم أن الحرم لا يحرم كما إن الموجود لا يوجد وقد أحرم المردف قبل أن يردف ثم أردف على إحرام العمرة المتقدم وأجزأه بلا خلاف والإحرام ركن في كل واحد من العملين والاتفاق جوازه فيترجح قول من يقول يطفو لهما طوافا واحدا وسعيًا واحدا وحلقًا واحدا أو تقصيرا على من لا يقول بذلك قد تقدم لك حكم تداخل الأسماء الإلهية في الحكم وقد تقدم لك انفراد حكم الاسم الإلهي الذي لا يداخله حكم غيره في حكمه فلتنظره هنالك فمن أفرد قال الأفعال كلها لله والعبد محل ظهورها ومن قرن قال الأفعال لله بوجه وتنسب إلى من تظهر منه بوجه يسمى ذلك كسبا عند بعض النظائر وخلقًا عند آخرين واتفق الكل على إن خلق القدرة المقارنة لظهور الفعل من العبد لله وإنها ليست من كسب العبد ولا من خلقه واختلفوا هل لها أثر في المقدور أم لا فمنهم من قال لها أثر في المقدور ولا يكون مقدورها إلا عنها وما صح التكليف وتوجه على العبد إذ لو لم يكن قادرا على الفعل لما كلف ولا يَكْفِي اللهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وهو ما يقدر على الإتيان به وقال في إن القدرة لله التي في العبد لا يَكْفِي اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا والذي أعطاه إنما هو القدرة التي خلق فيه فله الاقتدار بها على إيجاد ما طلب منه أن يأتي به من التكليف ومنهم من قال ليس للقدرة الحادثة أثر خلق في المقدور الموجود من العبد وليس للعبد في الفعل الصادر منه إلا الكسب وهو اختياره لذلك الفعل إذ لم يكن مضطرا ولا مجبورا فيه وأما أهل الله الذين هم أهله فأعيان الأفعال الظاهرة من أعيان الخلق إنما هي نسب من الظاهر في أعيان هذه الممكنات وإن استعداد الممكنات أثرت في الظاهر في أعيان الممكنات ما ظهر من الأفعال والعطاء بطريق الاستعداد لا يقال فيه إنه فعل من أفعال المستعد لأنه لذاته اقتضاه كما أعطى قيام العلم لمن قام به حكم العالم وكون العالم عالما ليس فعلا البتة فالأقتضاءات الذاتية العلية ليست أفعالا منسوبة إلى من ظهرت عنه و

إنما هي أحكام له فأفعال المكلفين فيما كلفوا به من الأفعال أو التروك مع علمنا بأن الظاهر الموجود هو الحق لا غيره بمنزلة ما ذكرناه من محاورة الأسماء الإلهية و مجاراتها في ميادين المناظرة و توجهاتها على المحل الموصوف بصفة ما بأحكام مختلفة و قهر بعضها بعضا كفاعل الفعل المسمى ذنبا و معصية يتوجه عليه الاسم العفو و الغفار و المنتقم و المعاقب فلا بد أن ينفذ فيه أحد أحكام هذه الأسماء إذ لا يصح أن ينفذ فيه الجميع في وقت واحد لأن المحل لا يقبله للتقابل الذي بين هذه الأحكام فقد ظهر قهر بعض الأسماء في الحكم لبعض و الحضرة الإلهية واحدة فإذا علمت هذا هان عليك إن تنسب الأفعال كلها لله كما تنسب الأسماء الحسنى كلها لله تعالى أو الرحمن مع أحدية العين و اختلاف الحكم فاعلم ذلك و خذه في جميع ما يسمى فعلا فتعرف عند ذلك من هو المكلف و المكلف و تنطق فيه بحسب مشهدك انتهى الجزء الخامس و الستون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل في فصل الغسل للإحرام)

فمن قائل بوجوده و من قائل إن الوضوء يجزئ عنه و من قائل إنه سنة مؤكدة أكد من غسل الجمعة أعلم أن الطهارة الباطنة في كل عبادة واجبة عند أهل الله إلا من يرى أن المكلف إنما هو الظاهر في مظهر ما من أعيان الممكنات فإنه راه سنة لا وجوبا و من يرى من أهل الله أن الاستعداد الذي هو عليه عين المظهر كما أثر في الظاهر فيه إن يتميز عن ظهور آخر بأمر ما و باسم ما من حيوان أو إنسان أو مضطر أو بالغ أو عاقل أو مجنون فذلك الاستعداد عينه أوجب عليه الحكم بأمر ما كما أوجب له الاسم فقال له اغتسل لإحرامك أي تظهر بجمعك حتى تعم الطهارة ذاتك لكونك تريد أن تحرم عليك أفعالا مخصوصة لا يقتضي فعلها هذه العبادة الخاصة المسماة حجاً أو عمرة فاستقبالها بصفة تقديس أولى لأنك تريد بها الدخول على الاسم القدوس فلا تدخل عليه إلا بصفته و هي الطهارة كما لم تدخل عليه إلا بأمره إذ المناسبة شرط في التوصل و الصحبة فوجب الغسل و من رأى أنه إنما يحرم على المحرم أفعال مخصوصة لا جميع الأفعال قال فلا يجب عليه الغسل الذي هو عموم الطهارة فإنه لم يحرم عليه جميع أفعاله فيجزئ الوضوء فإنه غسل أعضاء مخصوصة من البدن كما أنه ما يحرم عليه إلا أفعال مخصوصة من أفعاله و إن اغتسل فهو أفضل و كذلك إن عمم الطهارة الباطنة فهو أولى و أفضل

(وصل في فصل النية للإحرام)

و هو أمر متفق عليه إلا من شذ القصد بالمنع عين بقائك على ما أنت عليه فهذا حكم منسوب إليك توجر عليه و ما عملت شيئا وجوديا و هو كالنهي في التكليف وله من الأسماء المانع و القصد أبدا لا يكون متعلقة إلا معدوما فيقتصد في المعدوم أبدا أحد أمرين إما إيجاد عين و هو الكون و إما إيجاد حكم و هو النسبة و ما ثم ثالث يقصد فمثل إيجاد العين إنما قولنا لشيء إذا أردناه ولا يريد إلا و هو معدوم أن نقول له كُنْ فيكون فيظهر وجود عين المراد بعد ما كان معدوما و مثل إيجاد الحكم و هو النسبة قوله تعالى *إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ* فالإذهاب معدوم و هو الذي

يشاء إن شاء فإن شاء أعده بمنع شرطه الذي به بقاء حكم الوجود عليه فيصير عليه حكم اسم المدوم وما فعل الفاعل شيئاً فتعلق القصد بالإعدام فانصف الموجود بحكم العدم لأنه كان العدم فإن العدم لا يكون مع وجود حكمه وهو النسبة وإذا تأملت فما تم وجود إلا الله خاصة وكل موصوف بالوجود مما سوى الله فهو نسبة خاصة والإرادة الإلهية إنما متعلقها إظهار التجلي في المظاهر أي في مظاهر ما و هو نسبة فإن المظاهر لم ينزل موصوفاً بالوجود والمظهر لم ينزل موصوفاً بالعدم فإذا ظهر أعطى المظهر حكماً في المظاهر بحسب حقائقه النفسية فانطلق على المظاهر من تلك الحقائق التي هو عليها ذلك المظهر المدوم بحكم يسمى إنساناً أو فلاناً أو ملكاً وما كان من أشخاص المخلوقات كما رجع من ذلك الظهور للمظاهر اسم يطلق عليه يقال به خالق و صانع و ضار و نافع و قادر و ما يعطيه ذلك التجلي من الأسماء و أعيان الممكنات على حالها من العدم كما إن الحق لم ينزل له حكم الوجود فحدث لعين الممكن اسم المظهر و للمتجلي فيه اسم المظاهر فلماذا قلنا فكل موجود سوى الله فهو نسبة لا عين فأعطى استعداد مظهر ما أن يكون المظاهر فيه مكلفاً فيقال له افعِل و لا تفعل و يكون مخاطباً بأنت و بكاف الخطاب فالقصد للإحرام هو القصد للمنع أن يمنع به ما يمكن أن لا يمنع فحينئذ يصير المنع حكماً و التكليفات كلها أحكام فالنية للإحرام أن يقصد بذلك المنع القربة إلى الله و القربة معدومة فيكون سبب وجود حكمها هذا المنع فحصل للعبد بعد أن لم يكن فيصير مظهراً عند ذلك و هو غاية القرب ظهور في مظهر لأن بذلك الظهور يظهر حكم المظهر في المظاهر فيه كما يظهر بطريق القرب حكم الداعي في المدعو بما يكون منه من الإجابة قال تعالى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ إِذْ لَا تَكُونُ إِجَابَةٌ إِلَّا بَعْدَ الدَّعَاءِ فَأَعطاه الداعي حكم الإجابة كما دعاه تعالى إلى الحج إلى بيته على صفة مخصوصة تسمى الإحرام فأجاب العبد رافعا صوته وهو الإلهال بالتلبية وهي قوله لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك

(وصل في فصل هل تجزئ النية عن التلبية)

اختلف علماء الرسوم رضي الله عنهم في ذلك فقال بعضهم التلبية في الحج كتكبيرة الإحرام في الصلاة و صاحب هذا القول يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام التلبية كما يجزئ عنده في الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير و هو كل ما يدل على التعظيم و قال بعضهم لا بد من لفظ التلبية فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال خذوا عني مناسككم و مما شرع حفظ التلبية و هو قوله لبيك كما شرع الله أكبر في تكبيرة الإحرام في الصلاة فأوجب بعضهم تلبية رسول الله صلى الله عليه و سلم و صورتها لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك و في رواية لبيك إله الحق و في رواية إله الخلق فهي واجبة بهذا اللفظ عند هؤلاء و عند جمهور العلماء مستحبة و به أقول و اللفظ بها أولى و اختلفوا في الزيادة على هذا اللفظ و في تبديله كما قلنا و كذلك اختلفوا في رفع الصوت بالتلبية و هو الإلهال فأوجب بعضهم و به أقول و لكنه عندي إذا وقع منه مرة واحدة أجزاءه و ما زاد على الواحدة فهو مستحب و أولى و قال بعضهم رفع الصوت بالتلبية مستحب إلا في مساجد الجماعات ما عدا المسجد الحرام و مسجد منى عند بعضهم و اختلفوا في التلبية هل هي ركن أم لا فقال بعضهم

هي ركن من أركان الحج و به أقول فإن الله يقول فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَهُوَ قَدْ دَعَانَا إِلَى بَيْتِهِ فَلَا بَدَ أَنْ أَقُولَ لِيكَ ثُمَّ نَأْخُذُ فِي الْفِعْلِ لَمَّا دَعَانِي اللَّهُ أَنْ نَأْتِيَهُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَتْ رُكْنًا أَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْخَاصَّةِ الْجَمْعَةِ بَيْنَ الْإِحْرَامِ وَالتَّصَرُّفِ فِي أَكْثَرِ الْمُبَاحَاتِ هُوَ قَصْدٌ خَاصٌ لِاسْمٍ خَاصٍ وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى الْبَيْتِ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا إِلَيْهِ لَكِنْ مِنْ أَجْلِهِ بِصِفَةِ عِبُودِيَّةٍ مَشْبُوبَةٍ بِصِفَةِ سَيَادَةِ تَظْهَرُ حُكْمُ السِّيَادَةِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ فِي النَّحْرِ لِأَنَّهُ إِتْلَافٌ صَوْرَةٌ وَفِي الرَّمِي بِالْجِمَارِ فَإِنَّهُ وَصَفَ فِعْلَ إلهِي فِي قَوْلِهِ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً رَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ تَعَرَّضَ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي أَمَاكِنَ هَذِهِ الْجِمَارَاتِ مَرَارًا فَحَصَبَهُ بَعْدَ مَا شَرَعَ وَفِي زَمَانِهَا وَكَذَلِكَ فِي الْإِقَاءِ التَّفْتُّ فَإِنَّهُ وَصَفَ إلهِي مِنْ قَوْلِهِ سَتَفْرُجُ لَكُمْ وَفَرِحَ رَبُّكَ وَالْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِيهِ كَذَلِكَ لِقَوْلِهِ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ لَكُنْ هَذَا الْفِعْلُ إِحَاطَةً بِالْبَيْتِ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ وَالتَّذَكُّرُ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَذَكَرَ اللَّهُ لَنَا أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِنَا لَهُ إِلَّا أَنْ ذَكَرْنَاهُ بِهِ لَا بِنَا فَذَكَرْنَا بِهِ أَكْبَرَ إِحَاطَةً فَإِنَّ فِي ذِكْرِنَا نَحْنُ وَهُوَ فِي ذِكْرِهِ هُوَ بِلَا نَحْنُ قَرِيءٌ عَلَى أَبِي يَزِيدٍ إِنْ بَطَّشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ قَالَ بَطَّشِي أَشَدُّ يَعْنِي إِذَا بَطَّشَ الْعَبْدُ بِهِ لَا بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا قَوْلُ أَبِي يَزِيدٍ عِنْدِي فَشَرَحَهُ خِلَافَ هَذَا فَإِنَّ بَطَّشَ الْعَبْدُ بَطَّشَ مَعْرَى عَنِ الرَّحْمَةِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ فِي حَالِ بَطَّشِهِ وَبَطَّشَ الْحَقُّ بِكُلِّ وَجْهِ فِيهِ رَحْمَةٌ بِالْمَبْطُوشِ بِهِ مِنْ وَجْهِ يَقْصِدُهُ الْبَاطِشُ الْحَقُّ فَهُوَ الرَّحِيمُ بِهِ فِي بَطَّشِهِ فَبَطَّشَ الْعَبْدُ أَشَدُّ لِأَنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ رَحْمَةٌ بِالْمَبْطُوشِ بِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الرَّمْلِ وَالسَّعْيِ وَكُلِّ فِعْلٍ لَهُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَصَفٍ وَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْقَصْدَ إِلَى الْبَيْتِ مِنَ اللَّهِ لَا إِلَيْهِ فَلْيَكُنْ قَصْدُكَ إِلَى الْبَيْتِ بِرَبِّكَ لَا بِنَفْسِكَ فَتَكُونُ ذَا قَصْدٍ إلهِي فَإِنَّهُ تَعَالَى قَصْدَ هَذَا الْبَيْتِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَطَلَبَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَقْصِدُوهُ بِوَصْفٍ خَاصٍ وَهُوَ الْإِحْرَامُ وَجَمِيعُ أَعْمَالِ الْحَاجِّ وَجَعَلَ أَوَّلَهُ طَوَافًا وَآخِرَهُ طَوَافًا فَخْتَمَ بِمَثَلِ مَا بِهِ بَدَأَ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ فَمَا أَمَرَكَ بِالْقَصْدِ إِلَى الْبَيْتِ لَا إِلَيْهِ إِلَّا لِكُونِهِ جَعَلَهُ قَصْدًا حَسْبًا فِيهِ قَطْعُ مَسَافَةِ أَقْرَبِهَا مِنْ بَيْتِكَ الَّذِي بِمَكَّةَ إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ مَعَكَ إِنَّمَا كُنْتَ فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقْصِدَ بِالْمَشْيِ الْحَسْبِي مِنْ هُوَ مَعَكَ فَأَعْلَمَكَ أَنَّهُ مَعَكَ ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ مِثْلُكَ وَمِنْ جِنْسِكَ أَعْنِي أَنَّهُ مَخْلُوقٌ فَدَلَّاهُ لَكَ عَلَى الْبَيْتِ دَلَّاهُ لَكَ عَلَى نَفْسِكَ فِي قَوْلِهِ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ فَإِذَا قَصَدْتَ الْبَيْتَ إِنَّمَا قَصَدْتَ نَفْسَكَ فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى نَفْسِكَ عَرَفْتَ مَنْ أَنْتَ وَإِذَا عَرَفْتَ مَنْ أَنْتَ عَرَفْتَ رَبَّكَ فَتَعْلَمُ عِنْدَ ذَلِكَ هَلْ أَنْتَ هُوَ أَوْ لَسْتَ هُوَ فَإِنَّهُ هُنَاكَ يَحْصُلُ لَكَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ فَإِنَّ الدَّلِيلَ قَدْ يَكُونُ خِلَافَ الْمَدْلُولِ وَقَدْ يَكُونُ عَيْنَ الْمَدْلُولِ فَلَا شَيْءٌ أَدْلُ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ تَبَعَدَ الدَّلَالَةُ بِحَسَبِ بَعْدِ الْمُنَاسِبَةِ فَالْإِنْسَانُ أَقْرَبُ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ كُونِهِ مَخْلُوقًا عَلَى الصَّوْرَةِ وَلِهَذَا نَادَاكَ مِنْ قَرِيبٍ لِقَرَبِ الْمُنَاسِبَةِ فَقَالَ قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ وَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التِّي تَجَادُلُكَ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْبَابِ أَسْرَارَ ظَهَرَتْ فِيهِ اعْتِبَارُ الْبَيْتِ ثُمَّ جَاءَ بِلَفْظَةِ الْبَيْتِ لَمَّا فِيهِ مِنْ اشْتِقَاقِ الْمَبِيتِ فَكَانَ إِذَا سَمِيَ بَيْتًا لِلْمَبِيتِ فِيهِ فَإِنَّهُ الرُّكْنُ الْأَعْظَمُ فِي مَنَافِعِ الْبَيْتِ كَقَوْلِهِمْ الْحَجُّ عَرَفَةٌ يَرِيدُ مَعْظَمَهُ فَرَاعَى حُكْمَ الْمَبِيتِ لِأَنَّهُ فِي الْمَبِيتِ يَكُونُ النَّوْمُ فَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يَحْفَظُ رِحْلَهُ وَنَفْسَهُ لِنَوْمِهِ فَإِنَّهُ فِي حَالِ يَقْظَتِهِ يَتَصَفَّ بِحَفَظِ رِحْلِهِ وَنَفْسِهِ فَلَمَّا رَاعَى فِيهِ الْمَبِيتَ وَالْمَبِيتَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ بِالنَّهَارِ وَلِهَذَا رَاعَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي غَسْلِ الْيَدِ فِي الْوُضُوءِ قَبْلَ إِدْخَالِهَا فِي الْإِنَاءِ لَمَنْ قَامَ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ خَاصَّةً لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ أَحْدَكُمُ لَا يَدْرِي أَيُّنَ بَاتَ يَدُهُ فِجَاءَ بِلَفْظِ الْمَبِيتِ فَجَعَلَ الْحُكْمَ فِي نَوْمِ اللَّيْلِ

ولما كان الليل محل التجلي فيه فإن الحق ما جعل تجليه لعباده في الحكم الزماني إلا في الليل فإن فيه ينزل ربنا وفيه كان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه معارج الأرواح في النوم لرؤية الآيات ولما تحققت هذه الأمور كلها خص سبحانه هذا المكان بلفظ البيت فسماه بيتاً فافهم ما أشرنا إليه فقال جل وتعالى وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ إِشَارَةٌ إِلَى النَّاسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ يَعْنِي قَصْدَ هَذَا الْمَكَانِ مِنْ كَوْنِهِ بَيْتًا لِتَسْبِيهِ بِاسْمِهِ عَلَى مَا قَصِدَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ اسْتِطَاعَةِ إِلَيْهِ سَيْبًا أَيْ مِنْ قَدْرِ عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ شَرَعَ وَإِيَّاكَ تَسْعِينُ وَأَمْثَالَهُ فَالْإِجَابَةُ لِلَّهِ بِالتَّبْلِيَةِ لِدَعَائِهِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِهِ مِنْ أَجْلِ الْبَيْتِ لِبَعْدِهِ عَنِ الْمَدْعُوِّ فَإِنَّهُ دَعَاهُ مِنَ الْبَيْتِ لِأَنَّهُ دَعَاهُ لِيَرَاهُ فِيهِ لِتَجْلِيهِ كَمَا أُسْرِيَ بَعْدَهُ لَيْلًا لِيَرِيهِ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي هِيَ دَلَالٌ عَلَيْهِ وَقَدْ يَكُونُ ظُهُورُ الشَّيْءِ لِلطَّالِبِ دَلِيلًا عَلَى نَفْسِهِ فَيَكُونُ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَتَجَلَّى لَهُ فَيَرَاهُ فَيَكُونُ لَهُ دَلِيلًا عَلَى نَفْسِهِ وَهَذَا مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَوْجِبَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّبْلِيَةِ وَهُوَ الْإِهْلَالُ لِأَجْلِ مَا لِلْبَيْتِ مِنَ الْحُظِّ فِي هَذَا الدَّعَاءِ فَإِنَّهُ الْمَقْصُودُ فِي اللَّفْظِ فَهُوَ الْحُجَابُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَقْصُودِ فَإِنْ كُنْتَ مُحَمَّدِي الْمَشْهُدِ فَلَا تَزِدْ عَلَى تَبْلِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَتَرَاهُ بَعِينَهُ فَإِنَّهُ لَا يَتَجَلَّى لَكَ بِتَبْلِيَتِهِ إِلَّا مَا تَجَلَّى لَهُ وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ أَعْلَمُ الْخَالِقَ بِاللَّهِ وَالْعِلْمَ بِاللَّهِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مِنَ التَّجْلِيِّ وَقَدْ تَجَلَّى لَكَ فِي تَبْلِيَتِكَ هَذِهِ فَنَظَرْتَهُ بَعَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ أَكْمَلُ الْأَعْيُنِ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الْعَبْدِ فِي شَهَادَتِهِ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِهِ فَإِنْ زِدْتَ عَلَى هَذِهِ التَّبْلِيَةِ فَقَدْ أَشْرَكْتَ حَيْثُ أَضَفْتَ إِلَيْهَا تَبْلِيَةَ أُخْرَى وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَمْعَ يُعْطِي مِنَ الْحُكْمِ مَا لَا يُعْطِي الْإِفْرَادُ فَلَا تُخَيِّلُ أَنَّكَ لَمَّا جِئْتَ بِتَبْلِيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَامِلَةً ثُمَّ زِدْتَ عَلَيْهَا مَا شِئْتَ إِنْ بَاسْتِيفَانِكَ إِيَّاهَا يَحْصُلُ لَكَ مَا حَصَلَ لِمَنْ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا هَذَا جَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ حَقَائِقُ الْأُمُورِ أَلَا تَرَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزِمَ تَبْلِيَتَهُ تَمَكُّنًا وَمَا زَادَ عَلَيْهَا وَلَا أَنْكَرَ عَلَى أَحَدٍ مَا لَبِيَ بِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَزُومَةً إِيَّاهَا بِاطْلَافٍ لَزِمَ الْإِتِّبَاعَ تَكُنْ عَبْدًا وَلَا تَبْتَدِعْ فِي الْعِبَادَةِ حَكْمًا فَتَكُونَ بِذَلِكَ الْإِبْتِدَاعِ رَبًّا فَإِنَّهُ الْبَدِيعُ سَبْحَانَهُ فَالزَّمْ حَقِيقَتَكَ تَحْظُ بِهِ وَإِنْ شَارَكَهُ لَمْ تَحْظُ بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَشَارِكُ فَتَقَعُ فِي الْجَهْلِ لِأَنَّ الشَّرْكَ لَا تَصَحُّ فِي الْوُجُودِ لِأَنَّ الْوُجُودَ عَلَى صُورَةِ الْحَقِّ وَمَا فِي الْحَقِّ شَرِيكَ بَلْ هُوَ الْوَاحِدُ الشَّرْكَ مَا لَهَا مَصْدَرٌ تَصْدُرُ عَنْهُ فَتَحَقِّقْ هَذَا التَّبْيِيحَ فِي الشَّرْكَ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي وَإِنْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُ فَإِنَّهُ يَحْكُمُ عَلَيْهِ الْجِبْنَ الَّذِي فَطَرَ عَلَيْهِ فَيَفْزَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَقِّ أَثْبَتَ الشَّرْكَ وَصِفًا فِي الْمَخْلُوقِ وَمَا شَعَرَ هَذَا النَّاطِرُ بِقَوْلِهِ أَنَا أَعْنِي الشَّرْكَاءَ عَنِ الشَّرْكَاءِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ الَّذِي أَشْرَكَ فَمَا قَالَ إِنْ الشَّرْكَاءَ صَحِيحَةٌ وَلَا إِنْ الشَّرِيكَ مَوْجُودٌ إِذْ لَا يَصِحُّ وَجُودُ مَعْنَى الشَّرْكَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّرِيكَينَ حِصَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعِينَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ جَهَلَهَا الشَّرِيكَانِ فَأَنْتَ الَّذِي أَشْرَكَتَ وَمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ شَرْكَاءَ لِأَنَّ الْأَمْرَ مِنْ وَاحِدٍ

إِنْ قَلْتَهُ لَا تَعْلَبُ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي

فَهُوَ مِثَالُ يَضْرِبُ وَمَا سِوَى هَذَا فَلَا

مثل تقدير وجود المحال وجوده بحكم الفرض ولما كان القصد إلى البيت والبيت في الصورة ذو أربعة أركان وفي الوضع الأول ذو ثلاثة أركان كان القصد على صورة البيت في أكثر المذاهب فأركان الحج أربعة الإحرام والوقوف والسعي وطواف الإفاضة هذا هو الذي عليه أكثر

الناس ومن راعى صورة البيت في الوضع الأول كان عنده على التثليث لم ير طواف الإفاضة فرضاً فأقام البيت على شكل مثلث متساوي الساقين لا متساوي الأضلاع ولا يصح أن يكون متساوي الأضلاع إذ لو كان لم يكن ثم من يميز الساقين لأنه مثلهما ولا بد من تساوي الساقين و التمييز بينهما وهما اليدان والقبضتان وإنما سميتا ساقين للاعتماد الذي في حقيقة الساق ولما كان الاعتماد على القبضتين وإليهما يرجع حكم الأمر في الدارين الجنة والنار وما ثم غيرهما كان اسم الساق أولى وَالتَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ فلا بد من التساوي حتى يصح الالتفاف عليه كله من كله وما زاد على هؤلاء الأربعة وجعل ركنا فمن نظر آخر خارج عن شكل البيت وصورته فهو بمنزلة من يطلب أمراً فيرى ما يشبهه فيقول هو هو وإن كان هو اعتبار صحيح ولكن ما له هذا الظهور في الشبه لأن الصورة لا تشهد له أعني صورة البيت الذي هو المقصود بالحج لا غير

(وصل في فصل الإحرام أثر صلاة)

وهو مستحب عند العلماء فرضاً كان أو نفلاً غير أن بعضهم يستحب أن يتفعل له بركتين فإنه أولى إذ كانت السنة من النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في ذلك والسنة أحق بالاتباع فإنه لهذا سنت وقد قال خذوا عني مناسككم في حجه صلى الله عليه وسلم إنما شرع الإحرام أثر صلاة لأن الصلاة عبادة بين طرفي تحريم وتحليل فتحريمها التكبير وتحليلها التسليم فأشبهت الحج والعمرة فإنهما عبادتان بين طرفي تحريم وتحليل فوقع المناسبة ولأن الصلاة أيضاً أثبت الحق فيها نفسه وعبدته على السواء فجعل لنفسه منها أمراً مفرد به وجعل لعبدته منها حظاً مفرد به وجعل منها برزخاً أوقع فيه الاشتراك بينه وبين عبده فإنها عبادة مبنية على أقوال وأفعال والحج كذلك يبنى على أقوال وأفعال فما فيه من التعظيم فهو لله ومن الذلة والافتقار والتفت فهو للعبد وما فيه مما يظهر فيه اشتراك فهو برزخ فوقع المناسبة أيضاً فيه أكثر من غيره من العبادات فإن الصوم وإن كان بين طرفي تحريم وتحليل فما يشتمل على أقوال ولا على أفعال ثم إن كان لك أهل في موضع إحرامك فينبغي لك إذا أردت الإحرام أن تطأ أهلك فإن ذلك من السنة ثم تغتسل وتصلي وتحرم فإن المناسبة بين الحج والصلاة والنكاح كون كل واحد من هذه العبادات بين طرفي تحريم وتحليل وقد راعى الله ذلك أعني المناسبة من هذا الوجه في الصلاة والنكاح فقال حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى الآيتين وجعل هذه الآيتين بين آيات نكاح وطلاق تتقدمها وتتأخر عنها وعدة وفاة وفي ظاهر الأمر أن هذا ليس موضعها وما في الظاهر وجه مناسب للجمع بينها وبين ما ذكرنا إلا كونهما بين طرفي تحريم وتحليل متقدم أو متأخر ولما أراد الله من العبد فيما نبه به أن لا يفعل شيئاً من الأفعال الصادرة منه في ظاهر الأمر إلا وهو يعلم أن الله هو الفاعل لذلك الفعل في قوله كنت سمعته وبصره فبي بسمع وبصره وبي يتحرك وقال في الصلاة إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فنسب القول إليه لا إلى العبد ولم يقل بلسان عبده فلماذا شرع الإحرام عقيب صلاة لينتبه الإنسان بما ذكرناه أنه بره في جميع حركاته وسكناته على اختلاف أحكامها فيكون في عبادة دائماً بهذا الحضور ويكون فيها لا فيها

الأكوان في أعيانها فاعبده به فالله أظهر نفسه بحقائق
فانظر إلى قولي لعلك تتنبه إن كنت تعبده فلست بعابد

وتفطن فإن الله ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى سدى بل قال ذلك لتعرف أنت وأمثالك صورة
الأمر كيف هو فالإحرام للعبد نظير التنزيه للحق وهو قولك في حق الحق ليس كذا وليس كذا لكونه قال ليس كمثله شيء وسبحان ربك
رب العزة عما يصفون والعزة الامتناع والتسيح تنزيه والتنزيه بعد عما نسب إليه من الصاحبة والولد وغيرهما والإحرام منع وتنزيه وبعد
عن الجماع وعن أشياء قد عين الشارع اجتنابها وهو عين التنزيه والتباعد عنها ومنع صاحب هذه العبادة من الاتصاف بها
(وصل في فصل نسبة المكان إلى الحج من ميقات الإحرام)

أي من أي مكان أحرم عليه السلام فمنهم من قال من مسجد ذي الحليفة ومنهم من قال حين استوت به راحلته ومنهم من قال حين أشرف
على البيداء وكل قال وأخبر عن الوقت الذي سمعه فيه يهل فمنهم من سمعه يهل عقيب الصلاة من المسجد ثم سمعه آخر يهل حين استوت به
راحلته ثم سمعه آخر يهل حين أشرف على البيداء وقال علماء الرسوم في المكى إذا أحرم لا يهل حتى يأخذ في الروح إلى منى والأولى عندي
أن يهل عقيب الصلاة إذا أحرم ثم إذا أخذ في الروح ثم لا يزال يهل إلى الوقت المشروع الذي يقطع عنده التلبية لأن الدعاء كان لجميع أفعال الحج
فالتلبية إجابة لذلك الدعاء فما بقي فعل من أفعال الحج أمامه لم يفعله فلا يقطع التلبية حتى يفرغ من أفعال الحج الذي دعاه إلى فعلها هذا
يقتضي النظر إلا أن يرد نص من الشارع بتعيين وقت قطع التلبية فيقف عنده لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم ولما كان
الدعاء عند أهل الله نداء على رأس البعد وروح بعين العلة فإن الإجابة تؤذن في الحال بالبعد فكان النداء طلبا للقرب من حكم هذا البعد
فالإجابة مقدمة بشرى من العبد للحق يبشره بالإجابة لما دعاه إليه من كونه يتجلى في صورة تعطي هذه النسب وإن كانت السعادة للعبد في
تلك الإجابة ولكن ما خلق الله الجن والإنس إلا ليعبده فدعاهم لما خلقهم له ولما كان في الإمكان الإجابة وعدم الإجابة لذلك كانت
الإجابة بشرى للداعي أن دعاه مسموع وأمره مطاع حين أبي غيره وامتنع ممن سمع الدعاء وربما يدخل في هذا من يقول بالتراخي مع
الاستطاعة والأولى بكل وجه المبادرة عند الاستطاعة وارتفاع الموانع فجعل قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان في مقابلة هذه
البشرى بالإجابة جزاء وقال لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة جزاء أيضا مؤكدا لبشراهم بإجابة داعي الحق بالعبادات فقالوا ليك
أي إجابة لك لما دعوتنا إليه وخلقنا له فلم يرجع داعي الحق خائبا ثم حققوا الإجابة بما فعلوه مما كلفوه على حد ما كلفوه من نسبة الأعمال
إليهم وفنائهم عن رؤيتها منهم بروية مجربها على أيديهم ومنشئها فيهم فهم عمال لأعمال كذا هو الأمر في الحقيقة اطلع العباد على ذلك أو لم
طلعوا فشرف العالم بالاطلاع على من لم يطلع وفضل عليه يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خير والله
يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

(وصل في فصل المكّي يحرم بالعمرة دون الحج)

فإن العلماء أئزموه بالخروج إلى الحل ولأعرف لهم حجة على ذلك أصلا واختلفوا إذا لم يخرج إلى الحل فقيل عليه دم وقيل لا يجزيه ووقفت على ما احتجوا به في ذلك فلم أراه حجة فيما ذهبوا إليه والذي أذهب إليه في هذه المسألة أن المكّي يجوز له أن يحرم من بيته بالعمرة كما يحرم بالحج سواء ويفعل أفعال العمرة كلها من طواف وسعى وحلق أو تقصير ويحل ولا شيء عليه جملة واحدة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقت المواقيت لمن أراد الحج والعمرة ولم يفرق بين حج ولا عمرة قال ميقات أهل مكة من مكة وما يلزم من الأفعال في نسك العمرة فعل وما يلزم من نسك الحج فعل وما خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط الجمع بين الحل والحرم وإنما شرع ذلك للأفاقي لالمكّي فقال لعبد الرحمن بن أبي بكر أخرج بعائشة إلى التنعيم من أجل أن تحرم بالعمرة مكان عمرتها التي رفضتها حين حاضت وعائشة آفاقية وهذا هو دليل العلماء فيما ذهبوا إليه وهو دليل في غاية الضعف لا يحتج بمثل هذا على المكّي والأوجه في تمشية الحكمة في المكّي أن لا يخرج إلى الحل إذا أحرم بالعمرة فإنه في حرم الله تعالى فهو في عبودية مشاهدة قد منعه الموطن أن يكون غير عبد ثم أكد تلك العبودية بالإحرام فهو إحرام في حرم تأكيد للعبودية وإجلال للربوبية فإذا خرج إلى الحل نقص عن هذه الدرجة والمطلوب الزيادة في الفضل ألا ترى الأفريقي لما خرج إلى الحل هناك أحرم فلم يكن المطلوب منه في خروجه أن يبقى على إحلاله ثم دخل في الحرم محرما فزاد فضلا على فضل فكان المطلوب الزيادة فالمكّي في حرم الله أي موجود في عين القرب من الله بالمكان فلما ذا يخرج والقرب بيته وموطنه حاشا الشارع أن يرى هذا وكذلك ما قاله ولا رآه ولا أمر به والأفاقي لما كان همه متعلقا بموطنه الخارج عن الحرم كان خروجه إلى الحل من أجل الإحرام بالعمرة كالعقوبة له لما كانت الهمة به متعلقة فإنه في نية المغارفة لحرم الله وطلب موطنه الخارج عنه فخرج من الأفضل إلى ما هو دونه وأين جار الله ممن ليس بجاره والله قد وصى بالجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه يعني يلحقه بالقرابة أصحاب السهام في الوارث وكذلك في الحج واتفق من نسك الحج الوقوف بعرفة وعرفة في الحل وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما شرع الوقوف بعرفة إلا لكونها في الحل ولا بد للمحرم أن يجمع بين الحل والحرم ما تعرض الشارع إلى شيء من ذلك ولو كان مقصوده لأبان عنه وما ترك الناس في عماية بل بين صلى الله عليه وسلم في المواقيت ما ذكرناه فوصف المناسك وعينها وأحوالها وأماكنها وأزمانها فالله يلهمنا رشد أنفسنا ويجعلنا ممن اتبع وتأسى آمين بعزته والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(وصل في فصل متى بقطع الحاج التلبية)

فمن قائل إذا زاغت الشمس من يوم عرفة وهو عند الزوال ومن قائل حتى يرمي جمرة العقبة كلها ومن قائل حين يرمي أول حصاة من جمرة العقبة وقد تقدم قولنا في ذلك وهو أنه ما بقي عليه فعل من أفعال الحج فلا يقطع التلبية حتى يفرغ منه فإن الله يدعوه ما بقي عليه فعل من أفعال الحج فالإجابة لازمة وما ثم نص من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فإنه غاية ما وصل إلينا أن الواحد ما سمعه يلي بعد ما زاغت

الشمس والآخر ما سمعه يلي حين رمى أول حصاة من جمرة العقبة والآخر ما سمعه يلي بعد آخر رميه حصاة من آخر جمرة العقبة فصدق كل واحد منهم في أنه ما سمع مثل قولهم في الإهلال بالحج سواء عند الإحرام والكل ثقات فيما ذكروه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع اتصال التلبية زمان الحج من غير فتور بحيث أن لا يتفرغ إلى كلام ولا إلى ذكر بل كان يلي وقتا ويذكر وقتا ويستريح وقتا ويأكل وقتا ويحطب وقتا فسرد التلبية ما هو مشروع وإن أكثر منها فلا بد من قطع في أثناء أزمان الحج فهذا كله ليس بخلاف وكذلك المعتبر لا يقطع التلبية عندنا ما بقي عليه فعل من أفعال العمرة عندنا فإن الذين قالوا إن الحرم بالعمرة يخرج إلى الحل منهم من قال يقطع التلبية إذا انتهى إلى الحرم يعني المسجد ومنهم من قال إذا افتتح الطواف واعلم أنه ما من فعل من أفعال الحج والعمرة يشرع فيه الحرم إلا والحق يدعوه إلى فعل ما بقي من الأفعال لا بد من ذلك فكما يلزمه الإجابة ابتداء إلى الفعل يلزمه الإجابة إلى كل فعل حتى يفعله فإن الحرم قد دخل في الحج من حين أحرم وما قطع التلبية وطاف بالبيت وما قطع التلبية وسعى وما قطع التلبية وخرج إلى عرفة وما قطع التلبية وما بعض الأفعال المفروضة بالمرعاة أولى من بعض وكذلك المسنونة ما بعضها أولى من بعض في المرعاة إذ لم يرد نص يوقف عنده من الشارع ففي الفرائض إجابة الله وفي السنن إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله يقول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ فَإِنَّ الرَّسُولَ دَاعٍ بِأَمْرِ اللَّهِ فَاللَّهُ هُوَ الْحَاجِبُ وَعَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الْمُصَلِّي الَّذِي دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَجِبْهُ حِينَ دَعَاهُ وَالْمَدْعُو فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ وَالتَّلِيَّةُ إِجَابَةٌ وَأَفْعَالُ الْحَجِّ مَا بَيْنَ مَفْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ وَإِذَا أَنْصَفْتَ فَقَدْ بَانَ لَكَ الْحَقُّ فَالْحَقُّ مَا لَمْ يَزَلْ يَسْمَعُونَ دَعَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَالمرجع إليه وأما العارفون فإنهم لا يقطعون التلبية لا في الدنيا ولا في الآخرة فإنهم لا يزالون يسمعون دعاء الحق في قلوبهم مع أنفاسهم فهم ينتقلون من حال إلى حال بحسب ما يدعوههم إليه الحق وهكذا المؤمنون الصادقون في الدنيا بما دعاهم الشرع إليه في جميع أفعالهم وإجاباتهم هي العاصمة لهم من وقوعهم في محذور فهم ينتقلون أيضا من حال إلى حال لدعاء ربهم إياهم فهو داعٍ أبداً والعارف غير محبوب السمع فهو محبب أبداً جعلنا الله ممن شق سمعه دعاء ربه وشق بصره لمشاهدة تجليه فالتجلي دائم لا ينقطع فشهود الحق ما لا يرتفع فدوام لدوام واهتمام لاهتمام وانتقال لمقام وهو أعلى من مقام انتقلت منه من وجه يرجع إليك وما هو أعلى من وجه يرجع إلى الحق فإن الأمور إذا نسبتها إلى الحق لم تتفاضل في الشرف وإذا نسبتها إليك تتفاضلت في حقك والمكمل عندنا من تكون الأمور بالنسبة إليه كما تكون بالنسبة إلى الله وهو الذي يرى وجه الحق في كل أمر وهذا الباب ما رأيت له ذائقا فيما نقل إلينا جملة واحدة ولا بد أن يكون له رجال لا بد من ذلك ولكمهم قليلون فإن المقام عظيم والخطب جسيم وكنت أتخيل في بعض المقتدين بنا أنه حصله فجاءني منه يوما عتاب في أمر شهد عندي ذلك الخطاب أنه ما حصله

(وصل في فصل الطواف بالكعبة)

وصفته أن يجعل البيت عن يساره ويمتدئ فيقبل الحجر الأسود إن قدر عليه ثم يسجد عليه أو يشير إليه إن لم يتمكن له الوصول إليه ويتأخر عنه قليلا بحيث أن يدخله في الطواف بالمرور عليه ثم يمشي إلى أن ينتهي إليه يفعل ذلك سبع مرات يقبل الحجر في كل مرة ويمس الركن اليماني الذي قبل ركن الحجر بيده ولا يقبله فإن كان في طواف القدوم فيرمل ثلاثة أشواط ويمشي أربعة أشواط ولكن في أشواط رملة يمشي قليلا بين الركنين اليمانيين ويقول رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ إلى أن تفرغ سبعة أشواط كل ذلك بقلب حاضر مع الله ويخيل أنه في تلك العبادة كالحافين من حَوْلِ العَرْشِ يَسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فيلزم التسبيح في طوافه والتحميد والتهليل وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولنا في ذلك

ذات تصد وذات ما لها صارف	جسم يطوف و قلب ليس بالطائف
هذا الإمام الهمام الهمهم العارف	يدعى وإن كان هذا الحال حليته
قلبي له من خفايا مكره خائف	هيئات هيئات ما اسم الزور يعجبني

ولقد نظرت يوما إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها وزمزم يسألني التضلع من مائه رغبة في الاتصال بالمؤمن سؤال مسموع بالأذن فخفنا من الحجاب بهما لعظيم مكانتهما من الحق عما نحن عليه في أحوالنا من القرب الإلهي الذي يليق بذلك الموطن في معرفتنا فأنشدهما مخاطبا ومعرفا بما هو الأمر عليه مترجما عن المؤمن الكامل

كم تسألني الوصل صه ثم مه	يا كعبة الله و يا زمزمه
فرحمة لا رغبة فيكمه	إن كان وصلي بكما واقعا
ذات ستارات التقى المعلمة	ما كعبة الله سوى ذاتنا
أرض و لا كلم من كلمه	ما وسع الحق سماء و لا
فإنه قبلتنا المحكمة	ولاح للقلب فقال اصطبر
منافيا بيتي ما أعظمه	منكم إلينا و إلى قلبكم
و حبنا فرض عليكم و مه	فرض على كعبتنا حبكم
سواك يا عبدي بأن تلزمه	ما عظم البيت على غيره
بها و أبيات الورى مظلمه	قد نور الكعبة تطوافكم
لولاكمو كان لهم مشأمه	ما أصبر البيت على شركهم
بالصبر تحقيقا و بالمرحمة	لكنكم في تواصيتما

أشده حبا و ما أعلمه ما أعشق القلب بذاتي وما

وكانت بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي بها مراسلة و توسلات و معاتبة دائمة و قد ذكرت بعض ما كان بيني وبينها من المخاطبات في جزء سميناه تاج الرسائل و منهاج الوسائل يحتوي فيما أظن على سبع رسائل أو ثمان من أجل السبعة الأشواط لكل شوط رسالة مني إلى الصفة الإلهية التي تجلت لي في ذلك الشوط ولكن ما عملت تلك الرسائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث و ذلك أنني كنت أفضل عليها نشأتي و اجعل مكاتها في مجلى الحقائق دون مكاتي و اذكرها من حيث ما هي نشأة جمادية في أول درجة من المولدات و أعرض عما خصها الله به من علو الدرجات و ذلك لارقي همتها و لا تحجب بطواف الرسل و الأكابر بذاتها و تقبيل حجرها فإنني على بينة من ترقى العالم علوه و سفله مع الأنفاس لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة فإن الأصل الذي يرجع إليه جميع الموجودات و هو الله و وصف نفسه إنه كل يوم هو في شأن فمن الحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانين فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤون الإلهية و كان ذلك مني في حقها لغلبة حال غلب علي فلا شك أن الحق أراد أن ينبهني على ما أنا فيه من سكر الحال فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة فيها رش مطر فتوضأت و خرجت إلى الطواف بانزعاج شديد و ليس في الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظن انتهى الجزء السادس والستون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل) فيما جرى من الكعبة في حقي في تلك الليلة و ذلك أنني لما نزلت قبلت الحجر و شرعت في الطواف فلما كنت في مقابلة الميزاب من وراء الحجر نظرت إلى الكعبة فرأيتها فيما تخيل لي قد شمرت أذيالها و استعدت مرتفعة عن قواعدها و في نفسها إذا وصلت بالطوال إلى الركن الشامي إن تدفني بنفسها و ترمي بي عن الطواف بها و هي تتعدني بكلام أسمعها بإذني فيجزعت جزعا شديدا و أظهر الله لي منها حرجا و غيظا بحيث لم أقدر على إن أريح من موضعي ذلك و تسترت بالحجر ليقع الضرب منها عليه جعلته كالجن الحائل بيني وبينها و أسمعها والله و هي تقول لي تقدم حتى ترى ما أصنع بك كم تضع من قدري و ترفع من قدر بنى آدم و تفضل العارفين علي و عزة من له العزة لا تركك تطوف بي فرجعت مع نفسي و علمت إن الله يريد تأديبي فشكرت الله على ذلك و زال جزعي الذي كنت أجده و هي والله فيما يخيل لي قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال كما يتشمر الإنسان إذا أراد أن يشب من مكانه يجمع عليه ثيابه هكذا خيلت لي قد جمعت ستورها عليها لتب علي و هي في صورة جارية لم أر صورة أحسن منها و لا يتخيل أحسن منها فارتجلت آياتا في الحال أخاطبها بها و أستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها فما زلت أثنى عليها في تلك الآيات و هي تتسع و تنزل بقواعدها على مكانها و تظهر السرور بما أسمعها إلى أن عادت إلى حالها كما كانت و أمنتني و أشارت إلي بالطواف فرميت بنفسي على المستجار و ما في مفصل إلا و هو يضطرب من قوة الحال إلى أن سرى عني و صالحتها و أودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر فخرجت الشهادة عند تلفظي بها و أنا

أنظر إليها بعيني في صورة سلك وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق حتى نظرت إلى قعر طول الحجر فرأيتة نحو ذراع فسألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه فقال لي رأيتة كما ذكرت في طول الذراع ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر إليه فقالت لي هذه أمانة عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة أشهد لك بها عند الله هذا قول الحجر لي وأنا أسمع فشكرت الله ثم شكرتها على ذلك ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها و خاطبتها بتلك الرسائل السبعة فزادت بي فرحا وابتهاجا حتى جاءني منها بشرى على لسان رجل صالح من أهل الكشف ما عنده خبر بما كان بيني وبينها مما ذكرته فقال لي رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي يا عبد الواحد سبحان الله ما في هذا الحرم من يطوف بي إلا فلان وسمتك لي باسمك ما أدري أين مضى الناس ثم أقمت لي في النوم وأنت طائف بها وحدك لم أرى معك في الطواف أحدا قال الراي فقالت لي انظر إليه هل ترى بي طائفا آخر لا والله ولا أراه أنا فشكرت الله على هذه البشرية من مثل ذلك الرجل وتذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وأما الأبيات التي استترلت بها الكعبة فهي هذه

لما أتاه سهم الأعادي	بالمستجار استجار قلبي
أودعك الله في الجماد	يا رحمة الله للعباد
يا قرة العين يا فؤادي	يا بيت ربي يا نور قلبي
يا حرمتي يا صفا ودادي	يا سر قلب الوجود حقا
من كل ربع و كل وادي	يا قبلة أقبلت إليها
و من فناء فمن مهاد	و من بقاء فمن سماء
يا منهج السعد يا رشادي	يا كعبة الله يا حياتي
من فزع الهول في المعاد	أودعك الله كل أمن
فيك السعادات للعباد	فيك المقام الكريم يزهو
خطيئي جدة السواد	فيك اليمين التي كستها
هواه يسعد يوم التناد	ملتزم فيك من يلزم
من ألم الشوق و البعاد	ماتت نفوس شوقا إليها
قد لبست حلة الحداد	من حزن ما نالها عليهم
من نوره للفؤاد بادي	لله نور على ذراها

قد كحل العين بالسهاد و ما يراه سوى حزين
من أول الليل للمنادي يطوف سبعا في أثر سبع
رهين وجد حلف اجتهاد بعبرة ما لها انقطاع
من جانب الحجر آه فؤادي سمعته قال مستغيثا
وما انقضى في الهوى مرادي قد انقضى ليلنا حيثما

ولما نسب الله العرش إلى نفسه وجعله محل الاستواء الرحماني فقال الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى جعل الملائكة حافين به من حول العرش بمنزلة الحرس حرس الملك و الملازمين بابه لتنفيذ أوامره وجعل الله الكعبة بيته ونصب الطائفين به على ذلك الأسلوب وتميز البيت على العرش وعلى الضراح و سائر البيوت الأربعة عشر بأمر ما نقل إلينا إنه في العرش ولا في غير هذا من البيوت وهو الحجر الأسود يمين الله في الأرض لنبأيه في كل شوط مبايعة رضوان وبشرى بقبول لما كان منا في كل شوط مما هولنا أو علينا فما لنا فقبول وما علينا فغفران فإني رأيت في واقعة والناس به طائفون و شرر النار يتطاير من أفواههم فاولته كلام الطائفين في الطواف به بما لا ينبغي فإذا انتهينا إلى اليمين الذي هو الحجر استشعرنا من الله سبحانه بالقبول فبايعناه وقبلنا يمينه المضافة إليه قبلة قبول فرح واستبشار هكذا في كل شوط فإن كثرت الأزدحام عليه لتجليها في صورة محسوسة محصورة أشرنا إليه أعلاما بأننا نريد تقبيله وأعلاما بعجزنا عن الوصول إليه ولا نقف ننتظر النبوة حتى تصل إلينا فنقبله لأنه لو أراد ذلك منا ما شرع لنا الإشارة إليه إذا لم تقدر عليه فعلنا أنه يريد منا اتصال المشي في السبعة الأشواط من غير أن يتخللها وقوف الإقذار التقبيل في مرورنا إذا وجدنا السبيل إليه ونحن نعلم أن يمين الله مطلقة ونحن في قبضتها وما بيننا وبينها حجاب ولكن لما ظهرت في مظهر عين محصورة يعبر عنها بالحجر قيدها استعداد هذه العين المسماة حجر النسبة ظهور اليمين بها فأثرت الضيق والحصر مع أنها يمين الله لا شك ولكن على الوجه الذي يعلمه سبحانه من ذلك فصح النسب ومن هنا يعرف قولنا إنه ما في الوجود إلا الله والأعيان الإمكانية على أصلها من العدم متميزة لله في أعيانها على حقائقها وأن الحق هو الظاهر فيها من غير ظرفية معقولة فيظهر بصورة تلك العين لو صح أن توجد لكأنت بهذه الصورة في الحس فانظر ما أعجب أمر الوجود فعين المستفيد للوجود عين المفيد فإن كانت الاستفادة غير الوجود وهي الصورة فالمستفيد الظاهر والمفيد العين لأن الصورة التي ظهر بها الظاهر هي صورة عين المظهر حقيقة فكل حكم ينسب إلى الظاهر إنما هو منها وأفادها الظاهر بظهوره حكم التأثير فيه إذ لم يكن لها ذلك الحكم إذ كانت ولا تجل في صورتها ولا ظهور وإنما بينا لك ذلك لتعرف من هو الطائف والمطوف به والحجر والمقبل فتكون بحسب ما علمت من ذلك فعلك عين صورتك وفيها تحشر روحك يوم القيامة وبذلك يتميز في الزور الأعظم فلا يفوتك علم ما نبهتك عليه والسلام

(وصل في فصل حكم الرمل في الطواف)

فقول بأنه سنة فأوجب فيه على من تركه الدم وقول بأنه فضيلة فلا يجب في تركه شيء وأعني في طواف القدوم الرمل إسراع في نفس الخير إلى الخير فهو خير في خير وذلك لحكمة استعجال إدراك علم الأمر الإلهي فإن الله تعالى يقول وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمِجٍ بِالْبَصْرِ فَإِنَّ الْبَصَرَ لَا شَيْءَ أَسْرَعَ مِنْهُ فَإِنَّ زَمَانَ لِحْتَهُ عَيْنَ زَمَانٍ تَعْلُقُهُ بِالْمَلْمُوحِ وَلَوْ كَانَ فِي الْبَعْدِ مَا كَانَ وَأَبْعَدَ الْأَشْيَاءِ فِي الْحَسِّ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ الَّتِي فِي فَلَكَ الْمَنَازِلِ وَعِنْدَ مَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا يَتَعَلَّقُ بِاللِّحْيَةِ بِهَا فَهَذِهِ سُرْعَةُ الْحَسِّ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَعَانِي الْمَجْرَدَةِ عَنِ التَّقْيِيدِ فِي سُرْعَةِ نَفُوذِهَا فَإِنَّ السَّرْعَةَ حَكْمًا فِي الْأَشْيَاءِ لَا يَكُونُ لغيرِ السَّرْعَةِ وَمِنْ هُنَا يَعْرِفُ قَوْلَ الْحَقِّ لِلشَّيْءِ كَيْفَ يَكُونُ فَحَالُ كَيْفِ الْإِلَهِيَّةِ حَالُ الْمَكُونِ الْمَخْلُوقِ وَهَذَا أَسْرَعُ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُرُوفِ فِي ذَلِكَ فَأَمَّا التَّقْيِيدُ فَهَذَا جَاءَ بِهَا فِي جَوَابِ الْأَمْرِ فَإِنَّ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صُورَةَ نَشْءِ الْعَالَمِ وَظُهُورَهُ وَسُرْعَةَ نَفُوذِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فِيهِ وَمَا أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ وَالْبَصَائِرُ مِنْهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَجِدُثُ فِي الْهَوَاءِ مِنْ سُرْعَةِ الْحَرَكَةِ بِجَمْرَةِ النَّارِ فِي يَدِ الْمُحْرِكِ لَهَا إِذَا أَرَادَهَا فَتَحَدَّثُ فِي عَيْنِ الرَّائِي دَائِرَةً أَوْ خَطًّا مَسْتَقِيمًا إِنْ أَخَذَ بِالْحَرَكَةِ طَوِيلًا أَوْ أَيْ شَكْلًا شَاءَ وَلَا تَشْكُ أَنْكُ أَبْصَرْتَ دَائِرَةَ نَارٍ وَلَا تَشْكُ أَنْ مَا تَمَّ دَائِرَةً وَإِنَّمَا أَنْشَأَ ذَلِكَ فِي نَظْرِكَ سُرْعَةَ الْحَرَكَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ وَمَا أَمْرُنَا وَهُوَ قَوْلُهُ كَيْفَ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَالْجَمْرَةِ كَلَّمِجٍ بِالْبَصْرِ إِدْرَاكِ الدَّائِرَةِ وَمَا هِيَ دَائِرَةٌ فَذَلِكَ عَيْنَ الصُّورَةِ الْمَخْلُوقَةِ الظَّاهِرَةِ لِإِدْرَاكِ الْعَيْنِ فَتَحْكُمُ مِنْ حَيْثُ نَظَرْتَ بِبَصْرِكَ وَبَصِيرَتِكَ وَفَكَّرْتَ إِنَّهُ خَلَقَ وَبَعَلَمَكَ وَكَشَفْتَ أَنَّهُ حَقٌّ مَخْلُوقٌ بِهِ مَا ظَهَرَ لِعَيْنِكَ مِمَّا لَيْسَ هُوَ فَهَذَا عَدَمٌ فِي عَيْنٍ وَجُودٌ فَانظُرْ مَا أَطْفَأَ هَذَا الْإِدْرَاكَ مَعَ كَوْنِ الْحَسِّ مَحَلًّا لظُهُورِهِ عَلَى تَقْيِيدِهِ وَكثافته وقصوره فما ظنك بما هو الأمر عليه بالنسبة إلى جناب الحق فسبحان من يكلم نفسه بنفسه في أعيان خلقه كما قال فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ سَمِعَ اللَّهُ مَنْ حَمَدَهُ فَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ وَالْقَائِلُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حَقِّقْ يَا أُخِي نَظْرَكَ فِي سُرْعَةِ الْبَرْقِ إِذَا بَرَقَ فَإِنَّ بَرْقَ الْبَرْقِ إِذَا بَرَقَ كَانَ سَبَبًا لِانْصِبَاغِ الْهَوَاءِ بِهِ وَانْصِبَاغِ الْهَوَاءِ بِهِ سَبَبٌ لظُهُورِ أَعْيَانِ الْحَسُّوسَاتِ بِهِ وَظُهُورِ أَعْيَانِ الْحَسُّوسَاتِ بِهِ سَبَبٌ فِي تَعَلُّقِ إِدْرَاكِ الْأَبْصَارِ بِهَا وَالزَّمَانِ فِي ذَلِكَ وَاحِدٌ مَعَ تَعَلُّقِكَ تَقَدَّمَ كُلُّ سَبَبٍ عَلَى مَسْبُوبِهِ فَزَمَانُ إِضَاءَةِ الْبَرْقِ عَيْنُ زَمَانِ انْصِبَاغِ الْهَوَاءِ بِهِ عَيْنُ زَمَانِ ظُهُورِ الْحَسُّوسَاتِ بِهِ عَيْنُ زَمَانِ إِدْرَاكِ الْأَبْصَارِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا فَسَبْحَانَ مَنْ ضَرَبَ الْأَمْثَالَ وَنَصَبَ الْأَشْكَالَ لِيَقُولَ الْقَائِلُ ثُمَّ وَمَا ثُمَّ أَوْ مَا ثُمَّ فَوْعِزَةً مِنْ لَهْ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ مَا ثُمَّ إِلَّا اللَّهُ الْوَاجِبُ الْوَجُودِ الْوَاحِدُ بِذَاتِهِ الْكَثِيرِ بِأَسْمَائِهِ وَأَحْكَامِهِ الْقَادِرُ عَلَى الْخَالِ فَكَيْفَ الْإِمْكَانِ وَالْمُمْكِنِ وَهُمَا مِنْ حَكْمِهِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْهُ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وَهَذَا سَنَ الرَّمْلِ ثَلَاثًا لَا زَائِدَ وَلَا نَاقِصَ الْوَاحِدِ لَهُ وَالثَّلَاثُ لَمَّا ظَهَرَ وَالثَّانِي بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثُ السَّبَبُ لظُهُورِ مَا ظَهَرَ عَنْهُ لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِذَا حَقَّقْتَ مَا رَأَيْتَ رَأَيْتَ أَنَّ ثَمَّ مَا رَأَيْتَ فَيُخْرِجُ إِدْرَاكَ الْعَقْلِ لِلْأُمُورِ الْمَعْقُولَةِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِثْلَةَ الشَّكْلِ وَهِيَ الْمَقْدَمَاتُ الْمُرَكَّبَةُ مِنَ الثَّلَاثَةِ لِإِتِّجَاعِ الْمَطْلُوبِ وَكَذَلِكَ فِي الْحَسِّ حَسٌّ وَمَحْسُوسٌ وَتَعَلُّقُ الْحَسِّ بِمَحْسُوسٍ لَا يَدْرِي هَلْ الْحَسُّ تَعَلُّقٌ بِالْحَسُّوسِ أَوْ الْحَسُّوسُ انْطَبَعُ فِي الْحَسِّ قَصْرَ الْعَقْلِ وَاللَّهُ وَخَسْنَ الْفِكْرِ وَحَارَ الْوَهْمِ وَطَمَسَ الْفَهْمَ فَالْأَمْرُ عَظِيمٌ وَالخُطْبُ جَسِيمٌ وَالشَّرْعُ نَازِلٌ وَالْعَقْلُ قَابِلٌ وَالْأَمْرُ نَافِذٌ وَالْحَوَادِثُ تَحْدُثُ وَالْقُوِي قَائِمَةٌ وَالْمَوَازِينُ مَوْضُوعَةٌ وَالْكَلِمَاتُ لَا تَنْفَدُ وَالْكَاتِبَاتُ لَا تَبْعُدُ وَمَا ثُمَّ شَيْءٌ مَعَ هَذَا الْمَعْلُومِ الْمُتَعَدِّدِ وَالْعَيْنِ وَاحِدَةً وَالْأَمْرَ وَاحِدًا حَارَتِ الْحَيْرَةُ فِي نَفْسِهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ مِنْ يَحَارِبُهَا فَالْحَيْرَةُ الَّتِي يَتَخَيَّلُ أَنَّ الْعَالَمَ

موصوف بها ليس كما تخيلت بل ذلك حيرة الحيرة فما ثم إلا هو والحيرة كلك والله الألسنة عما علمته الأفتدة أن تعبر عن ذلك وكلت والله الأفتدة عن عقل ما هو الأمر عليه فلا تدري هل هي الحائرة أم لا والحيرة موجودة ولا يعرف لها محل تقوم به فلن هي موجودة وفيمن ظهر حكمها وما ثم إلا الله

وما ثم ثم إذ كانت العين واحدة وما ثم إلا الله لا شيء غيره
وإن لم تكن لله بالله ساجدة لذلك قلنا في الذوات بأنها

(وصل في فصل منه)

اختلف العلماء في أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا أو لا فقال قوم كل طواف قبل عرفة مما يوصل بسعي فإنه يرمل فيه وقال قوم باستحباب ذلك وكان بعضهم لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت وهو مذهب ابن عمر على ما رواه مالك عنه إذا كانت العلة ما ذكرناها آنفا في الرمل تعين الرمل على أهل مكة وغيرهم ولا سيما والأمر في نفسه أن الإنسان تحت حكم كل نفس وكل نفس قادم وكل قادم فهو طائف وكل طواف قدوم فيه رمل هكذا هي السنة فيه لمن أراد أن يتبعها ومن جهل قدوم نفسه وأن الإنسان في كل حال مخلوق فهو قادم على الوجود من العدم لم ير عليه طوفا فإنه من أهل هذه الصفة كما هم أهل مكة من مكة

(وصل في فصل استلام الأركان)

فقال قوم وهم الأكثرون باستلام الركبتين فقط وقال جابر كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها وقال قوم من أهل السلف باستحباب استلام الركبتين في كل وتر من الأشواط وهو الأول والثالث والخامس والسابع وأجمعوا على إن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف واختلفوا في تقبيل الركن اليماني الثاني أما الاستلام وهو لمس الركن باليد على نية البيعة فلا يكون إلا في ركن الحجر في الحجر خاصة لكون الحق جعله يمينا له فلمسه بطريق البيعة ومن لم ير اللمس للبيعة وراه للبركة استلم جميع الأركان فإن لمسها والقرب منها كله بركة وما يختص ركن الحجر إلا بالبيعة والمصافحة وتقع المشاركة في البركة له مع سائر الأركان ففيه كونه ركنا وزيادة فمن راعى كونه ركنا أشرك في الاستلام معه الركن اليماني والركن الثالث هو في الحجر غير معين إذ لا صورة له في البيت والركن الشامي والعراقي ليسا بركبتين للبيت الأول الموضوع فلما لم يكونا بالوضع الأول الإلهي لم يكونا ركبتين فخالف حكمهما حكم الركبتين ومن رأى أن الأفعال كلها من الله رأى أن الذي عين الركنين والركن الثالث في الحجر بالوضع الأول هو الذي عين الأربعة الأركان بالوضع الثاني إذ لا واضع إلا الله فاستلم الأركان كلها من كونها أركاننا موضوعة بوضع إلهي وفق الله من شاء من المخلوقين لإظهارها على أيديهم ولكن لا دخول لهم من كونهم أركاننا في التقبيل والمصافحة فينبغي للطائف إذا قيل الحجر وسجد عليه بجهته كما جاءت السنة وصافحه بلمسه إياه بيده أن يستلم ركنه حتى يكون قد استلم الأركان كلها فإن لم يفعل فما استلم إلا أن يرى أن الحجر الأسود من جملة أحجار الركن فيكون عين مصافحته استلامه

(وصل في فصل الركوع بعد الطواف)

بمقام الخليل ثم رجعت	طففت بالبيت سبعة وركعت
لمقام الخليل ثم ركعت	لطوافي طففت سبعا وعدنا
يا حبيب القلوب حتى سمعت	لم أزل بين ذا وذاك أنادي
ها أنا ذا أجبت ثم أطعت	يا عبيدي فقلت لبيك ربي
إن باب القبول مني فتحت	فأمروا بالذي تشاءون مني

أجمع العلماء على أنه من سنن الطواف ركعتان بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتي بهما بعد انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع وأجاز بعضهم أن لا يفرق بين الأسابيع ولا يفصل بينهما بركوع ثم يركع لكل أسبوع ركعتين والذي أقول به إن الأولى أن يصلي عند انقضاء كل أسبوع فإن جمع أسابيع فلا ينصرف إلا عن وتر فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما انصرف من الطواف إلا عن وتر فإنه انصرف عن سبعة أشواط أو عن طواف واحد فإن زاد فينصرف عن ثلاثة أسابيع وهي أحد وعشرون شوطا ولا ينصرف عن أسبوعين فإنه شفع والأشواط أربعة عشر شوطا وهي شفع فجاء بخلاف السنة في طوافه من كل وجه فاعلم إن الطواف قد روي أنه صلاة أيج فيها الكلام وإن لم يكن فيه ركوع ولا سجود كما سميت صلاة الجنائز صلاة شرعا وما فيها ركوع ولا سجود وأقل ما ينطلق عليه اسم صلاة ركعة وهي الوتر وإذا انضاف إلى الطواف ركعتان كانت وترا مثل المغرب التي توتر صلاة النهار فأشبهه الطواف مع الركعتين صلاة المغرب وهي فرض فأوتر الحق شفعية العبد ولا يقال في الرابع من الأربعة إنه قد شفع وترية العبد فإن العبد ما له وترية في عينه فإنه مركب وكل مركب فقير فيحتاج إلى وتر يستند إليه لا ينفرد بشفعية في نفسه فلا يكون أبدا إلا وترا ثلاثة أو خمسة أو سبعة إلى ما لا يتناهى من الأفراد فإن كان رابعا أو سادسا فهو رابع ثلاثة لا رابع أربعة و سادس خمسة لا سادس ستة فهو واحد الأصل مضاف إلى وتر فما نسبته لإعينه إذ هو عين كل وتر لأنه بظهوره أبقى اسم الوترية على من أضيف إليه فقيل رابع ثلاثة لا رابع أربعة و رابع الثلاثة لا يكون إلا واحدا فسواء ورد على وتر أو على شفع الحكم فيه واحد فإنك تقول فيه خامس أربعة كما تقول رابع ثلاثة فما زالت الأحادية تصحبه في كل حال فهو مثل قوله كان الله ولا شيء معه وهو الواحد وهو الآن على ما عليه كان فأقام الآن مقام الأعداد والأعداد منها أشفاع ومنها أوتار فإذا أضفت الحق إليهما لم تجعله واحدا منها فتقول ثالث اثنين و رابع ثلاثة إلى ما لا يتناهى فتميز بذاته فالذي ثبت له من الحكم ولا عالم ثبت له والعالم كائن فتلك الأحادية المطلقة له في حال وجود العالم وفي حال عدمه فالطائف إن انفرد بالطواف كان وترا وإن أضاف إليه الركعتين كان وترا من حيث إنه صلاة يقوم مقام الركعة الواحدة ومن تم طوافه أشبه الصلاة الرباعية لوجود الثمان السجودات التي يتضمنها الأسبوع من السجود على الحجر عند تقيله بالحس وهي ثمان تقيلات في كل أسبوع عند الشروع فيه وفي كل شوط عند انقضائه فمن أقام الطواف بهذا الاعتبار على

الطريقين جوزي جزء صلاة الفريضة الرباعية و الثلاثية الجامعة للفرض و الوتر الذي هو سنة أو واجب فالأولى أن لا يؤخر الركعتين عن أسبوعهما و ليصلهما عند انقضاء الأسبوع فإن قرأ في الطواف كان كمن قرأ في الصلاة و من لم يقرأ فيه كان كمن يرى أن الصلاة تجزئ بلا قراءة و اعلم أن هاتين الركعتين عقيب الطواف إنما ولدها فيك الطواف فإن الطواف قام لك مقام الأفلاك التي هي السموات السبع لأنه شكل مستدير فلكي و كذلك الفلك فلما أنشأت سبعة أدوار في الطواف أنشأت سبعة أفلاك أوحى الله في كل سماء أمرها من حيث لا يشعر بذلك إلا عارف بالله فإذا أطلعك الله على ما أودع في هذه الأشواط الفلكية كنت طائفا ثم إنه جعل حركات السموات التي هي الأفلاك مؤثرة في الأركان الأربعة لايجاد ما يتولد منها فأنت الأركان الأربعة لأنك مركب من أربعة أخلاط و مجموعهما هو عين ذاتك الحسية التي هي الجسم فأنشأت فيك حركات هذه الأطواف السبعة الصلاة وهي المولدة من أركانك عنها و كانت ركعتان لأن النشأة المولدة مركبة من اثنين جسم و نفس ناطقة و هو الحيوان الناطق فالركعة الواحدة لحيوانيتك و الثانية للنفس الناطقة و لهذا جعل الله الصلاة نصفين نصفاً له و نصفاً للعبد و جعل الله لكل حركة دورية من هذا الأسبوع في الصلاة أثراً يعرف أنها متولدة عنه فظهر في الصلاة سبعة آثار جسمانية و سبعة آثار روحانية عن حركة كل شوط من أسبوع الطواف أثر فإنه شكل باق و فلك معنوي لا يراه إلا من يرى خلق الموجودات من الأعمال أعياناً فالآثار الموجودة السبعة الجسمانية في نشأة الصلاة القيام الأول و الركوع و القيام الثاني و هو الرفع من الركوع و السجود و الجلوس بين السجدين و السجود الثاني و الجلوس للتشهد و الأذكار التي في هذه الحركات الجسمانية سبعة هي أرواحها فقامت نشأة الصلاة كاملة و لما كان في النشأة الإنسانية أمر اختصه الله و فضله على سائر النشأة الإنسانية و جعله إماماً فيها و هو القلب كذلك جعل في نشأة الصلاة أمراً هو أرفع ما في الصلاة و هو الحركة التي يقول فيها سمع الله لمن حمده فإن المصلي فيها نائب عن الله كالقلب نائب عن الله في تدبير الجسد و هو أشرف هيئات الصلاة فإنه قيام عن خضوع عظمت فيه ربك في حضرة برزخية وهي أكمل النشآت لأنها بين سجود و قيام جامعة للطرفين و الحقيقتين فلها حكم القائم و حكم الساجد فجمعت بين الحكيمين و أثرها في القراءة في الصلاة أيضاً سباعي عن أثر كل شوط في الطواف و هي قراءة السبع المثاني أعني فاتحة الكتاب و سلطانها إِيَّاكَ تَعْبُدُ و إِيَّاكَ تَسْعِينُ فإنها برزخية بين الله و بين عبده فهي جامعة و السلطان جامع و ما قبلها الله مخلص و ما بعدها للعبد مخلص و أعلى المقامات إثبات إله و مألوه و رب و مربوب فهو كمال الحضرة الإلهية فما تمدح الإلها و لا شرفنا إلا به فنحن به و له وهي سبع آيات لا غير و هي القراءة الكافية في الصلاة و كما أن العبد هو الذي أنشأ في ذاته الأشواط السبعة المستديرة الشكل الفلكية و في ذاته أثرت إيجاد الصلاة و في ذاته ظهرت الصلاة بكاملها فلم يخرج عن ذاته شيء من ذلك كله كذلك الأمر في ظهور الحق في الأعيان اكتسب من استعداد كل عين ظهر فيها ما حكم على الظاهر فيها و العين واحدة فقيل فيه طائف أعطاه هذا الاسم هذه الصورة التي أنشأها و هو الطواف و قيل فيه مصل أعطاه هذا الحكم صورة الصلاة التي أنشأها في ذاته عن طوافه فهو هو و ما ثم غيره

و صفته بالذي وصفنا فلو رأيت الذي رأينا

بذا عرفناه إذ عرفنا من أنه واحد كثير
فالعين منه و النعت منا فنحن لا وهو ذو ظهور

وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب ما بقي في الحجر من البيت ولما ذابقاه الله فيه وبيننا الحكمة الإلهية في ذلك من رفع التحجير والتجلي الإلهي في الباب المفتوح لمن أراد الدخول إليه وذلك هو بيت الله الصحيح وما بقي منه بأيدي الحجة بني شيبه وقع في باطنه التحجير لأنه في ملك محدث وهو الموجود المقيد فلا بد أن يفعل ما تعطيه ذاته والحديث النبوي في ذلك مشهور والخلفاء والأمراء غفلوا عن مقتضى معنى قوله تعالى حين مسك رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح البيت الذي أخذه من بني شيبه فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِنَّ اللهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فَتَحِيلِ النَّاسَ أَنْ الْأَمَانَةُ هِيَ سِدَانَةُ الْبَيْتِ وَلَمْ تَكُنِ الْأَمَانَةُ إِلَّا مِفْتَاحُ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ مَلِكُ بَنِي شَيْبَةَ فَرَدَّ إِلَيْهِمْ مِفْتَاحَهُمْ وَأَبْقَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَلَايَةَ السِّدَانَةَ وَلَوْ شَاءَ جَعَلَ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ غَيْرَهُمْ وَلِلْإِمَامِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ إِذَا رَأَى فِي فِعْلِهِ الْمَصْلَحَةَ لَكِنَّ الْخُلَفَاءَ لَمْ يَرِيدُوا أَنْ يُؤَخَّرُوا عَنْ هَذِهِ الرَّتَبَةِ مِنْ قَرَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَهَمُّ مِثْلِ سَائِرِ وِلَاةِ الْمَنَاصِبِ إِنْ أَقَامُوا فِيهِ الْحَقَّ فَهَمُّ وَإِنْ جَارُوا فَعَلَيْهِمْ وَ لِلْإِمَامِ النَّظْرُ فَبَقِيَ بَيْتُ اللهِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ لَا حَكْمَ لِبَنِي شَيْبَةَ وَلَا غَيْرَهُمْ فِيهِ وَهُوَ مَا بَقِيَ مِنْهُ فِي الْحَجْرِ فَمَنْ دَخَلَ الْبَيْتَ وَمَنْ صَلَّى فِيهِ صَلَّى فِي الْبَيْتِ كَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَلَا يَحْتَاجُ الْعَارِفُونَ لِمَنْ بَنَى شَيْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاهُمْ بِمَا أَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهُ فِي الْحَجْرِ فَجَنَابُ اللهِ أَوْسَعُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ سِدْنَةٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا سِيَمَا مِنْ نَفُوسِ جَبَلَتِ عَلَى الشَّحِّ وَحُبِّ الرَّئَاسَةِ وَ التَّقَدُّمِ وَ لَقَدْ وَفَّقَ اللهُ الْحِجَابَ رَحِمَهُ اللهُ لِرَدِّ الْبَيْتِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ فَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ غَيْرُهُ وَأَدْخَلَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ وَجَهَلُوا حِكْمَةَ اللهِ فِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ

وَأَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَحْجَبَاتٍ وَبَابِ اللهِ مَبْذُولِ الْفَنَاءِ

(وصل في فصل وقت جواز الطواف)

فمن قائل بإجازة الطواف بعد صلاة الصبح والعصر وبه أقول وبسبب ذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وقد استقبل الكعبة وهو يقول يا مالكي أو قال يا ساكني الشك مني هذا البيت لا تمنعوا أحدا طاف به وصلى في أي وقت شاء من ليل أو نهار فإن الله يخلق له من صلواته ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة فمن ذلك الوقت قلت بإجازة الطواف في هذين الوقتين وكنت قبل هذه الرؤيا عندي في ذلك وقفة فإن حديث النسائي الذي يشبهه حديثنا رأيتهم قد توقفوا في الأخذ به فلما رأيت هذه المبشرة ارتفع عني الإشكال وثبت به عندي حديث النسائي وحديث أبي ذر الغفاري والحمد لله ومن قائل بالمنع وقت الطلوع وقت الغروب خاصة ومن قائل بالكراهة بعد العصر والصبح ومنعه عند الطلوع والغروب ومن قائل بإباحته في الأوقات كلها وهو قولنا إلا أني أكره الدخول في الصلاة حال الطلوع وحال

الغروب إلا أن يكون قد أحرم بها قبل حال الطلوع والغروب (تحرير ذلك) لا يخلو المصلي أن يكون قبلته موضع طلوع الشمس أو غروبها بحيث أن يستقبلها فهناك أكره له ذلك وأما إذ لم يكن في قبلته فلا بأس وأما عند الكعبة فالحكم له يدور من حيث شاء لا يستقبل الشمس طالعة ولا غاربة وقد فارق الكفار الذين يسجدون لها في الصورة الظاهرة في استقبالها وهو مفارق لهم في الباطن بلا شك ولا ريب سياق الحديثين حديث النسائي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى في أي وقت شاء من ليل أو نهار وما خص حال طلوع ولا حال غروب لأن العبد بشهود البيت متمكن أن لا يقصد استقبال مغرب ولا مشرق وليس كذلك في الآفاق وما أحسن تحريه صلى الله عليه وسلم في المصلي إلى السترة أن لا يصمد إليها صمدا وليل بها يمينا أو شمالا قليلا حديث أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا بعد الصبح حتى تطلع الشمس إلا بمكة إلا بمكة وهذه الأحاديث تعضد رؤيانا واعلم أن الله متجل على الدوام لا تقيد تجليه الأوقات والحجب إنما نرفع عن أبصارنا قال تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ وَقَالَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ يعني الحاضر قال إبراهيم الخليل لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ وهو يجب الله بلا شك فالله ليس بأقل فتجليه دائم وتدليه لازم والذي بين ذا وذا إنك اليوم نائم فلما منع لمن كان الحق مشهده ولهذا لم يمنع في تلك الحالة من ذكر الله والجلوس بين يديه لانتظار الصلاة والدعاء فيه وإنما منع السجود خاصة لكون الكفار يسجدون لها في ذلك الوقت وهنا تنبيه على سر معقول وهو أنه من الخيال أن يكون أثر الكفر أقوى من أثر الإيمان عندنا وعندهم حتى يمنع من ظهوره وحكمه كما يظهر في هذا الأمر من كون سجود الكفار للشمس وهو كفر منع المؤمن من السجود لله والمانع إبداله القوة واعلم أن الأمر في ذلك خفي أخفاه الله إلا عن العارفين فإن الله بهذا المنع أبقى على الكفار بعض حق إلهي بذلك القدر وقع المنع وظهرت القوة في الحكم بمنع المؤمن من السجود في ذلك الوقت لسجود الكفار للشمس وذلك أن الله يقول وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا فَإِنَّهُمْ مَا عَبَدُوا الشَّمْسَ إِلَّا لِتَحْلِيلِهِمْ أَنَهَا إِلَهٌ فَمَا سَجَدُوا إِلَّا لِلَّهِ لَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ بَلْ لِعَيْنِ حُكْمِهِمْ فِيهَا إِنَّهَا اللَّهُ وَقَدْ أَضَافَنِي وَاحِدًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَأَخَذَتْ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِمُ الشَّمْسَ وَسَجَدُوا لَهَا فَقَالَ لِي مَا تَمُتُ إِلَّا اللَّهُ وَهَذِهِ الشَّمْسُ أَقْرَبُ نِسْبَةً إِلَى اللَّهِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ النُّورِ وَالْمَنَافِعِ فَتَحْنُ نِعَظْمَهَا لِمَا عَظَمَهَا اللَّهُ بِمَا جَعَلَ لَهَا ثُمَّ نَرُجِعُ وَنَقُولُ فَلِمَا عَلِمَ الْحَقُّ أَنَّهُمْ مَا عَبَدُوا سِوَاهُ وَإِنْ أَخْطَأُوا فِي النِّسْبَةِ وَالْمُؤْمِنُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ فَأَشْبَهَ الْكَافِرُ فِي إِيمَانِهِ بِاللَّهِ فَكَانَ الْأَمْرُ مِثْلَ الشَّرْعِ الْإِلَهِيِّ يَنْسَخُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَمَا أَثَرَ الْكُفْرَ هُنَا فِي الْإِيمَانِ وَلَا كَانَ أَقْوَىٰ مِنْهُ بَلْ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْنَا فِيمَا كَانَ فِي الْكَافِرِ مِنْ اعْتِقَادِهِ الْإِلَهَ كَانَ ذَا حَقٍّ وَمِنْ نِسْبَةِ الْأَلُوهِةِ لِلشَّمْسِ كَانَ كَافِرًا فَرَاعَىٰ الْحَقَّ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدُوهُ فَمِنْ هُنَا لَكَ ثَبَتَ لَهُمُ التَّخْصِصُ بِالسُّجُودِ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّسْخُ لِلسُّجُودِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اللَّهُ فَهُوَ أَثَرُ إِيمَانٍ فِي إِيمَانٍ لَا أَثَرَ كُفْرٍ فِي إِيمَانٍ

(وصل في فصل الطواف بغير طهارة)

فمن قاتل لا يجوز طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهواً ومن قاتل يجزئ ويستحب له الإعادة وعليه دم لأنهم أجمعوا على أن الطهارة من سنة

الطواف و من قائل إذا طاف على غير وضوء أجزاء طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم و بعضهم يشترط طهارة الثوب للطائف كاشتراطه للمصلي والذي أقول به إنه يجوز الطواف بغير وضوء للرجل والمرأة إلا أن تكون حائضاً فإنها لا تطوف وإن طافت لا يجزئها وهي عاصية لورد النص في ذلك وما ورد شرعاً بالطهارة للطواف إلا ما ورد في الحائض خاصة وما كل عبادة تشترط فيها هذه الطهارة الظاهرة اعلم أنه ما في الوجود حال ليس فيه لله وجه يحفظ عليه وجوده من كل قائم بنفسه بذلك الوجه الإلهي طهارته فما في الوجود بحكم الحقيقة إلا طاهر فإن الاسم القدوس يصحب الموجودات و به يثبت قوله **وَاللَّهُ يُرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** من تفريقكم بين الله و بين عباده و لا ينبغي أن يحال بين العبد و بين سيده و لا يدخل بين العبد و السيد إلا بخير لقيت بعض السياح على ساحل البحر بين مرسى لقيط و المنارة فقال لي إني لقيت بهذا الموضع شخصاً من الأبدال مصادفة و هو ماش على موج البحر فسلمت عليه فرد علي السلام و كان في البلاد ظلم عظيم و جور فقلت له يا هذا ما ترى إلى ما في البلاد من الجور فنظر إلي مغضباً و قال لي ما لك و عباد الله لا تقل إلا خيراً و لهذا شرع الله الشفاعة و قبل العذر و لا شك أن النجاسة أمر عرضي عينه حكم شرعي و الطهارة أمر ذاتي فإن ظهر حكم العرض في وقت ما كمنع الحيض من الطواف فمرجع الأمر إلى ما تقتضيه الذات من الطهارة أي يكذب المؤمن قال لا إنباء صحيح فإن الكاذب لا يكون صادقاً فيما هو فيه كاذب فافهم و الحيض كذب النفس بالاتفاق و الطواف حالة إيمان فالحائض لا تطوف كما تقول في إمامة الفاسق إنها لا تجوز إمامته في حال فسقه بلا خلاف فإنه من كان فاسقاً في حال فسقه ثم توضعاً شرعاً و أحرم بالصلاة إماماً فهو في طاعة لله و لا يجوز لنا أن نطلق عليه في تلك الحال فاسقاً فما صلينا خلف إمام فاسق و كذا فعل عبد الله بن عمر الذي يحتجون به في الصلاة خلف الفاسق و أخطأوا فإن الحجاج ليس بفاسق في حال أدائه ما أوجب الله عليه من طاعته في الصلاة و هذه مسألة أغفلها الفقهاء و يجنون فيها و ما حصلوا على طائل و قد بينا أنه ما تخلص قط من مؤمن معصية لا تشوبها طاعة أصلاً و الطاعة قد تخلص فلا تشوبها معصية فما من معصية إلا و الأيمان يصحبها من المؤمن أنها معصية يحرم عليه فعلها و الأيمان بكونها معصية طاعة لله فالحجاج أو غيره في حال فسقه مؤمن مطيع بإيمانه فضعفت معصيته أن تقاوم طاعته و في حال صلاته أو طاعته في فعل ما من أفعاله فليس بفاسق بل هو مطيع فرجح من طمس الله على قلبه الفسق على الأيمان و الطاعة مع ضعف الفسوق عن الطاعة بما شابها من الأيمان بكون ذلك الفعل فسوقاً فقالوا لا تجوز إمامة الفاسق بغير المعنى الذي ذكرناه فلو قاله الرسول صلى الله عليه وسلم أو الله تعالى لكان الوجه فيه ما قلناه فغاية درجة الفاسق في حال فسقه المسلم أن يكون ممن خلط عملاً صالحاً و آخر سيئاً و في حال طاعته فليس بفاسق و أعجب ما في هذه المسألة أنا مأمورون بحسن الظن بالناس منهمون عن سوء الظن بعبادي و قد رأينا من علمنا أنه فسق قد توضعاً و صلى فلما ذانطق عليه اسم الفسوق في حال عبادته و أين حسن الظن من سوء الظن به و المستقبل فلا علم لنا به فيه و الماضي لا ندري ما فعل الله فيه و الحكم لوقت الطاعة التي هو عليها متلبس بها فحسن الظن أولى بالعبد إذا كان و لا بد من الفضول و لقد أخبرني من أثق به في دينه عن رجل فقيه إمام متكلم مسرف على نفسه قال لي

دخلت عليه في مجلس يدار فيه الخمر وهو يشرب مع الجماعة ففرغ النبيذ فقيل له نفذ إلى فلان بجيء إلينا بنبيذ فقال لأفعل فياني ما أصرت على معصية قط وإن لي بين الكأسين توبة ولا أنتظره فإذا حصل في يدي أنظر هل يوفقي ربي فاتركه أو يخذلني فاشربه فهكذا هم العلماء رحمهم الله مات هذا العالم وفي قلبه حسرة من كونه لم يلقي واجتمعت به وما عرفني وسألني عني وكاننا لأشواق إلى رحمه الله وذلك بمرسية سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولقد أشهدني الحق في سرى في واقعة وقال لي بلغ عبادي ما عابته من كرمي بالمؤمن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها والسيئة لا يقاوم فعلها الايمان بها انها سيئة فما لعبادي يقنطون من رحمتي ورحميتي وسعت كل شيء وأنا عند ظن عبدي بي فيلظن بي خيرا

(وصل في فصل أعداد الطواف وهي ثلاثة القدوم والإفاضة والوداع)

طواف القدوم يقابل طواف الوداع فهو كالاسم الأول والآخر إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم وانتهت دورة الملك وطواف الإفاضة بينهما برزخ لا يبغيان فيأتي الآء ربكما تكذبان يخرج طواف القدوم لؤلؤ المعارف في المناسك وطواف الوداع المرجان فيأتي الآء ربكما تكذبان فطواف الزيارة وجه إلى طواف القدوم فقد يجزئ عنه ووجه إلى طواف الوداع فقد يجزئ عنه وقد قال العلماء بالقولين جميعا وسيأتي ذكرها في هذا الفصل إن شاء الله وقد تقدم الاعتبار في الطواف وما ينشأ منه فطواف القادم كالعقل إذا أقبل على الله بالاستفادة وطواف الوداع إذا أراد الخروج إلى النفس بالإفاضة كالرسول صلى الله عليه وسلم يقبل على الروح الأمين عند ما يلقي إليه من الوحي الإلهي ثم الرسول يلقي إلى الخلق عند مفارقة الروح لتبليغ الرسالة فالرسول بين طواف قدوم ووداع وما بينهما طواف زيارة وكانت ثلاثة أطواف لما قررناه إن ظهور العلوم لا يكون إلا عن ثلاث مراتب فكرية كانت أو وهبية وقد بينا لك أن البرزخ أبدا هو أقوى في الحكم لجمعه بين الطرفين فيتصور بأي صورة شاء ويقوم في حكم أي طرف أراد ويجزئ عنهما فله الاقتدار التام ويظهر سر ما قلنا في حكم ظاهر الشرع فيه فمن ذلك أنهم أجمعوا على أن الواجب من هذه الأطواف الثلاثة الذي يفوته يفوت الحج هو طواف الإفاضة فإن المعروف إذا قدم مكة بعد الرمي وطواف الإفاضة أجزاء عن طواف القدوم وصح حجه وإن المودع إذا طاف في زعمه طواف الوداع ولم يكن طاف طواف الإفاضة كان ذلك الطواف طواف إفاضة أجزاء عن طواف الوداع لأنه طواف بالبيت معمول به في وقت طواف الوجوب الذي هو الإفاضة فقبله الله طواف إفاضة وأجزاء عن طواف الوداع كما ذكرنا فيمن صام في رمضان متطوعا أن وجوب رمضان يردده واجبا لحكم الوقت ولم تؤثر فيه النية وجمهور العلماء على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة كأنهم رأوا أن الواجب إنما هو طواف واحد قال بعضهم أجمعوا على إن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة واستحب بعض العلماء لمن جعل طواف الإفاضة يجزئ عن طواف القدوم أن يرمل فيه وأما المكي فما عليه سوى طواف واحد وأما الممتع فإن لم يكن قارنا فعليه طوافان وإن كان قارنا فطواف واحد هذا عندني وقال قوم على القارن طوافان انتهى الجزء السابع والستون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل في فصل حكم السعي)

فمن قاتل إنه واجب إن لم يسع كان عليه الحج ومن قاتل إنه سنة فإن رجع إلى بلده ولم يسع فعليه دم ومن قاتل إنه تطوع ولا شيء على تاركة لما كان الكمال غير محجور على النساء وإن كانت المرأة أنقص درجة من الرجل فتلك درجة الإيجاد لأنها وجدت عنه وذلك لا يقدر في الكمال فإن الرجل الذي هو آدم نسبه إلى ما خلق منه وهو التراب نسبة حواء إليه ولم تمتع هذه النسبة الترابية لآدم عن الكمال الذي شهد له به وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكمال لمريم وآسية فلما اعتبر الله هذا في المرأة جعل لها أصلا في التشريع من حيث لم تقصد فطافت بين الصفا والمروة هاجر أم إسماعيل عليه السلام وهرولت في بطن الوادي سبع مرات تنظر إلى من يقبل من أجل الماء لعطش قام بابنها إسماعيل فخافت عليه من الهلاك والحديث مشهور فجعلها الله أعني جعل فعل هاجر من السعي بين الصفا والمروة وقرره شرعا من مناسك الحج فمن رآه واجبا عظم فيه الحرمة ولم ير أنه يصح الحج بتركه كذلك الخواطر النفسية إذا أثرت الشفقة والسعي في حق الغير أثر القبول في الجناب الإلهي فقال يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ إِلَى تَدْيِيرِ هَذَا الْبَدَنِ بِالنَّفْعِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّ الرَّجُوعَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِحَالٍ خَرَجَ مِنْهُ وَإِلَّا مَا هُوَ رَجُوعٌ فَإِنَّهُ مَا قَالَ لَهَا أَقْبَلِي وَإِنَّمَا قَالَ لَهَا ارْجِعِي وَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ إِلَّا كَذَلِكَ فَارْجِعُوا كَمَا لَهَا مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بُدِيََ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فُوجِبَ السَّعْيُ لِنِدَاءِ الْحَقِّ بِالْوِاسِطَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ نَادَى الْحَقُّ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْنَا فَقَالَ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ فُوجِبَ السَّعْيُ غَيْرَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الَّتِي شَرَعَ اللَّهُ فِي السَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ أَنْ يَكُونَ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ كَالسَّعْيِ فِي الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ لَمَّا رَأَاهُمْ أُسْرِعُوا فِي الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَاتٍ الَّتِي هِيَ مَوْقِفُ حَصُولِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ فَلَمَّا أَفَاضُوا عَنْ أَمْرِهِ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ وَهُوَ مَقَامُ الْقُرْبَةِ وَالاجْتِمَاعِ بِالْمَعْرُوفِ فِيهَا وَهُوَ تَجَلٍ خَاصٍ مِنْهُ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ وَهَذَا سُمِّيَتْ جَمْعًا وَمَزْدَلِفَةُ مِنَ الزَّفْنِيِّ وَهُوَ الْقَرَبُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ كَمَا قَالَ فِي السَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ لَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعُونَ أَيُّ مَسْرَعُونَ فِي السَّعْيِ وَأَتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فِي سَعْيِكُمْ وَالْوَقَارُ فَاجْتَمَعَتِ الْجُمُعَةُ وَجَمْعٌ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْجَمْعِيَّةِ بِهِ تَعَالَى فِي الْمَقَامَيْنِ وَقَوْلُهُ وَالْوَقَارُ سَعَى فِي سَكُونٍ وَتَهْدٍ مَشِيٍّ الْمُثْقَلُ لِأَنَّهُ مِنَ الْوَقْرِ وَهُوَ الثَّقَلُ فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ تَعْطِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ عَرَفَهُ شَاهِدَهُ وَمَنْ شَاهِدَهُ لَمْ يَغِبْ فَإِذَا دَعَاهُ مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ فَهِيَ لَا يَسْرَعُ إِلَّا مِنْ أَجَلِهِ وَهُوَ مُشَاهِدٌ لَهُ فَإِنَّهُ بِهِ يَسْعَى فِيمَشِي عَلَى تَرْسُلٍ مَشِيٍّ الْمُثْقَلُ فَهَذَا مَعْنَى الْوَقَارِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ السَّكُونُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنِ هَيْبَةٍ وَتَعْظِيمٍ لَا عَنِ إِعْيَاءٍ وَتَعَبٍ فَإِنَّ السَّعْيَ بِاللَّهِ لَا تَعَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ

(وصل في فصل صفة السعي)

قال جمهور علماء الشريعة إن من سنة السعي بين الصفا والمروة أن يدعو إذا رقى في الصفا مستقبل البيت ثم ينحدر فإذا وصل إلى الميل

الأخضر وهو بطن الوادي رمل إلى أن يصل إلى الميل الثاني الأخضر وذلك كان حد الصعود إلى المروة وحد سعة الوادي وإنما اليوم قد ارتدم بما جاءت به السيول ولهذا جعل من جعل الميلين علامة لبطن الوادي ليكون حد الرمل المشروع في السعي ثم يسعى من غير إسراع إذا جاز الميل الثاني على صورة ما انحدر من الصفا فإذا وصل إلى المروة فعل في المروة مثل ما فعل في الصفا ثم رجع يطلب الصفا من المروة فيكون حاله مثل الحال الأول في الرمل والهدو حتى يكمل سبع مرات وإنما يبدأ بالصفا لأن الله تهتم بها في الذكر فبدأ بها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابداً بما بدأ الله به فبدأ بالصفا واقتراً الآية ثم دعا بعدها وختم بالمروة لما كان الأول نظير الآخر وكان حكمهما على السواء ختم بها لأن بها تكمل السبعة لأن الشيء المقابل هو من مقابله على خط السواء كما قال صلى الله عليه وسلم لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها لأن استقبال الشيء واستدباره على خط واحد وكذلك لما سكنت إبليس في إتيانه العبد للاغواء عن الفوقية سكت عن التحت لأنه على خط استواء مع الفوق لأنه لعنه الله رأى نزول الأنوار على العبد من فوّه فخاف من الاحتراق فلم يتعرض في إتيانه إلى الفوق ورأى التحت على خط استواء من الفوق وإن ذلك النور يتصل بالتحت للاستواء لم يأت من التحت والعلة واحدة وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزاء عنه وقال بعضهم إن بدأ بالمروة الغي ذلك الشوط وقد ذكرنا في حديث جابر المتقدم ما يدعوه إذا رقى على الصفا والمروة من فعله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة فلا يغفلها الساعي بين الصفا والمروة فعند ما يرقى في الصفا يعتبر اسمه من الأسف وهو حزنه على ما فاتته من تضييع حقوق الله تعالى عليه ولهذا يستقبل البيت بالدعاء والذكر ليذكره ذلك فيظهر عليه الحزن فإذا وصل إلى المروة وهو موضع نائلة يأخذه من النيل وهو العطية فيحصل نائلة الأسف أي أجره ويفعل ذلك في السبعة الأشواط لأن الله امنن عليه بسبع صفات ليتصرف بها ويصرفها في أداء حقوق الله لا يضيع منها شيئاً فأسف على ذلك فيجعل الله له أجره في اعتبار نائلة بالمروة إلى أن يفرغ ثم إنه يرمل بين الميلين وهو بطن الوادي وبطن الأودية مساكن الشياطين ولهذا تكره الصلاة فيها وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نام في بطن الوادي عن وقت صلاة الصبح قال ارتفعوا فإنه واد به شيطان فإن فيه إصابتهم الفتنة فيرمل في بطن الوادي ليخلص معجلاً من الصفة الشيطانية والتخلص من صحبته فيها إذ كانت مقرة كما يفعل في بطن محسر بمنى يسرع في الخروج منه لأنه واد من أودية النار التي خلق الشيطان منها وكذلك الإسراع في بطن عرنة وهو وادي عرفة وهو موضع وقوف إبليس يوم عرفة بما وصفه الله فيه في ذلك اليوم من الذلة والصغار والبكاء لما يرى من رحمة الله وعفوه وحط خطايا الحاج من عباده ثم إن السعي في هذا الموضع جمع الثلاثة الأحوال وهو الانحدار والترقي والاستواء وما ثم رابع فحاز درجة الكمال في هذه العبادة أعطى ذلك الموضع وهو في كل حال منها سالك فأنحدره إلى الله وصعوده إلى الله واستواءه مع الله وهو في كل ذلك بالله لأنه عن أمر الله في الله فالساعي بين الصفا والمروة من الله إلى الله مع الله بالله في الله عن أمر الله فهو في كل حال مع الله والله والصفاء والمروة صفة جمادية مناسبة للحجارة التي ظهر بترتيبها شكل البيت المخصوص فإنها بذلك الشكل أعطت اسم البيت ولولا ذلك لم يوجد اسم البيت وقد بينا لك أن الجمادات هي أعرف بالله وأعبد لله من سائر المولدات وإنها خلقت في

المعرفة لا عقل لها ولا شهوة ولا تصرف إلا إن صرفت فهي مصرفة بغيرها لا بنفسها ولا مصرف إلا الله فهي مصرفة بتصرف الله والنبات وإن خلق في المعرفة مثلها فإنه نزل عن درجتها بالنمو وطلب الرفعة عليها بنفسه حين كان من أهل التغذي وهو يعطي النمو وطلب الارتفاع والجماد ليس كذلك ليس له العلو في الحركة الطبيعية لكن إذا رقى به إلى العلو وترك مع طبعه طلب السفلى وهو حقيقة العبودية والعلو نعت إلهي فإنه هو العلي فالحجر يهرب من مزاحمة الربوبية في العلو فيهبط من خشية الله وبهذا أخبر الله عنه فقال وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا ذَكَرَ الْحِجَارَةَ لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَجَعَلَ هَبْوَطَ الطَّبِيعِيِّ مِنْ خَشْيَةِ فَهُوَ مِنْشَأُ مِنَ الْخَشْيَةِ لِلَّهِ وَالشُّهُودِ لَهُ ذَاتِي وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ بِهِ فَمَنْ خَشِيَ فَقَدْ عِلِمَ مِنْ يَخْشَى وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيِّ فَلَا أَعْلَى فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الصِّفَةِ الْجَمَادِيَّةِ ثُمَّ بَعْدَهَا النَّبَاتِيَّةُ ثُمَّ بَعْدَهَا الْحَيَوَانِيَّةُ وَهِيَ أَكْبَرُ تَصْرِيفٍ فِي الْجِهَاتِ مِنَ النَّبَاتِ ثُمَّ الْإِنْسَانُ الَّذِي ادَّعَى الْأُلُوهُةَ فَعَلَى قَدَرِ مَا ارْتَفَعَ عَنْ دَرَجَةِ الْجَمَادِ حَصَلَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الرَّفْعَةِ صُورَةٌ إِلَهِيَّةٌ خَرَجَ بِهَا عَنْ أَصْلِهِ فَالْحِجَارَةُ عَيِيدٌ مُحَقَّقُونَ مَا خَرَجُوا عَنْ أَصُولِهِمْ فِي نَشَأَتِهِمْ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ هَذِهِ الْأَحْجَارَ مَحَلًّا لِإِظْهَارِ الْمِيَاهِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ حَيَاةِ كُلِّ حَيٍّ فِي الْعَالَمِ الطَّبِيعِيِّ وَهِيَ مَعَادِنُ الْحَيَاةِ وَبِالْعِلْمِ يَحْيِي الْإِنْسَانَ الْمَيِّتَ بِالْجَهْلِ فَجَمَعَتْ الْأَحْجَارُ بِالْخَشْيَةِ وَتَفَجَّرَ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ قَالَ تَعَالَى وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَفْجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ مَعَ اتِّصَافِهَا بِالسَّوَاءِ وَذَلِكَ لِقَوَّتِهَا فِي مَقَامِ الْعِبُودِيَّةِ فَلَا تَنْزَلُ عَنْ ذَاتِهَا لِأَنَّهَا لَا تَحِبُّ مَفَارِقَةَ مَوْطِنِهَا لَمَّا لَهَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ اللَّتَيْنِ هُمَا مِنْ أَشْرَفِ الصِّفَاتِ فَتَالِ السَّاعِي مِنَ الصِّفَا إِلَى الْمَرْوَةِ هُمَا الْحِجَارَةُ مَا تَعْطِيهِ حَقِيقَةُ الْحِجَارَةِ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَالثَّبَاتِ فِي مَقَامِهِمْ ذَلِكَ فَمَنْ سَعَى وَوَجَدَ مِثْلَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِهِ حَالَ سَعْيِهِ فَقَدْ سَعَى وَحَصَلَ نَتِيجَةُ سَعْيِهِ فَانصَرَفَ مِنْ مَسْعَاهِ حَيُّ الْقَلْبِ بِاللَّهِ ذَا خَشْيَةٍ مِنَ اللَّهِ عَالِمًا بِقَدْرِهِ وَبِمَا لَهُ وَاللَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَمَا سَعَى بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ

(وصل في فصل شروطه)

اتفق العلماء أن من شرطه الطهارة من الحيض فأما الطهارة من الحدث فكلمهم قالوا ليس من شرطه الطهارة من الحدث إلا الحسن فاعلم أنه لما قررنا في فصل السعي ما قررنا وفي اعتباره الحجارة من حكم الصفا والمروة لذلك اتفقوا أنه لا يشترط الطهارة من الحدث في هذا النسك لأنه عبد محض فيها ولم تصح له هذه العبادة إلا بحدته فلو لا حدته ما صحت عبوديته فإذا تطهر من حدته خرج عن حقيقته وادعى المشاركة في الربوبية بقدر ما خرج فإن كان طهرا عاما كالغسل كان أبعد له من حقيقته وإن كان طهرا خاصا كالوضوء فهو أقرب والأخذ بالمناسب أتم في الحقائق وأما من يرى الطهارة في هذا النسك فإنه يقول لا بد لكل موجود حي من نسبة فعل إليه على أي وجه كان ولا أكثر محدث بقي على أصله أتم من الحجارة ومع هذا فإن الله وصفها بالخشية وهو فعل نسب إليها أي قيل إنها تخشى فينبغي أن تطهر من هذه النسبة لا من الخشية لتكون الخشية من الله فيها وكذلك التشقق نسب إليها لخروج المياه فلا بد من التطهير من هذه النسب ولهذا نزع الحسن إلى اشتراط الطهارة في هذا الشك وهو حسن مثل اسمه أي هو مذهب حسن فإن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يذكر الله إلا على طهر

أوقال طهارة ولا بد فيه من ذكر الله فالقول بالطهارة أولى والحسن عندنا من أئمة طريق الله جل جلاله ومن أهل الأسرار والإشارات

(وصل في فصل ترتيبه)

اتفق العلماء أن السعي ما يكون إلا بعد الطواف بالبيت وأنه من سعى قبل الطواف يرجع فيطوف وإن خرج عن مكة فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء في العمرة أو في الحج كان عليه حج قابل والهدى أو عمرة أخرى وقال بعضهم لا شيء عليه وقال بعضهم إن خرج عن مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم وبه أقول اعلم أن الله لما دعانا ما دعانا إلا أن نقصد البيت فلا ينبغي أن نبدأ إذا وصلنا إليه بغير ما دعانا إليه ولا نفع شيئاً حتى نطوف به فإذا قصدناه بالصفة التي أمرنا بها حينئذ تصرفنا بعد ذلك على حد ما رسم لنا في سائر المناسك إن كنا عبيد اضطراراً وفيما بمقامنا من العبودية وهكذا فعل المشرع صلى الله عليه وسلم الذي قال لنا خذوا عني مناسككم وقال الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال من رغب عن سنتي فليس مني فأبان بفعله صلى الله عليه وسلم عن مراد الله منا في هذه العبادة هذا هو التحقيق فإن اتسع العبد إدلالاً بالبدال اليابسة وهو عندنا خروج عن الإذلال بالذال المعجمة من الذلة لما خلقه الله على الصورة وهي تقضي العزة أراد أن يكون له في الفعل اختيار وبهذه الإرادة كلف ليصح ظهوره بالصورة إذا اختار لأنه علم أنه لا بد لها من الحكم في موطن ما تقدم السعي وقال وإن دعانا إلى بيته فلا بد من الوصول إليه والطواف به فإنه ما حجر علينا أن لا نمر بغير البيت في طريقنا فلو حجر وقفنا عند تحجيره فدل سكوته على ذلك أنه خيرنا إذ لا بد من الطواف بالبيت لأنه أمرنا بذلك فقال وَ لِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ فجعلنا الحكم في تقديم السعي لمكان خلقنا على الصورة ليكون لها حكم الاختيار والاختبار ووفاء بمقامها و مراعاة له فإنه يقول عن نفسه وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ونحن على الصورة فلا بد من هذه الحقيقة أن يكون لها أثر ومع هذا فالأولى أن نصرف اختيار الصورة منه في غير هذا الموطن لما تقدم من بيان الشارع الذي هو العبد الحق محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقدم السعي على الطواف ولا المروة على الصفا في السعي وقال الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . . . وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فلم يذم أبا معنا لتعلم بل نزه نفسه بالغنى عما دعاهم إليه وأنهم إن أجابوا لذلك فإن الخير الذي فيه عليهم يرجع والله غني عنه وبهذا وجد رخصة من قدم السعي ثم أتبعه بالحميد أي هو أهل الثناء بالحمد في الأولى والآخرة فله الحمد على كل حال سواء تحركت يا هذا بالصورة فاخترت لما تعطيه قوة الصورة أو تحركت عبداً مضطراً فإن الحمد لله في كل ذلك يقول الله بالحال لولا صورتني ما اخترت ولم تكن مختاراً فصورتي هي التي كانت لها الخيرة لالك إقامة عذر للعبد وهذا من كرم الله فلا حرج فلهذا لم يعلق به الذم ولا تعرض لذكره في عدم الاقتداء والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم فإنه ما حجر كما قلنا وهذا تنبيه من الله غريب في الموقع حيث لم يذم ولا حمد بل جعله مسكوتاً عنه

(وصل في فصل ما يفعله الحاج في يوم التروية إذا كان طريقة على منى)

يوم التروية هو يوم الخروج إلى منى في اليوم الثامن من ذي الحجة والمبيت فيه ويصلي به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر من اليوم التاسع الذي هو يوم عرفة تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع العلماء على أن ذلك ليس بشرط في صحة الحج فإذا أصبح يوم عرفة غدا إلى عرفة ووقف بها لما وصل الحاج إلى البيت ونال من العلم بالله ما نال ونال في المبايعة والمصافحة ليمين الله تعالى ما يجده أهل الله في ذلك وحصل من المعارف الإلهية وطوافه بالبيت وسعيه وصلاته بمنى أراد الله أن يميز له ما بين العلم الذي حصل له في الموضع المحرم وبين المعرفة الإلهية التي يعطيه الله في الحل وهو عرفة فإن معرفة الحل تعطي رفع التحجير عن العبد وهو في حال إحرامه محجور عليه لأنه محرم بالحج فيجمع في عرفة بين معرفته بالله من حيث ما هو محرم وبين معرفة الله من حيث ما هو في الحل لأن معرفة الله في الحرم وهو محرم معرفة مناسبة النظير فإنه بالإحرام محجور عليه وبالحرمة محجور عليه وهذا خلاف حكم عرفة فإنه محرم في حل فهو في عرفة أبعد مناسبة وأشد مشقة لأنه تقابل ضد وتميز فإنه لم يحرم الحل بإحرام الحاج ولم يحل الحاج من إحرام بإحلال الموضع فلم يؤثر أحدهما في الآخر فتميز العبد بالحجر لبقائه على إحرامه ليس فيه من الحق المختار شيء وتميز الحق بالحل أنه غير محجور عليه فهو يفعل ما يريد لما يتوهمه الوهم بدليل العقل أن الحق يحكم على الفعل منه علمه به فما يبدل وهذا تقيض الاختيار فأشبه المحجور عليه فيحصل له في عرفة في الحل معرفة إزالة هذا التحجير الذي أثبتته الوهم بدليل العقل فإنه في هذا الموطن من العلم بالله ساوى الوهم العقل فحجر على الله وجعلاه تحت حكم علمه في الشيء في مذهب من يرى أن العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به تحكم على ذاته بحسب ما تعلق به فمن قال إن علمه ذاته لا يلزمه هذا وهذه معرفة بالله بديعة عجيبة لا يعرف قدرها إلا من عرفها فلما أراد الحاج حصول هذه المعرفة مر في طريقه بمنى وهو موضع الحج الأكبر وأراد أن يذوق طعمه قبل الوقوف بعرفة إذ كان مرجعه إليه يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر فإنه في ذلك الزمان الأول يجتمع فيه من وقف بعرفة ومن وقف بالمزدلفة فكان معظم الحاج بمنى فصلى بها وبات ليذوق ذلك في حكم النهار وحكم الليل فيحصل بين الأمر النهاري والتجلي الليلي وما يحصل في أوقات الصلوات من الأمر الخاص في هذا الموطن حتى يرى إذا رجع إليها بعد الوقوف هل يتساوى الذوق في ذلك أو يتغير عليه الحال لتأثير عرفة والمزدلفة فيه فكان مبيته وقعوده بمنى حالة اختيار وتمحيص ليكون من ذلك على علم في المال بخلاف المعرف فإنه لا يحصل له ذلك فلا يعرف هل يتغير حكم منى بعد عرفة عن حكمه قبل عرفة أم لا فهذا كان سبب ذلك

(وصل في فصل الوقوف بعرفة)

أما الوقوف بعرفة فإنهم أجمعوا على أنه ركن من أركان الحج وأن من فاتته فعليه الحج من قابل والهدى في قول أكثرهم ونحن لا نقول بالهدى لمن فاتته فإنه ليس بمتعم لأنه ما حج مع عمرته في سنة واحدة والسنة في يوم عرفة أن يدخلها قبل الزوال فإذا زالت الشمس خطب الإمام الناس ثم جمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمامة الحج هي للسلطان الأعظم لا خلاف بينهم في ذلك وأنه يصلي وراءه برا كان أو فاجرا وقد قدمنا إنه بر في وقت صلاته فما صليت إلا خلف بر ولا

كان أمامك إلا برا فلا فائدة للفجور والفسق الذي يذكره علماء الرسوم في هذه المسألة وقد قدمنا الكلام فيها وأن من السنة علينا في ذلك اليوم أن نأتي إلى المسجد مع الإمام للصلاة ويعتبر في ذلك المشي بالله مع الله إلى الله في بيت المعرفة لأنه مسجد في عرفة وهو مسجد عبودية ولا يصح أن يكون المسجد إلا موطن عبودية لأن السجود هو التطاطؤ وهو نزول من أعلى إلى أسفل وبه سمي الساجد ساجدا لنزوله من قيامه فيعطيه مسجد عرفة المعرفة بنفسه ليكون له ذلك سلما إلى معرفة ربه فإنه من عرف نفسه عرف ربه الذي سجد له والمعرفة تطلب في التعدي أمرا واحدا فهو تعلقه أي تعلق علم العبد ومعرفة بأحدية الله خاصة فلو لم يقل عرفة وقال ما يدل على العلم كما دل عرفة على العلم لم نجعل تعلقه بالأحدية وكنا نجعله بأمر آخر فعلمنا إن الإنسان يطلب في معرفة نفسه شفيعتها من حيث أحديتها التي تمتاز بها معرفة أحدية الحق إذ لا يعرف الواحد إلا من هو واحد فبأحديتك في شفيعتك عرفت أحديته تعالى فجاء في المعرفة باسم عرفة لأجل القصد بمعرفة أحدية الخالق لأنه لا أحدية له في غير الذات من المناسبات إلا أحدية الخالق بمعنى الموجد ولذلك تمدح بها وجعلها فرقانا بين من ادعى الألوهية أو ادعت فيه فقال أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فلو وقعت المشاركة في الخلق لما صح أن يتخذها تمدحا ولا دليلا مع الاشتراك في الدلالة هذا لا يصح فيعلم قطعا إن الخالق صفة أحدية لله لا تصح لأحد غير الله فلماذا كانت معرفة الله في عرفة معرفة أحدية إذا لمعرفة هذا نعتها في اللسان الذي خوطبنا به من الله فإذا عرفت هذا فقد عرفت

(وصل في فصل الأذان)

اعلم أن العلماء اختلفوا في وقت أذان المؤذن بعرفة الظهر والعصر فقال بعضهم يخطف الإمام حتى يمضي صدر من خطبته أو معظمها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطف وقال قوم يؤذن إذا أخذ في الخطبة الثانية وقال قوم إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان فاذن كالجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطف وعلى هذا القول رأيت العمل اليوم وهو مذهب أبي حنيفة والأول مذهب مالك والثاني قيل إنه مذهب الشافعي وقد حكى عن مالك أنه قال كما قال أبو حنيفة حكاه ابن نافع عن مالك والحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام وجمع بين الظهر والعصر ولم ينتقل بينهما حقيقة الأذان الإعلام لا الذكر وقد يكون أعلاما بذكر لذكر أيضا فكله ذكر إلا الجعلتين فإنه نداء بأمر إلى عبادة معينة فمن راعى الجمع في عين الفرق جعل لهما أذانا واحدا وإقامتين ومن راعى الفرق بين الظهر والعصر جعل في الجمع حكم التفرقة فقال بأذنين وإقامتين ولهذا وقع الخلاف فقال قوم بأذنين وإقامتين وقال قوم بأذان واحد وإقامتين فمن راعى الصلاة جعله بعد الخطبة ومن راعى سماع الخطبة جعله قبل الخطبة ومن راعى كونه ذكر الله بصورة الأذان كالذي أمر أن يقول مثل ما يقول المؤذن على أنه ذاك الله لا مؤذن فإن القائل مثل المؤذن لا يقال فيه إنه مؤذن إنما هو ذاك بصفة الأذان فهذا يقول بالأذان في نفس الخطبة ويكتفي بقرينة حال قصد الناس عرفة في ذلك اليوم ليس لهم شغل إلا الاهتمام بالأفعال التي تلزمهم في ذلك اليوم فمنها استماع الخطبة والصلاة فأغنى عن الأذان الذي هو الإعلام إلا أن يقصد أعلاما بدخول وقت الصلاة لمن يجمل ذلك فيكون أذانا بذكر فإن الذكر في طريق الله لا يختص بالقول فقط بل

تصرف العبد إذا رزق التوفيق في جميع حركاته لا يتحرك إلا في طاعة الله تعالى من واجب أو مندوب إليه ويسمى ذلك ذكر الله أي لذكره في ذلك الفعل أنه بطريق القرينة سمي ذكرا قالت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان يذكر الله على كل أحيانه فعمت جميع أحواله في يقظة ونوم وحركة وسكون تريد أنه ما تصرف ولا كان في حال من الأحوال إلا في أمر مقرب إلى الله لأنه جليس الذاكرين له فجميع الطاعات كلها من فعل وترك إذا فعلت أو تركت لإجل الله فذلك من ذكر الله أي الله ذكر فيها ومن أجله فعلت أو تركت على حكم ما شرع فيها وهذا هو ذكر الموفقين من العلماء بالله وأجمع العلماء على إن الإمام لو لم يخطب يوم عرفة قبل الصلاة إن صلاته جائزة بخلاف الجمعة فهذا فرق بين الجمعة وبين الصلاة في عرفة هذا هو ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وإنما خطب قبل الصلاة كما أجمعوا على إن القراءة في هذه الصلاة سر لا جهر بخلاف الجمعة فالخطيب في هذا اليوم مذكر الحق في قلب العبد وواعظه وجوارحه كالجماعة الحاضرين سماع تلك الخطبة فهو يحرضهم على طاعة الله ويعرفهم أن الله ما دعاهم إلى هذا الموطن للوقوف بين يديه إلا تذكرا لقيام الناس يوم القيامة لرب العالمين ويعرفهم أن الله يأتيهم في هذا اليوم بخلاف إتيانه يوم القيامة فإن ذلك الإتيان إنما هو للفصل والقضاء وتميز الفرق بعضها من بعض بسيماهم واليوم إتيانه للواقفين في هذا الموطن إتيان بمغفرة ورحمة وفضل وإنعام ينال ذلك الفضل الإلهي في هذا اليوم من هو أهله يعني المحرمين بالحج ومن ليس من أهله ممن شاركهم في الوقوف والحضور في ذلك اليوم وليس بحاج فحكمهم كالجليس مع القوم الذين لا يشقى جليسهم قال تعالى للملائكة في أهل مجالس الذكر فيمن جاء لحاجة له لا للذكر إنهم القوم لا يشقى جليسهم فعمتهم مغفرة الله ورضوانه وضاعف الله للمحرمين من حيث إنهم أهل ذلك الموقف ما تستحقه الأهلية هذا كله وأمثاله يشعر العبد به نفسه كما ينبغي للخطيب أن يذكر الناس بمثل هذا الفضل الإلهي لتكون عبادتهم في ذلك اليوم شكر الله تعالى وينسون ما هم فيه من الشعث والتعب في جنب ما حصل لهم من الله ثم يقومون للصلاة بعد الفراغ من الخطبة فيصلون في ذلك الموطن صلاة من هو بعرفة في حال كونهم شعنا غبرا عرايا من المحيط حاسرين عن رءوسهم واقفين على أقدامهم بين يدي رب عظيم فيصلون في ذلك اليوم جمعا صلاة العارفين كما قلنا

ومسكنة وذل وافتقار صلاة العارفين لها خشوع

عليه في شهادته اضطرار وفاعلها وحيد في شهود

ولما كانت حالته في هذا اليوم خاصة به بينه وبين ربه في صلاته تعين عليه أن تكون قراءته سرا وهو الذكر النفسي إشعارا بتحقيقه بالحق في ذلك الموطن فإنه إذا ذكره في نفسه والقرآن ذكر ذكره الحق في نفسه من حيث لا يشعر العبد بأن الله ذكره فإن الله إذا ذكره في نفسه فذكره في حضرة أزلية لا حدوث فيها فكان للعبد بهذا الذكر قدم في الأزل حيث أحضره الحق في نفسه بالذكر فإنه إذا ذكره في ملاقفة ذكره في حضرة حدوث والحدوث صفة العبد فما زاد منزلة بذلك إلا كونه ذكرا خاصا وموطن عرفة عظيم فكانت القراءة فيه في الصلاة نفسية لتحصل هذه المنزلة في ذلك اليوم

(وصل في فصل)

فإن كان الإمام مكيا فاختلفوا هل يقصر أم لا هنا وبمبنى وبالمدلفة فمن قائل بالقصر ولا بد في هذه الأماكن كان مكيا أو لم يكن وكان من أهل
الموضع أو لم يكن ومن قائل لا يقصر إلا إن كان مسافرا فمن راعى السفر أراد أن يناجي الحق تعالى في هذه الصلاة في مقام الوحدة فيجعل
للحق الركعة التي يناجيه منها من حيث أحديته ويجعل لنفسه الركعة الثانية التي يناجيه فيها من حيث أحدية العبد التي بها عرف أحدية الحق
في يوم عرفة لتعدي هذا الفعل إلى أمر واحد ومن راعى الإتمام جعل للحق ركعتين الواحدة من حيث ذاته تعالى والثانية من حيث ما هو
معلوم لنا بنسبة خاصة تقضي بأن يوصف بأنه معلوم لنا إذ قد كان غير موصوف بأنه معلوم إذ لم يكن لنا وجود في أعياننا فلم يكن ثم من يطلب
منه أن يعرفه ويجعل الركعتين الآخرين الواحدة منها لذات العبد من حيث عينه والركعة الثانية من حيث إمكانه الذي يعطيه الافتقار إلى
مرجحه في انتسابه إليه وهذه معرفة لدليل والمشاهدة فإنها دليل أيضا فإن المشاهدة طريق موصلة إلى العلم بالمشهود والفكر طريق موصل
إلى العلم بالله أيضا من حيث استقلال العقل به وإن لم يشهد فهذا سر الإتمام في الصلاة والقصر لما يعطيه مكان عرفة من المعرفة بالله في الصلاة
بهذا المكان

(وصل في فصل الجمعة بعرفة)

اختلف العلماء في وجوب الجمعة ومتى تجب فقيل لا تجب الجمعة بعرفة وقال آخرون ممن قال بهذا القول إنه اشترط في وجوب الجمعة أن
يكون هنالك من أهل عرفة أربعون رجلا ومن قائل إذا كان أمير الحاج ممن لا يفارق الصلاة بمبنى ولا بعرفة صلى بهم فيها الجمعة إذا صادفها
وقال قوم إذا كان وإلى مكة يجمع بهم والذي أقول به إنه يجمع بهم سواء كان مسافرا أو مقيما وكثيرين أو قليلين مما ينطلق عليهم في اللسان اسم
جماعة واقعة وقعت لنا في ليلة كتابتي هذا الوجه وهي مناسبة لهذا الباب كنت أرى فيما يراه النائم شخصا من الملائكة قد ناولني قطعة من
أرض متراسة الأجزاء ما لها غبار في عرض شبر وطول شبر وعمق لا نهاية له فعند ما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ
فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَى قَوْلِهِ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ فكنت أتعجب ما كنت أقدر إن أنكر أنها عين هذه
الآيات ولا أنكر أنها قطعة أرض وقيل لي هكذا أنزل القرآن أو أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقول لي هكذا أنزلت علي فخذها ذوقا وهكذا هو الأمر فهل تقدر على إنكار ما تجده من ذلك قلت لا فكنت أحرار في الأمر
حتى قلت لغلبة الحال علي في ذلك

كلي وبعضي وهي من جملي
هذا الذي قد شهدت مقلتي
و ذلك مجلاه و ذي كلي
ما ثم إلا حيرة عمت
والله ما ثم حديث سوى
فما أرى غيري و ما هو أنا

فقلت هذا كشف مطابق للجمعة التي جاء بها جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة امرأة مجلوبة وفيها نكتة وقال له يا رسول الله هذه الجمعة وهذه النكتة الساعة التي فيها والحديث مشهور فانظر ما أعجب الأمور الإلهية وتجليها في القوالب الحسية وهذا دليل على ارتباط الأمر بيننا وبين الحق

وكل ما تشهدون حق فالكل حق والكل خلق
و ما له في اللسان نطق يحوي على الأمر من قريب
وكله في الوجود صدق و كله مثل ما تراه

انتهى إمداد الواقعة الجامعة فلنرجع ونقول وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ الْحَقَّ نداء إلهي وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ والجمعة نداء إلهي إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ من يَوْمِ الْجُمُعَةِ فوقعَت المناسبة فالجماعة موجودة فوجبَت إقامتها بعرفة ولا سبيل إلى تركها ولا سيما والحقائق تعضد ذلك فما وجد كون من الأكوان إلا عن جمع معقول ولا ظهر كون في عين إلا بمجموعاً من حقائق تظهر ذلك ولم يصبح وجود حادث شرعاً ولا عقلاً وكل ما سوى الله حادث إلا عن ذات ذات إرادته وعلمه وقدرة وحياة عقلاً وذات إرادة وقول أمري شرعاً ثم الوجه الآخر من الجمعية أن الحادث عن اقتدار إلهي وقبول إمكاني لا بد منهما من شرطها وجود حياة شرعاً تقول للشيء كن فثبتت الجمعية شرعاً في إيجاد الأكوان وثبتت عقلاً كما قررنا فالوحدة في الإيجاد والوجود والموجود لا يعقل ولا ينقل إلا في لا إله إلا هو فهذه أحادية المرتبة وهي أحادية الكثرة فافهم فإذا أطلقت الأحادية فلا تطلق عقلاً ونقلاً إلا بإزاء أحادية المجموع مجموع نسب أو صفات أو ما شئت على قدر ما أعطاه ذلك ولكل نسبة أو صفة أحادية تمتاز بها عن غيرها في نفس الأمر فمن أراد أن يميزها عند السامع أو المتعلم فما يقدر على ذلك إلا بمجموع حقائق كل حقيقة معلومة عند السامع وما في العلوم أعجب من هذا العلم حيث تعقل الأحادية في كل موجود ولا يصبح وجود موجود حادث إلا بمجموع مجموعاً وهذه حيرة عظيمة

حيرة الأمر حيرة وهي في الغير غير

ولذلك ما طلب الحق تعالى في الإيمان منا إلا توحيد إلا له خاصة وهو أن تعلم أنه ما ثم إلا إله واحد لا إله إلا هو ثم قال الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فلم يكن ثم جمع يقتضي هذا الحكم وهو أن يكون لها إلا هذا المسمى بهذه الأسماء الحسنی المختلفة المعاني التي افتقر إليها الممكن في وجود عينه وإذا كان الأمر على ما قررناه فلا واجب واجب من إقامة الجمعة بعرفة إذا جاء وقتها وشرطها فلا أدري في العالم أجهل من قال لا يصدر عن الواحد إلا واحد مع قول صاحب هذا القول بالعلية ومعقولة كون الشيء علة لشيء خلاف معقولة شئيته والنسب من جملة وجوه الجمع فما أبعد صاحب هذا القول من الحقائق ومن معرفة من له الأسماء الحسنی ألا ترى أهل الشرائع وهم أهل الحق يقولون بنسبة الألوهة لهذا الموجد للممكن المألوه ومعقول الألوهة ما هو معقول الذات فالأحادية معقولة لا تتمكن العبارة عنها إلا بمجموع مع كون العقل

يعقلها وهي أحدية المجموع وآحاده ألا ترى أن التجلي الإلهي لا يصح في الأحدية أصلا وما ثم غير الأحدية وما يتعقل أثر عن واحد لا جمعية له فيا ليت شعري كيف جهلت العقول ما هو أظهر من الشمس فيقول ما صدر عن الواحد إلا واحد ويقول إن الحق واحد من جميع الوجوه وهو يعلم أن النسب من بعض الوجوه وإن الصفات في مذهب الآخر من بعض الوجوه فأين الواحد من جميع الوجوه فلا أعلم من الله بالله حيث لم يفرض الوحدة إلا أحدية المجموع وهي أحدية الألوهة له تعالى فقال هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى وهي تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا وكل اسم واحد مدلوله ليس مدلول عين الاسم الآخر وإن كان المسمى بالكل واحدا فما عرف الله إلا الله

العين واحدة و الحكم مختلف	ما يعرف الله إلا الله فاعترفوا
هذا هو النهر المنساب فاعترفوا	فقل لقوم أبوا إلا عقولهم
سوى دلائله فيما بدأ فقفوا	ولا تقولن إن العقل ليس له
إليه كشف وما في الكشف منصرف	هنا ولا تبرحوا حتى يجوز بكم

فمن طلب الواحد في عينه لم يحصل الأعلى الحيرة فإنه لا يقدر على الانتقال من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب وكيف يقدر على نفي الكثرة وهو يحكم على نفسه بأنه طالب وعلى مطلوبه بأنه مطلوب ويوم عرفة يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما عجله الحق في الدنيا لعباده إلا لانتضاء أجله المحدود كما قال سبحانه وتعالى في الآخرة إنه يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما يؤخره إلا لأجل معدود ويوم عرفة يوم مغفرة عامة شاملة فإذا اتفق أن يكون يوم جمعة ففضل على فضل ومغفرة إلى مغفرة وعيد إلى عيد فالأولى والأحق بالإمام أن يقيم فيه الجمعة فإنها أفضل صلاة مشروعة هي في موضع الأولى فلها الأولية التي لا ثاني لها فينبغي أن يقيمها من ثبت له المغفرة الإلهية شرعا فظهر طهارة ظاهرة وباطنة فهو المقدس عن كل ذنب يحجب عن الله ثم إنه موطن العبرة والشعث والخشوع والابتهاال والدعاء والتضرع فوجبت الجمعة فيه إن حضر يومها فيكون يوما عيد عيد عرفة وعيد الجمعة فإن لم يقيمها الإمام لم يحظ إلا بعيد واحد ولا يكون ذلك يوم جمعة أصلا بل يسلب عنه ذلك الحكم لعدم صلاة الجمعة فيه وقد زال عنه اسمه الأول وهو العروبة فلا جمعة ولا عروبة فإن اعتبرت الرتبة الباطنة فقد يرجع عليه اسمه الأول وهو العروبة لا غير فتفطن لما ذكرته لك من زوال اسم الجمعة عنه لأنه ما سمي به إلا لاجتماع الناس فيه على إمام واحد كما اجتمعنا في وجودنا على إله واحد والله الهادي انتهى الجزء الثامن والستون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل في فضل توقيت الوقوف بعرفة في يومه وليلته)

لم تختلف العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقف إلا بعد الزوال وبعد ما صلى الظهر والعصر ارتفع عن مصلاه ووقف داعيا إلى غروب الشمس فلما غربت دفع إلى المزدلفة وأجمعوا على إن من وقف بعرفة قبل الزوال أنه لا يعتد به إن فارق عرفة وأنه إن لم يرجع و يقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج اعلم أن العرب والزمان العربي في اصطلاحهم وما تواطوا عليه يتقدم ليله على نهاره جريا على الأصل فإن موجد الزمان وهو الله تعالى يقول وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا و سلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطن فيه كجلد الشاة ظاهر كالستر عليها حتى تسلخ منه فسلخ الشهادة من الغيب ووجودنا من عدم فظهر علم العرب على العجم فإن العجم الذين حسابههم بالشمس يقدمون النهار على الليل ولهم وجه بهذه الآية وهو قوله فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ وَإِذَا حُرِفَ يَدُلُّ عَلَى زَمَانِ الْحَالِ أَوْ الْإِسْتِقْبَالِ وَلَا يَكُونُ الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ مُظْلَمٌ إِلَّا بِوُجُودِ اللَّيْلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَكَانَ النَّهَارُ غَطَاءً عَلَيْهِ ثُمَّ سَلَخَ مِنْهُ أَيُّ أُرْزِلَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ أَيُّ ظَهَرَ اللَّيْلُ الَّذِي حَكَمَهُ الظُّلْمَةُ فَإِذَا النَّاسُ مُظْلَمُونَ الْمُمْكِنُ وَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فَهِيَ فِي حَكْمِ الْمَعْدُومِ وَأَصْدَقَ بَيْتُ قَالَتِ الْعَرَبُ قَوْلَ لَيْدِ الْأَكَلِ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَالْبَاطِلُ عَدَمُ فَظَهَرَ هَذَا الْحُكْمُ الْأَعْجَمِي فِي الشَّرْعِ الْعَرَبِيِّ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فَإِنَّ الْعَرَبَ وَالشَّرْعَ أَخْرَوْا لَيْلَةَ عَرَفَةَ عَنْ يَوْمِهَا كَمَا فَعَلَتِ الْأَعَاجِمُ أَصْحَابُ حِسَابِ الشَّمْسِ فَجَعَلَ الشَّرْعُ الْعَرَبِيُّ لَيْلَةَ عَرَفَةَ اللَّيْلَةَ الْمُتَقَبِّلَةَ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ الَّتِي يَكُونُ صَبِيحَتِهَا يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ وَسَائِرُ الزَّمَانِ عِنْدَهُمُ اللَّيْلَةَ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ صَبِيحَتِهَا وَعِنْدَ الْأَعَاجِمِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ مِثْلًا الَّذِي يَكُونُ يَوْمَ السَّبْتِ صَبِيحَتِهَا فَاجْتَمَعَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ فِي تَأْخِيرِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَنْ يَوْمِهَا أُعْطِيَ ذَلِكَ مَقَامَ الْمَزْدَلِفَةِ الْمُسَمَّى جَمْعًا فَإِنَّهُ جَمَعَ فِيهِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى حُكْمٍ وَاحِدٍ فَجَعَلُوا لَيْلَةَ عَرَفَةَ يَوْمِ عَرَفَةَ الْمَتَقَدِّمَ لِكُونَ الشَّارِعِ شَرَعَ أَنَّهُ مِنْ أَدْرَاكِ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ لَيْلَةَ جَمْعِ قَبْلِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ وَالْحَجَّ عَرَفَةَ وَكُلُّ يَوْمٍ كَامِلٌ بِبَلِيَّتِهِ مِنْ غُرُوبِ إِلَى غُرُوبِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمِنْ شُرُوقِ إِلَى شُرُوقِ عِنْدَ الْعَجَمِ إِلَّا يَوْمَ عَرَفَةَ فَإِنَّهُ ثَلَاثَةٌ أَرْبَاعُ الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ إِلَّا سَاعَةً وَخَمْسَةَ أَسَدَاسَ سَاعَةٍ فَإِنَّهُ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ خَاصَّةً فَقَدْ نَقَصَ مِنْ زَمَانِ يَوْمِ عَرَفَةَ عَنِ الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى الزَّوَالِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا عَتَبَرْنَا فِي عَرَفَةَ أَنَّهُ مَقَامُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْنَا فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا نَسْمِيَ عَارِفِينَ بِاللَّهِ حَتَّى نَعْلَمَ ذَاتَهُ وَمَا يَجِبُ لَهَا مِنْ كَوْنِهَا إِلَهًا فَإِذَا عَرَفْنَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدْ عَرَفْنَا فَصَارَتِ الْمَعْرِفَةُ مَقْسَمَةً نَصْفَيْنِ النِّصْفِ الْوَاحِدِ مَعْرِفَةَ الذَّاتِ وَالنِّصْفِ الْآخَرَ مَعْرِفَةَ كَوْنِهَا إِلَهًا فَلَمَّا بَحَثْنَا بِالْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَأَصْغَيْنَا إِلَى الْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ أَثْبَتْنَا وَجُودَ الذَّاتِ وَجَهْلَنَا حَقِيقَتِهَا وَأَثْبَتْنَا الْأَوْهَةَ لَهَا وَهُوَ نِصْفُ الْمَعْرِفَةِ بِكَمَا لَهَا وَالرَّبُّ وَجُودُهَا أَعْنَى وَجُودِ الذَّاتِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهَا الْأَوْهَةَ وَالرَّبُّ الْمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهَا فَلَمْ نَصِلْ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهَا وَلَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَى ذَلِكَ وَالزَّائِدُ عَلَى الرَّبِّ الَّذِي جَهْلُنَا أَيْضًا هُوَ جَهْلُنَا بِنِسْبَةِ مَا نَسَبْنَا إِلَيْهَا مِنَ الْأَحْكَامِ فَإِنَّا وَإِنْ كُنَّا نَعْرِفُ النِّسْبَةَ مِنْ كَوْنِهَا نِسْبَةً فَقَدْ نَجَهَلُ النِّسْبَةَ الْخَاصَّةَ لِجَهْلُنَا بِالْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ فَحَصَلَتِ الْمَعْرِفَةُ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ وَمِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ جَهْلُنَا بِالنِّسْبَةِ وَمِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ وَهُوَ رُبْعُ الْيَوْمِ جَهْلُنَا بِالذَّاتِ فَمَا أُعْطِيَ عَرَفَةَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ زَمَانُهُ فَاعْلَمْ فَتَقْصِ الْعِلْمَ بِهَا عَنْ دَرَجَةِ الْعِلْمِ بِكُلِّ مَعْلُومٍ فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ بِحَقِيقَتِهِ فَمَا عَلِمْنَا فَعَلِمْنَا بِوُجُودِ الذَّاتِ مِنْ

أجل الاستناد لا بالذات و علمنا نسبة الأوهة لها لا كيفية النسبة و هو نصف المعرفة و هذا النصف يتضمن ربعين الربع الواحد العلم بصفات التنزيه و السلوب و الربع الآخر المعرفة بصفات الأفعال و النسب فالحاصل بأيدنا ثلاثة أرباع المعرفة إلا و الربع الواحد لا نعرفه أبدا و الذي ينظر من المعرفة المناسب لما زاد على الربع من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس هو بمنزلة ما جهلنا من نسبة و وصف ما وصف الحق به نفسه من صفة التشبيه فلا ندري كيف ننسب إليه مع إيماننا به و إثباتنا له هذا الحكم مع جهلنا لكن على ما يعلمه الله من ذلك فهذا في مقابلة الزائد على ربع اليوم فهذا نقص يوم عرفة عن سائر الأيام الزمانية فتحقق صحة يوم عرفة إنه من الزوال إلى طلوع الفجر من ليلة عرفة

(وصل في فصل من دفع قبل الإمام من عرفة)

اختلف علماء الإسلام فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل الإمام و بعد الغيبوبة فقل أجزاءه لأنه جمع بعرفة بين الليل و النهار فإن دفع قبل الغروب قيل عليه دم و قيل لا شيء عليه و حجة تام و الذي أقول به إنه لا شيء عليه و أن حجة تام الأركان غير تام المناسب لأنه ترك الأفضل لا شك أنه من ترك شيئا من اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم مما لم يفرض عليه فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من اتباع الرسول و أكذب نفسه في محبته لله لعدم إتمام الاتباع و عند أهل طريق الله لواتبعه في جميع أموره و أحل بالاتباع في أمر واحد مما لم يفرض عليه بل خالف سنة لاتباع في ذلك مما أبيع له الاتباع فيه أنه ما اتبعه قط و إنما اتبع هوى نفسه لا هوى مع ارتفاع الأعذار الموجبة لعدم الاتباع هذا مقرر عندنا قال تعالى الحمد صلى الله عليه و سلم قل يا محمد لأمتك إن كنتم تحبون الله فاتبعوني فجعل الاتباع دليلا و ما قال في شيء دون شيء يُحِبُّكُمْ اللهُ و اللهُ يقول لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ و هو الاتباع و قال وَأَوْفُوا بِعَهْدِي فِي دَعْوَاكُمْ مَحِبَّتِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَ هُوَ إِنِّي أَحْبَبْتُكُمْ إِذَا صَدَقْتُمْ فِي مَحِبَّتِي وَ جَعَلَ الدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِهِمْ حُصُولَ مَحَبَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَ حُصُولَ مَحَبَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ دَلِيلَ الْإِتِّبَاعِ وَ عَلَى قَدَرِ مَا نَقَصَ يَنْقُصُ وَ عِنْدَ أَهْلِ اللَّهِ هُوَ أَمْرٌ لَا يَقْبَلُ النِّقْصَ وَ إِنْ الْعَذْرَ لَا يَنْقُصُهُ فَإِنَّهُ فِي حُبِّهِ اللَّهِ عَنِ الْإِتِّبَاعِ فِي أَمْرٍ مَا فَالْحَقُّ يَنْبَغِي عِنْدِي حِكَايَةَ قَالَ أَبُو يَزِيدَ فِي هَذَا الْبَابِ كُنْتُ أَظُنُّ فِي بَرِي بِأَمِّي أَنِّي مَا أَقُومُ فِيهِ لَهْوِي نَفْسِي بِلِ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ حَيْثُ أَمَرْتَنِي بِرِهَا فَكُنْتُ أَجِدُ فِي نَفْسِي لَذَّةَ عَظِيمَةَ كُنْتُ أَتَخَيَّلُ أَنَّ تِلْكَ اللَّذَّةَ مِنْ تَعْظِيمِ الْحَقِّ عِنْدِي لَا مِنْ مَوَافَقَةِ نَفْسِي فَقَالَتْ لِي فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ اسْتَقْنِي يَا أَبَا يَزِيدَ مَا فَمَثَلُ عَلَى التَّحْرُكِ لِذَلِكَ فَقُلْتُ وَ اللهُ مَا خَفَفَ عَلَى مَا كَانَتْ تَكْلِفُنِي فَعَلَهُ إِلَّا الْمَوَافَقَةَ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ حَيْثُ لَا أَشْعُرُ فَأَبْطَلُ عَمَلَهُ وَ مَا سَلِمَ لَهَا قَالَ أَبُو يَزِيدَ فَجَمْتُ بِمُجَاهِدَةٍ وَ جِئْتُ بِالْكُوزِ إِلَيْهَا فَوَجَدْتُهَا قَدْ سَارَعَ إِلَيْهَا النَّوْمُ وَ نَامَتْ فَوَقَفْتُ بِالْكُوزِ عَلَى رَأْسِهَا حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ فَنَاوَلْتَهَا الْكُوزَ وَ قَدْ بَقِيَ فِي أَدْنِ الْكُوزِ قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدٍ أَصْبَعِي لِشِدَّةِ الْبَرْدِ انْقَرَضَتْ فَتَأَلَّمْتُ الْوَالِدَةَ لِذَلِكَ قَالَ أَبُو يَزِيدَ فَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَ قُلْتُ لَهَا حَبِطَ عَمَلِكَ فِي كَوْنِكَ كُنْتُ تَدْعِينِ النَّشَاطَ فِي عِبَادَتِكَ وَ الْإِتِّبَاعَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ مَحَبَّتِكَ اللهُ فَإِنَّهُ مَا كَلَّفَكَ وَ لَا نَدَبَكَ وَ أَوْجَبَ عَلَيْكَ إِلَّا مَا هُوَ مَحْبُوبٌ لَهُ وَ كُلُّ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْمَحْبُوبُ عِنْدَ الْمَحْبُوبِ وَ مِمَّا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ يَا نَفْسِي الْبِرَّ بِوَالِدَتِكَ وَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهَا وَ الْحُبَّ يَفْرَحُ وَ يَبَادِرُ لِمَا يَحِبُّهُ حَبِيبِهِ وَ رَأَيْتَكَ قَدْ تَكَاسَلْتَ وَ تَثَاقَلْتَ وَ صَعِبَ عَلَيْكَ أَمْرُ الْوَالِدَةِ حِينَ طَلَبْتَ الْمَاءَ فَجَمْتُ بِكَسَلٍ وَ كَرَاهَةٍ فَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ مَا نَشَطَتْ فِيهِ مِنْ أَعْمَالٍ

البر وفعلة لا عن كسل ولا تناقل بل عن فرح والتذاذ به إنما كان ذلك لهوى كان لك فيه لا لأجل الله إذ لو كان الله ما صعب عليك الإحسان لوالتك وهو فعل يحبه الله منك وأمرك به وأنت تدعين حبه وأن حبه أورثك النشاط واللذة في عبادته فلم يسلم لنفسه هذا القدر وكذلك غير أبي يزيد من أهل الله كان يحافظ على الصف الأول دائما منذ سبعين سنة وهو يزعم أنه يفعل ذلك رغبة فيما رغبة الله فيه موافقة لله فاتفق له عائق عن المشي إلى الصف الأول فخطر له خاطر إن الجماعة التي تصلي في الصف الأول إذا لم يروه يقولون أين فلان فبكى وقال لنفسه خدعتني منذ سبعين سنة أتخيل أني لله وأنا في هواك وما ذا عليك إذا فقدوك فتاب وما رؤي بعد ذلك يلزم في المسجد مكانا واحدا معينا ولا مسجدا معينا فهكذا حاسب القوم نفوسهم ومن كانت حالته هذه ما يستوي مع من هو فاقد لهذه الصفة كذلك من وقف مع الإمام لأنها عبادة يشترط فيها الإمام إلى أن يدفع معه ما يستوي في الاتباع مثل من دفع قبله

(وصل في فصل من وقف بعرنة من عرفة فإنه منها)

اختلف العلماء فيمن وقف بعرنة بعرفة فإنه من عرفة فقيل حجه نام وعليه دم وقال بعضهم لا حج له عرنة من عرفة موقف إبليس فإن إبليس ينجح في كل سنة وذلك موقفه يبكي على ما فاته من طاعة ربه وهو مجبور في الإغواء وإن كان من اختياره إيراد القسمة بره فإنه وإن سبق له الشقاء فله شبهة يستند إليها في أمثاله أمر سيده بعد أن حقت الكلمة كلمة العذاب عليه بقوله تعالى قال اذهب واستغفر وأجلب و عدُّهُم فإنه يجد لذلك تفتيسا ومع هذا فإنه يحزن لما يرى من المغفرة التي حصلت لأهل عرفة الشاملة لهم وهو فيها أعني بعرفة فلا بد له عند نفسه من طرف منها يناله من عين المنة الإلهية ولو بعد حين هذا ظنه بربه وأما خروجه من جهنم فلا سبيل إليه لأنه وأتباعه من المشركين الذين هم أهل النار يملا الله بهم جهنم ولا تنقص فيها بعد ملئها فلا خروج وأمر الله الحاج أن يرتفع عن موقف إبليس فإنه موقف البعد فإبليس تحت حكم الاسم البعيد وأهل عرفة تحت حكم الاسم القريب فما برحوا من حكم الأسماء فنجح من وقف بعرنة لكونه من عرفات تام إلا أنه ناقص الفضيلة كما بينا في الدفع قبل الإمام فعرنة موضع مكروه للوقوف به من أجل مشاركة الشيطان ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع في ذلك عن بطن الوادي الذي فاتته فيه صلاة الصبح فعلى وقال إنه وأدبه شيطان لأنه هو الذي هدا بالأحصى نام عن مراقبة الفجر و قد ورد في الحديث أن الشيطان يعقد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد

الحديث فما أراد صلى الله عليه وسلم بارتفاعه عن بطن عرنة إلا البعد من مجاورة الشيطان ولو صلى في ذلك الموضع أجزاءه أعني الموضع الذي أصابته فيه الفتنة ففارق الموضع مفارقة تنزيه لا مفارقة تحريم ولما كان لإبليس طرف من المعرفة لذلك لم تطرده الملائكة عن عرنة بل وقف فيها غير إن الناس انعزلوا عنه في ناحية منها لانعزال إمامهم و عرفات كلها موقف وعرنة من عرفات فأمرنا بالارتفاع عن بطن عرنة لما ذكرناه ومن حمل هذا الأمر على الوجوب أبطل الحج ولا تكون الإفاضة للحاج إلا من بطن عرنة فإن حد المزدلفة حرف الوادي الذي هو عرنة وقال تعالى فإذا أفضت من عرفات ولم يحض مكانا من مكان بل الخروج عنها بالكلية إلى المزدلفة وقد علمنا إن الله يغفر لأهل الموقف من

الحاج وغيرهم ورحمة الله وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَالتقييد ما هو من صفة من له الوجود المطلق فبرحمة الله يجيا ويرزق كل موجود سوى الله فالرحمة شاملة وهي في كل موطن تعطي بحسب ذلك الموطن فأثرها في النار بخلاف أثرها في الجنة والله الموفق لا رب غيره

(وصل في فصل المزدلفة)

أجمع العلماء على أنه من بات بالمزدلفة وصلى فيها المغرب والعشاء وصلى الصبح يوم النحر ووقف بعد الصلاة إلى أن أسفر ثم دفع إلى من أن حجه تام واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو فروضه فقال جماعة هو من فروض الحج ومن فاته فعليه الحج من قابل والهدى وقال بعضهم من فاته الوقوف بها والمبيت فعليه دم وقال بعضهم إن لم يصل بها الصبح فعليه دم المزدلفة اسم قرب والعمل فيها قربة فمن فاته صفة القرب في محل القرب فما حج فإن الحج نشأة كاملة من هذه الأفعال كلها فهي له كالصفات النفسية للموصوف إذا زال واحد منها بطل كون ذلك الموصوف وهكذا كل عبادة تقوم من أشياء مختلفة بمجموعها تصح تلك العبادة وهي المعبر عنها بأركانها فتسمى في العبادة ركنا وتسمى في الذوات والأعيان صفة نفسية غير إن النشآت وإن كانت لها صفات نفسية هي التي تحفظ على ذلك الشيء عينه لها أيضا لوازم وهي التي توجد في الحدود الرسمية وهي لا تنفك عن الموصوف بها فمن يرى أن الموصوف لا ينفك عنها كالضحك للإنسان أشبهت الصفة النفسية قال بطلان الملزوم لعدم اللازم ومن قال يصح حد الشيء الذاتي دون هذا اللازم قال لا يكون للشيء حكم البطلان مع ارتفاع اللازم في الذهن وإن لم يرتفع في الوجود ولما سماه الله المشعر الحرام لتشعر بالقبول من الله في هذه العبادة بالعناية والمغفرة وضمان التبعات ووصفه بالحرمه لأنه في الحرم فيحرم فيه ما يحرم في الحرم كله فإنه من جملته فأمر بذكر الله فيه يعني بما ذكرناه فإن الشيء لا يذكر بأن يسمى وإنما يذكر بما يكون عليه من صفات الحمدة فإن الأسماء في أصل الوضع إنما هي أعلام للمسمى بها لا نعوت فلا يذكر بالاسم العلم إلا للتعريف لتعلم من هو المذكور بما ذكرته من المحامد أو غيرها

(وصل في فصل رمى الجمار)

أما جمره العقبة فموضع الاتفاق فيها إن ترمي من بعد طلوع الشمس إلى قريب من الاستواء بسبع حصيات يوم النحر لا يرمي في ذلك اليوم غيرها واختلفوا في رميها قبل طلوع الفجر فقل لا يجوز وعليه الإعادة يعني إعادة الرمي وقيل يجوز والمستحب بعد طلوع الشمس وبالأول أقول وقال قوم إن رماها قبل غروب الشمس يوم النحر أجزاءه ولا شيء عليه وقال بعضهم استحباب لمن رماها قبل غروب الشمس يوم النحر أن يريق دما واختلفوا فيمن لم يرم حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقل عليه دم وقيل لا شيء عليه إن رماها من الليل وإن أخرها إلى غد فعليه دم وقال قوم لا شيء عليه وإن أخرها إلى الغد وأما الرعاء فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم معنى الرخصة للرعاء إنما ذلك إذا مضى يوم النحر ورموا جمره العقبة ثم كان اليوم الثالث وهو أول أيام النفر رخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرموا في ذلك اليوم له ولليوم الذي بعده فإن نفروا فقد فرغوا وإن أقاموا إلى الغد رما مع الناس يوم النفر الآخر و

نفروا وقال بعضهم معنى الرخصة عند العلماء هو جمع يومين في يوم واحد إلا أن مالكا إنما يجمع عنده ما وجب فيجمع في اليوم الثالث فيرمي عن الثاني والثالث فإنه لا يعصي أحد عنده إلا بما وجب و رخص كثير من العلماء في جمع يومين في يوم واحد سواء تقدم ذلك اليوم الذي أضيف إليه غيره أو تأخر واختلفوا فيمن قدم من هذه الأفعال ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم بفعله أو من أخر ما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم منها فقال بعضهم من حلق قبل أن يرمي جمرة العقبة فعليه الفدية وقال آخرون لا شيء عليه وسيرد في سرد الأخبار النبوية الواردة في الحج إن شاء الله بعد هذا ما تقف عليه ويقع التنبية على كل خبر بحسب ما يتضمنه وقال بعضهم إن حلق قبل أن يرمي أو ينحر فعليه دم وإن كان قارنا فعليه دمان وقال بعضهم عليه ثلاثة دماء دمان للقران و دم للحلق قبل النحر وأجمعوا على أنه من نحر قبل أن يرمي فلا شيء عليه وإنه من قدم الإفاضة قبل الرمي والحلق أنه يلزمه إعادة الطواف وقال بعضهم لا إعادة عليه وقال الأوزاعي إذا طاف الإفاضة قبل أن يرمي جمرة العقبة ثم واقع أهله فعليه دم وانفقوا على إن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة منها في يوم النحر سبعة وأن من رمى هذه الجمرة أعني جمرة العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها إن ذلك كله واسع والمختار منها فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بطن الوادي وأجمعوا على أنه يعيد الرمي إذا لم تقع الحصاة في العقبة وأنه يرمي في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بإحدى و عشرين حصاة كل جمرة بسبع وأنه يجوز أن يرمي منها يومين وينفر في الثالث وقدروها عندهم أن تكون مثل حصى الخذف والسنة في رمى الجمرات في أيام التشريق أن يرمي الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك الثانية ويطلب المقام ثم يرمي الثالثة ولا يقف عندها والتكبير عندهم عند كل رمى جمرة حسن وأن يكون رمى أيام التشريق بعد الزوال واختلفوا إذا رماها قبل الزوال في أيام التشريق فقال جمهور العلماء عليه إعادة الرمي بعد الزوال و روى عن بعض علماء أهل البيت أنه قال رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها وأجمعوا على إن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس من آخرها أنه لا يرميها بعد واختلفوا في الوجوب من ذلك بين الدم والكفارة فقال بعضهم إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال بعضهم إن تركها كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ ذلك ما ترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم وقال بعضهم عليه في الحصاة مد من طعام وفي الحصاة تين مدان وفي الثلاث دم وقال الثوري مثله إلا أنه قال في الرابعة دم و رخصت طائفة من التابعين في الحصاة الواحدة فقالت ليس فيها شيء وقال أهل الظاهر لا شيء في ذلك وسأورد الأخبار فيما ذكرناه إن شاء الله و جمهور العلماء على إن جمرة العقبة ليست من أركان الحج وأما التحلل من الحج فهو تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمى جمرة العقبة (اعتبار هذا الفصل) الجمرات الجماعات وكل جمرة جماعة أية جماعة كانت ومنه الاستجمار في الطهارة ولهذا استحباب له أن يكون أكثر من واحد حتى يوجد فيه معنى الجماعة ولا معنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد إذ كان له ثلاثة حروف فإن العرب لا تقول في الحجر الواحد أنه جمرة و يستحب أن يكون وترا من ثلاث فصاعدا وأكثره سبع في العبادة لا في اللسان فإن الجمرة الواحدة سبع حصيات وكذلك الجمرة الزمانية التي

تدل على خروج فصل شدة البرد كل جمرة في شباط سبعة أيام وهي ثلاث جمرات متصلة كل جمرة سبعة أيام فتتقضي الجمرات بمضي أحد وعشرين يوماً من شباط مثل رمى الجمار إحدى وعشرين حصاة وهي ثلاث جمرات وكذلك الحضرة الإلهية تنطلق بإزاء ثلاثة معان الذات والصفات والأفعال ورمى الجمرات مثل الأدلة والبراهين على سلب كحضرة الذات أو إثبات كحضرة الصفات المعنوية أو نسب أو إضافة كحضرة الأفعال فدلائل الجمرة الأولى لمعرفة الذات ولهذا تقف عندها لغموضها إشارة إلى الثبات فيها وهي ما يتعلق بها من السلوك إذ لا يصح أن يعرف بطريق إثبات صفة معينة ولا يصح أن يكون لها صفات نفسية متعددة بل صفة نفسه عينه لا أمر آخر فلا بد أن تكون صفته النفسية الثبوتية واحدة وهي عينه لا غير فهو مجهول العين معلوم بالافتقار إليه وهذه هي معرفة أحديته تعالى فيأتي خاطر الشبهة بالإمكان إلى هذه الذات فيرميه بحصاة الافتقار إلى المرجح وهو واجب الوجود لنفسه ويأتي بصورة الدليل على ما يعطيه نظمه في موازين العقول فهذه حصاة واحدة من الجمرة الأولى فإذا رماه بها مكبراً أي يكبر عن هذه النسبة الإمكانية إليه فيأتيه في الثانية بأنه جوهر فيرميه بالحصاة الثانية وهو دليل الافتقار إلى التحيز أو إلى الوجود بالغير فيأتيه بالجسمية فيرميه بحصاة الافتقار إلى الأداة والتركيب والأبعاد فيأتيه بالعرضية فيرميه بحصاة الافتقار إلى الحل والحدوث بعد أن لم يكن فيأتيه بالعلية فيرميه بالحصاة الخامسة وهي دليل مساوقة المعلول له في الوجود وهو كان ولا شيء معه فيأتيه في الطبيعة فيرميه بالحصاة السادسة وهي دليل نسبة الكثرة إليه وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة إلى الأمر الآخر في الاجتماع به إلى إيجاد الأجسام الطبيعية فإن الطبيعة مجموع فاعلين ومنفعلين حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ولا يصح اجتماعها لذاتها ولا افتراقها لذاتها ولا وجود لها إلا في عين الحار والبارد والرطب واليابس فيأتيه في العدم وهو أن يقول له إذا لم يكن هذا ولا هذا ويعدد ما تقدم فما ثم شيء فيرميه بالحصاة السابعة وهي دليل آثاره في الممكن والعدم لا أثر له وقد ثبت بدليل افتقار الممكن في وجوده إلى مرجح ووجود موجود واجب الوجود لنفسه وهو هذا الذي أثبتناه مرجحاً وانقضت الجمرة الأولى ثم أتينا إلى الثانية وهي حضرة الصفات المعنوية وقال لك سلمنا إن ثم ذاتا مرجحة للممكن فمن قال إن هذه الذات عالمة بما ظهر عنها فرميناه بالحصاة الأولى إن كان هذا هو الخاطر الأول الذي خطر لهذا الحاج المعنوي وقد يخطر له الطعن في صفة أخرى أو لا فيرميه بحسب ما يخطر له إلى تمام سبع صفات وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام وبعض أصحابنا لا يشترط هذه الثلاثة أعني السمع والبصر والكلام في الأدلة العقلية ويتلقاها من السمع إذا ثبت ويجعل مكانها ثلاثة أخرى وهي علم ما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليه مع الأربعة التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة فهذه سبعة علوم فورد الخاطر الشيطاني بشبهة لكل علم منها فيرميه هذا الحاج بحصاة كل دليل عقلي على الميزان الصحيح في نظم الأدلة بحسب ما يقتضيه ويطلب التثبت في ذلك وهو الوقوف عند الجمرة الوسطى والدعاء عندها ثم يأتي الجمرة الثالثة وهي حضرة الأفعال وهي سبع أيضاً فيقوم في خاطره أولاً المولدات وأنها قامت بأنفسها فيرميه بحصاة افتقارها من الوجه الخاص إلى الحق عز وجل فإذا علم الخاطر الشيطاني أنه لا يرجع عن علمه بالافتقار أظهر له أن افتقاره إلى سبب آخر غير الحق وهو العناصر وقد

رأينا من كان يعبدها بالموصل وإذا خطر له ذلك فأما أن يتمكن منه بأن ينفي أثر الحق تعالى عنه فيها فإن لم يقدر فقصاراه أن يثبتها شركا
 فيرميه بالحصاة الثانية فيريه في دلالتها إن العناصر مثل المولدات في الافتقار إلى غيرها وهو الله تعالى لأن العارف أبدا إنما ينظر في كل ممكن
 ممكن الوجه الخاص الذي من الله إليه ما ينظر إلى السبب الذي أوقف الله وجوده عليه أو ربطه به على جهة العلية أو الشرط هذا هو نظر أهل
 طريق الله من أصحابنا وما رأيت أحدا من المتقدمين قبلنا ولا من أهل زماننا في علمي نبي على إثبات هذا الوجه الخاص في كل ممكن مع
 كونهم لا يجهلونه ولكن صدق الله في قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ يعني الأسباب وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ يعني نسبتنا إنا لا إلى السبب فالحمد لله
 الذي فتح أبصارنا إلى إدراك هذا الوجه في كل ممكن فإذا رماه بالحصاة الثانية كما ذكرناه أخطر له السبب الذي يتوقف وجود الأركان عليه و
 هو الفلك فقال إن موجد هذه الأركان الفلك وصدقته فيما قتله فيرميه بالحصاة الثالثة وهي افتقار الفلك وهو الشكل إلى الله من الوجه
 الخاص كما ذكرناه فيصدقته في الافتقار ويقول له أنت غالط إنما كان افتقار الشكل إلى الجسم الذي لولاه ما ظهر الشكل فيرميه بالحصاة الرابعة
 وهو افتقار الجسم إلى الله من الوجه الخاص فيصدقته ويقول له صحيح ما قلت من الافتقار القائم ولكن إلى جوهر الهباء الذي تسميه أهل
 النظر الهبولى الكلى الذي لم تظهر صورة الجسم إلا فيه فيرميه بالحصاة الخامسة وهو دليل افتقار الهباء إلى الله كما ذكرناه قبله فيقول بل
 افتقارها إلى النفس الكلية المعبر عنها في الشرع باللوح المحفوظ فيرميه بالحصاة السادسة وهو دليل افتقار النفس الكلية إلى الله من الوجه
 الخاص أيضا فيصدقته في الافتقار ولكن يقول له بل افتقارها إلى العقل الأول وهو القلم الأعلى الذي عنه انبعثت هذه النفس فيرميه بالحصاة
 السابعة وهو دليل افتقار العقل الأول إلى الله وليس وراء الله مرمى فما يجد ما يقول له بعد الله فلذلك ما يقف عند جمرة العقبة وهي آخر
 الجمرات لأنه كما قلنا وليس وراء الله مرمى فهذا تحريم رمى جمرات العارفين بمنى موضع التمني وبلوغ الأمنية فإنها أيام أكل وشرب وتمتع و
 نعيم فهي جنة معجلة وفيه لقاء النفث والوسخ وإزالة الشعث من الحاج ومن قوة التمني الذي سمي به منى إنه يبلغ بصاحبه الذي هو معدوم
 مما تمناه مبلغ من عنده ما تمناه هذا التمني بالفعل على أتم الوجوه مثل رب المال يفعل به أنواع الخير وينفقه في سبل البر ابتغاء فضل الله فيتمنى
 العديم أن لو كان له مثله ليفعل فعله فهما في الأجر سواء بل هو أتم فإنه يحصل له الأجر التام على أكمل وجوهه من غير سؤال فإن صاحب
 الفعل يسأل عنه من أين جمعه وهل أخلص في إخراجه وبعد هذا التعب والمشقة يحصل على أجره والتمنى يحصل على ذلك من غير سؤال
 ولا مشقة من بعد رمى الجمار يخلق رأسه أعني جمرة العقبة يوم النحر وإنما سميتها جمارا وإن كانت جمرة واحدة في ذلك اليوم فإن كل
 واحدة من الحصى بإضافتها إلى الأخرى تسمى جماعة فهي جمار بهذا النظر كما تقول إذا اجتمع جوهرا كانا جسمين أي انطلق على كل
 واحد منهما باجتماعه مع الآخر جسم فهما جسمان بهذا النظر كما قال وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ وَمَا خَلَقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا زَوْجًا
 واحدا ذكرا وأنثى مثلا فسماه زوجين بهذا الاعتبار الذي ذكرناه لأن كل واحد بالنظر إلى نفسه دون أن ينضم إليه هذا الآخر لا يكون زوجا
 فإذا ضم إليه آخر انطلق على كل واحد منهما اسم الزوج فقيل فيها زوجان ولما اعتبر الله هذا بالذكر لذلك قلنا نحن ثم بعد رمى الجمار

فسمينا جمرة العقبة جماراً إذ كانت عدة حصيات فما في كلامنا حشواً لأنه لا تكرار في الوجود للانتساع الإلهي فإذا رمى جمرة العقبة حلق رأسه وهو أولى من تقصير الشعر فإن الشعور بالأمر ما هو عين حصول العلم به على التمام من التفصيل وإنما يشعر العبد أن ثمراً ما فإذا حصله زال الشعور وكان علماً تاماً بتفصيل ما شعر به كمن يشعر بالتفصيل في الجمل قبل حصول العلم بتعيين تفصيله فالقاء الشعور هو إزالة الشعور بوجود العلم لأن الشعر ستر على الرأس ثم يتطيب ليجد منه رائحة ما انتقل إليه من تحليل ما كان حجر عليه كما تطيب لإحرامه حين أحرم ليجد منه ريح ما انتقل إليه وجعله طيباً لأنه انتقل في الحالتين لخير مشروع مقرب إلى الله تعالى فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ليميز الله الحَيْثَ من الطَّيِّبِ فجعل الطيب في الحالين تنبيهاً على طيب الأفعال ثم نحر أو ذبح قربانه ينوي بذلك تسريح روح هذا الحيوان من سجن هذا الهيكل الطبيعي المظلم إلى العالم الأعلى عالم الانسحاق والخير فإن الحيوانات كلها عندنا ذات أرواح وعقول تعقل عن الله ولهذا قال فيها تعالى كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ فسرحننا أرواح هذه الحيوانات في هذا اليوم شكر الله كما خرجنا نحن فيه من حال التججير وهو الإحرام الذي كما عليه إلى الإحلال والتصرف في المباحات المقربة إلى الله بحكم الاختيار ثم أكلنا منها ليكون جزءاً منها عندنا لنشاهد ما هو عليه من الذكر المخصوص به ذوقاً ولنجعل كالمساعد لنا فيما نرومه من الحركة في طاعة الله تعالى إذ لا بد من الغذاء فكان أخذ هذا النوع من الغذاء أولى ثم نزلنا إلى البيت زائرين ربنا تعالى ليرانا محلين كما يرانا محرمين على جهة الشكر له حيث سرح أعياننا وأباح لنا التصرف فيما كان حجره علينا فقبلنا يمينه على ذلك مبايعة وتحية ثم طغنا به سبعة أشواط وصلينا خلف مقام إبراهيم وقد تقدم الكلام في المراد بالطواف والصلاة في طواف القدوم إلا أنه ما نهنا على اتخاذ مقام إبراهيم مصلى لننال ما ناله من الخلة على قدر ما يعطيه حالنا فإن الله أمرنا أن نتخذ مصلى ونهنا على ما تأولناه صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والمؤمنون آله كما صليت على إبراهيم وما اختص به إلا الخلة فلما دعونا بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب الله دعاءنا فيه لتتخذ عنده يداً بذلك فصلى الله عنه علينا بذلك عشراً فقام تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالمكافأة عناية منه به عليه السلام وتشريفنا لنا حيث لم تكمل المكافأة في ذلك للملك ولا غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك لما حصلت الإجابة من الله فيما دعوانا فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم يعني نفسه خليل الله ولو صحت له هذه الخلة من قبل دعاء أمته له بذلك لكان غير مفيد صلاتنا عليه أي دعاءنا له بذلك فإن قيل قد حصلت الخلة بدعاء الصحابة أو لافما فائدة دعائنا ونحن مأمورون في هذا الوقت بالصلاة عليه مع حصول الخلة فهكذا حكم الأول وربما نال الخلة قبل دعاء أصحابه وتكون نسبة دعائهم بها له كدعائنا اليوم قلنا حكم الخلة ما ظهر هنا وإنما يظهر ذلك في الآخرة والحكم للمعنى لا يكون إلا بعد حصول المعنى فمتى قام المعنى بمحل وجب حكمه لذلك المحل ففي الآخرة نال الخلة لظهور حكمها هناك وأما الذي يظهر هنا منها لواقع تبدو وتؤذن بأنه قد أهل لها واعتنى به هذا هو الصحيح والجواب الأول أن لكل نفس منا حظاً من محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصورة التي في باطنه أعني في باطن كل إنسان

منه صلى الله عليه وسلم فهو في كل نفس بصورة ما يعتقد فيه كل شخص فيدعوه بالصلاة عليه المذكورة صلى الله عليه وسلم فتعال تلك الصورة المحمدية التي عنده تلك الحال المدعوبها بدعائه والصلاة عليه فما حصلت له الخلة من هذا الوجه إلا بعد دعاء كل نفس وهكذا يجده أهل الله في كشفهم فاعلم ذلك (واقعة) اعلم وفقك الله بينا أنا أكتب هذا الكلام في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ومقامه عليه السلام قوله تعالى فيه وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى لَأنه وفى بما رأى من ذبح ابنه أخذتني سنة فإذا قائل من الأرواح أرواح الملا الأعلى يقول لي عن الله تعالى ادخل مقام إبراهيم وهو أنه كان أوها حليما ثم تلا على إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ فَعَلِمْتُ إِنْ اللهُ تَعَالَى لَأَبْدَأُ بِعَطِيئِي مِنَ الْاِقْتِدَارِ مَا يَكُونُ مَعَهُ الْحِلْمُ إِذْ لَأَحْلِمُ عَنْ غَيْرِ قَدْرَةٍ عَلَى مَنْ يَحْلِمُ عَنْهُ وَعَلِمْتُ إِنْ اللهُ تَعَالَى لَأَبْدَأُ بِعَطِيئِي بِكَلَامِي فِي عَرْضِي مِنْ أَشْخَاصٍ فَأَعْمَلُهُمْ مَعَ الْقَدْرَةِ عَلَيْهِمْ بِالْحِلْمِ عَنْهُمْ وَيَكُونُ أَذَى كَثِيرًا فَإِنَّهُ جَاءَ حَلِيمٌ بِنِيَّةِ الْمَبَالِغَةِ وَهِيَ فَعِيلٌ ثُمَّ وَصَفَ بِالْأَوَّاهِ وَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ مِنَ التَّأَوُّهِ لَمَّا يَشَاهِدُهُ مِنْ جَلَالِ اللهِ وَكُونَهُ مَا فِي قُوَّتِهِ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ بِهِ ذَلِكَ الْجَلالُ الإلهي مِنَ التَّعْظِيمِ إِذْ لَأَطَاقَةُ لِلْمَحْدَثِ عَلَى مَا يَقَابِلُ بِهِ جَلالُ اللهِ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ فَهَذَا أَيْضًا مِنْ قَصْدِنَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ لِنَتَّخِذَهُ مَصْلَى أَيْ مَوْضِعَ دَعَاءٍ فِي صَلَاةٍ أَوْ أَثْرَ صَلَاةٍ لِنَلِيزَ هَذَا الْمَقَامَ وَالصِّفَةَ الَّتِي هِيَ نَعْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ وَحَالَهُ وَمَقَامَهُ فَتَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَنَا نَصِيبٌ مِنَ الْخَلَّةِ كَمَا حَصَلَ مِنْ دَرَجَةِ الْكَمالِ وَالْحَتَامِ وَالرَّفْعَةِ السَّارِيَةِ فِي الْأَشْيَاءِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْحَظَّ الْوَافِرَ بِالْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَمِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مُطْلَقِ الشَّرْكَ الْمَعْفُو عَنْهُ وَالْمَذْمُومِ فِيمَا نَسَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْكُوكَبِ هَذَا رَبِّي وَمِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَوْتِيَ الْحِجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَأَنَّهُ شَاكِرٌ لِأَنْعَمِهِ أَجْبَاهُ فَهُوَ مَجْتَبَى وَهَدَاهُ أَيْ وَفَّقَهُ بِمَا أَبَانَ لَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ صِرَاطُ الرَّبِّ الَّذِي وَرَدَ فِي قَوْلِ هُودٍ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَمِنْ مَقَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ حَنِيفًا مَائِلًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنَ اللهِ إِلَى اللهِ عَنْ مَشَاهِدَةٍ وَعِيَانٍ وَمِنْ نَفْسِهِ إِلَى اللهِ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَإِثَارِ لِحَنَابِ اللهِ بِحَسَبِ الْمَقَامِ الَّذِي يَقَامُ فِيهِ وَالْمَشْهَدِ الَّذِي يَشْهَدُهُ وَمِنْ كُلِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَمَالَ عَنْهُ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَمِنْ مَقَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا مُنْقَادًا إِلَى اللهِ عِنْدَ كُلِّ دَعَاءٍ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِفٍ وَالْأُمَّةَ مُعَلِّمَ الْخَيْرِ فَتَرْجُو مَا نُوْرِدُهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ لِلنَّاسِ أَنْ يَكُونَ حَظِي مِنْ تَعْلِيمِ الْخَيْرِ وَأَنْ تَقُومَ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ مِنْ جَانِبِ اللهِ أَيْ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ مِمَّا لَانْشَارَكَ فِيهِ تَقُومُ فِيهِ مَقَامُ الْأُمَّةِ لِانْفِرَادِي بِهِ وَالْقَانِتِ الْمَطِيعِ لِلَّهِ فَارْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَطَاعِ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَلَا تَكُونَ الطَّاعَةَ إِلَّا عِنْدَ الْمَراسِمِ الإلهيةِ وَالْأَوَامِرِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى الْخُطَابِ فَارْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ يَأْمُرُهُ اللهُ فِي سِرِّهِ فَيَمْتَلِئُ مَراسِمَهُ بِبَلَا وَاسْطَةِ وَمِنْ مَقَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا الصَّالِحِ وَالصَّالِحِ عِنْدَنَا أَشْرَفُ مَقَامٍ يَصِلُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ وَيَتَّصِفُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنَّ الصَّالِحَ صِفَةُ امْتِنَانِ اللهِ بِهَا عَلَى مَنْ وَصَفَهُ بِهَا مِنْ خَاصَتِهِ وَهِيَ صِفَةُ يَسْأَلُ نِيْلَهَا كُلُّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ وَعِنْدَنَا مِنَ الْعِلْمِ بِهَا ذَوْقُ عَظِيمٍ وَرِثَاةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا رَأَيْتَهُ لغيرِنَا وَالصَّالِحَ صِفَةُ مَلَكيَّةِ رُوحَانِيَّةٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيهَا إِذَا قَالَ الْعَبْدُ فِي التَّشْهيدِ السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللهُ آتَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ قَوْلُ كُلِّ نَبِيٍّ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللهِ أَجْرَ التَّبْلِيعِ فَكَانَ

أجره أن نجاه الله من النار فجعلها عليه بُرْدًا وَسَلَامًا فَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ مُخَالَفَةٍ وَمَعْصِيَةٍ صَدْرَتْ مِنِّي يَكُونُ حُكْمُهَا فِي حُكْمِ النَّارِ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رُمِيَ فِيهَا عَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ لَا عَنَ عَمَلٍ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَعِنَ الصَّالِحِينَ أَي لَذَلِكَ الْأَجْرُ مَا نَقَصَهُ كَوْنُهُ فِي الدُّنْيَا قَدْ حَصَلَهُ بِمَا يَنَالُهُ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا وَمِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ الَّذِي وَفَّى فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَعَلَيْهِ أُدِلَّ النَّاسُ أَبَدًا وَأُرْبَى عَلَيْهِ أَصْحَابِي فَلَا تُرِكَ أَحَدًا عَهْدَ مَعَ اللَّهِ عَهْدًا وَهُوَ يَسْمَعُ مِنِّي يَنْقُضُهُ كَانَ مَا كَانَ مِنْ قَلِيلِ الْخَيْرِ وَكَثِيرِهِ وَلَا أَدْعُهُ يَتْرُكُهُ لِرُخْصَةِ تَظْهَرُ لَهُ تَسْقُطُ عَنْهُ الْإِثْمُ فِيهِ وَمَعَ هَذَا فَيُوفِي بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُهُ تَمَامًا لِلْمَقَامِ الْأَعْلَى وَكَمَا لَا فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا تَعَوَّدَتْ نَقْضَ الْعَهْدِ وَاسْتَحْلَتَهُ لَا يَجِيءُ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَمَرْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُ مُصَلًّى فَقَالَ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى أَي مَوْضِعَ دَعَاءٍ إِذَا صَلَّيْتُمْ فِيهِ إِنْ نَدَعُو فِي نَيْلِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَفِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أَيْضًا قِيلَ لِي قُلْ لِأَصْحَابِكَ اسْتَغْنَمُوا وَجُودِي مِنْ قَبْلِ رِحْلَتِي فَتَنْظَمُ ذَلِكَ وَضَمَّنْتَهُ هَذَا اللَّفْظَ فَقُلْتُ بَعْدَ مَا اسْتَيْقَظْتُ

لأهل	ملتي	بأن أقول	قولا	من عند	بغيتي	قد جاءني	خطاب
من كان	قبلتي	لكي أرى	بعيني	من قبل	رحلتي	استغنموا	وجودي
لسد	خلتي	فإنني	فقير	من كان	علتي	و في	وجودي أيضا
و العلم	حلتي	فعينه	وجودي	و الحال	خلتي	محبتي	مقامي
و ما	استقلت	عن ذكر	ما أتاها	لما	تولت	دعوت	عين نفسي
من خلف	كلتي	إلى شهود	عيني	مع	الأهلة	فعدت	ما تجلى
إذ كان	جملي	فما رأيت	غيري	من أجل	قبلتي	و مد	لي يمينا

و رأيت في هذه الواقعة أنواعا كثيرة من مبشرات إلهية بالتقريب الإلهي وما يدل على العناية والاعتناء فأرجو من الله أن يحقق ذلك في الشاهد فإن الأدب يعطي أن أقول في مثل هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن من عند الله يمضه مع علمه بأنه من عند الله فما قلت مثل هذا قط في واقعة إلا وخرجت مثل فلق الصبح فإني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى في المنام أن جبريل عليه السلام أتاه بعائشة في سرقة حرير حمراء وقال له هذه زوجتك فلما قصها على أصحابه قال إن يكن من عند الله يمضه فجاء بالشرط لسلطان الاحتمال الذي يعطيه مقام النوم وحضرة الخيال فكان كما رأى وكما قيل له فزوجها بعد ذلك فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها وانتفعت بالاتباع فيه وما قلت هذا كله إلا أمثالا لأمر الله في قوله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ وَأَيَّةُ نِعْمَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُوَافَقَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ نَرَجِعُ وَنَقُولُ فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَعْيٌ خَرَجَ يَسْعَى عَلَيَّ مَا قَرَّرْنَا قَبْلَ فِي السَّعْيِ عِنْدَ

الكلام عليه وإلا أتى زمزم فتضلع من مائها وهي برّ فهو علم خفي في صورة طبيعية عنصرية قد اندرج فيها تحيي بها النفوس يدل على العبودية المحضة فإن حكم الله تعالى في الطبيعة أعظم منه في السموات والأرض لأنهما من عالم الطبيعة عندنا وعن الطبيعة ظهر كل جسم و جسد وجسماني في عالم الأجسام العلوي والسفلي (وصل) في فصل قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَمْ يُقَلِّ لِلْحَاجِّ فَأَنْزَلَ الْحَجَّ فِي الْآيَةِ مَنْزِلَةَ النَّاسِ مَا أَنْزَلَهُ مَنْزِلَةَ الدُّيُونِ وَالْبُيُوعِ وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى يَطْلِبُهُ فَعَلِمْنَا إِنْ حَكَمَ الْحَجَّ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ حَكَمَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعْتَبَرُ فِيهَا الْأَهْلَةُ أَعْنَى مَوَاقِيتِ الْأَهْلَةِ وَالْحَجَّ فَعَلَّ مَضَافٌ مَخْصُوصٌ مَعِينٌ يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ كَسَائِرِ أَفْعَالِهِ فِي بُيُوعِهِ وَمَدَائِنَاتِهِ فَاعْتَنَى بِذِكْرِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْمَخْصُوصَةِ لِأَنَّهَا أَفْعَالٌ مَخْصُوصَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَصْدِ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا مَنَفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَلِهَذَا تَمَيَّزَ حَكَمَ الْحَجَّ عَنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ فِي أَغْلَبِ أَحْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ فِي التَّعْلِيلِ فَأَكْثَرُهُ تَعْبُدُ مَحْضٌ لَا يَعْقِلُ لَهُ مَعْنَى عِنْدَ الْفُقَهَاءِ فَكَانَ بَدَايَتُهُ عَيْنَ الْحِكْمَةِ مَا وَضَعَ لِحِكْمَةٍ مُوجِبَةٍ فِيهِ أَجْرٌ لَا يَكُونُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَتَجَلَّى لِلهِ لَا يَكُونُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ فَكَانَ الْهَلَالُ فِي أَوَّلِ شَهْرِ الْوُقُوفِ بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ مِنَ الْعَدَدِ وَتَجَلَّى الْهَلَالُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِيهِ تَجَلَّى الْحَقُّ فِي الْعَبْدِ بِالْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَطْلُوبٍ بِالشَّرْعِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمَكْفُوفِ وَالْإِيمَانَ رُوحَ وَجِسْمَهُ صُورَةَ التَّلَفُّظِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ الشَّهَادَةُ بِالتَّوْحِيدِ وَكَذَلِكَ نَشْهَدُ أَوَّلَ لَيْلَةِ الْهَلَالِ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَعْظُمُ التَّجَلِّيُّ فِي بَسَائِطِ الْعَدَدِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى لَيْلَةِ التَّاسِعِ وَهِيَ آخِرُ لَيْلَةِ بَسَائِطِ الْعَدَدِ الَّتِي هِيَ آخِرُهَا فَكَمَّلَ تَجَلِّيهِ فِي آخِرِ بَسَائِطِ الْعَدَدِ فَكَانَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ يَوْمَ التَّاسِعِ فَحَصَلَتْ لَهُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِكَمَالِ الْبَسَائِطِ وَلِهَذَا قَابَلَهَا وَدَخَلَ فِيهَا بِالتَّجْرِيدِ عَنِ الْمَخِيطِ وَهُوَ التَّرَكِيبُ أَلَّا تَرَاهُ يَلْبَسُ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ الْمَخِيطَ لِأَنَّهُ انْتَقَلَ مِنَ الْآحَادِ إِلَى أَوَّلِ الْعَقْدِ وَهِيَ الْعَشْرَةُ وَالْعَقْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ بِضَمِّ الْوَاحِدِ إِلَى الْآخِرِ بِصُورَةِ الْعَطْفِ وَالِاتِّقَافِ وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ أَعْنَى الْعَقْدِ وَهُوَ أَنْشُوطَةٌ وَغَيْرُ أَنْشُوطَةٍ فَعَقْدُ الْأَنْشُوطَةِ يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْإِنْخِلَالُ فِيمَا عَهَدَ إِلَيْهِ وَعَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ وَغَيْرُ الْأَنْشُوطَةِ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْإِنْخِلَالُ وَبَقِيَ بَعْدَ التَّسْعَةِ مِنْ أَفْعَالِ الْحَجِّ ثَلَاثَةٌ وَهُوَ فَعْلُ الْمَزْدَلْفَةِ وَمَنَى وَطَوَافُ الْإِفَاضَةِ وَالْفَعْلُ الْمَخْصُوفُ بِالْمَزْدَلْفَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَوَّلِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَيْسَ الْمَبِيتُ فِي الْمَزْدَلْفَةِ خَاصًّا بِهَا لِأَنَّهَا لَيْلَةُ عَرَفَةَ وَالْمَزْدَلْفَةُ لِأَنَّهَا لَيْلَةُ لَهَا وَلَهَا الْمَبِيتُ لِأَنَّهَا لَيْلَةُ كَلْبَةَ سُودَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ اللَّيْلَةُ لَهَا وَالْمَبِيتُ لِعَائِشَةَ فَلِسُودَةَ لَيْلَةُ بِلَا مَبِيتٍ وَعَائِشَةُ مَبِيتُ لَيْلَةُ سُودَةَ لِأَنَّهَا لَيْلَتُهَا وَلِهَذَا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ تَضَافُ إِلَى سُودَةَ بِالذِّكْرِ كَذَلِكَ بَقِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الْعَدَدِ ثَلَاثَةٌ بَعْدَ التَّاسِعِ وَهِيَ الْعَشْرَةُ وَالْمِائَةُ وَالْأَلْفُ وَمَا بَقِيَ لِلْعَدَدِ مَرْتَبَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْتَهُ كَذَلِكَ لَيْسَ بَعْدَ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ عَمَلٌ لِلْحَاجِّ فِي الْحَجِّ يَحْرَمُ عَلَيْهِ بِهِ شَيْءٌ هُوَ لَهُ حَلَالٌ فَإِنَّهُ بِهِ أَحَلَّ الْحُلَّ كُلَّهُ وَلَيْسَ بَعْدَهُ لِغَيْرِ الْمَكِّيِّ إِلَّا طَوَافُ الْوُدَاعِ لِأَنَّهُ وَدَعَ مَرَاتِبَ الْعَدَدِ وَبَقِيَ التَّرَكِيبُ فِيهِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فَهَذِهِ اثْنَا عَشْرَةَ مَرْتَبَةً قَدْ حَصَلَهَا الْعَبْدُ فِي التَّجَلِّيَّاتِ الْكَمَالِيَّةِ الْعَدِيدَةِ وَدَخَلَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثِ عَشْرَةَ الْهَلَالِ فِي الْكَمَالِ وَهِيَ مِنَ اللَّيَالِي الْبَيْضِ الْمَرْغَبِ فِي صَوْمِهَا كَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ الْمَرْغَبِ فِي فَطْرِهَا الَّتِي يَصُومُهَا الْمُتَمَتِّعُ الْآفَاقِي وَانْتَهَى نِصْفُ الشَّهْرِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ السُّلُوكَ مِنْهُ بِالْخُرُوجِ إِلَيْنَا وَإِيَّاهُ سَبْحَانَهُ نَقْصِدُ ثُمَّ نَشْرَعُ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الشَّهْرِ فِي السُّلُوكِ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى لَيْلَةِ السَّرَارِ وَهُوَ الْكَمَالُ الْغَيْبِيُّ كَمَا كَانَ فِي النِّصْفِ الْكَمَالِ الشَّهَادِيِّ فَكَمَّلَ غَيْبًا وَشَهَادَةً وَدَارَ الدُّورَ بِإِهْلَالِ ثَانٍ وَحَكَمَ آخِرَ دُنْيَا وَآخِرَةَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ لَهُمْ

رَزَقْتُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا فَجَعَلَهَا مَحَلًّا لِلزَّمَانِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْعَرَبِ مِثْلَ الدُّنْيَا فَالْحَاجُّ فِي الْحَجِّ يَجْنِي ثَمْرَةَ الزَّمَانِ وَمَا يَجُودِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُخْتَصَّةِ بِشَهْرِ ذِي حِجَّةٍ وَيَجْنِي ثَمْرَةَ الْعَدَدِ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَهُ حُكْمٌ فِيهَا أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ وَقَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا فَدَخَلَ تَحْتَ حُكْمِ الْعَدَدِ بِأَسْمَاءٍ مَخْصُوصَةٍ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُمِائَةٌ خَلَقَ فَادْخَلَ الْأَخْلَاقَ الْإِلَهِيَّةَ تَحْتَ حُكْمِ الْعَدَدِ فَلَهُ سُلْطَانٌ فِي الْإِلَهِيَّاتِ ذَكَرًا وَاسْمًا وَخَلَقًا فَمَنْ لَمِيقَفٍ عَلَيْهِ حَرَمٌ خَيْرًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَلِذَلِكَ قَدِمْنَا فِي هَذَا الْبَابِ وَجُودَ الْآحَادِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْكَثْرَةِ فِي الْآحَادِ وَهُوَ الْعَدَدُ فَهُوَ الْمَعْطِيُّ الْفَائِدَةُ لِلْعَادِينَ قَالُوا لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَسُئِلَ الْعَادِينَ كَمَا قَالَ فَسُئِلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَالْحَقُّمُ بِالْعُلَمَاءِ كَذَلِكَ الْحَجُّ هُوَ الْمَعْطِيُّ مَا يَجُودِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْحَاجِّ فَهَذَا أَضْيَفُ الْمِيقَاتِ لِلْحَجِّ فِي الْهَلَالِ وَمَا أَضْيَفُ لِلْحَاجِّ كَمَا أَضْيَفُ لِلنَّاسِ وَجَعَلَهَا مَوَاقِيتَ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّ الْفِعْلَ يَنْتَهِي فِيهِ إِلَى نِصْفِ الشَّهْرِ وَهُوَ تَمَامٌ وَكَمَالٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ النِّصْفَ لَا يُؤَدِّنُ بِالنَّقْصِ لِكَوْنِهِ نِصْفًا وَلَوْ كَانَ نَقْصًا لَكَانَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مَتَّصِفًا فِي تَحْصِيلِهِ بِالنَّقْصِ لِأَنَّهُ مَا حَصَلَ لَهُ النِّصْفُ الْآخِرُ بَلْ لَوْ حَصَلَ لَهُ النِّصْفُ الْآخِرُ لَكَانَ نَقْصًا حَصُولُهُ قَالَ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفَهَا لِي وَنِصْفَهَا لِعَبْدِي فَظَهَرَ كَمَالُ الْحَقِّ فِي تَحْصِيلِ النِّصْفِ مِنَ الصَّلَاةِ وَلَوْ اتَّصَفَ بِتَحْصِيلِ النِّصْفِ الثَّانِي لَكَانَ نَقْصًا فِيمَا يَنْبَغِي لِلَّهِ مِنَ الْكَمَالِ وَظَهَرَ كَمَالُ الْعَبْدِ فِي تَحْصِيلِ النِّصْفِ مِنَ الصَّلَاةِ وَلَوْ اتَّصَفَ بِتَحْصِيلِ النِّصْفِ الْآخِرِ لَكَانَ نَقْصًا فِي كَمَالِ عِبَادَتِهِ وَفِيمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْكَمَالِ فِيهَا فَكَانَ يُوصَفُ بِأَوْصَافِ الرَّبِّ وَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ أَلَا تَرَى الشَّرِيكَ الْمَوْضُوعَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَشْرُوكِ كَيْفَ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ هَذِهِ الْمَظْلَمَةَ فَإِنَّهَا مِنْ حَقِّ الْغَيْرِ لَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْ حَقِّ عَلَى الْعَبْدِ وَفَرَطٍ فِيهِ غَفْرُهُ اللَّهُ لَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ التَّقْرِيطُ وَلَا يَعْصِمُهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ فَالْعِصْمَةُ فِيمَا تَقْتَضِيهِ حَقِيقَتُهُ لَيْسَتْ لَهُ إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ وَبِيدِ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَقِيقَتِهِ فَلَا مَطَالِبَةَ عَلَيْهِ وَهَذَا كَانَتْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ فَتَعَيَّنَ إِنْ الشَّرْكَ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادَةِ فَإِنَّ الشَّرِيكَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَوْكَبٍ وَنَبَاتٍ وَحَيَوَانَ وَحِجْرٍ وَإِنْسَانٍ فَيَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّ هَذَا الَّذِي جَعَلْتَنِي إِيَّاهُ وَوَصَفْتَنِي بِمَا لَا يَنْبَغِي لِي خَذْ لِي بِمَظْلَمَتِي مِنْهُ فَيَأْخُذُ اللَّهُ لَهُ بِمَظْلَمَتِهِ مِنَ الْمَشْرُوكِ فَيَخْلُدُهُ فِي النَّارِ مَعَ شَرِيكِهِ إِنْ كَانَ حِجْرًا أَوْ نَبَاتًا أَوْ حَيَوَانًا أَوْ كَوْكَبًا إِلَّا الْإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ يَرْضَ بِمَا نَسَبَ إِلَيْهِ وَنَهَى عَنْهُ وَكَرِهَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مَعَهُ فِي النَّارِ وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ وَعَنْ أَمْرِهِ وَمَاتَ غَيْرَ مُوَحَّدًا وَلَا تَائِبًا كَانَ مَعَهُ فِي النَّارِ إِلَّا أَنْ الَّذِي لَا يَرْضَى بِذَلِكَ يَنْصَبُ لِلْمَشْرُوكِ مِثَالَ صُورَتِهِ يَدْخُلُ مَعَهُ لِيُعَذَّبَ بِهَا وَلَا عَذَابَ عَلَى كَوْكَبٍ وَلَا حِجْرٍ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانَ وَإِنَّمَا يَدْخُلُونَ مَعَهُمْ زِيَادَةً فِي عَذَابِهِمْ حَتَّى يَرَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَغْنَوْا عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ فَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوْهَا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ فَهَمَّ جَمْرُ جَهَنَّمَ فَالنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ الْمَعْبُودُونَ وَأَمَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحَسَنَى وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا وَلَمْ يَرْضُوا فَهَمَّ عَنْهَا مُتَعَدِّونَ كَعِيسَى وَعَزِيزَ وَأَمْنَاهُمَا وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَكُلَّ مَنْ ادَّعَى فِيهِ أَنَّهُ إِلَهٌ وَقَدْ سَعِدَ فَيَدْخُلُ اللَّهُ مَعَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِثْلَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَصُورُونَهَا فِي الْكِنَائِسِ وَغَيْرِهَا نَكَايَةً لَهُمْ لِأَنَّ كُلَّ عَابِدٍ مِنَ الْمَشْرُوكِينَ قَدْ مَسَكَ مِثَالَ صُورَةِ مَعْبُودِهِ الْمَتَّخِيلَةَ فِي نَفْسِهِ فَتَجَسَّدَ إِلَيْهِ تِلْكَ الصُّورَةُ الْمَتَّخِيلَةُ وَيَدْخُلُهَا النَّارُ مَعَهُ فَإِنَّهُ مَا عَبَدَ إِلَّا تِلْكَ الصُّورَةَ الَّتِي مَسَكَهَا فِي نَفْسِهِ

وتجسد المعاني المتخيلة غير منكور شرعا و عقلا فأما العقل فمعلوم عند كل متخيل و أما الشرع فقد ورد بتصور الأعمال و الأعمال أعراض الأتري الموت و هو معنى نسبي إضافي فإنه عبارة عن مفارقة الروح الجسد و أن الله يمثله يوم القيامة للناس صورة كبش أملح فيوضع بين الجنة و النار و يذبح فهكذا تلك المثل و أما الظالم لنفسه من أهل الشرك فنفسه تطالبه عند الله بمظلمتها و لا شيء أشد من ظلم النفس أ لا ترى القاتل نفسه الجنة عليه محرمة فثبت بهذا إن الكمال للشيء ما لا يخرج عن حقيقته فإذا أخرج عن حقيقته و ما تستحقه ذاته كان نقصا فلماذا قلنا إن النصف كمال في حق من هو سهمه مال الورث و إن انقسم إلى ثلث و ربع و ثمن و ثلثين و نصف و سدس و غير ذلك و كل جزء إذا حصل لمستحق صاحب الفريضة فقد حصل له كمال نصيبه فهو موصوف بالكمال في النصيب مع كونه ما حصل له إلا سدس المال إن كان له السدس و لا يتصف بالنقص قال الله وَ اتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ وَالْعُمْرَةَ بِلَا شَكِّ تَنْقِصُ فِي الْأَفْعَالِ عَنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَ كَمَا لَهَا إِيْتَانَهَا كَمَا شَرَعْتَ وَ كَذَلِكَ الْحَجُّ يَتَصَفُّ بِالْكَمَالِ إِذَا اسْتَوْفِيَتْ صَوْرَتُهُ وَ كَمَلَتْ نَشَأَتُهُ وَ هُمَا نَشَأَتَانِ يَنْشَأُهُمَا الْعَبْدُ الْمَكْلُفُ أَنْشَأَهَا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى الصُّورَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَضْرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ فِي الرَّبُوبِيَّةِ بَأَنْ جَعَلَ لَهُ فَعْلًا وَ إِنْشَاءً فَإِنْ انْحَجَبَ بِذَلِكَ عَنْ عِبُودِيَّتِهِ فَقَدْ نَقَصَ وَ شَقِيَ وَ كَانَ صَاحِبَ عِلَّةٍ وَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ دَوَاءً فَقَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ جَرِحَ الْعَجْمَاءُ جِبَارٌ فَأَضَافَ الْجَرْحُ وَ هُوَ فِعْلٌ لِلْعَجْمَاءِ فَإِنْ ادْعَى الرَّبُوبِيَّةَ لِكُونِهِ فَاعْلَافَهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَجْمَاءِ فَإِنْ نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَيْهِمَا فَتَنَكَّرَ نَفْسَهُ وَ يَبْرَأُ مِنْ عِلْمَتِهِ إِنْ اسْتَعْمَلَ هَذَا الدَّوَاءَ ثُمَّ يَفْكَرُ فِي إِنْ الشَّرْعَ قَدْ جَعَلَ جَرِحَ الْعَجْمَاءِ جِبَارٌ وَ جَرِحَ الْإِنْسَانَ مَأْخُودٌ بِهِ عَلَى جِهَةِ الْقَصَاصِ مَعَ كَوْنِ الْعَجْمَاءِ لَهَا اخْتِيَارٌ فِي الْجَرْحِ وَ إِرَادَةٌ وَ لَكِنَّ الْعَجْمَاءَ مَا قَصَدَتْ أذى المجرح و إنما قصدت دفع الأذى عن نفسها فوق الجرح و الأذى تبعاً بخلاف الإنسان فإنه قد يقصد الأذى فمن حيوانيته يدفع الأذى و من إنسانيته يقصد الأذى فالعبد رقيق و الرب الكريم خلق فعين الشكل و فصل الأجزاء في الكل ثم الرَّحْمَنُ . . . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَالِمَهُ الْبَيَانَ وَ هُوَ مَا يَنْطِقُ بِهِ اللَّسَانُ ثُمَّ الرَّبُّ الْأَكْرَمُ عَلَّمَهُ بِالْقَلَمِ مَا يَخْطُهُ الْبَنَانُ فَالْإِنْسَانُ بِنَانِ صَنْعَةِ رَبِّ كَرِيمٍ وَ أَكْرَمٍ وَ رَحْمَانٍ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ تَوَجَّهَتْ عَلَى خَلْقِ الْمَاءِ فَجَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ إِذْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَيْهِ فَالْكَوْنُ الْمَخْلُوقُ ظَلَمَ بِنَيْتِهِ ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيْهِ فَالْإِلْقَاءُ رِقٌّ وَ الْقَاءُ فَتَقَّ فَعَيْنَ السَّمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ فَتَمِيزَ الرَّفْعَ مِنَ الْخَفْضِ وَ أَحْكَمَ الصَّنْعَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَ صَبَغَهَا بِالصَّبْغَةِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي حَضْرَةِ الْفَهْوَانِيَّةِ بِالْمُشَاهَدَةِ الْإِحْسَانِيَّةِ فَلَمَّا كَتَبَ رَتَبَ فَوْضَعَ كُلِّ شَيْءٍ مَكَانَهُ وَ أَقَامَ أَوْزَانَهُ لَمَّا وَضَعَ مِيزَانَهُ

فكل جزء له حكم يميزه	في عينه أبدا من بين إخوانه
فالكل في الكل مضروب لذي نظر	ضرب الحساب لإفهام بتبيانه
لأنه في دجى الأحشاء رتبه	إذ كان سواه في تعديل بنيانه
أقام نشأته من عين صورته	و عين الحق فيها وضع ميزانه
الأصل مني و حكم الوزن منه لذا	أبدته في عينه أحكام أوزانه

أعطاه من نفسه بجد إمكانه	و أودع العالم العلوي فيه بما
من الحقائق في أعيان أكوانه	فصار جمعا لما قد كان فرقه
لم يدر ذلك لو لا حكم إيمانه	بالجمع صح له تحصيل صورته
خلاف ما هو في آيات قرآنه	أحاط علما بأن الأمر فيه على
بأنه لم يزل في حكم فرقانه	من كان يقرأه يدري حقيقته

فلولا شرف النفس ما دفع الحيوان الأذى عن نفسه وما قصد أذى الغير مع جهله بأنه يلزمه من غيره ما يلزمه من نفسه للاشتراك في الحقيقة و كذلك الإنسان إذا دفع الأذى عن نفسه لم يقع عليه مطالبة من الحق فإن تعدى و زاد على القصاص أو تعدى ابتداء أخذ به ولكن ما يتعدى إلا من كونه إنسانا فقد تجاوز حيوانيته إلى إنسانيته و الأصل في هذا التعدي من الأصل لأن الأصل له الغني و أين حكمه من حكم ما خلقت الجنَّ و الأُنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فهذا الأمر من الخالق أعني من الاسم الخالق لا من الاسم الغني فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ عَنْ حُجَّتِكُمْ أَوْ عَمَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ

(وصل في فصل الإحصار)

اختلف العلماء بالذكر في هذه الآية في حكم المحصر بمرض أو بعد و هل هذا المحصر في هذه الآية بعد و أو بمرض فقالت طائفة المحصر هنا بالعدو و قالت طائفة المحصر هنا بالمرض و قال قوم المحصر الممنوع عن الحج أو العمرة بأي نوع كان من المنع بمرض أو بعد و أو غير ذلك و هو الظاهر و به أقول مراعاة للقصد و ما أوقع الخلاف إلا فهمهم في اللسان لأنه جاء في الآية بالوزن الرباعي و نقل إنه يقال حصره المرض و أحصره العدو فأما المحصر بالعدو فاتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته و حجه حين أحصر و قال الثوري و الحسن بن صالح لا يحل إلا يوم النحر و بالأول أقول و هو أنه يحل حين أحصر غير أني أزيد هنا شيئا لم يره من وافقنا في الإحلال حين الإحصار و هو أن الحرم إن كان قال حين أحرم إن محلي حيث تحبسني كما أمر فلا هدي عليه و يحل حيث أحصر و إن لم يقل ذلك و ما في معناه فعليه الهدى و الذين قالوا بالتحلل حين أحصر اختلفوا في إيجاب الهدى عليه و في موضع نحره عند من يقول بوجوبه على شرطنا أو على غير شرطنا فيما أحصر عنه من حج أو عمرة فقال بعضهم لا هدي عليه و إن كان معه هدي تطوع نحره حيث أحل و بنحر الهدى المتطوع به حيث أحل أقول و قال بعضهم بإيجاب الهدى عليه و اشترط بعضهم ذبح الهدى الواجب بالحرم و أما الإعادة فمن العلماء من لا يرى عليه إعادة و به أقول في حج التطوع و عمرته إن كان عليه في ذلك حرج فإن لم يكن عليه فيه حرج فليعد و أما الفريضة فلا تسقط عنه إلا إن مات قبل الإعادة فيقبلها الله له عن فريضته و إن لم يحصل منه إلا ركن الإحرام بل و لو لم يحصل منه إلا القصد و العمل و قال بعضهم إن كان أحرم بالحج فعليه حجة و عمرة و إن كان قارنا فعليه حجة و عمرتان فإن كان معتمرا قضى عمرته و لا تقصير عليه و اختار بعض من يقول بهذا القول التقصير و قد حكى بعضهم الإجماع على إن

المحصر بمرض وما أشبهه عليه القضاء ولكن لا أدري أي إجماع أراد فإن إطلاق الفقهاء لفظة الإجماع قد تجاوزوا بها حدها الأول إلى غيره فقد يطلقون الإجماع على اتفاق المذهبيين ويطلقونه على اتفاق الأربعة المذاهب ولكن ما هو الإجماع الذي يتخذ دليلاً إذا لم يوجد الحكم في كتاب ولا سنة متواترة فهذا قد ذكرنا من اختلافهم في هذه المسألة ما ذكرناه وتركنا ما لا يحتاج إليه في هذا الوقت فلنرجع إلى طريقنا فنقول قوله تعالى أَحْصِرْتُمْ هو من أحصر لا من حصر يقال فعل به كذا إذا أوقع به الفعل فإذا عرضه لوقوع ذلك الفعل يقال فيه أفعال ومثاله ضرب زيد عمرا إذا أوقع به الضرب وأضرب زيد عمرا إذا جعله يضرب غيره وفي اللسان أحصره المرض وحصره العدو بغير ألف فهو في المرض من الفعل الرباعي وفي العدو من الفعل الثلاثي فالعبد لما كان محل ظهور الأفعال الإلهية فيه وما تشاهد في الحس إلا منه ولا يمكن أن يكون إلا كذلك نسب الله الفعل للعبد ونسب الناس الفعل للمخلوق وإن كان أصاره الحق لذلك فصار فنسبة صار تجعل الفعل للعبد ونسبة أصار تجعل الفعل لله فمن راعى أصار لم يوجب عليه الهدى لأن الأصل عدم الفعل من العبد ومن راعى أصاره الحق فصار أوجب عليه الهدى وهذا فصلنا نحن في ذلك فقلنا إن قال محلي حيث يجسني فقد تبرأ العبد من حكم المحصر فلا هدي عليه وإن لم يقل كان الهدى عليه عقوبة للترك فالفعل من المخلوق للعبد ظهور الفعل منه بالاختيار والقصود والمباشرة حقيقة مشهودة للبصر والفعل من المخلوق من كون الحق أصاره إلى ذلك فكان له كالألة للفاعل والآلة هي المباشرة للفعل وينسب الفعل لغير الآلة بصرا وعقلا فيقال زيد الضارب والمباشر للضرب والذي يقع به الضرب إنما هو السوط لا زيد هكذا أفعال العباد فهم للحق كالألة لزيد النجار أو الحائك أو الخائط أو ما كان وبهذا القدر تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة والأصل الغفلة الغالبة وهي مسألة دقيقة في غاية الغموض ولا دليل في العقل يخرج الفعل عن العبد المخلوق ولا جاء به نص من الشارع لا يحتمل التأويل فالأفعال من المخلوقين مقدره من الله ووجود أسبابها كلها بالأصالة من الله وليس للعبد ولا للمخلوق فيها بالأصالة مدخل إلا من حيث ما هو مظهر لها ومظهر اسم فاعل واسم مفعول يقال في الصنع إذا اختل في صنعه شيء لعدم مساعدة الآلة مع علمه بالصنعة قد أدخل منها بكذا وكذا أو يستفهم لم أخلت بها مع علمنا بأنك عالم بها فيقول لم تساعدني الآلة على إبراز ما كان في علمي ويقول المصنوع ما قصر لظهور عينه لا لقصود الصانع فمن حيث الصنعة في المصنوع ما اختل شيء ومن حيث مصنوع ما كان المراد سواء إذا كان الصانع المخلوق اختل فإن كان الخالق فما اختل في الصنعة شيء لأن الكل مقصود لعدم قصور تعلق الإرادة فكل واقع وغير واقع مراد للحق أراد الله إيجاد عرض ما ولم يرد إيجاد محل يقوم به هذا العرض فلم يمكن إيجاد ذلك العرض ما لم يكن المحل فلا بد من وجود المحل إذ كان لا بد من وجود العرض فوجود العرض عن إيجاد اختياري ووجود المحل عن إيجاد غير اختياري ولا يجوز أن يكون اضطرارا إذ كان لا بد من وجود ذلك العرض فاضطرار الكون من حقيقة عدم هذا الاختيار المحقق فتفتن فإنك إن لم تعرف الأمور من جهة حقائقها لم تعرف أن العالم خرج على صورة الحق يرتبط ما فيه من الحقائق بالحقائق الإلهية وهذا مدرك صعب عليه حجب كثيرة لا ترتفع بفكر ولا بكشف فالأمر دائر بين تأثير حق في خلق وخلق في حق قال تعالى أَحْيَبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا وَ قَالَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا

أَسْحَطَ اللَّهُ فَلِلنَّاقَةِ شَرِبَ أُعْيِي نَاقَةَ صَالِحٍ وَ لَكُمْ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ضَرْبٌ مِثَالُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ فَالْحَصْرُ عَمَّ الوجود فكل موجود موصوف بحصر ما فهو محصر من ذلك الوجه وقد أُنبت لك ما لا يقدر على دفعه كشف ولا دليل عقل نظري والله يُقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(وصل في فصول أحكام القاتل للصيد في الحرم وفي الإحرام)

وقد تقدم من حكم الصيد طرف في هذا الباب والكلام هنا في قتله لا في صيده في الحرم كان أو في الحل لقوله لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ الْآيَةَ وَ هي آية محكمة واختلفوا في تفاصيلها على حسب فهمهم فيها فمن ذلك هل الواجب قيمته أو مثله فذهب بعضهم إلى أن الواجب المثل وقال بعضهم هو مخير بين القيمة والمثل قتل الصيد شهادة للصيد فهو حي يرزق لأنه قتل تعديا بغير حق في سبيل الله إذ سبيل الله حرمه والحرم صفة المحرم والبقعة فهذا الصيد المتعدي عليه إما بهاتين الصفتين أو بإحدهما فمن تعمد قتله محرما أو في الحرم فقد تعدى عليه فعاد ما أراد به من الموت وإن لم يقم به على القاتل فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فالصيد مقتول لا ميت والقاتل ميت لا مقتول فهذا هو الميت المكلف كما يطلب الجواب من الميت في قبره عند السؤال مع وصفه بالموت وهذا هو الموت المعنوي فكلف بجزاء مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ هَدِيًّا بِالْعِجَّةِ أَوْ كَهَّارَةً طَعَامًا مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَدُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ كما يعذب الميت في قبره ومن عاد لمثل ذلك الفعل فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ إِمَّا بِإِعَادَةِ الْجَزَاءِ فَإِنَّهُ وَبَالَ وَبِالِ الْإِنْتِقَامِ وَإِمَّا أَنْ يَسْقُطَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا هَذَا الْوَبَالَ الْمَعِينِ وَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ بِمَصِيْبَةٍ يَبْتَلِيهَا بِهَا إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ لَمُعِينٌ وَعِلْمٌ أَنْ كُلَّ عِلْمٍ مِنَ عُلُومِ الْأَسْرَارِ الْمَصُونَةِ فِي خَزَائِنِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يُوْهَبُ إِلَّا لِأَهْلِهَا فَإِنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلَمُوهَا فَهِيَ كَالصَّيْدِ فِي حِمَى الْحَرَمِ أَوْ الْإِحْرَامِ أَوْ هُمَا مَعًا أُعْيِي فِي الْحَمَائِنِ فَإِذَا قَتَلْتَهَا وَهُوَ أَنْ يَمْنَحَهَا غَيْرَ أَهْلِهَا فَلَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا فَتَمُوتُ عِنْدَهُ عَادًا وَبَالِهَا عَلَيْهِ فَيَكْفُرُ بِهَا وَيَتَزَدَّقُ فَذَلِكَ عَيْنُ الْجَزَاءِ حَكْمٌ بِهِ عَدْلَانُ وَهُمَا الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ فَإِنْ كَانَ الْجَزَاءُ مِثْلًا فَيُبْحَثُ عَنْ جَاهِلٍ عِنْدَهُ حِكْمَةٌ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا فَيُبَيِّنُ لَهُ عَنْ مَكَانَتِهَا حَتَّى يَجِيَّ بِهَا قَلْبُهُ فَيَقْتُلُ مَتَعَمِّدًا مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ عَيْنِ الْجَهْلِ الْقَائِمِ بِهِ الَّذِي كَانَ سَبَبَ إِضَاعَةِ هَذَا الْعِلْمِ عِنْدَهُ وَصُورَةُ الْعُقُوبَةِ وَبِالِ فِيهِ عَلَيْهِ إِنَّهُ حَرَمٌ حِكْمَةٌ ذَلِكَ الْجَهْلُ فِي ذَلِكَ الْجَاهِلِ حَتَّى رَأَاهَا صِفَةً مَذْمُومَةً مِنْهَا عِنْدَ اللَّهِ مَسْتَعَاذًا بِاللَّهِ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَحَرَمٌ مَا هُوَ كَمَالٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِذْ كَانَ الْجَهْلُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَسْرَارِ الْمَخْزُونَةِ فِي أَعْيَانِ الْجَاهِلِينَ فَحَفِظْتُهَا تَبْرَمُ الْعَالَمَ مِنْهَا فَكَأَنَّهُمْ تَبْرَعُوا عَنْ حَقَائِقِهِمْ فَالَّذِي تَبْرَعُوا مِنْهُ وَقَعُوا فِيهِ فَإِنَّهُمْ تَبْرَعُوا مِنْ الْجَهْلِ بِالْجَهْلِ لَوْ عَقَلُوهُ فَحَكْمُ جَهْلِهِمْ فِيهِمْ أَعْظَمُ مِنْ جَهْلِ الْجَاهِلِ فَإِنَّهُمْ مَا تَقَطَّنُوا لِقَوْلِ اللَّهِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَلَا يَنْتَهِي إِلَّا عَنْ مَعْلُومٍ مُحَقَّقٍ عِنْدَهُ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْجَهْلُ فَلَا يَدْرِي مَا نَهَى عَنْهُ وَإِذَا عِلْمُهُ فَقَدَ اتَّصَفَ بِهِ فَإِنَّ الْجَهْلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَوْقًا فَلَا يَحْصِلُ لَهُ الْعِلْمُ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ أَلَا تَرَى الطَّائِفَةَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى إِنْ الْعِلْمَ بِاللَّهِ عَيْنَ الْجَهْلِ بِهِ تَعَالَى وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَاهِلِ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ فَسَمِيَ الْجَهْلُ عِلْمًا لِمَنْ تَقَطَّنَ وَ هِيَ صِفَةٌ كِيَانِيَّةٌ حَقِيقَةٌ لِلْعَبْدِ إِنْ خَرَجَ مِنْهَا ذَمٌّ وَإِنْ بَقِيَ فِيهَا حَمْدٌ فَإِنَّهُ مَا عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ سِوَى مَا عِنْدَهُ وَمَا عِنْدَهُ يَنْفَدُ فَإِنَّهُ عِنْدَهُ وَمَا هُوَ وَلَا

ينفذ وهو عين الجهل والذي عنده عين العلم فهو عين الدلالة والدليل وهو الدال فهو عين العلم بالله

والثبوت من صفة المنعوت بالساهي و العلم بالله نفي العلم بالله

والجهل علم بكون الله في اللاهية فالعلم جهل لكون العين واحدة

انتهى الجزء التاسع والستون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل في فصل اختلافهم في آية قتل الصيد في الحرم والإحرام في كفارته هل هي على الترتيب أم لا)

الآية قوله فَجَزَاءٌ مِّمُّلٌ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ اختلفوا في هذه الآية هل هي على الترتيب وبه قال بعضهم إنه المثل أولاً فإن لم فالإطعام فإن لم فالصيام أو الآية على التخيير وقال به بعضهم وهو أن الحكمين بخير أن الذي عليه الجزاء وبه أقول فإن كلمة أو تقتضي التخيير ولو أراد الترتيب لقال وأبان كما فعل في كفارات الترتيب فمن لم يجد فمذهبنا في هذه المسألة أن المثل المذكور هنا ليس كما رآه بعضهم أن يجعل في النعامة بدنة وفي الغزالة شاة وفي البقرة الوحشية بقرة إنسية بل في كل شيء مثله فإن كانت نعامة اشترى نعامة صاها حلال في حل وكذلك كل مسمى صيد مما يحل صيده وأكله من الطير وذوات الأربع أو كفارة بإطعام و حد ذلك عندي إن ينظر إلى قيمة ما يساوي ذلك المثل فيشتري بقيمته طعاما فيطعمه للمساكين أو عدل ذلك صياما فننظر إلى أقرب الكفارات شها بهذه الكفارة الجامعة لهدي أو إطعام أو صيام فلم نجد إلا من حلق رأسه وهو محرم لأذى نزل به فَعِدَّةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فذكر الثلاثة المذكورة في كفارة قاتل الصيد فجعل الشارع هنالك في الإطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وجعل الصيام ثلاثة أيام فجعل لكل صاع يوما فننظر القيمة فإن بلغت صاعا أو أقل فيوم فإن الصوم لا يتبعض وإن بلغت القيمة أن نشترى بها صاعين أو دون الصاعين أو أكثر من الصاع فيومان وهكذا ما بلغت القيمة وأعني بالقيمة قيمة المثل يشترى بها طعاما فيطعم والصيام محمول على ما حصل من الطعام بالشراء على ما قرناه فهو مخير بين المثل والإطعام بقيمة المثل والصيام حسب ما حصل من الطعام من قيمة المثل والمثل والطعام تناوله سبب في بقاء حياة المتغذي به لأن هذا المتغذي أتلف نفسا وأزال حياة فجرها وكفر ذلك بما يكون سببا لبقاء حياة فكأنه أحيها زمان بقائها بحصول ذلك الغذاء من المثل أو الطعام وأما الصيام فإنها صفة ربانية فكلف إن يأتي بها هذا القاتل إن لم يكفر بالمثل أو بالإطعام فإن أبيت فأخرج عن التحجير حتى يكون قاتل الصيد غير محجور عليه فلا يكلف شيئا قال وما هو قال الصوم فإنه لي وأنا لأتصف بالحجر علي فتلبس بصفتي تحصل في الحمى عن الحجر عليك فإذا صمت كان الصوم لي والجوع لك فيما في الصوم من الجوع في حقه الذي ليس لي يكون كفارة لأن الجوع من الأسباب المزيلة للحياة من الحي فأشبه القتل الذي هو سبب مزيل للحياة من الحي ولم تنزل حيا نك بهذا الجوع لأنه جوع صوم والصوم من صفاتي وهو غير مؤثر في الحياة الأزلية فلماذا لم يجمع جوع الإتايف والحق سبحانه مذهب الأشياء لا معدمها لأنه فاعل والفاعل من يفعل شيئا فإن لا شيء ما يكون

مفعولا فهو وإن أذهب الأشياء من موطن كان لها وجود في موطن آخر فإن الكون الذي منه الاجتماع والافتراق لا يدل على عدم الأعيان فالموت إذهاب لا إعدام فإنه انتقال من دنيا إلى آخرة التي أولها البرزخ فلما كان الإذهاب من صفات الحق لا الإعدام كما قال تعالى **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ** ولم يقل يعدمكم لذلك لم يجعل جوع الصوم جوع إتلاف النفس وإن كان إذهابا لا إعداما وذلك أنه لا يصح الإعدام لهذا الموجود لأن المتصف بالوجود إنما هو الحق الظاهر في أعيان المظاهر فالعدم لا يلحق به أصلا فإنه يقول للشيء إذا أرادته كُنْ **فَيَكُونُ** هو

إذا توجه للأشياء كن فتكون	نظرت في كون من قالت إرادته
إذا به عينه لا غيره فأكون	فعند ما حققت عيني تكونه
وانظر إلى أصعب الأشياء كيف يهون	فخذ فديتك علما كنت تجهله
وصاحب العلم محفوظ عليه مصون	فالعلم أشرف نعت ناله بشر
والحال والمال في حكم الزوال يكون	إن قام قام به أو راح راح به
ما قلت فهو الذي في عين كل مكون	و ليس ناظم هذا غيره فله
نعوت كان به و كائن و يكون	لو لا تجليه في الأعيان ما ظهرت
و لا ابتداء فشكل الكون منه كون	لذا تسمى بدهر لا انقضاء له

(وصل في فصل هل يقوم الصيد أو المثل)

فمذهبنا قد تقدم أن المثل يقوم و بينا ما هو المثل فقال بعضهم يقوم الصيد و قال قوم يقوم المثل و هو قولنا و خالفناهم في المثل ما هو و كذلك اختلفوا في تقدير الصيام بالطعام و قد تقدم مذهبنا فيه فقالت طائفة لكل مديوما و قال قوم لكل مدين يوما

(وصل في فصل قتل الصيد خطأ)

اختلف فقيل فيه الجزاء و قيل لا شيء عليه فيه و به أقول فإن قتل الخطاء هو قتل الله و لا حكم على الله فإنه بالنسبة إلى الله مقصود القتل و بالنسبة إلينا خطأ لظهور القتل على أيدينا و عدم القصد فيه فالمقتول متعمد أي مقصود بالقتل غير مقصود بالقتل فهذا تصور الاختلاف لإطلاق الحكمين فيه فمن راعى أنه قتله من كونه ظاهرا في مظهر القاتل ما أوجب الجزاء لأن تلك العين التي ظهر فيها أعطته الحكم عليه بأن لا جزاء لأنه قاصد للقتل و من راعى أنه القاتل من خلف حجاب الكون الظاهر و لكن ما أوقعه و ظهر في الوجود الأعلى يد الظاهر أوجب الجزاء لأن الحكم لما ظهر و القصد غيب و ما تعبدنا به فالقاتل إن عرف من نفسه أنه قتل غير قاصد فأوجب عليه ظاهر الشرع بالحكمين الجزاء جبرا كان ذلك له صدقة تطوع بوجوب شرعي في أصل مجهول عند الحاكم فيجمع لهذا القاتل بين أجر التطوع و الواجب فأسقط عنه ما

يستقطه الواجب والتطوع معا وإن لم يره أحد مضى ولا شيء عليه

(وصل في فصل اختلافهم في الجماعة المحرمين اشتركوا في قتل صيد)

اختلفوا إذا اشترك جماعة محرمون في قتل صيد فقيل على كل واحد جزاء وقيل عليهم جزاء واحد والذي أقول به إن عرف كل واحد من الشركاء أنه ضربه في مقتل كان على كل من ضربه في مقتل جزاء ومن جرحه في غير مقتل فلا جزاء عليه وهو آثم حيث تعرض بالأذى لما حرم عليه الجماعة هنا إذ يأنم الإنسان بجميع ما كلف من أعضائه الثمانية فعليه لكل عضو توبة من حيث ذلك العضو ومن رأى التوبة من جانب من تاب إليه لا ما تاب منه فهو القاتل بجزاء واحد وفرق بعضهم بين المحرمين يقتلون الصيد وبين الخليلين يقتلون الصيد في الحرم فقال في المحرمين على كل واحد منهم جزاء وقال في الخليلين جزاء واحد

(وصل في فصل هل يكون أحد الحكمين قاتلا للصيد)

فذهب قوم إلى أنه لا يجوز وأجازه قوم فمن رأى أنه لا فاعل إلا الله وهو الحاكم وهو الفاعل أجاز ذلك ومن رأى أن الفعل للمخلوق لم يجز ذلك وبالأول أقول وأثبت القول الثاني على غير الوجه الذي يعتقد القائل به

(وصل في فصل اختلافهم في موضع الإطعام)

فقيل يطعم في الموضع الذي قتل فيه الصيد إن كان هناك طعام أو في أقرب المواضع إليه إن لم يكن هناك ما يطعم وقال بعضهم حيثما أطعم أجزأه وبه أقول لأن الله ما عين وقال بعضهم لا يطعم إلا مساكين مكة من كان الله قبلته لم يخص الإطعام بموضع معين ومن كان قبلته البيت حدد

(وصل في فصل اختلافهم في الحال يقتل الصيد في الحرم بعد إجماعهم على أن الحرم إذا قتل الصيد إن عليه الجزاء)

فقال قوم عليه الجزاء وقال قوم لا شيء عليه وبه أقول

(وصل في فصل المحرم يقتل الصيد ويأكله)

فمن قاتل عليه كفارة واحدة وبه أقول وقيل عليه كفارتان وبه قال عطاء وفيه وجه عندي فإن الشرع اعتبره فما أطلق أكله إلا لمن لم يعن عليه بشيء فأحرى إذا كان هو القاتل فإن أكله يحرم عليه صيده كما حرم عليه قتله فهذه ثلاثة حرم صيد و قتل وأكل لما كان الأكل لنفسه سعى ومن حق نفسه عليه أنه لا يطعمها إلا ما لها حق فيه وما لاحق لها فيه فقد ظلمها فجوزي جزاء من ظلم نفسه

(وصل في فصل فدية الأذى)

أجمع العلماء على أنها واجبة على من أخطأ الأذى من ضرورة وهو وجوب اللعنة على الذين يؤذون الله ورسوله فوجب دفع الأذى حرمة للمحرم ووجبت الكفارة حرمة للإحرام الكلام في الله بما لا ينبغي أذى فوجبت إمامته حرمة للحق ولا فاعل إلا الله فوجبت الكفارة وهي

الستر لهذه النسبة بأن لا يضاف مثل هذا الفعل إلى الله تعالى وجل والكفارات كلها ستر حيشما وقعت و اختلفوا فيمن أطاق الأذى من غير ضرورة فقال قوم عليه الفدية المنصوص عليها وقال قوم عليه دم وبه أقول فإنه غير متأذ في نفسه أي أنه ليس بذبي ألم لذلك ولذلك جعل محل الأذى الرأس المحس به وما جعله الشعر فما ثم ضرورة توجب الخلق لما كان الإنسان مخلوقا على الصورة وجبت إماطة الأذى عنه للنسبة عناية به ووجبت الكفارة فيما أوجب الله عليه فعله أو أباحه له لئلا يشغله الإحساس بالأذى عن ذكر الله وما شرع الحج إلا لذكر الله فوجبت الكفارة حيث لم يصبر على الأذى فما وفي الصورة حقها فإنه ورد أنه ما أحد أصبر على أذى من الله وبهذا سمي الصبور و بعدم المؤاخذة مع الاقتدار سمي الحليم

(وصل في فصل)

اختلافهم هل من شرط من وجبت عليه الفدية بإماطة الأذى أن يكون متعمدا أم الناسي والمتعمد سواء فقال قوم هما سواء وقال آخرون لا فدية على الناسي وبه أقول والناسي هنا هو الناسي لإحرامه وكلاهما متعمد لإماطة الأذى فإذا وجبت على المضطر وهو الذي قصد إزالتها لإزالة الأذى مع تذكره الإحرام فهي على الناسي أوجب لأنه مأمور بالذكر الذي يختص بالإحرام فإذا نسي الإحرام فما جاء بالذكر الذي للمحرم فاجتمع عليه إماطة الأذى ونسيان الإحرام فكانت لكفارة أوجب وأصل ما ينبغي عليه هذا الباب وجميع أفعال العبادات كلها علم إضافة الأفعال هل تضاف إلى الله وإلى العباد أو إلى الله وإلى العباد فإن وجودها محقق ونسبتها غير محققة فلنقل أولا في ذلك قولنا إذا حققته ونظرت فيه نظرت عرقته أو قاربت فإني أفصل ولا أعين الأمر على ما هو في نفسه لما فيه من الضرر واختلاف الناس فيه والخلاف لا يرتفع من العالم بقولي فإبقاؤه في العموم على إبهامه أولى وعلماء رجالنا يفهمون ما أومى إليه فيها فأقول إن الله قد قال إنه ما خلق الله الخلق إلا بالحق وتكلم الناس في هذا الحق المخلوق به وما صرح أحد به ما هو إلا أنهم أشاروا إلى أمور محتمة فاعلم إن الحق المخلوق به و العالم المخلوق أمران محققان أنهما أمران عند الجميع غير أنهما نظير الجوهر الهبائي والصورة ومعلوم عند الجماعة أن الأفعال تصدر من الصورة ولكن من هو الصورة هل العالم أو المخلوق به الذي هو الحق الذي قال الله فيه ما خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ فَمَنْ رَأَى أَنْ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ بِهِ مَظْهَرُ صُورِ الْعَالَمِ ظَهَرَ فِيهِ بِحَسَبِ مَا تَعَطَّيَهُ حَقَائِقُ الصُّورِ عَلَى اخْتِلَافِهَا بِحَسَبِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْخَلْقِ وَمَنْ رَأَى أَنَّ أَعْيَانَ الْمَمَكِّنَاتِ الَّتِي هِيَ الْعَالَمُ هُوَ الْجَوْهَرُ الْهَبَائِيُّ وَأَنَّ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ بِهِ هُوَ الصُّورَةُ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَتَنَوَّعَتْ أَشْكَالُ صُورِهِ لِاخْتِلَافِ أَعْيَانِ الْعَالَمِ فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ النُّعُوتُ وَالْأَلْقَابُ كَمَا تَنْسَبُ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ اخْتِلَافِ آثَارِهَا فِي الْعَالَمِ فَمَنْ رَأَى هَذَا نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَى اللَّهِ بِصُورَةِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ وَمَنْ رَأَى أَنَّ ظُهُورَ الصُّورَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا فِي الْجَوْهَرِ الْهَبَائِيِّ وَأَنَّ الْوُجُودَ لَا يَصِحُّ لِلْجَوْهَرِ الْهَبَائِيِّ فِي عَيْنِهِ إِلَّا بِحُصُولِ الصُّورَةِ فَلَا تَعْرِفُ الصُّورَةَ إِلَّا بِالْجَوْهَرِ الْهَبَائِيِّ وَلَا يُوْجَدُ الْجَوْهَرُ الْهَبَائِيُّ إِلَّا بِالصُّورَةِ نَسَبَ الْأَفْعَالِ إِلَى اللَّهِ بِوَجْهِهِ وَإِلَى الْعِبَادِ بِوَجْهِهِ فَعَلِقَ الْحَامِدُ وَالْحَسَنُ بِمَا يَنْسَبُ مِنَ الْأَفْعَالِ لِلْحَقِّ وَعَلِقَ الْمَذَامُ وَالْقَبِيحُ بِمَا يَنْسَبُ مِنَ الْأَفْعَالِ لِلْعِبَادِ بِالْخَلْقِ الَّذِي هُوَ الْعَالَمُ الْحَكْمُ الْاِشْتِرَاكُ الْعَقْلِيُّ وَالتَّوَقُّفُ فِي

العلم بكل واحد منهما و توقف كمال الوجود على وجودهما وقد رميت بك على الجادة فهذا تفسير وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى
فنفى الرمي عن أثبتة له يقول الله في هذه الآية عين ما قلناه في هذه المسألة و ذهبنا إليه وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هَذَا قَوْلُهُ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ أَي
بينه لنمشي عليه ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فمشتينا عليه مجمد الله فأثبت بهذه الآية أن أعيان العالم هو
الجوهر الهبائي إلا أنه لا يوجد إلا بوجود الصورة وكذلك أعيان العالم ما اتصفت بالوجود إلا بظهور الحق فيها فالحق المخلوق به لها كالصورة
و قد أعلمتكم أن الفعل كله إنما يظهر صدوره من الصورة وهو القائل وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فَكَانَ الْحَقَّ عَيْنَ الصُّورَةِ الَّتِي تَشَاهِدُ الْأَعْمَالَ مِنْهَا
فتحقق ما ذكرناه فإنه لا أوضح مما بين الله في هذه الآية و بيناه نحن في شرحنا إياها على التفصيل وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
. . . صِرَاطِ اللَّهِ وَالصِّرَاطِ الَّذِي عَلَيْهِ الرَّبُّ وَالصِّرَاطِ الْمُضَافِ إِلَى الْحَقِيقَةِ فِي قَوْلِهِ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا وَلِكُلِّ صِرَاطٍ حَكْمٌ لَيْسَ
لِلْآخِرِ فَافْهَمِ وَالسَّلَامُ وَأَمَّا صِرَاطُ الَّذِينَ أَعْتَمَتْ عَلَيْهِمْ فَهُوَ الشَّرْعُ

(وصل في فصل اختلافهم في توقيت الإطعام والصيام)

اختلفوا في توقيت الإطعام والصيام فالأكثر على أن يطعم ستة مساكين وقال قوم عشرة مساكين والصيام عشرة أيام واختلفوا في كم يطعم
كل مسكين فقال بعضهم مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين وقال بعضهم من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير
صاع وأما قص الأظفار فقال قوم ليس فيها شيء وقال قوم فيه دم وفروع هذا الباب كثيرة جدا فمن اعتبر الستة المساكين نظر إلى ما يطعم
الصفات مما تطلب فوجدناها ستة كونية عن ستة إلهية فما للإلهية من الحكم للكونية من الحكم وإطعامها ما تطلبه لبقاء حقيقتها فإنه لها
كالغذاء للأجسام الطبيعية فالمعلوم للعلم طعام فيه يتعلق وكذلك الإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر وأما الحياة فليس لها مدخل في
هذا الباب فغايتها حقيقتها الشرطية لا غير وهو باب آخر ولما كانت الحضرة حضرتين كان من المجموع اثنا عشر وهو نهاية أسماء بسائط
العدد الذي يعم الحضرتين فإن العدد يدخل عليهما ولهذا ورد تعدد الصفات والأسماء المنسوبة إلى الله وأما حكمه في الكون فلا يقدر
أحد على إنكاره كما أنها أيضا نهاية انتهاء وزن الفعل الذي هو مركب من مائة وثمانين درجة وسأبين حكمها إن شاء الله فأما أوزان الفعل
في الأسماء فهي اثنا عشر وزنا كل وزن يطلب ما لا يطلبه الآخر وهي محصورة في هذا العدد كما نهاية أسماء العدد محصورة في الاثني عشر
فمن ذلك في تسكين عين الفعل ثلاثة وفي فتحة ثلاثة وفي ضمه ثلاثة وفي كسره ثلاثة فالمجموع اثنا عشر فالتسكين مثل فعل كد عد وفعل كقفل
وفعل كهند والمفتوح العين فعل مثل جمل وفعل مثل صرد وفعل مثل عنب والمضموم العين فعل مثل عضد وفعل مثل عنق وفعل لم يوجد له
اسم على وزنه في اللسان و الله أهل هذا الشأن بأنهم استقلوا الخروج من الكسر إلى الضم ومبني كلامهم على التخفيف وهذا التعليل
عندنا ليس بشيء بسطناه في النسخة الأولى من هذا الكتاب وقد مرت بنا كلمة للعرب على وزن فعل بكسر فاء الفعل وضم عينه لا
أذكرها الآن إلا أنها لغة شاذة والمكسور العين فعل مثل كفف وفعل مثل إبل ولم يوجد على وزن فعل سوى دئل وهو اسم دوية تعرفها العرب

ثم إن الله أجرى حكمته في خلقه أن لا تأخذ العرب في أوزان الكلام إلا هذه الأحرف الثلاثة الفاء والعين واللام ولها ثلاث مراتب في النشأة وأخذوا من كل مرتبة حرفاً أخذوا الفاء من حروف الشفتين عالم الملك والشهادة وأخذوا العين من حروف الحلق عالم الغيب والمملوكات وأخذوا اللام من الوسط عالم البرزخ والجبوت وهو من حروف اللسان الذي له العبارة والتصرف في الكلام فكان مجموع هذه الحروف التي جعلوها أصولاً في أوزان الكلام مائة وثمانين درجة وهو شطر الفلك الظاهر وهو الذي يكون له الأثر أبداً في التكوين والشرط الغائب لا أثر له إلا حيث يظهر وسبب ذلك أن أشعة أنوار الكواكب تتصل بالخل العنصري وهو مطروح شعاعاتها والعناصر قابلة للتكوين فيها فإذا اتصلت بها سارع التعفن فيها لما في الأنوار من الحرارة وفي ركن الماء والهواء من الرطوبة فظهرت أعيان المكونات إن الله خمر طينة آدم بيده والتخمير تعفن وما غاب عن هذه الأنوار فلا أثر لها فيه ألا ترى في كسوف الشمس إذا اتفق أن يكون بالليل لا حكم له عندنا لعدم مشاهدة الظاهر ظاهر كرة الأرض التي نحن عليها فلا حكم له إلا حيث يظهر بتقدير العزيز العليم فإنه حيث يظهر يشهد ما حضر عنده فيؤثر فيه لشهوده عادة طبيعية أجزاها الله وهذا من أدل دليل على قول المعتزلي في ثبوت أعيان الممكنات في حال عدمها وأن لها شئبية وهي قوله تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَرَانَا سبحانه في حال عدمنا في شئبية ثبوتنا كما يرانا في حال وجودنا لأنه تعالى ما في حقه غيب فكل حال له شهادة يعرفه صاحب الشهادة فيتجلى تعالى للأشياء التي يريد إيجادها في حال عدمها في اسمه النور تعالى فينفق على تلك الأعيان أنوار هذا التجلي فتستعد به لقبول الإيجاد استعداد الجنين في بطن أمه في رابع الأشهر من حملها لنفخ الروح فيه فيقول له عند هذا الاستعداد كن فيكون من حينه من غير تشبط فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها ثم إنه من تمام الحكمة أنه إذا كان في القابلات للتكوين من لا يقبله حقيقة هو عليها إلا بزيادة درجات وهو بين أصله وحقيقته فإنه يكرر اللام من هذا الوزن إذا كانت حروف الوزن من نفس الكلمة و من أصولها مثل جعفر وزنه فعل فكرر واحداً من أصل الأوزان لأن حروف الموزون كلها أصول فإن كان الحرف في الكلمة زائداً جئنا به على صورته ولم نعطه حرفاً من حروف الفعل فنقول في وزن مكسب مفعل فالأصول أبداً هي التي تراعي في الأشياء وهي التي لها الآثار فيها وقال بعضهم إن الجياد على أعراقها تجري يقول على أصولها فمن كان أصله كريماً فلا بد أن يؤثر فيه أصله وإن ظهر عنه لؤم فهو أمر عارض يرجع إلى أصله ولا بد في آخر الأمر وكذلك اللئيم الأصل وهذه مسألة قليل من يتفطن لها وهي لما ذا ترجع أصول الممكنات هل أصلها كريم فيكون واجب الوجود أصلها أو يكون أصلها لئيماً وهو الإمكان فلا يزال الفقر والبخر واللؤم يصحبها ويكون ما نسبت إليها من المحامد بحكم العرض وهنا أسرار ودقائق وكلناك لنفسك في الاطلاع عليها فإن ظهورها في العموم يتعذر فتركنا علم ذلك لمن يطلع الله عليه فيقف على ما هو الأمر عليه في نفسه وقد بقي من أمهات مسائل هذا الباب يسير نذكر اعتبارها في سرد أحاديث ما يتعلق بهذا الباب إن شاء الله تعالى انتهى الجزء السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل فصول الأحاديث النبوية فيما يتعلق بهذا الباب ولا أذكرها بجملة وإنما أذكر منها ما تمس الحاجة إليه)

وبعد أن قد ذكرنا حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جابر بن عبد الله فلندكر في بقية هذا الباب ما تيسر من الأخبار النبوية فمن ذلك

(حديث فضل الحج والعمرة)

خرج مسلم في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فالكفارة تعطي الستر والجنة تعطي الستر غير أن ستر العمرة لا يكون إلا بين عمرتين وستر الحج لم يشترط فيه ذلك إلا أنه قيده بأنه يكون مبرورا والبر الإحسان والإحسان مشاهدة أو كالمشاهدة فإنه قال صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فصارت الجنة عن حج مقيد بصفة بر فقام البر للحج مقام العمرة الثانية للعمرة الأولى والسبب في ذلك أن التكفير والجنة نتيجة والنتيجة لا تكون عن واحد فإن ذلك لا يصح وإنما تكون عن مقدمتين فحصل التكفير عن عمرتين وحصلت الجنة عن حج مبرور أي يكون عن صاحب صفة بر فما أعجب مقاصد الشارع فالعمرة الزيارة وهي زيارات أهل السعادة لله تعالى هنا بالقلوب والأعمال وفي الدار الآخرة بالدوات والأعيان وبين الزيارتين حجب مواعين الزائرين وبين أهليهم من أهل الجنان وفي حالة الدنيا بين المعتمرين وبين غيرهم فلا يدرك ما حصلوه في تلك الزيارة من الأسرار الإلهية والأنوار ما لو تجلّى بشيء منها لإبصار من ليس لهم هذا المقام لأحرقهم وذهب بوجودهم فكان ذلك الستر رحمة بهم وقد عاينا ذلك في المعارف الإلهية مشاهدة حين زرنه بالقلوب والأعمال بمكة التي لا تصح العمرة إلا بها وأما الزيارة من غير تسميتها بالعمرة فتكون لكل زائر حيث كان وكذلك الحج فهي زيارة مخصوصة كما هو قصد مخصوص ولما فيها من الشهود الذي يكون به عمارة القلوب تسمى عمرة فهذا معنى التكفير في هذا العمل الخاص وقد يكون التكفير في غير هذا وهو أن يسترك عن الانتقام أن ينزل بك لما تلبست به من المخالفات ومن الناس من يكون له التكفير سترا من المخالفات أن تصيبه إذا توجهت عليه لتحل به لطلب النفس الشهوانية إياها فيكون معصوما بهذا الستر فلا يكون للمخالفة عليه حكم وهذا المعنى خلاف الأول ومن الناس من يجمع ذلك كله وفي الدنيا من هذه الأحكام الثلاثة كلها وفي الآخرة اثنان خاصة وهو الستر الأول والستر أن لا يصيبه الانتقام وأما الستر عن المخالفات فلا يكون إلا في الدنيا لوجود التكليف والآخرة ليست بمحل للتكليف إلا في يوم القيامة في موطن التمييز حين يدعون إلى السجود فهو دعاء تمييز لا دعاء تكليف إلا الحديث الذي خرجه الحميدي في كتاب الموازنة ولم يثبت ولما اقترن به الأمر أشبه التكليف فجوزوا بالسجود جزاء المكلفين كما تجيء الملائكة إليهم من عند الله بالأمر والنهي وليس المراد به التكليف وهو قولهم للسعداء **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا** وهذا نهى و**أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ** وهذا أمر وليس بتكليف كذلك إذا أمروا بالسجود وإنما هو للتمييز والفرقان بين من سجد لله خالصا وسجد اتقاء ورياء وسمعة لاجتماعهم في السجود لله فلذلك وقع الشبه لأنهم ما سجدوا **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** كما أمروا فميز الله يوم القيامة بينهما كما ميز بين المجرمين

قال تعالى وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ

(حديث ثان في الحث على المتابعة بين الحج والعمرة)

لأن كل واحد منهما قصد زيارة بيت الله العتيق خرج النسائي عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة فجعل في الأول العمرة إلى العمرة وكذلك الحج والبر وهنا جعل الحج والعمرة مقدمتين ليكون منهما أجر آخر ليس ما أعطاه الحديث الأول وهو نفي الفقر في حال بينك وبين عبوديتك إذا جمعت بين هاتين العبادتين وما ثم إلا عبد ورب والعبد لا يتميز عن الرب إلا بالافتقار فإذا أذهب الله بفقره كسائه حلة الصفة الربانية فأعطاه أن يقول للشيء إذا أَرَادَهُ كُنْ فَيَكُونُ وهذا سر وجود الغني في الفقر ولا يشعر به كل أحد فإنه لا يقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ حتى يشتهيها ولهذا قال تعالى وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ فما طلب إلا ما ليس عنده ليكون عنده عن فقر لما طلب لأن شهوته أفقرته إليه ودعته إلى طلبه ليس ذلك المشتهي طلبه وعنده الصفة الربانية التي أوجبت له القوة على إيجاد هذا المشتهي المطلوب فقال له كن عن فقر بصفة إلهية فكان هذا المطلوب في عينه فتناول منه ما لأجله طلب وجوده وليس هو كذا في حق الحق لأن الله لم يطلب تكوين الموجودات لافتقاره إليها وإنما الأشياء في حال عدمها الإمكانى لها تطلب وجودها وهي مفقورة بالذات إلى الله الذي هو الموجد لها لفقرها الذاتي وفي وجودها من الله فقبل الحق سؤالها وأوجد لها ولأجل سؤالها لا من حاجة قامت به إليها لأنها مشهودة له تعالى في حال عدمها وجودها والعبد ليس كذلك فإنه فاقد لها حسا في حال عدمها وإن كان غير فاقد لها علما إذ لو لا علمه بها ما عين بالإيجاد شيئا عن شيء ودون شيء غير أن العبد مركب من ذاتين من معنى وحس وهو كماله فما لم يوجد الشيء المعلوم للحس فما كمل إدراكه لذلك الشيء بكمال ذاته فإذا أدركه حسا بعد وجوده وقد كان أدركه علما فكملة إدراكه للشيء بذاته فتركبه سبب فقره إلى هذا الذي أراد وجوده وإمكانه سبب فقره إلى مرجحه وأما الحق تعالى فليس بمركب بل هو واحد فإدراكه للأشياء على ما هي الأشياء عليه من حقائقها في حال عدمها وجودها إدراك واحد فلماذا لم يكن في إيجاد الأشياء عن فقر كما كان لهذا العبد المخلوق عليه صفة الحق وهذه مسألة لو ذهب عينك جزءا لتحصيلها لكان قليلا في حقها لأنها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل طريقنا والتحقوا فيها بمن ذم الله تعالى في كتابه من قوهم إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَهَذَا سَبَبُهُ فَمَا وَجَدَ الْمُمْكِنَ وَلَا وَجَدَتِ الْمَعْرِفَةُ الْحَادِثَةَ إِلَّا لِكَمَالِ رَتْبَةِ الْوُجُودِ وَكَمَالِ رَتْبَةِ الْمَعْرِفَةِ لَا لِكَمَالِ اللَّهِ بَلْ هُوَ الْكَامِلُ فِي نَفْسِهِ سِوَاءَ وَجَدَ الْعَالَمَ أَوْ لَمْ يَجِدْ وَعَرَفَ بِالْمَعْرِفَةِ الْمَحْدَثَةَ أَوْ لَمْ يَعْرِفْ كَمَا أَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَعْرِفُ مِنْهُ مُمْكِنٌ إِلَّا نَفْسُهُ وَأَمَّا نَفْيُ الذُّنُوبِ فَإِنَّهَا مِنْ حَكْمِ الْأَسْمِ الْآخِرِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ بِمَنْزِلَةِ الذَّنْبِ مِنَ الرَّأْسِ مَتَاخِرَةٌ عَنْهُ لِأَنَّ أَصْلَهُ طَاعَةٌ فَإِنَّهُ مِمْتَلٌ لِلتَّكْوِينِ إِذْ قِيلَ لَهُ كُنْ فَمَا وَجَدَ إِلَّا مَطِيعًا ثُمَّ عَرَضَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَخَالَفَةُ الْأَمْرِ الْمُسَمَّى ذَنْبًا فَاشْبَهَ الذَّنْبَ فِي التَّأخُّرِ فَاتَّقَى بِالْأَصْلِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ عَارِضٌ وَالْعَرَضُ لَا بَقَاءَ لَهُ وَإِنْ كَانَ لَهُ حَكْمٌ فِي حَالِ وَجُودِهِ وَلَكِنْ يَزُولُ فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْمَالَ إِلَى السَّعَادَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ثُمَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَعْنَى الذَّنْبِ

صفتين شريقتين إذا علمها الإنسان عرف منزلة الذنب عند الله وذلك أن ذنب الدابة له صفتان شريقتان ستر عورتها وبه تطرد الذباب عنها بتحريكها إياه وكذلك الذنب فيه عفواً لله مغفرته وشبه ذلك ما لا يشعر به مما يتضمنه من الأسماء الإلهية يطرد عن صاحبه أذى الانتقام والمواخظة وهما بمنزلة الذباب الذي يؤذي الدابة فلا يصيب الانتقام إلا للابتر الذي لا ذنب له يقول تعالى إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أَي لا عقب له أي لا يترك عقبا ينتفع به بعد موته كما قال عليه السلام أو ولد صالح يدعوه ولداً كان أو سبطاً وذكراً أو أنثى بقول الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم إن الذي ألحق بك الشين هو الأبر فلم يعقب وعقب الشيء مؤخره ولهذا قلنا في الذنب إنه مؤخر لأنه في عقب الدابة وبعدمه يكون أبتراً فلم تذنبوا لجاء الله يقوم يذنبون فيغفر لهم ولم يقل فيعاقبهم فغلب المغفرة وجعل لها الحكم فاصل وجود الذنب بذاته لما يتضمنه من المغفرة والمواخظة فيطلب تأثير الأسماء وليس أحد الأسماء المتقابلين في الحكم أولى من الآخر لكن سبقت الرحمة لغضب في التجاري فلم تدع شيئاً إلا وسعته رحمته ومن رحمة الطبيب بالعليل صاحب الأكلة إدخال الأم عليه بقطع رجله فافهم واجعل بالك فمواخذات الحق عباده في الدنيا الآخرة تطهير ورحمة والتنبيه أيضاً على ذلك إن العقاب لا يكون إلا في الذنب والعقوبة لفظة تقتضي التأخير عن المتقدم فهي تأتي عقبيه فقد تجد العقوبة الذنب في الحبل وقد لا تجده إما بأن يقلع عنه وإما أن يكون الاسم العفو والغفور استعانا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة خاسرة ويحول عن المذنب اسم المذنب لأنه لا يسمى مذنباً إلا في حال قيام الذنب به وهو المخالفة والغفران في نفس الذنب وما يأتي عقبيه لأنه غير متيقن بالمواخظة والانتقام عليه فلا يأتي الغفران عقبيه فلا يسمى الغفران عقاباً وجزاء الخير يسمى ثواباً لثوابه وعجلته فيكون في نفس الخير المستحق له لأنه من ثاب إلى الشيء إذا تار إليه بالعجلة والسرعة ولهذا قال سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ قَالَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ فجعل المسارعة في الخير وإليه ولا يسابق إليها إلا بالذنوب وطلب المغفرة فإنها لا ترد إلا على ذنب وإن كانت في وقت تستر العبد عن إن تصيبه الذنوب وهو المعصوم والمحفوظ فلها الحكمان في العبد محو الذنب بالستر عن العقوبة أو العصمة والحفظ ولا ترد على تائب فإن التائب لا ذنب له إذ التوبة إزالته فما ترد المغفرة إلا على المذنبين في حال كونهم مذنبين غير تائبين فهناك يظهر حكمها وهذا ذوق لم يطرق قلبك مثله قبل هذا وهو من أسرار الله في عباده الخفية في حكم أسمائه الحسنى لا يعقل ذلك إلا أهل الله شهدوا فمثل هذا يسمى التضمن فإنه أمر بالمسابقة إلى المغفرة وما أمر بالمسابقة إلى الذنب ولما كان العفو والغفران يطلب الذنب وهو أمور بالمسابقة إلى المغفرة فهو أمور بما له يكون ليظهر حكمها فما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ولكن من حيث ما هو فعل لا من حيث ما هو حكم وإنما أخفى ذكره هنا وذكر المغفرة لقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ والأمر من أقسام الكلام فما أمر بالذنوب وإنما أمر بالمسابقة والإسراع إلى الخير وفيه وإلى المغفرة فافهم وأما تشبيهه بنفي الكبريخ الحديد والفضة والذهب وهو ما تعلق بهذه الأجسام في المعادن من أصل الطبيعة استعانوا بالنار على إزالة ذلك واستعانوا على النار بإشعال الهواء واستعانوا على تحريك الهواء بالكبريخ فما انتفى الخبث إلا عن مقدمتين وهما النار والهواء فلولا وجود هاتين القوتين العلمية والعملية ما وقع نفي هذا الخبث وقد تقدم الكلام في الحج المبرور وإن

كان له هنا معنى آخر ليس هو ذلك المعنى المتقدم ولكن يقع الاكتفاء بذلك الأول مخافة التطويل فإن أسرار الله في الأشياء لا تنحصر بل ينقح في كل حال لأصحاب القلوب ما لا يعلمه إلا الله والعام لا تعلم ذلك ولهذا تقول الخواص من عباد الله ما ثم تكرر للاتساع الإلهي وإنما الأمثال تجب بصورها القلوب عن هذا الإدراك فتتحيل العامة التكرار وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ فمن تحقق بوجود هذا الاسم الواسع لم يقل بالتكرار بل هُم في لُبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ

(حديث ثالث في فصل إتيان البيت شرفه الله)

خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه وفي لفظ البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق الحديث فاعلم أنه يوم خروج المولود من بطن أمه خرج من الضيق إلى السعة بلا شك ومن الظلمة إلى النور والسعة هي رحمة الله التي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَالضِّيقُ تَقْيِضُ رَحْمَةَ اللَّهِ مَعَ أَنَّ الرَّحْمَةَ وَسَّعَتْهُ حَيْثُ أُوْجِدَتْ عَيْنُهُ وَجَعَلَتْ لَهُ حِكْمًا فِي نَفْسِ الْعَالَمِ حَسَا وَمَعْنَى يَقُولُ تَعَالَى وَإِذَا أُنْفِقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا وَالْمَوْلُودُ عَلَى التَّقْيِضِ مِنَ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ الْحَقَّ لَمَّا كَانَ لَهُ نَعْتٌ لَا شَيْءٌ مُوجُودٌ إِلَّا هُوَ كَانَ وَلَا مَنَازِعَ وَلَا مَدْعَ مَشَارَكَةٍ فِي أَمْرٍ وَلَا مُوجِبَ لَغْضَبٍ وَلَا اسْتِعْطَافٍ غَنِيٍّ عَنِ الْعَالَمِينَ فَكَانَ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ فِي ابْتِهَاجِ الْأَزْلِ وَالتَّذَادِ الْكَمَالِ بِالْغَنَى الذَّاتِي فَكَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ فَلَمَّا أُوجِدَ الْعَالَمُ كَانَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ لِهَذَا الْمَوْلُودِ وَلَكِنْ عَلَى التَّقْيِضِ زَاوِجَهُ الْعَالَمِ فِي الْوُجُودِ الْعَيْنِيِّ وَمَا قَتَعَ حَتَّى زَاوِجَهُ فِي الْوَحْدَةِ وَمَا قَتَعَ حَتَّى نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ فَوَصَفَ نَفْسَهُ لِهَذَا كُلِّهِ بِالْغَضَبِ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْنَاهُ فَكَانَ مِثْلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ السَّعَةِ إِلَى الضِّيقِ وَمَنِ الْفَرْحِ إِلَى الْغَمِّ فَانْتَقَمَ وَعَذِبَ بِصِفَةِ الْغَضَبِ وَعَفَا وَتَجَاوَزَ بِصِفَةِ الْكَرَمِ وَحَفِظَ وَعَصَمَ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ فَظَهَرَ اسْتِنَادُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى الْكَثْرَةِ فِي الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ فَاسْتَدَّ هَذَا إِلَى غَيْرِ مَا اسْتَدَّ هَذَا فَزَالَ ابْتِهَاجُ التَّوْحِيدِ وَالْأَحَدِيَّةِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَمَا نَسَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَحْكَامِ فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَسْمِ الْوَاحِدِ ابْتِهَاجُ فَرْجِعِ الْأَمْرِ إِلَى أَحَدِيَّةِ الْأَوْهِيَّةِ وَهِيَ أَحَدِيَّةُ الْكَثْرَةِ لَمَّا تَطَلَبَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ لِبَقَاءِ مَسْمَى الْأَحَدِيَّةِ فَقَالَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ إِلَى ذِكْرِ النَّسَبِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْوُجُوهِ فَإِنَّ طَلَبَ الْوَحْدَةِ يَنَاقِضُ طَلَبَ الْكَثْرَةِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ هَكَذَا فَصِيرَ قَاصِدَ بَيْتِهِ لِحِجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ فِي حَالٍ مِنْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ أَيْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الضِّيقِ إِلَى السَّعَةِ فَشَبَّهَهُ بِمِثْلِهِ وَهُوَ الْمَوْلُودُ وَلَمْ يَشْبَهْهُ بِوَصْفِهِ تَعَالَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَنْفًا وَلَكِنْ اشْتَرَطَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَرِفْثُ فَإِنَّهُ إِنْ نَكَحَ أَوْلَادًا فَلَا يَشْبَهُ الْمَوْلُودَ فَإِنَّهُ إِذَا وَلَدَ خَرَجَ مِنَ السَّعَةِ إِلَى الضِّيقِ فَإِنَّهُ حَصَلَ لَهُ فِي مَالِهِ مَشَارَكَةٌ بِالْوَالِدِ وَصَارَ بِحُكْمِ الْوَالِدِ أَكْثَرَ مِنْهُ بِحُكْمِ فَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ وَلَا سِيْمَا إِذَا تَحَرَّكَ وَلَدُهُ بِمَا لَا يَرْضِيهِ فَإِنَّهُ يُوْرِثُهُ الْحَرْجَ وَضِيقَ الصَّدْرِ لِمُزَاوِجَةِ الثَّانِي فَلِهَذَا اشْتَرَطَ فِي الْآتِي إِلَى الْبَيْتِ أَنْ لَا يَرِفْثَ وَلَا يَفْسُقَ أَيْ لَا يَخْرُجَ عَلَى سَيِّدِهِ فَيَدْعِي فِي نَعْتِهِ وَيُزَاوِجُهُ فِي صِفَاتِهِ إِذْ الْفَسُوقُ الْخُرُوجُ فَمَنْ بَقِيَ فِي حَالٍ وَجُودِهِ مَعَ اللَّهِ كَمَا كَانَ فِي حَالٍ عَدَمِهِ فَذَلِكَ الَّذِي أَعْطَى اللَّهُ حَقَّهُ وَهَذَا الدَّاءُ الْعَضَالُ أَحَالَهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ دَوَاءٍ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا يَقُولُ لَهُ كُنْ مَعِيَ فِي شَيْئَةٍ وَجُودِكَ كَمَا كُنْتَ إِذْ لَمْ تَكُنْ مُوجُودًا فَأَكُونُ أَنَا عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَ

أنت على ما أنت عليه فمن استعمل منا هذا الدواء عرف حق الله فأعطاه ما يجب له ومن لم يعرف ولا استعمل هذا الدواء وخالط كثرت أمراضه وآلمه في عين أفراده وأغضب الحق عليه فيما هو فارج مسرور به ففي بعض أفرحك غضبه فتنبه إلى ما في هذا الحديث من الأسرار على هذا الأسلوب وأمثاله فإن فيه علوما يطول الكتاب بتفصيلها وتعيينها

(حديث رابع في فصل عرفة والعتق فيه)

خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء حتى يقولوا مغفرتك ورضاك عنهم فقصدهم الحق مباهاة الملائكة بهم وسؤاله إياهم ما أراد هؤلاء حجاب رقيق على قصد المباهاة جبر القلوب الملائكة ولما ظهر الإباق في عبيد الله واسترقتهم الأهواء والشهوات وصاروا عبيدا لها وخلق الله النار من الغيرة الإلهية فغارت لله وطلبت الانتقام من العبيد الذين أبقوا وقد جاء الخبر أن العبد إذا أبق فقد كفر والكفر سبب الاسترقاق فصاروا عبيدا للأهواء بالكفر فاحتالت النار على أخذهم من يد الأهواء للانتقام فلما استحققتهم النار وأرادت إيقاع العذاب بهم اتفق أن وافق من الزمان يوم عرفة فجاء اليوم شفيعا عند الله في هؤلاء العبيد بأن يعتقهم من ملك النار إذ كانت النار من عبيد الله المطيعين له فجاد الله عليهم بشفاعة ذلك اليوم فأعتق الله رقابهم من النار فلم يكن للنار عليهم سبيل فكفر خير الله وطاب وظهر الله قلوبهم من الشهوات المردية لا من أعيان الشهوات فأبقى أعيان الشهوات عليهم وأزال تعلقها بما لا يرضى الله فلما أوقفهم بعرفات أظهر عليهم أعيان الشهوات لتنظر إليها الملائكة ولما كانت الملائكة لا شهوة لهم كانوا مطيعين بالذات ولم يبق لهم مانع شهوة يصرفهم عن طاعة ربهم فلم يظهر سلطان لقوة الملائكة عندهم إذ ليس لهم منازع فكانوا عقولا بلا منازع فلما أبصرت الملائكة عقول هؤلاء العبيد مع كثرة المنازعين لهم من الشهوات ورأوا حضرة البشر ملأى منها علموا أنه لولا ما رزقهم الله من القوة الإلهية على دفع حكم تلك الشهوات المردية فيهم ما أطاقوا وأنهم ربما لو ابتلاهم الله بما ابتلى به البشر من الشهوات ما أطاقوا دفعها فقصرت نفوسهم عندهم وما هم فيه من عبادة ربهم وعلموا أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ لَهُ بِهِمْ عناية عظيمة السلطان وهذا كان المراد من الله التباهي مع هذه الحالة ولذلك وصف الحق نفسه بالدنو منهم ليستعينوا بقربه على دفع الشهوات المردية من حيث لا تشعر الملائكة ثم يقول الله للملائكة وهو أعلم ما أراد هؤلاء لينظروا إلى سلطان عقولهم على شهواتهم وما هم فيه من الالتجاء والتضرع والابتهاج بالدعاء ونسيان كل ما سوى الله في جنب الله

(حديث خامس في الحاج وفد الله)

خرج النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر أراد وفد طلبه في بيته لا غير فإن الله معهم أينما كانوا فما وفد عليك من أنت معه ولكن الله تعالى في عباده نسب وإضافات كما قال تعالى يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا فجعلهم وفود الرحمن لأن الرحمن لا يتقى وكانوا حين كانوا متقين في حكم اسم إلهي تجلى الحق فيه لهم فكانوا يتقونه فلما أراد أن يرزقهم

الأمان مما كانوا فيه من الاتقاء حشرهم إلى الرحمن فلما وفدوا عليه أمهم وهكذا نسبتهم إلى رب البيت لما تركوا الحق خليفة في الأهل والمال كما جاءت به السنة من دعاء المسافر فارقوا ذلك الحال واتخذوه اسماً إلهياً جعلوه صاحباً في سفرهم وجاءت به السنة والعين واحدة في هذا كله ولذلك ورد أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل فإذا قدموا على البيت وهو قصر الملك وحضرته تجب لهم عنده الاسم إلهي الذي صحبهم في السفر عن أمر الاسم الذي تخلف في الأهل وهو الاسم الحفيظ فتلقاهم رب البيت أبرز لهم يمينة فقبلوه وطافوا بيته إلى أن فرغوا من حجهم وعمرتهم وفي كل منسك يتلقاهم اسم إلهي ويتسلمهم من يد الاسم الإلهي الذي يصحبهم من منسك إلى منسك إلى أن يرجعوا إلى منازلهم فيحصلوا في قبضة من خلفه في الأهل فهذا معنى وقد الله إن عقلت

(حديث سادس الحج للكعبة من خصائص هذه الأمة أهل القرآن)

ذكر الترمذي عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زاد أو راحلة تبلغه إلى بيت الله ثم لم ينجح فلا عليه إن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَخَاطِبِينَ بِالْحَجِّ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لَمْ يَقُلْ لَهُ فَلَاعَلِيهَ إِنْ مَيِّتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَيُّ أَنَّ اللَّهَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ أَيُّ أَنَّهُ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمُنَاطَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الْوَكِيلِ يَمْلِكُ التَّصَرُّفَ فِي مَالِ الْمَوْكَلِ وَلَا يَمْلِكُ الْمَالُ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَأَمْرُهُ بِالْإِنْفَاقِ فِيمَا حُدِّدَ لَهُ أَنْ يَنْفَقَهُ فِيهِ وَمِمَّا حُدِّدَ لَهُ الْإِنْفَاقُ فِي الْحَجِّ الْوَكِيلِ الْحَقُّ الْمَوْكَلُ الْعَبْدُ الْوَكِيلُ هُنَا أَعْلَمُ بِالْمَصَالِحِ مِنَ الْمَوْكَلِ وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ الْمَصْلُحَةُ فِي الْحَجِّ وَالْمَالُ بِيَدِ الْوَكِيلِ وَهُوَ وَكِيلٌ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنَ الْمَالِ فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يَجِبُ بِهِ وَلَمْ يَجِبُ ثَبَتَ سَفَهُ الْمَوْكَلِ فَحُكْمُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ بِالْحَجْرِ فَحَجْرٌ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَالْحَقُّهَ بِالسُّفَهَاءِ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ فَإِنْ شَاءَ حُكْمٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْيَهُودِ أَوْ بِحُكْمِ النَّصَارَى الَّذِينَ لَمْ يَخَاطَبُوا بِهَذِهِ الْمَصْلُحَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ لِأَنَّ الْحَجَّ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِهِ وَقَدْ اسْتَطَاعَ وَلَمْ يَفْعَلْ وَإِذَا فَارَقَ الْإِسْلَامَ فَلَا يَبَالِي إِلَى أَيْةِ مَلَةٍ يَرْجِعُ

(حديث سابع في فرض الحج)

خرج مسلم عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه وقال النسائي من حديث ابن عباس لو قلت نعم لوجبت ثم إذن لا تسمعون ولا تطيعون ولكنها حجة واحدة لما ثبت أن المكلف أحدي في أوهته وأنه قال وَإِلَيْكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ فِي بَيْتِهِ وَحَدَّ الْقَصْدَ فَيَجْعَلُهَا حِجَّةً وَاحِدَةً لِمُنَاسَبَةِ الْأَحْدِيَةِ فَخَتَمَ الْأَرْكَانَ بِمِثْلِ مَا بِهِ بَدَأَ وَهُوَ الْأَحْدِيَةُ فَبَدَأَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ وَخَتَمَ بِالْحَجِّ فَجَعَلَهُ وَاحِدَةً فِي الْعَمْرِ فَلَا يَتَكَرَّرُ وَجُوبُهُ بِالْأَيَّامِ كَتَكَرَّرَ وَجُوبُ الصَّلَوَاتِ وَلَا بِالسِّنِينَ كَتَكَرَّرَ وَجُوبُ الزَّكَاةِ بِالْحَوْلِ وَوَجُوبُ الصِّيَامِ بِدُخُولِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَالْحَجِّ لَيْسَ كَذَلِكَ فَانْفَرَدَ بِالْأَحْدِيَةِ لِأَنَّ الْآخِرَ فِي الْإِلَهِيَّاتِ عَيْنٌ

الأول فيحكم له بحكمه وفي متن هذا الخبر حكم كثيرة يطول ذكرها لو شرعنا فيها والأحاديث كثيرة في هذا الباب فلنأخذ من كل حديث بطرف على قدر ما يُلقِي الرُّوحَ من أمره على قلبي بلمته أو ما شئت

(حديث ثامن في الصلوة)

خرج أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلوة في الإسلام وفي الحديث الذي خرجه الدارقطني عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال للمسلم صلوة وكلا الحديثين متكلم فيه الصلوة هو الذي لم يجز قط والمسلم من ثبت إسلامه وفي نية المسلم الحج ولا بد والإنسان في صلوة ما دام ينتظر الصلاة كما هو في حج ما دام ينتظر الأسباب الموصلة إلى الحج فلا يقال فيه إنه صلوة فإنه حاج ولا بد وإن مات فله أجر من حج بانتظاره كما لو مات منتظر الصلاة لكتب مصليا فلا صلوة في الإسلام

(حديث تاسع في إذن المرأة زوجها في الحج)

خرج الدارقطني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة لها زوج ولها مال ولا يأذن لها في الحج ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها وفي إسناد هذا الحديث رجل مجهول يقال إنه محمد بن أبي يعقوب الكرمانى رواه ن حسان بن إبراهيم الكرمانى إن منعها زوجها فهو من الذين يصدون عن سبيل الله إن كان لها محرم تسافر معه عندنا في هذه المسألة إذا كانت آفاقية وأما إن كانت من أهل مكة فلا تحتاج إلى إذنه فإنها في محل الحج كما لا تستأذنه في الصلاة ولا في صوم رمضان ولا في أداء الزكاة لما كان الحج القصد إلى البيت على طريق الوجوب لمن لم يجز كذلك قصد النفس إلى معرفة الله ليس لها من ذاتها النظر في ذلك فإنها مجبولة في أصل خلقها على دفع المضار المحسوسة والنفسية وجلب المنافع كذلك وهي لا تعرف أن النظر في معرفة الله مما يقربها من الله أم لا وهي به في الحال متضررة لما يطرأ عليها في شغلها بذلك من ترك الملاذ النفسية فلا بد ممن يحكم عليها في ذلك ويأذن لها في النظر بمنزلة إذن الزوج للمرأة فمننا من قال يأذن لها العقل فإذا أذن لها في النظر في الله بما تعطيه الأدلة العقلية فإن العلم بالشيء كان ما كان أحسن من الجهل به عند كل عاقل فإن النفس تشرف بالعلم بالأشياء على غيرها من النفوس ولا سيما وهي تشاهد النفوس الجاهلة بالعلوم الصناعية وغير الصناعية تفترق إلى النفوس العاملة فيمتين لها مرتبة شرف العلم هذا إذا لم يعلم أن الخوض في ذلك مما يقرب من الله وينال به الخطوة عند الله ومنا من قال الزوج في هذه المسألة إنما هو الشرع فإن أذن لها في الخوض في ذلك اشتغلت به حتى تناله فتعرف منه توحيد خالقها وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز أن يفعله فيعلم بالنظر في ذلك أن بعثة الرسل من جانب الله إلى عباده ليبينوا لهم ما فيه نجاتهم وسعادتهم إذا استعملوه أو اجتنبوه فيكون وجوب النظر في ذلك شرعا من حيث إنه أوجب عليهم النظر لثبوتها في نفسه وهي مسألة خلاف بين المتكلمين هل تجب معرفة الله على الناس بالعقل أو بالشرع وعلى كل حال فزوج النفس هنا إما الشرع في مذهب الأشعري وإما العقل في مذهب المعتزلي ليس لها من نفسها في هذا التصرف الخاص حكم ولا نظر بطريق الوجوب إلا إن كان لها بذلك التذاد لحب رياسة من حيث إنها ترى النفوس تفترق إليها فيما تعلمه وجهلته نفوس

الغير فتكون عند ذلك بمنزلة المرأة وإن كان لها زوج إذا كانت بمكان الحج في زمان الحج عندنا ولا سيما إن كان صاحبها أيضا ممن يجح فأكد
في الأمر

(حديث عاشر سفر المرأة مع العبد ضيعة)

ذكر البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سفر المرأة مع عبدها ضيعة في إسناده مقال سفر النفس في معرفة الله مع
الايان بالشرع غاية الحمدة والسعادة ويكون في تلك الحالة العقل من جملة عبيدها لأنها الحاكمة عليه بأن يقبل من الشارع في معرفة الله كل ما
جاء به فإن سافرت مع عقلها في معرفة ما أتى به هذا الشارع من العلم بصفات الحق مما يحمله دليله وانفردت معه دون الايمان فإنها تضع عن
طريق الرشد والنجاة فإن كان السفر الأول قبل ثبوت الشرع فليكن العبد هناك الهوى لا العقل والنفس إذا سافرت في صحبة هواها أضلها
عن طريق الرشد والنجاة وما فيه سعادتها قال تعالى أَكْرَأْتِ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَقَالَ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ يَعْنِي
إن تسافر معه فإنه على الحقيقة عبدها لأنه من جملة أوصافها الذي ليس له عين إلا بوجودها فهي المالكة له فإذا اتبعته صار مالكها وهو لا
عقل له ولا إيمان فيرمى بها في المهالك فتضيع فاعتبر الشارع ذلك في السفر الحسوس في المرأة مع عبدها وجعله تنبيها لما ذكرناه

(حديث أحد عشر في تليد الشعر بالعسل في الإحرام)

خرج أبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لبد رأسه بالعسل لما كان الشعر من الشعور والتليد أن يلصق بعضه ببعض حتى
يصير كاللبد قطعة واحدة وهو أن يرد الإنسان ما تعدد عنده من الصفات والمناسبة الإلهية شرعا والأسماء الحسنى وعقلا كالمعاني الثابتة
بالأدلة النظرية يرد ذلك إلى عين واحدة كما قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَقَالَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ ثُمَّ إِنَّهُ لَبَدُّهُ بِالْعَسَلِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ خَطْمِيٍّ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَكُونُ بِهِ التَّلِيدُ وَذَلِكَ أَنْ الْعَسَلَ لِمَا أُنتَجَ مِنْ الْحَيَوَانِ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْوَحْيِ
صَحَّتِ الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ مَنْ يُوْحَىٰ إِلَيْهِ وَالتَّحَلُّ مِنْ يُوْحَىٰ إِلَيْهِ فَالْعَسَلُ مِنَ النَّحْلِ بِمَنْزِلَةِ الْعُلُومِ الَّتِي جَاءَ
بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرْآنٍ وَأَخْبَارٍ قَالَ تَعَالَىٰ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُنَا فِي رَدْنَا مَا تَعَدَّدُ
مِنَ الْأَحْكَامِ لَعَيْنٍ وَاحِدَةٍ لَا يَكُونُ عَنِ نَظَرِ عَقْلِي وَإِنَّمَا يَكُونُ عَنِ وَهْبِ إلهي وكشف رباني الذي لا تقدح فيه شبهة فهذا أعني تليد الرأس
بالعسل دون غيره من الملبدات

(حديث ثاني عشر الحرم لا يطوف بعد طواف القدوم إلا طواف الإفاضة)

خرج البخاري عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يعني في حجة الوداع الحديث وفيه ولم يقرب الكعبة بعد
طوافه بها حتى رجع من عرفة يعني طواف القدوم أصل أعمال العبادات مبنية على التوقيف ينبغي أن لا يزداد فيها ولا ينقص منها والحرم
بالحج كالحرم بالصلاة فلا ينبغي أن يفعل فيها إلا ما شرع أن يفعل فيها ومن الأفعال في العبادات ما هو مباح له فعله أو تركه ومنها ما يكون من

الفعل فيها مرغبا ومنها أفعال تقدر في كمالها ومنها أفعال تبطلها ولو كانت عبادة كمن تعين عليه كلام وهو في الصلاة فإن تكلم بذلك بطلت الصلاة أو فعل فعلا يجب عليه مما يبطل الصلاة فعله ولا خلاف بين العلماء في أنه إن طاف لا يؤثر في حجه فسادا ولا بطلانا الحقائق لا تتبدل فالتطوع لا يكون وجوبا والتطوع ما يكون المكلف فيه محيرا إن شاء فعله وإن شاء تركه فله الفعل والترك فمن رأى الترك لم يؤثر في حكم التطوع تحريما ولا كراهة ومن رأى الفعل لم يؤثر في حكمه وجوبا وهذا سار في جميع أحكام الشرائع الخمسة فنسبة التطوع للعبد نسبة أفعال الله إلى الله لا يجب عليه فعلها ولا تركها ولهذا جعل المشيئة في ذلك فأكمل ما يكون العبد في انصافه بصفة الحق في تصرفه في المباح فإن الربوبية ظاهرة فيه والإباحة مقام النفس وعينها وخاطرها من الأحكام الخمسة الشرعية لأنها على الصورة أوجدها الله فلا بد أن يكون حكمها هذا وأما شبه الإيجاب فلا يكون ذلك إلا في النذر لا غيره فإن الحق أوجب على نفسه أموراً ذكرها لنا في كتابه وصاحب النذر أوجب على نفسه ما لم يوجب الله عليه ابتداءً فما أوجب الله على العبد الوفاء بنذره إلا بالنسبة التي أوجب على نفسه فتقوى الشبه في وجوب النذر كما تقوى في التطوع وأما التحريم ففيه من الشبه تحجير المماثلة فقال ليس كمثل شيء فحجر على الكون أن يماثله أو يماثل مثله المفروض فكان عين التحجير عليه إن تجلى في صورة تقبل التشبيه فإن كان نفس الأمر يقتضي نفي التشبيه فقد شاركه في ذلك فإنه لا يقبل التشبيه بنا ولا تقبل التشبيه به وإن لم يكن في نفس الأمر كذا وإنما اختار ذلك أي قام في هذا المقام لعبيدة فقد حكم على نفسه بالتحجير فيما له أن يقوم في خلافه كما حجر علينا فعلى الحالتين قد حصل نوع من الشبه وأما لوجوب فصورة الشبه أنه على ما يجب له ونحن على ما يجب لنا قال لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار فله الغني والعزة من حيث ذاته واجبة ولنا الذلة والافتقار من حيث ذاتنا واجب هذا هو الوجوب الذاتي وأما الوجوب بالموجب فإنه أوجب علينا ابتداءً أموراً لم نوجبها على أنفسنا فيكون قد أوجب علينا بإيجابنا إياها على أنفسنا كالنذر فأوجب على نفسه أن يخلق الخلق ابتداءً وأجبه عليه طلب كمال العلم به وكمال الوجود فهما الذي طلبا منه خلق الخلق لما كان له الكمال وما رأى لكمالهما حكماً لم يكن لكمالهما تعلق فطلب فأوجب يطلبه عليه إن يوجد له صورة يرى نفسه فيها لأن الشيء لا يرى نفسه في نفسه عند المحققين وإنما يرى نفسه في غيره بنفسه ولذلك أوجد الله المرأة والأجسام الصقيلة لترى فيها صورنا فكل أمر ترى فيه صورتك فتلك امرأة لك قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة أخيه فخلق الخلق فأكمل الوجود به وكمل العلم به فعين كمال الحق نفسه في كمال الوجود فهذا واجب بموجب فوق الشبه بالوجوب كما وقع فيما وقع من الأحكام وحكم الندب والكراهة يلحقان بالمباح وإن كان بينهما درجة فالمندوب هو ما يتعلق بفعله الحمد ولا يذم بترك ذلك الفعل وشبهه في الجناب الإلهي ما يعطيه من النعم لعباده زائداً على ما ندعوا إليه الحاجة فيحمد على ذلك وإن لم يفعله فلا يتعلق به ذم لأن الحاجة لا تطلبه إذ قد استوفت حقها فهذا شبه المندوب وأما شبه المكروه فالله يقول عن نفسه إنه يكره فإنه قال وأكره مسأته وقال ولا يرضى لعباده الكفر والكراهة المشروعة هي ما يحمد تاركها ولا يذم فاعلمها فتشبه الندب ولكن في النقيض فإذا كان للعبد غرض فيما عليه فيه ضرر وهو أكثر ما في

الناس فيسأل نيل ذلك الغرض من الله فما فعله الله له فيكره لعبد ذلك الترك من الله ويقول لعل الله جعل لي في ذلك خيرا من حيث لا أشعر و هو قوله وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَهُوَ لِيُوفِقَ الْغُرُضَ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فَإِنْ فَعَلَهُ لَمْ يَذْمَعْهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعْذِرُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَقُولُ أَنَا طَلَبْتُهُ فَهَذَا عَيْنُ الشَّبْهِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ مِنْ جِهَةِ الْمَكْرُوهِ وَانْحَصَرَتْ أَقْسَامُ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فِي الْخِصْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَفِي الْعَبْدِ وَلِهَذَا يَقُولُ الصُّوفِيَّةُ إِنَّ الْعَالَمَ خَرَجَ عَلَى صُورَةِ الْحَقِّ فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ الْوُجُودِيَّةِ فَعَمَّ التَّكْلِيفُ الْخِصْرَتَيْنِ وَتَوَجَّهَ عَلَى الصُّورَتَيْنِ فَإِنْ قُلْتَ فَأَيْنَ الشَّبْهِ فِي الْجَهْلِ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ وَمَا هُنَاكَ جَهْلٌ قُلْنَا قَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ

و هو أنا فإنه يجهل إن قلت إني لست غير إليه
و هو أنا فما الذي تفعل لأنني أجهل من هو أنا

فمن يقول إنه الظاهر في المظاهر والمظاهر على ما هي عليه والظاهر فيها هو الموصوف بالعلم بأمور وبالجهل بأمور أعطاه ذلك استعداد المظهر لما انصبغ به فصح الشبه على هذا بل هو هو قال الجنيد في هذا لون الماء لون إياته انتهى الجزء الحادي والسبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(حديث ثالث عشر بقاء الطيب على المحرم بعد إحرامه)

خرج مسلم عن عائشة قالت كآنى أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم زاد النسائي بعد ثلاث وهو محرم يعني بعد ثلاث ليال من إحرامه الله تعالى تسمى بالطيب وجعل سبحانه في أمور ومواطن أن يتقرب إليه بصفاته التي تسمى بها وإن من صفاته الكرم وجعله فينا من صفات القرب إليه وهكذا سائر ما وصف الحق به نفسه فبقاء الطيب على المحرم من بقاء صفة الحق عليه إذ كان جعلها وتخلق بها في وقت يجوز له التخلق بها فإن صفات الحق لا يتخلق بها على الإطلاق بل عين لها أحوالا ومواطن فافهم ذلك

(حديث رابع عشر في المحرم يدهن بالزيت غير المطيب)

خرج الترمذي عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدهن بالزيت وهو محرم غير المفتت قال أبو عيسى المفتت المطيب وفي إسناده مقال من أجل فرقد الزيت مادة الأنوار والمحرم أولى به من كل متلبس بعبادة لكثرة المناسك في الحج فإن لم يكن نوره قويا ممدودا بالنور الإلهي الذي أودع الله في الزيت وأمثاله من الأدهان لبقاء النور وإلا يفوته كثير من إدراك معاني المناسك فنبه بالأدهان بالزيت على الإمداد الإلهي للنور قال تعالى يَكَادُ رِيْتُهُا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ فَجَعَلَهُ نُورًا يُهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَالْهُدَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِدَلِيلٍ وَلَا دَلِيلَ هُنَا إِلَّا الزَّيْتُ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ فَكُلُّ مَا أَبْقَى عَلَيْكَ وَجُودَ النُّورِ فَذَلِكَ النُّورُ جَمْعُوهُ لَهُ وَمُرَاعَاةُ الْأَصُولِ مِنَ التَّمَكُّنِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ

(حديث خامس عشر في اختصاب المرأة بالحناء ليلة إحرامها)

ذكر الدارقطني عن ابن عمر أنه كان يقول من السنة أن تدلك المرأة بشيء من الحناء عشية الإحرام وتغلف رأسها بغسلة ليس فيها طيب ولا تحرم عطلا العطل الحالية من الزينة في الصحيح إن الله جميل يحب الجمال والحق أولى من تحمل له خذوا زينتكم عند كل مسجداً أراد هنا أن يلحقها بلبلة القدر بين الليالي فإن سائر الليالي عطل من زينة ليلة القدر كذلك المرأة إذا أحرمت بغير زينة ولما كانت مأمورة بالستر وفي الإحرام مأمورة بالكشف أراد أن يبقى لها ضرباً من حكم الستري في زمان إحرامها فاخصت بالحناء فسترت بياضها حمرة الحناء فكانت زينة وسترًا فأباح للمرأة في هذا الحديث التزين بزينة الله وزينة الله أسماءه والمرأة في الاعتبار نفس الإنسان فمن تخلق بأسماء الله وصفاته فقد تحلى بزينة الله التي أخرج لعباده في كتابه وعلى السنة رسله ولا سيما في الأشهر الحرم ولا سيما شهر ذي الحجة وأعني بالأشهر الحرم التي للحاج أن يحرم فيها والإحرام كله شهرة فإنه لا ستر فيه وسبب إزالة الستريه والتجرد إنما هو لكونه جعل محرماً فممنع من أمور كثيرة كان يفعلها في زمان حله فجزه بإزالة الستر الذي يقتضي التحجير حتى لا يجمع عليه تحجيرين السترو الإحرام

(حديث سادس عشر إحرام المرأة في وجهها)

ذكر الدارقطني عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على المرأة إحرام إلا في وجهها رجوع إلى الأصل فإن الأصل أن لا حجاب ولا سترو الأصل ثبوت العين لا وجودها ولم تزل بهذا النعت موصوفة وبقبولها سماع الخطاب إذا خوطبت ممنوعة فهي مستعدة لقبول نعت الوجود مسارة لمشاهدة المعبود فلما قال لها في حال عدمها كن كانت فبانت بنفسها وما بانت فوجدت غير محجور عليها في صورة موجدتها ذليلة في عز مشهدها لا تدري ما الحجاب ولا تعرفه فلما بانت المراتب للاعيان وأثرت الطبيعة الشح في الحيوان وفوره في حقيقة نفس الإنسان لما ركب الله عليه في نشأته من وفور العقل وتحكيم القوي الروحانية والحسية منه انجرت الغيرة المصاحبة للشح الطبيعي فكان أكثر الحيوان غيرة لأن سلطان الشح والوهم فيه أقوى مما في سواه والعقل ليس بينه وبين الغيرة مناسبة في الحقيقة ولهذا خلقه الله في الإنسان لدفع سلطان الشهوة والهوى الموجبين لحكم الغيرة فيه فإن الغيرة من مشاهدة الغير المماثل المزاحم له فيما يروم تحصيله أو هو حاصل له من الأمور التي إذا ظفر بها واحد لم تكن عند غيره وقد جبله الله على الحرص والطمع أن يكون كل شيء له وتحت حكمه لإظهار حكم سلطان الصورة التي خلق عليها فإن من حقيقتها أن يكون كل شيء تحت سلطانها حتى إن بعض الناس أرسل حكم غيرته فيما لا ينبغي أن يرسلها فغار على الله وما خلق وما كلف إلا أن يغار لله لا على الله فهذا بلغ من العبد سلطان استحكامها في الإنسان فألحقته بالجاهلين والعقل الكامل يعلم أنه خلق لربه لا لغيره وعلم بذاته أن من خلقه لا يمكن أن يزاحمه في أمر ولا يعارضه في حكم فيقول هو هو على ما هو عليه في نفسه فليس كميته شيء وأنا أنا على ما أنا عليه في نفسي ولي أمثال من جنسي فليس له فيما أنا عليه قدم إلا التحكم وليس لي فيما هو عليه إلا قبول الحكم فلا مزاحمة ولا غيرة فالإنسان بما هو عاقل إن كان تحت سلطان عقله فلا يغار لأنه ما خلق إلا لله والله لا يغار عليه فإذا غار العاقل فإنما يغار من حيث إيمانه فهو يغار لله ولها موطن مخصوص شرعه له لا تعدها فكل غيرة تتعدى ذلك الحد فهي خارجة عن حكم

العقل منبعثة عن شح الطبيعة و حكم الهوى حتى إن بعض الناس يرى أمورا قد أباحها الشرع يجحد في نفسه أن لو كان له الحكم فيها لحجرها و حرماها فيرجح نظره في مثل هذا على ما أباح الله فعله و يرى أنه في رأيه أرجح من الله ميزانا و من رسوله صلى الله عليه و سلم في هذا الذي خطر له و ربما يغتاظ حتى يقول أي شيء أصنع هذا شيء قد أباحه الله فلنصبر على ذلك فيصبر على كرهه و حتى في نفسه على ربه فهو في هدنة على دخن و هذا أعظم ما يكون من سوء الأدب مع الله و هو ممن أضلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ و قد ظهر مثل هذا في الزمان الأول في آحاد الناس و أما اليوم فهو فاش في الناس كلهم فنحن نعلم أن الشارع هو الله و أن الرسول شخص مبلغ عن الله حكمه فيما أراه الله لا ينطق عن هوى نفسه إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُوحَى و الله يقول عن نفسه و مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا و دل عليه دليل العقل و الله أشد غيرة من عباده و ما قرر من الشرائع إلا ما تقع به المصلحة في العالم فلا يزداد فيها و لا ينقص منها و مهمما زاد فيها أو نقص منها أو لم يعمل بما قرره فقد اختل نظام المصلحة المقصودة لله فيما نزل من الشرائع و قرره من الأحكام فأباح الله لإتيان المساجد فرأى بعض الناس أن النبي صلى الله عليه و سلم لو رأى ما أحدث النساء بعده لمنع النساء المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل فرأوا إن الله لم يعلم أن مثل هذا يقع من عباده إذ كان هو المشرع سبحانه لا غيره فرجحوا نظرهم على حكم الله حتى إن بعضهم كان يغار على امرأته أن تخرج إلى المسجد و كان قويا في استعمال إيمانه و كانت المرأة تحب إتيان المسجد للصلاة و كانت ذات جمال فاتق و يمنعه الخبر الوارد في تحريم منع النساء من إتيان المساجد فيجد في ذلك شدة فلو قدرت أن يرد الله الحكم لهذا الشخص في هذه المسألة لرجح نظره على حكم الله و منع النساء المساجد و الجائز كالواقع فما زال يحتمل عليها حتى امتنعت من نفسها من إتيان المسجد فسر بذلك فلو استحكم في هذا الرجل سلطان العقل ما غار و لو استحكم فيه سلطان الايمان ما وجد حرجا في قلبه فصبر عليه مما حكم الله به في ذلك القاتل فلا و رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا و إنما ضربنا المثل في هذا المساق بتعيين هذا الخبر في النساء لأننا في مسألة المرأة إنها لا تستر وجهها في الإحرام و الغيرة يعطي حكمها الست و قد ثبت في الصحيح أنه لا أغير من الله يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم في سعد إن سعد الغيور و أنا أغير من سعد و الله أغير مني و من غيرته حرم الفواحش و ما زاد على غيرة الله فهو في نفسه و عند نفسه أغير من الله و إن ذلك الأمر الذي هو عند الله ليس بفاحشة إذ لو كان عند الله فاحشة لحرمها فإن الله حرم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن فعم الحكم فهذا شخص قد جعل فاحشة ما ليس عند الله فاحشة و أكذب الله فيما قال و جعل بغيرته التي يجدها أنه أحكم من الله في نصب هذا الحكم فلا يزال من هو بهذه المثابة معذبا في نفسه فما أحسن قوله ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما فلو عرض الإنسان نفسه و أدخلها في هذا الميزان لرأى نفسه كافرة بعيدة من الايمان فإن الله نفى الايمان عن هذه صفته و أقسم بنفسه عليه إنه ليس بمؤمن فهو حكم إلهي يقسم تأكيذا له فقال فلا و رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ فلو كان الست لها أصلا لما قيل لها في الإحرام لا تستري وجهك ألا ترى آية الحجاب ما نزلت ابتداء و إنما نزلت باستدعاء بعض المخلقين هي وغيرها و كثير من أحكام الشرع نزلت بأسباب كونية لولا تلك الأسباب ما أنزل الله فيها ما

أنزل ولذلك يفرق أهل الله بين الحكم الإلهي ابتداءً وبين الحكم الإلهي إذا كان مطلوباً لبعض عباد الله فيكون ذلك الطلب سبباً لنزول ذلك الحكم فكان الحق مكلف في تنزيهه إذ لولا هذا ما أنزله بخلاف ما أنزله ابتداءً فالحق يأخذ الحكم الإلهي المنزل ابتداءً بغير الوجه الذي يأخذ به الحكم الإلهي الذي لم ينزل ابتداءً فلا يغرنك أيها السائل كون الحق أنزل الأشياء بحكم سؤالات السائلين فبادر إلى قبول حكمه أي نوع كان مشروح الصدر طيب النفس إن أردت أن تكون مؤمناً وأما العاقل الوافر العقل فمستريح مع الله والحكم الإلهي مستريح معه لقد كان صلى الله عليه وسلم يقول انركوني ما ترككم حتى قال في وجوب الحج كل عام لوقلت نعم لوجبت ولكنها حجة واحدة فكروا المسائل وعابها فالله يفهمنا وإياك مقاصد الشرع فلا يجبتنا ما ظهر منها مما بطن وعبادة الحج شبيهة بالناس في أحوالهم يوم القيامة شعناً غيراً متضرعين مهطعين إلى الداعي تاركين للزينة يرمون بالأحجار شغل الجافين لأنهم في عبادة لو علموا ما فيها لذهلت عقولهم فكانوا كالجائنين يرمون بالحجارة فجعله الله تنبيهاً لهم في رمى الجمار أن المشهد عظيم يذهب بالعقول عما كتمها وما ثم عبادة هي تعبد محض في أكثر أفعالها إلا الحج وكذلك النساء في الدار الآخرة في القيامة مكشفات الوجوه كما هن في حال الإحرام ولولا تعلق الأغراض النفسية في إنزال الحجاب ما نزلت آية الحجاب فإن الله ما أخرها لهذا السبب هي وغيرها من الأحكام الموقوفة على مثل هذا إلا ذخيرة لحساب هذا الشخص الذي كان سبباً في تكليف الناس بها فيتمنى يوم القيامة أنه لا يكون سبباً في ذلك لما يشدد عليه والناس عن هذا غافلون وكذلك أهل الاجتهاد يوم القيامة وهم رجالان الواحد يغلب الحرمة والثاني يغلب الحرج عن هذه الأمة استمسكاً بالآية ورجوعاً إلى الأصل فهو عند الله أقرب إلى الله وأعظم منزلة من الذي يغلب الحرمة إذ الحرمة أمر عارض للأصل ورافع الحرج مع الأصل وإليه يعود حال الناس في الجنان يتبوءون من الجنة حيث يشاءون وما أغفل أهل الأهواء وإن كانوا مؤمنين عن هذه المسألة وسيندمون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الوجود دار واحدة ورب الدار واحد والخلق عيال الله يعهم هذا الدار فأين الحجاب غير الله يرى غير الله يرى أينحجب الشيء عن حقيقته جزء الكل من عينه خلقت حواء من آدم النساء شقائق الرجال هذه أدوية من استعمالها في مرض الغيرة أزلت مرضه ولم تبق فيه إلا غيرة الإيمان فإنها غير لا تزول في الحياة الدنيا في الموضع الذي حكمها فيه نافذ فإياك يا أخي وهوس الطبيعة فإن العبد فيه مكمور به من حيث لا يشعر وما أسرع الفضيحة إليه عند الله قال صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينهاكم عن الربا وأخذه منكم فمن غار الغيرة الإيمانية في زعمه فحكمه أن لا يظهر منه ولا يقوم به ذلك الأمر الذي غار عليه حين رآه في غيره فإن قام به فما تلك غيرة الإيمان بل تلك غيرة الطبيعة وشحها ما وقاه الله منه فليس بمفلس في غيرته وما أكثر وقوع هذا وكما قاسينا في هذا الباب من المحجوبين حين غلبت أهواؤهم على عقولهم فإننا أخذ بججزهم عن النار وهم يتقحمون فيها

هو فرد أحدي مصطفى مرسل الغيرة في موطنها

فهو دار رسمه منه عفا و الذي يرسلها مطلقة

والذي قد شرع الله شفا
مرض الغيرة داء مزمن
حاد عنه لم يزل منحرفا
فمن استعمله بل و من
و هو موصوف به معترفا
فأقل الأمر فيه أن يرى

دعا بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا وهذه وأشار إلى عائشة فقال الرجل لا فأبى أن يجيب دعوته صلى الله عليه وسلم إلى أن أنعم لم فيها أن تأتي معه فأقبلا يتدافعا إلى منزل ذلك الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة والله تعالى يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أين إيمانك لو رأيت اليوم صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تأسيا هل كنت تنسبه إلا إلى سفساف الأخلاق ولو لم تكن هذه الصفة من مكارم الأخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف يوم الجمعة على المنبر الحسن والحسين وقد أقبلا يعثران في أذيالهما فلم يتمالك أن نزل من المنبر وأخذهما وجاء بهما حتى صعد المنبر وعاد إلى خطبته أ ترى ذلك من نقص حاله لا والله بل من كمال معرفته فإنه رأى بأي عين نظر ولمن نظر مما غاب عنه العمي الذين لا يبصرون وهم الذين يقولون في مثل هذه الأفعال أما كان له شغل بالله عن مثل هذا وهو صلى الله عليه وسلم والله ما اشتغل إلا بالله كما قالت من لم تعرف فيا ليتها سلمت حين سمعت القارئ يقرأ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فأكفون مساكين أهل الجنة في شغلهم وأزواجهم يا مسكينة ذكر الشغل تعالى عن هؤلاء وما عرفك بن ولا بن تفكها هم وأزواجهم فيما ذا حكمت عليهم إنهم شغلوا عن الله لو اشتغلت هذه القائلة بالله ما قالت هذه المقالة لأنها لا تنسب إليهم شغلهم بغير الله حتى تصور في نفسها هذه الحالة التي تخيلتها فيهم وإذا تصورتها لم يكن مشهودها في ذلك الوقت إلا تلك الصورة فهي المسكينة لما تحققنا من كلامها إن وقتها ذلك كان شغلا عن الله وأصحاب الجنة في باب الإمكان وهي قد شهدت على نفسها شهود تحقيق أنها مع غير الله في شغل وهذا من مكر الله الخفي بالعارفين في تجريح الغير ببادئ الرأي والتعريض في حق نفوسهم إنهم منزهون عن ذلك هكذا صاحب الغيرة المطلقة لا يزال في عذابها مقيما متعوب الخاطر وهو عند الله في عين البعد من حيث لا يشعر

(حديث سابع عشر في بقاء الطيب على الحرمة)

ذكر أبو داود من حديث عمر بن سويد قال حدثني عائشة بنت طلحة إن عائشة أم المؤمنين حدثتها قالت كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فنضمد جباهنا بالسك المطيب عند الإحرام فإذا عرقت إحدانا سألت على وجهها فيراه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتها تسمى الله بالطيب وحب إلى نبيه صلى الله عليه وسلم الطيب وإنما منع الحرام من إحدائه في أثناء أفعال الحج إلى وقت طواف الإفاضة فإنه يستعمله للإحلال قبل أن يحل كما استعمله للإحرام قبل أن يحرم فأشبهه النية في العمل لأن الإحرام عمل مشروع والإحلال منه عمل مشروع فصار في منزلة من لا يقبل العمل إلا به فهي مرتبة عظمت وهو أقوى من النية في الصحبة للمكلف فإن المكلف يذهل عن النية في

أثناء الفعل فيقدح ذلك في صورة الفعل لا في ذات الفعل فيخرج الفعل مما يكمله حضور النية والطيب لذاته يبقى لا كلفة فيه فالأجر له من جهته ما دام موجودا فيه فهو أقوى سلطانا من النية ولا يستعمل الطيب إلا لرائحته فهو من مدارك الأنفاس الرحمانية فيدفع الكربات ويرفع الهموم ويزيل الضيق والحرج ويؤدي إلى السعة والسراح والجولان في المعارف الإلهية لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فالطيب محبوب لذاته فأشبه الكمال وهو في المرأة سبب موجب للنظر إليها وما منعها الشارع من ذلك في حال إحرامها مع كشف وجهها وهذا تقيض الغيرة التي في العامة التي ما خوطبنا بها فعليك بالغيرة الإيمانية الشرعية لا تزدد عليها فتشقى في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فلا تزال متعوب النفس وأما في الآخرة بما يؤدي إلى سؤال الحق عن ذلك بما ينجر معها من سوء الظن ومن الاعتراض بالحال على الله وحصول الكراهة في النفس بما أباحه الله

(حديث ثامن عشر في المسارعة إلى البيان عند الحاجة واحترام المحرم)

ذكر أبو داود عن صالح بن حسان أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا محرما محترما مجبل أبرق فقال يا صاحب الجبل ألقه فيحتجون بمثل هذا الحديث أن المحرم لا يجترم والنبي صلى الله عليه وسلم ما قال فيه ألقه لأنك محرم فما علل للإلقاء بشيء فيحتمل أن يكون لكونه مجرما ويحتمل أن يكون لأمر آخر وهو أن يكون ذلك الجبل إما مغضوبا عنده وإما للتشبه بالزناز الذي جعل علامة للنصارى اعلم أن الاحترام مأخوذ من الحزم وهو الاحتياط في الأخذ بالأمر التي يكون في الأخذ بها حصول السعادة للإنسان ومرضاة الرب إذا كان الحزم على الوجه المشروع في الوجه المشروع والجبل إذا كان حبل الله وهو السبب الموصل إلى إدراك السعادة فإن كان ذلك المحترم محجبا لله معلما بأخذ الشدائد والأمر والمهمة وقال له ألقه فإنما ذلك مثل قوله من يشاد هذا الدين يغلبه وقوله إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق وكان كثيرا ما يأمر صلى الله عليه وسلم بالرفق وقال إن الله يحب الرفق في الأمر كله والحزم ضد الرفق فإن الحزم سوء الظن وقد نهينا عن سوء الظن والأمر أيسر مما يتخيله الحازم وهو يناقض المعرفة فإنه لا يؤثر في القدر الكائن والأمر الشديد على الواحد إذا انقسم على الجماعة هان قال بعضهم

إذا الحمل الثقيل تقسمته رقاب الخلق خف على الرقاب

ألا ترى الله تعالى يقول **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا** وقال في الواحد **وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ** وقال **تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** فيعتصم به الواحد والجماعة ولما ذكر الجبل أمر الجماعة بالاعتصام به حتى يهون عليهم ثم إنه مع كونهم جماعة قد يشق عليهم لشدته وقد تضعف الجماعة عنه فأعانهم بنفسه وما ذكر من نفسه إلا ما يعلم أنه الموصوف بالقدرة منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فيستعينون به ويعينهم يكون يد الله معهم على الاعتصام بحبل الله وهو عهده ودينه المشروع فينا الذي لا يتمكن لكل واحد منا على الانفراد الوفاء به فيحصل بالجموع لاختلاف أحوال المخاطبين ولا يكون إلا هكذا فلماذا اعتبره صلى الله عليه وسلم تنبيها له فقال له ألقه هذا اعتباره الذي

يحتاج إليه ولا سيما الحرم فإنه محجور عليه فزاد بالحبل احتجارا على احتجار فكأنه قال له يكفيك ما أنت عليه من الاحتجار فلا تزدد فما كان أرفقه بأمته صلى الله عليه وسلم وإنما رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهميان للمحرم لأن تقته فيه أمره الله أن يتزود بها إذا أراد الحج فقال وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى فَالتَّقْوَى هَاهُنَا مَا يَتَّخِذُهُ الْحَاجُّ مِنَ الزَّادِ لِيَقْبِيَ بِهِ وَجْهَهُ مِنَ السُّؤَالِ وَيَتَفَرَّغَ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَ لَيْسَ هَذَا هُوَ التَّقْوَى الْمَعْرُوفُ وَهَذَا الْحَقُّ بِقَوْلِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ فَأَوْصَاهُ أَيْضًا مَعَ تَقْوَى الزَّادِ بِالتَّقْوَى فِيهِ وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ إِلَّا مِنْ وَجْهِ طَيْبٍ وَلَمَّا كَانَ الْهَمِيَانُ مَحَلَّهُ وَظَرْفًا وَعَاءً وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ فِي الْأَسْتِصْحَابِ رَخَّصَ لَهُ فِي الْأَحْتِرَامِ بِهِ فَإِنَّهُ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَكُونَ نَفَقَةُ الرَّجُلِ صَحْبَتَهُ فَإِنْ ذَلِكَ أَبْعَدَ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَطْرَأَ عَلَيْهِ فَتَقْتَلِفَهُ ذَكَرَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِي الْجُرْجَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْهَمِيَانِ لِلْمَحْرَمِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ لَا يَصِحُّ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ الْكُشْفِ

(حديث تاسع عشر في الإحرام من المسجد الأقصى)

خرج أبو داود من حديث أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجب له الجنة في إسناده مقال (المناسبة) المسجد يناقض الرفعة فهو بعيد منها وهو سبب في حصولها قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله والأقصى البعيد والحرام المحجور فهو بعد في قرب لمن هو فيه فالأقصى بالنسبة إلى المسجد هو بعيد مما خوطب به ممن هو في المسجد الحرام وهم أهل مكة وما هو أقصى من أهل بل هو الأقرب وهو أيضا قصى من الأولياء لأن البيت الذي هو الكعبة قد حاز الأولياء وبين الأقصى وبينه أربعون سنة وهو حد زمان التيه لقوم موسى عن دخول المسجد الأقصى لما كان في عين القرب وهو مرتبة الأولياء التي للمسجد الحرام فأبوا نصرته نبيه موسى وقالوا له فاذهب أنت وربك فقالتا إنا هاهنا قاعدون فقال لهم إني تارككم تائهين في هذه القعدة أربعين سنة لا تستطيعون دخول بيت المقدس كما لم يكن ظهوره للعبادة بعد المسجد الحرام إلا بعد أربعين سنة وما بقي معهم موسى عليه السلام في التيه إلا لكونه رسولا إليهم فبقوا حيارى لا هم في عين القرب من الأولياء ولا حصل لهم غرضهم في دخول بيت المقدس وما أخذهم الله إلا بظاهر قولهم إنا هاهنا قاعدون فاحذر أن تكون من قوم موسى الذين صفتهم هذا بل كن من قوم موسى الذين هم أمة يقضون بالحق وبه يعدلون كذلك مقام النبوة من مقام الولادة بينهما من التوقيت الزماني أربعون سنة فما بعث نبي إلا من أربعين سنة فإنه غاية استحكام العقل وقوة سلطانه وابتداء ضعف الطبيعة ثم يمشي بحكمه فيما بقي من عمره في وفور من عقله ونقص من طبيعته فمن أحرم من المقام إلا بعد يطلب المقام لإقرب وكلاهما معبد كان الحرم برزخا بينهما وكان المعبدان طرفيه فما لم يصل إليه هو ما تأخر من ذنبه وما تقدم عنه هو ما تقدم من ذنبه فيغفر له ما بين المسجدين والغفر الستر فوجب له الجنة لأنها ستر عن النار لمن دخل فيها وذاته ستر على نار شهواته فباطن الجنة نار محرقة لأن الشهوة من الإنسان متحكمة فيها وهي نار طبيعته بلاشك فما زال العبد

السعيد مكتنفا بالستر في التقدم أن لا تصيبه عقوبة الذنب وفي التأخر اكتنف بستر الحفظ والعصمة أن لا يصيبه الذنب فهو ممن وجبت له الجنة إذا كان هذا حكمه فهو مستور في كنف الله فهو في الجنة وإن كان في الدنيا

(حديث عشرون في التعميم إنه ميقات أهل مكة)

من مراسل أبي داود عن ابن عباس قال وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مكة التعميم كيف لا يكون ميقاتهم التعميم وهم جيران الله وأهل بيته وهم أقرب الخلق إلى أولية المعابد فيتجلى لهم الحق في اسمه الأول ولا يحصل هذا التجلي إلا لأهل الحرم وفيه يتفاضلون بحكم الأهلية فإنهم بين عصبه وأصحاب سهام ولا يحصل هذا التجلي لغيرهم ممن جاور غيره من البيوت المضافة إلى الله وكل من كان فيه وفارقه فإنما حكمه حكم المسافر وإليه ينسب لا إلى غيره كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومن هاجر منه إلى المدينة قبل الفتح فأثبت لهم جوار الله لما وجدوا اسم المهاجرين وإنما وقع هذا الاسم لأمر عرضية والبيت لله على أصله من الحرمة والتحریم عند الفريقين فأهل مكة بحكم الأصل مكيون جيران الله في حرمة وهم عرب لهم حفظ الجار ومراعاة الجوار والحق يعامل عباده بما تواطوا عليه في أخلاقهم (إليهم يحج الخلق من كل جانب)

وما حج إلا من له الفعل والأمر يقولون حج العبد والعبد لم يحج

فمنه العطاء الجزل والنائل الغمر و ما ثم إلا الله ما ثم غيره

وإذا كان المكّي في غير مكة لا ينزل عنه اسم الأهلية كما إن الآفاقي إذا كان بمكة لا ينزل عنه اسم الجار كما أنا وإن حزنا بخلفنا الصورة الربانية فنحن بحكم الأصل عبيد عبودية لا حرية فيها فما نحن سادة ولا أرباب فمراعاة الأصول هي المرجوع إليها وإليه يرجع الأمر كله فهو الأصل فافهم هذه الآية فهم حفي بها خابر ولا أثر لما يقدح في الأصل من العوارض فإن ذلك ليس قادحا في نفس الأمر

(حديث حادي وعشرين في تغيير ثوبي الإحرام)

ذكر أبو داود عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم غير ثوبه بالتعميم وهو محرم هذا من المراسيل اعتبره تغيير حال الشدة بالرخاء وذلك من كان حاله البلاء الذي يوجب للمؤمن الصبر عليه والرضي به لكونه من عند الله تعالى فتجده عند هذا البلاء شاكرا فقد عامل البلاء بما لا يستحقه (وهذه مسألة) أغفلها أيضا أصحابنا وغلطوا في تحقيقها والعبارة عنها واحتجوا في ذلك بما قاله أبو يزيد البسطامي الأكبر وهو

و لكني أريدك للعقاب أريدك لا أريدك للثواب

سوى ملذوذ وجدي بالعذاب و كل مآربي قد نلت منها

فاعلم إن البلاء المحقق إنما هو قيام الألم ووجوده في نفس المتألم ما هو السبب المربوط به عادة كوجود الضرب بالسوط والحرق بالنار والجرح

بالحديد وما أشبه ذلك من الآثار الحسية مما يكون عنها الآلام الحسية وكذلك ضياع المال والمصيبة في الأهل والولد والتوعد بالوعيد الشديد وجميع الأسباب الخارجة عنه الموجبة للآلام النفسية عادة إذا حصلت بهذا الشخص وهي ثوبا الإحرام فإن الإحرام يحول بينه وبين الترفه والتعم فمثل هذه الأمور في العادة يوجب الآلام فيتعين شرعا على المبتلى بها الصبر والرضي والتسليم لجريان الأقدار عليه بذلك فتسمى هذه الأسباب عذابا وليست في الحقيقة عذابا وإنما العذاب هو وجود الألم عند هذه الأسباب لا عين الأسباب وكذلك اللذة التي هي تقيض الألم هي صفة للملذ يوصف بها وهو النعيم والتنعيم وله أسباب ظاهرة وهي نيل أغراضه كانت ما كانت فإنه يتنعم بوجودها إذا حصلت فهو صاحب تنعم في مقام تنعيم فعبد على مثل هذا بالشكر لا بالصبر وسمي أسباب وجود اللذة في الملذ نعيما وليس التنعيم في الحقيقة إلا اللذة الموجودة في النفس وهي أيضا لذات حسية ونفسية وأسباب كآلام خارجة وقائمة بحسه فأما صاحب أسباب الآلام إذا وجد اللذة والالتذاذ في نفسه مع قيام هذه الأسباب الموجبة للآلام عادة لم يجب عليه الصبر فإنه ليس بصاحب ألم وإنما هو صاحب لذة متقلب في نعم من الله فيجب عليه الشكر للتنعم القائم به وبالعكس في حصول أسباب النعم يجد عندها الألم فيجب عليه الصبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصابني الله بمصيبة فأثبت أنه مصاب بها أي نزلت به مصيبة أي سبب موجب للألم عادة فقال ألا رأيت أن الله علي في تلك المصيبة ثلاث نعم النعمة الواحدة حيث لم تكن في ديني النعمة الثانية حيث لم تكن أكثر منها النعمة الثالثة ما وعد الله من الثواب عليها فأنا أنظر إليه فمثل هذا ما يسمى صابرا فإنه صاحب نعم متعددة فهو ملذذ بمشهوده فيجب عليه شكر المنعم وبالعكس وهو وجود أسباب اللذة فينعم الله عليه بمال وعافية وجود ولد أو ولاية جديدة يكون له فيها رياسة وأمر ونهي وهذه كلها أسباب تلذذ النفوس بها وإذا كانت مطعومات شهية وملبوسات لينة فاخرة ومشوموات عطرة فهو صاحب لذة حسية فيفكر صاحب هذه الأسباب بما للحق عليه فيها من الحقوق من شكر المنعم والتكليف الإلهي في ذلك وما يتعين عليه في المال والولد والولاية من التصرف في ذلك كله على الوجه المشروع المقرب إلى الله وإقامة الوزن في ذلك كله فعند ما يحظر له هذا وهو الواجب عليه من الله أن ينظر في ذلك أعقبت هذه الأسباب الملذذة في العادة هذا الفكر الموجب للألم فقام الألم به فهو صاحب بلاء لأنه صاحب ألم عن ظهور أسباب نعيم فيجب عليه الصبر على ذلك الألم ويسعى في أداء ما يجب عليه من الحق في ذلك أو يزهد فيه إن أفرط فيه الألم فما وقع الصبر إلا في موضعه مع وجود أسباب ضده ولا وقع الشكر إلا في موضعه مع وجود أسباب ضده ولذا قال أبو يزيد سوى ملذوذ وجدي بالعذاب فما أراد بالعذاب هنا وجود الألم فإن الألم بالشيء مضاد للتلذذ به فلا يجتمعان في محل واحد أبدا وهو طلب اللذة عند وجود سبب الآلام وهو خرق عادة كثار إبراهيم عليه السلام هي في الظاهر نار ولكن ما أثرت إحراقا في جسم إبراهيم ولا وجد ألاما لها بل كانت عليه بردا وسلاما فتعين الشكر عليه لأنه ما ثم أم يجب الصبر عليه فالصبر أبدا لا يكون إلا مع البلاء والبلاء وجود الألم والشكر أبدا لا يكون إلا مع النعماء والنعيم بوجود اللذة في المحل فما يقع الشكر من العبد إلا على مسمى النعمة ولا يقع الصبر من العبد إلا على مسمى الألم وهو البلاء ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم ما غير

ثوبي إحرامه إلا بمكان يسمى التعميم ينبه بذلك أصحابه و من يأتي بعده من إخوانه إنكم إذا نالتكم مشقة الإحرام في الحج و ما يتضمنه من الأسباب المؤلمة المؤذية فانظر فيما لله في طيها من النعم التي لا تحصى فيعقبكم رؤية ذلك تنعيما و التذاذا بما أنتم بسبيله لأنه سبب موجب لنيل تلك المشاهد الكرام و النعم الجسام فهون عليكم صعوبة طريقكم فتكونون من الشاكرين فتجازوا يوم القيامة جزاء الصديقين الصابرين و جزاء الصديقين الشاكرين و كذلك في أسباب النعم إذا رأيتموها بلاء و اختبارا و أديتم حقوقها فإن لكم الجزاءين جزاء الشاكر و جزاء الصابر فهذا معنى تغيير النبي صلى الله عليه و سلم توبيه بالتعميم و هو محرم فإن شاء قال الحمد لله المنعم المفضل وإن شاء قال الحمد لله على كل حال لوجود الحالين عنده فاعلم ذلك ألا ترى تلبسته صلى الله عليه و سلم لبك إن الحمد فعم الحالتين ثم قال و النعمة لك و ما قال و البلاء منك مع ظاهر الحال من المشقة و التحجير و أعظمها امتناعه مما حب إليه و هو التمتع بالنساء

(حديث ثان و عشرون لاجع لمن لم يتكلم)

ذكر ابن الأعرابي عن زينب بنت جابر الأحمسية أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لها في امرأة حجت معها مصممة قولها لها تتكلم فإنه لا حج لمن لم يتكلم يروي هذا الحديث متصلا إلى زينب ذكره ابن حزم في كتاب المحلى قال تعالى إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَ هُوَ كَلَامٌ وَ هُوَ صِفَةُ إلهية و أنت في عبادة مشروعة فينبغي بل يجب الكلام فيها بذكر و رد الحديث أن المناسك في الحج إنما وضعت لإقامة ذكر الله و عن الكلام صدرنا و هو قوله كن فكنا فالصمت حالة عدمية و الكلام حالة وجودية فالكلام له الأثر و به سمي كلاما لأنه من الكلم و هو الجرح و الجرح أثر في البدن و الإنسان موجود فلا ينبغي أن يتصف إلا بصفة وجودية و هو الكلام لا بوصف عدمي و هو الصمت فإن حقيقة الإنسان النطق فإذا صمت كذب على نفسه بالحال على إن الله قد جعل للصمت موطنا و هو صمت إضافي و هو ترك الكلام فيما لا يعني أو فيما يكون عليك لا لك

(حديث ثالث و عشرون في رفع الصوت بالتلبية و هو الإهلال في الحج)

ذكر النسائي عن السائب بن خالد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية قد ثبت بالدليل العقلي و السمعي أن الله بكل شيء عليم و إنه سميع قريب و قد جاء الشرع بذلك فاستوى المؤمن و العالم فلم يبق لرفع الصوت بالتلبية لجناب الحق مدخل غير أنه تعالى أخبر أنه يباهي بالحاج ملائكة فإذا رفعوا أصواتهم و ضجوا بالتلبية شعنا غيرا مهطعين إلى الله تعالى فإنه الداعي لهم كان أعظم عند الملائكة في المباهاة المرادة للحق في ذلك ثم إنه من الأرواح المفارقة لحالة الدنيا بالموت من دعانا إلى الحق بعمل الحج كما روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه لما بنى البيت أمره ربه تعالى أن يصعد عليه و أن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب و ما عسى يبلغ صوتي فأوحى إليه عليك بالنداء و على البلاغ فنأدى إبراهيم عليه السلام يا أيها الناس إن الله يتأفكهم فحجوه قال فاسمع الله ذلك النداء عباده فمنهم من أجاب و منهم من لم يجب و كانت إجابتهم مثل قولهم بلى حين أشهدهم على أنفسهم أنست برؤيتكم

فأجابوه إجابة يسمعونها من كان الحق سمعه منهم من سارع إلى إجابة الحق وهم الذين يُسارعون في الحَيْرَاتِ والقائلين بأن الحج على الفور للمستطيع ومنهم من تلكأ في الإجابة فلم يسرع إلا بعد حين منهم الذين يقولون الحج مع الاستطاعة على التراخي فمن هناك قضاوا في هذا الوقت بما قضاوا به من ذلك وهم لا يشعرون لأن الله تعالى ما أطلعهم على هذا المشهد لما أخرجهم إلى الحياة الدنيا فهُم عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ثم إن الذين أجابوه منهم من كرر الإجابة ومنهم من لم يكرر فمن لم يكرر لم يجز إلا واحدة ومن كرر حج على قدر ما كرر وله أجر فريضة في كل حجة وقد نبه الشارع على ذلك بتكرار التلبية في الحج فقال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك إله الحق فأتى بخمس للتأذين بالحج تشبيها بالنداء للصلوات الخمس فيجب لكل أذان لأنه كانت قرعة عينه في الصلاة ومما يؤيد ما ذهبنا إليه إن الإهلال بالحج ما شرع إلا أثر صلاة لا بد منها ولقد رأيت رجلا بمكة من أهلها يزيد على الثلاثين سنة عمره ما حج قط ولا اعتمر ولا طاف بالبيت فكانت أول عمره اعتمرها معي وكت أعلمته كيف يصنع فيها وأخبرت عن رجل بجدة على ليلة من مكة يكون عمره بضعا وثمانين سنة ما حج قط وأخبرت عن رجل من أهل مصر من أهل الثروة ما حدث نفسه بالحج قط فقبض عليه عن أمر صاحب مكة لنازلة وقعت تحيل فيه أنه صاحب النازلة فجاءوا به إلى صاحب مكة وهو مقيد بالحديد ليقتله فوافق يوم الوقوف بعرفة فلما أبصره الواشي قال أيها الأمير ما هو هذا فخلى سبيله واعتذر إليه فاغتسل وأهل بالحج فهكذا هي العناية وأما من لم يجب ذلك النداء الإبراهيمي فهم الذين لم يضرب الله لهم بسهم في الحج مع كونهم سمعوا ومن أصمه الله عن ذلك النداء فهو الذي لا يؤمن بالحج وأما الذين يجح عنهم إذا لم يجحوا فالذي يجح عنهم له الحج كما ملا بثوابه وللمحجوج عنه ثواب الحج لا الحج فيحشر في الحاج وليس بحاج هذا أعطاه الكشف فلماذا قد ذكرنا أن رفع الصوت بالتلبية إنما كان للمباهاة وأما المعنى الآخر في حكم الأسماء الإلهية فإنه من أسمائه البعيد وهو التائه الوارد في القرآن حيث وقع فلا ينادي إلا الاسم البعيد من الحالة التي ينادى فيها العبد ليحج نداء الحق إلى الحالة التي يدعوه إليها والبعد يطلب رفع الصوت بالتلبية لإظهار قوة سلطان الاسم البعيد بأن له التأثير فيما بعد كالتأثير القريب إذ لا مفاضلة في الأسماء الإلهية كما قررناه غير مرة فاعلم ذلك انتهى الجزء الثاني والسبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(حديث رابع وعشرون في ذكر الله قبل الإهلال بالحج)

خرج البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استوت به راحلته على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمره حمد الله ولم يذكر صورة التعميد فليحمل على الثناء على الله بما يقتضيه حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن فإنه فيه بين ما يسره وبين ما حجر عليه فعلمه مما كانت له في إباحته إرادة فمن حيث ما هو صاحب سراء من إجابة الخلق دعوة الله يقول الحمد لله المنعم المفضل ومن حيث ما حجر عليه ومنع مما له فيه إرادة يقول الحمد لله على كل حال فيجمع بين الحمد لله له بين الدرجتين لأنه كامل فيكمل له الجزاء

وهكذا ينبغي أن يحضر الحاج في نفسه في ذلك الوقت عند تحميده ربه إحضار الحالتين ليجمع له بين الحمدين حالا ونطقا فيحصل على الجزاءين فهذا قال الصاحب حمد الله ولم يعين وأما التسييح في ذلك الموطن فإنه موطن التحجير والإحرام والحق منزه عن التحجير في تصرفه في خلقه فهو يصرفهم كيف يشاء لا مانع ولا تحجير عليه فوجب التسييح لما يقتضيه الموطن ومن وجب له التسييح فهو الكبير عن الاتصاف بمثل ما هم الناس عليه في ذلك الوقت من الحال فلا بد من التكبير فإذا أعطى الله ما ينبغي له حينئذ يتفرغ لمقصوده فيما دعي إليه من الحج والعمرة فيهل بالحج والعمرة كما ورد

(حديث خامس وعشرون في النهي عن العمرة قبل الحج)

خرج أبو داود عن سعيد بن المسيب أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج وهذا مرسل وضعيف جدا فإن الأحاديث الصحاح تعارضه فصار مدلول لفظ الحج في هذا الحديث أنه القصد وهو النية فهي نهي أن يتقدم العمل على النية فيه فإن النية ما شرعت إلا عند الشروع في العمل والعمرة زيارة الحق في بيته المضاف إليه الذي دعا الناس إلى الإتيان إليه فمن زاره من غير قصد وهو المسمى بالحج لغة لا شرعا فما زاره فنهى عن الزيارة قبل القصد يعني نية الزيارة على جهة القرية فيصح الحديث على هذا المعنى

(حديث سادس وعشرون ما يبدأ به الحاج إذا قدم مكة)

خرج مسلم عن عروة بن الزبير قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتني عائشة رضي الله عنها أنه أول شيء بدأ به حين قدم مكة إنه توضع طاف بالبيت لما دعا الله سبحانه عباده إلى هذه العبادة ما دعاهم إلى بيته لا إلى غيره فقال ولله على الناس حج البيت وأمر خليله إبراهيم عليه السلام أن يعلو على ظهر البيت حين أكمله بالبناء أن ينادي إن لله بيتا فحجوه فلما وصلوا إلى البيت لم يتمكن أن يكون البدء إلا الطواف به حتى يعمه من جميع جهاته ولا يطاف بالبقعة ما لم تكن محجورة بصورة ينطلق عليها اسم البيت ألا تراهم لما بقي من البقعة ما بقي خارجا إذ قصرت بهم النفقة من جهة الحجر أقاموا لذلك الباقي حائط الحجر حتى لا يكون الطواف إلا بصورة زائدة على البقعة هذا كله لئلا يتخيل أن المقصود البقعة فأعلمهم الله تعالى أن المقصود صورة البيت في هذه البقعة فوقع القصد للمجموع لا للمفرد ومتى لم يكن المجموع لم يصح القصد ولا صحت العبادة وذلك لأن أصل استنادنا في وجودنا ما هو للذات الغنية من كونها ذاتا بل من كون هذه الذات إلها فاستناد للمجموع ولهذا كثرت الآلهة في العالم في ذوات مختلفة في زعم من جعلها آلهة كما كثرت البيوت في بقاع مختلفة وما صح منها أن يكون بيتا لهذه العبادة إلا هذا الخاص لهذا الجمع الخاص وإن كانت كلها بيوتا في بقع ثم إن الله تعالى لما اتصف بالغيرة ورأى ما يستحقه من المرتبة قد نوزع فيها ورأى أن المنسوب إليهم هذا النعت وهذا الاسم لم يكن لهم فيه قصد ولا إرادة من فلك وملك ومعدن ونبات وحيوان وكوكب وإنهم يتبرءون منهم يوم القيامة قضى الله حوائج من عبدهم غير ليظهر سلطان هذه النسبة لأنهم ما عبدوه لكونه حجرا ولا

شجرا بل عبده لكونه إلها في زعمهم فالإله عبدوا فما رأى معبود إلا هو ولهذا يوم القيامة ما يأخذهم إلا بطلب المعبودين فإن ذلك من مظالم العباد فمن هنالك يجازيهم الله بالشقاء لا من حيث عبادتهم فالعبادة مقبولة ولهذا يكون المال إلى الرحمة مع التخليد في جهنم فإنهم أهلها فتقطن فقد اجتمعوا معنا في كوننا ما عبدنا هذه الذات لكونها ذاتا بل لكونها إلها فوضعنا الاسم حقيقة على مسماه فهو الله حقا لا إله إلا هو فلما نسبنا ما ينبغي لمن ينبغي سميينا علماء سعداء وأولئك جهلاء أشقياء لأنهم وضعوا الاسم على غير المسمى فأخطوا فهم عباد الاسم والمسمى مدرج فوق التمييز بيننا وبينهم في الدار فسكننا دارا تسمى جنة لها ثمانية أبواب الباب الثامن وضع الاسم على مسماه حقيقة وكانت النار سبعة أبواب لأن الباب الثامن هو وضع الاسم على مسماه وأهل جهنم ما وضعوه على مسماه فجهلوا فظهر الحجاب فلم يروا إلا مسماهم وذهب الاسم عنهم يطلب مسماه فأخذه من استحقه وهو الله فعرفوا في الآخرة ما جهلوه في الدنيا ولم تنفعهم معرفتهم ولكن راعى الحق سبحانه قصدهم حيث أنهم ما عبدوا إلا الله لا الأعيان فصيرهم في العاقبة إلى شمول الرحمة بعد استيفاء حقوق المعبودين منهم ولذلك جعله من الكبائر التي لا تغفر ولكن ما كل مشرك بل المشركون الذين بعثت إليهم الرسل أو لم يوفوا النظر حقه ولا اجتهدوا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن المجتهد وإن أخطأ فإنه مأجور ولم يعين فرعا من أصل بل عم وصدق قوله وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وقوله سبقت رحمتي غضبي وإن الميزان ما هو على السواء في القبضتين وإنما هو على السواء بين العمل والجزاء لذلك وضع الميزان وهذه المسألة الميزانية غلط فيها جماعة من أهل الله منهم أبو القاسم بن قسي صاحب خلع النعلين ومن تابعه وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(حديث سابع وعشرون أين يكون البيت من الطائف)

خرج الترمذي عن جابر قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخل فاستلم الحجر ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا الحديث لما كان الحجر يمين الله وجعل للإنسان المخلوق على الصورة يميننا شرع له أن يكون في طوافه بين يمين الله ويمينه فيكون مؤيدا بالقوتين معا فلا يجد الشيطان إليه دخولا لأن الشيطان ليس له على اليمين سبيل وإنما يلقي في قلب العبد وهو مائل إلى جهة الشمال فيكون يمين الحق في الطواف في حق الطائف يحفظه وهو ذيمين من نشأته فلا يزال محفوظا فإذا انتقل من موازنته وهو من حد الركن العراقي إلى الركن اليماني تحفظه عناية البيت المنسوب إلى الله فإن قلت فقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه يأتينا من قبل اليمين قلنا اليمين الذي أراد الشيطان هنا ليس هو يمين الجارحة فإنه لا يلقي على الجوارح وكذلك ما هو شمال الجوارح ولأمام الإنسان ولا خلفه وأن محل إلقائه إنما هو القلب فتارة يلقي في القلب ما يقدر في أفعال ما يتعلق بيمينه أو شماله أو من خلفه أو من بين يديه ونحن نريد باليمين هنا هذه الجهة المخصوصة فإن قلت وكذا المشرك له هذه اليمين قلنا بالجمع وقع ما وقع وما يكون بالجمع إلا للمؤمن وهذا معنى قوله تعالى وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ يريد يمين المبايع التي يدها الميثاق ما يريد يمين الجارحة

(حديث ثامن وعشرون من رأى الركوب في الطواف والسعي)

خرج مسلم عن جابر قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة الحديث وكذلك أيضا وقف بعرفة وجمع ورمى الجمار كل ذلك وهو راكب إعلام منه صلى الله عليه وسلم أنه محمول في جميع أحواله من طاعة ربه وأنه بغيره لا بنفسه وكان من حامله كعضو من أعضائه بالنسبة إليه فكما إن أعضائه محمولة لنفسه عضوا عضوا حمل الكل للجزء كذلك الإنسان بجملته لمن يحمله فهو طائف لا طائف وساع لا ساع وواقف لا واقف وما سمي بالحاج إلا بهذه الأفعال وهو محمول فيها بسعي حامله ووقوفه ومع هذا ينسب إليه فنهبك على ما هو الأمر عليه يقول لك وإن قال لك اعمل فهو العامل بك لا أنت ثم ينسب العمل إليك ويجعل الجزء للعمل لا لك غير أن العمل ليس بمحل للتنعم والتألم بالجزاء ولا بد له من قائم يقوم به فيمكن محله من نسب الفعل إليه حسا وهو المكلف وعاد الحامل له كالألة وإذا كان الحامل هو الله كان المحمول لظهور ذلك الفعل فيه كالألة وهذا عكس الأول فلماذا طاف وسعى ووقف ورمى راكبا ليراه الناس فيتأسون وأهل الله فيعتبرون لعرفتهم بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحالة مع تمكنه أن يفعل هذه الأفعال من غير ركوب

(حديث تاسع وعشرون إلحاق اليدين بالرجلين في الطواف)

ذكر الدارقطني عن أم كبشة أنها قالت يا رسول الله إني آليت أن أطوف بالبيت حبوا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم طوفي على راحلتك سبعين سبعا عن يديك وسبعا عن رجلك اليدين للإنسان كالجنحين للطائر فكما يسبح في الأرض برجليه حين يمشي كذلك يسبح في الماء بيديه إذا مشى فيه ومع كون الإنسان يمشي على رجليه فإنه يستعين بحركة يديه إذا مشى ولما كان باطن الإنسان وهو روحه ملكا في الحقيقة من ملائكة التدبير وهم النوع الثالث من الملائكة وقد أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم ذوو أجنحة وما خص ملكا من ملك فنعلم قطعا إن نفوسنا من حيث هي من الملائكة الذين مقامهم تدبير هذه الأجسام العنصرية إنهم ذوو أجنحة وجعلت هذه الأجسام الطبيعية حجابا دوننا عن إدراكنا إياها ألا ترى إلى جبريل عليه السلام لما تجسد في صورة دحية وفي صورة الأعرابي ما ظهر لعين أجنحته عين جملة واحدة حكم على سترها ظهور صورة الجسم الذي ليس من شأنه أن يكون له جناح مع كون جبريل له ستمائة جناح فلما كانت لهم السباحة بالأجنحة التي بها يمشون في الهواء وهو ركن من الأربعة الأركان كما هي الرجلان للسعي في ركن التراب ألحق اليد بالرجلين فقال لها في هذا القول طوفي سبعا عن روحك لأن مشيه بالجنحين وهو قوله عن يديك وسبعا عن رجلك لأن بهما يكون المشي في الطواف وغيره فضاغف عليها التكليف لما جعلت المشي في غير آله فافهم

(حديث ثلاثون في الاضطباع في الطواف)

ذكر الترمذي عن يعلى بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا وعليه برد قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

الاضطباع أن يكون طرف من الرداء على كتفك اليسرى وما بقي منه تتأبطه تحت ذراعك اليمنى ثم تمر به إلى صدرك إلى كتفك اليسرى فتغطيها بطرفه فيكون الكف الأمين مكشوفاً والأيسر مستورا هذا ليجمع بين حالتي الستر والتجلي والغيب والشهادة والسر والعلن وإنما وقع الستر من جهة القلب لأنه موضع الغيب من الإنسان وعنه تظهر الأفعال في عالم الشهادة وهي الجوارح فلولا قصده لتحريكها ما ظهرت عليها حركة فذلك تأثير الغيب في الشهادة وأصل ذلك من العلم الإلهي قول الله تعالى في الذكر إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه أعلم أن له ذكرا مستورا نسبه إلى نفسه وأن له ذكرا علانية والعين واحدة ما لها وجهان مع وجود الاختلاف في الحكم وعن هذه النسبة الإلهية ظهر العالم في مقام الزوجية فقال وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَلَهُ نَسَبَاتَانِ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ إِذْ كَانَ هُوَ الظَّاهِرَ وَالبَّاطِنَ فَمَا أَعَزَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ النُّظُرِ الفِكْرِيِّ وَمَا أَقْرَبَهَا عَلَى أَهْلِ اللَّهِ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِهِ

(حديث حادي وثلاثون السجود على الحجر عند تقيله)

ذكر البزار عن جعفر بن عبد الله بن عثمان المخزومي قال رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر ثم سجد عليه قلت ما هذا قال رأيت خالك ابن عباس قبل الحجر ثم سجد عليه وقال رأيت عمر قبله وسجد عليه وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله وسجد عليه لما كان الحجر أرضيا وجعل الله الأرض ذلولا وهي لفظة مبالغة في الذلة فإن فعولا من أبنية المبالغة في اللسان العربي قال الشاعر ضروب بنصل السيف سوق سمانها وإنما أعطيت المبالغة في الذلة لكون الأذلاء وهم عبيد الله أمروا بالمشي في منابكها أي عليها فمن وطئه الذليل فهو أشد مبالغة في وصفه بالذلة من الذي يطؤه فكما جبر الله كسر الأرض من هذه الذلة بما شرع من السجود عليها بالوجوه التي هي أشرف ما في ظاهر الإنسان والحجر من الأرض فصحبه ذلك الانكسار لأنه قد فارق الأرض التي هي محل سجود الحباة والوجوه الذي يجبر به انكسارها فشرع السجود على الحجر مع كونه فارق الأرض في حال الانكسار فحصل له من الجبر نصيبه بهذا السجود لأنه حجر معننى به وقبل لكونه يميننا منسوباً إلى الله فتقيله للمباينة إن الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ فَهَذِهِ عِلَّةُ السُّجُودِ عَلَيْهِ

(حديث ثاني وثلاثون سواد الحجر الأسود)

ذكر الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح آدم عليه السلام لولا خطيئته ما ظهرت سيادته في الدنيا فهي التي سودته وأورثته الاجتباء فما خرج من الجنة بخطيئته إلا لتظهر سيادته وكذلك الحجر الأسود لما خرج وهو أبيض فلا بد من أثر يظهر عليه إذا رجع إلى الجنة يتميز به على أمثاله فيظهر عليه خلعة التقريب الإلهي فأنزله الله منزلة اليمين الإلهي التي خمر الله بها طينة آدم حين خلقه فسودته خطايا بني آدم أي صيرته سيدا بتقيلهم إياه فلم يكن من الألوان من يدل على السيادة إلا اللون الأسود فكساه الله لون السواد ليعلم أن ابنه قد سوده بهذا الخروج إلى الدنيا كما سود آدم فكان هبوطه هبوط خلافة لا هبوط بعد ونسب سواده إلى خطايا بني آدم كما حصل الاجتباء والسيادة

لآدم بخطيئته أي بسبب خطايا بني آدم أمروا أن يسجدوا على هذا الحجر ويقبلوه ويتركوا به ليكون ذلك كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته لذلك فهذا معنى سودته خطايا بني آدم أي جعلته سيذا وجعلت اللونية السوداء دلالة على هذا المعنى فهو مدح لادم في حق بني آدم ألا ترى آدم ما ذكر الله أولا للملائكة إلا خلافته في الأرض وما تعرض للملائكة فلما ظهر من الملائكة في حق آدم ما ظهر قام ذلك الترجيح منهم لأنفسهم وكونهم أولى من آدم بذلك ورجحوا نظرهم على علم الله في ذلك فقام لهم ذلك مقام خطايا بني آدم فكان سببا لسيادة آدم على الملائكة فأمروا بالسجود له لتثبت سيادته عليهم فالسعيد من وعظ بغيره فالعاقل منا لا يعترض على الله فيما يجريه في عباده من تولية من يحكم بهواه ولا يعمل في رعيته بما شرع له فله في ذلك حكم وتدير فإن الله أمر بالسمع والطاعة وأن لا تنازع الأمر أهله إذ قد جعله الله لذلك الأمر فإن عدل فلنا وله وإن جار فلنا وعليه فنحن في الحالين لنا فنحن السعداء وما نبالي بعد ذلك إذا أثبت الله السعادة لنا بما يفعل في خلقه فإن تكلمنا في ولاتنا وملوكنا بما هم عليه من الجور سقط ما هولنا في جورهم وأسأنا الأدب مع الله حيث رجحنا نظرنا على فعله في ذلك لأن لنا الذي هو في جورهم هو نصيب أخروي بلا شك فقد حرمانه نفوسنا ومن حرم نفسه أجر الآخرة فهو من الخاسرين والذين لنا إذا عدلوا فهو نصيب دنيوي والدنيا فانية ونحن قد فرحنا وآثرنا نصيب الدنيا على نصيب الآخرة من حيث لا نشعر لاستيلاء الغفلة علينا فكنا بهذا الفعل ممن أراد حرث الدنيا كما إن قوله إذا عدلوا فلهم نصيب أخروي فزهدوا فيه بجورهم فعاد عليهم وبال ذلك الجور فالمسلم من سلم وفوض ورأى أن الأمور كلها بيد الله فلا يعترض إلا فيما أمر أن يعترض فيكون اعتراضه عبادة وإن سكت في موضع الاعتراض كان حكمه حكم من اعترض في موضع السكوت جعلنا الله من الأدباء المهذبين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون واقعة قيل لي فيها وفيه مناسبة من هذا الحديث ما يعلم من الله وما يجهل فقلت

العلم بالله ديني إذا دين به والجهل بالعين إيماني وتوحيدي

فقيل لي صدقت هذا قوله تعالى وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ فَمَا عِنْدَكُمْ فِي تَجْلِيهِ فَقُلْتُ

في كل مجلى أراه حين أشهده ما بين صورة تنزيهه وتحديد

فقيل لي سبحان من تنزهه عن التشبيه والتشبيه بالتشبيه بالتشبيه قيل لأبي سعيد الخرازيم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين يعني في وصفه ثم تلا هو الأول والأخر والظاهر والباطن وكان بساقي دمل كنت أتألم منه من شدة وجعه فغلب علي في تلك الحال شهوده سبحانه فقلت

فقلت داء معضل رأيت في دمل

ضر فقل ما أعمل لا راحة ترجى ولا

فقيل لي سلم فقلت نعم المعلم فسلمت وما تكلمت

لكل علم جامعة رأيت هذي الواقعة

من العلوم النافعة فما رأيت مثلها

وخوطبت في سرى فيها بأمر لا يمكنني إذاعتها ولا تلبس علي بضاعتها غير أن التجلي للبشر لا يكون إلا بالصور والعمل الإلهي في البصر عند تعلق النظر وقد عرفت فالزم

(حديث ثالث وثلاثون شهادة الحجر يوم القيامة)

ذكر الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليعبثه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق هذا من أعجب ما في القرآن أن يكون على بمعنى اللام قال تعالى وما ذبح على التَّصْبِ أي للتَّصْبِ لأن الشهادة عليك إنما هي بما لا ترتضيه لأن المشهود عليه لو اعترف ما شهد عليه ولا ينكر إلا ما توقع من الاعتراف به الضرر فعلى عندنا هنا على بابها وهكذا كل أداة على بابها لا يعدل بها إلى خلاف ما وضعت له بالأصالة إلا بقربة حال وكذلك فعل من أخرج هنا على عن بابها وجعلها بمعنى اللام جعل قرينة الحال أن النبي صلى الله عليه وسلم ما أراد بهذا القول إلا تعظيم استلامه في حقنا وأن الخير العظيم لنا في ذلك إذا استلمناه إيماناً وهو قوله بحق عندهم يعني بحق مشروع لأنه يمين الله المنصوب للتقيل والاستلام في استلام كل أمة لها هذا الإيمان ولذلك نكر قوله بحق ولم يجيء به معرفاً قال تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا فِجَاءً بِالنَّكِيرِ فَالشَّرَائِعُ كُلُّهَا حَقٌّ فَمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ أَيِّ حَقِّ كَانَ فِي أَيِّ مِلَّةٍ كَانَ دَخَلَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ مِنَ الشَّهَادَةِ الْحَجْرِيَّةِ بِالْإِيمَانِ وَأَمَّا مَنْ تَرَكَ عَلَى عَلَى بَابِهَا وَهُوَ الْأَوَّلِيُّ فَإِنَّ الْحَقَّ هُنَا وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً فَهُوَ فِي الْمَعْنَى مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا نَكَرَ لِسْرِيَانِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمَا مِنْ شَيْءٍ مَوْجُودٍ أَوْ مُتَصِفٍ بِالْوُجُودِ إِلَّا وَالْحَقُّ يَصْحَبُهُ كَمَا قَالَ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ فَأَيْنَمَا كُنَّا كَانَ الْحَقُّ مَعَنَا كَيْنُونِيَّةً وَجُودِيَّةً مَنْزَهَةً كَمَا يَلِيقُ بِهِ وَكَمَا أَمْرٌ وَجُودِيٌّ فَالْبَاطِلُ عَدَمٌ وَالْحَقُّ وَجُودٌ وَلَمَّا جَعَلَ الْحَجْرَ يَمِينِ اللَّهِ وَمَحَلَّ الْاسْتِلَامِ وَالتَّقْيِيلِ انْبَغَى لَنَا أَنْ نَقْبَلَهُ بِعَبُودِيَّتِنَا وَلَا نَحْضُرَ عِنْدَ التَّقْيِيلِ كُونَ الْحَقِّ سَمِعْنَا وَبَصَرْنَا وَالْعَامِلُ مِنَّا فَإِنَّا إِذَا كَانَ مَشْهَدَنَا هَذَا فَيَكُونُ الْحَقُّ مَسْتَلِمًا يَمِينَهُ وَلَا يَسْتَلِمُ إِلَّا بِالْيَمِينِ وَالْيَمِينُ هُوَ الْحَجْرُ وَالشَّيْءُ لَا يَسْتَلِمُ نَفْسَهُ وَقَدْ اخْتَارَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمِينَ رَبِّهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ كِلْتَا يَدَيْ رَبِّهِ يَمِينٌ مَبَارَكَةٌ وَمَعَ هَذَا عَدَلَ إِلَى اخْتِيَارِ الْيَمِينِ فَلَمَّا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَجْتَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَرَةَ غَرَسِ الْاسْتِلَامِ فَقَالَ لَهُ مَا اسْتَلَمْتَ وَإِنَّمَا الْحَقُّ اسْتَلَمَ يَدَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ جِيءَ بِالْحَجْرِ فَقِيلَ لَهُ تَعْرِفُ هَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقَالُ لَهُ يَمُّ تَشْهَدُ فِي اسْتِلَامِهِ إِيَّاكَ فَيَقُولُ اسْتَلَمْتَنِي بِكَ لَا بِعَبُودِيَّتِهِ فَيَقَالُ لِلْعَبْدِ قَدْ عَلِمْتَ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ أَنَّ الْاسْتِلَامَ مَا كَانَ بِكَ وَإِنَّمَا كَانَ بِالْحَقِّ فَتَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ الشَّهَادَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ لِالْإِنْسَانِ فَلَا يَبْقَى لَهُ مَا يَطْلُبُهُ فَأَخْبَرْنَا الشَّارِعَ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لِنَسْتَلِمَهُ عِبُودِيَّةً وَاضْطِرَارًا مَكْلَفِينَ بِذَلِكَ تَعْبُدًا مَحْضًا كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَإِنَّ قَلْتُ فَقَدْ بَاعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ وَجَعَلَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ وَأَخَذَ يَدَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ هَذَا عَنْ عَثْمَانَ وَكَانَ عَثْمَانُ غَائِبًا فِي تِلْكَ الْبَيْعَةِ وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ إِذَا اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ يَكُونُ الْحَقُّ يَسْتَلِمُ يَمِينَهُ بِيَدِهِ فَإِنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ وَيَكُونُ ذَلِكَ الْاسْتِلَامُ عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الَّذِي اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ فَيَجْنِي ثَمَرَتَهُ إِذْ قَالَ هَذَا عَنْ عَثْمَانَ وَيَكُونُ عَذْرُ هَذَا الْعَبْدِ كَوْنُ مَشْهَدِ الْحَالِ غَلَبَ عَلَيْهِ سُلْطَانُهُ حَيْثُ لَمْ يَشَاهِدْ إِلَّا اللَّهَ فِي أَعْيَانِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ

الموجودات قلنا الفرق بين المسألتين أن المناسبة بين المثليين صحيحة والجامع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عثمان الإنسانية وهي حقيقة النشأة والعبودية فجازت النيابة وأن يقوم كل واحد مقام الآخر والفرق الثاني أن اليد التي بايعوها هي يد الله فبايعوها بأيديهم وهنا المستلم يمين الله والمستلم يد الله أيضا ولا مناسبة بين الله وبين خلقه وهناك المناسبة موجودة فإن قيل المناسبة هنا خلقه على الصورة ولهذا صح له التخلق بالأسماء الإلهية قلنا أما الصورة فلانكرها وأما التخلق فلانكره ولكن أضاف الاستلام هنا للعبد وجعل استلامه بحق وما ثم إلا الاستلام وهو بحق فما استلم إلا الحق والصورة هنا ما هي عين الحق بلا شك فإنها لو كانت عين الحق ما قال خلق آدم على صورته وهنا كان الحق سمعه وبصره ويده فهنا هو الحق عينه من حيث ما هو سامع وناظر وفاعل أي فعل كان فهو عين الصفة التي يكون لها الحكم والأثر والحال في الكون فاختر عند استلامه بأي حالة تستلم ومع هذا فكلمها أحوال حسنة وبينهما فرقان بين وإخراج على عن بابها في هذا الموضع أولى بالعموم وإبقاؤها على بابها أولى بالخصوص والأكبر منا من يستلمه بالوجهين يستلمه بحق ويستلمه بعبودية فيجمع بين الصفتين فيكون ذا جزاءين فيكون له وعليه كما كان يسلك منه وإليه

(حديث رابع وثلاثون في الصلاة خلف المقام)

خرج أبو داود عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فطاف بالبيت وصلى خلف المقام الحديث لما أمرنا الله تعالى أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلًى وقد مضى اعتباره فجعلناه بين أيدينا لنشاهده حتى لا تغفل عنه في حال صلاتنا فيذكرنا شهوده بأن نسأل الله تحصيل هذا المقام إن لم نكن فيه وإن كان حالنا فيذكرنا شهوده أن نسأل الله دوامه علينا وبقائه فيه فلا بد في الحالين أن نكون خلفه لئلا نكون ممن نبذه وراء ظهره فلم يتذكره لعدم شهوده إياه

(حديث خامس وثلاثون إشعار البدن وتقليدها النعال والعهن)

خرج مسلم عن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن و سلت عنها الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته الحديث اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الإبل أنها شياطين وجعل ذلك علة في منع الصلاة في معاطنها والشيطنة صفة بعد من رحمة الله لا من الله لأن الكل في قبضة الله وبعين الله والإشعار الإعلام والحسنون ما عليهم من سبيل وإنما يدعي إلى الله من لم يكن عنده في الصفة التي يدعى إليها والشفاعة لا تقع إلا فيمن أتى كبيرة تحول بينه وبين سعاده ولا أبعد من شياطين الإنس والجن والهدية بعيدة من المهدي إليه لأنها في ملك المهدي فهي موصوفة بالبعد وما يتقرب المتقرب إلى الله من أهل الدعاء إلى الله بأولى من رد من شرد عن باب الله وبعد إلى الله ليناله رحمة الله فإن الرسل ما بعثت بالتوحيد إلا للمشركين وهم أبعد الخلق من الله ليردوهم إلى الله ويسوقوهم إلى محل القرب وحضرة الرحمة فلماذا أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن مع ذكره فيها أنها شياطين ليثبت عند العالمين به إن مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء من الله إلى حال التقرب ثم إنه أشعرها في سنامها الأيمن وسنامها أرفع ما

فيها فهو الكبرياء الذي كانوا عليه في نفوسهم فكان أعلاما من النبي صلى الله عليه وسلم لنا بأنه من هذه الصفة أتى عليهم ليجتنبها فإن الدار الآخرة إنما جعلها الله للذين لا يريدون علواً في الأرض والسنام علو ووقع الإشعار في صفحة السنم الأمين فإن اليمين محل الاقتدار والقوة والصفحة من الصفح إشعار من أن الله يصفح عمن هذه صفته إذا طلب القرب من الله و زال عن كبريائه الذي أوجب له البعد لأنه أبى واستكبر وجعل صلى الله عليه وسلم الدلالة على إزالة الكبرياء في شيطنة البدن جعل النعال في أرقابها إذ لا يصنع بالنعال إلا أهل الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي فيه كبرياء يشهد وعلق النعال في قلادة من عهن وهو الصوف ليتذكر بذلك ما أراد الله بقوله وتكون الجبال كالعن فإذا كانت هذه صفته كان قربانا من التقرب إلى الله فحصلت له القرية بعد ما كان موصوفاً بالبعد إذ كان شيطانا فإذا كانت الشياطين قد أصابتهم الرحمة فما ظنك بأهل الإسلام ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بعث إلى الموحدن ليشهدوا بتوحيدهم على جهة القرية التي لا يستقل العقل بإدراكها أعني بإدراك هذه القرية إلا من جهة الشرع فيحقق بعثه إلى المشرك والموحد بوجهين فالمشرك وهو الشيطان المتكبر دعاه إلى عين القرية كما ذكرناه فقبل قرية و زال عنه بما ذكرناه من الإشعار و تقليد النعال ما كان فيه من صفة البعد ثم نبه صلى الله عليه وسلم على مقام دعوته للموحدن حيث دعاهم إلى النطق بها قرية ولم يكن لهم علم بذلك فاهدى مرة إلى البيت غنما وهي من الحيوان الطاهر الذي تجوز لنا الصلاة في مراتبها فكان مثل تقرب الموحدن

خرج مسلم عن عائشة قالت أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيت غنما فقلدها والتقليد للغنم أي هذه صفتها التي أوجبت لها القرب أن تكون قربانا

(حديث سادس وثلاثون يوم النحر هو يوم الحج الأكبر)

ذكره أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحججة التي حجج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا هذا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر يعني الذي سماه الله في قوله وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر وإنما سمي في ذلك الوقت يوم الحج الأكبر لأنه كان مجمع الحاج بجملته إذ كان من الناس من يقف بعرفة وكانت الحمس تقف بالمزدلفة فكانوا متفرقين فلما كان يوم منى اجتمع فيه أهل الوقوف بالمزدلفة و بعرفة فكان يوم الحج الأكبر لاجتماع الكل فيه ولما كان إبقاء هذا الاسم عليه بعد أن صار الوقوف كله بعرفة حدث له معنى آخر في الإسلام نبه الشارع عليه ولهذا سن طواف الإفاضة في هذا اليوم فأحل في هذا اليوم من إحرامه مع كونه متلبسا بالحج حتى يفرغ من أيام منى فلما أحل من إحرامه في هذا اليوم زال عن التحجير الذي كان تلبس به في هذه العبادة وأبج له جميع ما كان حرم عليه وأحل الحل كله في هذا اليوم وكان إحلاله عبادة كما كان إحرامه عبادة وما زال عنه اسم الحج لما بقي عليه من الرمي فكان يوم الحج الأكبر لهذا السراح والإحلال فكانت أيام منى أيام أكل وشرب وبعال فمن أراد فضل هذا اليوم فليطف فيه طواف الإفاضة ويحل الحل كله فإن لم يفعل فما هو من أهل الحج الأكبر فلا يغلبك الشيطان عن فضل هذا اليوم بأن تتميز في أهله وهو يوم النحر نحر البدن وقبولها

قربانا وإعادة منفعتها علينا من أكل لحومها والأجر الجزيل في نحرها والصدقة بلحومها

(حديث سابع وثلاثون نحر البدن قائمة)

خرج أبو داود عن أبي الزبير عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينتحرون البدنة معقولة اليد اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها أعلاما لما كان نحرها قرينة أراد المناسبة في صفة نحرها في الوترية فأقامها على ثلاث قوائم فإن الله وتر يحب الوتر والثلاث أول الأفراد فلها أول المراتب في ذلك والأولية وترية أيضا وجعلها قائمة لأن القيومية مثل الوترية صفة إلهية فهو القائم تعالى على كل نفس بما كسبت فيذكر الذي ينحرها بقيامها وأن النحر كسب له مشاهدة القائم على كل نفس بما كسبت وقد صح أن المناسك إنما شرعت لإقامة ذكر الله وهذا من مناسك الحج أعني صفة النحر فيذكر الله بهذه الصفة وشفع الرجلين لقوله التَّكَّ السَّاقِ بالسَّاقِ وهو اجتماع أمر الدنيا والآخرة وأفرد اليمين من يد البدنة حتى لا تعتمد إلا على وتر الاقتدار والشفع والوتر فالبدنة قائمة بحق لخلق بشفعية رجلها وترية يدها فتذكر الله بهذه الصفة وإن القيام ما صح للأشياء الأعلى وتر بمجاله تجمع الشفعية والوترية وهي أول حالة يظهر فيها هذا الجمع وليس إلا الثلاثة ولا يمكن للبدنة القيام الأعلى ثلاث قوائم وكان العقل في اليد اليسرى لأنها خلية عن القوة التي لليمنى والقيام لا يكون الأعلى الأقوى لأجل الاعتماد قال في الصلاة أقيموا الصلوة وقال قد قامت الصلاة فأخبر بالماضي قبل قيام العبد لها فأراد قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد إلى الصلاة فيقيم بقيامه نشأتها قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فهو المشار إليه بقوله قد قامت الصلاة فالقيام معتبر في العبادات ومنه الوقوف بيوم عرفة وفي جمع وعند رمي الجمار وأعمال الحج كلها لا تصح إلا من قائم

(حديث ثامن وثلاثون منى كلها منحر)

خرج مسلم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال منى كلها منحر قد قلنا إن منى من بلوغ الأمانة ومن بلغ المنى المشروع فقد بلغ الغاية فجعله محلا للقرابين وهو تلاف أرواح عن تدمير أجسام حيوانية ليتغذى بها أجسام إنسانية فتنظر أرواحها إليها في حال تفريقها فتدبرها إنسانية بعد ما كانت تدبرها إبلا أو بقرا أو غنما وهذه مسألة دقيقة لم يتفطن لها إلا من نور الله بصيرته من أهل الله ويحتوي عليها قوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَانُوا فِي حَالٍ تَفْرِيقٍ فِي أَطْوَارٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ يُمَيِّزُ اللَّهُ أَجْزَاءَ كُلِّ مَجْمُوعٍ وَهِيَ مَعِينَةٌ عِنْدَ أَرْوَاحِهَا الْمُدْبِرَةِ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ تَكُونُ عَلَيْهَا مِنْ اجْتِمَاعٍ وَافْتِرَاقٍ وَتَبَدُّلِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهَا بِمَجْسَبِ مَزَاجِهَا الْخَاصِ بِهَا فِي ذَلِكَ الْجَمَاعَةِ وَمِنْ هُنَا هَبَّتْ نَفْحَةُ عَلَى الْقَائِلِينَ بِالتَّوَسُّخِ فَلَمْ يَتَحَقَّقُوا مَعْنَاهَا فَزَلُّوا وَضَلُّوا وَأَضَلُّوا وَلِأَنَّهُمْ نَظَرُوا فِيهَا مِنْ حَيْثُ أَفْكَارِهِمْ فَأَخْطَوا الطَّرِيقَ فَغَلَطُوا فَهَمَّ مَخْطُونَ غَيْرَ كَافِرِينَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ مِنْهُمْ الَّذِي هُوَ نَشْأَةُ الْآخِرَةِ فَهُوَ مَلْحَقٌ بِالْكَفَّارِ وَالْأَرْوَاحِ الْمُدْبِرَةِ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ لَا تَبَدُّلَ تَبَدُّلِ الصُّورِ لِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ التَّبَدُّلَ لِأَحْدِيثِهَا وَإِنَّمَا تَقْبَلُ التَّبَدُّلَ الْمُرَكَّبَ مِنْ أَجْسَادٍ حَسَا وَبِرْزَخَا

فمن بلوغ المنى إلحاق الأسافل بالأعالي والتحام الأبعاد بالأداني

و منهم من تجسد حيث كنا
و منهم من تجسد في الهواء
فمنهم من تجسد لي بأرض
ولكن لا نكون على السواء
فيخبرنا و نخبره بعلم
و منهم من تجسد في السماء

وهم لا يقدرّون على البقاء
فإني ثابت في كل عين

كلون الماء من لون الإناء
فهم يتصورون بكل شكل

عملت هذه الأبيات في تجسد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا المسمى موتا وكنا رأينا منهم جماعة متجسدين من الأنبياء
و الملائكة و الصالحين من الصحابة و غيرهم و هم يتجسدون في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات فإذا تجلّى المعنى و ظهر في
صورة حسية تبعه الروح في صورة ذلك الجسد كان ما كان لأن الأرواح المدبرة تطلب الأجسام طلبا ذاتيا فحيث ما ظهر جسم أو جسد
حسا كان ذلك أو معنى تجسد كاعمل الصالح في صورة شاب حسن الوجه و النشأة و الرائحة فإن الروح تلزمه أبدا في أي صورة ما شاء
رَكْبَكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ

(الحديث التاسع و الثلاثون في رفع الأيدي في سبعة مواطن)

ذكر البزار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ترفع الأيدي في سبع مواطن اقتتاح الصلاة و استقبال البيت و الصفا و المروة و
الموقين و عند الحجر رفع الأيدي في هذه المواطن كلها للتبري مما ينسب إلى الأيدي من الملك فيرفعها صفرا خالية لاشيء فيها بل الملك كله لله
و هذه المواطن كلها موطن سؤال و السؤال من غنى مالك لا يتصور وإنما السؤال عن الحاجة فمن صفة الفقير الذي لا يملك ما يسأل فيه فإذا
سأل الغني فتحقق من أي صفة يسأل و كما يسأل هل يسأل ما هو عنده أو ما ليس عنده فاجعل الحكم في ذلك بحسب ما نهيتك عليه و قد
اعتنى الله بالفقراء حيث جعل سؤالهم الأغنياء طلبا إلهيا في قوله و آتوا الزكاة و في قوله و أقرضوا الله قرضا حسنا و في قوله جعلت فلم
تظمني فإذا فهمت الصفة التي أوجبت السؤال عرفت كيف تسأل و ممن تسأل و ما تسأل و بيد من تقع الأغطية و ما يصنع بها و تعلم رفع
الأيدي عند السؤال بالظهور و بالبطون و ما الفرق في أحوالهما

(الحديث الأربعون حديث الاستغفار للمحلقين و المقصرين)

خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله و للمقصرين قال اللهم اغفر
للمحلقين قالوا يا رسول الله و للمقصرين قال و للمقصرين لما لم يفهموا مقصود الشارع بطلب الغفر الذي هو الستر للمحلقين و هم الذين حسروا
عن رؤوسهم الشعر فأنكشفت رؤوسهم فطلب من الله سترها ثوبا لكشفها و المقصر ليس له ذلك فلما لم يفهموا عنه قال و للمقصرين
خطابا لهم إذ قد قال صلى الله عليه و سلم خاطبوا الناس على قدر عقولهم أي على قدر ما يعقلونه من الخطاب حتى لا يرموا به

(الحديث الحادي و الأربعون حديث طواف الوداع)

خرج مسلم عن ابن عباس قال كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت لما كان هذا البيت أول مقصود الحاج لأنه ما أمر بالحج إلا إلى البيت والأول يطلب الآخر في عالم المفارقة وليس من شرطه في كل منسوب إليه الأولية بخلاف الآخر فإنه يطلب الأول بذاته لا بد من ذلك فافهم حتى تعرف إذا نسبت إليك الأولية كيف تنسبها وإذا نسبت إليك الأخيرة كيف تنسبها فإذا علمت أن الآخر يطلب الأول في عالم المفارقة وأنت من عالم حاله المفارقة لأنك آفاقي تعين عليك أن يكون آخر عهدك الطواف بالبيت

(فصل في كفارة التمتع)

قال تعالى فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ لَا يَخْلُفُ فِي وَجُوبِهَا وَخْتَلَفُوا فِي الْوَجِبِ فِجَمَاعَةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ شَاةٌ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ إِنَّ اسْمَ الْهَدْيِ لَا يَنْطَلِقُ إِلَّا إِلَى الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَإِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ بَقَرَةٌ أَوْ بَدْنَةٌ أَوْ مِنْ بَدْنَةٍ وَالَّذِي أَقُولُ بِهِ لَوْ أَهْدَى دَجَاجَةً أَجْزَأَهُ وَأَجْمَعُوا عَلَى إِنْ هَذِهِ الْكِفَارَةُ عَلَى التَّرْتِيبِ فَلَا يَكُونُ الصِّيَامُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ لَا يَجِدُ هَدْيًا وَخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الزَّمَانِ الَّذِي يَنْتَقِلُ بِانْقِضَائِهِ فَرَضَهُ مِنَ الْهَدْيِ إِلَى الصِّيَامِ فَقَاتَلَ إِذَا شَرَعَ فِي الصِّيَامِ فَقَدْ انْتَقَلَ وَاجِبَةٌ إِلَى الصُّومِ وَإِنْ وَجَدَ الْهَدْيَ فِي أَثْنَاءِ الصُّومِ وَمَنْ قَاتَلَ إِنْ وَجَدَ الْهَدْيَ فِي صَوْمِ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ لَزِمَهُ وَإِنْ وَجَدَهُ فِي السَّبْعَةِ لَمْ يَلْزِمَهُ وَالْأَوَّلُ أَقُولُ وَأَمَّا صِّيَامُ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ فِي الْحَجِّ فَاخْتَلَفُوا فَيَمْنُ صَامَهَا فِي أَيَّامِ عَمَلِ الْعُمْرَةِ أَوْ صَامَهَا فِي أَيَّامِ مَنْى فَأَجَازَهَا بَعْضُهُمْ فِي أَيَّامِ مَنْى وَمَنْعَهُ آخَرُونَ وَقَالُوا إِذَا فَاتَتْهُ الْأَيَّامُ الْأَوَّلُ وَجَبَ الْهَدْيُ فِي ذِمَّتِهِ وَمَنْعَهُ مَالِكٌ قَبْلَ الشَّرْعِ فِي عَمَلِ الْحَجِّ وَأَجَازَهُ أَبُو حَنِيفَةَ عِنْدَنَا يَصُومُ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ مَا لَمْ يَنْقُضْ شَهْرَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَمَّا السَّبْعَةُ الْأَيَّامَ فَانْفَقُوا عَلَى أَنَّهُ إِنْ صَامَهَا فِي أَهْلِ أَجْزَأَهُ وَخْتَلَفُوا إِذَا صَامَهَا فِي الطَّرِيقِ فَقَاتَلَ بِجُزَيْهِ وَبِهِ أَقُولُ وَقَاتَلَ لَا يَجْزِيهِ الْهَدْيُ أَوْلَى فِي الْمُنَاسِبَةِ فِي كِفَارَةِ التَّمَتُّعِ فَإِنَّهُ بَدَلَ مَنْ تَمَعَ وَبِالْهَدْيِ يَتَمَتُّعُ مِنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ مِنْهُ وَالصُّومُ نَقِيزُ التَّمَتُّعِ وَأَمَّا مُنَاسِبَةُ الصُّومِ فِيهِ فَلِأَنَّهُ تَمَعَ بِالْإِحْلَالِ فَجُوزِي بِنَقِيزِ التَّمَتُّعِ وَهُوَ الصُّومُ فَرَجَحَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْكِفَارَةِ التَّمَتُّعَ بِالْهَدْيِ فِي حَقِّ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِهِ فَإِذَا لَمْ يَجِدْ حِينَئِذٍ قَبُولَ بِنَقِيزِ التَّمَتُّعِ وَهُوَ الصُّومُ أَنْتَهَى الْجُزْءُ الثَّلَاثُ وَالسَّبْعُونَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أحاديث مكة والمدينة شرفهما الله)

(الحديث الأول في دخول مكة والخروج منها على الاقتداء بالسنة)

خرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلي الثنية العليا تسمى كداء بالمد والفتح والهمزة والثنية السفلي تسمى كدى بالضم والقصر لما كانت مكة أشرف بقاع الأرض وموطننا لظهور بين الحق وحضرة المبايعة أشبهت كتيب المسك الأبيض في جنة عدن موطن الزور الأعظم والرؤية العامة والكثير أشرف مكان في جنة عدن وعدن

أشرف الجنان لأنها قصبة الجنة و القصبة حيث تكون دار الملك و هي دار تورث من قصدها الإمداد الإلهي و الفتح في العلم الإلهي الذي تعطيه المشاهدة فهذا شرع الدخول إلى مكة من كداء بفتح الكاف للفتح الإلهي في كاف التكوين من قوله كُنْ و المد للإمداد الإلهي بالعباءة من العلم به الذي هو أشرف هبة يعطيها من قصده و المد في هذه الألفاظ زيادة و مكة موضع المزيد في كل خير لأنه فرع عن الأصل لأن الأصل في الكون الفقر و العجز و لهذا يجوز في ضرورة الشعر قصر الممدود لأنه رجوع إلى الأصل و لا يجوز له مد المقصور لأنه خروج عن الأصل فلا يخرج إلا بموجب و ما هو ثم فإن الموجب للمد الزاد في الحرف من الكلمة إنما هو الهمزة أو الألف أو الكسرة أو الحرف المشدد مثل الطامة و الصاخة و الدابة و التشديد هو تضعيف الحرف و التضعيف زيادة لأنه دخول حرف في حرف و هو الإدغام فهو ظهور عبد بصفة رب فكان له المزيد و أخذ المد إذ لم يكن له ذلك بالأصل و كذلك ظهور رب بصفة عبد في تنزل إلهي فهو من باب الإدغام تشريف للعبد من الله و كل لنفسه سعى فأما السعي في حق العبد فمعلوم محقق لا فتقاره و أما الهرولة في السعي المنسوبة إلى الله فصفة تطلب الشدة في الطلب أكثر من طلب الساعي بغير صفة الهرولة فدل على إن الطلب هناك أشد لأجل تعطيل حكم ما تقتضيه الأسماء الإلهية و لهذا يقول في تجليه هل من نائب فأتوب عليه فهو سؤال من الاسم التواب هل من داع فأجيبه فهذا لسان الاسم الجيب هل من مستغفر فاغفر له هذا لسان الاسم الغفور لأنه إن لم يكن في الكون من يستدعي هذا الاسم و إلا بقي معطل الحكم فهذا كان سعيه هرولة و طلبه أشد لأنه لا يليق به النقص و العبد كله نقص و ضعف فليس له لضعفه شدة السرعة في السعي لأنه يفتقر إلى المعين بقوله وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ و أما إذا خرج خرج من كدى بضم الكاف و القصر و هو ما اكتسبه في حضرة الحق من الرفعة و جار في كاف التكوين و هو المقول عندنا الفعل بالهمة فهذا رفع الكاف قال الحق لأبي يزيد اخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رأني و هو ظهور صفات الربوبية عليه ألا ترى خلفاء الحق في العباد لهم الأمر و النهي و الحكم و التحكم و هذه صفات الإله و السوقة مأمورة بالسمع و الطاعة و أعطاه القصر في كدى ينهيه و إن كنت خرجت بصفتي فلا تحجبك عن عبوديتك فالقصر و العجز لا يفا رقت فإنك مهما فارتك ذلك قصمتك فخرج حين خرج من مكة حضرة الله لرعيته رفيعا بشرف الحضرة مشاهدا لعبوديته بالقصر فهذا كان يدخل من كداء و يخرج من كدى و هذا القدر في الحج كاف فإن فروعه تطول لو تقصيناها ما و في بها العمر فما بقي الأفضل مكة و المدينة و الزيارة تكون بذلك خاتمة الباب

(الحديث الثاني أرض مكة خير أرض الله)

خرج النسائي عن عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول لمكة إناك و الله خير أرض الله و أحب أرض الله إلى الله و لولا أني أخرجت منك ما خرجت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم القوم أقرؤهم للقرآن فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما فإن كانوا في السلم سواء فأكبرهم سنا فمن اجتمع فيه مثل هذه الخصال صح له التقدم و من صح له التقدم كان متبوعا و كان أحق بالله من

التابع والبيت المكي أَوْلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ مَعْبَدًا وَالصَّلَاةَ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِيمَا سِوَاهُ فَهُوَ أَقْدَمُهُم بِالزَّمَانِ وَهُوَ عَتَبَارُ السَّنِّ فَلَهُ تَقْدِيمُ السَّنِّ وَمَا يَتَقَدَّمُ بِالسَّنِّ إِلَّا مَنْ حَوَى جَمِيعَ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا فَإِنَّهُ جَاءَ آخِرًا فَلَوْ أَكْفَيْنَا بِهِذَا لَكَانَ فِيهِ غِنَى عَنْ ذِكْرِ مَا سِوَاهُ وَإِنْ نَظَرْنَا إِلَى الْهَجْرَةِ فَإِنَّهُ بَيْتٌ مَقْصُودٌ يَنْبَغِي الْهَجْرَةُ إِلَيْهِ وَالْحَجْرُ الْأَسْوَدُ مِنْ جَمَلَةِ أَحْجَارِهِ وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَحْجَارِ هَجْرَةً مِنْ سَائِرِ الْأَحْجَارِ هَاجِرٌ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَيْهِ فَشَرَفَهُ اللَّهُ بِالْيَمِينِ وَجَعَلَهُ لِلْمَبَايَعَةِ وَأَمَّا أَكْثَرُهُمْ قِرَاءًا فَإِنَّهُ أَجْمَعُ لِلْخَيْرَاتِ مِنْ سَائِرِ الْبُيُوتِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مِنْ حَجْرٍ وَمَلْتَزَمٍ وَمَسْتَجَارٍ وَمَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ وَزَمَزَمَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَأَمَّا عِلْمُهُ بِالسَّنَةِ فَإِنَّ السَّنِينَ فِيهِ أَكْثَرُ لِكثْرَةِ مَنَاسِكِهِ وَاحْتَوَائِهِ عَلَى أَعْمَالٍ وَتَرَوْكَ لَا تَكُونُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَلَا فِي بَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ فَإِنَّهُ مَحَلُّ الْحَجِّ وَأَمَّا السَّلْمُ فَإِنَّهُ أَقْدَمُ الْحَرَمِ فَهُوَ سَلْمٌ كُلُّهُ مِنْ دَخَلِهِ كَانَ آمِنًا فَصَحَّ لَهُ التَّقَدُّمُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ عَلَى كُلِّ بَلَدٍ وَكُلِّ بَيْتٍ

(الحديث الثالث تحريم مكة)

خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خِرَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّابِينَ لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي إِلَّا وَإِنَّمَا أَحَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارِ الْأَوَّلِ وَإِنَّمَا سَاعَتِي هَذِهِ وَهِيَ حَرَامٌ لَا يَخْبِطُ شَوْكُهَا وَلَا يَعْضُدُ شَجَرُهَا وَلَا يَلْقَطُ سَاقِطَتِهَا إِلَّا لِمَنْشُدٍ وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرِينَ إِمَّا أَنْ يُعْطِيَ يَعْنِي الدِّيَةَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ الْحَدِيثُ فَهَذَا هُوَ حِمَى اللَّهِ وَحَرَمُهُ وَلَا مَوْجُودَ أَعْظَمَ مِنَ اللَّهِ فَالْحَمَى وَالْحَرَمُ أَعْظَمُ مِنَ حَرَمِ اللَّهِ وَلَا حِمَاهُ فِي الْإِمَّاكَانِ فَإِنَّ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يَحْرَمِهَا النَّاسُ كَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَيْضًا فِي حَدِيثٍ مُسْلِمٌ أَنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْحَدِيثُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَمَهَا

(الحديث الرابع في منع حمل السلاح بمكة)

خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ السَّلَاحَ بِمَكَّةَ لِمَا كَانَ السَّلَاحُ عِدَةً لِلْخَافِئِ أَوْ لِمَتَوَقُّعِ الْخَوْفِ أَوْ لِأَخْذِ بِنَارٍ أَوْ لِمَتَعَدِّدِ فِعْلٍ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ إِنْ نَوَّعَ فِي غَرَضِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُ حَرَمًا آمِنًا فَلَمْ يَكُنْ لِحْمَلِ السَّلَاحِ فِيهِ مَعْنَى

(الحديث الخامس في زمزم)

خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ الطَّلَيْسِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَزَمَ إِنَّهَا مَبَارَكَةٌ طَعَامٌ وَشِفَاءٌ سَقَمٌ

(الحديث السادس فيه)

خَرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا زَمَزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ وَهَذَا الْخَبْرُ صَحَّ عِنْدِي بِالذَّوْقِ فَإِنِّي شَرِبْتَهُ لِأَمْرِ

(الحديث السابع في تغريب ماء زمزم لفضله)

ذكره الترمذي عن عائشة أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبّر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحملها وهو حديث حسن غريب

(الحديث الثامن في دخول مكة بالإحرام)

ذكر أبو أحمد بن عدي الجرجاني من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد مكة إلا بإحرام من أهلها أو من غير أهلها وفي إسناده مقال وحمل الإحرام المذكور في هذا الحديث عندي على أنه لا يدخلها إلا محترماً لها إذ قد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام وقال في توقيت المواقيت لمن أراد الحج والعمرة

(الحديث التاسع في احتكار الطعام بمكة)

ذكر مسلم من حديث يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام في الحرم إلهاد فيه وقال تعالى وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ بُدْفَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ وَلَا يُؤْخَذُ أَحَدٌ بِإِرَادَةِ السُّوءِ وَالظُّلْمُ فِي غَيْرِ حَرَمٍ مَكَّةَ وَأَحَادِيثُ شَرَفِهَا كَثِيرَةٌ (وأما أحاديث المدينة) فمنها حديث الزيارة وهو الأول خرج الدارقطني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي

(الحديث الثاني في فضل من مات فيها)

ذكر الترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن مات بها وهو حديث صحيح

(الحديث الثالث في تحريم المدينة)

ذكر مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها و قال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء

(الحديث الرابع فيمن صاد في المدينة)

ذكر أبو داود عن سليمان بن أبي عبد الله قال رأيت سعد بن أبي وقاص أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة الذي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فسلبه ثيابه فجاءوا يعني مواليه فكلموه فيه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم هذا الحرم وقال من أخذ أحداً يصيد فيه فليسلبه فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه

(الحديث الخامس في نقل حمي المدينة إلى الجحفة)

ذكر مسلم عن عائشة قالت قدمت علينا المدينة وهي وبنة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال اللهم حبب إلينا المدينة كما حبت مكة وأشد وأصححها لنا وبارك لنا في صاعها ومدها وحول حماها إلى الجحفة

(الحديث السادس والسابع في طيبها وفيها الخبث)

ذكر مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها طيبة يعني المدينة وإنما تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة وقال صلى الله عليه وسلم إنما المدينة كالكبر تنفي خبثها وينصع طيبها خرجه مسلم من حديث جابر

(الحديث الثامن في عصمة المدينة من الدجال والطاعون)

ذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الدجال ولا الطاعون

(الحديث التاسع في ذلك)

خرج البخاري عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب لكل باب ملكان وأما حديث فضل الصلاة في مسجد المدينة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى فمشهور

(الحديث العاشر في تحريم وادي وج من الطائف)

ذكر تحريمه أبو داود عن عروة بن الزبير قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الأسود حذوها فاستقبل وجاء ببصره وقال مرة واديه ووقف حتى أنفذ الناس كلهم ثم قال إن صيد وج وعضاهه حرام محرم لله وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا (وصل) وأما حكمة حرم المدينة فلأن الله قرن الشهادة بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة بشهادة التوحيد تشريفا له وأنه لا يكون الايمان إلا بهما والله قد حرم مكة فجعل لرسوله صلى الله عليه وسلم تحريم المدينة تأييد الشرف الشهادة فجعل له أن يحرم كما حرم الله ثم إن الله وتر يحب الوتر وقد شفع حرمة الحرم بحرمه المدينة فجعل حرما ثالثا للوترية وجعل تحريمه لله لا للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه الوتر ولهذا ما حرم إلا ما هو مجاور مكة يؤذن أن الحرمة لله فيه كالحرمة لمكة ولهذا قال حرام محرم لله فهذا قد ذكرنا من الأحاديث الواردة في الحرمين والحرم الثالث الذي أوترهما فأما زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فلكونه لا يكمل الايمان إلا بالايان به فلا بد من قصده للمؤمن من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ فَلَمَّا جَاءتِ الشَّفْعِيَّةُ بِالطَّاعَةِ وَاللَّهُ وَتَرِ يَجِبُ الْوَتْرُ ثَلَاثُ الطَّاعَةِ لِلْوَتْرِ الْمَطْلُوبِ فِي الْأَشْيَاءِ كَمَا فَعَلَ فِي الْحَرَمِ فَقَالَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَأُوتِرُوا مِنْ شَرَطِ الْمُبَايَعَةِ لِأُولِي الْأَمْرِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهُ فَإِنْ قِيلَ فَلِأَشْهُرِ الْحَرَمِ أَرْبَعَةٌ فَلَمَّا صَدَقَتْ وَلَمَّا عَلِمَهَا اللَّهُ أَرْبَعَةً لَمْ يَجْعَلْهَا سَرْدًا مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْوَتْرِ فَيَجْعَلُ ثَلَاثَةً مِنْهَا سَرْدًا وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَمَحْرَمُ قَبْضَتِ الْوَتْرِ فَيَجْعَلُ الرَّابِعَ رَجَبَ وَسَمَاهُ رَجَبُ الْفَرْدِ لِإِثْبَاتِهَا

للوثرية وذلك لأن الله وتر يحب الوتر في الأشياء ليرى صورة وترته فيها فلا يرى إلا رتبته ولا يحب إلا صفته ولهذا خرج العالم على صورة الأسماء الإلهية ليكون مجلاه فلا يرى في الوجود إلا هو سبحانه لا إله إلا هو (وصل) رأينا أن تقيد في خاتمة هذا الباب ما روينا من الافتخار بين الحرمين وهو ما حدثنا به محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليميني نزيل مكة قال حدثنا حسن بن علي قال حدثنا الحسين بن خلف بن هبة بن قاسم الشامي قال حدثنا أبي قال حدثنا الحسين بن أحمد ابن فراس قال حدثنا أبي عن أبيه إبراهيم بن فراس عن أبي محمد إسحاق بن نافع الخزاعي عن إبراهيم بن عبد الرحمن المكي عن محمد بن عباس المكي قال أخبرنا بعض مشايخ المكيين أن داود بن عيسى بن موسى هو موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولي مكة والمدينة أقام بمكة وولى ابنه سليمان المدينة فأقام بمكة عشرين شهرا فكتب إليه أهل المدينة وقال الزبير بن أبي بكر كتب إليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخراق يسأله التحول إليهم و يعلمونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة وأهدوا إليه في ذلك شعرا قاله شاعرهم بقول فيه

و بالعدل في بلد المصطفى	أ داود قد فزت بالمكرمات
و سرت بسيرة أهل التقى	و صرت ثمالا لأهل الحجاز
و في منصب العز و المرتجى	و أنت المهذب من هاشم
و في كل حال و نجل الرضي	و أنت الرضي للذي نابهم
فعدلك فينا هو المنتهى	و بالفيء أغنيت أهل الخصاص
فهاجر كهجرة من قد مضى	و مكة ليست بدار المقام
كثير لهم عند أهل الحجى	مقامك عشرون شهرا بها
بها الله خص نبي الهدى	فصم ببلاد الرسول التي
مشير مشورته بالهوى	و لا ينفينك عن قربه
أحق بقربك من ذي طوى	قبر النبي و آثاره

قال فلما ورد الكتاب والأبيات على داود بن عيسى أرسل إلى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب فأجاب به رجل منهم يقال له عيسى بن عبد العزيز السعلبوس بقصيدة يرد عليه ويذكر فيها فضل مكة وما خصها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة ويذكر المشاعر والمناقب فقال وفقه الله هذه القصيدة

و أنت ابن عم نبي الهدى	أ داود أنت الإمام الرضي
كبيراً و من قبله في الصبي	و أنت المهذب من كل عيب

و أنت ابن قوم كرام تقي
تسد خصاصتهم بالغنى
أسا في مقاله و اعتدى
على حرم الله حيث ابتهى
فلا يسجدن إلى ما هنا
و مكة مكة أم القرى
و يثرب لا شك فيما دحا
يصلي إليه برغم العدي
على غيره ليس في ذا مرا
مئين الوفا صلاة وفا
و ما قال حق به يقتدى
إلينا شوارع مثل القطا
يشاء و يترك ما لا يشأ
فيرمون شعنا بوتر الحصى
على أنيق ضمير كالفنا
فمنهم سغاب و منهم معي
ترى صوته في الهوا قد علا
و يثني عليه بحسن الثناء
يؤم المعرف أقصى المدى
وقوفا يضحون حتى المسا
عجيج يناجون رب السما
و كل يسائل دفع البلا
بعفوك و الصفح عن أسا

و أنت المؤمل من هاشم
و أنت غياث لأهل الخصاص
أناك كتاب حسود ججود
يخبر يثرب في شعره
فإن كان يصدق فيما يقول
و أي بلاد تفوق أمها
و ربي دحا الأرض من تحتها
و بيت المهيمن فينا مقيم
و مسجدنا بين فضله
صلاة المصلي تعد له
كذلك أتى في حديث النبي
و أعمالكم كل يوم وفود
فيرفع منها إلهي الذي
و نحن تحج إلينا العباد
و يأتون من كل فج عميق
لتقضوا مناسككم عندنا
فكم من ملب بصوت حزين
و آخر يذكر رب العباد
فكلهمو أشعث أغبر
فظلوا به يومهم كله
حفاة ضحاة قياما لهم
رجاء و خوفا لما قدموا
يقولون يا ربنا اغفر لنا

و ولى النهار أجدوا البكاء
فحلوا بجمع بعيد العشا
عمود الصباح و ولى الدجى
على قاص ثم أموا منى
و آخر يبدأ بسفك الدماء
ليسعى و يدعوهم فيمن دعا
و آخر ماض يؤم الصفا
و ما طلبوا من جزيل العطا
إلى أرضنا قبل فيما مضى
و من بعده أحمد المصطفى
و هجر بالرمي فيمن رمى
حبانا بهذا شديد القوي
و فينا تنبأ و منا ابتدى
و منا أبو حفص المرتجي
إذا عدد الناس أهل الحياء
و طلحة منا و فينا اتشأ
نسيب النبي و حلف النداء
فتحن إلى فخرنا المنتهى
فلا تفخرون علينا بنا
و فينا من الفخر ما قد كفا
لكم مكرمات كما قد لنا
أراد الطعام و فيه الشفا
و زمزم من كل سقم دوا
فلما دنا الليل من يومهم
و سار الحجيج له رجة
فباتوا جميعا فلما بدا
دعوا ساعة ثم شدوا الشسوع
فمن بين من قد قضى نسكه
و آخر يهدي إلى مكة
و آخر يرمل حول الطواف
فأبوا بأفضل مما رجوا
و حج الملائكة المكرمون
و آدم قد حج من بعدهم
و حج إلينا خليل الإله
فهذا لعمرى لنا رفعة
و منا النبي نبي الهدى
و منا أبو بكر بن الكرام
و عثمان منا فمن مثله
و منا علي و منا الزبير
و منا ابن عباس ذو المكرمات
و منا قريش و آباؤها
و منا الذين بهم تفخرون
ففخر أولاء لنا رفعة
و زمزم و الحجر فينا فهل
و زمزم طعم و شرب لمن
و زمزم تنفي هموم الصدور

إذا ما تضرع منها أكتفى
كما ليس نحن و أتم سوا
و منها النبي امتلاً و ارتوى
و فينا الحصب و المختبى
و فينا كداء و فينا كدى
فيخ يخ فمن مثلنا يا فتى
و أجياد و الركن و المتكى
و فينا ثبير و فينا حرا
و معه أبو بكر المرتضى
و بين القيسي فيما ترى
محرمة الصيد فيما خلا
تكذب فكم بين هذا و ذا
فمن أجل ذلك جا ذا كذا
لما فدى الوحش حتى اللقا
أخذتم بها أو تؤدوا الفداء
لكنتم كسائر من قد ترا
و لكنه في جنان العلى
أقول فقد قلت قول الخطاء
و لا تنطقن بقول الحنا
و لا ما يشينك عند الملا
و كف لسانك عن ذي طوى
من الشتم في أرضكم و الأذى
بسب العقيق و وادي قبا
و من جاء زمزم من جاع
و ليست كرمزم في أرضكم
و فينا سقاية عم الرسول
و فينا المقام فأكرم به
و فينا الحجون ففاخر به
و فينا الأباطح و المروتان
و فينا المشاعر منشا النبي
و ثور و هل عندكم مثل ثور
و فيه اختباء نبي الإله
فكم بين أحد إذا جاء فخر
و بلدتنا حرم لم تزل
و يثرب كانت حلالا فلا
و حرما بعد ذلك النبي
و لو قتل الوحش في يثرب
و لو قتلت عندنا نملة
و لو لا زيارة قبر النبي
و ليس النبي بها ثاويا
فإن قلت قولا خلاف الذي
فلا تفحشن علينا المقال
و لا تفخرن بما لا يكون
و لا تهج بالشعر أرض الحرام
و إلا فجاءك ما لا تريد
فقد يمكن القول في أرضكم

فأجابها رجل من بنى عجل ناسك كان مقيماً بجدة مرابطاً فحكّم بينهما فقال

في فضل مكة و المدينة فاسألوا
فالحكم وقتا قد يجور و يعدل
و خزانة الحرم التي لا تجهل
لها الوقعة لا محالة تنزل
و شهيدها بشهيد بدر يعدل
و بها السرور لمن يموت و يقتل
فوق البلاد و فضل مكة أفضل
للعالمين بها المساجد تعدل
و الصيد في كل البلاد محلل
و إلى فضيلتها البرية ترحل
و الحجر و الركن الذي لا يجهل
و المشعران و من يطوف و يرمل
مثل المعرف أو محل يحلل
أو مثل خيف منى بأرض منزل
إلا الدعاء و محرم و محلل
شرفاً له و لأرضه إذ ينزل
و بها المسيء عن الخطيئة يسأل
و تضاعف الحسنات منه و تقبل
أرضاً بها ولد النبي المرسل
و بها نشأ صلى عليه المرسل
و سرى به الملك الرفيع المنزل
و الدين فيها قبل دينك أول
إني قضيت على الذين تماريا
فلسوف أخبركم بحق فافهموا
فإنا الفتى العجلي جده مسكني
و بها الجهاد مع الرباط و إنها
من آل حام في أواخر دهرها
شهداؤنا قد فضلوا بسعادة
يا أيها المدني أرضك فضلها
أرض بها البيت المحرم قبلة
حرم حرام أرضها و صيودها
و بها المشاعر و المناسك كلها
و بها المقام و حوض زمزم مترعا
و المسجد العالي الممجد و الصفا
هل في البلاد محلة معروفة
أو مثل جمع في المواطن كلها
تلكم مواضع لا يرى بخزائبها
شرفاً لمن وافى المعرف ضيفه
و بمكة الحسنات يضعف أجرها
يجزى المسيء على الخطيئة مثلها
ما ينبغي لك أن تفاخر يا فتى
بالشعب دون الردم مسقط رأسه
و بها أقام و جاءه وحي السما
أ نبوة الرحمن فيها أنزلت

أو من قريش ناشئ أو مكهل
لكنهم عنها نبوا فتحولوا
إن المدينة هجرة فتحملوا
خير البرية حثكم أن تفعلوا
فضل قديم نوره يتهلل
قلنا كذبت و قول ذلك أرذل
من كان يجمله فلسنا نجمل
و المنبر العالي الرفيع الأطول
عمر و صاحبه الرفيق الأفضل
سبقت فضيلة كل من يفضل
أمسوا ضياء للبرية يشمل
فيك الصغار و صعر خدك أسفل
و ودادها حق على من يعقل
الأمير و يستحث و يعجل
قد كان حبلك في أميرك يقتل
في بلدة عظمت فوعظك أفضل
تروى بها و على المدينة تسبل

هل بالمدينة هاشمي ساكن
إلا و مكة أرضه و قراره
و كذاك هاجر نحوكم لما أتى
فأجرتوا و قرتموا و نصرتموا
فضل المدينة بين و لأهلها
من لم يقل إن الفضيلة فيكمو
لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم
في أرضكم قبر النبي و بيته
و بها قبور السابقين بفضلهم
و العترة الميمونة اللاتي بها
آل النبي بنوا على أنهم
يا من تنص إلى المدينة عينه
أنا لنهواها و نهوى أهلها
قل للمديني الذي يزار داود
قد جاءكم داود بعد كتابكم
فاطلب أميرك و استزره و لا تقع
ساق الإله لبطن مكة ديمة

اتهى الجزء الرابع والسبعون

(تم المجلد الأول من الفتوحات المكية ويتلوه المجلد الثاني أوله الباب الثالث والسبعون الذي هو أول الجزء الخامس والسبعين على حسب تجزئة المؤلف)